المقتطف
AL-MUKTATAF

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٣ محرم سنة ١٣٣١

السر جورج داروِن

نعينا الى القراء في شهر سبتمبر الماضي أكبر علماء الرياضيات عند الفرنسويين وأكبر فلاسفتهم المسيو جول هنري بوَنكره ولم تنصرم السنة حتى لحق به صديقهُ السر جورج داروِن أكبر علماء الرياضيات عند الانكليز. توفي في السابع من دسمبر عن ٦٧ سنة من العمر وهو ابن داروِن الشهير صاحب الرأي الداروِني وكتاب أصل الانواع

ولد سنة ١٨٤٥ وتلقى مبادئ العلوم على القس تشارلس برتشرد الذي صار استاذاً للفلك في جامعة أكسفرد. ثم انتقل الى جامعة كيمبردج سنة ١٨٦٤ وكان الثاني في العلوم الرياضية واقام فيها عشر سنوات يدرس ويدرّس. واهتم بدرس العلوم الاقتصادية والسياسية وانتظم في سلك المحامين سنة ١٨٧٤ لكن صحتهُ لم تمكّنهُ من هذا العمل فعاد الى كيمبردج وانقطع للعلوم الرياضية ولاسيما ما يتعلّق منها بعلم الفلك وكان قد كتب في بعض فروع هذا العلم وخصوصاً في تكوُّن النظام الشمسي وتولُّد القمر من الارض فانتُخب استاذاً للفلك وبحثاً في الفلسفة

والعلوم الرياضية نظرية كلها كما لا يخفى ولكن علماء الانكليز استخدموها وسيلة لامور عملية فلورد كلفن الذي كان اعظم رياضي واعظم طبيعي في عصره استخدم العلوم الرياضية في التلغراف والحك والمد والجزر ونحو ذلك من الامور النافعة. والسر جورج داروِن استخدم الرياضيات لمساعدة لورد كلفن في معرفة الاوقات التي يظهر فيها المد والجزر ودرجاتهما وتغيرهما بتغير الاوقات والاماكن. وفائدة ذلك في الملاحة أشهر من ان تذكر في بلاد يعظم المد فيها كبلاد الانكليز. ويقال انهُ لولاهُ ما تمكن لورد كلفن من الوصول الى القواعد

التي وضعها لمعرفة اوقات المد والجزر ولا لجعل الملاحة الانكليزية في المنزلة الاولى في الدنيا. والبحث في المد والجزر وفعل القمر فيهما قاد السر جورج دارون الى البحث في تاريخ القمر ومبادرة الاعتدالين ونحو ذلك من المواضيع الفلكية العويصة

ولم يقتصر على نشر المباحث النظرية المملوءة بالقضايا الرياضية بل نشر سنة ١٨٩٨ كتاباً في المد ونحوهِ من الظواهر الطبيعية اخلاه من المباحث الرياضية فاقبل الجمهور على قراءتهِ وتُرجِم الى لغات كثيرة. وكان في أخريات ايامهِ آخذاً في تنقيحهِ ليطبع طبعة جديدة

وقد جرى في علم الفلك مجرى ابيهِ في علم الاحياء اي انهُ بحث عن اصل العوالم ورجع بها الى غابر الزمن قبلما تكونت الاجرام السموية وصارت تتجاذب وتدور كما ترى في خطبتهِ لما كان رئيساً لجمع تقدم العلوم البريطاني حينما اجتمع في جنوبي افريقية. وقد ترجمناها ونشرناها في المقتطف سنة ١٩٠٥ وجعلنا موضوعها «شمول مذهب النشوء» وهي من ادق ما كتب في هذا الموضوع العويص

ومما اشتغل بهِ في تطبيق العلوم الرياضية على المصالح العمومية تحليل الأرصاد الجوية المختلفة لاستخراج القواعد التي تجري بموجبها ومساعدة الذين مسحوا بلاد الهند في حل المشكلات التي تعترضهم وهم يبحثون عن بعض المعلومات الارضية كالجاذبية ونحوها مما يقتضي معارف رياضية دقيقة. وقد عاد عملهُ هذا عليهِ بالمدح الجزيل من علماء المانيا وغيرهم من اراكنة العلم. ومن ثم انشئ مجمع دولي للبحث في كل المسائل المتعلقة بشكل الارض وحركاتها وجُعل هو نائب انكلترا فيهِ. وكان يتأهب لحضور اجتماع هذا المجمع في همبرج في شهر سبتمبر الماضي لما أُصيب بالمرض الذي قضى عليهِ

ولهُ من التآليف ايضاً رسائل عما وجدهُ بالاحصاء من نتيجة تزوج اولاد الاعمام بعضهم ببعض. وفي انحراف المطار بسبب حركة الارض وفي المد والجزر وفعلهما بالارض والقمر وفي شكل السوائل الدائرة على محورها وفعل النيازك وغير ذلك من المواضيع وقد اعطي لقب سر سنة ١٩٠٥

وآخر موقف وقف فيهِ كرسي الرئاسة لمؤتمر الرياضيين الدولي الذي التأم في كمبردج في اواخر اغسطس الماضي. وقد منحتهُ الجمعية الملكية ارفع وسام عندها وهو وسام كُبْلي وذلك في اكتوبر سنة ١٩١١ وكان نسيبهُ السر فرنسيس غلتن قد نال هذا الوسام في السنة السابقة فتوفي بعد ذلك بسنة وكتب السر جورج ترجمتهُ ثم توفي هو بعد ما نال هذا الوسام بسنة سائراً في خطة نسيبهِ ففقدت الجمعية الملكية اثنين من اركانها في سنتين

الاحتفال بتعلية خزان اصوان

احتفل في ٢٣ دسمبر بتعلية خزان اصوان احتفالاً عظيماً برئاسة الجناب الخديوي وبحضور فخامة اللورد كتشنر وحضرات النظار والمستشارين وكبار الموظفين وبعض المديرين وكبار موظفي الري وجمهور من اعيان المحافظات والمديريات ومندوبي الصحافة وغيرهم من المدعوين. فتلا سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال العمومية الخطبة التالية :— قال موجهاً الخطاب الى الجناب العالي

مولاي

ان هذا الاحتفال الباهر الذي تنازلتم سموكم وتكرمتم بان ترئسوه' لحري بنا ان نجعله' يوماً مذكوراً في تاريخ الاعمال الكبرى التي عم نفعها فازدانت بها حكمكم السعيد وخلدت لسموكم اطيب الذكرى . ولا غرو فان الاعمال التكميلية الجليلة لخزان اصوان التي لي عظيم الفخر والشرف بان اعرضها لمقامكم السامي وانية الصنع تامة المبنى لم يكن مرماها الأ فتح مصر رقي البلاد في سبيل الشؤون الاقتصادية وليكون من ورائها امداد البلاد بالماء الوافر الذي هو مادة الحياة لقوام الامم التي مدار نجاحها وتقدمها على الزراعة

ولا خفاء انهُ لم يكد يتم بناء هذا الخزان في عام ١٩٠٢ على مبناهُ الاصلي الذي قُدّر لهُ حتى بدت من ورائهِ فوائد جمة ادت الى اتساع نطاق الزراعة ثم ظهرت من بعدها بوادر الخير في صيف ١٩٠٣ غير انهُ قد تبين من خلال عوامل شتى مختلفة الاسباب منها تحويل ري الحياض في اقاليم مصر الوسطى واتساع نطاق زراعة القطن في بسائط الدلتا وارتفاع قيمة الاراضي المنخفضة المجاورة للبحيرات الواقعة في الانحاء البحرية وازدياد مطالب الري تدريجياً ان الحال تدعو الى التفكير بضرورة خزن مقدار من المياه اكثر من ذي قبل وفاء بحاجة الري ليكون على ما يرام في الازمان التي يكون فيض النيل فيها نزراً يسيراً

وبعد التروي في هذا الموضوع الكثير الصعاب تبين ان ضالتنا المنشودة انما هي الأ زيادة مقدار المياه في ذلك الخزان ولم تتيسر هذه الامنية الأ بتعلية بنائهِ وتقويته. على ان هذا الامر السهل قد صادفهُ مانع كبير وهو انهُ متى ارتفع منسوب المياه في الخزان قد ينشأ عنهُ زيادة اغمار جزيرة أنس الوجود بالماء بهيا كلها وسائر الآثار التاريخية في صعيد وادي النيل. ولتعذر اقامة سد آخر وافٍ بالغرض يكون موقعهُ موافقاً للغاية المطلوبة قد تقرر

العمل بهذا المشروع واتخذت التدابير اللازمة التي تناسب مقتضيات الحال احتفاظاً بالعاديات المصرية التي هي موضع اهتمام الحكومة الاكبر

ولا مراء في ان خزان اصوان الذي أُعلي جداره الحاجز بقدر خمسة امتار يتجمع فيهِ الآن مليارات وثلاثمائة مليون متر مكعب من الماء اي بزيادة مليار وثلاثمائة وعشرين مليون متر مكعب على سعتهِ الاصلية . والمأمول ان هذه الزيادة الكبرى يتيسر بها في ابان التحاريق الاعتيادية ري مساحة اضافية من الارض تبلغ نحواً من مليون فدان . ومن ثم يصبح بازاء هذه الاماني التي تطل النفس بتحققها ايضاح اهمية ما كان لخزينة الحكومة من فضل الاجادة ببذل المال لانجاز هذا المشروع الكبير. وقد يبلغ مجموع النفقات مليوناً وار بعمائة وثمانين الف جنيه مصري منها مبلغ مائتين وستين الف جنيه قيمة نزع ملكية الاراضي التي غمرتها مياه الخزان . فاذا اضيفت الى هذا المبلغ النفقات الاولى ونفقات بناء الاعمال الصناعية التي أُقيمت للوقاية يكون مجموع النفقة على سد اصوان في حالهِ الحاضرة اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات

وخليق بنا في مثل هذا المقام ان نذكر بالحمد والشكران اولئك الافاضل الاعلام الذين عاونوا نظارة الاشغال العمومية وآزروها احسن مؤازرة فوضعوا مشروع تعلية هذا السد الكبير وقاموا بهِ خير قيام حتى اتوا على انجازهِ طبق المرام لانهم والحق يقال قد جاهدوا في التغلب على المشكلات الهندسية الجمة التي انطوت في ثناياهُ وهم جناب السير وليم جارستن والمستر وب مستشارا النظارة سابقاً والطيب الاثر المأسوف عليهِ السير بنيامين باكر مستشار الخزان الفني وجناب المستر مكدونالد وكيل النظارة حالاً ومدير الخزانات العام سابقاً وجناب المستر ماك كوركديل المهندس المقيم على الخزان والمستر ايرد وشركاؤه المقاولون المشهورون والمستر رانسوم والمستر رايه مقاولا الاعمال الحديدية . وانهُ ليسرني ان اضيف الى ما سبق ورود الانباء بان جلالة الملك قد انعم على المستر وب بنشان سان ميشيل وسان جورج من رتبة كومندور

وانا في هذا المقام نسأل العزة الربانية ان تؤيد سموكم وتطيل بقاءكم عوناً وخيراً لمصلحة هذه الديار بمنهِ عزَّ وعلا

فتفضل الجناب العالي واجابهُ بالخطبة الآتية : —

يا سعادة الناظر

اعدُّ من حظي ان اشرف على هذا الاحتفال فاني طالما اهتممت اعظم اهتمام بذلك

العمل الكبير ألا وهو خزان اصوان الذي نحتفل اليوم بتمام اعلائهِ المكمل لبنائهِ واني لاغتنم هذه الفرصة لاعرب لكم يا سعادة الناظر ولاعوانكم الاجلاء عما يخامر فؤادي من مزيد الارتياح ولاهنئكم كذلك

هذا واري ان سعادة مصر لا تزال على الدوام موضوع عظيم اهتمامي كما اني سأواصل السير في هذا السبيل على الخطة التي رسمها لي من تقدمني من آبائي واجدادي

ثم تلا فخامة اللورد كتشنر الرسالة التالية قال

امرني جلالة الملك بان ابلغ الى سموكم الرسالة الخاصة التي أتشرف بتلاوتها الآن على مسامعكم الكريمة وهي

« ارغب اليكم في هذه الفرصة المباركة بان تعربوا لجناب العالي الخديوي عن تهنئتي القلبية لسموهِ بانتهاء الاثر الجليل الذي يتصل بهِ اسم عمي الدوق اوف كونوت

واذ كنت اواصل بنظري الاهتمام الشديد بنجاح القطر المصري فاني اشاطر مع سموهِ الاغتباط باتمام ذلك الاثر الجليل الذي ستنجم عنهُ مزايا جزيلة متواصلة النفع الى زمن مديد لارباب الاطيان جميعاً ولا سيما لصغار المزارعين

والآن قد كفل هذا الخزان الفخيم الذي يحتفل سموهُ بافتتاحهِ اليوم ورود المياه الغزيرة للري فقد بات من المتوقع بذلك وبما لدى الحكومة من مشروع النظام الشامل للصرف في الجهات الواطئة من الدلتا ان يكون لمصر مستقبل زراعي باهر

هذا ولا زلت مستبقياً في نفسي احسن ذكرى لزيارة سموهِ اياي بانكلترا منذ عهد قريب »

ولما اتم اللورد كتشنر قراءة هذا الكتاب اجابهُ الجناب الخديوي شاكراً وادار عتلاً فنزل حجر غرانيت كبير نقش عليهِ انهُ تم تسميك الخزان وتعليتهُ ووضع الحجر الاخير فيهما في ٢٣ دسمبر سنة ١٩١٢ في السنة الحادية والعشرين من ملك سمو الخديوي عباس الثاني

وسنأتي في الجزء التالي على وصف الاعمال التي عُملت لتعلية سد الخزان وتقويتهِ وما اقتضتهُ من النفقات وما نتج عن انشاء هذا الخزان من النفع وما ينتظر منهُ بعد تعليتهِ

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا

وجدت آثار بشرية في ايست انجليا ببلاد الانكليز ارتأى بعض العلماء انها من عصر البليوسين من الدور الثالث . وكان المرجح ان الانسان لم يوجد قبل الدور الرابع . ووجد هيكل عظام قرب ابسوك ببلاد الانكليز ايضاً يرجح انهُ من العصر الجليدي وهو هيكل رجل بين السنة الثلاثين والاربعين من عمره طولهُ خمس اقدام وعشر عقد لا تفرق عظامهُ عن عظام الناس في هذا العصر الأ في قصبة الساق ودليل جمجمتهِ ٧٥ اي ان نسبة قطرها من جانب الى آخر الى قطرها من الامام الى الوراء كنسبة ٧٥ الى ١٠٠ وظهر من فحص كثير من العظام القديمة ان السكوتيين سكان كنت كانوا في القرن السادس متوسطي القامة دقاق العظام وان ابدان نسائهم كانت اشبه بابدان رجالهم من ابدان النساء بابدان الرجال الآن

واكتشفت البعثة العلمية التي أرسلت الى غينيا الجديدة جيلاً من الاقزام اسمهُ التبيرو متوسط طول الرجل منهم اربع اقدام وتسع عقد ودليل جمجتهِ ٧٩ ونصف وشعرهم اسود قصير صوفي وهم يستعملون الفئران وخناجر العظم وقسياً طويلة جداً

ولقد كان لخطبة الدكتور اليوت سمث رئيس قسم الانثربولوجيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني التي ترجمناها ونشرناها في المقتطف شأن كبير لانهُ يعد من اكبر الثقات في علم تشريح الدماغ وقد منح نشان الجمعية الملكية لاشتغاله بهِ

البيولوجيا

اهم ما نشر في موضوع البيولوجيا اي علم الحياة خطبة الاستاذ شفر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني التي ترجمت ونشرت في المقتطف . وقد كثر البحث فيها والانتقاد عليها لان الاستاذ شفر من الذين يفسرون الحياة بانها عمل آلي في عناصر الجسم الحي لا بأنها شيء قائم بنفسهِ يتصل بالمادة ويفارقها . اي انها مثل خواص المادة الطبيعية والكيماوية كالمرونة في العاج والصلابة في الحديد لا مثل الماء الذي يوضع في اناء فيملأهُ ثم يصب منهُ فيفرغ

ومن المؤيدين للمذهب الآلي الاستاذ جاك لوب وقد جعل بيوض بعض الحيوانات البحرية تنقف عن حيوانات من نوعها من غير تلقيح وذلك باضافة بعض المواد الى ماء البحر . وفعل غيرهُ ما هو اغرب من ذلك وهو انهُ ثقب بيوض الضفادع غير الملقحة بابرة فنمت وتوالدت

منها الشراغيف ولكنها ماتت قبلما صارت ضفادع · واثبت المسيو الكسس كارل انهُ يمكن نزع بعض الاعضاء من جسم الحيوان وحفظها ستة عشر يوماً الى عشرين يوماً من غير ان تفقد حيويتها · وكتب الاستاذ منشن فصلاً في الميكروبات التي لا ترى بالميكرسكوب لصغرها وقال ان منها ميكروبات الجدري وميكروبات الحمى القرمزية وميكروبات داء الحمام وميكروبات مرض دود الحرير وغيرها من الامراض المعدية التي لم يرَ مكروبها حتى الآن فان اعراضها تشبه اعراض الامراض التي تسببها الميكروبات · ويحدث احياناً ان الحيوان الذي يعالج بجرعة كبيرة من المصل المضادّ للمرض الذي فيهِ اذا عولج بعدها بجرعة صغيرة من ذلك المصل اماتتهُ · وقد فُسّر ذلك الآن بان الجرعة الاولى تجعل الجسم شديد التأثر فيتأثر بالجرعة الثانية وقالوا ان هذا هو سبب عدم نجاح التبركولين علاجاً للسل

الجغرافيا

اهم المكتشفات الجغرافية في العام الماضي وصول امندسن الى القطب الجنوبي · اما البعثة الانكليزية برئاسة الكبتن سكوت فلم يصل خبر وصولها الى القطب حتى الآن والبعثة اليابانية برئاسة الملازم شيراسي عادت ادراجها قبلما وصلت الى القطب · واكتشف ستفنسن واندرسن اناساً من الاسكيمو في جزائر خليج التتويج شقر الشعور زرق العيون بيض الالوان يظن انهم اصلاً من اهالي اسوج ونروج نزحوا الى هناك من عهد بعيد

الجيولوجيا

لقد ثبت ان الزلازل تحدث من انخساف طبقات الارض وكان المظنون ان الطبقات الصخرية التي يحدث فيها الانخساف لا يزيد سمكها على اثني عشر ميلاً وتحت ذلك لا تنشق هذه الطبقات من الضغط بل تتحرك كتحرك السوائل · وقد اشار بعضهم بحفر بئر عميقة جداً ليعلم منها الى اي عمق تبقى الصخور صلبة وتحت اي عمق تصير لينة فاعترض عليهِ بانهُ لا يستطاع الوصول الى الحد الذي تلين فيهِ لان جوانب البئر تتلاصق قبل ذلك من شدة الضغط الجانبي وان المعادن لا توجد في اماكن عميقة جداً لان الشقوق التي انصبت فيها لا يمكن ان تكون عميقة جداً للسبب المتقدم · اما الآن فثبت ان المعادن توجد مهما كان العمق الذي وصل اليهِ الانسان وانهُ اذا كان في الارض تجويف صغير عمقهُ تحت سطحها ١٧ ميلاً الى ٢٠ ميلاً لم تتلاصق جوانبهُ بالضغط العادي الذي في قشرة الارض

وظهر من بحث الدكتور سنكر ان العصر الجليدي مسبب من تغير وضع المجرة بالنسبة الى قطبي الكون ولذلك يعود الدور الجليدي كل ٢٦٠٠٠ سنة

وقد تكونت جزيرة جديدة قرب شاطىء الترندال . حدث انفجار شديد هناك وتلاهُ خروج الحجارة والطين من الارض فتراكت بعضها فوق بعض وتكونت منها جزيرة صغيرة يعلو رأسها ١٤ قدماً عن سطح البحر

الطب والجراحة

لا يزال سبب السرطان مجهولاً وعلاجهُ غير معروف . ولكن اذا عرف السرطان عند اول ظهوره ونزع فالشفاء منهُ مرجح . واشعة الراديوم واشعة رنتجن تؤثران في ما يبقى من آثاره بعد العملية الجراحية . واشعة الراديوم افعل من اشعة رنتجن ويقال انها تفعل بالانسجة التي لما فيها السرطان ولا تفعل بغيرها اي ان منها فائدة وليس منها ضرر . واذا طال استعمالها اسبوعين ظهر تجويف صغير في خلايا السرطان واخذ فيها المرض الى ان تزول تماماً . ذكر الدكتور اكسنر انهُ شفى اربعة مصابين بسرطان الوجه من غير عملية جراحية وستة مصابين بسرطان الفك ولم يعاودهم السرطان وذلك بواسطة الراديوم . واللواتي شفين بهِ من سرطان الرحم لم يعاودهنَّ السرطان ايضاً مع انهُ مضى عليهنَّ اكثر من ثمان سنوات

واستعمل الدكتور رِهي متصعدات الراديوم استنشاقاً في مرض النقرس عالج بها ٤٩ مصاباً فشفي منهم ٣٧ اي زال الحامض اليوريك من دمهم بعد ما استعملوهُ ٢٥ مرةً وشفي ثلاثة ايضاً من غير ان يزول الحامض اليوريك من دمهم وبقي تسعة لم يؤثر هذا العلاج فيهم . ومضت سنة على واحد من الذين زال الحامض اليوريك من دمهم وبضعة اشهر على البقية ولم يعاودهم الداء

زاد الحذر من استعمال السلفرسان لان الذين عولجوا بهِ فظهرت دلائل الشفاء فيهم اهملوا استعمال العلاجات الاخرى فعاود بعضهم الداء شديداً

استدل بعض الاطباء على ان الروماتزم المفصلي من الامراض الوافدة المعدية لانهم شاهدوا ٩٣ نفساً اصيبوا بهِ مرةً واحدة في مستشفى الرحمة بمدينة ليل بفرنسا سنة ١٩١١ مع ان متوسط الاصابات السنوية فيهِ هناك ٣٢ واهتمت مدن كثيرة في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية بقطع دابر الذبان منها لانها من اكبر الوسائل لنقل جراثيم الامراض المعدية

انتشرت الدفتيريا في مدرسة بقرية صغيرة في بلاد الانكليز وثبت لدى البحث ان سبب انتشارها استعمال التلامذة لقلم كان يستعملهُ ولد مصاب بالدفتيريا اي ان ميكروبات الدفتيريا كانت لاصقة بذلك القلم من نفث الولد فلما مسكهُ الاولاد الاخرون علقت باصابعهم ووصلت الى افواههم

الاشتراكية الصحيحة [1]

س · اراك تكثر من ذكر الاشتراكية وتقول انها من تم الاجتماع الكبرى · مع ان أكثر الناس ينفرون من سماع ذكرها و يعتبرونها من الشرور المقوّضة للعمران · فما هو السبب ؟

ج · لنفور الناس من ذلك سببان : الاول ان الاشتراكية في الاجتماع تعليم حديث ولو ان اصولها قديمة فيهِ · والناس ينفرون عادة من كل جديد · فهم كسائر الحيوان الذي ينفر من كل مالم يرَهُ من قبلُ حتى يألفهُ كالخيل والبقر والقطط · و يعبّر عن هذا الطبع في الحيوان بلفظة « ميزونيسم » من كلمتين يونانيتين معناهما الخوف من الجديد . فنفور الانسان من الاشتراكية من هذا القبيل

والسبب الثاني هو ان أكثر الناس حتى اليوم لا يفهمون معنى الاشتراكية و يظنون انها ترمي الى اقتسام المال بطرق غير مشروعة · وليس من العدل ان يشارك الخاملُ العامل في مالهِ

س · ماذا تعلّم الاشتراكية اذن ؟

ج · الاشتراكية لا تعلّم ذلك مطلقاً · ومن الحق ان يفهم الناس بها هذا الفهم و يتّهم اصحابها بمثل هذا الخرق في التعليم بل هي تعلم احترام الحق بمكافأة العمل لئلا يصيب افراد المجتمع حيف يتصل ضررهُ بالاجتماع كلهِ

س · ما معنى قولك الاشتراكية الصحيحة وهل توجد اشتراكية غير صحيحة ؟

ج · الاشتراكية واحدة في غايتها وهي اصلاح حال الاجتماع باصلاح حال كل واحدٍ فيهِ · ولكن الطريق الموصلة الى ذلك في نظر اصحابها تختلف باختلاف حالم من العلم · وقد كانت علوم الانسان حتى الى عهدٍ قريب علوماً موضوعة أكثر منها علوماً مطبوعة · فكانت طرقها اقرب اي النظر فيها الى العمل بحسب مبادىء تلك العلوم · فالاشتراكية الصحيحة هي الاشتراكية الطبيعية المبنية على مبدإ العلوم الطبيعية منها

س · وما هو هذا الفرق

ج · الفرق لا في الغاية كما تقدّم بل في الواسطة · فالاشتراكية المبنية على العلوم الطبيعية اهدى سبيلاً واسهل تطبيقاً لوحدة مبدإ هذه العلوم بخلاف تلك فانها كثيرة التعثّر لتعدُّدِ مبادئها وشدَّة اختلافها

(١) من كتاب حوادث وخواطر للدكتور شبلي شميل

س . ما هو حدّ الاشتراكية ؟

ج . هي توفير العمل اولاً وتوفير المنفعة على قدر العمل

س . ماذا تعني بذلك ؟

ج . اعني ان نظام الاجتماع يجب ان يكون بحيث يصير جميع الناس في الاجتماع عاملين نافعين منتفعين كل واحد على قدر استحقاقهِ حتى لا يبقى في الاجتماع اناس عاطلون وآخرون مغبونون يشوّشون فيهِ ويفسدون

س . وهل يمكن ذلك ؟

ج . بل هو طبيعيّ في نظام الاجتماع فالاجتماع لا يتم بلا تعاون وهذا لا يصحّ الاَّ اذا كان تكافؤ تامّ بين العمل والجزاء . ولذلك قلت ان اصول الاشتراكية قديمة في الاجتماع

س . وهل هذا غير متوفر في النظام القديم ؟

ج . نظام الاجتماع القديم اساسهُ سلطة الفرد ومبدأُهُ الاعمال لمصلحة هذا الفرد . فالناس في هذا النظام ارقّاء يشقون ويكدّون ويقتتلون لمصلحة الحاكم او الرئيس ولا ينال الواحد منهم القوت الضروري الاَّ بشق النفس وهو غبن فادح وضرر على العمران جسيم

س . ولماذا هو غير متوفر ؟

ج . لان الناس في الاجتماع غير متساوين في المواهب الطبيعية لا في القوة والبطش ولا في الفهم والمطامع فيبطش القوي بالضعيف وسطا صاحب الحيلة على عديمها وتوهم الكبير ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة الصغير فسلبهُ تعبهُ ولم يدعهُ يتمتع بجناه

س . كيف صبر الناس على ذلك ؟

ج . صبروا عليهِ لضعفهم اولاً ثم تعوّدوهُ ولشدّ ما القوهُ رضوا بهِ ولم يعودوا يرون فيهِ اقلّ غضاضة عليهم بل صاروا ينفرون من مساعي الذين يريدون ان يخرجوهم منهُ الى اصلح لانهم لجهلهم لم يعودوا يفهمون الاصلح

س . هل النظام القديم هو نظام الاجتماع اليوم ؟

ج . هو كذلك في المجاميع المتقهقرة وهو لا يزال في جملتهِ روح الاجتماع في المجاميع الراقية نفسها ولو انهُ تعدّل كثيراً فالجمهور حتى اليوم لا يستفيد كل الفائدة من تعبهِ ولا يستفيد الفائدة الكبرى منهُ حتى الساعة الاَّ افراد قليلون

س . قلت ان نظام الاجتماع القديم يضر بالعمران كثيراً فابن لي اوجه هذا الضرر

ج · اولاً يجب ان نعرف ان العمران هو استعمار الانسان العالم أجمع · والاوطان والشعوب فيه كالغرف وافراد الاسرة في البيت الواحد · فلكي يصلح العمران يلزم ان تستثمر الارض جميعها وذلك لا يكون الأ باستخدام كل قوى الانسان ومواهبه · والنظام القديم نظام اثرة يفرّق بين الناس ويقتل الهمم ويطفىء المواهب فيضع الاوطان ضد الاوطان والامم ضد الامم · وقد وصف ابقراط تأثير نظام الاثرة في الهمم قال « ان اهل اسيا اقلُّ نجدة للحرب من اهل اوربا لان اولئك يحكمهم ملوك فتصيبهم داهية نفعهُ الى سواهم واما اهل اوربا فتحكمهم شرائعهم ومفاخر النصر ومنافعهُ عائدة اليهم » · والمحكوم بهذا النظام لا تكون لهُ همّة ولا يقدم على اي عمل كان ما دامت نتيجة عمله ليست لهُ فضلاً عن ان الضغط الشديد يطمس العقل فلا يتصرف العلم فيهِ الجهل · ومطامع الملوك وقلّة اعتدادهم بحياة الناس تلقيهم في كل مازق وتصرفهم عن كل عمل عمراني نافع فتدفعهم الى الحروب المخربة وتلقيهم في المجاعات المهلكة

ثم ان شدّة التباين بين الناس في مثل هذا النظام تفقدهم الصلة في ما بينهم في كل امورهم المعاشية فتسوء حالة الافراد ويتزعزع كيان الاجتماع · قصور فخيمة بجانب أكواخ حقيرة · واحياء نظيفة بجانب احياء قذرة · واناس بمطارف من خز بجانب آخرين بأسمال بالية · واصحاء تكتنفهم كل اسباب الراحة بجانب مرضى ينقصهم حتى القوت الضروري · فتنتشر الامراض والاوبئة وتكثر الجنايات والقلاقل وتخرب الارض ويمتد ذلك من المجتمع الواحد الى المجتمعات الاخرى ويسوء العمران · فنظام الاجتماع القديم وكما هو حتى اليوم تبذيرٌ في قوى الاجتماع بل صرف هذه القوى فيه من الخير الى الشر ومن التفاخر على العار الى الدمار

س · ألم يعرف الانسان ذلك في كل العصور ولمَ لم يتلافهُ كما يجب

ج · نعم في كل العصور اناس عرفوا هذا الحيف وقاموا ينبهون اليه ولكن طنة الراسفين في قيود الجهل كانت تجعل صوتهم ضعيف الصدى فلا يتزحزحون الأ متثاقلين · العامة لتمسكهم بالقديم والخاصة لاقتناعهم ان مصلحتهم لا تتوفر لهم الأ بمقاومة مصالح الجمهور ولا يدركون ان المصلحة الخاصة تتوفر لهم اكثر اذا كانت المنافع متبادلة ولم يكن في علوم الناس عموماً ما يغرس في عقولهم وطباعهم غير هذا الاعتقاد

س · لماذا المصلحون لم يعلّموهم هذا العلم ؟

ج · حاول المصلحون منذ القديم ان يرشدوا العمران الى طرق اصلاحه بكل الوسائل

المعقولة المستفادة من الاختبار على قدر ما كانت تسمح لهم علومهم وعلومهم كانت نظرية وأكثرها هكذا حتى اليوم ومعارفهم الطبيعية لم تكن ذات رابطة مكينة تربط نظام العالم بعضهُ ببعض فكانت شرائعهم شرائع وضعية كأكثر علومهم فلم يكن العلم بها ليقيهم الشرود في فهم المصلحة الحقيقية ومع ان اساس شرائعهم التعاون لم يكن يفهم من هذا التعاون توفير العمل وتوفير المنفعة على قدر العمل كما ترى في هذه الدائرة السياسية لارسطو التي هي اساس هذه الشرائع : قال : « العالم بستان سياجهُ الدولة . والدولة سلطان تحيا بهِ السنة . والسنَّة سياسة يسوسها الملك . والملك نظام يعضدهُ الجند . والجند اعوان يكفلهم المال . والمال رزق تجمعهُ الرعية . والرعية « عبيد » يكتنفهم العدل . والعدل مألوف وبهِ قوام العالم » . فما دامت الرعية عبيداً فمن المستحيل ان يكتنفهم العدل . وكيف يكون العدل مألوفاً واساسهُ مثل هذا النظام المؤسس على هذه العلوم التي ليس لها رابط غير احكام العقل القائمة على اوهام مستفادة من تعرُّف الطبيعة تعرُّفاً ناقصاً جدًّا والذي جعل الحكم الاوتوقراطي والثيوقراطي فيهِ اساس العمران

س . ماذا تعني بالحكم الاوتوقراطي والثيوقراطي ؟

ج . اريد بهما الحكم القائم على سلطة الملوك واعوانهم وسلطة رجال الدين وكلها مرجعها الى سلطة الفرد

س . تقول ان الاشتراكية تتكفل بان تنيل الانسان في العمران ما حرمهُ منهُ النظام القديم والاشتراكية في ما اعلم قديمة والاشتراكيون اليوم كثيرون فلماذا لم تنل العمران هذه السعادة ؟

ج . الجواب على ذلك يجب ان تعلم اولاً ان بعض المجاميع التي يكثر فيها الاشتراكيون قد ارتقت جدًّا عمَّا كانت في القديم والتي يوجد منها مثال في التأخر في بعض المجاميع الأخرى اليوم وثانياً ان العلوم القديمة النظرية التي هي كل علوم المجاميع المتأخرة لا تزال حتى في المجاميع الراقية ذات سلطان عظيم

نعم ان الاشتراكيين موجودون منذ القديم حتى يجوز ان يطلق هذا الاسم على عموم المصلحين القدماء وهم اليوم كثيرون . ولكن غلبة العلوم النظرية في تعاليمهم تحول دون نجاحهم التام لسببين اولاً لعدم اتفاقهم فيها على الحبل المكين الذي يجب ان يكون الهادي فيها والرابط لها لاختلاف مبادئ العلوم النظرية المتربين فيها هم والمتربي عليها عموم الناس ويجب ان تعلم ان التربية العلمية اذا رسخت في الطبائع تصير ازالة اثرها من هذه الطبائع

اصعب جداً من ازالة نفس العلم من الافهام فكيف اذا كان العلم الغالب على البشر هو العلم القديم الذي يمكّن هذه التربية في طباعهم كما هي الحال حتى اليوم

س · وما هو هذا الحبل المادي والرابط معاً ؟

ج · هو العلوم الصحيحة وار يد بها العلوم الطبيعية باسرها من الطبيعة الصامتة الجامدة الى الاحياء عموماً

س · وهل لم تكن هذه العلوم معروفة في القديم أوليست هي معروفة اليوم ؟

ج · لا أقول انها كانت مجهولة في الماضي فكانوا يعرفون ان الماء ينحدر الى اسفل والدخان يصعد الى فوق والحرارة تبخر الماء والغيم يجلب المطر والكهرباء اذا فركت تجذب قصالات القش والمغناطيس يجذب الحديد والبوصلة تتجه الى القطب الشمالي بل عرفوا قوة الاعتال وجزء الانفعال وعرفوا تأثير الفصول في النبات ورأوا الحيوان يتحرك والانسان يفتكر واستخدموا كل ذلك في معايشهم وبنوا عليه علومهم وتوسعوا فيها على قدر احكامهم من معارفهم هذه المحدودة · وما قصرت اختبارهم اكثره باجتهادهم في هذا المعلوم الناقص واحرى بان يكون العلم المبني على الناقص ناقصاً في كل شيء · فهم وان كانوا في القديم عرفوا كل هذه المفردات فانهم لم يعرفوا الرابط بينها وعلى تفكك هذا الرابط اقاموا علمهم في الكليات فكان كله اجتهاداً وتكونت لهم من ذلك تلك الفلسفة التي نسميها نحن اليوم نظرية مجردة مع انها في الاصل ليست مجردة بل مبنية على علم ناقص مفكك الروابط وهذا سبب مذاهب التعدد عندهم في الخلق

وحتى التمدن اليوناني الباهر لم يكن علمهم في هذه الكليات ذا ضابط . وابقراط الطبيب الطبيعي العظيم الذي رد الامراض الى نظام الطبيعة واعتبرها طبيعية وقد كانت تنسب الى قوات الهية لم يستطع ان يجعلها كلها من هذا المنشأ الطبيعي بل اعتبر الامراض العصبية الغريبة كانواع الصرع والهستيريا من مصدر غير طبيعي وأبقى لها الاسم الذي كانوا يطلقونه عليها وهو المرض الالهي ويقي علم الناس في هذه المفردات والكليات المبنية عليها حتى عصر النهضة العلمية في اوربا وحتى اواسط القرن الماضي لم يكونوا يعرفون نسبة القوى الى المادة ولا نسبتها بعضها الى بعض وكانوا يعتبرون الحرارة والنور والكهربائية قوى منفصلة ويسمونها بالقوى العديمة الثقل ويفصلون القوى الطبيعية عن القوى الحيوية وكانوا يعتبرون العناصر اجساماً ثابتة وكثيرون يعتبرونها كذلك حتى اليوم واما الرابط الكلي الذي يربط هذه الطبيعة الكبرى من جامد وحي فلم يكونوا يعرفونه

س · واليوم ألا يعرفون كل ذلك فلماذا الاجتماع حتى ارقاه لا يزال مضطرباً في سائر اموره ؟

ج · لم عرف الناس اليوم كثيراً عن الطبيعة كما تدل مكتشفاتهم ومخترعاتهم الكثيرة وفخر القرن الماضي بل نصفه الثاني لا في التبسط في هذه الجزئيات بل في وقوفه على سر الطبيعة العظيم ومعرفته وحدة النواميس التي تسوسها ووحدة الرابط الذي يربطها بعضها ببعض في تحولاتها المختلفة · ومن اول ما قام العمران الى اليوم لم تكتشف فيه حقيقة اهم من هذا الاكتشاف وهو بالحقيقة كل سرّ الطبيعة الذي كان يخفى على الانسان وما يأتي بعد ذلك ليس الا تبسطاً في الجزئيات سيزداد يوماً عن يوم وبسرعة لم يعهد لها في تاريخ العمران مثيل

واما قولك لماذا العمران لا يزال مضطرباً مع ذلك فعليه أجيب ان ادخال العلم الجديد الى العقل اسهل جدًّا من ازالة اثر التربية العلمية الراسخة في الاجيال واحلال التربية العلمية الجديدة محلّها حتى تصير سليقة في الطبع فهي يلزم لها وقت اطول جدًّا من وقت احلال العلم الحديث محل العلم القديم في العقل بل يلزم لصيرورة اثر التعليم الجديد بداهةً في العقل زمان اطول جدًّا مما يلزم لدخوله في الفهم · ولذلك كنت قلّما ترى بين العلماء الطبيعيين المتبحرين اليوم من الاشتراكيين من يقف عند ذلك موقف المتأمل المستفيد حقيقة فائدة اجتماعية كبرى بسبب ما فيه من اثر تربية الماضي · اما سمعت ذلك العالم الطبيعي كيف يحقر معرفة العلم للعلاقة بين القوى الطبيعية في النشرة الاسبوعية بقوله « هذا كل ما يستطيعهُ العلم يريد معرفة النسبة بين القوى واما حقيقة هذه القوى فلا يوجد الا الجاهل الذي يدعي انهُ يعرفها » وما قال قولهُ هذا متعامياً عن فوائد هذه العلاقة الكلية والتي اكتشافها اكبر فوز للعلم من اول العالم الى اليوم الا حرصاً على منصبه وكأنهُ يقول ضمناً انهُ هو يعرف هذه الحقيقة مع تقدم القول منهُ ان الجاهل هو الذي يدعي معرفتها · على ان العلم لا يدعي انهُ يعرف اكثر من هذه العلاقة ولا يهمهُ ان يعرف اكثر منها فهي وحدها كافية · ونقدمهُ كل هذا التقدم البديع في هذا العصر هو من هذه المعرفة · فاذا اضفت الى ذلك قلة انتشار العلوم الطبيعية اليوم وانحصارها في عدد قليل وغلبة التعاليم النظرية في المدارس وبقاء الجماهير في عقولهم وطباعهم تحت تأثير التربية القديمة فهمت لماذا لم تنتشر التعاليم الاشتراكية الانتشار الكافي ولم تأتِ بكل الفائدة المنتظرة منها — على انك اذا القيت نظرة ولو صغيرة على تاريخ المقابلة بين العمران في القديم والعمران اليوم وبين المجتمعات المختلفة في العمران الحديث بان لك مبلغ تأثير هذه العلوم بحسب حال كل

مجتمع منها. وهذا هو السبب الذي لاجله تراني في كل مباحثي احث على وجوب نشر العلوم الطبيعية ووضع كتب في التربية والتعليم على مبادئها وإحلالها في المدارس وفي كل وسائل التعليم محل تلك

س . اني وان كنت قد فهمت ان الاشتراكية ليست اقتسام المال بطرق غير مشروعة ولا التعدي على حق مكسوب بالاستحقاق بل هي ردّ حق مسلوب وهو حق العمل المغتصب وتوفير اسباب الراحة والصحة وتوفير العمل للجميع ومكافأة هذا العمل على مقدار الجهد المبذول وان كنت اسلم بان ذلك يرقي الاجتماع ويقلل الجنايات ويدفع المجاعات والحروب المخربة ويخفف وطأة الامراض ويدفع الاوبئة الفتاكة ويبسط العلم ويرقي الصناعة والزراعة وكنت اسلم كذلك بان الاشتراكية التي ترمي الى كل ذلك هي نعمة كبرى من نعم الاجتماع لكن لم افهم العلاقة التي بينها وبين العلوم الطبيعية حتى يكون لهذه العلوم هذه الاهمية التي تقول عنها

ج . اذا كنت قد وعيت كل ما تقدم لم تذهب عليك هذه الاهمية لان العلم الصحيح يجعل احكام القياس العقلي صحيحة والغرائز التي تنغرس في الطبائع ذات اميال صحيحة فاذا عمل الانسان حينئذٍ عن تعقل او عن هوى تكون اعماله اقرب الى الصواب ولاسيما اذا تربت على مبدإٍ واحد شامل كمبدإ العلوم الطبيعية فان تذبذبها في هذه الاعمال يقل حينئذٍ جدًّا بخلاف ما هي عليهِ حتى الساعة من تأثرها بالعلوم النظرية القائمة في البدء على مبادىء مختلفة متعددة تعدد القوى في الماضي حتى اليوم

اما العلاقة فواضحة من المشابهة بين الاجتماع والجسم الحي فالاجتماعي الطبيعي اذ ينظر الى الاجتماع لا يسعهُ الاَّ ان يعتبره جسماً حيًّا كسائر الاحياء ولا يختلف عنها الاَّ في الكبر وطول العمر فهو مؤلف مثلها ويلزم ان يكون خاضعاً لنواميس كنواميسها بل هو خاضع لنواميسها لانهُ مؤلف منها . فالاحياء مؤلفة من اعضاء ومجاميع اعضاء مختلفة كبيرة وصغيرة حتى تنتهي الى ادق الدقائق المسماة بالكريات الحية . وكل عضو بل كل كرية حية في هذا الجسم تشتغل لسلامة الكل والكل يشتغل لسلامة هذا الجزء فاذا وقع ادنى تقصير في تبادل هذه الخدمة والمنفعة اختلّ التوازن ووقع الجسم في السقم الذي قد يؤدي بهِ الى الموت . وبالقياس الى ذلك يجب ان تكون سياسة الاجتماع على هذه السنة مع جميع الاعضاء الذين يتألف منهم مجاميع كانوا كالاوطان والامم والقبائل الخ او افراداً كآحاد الناس الذين تتألف منهم هذه المجاميع والذين هم لهُ بمثابة الكريات الحية لجسم الحيّ والأوقع في الاضطراب

فالاشتراكية هو انها توفير العمل اولاً ثم توفير المنفعة على قدر العمل قد اخذت هذا المبدأ عن اساس راهن هو نظام الحي نفسهِ والعلم بنظام الاجتماع على هذه الصورة يجعل القيام بالواجب من قبيل نيل الحق فلا يغفل الكبير حق الصغير ولا يتوانى الصغير عن حق الكبير والا لحق الضرر بالاثنين على حدّ سوى وساء حال الاجتماع عموماً . بل العلم بذلك من هذا السبيل يسهل القيام بالعمل المفروض منهُ عن مبادىء قويمة مكينة وهذا ما حملني على القول بان الاشتراكية لا تنتشر في نظام الاجتماع الا اذا انتشرت مبادىء العلوم الطبيعية نفسها وهكذا كما قلت واقول تصبح الاشتراكية لا مذهباً من المذاهب او تعليماً من التعاليم محصماً في نظام الاجتماع كما كانت تبدو في تعاليم النظريين بعيدة المنال بل نتيجة لازمة للعلم الطبيعي نفسهِ ولا يتم ذلك كما ينبغي الا اذا انتشر العلم الطبيعي انتشار العلوم النظرية في الماضي وتدرّبت الطبائع عليهِ كما تدرّبت على تلك كما سبق القول

فاذا لم نفهم ما هي الاشتراكية الصحيحة كما اصفها ولم تفهم كذلك اهمية علاقتها بالعلوم الطبيعية بعد كل هذا البيان فالذنب ليس عليَّ بل الذنب حينئذٍ على تشبعك من مبادىء علومك النظرية القديمة التي تدرّبت عليها حتى اليوم وعندهِ ان لم اكن قد تمكنت من اقناعك بفساد اساسها الذي اجيت عليهِ فحسبي ان اكون قد اقلقتك فيها والشك اول طريق الهدى

الشعر العصري وكيف ينبغي ان يكون [1]

سادتي . ما احسن مجلسكم وما احقهُ بشاعر يشاكلهُ في حسنهِ . ولكن هيهات . من اين اوتي لساني تلك الفصاحة . ومن استطاع خاطري هذه الاجادة . غير اني لا ارضى لنفسي معذرة . لا بد من كلمة اقولها . اني عليكم كما استطيع . لا كما ينبغي . فالتمسوا مني بالقليل . ان على آثاره كثيراً مما ستفيض به قرائح اخواني الشعراء اذا تعاقبوا بعدي على هذا الموقف . تلك اغاني العصر الجديد . يحيي بها دولة الادب الجديدة . في هذه البلدة القديمة

تمنيت ان امتّع بمثل هذه الساعة . ان عندي احاديث اعددتها لها . وعنى هذا النادي الادبي متكلاً يقف وقفتي . فتوافقت الامنيتان وكان الفضل لكم في تحقيقها. فتساجلوا معهُ الشكر . ولكم عندي المزيد

---

(١) خطبة لحضرة ولي الدين بك يكن ألقيت في النادي الملوكي الادبي بالاسكندرية في ٢٨ نوفمبر الماضي

اما بعد ، فان حديثي لكم اليوم هو في « الشعر العصري وكيف ينبغي ان يكون » هذا موضوع محيّرة وانا خائف منهُ انهُ لصعب المسالك ، كثير الشعاب ، اذا انطلقتُ بكم في مجاهلهِ اجهدتكم ، ولكنني ادع صعبهُ واسلك بكم سهلهُ ، فعسى ان تمنحوني صفحاً او تستطيعوا معي صبرا

سادتي ، ان في مواضع الحس من الانفس قوًى كامنة ، الحقيقة تسكنها والخيال يهيجها ، تظل في معترك الجذل والاسى متشددة ومتفاوتة ، فاذا عراها طرب او ادركها حنين فاضت معاني على البداهة وتدفقت الفاظاً من الالسن ، كذلك يلهم الشعر فان افرغ في الوزن ورُصع بالقوافي كان نظماً ، وان تآلف في الديباجة وطرز بالجمل كان بياناً

ما كل نظم شعراً ولا كل شعر نظماً ، ولو كان النظم وحدهُ سبيلاً الى الشعر ما قصر عنهُ احد من الراغبين ، بل ان في البيان شعراً لا تبلغ نبرات الاوزان مبلغهُ من الانفس ولا يقع رنين القوافي وقعهُ من الاذان ، وخير من كليهما ترجيع القاري بالاسحار ، وهينمة النسائم بالاصائل ، وحفيف الاشجار بين الرياض ، وخرير المياه في الغدران ، وانتظام الانداء في سلوك الاشعة ، وتلاعب الفراش على مجامع الازهار ، كل ذلك شعر لا تعقّد فيهِ ولا تكلّف ، وافصح منهُ زفير الساهد ودمعة المهجور ، واتين الموجع ، ودعوة المظلوم ، فذلك اما صبابة نفس او ذوب فوّاد ، ان قطرة الطل على ورقة الورد بيت يرى ولا يسمع ، وان النّور الساقط من العود الغدن بيت يكتب ثم يمحى ، وفي حياة كل خافقة وموت كل ساكنة ديوان من الشعر ، يستمد منهُ كل خاطر و يؤديهِ كل لسان

قال ابن اوس الطائي يصف احدى قصائدهِ :

حذيت حذاء الحضرمية ارهفت واجادها القشير والتلسينُ
انسية وحشية كثرت بها حركات اهل الارض وهي سكونُ
ينبوعها خضل وحلي قريضها حلي الهدى ونسيجها موضون
اما المعاني فهي ابكار اذا نصت ولكنّ القوافي عون

فهذا وصف المتكلف غير المجيد ، ولو كنت اجيد الشعر لحاولت ان اقول :

عصف الهوى بلواعج فأثارها هيهات يتلو ذا الحراك سكونُ
هذي صبابة انفس ام اعين ولقد تشابه انفس وعيون
ان الفوّاد يفيض عند حنينهِ شعراً فما كان القرار يكون

ولما نطق الاقدمون بالشعر نطقوا بهِ احسن منا ، ثم استخلصوا كلامهم من امالي

الانفس والاعين . فقال ملك ملوك الشعر امرؤ القيس في وصف جبل :

كأن ثبيراً في عرانين وبلهِ كبير اناس في بجادٍ مزمل

وقال قاضي الشعراء النابغة في وصف السلطان

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسعُ

وقال علقمة في مدح رجل اكرمهُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرقُ

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

ولم في الحكاية ووصف الحال اشياء كثيرة كالمعلقات وكرائية ابن ابي ربيعة . ثم اخذ المخضرمون والمولدون يهذبون الشعر ويضيقون مسالكهُ حتى بات لا يتجاوز الخمسة ابواب وهي المديح والهجاء والرثاء والغزل والفخر . ثم اتت طائفة من ادعياء الشعر ادخلت فيهِ الصناعات اللفظية كالجناس والتورية وما لا يستحيل بالانعكاس والطي والنشر وغير ذلك حتى اصبح الشعر وقد ادرك عصرنا كالخلاة . فيها صنوف من الحصى . كل يرصها على ذوقهِ ولا يقبل منهُ احد ما يكون خارجاً عن الخلاة . ولا يرضون ممن لا يرصُّ رص سابقيهِ

دالت دولة الشعر العربي من منذ ثمانية اعصر . وآخر من عرفت من ملوك الشعر هو ابن المعتز . ولقد اتى بهذا الفن الذي سماهُ البديع افسد بهِ شعر الناس فما طلع بعدهُ شاعر الى العصر الماضي . فطلع فيهِ المرحوم البارودي محمود سامي باشا . فاكرمهُ الله يوم المحمهُ ان يقول :

اصم في قلبي ديب المنى والمح الشبهة سيف خاطري

فوقف يومئذ الى جانب المجيدين من شعراء الدولة العباسية . ثم نشأ بعدهُ كثير من الناس واتاهُ اكثرهم او كاد . ولان كان في ايامنا من قربت المسافة بينهم وبين ابي تمام والبحتري والمتنبي فليس في ايامنا من حلقوا شعراء لنا الا القليل

يقول لامارتين : ايتها الليالي . اطوي سجل الافق في سكون

ايتها الكواكب تهادي متراقصة في سلك المجانسة

ضمي جناحيك

ايتها الارض خففي من اصدائك

وانمني لامواجك على الرمال

ايها البحر هز صور الاله

الذي عضك الامواج

وفينا اناس قبضوا على حبال العيس لا يدعونها . ووقفوا على اطلال لم يروها يندبونها

وما زلت طرباً حين سمعت شوقي بك يقول في وصف عبده الحمولي

يسمع الليل منهُ في الصبح بالي	ل فيصبي مستهلاً في قرارهْ

وقولهُ وقد اوجز قصة كل عاشق في بيت واحد

نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فموعد فلقاء

ثم شاء ان يسلك سبيلاً جديدة فقال

صوني جمالك عنا انما بشر	من التراب وهذا الحسن روحاني
او فابتغي فلكاً تأويهِ ملكا	لم يتخذ شركاً في العالم الفاني

فما انتهى الاَّ وقد ادركهُ الاعياء ووقف لا يتقدم خطوة بعد ذلك

سادتي . اصف لكم حبيبة الشعراء عندنا . اذن فاسمعوا :

رمح هو القد ورمانتان هما النهدان ومرآة هي الصدر وابريق هو العنق وفوق هذا التركيب العجيب وردتان تكونان وجنتين وعقربان يسميان صدغين وحق من العاج يصبح فماً . اما العينان فسهمان واما الحاجبان فقوسان يقوم بينهما سيف هو الانف ثم يتراكب الشعر فيكون اعلاهُ عناقيد كرم ويكون اسفلهُ حية . فمن كان يثبت على لقاء هذه الحبيبة المخوفة فاني افزع منها الى الله

على ان في ايامنا شاعرين هما احدثا الشعر عهداً جديداً . اريد صديقي خليل مطران واحمد محرم . اما خليل فمعانيه احسن من الفاظهِ واما محرم فالفاظهُ اجمل من معانيهِ . قال هذان الشاعران في فنون كثيرة ولم يقتصرا على تكلف المديح . وما ارادا شيئاً الاَّ احسناهُ

يقول خليل في احدى مراثيهِ

مات كنضر الفروع يانعها	بعد الردى حسنها الى امدِ
في جاه اوراقهِ وبين حلى	ازهارهِ من منثر وندى
في عز ملك الصبي وحاشية	من عز آمالهِ بلا عددِ
في منتهى مجدهِ وصولتهِ	اذ يقتل السعد لاهياً وبدي
ويصدم النكر غير ملتفت	ويحجم الدهر عنه مرتعدِ
ويترك اللوم حائراً وجلاً	منعقداً في لسانٍ منتقدِ
يا راحلاً في الغداة عن نعم	تترى وعن بسطة وعن رغدِ

وتاركاً رسمهُ لفاقدهِ مصوراً بالجراح سيف الخلدِ
لا انكرت روحك التي امتثت ما فارقت من مخاوف الجسدِ

ولهُ مثل هذا مرتجلاً :

آه من نار الهوى فهي التي تفجر البركان من قلب رقيق
آه من صدع النوى فهو الذي يرسل الاحزان كالسيل الدفوق
ان تذيبوا محسكذا اكبادنا يا بنينا فالردى اقسى الشوق

وقصيدة خليل في وصف بعلبك تبقى معجزة خالدة وهي اشهر من ان تشهر . ويقول محرم في وصف الخزان

ارى الهرمين قد هرما وشاخا وانت من الصبا في عنفوانِ
فناجيهما ولو قدرا لخفا اليك فاقبلا يتباريانِ
وانك لو ترومهما سجوداً لخرا يسجدان ويضرعانِ
عليَّ المجد يجب سامعيهِ وليس عليَّ وصف المهرجانِ

ومن معجزات محرم قولهُ في بر الوالدين

ناجياني ناجياني انتما لا النيرانِ
اشرقا في كل افق واطلعا في كل آنِ
ان هذا النور عهد بين نفسي والامانِ
انهُ ابهى المرائي امهُ اشهى الاماني
يا اميريَّ اينا ما الذي تبتغيانِ
انا للامر مطيع فانظرا ما تأمرانِ
أتريدان حياتي فهي ما اوليتماني
من انا لو لم تكونا انتما انشأتماني
انتما مبدأ امري انتما مرجع شاني
ليس في الدنيا جزاء للذي اسديتماني

وديوان محرم كالروض في احسن ايام الربيع . تعرف فيه دواوين الشعراء من لولم وقال يمدح فلاناً وقال يهجو فلاناً . وازدان بكل عنوان جديد . كالطيران والدين والفضيلة والاخلاق والآداب وحنو الجاهل وشهيدة العفاف وأباء الصداري وسارقة الطفل . وغيرذلك

هذان اقدر الشعراء على خلق المعاني واكثرهم فنوناً واجودهم قريحة . وهما مع فضلها لم يهبا العصر العشرين شيئاً من مبتغاه . ولو شئت لذكرت لكم بعض ما قاله شاعر صغير القدر . لافضل له الأحكم . ولكني ادعه في عجزه ولا اطيل ملالكم اليوم

سادتي . ان لغة الضاد في يومها كما كانت من منذ خمسة عشر عصراً . شعراؤها يكررون ما قاله اسلافهم ولا يحسنون التكرار . ولقد يجد الشاعر الف كلمة لشيء واحد مما سقط من الاستخدام كالرمح والدرع ولا يجد كلمة واحدة لشيء لا يزايل بصره . من منا يقدر ان يسمي ما بهذا المكان من الاثاث . كل ما يراه نعيما نعرفه ولا نعرف له اسماً . لا بد من وضع كلمات يقع عليها الاختيار وتؤدى بها المعاني الجديدة . ثم لا بد من اختيار اشياء غير هذه التي ابتذلها التكرار

غرقت التيتانك وما رثاها شاعر فيما علمت . ولو كان لها راثٍ فهو قائل مثل غيره . درر عادت الى البحر . وينبغي ان تلبس المعالي ثياب الحداد . والكون مظلم . والدموع كالمطر وماشاعر بتارك خناق هذه المعاني المسكينة وهي تستغيث وتطلب ان تعتق رقابها

اجل ان من مصاعب الشعراء في عصرنا الجديد انهم مقيدون باستعارات وتشابيه ورثوها عن السلف فمن خرج عنها خرج عن الفصاحة . ولذا كان افصح شعرائنا اكثرهم حفظاً للشعر القديم . ولا ادري كيف يجمل المرء في ايامنا ثياب البداوة . وتأليف الكلام المطبوع اسهل تناولاً واحسن اثراً . ولو كانت القرائح غير مكدودة في الطلب ومرسلة في سبيل الاجتهاد لكان حظنا من الادب اكثر من حظ بني الغرب . لأن لغة الضاد لغة شعر . يحسد اهلها اهل سائر اللغات . وقوافي لغة الضاد واوزانها ووجوه الاجادة فيها تستعمل اغاني تجتذب القلوب من بين الصدور . وليست لغة على وجه الارض مثل هذه الفضائل

سادتي اذا عرفت الامة قدر المحسن . واعانته على المزيد . حق لها ان تطالبه بآخر ما يستطيع فاما وشعراؤكم عيال عليكم . فلا تطلبوا منهم اكثر مما صدهم . اذا تقدمت الامم بآثارها في الادب لها ان تفخر وعلينا ان نصفق . وربما نشأ في هذه الامة شاعر لا يقعد به الجد عن طلوع الغاية . فانتظروه معي . ارجو ان تعيشوا لايام السؤدد واذا لم اكن معكم فاني احييكم بشعري القديم من وراء استار الغيب

قوام الصحة النور والحركة

من خطبة للاستاذ ليونارد هل رئيس قسم الفسيولوجيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني

ان سلفي في رئاسة هذا القسم صعد بنا في السنة الماضية الى البحث عن افعال النفس اما انا فاني اطلب اليكم ان تنزلوا معي الى البحث في الغرف التي يضيق فيها الصدر

الرأي الشائع ان من يقيم في غرفة هواؤُها غير مطلق يضيق صدرهُ لفساد اصاب هواءها إمَّا بقلة اكسجينهِ او بزيادة الحامض الكربونيك فيهِ او باختلاطهِ بسموم آلية آتية من تنفس الناس . او لان خواص هوائها فسدت بمروره على المواقد ونحوها من وسائل التدفئة . والذين يعالجون بالهواء المطلق ينسبون فائدتهُ الى نقاوتهِ وخلوهِ من الشوائب . والحقيقة ان الذي يفيد الانسان وينعشهُ انما هو حركة الهواء وما فيهِ من الحرارة والنور والجفاف . واما تركيب الهواء الذي تتنفسهُ في البيوت المزدحمة بالسكان فلا شأن لهُ في ما نشعر بهِ من ضيق الصدر . وهذا لا ينفي ان الهواء يفسد بما يمازجهُ من الشوائب في المناجم وبعض المعامل وما يخالطهُ من ميكروبات الامراض

لما رسخ الاعتقاد ان الهواء النقي كافٍ للصحة لم يعد احد يشكو من سكن الكهوف العميقة حيث الهواء ساكن ونور الشمس محجوب ولا من رفع المباني الى ان تناطح السحاب وتحجب الشمس بظلها ودخانها كأن لا شأن للشمس مع انها مصدر كل قوة وحركة وبهجة وسرور حتى استحقت ان يؤَلهها اسلافنا

ولقد ارتكب المهندسون الشطط في حسبانهم ان الامر الاهم الذي يجب ان يتوخوهُ في هندسة البيوت هو ان يبقى هواؤُها نقيًّا وحرارتها معتدلة ولا يتعرض ساكنوها لمجاري الهواء

ما الحياة الأَ اتصال الحي بالفواعل التي تحيط بهِ . والحركة الحيوية ناتجة عن الحرارة والنور والصوت وما اشبه فان هذه القوى تؤَثر في الحي فتستحيل الى حركة حيوية . فاذا سدَّت سبُل المشاعر استكنَّ المجموع العصبي وانقطع الشعور . فقد فَقَدَ ولدٌ حواسهُ كلها ما عدا البصر فصار ينام كلما اغمض عينيهِ . وفقد آخر الجزء المعروف بالتيه من اذنيهِ وهو الذي يوجّه الانسان في حركاتهِ فلم يعد يعرف كيف يتجه وقام ذات ليلة من سريرهِ وسقط على الارض فبقي حيث سقط لا يدري كيف يتجه الى ان جاءهُ من انهضهُ

واعضاء الحس لا تنشط للعمل الأ اذا تغير فعل المؤثرات التي تؤثر فيها . والغالب ان تغيره يجب ان يكون سريعاً واذا كان المؤثر ضعيفاً وجب ان تزيد سرعته كثيراً حتى يشعر به مثال ذلك اننا لا نشعر بتغير ضغط الهواء الجوي لانه يحدث تدريجاً ولكنه اذا حدث بغتةً شعرنا به شعوراً شديداً . واذا توالى الشعور وكان غير شديد الفت الاعصاب ولم تعد تنتبه له . فاذا لبس الانسان قميصاً من الصوف الخشن اول مرة شعر بحكة شديدة ولكنه لا يلبث ان يعتادها ويألفها فلا يعود يشعر بها . ومن الاقوال المأثورة ان الله يلطف برد الرياح حتى لا تؤذي الحملان التي جزّ صوفها والحقيقة ان جلود الحملان تتمرّن على تحمل برد الرياح فلا يؤذيها

ومتى توالت المؤثرات على المرء الفته منتبهاً وابقت اعضاءه المختلفة دائبة على اعمالها الخاصة . ومن اهم هذه المؤثرات ما يؤثر في ظاهر البدن فالملح والرمال التي تكون في الرياح البحرية تؤثر في الجلد فتنبه الجسم كله . وتغير الريح والنور والبرد والحر ينبه الجسد والعقل و يبث فيهما النشاط . واما الاستمرار على عمل واحد في مكان حار وهواء ساكن فيضعف الهمة ويزيل النشاط و يدعو الى السآمة والخمول ولاسيما اذا كان العمل من الاعمال التي تقتضي الجلوس كالكتابة ونحوها . ولقد قيل ان سكن المدن يأول الى انحطاط الجنس ولكن ساقة المركبات ومصلحو السكك ورجال الشرطة الذين يقيمون في مدينة لندن او غيرها من المدن الكبيرة اصحاء اقوياء مثل ساكني الجبال . والذين يشتغلون اشغالاً عقلية اذا قللوا ساعات الجلوس وشغلوها بالرياضة في الهواء المطلق لم تضعف صحتهم ولا قل نشاطهم . والخيول التي تربى في اصطبلات لندن وتعمل وتأكل فيها ليس اصح منها في المسكونة لانها لا تربى في اماكن محجوبة عن الرياح ومدفأة بالماء السخن والبخار

ان سكان الاصقاع الشمالية المتعادين المشاق ربوا لكي يحملوا شظف العيش وتقلبات الهواء من برد وحر . يشبعون تارة و يجوعون اخرى فاذا اشبع الطعام بطونهم وادفأت الشمس ابدانهم استراحوا وكسلوا واذا قرصهم البرد وعضهم الجوع اندفعوا الى العمل فنشطوا . ولقد كفانا العمران الحديث مؤونة الجهاد في مقاومة عوادي الطبيعة وشظف العيش فنأكل الى الشبع ونتقي البرد بالثياب الدافئة والمساكن المحكمة الكوى المحجوبة من عصف الرياح ولاسيما في الشتاء فينا تعرف صحة اصحاب الاشغال . والبرد متعب ولذلك تنسب اكثر امراضنا اليه وعندي انه من اقوى العوامل لاجادة الصحة وانعام البال . ومن يعمل في الشتاء وتضعف مقاومة جسمه لميكروبات الامراض لا يكون البرد سبب خموله وضعف مقاومته بل يكون

سبب ذلك شدة اتقائهم للبرد . ولا يحصل الزكام من التعرض للبرد بل من الهواء في الاماكن المحصورة الهواء التي اسرع الجهد في تدفئتها . فقد نجا سبع مئة واحد عشر نفساً من السفينة تيتانك بعد ان تعرضوا ساعات عديدة لاشد درجات البرد وثيابهم مبللة او غير كافية لستر ابدانهم ولم يمت منهم الا واحد وقد مات بعد وصولهم الى السفينة كارباثيا بثلاث ساعات ولم يصب احد منهم بمرض من الامراض التي يقال انها تحدث من التعرض للبرد . واما الذين ماتوا في البحر فكان سبب موتهم ان هرأم البرد اي ان اجسامهم بردت الى حد الموت

ان السكن في المدن والمعامل يقلل نشاط الجسم والاعصاب ويحط كثيرين من اوج الصحة التي تتمتع بها الحيوانات الآبدة الى حضيض الضعف ولو لم يحدث منهم الآفات . فان عدم موافقة الطعام والاستمرار على الاعمال التي تقتضي الجلوس في اماكن ساكنة الهواء واهمال الرياضة البدنية الشديدة في الخلاء وعدم التعرض للرياح ونور الشمس كل ذلك يجعل سكان المدن صفر الالوان نحاف الاجسام عصبيي المزاج كاسفي البال . ومتى عاش الناس عيشة غير طبيعية نشأ منهم البُهّال والمجرمون . اي ان علة الضعف هي ما يحيط بالانسان لا في طبيعته فاذا اخذته صغيراً وربيته بحرياً او جندياً او فلاحاً نشأ قوي البنية متمتعاً بالصحة التامة واما اخوه الذي يعيش في المعمل والمكتب فيبقى ضعيفاً عجفاً

ومهما اطنبنا في لزوم الرياضة الجسدية لصحة الجسم وجمال المنظر وهناء المعيشة لا نبالغ . فكل عضلة تمتلئ بالدم وهي مبسوطة ثم يندفع الدم منها حينما تنقبض فيجري في صمامات الاوردة . وكل عضلة مع صماماتها الوريدية بمثابة مضخة تضخ الدم الى القلب والرئتين لاجل تطهيره . فان وظيفة القلب ان يوصل الدم الى الاوعية الشعرية ووظيفة العضلات ان تردهُ الى القلب فكأن الدورة الدموية وضعت ليكون الحيوان كثير الحركة . وكل حركة من حركات العضلات تجعل الدم يجري في عروق البدن

وضغط الدم في الشرايين والاوردة يتغير بتغير اوضاع الجسم . وللتنفس شأن كبير في الدورة الدموية . فاذا كانت الرياضة شديدة كما في لعب كرة القدم تغيرت فيها اوضاع الجسم على صور شتى وانقبضت عضلاته وانبسطت على اساليب مختلفة انقباضاً وانبساطاً شديدين وزاد التنفس فزاد خفقان القلب وزاد الدم في الشرايين بواسطة الاعصاب المحركة للاوعية وامتنع ركودهُ واعتصرت الكبد كما تعصر الاسفنجة اعتصاراً متكرراً بحركات التنفس الشديدة واندفع الدم في الاحشاء فاندلكت دلكاً من اعلاها الى اسفلها فيتنظف التجويف البريتوني ويمتنع قبض الامعاء . وما كان مذخوراً في الكبد مما يزيد عن حاجة

الجسم من السكر والشحم يحل ويتحوّل الى قوة ويجري الدم بسرعة في الاعضاء كلها وهو حامل للمواد المغذية للعضلات اللازمة لتبادل الافعال الكيماوية فيها فتزيد القوة كثيراً

الانسان الجالس ينفق في اليوم الي وحدة من الحرارة وراكب الدراجة ينفق ثمانية آلاف وحدة مع ان الطعام الذي يأكلهُ لا يولد الأ اربعة آلاف وحدة ومن ثمَّ يتضح كيف يزول الشحم من الجسم بالرياضة لان الاربعة الآلاف الاخرى تؤْخذ مما كان مخزوناً فيهِ

اذا كان الانسان ساكناً تنفس سبعة لترات من الهواء في الدقيقة واستعمل ٣٠٠ سنتمتر مكعب من الاكسجين . واما اذا عمل عملاً شاقاً فانهُ يتنفس ١٤٠ لتراً من الهواء ويستعمل ٣٠٠٠ متر مكعب من الاكسجين . وتطلُّب العضلات للاكسجين يدعو الى تكوين الكريات الحمراء والهموغلوبين في الدم

وهذا شأن التعرُّض للهواء البارد والاغتسال بالماء البارد فانهما يزيدان حركة القلب والحرارة الناتجة من حركة العضلات ودخول الهواء الى الرئتين لتطهير الدم ويفضيان الى زيادة الاغتذاء بالطعام . فترى جسم الصياد المعتاد تحمُّل المشاق وشظف العيش خالياً من الشحم الزائد والرطوبات ودمهُ مناسب لجسمهِ واوردتهُ السطحية محصورة بين جلد صفيق وعضلات رزينة وهي فيهِ متينة كما في خيل السباق . وبذلك تنتظم دورتهُ الدموية وتعتدل حرارتهُ بالاشعاع لا بالعراق ولا يكثر تجمُّع دمهِ في جلدهِ واحشائهِ والمنسوجة الدهنية . والاكسجين الذي يدخل دمهُ الشرياني لا يضيع منهُ شيء ولا يضطر قلبهُ ان يدفع من الدم اكثر مما يلزم لتوليد القوة . كل عمل يعملهُ الانسان يستلزم انفاق قوة يذهب قسم منها لاتمام العمل المقصود ويضيع الباقي في غير وجههِ . وقد حسبوا انهُ يضيع من القوة التي ينفقها من لم يعوّد جسمهُ الاعمال البدنية ٨٨ في المئة ولا يضيع من قوة الجسم الذي درِّب على الاعمال الشاقة الأ ما يتراوح بين ٥٠ و ٧٠ في المائة . ومن هنا يتبين وجه الخطر في الانتقال من حالة القعود والجمود في المدن الى التصعيد في الجبال الصعبة المرتقى

ومن كان عملهُ عقلياً تمضي عليهِ احياناً ساعات وهو جالس في كرسيهِ يفكر في الامور الصعبة ويعمل على حل العقد مما يقتضي انفاق شيء كثير من القوى العقلية فيرد الدم على دماغهِ بكثرة لاجل التعويض عمَّا يخسرهُ باشتغالهِ وحمل ما يتولد فيهِ من الفضلات فيزداد نبضان قلبهِ سرعة وتجهد عضلات قلبهِ اذ يكون عليها ان تقوم وحدها بادارة الدم وعلى الضد من ذلك اذا كان العمل بدنياً اذ ان حركة العضلات والتنفس في مثل هذه الحال يساعدان القلب على عملهِ . وعند اشتغال العقل تنقبض الاوعية الدموية في الاقسام السفلى من

الجسم لتدفع الدم الى جهة الراس فيزداد ضغطهُ على الاوعية في اقسام الجسم العليا ومتى تكرر ذلك تضعضعت هذه الاوعية وبذلك تخسر بعض مزاياها وتقصّر في عملها . ولاحل التمو بغض عما يخسرهُ الدماغ والاعصاب اثناء الشغل العقلي من المواد الجوهرية لابد من تناول جانب كبير من الطعام لكي تكون فيهِ تلك المواد بالمقدار اللازم فان كان صاحب الشغل العقلي من القليلي الحركة والرياضة لم تتمكن معدتهُ من هضم ذلك المقدار من الطعام وهذا سبب ما نراهُ من اختلال العمل الهضمي في كثير من اصحاب الاعمال العقلية الذين يجهدون ادمغتهم

اخبرني احد المطلعين على احصاءات ملاجئ بارناردو انهُ بين الالوف من الاحداث الذين اعتني بهم في تلك الملاجئ لم يصب واحد بالتهاب الزائدة الدودية وما ذلك الا بفضل الرياضة البدنية اليومية مع الراحة الكافية والمقدار اللازم من الاطعمة البسيطة . وقد تحريتُ البحث عن احوال المستخدمين والكتاب في بعض المحال التجارية فتأكدت ان سبب ضعف اجسامهم ليس فساد هوائها فانهُ نقي لما فيها من المراوح الكهربائية والمنافذ المعدة لتجديده وانما سبب ذلك احتجابهم عن نور الشمس ومقابلة الرياح وبقاؤُهم بلا رياضة في غرف تنار بالكهربائية وتدفأ بالحرارة الصناعية

وقد تصفحت بعض التقارير عن مدينة لندن فوجدت انهُ من كل ٨٨٥ طفلاً يولدون لامهات يعملن لتحصيل معاشهن يموت ٥٢٠ طفلاً اي ان معدل الوفيات ٥٩ في المئة من المواليد . وهذا ناتج في الاكثر عن ضعف اجسام الامهات اللواتي لا يعرفن الا محل العمل ومحل السكن وهذا غرفة واحدة في بناء كبير . وناتج ايضاً عن عدم الخروج بهؤلاء الاطفال لمقابلة الشمس والهواء

وما النفع من انفاق الحكومة للاموال في اقامة المصحات للسل وتوزيع الادوية بلا ثمن وهناك اناس يعيشون على هذه الصورة . وماذا تجدي محاربة الداء بعد تمكنهِ من العليل ما دامت اسباب انتشاره متوفرة . فمها اتخذنا من الاحتياطات واجتهدنا في توفير اسباب الوقاية لا نقدر ان نقضي مكروب هذا الداء الخبيث او نمنع دخولهُ الى الصدور . واني لنا ان نقوى على ذلك وفي كل مرة يتكلم المسلول او يعطس ينفث من هذا المكروب شيئاً كثيراً يحملهُ الهواء الى كل الجهات . وقد اثبتت بعض الابحاث التي اجريت في فينا ان ٩٤ في المئة من الاولاد بين الحادية عشرة والرابعة عشرة من العمر مرَّ عليهم زمن اصيبوا فيه ببعض انواع السل ولولا تغلب الجسم على هذا الداء في اكثر الاصابات لماتت العائلة . فالطريقة الوحيدة لاتقاء السل تقوم بترويض الجسم وتقويتهِ بتعريضهِ للريح والبرد

والشمس حتى اذا جاءهُ الميكروب لم يتمكن منهُ ولم يقوَ على الاقامة فيهِ

وهبنا نحاول ان نحافظ على صحتنا باحتراسنا من البرد وحرصنا على تناول الاطعمة المغذية ما دمنا نقيم في غرف تدفأ بالمدافئ فتجعل حرارتها ثابتة على درجة واحدة لا تتغير عما يتزل الارتخاء والانحطاط في الجسم ويذهب بما فيهِ من القوة. الا ترون ان الذين يقوا على العيشة البسيطة يستدفئون بنار موقد بسيط تلطم الريح وجوههم وهم الى جانبهِ جلوس وتختلف حرارة الهواء من حولهم بين العلو والهبوط فتبقى اعصابهم متنبهة باختلاف المؤثرات هم اصح من سواهم ابدانًا واكثر منهم عافية

ان نقاوة الهواء كيماويًا لا تكفل بقاء الجسم في حالة القوة والعافية وربما كان الانسان في انقى بلاد الله هواء ولم تنفعهُ نقاوة الهواء. مثال ذلك سكان ليرادور وشمالي نروج فان بلادهم قليلة السكان نقية الهواء ومع ذلك معدل الوفيات بالسل بينهم اكثر منهُ في بلاد الانكليز لانهم يقضون الجانب الاكبر من السنة في اكواخ يوقدون النار فيها ويحكمون سد شقوقها ونوافذها لتبقى حرارتها على ٨٠ درجة مع ان الحرارة خارج البيوت تكون على ٣٠ درجة تحت الصفر ونساؤهم قلما يخرجن من اكواخهم ومعدل الوفيات منهن في السل اكثر من معدلها بين رجالهم. ومما يساعد على تفشي السل بينهم ايضًا التزاوج بين الاقارب واجهاد الجسم الى ما فوق الطاقة في العمل وتجمعهم بعضهم مع بعض في اكواخهم الضيقة فانك اذا دخلت احدها وقد نام اهلهُ لا تكاد تجد محلاً تضع قدمك فيهِ. وزد على ذلك انهم يطبخون طعامهم على اساليب تفقدها خواصها ويدفئون اكواخهم بمواقد من الحديد يضعون عليها آنية الماء ليغلي الماء فيها دائمًا وينتشر بخارهُ في الاكواخ ويجتمع ماء على زجاج الشبابيك. ومدارسهم مزدحمة بالتلامذة وترى الطعام في يدهم دوامًا واسنانهم مخورة تالفة والسل يفتك بهم كما يفتك بآبائهم ولكنهم اذا تركوا بيوت آبائهم وسافروا الى بلاد اخرى نجوا منهُ. ولقد عدلوا عن اكل الخبز الاسمر الى الخبز الابيض فقد تبين لي من بعض التجارب التي اجريتها في الجرذان والفيران والحمام ان هذه الحيوانات لا تقدر ان تعيش على الخبز الابيض مع الماء فقط ولكنها تعيش اذا اضفنا الى طعامها بعض مواد النخالة التي يخلو الخبز الابيض منها. فهنا اناس في بلاد من انقى البلدان هواء واوسعها مجالاً على السكان ومع ذلك يصابون بما يصاب بهِ سكان اشد الاحياء ازدحامًا في المدن الكبيرة اي بالسل ونخر الاسنان وما اشبه

والطعام السخيف الذي يأكلونهُ يضطرهم الى تدفئة اكواخهم لتدفأ ابدانهم لان طعامهم لا يكفي لتدفئتهم شأن الحمام الذي تطعمهُ الخبز الابيض فانهُ يقف ويفش ريشهُ ليدفأ.

ومعيشتهم هذه تضعف دورة دمهم وتنفسهم وتمدد رئاتهم . وهواء أكواخهم العفن المشبع بالبخار يقلل تبخر الرطوبات من مجاري التنفس وخروجها من الانسجة الخلاوية وتنظيف الدم في الرئتين وكل ذلك يسهل على ميكروب السل الاقامة في رئاتهم ويقلل المقاومة التي تتوقف عليها المناعة . واللعاب يقي الاسنان من ميكروبات النقد ولكن استمرار اولادهم على الاكل يضعف فعل اللعاب ويزيد حرارة الفم فتنمو ميكروبات النقد فيه وتتلف الاسنان

وقد اخبرني الملازم سيم انهُ رأى ازدياد السل حديثاً في شمالي نروج حيث ابدل السكان مواقدهم القديمة التي كانوا يدفئون اكواخهم بها بالمواقد الحديدية الاميركية . ففي الزمن الماضي كان الجانب الاكبر من حرارة النار يصعد في المداخن فيدفأ الناس بالحرارة المشعة من المواقد اما الآن فصارت المواقد الاميركية تسخن كل هواء الاكواخ بحرارة تمازجها الرطوبة والسكان يسيرون شبابيكم ولا يفتحونها كل مدة الشتاء

وقد جرى الصيادون في مدينة لندن هذا المجرى ففي الزمن السابق كانوا يخرجون للصيد في قوارب مكشوفة الهواء واذا عادوا الى البر اقاموا في اكواخ تعصف فيها الرياح اما الآن فصاروا يخرجون للصيد في قوارب بخارية في القارب منها غرفة محكمة السد تدفئها حرارة الآلة البخارية فيقيمون فيها واذا عادوا الى البر لم يخرجوا منها بل بقوا فيها لكي يوفروا اجرة كوخ يقيمون فيهِ فيتعرضون لداء السل ونحوهِ من الادواء لانهم يضعفون اجسامهم عن مقاومة الميكروبات باقامتهم في اماكن حارة رطبة . اما صيادو نروج فيأكلون الخبز الاسمر والسمك المسلوق ولحم الضأن المملح والزبدة الصناعية (مرجرين) ويشربون البيرة فطعامهم ليس صحياً كطعام اهالي لبرادور فلا يصابون بمرض البري بري مثلهم ولكنهم اذا انتهى فصل الصيد عادوا الى اكواخهم المسدودة الشقوق المدفأة بمواقد الحديد فيشاركون اهالي لبرادور في ازدحام المساكن وامتناع تهويتها . واما في الزمن السالف فكانوا يقيمون في قوارب مكشوفة وفي اكواخ تعصف فيها الرياح

وتدعو الحال في المدن الكبيرة الى اقامة العمال في المكاتب النهار كلهُ وفي الاندية واماكن التمثيل اكثر ساعات المساء . وارتفاع المساكن فيها يحول دون عصف الرياح ودون الفائدة الحاصلة من قرس البرد وحركة الهواء فيضطر السكان ان يزيلوا السآمة بتدخين التبغ وشرب المسكرات او بالافراط في الطعام او بما يهيج الاعصاب من الاشغال فيأكل الواحد منهم ويشرب ويجلس في اماكن دافئة خالية من عصف الرياح فيشكو من ضعف الدورة وضيق الصدر وسوء الهضم وقلة الاغتذاء

ستأتي البقية

مناجاة الارواح والبحث في النفس

لقد كان البحث في النفس وما وراء الطبيعة نظرياً محضاً مبنياً على الحدس او على ما قال به اصحاب الاديان ومعلموها . اما الآن فاخذت طائفة من العلماء والفلاسفة تبحث في الامور النفسية بحثاً علمياً محضاً مبنياً على التجربة والامتحان وبتضح مرادنا من التجربة والامتحان بما يلي

اذا قال قائل ان البارود مزيج من الكبريت والفحم وملح البارود على نسبة معلومة فالاسلوب العلمي لتحقيق هذا القول ان يحلل البارود لتعلم المواد الداخلة في تركيبه فاذا وجد ان كل ما فيه كبريتاً وفحماً وملح بارود ترجحت صحة القول . ثم يخلط الكبريت بالفحم وملح البارود على تلك النسبة فان تكوّن منها بارود ولم يكون من اختلاط مادتين منها فقط فالقول صحيح والاَّ فلا . واذا قال آخر ان نفس زيد المتوفَّى تتجلَّى اذا دعوناها على الاسلوب الفلاني وتفعل كيت وكيت . فالاسلوب العلمي لتحقيق قوله ان ندعوها على ذلك الاسلوب ونرى فعلها محترسين من الخطإ والخداع . فان حضرت وفعلت ما ينسب اليها واستحال فعل ذلك بغيرها فالقول صحيح . وهذا ما يفعلهُ العلماء الآن لكن الاحتراس من الخطإ والخداع ليس بالامر السهل في المباحث النفسية كما هو في المباحث الطبيعية لان نتائج المباحث الطبيعية توزن وتكال وتقاس وتمتحن طرداً وعكساً فاذا قال قائل ان الماء مركب من جزءين من الهيدروجين وجزء من الاكسجين وان الثمانية عشر درهماً من الماء مركبة من درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهماً من الاكسجين امكنهُ ان يثبت صحة قوله بحل ثمانية عشر درهماً من الماء فيتولَّد منها درهمان من الهيدروجين و ١٦ درهماً من الاكسجين . ويكون جرم الهيدروجين ضاعف جرم الاكسجين واذا جمع بين درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهماً من الاكسجين واتحدها بالكهربائية تكوَّن منها ١٨ عشر درهماً من الماء . فيحل ويركب ويزن ويكيل وتشهد حواسهُ كلها بصحة عمله ويفعل ذلك كلَّهُ في رائعة النهار وبحضرة غيره من غير قيد ولا شرط وتكون نتائج الامتحان واحدة سواء اجراهُ في اوربا او اسيا او افريقية او اميركا ومهما كان جنسهُ وملتهُ . واما الاعمال النفسية فلا يكاد يصدق عليها شرط من الشروط المذكورة آنفاً فلا تعمل الاَّ في الظلام او النور الضئيل ولا تعمل طرداً وعكساً ولا تجري الاَّ حسب مشيئة مدعيها وليس فيها سبيل لمعرفة الكمية لا وزناً ولا كيلاً ولا قياساً . فالبلوغ فيها الى درجة التحقيق العلمي يكاد يكون ضرباً من المحال وهذا لا ينفي صحتها ولكنهُ يوقع الريب الشديد فيها

دُعينا في الشتاء الماضي لمشاهدة اعمال بعض الاور بيين الذين يدَّعون استحضار الارواح ومناجاتها . والذي دعانا قصَّ علينا من العالم ما يفوق التصديق ولو صدق واحد منها لثبت ان الارواح تستحضر حقيقة وتفعل ما ينسب اليها من الافعال . فلم يصدق كاتب هذه السطور الرواة لكثرة ما شاهد من افعال هؤلاء الدجالين ولكن احد العلماء الفضلاء وهو من اوسع سكان هذا القطر علماً وادقهم بحثاً اراد ان يمتحن ذلك بنفسه فزار اولئك الاور بيين ذات ليلة ورأى اعمالهم وعاد مقتنعاً ان روح اخيه اتته من عالم الغيب وكلَّمته بامور لا يعرفها سواه وانهم عملوا اعمالاً لا تفسَّر الاَّ بان الارواح حضرت وعملتها . وألح علينا حتى نذهب معهُ لمشاهدة تلك الاعمال في ليلة اخرى فذهبنا واذا كل الاعمال خداع وتدجيل وشعوذة وكل ما فيها مما يعسر تفسيره الآن ان بعض الناس يذهلون عن انفسهم احياناً فيرون و يسمعون ما لا حقيقة له ولكن اذا نبهم منبه الى بعض ما في تلك الاعمال من الخداع انتبهوا لها كلها و بطل ذهولهم . وهذا عين ما حدث تلك الليلة فان ذلك العالم خرج مقتنعاً ان الاعمال التي شاهدها في الليلتين من قبيل الخداع . وما اصابهُ اصاب كثيرين من اكبر علماء الارض

ذكر المستر كوكس في المجلد الثاني من كتابهِ المطبوع سنة ١٨٧٩ ما يأتي قال

اجتمعنا في بيت المستر ولتر كروكس وكان معنا الاستاذ وليم كروكس والمستر غلون وحضر المستر هوم الوسيط وسيدتان . والغرفة التي اجتمعنا فيها غرفة الاستقبال وهي غرفتان تفصل بينهما خزانة وستارة فاجلسنا المستر هوم على كرسي في الغرفة الصغرى ور بطنا يديهِ باسلاك من النحاس الى ظهر الكرسي ور بطنا رجليهِ الى رجليها ور بطنا الكرسي بالموقد ولحنا عقد السلك بلحام معدني . وقال العلماء الحضور حينئذٍ انهُ لا يمكن لقوة بشرية ان تزيح المستر هوم من مكانهِ ما لم تقطع الاسلاك المعدنية . ثم البسناهُ رداء واسعاً وخطناهُ كيه حتى صار كأنهُ في كيس . وكان كرسيهُ على ثماني اقدام من الستارة الفاصلة بين الغرفتين ولم يكن لهُ بيننا صديق او شريك فانهُ جاء البيت وحدهُ في مركبة لابساً لبس المساء . ثم اقفلنا باب الغرفة وختمناهُ بالشمع واقفلنا شباكها وختمناهُ حتى نكون على ثقة ان لا احد يدخل الغرفة وتركناهُ في الظلام بعد ان وضعنا لهُ جرساً على مائدة بعيدة عنهُ وخرجنا الى الغرفة التالية وكان نور الغاز ساطعاً فيها وجلسنا امام الستارة . وبعد اربع دقائق سمعنا الجرس يدقُّ بشدة ثم جعل اثاث الغرفة التي كان فيها يخرج منها الواحد بعد الآخر وبعد ذلك ازيحت الستارة واذا نحن برجل لابس لبس الفَعَلة ووجههُ يشبه وجه المستر هوم تماماً

ووقف امامنا واتكأَ على الخزانة وبقي اكثر من نصف ساعة يتكلم معنا ويخاطب كلاً منا باسمهِ ويجيبنا عمَّا نسأَلهُ ويبدي في كلامهِ كثيراً من الظرف والمجون . مثال ذلك اني قلت لهُ هل جسمك حقيقي او انت خيال فقال ان جسمي اقوى من جسمك . فقلت وهل في جسمك دم فقال كيف لا وان كنت في ريب من ذلك فضع اصبعك سبحة في وضع فاهُ فوضعت اصبعي فيهِ وانا اظنهُ خيالاً فوجدت فاهُ سخناً رطباً واسنانهُ صلبة حادة فعصني عضة جعلتني اصرخ من الالم ولم يدعني الا بعد دقيقة من الزمان . وكان على مائدة امامنا حلقة كبيرة من الحديد صنعناها لنمتحنهُ بها فقال لي اتريد ان ادخلها في ساعدك فقلت نعم فقال اعطني يدك فاعطيتهُ يدي اليمنى فقال ـــ ناولني الحلقة فناولتهُ اياها باليسرى فسكها وضغط بها على يدي اليمنى قرب كتفي فاحاطت بها حالاً ولا ادري كيف ادخلها لان كفي لم تفارق كفهُ على ما كنت اشعر والحلقة حلقتنا لا حلقتهُ ونحن صنعناها وهي من الحديد الغليظ غلظ حديدها اكثر من سنتيمتر . فعدت الى المائدة والحلقة حول ذراعي وفحصها الحضور كلهم واذا هي حلقتنا عينها . ثم دخلنا الغرفة التي اجلسناهُ فيها فاذا هو جالس في مكانهِ غائب عن الصواب والاسلاك المعدنية حول يديهِ ورجليهِ على حالها وخاتمها في مكانهِ لم يتغير وهو مربوط بالكرسي وبالمولد والرداء يغطيهِ والباب والشباك مقفلان مختومان . انتهى

فهؤلاء الاربعة اي السر وليم كروكس العالم الطبيعي الشهير والسر فرنسيس غلتون الرحالة البحّاثة والمستر ولتر كروكس والمستر سرجنت كوكس وكلهم من الموثوق بصدقهم وزكانة عقولهم شهدوا كلهم لصحة هذه الرواية . ولكن علم العلماء معاً كان راجحاً لا يكفي لاكتشاف حيل المحتالين وشعوذة المشعوذين وقد كان هوم من اشهرهم . ولقد اثبت مسكلين المشعوذ المشهور انهُ يستطيع ان يتخلص من الرباط مهما ظهر انهُ متين محكم واحل ما عملهُ هوم ثم يعود الى مكانهِ ويظهر كانهُ بقي في رباطهِ لانهُ يحتال في لف الرباط حيلاً تسهل عليهِ التملص منهُ . واذا لم يكن هوم قد فعل ذلك فلا يستحيل ان يكون كوكس وكروكس وغلتون قد خُدِعوا كلهم فرأَوا ما لا يُرى وسمعوا ما لا يسمع لانهُ كما يحتمل ان يفعل بعض الناس افعالاً خارقة لا يستطيع غيرهم فعلها يحتمل ان يخيل بعضهم انهم يرون ويسمعون ما لا حقيقة لهُ في الخارج كيف لا والنائم والهاذي يريان ويسمعان ما لا وجود لهُ . ولقد حادثنا السر فرنسيس غلتون مراراً في مواضيع مختلفة تعلق على هذا الموضوع ولم يذكر لنا قط هذه الحادثة ولا اشار اليها او الى غيرها مما يدل على انهُ يصدق بمناجاة الارواح . اما السر وليم كروكس فمن المصدقين بها ولكنهُ صار الآن اشد حذراً مما كان منذ ثلاثين سنة او اكثر

على ما يظهر لنا من كتاباتهِ الحديثة وخطبهِ او قد وقف وقفة المرتاب والمستر كوكس توفي الى رحمة ربهِ ولا نتذكر الآن اننا قرأنا شيئاً عمَّا ذهب اليهِ في اواخر ايامهِ

ويفعل المشعوذون الآن افعالاً تشبه ما فعلهُ المستر هوم فقد رأينا البارحة المشعوذ الاميركي المشهور المستر نيقولا يُربط ويوضع في صندوق ويحزم الصندوق حزماً متيناً ويختم ويلقى عليهِ ستار وبعد اقل من دقيقة يفتح فاذا فيهِ فتاة ويظهر المشعوذ من مكان آخر في المشهد وهو لا يدَّعي غير الخفة والشعوذة

ثم ان المستر هوم استطاع مرةً ان يقنع جماعة من وجوه الانكليز انهُ طار وانتقل من مكان الى آخر طائراً · وفي وصف هذه الحادثة عبرة للباحثين في هذا الموضوع ولذلك اخترنا نشرها برمتها

حدثت الحادثة في ١٦ دسمبر سنة ١٨٦٨ امام لورد لندساي ولورد ادر وكبتن ون من وجوه الانكليز ووصفها لورد لندساي في ١٤ يوليو سنة ١٨٧١ في رسالة طبعت تلك السنة قال فيها كنت جالساً مع مستر هوم ولورد ادر ونسيب لهُ وبينما نحن جلوس اصاب المستر هوم غيبة وحُمل وهو غائب من شباك الغرفة المجاورة لغرفتنا وأُدخل شباك غرفتنا والبعد بين الشباكين سبع اقدام ونصف قدم وكان في اسفل كل شباك برواز عرضهُ قدم توضع عليهِ قصائص الازهار · سمعنا الشباك يفتح في الغرفة التالية لغرفتنا وللحال رأينا هوم طائراً في الهواء خارج شباكنا وكان نور القمر ساطعاً في غرفتنا وكان ظهري متجهاً الى النور فرأيت خيال هوم على الحائط الذي تحت الشباك وقدميهِ فوقهُ على نصف قدم منهُ وبقي في هذه الحالة بضع ثوان ثم رفع الشباك ودخل الغرفة ورجلاهُ امامهُ

وكتب لورد لندساي وصف هذه الحادثة الى الجمعية المنطقية في يوليو سنة ١٨٦٩ على هذه الصورة :—

رأيت هوم طائراً خارج الشباك · اصيب بغيبوبة اولاً وجعل يمشي على غير هدًى ثم ذهب الى الدار ولما غاب عني سمعت واحداً يسرُّ اليَّ قائلاً انهُ سيخرج من شباك ويدخل من آخر · فدهشت من ذلك وخفت ان يقع بهِ شرٌّ · واخبرت الذين معي بما سمعت وجعلنا ننتظر رجوعهُ وبعد قليل دخل الغرفة وسمعت الشباك يرفع ولم ارهُ لاني كنت جالساً وظهري متجه اليهِ ولكنني رأيت خيالهُ على الحائط المقابل · خرج من الشباك على شكل افقي ورأيتهُ خارج الشباك الآخر الذي في الغرفة التالية طائراً في الهواء على ٨٥ قدماً فوق الارض · انتهى

فهذان الخبران مختلفان في امور جوهرية مع ان المخبر واحد ولكنهما متفقان في امر جلفص

صحتهما وهو انهُ كان لهوم خيال واضح في نور القمر فان القمر كان حينئذٍ ابن يوم واحد فلا يلقي خيالاً للاجسام . ثم ان لورد ادر الذي كان مع لورد لندساي قال انهُ رأى هوم طائراً قائماً لا مستلقياً اما الكثر ون فاكتفى بقوله ان هوم خرج من شباك ودخل من آخر . ولعلّ هذا هو الصواب اي ان هوم وثب من شباك الى آخر تخيّل للورد لندساي انهُ رآهُ طائراً مستلقياً وللورد ادر انهُ رآهُ طائراً قائماً وممّا يؤيد ان الامر تخيّل لا غير ان لورد لندساي رأى طيف هوم قبل ذلك جالساً في كرسي وسمع قائلاً يقول في اذنهِ انهُ سيخرج من شباك ويدخل من آخر . وفوق هذا فان هوم خرج من الشباك في جلسة سابقة ووقف على حافتهِ ينظر الى ارتفاعهِ عن الارض فاضطرب لورد لندساي من ذلك . ثم قبل الحادثة الاخيرة قال هوم ان الارواح ستطير بهِ وتخرجهُ من الشباك الواحد وتدخلهُ من الآخر وسمع لورد لندساي صوت فتح الشباك ورأى خيالاً طفيفاً على الحائط المقابل تخيّل لهُ انهُ خيال هوم وان هوم دخل من الشباك حينئذٍ طائراً في الهواء لانهُ كان قد رسخ في ذهنهِ انهُ قادر على الطيران

ومن الغريب ان العلماء المتبحرين اشد انخداعاً من غيرهم حتى قال احد مهرة المشعوذين «ان العالِم الذي يجلس حيث تجلسهُ ويلتفت الى حيث تقول لهُ ان يلتفت هو الرجل الذي تجوز عليهِ حيَل المشعوذين فانهُ يرى ويصدّق ما لا يراهُ ولا يصدقهُ تلامذة المدارس»

ذكرت جريدة النور سنة ١٩١٠ ان الاستاذ رشل الفرنسوي اعطى وسيطاً اسمهُ بايلي مئتي جنيه ليحضر من استراليا الى فرنسا ويجرب اعمالهُ النفسيَّة الخارقة امامهُ وقام بكل نفقاتهِ ونفقات رفيق لهُ لا يسافر بدونهِ . وفي احدى الجلسات اظهر بايلي طائرين ادعى ان الارواح جلبتهما لهُ من الهند تلك الليلة . ولكن ثبت في اليوم التالي ان بايلي اشترى ذينك الطائرين من السوق والذي باعهما لهُ عرفهما وعرفهُ . ولما رأى الاستاذ رشل ذلك كتب الى بايلي يقول لهُ «عليك ان تعود الى استراليا حالاً لئلاَّ تقع في يد رجال الحكومة اذا عملت عملاً آخر من هذا النوع واني مستاء منك جدًّا لارتكابك هذا الخداع لاسيما واني واثق انك في غنى عنهُ بما أُعطيت من القوى الفائقة التي تمكنك من عمل اعمال تفوق الطبيعة» . ثم اعطاهُ نفقات السفر ليعود الى استراليا

ويقول هؤلاء العلماء ان الوسطاء يستعملون الخداع احياناً عن جهل وحمق لان لهم قوى خارقة العادة تغنيهم عنهُ . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج في جزء اكتوبر من مجلة البدرك «اني افكر الآن في نشر ما رأيتهُ من اعمال اسابيا بلاديتو لان هذه الاعمال قد

تحققت بعد ذلك على اساليب مختلفة ولاني واثق انهُ تظهر من بعض الناس ظواهر طبيعية خارقة للعادة واما غير قادر على تعليلها اي انهُ توجد قوى لم يكتشفها العلم حتى الآن »

فان ثبت ما قالهُ هذا العلاَّمة وما يذهب اليهِ هو وامثالهُ من ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء توَّثر فيهم فيكون اثباتهم لهُ اعظم اعمال العلماء في هذا العصر

القمار في مونت كارلو

الى الشرق من مدينة نيس بفرنسا امارة صغيرة مستقلة اسمها موناكو تحيط بها بلاد فرنسا من كل الجهات الأَّ حيث تشرف على بحر الروم . مساحتها ثلاثة اميال مربعة او اقل من الفي فدان وعدد سكانها نحو ١٩ الف نفس وهي تشمل مدينة موناكو وسكانها ٢٤١٠ ومونت كارلو وسكانها ٣٧٩٤ وكندامين وسكانها ٦٢١٨

صاحب هذه الامارة البرنس البرت الذي خلف اباهُ البرنس شارل الثالث سنة ١٨٨٩ . وشأْنها قائم بالمقامرة في مونت كارلو حيث يفد الوف من اغنياء اوربا واميركا كل سنة ليقامروا ويخسر بعضهم ويربح البعض الآخر . ولكن الشركة التي تدير الآن محل القمار او الكازينو تأْخذ جانباً من الدراهم التي يقامر بها يخسرها المقامرون على كل حال

لما كان الامير شارل حيًّا رأَى ان دخل امارتهِ لا يقوم بنفقاتهِ فاستشار رجلاً بارزاً في امرهِ ويقال ان الرجل قال لقد اضعت اموالك شعبك فاضع اموال شعب غيرك . والسبيل الى ذلك ان تنشئ لم مقمرة . فاعطى امتيازاً بانشاء هذه المقمرة لاثنين من الفرنسوبين وهما ديفال ولافاور فبنيا كازينو للقمار ولكنهما لم يفلحا

وكان في مدينة همبرج رجل اسمهُ بلانك كان يختلس اخبار التلغراف الآتية من باريس وفيها اسعار البورصة بارشاء عمَّال التلغراف وحُكم عليهِ بالسجن سبعة اشهر فلما انقضت مدة سجنهِ فتح فندقاً وجعلهُ مقمرةً صغيرة فنجح نجاحاً باهراً ولكنهُ قال في نفسهِ انهُ لا بد لحكومة المانيا من منع المقامرة عاجلاً او آجلاً . فجعل يبحث عن مكان ينتقل اليهِ ولا يخشى من مصادرتهِ فيهِ فعثر على امارة موناكو فجاءها سنة ١٨٦ واشترى الامتياز من ديفال ولافاور ونقل عدة المقامرة الى مدينة مونت كارلو واستقدم مهندساً من امهر المهندسين وبنى الكازينو الحالي وغرس حولهُ الحدائق الغناء واتفق على ذلك نحو ستمئة الف جنيه فجعل مونت كارلو مقمرة اوربا كلها بمهارتهِ وحسن ادارتهِ

والظاهر انهُ من القدر الرجال على اكتساب الاموال فلم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى جمع ثروة طائلة تقدر بعشرة ملايين من الجنيهات انتزعها من اموال المقامرين برضاهم او بجهلهم · ويقدَّر الربح الصافي من هذه المقمرة الآن بمليون جنيه في السنة · وكان يعطي امير موناكو خمس مئة الف فرنك كل سنة وكل ما يلزم لنفقاتهِ وجانباً من ربح المقمرة ويقوم بكل النفقات اللازمة لاصلاح السكك في الامارة وحفظ الحدائق وحفظ الامن · واستاء السكان منهُ مرة وثاروا على اميرهم لكي يبطل المقامرة من امارتهم فطلب بلانك من الامير ان يعفي السكان من كل الضرائب على انواعها وهو يدفعها عنهم فسكن ثائرهم

وانتقل الامتياز منهُ الى شركة مساهمة بجددتهُ الى خمسين سنة تنتهي سنة ١٩٤٧ ودفعت مقابل ذلك لامير موناكو الحالي ٤٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٩٩ وستدفع لهُ ٦٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٣ وزادت الجزية السنوية التي كانت تدفعها لهُ وهي ٥٠٠٠٠ جنيه فجعلتها ٧٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٧ وستجعلها ٨٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٧ و ٩٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٢٧ و ١٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٣٧

و يمتاز مونت كارلو على غيرهِ من المقامر بجمال موقعهِ وطيب هوائهِ وحسن بناء الكازينو وفاخر اثاثهِ ورياشهِ على ما يقول الذين زاروهُ

ولا يُلعب فيهِ من العاب القمار الا لعبتان لعبة الروليت ولعبة الثلاثين والاربعين والكازينو او البنك يربح منهما ربحاً لا ريب فيهِ يبلغ صافيهِ في السنة مليون جنيه كما تقدم لا لانهُ يربح كل مرة او من كل مقامر بل لان الربح والخسارة متوقفان على الصدفة لا غير وفي دائرة الروليت ٣٧ عدداً او بيتاً والبنك لا يعطي من يلعب ربحاً الا اذا اصاب بيتاً من ٣٥ بيتاً منها فيبقى للبنك ربح محقق من بيتين اي من واحد من ثمانية عشر ونصف · فاذا قامر مقامر بثمانية عشر الفاً وخمس مئة جنيه في اوقات مختلفة بقي لهُ منها سبعة عشر الفاً وخمس مئة جنيه وخسر الف جنيه يربحها منهُ البنك وقد يربح زيد مبالغ طائلة من البنك ويخسر عمرو مبالغ طائلة يربحها منهُ البنك ولكن تكون النتيجة الاخيرة ان البنك يربح اكثر من خمسة في المئة من كل الدراهم التي يُقامر بها فاذا قامر المقامرون في سنة من السنين بعشرين مليوناً من الجنيهات فالبنك يربح منها مليوناً او اكثر من الجنيهات · وقد يخسر بعض الاحيان خسارة طائلة ويُحتمل ان يخسر كل ما يملكهُ في يوم واحد او بضعة ايام كما قد يخسر كل من يقامر هناك كل ما يملكهُ فلا تبقى لهُ فرصة لاسترداد ما خسرهُ ولكن

البنك محوط لذلك وجعل للمبالغ التي تجوز المقامرة بها حدًّا لا تتعداهُ حتى اذا خسر لا تكون الخسارة فادحة لا عليهِ ولا لهُ

وبديهي انهُ اذا كان البنك ينال من الانصبة اكثر مما يناله المقامرون على نسبة ٣٧ الى ٣٥ فالربح محقق لهُ والخسارة محققة للمقامرين مهما كان علمهم ومهما كانت مهارتهم ومهما بلغت ثروتهم . فان كانوا يتسلون حقيقة تسلية تساوي الاموال التي يخسرونها فيكون شأنهم شأن كل من يتسلى بشيء لا ينفعهُ ويدفع اجرة تسليتهِ . ولكن القمار لايقف عند حد التسلية ومن اندر الامور ان تجد مقامراً يتسلى بالمقامرة ويسرُّ بها بل الامر الغالب او الامر العام ان كل مقامر يقامر ليكسب ولما كانت الخسارة محققة اكثر من الكسب فالكدر مؤكد اكثر من السرور ناهيك ان الذين يخسرون لا يقفون عند حد بل قد يستمرون على اللعب حتى يخسروا كل ما يملكونهُ فتخرب بيوتهم وتسوء حال عيالهم . والذين يربحون لا يكون الربح قيمة كبيرة في اعينهم لانهم لم يتعبوا لنيلهِ فلا يهتمون بحفظهِ والغالب انهم يتعلقون على القمار حتى تدور عليهم الدائرة

ويقال ان حكومة فرنسا وحكومة انكلترا حاولتا مرة ان تجبرا امير موناكو على منع المقامرة في امارتهِ وابطال الامتياز فقال لها انهما اذا اصرتا على ذلك تنازل عن امارتهِ لامبراطور المانيا مخافةً العاقبة وتركناهُ وشأنهُ . وهو من المهتمين بالمباحث البحرية العلمية ولهُ في ذلك شأن كبير عند العلماء وقد حرَّم على سكان امارتهِ المقامرة فلا يقامر احد منهم . والشركة التي تدير المقمرة تبذل جهدها لكي لا يقامر احد الأ وعندهُ ثروة لا تضيعهُ خسارة جانب منها فاذا تمكنت من ذلك فعلاً ولم تبح المقامرة الأ لكبار الاغنياء ولا سمحت ان يقامر الواحد منهم الأ بجزء صغير من دخلهِ تكون قد قللت الضرر ما امكن وخير من ذلك منع المقامرة بتاتاً

ومن الغريب ان الحكومات التي لا تجيز المقامرة تجيز المراهنة واوراق النصيب وكلها من نوع المقامرة اي الكسب او الخسارة بمجرد الصدفة والاتفاق لا بالسعي والجد فالذي يراهن على سبق فرس او فوز مصارع كالذي يراهن على وقوف كرة الرولت عند هذا العدد او ذاك . والذي يشتري ورقة من اوراق الجمعيات الخيرية او سنداً من سندات البنوك ذات الاقتراع ثم يربح او يخسر وقت سحب القرعة كالذي يقامر تماماً . والفرق الوحيد بين الامرين ان المراهنة تكون غالباً على مبالغ قليلة والمقامرة تكون غالباً بمبالغ كبيرة ولعل هذا الفرق كافٍ لتحليل الواحدة وتحريم الاخرى

غرائب الراديوم

اشتهر الراديوم شهرة لم ينلها غيره من العناصر حتى سار ذكره بين الخاصة والعامة وتحدث بغرائبه العالم والتاجر والعامل. وهو ثمين جدًّا ولم يستخلص منه حتى الآن الا الشيء القليل فيستعمل الاطباء ذرات صغيرة منه لغلاء ثمنه وشدة فعله واذا اصاب الذرة منه حادث ما نشرت خبره الجرائد وتناقلته الالسن

ولقد حدث بالامس ان احد الاطباء في بلاد الانكليز اراد ان يداوي عليلاً بالراديوم فاستأجر من احدى الشركات الكيماوية التي تؤجر الراديوم ذرة صغيرة وزنها جزء من ثلاثة عشر جزءا من القمحة وثمنها ٥٠٠ ريال مركبة في جهاز صغير يقيها من الضياع ويسهل استعمالها في المداواة. وبعد ان استعملها نزع الاربطة عن العليل ورماها في النار ورمى معها ذرة الراديوم على غير انتباه. ولم ينتبه لغلطه الا بعدما لعبت النار بالاربطة واصبح تخليص الراديوم منها محالاً. ولكنه جمع كل رماد الموقد وارسله الى الشركة. ولدى الامتحان ظهر ان الرماد اكتسب خواص الراديوم وفعله وان تسعة اعشار الذرة كانت باقية في الرماد فاستخلصتها منه

ويصعب تصوّر الراديوم على من لم يره فقد اجتمعت فيه طبائع غير مألوفة في غيره من العناصر. ولاجل تقريب تصوره من الافهام اتى احدهم بالتشبيه الآتي في مجلة الميكانيكيات الاميركية قال: —

تصوَّر بارجة توالي اطلاق المدافع والقنابل بلا انقطاع بسرعة تفوق سرعة رصاص البنادق او بعين الف ضعف. وتصور انها ترشق وابلاً من القنابل الصغيرة بسرعة ١٧٥ الف ميل في الثانية وانهُ ينبعث من هذه القنابل اشعة كهربائية تنفذ الصخر والخشب والحديد واللحم والعظم وتخترق وتودي ما يعترض في سبيلها بتموجاتها القتّالة. وتصوَّر حول هذه البارجة غازاً يمتد عدة اميال ويحيط بكل مادة في طريقه ويلصق بها. وتصوَّر ان داخل هذه البارجة شيئاً كثيراً من كرات المدافع تذهب وتجيء بسرعة تفوق الادراك. واخيراً تصوَّر ان كل من يكون في دائرة معلومة حول هذه البارجة يحترق او يشل او يعمى

فاذا تصوَّرت هذا كلهُ فاعلم ان في الارض ملايين من هذه البوارج الغريبة ولكنها في غاية الصغر حتى ان في رأس الابرة مجالاً لاسطول كبير منها هذه البوارج هي جواهر

الراديوم . ولو كُبِّرَ جوهرٌ منها الى حجم البوارج المعروفة وكُبِّرَ معهُ فعلهُ وقوتهُ على هذه النسبة لفعل الفعل المشار اليهِ آنفاً واكثر

وقد اصبح العلماء يؤملون ان تنكشف لهم اسرار النور والحرارة والكهربائية والمغنطيسية بدرس طبائع هذا العنصر . ويجدر بنا ان نلقي نظرة عامة على تاريخ اكتشافهِ تمهيداً لفهم ما يلي

لما اعلن رنتجن سنة ١٨٩٥ اكتشافهُ الاشعة المعروفة باسمهِ تهافت العلماء على درسها واستطلاع سرها . فبحثوا في كل الاعمال التي عملها وآلت الى اكتشاف هذه الاشعة لعلهم يجدون فيها ما يرشدهم الى معرفة حقيقتها . وخطر للعالم بونكاره الفرنسوي انهُ لا بد من علاقة بين هذه الاشعة والتألق الذي يحدث عند توليد اشعة رنتجن فنبه الافكار الى ذلك . وللحال اخذ العالم الروسي نيوصلوسكي يجرب وينقب لاجل اكتشاف تلك العلاقة . فاخذ لوحاً فوتوغرافياً ولفهُ بورق اسود ووضع فوقهُ قطعةً مربعة من الزجاج ووضع فوق قطعة الزجاج حبوباً قليلة من كبريتيد الجير الذي ينير في الظلام كما تنير عيدان الكبريت اذا فركتها باصابعك . وفي اليوم التالي ظهَّر اللوح فبانت صورة قطعة الزجاج منطبعة عليهِ فثبت لهُ ان بعض الاشعة من كبريتيد الجير اخترقت الغلاف الاسود ووصلت الى اللوح فاثرت فيهِ . ولكنهُ وجد ان هذه الاشعة ليست اشعة رنتجن لانهُ عاين اثر انحرافها على حروف الزجاجة واشعة رنتجن لا تنحرف هذا الانحراف

ثم جاء الاستاذ بكرل الفرنسوي ووالى التجارب باحثاً عن هذه الاشعة المجهولة وكان يظن ان كل المواد التي تحتوي على الاورانيوم لها خاصية الانارة . فعمل ما عملهُ نيوصلوسكي ولكنهُ ابدل كبريتيد الجير بمركبات الاورانيوم بعد ان عرَّضهُ لنور الشمس واعاد هذه العملية مرات عديدة حتى اذا كان ذات يوم وقد اعد عدتهُ لاجرائها واذا بالشمس احتجبت بالغيوم فوضع ما كان معهُ من املاح الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي في درج واتفق انهُ القى على اللوح مفتاحاً . وبعد ذلك بايام قليلة عثر على هذا اللوح الفوتوغرافي مظهَّراً واذا بصورة المفتاح منطبعة عليهِ . فرأى عند ذلك ان الاورانيوم يؤثر في اللوح الفوتوغرافي وهو في الظلام ولو لم يعرَّض لنور الشمس . وجرَّب ذلك باملاح كثيرة من املاح الاورانيوم فكانت النتيجة واحدة . ولكنهُ وجد ان التراب المعدني المعروف بالبتشبلند الذي يستخرج الاورانيوم منهُ تأثيرهُ اشد من تأثير الاورانيوم . فاستنتج من ذلك ان فيهِ مادةً اخرى غير الاورانيوم تؤثر في الالواح الفوتوغرافية اكثر من كل مادة معروفة لذلك العهد . فاخذ العلماء

يحاولون استخلاص تلك المادة وافرازها على حدة . وسميت الاشعة التي تؤثر هذا التأثير اشعة بكرل باسم مكتشفها وعُرف من خواصها ايضاً انها تفرغ الجسم المملوء بالكهربائية

وكان اكتشاف خاصية هذه الاشعة في تفريغ الكهربائية خطوة كبيرة في سبيل اكتشاف العنصر المطلوب اذ تمكنوا بها من استخدام الالكتروسكوب لاكتشافهِ . والالكتروسكوب آلة بسيطة تصنع من اناء زجاجي يسدُّ بفلينة يدخل فيها سلك نحاس تتصل بهِ ورقيتان رقيقتان جدًّا من ورق الذهب فاذا أُدني منهُ جسم مكهرب تكهربت ورقتا الذهب بكهربائية واحدة وافترقتا وهما تتأثران بالكهربائية مهما كان مقدارها قليلاً

واذا كان الالكتروسكوب مكهرباً وورقتاهُ مفترقتين وادنيت منهُ اشعة رنتجن او اشعة بكرل ارتخت ورقتاه وتدلتا حالاً . ومن هذا تتضح اهمية الالكتروسكوب في كشف مصدر هذه الاشعة لانهُ يكتشفها ويتأثر بها مهما كانت ضعيفة

وبعد هذه الاكتشافات اكبَّت مدام كوري على درس اشعة بكرل وبحثت عن المادة التي تتولد منها . فاخذت تبحث في المواد التي يتركب منها البتشبلاند وساعدتها الحكومة النمساوية على ذلك اذ وهبتها مقادير من هذه المادة بعد استخلاص الاورانيوم منها واتصلت في ابحاثها الى اكتشاف عنصر جديد فعلهُ اشد من فعل الاورانيوم بالالواح الفوتوغرافية والالكتروسكوب ودعتهُ باسم البولونيوم نسبة الى بلادها بولونيا . ولكنها بقيت متيقنة ان في البتشبلاند مادة اخرى فعلها اشد من فعل البولونيوم فواصلت البحث والتجارب الى ان توفقت الى اكتشاف الراديوم بالاشتراك مع زوجها الاستاذ كوري . وكانت درة الراديوم التي استخلصتها اولاً صغيرة جدًّا تشبه ملح الطعام في منظرها ولكنها تضيء في الظلام واشعاعها يفوق اشعاع الاورانيوم ١٨٠٠٠٠٠ ضعف

اما طريقتها في استخلاص الراديوم فطويلة مملة تقتضي كثيراً من عمليات التحليل والتبلور ولا تتمُّ الا في شهور لاسيما وان مقدار الراديوم في البتشبلاند قليل جدًّا جدًّا اقل من الذهب في ماء البحر مع ان البتشبلاند اوفر راديوماً من غيره

ولا فرق بين الراديوم وغيره من المعادن كالحديد والذهب والنحاس الا في سرعة انحلالهِ وانفراط دقائقهِ . فنسبتهُ الى الحديد من هذا القبيل كنسبة القطار السريع الى الزورق الشراعي

وقد قدَّر العلماء ان حياة الراديوم لا تطول اكثر من ٢٥٠٠ سنة بينما حياة الاورانيوم وهو اسرع المواد انحلالاً بعد الراديوم تبلغ ٧٥٠٠ مليون سنة . فوجود الراديوم الان يدلُّ

على انهُ يتكون دواماً من عنصر آخر ولولا ذلك لتلاشى منذ عهد طويل

والرأي الغالب بين العلماء ان الراديوم عنصر معدني كالحديد والذهب وانهُ تولد من الاورانيوم وسيستحيل الى رصاص وهو في طور التحول والانحلال وتشع منهُ ثلاثة انواع من الاشعة سمّاها العلماء باسماء الاحرف الثلاثة الاولى اليونانية الفا وبتا وغما . فاشعة الفا دقائق من الكهربائية الايجابية تتطاير منهُ بسرعة ١٥٠٠٠ ميل في الثانية وحجم كل دقيقة ضعفا حجم جوهر الهيدروجين الذي كان اصغر الجواهر المعروفة قبل اكتشاف الراديوم . واشعة بتا الكترونات من الكهربائية السلبية وحجم الواحدة منها جزء من الف جزء من حجم جوهر الهيدروجين وسرعتها تقرب من سرعة النور . واشعة غما هي اشعة رنتجن عينها وتنشأ من اصطدام الالكترونات من اشعة بتا بشيء يعترض مجراها ويوقفها . فاصطدام الالكترونات ووقوفها يولدان في الاثير تموّجات تنفذ الاجرام كما ينفذ النور الزجاج . وينبعث من الراديوم غاز يُكسب كل مادة يلامسها قوة الاشعاع وربما كان لهُ خواص اخرى غير هذه لم يهتدِ اليها العلم حتى الآن

والراديوم اثمن المواد كلها ولم يستخلص من العنصر الصرف حتى الآن الاّ ذرة صغيرة استخلصتها مدام كوري بعد العناء الشديد وما بقي من الراديوم فاملاح مركبة منهُ ومن الكلور او البروم

والمائة فاحشة فالذرة الصغيرة التي لا تكاد ترى بالعين المجردة يبلغ ثمنها ٥٠٠٠ ريال وقد قدّر ثمن الليبرة منهُ مليون ريال . وفي الليبرة منهُ قوة تساوي قوة ١٥٠٠٠٠٠ طن من الفحم الحجري اي ان فيها من القوة ما يكفي لتسيير بارجة حمولها ١٥٠٠٠ طن مدة ثلاثين سنة بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة

واعجب ما في الراديوم الالكترونات المتطايرة المعروفة باشعة بتا اي دقائق الكهربائية السلبية وهي غير محصورة في الراديوم بل يرى البعض انها اصل المواد كلها . واذا تحركت كان من حركتها مجرى كهربائي وتَمَلُّ التلغراف اللاسلكي يقوم بحركتها التي تولّد التموجات في بحر الاثير

ويظن جمهور كبير من العلماء ان العناصر كلها تراكيب مختلفة من الالكترونات . فاذا كثرت الالكترونات في بناء الجوهر كان العنصر ثقيلاً مثل البلاتين والذهب واذا قلّت كان خفيفاً كالصوديوم والليثيوم . واذا دارت الالكترونات في جهة واحدة حول قضيب من الحديد صيرتهُ مغنطيساً جذّاباً ويذهب البعض الى ان تموجات النور ناتجة عن تحريك

هذه الالكترونات للاثير في دورانها حول الجواهر . فان كل جوهر تحيط به طائفة منها تدور حولهُ على الدوام فهو بذلك يشبه الشمس وسياراتها وكما تختلف ابعاد السيارات عن الشمس وتختلف سرعة كل سيار بحسب بعده كذلك تختلف ابعاد الالكترونات وسرعتها وعلى هذه الصورة تحدث كل التموجات المختلفة من تموجات الحرارة الواسعة الى تموجات النور والكهربائية الضيقة ويحدث كل ما هو سببٌ من نمو النبات واعداد الغذاء للانسان

وسوف تزداد معارف الانسان وتنكشف لهُ اسرار في الطبيعة لم يعلمها حتى الآن فيستخرج من قطع صغيرة من المعدن قوة تفوق القوة التي تحصل الآن من جبل من الفحم او نهر من البترول . وسوف يثير المساكن ويدير المطاحن ويسيّر البواخر بالقوة المذخورة في جواهر المادة

السكان والضرائب والاعمال النافعة

في القطر المصري

كان عدد سكان القطر المصري منذ ثلاثين سنة ٦٨٣١١٣١ وكان مجموع الاموال التي يدفعونها للحكومة ضرائب اطيان ورسوماً اخرى ٧١٧٢٢٤١ جنيهاً فيخص النفس منهم مئة وخمسة غروش . وكان اكثر الاموال من ضرائب الاطيان وعشور النخيل وما اشبه من الاموال المقررة وكان مقدارها حينئذٍ ٥٤١١٩٢٨ جنيهاً وما بقي فهو من الاموال غير المقررة اي التي تزيد وتنقص من سنة الى اخرى حسب احوال البلاد من اليسر والعسر وكان مجموعها حينئذٍ ١٧٦٠٢٣٣ جنيهاً

اما الاموال المقررة فبقيت على حالها تقريباً من ذلك العهد الى الآن نقصت قليلاً برفع الضرائب عن بعض الخوالف حتى هبطت الى ٤٦٢٠٩٣٨ جنيهاً سنة ١٩٠٠ ثم زادت بربط الضرائب على ما اصلح من الاطيان وكثرة المباني حتى بلغت في العام الماضي ٥٥٢٨١٧٤ جنيهاً فكأنها لم تزد في ثلاثين سنة سوى ١١٦١٩٦ جنيهاً لا غير . ولكن الاموال غير المقررة زادت بزيادة السكان وزيادة ريع الاطيان فكانت ١٧٦٠٢٣٣ سنة ١٨٨٢ فصارت الآن ٥٨٣٢٧٦١ جنيهاً اي انها صارت اكثر من ثلاثة اضعاف ما كانت مع ان عدد السكان لم يصر ضعفين حتى الآن لانهُ كان ٦٨٣١١٣١ نفساً فصار في آخر العام الماضي ١١٩٧٥٨٢٥ نفساً ولذلك اذا قسمت الاموال المقررة وغير المقررة على عدد السكان الآن خصَّ النفس منهم نحو ٩٥ غرشاً لا غير في السنة اي ان ما يدفعهُ كل نفس

الحكومة تنقص عشرة قروش في السنة عما كان عليهِ منذ ثلاثين سنة

والحكومة دخل آخر من المصالح ذات الايراد كسكك الحديد والبوسطة والتلغراف كان مجموعه ١ ٤١٥ ٢٥٨ جنيهاً سنة ١٨٨٢ فبلغ في العام الماضي ٤ ١٦٨ ١٩٣ جنيهاً ودخل ثالث من بعض الابواب كالبدل العسكري وتشغيل الوفور وايجار اطيان الحكومة والمستقطع من ماهيات المستخدمين وقد بلغ الدخل من هذه الابواب ٢٦٥ ٣٨٨ جنيهاً سنة ١٨٨٢ وبلغ في العام الماضي ١ ٢٦٣ ٦٢٢ جنيهاً

ويحسن ان نفصل كل باب من هذه الابواب على حدة ليظهر نمو كل واحد منها منذ ثلاثين سنة الى الآن

		سنة ١٨٨٢	سنة ١٩١١
الاموال المقررة	اموال الاطيان	٤ ٩٧٧ ٦٣٥	٥ ٠٦٦ ٧٧٨
	عشور النخيل	٠ ٠٨٨ ٢٣٧	٠ ١٣٨ ٤٨٤
	عوائد الاملاك	٠ ٠٩١ ٨٧٧	٠ ٣٢٢ ٩١٢
	اموال اخرى مقررة [1]	٠ ٢٨٤ ٢٢٩	...
	الجملة	٥ ٤١١ ٩٧٨	٥٥ ٢٢٨ ١٧٤
الاموال غير المقررة	عوائد التبغ	٩١ ٦٤٣	١ ٦٦٨ ٥٦٨
	« غير التبغ	٥٣٠ ٨١٣	٢ ١٦٨ ٧٧٩
	« الملح	٢٠٠ ١٨٠	..
	« الفنارات	١٥٠ ١٥٦	٤٢٠ ٨ ١
	مصائد الاسماك	٠٩٣ ٦٣٨	٤٢ ٢٣٦
	معادي النيل	٠٧٥ ٦٨٦	٠٤ ٧٨٩
	الدمغة	٠٥٧ ٧٩٥	٤٣ ٣٠٤
	دمغة المصاغات	٠٠٥ ١٨٦	٠٥ ٣٩٣
	الرسوم القضائية والقيدية	٢٠٤ ٦٦٠	١ ٤٢٨ ٠٠١
	رسوم متنوعة	٨٠ ٩٠٥	٠ ٠٥٠ ٨٩٠
	الدخوليات	٢٦٩ ٨١١	-
	الجملة	١ ٧٦٠ ٢٣٣	٥ ٨٣٢ ٧٦٤

(١) بطنطا الصنائع وضريبة زرع التبغ والعوائد الشخصية وعوائد الخيل والمركبات

		سنة ١٨٨٢	سنة ١٩١١
ايرادات المصالح ذات الايراد	دخل سكك الحديد	١ ١٩١ ٥٤٩	٣ ٧٢٨ ٨٩٤
	« التلغرافات	٠ ٠٤٩ ٩٧٩	٠ ١٢٦ ٩٦٦
	« البوسطة	٠ ٠٨٣ ٩٢٥	٠ ٣١٢ ٣٣٣
	« وابورات البوسطة	٠ ٠٨٩ ٨٠٥	٠٠
	الجملة	١ ٤١٠ ٢٥٨	٤ ١٦٨ ١٩٣
ايرادات اخرى	تشغيل نقود الحكومة	...	١١٤ ٦٤٣
	ايجار املاك الحكومة	٠٧٧ ٥٣٠	١٦٨ ٨٩٨
	المستقطع من الماهيات	٠٦٣ ٩٢٠	١٢٨ ٦٤٣
	ايرادات متنوعة	١٥٤ ٢١٧	٨٥١ ٤٣٨
	الجملة	٣٦٥ ٣٨٨	١ ٢٦٣ ٦٢٢

ومجموع دخل الحكومة كان ٨ ٨٥٢ ٨٥٧ جنيهاً سنة ١٨٨٢ او نحو تسعة ملايين من الجنيهات. (والاصح ان يقال انهُ كان يبلغ تسعة ملايين او اكثر قليلاً لان سنة ١٨٨٢ كانت سنة الثورة فقل الدخل فيها نحو ٣٧٠ الف جنيه عن السنة التي قبلها ونحو ٨٢ الف جنيه عن التي بعدها). واما مجموع دخل الحكومة في العام الماضي فبلغ ١٦ ٧٩٢ ٧٥٠ جنيهاً اي انهُ تضاعف في ثلاثين سنة مع ان ضرائب كثيرة الغيت واموال الاطيان لم تزد بل أنقصت وعملت الحكومة في هذه المدة اعمالاً كثيرة نافعة تقدَّر قيمتها باكثر من خمسين مليونًا من الجنيهات فقوّت القناطر الخيرية حتى صارت تصلح لرفع المياه اللازمة للري الصيفي وحولت ري المديريات الوسطى حتى صارت تروى ريًّا صيفيًّا وانشأَت خزان اصوان وقناطر اسيوط واسنا وزفتى وانشأَت الرياح التوفيقي وبنت المدارس والمحاكم والمديريات والبوسطات وانشأَت مينا الاسكندرية وارصفتهُ وانشأَت كثيرًا من السكك الزراعية ورصفت شوارع العاصمة ومع ذلك لم يزد الدين الذي كان عليها بل نقص كثيرًا فقد كان ٩٦ ٤٠٧ ٣٢٠ جنيهاً انكليزيًا سنة ١٨٨٢ ثم زاد على اثر الثورة العرابية وتعويضات الاسكندرية وعمل بعض الاعمال اللازمة حتى بلغ ١٠٦ ٨٠٢ ٣٦٠ جنيهاً انكليزيًا سنة ١٨٩٠ ثم جعل ينقص رويدًا رويدًا حتى لم يبقَ في ايدي الجمهور من سندات الديون المصرية سوى ٨٩ ١١٧ ٥٤٠ جنيهاً انكليزيًا وما بقي فقد اوفي كدين الدائرة السنية ودين الدومين

او هو سندات ابتاعتها الحكومة · فكأَنها قلّلت ديونها منذ ثلاثين سنة الى الآن اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات ودفعت تعويضات الاسكندرية وعملت من الاعمال النافعة والاصلاحية ما يقدَّر بخمسين مليونًا من الجنيهات ولم يخرج من حوزتها الأطيان الدائرة السنية وما باعتهُ من اطيان الدومين والاملاك الحرّة · ومن المؤَكد انها انفقت من المال الاحتياطي العمومي في العشرين سنة الاخيرة اربعين مليونًا من الجنيهات اكثرها على اصلاح الري والصرف والسودان وسكك الحديد وميناء الاسكندرية وكلها من الاموال المقتصدة لان دخل الحكومة قبل ذلك لم يزد على نفقاتها زيادة تذكر وبلغ ما انفق على اصلاح الري والصرف فقط من المال الاحتياطي نحو ١٠ مليون جنيه وعند التدقيق ٩٦٤٩ ٧٢٣ ١٤ جنيهًا · وبلغ ما انفقتهُ من المال الاحتياطي والقروض منذ ثلاثين سنة الى الآن نحو ٥٢ مليونًا من الجنيهات وذلك عدا النفقات العادية

وبديهي ان اموال الحكومات لا ينفق كل غرش منها في سبيله بل قد ينفق الكثير منها في ما لا فائدة منهُ وكثيرًا ما تشتري الشيء بضاعف ثمنه او تنفق على عمل مضاعف ما ينفقهُ غيرها ولكن الذين يراقبون اعمال الحكومة المصرية ويسمعون شكوى المقاولين من تدقيقها ومن قلة ربحهم بل من خسارتهم في بعض الاحيان ويرون نتائج الاعمال التي عملتها لا يشكُّون في انها مقتصدة في اعمالها مثلما يقتصد كل واحد من رعاياها في اعماله واكثر مما تقتصد بعض الدوائر الكبيرة في اعمالها· وهذا لا ينفي انها تستطيع ان تزيد تدقيقًا واقتصادًا وانها مطالَبة بذلك ذمة

ورب قائل يقول كيف استطاعت الحكومة المصرية ان تنفق اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات على الاعمال النافعة منذ عشرين سنة الى الآن ولم يزد دينها بل نقص ولم تكن البلاد على ثروة طائلة قبل ذلك بل كانت على حافة الافلاس اي كيف مكنتها ميزانيتها من انفاق هذه النفقات من غير عجز فيها

والجواب انها تمكنت من ذلك لان حماية انكلترا لها كفتها مؤُونة النفقات الحربية التي تنفقها البلدان المماثلة لها فان سكان القطر المصري الآن ١٢ مليونًا من النفوس وكل ما تنفقهُ الحكومة على جنودها وجيش الاحتلال لا يزيد على مليون جنيه في السنة فانظر الفرق بين ذلك وبين ما تنفقهُ الدولة العثمانية في السنة الآن وهو اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات مع ان سكانها لا يزيدون على ٢٦ مليونًا من النفوس او بين ذلك وبين ما تنفقهُ اليونان والسرب والبلغار وعدد سكانها كلها عشرة ملايين من النفوس فانها تنفق في السنة اربعة ملايين من

الجنيهات فلو انفقت مصر على نسبتها لوجب ان تنفق الآن على حربيتها خمسة ملايين من الجنيهات اي خمسة اضعاف ما تنفقهُ

وهاك جدول نفقاتها الحربية في العشر سنوات الاخيرة

السنة	نظارة الحربية	جيش الاحتلال	المجموع
١٩٠٢	٥٥٧٣٧٨	٨٤٨٢٥	٦٤٢٢٠٣
١٩٠٣	٦١٠٨٥٧	٨٤٨٢٥	٦٩٥٦٨٢
١٩٠٤	٦٢٤٩٩٦	٨٤٨٢٥	٧٠٩٨٢١
١٠٩٥	٦٥٧٦١٦	٩٧٥٠٠	٧٥٥١١٦
١٩٠٦	٧٢٤٤١٢	٩٧٥٠٠	٨٢١٩١٢
١٩٠٧	٧٤٨٤٠٩	١٢١٨٧٥	٨٧٠٢٨٤
١٩٠٨	٨٠٥٠١٣	١٤٦٢٥٠	٩٥١٢٦٣
١٩٠٩	٨٢٠٨٢٣	١٤٦٢٥٠	٩٦٧٠٧٣
١٩١٠	٨٦٣٢٢٣	١٤٦٢٥٠	١٠٠٩٤٧٣
١٩١١	٩١٠٢٤١	١٤٦٢٥٠	١٠٥٦٤٩١

فالمتوسط اقل من مليون جنيه في السنة واذا حسبنا النفقات الحربية من سنة ١٨٨٤ الى الآن وجدنا متوسطها اقل من ثلاثة ارباع المليون في السنة فالاحتلال البريطاني والنفوذ البريطاني وفَّرا لهذا القطر نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة منذ ثلاثين سنة الى الآن ولولا ذلك ما عُمل عمل نافع فيهِ ولا استطاع ان يقوم بايفاء فوائد الديون التي كانت متراكمة على عاتقهِ

فاذا نظرنا الى السكان رأيناهم قد زادوا منذ ثلاثين سنة الى الآن اكثر مما زادوا في مئات من السنين قبلها . والزيادة المطَّردة دليل الرخاء واستتباب الامن ودفع الاوبئة والاعتناء بالصحة العمومية ولا سيما صحة الاطفال

واذا نظرنا الى الضرائب التي تدفع الى الحكومة لقاء ما تعملهُ من حفظ الامن والاهتمام بحفظ الصحة والحقوق والتعليم وسائر ما يطلب من الحكومة رأينا ان حملها على النفوس قد خفَّ عمَّا كان عليهِ منذ ثلاثين سنة مع ان اسباب المعيشة قد غلت كلها

ولكن اذا نظرنا الى معايش الناس اي سعة الاطيان الزراعية رأينا انها لم تزد على نسبة زيادة السكان ولذلك لا يمكننا ان نقول ان الثروة العمومية زادت الزيادة الواضحة

ذكاء الحيوان الاعجم وحيلتهُ

طُلب من جماعة من المعتنين بتربية الحيوانات وتدريبها ان يكتب كلٌّ منهم اغرب ما وقع لهُ مما يدل على ذكاء الحيوان او على ما تفتقهُ لهُ حيلتهُ اذا وقع في مأزق فكتبوا ما يلي

قال المستر فرنك بُشتوك . ان خبرتي الطويلة في تربية الحيوانات وتدريبها ارتني شواهد كثيرة تدل على ذكاء الحيوان ولكن اذ قد طلب مني ان اورد حادثة واحدة اجتزيت بالحادثة التالية وقد كان لشمبازي اليد الطولى فيها

ربيت هذا الشمبازي احسن تربية فجاء غاية في الكياسة والتأدب لا ينقصهُ الَّا النطق بل لم يكن في حاجة اليهِ اذا كان معي او مع الذين الفهم لاننا كنا نفهم مرادهُ كأنهُ يخاطبنا بالكلام . وقد سميتهُ فنصل وسأدعوهُ بهذا الاسم في ما يلي

حدث ذات يوم اني اتيتهُ بقرد صغير شديد الذكاء وشديد الاذى . وكان انوفاً يترفع عن معاشرة ما دونهُ من القرود لكنهُ رحب بهذا القرد على غير عادتهِ فاصطحب الاثنان وكانا يقضيان اكثر النهار سوية يلعبان ويمرحان على جاري عادة القرود

وكنت قد عوَّدت فنصل المعيشة المرفهة فلهُ مخدع خاص يبيت فيهِ ومائدة يأكل طعامهُ عليها بتأدب وتأنق . واتفق ذات يوم ان القرد الآخر قلب صحفة الطعام فانكب على الارض وجاء فنصل يتناول طعامهُ وهو لا يعلم ما حدث فاصابت يدهُ الطعام المكبوب على الارض فرفعها حالاً مشمئزاً وكنت واقفاً فجعلت اراقبهُ وانا انتظر ان يهجم على القرد ويضربهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل وقف هنيهة كأنهُ يفكر في ما يجب عملهُ في تلك الحال ثم خرج من الغرفة وعاد بعد دقيقة من الزمان ومعهُ صابون ومنشفة ودلو ماء ومشى الى القرد بعظمة وتأنٍّ وقبض على رقبتهِ واعطاهُ المنشفة وجرَّهُ الى حيث الطعام المكبوب واضطرهُ الى لمهِ وغسل مكانهِ ثم اخذهُ الى خزانة ووضعهُ فيها واقفل بابها ووقف امامها مصغياً ولما رأى ان القرد لم يبدِ حراكاً عاد الى المائدة وجلس وتناول طعامهُ على جاري عادتهِ ودلائل الانفة بادية على وجههِ

هذا وان اختباري الطويل في تدريب الحيوانات يدلني على انها واسعة الحيلة جداً وان ذكاءها يقوم بسعة حيلتها

وكتب المستر غاواي المشهور بتربية الكلاب وعرضها يقول : — ربيت الكلب

المعروف بشادر وعرضتهُ في كل المعارض التي تعرض فيها الكلاب حتى صار يحسب انهُ خلق ليعرَض . وكان لهُ ابن سميتهُ شدي ودربتهُ مثلهُ لكي يقوم مقامهُ متى شاخ . واتفق اني عزمت ذات يوم ان اعرض كلاباً جديدة فرأيت ان اعرضهُ معها بدلاً من ابيهِ حيث عُرض ابوهُ مراراً كثيرة قبل ذلك فالبستهُ استعداداً لعرضهِ وكان ابوهُ يرى ذلك فاستغرب فعلي ثم لما مضيت بابنهِ وتركتهُ اخذ منهُ الغيظ كل مأخذ غيرةً وحنقاً . ولما عدت الى البيت رأيت تغيُّر اطوارهِ لانهُ لم يسرع الى ملاقاتي على جاري عادتهِ ولكنهُ بشَّ لي وتبسَّم وهو يبصبص بذنبهِ فظننت انهُ نسي ما حدث وخرجت بهِ في المساء للنزهة على جاري عادتي وبينما انا سائر وهو الى جانبي تركني بغتةً واطلق القدامهُ للريح فناديتهُ وصفرت لهُ ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ولم اعرف سبب ذهابهِ ولكنني كنت واثقاً انهُ لا يلبث ان يعود الى البيت . فصرفتهُ من بالي وسرت نحو المعرض عازماً ان اؤدبهُ على ما فعل حينما اعود الى البيت

ولما دخلت المعرض رأيت فيهِ شيئاً غير عادي زرافات من الناس مجتمعين وكانهم يخافون ان ينتقلوا من امكنتهم فسألتهم ما الخبر فقالوا ان كلبك شادر جاء ليعرض نفسهُ وها هو مع كلب آخر . وكان كذلك فانهُ لما رأى انني اغضيت عنهُ استقل بنفسهِ وذهب الى المعرض وحدهُ ولم يعبأ بي

فناديتهُ فلباني حالاً لان الكلاب التي من نوعهِ من اطوع ما يكون وعاد معي الى البيت ولكن على الرغم منهُ لانني لم ارهُ قط في حالة من القنوط وانكساف البال كما رأيتهُ حينئذٍ

ولقد مضى عليَّ سبع عشرة سنة وانا ادرب الحيوانات واعرضها ولم تقع لي حادثة ادل من هذه الحادثة على ذكاء الحيوان

وكتب المستر فوهل مربي الحيوانات في اميركا يقول كان عندي قرد فهيم أصيب بألم في احد اسنانهِ ونحن في اورلينس الجديدة فاستعملت لهُ كل مسكنات الالم على غير فائدة فضعف جسمهُ وتولاهُ الارق ورأيت ان السن المصابة هي احدى الانياب ويعسر قلعها لطولها فعزم طبيب الاسنان ان يلبسها تاجاً من الذهب وخفت ان لا يجلس القرد امامهُ فاستعنت بثلاثة من الرجال ولكن حالما حقن الطبيب لثتهُ بالكوكايين زال الالم فجلس هادئاً لا يبدي حراكاً فخلع الطبيب الضرس ونظفهُ واتيت بهِ في اليوم التالي وحالما فُتح الباب اسرع الى الكرسي وجلس عليها وفتح فاهُ . وبقينا نتردد على طبيب الاسنان الى ان اتم تلبيس الناب بالذهب والقرد يسبقني ويجلس في الكرسي عن طيب نفس

وبعد سنتين اتينا اورليانس ومررنا امام باب طبيب الاسنان فافلت القرد مني وصعد اليهِ متذكراً انهُ هو الذي اراحهُ من الالم

وكتب الماجور رتشردسن وهو ثقة في امر الكلاب المعروفة بالسلوقية الدموية قال ان امانة الكلب لصاحبهِ من اول دلائل الذكاء ولذلك ارى القصة التالية تنطبق على ما مثلت عنهُ وانا واثق بصحتها . وهي حدثت في الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ ان المعركة التي وقعت في بلد باز يل كانت من اشد المعارك فان الالمانيين امطروا البلد وابلاً من القنابل فقاتلتهم الحامية بمثلها ولم تسلّم ثم واخيراً اقتحمت فرقة من الالمان بيتاً وقتلوا كل الرجال الذين فيهِ طعناً بالحراب . وداروا حول البيت واذا هم برجل جريح مطروح الى جانب كلبهِ وبندقيتهُ الى جانبهِ واراد الجنود ان يجهزوا عليهِ ولكن ضابطهم منعهم وبعد قليل اضطرمت النار في البيت واسلم الجريح روحهُ وبقي كلبهُ الى جانبهِ حارساً لهُ وكان الضابط الالماني من محبي الكلاب فاشفق على الكلب ان يتركهُ هناك فيحترق فاحتال عليهِ وانقذهُ واخذهُ معهُ

وفي الشهر التالي أُمر هذا الضابط ان يذهب للاستطلاع في غابة قرب اورلين وكان الفرنسويون هناك اقوى من الالمانيين فذهب مع بعض رجالهِ والكلب معهُ ومضى الليل ونصف النهار ولم يأتِ القائد منهُ خبر فارسل مئة وخمسين من الجنود ليقتفوا اثرهُ ويفتشوا عنهُ فساروا الى ان وصلوا الى الغابة فرأوا الكلب يعوي جريحاً عند مدخلها كأنهُ يقصد ان يوجه الانظار اليها ثم مشى امامهم الى ان وصلوا الى كومة كبيرة من الاغصان وجانب منها مكشوف وتحتهُ وجه الضابط صاحب الكلب وعلموا حينئذٍ ان الفرنسويين التقوا بالالمانيين وقتلوهم كلهم وطموم باغصان الاشجار ورموا الضابط بالرصاص لكن الكلب وثب واستلق الرصاصة بيدنهِ فغرقتهُ فلما وصلت الى الضابط فتركهُ الفرنسويون حاسبين انهم قتلوهُ اما هو فنهض وفتش عن الضابط ورفع الاغصان عن وجههِ لئلاَّ يختنق . ولما وُجد الضابط كان مغمًى عليهِ فارتمى الكلب الى جانبهِ حينئذٍ وقضى نحبهُ . وبقي الضابط غائباً عن الصواب اربعة ايام ولما افاق كان اول شيء قالهُ انهُ سأل عن كلبهِ واخبر بما عمل لنجاتهِ ثم بنى لهُ قبراً كتب عليهِ « كان اميناً حتى الموت . افتدى صاحبهُ بنفسهِ وهدى المنقذين اليهِ »

وكتب الكونت هولندر وهو من اخبر الناس بتربية الكلاب قال

عندي كلبان من النوع المسمَّى بول ترير فلما اخرج من بيتي الاَّ ويرافقني واحد منهما او كلاهما . وهما اقدر من كثيرين من الناس على المسير في الشوارع المزدحمة معاً اشتدَّ

الازدحام فيها ومعها كثرت المركبات السريعة الجري والغالب اني اسير بهما كل صباح في التيوب (الترامواي الذي تحت الارض) حتى اذا بلغنا الروض المعروف بهيد بارك اصعدتهما اليهِ لكي يلعبا ويرحا فيهِ. هذا اذا كانت السماء صاحية واما اذا كانت ممطرة فاني اظل سائراً بهما الى ان نصل الى ملعب بكادلي. وكلما كنا ندنو من محطة هيد بارك كانا يقفان وينظران اليَّ كأنهما يقولان دنونا من المحطة المعهودة فما رأيك فاني. فلت لها كلاَّ الدنيا ممطرة جلسا في مكانيهما لا يتحركان الى ان نصل الى ملعب بكادلي فينهضان كاسفي البال كانهما يعلمان انهما حرما من هيد بارك ذلك اليوم. وقطر الترامواي يمرُّ على محطات كثيرة قبل وصولهِ الى هيد بارك ونحن تحت الارض لا نميز الواحدة عن الاخرى ولا ندري اين نحن الآ من كلام المرشد اما هما فيعلمان دنونا من محطة هيد بارك قبل وصولنا اليها كأنهما يعدان المحطات التي قبلها عدًّا

وكتب السنيور برتلي فولبي صاحب ملعب الحيوانات الايطالي الملكي يقول

لقد وقع لي كثير من الحوادث الدالة على ذكاء الحيوان وسعة حيلتهِ ولكن الحادثة التالية اوضحها وارسخها في ذهني وقد حدثت لما كان معي الدبة الكبيرة التي كنت اسميها مدام بتاتيا وكثير من السعادين. فقد مضيت الى ايطاليا قبل الحادثة المشار اليها وعدت منها وقد اطلقت لحيتي. ولما دخلت الملعب على جاري عادتي دلت الدبَّة مني وسيرها يدل على الحذر والتحسُّب فادركت حينئذٍ انها لم تعرفني بسبب اطلاقي لحيتي فناديتها باسمها فوقفت في مكانها وقفة المرتاب فوضعتُ يدي على لحيتي فعرفتني حالاً وبشَّت لي. ورآني اكبر السعادين ولم يعرفني فوثب عليَّ يريد تمزيقي ولكنهُ لم يكد يصل اليَّ حتى وقفت الدبة على رجليها وضربتهُ بكفها ضربة جبار من الجبابرة واشتدَّ الصراع بينهما وانا انادي السعدان وهو يسمع صوتي فيعرفهُ ولكنهُ ينظر اليَّ فيجهلني واخيراً دخل بعض اتباعي واصدوهُ عني. ودنت الدبة مني حينئذٍ وجعلت تحرك انفها بوجهي وامسكت لحيتي بيدها وحاولت نتفها وكأن لسان حالها يقول اعذر السعدان لانهُ جهلك ولو نزعت لحيتك لعاد الى معرفتك. ففعلت كما قالت

وكتبت مسز هارتسهورن رئيسة مستشفى طب الحيوان. تقول انا طبيب في هذا المستشفى الحيوانات التي اصحابها فقراء لا يستطيعون ان ينفقوا على تطبيبها. ولقد رأيت اموراً كثيرة من هذه الحيوانات تدل على ان البعض منها افهم من اصحابها. واغرب حادثة رأيتها مما يدلُّ على ذكاء الحيوان ان جاءني رجل ذات يوم بيغاء مريض مشرف على الموت فجعلت اعتني بهِ وحالما استرد شيئاً من قوته جعل ينادي قائلاً "بالله عليكم نادوا الطبيب

البيتاه مريض » . فاستغربت ذلك وجعلت ابحث عمَّن عَلَّمهُ ان يقول هذا القول فعلمت انهُ يخص امرأة تعتريها نوبات الم شديد وكلما اعترتها النوبة تنادي « بالله عليكم نادوا الطبيب » فتعلَّم منها هذا الحداء والظاهر انهُ فهم معناهُ وزاد عليهِ من عندهِ الكلمتين الاخيرتين

وكتب المستر كولم سكوت سكرتير ملجإ الكلاب الضالة يقول

ان اغرب حادثة وقعت تحت نظري ممَّا يدلُّ على فهم الحيوان حادثة كلب جاءني بهِ رجال البوليس منذ ايام قليلة فان صاحب هذا الكلب اشتراهُ من لندن منذ عهد غير بعيد وجاء بهِ في سكة الحديد الى بدفورد ونزل في اقرب محطة الى بيتهِ وهي تبعد عنهُ ميلاً ونصفاً. والظاهر ان الكلب انف من البقاء عندهُ واراد الرجوع الى المكان الذي كان فيهِ فهرب من البيت خلسة ومضى يومان لم يسمع صاحبهُ الجديد عنهُ شيئاً ثم جاءهُ كتاب من احد اصدقائهِ يقول لهُ فيهِ اني رأيت كلباً في مركبة من سكة الحديد التي تسير بين بدفورد ولندن على طوقهِ اسمك وقد حاولنا مسكهُ فلم نستطع واخيراً اختنق قرب المحطة الفلانية

وبُعد البيت عن المحطة ميل ونصف كما تقدم والقطر الذي يعود الى لندن لم يقم من المحطة الأبعد هرب الكلب من البيت باثنتي عشرة ساعة ثم ثبت انهُ انتظر هناك الى ان جاء القطر الذي يعود بهِ الى لندن الى بيتهِ القديم وصعد الى المركبة التي جيء بهِ فيها. فكيف ميَّز القطر الذي يعود بهِ الى لندن من غيرهِ وميَّز المركبة التي جاء فيها من غيرها. ولكن الشواهد على ان الحيوانات من كلاب وقطط ونحوها تهتدي الى بيوتها كحمام الزاجل كثيرة جداً يعدُّ منها ولا تعدُّ

هذه خلاصة ما كتبهُ جماعة من اشهر المعتنين بتدريب الحيوانات وقد قال اكثرهم انهم رأوا شواهد كثيرة تدلُّ على ذكاء الحيوان وواسع حيلتهِ ولكنهم اقتصروا على ايراد حادثة واحدة لانهُ طُلب منهم ذلك

ولما انتبه احد الى اطوار الحيوانات ولاسيما الاهلية الأ ورأى فيها ما يماثل الحوادث المذكورة آنفاً ولكن العلماء الذين امتحنوا مدارك الحيوان امتحاناً علمياً لم يثبت لهم انهُ واسع الحيلة بنوع عام كأنَّ الامور الغريبة التي تشاهد منهُ خاصَّة ببعض افرادهِ لا تشترك فيها الانواع التي من جنس واحد ولا افراد النوع الواحد ولولا ذلك لرأينا بعض انواع الحيوان الاعجم ارقى كثيراً مما هي عليهِ الآن ثم ان الحيوان الذي يبدو منهُ الفهم والذكاء في بعض الامور يبدو منهُ الجهل والحمق في امور اخرى تزيل المزايا الاولى

ممالك البلقان

الصرب

يرجع اصل الصربيين الى قبائل سلافية كانت تقوم على حراثة الارض في غاليسيا الى الشمال الشرقي من بلاد النمسا ثم زحفت جنوباً الى شواطىء البحر الاسود في اوائل القرن السادس للميلاد ومن هناك اخذت تتقدم غرباً الى ان نزلت البلاد المعروفة الآن ببلاد الصرب . وكان الصربيون في اول امرهم ينقسمون الى قبائل على كل منها امير وقلما تبطل الحرب بينهم لشدة منافسة الامراء وطموح كل منهم الى السيطرة على غيره

وفي اواخر القرن السابع قامت البلغار وعظم شأنها فتطالت الى السيطرة عليهم فبقي امراؤهم نحو اربعة قرون يخضعون تارة للبلغار وتارة للروم

ثم قام منهم في اواسط القرن الثاني عشر امير يقال لهُ اسطفانوس نمانيا فجمع كلمتهم واستولى على اكثر المقاطعات الصربية . وما زال خلفاؤهُ يغزون بلاد الروم ويقتسمون اطرافها حتى نشروا سلطانهم على القسم الاكبر من البانيا ومكدونيا وتتوج واحد منهم امبراطوراً على الصرب والروم سنة ١٣٤٩ وكانت عاصمتهُ مدينة اسكوب التي استرجعتها الصرب بالامس

ولما قوي شأن الاتراك ودخلوا بلاد البلقان وعجزت مملكة الروم عن صدهم كانت امبراطورية الصرب قد اخذت في الانحطاط فخشي اهلها عاقبة الامر وبادروا الى اصلاح ما اختل من شؤونهم وكان عرش الصرب خالياً بانقراض العائلة المالكة فملكوا عليهم رجلاً يدعى لازار ولكن السلطان مراد عاجلهم بالخيل والرجل فالتقى الجمعان في سهل قوصوه وكانت هناك الموقعة المشهورة التي فاز فيها العثمانيون وقُتل فيها السلطان مراد غيلة والملك لازار صبراً وذلك في الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٣٨٩

فصار الصربيون يؤدون الجزية لسلاطين آل عثمان ولكن الامر بقي لامرائهم . ولما كانت سنة ١٤٢٧ قام منهم رجل اسمهُ جورج برنكوفتش وحاول الخروج على الاتراك فاستعان بهنيادي المجري وجمعا جيشاً من المجر والصرب فاستظهرا على الاتراك في موقعة قونوفيترا سنة ١٤٤٤ ولكن السلطان محمداً الثاني غزا الصرب سنة ١٤٥٩ فاكتسحها وضمها الى الاملاك العثمانية

ثم لما تطرّق الخلل الى الادارة العثمانية وآنس السربيون منها الضعف في اوائل القرن التاسع عشر انتهزوا فرصة عصيان الانكشارية في بلغراد والتفوا حول بطلهم جورج بتروفتش المشهور بقره جورج فشتتوا شمل الانكشارية وطردوهم من بلادهم واقاموا لهم حكومة مستقلة

ولما اثارت دولة الروس الحرب على الدولة العلية سنة ١٨٠٧ رأى الباب العالي ان يسالم قره جورج هذا ليكفي شره فعرض عليه امارة البلاد السربية مع بعض الاستقلال فابى · ولكن روسيا اضطرت الى عقد الصلح مع الدولة لتتفرغ لصد اغارة نابوليون عليها وعقدت معاهدة بخارست مع الدولة العلية وبموجبها اعيدت السرب الى الدولة العلية فتشبتها العساكر العثمانية ثانية وامتلكت كل حصونها ومعاقلها ولم يرَ قره جورج الا الفرار سبيلاً للنجاة

ولكن نار الثورة ما لبثت ان شبت ثانية سنة ١٨١٥ بقيادة الزعيم ميلوش ولم تأت سنة ١٨١٧ الا وكانت بلاد السرب قد نالت الاستقلال الاداري من الباب العالي واقرت الدول هذا الاستقلال في معاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩

وبعد ذلك كثرت المؤامرات السياسية لتبديل الامراء واعيانهم ولكن البلاد تقدمت في العلوم والتجارة والصناعة رغماً عن ذلك · ولما تولى الامارة ميخائيل اوبرنوفتش غيّر نظام الحكومة من غير ان يستأذن الباب العالي واصلح الادارة ونظم الجيش وعزز مركزهُ بسياسته الخارجية واتفق مع اليونان والجبل الاسود والبوسنه والهرسك والبلغار والالبان على ان يقوموا على الدولة العلية قومة الرجل الواحد ثم ارسل الى الباب العالي يطلب خروج الجنود العثمانية من كل الحصون السربية · فرأى الباب العالي ان يجيب طلبهُ منعاً لوقوع شر مستطير لتاجج نارهِ في البلقان

وسنة ١٨٧٦ شهرت السرب الحرب على الدولة العلية فبعثت الدولة اليها عبد الكريم باشا بجيش جرار فشتت شمل جنودها وكاد يقضي على استقلالها لو لم تتدارکها روسيا باعلان الحرب على الدولة العلية

وانتهت هذه الحرب بمؤتمر برلين فاعترف هذا المؤتمر باستقلال السرب فاصبحت مملكة مستقلة وذلك سنة ١٨٧٨

ولكن هذا المؤتمر شرط على الحكومة السربية ان تمد خطوط السكك الحديدية

وتعوض على الاتراك الذين اخذت املاكهم فازدادت نفقات خزينتها على قلة دخلها واضطرت الى عقد القروض وزيادة الضرائب مما نفّر الشعب من الحكومة والملك وقوّى الحزب المضاد لهما

ولما ضُمّت الروملي الشرقية الى البلغار قامت السرب لذلك وقعدت واخذت تصخب وتطالب بالتعويض لاجل حفظ الموازنة في البلقان واذ لم تجد لندائها مجيباً شهرت الحرب على البلغار فكان نصيبها الخذلان في ميدان القتال ولكن النمسا وقفت في وجه البلغار فخرجت السرب من هذه الحرب لا عليها ولا لها

واشتد النزاع بين حزبي البلاد السياسيين فكان احدهما يميل الى روسيا ويضاد الحكومة والآخر ينقم عليها لمساعدتها البلغار ويؤيد الحكومة فرأى الملك ميلان ان يتنازل عن عرش السرب لابنهِ اسكندر لشدة مضادة الحزب الاول لهُ . واذ كان ابنهُ قاصراً تولى الحكم اوصياء يحكمون بالنيابة عنهُ فعجزوا عن التوفيق بين الحزبين وبقي الخلاف بينهما يشتد حتى تعرقلت اعمال الحكومة وتعطلت اشغالها . فهبَّ الملك اسكندر حينئذٍ لتدارك ملكهِ وهو فتىً في السابعة عشرة من العمر فصرف اوصياءهُ واستلم زمام الحكومة بنفسهِ واظهر ميلهُ الى الحزب الروسي . ولكن القائمين بهذا الحزب لم يكونوا على رأي واحد فتعذر عليهِ ارضاؤهم وامسى موقفهُ حرجاً وخشي على عرشهِ من الضياع . فاستدعى اباهُ الى البلاد واخذ بسياسة الحزم والشدة فهدأ ثائر الاحزاب قليلاً وانصرف الناس الى الاهتمام باعمالهم فتقدمت الزراعة والتجارة لكن نقم عليهِ جمهور كبير من الشعب لجعلهِ اباهُ قائداً عاماً للجيش وتزوجهِ بدراغا من حاشية والدتهِ . فنفى اباهُ وجعل الحكومة دستورية برلمانية ومال بكليتهِ الى السياسة الروسية طمعاً بارضاء الشعب . ولكن فريقاً كبيراً من شعبهِ بقي ناقماً عليهِ فقتلوهُ هو وزوجتهُ شر قتلة سنة ١٩٠٣ وتجد تفصيل ذلك في الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين من المقتطف . فدعي البرنس بطرس قره جيورجفتش لتولي الملك ولم يزل على عرش السرب الى يومنا هذا

واهم موارد البلاد الزراعة وتربية المواشي ومن حاصلاتها الذرة والحنطة والقنب والتبغ . ويستخرج من جبالها الفحم الحجري والرصاص والزنك والانتيمون والنحاس والحديد وقليل من الذهب والفضة . واكثر تجارتها في اصدار المواشي وقد بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩١٠ ٣٧٩٧٧٧٨ جنيهاً ووارداتها ٣٢٢٩٢٥١ جنيهاً

البلغار

في اواخر القرن السابع للميلاد ظهرت في البلقان قبيلة من القبائل الطورانية الاسيوية الاصل قليلة العدد شديدة الوطأة تُعرف بالبلغار . نبت بها مواطنها ما بين جبال اورال ونهر الفولكا فغادرتها وواصلت السير عاكثة بما تمر بهِ من البلاد الى ان ضربت خيامها عند اسوار القسطنطينية وسلانيك . فرأى امبراطور الروم ان يتقي شرها بتخلية بلاد ميسيا لها واعطائها مبلغاً من المال كل عام . فاستوطن البلغار ميسيا واختلطوا بسكانها السلاف واقتبسوا لغتهم وعوائدهم وتمدنهم حتى اصبح الفريقان امة واحدة وغلب على ميسيا اسم بلغاريا او البلغار

وقويت شوكة البلغار وامتد سلطانهم ولم ينفجر عليهم القرن العاشر الا ودانت لهم البلاد من البحر الاسود شرقاً الى بحر الادرياتيك غرباً ومن تساليا جنوباً الى جبال كرباثيا شمالاً وتلقب ملكهم بسلطان البلغار والروم وازهرت قاعدة ملكهم بالعلوم والفنون

ولم تطل مدة هذه السلطنة فانشقت الى مملكتين الواحدة الى الشرق وعاصمتها برسلاف والاخرى الى الغرب وعاصمتها اوخريدة . فاحتال الروم على سلطان الاولى فخلعوهُ عن العرش واخضعوا بلادهُ ولم يطل عمر الثانية فلحقت باختها

وسنة ١١٨٦ نهض البلغار بقيادة ابران اسان وهو من سلالة ملوكهم فخلعوا نير الروم واسسوا سلطنتهم الثانية وكانت قاعدتها ترنوه . وازهرت هذه السلطنة بالعلوم والفنون والتجارة ولكن السربيين كانوا يخشون سطوتها اذا قويت عليهم فما زالوا يتحينون الفرص حتى خضدوا شوكتها سنة ١٣٣٠

وجاء الاتراك شبه جزيرة البلقان في القرن الرابع عشر واخذوا يفتحون الحصن بعد الحصن ويستولون على المدينة بعد الاخرى وامارات البلقان في شغل من المشاحنات والمنازعات حتى فتحوا مدينة ترنوه سنة ١٣٩٣ فدانت لهم بلاد البلغار وأُلحقت بالاملاك العثمانية وبقيت على هذه الحال نحو خمسة قرون

ولما دخل القرن التاسع عشر نهض اليونان والسرب لطلب الاستقلال وبقي البلغار في سبات عميق وجهل مطبق . ولكنهم ما لبثوا ان دبّت فيهم روح العلم والتهذيب فاسسوا مدرسة بغابروفا سنة ١٨٣٥ ولم تمضِ على تاسيسها عشر سنوات حتى قامت عشر مدارس اخرى على شاكلتها تعلّم اللغة البلغارية وتبث الروح القومية . وكان اول ما وجهوا اهتمامهم اليهِ بعد ذلك الخلاص من الاكليروس اليوناني ثم لهم فصل كنيستهم عن بطركية

البلغار سنة ١٨٧٠ اذ اصدر السلطان فرماناً يقضي باستقلالها ويخوّلهم حق انتخاب اكسرخوس يرأسها ويقيم في الاستانة

وسنة ١٨٧٦ ظهرت روح الثورة في البلغار وحدثت المذابح المشهورة وشهرت روسيا الحرب على الدولة العلية فتطوع البلغار في العسكر الروسي واشتهروا بشجاعتهم وثباتهم · واكره الباب العالي في معاهدة سان ستفانو على الاعتراف بمملكة بلغارية تمتد من الدانوب شمالاً الى بحر ايجه جنوباً ومن البحر الاسود شرقاً الى البانيا غرباً بشرط ان تبقى سلانيك وادرنه للدولة العلية · فنقضت دول اوربا ذلك في مؤتمر برلين وضيقت حدود البلغار الى ما بين نهر الدانوب وسلسلة جبال البلقان وجعلتها امارة مستقلة تحت سيادة السلطان ومنحت الروملي الشرقية استقلالاً ادارياً

فاجتمع اعيان البلغار في ترنوه وسنوا دستوراً لحكومتهم على المبادئ الديموقراطية وانتخبوا اميراً عليهم البرنس اسكندر باتنبرج الالماني ابن اميرهس ثم عملوا على التخلص من العمال الروسيين الذي حكموا البلاد في الفترة بين الحكم العثماني والاستقلال فجر ذلك غضب روسيا عليهم وعلى اميرهم لانهُ مالأهم على عملهم هذا · وقام في البلاد حزبان الواحد يرمي الى مجاراة روسيا في جميع رغائبها والآخر يقول باتباع سياسة بلغارية محضة

وسنة ١٨٨٥ قام البلغار في الروملي الشرقية على حاكمهم فخلعوهُ واعلنوا انضمامهم الى الامارة البلغارية فوافقهم الامير اسكندر واستقبلوهُ بالحماس الشديد · فجعلت روسيا تغري الدولة العلية بالتنكيل بهم ورأت السرب حرج موقفهم فشهرت الحرب عليهم ولكنها ارتدت مدحورة كما ذكر في الكلام على السرب واعترف الباب العالي بالامير اسكندر حاكماً على الروملي الشرقية

وبقيت روسيا تعمل على تقوية حزبها حتى اضطرت الامير اسكندر ان يتنازل عن الامارة · فتألفت لجنة من البلغار واخذت تطوف عواصم اوربا تطلب اميراً لهم واخيراً اجمع اعضاء الصوبرانية على انتخاب البرنس فرديناند وكان ضابطاً في الجيش النمسوي حين انتخابه

فاستلم اعباء الامارة سنة ١٨٨٧ وكانت احوالها الداخلية مضطربة والدول غير راضية عن تعيينهِ وروسيا تعمل على عرقلة مساعيهِ · ولكن ازمة الحكومة كانت في يد الوزير ستامبولوف الذي اشتهر بحنكتهِ ودرايتهِ في تسكين الاضطراب في البلاد وتمهيد السبل للامير الجديد · ولم تعترف بهِ الدول اميراً على البلغار وحاكماً على الروملي الشرقية الاّ سنة ١٨٩٦ بعد ان ارضى روسيا

وما زال البلغار يدأبون في تقوية امارتهم ورفع شأنها حتى حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ فاعلنوا استقلالهم ولم يسع الباب العالي الا القبول بمطالبهم . فالبلغار الآن مملكة مستقلة حكومتها دستورية

واهم موارد البلاد الزراعة فتجود فيها الحنطة والذرة والشعير والشوفان والتبغ ويصنع فيها عطر الورد والخمر . ويربى فيها من الماشية الجاموس والخيل والبقر والغنم والمعزى وغيرها .
اما مصنوعاتها فقليلة واكثر المنسوجات تأتيها من النمسا غيران الحكومة توجب على مستخدميها لبس المنسوجات الوطنية وتتخذ ثياب الجيش من مصنوعات البلاد . وتجارتها آخذة في التقدم وسنة ١٩١٠ بلغت قيمة صادراتها ٥١٦٤٠٠٠ جنيه ووارداتها ٧٠٩٣٠٠٠ جنيه

ويمتاز البلغار على سائر الشعوب البلقانية بشدة صبرهم على المشاق وثباتهم في الاعمال وميلهم الى السلم والسكينة وقد بلغ عددهم ٤٣٢٩١٠٨ سنة ١٩١٠

العام الجديد

١٣٣١ هجرية

عام يمر سارحاً ويعود	فلكٌ يدور ولبس ثمَّ جديدُ
كدليل ركب حين يبلغ بنشئ	فيؤوب — يصحب نزَّحاً ويقودُ
والأرب تجتذب الجسوم فما لها	إلاَّ الى ذاك السبيل ورودُ
والروح تأبى الانحطاط فتعتلي	وتؤمُّ حيث الارتقاء تورودُ
والشمس حائرة تروح وتغتدي	ما إن لها بعد الطواف ركودُ
والبدر يضحك والدراري بسَّم	كلٌّ لهُ شأن ونحن جمودُ
عمر تعاديهُ السنون فينقضي	سيان فيه الكهلُ والمولودُ
وتعاقُبُ الايام اصدق منذر	وعليه حدثان العصور شهودُ
والناس أضراب فهذا عابث	يلهو وذا استهوى حجاهُ جحودُ
زيد تعصب للمسيح وعامرٌ	لمحمدٍ وسمت بذاك يهودُ
وذباك يطمع في الخلود منعماً	وسواهُ يخشى أن يكون خلودُ
فئةٌ تحنُّ الشعوب تديناً	وعلا لأخرى في الشعوب جحودُ

كلٌّ قد اعتقد الحقيقة عندهُ ... وهي الحقيقة لا الضلال يذودُ

عمرو يهدد بالجحيم عويمراً ... وسلاح زيدك في الورى التهديدُ

والكون ليس بصالح لتقدم ... ما لم يساوِ البيضَ الرعديدُ

الحرب معوان القويّ اذا عتا ... هلكَ الضعيفُ ولم تفده عهودُ

كم عاقل فطن يصيح بقومهِ ... مَن بادر الحرب الضروس يسودُ

يدعو الى خوض المعامع آلهُ ... ويودّ لو يدعوهم أنْ عودوا

مرنت على حب الشرور نفوسنا ... واضلنا سُبُل الهدى التقليدُ

أيتامُ الامم البصيرُ ويدعي ... أنَّ السبيل السالكيهِ حميدُ

لمن الشكاية والخطوب مضيقة ... ومن المناصر والجموع رقودُ

عمَّ البلاء الكون فهو مسلّط ... اُمماً على امم بهنّ صدودُ

وتنازعُ الامم البقاء أبادها ... إن التنازع في الفتات مبيدُ

ماذا دها طسماً وغال جديسها ... بل فيمَ بادت صالح وثمودُ

شعب يهبّ مكافحاً شعباً فمن ... يكفيه فالكو هو المجدودُ

ولقد عجبت وكم رأيت عجائباً ... لحدوثها شمّ الجبال تميدُ

من حاكمين تشاجرا فتزاحفت ... نحو القتال فيالق وجنودُ

امٌّ يروّعها فراق وليدها ... وأبٌ يناديهِ الوداعَ وليدُ

ماذا جنى الجنديّ حتى استاقهُ ... كالمجرمين الى الفناء عميدُ

عهدي بان العدل يأخذ من جنى ... يقتصُّ منهُ والبريءُ سعيدُ

ما بال ذي الامم استبدَّ رعاتها ... بالحكم هل هي للرعاة عبيدُ

خضعت لذلكم الشاة كأنها ... شاة تقاد لحتفها فتبيدُ

فقدت رياضة جأشها فاستسهلت ... فأدلها استسلامها المنكودُ

كم هاتف للسلم ودَّ لو أنهُ ... يقطع المرتكز والمعهودُ

لم يجدهِ ذاك الهتاف وانما ... تلكم أمانٍ لات حين تبيدُ

ومضلّل خال العصور صبيّةً ... فغدا على الايام وهو حقودُ

ما كان ذنب الكأس وهي نقية ... ان كان في لون المياه كنودُ

والكون إن خلت بهِ نار الوغى ... ذات اتقاد فالانام وقودُ

دمشق — خير الدين الزركلي

علم الفلك عند العرب

نشرت الجامعة المصرية الخطب النفيسة التي القاها فيها العلامة الشهير السنيور كارلو نلّينو في السنة الدراسية (٩ ١٩ — ١٩١٠) وقد طبعت الآن في مدينة رومية. ومن يطلع على هذه الخطب لا ينتظر ان يجمل منها علم الفلك وقد لا يلمّ بكل تاريخهِ عند العرب ولكنهُ يخرج منها مستفيداً فائدتين كبيرتين الاولى اجتهاد علماء العرب في المباحث الفلكية الرياضية ووضعهم قواعد المثلثات الكروية الموصلة الى صحة الحسابات الفلكية. والثانية تدقيق هذا الاستاذ وامثالهِ من علماء اوربا في بحثهم وسعة معارفهم بالكتب العربية ومؤلفيها وتمحيصهم لما فيها وفرزهم الغث من السمين. واليك ما قالهُ عن كتاب تنكلوشا البابلي وكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشيَّة استطراداً قال

« فقط في اوربا نسختان [١] من كتاب يمال المطلع عليهِ اوّل بدءِ انهُ ترجمة تأليف تنكلوس الى العربية. واسم الكتاب في نسخة مدينة ليدن: « كتاب تنكلوشا البابلي القوفاني [٢] في صُوَر درج الفلك وما تدلّ عليهِ من احوال المولودين بها نقلهُ من اللغة النبطية الى العربية ابو بكر بن [٣] احمد بن وحشية واملاه على ابن [٤] ابي طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد بن محمد بن عبد الملك الزيات ». وفي نسخة مدينة بطرسبورغ: « كتاب سكلوشا (كذا) القوفاني من اهل بابل في صور درج الفلك وبعض دلائلها على ما اخذ عن القدماء ». وغاية الكتاب وصف الصُّوَر العجيبة التي يتوهم المؤلف ان تطلع مع كلّ درجة من درج البروج الثلثمائة والستين ثم ذكر صفات واخلاق مَن كان طالعُ مولدهِ

---

(١) *Catalogus codicum orientalium Bibliothecae Academiae Lugduno Batavae*, Lugduni Batavorum 1851-1877, t. III, p. 81, nr 1047 — V. Rosen, *Les manuscrits arabes de l'Institut des langues orientales*, St. Petersbourg 1877, nr. 191, 2° — ولعل نسخة ثالثة محفوظة بالمكتبة اللورنسيانية (Biblioteca Laurenziana) في فرنسي (Firenze) من مدن ايطاليا

(٢) والصحيح القوفاني نسبة الى قوفا وهي الآن قرية تسمى عقرقوف في بلاد ما بين النهرين على غربيّ بغداد. اطلب نولدكه (Nöldeke) ص ٤٤٩ من مقالهِ الآتي ذكرها عن قريب

(٣) كذا في النسخة والصواب: (ابو بكر احمد)

(٤) كذا في النسخة. والصواب. (على ابي طالب)

الدرجة المذكورة[1] · وقال مثلاً ان الدرجة الثلثين من الميزان « يطلع فيها زحل في صورته العظمى التي لا يطيق احد ان ينظر اليه ولا ان يدوم نظره على صورته الف سنة من شدة البرد والكزاز وهو جالس على رفرف من ديباج وقد جعل احد رجليه على فخذ الآخر وعلى رأسه تاج من الزمرد الاخضر وفي يده اليمنى طوق من حجارة الشبج فيه مرآة كبيرة علاة وهي تلمع وتبرق ولحيته كبيرة بيضاء مثل الثلج وفي رجله خفا ديباج اسود جلد السواد وهو مشتمل بكساء خزّ احمر اسود شديد السواد وهو ساقط مطرق »[2] · وقال ان الدرجة السادسة عشرة من برج العقرب « يطلع فيها لوح ذهب مدفون حواليه فصوص زمرد اخضر ورجل شيخ جالس في حجره مصحف يقرأ فيه اخبار قياما الملك والقاصمة »[3] · وعلى قوله الدرجة التاسعة من برج القوس « يطلع فيها عقوبا الحكيم في صورته اذ كان شاباً جميلاً وقد اخذ بيده جارية حسناء وهو يحدثها بحديث صغار لا يفهمه احد ويضحك اليها ومن يمينها الصنم المقبّر الذي حُمل فيه رأس ريخانا الملك الى عمه فلما رآه مات فبقي الصنم بموضعه سنة لا يمسه احد ولا ينظر اليه والباب دونه مُغلق الى ان جاءهم رسول ملك الفرس فدخل البيت وحرق الصنم والرأس فيه »[4] · — وجميع الكتاب خرافات مثل هذه يحكيها لدرجة درجة من فلك البروج فاذا قابلناها على ما وصل الينا من تأليف توكرس او تنكلوس الحقيقي وجدنا بين الكتابين فرقاً عظيماً بل بوناً شاسعاً · ويركن تنكلوشا القوفاني (او بالحري ابن وحشية او ابو طالب الزيات حسبما سأبينه) الى حكماء اهل بابل الاوائل ودعاهم باسماء عربية مختلفة اختلافاً واضحاً مثل أرميسا ويرعانيا الخسرواني وغيرهما · فلا ريب ان هذا الكتاب هو المذكور في الفلاحة النبطية لابي بكر احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية النبطي[5] ·

---

(١) مثال ذلك يكون مالكاً مطرقاً يجمع الكتب ويكثر النظر فيها ويتعلم اكثر العلوم ويحوي على ما يريد الاحتواء عليه ويبلغ مطالبه ومقاصده او اكثرها

(٢) Chwolson, p. 463 (=135) n. 290

(٣) Chwolson, p. 463 (=135) n. 289

(٤) Chwolson, p. 465 (=137) n. 294

(٥) النبط او النبيط في اصطلاح العرب في القرون الاولى للهجرة اسم اهل الحضر المتكلمين باللغات الارامية الساكنين في الشام وخصوصاً في بلاد ما بين النهرين · فليسوا النبط او الانباط الذين اتسعت مملكتهم في ارض الحجاز الشمالية الى حدود فلسطين ونواحي دمشق وصارت سنة ١٠٥ م ولاية من ولايات الرومان

ويشطر في ذلك الى وصف كتاب الفلاحة النبطية [1] ولو بغاية الاختصار . قال صاحبهُ في مقدّمتهِ انّ الكتاب الاصليّ ألّفهُ قبلهُ بالوف سنين حكيم بابليّ اسمهُ قوثامي نقلاً عن كتب القدم من تآليفهِ بكثير وضعها ضغريث وينبوشاد وانّ ابن وحشية ترجمهُ من لسان الكسدانيين او النبطية (والمراد اللغة البابلية القديمة) الى العربية سنة ٢٩١هـ = ٩٠٤م [2] واملاهُ سنة ٣١٨ = ٩٣٠ على تلميذهِ ابي طالب احمد بن الحسين بن عليّ بن احمد الزيّات . مغتراً بهذا الكلام وبما وجد في الكتاب من الامور والاسماء العربية زعم خولسن [3] انهُ من آثار بابل القديمة النفيسة ضاعت لولا ابن وحشية وابو طالب الزيات فاستنبط من ذلك الاستنباطات البعيدة . وتعلموا انّ الفلاحة النبطية تتعلق بالعلوم السحرية اكثر منها بالطبيعيات والنبات فقال ابن خلدون [4] : « وتُرجم من كتب اليونانيين (كذا) كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك [5] على علم كبير . ولمّا نظر اهل الملّة [6] فيما اشتمل عليهِ هذا الكتاب وكان باب السحر مسدوداً والنظر فيهِ محظوراً فاختصروا منهُ على الكلام في النبات من جهة غرسهِ وعلاجهِ وما يعرض لهُ في ذلك وحذفوا الكلام في الفنّ الآخر منهُ جملةً . واختصر ابن العوّام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفنّ الآخر منهُ مغفلاً نقل منهُ مسلمة في كتبهِ السحرية امهات من مسائلهِ » . وقال في موضع آخر [7] : « وكانت هذه العلوم [8] في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الاّ القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيهِ ووُضعت بعد ذلك الاوضاع »

---

(١) نقل شيئاً من هذا الكتاب محمد راغب باشا في كتاب سفينة الراغب المطبوعة ببولاق سنة ١٢٨٢ (ص ٦٧٠ الى ٦٧٥)

(٢) وفي كتاب سفينة الراغب ص ٦٧١ (سبعين) غلط . والصواب تسعين

(٣) ص ٢٢٠ الى ٦٦٤ من كتابهِ السابق ذكرهُ ص ١٩٨

(٤) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٣١ من طبعة بيروت سنة ١٨٧٩ م وص ٥٠١ من طبعة مصر سنة ١٣٢٧ وج ٣ ص ١٦٥ من الترجمة الفرنسية لدي سلان

(٥) اي من علم الفلاحة المرتبطة بعلوم السحر

(٦) اي الملة الاسلامية

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٤ بيروت وص ٥٥٤ مصر وج ٣ ص ١٧١ من الترجمة

(٨) اي علوم السحر والطلسمات

اما الذين جاؤوا بعد خولسن من الباحثين عن حقيقة ذلك الكتاب لاسيما كُتشمِدْ المذكور آنفًا ونُولْدَكِهْ [1] فبرهنوا بالبراهين القاطعة على انهُ من تأليفات الشعوبية المفرطين في تفضيل الامم الاجنبية على العرب المحض المتخذين كلَّ وسيلة جائزة كانت ام مكروهة ام مذمومة بلاغًا الى مُبتغاهم · فغرض كتاب الفلاحة النبطية اثبات انّ قدماء اهل بابل قد توصلوا في مدارج الحضارة والتمدّن والتقدّم العلميّ الى غاية لم تتقرّب منها العرب في الجاهلية ولا فيما بعد الاسلام · وحيث ان معرفة احوال بابل وآثور القديمة قد اندرست كليًّا منذ قرون عند الشرقيين اخترع صاحب الفلاحة النبطية الاسماء والنوادر والاخبار وزوّر ولفّق وموّه ودسّ كلّ واد هام ووشّى كلامهُ وسجع كتابهُ بالخرافات الشنيعة والاكاذيب الفظيعة

ومن اعجب العجائب ان كتاب الفلاحة النبطية على المحتمل ليس تأليف ابن وحشية كما قيل في عنوان الكتاب وصدره بل انما هو من مختلقات ابي طالب الزيّات [2] الذي نسبهُ الى ابن وحشية اي الى رجل قد مات وقت نشر التصنيف تخلّصًا من ذمّ اخوانهِ المسلمين وتبرئةً لنفسهِ من تهمة النفاق والافتراء · وانتم تدرون ما اكثر مثل ذلك الفعل عند اصحاب الاحكاميات والسحريات والكيمياء وكم من تأليف عزي مثلاً الى هرمس وجاماسب وغيرهما من الحكماء الوهميين وكم نُسب الى ابي معشر ومسلمة المجريطيّ من كتاب أُلّف بعد موتهما بقرون · — واني مرتاب حتى في وجود ابن وحشية الذي عزا اليهِ صاحب كتاب الفهرست من ١١ الى ١٢ مدّة كتب في علوم السحر ومن ٣٥٨ كتابًا في الكيمياء من دون ان يُفيدنا شيئًا ما من احوال حياتهِ · واسماؤهُ ابو بكر احمد بن علي [3] بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا بن بدنيا بن برطانيا ابن غالاطيا (كذا) الكسدانيّ فترون ان اسماء اجدادهِ اسماء وهمية لا اصل لها في اللغات الارامية (ومنها النبطية) او في لغات اخرى بل ان برطانيا وغالاطيا اسما ولايتين مشهورتين من ولايات المملكة الرومانية [4] ذُكرا ايضًا سهوًا

(1) Th. Nöldeke, *Noch Einiges über die "Nabataeischen Landwirthschaft"* (Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft, XXXIX, 1875, 445-455).

(2) راجع ترجمتهُ ص ٤٥٢ الى ٤٥٥ (3) وقيل: بن علي بن قيس بن المختار

(4) اعني Britannia (Βρεττανία) , Galatia (Γαλατία) ولعل بدنيا تحريف بثونيا Bithynia, Βιθυνία او بنونيا (Παννονία, Pannonia)

كتابين لبطلميوس منقولين الى العربية [١] فيتضح انها حُملت اسماء اشخاص تزويراً · وزيادةً على ما قلتهُ نستفيد من كتاب الفهرست ص ٣١٢ ايضاً ان جميع تآليفات ابن وحشية في السحر انما عُرفت برواية ابي طالب الزيات مما يزيدني ريباً في حقيقة وجود ابن وحشية

وقال قبل ذلك في نقل العرب لبعض احكام علم الهيئة عن الهنود قبلما نقلوها عن اليونان ما نصهُ

« وما اقتصر الخليفة المنصور على مجرَّد احكام النجوم وما يتعلَّق بها ضروريًّا بل منذ تأسيس بغداد بسنين قليلة بادر الى احياء علم الهيئة المحض مستقياً من موارد الهند · والذي دعاهُ الى ذلك ان رجلاً هنديًّا جاء بغداد سنة ١٥٤ = ٧٧١ [٢] في جملة وفد السند على المنصور وهو ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر اعمال الفلك على مذهب علماء امتهِ وخصوصاً على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمهُ برَاهْمَسْبهُطَسِدْهَانْتَ [٣] الفهُ سنة ٦٢٨ م (٦ او ٧ هـ) الفلكيّ والرياضيّ الشهير بَرَهْمَكُبْتَ [٤] لملك فيا كَهْرَمُكَهْ [٥] · وكلف المنصور ذلك الهنديّ بإملاء [٦] مختصر الكتاب ثم امر بترجمتهِ الى اللغة العربية وباستخراج كتاب منهُ تتخذهُ العرب اصلاً في حساب حركات الكواكب وما يتعلّق بهِ من الاعمال · فتولى ذلك الفزاري [٧] وعمل منهُ زيجاً اشتهر بين علماء العرب حتى انهم لم يعملوا الا بهِ الى ايام المأمون حيث ابتدأ انتشار مذهب بطليوس في الحساب والجداول الفلكية — اما لفظ سدهانت [٨] فمعناهُ بالسنسكريتية معرفة وعلم ومذهب علميّ وأطلق ذلك اللفظ

(١) وهما الجغرافيا وكتاب الاربع مقالات

(٢) هذا قول البيروني في كتاب تحقيق ما للهند من مقولة في العقل او مرذولة المطبوع بلندن سنة ١٨٨٧ ص ٢٠٨ — اما ابن القفطيّ (ص ٢٧٠ من طبعة ليبسك او ١٧٧ من طبعة مصر) فيقول سنة ١٥٦ هـ = ٧٧٢ م نقلاً عن الزيج الكبير للحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي المتوفى في اواخر القرن الثالث

(٣) Brahmasphutasiddhanta (٤) Brahmagupta

(٥) Vyaghramukha · وهو الملك المذكور في كتاب ابن القفطي ص ٢٧٠ او ١٧٧ — وفهرست ابواب هذا الكتاب وهي اربعة وعشرون يوجد في ص ٧٤ من كتاب البيروني المسمى تحقيق ما للهند من مقولة

(٦) اطلب كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة ص ٢٠٨ و٢١١

(٧) سماهُ ابن القفطي (ص ٢٧٠ ل. ك او ١٧٧ مصر) محمد بن ابراهيم الفزاري · فلتراجع ما سأقوله في ذلك عن قريب

(٨) Siddhanta

اصطلاحاً على كل كتاب في علم الهيئة وحساب حركات الكواكب · فمعنى براهمسبوطسدهانت كتاب الهيئة المصحح المنسوب الى برّهم · وحذف العرب ثلثي اللفظ مقتصرين على الثلث الاخير وهو سدهانت ثم حرّفوه قليلاً لميلهم الى المزاوجة والاتباع في الكلام وضبطوه على وزن اسماء البلاد التي نُقل منها الكتاب فقالوا السندهند وسماه بعض المتأخرين السندهند الكبير تمييزاً بينهُ وبين كتاب السندهند تأليف محمد بن موسى الخوارزمي في عهد المأمون· وخطأ مؤلفو العرب في قولهم ان تفسير سندهند هو الدهر الداهر[1] او دهر الدهور[2] وسبب خطئهم هذا ما سأشرحهُ عن قليل من استعمال ادوار سنين لحساب حركات الكواكب في كتاب السندهند · ولم يصب البيروني إصابة تامة في (كتاب تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٣) « والذي يعرفهُ اصحابنا[3] سندهنداً هو سدهاند اي المستقيم الذي لا يعوج ولا يتغيَّر ويقع هذا الاسم على كل ما علت رتبتهُ عندهم[4] من علم حساب النجوم وان كان قاصراً عن زيجاتنا » — اما ما قالهُ المسعودي في اول الباب السابع من كتاب مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٩ الى ١٥٠ من طبعة باريس) فاكثرهُ خرافات واغلاط لانهُ خلط برهمن وهو احد آلهة الهند ببرهمكبت صاحب كتاب السندهند ثم عكس الترتيب التاريخي الحقيقي للكتب التي ذكرها[5] لان اقدمها في الحقيقة المجسطي والثاني الارجبهر والثالث السندهند والرابع الاركند

وطريقة الكتب الهندية في تعليم حساب حركات الاجرام السماوية طريقة غريبة مبنية على ما يسمّى بالسكرتية كلب[6] وهي جملة الوف الوف ادوار تامة للنيرين والكواكب الخمسة المتحيرة · فان الهند زعموا ان كل الكواكب غير الثابتة خُلقت مجتمعة مع اوجاتها وجوزهراتها في اول برج الحمل اعني في نقطة الاعتدال الربيعي ثم اخذت تتحرك حركات مختلفة السرعة

علق ١١ صفحة ٣٢٣ (١) هكذا ابن القفطي ص ٢٦٦ و ٢٧٠ من طبعة ليبسك (ص ١٧٥ و ١٧٧ من طبعة مصر) نقلاً عن زيج ابن الادمي

(٢) هكذا المسعودي في الباب السابع من كتاب مروج الذهب ج ١ ص ١٥٠ من طبعة باريس وفي كتاب التنبيه ص ٢٢٠

(٣) اي العرب (٤) اي عند الهند

(٥) ويوجد ايضاً هذا الترتيب المعكوس في كتاب التنبيه ص ٢٢٠

(٦) kalpa

وبعد الوف الوف ادوار تامة تجتمع كلها ثانية في اوجاتها وجوزهراتها في اول الحمل[1] وجملة السنين الشمسية النجومية[2] الفائقة بين الاجتماعين الكليين تسمّى كلب . وعدد سني كلب النجومية على حساب كتاب برهمكبت اربعة آلاف الف الف وثلثمائة وعشرون الف الف (٤٣٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠) فيتم مثلاً فيها عطارد سبعة عشر الف الف الف وتسعمائة وستة وثلاثين الف الف وتسعمائة وثمانية وتسعين الفاً وتسعمائة واربعة وثمانين (١٧ ٩٣٦ ٩٩٨ ٩٨٤) دوراً تامة ويتم اوجه ثلاثمائة واثنين وثلاثين دوراً تامة . فسمت العرب جملة سني كلب سني السندهند[3] وجملة الايام ايام السندهند وايام العالم[4] — وتسهيلاً للحساب ربما اتخذ الهند جزءاً من الف جزء من كلب اصلاً لحساباتهم وسموا ذلك الجزء مهايُك[5] او يُك[6] فصار عبارة عن مدة اربعة آلاف الف وثلثمائة واثنين وثلثين الف سنة الا ان الادوار فيه غيرُ تامة بسبب الكسر الناشيء عن القسمة . وبما ان احد حكماء الهند

---

(١) فلذلك قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء ص ٥٠٤ من طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ م (وهذا النص ناقص في طبعة مصر سنة ١٣٢٢ التي لا تحتوي على كل التراجم) : « واصحاب الحساب يذكرون ان الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج ثم سيرها من هناك وانها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه واذا عادت اليه قامت القيامة وبطل العالم والهند تزعم انها في زمان نوح اجتمعت في الحوت الا يسيرًا منها فهلك الخلق بالطوفان وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجاً عن الحوت ، ولم اذكرها لانه عندي صحيح بل اردت به التنبيه على البيت » يريد بيتاً من شعر ابي نواس — واظن ان الهند انما اخذوا مثل هذه الاعتقادات عن قدماء بابل . فنستفيد مثلاً من سنكا اللاتيني الشهير (Seneca, *Naturales quaestiones*, III, 29) ان بروسوس (Berossos) الكاهن البابلي القائم نحو سنة ٢٧٥ قبل المسيح قال في كتابه عن قدماء اهله يكون الطوفان كلما اجتمعت الشمس والقمر والكواكب الخمسة المتحيرة في برج الجدي ويكون الحريق العام كلما اجتمعت في برج السرطان . ومن الغريب ان الذين اخذوا بعض سنكا ذلك حديثاً لم يفهموا سرقة معناه وانه من باب مذهب القرانات المطلق المشهورة عند اصحاب احكام النجوم . فليسمع ما قاله شنابل الالماني : P. Schnabel, *Apokalyptisch Berechnung der Endzeiten bei Berossos* (Orientalistisch Literaturzeitung, September 1910, col. 402)

(٢) السنة النجومية (année sidérale) هي الزمان الذي تستغرقه الشمس للرجوع الى نجم ثابت مفروض . وهي اطول من السنة الانقلابية بشيء يسير جداً

(٣) قال البيروني في كتاب تحقيق ما للهند ص ١٦٦ : (كلب وهو الذي سمّيه اصحابنا سني السندهند)

(٤) البيروني ص ١٨٥ وكتاب التنبيه للمسعودي ص ٢٢٠ و ٢٢١

(٥) mahayuga (٦) yuga

راجع طلق ١٢ صفحة ٢٣٣

الذين ذهبوا الى هذه الطريقة وعليها بنوا الحساب هو آريبهط[١] المسمى عند العرب بالارجبهر[٢] اشتهرت جملة سني يكٌ عند العرب باسم سني الارجبهر او ايام الارجبهر[٣] . و بعض العرب القدماء زعموا ان الارجبهر اسم الجزء من الف جزء من سني السندهند[٤] بل انهُ اسم كتاب مستخرج من كتاب السندهند[٥] مع ان الاول اقدم من الثاني اهى

والخطب كلها على هذا النسق من التحقيق والتمحيص . ولو أُتيح لكل علومنا اناس مثل الخطيب يحققون مآخذها و يمحصون ما قيل فيها لزال منها اكثر ما أخذ فيها بالنقل والتسليم ولو كان بعيداً عن الصواب . وابناء هذه اللغة احق من غيرهم بمثل هذا التمحيص ولكن ابوابهُ موصدة في وجوههم بكتبهم الخالية من الفهارس فلا تجد فيها كلمة تريدها الاَّ بعد العناء الشديد والبحث الطويل لا كالكتب التي طبعت في اوربا فان البحث فيها سهل ميسور . وهذا التمحيص واجب لكثرة ما في كتبنا من الغلط والخطل سواء كان سببهُ ضعف المؤلفين او جهل النساخ

---

(١) Aryabhata الف كتبه في اواخر القرن الخامس للمسيح

(٢) ان العرب في الالفاظ الهندية بدلوا أكثر الباءات الاصلية جيماً وكذلك في هذا الاسم . اما الراء الاخيرة فقال البيروني ص ٢١١ : (آرجبهد . والهند يخرجون هذا الدال فيما بينها وبين الراء ، فنقل الى الراء وصار آرجبهر) . — اما الارجبهر بالزاء كما يوجد احياناً فتصحيف

(٣) كتاب الآثار الباقية للبيروني ص ٢٥

(٤) قال البيروني في كتاب تحقيق ما للهند ص ٢١١ ان الفزاري ويعقوب ابن طارق ممن ذهبوا الى ذلك الظن

(٥) قاله المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ١٥٠ وروى في التنبيه ص ٢٢٠ (كيف عملت الهند كتاب الارجبهر من كتاب السندهند . الارجبهر جزء من الف جزء من السندهند) — وفي كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج ٢ ص ١٤٦ من طبعة باريس سنة ١٩٠١ « الصنف الثاني اصحاب الارجبهر جعلوا سني عالمهم اربعمائة الف واثنين وثلاثين الف سنة وسموها الركة جزء من عشرة آلاف جزء من السندهند (هكذا) » ولكن في هذا النص نقص ظاهر لعدم ذكر الصنف الثالث بين الثاني والرابع فالمحتمل انه سقط شيء بعد عالمهم وان الباقي وصف الصنف الثالث ولا وصف صنف اصحاب الارجبهر . وعدد ٤٣٢٠٠٠ سنة يوافق عدد السنين المسماة كالي يوكا عند الهند التي بنى عليها يعقوب بن طارق حساب اوساط الكواكب في زيجه (اطلب ما نقول في يعقوب بن طارق ص ١٦٧) . — ومن الغريب ان المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ١٥٢ سمى هازرووان جملة ٤٣٢٠٠٠ سنة : « مئة سنة وثلاثين الف سنة مضروبة في اثني عشر الف عام وهذا عندهم هو الهازرووان » . وكذلك في التنبيه ص ١٢ و٢٢١ ولكن من دون ذكر اسم الهازرووان ولعل الصحيح « في اثني عشر عاماً » اي ٤٣٢٠٠٠

حقوق الامم

الحرب (تابع ما قبله)

اموال الحكومة الخاصة

تختلف املاك الحكومة الخاصة عن املاكها العامة بان لا حقّ للعدو بالتصرف فيها او امتلاكها فلا يخوله القانون الأ حق الاستعمال والانتفاع فيجيز له امتلاك غلاتها والتصرف بايرادها على حسب ما يلوح له وعلى مقتضى وضع هذه الاموال الطبيعي فله اذا شاء ان يؤجر اطيان الحكومة ومراعيها وغاباتها او يستثمرها لنفسهِ ولمنفعتهِ الحربية . ومجمل القول ان للعدو استعمال اموال الحكومة الخاصة فيما تستخدم له عادة وذلك لصيانتها من انتفاع غيره بها ذريعة لتعزيز قوتهِ واطالة دفاعهِ . اما تعطيلها او اتلافها فليس له اقل مسوغ ولا يجيزه القانون

الاموال المنقولة

اما اموال الحكومة المنقولة فكل ما يصلح منها لتقوية المحاربين وزيادة منعتهم يجوز للعدو امتلاكه والانتفاع بهِ او اتلافه او ابادته سواء كان ملك الحكومة العام او الخاص . فادوات الحرب على انواعها كالسلاح والخيول والذخيرة والمركبات والمدافع تصبح ملكاً للعدو متى وضع يده عليها . فانه لما كانت غاية الحرب اضعاف احد الفريقين واذلاله توصلاً للغرض المتنازع فيهِ كان امتلاك هذه الادوات من افضل الامور للوصول الى الغاية . ومن المقرر ان للحكومة دون سواها حق الانتفاع باسلاب الحرب جميعها فيحظر القانون على الجنود اغتنامها لانفسهم بل يوجب عليهم ايداعها مخازن الجيش المعدّة لذلك

غير ان افراد الجند لا تُعدم فائدة اتعابها في كسب هذه الاسلاب بل تعطى نصيباً من القيمة تختلف باختلاف الرتبة العسكرية والعزم المبذول

السكك الحديدية

من املاك الحكومة ما هو من الاهمية بمكان يدعو الى افراد بحثٍ خاص بهِ لشدة ارتباطهِ بالحرب ونتيجتها المباشرة . واهم هذه الاملاك السكك الحديدية بلا نزاع وهي اما ان تكون ادارتها في يد حكومة البلاد كما هي الحالة في مصر وفي فرنسا على معظم الخطوط وفي كثير من الممالك الاخرى او تكوّن في يد شركات حرة تحت مراقبة الحكومة ومناظرتها وقد تضاربت الآراء في الفرض الاول فذهب فريق الى اعتبار هذه السكك من

ادوات الحرب ومعداتها فاجازوا للعدو امتلاكها والتصرف بها . وقال فريق آخر — ورأيهُ اقرب الى الصواب — ان الغرض من السكك الحديدية انما هو تسهيل المواصلات والمعاملات بين الافراد في انحاء البلاد فان استخدمت غرضاً لاغراض الحرب كنقل الجيوش وذخائرهم فما ذلك الأ صفة وقتية اكسبتها اياها الضرورة واجازها داعي الاحوال ولذلك نهم يقولون بان للعدو الفاتح استخدامها لمصالحهِ وغاياتهِ الخاصة او الانتفاع بايراداتها طبقاً للمبدإ الذي ذكرناهُ سابقاً . لكنهم حرموا عليهِ حق التصرف بها فليس لهُ امتلاكها او بيعها او تعطيلها ومنعوا عدّها من غنائم الحروب واسلابها فلا يجوز لهُ اخذها الى بلادهِ بل تعود الى اصحابها الاولين عند جلائهِ

هذا ما اتفقت عليهِ اكثرية آراء الكتاب وما قررتهُ قوانين الحرب في المادة ٥١ من كتاب حقوق الامم العام

اما اذا كانت سكك الحديد ملكاً حرًّا للافراد فتعامل معاملة الاملاك الاهلية من حيث حقوق المحتلين عليها (وسيأتي الكلام على هذه الاملاك) فليس للعدو المحتل ان يستخدمها لمنفعتهِ الخاصة او ان يستولي على دخلها بل قد ذهب اكثر الكتاب الى انهُ لو استخدمها لوجبت عليهِ الغرامة ولزمهُ تعويض ما الحقهُ من الخسارة باصحابها عند انتهاء الحرب ووضع شروط الصلح

ومما يؤسف لهُ ان هذا الرأي ليس بالمتبع فعلاً بل قد خالفهُ كثيرون واباحوا للقوة حق الاستئثار بمال الافراد

البوستة والتلغراف

مثلها مثل السكك الحديد . فيحق للمحتلين استعمالها لمنفعتهم ومصالحهم لانهما لا تكونان في الغالب الأ بادارة الحكومة مباشرة وذلك في اكثر الممالك المتمدنة ولقد كانوا فيما مضى يختلفون في حق استخدام المحتلين لها ويعلقون على المسألة اهمية عظمى اما الآن فليس ثم من اهمية للامر بفضل المخترعات العلمية الحديثة والتحسينات الجديدة التي ادخلت على التلغراف كالتلغراف الذي لا سلك لهُ والتليفون وغيرها مما جعل التجار بين في غنىً عن استخدام اسلاك تلغراف العدو وخطوطهِ

اموال الحكومة

المال حياة الدولة بهِ تدير اعمالها وتدبر شؤونها وتحارب اعداءها فهو اعظم مساعد لها واكبر واقٍ لحقوقها ولهذا حقّ للفاتح اخذهُ منها ليحرمها بذلك قوتها فيسهل عليهِ تذليلها

ذلك شأن العدو ومال الدولة واما اموال الافراد الخصوصية فليس له' ان يمسها بسوء
وللعدو في مال الجبايات والضرائب طريقان

اما ان يمنع جباية الاموال وجمع الضرائب المقررة فيمنع بذلك عدوه' من استعمالها والانتفاع بها او ان يقوم هو مقام الحكومة الاصلية فيجمع الاموال الى خزينته الخاصة . فالطريق الاول مشروع لا غبار عليه يسوغه' الغرض من الحرب اي اضعاف العدو واجباره' على التسليم . اما الطريق الثاني فلا يخلو من الانتقاد . لانهُ ان قام العدو مقام عدوه في جباية الاموال والضرائب كان من العدل والانصاف ان يقوم بواجباتهِ ايضاً فانما الغنم بالغرم وبعبارة اخرى يجب عليهِ اذ ذاك ان يقوم باعباء ما تفرضهُ جباية الاموال على الحكومة التي قام مقامها فيستعمل الاموال التي جباها في الوجوه التي جمعت لاجلها اي في سبيل المنفعة العامة واصلاح شؤُون البلاد

فلا يحق له' انفاق هذه الاموال على منفعتهِ الخاصة كتعزيز حاميتهِ في البلاد وتقوية سلطتهِ فيها . غيران ما حرمهُ القانون اباحتهُ العادة ومقتضى الحال فقد جرت الدول على خلاف ذلك فاصبح الامر سابقةً يتذرع بها الفاتحون الى اخذ الاموال المجموعة من الضرائب لمنفعتهم الخاصة ترويجاً لمصالحهم واسراعاً في انهاء الحرب

وطريقة جباية الاموال القانونية هي ان يعرض الفاتحون ما على كل بلدٍ تأديتهُ من الضرائب والرسوم فيقسم على افرادها كلٌّ على قدر طاقتهِ . ولايجوز للمحتلين فرض الضرائب على الافراد مباشرة الاَّ ما كان فرضاً او اعانة لما في ذلك من المساس بالحقوق الشخصية

هذا ويجدر بنا في هذا المقام ذكر ما للحكومة من الديون على الافراد فقد اتفق اكثر المؤلفين على ان الفاتح ان يمنع الاهلين من دفع ديونهم المستحقة لحكومة التي دخل بلادها . وغرضهُ قطع كل ما يساعدها على مداومة الحرب

واتفقوا ايضاً على ان ليس للفاتح مطالبة الاهالي بالديون المستحقة فمن قائل ان ليس للعدو قبضها وتملكها شأنه في الاملاك الاخرى لانهُ ليس دائناً ولا وكيلاً عن الدائن بل هو عدوٌّ فاتح مغتصب ومنهم من ذهب الى ان للعدو مطلق التصرف فيها

وقد ايدت محكمة لاهاي هذا المذهب الاخير في حكم اصدرتهُ سنة ١٨٩٩ فقالت ان للعدو الفاتح مطلق التصرف بديون الحكومة المستحقة عند الافراد

حقوق المحاربين وواجباتهم بازاء الاموال الاهلية

قلنا ان الاقدمين كانوا يعدون الحرب ناشبة بين جميع افراد الدولتين المتحاربتين ولذلك

كانوا يجيزون امتلاك اموال الاهالي وظلّ الامر كذلك حتى اوائل القرن الخامس عشر . فقام الكتّاب وجاهروا بان الحرب يجب ان لا تخرج عن حيز محدود باعتبار انها عدوان قائم بين دولتين لا بين رعاياهما فنتج عن ذلك مبدأ عظيم الاهمية بالنظر الى حقوق المحاربين وواجباتهم ازاء الاملاك الاهلية الا وهو مبدأ احترام الحقوق والاموال الشخصية وليس تأييد هذا المبدإ الاّ نتيجة ارتقاء الامم وتقدمها في معارج التمدن الحديث ولذلك ترى جميع المؤلفين اليوم متفقين على اثباته والعمل به وترى الدول جمعاء ترمي الى تعزيز وتوسيع مضمونه فسنّوا القوانين ونظموا الشرائع القاضية باحترام الحقوق والاموال الشخصية في حالتي السلم والحرب

على ان لكل قاعدة شواذ فلولا مبدأ احترام الحقوق والاموال الشخصية حرفياً لاصبحت الحرب رابع المستحيلات اذ لا بد للمتحاربين من مخالفته ولو عن غير قصد مثال ذلك الاضرار التي تلحق الفلاح من مرور الجيوش في ارضه المزروعة وانهدام البيوت واحتراقها بكرات المدافع والقذائف النارية

ومن تأمل رأى في كل عمل يحمله المتحاربون ما يمس بالحقوق والاموال الشخصية وللتوفيق بين الامرين (اي بين نشوب الحرب و بين احترام هذا المبدإ) تراهم يتمسكون بالقول المأثور ان الضرورات تبيح المحظورات فيبررون انتهاك حرمة الحقوق الشخصية بقولهم ان كل ما توجبهُ حالة الحرب الضرورية يصبح مباحاً جائزاً

و يزول مبدأ احترام الحقوق الشخصية امام الغرض الموصل الى انهاء الحرب باختصار طريقها وعليه فليس من مقتضيات الحرب امتلاك اموال افراد الاهالي التي لا تؤثّر على مجرى الحرب فليس للعدو حجز اموال الافراد كيفما شاء بل يقضي القانون عليه باحترامها لا بل وبالاحتفاظ بها وحمايتها من سطو افراد العساكر . وهناك مطالب يطلبها العدو من الاهلين وعليهم القيام بها ولو كانت مخالفة لمبدإ احترام حقوقهم الشخصية منها ايواء الجنود واطعامهم وعلف خيلهم متى تيسر ذلك ومثلهُ تقديم ادوات النقل والسفر كالمراكب والقطرات والآلات والمعدات اللازمة لتمهيد الطرق واصلاحها ومسوّغ هذه المطالب على اجحافها بحقوق الافراد مختلف فيه متنازع عليه فمن قائل ان مسوغها قيام العدو الفاتح مقام حكومة البلاد المغلوبة وحلولهُ محلها في السلطة . وهذا الرأي على وجاهته لا يخلو من الانتقاد فاننا قد رأينا فيما تقدم ان حكومة البلاد المفتوحة لا تفقد سلطتها نهائياً الاّ متى تقرر ضم البلاد الى املاك عدوها في معاهدة صلح واعترفت سائر الدول بذلك ولهذا كان الرأي المعول عليه

في تدبير طلب هذه المساعدة من افراد الاهالي هو القول بان حاجة الجيش المادية تدعو اليها فيشترطون لصحتها ان تصدر عن قائد الجيش العام دون سواه منعاً لاساءة استعمالها متى صدرت من اكثر من واحد و يشترط فيها ايضاً ان تقدم كتابة الى مدير الاقليم او القائم بالامر فيه على كيفية يبين فيها نوع المطلوب ومقداره

والاصل في هذه المطالب ان يدفع طالبها عوضاً نقديًا لاصحابها

وقد يمتنع عادة ايجاد المال الكافي لذلك في الجيش فيعطي القائد العام ايصالات تدل على ماهية ما قدمهُ وثمنهُ تسهيلاً لتقدير غرامة الحرب عند الصلح . فان كان طالبها منصوراً عدَّ ثمنها جزءا من غرامة الحرب التي يتقاضاها من عدوهِ المغلوب والاَّ اوفاها مع الغرامة

ورب سائل يقول كيف يتقاضى الافراد عمَّا لحقهم من الخسائر ابان الحرب فنقول ان الاضرار التي كانت نتيجة طبيعية لحرب كتعطيل الاشغال وتهدم البيوت لا سبيل لتعويضها باعتبار ان الحرب قوة قهرية لا مندوحة للافراد عنها ولا يدفع شيء منها . اما ما يلحق بالافراد من الخسائر المسببة عن المطالب الخصوصية التي مرَّ ذكرها فيدفع مسببها ثمنها اما تنقيصاً من الغرامة ان كان منصوراً او زيادة عليها ان كان مكسوراً

سامي الجريديني المحامي

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقومات الجمال

سئل جماعة من النساء المشهورات بجمالهنَّ اللواتي بلغنَ سن الكهولة او كدن يبلغنهُ كيف بلغنَ هذا السن ولم تزل جميلات الوجه معتدلات القوام فكتبن الاجوبة التالية

قالت مدام لينا كافليارى : — الصحة الزم اللوازم اذا اريد الاحتفاظ بالجمال رغماً عن التقدم في السن . وقد اراني الاختبار ان راحة البال ضرورية لحفظ الصحة وان جمال المنظر احدى نتائجها فتتمتع صاحبتها بالصبا الدائم

لكن هذه الراحة لا تنال بالادوية ولا بالمسكنات والفضل في ابتعادي عن الادوية

لطبيبي فانهُ يحتقرها كلها وقد طالما قال لي انكِ تتكرين بنفسكِ فتتعبين فاجتهدي لكي تنسي نفسكِ بالرياضة . فانصتُّ مشورتهُ فوجدت سرّ السعادة في الرياضة فانها تجعل الجسم خاضعاً للعقل فلا يبقى حملاً ثقيلاً عليهِ بل لا يعود يشعر بهِ بل يصير العقل يأمر والجسم يفعل ما امرهُ بهِ خاضعاً. ومتى خضع الجسم للعقل فهناك الصحة والسرور وما السرور الا راحة البال وهو ابو الجمال وامهُ . هناك طلاقة الوجه وحسن المحيا وبهجة الشباب ولو في سن الشيخوخة . افتكري بشيء يسرّكِ حتى تبرق اسرّتكِ وانظري حينئذٍ في المرآة فتري ان قد ابرقت عيناكِ واحمرّت وجنتاكِ وعاد اليكِ صباكِ

والحزن يفعل ضد ما يفعلهُ الفرح تنور بهِ العينان ويتقبض الوجه وترتخي المفاصل . واذا توالى على المرأة رسمت آثارهُ في وجهها وقامتها . المسرور يطفح وجههُ سروراً والحزين يخيم الحزن على وجههِ وعلى كل ما يحيط بهِ . المسرور يسرّ الذين حولهُ والحزين يحزنهم . وطلاقة الوجه ليست من المزايا الطبيعية بل هي صفة مكتسبة جوهرة ثمينة تكتسب بالتمرين والممارسة

اذا لم يكن القوام على ما يراد فالرياضة تصلحهُ فاذا كان الصدر ضيقاً فالتنفس المستطيل يوسعهُ وقد يصحبهُ شيء من الدوار في اول الامر ولكن هذا الدوار يزول بالتكرار ويتسع الصدر رويداً رويداً ويظهر اتساعهُ جلياً في شهر من الزمان

لكن انماء الجسم وتجميلهُ لا يكفيان من غير انماء العقل وتجميلهِ بالمعارف فعلى من تريد ان تكون جميلة جسداً وعقلاً ان تطالع انفس الكتب التي وضعها ابرع المؤلفين . ولا داعي للاكثار من المطالعة فان في قراءة صفحة واحدة من كتاب نفيس ما يغذي العقل ويصرفهُ عن الهموم والغموم . والمرأة التي تواظب على مطالعة الكتب المفيدة النفيسة لا يمضي عليها سنتان حتى تشعر كأنها صغرت عشرين سنة عمّا كانت ولو لم تقرأ الا بضع صفحات كل يوم لان العقل اسرع نمواً من الجسد والخلاصة ان صحة العقل والجسد هي سر السعادة والشباب والجمال

وقالت مس اللالين ترس . اني على يقين تام ان الاكثار من الرياضة في الهواء لازم لحفظ الصحة والشباب والجمال . اما الوسائل التي تستعمل لتحسين الوجه فلم اعبأ بشيء منها وكل ما استعملهُ من هذا القبيل مادة دهنية نقية فانها افضل ما يكون لتليين الجلد . اما لون الوجه فيتوقف على الصحة وهي شيء داخلي لا خارجي . وعندي ان قضاء ساعتين او ثلاث كل يوم في الرياضة البدنية افضل لحفظ الصحة والجمال من كل العلاجات والمحسنات

والعمل الشاق لا ينهك الجسم الاَّ اذا عملهُ الانسان عن اضطرار لا عن اختيار وعن كره لا عن رغبة اما الذي يحبُّ عملهُ ويرغب فيهِ فلا ضرر عليهِ منهُ مهما كان شاقًا . وحبُّ العمل سرٌّ من اسرار حفظ الصحة وطلاقة الوجه وجمال المنظر . لكن الاستمرار على العمل يضني الجسم اخيرًا فلا بدَّ من الراحة آونة بعد اخرى . وابدال الشغل العقلي بالرياضة البدنية ولتكن في لعب يسرُّ بهِ المرء كالتنس او كالكرة والصولجان فان اللعب الجدي المسلي خير من الاقتصار على المشي

ولا بدَّ من صرف الهم عن القلب . ولقد كان الهم والغمُّ نصيبي فكنت اغتمُّ لكل فائت واهتمُّ لكل آتٍ فوجدت ان ذلك اضنى جسمي واسرع بي الى الشيخوخة فآليت على نفسي ان لا اغتمَّ لفائت بعد ان اكون قد بذلت جهدي فيهِ ولا اهتم لآتٍ مهما كان

ثم ان كثيرين من الناس تراهم مرضى خوفًا من المرض وما مرضهم الاَّ الوهم اما انا فقد عوَّدت نفسي الاعتقاد باني صحيحة الجسم ناعمة البال وان كل الاشياء تعمل معًا للخير

واخيرًا اقول انني لا استحسن ان يضع الانسان لنفسهِ قواعد يجري عليها وحدودًا لا يتعداها في كيف يقضي كل يوم من ايامهِ لان هذه القواعد والحدود تصير عبئًا ثقيلاً عليهِ . والعبء الثقيل شقيق الهم والغمُّ يميت الصحة التي هي ام الشباب والجمال

وقالت مدام ساره برنهرت . لا يليق بي ان اقول كيف احفظ جمالي لاني لست جميلة ولكنني اقول كيف احاول ان احفظ صباي . وعندي ان حفظ الصبا اهم من حفظ الجمال لان الصبية لا تموت مرتين كالجميلة وسن المرأة يتوقف على شعورها واذ اني لا اشعر بالتقدم في السن فانا لا ازال في سن الصبا . وزد على ذلك اني ما دمت مواظبة على عملي فانا مواظبة على صباي . وسر الصبا سرور العامل بعملهِ ومن يريد ان لا يفارقهُ صباهُ فعليهِ ان يواظب على العمل ما استطاع الى ذلك سبيلاً

اما الطعام فيختلف باختلاف الاشخاص لان ما ينفع الواحد قد يضرُّ الآخر لكن الاختبار الطويل قد علمني ان البساطة في المآكل تحفظ الصبا والجمال . اما حفظ الصبا الذي هو حفظ الجمال فيقوم بالرياضة الكثيرة في الخلاء حيث الهواء النقي

وخلاصة المقال ان حفظ الصبا والجمال يقوم ببساطة المآكل وانتظام الرياضة والانصباب على العمل وصرف الهم عن القلب . ولقد قضت الضرورة ان استشير الطبيب احيانًا ولكنني لا اعمل بمشورتهِ

وقالت مس ليليان براثويت · لقد جرت عادتي ان استنشق الهواء النقي دواماً ما دمت اعمل لان الاختبار قد علمني ان الهواء النقي اكبر عماد الصحة · وزد على ذلك انهُ يؤْخذ مجاناً بلا ثمن لكن كثيرين يغفلون هذه الحقيقة ويجسون هذه النعمة العظمى

اني امطر الساعة التاسعة وامشي خمسة اميال او ستة بعد الفطور مهما كانت حالة الجو · واذا تعذَّر عليَّ المشي لسبب من الاسباب ركبت على ظهر مركبة من مركبات الامنيبوس حتى استنشق الهواء النقي وهي سائرة بي · ولا آكل مطلقاً فوق الشبع ولا اتناول شيئاً من المنبهات

وعندي ان العمل اكبر معين لحفظ الصحة والمنظر وقد اتفق لي انني احبُّ العمل الذي اعملهُ فانا متعلقة به لا انفك عنهُ

والخلاصة ان السبيل لطرد التعب والهم والغم هو الرياضة الكثيرة في الهواء المطلق والطعام البسيط الحاوي لكثير من الاثمار والخضر · وان كانت المرأة جميلة بالذات فهذه المعيشة تحفظ جمالها · انتهى

هذه خلاصة ما اجاب به هؤلاء السيدات وهنَّ من ابرع الممثلات في الدنيا · والظاهر انهنَّ اجبن عن مسائل مخصوصة طرحت عليهنَّ

قهوة اللحم

ضع قطعة من لحم البقر الطري على لوح واكشطها بسكين كبيرة حتى تستحيل الى مادة كاللب وامزج هذا اللب بثلاثة امثاله من الماء وحركهُ جيداً حتى يكون من ذلك من مادة كالعصيدة او كاللبن وضعها على نار خفيفة وانت تحركها حتى تغلي ثم ترفع عن النار فيكون منها طعام مغذٍّ سهل الهضم

إخفاء طعم زيت السمك

امزج ٢٤ درهماً من روح الليمون و١٢ درهماً من الايثر الكبريتيك و٦ درام من زيت الكراويا وست درام من زيت النعنع وست درام من زيت القرنفل فاذا اضفت ١٢ نقطة من هذا المزيج الى كل ملعقة من زيت السمك زال طعمهُ الكريه

دواء الحجة

اذا وضع الخطيب قطعة صغيرة من البورق في فمهِ وبلع ما يذوب منها فيهِ رويداً رويداً قبلما يقوم لخطابة انجلى صوتهُ ولم يبح ولو اطال الكلام

فائدة السعوط

كان ولد عمرهُ ثلاث سنوات يلعب بالازرار فاتفق انهُ ادخل زرًّا منها في انفهِ وحاولت امهُ اخراجهُ منهُ فزاد غوراً فاستدعت الطبيب فلم يجد وسيلة للوصول اليهِ وخطر السعوط على بال امهِ فوضعت قمحةً منهُ في انف الولد فجعل يعطس عطاساً شديداً اخرج الزرَّ من انفهِ

وفيات الاطفال

ادلُّ ما في هذا القطر على فائدة الاعتناء الصحي ما يرى فيهِ من الفرق الشاسع في وفيات الاطفال بين الوطنيين والاجانب حيث يكثر عدد الاجانب فقد بلغ متوسط وفيات الاطفال الوطنيين الذين سنهم اقل من سنة في العاصمة ٣٧٫٨ في المئة وفي الاسكندرية ٣٥٫٥ في المئة واما الاجانب فبلغ متوسط وفيات اطفالهم في القاهرة ١٧٫٨ في المئة وفي الاسكندرية ١٨٫٠ في المئة وهاك مقدار ذلك في اكثر مدن القطر

	وفيات اطفال الوطنيين	وفيات اطفال الاجانب
القاهرة	٣٧٫٨	١٧٫٨
الاسكندرية	٣٥٫٥	١٨٫٠
بورت سعيد	٣٦٫٧	٢١٫٩
الاسمعيلية	٣٢٫٨	١٩٫٠
السويس	٤٢٫١	١٠٫٧
طنطا	٣٢٫٣	٣٠٫٨
المنصورة	٢٩٫٥	١٣٫٠
دمنهور	٣٧٫٣	٣٣٫٣
الفيوم	٤٢٫٣	٣٣٫٢

وما من سبب لقلة عدد الوفيات بين اطفال الاجانب الاَّ اعتناء والديهم بهم والاَّ فهم اكثر تعرُّضاً من اولاد الوطنيين لحرّ الذي يؤثر في الاطفال لان والديهم لم يعتادوا اقليم هذا القطر كما اعتادهُ الوطنيون

نساء الصين

(تابع ما قبلهُ)

الاديان تختلف في رسومها اختلافاً كبيراً ولكنها تتفق كلها في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحبيب الفضيلة وتكريه الرذيلة والنساء الصينيات غاية في التدين والادب وكرم الاخلاق ولكنهن مقيدات بعادات ورسوم غريبة ثقيلة فلا يجوز للمرأة ان تعلق ثيابها على وتد يعلق الرجال ثيابهم عليهِ . واذا كاتب الرجل زوجتهُ لا يعنون الكتاب باسمها بل باسم والديهِ واذا توفيا فباسم ابنهِ او ابنتهِ . و يفقد النساء بهجة الصبا بزواجهن حتى قال شاعرهم ما تعريبهُ

ان تُرِد ضعفاً مروَّجْ فلتبادرْ تتزوَّجْ
تفقدِ الفجرى وتصبحْ ضمن بستانٍ مسيَّجْ

ولذلك يميل الرجال الى البنات الرقاصات و بائعات الازهار لانهن اقل من نسائهم تقيدا بالعادات . ومع هذا التقيد يكسر النساء قيودهن احيانا و يسمون حتى يفقن الرجال في العلوم والآداب والسياسة والادارة بل قد برع بعضهن في قيادة الجيوش ففي القرن السادس توفي احد الامراء فنهضت زوجتهُ وجمعت رجالهُ وسارت بهم لمعاونة الملك وكان في حرب ودخلت حومة الوغى معهم فزادوا شجاعة و بسالة وكان الفوز لهم ولما رأى الملك ذلك منها لقبا يقابل لقب دوقة ومنح زوجها المتوفى لقب دوق . وكان في الثورة المعروفة بثورة تيبنغ كتيبتان من النساء تقودها امرأتان فخاضتا غمار الحرب ببسالة فائقة . وقد قرأنا حديثاً عن كتيبة من الصبايا وهن كالرجال في ملابسهن واسلحتهن واقدامهن

واذا عقدت المرأة الصينية نيتها على شيء لم ترجع عنهُ ولو كان الانتحار . وعند الصينيين ان موت المرأة مع زوجها من الفضائل التي يباهى بها ففي سنة ١٨٦١ توفي رجل ولم يكن لهُ اولاد وكانت زوجتهُ في الخامسة والعشرين من عمرها فعزمت ان تلحق به الى عالم الارواح فأجلست على كرسي من كراسي الاعراس مكشوفة حتى يراها كل احد وطيف بها في الشوارع بموكب عظيم وهي تدعو الناس ليروها حينما تغادر هذه الحياة الدنيا . وفي اليوم المعين لموتها أُلبست حلة من حلل العرائس من الحرير الاحمر الموشى ووضع على رأسها اكليل مذهب كما يوضع على رأس العروس واجلست على الكرسي المشار اليه آنفاً وسير بها الى مكان القتل حيث اقيمت لها دكة ومشنقة فصعدت على الدكة وتناولت بعض المنعشات وخاطبت الجمع

المحتشد وجعلت تنثر الارز عليهم والسعيد من يتناول حبة منهُ للتبرك بها ثم صعدت الى حيث المشنقة ووضعت الحبل في عنقها واسلمت الروح وتسابق الجمع حينئذٍ الى تناول الحبل لتقطيع قطعاً صغيرة وزعت على اقاربها ووضعت جثتها في الكرسي وحملت الى الهيكل واقيم لها مأتم فاخر على نفقة الحكومة ونصبت لها قوس نصر تذكاراً لعملها المجيد

وذكرت جريدة باكين حادثة من هذا القبيل حدثت سنة ١٨٧٣ وذلك ان رجلاً توفي وزوجتهُ شابة فعزمت ان تتناول السم لتلحق بهِ لكن والديها بذلا جهدهما حتى منعاها فصبرت الى ان دفن زوجها ثم امتنعت عن تناول الطعام الى ان ماتت قائلة ان موتها يعيد اتحادها بزوجها . والغالب ان الخطيبات اللواتي يموت خطَّابهن ينتحرن لكي يلحقن بهم

ويطلب من المرأة الصينية ان تزوج جواريها فاذا بلغت الجارية السادسة عشرة من عمرها يجب ان تسأل هل تريد ان تتزوج وهي وحدها من بنات الصين تسأل هل تريد الخطيب الذي يطلبها . قالت احدى نساء الصين اني استطيع ان ازوج ابنتي لمن اريد واما جاريتي فلا استطيع ان ازوجها لمن لا تريده

تحفة بديعة

اذا قلنا ان تحت نظرنا الآن تحفة يليق ان تحتويها المتاحف والقصور ولم تأت بما يفضلها دقة واناقة ايادي ابناء العصور حمل القارئ قولنا محل المباهاة والاطراء اوخال ان نظرنا لم يقع بعد على الغرائب المدهشات من الاشياء

بل انا لقد شاهدنا كثيراً من الآثار المدهشة التي صنعتها يد الانسان وانبأتنا الالسنة والصحف عمَّا نقشتهُ الصناعات المحكمة واودعتهُ المهارة الفائقة في خزائن هذا الزمان . وما كنا لنكر ما اتصل اليهِ بعض القوم باجتهادهم وطول اناتهم من اتقان العمل الذي ساعدتهم الموهبة الفطرية على التفوُّق بهِ ومكنتهم المزاولة الطويلة من ان يبلغوا منهُ اقصى الغايات ويأتوا فيهِ بما يكاد يعدُّ من المعجزات

وان من اسعدهُ الحظ بان يرى حقيقة هذا الاثر الشرقي البديع ايقن ان ليس بين

الآثار التي تستوي على مناضد المتاحف ولا بين الطُرَف التي تفتخر في ابهاء القصور الشواخ ما يفوقها دقةً وصناعةً · على ان عيبها الفذّ ان صانعها شرقي عيبةً عيب كل من ليس بغربي وحظ صناعتهِ حظ كل بضاعة لم تأتنا من وراء البحار ولا احدثتها يد افرنجي

تلك التحفة مصنوعة بيد وطنينا الشاب الذكي الشيخ نسيب بن سعيد زين الدين القاطن قرية عيتات من قضاء الشوف · وهي عبارة عن بيضة من الرخام لا يزيد حجمها عن حجم بيضة الدجاج الطبيعية وقد كتب عليها بخطهِ الحسن القانون الاساسي العثماني وبعض اضافات وشروح وتذييلات وغيرها مما جمع على سطح هذه البيضة العجيبة نحواً من عشرة آلاف كلمة بخط نهاية في الجودة توشك العين المجردة ان تقرأهُ · والبيضة مرتكزة على لولب يدار بسهولة بحيث تستطاع قراءة المكتوب عليها من جهة واحدة · وهي وسط كرة من الزجاج التي شكل البيضة واللولب ناتئ من ظهر نسر من البرونز متوج باسط جناحيهِ قائم على اسطوانة « شمعدان » بديعة الصنع من المادة التي تشابه الحجر المجزع قائمة على قاعدة من الصفر

اما الكتابة فرتبة هكذا : في رأس البيضة الطغراء السلطانية تحيط بها هالة بيضاء ثم تمهيد مثبت فيهِ اسم الكاتب ودعاء لجلالة امير المؤمنين والدولة العثمانية وذكر السبب الذي من اجلهِ صنع هذا الاثر ففاصل تليهِ مواد القانون الاساسي بجملتها باللغة التركية فمواد هذا القانون بالعربية فتاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والمرة الثانية ثم جملة في شرح ما رمز اليهِ الكاتب بحمل بيضة الدستور على قوادم النسر هذا نصها :

« هذا المثال يرمز الى ان الدستور العثماني المنيف يظل محفوظاً من مكائد اعدائهِ بعناية الله وهمة حماة الدستور فان النسر وهو ملك الطير يحملهُ باسطاً جناحيهِ محلقاً بهِ في الفضاء حيث تقصر عن تناولهِ ايدي الخائنين · ودوران البيضة من جهة الى اخرى اشارة الى ان عدل الدستور يشمل جهات المملكة الاربع وفي الرمز ايماء الى ان الدولة التي يعلو دستورها على كل شيء هي دولة ملكها قد اسس على العدل فهي راسخة الاركان منيعة الجانب وفي ذكاء اللبيب ما يغني عن الاسهاب »

ويلي ذلك قصيدتان في الدستور والجيش العثمانيين وبعد القصيدتين تاريخ كتابة هذا الاثر المنقطع النظير ثم خريطة الممالك المحروسة واسماء امهات المدن فيها

ومما يزيد امر الكتابة غرابة ان الكاتب لم يستعن بالمكبرات وان حروفها الدقيقة معتنى برسمها كل الاعتناء حتى انك اذا نظرت اليها بالعدسية وضحت لك حلقات العين والهاء والواو جليًا فضلاً عن نظافة الفسحات التي تركت بياضاً لفصل بين الجمل وترتيب الكتابة بهيئة

ذوليبة وسلامة الذوق في احكام صورة الرمز · زد الى ما تقدم ذلك الشعور الوطني القوي الذي دفع وطنينا الاديب الى اختيار الدستور العثماني دون سواهُ · اما المادة التي كتبت بها كل هذه المواد فغير قابلة المحو ولا التغيير

من وعى كل ما وصفناهُ عرف كنه قيمة هذه البيضة الوحيدة وادرك ما عاناهُ الكاتب المقدم ذكرهُ من النصب واحياء الليل في صنع هذه البيضة · فانني لا اتمثل سواد ناظريهِ يمازج المداد الجاف على جوانب البيضة وحبة قلبهِ تظل دقائقها كل حرف من حروف تلك الكتابة فللهِ دره ولا شلت انامله

وربما تبادر الى ذهن القارئ ان سيباً قد مارس الكتابة زمناً طويلاً وقضى معظم ايامهِ بين القلم والقرطاس فهو يحترف حرفة الكتبة ويرتشف رزقهُ من شق تلك القصبة والحقيقة ان هذا الشاب لم يزل في مقتبل العمر ما زاول الكتابة الا مهل الفراغ الذي يحمل لتلميذ المدرسة لكي يمارس الخط · ولكن لهُ من الآثار الكتابية ما يستوقف النظر ويثير العجب · من ذلك انهُ كتب مرة على حبة من الارز احدى وستين كلمة ونال بذلك الجائزة الاولى الممتازة من المعرض الذي اقيم في زحلة منذ بضع سنين اما مهنتهُ فالتجارة التي تشغلهُ عما سواها من الحرف اذ انها مرتزق اهلهِ الذين هم عيال عليهِ

بقي ان نتساءل ماذا عسى اولياء الامر واولو الحمية الغُيُر على الآثار والمصنوعات الوطنية ان يفعلوا بهذا الاثر البديع ايرضون ان يظل مدفوناً في « عيتات » كالدرة الكامنة في جوف الصدفة وهو ذكرى دستورهم واثر قانونهم الاساسي · ام ينشط معشر من الوطنيين فيبرزون هذه الدرة الثمينة الى حيث تجتلي محاسنها عيون الغربيين وحينئذٍ نقول لهم آتونا بآية من مثلهِ ان كنتم صادقين

وما احرى مجلس الامة بان يحلّي بهذه الدرة الثمينة بعد ان يحبو وطنينا الكاتب من المكافآت الادبية والمادية ما هو خليق بهِ « الى اهل الادب »

حاشية — قد جاء عن العرب امثال عديدة في البيضة كقولهم · اعز من بيض الانوق · واصح من بيض النعام · وبيضة الديك · واذل من بيضة البلد · فهلاَّ ساغ لنا ان نرسل هذا المثل الجديد للشيء لا تصاب لهُ قيمة « اثمن من بيضة الدستور » لبناني

[المقتطف] ان كاتب السطور المتقدمة من سراة الشابين ونوابغ كتابهم ولولا ركاننا الى صدقهِ لاستعصنا تصديق ما جاء فيها من كتابة القانون الاساسي بكل موادهِ بالعربية والتركية على بيضة من الرخام قد لا تزيد مساحة سطحها على خمسين سنتمتراً مربعاً

اي على ستة اسطر من هذه الصفحة لي منتهى الابداع فكيف وقد اضاف الى مواد القانون تاريخ اعلانهِ مرتين وجملة في شرح ما رمز اليهِ وقصيدتين في الدستور والجيش العثماني وتاريخ كتابة هذا الاثر كل ذلك والكاتب لم يستعن بالمكبرات

رجل مثلهُ أعطي هذا الذوق الصناعي وهذه المهارة الفائقة يحسن بالحكومة العثمانية ان تضمهُ الى مدرسة من مدارسها او الى معمل من معاملها وتوسع عليهِ الرزق فانهُ قد يستنبط لها اموراً ذات شأن كبير تعود على البلاد بالنفع الجزيل وان تحفظ هذا الاثر بين تحفها او تضعهُ في مجلس نوابها وتجزل عطاء صانعهِ تنشيطاً لهُ واغراء لغيرهِ باتقان الصناعة

نصيحة للاهالي الوطنيين

طالعت في مقتطف شهر نوفمبر الماضي مقالاً بعنوان نصيحة للصناع والتجار الوطنيين محتوياً على جدول باسعار المنسوجات التي تصدرها البلاد الانكليزية الى اكثر جهات المعمور وذلك للاستدلال منهُ على ان المنسوجات التي تجلبها تجارنا الى القطر المصري هي من احط الاجناس وارخص الاثمان . وقد اتى المقتطف باللوم على التجار الذين في وسعهم ان يتباروا في جلب البضائع الجيدة حتى يالف الناس مشترى البضائع الغالية كما الفوا مشترى الرخيصة منها . فرأيت ان اعارض المقتطف في ذلك والقي اللوم على المشترين وحدهم الذين هم اولى بالملامة واحق بالنصيحة

تتزاحم المخلوقات الحية من نبات وحيوان على الكسب والارتزاق عملاً بسنة الحياة وتنازع البقاء وعلى ذلك يتبارى البشر في اعمالهم وصنائعهم ويجتهد كل منهم في مناظرة زميلهِ والتفوق عليهِ . ولما كانت التجارة هي نوع من اعمال البشر لهذا نرى التاجر يبذل اقصى جهدهِ في اختيار البضائع التي يشتد الاقبال عليها وتزيد مطلوبيتها ويكثر ربحها مراعياً في ذلك مصلحتهُ الشخصية اولاً ومصلحة الغير ثانياً . بحيث انهُ لو رأى ميل الجمهور مثلاً الى ما كان رخيص الثمن قليل المتانة فلا يسعهُ الا ان يجاري اميال القوم ومطالبهم والا اخر نفسهُ وكان من الخاسرين

يدخل المشتري عندنا في محل تاجر المنسوجات مثلاً فيريهِ هذا بعض الاصناف فيختار صنفاً منها ويسأل عن سعرهِ فاذا وجدهُ عالياً بخس في ثمنهِ فيجيبهُ التاجر او ذاك ان هذا النسيج جيد الصنع كثير الاستعمال وان متانتهُ وجودتهُ تفوقان كثيراً الزيادة القليلة في سعرهِ فيقول المشتري « ان شاء الله ما حد حوّش . نعيش وندوب . هو حد منا ضامن عمره . »

الى غير ذلك من الجمل الدالة على عدم الاكتراث بطرق الاقتصاد · فيضطر التاجر والحالة هذه ان يراعي اميال الاكثرين الذين منهم يتألف الميل العام ويجلب الى محله البضائع الرخيصة الثمن السريعة التلف الحسنة المنظر القبيحة المخبر والأ اعرض عنهُ عملاؤهُ وتنفرت عليهِ زملاؤهُ وكسدت بضائعهُ

يجول المرء منا في اسواق اوربا و يشاهد مصنوعاتها و يقف على اصناف بضائعها فاذا سأل عن اسعارها وجدها عالية تفوق الاسعار التي تباع بها في مصر مع انها تكون من مصنوعات تلك البلاد ولا تضاف اليها اجرة النقل ورسم الكمرك وعمولة العميل ونفقات التحليف والحزم والشحن · فيأخذهُ العجب لاول وهلة لكنهُ اذا كان خبيرًا بصنف البضاعة وبقيمة تكاليفها اتضح لهُ انها تفوق التي ترد الينا اضعاف الاضعاف وذلك بوفرة المادة او خالصها وثبات الصبغة ودقة الصنعة ومميزات اخرى · ومثال ذلك ان كثيرًا من المنسوجات الحريرية الرخيصة الثمن التي ترد الينا من فرنسا او اليابان ونظيرها المنسوجات القطنية التي تجلبها من انكلترا وايطاليا يستحيل على المرء ان يجدها في اسواق تلك البلاد لان المعامل تنسجها لنا خاصة طبقاً لميلنا وذوقنا وترسلها الينا بناء على طلبنا · وقس على ذلك انواع البضائع الاخرى التي ترد الينا من المانيا وبلجكا وسائر الممالك الاخرى

ولماذا نذهب بعيداً وعندنا من مصنوعاتنا نماذج على ذلك فالنسيج الحريري الذي يسمونهُ في هذا القطر والذي يدعونهُ بالقطني او الشامي البلدي هو على غاية ما يمكن من الاتقان والمتانة ولكن قلَّ من يقبل عليهِ ويكتسي بهِ لان الاكثرين يرغبون في المنسوجات التي تنسجها معاملها لمصر خاصة وذلك لرخص ثمنها بدون ان يحفلوا بمتانة الاولى وينتبهوا لسخافة الثانية و يراعوا الحالة الاقتصادية التي في كل من النسيجين حتى ان ارباب هذه الصنعة في مصر هم افراد قلائل يعدون على اصابع اليد

لا ينحصر الغش عندنا في دائرة التجارة والصناعة فقط بل انهُ يتجاوزها و يتناول كل عمل او فن حتى لا تخلو منهُ حرفة الادب والصحافة ايضاً وان الذي يساعد على ذلك غفلة الامة وتساهلها

ارتأى المقتطف انهُ اذا تساهل التجار على جلب البضائع الغالية تعود الاهلون على شرائها نظير تعودهم على شراء البضائع الرخيصة · هذه نظرية جليلة وبسيطة في حد ذاتها ولكن ليس في الامكان تحقيقها لجملة اسباب نذكر البعض منها · اولاً: ان باب التجارة في مصر مفتوح لواردات جميع البلدان بدون تمييز ولا تخصيص وان كل بلاد تسعى في ترويج

بضائعها ومصنوعاتها. ثانيا. لان تجارنا مختلفو الاجناس واللغات والاخلاق فيتعذر او يستحيل ان يتفقوا وتجمعهم رابطة او نقابة. ثالثاً ان غالب تجارنا الوطنيين لم يتخلقوا بالصفات التي تجعلهم ان يقيموا على وعدهم و يفوا بما يتعهدون به و يتعاقدون عليه الى غير ذلك من الاسباب العديدة التي تعارض هذه النظرية ولا يمكن معها تحقيق هذه الامنية. واذا كان ارباب الصحف وتجار المطبوعات على قلتهم وهم من ارقى الامة وصفوتها لا تجمعهم نقابة ولا تربطهم رابطة فهل يؤمل من التجار على كثرتهم وتفاوت طبقاتهم وتنوع مشاربهم وتضارب منازعهم ان يستحكم بينهم الوفق وتجمعهم رابطة

اما الحقيقة فهي ان البضائع الجيدة لا يروج سوقها في بعض البلاد و يقبل عليها الجمهور لان تجارها قد تعاهدوا على جلبها وترويجها بل لان اهالي تلك البلاد يأبون مشترى المصنوعات السخيفة والبضائع الرديئة ولو رخص سعرها وقلت قيمتها. وذلك لما هم متخلقون به من قوة التمييز وما لديهم من ملكة الاقتصاد وعدم تساهلهم وتسامحهم في الاخذ والعطاء وهي الصفات التي تنقص اكثرنا ولكن الامل بالنهضة المصرية والمشروعات الاقتصادية التي يدخلها المصلحون الى مصر في وقتنا الحاضر ان تنفقه الامة بها وتأخذ في الاقبال على كل ما هو جيد ومفيد والاعراض عن كل ما هو سخيف ومضر متدرجة على التوالي في معارج الاقتصاد ومدارج الفلاح

الياس الضبان

باب الرياضيات

قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام

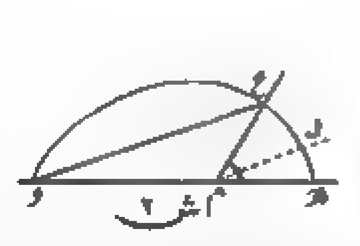

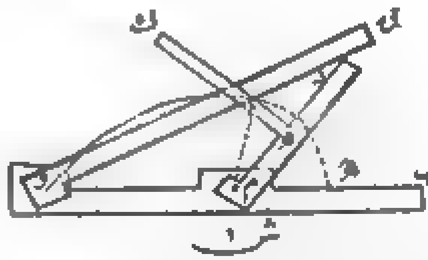

اذا صنعت مسطرة مثل ب و وكانت ب م = م و وتحركت في و مسطرة مثل د ق وتحركت في م مسطرة مثل م د تساوي م و في الطول وعلى منتصفها عمودي ثابت هـ ك

وكانت المسطرتان م د و و ق متكئتين الواحدة على الاخرى دائماً فانهُ اذا وُصل من نقطة تقابل المسطرة ه ك بالمسطرة و ق (ولتكن نقطة التقابل ا) كانت زاوية م ا و = ضعفي زاوية م د ا لان زاوية م د ا = زاوية د م ا (لأن ه ك عمودي على منتصف د م)

فتكون زاوية م ا و = ضعفي زاوية م د ا

وبما ان زاوية م د ا = زاوية م و د (لان د م = و م من الاصل)

اذن زاوية م ا و = ٢ زاوية م و ا

اعني ان نقطة تقابل ه ك مع ق و (بشرط ان تكون م د و و ق متكئتين احداهما على الاخر) اذا وصل منها الى م تحدث زاوية مضاعف الزاوية المقابلة لها الواقعة بين المسطرتين ب و و و ق

وبما انهُ يمكن تحريك المسطرتين م د و و ق المتكئتين ليبتدئ تلاقي ه ك مع ق و من نقطة و ثم ينتهي بانطباق م ب و ق و و م د الى نقطة ه التي هي منتصف ب م المساوي م و و م د في الطول وترسم نقط التلاقي خطاً منحنياً مبتدئاً من و ومنتهياً الى ه وتكون نقطة م في ثلث ه و

فاذا وُصل من نقطة م الى اي نقطة على هذا المحني ووصل من تلك النقطة الى و كانت الزاوية الواقعة على هذا المحني مضاعف الزاوية الناتجة من ايصال هذه النقطة الى و وتكون الزاوية الخارجة المساوية لمجموع هاتين الزاويتين منقسمة الى قسمين احدهما مضاعف الآخر اعني الى ثلاثة اقسام متساوية

وعليهِ اذا صُنعت رقة محيطها هذا المحني الحادث من العملية وقاعدتها المستقيم ه و وثقبت نقطة م بخط رأسي في ثلث ه و فهذه الرقة تصلح لقسمة اي زاوية مثل زاوية ه م ع (شكل ٢) الى ثلاثة اقسام متساوية

فلذلك نطبق الرقة بحيث يكون ثقبها على رأس الزاوية فيقطع محيط الرقة ضلعي الزاوية في ه و ع وامتداد الضلع ه م في و فنصل ع و فتكون زاوية م ع و مضاعف زاوية م و ع حسب ما تقدم في شكل ا ثم نرسم من م المستقيم م ل موازياً لخط و ع فتكون زاوية ع م ل ضعفي زاوية ل م ه اعني ان زاوية ع م ه تنقسم الى قسمين احدهما مضاعف الآخر اعني الى ثلاثة اقسام متساوية فتلك الرقة توصل الى قسمة اي زاوية الى ثلاثة اقسام

يليها قسمة الزاوية الى خمسة اقسام

اسكندر باسيليوس
طالب بالمدرسة السعيدية

باب الزراعة

تطعيم الارض

تطعيم الارض هو اضافة نوع من الجراثيم المخضرة صناعياً بنباتٍ مخصوصة الى الارض · وهذا النوع من الجراثيم يسمى بكتيريوم راديسيكولا وهو الموجود داخل درنات الفصيلة البقلية او القرنية وهو من الجراثيم التي تموت اذا بلغت درجة الحرارة السبعين من مقياس سنتغراد او اذا عطشت الارض او لم يكن فيها الرطوبة اللازمة· ونباتات الفصيلة البقلية تختلف عن نباتات الفصيلة النجيلية كالقمح والشعير والذرة في اخذها للازوت فالاخيرة تأخذ ازوتها مما في الارض وعلى مقدارهِ يتوقف نمو نباتاتها اما الفصيلة البقلية فتأخذ الازوت من الارض ومن الجو ولكنها تأخذ الجزء الاكبر من الهواء · وقوة تمثيل هذا الازوت الهوائي ليست في النبات نفسهِ بل في الجراثيم القاطنة داخل الدرنات التي على جذورهِ وبذلك ينتفع النبات منها بما تقدمهُ لهُ من اهم العناصر التي يحتاج اليها في تغذيتهِ كذلك يقدم لها غذاءها الكربوني الذي تحتاج اليهِ وبذلك تكون معيشتها بالتبادل

فمن البديهي اذاً ان الارض الغنية بالبكتيريوم راديسيكولا تنمو فيها نباتات الفصيلة البقلية نمواً عظيماً ولذلك اخذ علماء الزراعة يعملون التجارب العديدة لكي يصلوا الى طريقة تمكنهم من تربية هذا النوع من البكتيريوم حتى يطعموا بهِ الارض الفقيرة او الخالية منهُ ثم يروا الفائدة التي تعود على الارض والنبات من جراء ذلك · ولكنهم قبل البدء بهذه التجارب يعتنون بفحص الاحوال الموافقة لحياة هذا البكتيريوم وكذلك صلاحية الارض لمعيشتهِ فيها بان تكون خالية من الاحماض وان يكون فيها من الجير والبوتاسا والفوسفات مقدار كاف وفوق ذلك لا تكون غنية جداً بالازوتات لان التجارب اثبتت ان الارض الغنية بالازوت لا توافق البكتيريوم كالتي دونها في مقدار الازوت

والاختبارات الحديثة كشفت القناع عن حقائق مفيدة تختص بهذا البكتيريوم وهي اتحادهُ في النوع واختلافهُ في الفرد اي ان كل فرد من هذا النوع لهُ مميزات ووظائف تختص بهِ دون سواهُ فمثلاً اذا اريد تطعيم الارض المراد زرعها برسيماً بجراثيم الدرنات التي في جذور الفول فالبرسيم لا ينمو جيداً كما لو كان التطعيم بجراثيم مأخوذة من جذور البرسيم·

كذلك اذا طعمنا ارض الفول بجراثيم البرسيم فالمحصول الناتج يكون اقل بكثير مما لو كان التطعيم بجراثيم الفول . وهكذا كل محصول لا يأتي باكبر غلة الا اذا لقحت ارضهُ بجراثيمهِ بل ربما يصل الامر — في حالة تلقيح النبات بجراثيم غير جراثيمهِ — ان يخلو هذا النبات من الدرنات بالمرة ومن ثمَّ وجَّه الباحثون عنايتهم الى امر التطعيم وقد تمكنوا في المانيا واميركا وانجلترا من ايجاد ثلاثة طرق لهذه العملية

الاولى — نقل مقدار من الطين نحو نصف طن للفدان من ارض سبق نمو النبات المراد تلقيح مثلهِ فيها الى الارض المحتاجة الى اللقاح

الثانية — استخراج مقدار من الماء الموجود في جوف ارض سبق نمو نباتات الفصيلة القرنية فيها ومزجهُ بالماء الذي تروى بهِ الارض التي يراد تطعيمها

الثالثة — تحضير الجراثيم صناعيًّا على منابت موافقة لها

الطريقة الاولى اقدم الطرق استعمالاً وهي على العموم افضلها مع ما يصادفها من العقبات التي تزول بالعناية كجلبها الحشائش المضرة حين نقل الطين الى الارض المراد تلقيحها او نشر الامراض النباتية فيها ولكن ذلك يزول تماماً باختيار ارض سليمة من هذه الامراض مع ملاحظة نمو نباتات الفصيلة القرنية فيها نموًّا مرضيًّا ووجود الدرنات على جذورها بكثرة . ولا يؤْخذ الجزء المنقول من الطبقة السطحية بل من الطبقة التي تعيش فيها الجذور وهي بين خمسة سنتيمترات وخمسة عشر سنتيمتراً تحت سطح الارض وينثر هذا المقدار من التراب على الارض قبلما يجف وتموت الجراثيم . ثم تحرث الارض حتى تنتشر فيها حبوب الطين المضاف . وهذه الطريقة قد استعملت وافادت في كثير من البلدان فهي التي اصلحت اراضي شرقي بروسيا الضعيفة وقد اجراها الدكتور شلتز . وتوجد مساحات كبيرة من الاراضي الرملية القاحلة أُصلحت وصارت تنبت نباتات قوية وذلك بنقل جانب من طين ارض زرعت ترمساً (وهو من نباتات الفصيلة البقولية) اليها ثم زرعها ترمساً وحرثهُ فيها وهو اخضر مع تسبيخ الارض باسمدة معدنية فقط فثبت مقدار عظيم من ازوت الهواء الجوي لينتفع بهِ النبات اللاحق لهُ وبعد حرثهِ في الارض يصير دبالاً فيصلح الارض

الطريقة الثالثة سهلة الاستعمال ولكنها ليست محققة النتيجة في كل الاحوال وهي من العمليات التي وجَّه اليها الباحثون عنايتهم . وكيفية استعمالها ان تربى المكروبات التي داخل الدرنات على منابت مختلفة الى حين الاحتياج اليها فيؤْخذ منها جزء ويوضع في لبن مخيض يوماً او يومين حتى تنمو الجراثيم الموجودة في الجزء المضاف وتتكاثر ثم ترش الحبوب

المراد زرعها بهذا المحلول قبل زرعها او ترش الارض بالمحلول مباشرة

والمنابت التي امكن تربية المكروب وحفظهُ عليها آخذة في الازدياد واول منبت ظهر واستعمل بكثرة هو النتراجين Nitragin وهو يشبهُ في شكلهِ المادة الهلامية مركب من مواد ازوتية تضعف قوى الميكروبات المثبتة للازوت . ولهذا ثبت انهُ غير وافٍ بالغرض ولانهُ علم حديثًا ان كل نبات من نباتات الفصيلة القرنية يحتاج الى نوع مخصوص من الجراثيم . والبكتيريا المرباة في هذا المنبت هي من نوع واحد فمن الخطإ استعمالهُ لكل نبات وهذا سر عدم نجاحهِ في كثير من المرات التي استعمل فيها ولكنهُ افاد في اصلاح الارض الرملية التي ازوتها قليل لا تكفي لانماء النبات فاذا زرع البرسيم فيها بعد التطعيم يكون مقدار الازوت فيهِ نحو ١٤٤ رطلاً اما قبلهُ فيبلغ نحو اربعة ارطال ونصف والسبب في ذلك واضح وهو افتقار مثل هذه الارض الى البكتيريوم راديسيكولا ولذا جاءت النتيجة بعد اضافتهِ بهذا الفرق العظيم

وقد استعمل النيتراجين في اراضي كوم امبو بعد تصليحها ولكنهُ لم يأتِ بالفائدة التي استعمل من اجلها وهذا مما يؤيد القول السابق الذي يستخلص منهُ عدم نجاح النيتراجين في اكثر الاحايين

محمد عتار الجمال
بمدرسة الزراعة

المواشي المصرية

عددها

كان عدد البقر في القطر المصري كلهِ ٦٥٦ ١٦٦ في اواخر سنة ١٩١١ وعدد الجواميس ٤٠٦ ٦٥٧ والجواميس قلما تستعمل لاعمال الزراعة فيكون اكثر الاعتماد فيها على البقر والمرجح ان نصفها عجول واناث لا تستطيع العمل فتكون اعمال الزراعة من حرث وتقصيب والمعة كلها على نحو اربع مئة الف من الثيران والجواميس او على نحو مئتي الف زوج . واطيان القطر الزراعية تبلغ نحو ستة ملايين فيطلب من الزوج الواحد ان يخدم ثلاثين فدانًا على الاقل وان يكفي زبل الراس الواحد من البقر والجواميس سمادًا لخمسة افدنة . وهذا قليل جدًّا لخدمة الزراعة ولتسميدها اذا قوبل بسائر البلدان الاوربية الزراعية لاسيما وان تلك البلدان تستخدم الخيل ايضًا في الزراعة وهاك جدولاً لعدد الخيل والبقر في بعض هذه البلدان

	خيل	بقر	عدد السكان
المانيا	٤ ٣٤٥ ٠٤٣	٢٠ ٦٣٠ ٥٤٤	٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠
بريطانيا	٢ ٠٢٣ ٧١١	١١ ٨٢٥ ٩٨٤	٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠
فرنسا	٣ ٢٣٦ ١٣٠	١٤ ٢٩٧ ٥٧٠	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠
بلجكا	٢٥٥ ٢٢٩	١ ٨٥٦ ٨٣٣	٧ ٥٠٠ ٠٠٠
البلغار	٥٣٦ ٦١٦	٢ ١٦٧ ٢٧٥	٤ ٣٢٩ ٠٠٠
الدنمارك	٥٣٥ ٠١٨	٢ ٢٥٣ ٩٨٢	٢ ٧٧٥ ٠٠٠

واقل نظر الى هذا الجدول يبين منهُ قلة المواشي في القطر المصري بالنسبة الى عدد سكانهِ فانهُ ليس فيهِ الاَّ ماشية واحدة لكل عشر انفس من السكان مع ان في البلدان الصناعية التجارية كالمانيا وانكلترا وفرنسا وبلجكا توجد ماشية لكل ثلاث انفس او اقل وفي البلاد الزراعية كالبلغار والدنمارك ماشية لكل نفس او نفسين من السكان

نوعها

جاء في كتاب الزراعة الذي وضعتهُ نظارة المعارف المصرية « ان بعض المواشي المصرية من اكبر المواشي في الدنيا واقواها » . وهذه شهادة كل الذين شاهدوا المواشي التي تعرض في المعارض الزراعية المصرية او رأوها مجتمعة في الاسواق العمومية فقد رأينا منها بالامس في اسواق اسيوط ما لم نرَ مثلهُ في فرنسا ولا في سويسرا ولا في انكلترا . ولكن بعض المواشي المصرية صغير ضعيف هزيل

وهاك صفات الثور الصالح للاعمال الزراعية ملخصة من كتاب الزراعة المشار اليهِ آنفاً

(١) يجب ان يكون كبيراً سريع الحركة قوي البنية واسع الرأس قصير الرقبة قويها لهُ سنمة حيث تتصل رقبتهُ بكتفهِ ليهدأ النير (الناف) عليها . وان يكون ظهرهُ طويلاً نوعاً عريضاً ظاهر العضل فوق حقويهِ ولا انحناء فيهِ واضلاعهُ بارزة من ظهرهِ ومحيطة ببطنهِ وتكاد تصل الى وركيهِ وصدرهُ عريضاً وعميقاً عند قلبهِ وقوائمهُ متصلة ببدنهِ اتصالاً محكماً متيناً ويجب ان يكون كفلهُ عريضاً تظهر فيهِ عضلات كبيرة قوية وان تكون موقفهُ مستقيمة كثيرة العضل وان تصل عضلاتها الى ركبهِ وتكون العظام من تحت الركب الى الاظلاف كبيرة مسطحة وان تكون الاظلاف صلبة منتظمة

عملها

والزوج الواحد من الثيران يحرث نصف فدان في اليوم في الارض الثقيلة وثلاثة ارباع

الفدان في الارض الخفيفة وفداناً واحداً في الحرثة الثالثة للقطن ويزحف ثمانية افدنة الى عشرة ويزحف بالزحافة الاميركية ثمانية ويمهد بالممهدة ستة افدنة الى ثمانية ويخطط فدانين للقطن ويدرس فدان قمح في ثلاثة ايام ونصف وفدان شعير في ثلاثة ايام وفدان برسيم في يوم ويروي بالساقية نصف فدان في اليوم اذا كان عمق الماء اربعة امتار . وهو يكفي لري ثمانية افدنة من القطن كل مدة ري القطن اي انهُ يروي نصف فدان مرةً كل ١٦ يوماً

مستقبل القطن المصري

لما نشبت الحرب الاهلية في اميركا وغلا القطن غلوًّا فاحشاً حاولت بلدان كثيرة زرعهُ لكي تستغل منهُ ما يكفي معاملها ويُلبس اهلها فيقلّ اعتمادها على اميركا . فالروس يقولون ان عندهم خمسة ملايين فدان في تركستان تصلح لزرع القطن وقد انشئت شركة لذلك تساعدها الحكومة الروسية ولكن لم تظهر آثار نجاحها حتى الآن . وقال السر وليم ولككس ان اراضي ما بين النهرين تصلح لزرع القطن كاراضي القطر المصري وهي ثلاثة ملايين فدان ويمكن زرع القطن فيها كلها . وزراعة القطن واسعة النطاق جدًّا في بلاد الهند وقد اخذت الحكومة الهندية تمدُّ سكك الحديد اليها حتى يسهل نقل القطن منها . ولكن ذلك كلهُ لا يمنع ان يبقى السبق للقطن الاميركي في الكثرة وللقطن المصري في الجودة ولا يخشى منهُ على هبوط الاسعار ما دام الاميركيون يعتدلون في مساحة الارض التي يزرعونها حتى لا يزيد محصولها على المقطوعية

وارباب الزراعة في هذا القطر يعلمون حق العلم ان متوسط محصول الفدان الذي هو الآن اربعة قناطير ونصف قنطار هو وسط بين طرفين بعيدين الاعلى من ستة قناطير الى ثمانية والاسفل من قنطار الى ثلاثة وان فدانين متجاورين متساويين في نوع التربة وحالة الري يحصل من احدهما ثمانية قناطير ومن الآخر قنطاران لا غير لان الاول يستوفي الحرث والعزق والتسميخ والثاني لا يستوفي شيئاً من ذلك . فاذا خدم كل اهل الزراعة قطنهم حق الخدمة فلا يبعد ان يرتفع المتوسط ويصير ستة قناطير بدل اربعة او اربعة ونصف وحينئذٍ يبلغ محصول المليون والسبع مئة الف فدان التي تزرع الآن قطناً كل سنة عشرة ملايين قنطار او اكثر . ومتى بلغنا هذا المتوسط نصير بمأمن من كل مناظرة لانهُ ما من احد من المناظرين يستطيع ان يجني من الفدان اكثر من قنطارين على المتوسط

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستقدم على المطوَّلة

لزوم استعمال اليدين على حدٍّ سوى

الاصطلاح على استعمال اليد اليمنى وحدها من العادات الغريبة التي جرى الناس عليها حتى اليوم . بل النهي عن استعمال اليد اليسرى كما يفعلون في تربية الاطفال في البيوت والمدارس اغرب من ذلك ايضاً . ونحن لو تأملنا في الامر جيداً لوجدنا ان تربية الطفل على استعمال احدى اليدين فقط نقصٌ يحرمهُ من وظيفة عضو من اعضائهِ . وما زعم بعض الباحثين في فلسفة وظائف الاعضاء ان الميامنة من العلامات الراقية في الانسان واستنتاجهم من ذلك ان الرجل ارقى من المرأة لانها تياسر في حركاتها اكثر منهُ الأ من قبيل التفرُّس الذي ليس عليهِ اقل دليل تشريحي . وسبب الميامنة غالباً في التربية والعادة كما يدل عليهِ تعويد اليد اليسرى على العمل عند فقد اليد اليمنى

فحرمان الانسان من استطاعة استخدام بعض اعضائهِ بالتربية جناية كبرى عليهِ تضرُّ بهِ احياناً كثيرة ضرراً بليغاً . فيجب على الآباء في البيوت والمعلمين في المدارس ان يمرّنوا الاطفال على استعمال اليدين معاً في الاكل والكتابة والخياطة وكل عمل آخر . وهم اذا فعلوا اعادوا الى الانسان عضواً طبيعياً افقدهُ اياهُ سوء تربيتهم هذه . وامكان ذلك دليل ناصع على ان الاقتصار على استعمال يد واحدة غير طبيعي . وكل ما خرج عن الطبيعة فهو تشويهٌ منا غير محمود

الدكتور

شبلي شميل

اصل الانسان

حضرة العالمين الفاضلين

رأيت اثناء مطالعتي عدد نوفمبر مقالة في نشوء الانسان للدكتور أليوت سمث فعجبت لما فيها من الآراء … إذ كيف يعتقدون ان الانسان بينهُ وبين الغورلا قرابة ؟ ألم يثبت في التوراة المنزلة كما ثبت في القرآن الكريم ان آدم ابو البشر خُلق من طين ؟ فكيف نعتقد مع هذا ان الانسان كان حيواناً من ذوات الاربع ثم تطوَّر في ادوار النشوء والترقي واعتدلت قامتهُ وصار على هذه الهيئة . ام صرنا في زمن لا يعتقد فيهِ بصحة الكتب المنزلة ؟ فان كان كذلك فتبًّا لهذه الفلسفة . والخلاصة اني يمكنني ان اعتقد بنشوء الدماغ ونموه حتى وصل الى هذه الدرجة ولا يمكنني الاعتقاد ان الانسان خُلق غير انسان وارجوكم إبداء رأيكم في هذا الموضوع الجليل عسى ان يزول مني الشك

محمود الناظر بام درمه

[المقتطف] يظهر لنا ان الناس على ضروب مختلفة من حيث الاعتقاد بنشوء الانسان فمنهم اناس ينكرون صحتهُ مطلقاً لانهُ مناقض لما جاء في التوراة وهؤلاء قد ينكرون ايضاً كل ما يظهر ان التوراة مخالفة لهُ كخلق الشمس قبل الارض وكون الارض تدور على محورها وحول الشمس . ومنهم من يسلم بصحة النتائج العلمية وبصحة ما جاء في التوراة ولو كان مناقضاً لها ولا يهتم بالتوفيق بينهما . ومنهم من يسلم بصحة النتائج العلمية ويؤول ما جاء في التوراة مما يناقضها ومن هؤلاء كثيرون من رؤساء الدين في هذا العصر . وقد قال بعضهم اننا اذا استعظمنا قدر من يصنع ساعة فقدر من يصنع ساعة تصنع ساعة مثلها اعظم جدًّا وعندهم ان مذهب نشوء الانسان كما يقول بهِ علماء الطبيعة ادلُّ على قدرة الله من مذهب الخلق المستقل ومنهم من يسلم بصحة نتائج العلم كلها ما عدا نشوء الانسان فيقول انهُ غير متولد من غيرهِ من الحيوان بالنشوء الطبيعي جسداً وعقلاً ونفساً كما تولدت سائر انواع الحيوان والنبات بل كان للعناية الالهية عملاً خاصاً في توليده . ومن هذا القبيل ولس العالم الطبيعي وهو من المعتقدين ايضاً بمناجاة الارواح وبان الارواح حملت هوم المشهور وانتقلت بهِ من مكان الى آخر . ومنهم من يسلم بصحة نتائج العلم وينكر صحة ما جاء في التوراة مما يناقض هذه النتائج او لا يعبأ بهِ سواء وافق نتائج العلم او خالفها . ومن شاء ان لا يكون مقلداً وحسب ان معرفة تولد الانسان ضرورية لهُ فعليهِ ان يبحث ويقابل بين ادلة العلماء الباحثين ويختار ما يرضى بهِ عقلهُ

باب التقريظ والانتقاد

لدينا الآن كتب كثيرة للتقريظ والانتقاد اذا كتبنا عنها ما اعتدنا ان نكتبهُ عن امثالها ضاقت صفحات المقتطف دون استيفاء ذلك فرأينا ان نكتفي بالاشارة اليها

(١) الاحصاء السنوي العام لسنة ١٩١٢ — فيهِ ٥٣٥ صفحة كبيرة حافلة بالفوائد الاحصائية عن هذا القطر وضعتهُ مصلحة الاحصاء المصرية وثمنهُ عشرون غرشاً

(٢) مجموعة مذكرات — كتاب كبير لحضرة عزيز بك خانكي المحامي جمع فيهِ بعض المذكرات التي وضعها للقضايا التي رافع فيها وضمنها كثيراً من اقوال الفقهاء وآراء العلماء واحكام المحاكم وما بدا لهُ من الآراء الخصوصية

(٣) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية — للاب لويس شيخو اليسوعي محرر مجلة المشرق وهو فصول دقيقة البحث مجموعة من مقالات شتّى نشرت اولاً في مجلة المشرق

(٤) ميمر ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع في وجود الخالق والدين القويم — نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي نقلاً عن مجلة المشرق

(٥) تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى — وهو ملخص المحاضرات التي القاها السنيور كرلو نلينو في الجامعة المصرية وقد طبع بمدينة رومية ونشرنا شيئاً منهُ في هذا الجزء من المقتطف

(٦) المدية التهمية في تذليل صعوبات اللغة الانكليزية تأليف حضرة محمد افندي فهمي المغربي — هو اوسع كتاب في موضوعهِ وقفنا عليهِ حتى الآن لكثرة ما فيهِ من المصطلحات الانكليزية والعربية

(٧) حديث القمر — كتاب انشائي وضعهُ حضرة مصطفى افندي صادق الرافعي وفيهِ قصيدة بليغة نقلناها عنهُ الى الجزء السابق من المقتطف وهو يطلب من مكتبة البيان في شارع عبد العزيز وثمنهُ خمسة غروش

(٨) محمد والخلفاء Mahomet et les Khalifes كتاب وضعهُ باللغة الفرنسوية حضرة ميشيل بك شنوات وضمنهُ تاريخ اهم ما حدث في دول الاسلام من اول عهدهِ الى الآن

(٩) تقويم البشير لسنة ١٩١٣ . تأليف حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة البشير — يمتاز هذا التقويم بجدول ذكرت فيهِ مبادىء السنين الهجرية من السنة الاولى التي ابتدأت يوم الجمعة في ١٦ تموز (يوليو) سنة ٦٢٢ الى سنة ١٤٢١ التي تبتدئ الخميس في ٦ نيسان (ابريل) سنة ٢٠٠٠ للمسيح . وفيهِ ايضاً ترجمة القانون الاساسي للمالك العثمانية ونظام جبل لبنان الذي وضع في ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية وعدد سكان الولايات العثمانية نقلاً عن تقويم غوتا سنة ١٩١٢ . وقد جعلت فيهِ تونس من ولايات الدولة العلية وجعل سكان لبنان مئتي الف فقط

(١٠) ديوان مراد — قصائد نظمها حضرة مراد افندي فرج المحامي في مواضيع ادبية مختلفة كالانفار والسعادة وحب الحياة وهل الانسان حر والقمار و بيروت وباريس والافق وقت الصباح وآخر بدعة وساعة مصر ومخاطبة الميت في قبره

(١١) امثال الشرق والغرب — جمعها ورتبها حضرة يوسف افندي توما البستاني وكثير منها مما مر بنا ونشرناهُ في المقتطف

(١٢) كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ للهجرة . وقد نشرهُ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي وذيلهُ بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس حتى تسهل الاستفادة منهُ على المستفيد

(١٣) الدليل الوحيد بقلم محمد افندي فريد . هو جداول لحساب السهم والقيراط والفدان من فئة عشرة مليات الى عشرين الف مليم وتحويل الاسهم والقراريط والافدنة الى القصاب مربعة وامتار مربعة من سهم واحد الى مئة فدان وتحويل المسكوكات المصرية والاجنبية

(١٤) الجزء الاول من كتاب الدين والاسلام لمؤلفهِ محمد الحسين آل كاشف الغطا النجفي . وقد طبع طبعة ثانية على نفقة الشركة العراقية في مطبعة العرفان بمدينة صيدا

(١٥) السل والوراثة والمحيط Tuberculosis, Heredity and Environment خطبة للاستاذ كارل بيرسن تليت في معمل غلتن المقام للبحث في اصلاح النسل

(١٦) مسألة اصلاح النسل The Problem of Practical Eugenics للاستاذ كارل بيرسن ايضاً والخطبتان نفيستان عميمتا الفوائد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ضرر الدراجة

ابدي . الخواجه باسيل فارس البسيط . هل ركب الدراجة (البسكلات) مضر ام مفيد للصحة

ج . الدراجة ليست واسطة للصحة بل للانتقال كالخيل والبغال والحمير وهي تفي بهذه الغاية على احسن سبيل وقد سهلت توزيع التلغراف والبريد في المدن . واذا قصد بها الخروج للنزهة وفت بالغاية ايضاً وليس من ركوبها ضرر بالصحة الاَّ اذا افرط في استعمالها او كان الراكب مصاباً بمرض قلبي .

وخير ما قيل في هذا الموضوع ما نقلناهُ عن جريدة اللانست الطبية في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف وهو

« ان الدراجة اذا أُريد بها مجرد النزهة فقد يطول استعمالها وقد تهمل غداً تبعاً لاصطلاح الناس لانهم قد يخترعون اسلوباً آخر للنزهة فلا يعودون يلتفتون اليها . واذا أُريد بها السرعة في الانتقال وقضاء الاعمال فقد اصبحت من اللزوميات التي لا بدَّ منها وسيزيد استعمالها رويداً رويداً ولذلك يجب ان يبذل العلماء جهدهم وعناية ما يبلغ اليهِ علمهم لجعلها كثيرة النفع قليلة الضرر . وقد ابان الاطباء منهم ان الافراط في ركوبها مضر جدًّا ولا سيما للمصابين بالامراض القلبية . ثم ان اشكالها مختلفة وبعضها لا يناسب الذين يركبونهُ على الاطلاق بل من ركوبهِ ضرر أكيد كالدراجة التي مقبضاها واطئان جدًّا او مقعدها بعيد عنها حتى يضطر الراكب ان يحدودب كثيراً . ومعلوم ان الضرر يكون على اعظمهِ اذا كان الراكب صغير السن ولذلك يجب على الوالدين ان لا يسمحوا لاولادهم بركوب دراجة ما لم يرها رجل خبير ويؤكد لهم ان ليس من ركوبها ضرر »

(٢) اشتراك المقطم

ومنهُ . كم اشتراك المقطم الاسبوعي

ج . ستة عشر فرنكاً ونصف فرنك

(٣) الاعتقاد بالخرافات

ومنهُ . اخبرني احد اصدقائي الذين اثق بهم عن امرأة في قرية ازرع بحوران

قريب بعضها من بعض اذا اراد الابن الشرعي ان يمرّ من بين عمودين منها مرّ بسهولة مهما كان سميناً واما الابن غير الشرعي فلا يستطيع المرور بينهما مهما كان نحيفاً . وعن بركة في قرية شدروخ بحوران يشرب منها الابن الشرعي واما غير الشرعي فاذا حاول الشرب منها فانها تجف حالاً فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فكيف تعللونهُ

ج . لو طرحتم سوء الكم هذا على ولد عمره بضع سنوات لاجابكم على الفور انهُ غير صحيح اي ان العقل الفطري يني هذه الخزعبلات ولا يصدقها الا اذا احتال عليهِ المحتالون وربطوها بقوى غير طبيعية . وقد اتفق حين كتابة هذه الكلمات ان زارنا الدكتور شميل ورآنا نبتسم ونحن نكتب فقال ما انتم كاتبون فقلنا كذا وكذا فقص علينا القصة التالية قال : — اعرف ولداً نظر الى السماء ذات ليلة وعمره نحو ثلاث سنوات وقال لمربيتهِ « ما هذه النجوم » فقالت لهُ « هذه قناديل ربنا » فقال لها « لماذا اذا لا يوطيها حتى نرى بها » انتهى

فترون من ذلك ان عقل الطفل لم يستطع ان يسلم بان النجوم قناديل ولكن اذا رأى كاهن او شيخ مصلحة لهُ في القول بان النجوم قناديل وكرّر قولهُ على اسماع الناس القوه فسلَّموا بهِ وبطل اعتراضهم عليهِ ومن هذا القبيل تسليم العامة وبعض الخاصة ايضاً بما لا ينطبق على عقل مستنير ولا على عقل فطري

(٤) تعدُّد الالهة

ام دومه . محمود افندي الناظر . كان قدماء اليونان يقولون بتعدُّد الالهة فيقولون ان للجمال الهاً وللنور الهاً وللحرب الهاً فكيف ذلك مع انهُ كان فيهم فلاسفة مفكرون

ج . يظهر لنا ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد . فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكُّم لا موجب لهُ لانهُ كما يصحُّ عقلاً ان يكون في العالم الهٌ واحد يصح ان يكون فيهِ الهان او ثلاثة او اكثر . سمعنا مرةً عالماً من اكبر العلماء يبرهن على وجوب وحدة الخالق بقولهِ اذا وجد في العالم الهان فيستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء واذا اختلفا في القوة تغلب احدهما على الآخر ولاشاه فيبقى الهٌ واحد . فقلنا لهُ كيف تثبت المقدمة الاولى وهي قولك انهُ يستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء لاننا لا نراها من البديهيات . فاستغرب ذلك منا وقال هاتوا لي شيئين متساويين . فقلنا لهُ ان الجوهر الواحد من الذهب او الفضة يماثل الجوهر الآخر وهب انهما مختلفين فاحدهما لا يلاشي الآخر . فرأينا كان هذا المثل لم يخطر على بالهِ قبلاً . ولذلك يرجع علماء الاديان الآن ان عقيدة التوحيد وصلت الى الناس بالهام الهي

(٥) ثمار الخرنوب

ومنهُ . عندي شجرة خرنوب تزهر وحينما تقارب الانعقاد يسقط جميع ثمرها فهل من شيء يحفظ ثمرها حتى يكبر

ج . الغالب ان شجر الخرنوب كالنخل بعضهُ ذكر وبعضهُ انثى ويلقح بعضهُ من بعض فان كانت ازهار شجرتكم تنعقد قروناً صغيرة ثم تسقط فهي انثى ويجب ان تطعموا غصناً منها من ذكر او تزرعوا شجرة ذكراً على مقربة منها . والغالب ان يكون الخرنوب النامي من البزر ذكراً لا انثى وحينئذٍ يطعم من شجرة انثى وقد يكون ذكراً وانثى في شجرة واحدة

(٦) وقوف الشمس والقمر

لبنان . الخواجه توفيق حسني . جاء في التوراة في سفر يشوع ما نصهُ « وقال امام عيون اسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي ايلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائهِ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » فمن هذا القول يتضح لنا ان الشمس تدور والارض لا تدور فكيف تقولون ان الارض هي التي تدور حول الشمس

ج . ان وقوف الشمس الذي ذكرتموهُ لا ينتفي اذا كانت الارض تدور على محورها وحول الشمس لانها لو وقفت حينئذٍ نحو يوم كامل لظهر ان الشمس هي التي وقفت . اما وقوف الارض او وقوف الشمس نحو يوم كامل فليس من الامور التي تنطبق على علم الفلك ونظام الكون ولهذا يقول علماء التفسير الآن ان هذا الكلام شعر منقول من قصيدة وصف كاتبها غلبة بني اسرائيل وصفاً شعرياً لا يلزم ان يكون منطبقاً على الواقع . ويدل على ذلك الفقرة التي حذفتموها وهي قولهُ « اليس هذا مكتوباً في سفر ياشر »

(٧) الارقام الهندية

مصر . عزيز افندي رزق . مَن اخترع الارقام الحسابية هل العرب كما يقول بعضهم واذا كان الامر كذلك فمن اين كان لليونان تلك الارقام التي استعملوها في رياضياتهم

ج . الارقام الحسابية هندية الاصل كما يدل اسمها عندنا فاننا نسميها الارقام الهندية . وقد نوع العرب شكلها قليلاً واقتبسها منهم الافرنج فسموها الارقام العربية . اما اليونان فكانوا يستعملون حروف الهجاء للدلالة على الارقام كما استعمل العبرانيون والعرب حروفهم الهجائية للدلالة على الارقام . وبقي العرب يستعملون حروف الهجاء في العلوم الرياضية الى عهد غير بعيد لكن النظام الهندي اي جعل قيمة الرقم عشرة اضعاف ما كانت لو نقل مرتبة الى اليسار هو اخصر نظام استعملهُ الناس حتى الآن وكان اليونان والرومان يستعملون نظاماً مشابهاً لهُ لاستعملوهُ من وضع

الارقام في الجدول او الشبكة التي يكون فيها الرقم الذي في المنزلة الثانية عشرة اضعاف الرقم الذي في المنزلة الاولى ولكنهم لم يفطنوا لوضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام ليستدلّ بها على منزلة الرقم الموجود وهذا فطن لهُ الهنود فهم مستنبطو وضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام وهو اهم استنباط حسابي وكانت علامة الصفر عند الهنود نقطة كما هي عند العرب الذين اقتبسوها منهم ثم ابدل الهنود النقطة بدائرة . واقدم كتابة هندية معروفة وُجدت الدائرة فيها للدلالة على الصفر تاريخها سنة ٨٧٦ م للميلاد فالعرب اقتبسوا ارقامهم من الهنود قبل ذلك التاريخ او بقي الصفر نقطة في الاماكن التي اقتبس العرب ارقامهم منها ان كانوا قد اقتبسوها بعد ذلك التاريخ . اما كيفية اخذ الافرنج لهذه الارقام من العرب فنفصلها في فرصة اخرى

(٨) من اوجد علم الفلك

ومنهُ من اوجد علم الفلك وهل للاهرام باب لهُ عبرة فلكية كما يقال

ج . الفلك كمعارف غير مجموعة ومبوبة ومنظمة قديم جدًّا فان الناس انتبهوا الى بعض الظواهر الفلكية من قدم الزمان فعرفوا ان الشمس تشرق وتغرب وان النهار يطول صيفًا في مثل عرضنا ويقصر شتاء وان القمر يظهر هلالاً ثم يتسع الجزء المنير منهُ حتى يصير بدراً ثم ينقص رويداً رويداً حتى يختفي ثم يعود هلالاً ومدة ذلك نحو ٢٩ يوماً . ومنهم من انتبه الى ظواهر فلكية لا يجهلها عامتنا اليوم وهو ان قرب القطب الشمالي نجماً تدور النجوم حولهُ حسب الظاهر . وباب الهرم الأكبر من اهرام الجيزة متجه الى هذا القطب . والسرداب النازل من هذا الباب الى داخل الهرم مائل حسب ارتفاع نجم القطب عن الافق اي ان الجالس في آخر هذا السرداب يراهُ متجهاً الى القطب الشمالي فاستنتج البعض ان الذين بنوا ذلك الهرم كانوا يعرفون زاوية ارتفاع القطب . وهذه المعرفة من المعارف الفلكية المهمة وقد يستدل بها على تاريخ بناء الهرم . وقال السر نورمن لكير انهُ يظهر من اتجاه بعض الهياكل المصرية ان المصريين كانوا يعرفون ايضاً زمان الاعتدالين والانقلابين ونحو ذلك من الحقائق الفلكية . وقد ذكرنا بعض آراء المصريين الفلكية في الصفحة ٥٢٢ من المجلد الثامن والثلاثين من المقتطف . ولكن علم الفلك بقواعده المعروفة اليوم لم يكن معروفاً عندهم بل ان بعض ما يعرف اليوم منهُ لم يكن معروفاً منذ عشرين سنة

(٩) كروية الارض

ومنهُ . من اول من قال بكروية الارض

ج . فيثاغورس الفيلسوف اليوناني

(١٠) وزن الارض

ومنهُ · هل يمكن ان يعرف وزن الارض وكم هو

ج · نعم فان حرم الارض معروف ولقد عرفهُ اليونان بالتقريب اي انهم قاسوا طول الدرجة على سطح الارض ومتى عُرف طول الدرجة عُرف محيط الارض ومتى عرف محيط الكرة عرفت مساحتها ومتى عرفت مساحة الجسم وعرف ثقلهُ النوعي او ثقل المتر المكعب منهُ عرف ثقلهُ كلهِ بسهولة · ووزن الارض نحو ستة آلاف الف الف الف الف الف الف طن او ستة آلاف مليون مليون مليون طن

(١١) الطقس والاخلاق

ومنهُ · هل للطقس تأثير في اخلاق الانسان وقواهُ العقلية

ج · نعم لان كل ما يؤثر في الجسم من حر وبرد ونور وظلمة يؤثر في العقل ايضاً

(١٢) التشاؤم بالعدد ١٣

ومنهُ · ما سبب تشاؤم الافرنج من العدد ١٣

ج · يقال ان تشاؤمهم مبني على انهُ لما جلس السيد المسيح العشاء الاخير هو وتلاميذهُ الاثنا عشر كان واحد منهم يهوذا الاسخريوطي الذي سلمهُ

(١٣) انتحار عبد العزيز

بغداد · رزق افندي عيسى · هل انتحر السلطان عبد العزيز حقيقة او قتل بايعاز مدحت باشا واعوانهِ

ج · الرواية الرسمية انهُ انتحر انتحاراً قطع شريان يدهِ بمقراض فنزف دمهُ ولكن الحقيقة غير معلومة

(١٤) رفع الوطن من الحضيض

ومنهُ · أصحيح ما يدعيهِ بعض الصحافيين الاحداث ان في وسعهم اسعاد الامة ورفع الوطن من الحضيض الى اوج المعالي

ج · ان الذي يستطيع ذلك كلهُ او بعضهُ لا يتبجح بمثل هذه الدعوى ولكن لا شبهة في ان كل احد يستطيع ان يضع ولو حجراً واحداً في هذا البناء العظيم اي اسعاد الامة ورفع الوطن

(١٥) تحريم السرقة

ومنهُ · ما هي الادلة القاطعة على تحريم السرقة

ج · التحريم امر ديني والاديان تنهى عن السرقة ولا دليل فوق ذلك · ولكن ان اردتم الدليل على ضرر السرقة فالسارق قلما يُضرُّ والذي تسرق امواله يضرُّ عالماً بحرمانهِ مما هو لازم لمعيشتهِ او راحتهِ · ولكن الضرر الاكبر يقع على الجماعة التي تجيز السرقة لانها تفقد حق التملك الذي هو اساس العمران وتعود الى البداوة والفوضى

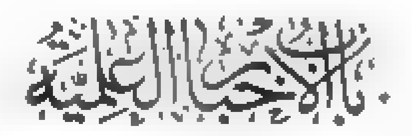

الاستاذ جاك هدامار

انتُخب الاستاذ جاك هدامار استاذ الميكانيكيات التحليلية والفلكية في كلية فرنسا واستاذ التحليل الرياضي في مدرسة باريس الصناعية عضواً في اكادمية العلوم بدلاً من الاستاذ هنري بونكري المتوفَّى

موتمر الطب الدولي

سيعقد موتمر الطب الدولي في شهر اغسطس التالي في مدينة لندن ويُنتظر ان يجتمع فيهِ خمسة آلاف من الاطباء . وهو يعقد مرة كل اربع سنوات وقد عقد آخر مرة في بودابست سنة ١٩٠٩ . وسيتولى رئاستهُ هذه المرة السر توما بارلو رئيس كلية الطب الملكية ويخطب فيهِ الاستاذ شوفار (من باريس) في الطب والاستاذ بول امرلخ (من فرنكفورت) في الباثولوجيا . والمستر جون برنز من اعضاء البارلمنت في الصحة العمومية والاستاذ هارفي كوشنغ (من جامعة هارفرد باميركا) في الجراحة والمستر بتسن في الوراثة . ويتباحث الاعضاء في كثير من المواضيع الطبية الهامَّة كاسباب الامراض الوبائية وتأثير الغبار في احداث

امراض الرئتين والوسائل التي يمكن اتباعها لمنع الانفجار

النبات المنير

من النباتات انواع تنير في الظلام كما ينير الفصفور وكما تنير الحباحب وقد بحث الاستاذ موليش في ذلك فظهر لهُ ان سبب الانارة مادة اطلق عليها اسم الفوتوجين تكون في خلايا النبات وهي تنير كلما اصابت الماء والاكسجين ومن هذا القبيل البكتيريا المنيرة والفطر المنير

الزراعة في الهند

ان ١٣ في المئة من اراضي الهند حراج و٢٥ في المئة لا تصلح للزراعة و٧ في المئة محولة من غير زرع لكنها تزرع في السنة التالية و٣٦ في المئة مزروعة و١٧ في المئة من الاراضي المزروعة تروى بالمساحة و٩٠ في المئة من الاراضي المزروعة زراعتها من الحبوب التي تؤكل كالارز والقمح والارض المزروعة من قصب السكر واحد في المئة والمزروعة قطناً خمسة في المئة وقد زادت مساحتها في السنوات الخمس الاخيرة عما كانت قبلها . اما زراعة النيل فنقصت وهي

الآن ثلث ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات وكذلك نقصت زراعة الافيون فصارت ثلثي ما كانت منذ خمس سنوات وزادت زراعة الشاي والتبغ . والارض التي تروى غلتها اوفر من غلة التي لا تروى

زوال الاكسجين من الهواء

فائدة الهواء في التنفس متوقفة على ما فيهِ من الاكسجين وقد قال الاستاذ خونلب لنك في خطبة القاها في جامعة فينا ان الحجارة الحديدية التي تقذفها البراكين دواماً تمتص الاكسجين من الهواء فيقل رويداً رويداً حتى لا يبقى كافياً للحياة

المسيو بورسل

توفي المسيو بورسل Bourseul المخترع الاول للتلفون نظراً فقد قال سنة ١٨٥٤ انهُ اذا تكلم انسان قرب صفيحة معدنية مرنة حتى تهتز بالصوت ولا يضيع بها شيء من اهتزازاتهِ وكانت متصلة بالمجرى الكهربائي حتى تتصل بها وتنفصل وهي تهتز ووضعت صفيحة مثلها على مدة متصلة بالمجرى الكهربائي فانها تهتز اهتزازها فيسمع الصوت منها وذلك هو التلفون . ولكنهُ لم يخرج قولهُ هذا من القوة الى الفعل

ضرر الحضارة

ثبت لدى البحث ان الاسكيمو الذين ابدلوا الخيام واكواخ الثلج التي كانوا يسكنونها ببيوت مبنية فشا فيهم داء السل وفشا ايضاً في الذين ابدلوا ملابسهم بملابس اوربية

فائدة الحر للزراعة

ابان الدكتور رسل في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان الحرّ يزيد المواد النيتروجينية في الارض ويحفظها لتغذية النبات . ففي آخر صيف سنة ١٩١١ الذي اشتدت الحرارة فيهِ ببلاد الانكليز بلغت المواد النيتروجينية في الاراضي الزراعية اكثر من ثلاثة اضعاف ما يوجد فيها عادة ولكن الامطار الغزيرة التي وقعت بعد ذلك في الخريف والشتاء جرفت كمية اعشارها

مقاومة السل

خطب الاستاذ متشنيكوف في ٢٩ نوفمبر الماضي في هذا الموضوع فقال ما خلاصتهُ كان الرأي الشائع ان السل يعدي بالمس ولكن فلمن الفرنسوي ابان منذ خمسين سنة انهُ يعدي بالتلقيح لا بالمس ثم اكتشف كوخ ميكروب السل سنة ١٨٨١ واتضح بعد ذلك انهُ توجد اصناف مختلفة من هذا الميكروب فنها ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وميكروب سل الطير وميكروب سل السمك واقتلها بالانسان ميكروب سل الانسان

والسل بطيء الفعل غالباً فقد لا يميت الاّ بعد شهور او سنين فان ميكروبهُ يكون

في الانسجة عقداً خلوية اي درناً تكون فيها خلايا كثيرة النوى وهي المرونة بالخلايا الجبَّارة التي تقي الجسم لانها تبتلع ميكروب السل وتتلفهُ فيشفى التدرُّن ويزول او يصير ليفيًّا او كلسيًّا هذا اذا انتهى السل بالشفاء.
والظاهر انهُ كثير الانتشار وان كثيرين يصابون بهِ و يشفون منهُ وهم لا يدرون لان آثارهُ توجد في قمة الرئة في كثيرين من الذين يموتون بامراض اخرى او يعلم وجودهُ فيهم بحقنهم بالتوبركولين . وقد ثبت بهذه الطريقة ان تسعين في المئة من الاوربيين البالغين اصيبوا بالسل وقتاً ما ولكن لا يموت بهِ الأ ١٥ في المئة من الذين يموتون . وهو غير كثير الى هذا الحد بين غير الاوربيين فان الدكتور متشنيكوف وجد انهُ نادر بين التتر والقلموق لا لان اجسامهم غير قابلة للعدوى بهِ بل لان ميكروبهُ قليل في بلادهم ولكنهم اذا سكنوا المدن اصيبوا بهِ مثل غيرهم . وقد اشير بعلاجات كثيرة مختلفة بعضها دوائي و بعضها صحي و بعضها تلقيحي فافادت بعض الفائدة ولكن لم يعرف حتى الآن دواء او علاج يشفي منهُ . وقد جعلت وفياتهُ تقل في المدن الكبيرة كلندن وهمبرج وكوبنهاغن . وسبب ذلك ان اجسام الناس في تلك المدن تتطعم بميكروب السل بدرجة خفيفة او بصنف ضعيف منهُ فيوقون من خطرهِ . وسيكون استئصال السل باكتشاف صنف من ميكروبهِ ضعيف الفعل حتى اذا طُعِّم بهِ الجسم وقاهُ من الميكروب القوي الفعل

غش الاطعمة

في بلاد الانكليزية معمل كيماوي لامتحان كل ما يرد اليها من مواد الطعام والشراب فاذا وجد فيها شيئاً مغشوشاً اتلفهُ او منع بيعهُ . وقد امتحن في العام الماضي ٣٤٧ مليون رطل من الشاي فوجد نصف مليون منها لا يصلح للاستعمال لما فيهِ من الرمل او غيره من المواد الضارة ووجد ثلاثين في المئة من الزبدة حاوية عنصر البور الذي يحفظها من الفساد ولكنها تصير بهِ مضرة بالصحة و ١٨ في المئة منها ملونة بالوان صناعية . ووجد الزرنيخ السام في كثير من البيرة

الراديوم في الشمس

ابان الدكتور ديزون انهُ اذا حلَّل نور الكروموسفير المحيط بالشمس ظهر فيهِ خط الراديوم و ينتظر تحقيق ذلك في الكسوف التالي

الورق من قضبان الكرم

صُنع الورق حديثاً من قضبان الكرم في مدرسة من مدارس الصنائع بفرنسا فجاء مثل الرق لوناً ومتانة ولا يفرق عن الورق الياباني الجيد . ويقال انهُ من اجود انواع الورق لطبع الصور الدقيقة الحفر

العقل والجسد

تباحث جماعة من كبار العلماء في مجمع تقدم العلوم البريطاني في علاقة العقل بالجسد فقرأ الاستاذ مكس فرورن مقالة فسَّر فيها الذاكرة والتجريد وجعلها من الافعال الفسيولوجية فقال ان الخلايا العصبية تكبر بالاستعمال وان قوة التنبه العصبي تتوقف على جرم هذه الخلايا فاذا كانت غير مستعملة وقفت كالحاجز في سبيل التنبه العصبي فيقل فعلهُ بها رويداً رويداً حتى يضعف عن الوصول من خلية الى اخرى . واما الخلايا العصبية المستعملة فتزيد قوتهُ ولذلك فهو يسير في السبل التي كثر تردُّدهُ فيها . وقال الاستاذ لوئْد انهُ لا يمكن فصل العقل عن المادَّة فصلاً تامًّا وان التمييز بين المادي والعقلي كالتمييز بين نوعين من جنس واحد . وتكلم السر توماس كلوستن عن الاحوال المرضية فبيَّن شدَّة الارتباط بين بناء الدماغ والافعال العقلية . وقال الدكتور ملداين انهُ يستحيل فصل العقل عن بناء الجسد ويستحيل ايضاً فصل الافعال الفسيولوجية عن النواميس الطبيعية والكيماوية

علف المواشي والكسب

ظهر بالامتحان ان كسب بزر الكتان اجود علف للمواشي ويليهِ كسب بزر القطن الهندي ثم كسب بزر القطن المصري

الجمعية اليابانية لمقاومة السل

ألَّف الدكاترة البارون تكاجي والبارون ساتو والاستاذ كتاساتو جمعية لمقاومة السل في اليابان فاجتمعت اجتماعها الاول في ٢٩ اكتوبر وانتخبت لجنة تعمل الاعمال اللازمة للقيام بهذا المشروع . ويقال انهُ يموت بالسل مليون نفس كل سنة في بلاد اليابان اي نحو عشرين في الالف من السكان

تقليل الجاذبية بحجبها

وصف الاستاذ ده سِتر بعض المباحث التي بحثها هو والمستر بتلنجر عن تقليل جاذبية الشمس القمر حينما يخسف ويقع كلهُ في ظل الارض فان الاستاذ نيوكم اكتشف شيئاً من الاضطراب في سير القمر لا يعلل بكل القواعد المعروفة ولكن قد يمكن تعليلهُ بان الارض تحجب شيئاً من جاذبية الشمس عن القمر كما تحجب عنهُ اشعة نورها . واذا ثبت ذلك فمن المحتمل ان يرى فيهِ العلماء ما يؤيد مذهب لِساج الذي علل الجاذبية بانها دقائق صغيرة جدًّا منتشرة في الكون بسرعة فائقة وهي تخترق الاجسام التي تصادمها او لا تخترقها حسب نوعها فاذا اصابت جسمين متقابلين ولم تخرقهما وقى احدهما الآخر من الدقائق التي تأتيهِ من نحوهِ فبقي عليهِ الدقائق التي تأتيهِ من الجهات الاخرى فتدفع كلًّا منهما نحو الآخر فيظهر كأنهما يتجاذبان

الجير في الزراعة

ابان الدكتور هتشنسن ان الجير (الكلس) يقتل الميكروبات الضارة التي تكون في الارض الفاسدة كأنهُ يطهرها فيزول الفساد منها كما يزول بالحرارة فيجتذبُ نمو الميكروبات المفيدة للزراعة وزيادة الخصب. وابان ايضاً ان كل مادة نباتية تضاف الى التربة تزيد تجمع النيتروجين فيها غذاء لما يزرع ومن ثم تتضح فائدة زبل المواشي سماداً للارض لانهُ كلهُ مواد نباتية

الاميون في اوربا

بلغ عدد الاميين من كل عشرة آلاف نفس في ممالك اوربا المختلفة ما تراهُ في هذا الجدول

في المانيا	٤
في سويسرا	٩
في الدنمارك	٢٠
في بريطانيا وارلندا	١٠٠
في هولندا	٢١٠
في فرنسا	٣٤٦
في بلجيكا	٨٣٣
في ايطاليا	٣٠٧٢
في روسيا	٦١١٠

فلا يكاد يوجد امي في المانيا وسويسرا والدنمارك. وعدد الاميين في انكلترا واحد في المئة وفي هولندا اثنان في المئة وفي فرنسا ثلاثة ونصف في المئة وفي بلجيكا ٨ وثلث في المئة وفي ايطاليا ٣٠ في المئة وفي روسيا ٦١ في المئة

الجرائد في اوربا

بلغ عدد الجرائد لكل مليون من السكان ما تراهُ في هذا الجدول

في سويسرا	٢٧٥
في فرنسا	٢٥١
في هولندا	١٣٢
في المانيا	١١٥
في بريطانيا وارلندا	٠٩٨
في الدنمارك	٠٨٤
في ايطاليا	٦٠
في بلجيكا	٢٧
في روسيا	٨

الاستاذ اليوت سمث

مُنح الاستاذ اليوت سمث وسام الجمعية الملكية لاجل اشتغاله بتشريح الدماغ تشريح مقابلة

كوخ الاورانغ اوتان

افلت اورانغ اوتان من بستان الحيوانات ببلاد الانكليز في ٣ نوفمبر وصعد الى شجرة عالية وبنى فيها كوخاً لينام فيهِ. والظاهر انهُ وجد البرد شديداً لا يطاق فعاد الى مكانهِ في البيت المعد لهُ

هبات اميركية

وهب المستر جورج باكر رئيس بنك مدينة نيويورك الوطني الاول اربع مئة الف جنيه لكي يتصل مستشفى نيويورك بكلية كورنل الطبية . ووهب الدكتور ارثركبوت عشرين الف جنيه لمدرسة هارفرد الطبية واوصى لها بالجانب الاكبر من املاكه وهي تساوي مئة الف جنيه وذلك بعد وفاة زوجته . واعطيت جامعة كولميا ٣١٥٠٠٠ جنيه من املاك جورج كروكر لاجل البحث في السرطان . واكتتب بعض المتخرجين في تلك المدرسة بمبلغ ٥٢٥٠٠ جنيه لهذا الغرض

المواليد في بعض الممالك

تبلغ نسبة المواليد السنوية الى كل الف من السكان ٣٥ في المجر و٣٣ في النمسا و٣٢٫٩ في ايطاليا و٣٢٫٨ في المانيا و٢٤٫٧ في بريطانيا و١٨٫٧ في فرنسا فهي في فرنسا اقل منها في كل بلاد اخرى . وهاك معدل المواليد والوفيات في بعض الممالك في الالف

	المواليد	الوفيات
روسيا	٤٤٫٨	٣١٫٧
بلغاريا	٤٢٫٠	٢٣٫٥
رومانيا	٤١٫٢	٢٤٫٨
السرب	٣٩٫٠	٢٩٫٣
النمسا والمجر	٣٣٫٥	٢٢٫٨
اسبانيا	٣٣٫١	٢٣٫٨

علاج السل بطريقة فريدمن

شاع ان الاستاذ فريدمن من اساتذة برلين اكتشف علاجاً جديداً للسل يشفي المصاب به ويقي غير المصاب من الاصابة اذا كان معرَّضاً لهُ . وان كثيرين عولجوا به في برلين وفينا فشفي الذين كان السل غير متقدم فيهم ووقي الاولاد من الاصابة به . والعلاج غير معروف ولكن يرجح انهُ نوع ضعيف من ميكروب السل او غيره من الميكروبات المتشابهة لميكروب السل وقد ازيل منهُ فعلهُ الضار . والظاهر انهُ من ميكروب سل البقر وقد رُبي في مادة عولجت بالغليسرين واضيف اليها قليل من مرارة البقر . فاذا تكرَّرت تربيتهُ الى النسل الالف يبين ضعف فعلهُ حتى اذا لقح به عجل لم يصبهُ بالتدرُّن ولكنهُ بقي انسجتهُ ولاسيما جدران قناته المضمية حتى لتعجز ميكروب سل البقر العادي من التأثير فيه

ولم يمضِ حتى الآن وقت كافٍ للاستدلال على فائدة هذا العلاج لان بعض المسلولين يشفى من غير علاج وبعضهم يشفى اذا اقام في الهواء النقي واكل الطعام المغذي . وكل الذين يعالجون السل بالادوية يعتمدون ايضاً على نقاوة الهواء وكثرة الغذاء فما ادرانا ان الفائدة حصلت من الدواء لا من الهواء والغذاء

حرم الطيور

في اميركا جزيرة صغيرة مساحتها نحو ٧٥ الف فدان مشهورة بجمال حراجها وكثرة طيورها يقصدها الصيادون دواماً ويصطادون منها الوفاً والوف الوف من الطيور كل سنة وفي اميركا امرأة غنية مغرمة بحب الطيور والدفاع عنها وهي مسز ساج فاشترت الآن هذه الجزيرة بثلاثين الف جنيه ووقفتها على الطيور وجعلتها حرماً لها فلا يدخلها صياد بعد الآن

خسائر الحرائق

تبلغ خسائر الولايات المتحدة بالحرائق خمسين مليوناً من الجنيهات كل سنة . وخسارة مدينة شيكاغو وحدها مليون جنيه كل سنة مع ان خسائر مدينة برلين وهي تعادلها في عدد السكان لا تزيد على ٣٥ الف جنيه في السنة . ومصلحة اطفاء الحرائق في شيكاغو تكلف الحكومة ٦٠٠٠٠٠ جنيه كل سنة ومصلحة اطفاء الحرائق في برلين لا تكلف حكومتها سوى ٦٠٠٠٠ جنيه كل سنة

القوة المائية في برازيل

تألفت شركة في برازيل لاستخدام القوة المائية من شلالات بولو الفسو وهي على ١٥٠ ميلاً من نهر سان فرنسسكو . وتقدر قوة هبوط الماء في ذلك الشلال بمليون وثلثمئة الف حصان ويراد استخدام مئتي الف حصان منها

الطيارات والبوارج

ركّبت اعواد في شكل بارجة حربية كبيرة وغطيت بالجنفيص وصعد الكبتن بنزور الانكليزي بطيارة من ذوات السطحين ورشق البارجة بثلاث قنابل فاخطأتها الاولى والثانية واما الثالثة فوقعت بين مدخنتيها فاضطرمت النار فيها حالاً

اشخاص التاريخ

كتب المستر هري جنسن في مجلة كورنهل يشكو من وصف الناس باوصاف بعيدة عن الحقيقة ولاسيما الذين في المناصب العالية كالملوك والامراء والوزراء والقواد فيصير التاريخ بهم مشحوناً بالاكاذيب

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	١٩	اي	الى
.	.	فيها	منها
.	٢٠	منها	نفسها
١٠	١٢	الاعال	الاعتال
١٤	١٢	بدانة	بدائه
.	١٤	من	حق
.	١٤	من	منهم من
.	١٩	منصبه	مصباه

فهرس الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٣١

محاربة السل او التدرن

اوردنا في الجزء الماضي خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الدكتور متشنيكوف في قاعة جمعية الطب الملكية بلندن في ٢٩ نوفمبر الماضي تذكاراً للادي بريستلي احدى اعضاء جمعية الصحة الوطنية . وقد وقفنا الآن على الخطبة نفسها مترجمة الى الانكليزية فرأينا ان ننقلها الى العربية بقليل من التصرف لكثرة فوائدها واستعملنا كلمة سل وكلمة تدرن مترادفتين

قال الخطيب : — دعاني رئيسكم لالقي الخطبة المعينة تذكاراً للادي بريستلي التي كانت صداقتها مع باستور سبباً للارتباط بينكم انتم اعضاء جمعية الصحة الوطنية وبيننا نحن تلامذة العلامة باستور واضع علم الميكروبيولوجيا . وقد اقترح عليَّ موضوع هذه الخطبة صديقي السر راي لنكستر . وهو يعلم ان البحث في السل ليس داخلاً في اشغالي اليومية ومع ذلك طلب مني ان اتكلم عن الحرب العوان التي اثيرت على هذا العدو المبين لنوع الانسان وانا لست من الذين يمارسون التطبيب بل من الذين يبحثون في المعامل العلمية ولذلك سأقصر كلامي على المبادىء العلمية التي يجب ان تكون اساساً لكل عمل يقصد به محاربة السل

الاراء القديمة في حقيقة السل

لما علم في البلدان التي ارتقى فيها علم الطب ان السل الرئوي مرض متعلق بتغذية الجسم بقي الرأي شائعاً في بعض البلدان الجنوبية انهُ معدٍ مثل سائر الامراض المعدية . وبقي الناس في مدينة نابلي حتى القرن الثامن عشر يحرمون استعمال الامتعة التي استعملها المسلولون خوفاً من العدوى . واليكم عبارة تدل على ذلك اوردتها الكاتبة المشهورة جورج صند في احدى رواياتها قالت « اشتد المرض على شوبين في آخر الشهر فاستدعينا لهُ كل اطباء

الجزيرة فاذاعوا انهُ مصاب بالسل وجعل الناس يجتنبوننا فان السل يعدُّ هنا من الامراض المعدية على قلتهِ في هذا الاقليم . فاسرع صاحب البيت الذي كنا فيهِ الى اخراجنا منهُ وعزم ان يداعينا لكي يضطرنا الى تطهير بيتهِ الذي تلطخ بعدوى السل حسب زعمهِ »

ترون ان الناس كانوا حينئذٍ على رأيين فالبلاد الشمالية التي كان السل كثيراً فيها لم يكن اهلها يعتقدون عدواهُ واما البلاد الجنوبية التي كان السل نادراً فيها فكان سكانها يقولون ان المرء يعدى بهِ اذا دنا من مسلول

ومنذ خمسين سنة قام احد الاطباء الفرنسويين وهو الدكتور فلمين وجعل يمتحن نقل السل بالحيوانات ليتحقق كونهُ معدياً او غير معدٍ . فطعّمها بنفث المصابين بالسل الرئوي وقيح المصابين بسل العظام والعقد اللمفاوية . والحيوانات التي طعمها كانت من الارانب وخنازير الهند فاصيبت بالسل عاجلاً اوآجلاً ووجد في اجسامها شيئاً كثيراً من الدرن يشبه الدرن الذي يكون في اجسام الناس الذين يموتون بالسل (انظر الشكل الاول)

وقد حدثت تجارب فلمين حينما كان الاطباء يبحثون في خلايا الجسم وعلاقتها بالامراض فانهم حسبوا ان المرض ناتج بالاكثر من تغيُّر في خلايا الجسم التي لا ترى الاَّ بالميكرسكوب لصغرها فجعلوا يبحثون في ما يصيب هذه الخلايا من الآفات فرأوا وهم يبحثون في الدرن ان في كل مجموع من الخلايا خلية كبيرة في قلبها كثير من النوى فسموها بالخلية الجبَّارة كما يرى في الشكل الثاني . فصاروا اذا رأوا حادثة مشتبهة ينزعون جزءا صغيراً من العضو المصاب ويبحثون فيهِ من هذه الخلايا الجبَّارة بالميكرسكوب فاذا وجدوها فيهِ حكموا انهُ مصاب بالتدرُّن . وعلى هذا الاسلوب اثبت فلمين ان الحيوانات التي جرَّب تجاربهُ فيها أصيبت بالتدرُّن فعلاً لانهُ وجد فيها خلايا جبارة . وثبت حينئذٍ ان السل مرض معدٍ ينتقل بالعدوى مثل غيرهِ من الامراض المعدية . الاَّ ان هذه النتيجة كانت مضادة لاختبار الناس فان كل احد يعلم ان الدفتيريا تعدي حتماً وكذلك الجدري والحصبة والشهقة اذا خالط السليم المصابين بهذه الامراض . واما المسلولون فقد يخالطهم الاصحاء سنين كثيرة ولا يعدون منهم . وهنا اسمحوا لي ان اقص عليكم قصةً تتعلق بي . لما كنت في الثالثة والعشرين من عمري تزوجت بفتاة مسلولة وكان السل قد انهك قواها حتى انها لم تستطع الصعود على الدرجات القليلة التي توصل الى الكنيسة حيث أقيمت صلاة الاكليل فاضطررنا ان نحملها اليها في كرسي . وسافرت بها بعد ذلك الى البلدان المشهورة بملاءمتها للمسلولين مثل مونتره والرفيرا ومداريا لكنها ماتت بعد اربع سنوات . وكنت اقيم الى جانبها اكثر الوقت من

غير ان احترس اقل احتراس من العدوى ومع هذا لم أُعدَ ومضى عليَّ الآن اربع وار بعون سنة ولم يظهر فيَّ اثر السل . أفلا يحق لي ان ارتاب في عدواه

ولذلك عارض العلماء تجارب فلمين وقالوا انهُ خلط بين التدرُّن الحقيقي وبين المتولدات التي تتولَّد في الاعضاء حينما تدخلها مواد غريبة . فان متولَّدات مثل هذه تنتج من دخول بعض المواد الغريبة التي ليست من قبيل التدرُّن ويرى فيها بالميكرسكوب خلايا جبارة كالخلايا التي ترى في السل الحيث

اكتشاف مكروب السل

حينما وصلت المباحث الى هذا الحد رسخ في الاذهان ان الخلايا الجبارة ليست دليلاً على وجود السل كما ظنَّ قبلاً اي انها ليست من مميزات داء السل فلا بدَّ لهُ اذاً من سبب آخر يجب البحث عنهُ واكتشافهُ

لما ثبت بالامتحان ان السل او التدرن ينتقل بالتلقيح وانهُ يتولد تدرُّن مثلهُ حول الاجسام الغريبة اتضح ان سببهُ او مادة عدواهُ موجودة في الدرن ولكنها ليست الدرن نفسهُ ولا الخلايا الجبارة التي تكون فيهِ

والذي اكتشف السبب الحقيقي للسل هو روبرت كوخ فانهُ هو الذي اكتشف ميكروبهُ اي الباشلس المنسوب اليهِ ومن الميكروبات انواع اخرى تسبب درناً كيكروب الجذام والسل الكاذب ولكن فعلها قليل اذا قوبل بفعل باشلس كوخ ذلك الميكروب الصغير الخالي من اللون الذي يحيط بهِ غلاف شديد المتانة وهو ابطأ توالداً من اكثر انواع الميكروبات الشبيهة بهِ

علم الناس منذ ثلاثين سنة بهذا الميكروب الذي هو الد عدو لهم . ومن ثم جعل العلماء يدرسون طبائعهُ ونحن نعرف الآن حجمهُ وبناءهُ والمواد التي يتركَّب منها جسمهُ . وقد عُلم ان لهُ غلافاً فيهِ مادة شمعية ولذلك يسهل تلوينهُ وتمييزهُ عن غيرهِ . والغالب ان يلوَّن بلون احمر وردي وغيرهُ يلون بلون ازرق . وقد شاع ذلك حتى لقد سُئل احد التلامذة عن تعريفهِ فقال انهُ الباشلس الوردي اللون

واذا رُبي هذا الميكروب خارج الجسم ثم أُدخل في جسم حيوان من الحيوانات التي تصاب بالتدرن ولَّد فيهِ التدرُّن الحقيقي كما لو لقح بمادة التدرن من حيوان مصاب بهِ

واكتشاف كوخ هذا هو اساس كل ما نعرفهُ عن التدرن اي السل معرفة عملية . وقد ثبت الآن ان التدرن معدٍ كما كان يقول اهل الجنوب وكما قال فلمين وسبب العدوى

هذا الميكروب ولم يبقَ ريب في ذلك. وقد رسخ في الاذهان مدة سنوات عديدة بعد اكتشاف كوخ ان ميكروب السل نوع واحد يصاب به الانسان وانواع كثيرة من الحيوانات ومنها كثير من الحيوانات الاهلية

ولكن ظهر لدى التدقيق في البحث ان هذا الميكروب ليس نوعاً واحداً بل يكون على انواع مختلفة فتدرُّن الطيور حادث عن نوع خاص من الميكروب يميَّز بسهولة عن الميكروب الذي يسبب التدرن في الحيوانات اللبونة وهذان النوعان يخالفان الميكروب الذي يسبب سل البشر في فعلها وفي شكلها ونموها. وثبت ايضاً ان الحيوانات القريبة الباردة الدم كبعض انواع السمك والزحافات والحيوانات التي تعيش في الماء وفي اليابسة تصاب بالتدرن وسبب تدرنها ميكروب يعيش في حرارة منخفضة لا يعيش فيها ميكروب سل البشر وغيره من الحيوانات الحارة الدم

وقد بحث العلماء في تأثير هذه الميكروبات على انواعها في الانسان فظهر من بحثهم ان اهلها به ميكروب سل البشر وان ميكروب الحيوانات الباردة الدم لا يعيش الا فيها وميكروب الطيور لا يوجد في الناس الا نادراً جدًّا

ولما اعلن كوخ في مؤتمر لندن سنة ١٩٠١ ان ميكروب سل البقر يخالف ميكروب سل البشر وان اصابة البشر به نادرة لا تستحق ما يبذل من العناية لمنع اكل اللحم وشرب اللبن من البقر المصابة به جعل العلماء يبحثون في هذا الموضوع واتسع نطاق البحث فيه جدًّا فثبت ان ميكروب سل البقر يعدي بالانسان ايضاً ولكنهُ اقل فعلاً من ميكروب سل البشر بما لا يقدَّر. فالسل كثير الانتشار في البلاد التي تقل البقر فيها ولا يشرب سكانها لبن البقر كما كان في اليابان حينما كانت البقر نادرة فيها. والاطفال في المستعمرات الفرنسوية بغرب افريقية وفي الهند الغربية والهند الصينية وجزائر المحيط لا يُسقَون لبن البقر مطلقاً لكن ذلك لم يمنع اصابتهم بالسل. ولذلك فالانسان يعدى بالسل من الانسان لا من البقر لكن هذا لا يجيز شرب لبن البقر المسلولة ولا ينفي اتخاذ الطرق الفعالة لمنع سل البقر

مقاومة جسم الانسان لميكروب السل

اذا ثبت ما تقدم من انتشار السل فكيف لم يفتك بالجنس البشري كله ويستأصلهُ لاننا نجد ميكروبهُ حولنا في كل جهة. والجواب ان في الجسم وسائل محكمة لوقايتهِ من هذا العدو الفتاك فيندر جدًّا ان يصاب انسان به ويموت سريعاً. والغالب ان ميكروبهُ يدخل الجسم ويفرخ فيه ويستمر على ذلك اشهراً وتعرض لهُ فترات يقف فيها عن العمل فلما يتمكن

من الجسم . فبين ميكروب السل وميكروب الطاعون مثلاً فرق كبير من هذا القبيل لان ميكروب الطاعون يقتل في بضعة ايام او بضع ساعات وليس كذلك ميكروب السل

فكيف يقاوم الجسم ميكروب السل

والجواب انهُ حينما يدخل هذا الميكروب الجسم ويثور في عضو من اعضائهِ تثور خلايا ذلك العضو وتحيط بهِ من كل جهة وتحصرهُ وتمنع نموهُ وتكاثرهُ وتنشب حرب عوان بين عدونا الالد باشلس كوخ و بين حماة اجسامنا الفاعوسيت آكلات الميكروب فان هذه الآكلات تحيط بهِ وتبذل جهدها في اهلاكهِ . ومن الحيل التي تحتالها لذلك ان بعضها يمتزج بالبعض الآخر فتصير منهُ خلايا كبيرة القدر على العمل من الخلايا الصغيرة التي تألفت منها وبذلك يفسَّر وجود الخلايا الجبارة المذكورة آنفاً التي كانت لها الشأن الاكبر في تشخيص السل قبل اكتشاف ميكروبهِ . وتتكون ايضاً هذه الخلايا الجبارة في احوال اخرى حينما يحاول الجسم التخلص من اجسام غريبة دخلتهُ . فكأنها فرق الجنود تلتصق بعضها ببعض و يصير من كل فرقة منها جبار واحد فيكون اشد قوةً واعظم فتكاً من الافراد التي تركَّب منها . وحينما ينعقد النصر للخلايا الجبارة تموت ميكروبات السل التي تكون في قلبها . ولكنها لا تطرح سلاحها وتقضي نحبها الأ بعد ان تجاهد جهاد الابطال فان الخلايا الجبارة تقبض عليها وتنفث فيها مادة سامة لتميتها بها اما هي فتقي نفسها من ذلك بان تفرز مادة غشائية تحيط بها كالسور الحصين وتمنع وصول المادة السامة اليها كما ترى في الشكل الثالث فتفرز الخلايا الجبارة مادة كلسية من صفات الجير (الكلس) تلقيها على الغشاء الذي تمر بهِ الميكروبات نفسها فينتشر الجير فيهِ و يجعلهُ غير صالح لبقاء الميكروبات حيةً كما ترى في الشكل الرابع وقد شوهد ذلك كلهُ في الحيوان الافريقي المعروف بالجربيل

فالدرن الذي يتولد في جسم المسلول هو الذي يقيهِ من فتك ميكروب السل . وما الخلايا الجبارة الأحدود هذا الدرن . وقد شوهدت طبقات المادة الجيرية داخل الخلايا الجبارة في المسلولين كما شوهدت في الجربيل فلما اكتشف كوخ ميكروب السل

وما تقدم من ان ميكروب السل يلاقي اشد المقاومة من الدرن بنوع عام ومن الخلايا الجبارة بنوع خاص يفسر لنا شفاء الكثيرين من الذين يصابون بهِ

الدليل على ان كل سكان المدن الاوربية اصيبوا بميكروب السل وقتاً ما

ظهر من تشريح جثث الذين ماتوا بامراض مختلفة غير التدرن ان في اكثرهم آثاراً بيّنة على انهم اصيبوا بهِ وقتاً ما وشفوا منهُ اي شفيت بؤر التدرن التي كانت فيهم والتحمت

وبقي مكانها ندب تدل عليها . وظهر ذلك بنوع خاص في الذين ماتوا شيوخاً . وقد بحث الدكتور نجلي وغيره بحثاً استقرائياً في هذا الامر فوجدوا ان كل الذين ماتوا بامراض مختلفة غير السل بعد ما بلغوا اشدهم قلما خلو ابدانهم من آثار السل وقد شفيت او كانت لا تزال كامنة فيهم واكثرها في الرئتين

واذ يتعذر معرفة تاريخ كل من توجد فيه آثار السل بعد ما يموت بغيره من الامراض فمن البيّن انهُ اذا كشفت طريقة بسيطة يستدل بها على وجود هذه الآثار في انسان حي ولم يظهر المرض فيه كان لها فائدة كبيرة في تشخيص المرض . وقد كشف الدكتور فون بيركت طريقة مثل هذه بناها على ما يعلم من ان الاصحاء الذين يحقنون تحت الجلد بمقدار قليل من التبركولين يحمّون عالاً فانهُ وجد بالامتحان المؤيد بالبحث في الرمم بعد الموت انهُ اذا وضعت نقطة صغيرة من التبركولين على خدش في ظاهر الجسد وكان المرء الذي توضع على جسمهِ هذه النقطة مصاباً بالسل في درجة خفيفة تكوّن في الخدش نفاطة وردية اللون واذا كان جسمهُ خالياً من كل آثار السل او كان السل فيه في درجة متقدمة جدًّا لم تظهر فيه تلك النفاطة . ولا يتخذ ظهور هذه النفاطة دليلاً على ان من تظهر فيه مسلول فعلاً لانها تظهر في اكثر الناس ولو كانوا على تمام الصحة ولكنها مع ذلك تدل على انهم اصيبوا وقتاً ما بشيء من التدرن وبقي كامناً فيهم او شفوا منهُ او بقيت آثارهُ فيهم فهي اول دليل على وجود آثار السل في الجسم . ولما كان استعمالها خالياً من كل ضرر استعملت لاكتشاف آثار السل في فينا وباريس وليل ومدن اخرى من اوربا فظهر ان آثارهُ قلما توجد في الاطفال الذين سنهم اقل من سنتين واما الاولاد الذين بين السابعة والخامسة عشرة من العمر فتبدو آثارهُ في ٨٢ في المئة منهم وتزيد في الذين هم اكبر منهم سناً

ويستدل من ذلك على ان العدوى بمكروب السل قلما تحدث في السنة الاولى من العمر ثم يكثر حدوثها بتقدم الاولاد في السن

البحث في الهنود والتتر وغيرهم من الشعوب

وزيادةً في اثبات هذا الامر دعت الحال الى البحث بين الاقوام الذين تختلف احوالهم عن احوال الناس في مدن اوربا ويقل السل فيهم اذ قد علم انهُ غير منتشر في كل البلاد على السواء وانهُ اكثر انتشاراً بين الاوربيين وغيرهم من الشعوب المتمدنة منهُ بين غيرهم من الشعوب . فاستراليا وجزائر الباسيفيك كانت خالية منهُ ثم ادخلهُ اليها الاوربيون فانتشر فيها وفتك بسكانها فتكاً ذريعاً حتى لقد انقرضت بهِ بعض الامم المتوحشة . ومن اشهر

الامثلة على ذلك جزيرة مديرا المشهورة بجودة اقليمها وبان هواءها يعين على شفاء المسلولين. فان السل الرئوي لم يكن معروفاً بين سكانها البرتغاليين لكنهُ انتشر فيها حديثاً انتشاراً مريعاً من كثرة المسلولين الذين يأتونها للاستشفاء بهوائها فصارت بؤرة للسل . وهو بسكانها الاصليين اخلك منهُ بالاوربيين الذي هاجروا اليها حديثاً فلم يمت به من ٤٤٤ نفساً من الاوربيين الذين جاؤُها سليمين بين سنة ١٨٣٦ وسنة ١٨٨٤ سوى ثلاثة

وقد ذهبتُ في العام الماضي ومعي رصيفاي الدكتور برنه والدكتور تراسفتش الى بلاد القلموق في فيافي روسيا بين الفولغا وعرلز بين للبحث عن مقدار انتشار السل بين الاقوام التي يقل اختلاطها بالاوربيين فان القلموق بوذيون ودينهم يحرم عليهم الاختلاط بجيرانهم المسيحيين والمسلمين ولا يزالون على البداوة وقد امتحنا فيهم طريقة بركه فوجدنا آثار السل كثيرة في الذين يجاورون غيرهم ولاسيما اذا كان مجاوروهم من المتحضرين او سكان المدن . وقد عُرف من قديم الزمان ان سكان فيافي روسيا الذين يهبطون المدن ليشتغلوا فيها يصابون بالسل فيعودون الى بلادهم ويموتون باكراً . وقد اتضح بالبحث ان اكثر الذين يصابون به من مجيئهم الى المدن يصابون في السنة الاولى من مجيئهم اليها

فانا امتحنا ١٦ شاباً من القلموق حين وصولهم الى استراخان فوجدنا ثمانية منهم سليمين لا اثر لميكروب السل فيهم وامتحنا ٣٧ شاباً من الذين كانوا يدرسون في استراخان فلم نجد منهم سالماً من ميكروب السل الا واحداً فقط

واتضح من بحث الدكتور كلت في المستعمرات الفرنسوية المختلفة ان لا شأن للاقليم في انتشار السل ولكن انتشارهُ مرتبط بالعمران فهو نادر بين الزنوج الذين لم يدخل الاوربيون بلادهم الا منذ سنين قليلة ثم يزيد بزيادة الملاقات التجارية وزيادة دخول الاوربيين الى البلاد واقامتهم فيها

فما هي حقيقة العدوى ومن اين تأتي وفي اي سن يصاب الانسان بها . فقد ظهر من البحث في اولاد قرى سكسونيا ان ثلاثين الى اربعين في المئة منهم مصابون بشيء من التدرن مع ان تلك القرى خلت من المسلولين منذ سنين كثيرة فمن اين وصل ميكروب السل الى اولئك الاولاد

العدوى في الانسان

يظهر مما تقدم ان ميكروب السل كثير الانتشار جداً وان انتقال العدوى من انسان

الى انسان امر مقرر ولكن ان كان الامر كذلك فكيف ينجو كثيرون من السل او كيف لا يصابون بهِ اصابة مميتة

كان الناس يقولون بالاستعداد للسل يعنون بذلك ان بعض الاجسام يكون مستعدًّا لهُ فيصاب بهِ وبعضها غير مستعد فلا يصاب . ومن علامات الاستعداد لهُ حمرة الشعر وان احوال المعيشة تساعد على الاصابة او تقاومها ومن الاحوال المساعدة لهُ السكن في بيوت غير صحية لا تهوَّى ولا تدخلها الشمس وادمان المسكرات . وان بعض الامراض كالحصبة والبول السكري يعدُّ الجسم لهُ وهذه الاقوال لا تخلو من الصحة ولكنها لا تحل المشكل .
وقد رأى الاطباء من قديم الزمان ان الذين يصابون بداء الخنازير في صغرهم لا يصيبهم السل واستنتج الدكتور مارفان ان الذين يشفون من تدرن في الجلد والعقد اللمفاوية لا يصابون بعد ذلك بالتدرن الرئوي وان السل اي التدرن الرئوي نادر بين الذين اصيبوا بداء الخنازير ولم يشفوا منهُ واندر من ذلك بين الذين اصيبوا بداء الذئب او غدد العنق وشفوا تمامًا وقد ايدت طريقة بركه ذلك وثبت منها ان السل نوعًا من الطعم الطبيعي يلي منهُ يطعّم بهِ الانسان وهو لا يدري فيقيهِ من سل يميتهُ وانا نفسي وُقيت من السل لاني أُصبتُ بداء الخنازير في صباي وشفيت منهُ . وقد ثبت من بحث مُرس ان داء الخنازير نوع من التدرن . وفي عتقي الآن عقد ارجح ان اصلها ميكروب درني فاصابني بهذا النوع من التدرن وقاني من العدوى بجدوى السل من زوجتي على ما تقدَّم . وعلى الضد من ذلك اولاد القلموق وسكان مديرا ونحوها من البلدان الخالية الخالين من كل آثار التدرن اي الذين لم يطعموا في صغرهم تطعيمًا طبيعيًّا كما طُعمت انا فانهم حالما يخالطون الاوربيين الذين فيهم باشلس كوخ يعدون بهِ ويصابون بالسل اصابة مميتة

ومسألة التطعيم الطبيعي الذي يقي الانسان من السل لم تثبت حتى الآن ثبوتًا علميًّا ينفي كل ريب بل لا تزال في معرض البحث ولكنها قد ترجحت صحتها حتى يمكن الاعتماد عليها كامر مقرر يصح الاعتماد عليهِ في عارية السل سيأتي البقية

[المقتطف] والكلام في ما بقي من هذه الخطبة على الوسائل التي استخدمت لعلاج السل كالادوية والاطعمة والتطعيم والمصاح وما اشبه كما سترى في الجزء التالي

اللغة العربية [1]

ما اخذت وما اعطت

ايها السادة لا بدَّ لي اولاً من بيان ما هي اللغة العربية او ما هي خصائصها ومقوّماتها قبل ان استطيع ابيّن على وجهٍ مفهوم مقبول ما اخذت عن غيرها من اللغات وما اعطتهُ لهنَّ

اللغة العربية نظير كل لغة من اللغات الحية المرتقية لا بدَّ فيها من امور جوهرية لا يجوز اهمالها ولا الاخلال بها . وهذه الامور الجوهرية تبقى من جيل الى جيل لا تتغير في شيء عمَّا كانت عليهِ انما تنمو وتتفرَّع تبعاً لناموس الارتقاء بما يخيَّل معهُ لغير العارف المدقق ان قد حصل فيها انقلاب وتغيير والحقيقة غير ذلك فان اهملت هذه الامور الجوهرية او أُخلَّ بها وقفت اللغة عن النمو او تراجعت الى الوراء وانحطت عما كانت عليهِ . و يتزايد التراجع والانحطاط على نسبة الاخلال بهذه الجوهريات او اهمالها والتنكُّب عنها . وفيها ايضاً امور دعونا نسميها عرضيةً قد تكون اليوم ولا تكون غداً ووجودها اليوم ان وُجدت لا يشين في عروبة اللغة ولا يزين كما ان سقوطها غداً لا يضر بكيانها ولا ينقص من حيويتها فهي منها اشبه شيء بالورق او بعض الغصون والزوائد من الشجرة الكبيرة . فكما ان بعض اوراق الشجرة اذا تساقطت او بعض اغصانها اذا تشذبت او تهذبت لا يضرُّ بحيوية الشجرة ولا بسلامتها كذلك تلك الامور العرضية اذا تساقطت من اللغة اليوم او قُطعت منها وطُرحت غداً لا يضرُّ ذلك بكيانها ولا تضعف معهُ حيويتها و بعبارة اخرى لا يتراجع نموها ولا تتشاحب اخلالها ولا يتجاوز علم بلاغتها وفصاحتها

لنسأل الآن ما هي مقوّمات اللغة و بعبارة اخرى ما هي الامور الجوهرية فيها او الصفات الذاتية التي لا يستغنى عنها بل تبقى على مرّ الزمان فتتشعَّب وتتكيف بما يناسب حياة اللغة وارتقاءها . واذا فقدت او اهملت ماتت اللغة او توقَّفت عن النمو والتشعُّب ثم هي في الوقت نفسهِ لا يصحُّ استعارتها من لغة اخرى ولا يمكن ايضاً ان تُستعار وتبقى اللغة هي هي

ايها السادة — ان مقوّمات اللغة او الامور الجوهرية فيها هي شيء آخر غير الفاظها المفردة — لا فرق بين ان تكون تلك الالفاظ اسماء او افعالاً او حروفاً ودليلهُ ان هذه الالفاظ المفردة يمكن ان تستعمل اليوم وتهمل غداً كما انها يمكن ان تترادف وتتكثر حتى

(1) من خطبة للاستاذ جبر ضومط استاذ العربية وآدابها في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

تستثقل وتهجر . انظروا الى كثير مما عندنا في كتب اللغة من الاسماء والافعال مما هجر او استكره واهمل فانها تُعَدُّ بالمئات . وكثير من تلك الالفاظ ليس هو في الاصل من كلمات اللغة العربية انما هو من الفارسية او الرومية او الهندية استعيرت فاستعملت عند الحاجة وأُهملت او أُميتت عند عدمها — وتعلمون ان مقوّمات الشيء او الامور الجوهرية فيهِ هي مما لا يفارقهُ وبعبارة اخرى هي مما لا يستغنى عنهُ حيناً ويحتاج اليهِ حيناً آخر . ثم ان كثيراً من اعراض الشيء قد تستمرُّ مصاحبتها لهُ ولا يُستغنى عنها بالفعل او في الخارج فهي من هذا القبيل كالمقوّمات لهُ او كالصفات الجوهرية (اي الذاتية) منهُ . والفارق بينهما حينئذٍ أنَّهُ يمكن فرض الاستغناء عن الاعراض ويمكن ايضاً تصور الاستغناء عنها وتصوُّر مفارقتها لمصحوباتها ولا يمكن فرض الاستغناء عن المقوّمات ولا تصوُّر الاستغناء عنها او مفارقتها لما تصحبهُ

استدركتُ ما استدركتُ لئلا يُعترَض عليَّ ان كثيراً من الاسماء كالسماء والارض والبرّ والبحر والجبل والوادي والشجر والحجر كانت ولا تزال في لغتنا العربية لم تُهمَل ولا يُحال ان تُهمَل وما زالت في استعمال كل يوم وفي استعمال كل جيلٍ من الاجيال التي غبرَتْ وعرفها فكأنما هي مما لا يجوز اهمالها ولا يُتصوَّر الاستغناء عنها ومع ذلك هي الفاظ مفردة فكيف تكون من الامور العرضيَّة في اللغة ؟ قلت واقول انها من حيث هي اسماء مفردة ليست من مقوّمات اللغة اصلاً ويمكن الاستغناء عنها وانما استمرَّت في اللغة وفي استعمال كل يوم وكل جيلٍ من اجيال اهل هذه اللغة لانَّ مسمَّياتها مستمرَّة ومشاهدتها اي مشاهدة مسمَّياتها كذلك . وهذا ما يوهمنا انهُ لا يمكن الاستغناء عنها

لا بدَّ لي هنا من استيفاء المراد او الاطالة اذا شئتم هذه التسمية والاَّ ظنَّ بي اني اريد ما لا اريدهُ او اني اكتب ما لا افهمهُ . ايها السادة . الفرق كبير بين قولنا اسم وهذا الاسم وفعل وهذا الفعل وحرف وهذا الحرف — فان الاسماء والافعال والحروف من حيث هي اسماء وافعال وحروف ضرورية في اللغة العربية وفي كل لغة ايضاً وهي من مقوّمات اللغة او من الامور الجوهرية فيها ولا يمكن الاستغناء عنها حتى ولا تصوُّر الاستغناء ولكن هذا الاسم وهذا الفعل وهذا الحرف يمكن تصوُّر الاستغناء عنها وكثيراً ما يصحُّ الاستغناء عنها ايضاً

ظهر اذن لكم الفرق بين الضروري في اللغة وغير الضروري ورأيتم ايضاً الفرق بين استغناء واستغناء وعليهِ فوجود الاسماء والافعال والحروف ضروري في كل اللغات المرتقية ولا يصحُّ الاستغناء عنهُ (اي عن هذا الوجود) بوجهٍ من الوجوه واما كل لفظة من هذه الانواع الثلاثة لذاتها فيمكن الاستغناء عنها احياناً

بقي لي شيء آخر اقوله وهو انَّ زيادة لفظة او بضعة الفاظ من هذه الانواع الثلاثة على اللغة قد يكون فيها احياناً غنىً للغة لا يُقدَّر قدره ولقد تكون الزيادة لغواً لا فائدة منها . والمحققون من اهل الذوق يعرفون الفرق بين زيادة وزيادة فيزيدون اللفظة التي تزيد في غنى اللغة واتساعها ويتجنبون ما زيادته لغو لا فائدة منها – مثاله ان زيادة مترادف من الاسماء الموصوفة او من الصفات كزيادة جوشن مثلاً بمعنى صدر او درع وسَمَيدَع بمعنى شجاع او سيف وشُمُشان وشُمُشاق بمعنى خفيف لطيف فانها زيادة فلا ننتفع بها لفقة ما نحتاج اليها ولذلك فاستعمالها في كتابتنا او استعارة لفظة مثلها او عينها من لغة اجنبية لتستعملها في معتاد استعمالاتنا هو في حكم اللغو والمكروه ويجب تجنُّبهُ بخلاف زيادة او ادخال مثل الالفاظ الآتية وهي عَلَوّاه — وما شاء الله — وبلّه — وكان — وهاي هاي — وهاي ليصة — ويراقو فان في زيادة مثل هذه الالفاظ في احاديثنا وكتاباتنا الادبية محلاً للفكرة والنظر على ما اظن وذلك لانها لا تُغيّر من جوهر اللغة وفي الوقت نفسه الحاجة ماسّة اليها بدليل كثرة استعمالها وجريانها على لسان العامَّة منا والخاصة في الشام ومصر والعراق حتى وفي الحجاز ونجد على ما اظن

ذهب بي الاستطراد الى اكثر مما اردتهُ فعال دون ما اريد الى بيانه وتمكينه في الذهن وهو انَّ الالفاظ كل لفظة بعينها سواء كانت اسماً او فعلاً او حرفاً ليست من الامور الجوهرية في اللغة وبعبارة اخرى ليست في عمود اللغة ولا في مقوّماتها فتُفيد زيادتها اللغة اذا زيدت عليها او يتهدَّم بنيانها اذا أُهملت او اطُّرحت منها

ومثل الالفاظ المفردة في انهُ ليس من مقومات اللغة ولا من الامور الجوهرية فيها تغيُّرات الاعراب في اواخر الكلم المعربة ولاسيما التي ورد فيها مذاهب مختلفة ودليلنا الوقف فانهُ جائز كثير الاستعمال شائعهُ قديماً وحديثاً لم ينقل عن نحوي قط انهُ منع جوازه . والوقف هو تعطيل الاعراب وازالة حكمهِ بتاتاً وبستحيل او الله يمتنع ان تتعطل مقومات الشيء او يزول حكمهُ لان ما يتعطل او يجوز ان يتعطل وتزول احكامهُ عن شيء لا يجوز اصلاً ان يكون من مقومات ذلك الشيء او من جوهر ذاته

الاعراب ايها السادة من اعراض اللغة العربية المضرية واكثر ما نقول فيه انهُ بمنزلة العرض العام لا من الصفات الذاتية ولا من مزاياها الخاصة بدليل وجوده في غيرها من اللغات العربية كاللغة اليونانية واللاتينية . وهو في كثير من المواقف زينة في اللغة لا غير الاَّ انهُ قد يكون احياناً مساعداً على الفهم ومنع الالتباس وحكمهُ حينئذٍ حكم القرائن

المختلفة التي تساعد على سهولة الفهم وصرف المعنى الى ما يراد · ولهذا لا يجوز الاستخفاف بهِ دائماً لكنّ المغالاة بهِ حيث لا تصح المغالاة ضرب من انزال الشيء فوق مرتبتهِ وحسبان الخادم في كثير من المواضع مخدوماً وسيداً · وبالاجمال اقول ان المغالاة فيهِ التي هي في غير موضعها ضرب من التعنف المضر · واضرّ ما تكون اذا كانت احكامهُ خارجة عن القواعد الكلية المساعدة على فهم المعنى المراد وداخلة في ما ضمق بهِ بعض اصحاب المذاهب الذين خلطوا فادخلوا كثيراً من احكام علوم الكلام والفلسفة والمنطق في احكام النحو والاعراب مع بعد ما بينهما

ومن قبيل الالفاظ المفردة واعراب اواخر الكلم الهيئات التركيبية فانها اي الهيئات التي أتعلق بها فصاحة المركّبات وبلاغتها حكمها حكم الالفاظ المفردة بمعنى انها من حيث هي تراكيب فصيحة او بليغة لا بدّ من وجودها في اللغة · ولكن هذه الهيئة او هذا التركيب بهذه الالفاظ قد يسقط من اللغة او يزاد عليها مثلهُ فلا يهدم سقوطهُ اركانها ولا تفسد بلاغتها زيادتهُ او زيادة مثلهِ عليها

وصلت الى نقطة لا اراني استطيع تركها من غير ان ابسط الكلام فيها شيئاً وهي : — يزعم كثيرون من اهل العربية ان الهيئات التركيبية فيها محصورة وهذا وان لم يقولوهُ صراحة يقولونهُ ضمناً وإذا كانت الهيئات التركيبية محصورة اذن لا يجوز الخروج عنها لانّ الخروج عنها خروج عن الفصاحة والبلاغة · ولما كانت الفصاحة والبلاغة من الكلام بمنزلة الكرم والشجاعة والعفة من الصفات الاخلاقية كان التركيب الذي يعرى من هذه كالشخص الذي يعرى من تلك · وفي هذا القول كثير من الحق والصواب وكثير من الباطل والخطاء

اما الحق والصواب ففي ان الهيئات التركيبية اذا خلت من الفصاحة والبلاغة خرجت من ان تكون اجزاء لغة راقية وسخفت اللغة عن صورتها الفائقة الادبية الى ما هو دون ذلك واما الباطل والخطاء ففي امور كثيرة نتوم · منها

(اولاً) ان الهيئات التركيبية الفصيحة والبليغة محصورة وانها محصورة في التراكيب التي وصلت الينا من العرب في نحو من مئتي سنة على الاكثر · فان هذا مما لا يقول بهِ صاحب روية · وهو وان كان ممكناً ان يكون عقلاً فلا يمكن ان يكون وجوداً لان البلاغة تقتضي المطابقة لمقتضى الحال ومقتضى الحال يختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف المخاطب والمخاطَب واختلاف احوالهما · واختلاف الزمان والمكان مضافاً اليهِ اختلاف المتكلمين واختلاف افكارهم ومشاربهم وقوى عقولهم يتولد عنهُ من الصور ما لا يقع تحت حصر

وجودي . ثم على فرض انهُ يستطاع حصر الهيئات التركيبية الفصيحة والبليغة بعدد معلوم فهذا العدد يجاوز المئات وربما تجاوز العدد المركّب منها . وهذا العدد من هذه الصور والهيئات يستحيل على العقل الانساني الاحاطة بتصوّرهِ في زمانٍ من ازمنتهِ المحدودة . والحصر الفعلي الذي يترتب عليهِ فائدة لا يكون الأ اذا احاط الفكر بالمتصوَّر وتخيَّلهُ جميعهُ دفعةً واحدة او ما هو من قبيل الدفعة الواحدة

(ثانياً) ان تكون الهيئات التركيبية المعلومة عنا اجمالياً عند ادباء العربية مما اودعتهُ اسفار الادب ودفاترهُ كلها فصيحة بليغة فانّ ذلك مما يصعب التسليم بهِ . واكثر من ذلك ان تكون الهيئات التركيبية المنقولة في كلام من كانوا قبل الاسلام افصح وابلغ من هذه الهيئات المنقولة عن امثالهم في صدر الاسلام وبعدهُ الى عصرنا الحاضر . فانّ هذا الخطاء شائع متداول واكثر ادبائنا والمشتغلين بعلوم البلاغة منا قديماً وحديثاً كأنهم يذهبون اليهِ فيرون في الهيئات التركيبية والمركبات المنقولة عن اصحاب المعلقات وغيرهم ممن سبقهم او عاصرهم — فصاحةً وبلاغةً لا يرون مثلها لمن جاء بعدهم من مولدي الاسلام ومولَّدي مولَّديهم . بل كثيرون على ما يُقال يذهبون الى ان جميع ما نُقل عن الجاهلية فصيح بليغ بلا استثناء وهذا وهم فاضح ومن الاسف انهُ شائع مقبول عند الكثيرين من غير تجريح ويكاد الاقلون ممن يرتابون بصحة هذا الزعم لا يجسرون ان يرفعوا اصواتهم في نفيهِ او الاعتراض عليهِ انما هم يتهامسون بهِ همساً فيما بينهم

(ثالثاً) من الخطاء ايضاً ذهاب كثيرين الى ان الفصاحة والبلاغة درجة واحدة وهذه الدرجة يرونها في هذا النوع من الكلام الذي يهيّج من حاسّة الاستحسان وما ناسبها او من حاسّة الاستهجان وما ناسبها . فان رأوا مبالغة قد تخرج عن حد المقبول او رأوا تشبيهاً او استعارةً في مدح ممدوح او ذم مذموم او في فخر او في نسيب او في حكمة وما شاكلها في شيء من القرابة القبولة اكبروا ذلك وظنوا ان هذا الذي اكبروهُ انما جاء من قبيل بلاغة الهيئة التركيبية . وقد لا يكون هناك فصاحة ولا بلاغة في التركيب تدعو الى مثل ذلك الاستحسان بل الاستحسان انما كان لتلك المبالغة او الاستعارة او لذلك التشبيه وما صحب المبالغة من الغرابة او صحب الاستعارة والتشبيه من القرابة والمطابقة . والمحققون على ان بلاغة التركيب قد تكون ولا يكون هناك استعارة ولا تشبيه وقد تكون ويكونان معاً ولكنهما متمايزان في نفسيهما على التمايز وان خفي ذلك على كثير من البلغاء بالفطرة او المتبالغين . وهذا الخلط بين حسن الاستعارة او التشبيه وبين بلاغة المركب والتركيب كان

فاشيا في ايام الامام العلاّمة الجرجاني صاحب كتاب اسرار البلاغة وكان يؤلمهُ ايضاً

والخلاصة ان ما يُتشبَّع بهِ من ان هذه التراكيب والهيئات التي جاءت في كلام الجاهلية هي التي بها قامت مقوّمات اللغة العربية وتفوّقت على غيرها من اخواتها الساميات وعلى غيرهنَّ من اللغات الاخرى هو مجرّد تشبُّع يقول بهِ اقوام قلّوا او كثُروا ولكنهُ عارٍ من التطبيق . فالبلاغة غير منحصرة في جيل دون جيل ولا هي ايضاً خاصَّة بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان وان اختلفت وتباينت باختلاف الزمان والمكان . وعليهِ نقول ان امرء القيس كان بليغاً في عصرهِ وكذلك كان جرير والفرزدق والاخطل في عصرهم وكذلك كان ابو نواس وابو تمام والبحتري كلٌّ في عصره شاعر بليغ الأ انَّ بلاغة جرير والفرزدق قد تكون في نوعها غير بلاغة ابي تمام والبحتري كما لا يبعد ان تكون بلاغة هذين غير بلاغة المتنبي وغير بلاغة ابي فراس الحداني — تكون غيرها ولا تكون اعلى درجة منها — وهكذا يقال في بلاغة امرء القيس وغيرهِ من اصحاب المعلقات انها غير بلاغة ابي نواس او ابي الطيب المتنبي ولكنها وان كانت غيرها قد لا تكون اسمى منها ولا دخل في ذلك لتقدّم زمان امرء القيس ولا لتأخُّر زمان المتنبي بل بلاغة المتنبي قد تكون اعلى واوسع من بلاغة امرء القيس (وهي كذلك) على نسبة ما كانت مداركهُ هذا اعلى من مدارك ذاك — وما قلتهُ في المتنبي وامرء القيس اقول مثلهُ في ابي نواس والبحتري فانهما وان تأخرا عن جرير والاخطل في الزمان فقد تقدَّماهما في البلاغة وان كان الاولان اقرب الى مناحي البداوة والثانيان الى مناحي الحضارة

لكن يقول قوم ان امرء القيس يُستشهد بكلامهِ في اللغة والاعراب ولا يُستشهد بكلام المتنبي وكذلك يُستَشهدُ بكلام الفرزدق والاخطل ولا يستشهد بكلام ابي تمام والبحتري ويستنتجون من ذلك أنَّ امرء القيس ابلغ من المتنبي والفرزدق والاخطل ابلغ من ابي تمام والبحتري . والاستطراد الى الردّ على فساد هذه المزاعم واشباهها يخرجني الى ما لا يحتملهُ المقام فاجتزي بسرد القصة التالية

حكي ان ابن الانباري دخل على قوم فانشدهُ بعضهم قصيدةً لابي تمام ونسبها المنشد الى احد شعراء الجاهليَّة فطرب لها ابن الانباري وامر كاتبهُ ان يدوّنها في دفاترهِ فلما أتى الكاتب على آخرها قيل لهُ هي لابي تمام قال فقال ابن الانباري — « من اجل هذا رأيت اثر الركاكة عليها — خرِّق يا غلام خرِّق خرِّق » . وكنت احبُّ ان انقل القصة بحروفها كما قرأتها ولكني أُنسيتُ الكتاب الذي قرأتها فيهِ وبقي في ذهني ان الكتاب من الكتب التي يُعتمد على صحة روايتها

ولا اقول انَّ هذه الفكرة عمَّت بدون استثناء ولكن اقول ان الكثيرين اخذوا بها في الاجيال التي مرَّت قبلنا فطب رأيهم على رأي المحققين من العلماء في كل جيل الذين كانوا يقولون ان اللغوي شأنهُ ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه وأما النحوي فشأنهُ ان يتصرَّف فيما ينقلهُ اللغوي ويقيس عليهِ « المزهر جزء اول وجه ٣٠ طبعة بولاق »

جبر ضومط | مناقي البقية

خزان اصوان وفوائده

بينما ترى الدولة العلية صاحبة السيادة على القطر المصري تشكو من حرب طاحنة استنزفت اموالها وكادت تذهب بربع بلادها والاصدقاء يجمعون لها الاموال لمؤاساة جرحاها وتطبيب مرضاها ترى القطر المصري يحتفل بعمل هندسي كبير انفق عليهِ اكثر من مليون من الجنيهات ويرجو ان يستفيد منهُ مضاعف ذلك سنويًا الآن وهو تعلية خزان اصوان وقد قام بهذا العمل وغيرهِ من الاعمال العظيمة النافعة والاموال متوفرة في خزائنهِ . ولو جرت الحكومة العثمانية مجراهُ منذ ثلاثين سنة الى الآن لفاقت عليهِ في اتساع الاعمال وتوفر الاموال

اما الخزان فوصفناهُ حينما تمَّ بناؤهُ منذ عشر سنوات وقلنا حينئذٍ انهُ لو عُلِّيَ ستة امتار اخرى لتضاعف نفعهُ . وهذا نصُّ عبارتنا « ان هذا الخزان في حالتهِ الحاضرة لا يفي بنصف الفائدة التي تنال منهُ لو أُنفق عليهِ مثنا الف جنيه أُخرى علِّيَ بها ستة امتار فوق علوهِ الحاضر ولو غمر الماء حينئذٍ مباني انس الوجود » (انظر الصفحة ٣ من مقتطف يناير سنة ١٩٠٣) . وقد تحقق الآن ما قلناهُ حينئذٍ فعُلِّيَ الخزان ستة امتار فتضاعف مقدار المياه التي تخزن بهِ وغمرت انس الوجود ولم يختلف ما تمَّ عمَّا قلناهُ الا في مقدار النفقة وسبب ذلك الاضطرار الى تسميك الخزان وكان السر وليم ولككس قد اكد لنا ان البناء الاول يحتمل التعلية من غير ان يزاد عرضهُ ولكن ظهر بعد ذلك للمهندسين ان تعريضهُ اسلم عاقبةً فزادت النفقات بسبب ذلك

ولقد نشرت الحكومة بيانًا لحال الخزان الآن وما اقتضتهُ تعليتهُ من النفقات وما ينتظر منهُ من النفع وهاك ترجمة ذلك

الحاجة الى تعلية الخزان

ان خزان اصوان افاد الزراعة المصرية فائدة كبيرة جداً بالمياه التي تخزن فيه في الشتاء والربيع ثم تستعمل صيفاً حينما تشح المياه في النيل حتى لا تكفي لري كل الاطيان التي تزرع زراعة صيفية · وقد زادت الحاجة الى الري الصيفي بعد سنة ١٩٠٣ للاسباب التالية وهي اولاً ان مساحات واسعة من اطيان الوجه القبلي كانت تروى ري الحياض فصارت تروى رياً صيفياً بعد ما حوّلت للري الصيفي · وثانياً ان مساحة الاراضي التي تزرع قطناً في الوجه البحري زادت عما كانت عليه قبلاً · وثالثاً ان كثيراً من الاطيان البور في الوجه البحري أُحييت وصارت تروى وتزرع · ولهذه الاسباب الثلاثة ولانهُ توالى ضعف الفيضان وقلة الماء الصيفي في سنوات متوالية دعت الضرورة الى زيادة الماء المخزون اذا اريد ان يكون كافياً لري القطن سنة بعد سنة ولري ما بقي من الاطيان في الوجه البحري

ولدى البحث عن الاماكن التي يمكن ان يخزن فيها الماء اللازم لذلك وجد انهُ يمكن نيل المطلوب بتعريض خزان اصوان وتعليتهِ

غمر هيا كل انس الوجود

الا ان تعلية الخزان تستلزم غمر هياكل انس الوجود فرأت الحكومة نفسها بين امرين الواحد حاجة البلاد الماسة الى تكثير الماء الصيفي والثاني حرمان محبي الآثار من مشاهدة تلك المباني فوق سطح الماء في الفصل الذي يكثر مجيء السياح فيهِ الى القطر المصري ولكنها كانت قد رممت اسس الهياكل حينما كانت تبني الخزان ورأت ان غمر الماء لها بعد ذلك لم يوقع بها ضرراً لاسيما وانها مبنية بحجارة لا يؤثر فيها الغمر بالماء تأثيراً يذكر ولذلك ترجح لها ان غمرها كلها بعد تعلية الخزان لا يضرُّ بها ولا ينتج عنهُ الا انها تكون مغمورة بالماء حينما يفد السياح لزيارة اصوان · ثم ينخفض الماء في الصيف فتظهر الهياكل حينئذٍ وتبقى ظاهرة فوق سطح الماء الى اواسط دسمبر او الى اواخره قبل ان يعلو الماء ثانية فيغمرها و يحجبها عن النظر

ولما رأت الحكومة ان لا بدَّ لها من تعلية الخزان خصصت ستين الف جنيه للمباحث الاثرية (الاركيولوجية) في كل الاماكن التي يغمرها ماؤهُ بعد تعليتهِ ولترميم الهياكل التي هناك حتى تبقى سليمة ولو غمرها الماء في بعض شهور السنة

تعلية السد وتعريضهُ

اقتضت تعلية الخزان ان يُعرَّض اولاً اي ان يبنى الى جانبهِ حائط آخر عرضهُ ستة امتار و١٨ سنتمتراً الى الجهة الشمالية منهُ ثم يعلى السد الاصلي وهذا الحائط الجديد حتى يصير

مسو بهما ١١٤ متراً فوق سطح بحر الروم وكان الماء يعلو بالسد القديم حتى يصير منسوب سطحهِ فوق سطح بحر الروم ١٠٦ امتار اما الآن فصار يمكن ان يعلو حتى يصير منسوب سطحهِ فوق سطح بحر الروم ١١٣ متراً فيزيد ارتفاعهُ ٧ امتار . وكان يخزن بهِ قبل تعليتهِ ٩٨٠ مليوناً من الامتار المكعبة اما بعد تعليتهِ فيخزن بهِ ٢٣٠٠ مليون . فتبلغ الزيادة بهذه التعلية ١٣٢٠ مليوناً من الامتار المكعبة . فاذا كان مقدار الماء في النيل معتدلاً فهذه الزيادة تكفي لري مليون فدان فوق ما كان يروى بهِ

لكن تعلية الخزان لم تتم الاَّ بعد حل مشكل من المشاكل الطبيعية الهندسية فان الحجارة التي تبنى في بلاد شديدة الحر كاصوان تمتص جانباً كبيراً من الحرارة . وهذه الحرارة تزول مع الزمن فيبرد البناء وتتولد فيهِ شقوق والغالب ان هذه الشقوق تكون على ابعاد متساوية . وما يحدث في باطن البناء يحدث في ظاهرهِ ايضاً ولكن الشقوق التي تحدث في ظاهر البناء شتاء تزول صيفاً حينما تتمدد الحجارة بالحرارة فتتوالى على ظاهر البناء حالتان اي انهُ يتمدد صيفاً ويتقلص شتاء دواليك . واذا اضيف بناء جديد الى بناء قديم والصق بهِ لم يجر مجراهُ ويبقى لاصقاً بهِ الاَّ بعد ان يبرد باطنهُ كما برد باطن البناء القديم ودفعاً لذلك اشار المستر ستيامن باكر ان يبقى فراغ بين البنائين القديم والحديث سعتهُ من عقدتين الى ست عقد (من ٥ سنتمترات الى ١٥ سنتمتراً) ويملأ بالسمنت المروب بالماء متى صار البناء الجديد مثل القديم من حيث الحر والبرد والتمدد والتقلص اي بعد سنتين على الاقل

دعم الجدار الجديد

ان وجه البناء القديم من الجهة الشمالية ليس عمودياً بل مائل ولذلك وجب ان يبنى البناء الجديد مائلاً مثلهُ فلا يثبت وهو بعيد عنهُ كما تقدم ما لم يكن لهُ شيء يسندهُ من الآن الى ان يملأ الفراغ الذي بين البنائين بالسمنت فوضعت قضبان من الفولاذ (الصلب) بين البنائين طول كل قضيب منها نحو مترين ونصف متر وثخنهُ عقدة وربع ادخلت في البناء القديم وفي الجديد ايضاً في كل متر مسطح قضيب وبها يستند البناء الجديد على البناء القديم وما منها بين البنائين يكفي للتمدد والتقلص

وتسهيلاً لملء الفراغ بالسمنت حينما يصير ذلك ممكناً قسم على طولهِ الى اقسام طول كل منها ١٤ متراً وجعل الفاصل بين قسم وقسم حجارة مغروزة بارزة وداخلة في منطقة محفورة عرضها عشرون سنتيمتراً مفروشة بالسلقون . ووضع في كل قسم من اقسام الفراغ انابيب محرقة قطرها عقدتان ونصف لكي يتوزع بها مروب السمنت . ولما تمَّ ذلك والتصق البناء

الجديد بالقديم ثم بناء التعلية فوق البنائين معاً الى ارتفاع خمسة امتار

الفتحات والاهوسة

وجعلت الفتحات في البناء الجديد مقابلة الفتحات في البناء القديم كانها امتداد منها وباطنها من حجر الغرانيت المصقول وزيدت سعتها في البناء الجديد فجعلت مترين وثلاثين سنتيمتراً وهي في البناء القديم متران فقط وذلك لكي لا يصعب وصل الجديدة بالقديمة وبنيت فوقها قناطر بدلاً من الخشب كما في الفتحات القديمة

اما التغييرات التي حدثت في الاهوسة فهي بناء هويس جديد تحت الهويس الاسفل وتعريض حيطان الهويس وتعليتها . وقد اقتضى ذلك وضع بوابتين في الهويس الاعلى . وغيّرت مناسيب ما بقي من الاهوسة حتى صلحت له البوابات القديمة التي نزعت من الهويس الاعلى دفعاً لعمل بوابات جديدة وبذلك لم تعمل الا بوابتان جديدتان

نفقات العمل

ينتظر ان تبلغ نفقات تعلية الخزان ١٢٢٠٠٠٠ جنيه يضاف اليها ٢٦٠٠٠٠ جنيه ثمن الاراضي التي سيغمرها ماؤهُ بعد تعليتهِ فتصير النفقات كلها ١٤٨٠٠٠٠ وحيث ان نفقات البناء الاصلي بلغت اكثر من ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه والاعمال التي عملت لوقايتهِ بلغت نفقاتها نحو ٣٥٠٠٠٠ فتكون نفقات الخزان كلهِ قد بلغت حتى الآن نحو خمسة ملايين من الجنيهات . وقد ظهر من البحث في قيمة ايجار الاطيان التي استفادت منهُ قبل تعليتهِ ان الفرق بين ايجارها سنة ١٨٩٤ وسنة ١٩١٢ اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات في السنة واكثر هذا الفرق حاصل من خزن الماء بهِ واعمال الري الاخرى التي ترتبت عليهِ ولم تزد نفقاتها مع نفقاتهِ على ١١ مليوناً من الجنيهات

ولقد كان ناظر الاشغال العمومية وقت الشروع في اقامتهِ حسين فخري باشا وخلفهُ اسمعيل سري باشا سنة ١٩٠٨ وكان السر وليم غارستن مستشار نظارة الاشغال وهو المسؤول عن هذا المشروع الذي رسمهُ المرحوم السر بنيامين باكر . وخلف المستر وب السر وليم غارستن ثم خلف السر بنيامين باكر مدة اجراء العمل وهي خمس سنوات من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٢ . وكان المستر مكدونلد مديراً عاماً للخزانات وهو الذي تولى ادارة هذا العمل وكان المستر مكركردل المهندس المقيم على العمل . اما البناء فبناهُ الخواجات ايرد مقاولةً بمبلغ ١٠٣٧٠٠٠ جنيه والاعمال الحديدية عملها الخواجات رانسمس ورابير بمبلغ ٣٦٠٠٠ جنيه

الحشرات والامراض

ثبت منذ اثنتي عشرة سنة ان لبعض الحشرات يداً في نشر الامراض ونقل عدواها من شخص الى آخر ثم توالت على اثر ذلك الاكتشافات حتى ظهر ان اكثر الامراض التناكة تصل الى الانسان من هذه الحيوانات الصغيرة . فطوراً يعلق ميكروب المرض بظاهرها فتلقيهِ على وجوه الناس وايديهم وطعامهم وشرابهم وتارة تمتصهُ مع دم العليل فينمو في جوفها ويتكاثر ثم تنفثهُ مع لعابها او تفرزهُ مع مفرزاتها في الاطعمة والقروح

الامراض المعدية بوجه الاجمال تنشأ عن الميكروبات اي من احياء صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة وتقوم عدواها بوصول هذه الاحياء الصغيرة الى جسم الانسان وتمكنها منهُ . وهذه الامراض على نوعين فنها ما يعدي بمجرد وصول ميكروبهِ من العليل الى الصحيح كالسل وحمى التيفوئيد ومنها ما لا بد لميكروبهِ من دخول جسم حيوان يتوالد فيهِ ويتكاثر وينمو ويتقوى قبل ان يصبح قادراً على مهاجمة الانسان ثانية وانزال العلة بهِ ومن هذا النوع الملاريا ومرض النوم . والحشرات اكبر العوامل على نشر النوعين وتنفرد في نشر كثير من امراض النوع الثاني بحيث لا تحدث العدوى الا بواسطتها

وقد امتاز الذباب بحمل الميكروبات من جميع الانواع ونقلها من مكان الى آخر . فانهُ يضع بيوضهُ في الزبل وغيرهِ من الاقذار فتنشأ صغارهُ فيهِ وتقتات بهِ حتى اذا بلغت اشدها غادرتهُ وانتابت المطاعم والمساكن فتقع على الاطعمة وآنية الاكل والشرب فتلقي عليها انواعاً من الميكروبات التي دخلت جوفها او علقت بظاهرها كيكروبات حمى التيفوئيد والاسهال والدوسنطاريا وغيرها

والذباب منتشر في جميع البلدان ويعيش في كل مكان يسكنهُ الانسان . فان اهمل امرهُ في مدينة اوقرية نما وتكاثر حتى اذا حدثت اصابة باحد الامراض التي تكثر ميكروباتها في مفرزات المرضى كالدوسنطاريا والتيفوئيد نشر العدوى بين السكان في طول البلد وعرضها . وان اشترك معهُ في عمله هذا البق او غيرهُ من الدويبات الصغيرة عم الداء وعظمت البلوى

وهو على انواع كثيرة لكن اهمها النوع المعروف بالذباب البيتي الذي يكثر في المساكن . ومن غريب طبائعهِ انهُ لا ينفك يتردد بين المطاعم والمزابل ذهاباً واياباً فمن الزبل الى طبق الحلوى ومن اناء اللبن الى كومة الاقذار

وقد ثبت ان بعض انواع البراغيث تحمل ميكروب الطاعون ومن عرف شدة وطأة هذا الوباء الوبيل عرف ما لهذا الامر من الاهمية . فقد تفشى الطاعون في اوربا واسيا حوالي القرن السادس قبل الميلاد فظل يفتك بالناس نحو ستين سنة . ثم تفشى في القرن الرابع عشر في جميع البلدان المأهولة فاودى بحياة نحو ٢٥ مليوناً من النفوس

ويفتك الطاعون بالجرذان فتكاً ذريعاً ويصيب غيرها من القوارض فتنقله البراغيث منها الى الانسان . فاذا امتص برغوث دم جرذ موبوء وجد الميكروب في جسمه بيئة صالحة لمعيشته واتصل منه الى الناس الذين يمتص دماءهم

واول ما يجب عمله اذا ظهر هذا الوباء قتل الجرذان والتخلص من شرها لان الطاعون يتفشى فيها بسرعة وينتقل منها الى الناس . وقد أصيب به نوع من السنجاب في اميركا ولكن تيقظ الحكومة الاميركية حال دون انتشاره

ويكثر حمى التيفوس في الاماكن القذرة الكثيرة الازدحام وقد ظهر ان القمل الذي يعيش على بدن الانسان ينقل عدواها ولذلك يكثر انتشارها في السجون فاصبح اتقاؤها سهلاً . وقد قل ظهورها بين الشعوب الراقية التي تعتني بالنظافة

ويرجح الباحثون ان الذباب الصغير الاسود الذي يكثر على ضفاف الانهار والجداول السريعة ينقل عدوى المرض المعروف بالبلاغرا . وكانوا في ما مضى يعتقدون ان هذا الداء ينشأ عن اكل الذرة المتعفنة فبطل هذا الاعتقاد الآن خصوصاً لما يُرى من كثرة الاصابات او ان ظهور الذباب المذكور

ومن الامراض الكثيرة الانتشار الحمى الملاريا (ويقال لها الحمى الدورية او الحمى البردية) وسببها ميكروب اكتشف سنة ١٨٨٠ يعيش في الكريات الحمراء من الدم ويتكاثر فيها . ولا بد له من قضاء قسم من حياته في جوف نوع من البعوض يعرف بالانوفلس . فاذا امتص دم مصاب بالحمى الملاريا دخل هذا الميكروب معدته مع الدم ونفذ فيها حتى يقترب من سطحها الخارجي فتتكون من حوله انتفاخات يقع بيوضه فيها . فتتولد صغاره وتنمو ثم تنتشر في جسم البعوض وتتصل بغدده اللعابية . ومدة احتضان الميكروب في جسم البعوضة يتراوح بين اثني عشر وعشرين يوماً . وفي فم الانوفلس حليات تشبه الابر يغرزها في جلد الانسان لاجل امتصاص دمه ويبث معها شيئاً من لعابه فيتصل الميكروب منه الى دم الانسان

ويسهل اتقاء الحمى الملاريا باستئصال هذا البعوض ويتم ذلك بتجفيف المستنقعات

وسكب البترول في جميع البرك فتتلف بذلك بيوضهُ لانها لا تنمو الأ في الماء الراكد ولا بد لها من استنشاق الهواء الذي يمنعهُ عنها البترول بطفوهِ على وجه الماء وقد نجحت هذه الطريقة في مكافحة هذا الداء في ملقا وجزيرة كوبا وبناما والاسماعيلية من القطر المصري

ولم يعرف شيء حتى الآن عن حقيقة مكروب الحمى الصفراء وماهيتهِ ولكن ثبت انهُ يقضي بعض ادوار حياتهِ في جنس من البعوض يعرف بستغوميا كالوبس (stegomyia calopus) وهو منتشر في جميع البلدان الحارة . ويلقي بيوضهُ في ما جاور البيوت من الاحواض والبراميل وكل آنية الماء ولذلك كان استئصالهُ سهلاً

فاذا امتصت بعوضة من هذا الجنس دم مصاب بالحمى الصفراء في الايام الاربعة الاولى من ابتداء المرض دخلها شيء من مكروبهِ وبقي فيها عو اثني عشر او اربعة عشر يوماً في حالة الاحتضان . ويصبح بعد ذلك قادراً على اجراء عملهِ واجلاء الانسان بتلك الحمى الخبيثة وقد ذهب كل اثر للحمى الصفراء في الولايات المتحدة وجزر الهند الغربية وعاصمة برازيل لان هذه البلدان عملت على اهلاك البعوض والزمت المصابين ان يناموا داخل كلل تمنع وصولهُ اليهم

ولا يتعدى مرض النوم بعض المسام القارة الافريقية حيث يعيش الذباب المعروف بالتسيتسي . وانثى هذا الذباب تلد مرة كل عشرة ايام فتصعد الى ظل نبات على ضفة نهر او بحيرة وتلد ذبابة واحدة في الحالة الدودية . ولا تلبث هذه الدودة ان تنقلب زيزاً ثم تخرج الذبابة من الزيز كاملة الاعضاء تامة الخلق

وتدخل جراثيم مرض النوم جسم هذا الذباب مع الدم الذي يمتصهُ من الانسان او الحيوان المصاب بهِ وتبقى فيهِ مستكنة في حالة الاحتضان من ثلاثين يوماً الى اربعين حتى تصبح في حالة تمكنها من ازال المرض بكل انسان او حيوان يلسعهُ الذباب

وتحمل بعض الدوديات من نوع القراد جراثيم الحمى المنتكسة وتلقح اجسام الناس بها. وينقل نوع من البعوض (كيولكس فاتيغانس) عدوى حمى الدنج (ابو الركب) . ويرجح ان البق ينشر عدوى البول الاسود (الكلا ازار)

هذه اهم الامراض التي تنقل عدواها الهوام والحشرات وغيرها كثير مما يصيب الماشية ويفتك بها ولا يسع المقام ذكرها ولو تلميحاً . ولا تزال العدوى في امراض كثيرة سراً غامضاً ولكن ليس بمستبعد على العلم ان يكشف الغطاء عنها وربما ظهر عند ذلك ان للحشرات اليد الطولى في نقلها . (انتهت ملخصةً من مجلة العلم العام الاميركية)

آثار ترمسعيا

على ٣٧ كيلومتراً الى الشمال من القدس في الطريق الى نابلس بسيط من الارض الى يمين طريق العربات يمتد بضع كيلومترات من الغرب الى الشرق ولا يزيد عرضهُ على ٧٠٠ او ٨٠٠ متر . في وسط هذا السهل قرية يقال لها ترمسعيا على ربوة صخرية لا تعلو عمَّا حولها الاَّ قليلاً . ولم يرد اسم هذه القرية في التوراة ولا في التاريخ انما يظن انها ترماسيا المذكورة في التلمود ولا دليل على ذلك الاَّ تشابه الاسمين في اللفظ . وليس في القرية شيء يستلفت النظر الاَّ بعض رخام قديمة حسنة الهندام اقحمت في جدران البيوت وبقية عتبة قديمة فوق باب المضافة وبعض قطع من اعمدة متكسرة . ولم يكن السياح يقفون فيها الاَّ قليلاً في طريقهم الى خرائب شيلوه (المعروفة بخربة سيلون) وهي على ربع ساعة منها الى الشمال

في غرة اكتوبر الماضي بلغ محمد رفعت افندي مدير المعارف في القدس ان البعض عثروا على ناووس وكثير من التماثيل في ترمسعيا فذهب اليها وتحقق وجود هذه الآثار فيها . ولم يمضِ الاَّ ايام قليلة حتى تمكن وكيل دولة اميركا من القاهرة بان يؤَلف لجنة ينضم اليها احد الاساتذة العارفين بالآثار القديمة من مدرسة سانت اليان لكي يحقق امر هذه المكتشفات ويرى ما لها من القيمة العلمية وهاك نتيجة اعمال هذه اللجنة ملخصة من تقريرها

على منحدر الربوة عند منتهى القرية الغربي بقايا اساس حائط لم يبقَ منهُ الاَّ ساف واحد من الحجارة المقولة يمتد من الشمال الى الجنوب ٦ امتار و٢٥ سنتيمتراً وعلوهُ ٦٥ سنتيمتراً . ويبلغ طول الحجر الواحد من متر و١٣ سنتيمتراً الى متر و٥٢ سنتيمتراً . وقد أُحكم وضعها على الصخر بعد ان نحت من الامام حتى اصبحت معهُ جداراً واحداً

وفي هذا الصخر كهف منعطف السقف على شكل قنطرة علوهُ عند المدخل ٩٠ سنتيمتراً وعرضهُ متران و٤٠ سنتيمتراً . وفيهِ قبر محفور في الصخر طولهُ متران و٣٠ سنتيمتراً وعرضهُ ٨٥ سنتيمتراً وعمقهُ ٥٥ سنتيمتراً (١)

وامام هذا الصخر على مسافة مترمنهُ ناووس كبير من الرخام الابيض يوازي طولهُ خطاً

(١) اخذ هذه البيانات نهدي افندي احد اعضاء مجلس الادارة في القدس بالاشتراك مع محمد رفعت افندي وذلك بعد ذهابهما الى القرية بايام قليلة

ممتداً من الشرق الى الغرب وقد طمر نصفهُ في التراب . ويبلغ طولهُ مترين و٤٥ سنتيمتراً وعرضهُ متراً و٣٠ سنتيمتراً وعلوهُ اكثر من متر . وهو سليم لم يصب بأذى غير ان غطاءهُ قد حطم عمداً على ما يظهر طمعاً بجواهر الميت . ووجوههُ من الخارج ملساء ليس عليها شيء من النقوش وقد أُتقن نحت احدها اكثر من الثلاثة الباقية لان النظر يقع عليهِ اكثر منها . اما من الداخل فلم تراعَ في حفرهِ قاعدة ولا نظام ومتوسط سمك جدرانهِ ١٢ سنتيمتراً . وغطاؤهُ مسنم ذو صفحتين وعلى كلٍّ من زواياهُ الاربع نتوء كما يرى في غيره من النواويس الرومانية في فلسطين

ثم اقتادنا اهل القرية الى حفرة قريبة يقولون ان فيها تماثيل مكتشفة التراب قليلاً فاذا نحن بغطاء ناووس آخر عليهِ نقوش بديعة . وقد نقشت عليهِ صورة نمثل عليهِ شخص اكبر من الحجم الطبيعي مستند على يسراهُ وذراعهُ اليمنى حول عنق شخص لا يظهر منهُ سوى اعلى صدره فاستنتجنا من ذلك انها صورة رجل وزوجتهِ والمرجح انهُ كان على الزاوية المقابلة لوجههِ صورة ولد لهُ . وقد ذهب رأسا الشخصين وذراع من كل منهما . ورغماً عن ذلك لا يزال هذا الاثر من اجل الآثار التي وجدت في فلسطين حتى الآن

ورفعت من الردم قطعة رخام تغطي النقوش وجهين منها فعلمنا انها زاوية ناووس وان وجهيها المنقوشين جدارا الناووس وعلوها متر وثلاثة سنتيمترات وعرضها ٧٠ سنتيمتراً ويظهر منها القسم الاكبر من احد الجدارين الاصغرين وعليهِ صورة طفل ذي جناحين قائم على قدميهِ يجني ثماراً وبالقرب منهُ شخص آخر لا يظهر منهُ الاّ رأسهُ ويداهُ يجمع هذه الثمار في سل . ولم يبقَ من الجدار الآخر الاّ قسم صغير لا يزيد اتساعهُ على ٥٠ سنتيمتراً . وعليهِ نقوش وصور بارزة تكاد تفلت من الناووس وتمثل شاباً عارياً عليهِ ملاءة صغيرة قد عقد طرفاها على كتفهِ اليسرى وهو قائم على قدميهِ ويحيط برأسهِ اغصان فيها ثمار متنوعة ويتدلى وراء اذنهِ اليسرى عنقود من العنب . وبين ساقيهِ زورق صغير يشق عباب الامواج وفيهِ رجل جالس

ورأينا في الحفرة قطعة اخرى فحملنا على اخراجها وقد كان للمستر لويس الاميركي الفضل الاكبر في الكشف عنها واخراجها سليمة . ولدى التمعن فيها علمنا انها قطعة اخرى من الناووس المذكور آنفاً وعلوها مثل علو القطعة الاولى اي متر وثلاثة سنتيمترات ونقوش الاثنتين متلاصقة وعليها من الجانب الواحد طفل مجنح يرقى سلماً لاجل اجتناء الاثمار وعند

اسفل السلم صل عليه بالاثمار وقد اقبل عليها رجل يرتبها . وعلى الوجه الآخر شاب قائم على قدميه يشبه الشاب الذي وصفناه على القطعة الاولى وبين رجليه امرأة تحمل قرناً قد نبتت عليه الازهار والاثمار وفيه شخصان صغيران يجنيانها وربما كانت الصور الفوتوغرافية التي اخذها المستر لويس ابلغ من القلم في وصف هذه النقوش

ويظهر ان النقوش على مقدم الناووس كانت تمثل المعبود باخوس على هيئات مختلفة . ولا شك في ان هذا الناووس من احسن الآثار القديمة ونقوشه من نوع الحفر الناتئ وهي في غاية الاتقان وان كانت تنقصها بعض الامور دون الكمال . وقد افرغ الناحت جهده في اتقان نحتها حتى تكاد تقرأ ما في نفوس الاشخاص الممثلة من مجرد النظر الى وجوههم . وهذا الاثر يمتاز على سائر الآثار التي وجدت في فلسطين وربما كان من صنع اليونان في القرن الثاني قبل الميلاد

وحبذا لو عجل في نقل هذه الآثار الى متحف القدس حيث تكون في مأمن من عبث الايدي والطوارئ بها وتوسع البحث عن الاقسام الباقية من هذا الناووس لكي تكمل اجزاؤه وربما عثر معه على آثار اخرى ذات قيمة علمية . ولا شك في انه من بقايا مدفن عظيم لم يبق منه الا الحائط الذي ذكر في اول كلامنا وهذان الناووسان . ولا يبعد ان يكون في الردم كتابات تبين تاريخه واسماء من دفنوا فيه . وحبذا لو اتيح لهذا المكان من يرفع الردم منه ويحفر مما بقي فيه فان ذلك لا يستلزم عناء كثيراً

وبعد رجوعنا الى القدس اكتشف مدير المعارف ومهدي افندي عند احد المتاجرين بالعاديات قطعة من الرخام عليها نقوش وقد اتي بها من ترسيما ولا شك في انها من الناووس الذي وصفناه . وبعد ذلك بايام قليلة عادوا الى المكان الاصلي واحتفروا قليلاً فاستخرجوا قطعة اخرى منه

فحبذا لو جمعت هذه الآثار في القدس واعيد الحفر في ذلك المكان لتكمل اقسام ذلك الناووس . واننا نكرر نداءنا هذا باسم جميع المشتغلين بالآثار القديمة والمولعين بفنون القدماء وعسى ان لا يذهب نداؤنا عبثاً الامضاء

ب . م . راف . ماكبياك

الذهب والضيق المقبل

نشرنا منذ سنة من الزمان مقالة وجيزة في هذا الموضوع ابنا فيها ازدياد ما يستخرج من الذهب سنوياً وان كثرتهُ رخصتهُ معلت اسعار العروض التي تشترى بهِ ولكننا ختمناها بقولنا « ومن المحتمل بل المرجح ان هذا السيل الجارف سيل الذهب سيلاقي بالوعة عميقة تنصب فضلاتهُ فيها وهي بلاد الهند وبلاد الصين فاذا كثر التعامل بهِ فيهما فلا يكثر عليهما خمس مئة مليون من الجنيهات في السنة لان سكانهما اكثر من سبع مئة مليون نفس . ولكن لو تم ذلك فالاسعار التي ارتفعت الآن بسبب رخص الذهب لا يرجى ان تهبط سريعاً وبعضها لا يهبط ابداً لان العامل الذي اعتاد ان يأخذ عشرة غروش في اليوم ويشتري بها اشياء مختلفة مما رخص باتقان الصناعة ومما غلا برخص الذهب لا يكتفي بخمسة غروش ولو رخص ما غلا الآن لانهُ اعتاد ان يشتري ايضاً اشياء أخرى من الحاجيات والكماليات كان يستغني عنها حينما كانت اجرتهُ خمسة غروش . وهذا مما يوقع الارتباك الشديد في احوال البلاد المالية ولا دواء لهُ الا السعي من الآن في ما يزيد دخل السكان زيادة كبيرة وفي ما يعلّمهم الاقتصاد والتوفير حتى يقتصروا في نفقاتهم على الضروريات ويبقى عندهم ذخر مالي يكون لهُ ريع يستعينون بهِ . وهذا يصدق بنوع خاص على القطر المصري الذي تتوقف احوالهُ المالية على موسم القطن وما يصيبهُ من الآفات »

وقد حققت حوادث العام الماضي ما رجحناهُ وهو ان الهند والصين اكثرتا من اخذ الذهب فقد كتب بعضهم في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر يقول انهُ حينما تنشر حكومة الهند خلاصة اعمالها في شهر ابريل المقبل سيظهر منها ان بلاد الهند استنزفت منا في سنتين سبعين مليوناً من الجنيهات . وسترى البنوك حينئذٍ ان اساس اوراقها المالية قد تقوضت دعائمهُ فيقل « الكرديتو » ويعلو سعر القطع . وسبب كثرة الذهب المرسل الى الهند هو جعلهُ اساساً للمعاملة بعد ان كانت الفضة اساس المعاملة فيها ففي السنة السابقة لذلك بلغ وزن الفضة المرسلة الى الهند والباقية فيها ٦٠ مليون اوقية وفي السنة التالية بلغ وزن الفضة ٣٢ مليون اوقية فقط . واما الذهب فكان في السنة الاولى ٣٥٠٠٠٠٠ اوقية وبلغ في السنة التالية ٦٢٥٠٠٠٠ اوقية . واذا الحّ حكومة الهند ان تصلك نقود الذهب فيها استنزفتهُ من بنوك الدنيا سريعاً فان قيمة صادراتها زادت على قيمة وارداتها سنة ١٩١١ اثنين وخمسين مليوناً من الجنيهات فاذا طُرِح منها ما هي مديونة بهِ لبلاد الانكليز معاشات

ونحوها وهو ١٧ مليوناً من الجنيهات بقي لها ٣٥ مليوناً وهي تأخذها الآن ذهباً لا فضة ٠
ومعلوم ان الذهب المستخرج الآن من مناجم الارض كلها لا يزيد على مئة مليون جنيه في السنة يذهب ربعها في صوغ الحلى ونحوها ويبقى منها ٧٥ مليون جنيه للمعاملة فتأخذ الهند نحو نصفها وهذا النصف اذا وزع على سكان الهند لا يصيب النفس منهم الأ نحو ١٢ غرشاً فتضيع هناك٠ واذا زادت صادرات الهند بما يساوي ٣٥ مليوناً من الجنيهات في السنة وهذا غير بعيد استغرقت كل الذهب الذي يستخرج سنوياً للمعاملة

واكثر الذهب الذي يرد الى القطر المصري من اوربا يرسل من القطر المصري الى بلاد الهند فقد بلغ ما ورد منهُ الى القطر المصري في العام الماضي حتى آخر نوفمبر ٩٣٤ ٦٨١ ٩ جنيهاً أرسل منها الى الهند حتى آخر نوفمبر ٦٩١ ١٣٣ ٦ جنيهاً او نحو ثلثيها ٠ وهذا الامر مطرد الآن ففي سنة ١٩١١ كان مقدار الذهب الوارد الى القطر المصري ٠٢٧ ٩٠٣ ٦ جنيهاً والصادر منهُ الى الهند ٩٢٢ ٠١٢ ٥ جنيهاً اما الفضة فلم يصدر منها تلك السنة الى الهند الأ ما قيمتهُ ١١٥٦ جنيهاً مصرياً

ومن الغريب ان الذهب الذي يرسل الى الهند يخزن اكثرهُ عند اغنيائها او يصاغ حلى ولا يدور في المعاملة فقد ثبت ان البوسطات وسكك الحديد لم يصلها من الذهب من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١١ سوى خمسة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات مع ان الذهب الذي بقي في الهند في هذه المدة يزيد على مئة مليون جنيه

ولا بد من ان تجري الصين مجرى الهند في جعلها الذهب اساساً للمعاملة واستنزاف الكثير منهُ ومتى وقع ذلك ضاقت على التجار سبل المعاملة لان اكثرها قائم بالاوراق المالية وطلع الحاويل فاذا قلَّ الذهب في البنوك اضطرَّت ان تقلل اصدار الاوراق المالية وترفع سعر القطع . وقد قابل مدير صك النقود في الولايات المتحدة بين ما كان في البنوك المشهورة من الذهب في آخر سنة ١٨٩٩ وفي آخر سنة ١٩١٠ وبيَّن قيمة اوراقها المالية في السنتين المذكورتين وقيمة ما لها من الديون وفيها من الاوراق المقطوعة فكان كما ترى في هذا الجدول

	آخر سنة ١٨٩٩	آخر سنة ١٩١٠
قيمة الذهب في البنوك بالجنيهات	٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠
« الاوراق المالية المتداولة	٦٤٠٠٠٠٠٠	١٠٤٠٠٠٠٠٠
« الديون والاوراق المالية المقطوعة	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠

فاذا قلَّ مقدار الذهب في البنوك وعاد الى ما كان عليهِ في بداءة هذا القرن اضطرت

ان تقلل ما يتداول من اوراقها المالية وان تقلل تسليف النقود وقطع الكمبيالات ولا يخفى ما يحل بالتجارة حينئذٍ من الضيق والاضطراب

وقد تصلح الحال بالاعتماد على الفضة في المعاملة اي بجعلها اساساً كالذهب فانهُ استخرج منها من كل مناجم الدنيا سنة ١٩١١ ٢٣١ مليون اوقية اخذ منها الصاغة وصناع الآنية الفضية ١٥٦ مليون اوقية وهذا متوسط ما يستعملونهُ منها سنويًا · فبقي من المستخرج ٧٥ مليون اوقية فقط · وقد اشترت حكومة الهند ١٥٠ مليون اوقية سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ وسكتها ٤٠٠ مليون روبية والحال علت الفضة فبلغ ثمن الاوقية نحو ١٤ غرشاً ثم هبط سنة ١٩٠٨ الى ٩ غرش وهو ارخص سعر وصلت اليهِ · ويراد حكومة الهند الآن ان تشتري خمسين مليون اوقية لتسكها نقوداً وقد حاولت ان تشتريها سرًّا لكي لا يعلو سعرها اذا عُرف عرضها ولكن كشف سرها · فاذا تمت مقدار ما تحتاج الى سكه سنويًا وجرت في سكه على وتيرة واحدة وكان نحو ١٣٠ مليون روبية او خمسين مليون اوقية ارتفع سعر الفضة وبقي على معدل واحد بالنسبة الى سعر الذهب وصارت الفضة تصلح لان تكون مقياساً للمعاملة وبطل استنزاف الهند والصين الذهب المسكوك وما ينتج عنهُ من الضيق المالي

والقطر المصري من اشد البلدان تأثراً بالضيق المالي اذا حدث لكثرة ما يطلب منهُ من الذهب سنويًا ربا ديونهِ وديون حكومتهِ ولان اغنياءهُ لا يقتصدون في نفقاتهم وليس لهُ دخل يعتمد عليهِ غير قطنهِ فاذا اصابت القطن آفة من الآفات فقللت ما يجنى منهُ او اذا جاد موسم اميركا فهبط سعرهُ وسعر القطن المصري معهُ خسر القطر خسارة كبيرة تزيد على ما يمكن ان يتوفر لهُ في سنة الاقبال · ولا علاج لذلك الاَّ ما قلناهُ في بداءة العام الماضي وهو السعي في ما يزيد دخل السكان زيادة كبيرة وفي ما يعلمهم الاقتصاد والتوفير حتى يقتصروا في نفقاتهم على الضروريات ويبقى لهم ذخر مالي يكون لهُ ريع يستعينون بهِ · ونزيد على ذلك انهُ يجب ان يكون همهم الاول ايفاء ما عليهم من الديون لان رباها لا يقل من ستة او سبعة في المئة والاملاك التي يمتلكونها والاطيان التي يحيونها لا يمكن ان يزيد صافي ريعها على ستة في المئة بالنسبة الى ثمنها والى ما ينفق عليها فايفاء الديون اربح من امتلاك الاملاك واحياء الاطيان

الارقام الهندية

قرأنا للاستاذ ادمند تور من جامعة ميشيغان في اميركا مقالة في هذا الموضوع فاقتطفنا منها ما يلي

الارقام الهندية ويسميها الاوربيون الارقام العربية لاسباب ستذكرها شائعة الاستعمال في اوربا واميركا الشمالية واستراليا والقسم الأكبر من اسيا اما في اميركا الجنوبية والافريقية فلا يعوَّل عليها الاَّ حيث حل الاوربيون وانتشرت المدنية

ومن تأمل قليلاً هذه الارقام التي لا تتجاوز عدد الاصابع وما توفَّر بها من الوقت والعناء لم يسعهُ الاَّ ابداء اعجابهِ بها . فلك ان تصور اي عدد شئت مها كان كبيراً وتكلف ولداً كتابتهُ فلا يجد في ذلك اقل عناء . وقد سهلت الاعمال الحسابية كثيراً ولاسيما بعد اختراع الآلة الحسابية ووضع جداول اللوغارثمات حتى صار الانسان يحسب في الدقيقة ما لم يكن يحسبهُ في ايام وتأتي نتائج حسابهِ على غاية الدقة والضبط

نشأت هذه الارقام اولاً في الهند ثم اتصلت بسائر البلدان ولكن سيرها كان بطيئاً . ولم تكن في اول الامر تفضل الارقام التي وضعتها سائر الامم في شيء ولكنها ما لبثت ان تنوعت وسهل تناولها فنقلها العرب من اهل الهند واتصلت من العرب الى غيرهم من الامم

يبدأ الطفل يدرك شيئاً من العدد حينما يبدأ يميز بين الاشياء . فاذا ادرك باللمس والنظر ان الشيئين هما غير الشيء الواحد فقد بدأت معرفتهُ بالاعداد ويتدرج بعد ذلك في تمييز بعضها عن بعض حتى يدرك المقصود بقولهم : واحد : اثنان : ثلاثة

والذين لا يزالون في ادنى درجات المدنية لا يدركون من الاعداد الاَّ ادناها فاذا كبر العدد قسموهُ الى عددين او اكثر ليسهل عليهم ادراكهُ . فالاربعة مركبة عندهم من ثلاثة وواحد والخمسة من ثلاثة واثنين . واثر ذلك ظاهر في طريقة العد عند الفينيقيين والهنود القدماء . ولا يزال شيء منهُ في عقول بعض الناس حتى الآن فانهم لا يدركون الاربعة الاَّ مركبة من ثلاثة وواحد والخمسة من ثلاثة واثنين . فاذا علوت عن ذلك الى الستة فما فوق تساوى الناس في ذلك فيتصورون الستة مركبة من ثلاثة وثلاثة والسبعة من ثلاثة واربعة

ولما ارتقى العقل واضطر الانسان الى استعمال الاعداد الكبيرة رأى ان لا بد لهُ من وضع الالفاظ والاشارات الكتابية لتدل عليها ولو كانت لا يفهمها الاَّ مركبة من اعداد

اصغر منها · ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة لان الاعداد صور مجردة في العقل وليست كالحيوان او الجماد الذي تسهل تسميتهُ بصوتهِ والرمز اليهِ بصورتهِ

واول ما بدأ الانسان بكتابة الاعداد كان يكتب الواحد بصورة خط والاثنين بصورة خطين والثلاثة بصورة ثلاثة خطوط · فكانت خطوط الصينيين عرضية وخطوط الهنود والرومان عمودية · وهذه الاخيرة لم تزل مستعملة الى يومنا هذا

ولما كانت هذه الطريقة لا تصلح لكتابة الاعداد الكبيرة كان لا بد من وضع العلامات الخاصة · فكان الهنود يكتبون الاربعة بصورة خطين متقاطعين هكذا × وربما كانت هذه الصورة مركبة من اربعة خطوط في الاصل · والصينيون يكتبون الستة بهذه الصورة (⋀)

ولما كان وضع حروف الهجاء وصورها الكتابية اسبق استعانت بعض الامم كالعبرانيين واليونانيين بصور الحروف لكتابة الاعداد · وزاد اليونانيون ثلاث علامات على حروفهم فاصبحت ارقامهم سبعة وعشرين · وكانت قيم الحروف وطريقة كتابة الاعداد عندهم كما هي عندنا في حساب الجمّل فالحرف الاول عندهم واحد والثاني اثنان وهلم جرًّا بزيادة واحد واحد الى العاشر · والحرف الحادي عشر عشرون اي انهُ يزيد عشرة على سابقهِ والثاني عشر ثلاثون بزيادة عشرة ايضاً وتمشي هذه الزيادة الى الحرف التاسع عشر ثم تصبح زيادة كل حرف على سابقهِ مئة الى ان تأتي الى آخر الحروف · واذا ارادوا كتابة عدد رسموا من الحروف ما يساوي مجموعهُ ذلك العدد ووضعوا فوق كل حرف الى اليمين شَحطة صغيرة دلالة على انهُ رقم لا حرف هجاء · واذا وضعت هذه الشحطة الى اسفل الحرف زادت قيمتهُ الف ضعف

فسهلت هذه الطريقة كتابة الاعداد ولكنها كانت عبئاً ثقيلاً على الحاسب في اجراء عملياتهِ من جمع وطرح وضرب وقسمة · فعملية الضرب عندنا مثلاً تقتضي حفظ جدول فيهِ خمسة واربعون حاصلاً وهي نتيجة ضرب كل رقم من الارقام التسعة بالثمانية الباقية (١ × ١ = ١ و١ × ٢ = ٢ و١ × ٣ = ٣ وهلم جرًّا) فاذا حفظ الولد هذا الجدول وعرف كيف يستعملهُ اصبح قادراً على ضرب اي عددين الواحد بالآخر · اما عند اليونان فكان على الحاسب ان يحفظ لا اقل من ٣٧٨ حاصلاً وذلك لكثرة ارقامهم

ثم وضع الرومان طريقة اسهل من هذه فكتبوا الواحد بصورة خط عمودي والاثنين بصورة خطين وهكذا الى الاربعة (I II III IIII) حتى اذا جاؤُوا الى الخمسة كتبوها بصورة تقرب من الرقم «٧» في العربية V وقد ذهب البعض الى ان هذه العلامة

مأخوذة من صورة الكف وان الثمية الواحدة منها تمثل الابهام والاخرى تمثل الاصابع الباقية ولكن هذا الرأي قد يمال . وكتبوا العشرة بصورة خطين متقاطعين هكذا X والعلماء على اختلاف في اصل هذه العلامة ولكن يظهر من الكتابات القديمة انهم كانوا اولاً يكتبون الاعداد من الواحد الى التسعة خطوطاً عمودية كما رأينا في كتابة الواحد والاثنين والثلاثة فاذا اتوا الى العشرة صوروا تسعة خطوط متوازية وقاطعوها بالعاشر مقاطعة منعاً للالتباس وهرباً من الصعوبة في القراءة ثم ابدلت الخطوط التسعة بخط واحد فاصبحت العشرة خطين متقاطعين . ويذهب القائلون بذلك الى ان علامة الخمسة مقتطعة من علامة العشرة . فكما ان الخمسة في نصف العشرة كذلك علامة الاولى في النصف الاعلى من علامة الثانية . وكنوا عن الخمسين بالحرف L ومن المئة بالحرف C ومن الخمس مئة بالحرف D ومن الالف بالحرف M . واستفرغوا باقي الاعداد باضافة هذه العلامات او طرح بعضها من بعض

وهذه الارقام اسهل من الارقام اليونانية في كتابة الاعداد وقراءتها لان الاعداد كلها تتركب من سبع علامات على طريقة سهلة المأخذ قريبة من الفهم . ولكن يتعذر اجراء الاعمال الحسابية بها اذا كبرت الاعداد ولذلك كان رياضيو الرومان يرجعون الى الارقام اليونانية لمثل ذلك الغرض

ولم يقصّر الشرق عن الغرب في هذا السبيل بل تقدّمهُ بمراحل عديدة فان البابليين برعوا في علوم الاعداد والصينيين وضعوا ارقاماً لا يزالون يستعملونها الى يومنا هذا ثم وضع الهنود ارقامهم وما زالوا يحسنون بها حتى ظهر فضلها على غيرها والتي استها عنهم الامم المتمدنة اجمع

ولم يتم وضع الارقام الهندية دفعة واحدة على يد رجل واحد بل اقتضى قروناً طويلة وتعديلاً كثيراً . وقد كان الهنود ارقام يكتبون الاعداد بها حوالي القرن العاشر قبل الميلاد ولم تصل الينا ولا نعرف عنها شيئاً . وقد وجدت كتابة هندية يرجع عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد وفيها ارقام غير هذه التي نستعملها اليوم الآن وتختلف عنها تمام الاختلاف . وقد كانت ارقامهم لذلك العهد على نوعين نوع يقرب من الارقام الرومانية في ان له علامات قليلة يكتفى بها عن الاعداد بتغيير تركيبها تقديماً وتأخيراً ونوع يشبه الارقام اليونانية في كثرة العلامات واختصاص كل منها بعدد واحد دون غيره . وقد وجدت كتابة في كهف ناناغات قرب بونا في اواسط الهند يرجع عهدها الى القرن الثاني قبل الميلاد وفيها الارقام التي ترى في الشكل الاول المقابل . ومما يجدر ذكرهُ ان اشكال

الارقام ١ و٦ و٧ تشبه اشكالها الحاضرة عند الافرنج . ثم وجدت كتابات اخرى اقرب عهداً من هذه واشكال الارقام فيها اقرب الى اشكالها في الوقت الحاضر

ولم تكن الارقام الهندية من النوع الثاني تختلف عن الارقام اليونانية الا في كونها علامات مخصوصة غير الحروف . ولم يعرف كيف وضع الهنود هذه العلامات ولا من اين جاؤُوا بها وربما كانت حروفاً في الاصل ثم حولت عن صورها الاصلية غير ان ارقام الواحد والاثنين والثلاثة كانت خطوطاً كما في الارقام الرومانية

ولم يكن نظام العد عندهم كما هو الآن ولا كانت قيمة الرقم تتغير بتغير منزلتهِ فكان للاثنين رقم وللعشرين رقم آخر يختلف عنهُ تماماً . اما نحن فاذا اردنا كتابة العشرين كتبنا رقم الاثنين وجعلنا الى يمينهِ علامة تدل على ان هناك منزلة فارغة وانهُ في المنزلة الثانية

ولم يكن الهنود واليونان والصينيون يعرفون الصفر ولا منازل الارقام التي تُكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة اذا نقل من واحدة منها الى الاخرى فاضطروا الى وضع الارقام الكثيرة وفي ذلك ما فيهِ من العناء على الكاتب والقارئ والحاسب . وقد كانت الارقام اليونانية لعهد صولون والارقام الرومانية قليلة العلامات قريبة المآخذ ولكنها لم تكن تصلح للاعمال الحسابية . فكان لا بد من تغيير نظام العد ووضع ارقام تفي بالمراد . وتم ذلك على ايدي الهنود بعد ان قضوا قروناً طويلة يعبرون في الارقام ويبدلون نظام العد

وكانت الشبكة (اباكس) اكبر العوامل على ايصال نظام العد الى درجة الكمال . ويقال ان الشبكة من مخترعات الصينيين ولكن لم يقم برهان قاطع على صحة ذلك . انما ثبت ان الصينيين والهنود والبابليين كانوا يستعينون بها في الحساب قبل التاريخ بازمان طويلة . وشاع استعمالها عند اليونان والرومان واخذها عنهم اهل اوربا فكانت عدة اهل الحساب الى اواخر القرون الوسطى . ويروى ان القائمين على الخزينة الملكية في بلاد الانكليز كانوا يستعينون بها في القرن الثاني عشر . ولا يزال استعمالها شائعاً في روسيا والمدارس الابتدائية حيث يتعلم التلامذة اصول العد

والشبكة لوح ترسم عليهِ خطوط متوازية بحيث يكون بينها بيوت او منازل توضع فيها الحصى او الودع او غير هذه مما يسهل استخدامهُ للعد . فاذا وضعت حصاة في المنزلة الاولى كان المراد بها الدلالة على الواحد واذا نقلت الى المنزلة الثانية زادت قيمتها خمسة اضعاف او عشرة او عشرين حسب اصطلاح الحاسب وعدد الحصى التي لديهِ . ويمكن استبدال الحصى بالارقام فاذا وضع ٣ مثلاً في المنزلة الاولى دل على ثلاث وحدات اي ثلاثة اشياء

مفردة واذا نقل الى المنزلة الثانية اصبحت قيمتهُ عشرة اضعاف ما كانت في المنزلة الاولى وهذه الطريقة تفضل سواها في ان الرقم الواحد فيها يغني عن ارقام كثيرة في غيرها لان مدلوله يتغير بحسب المنازل التي يوضع فيها وقد كان لليونان تسعة عشر رقماً دلوا بها على كل الاعداد من الواحد الى المئة فاستغنوا عن اكثرها بعد استخدام هذه الشبكة واصبحت عشرة ارقام منها تفي بالمراد

اما مقدار الزيادة في قيمة الرقم لدى نقلهِ من منزلة الى اخرى فيتوقف على طريقة العد فمن كان يعد بالخمسات تزداد قيمة الرقم معهُ خمسة اضعاف ومن كان يعد بالعشرات كما نفعل نحن الآن تزداد قيمتهُ معهُ عشرة اضعاف. وقد اختلفت الامم كثيراً في مراقي العد فكان البابليون يعتمدون على الستين في تركيب اعدادهم وبعض قبائل افريقية تتخذ الستة مرقاة للعد ويقال ان بعض اهالي جزيرة زيلاندة الجديدة يستخدمون الاحد عشر لذلك الغرض. ويظهر ان الاثني عشر كانت شائعة الاستعمال كمرقاة للعد ولا تزال آثار ذلك بادية في التعامل (بالدزينة)

لجأ الانسان في بادىء الامر الى اصابعهِ يستعين بها على العد والحساب ولذلك اخذ يقسم الاعداد الكبيرة الى خمسات او عشرات او عشرينات. ولا نزال الى يومنا هذا نرى كثيرين يلجأون الى الخمسة في عد المقادير الكبيرة. وقد كان اهل تدمر على عهد ملكتهم زينوبيا يعدون بالعشرينات وكذلك كان السريان يفعلون قبل ظهور الاسلام. وكانت بعض قبائل اميركا الوسطى تتخذ العشرين مرقاة للعد. ولا يزال في اللغة الفرنسوية اثر من ذلك فان الثمانين يعبَّر عنها بكلمتين معناهما (اربعة عشرينات) وفي اللغة الانكليزية ما يقرب من هذا. ولكن العشرة (عدد اصابع اليدين) تغلبت على سائر الاعداد وعولت عليها اكثر الامم. فقد كان نظام العد عشرياً عند الهنود والصينيين واليونان قبل ظهور الارقام الهندية

ووضع اليونان لكل من الاعداد العشرة الاولى كلمة خاصة ولم يضعوا مثل ذلك للاحد عشر وما فوقها الى العشرين. وكان لهم لفظة خاصة لكل من عقود الاعداد اي مركبات العشرة مثل العشرين والثلاثين الى المائة وكانوا يسمون الاعداد التركيبية كما نسميها نحن اي بعطف احد الارقام التسعة على احد العقود فيقولون مثلاً اثنان وثلاثون. وكان الرومان يعدون على هذه الطريقة الا انهم لم يستخدموا الا ارقاماً قليلة في الكتابة خلافاً لليونان. اما الهنود فاتقنوا العد العشري واوصلوهُ الى الالوف والكرات والربوات

ومع ان العد العشري وصل الى تلك الدرجة من الاتقان بقيت العلامات اللفظية

والاشارات الكتابية قاصرة تكلف الحاسب عناء كثيراً . ثم اخترعت الشبكة فكانت الباعث الاكبر على اختصار الارقام والاستغناء عن كثير منها

فان الهندي الذي يسد عن الطريقة العشرية لا يحتاج الى اكثر من تسعة ارقام على شبكته وهي (١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩) فاذا اراد العشرة وضع رقم الواحد في المنزلة الثانية فيصبح عشرة واذا اراد ١٩٥ وضع الواحد في المنزلة الاولى والتسعة في المنزلة الثانية والخمسة في المنزلة الثالثة . واذا اراد ١٠٥ وضع الواحد في المنزلة الاولى والخمسة في المنزلة الثالثة وترك الثانية فارغة . وكان هذا التغيير في مدلول الرقم بتغيير مرتبته اكبر خطوة في سبيل تقدم علم الاعداد خصوصاً والعلوم الرياضية عموماً ولا صعوبة في نقل العدد ١٩٥ من الشبكة وتدوينه كتابة فان ترتيب الارقام وموقع كل منها بالنسبة الى الاثنين الباقيين يدل على منزلته في الشبكة فتبقى له قيمته . ولكن من الاعداد ما تكون فيه بعض المنازل خالية من الارقام كما في العدد ١٠٥ فاذا نقل هذا العدد من الشبكة ظهر بهذه الصورة ١ ٥ اي انه التبس بالواحد والخمسين . فكان لا بد حينئذ من وضع علامة تدل على ان بين الرقمين منزلة خالية . فوضع علماء الهند علامة الصفر فجاءت مكملة لطريقة كتابة الاعداد بالارقام . ولقد كان للكلدان علامة خاصة يستخدمونها للدلالة على خلو المنزلة ولكنهم لم يخرجوا في استعمالها عن تدوين الاعداد اي انهم لم يستفيدوا منها في اجراء العمليات الحسابية كالضرب والطرح

فكانت علامة الصفر عند الهنود نقطة (٠) وهكذا نقلها عنهم العرب . الا ان الهنود ما لبثوا ان عدلوا عن ذلك واخذوا يكتبون الصفر بصورة الدائرة . واقدم كتابة هندية يظهر فيها الصفر صورة الدائرة يرجع تاريخها الى سنة ٨٧٦ م انظر شكل (٢)

اما زمان وصول هذه الارقام الى اوربا وكيفية حدوث ذلك فلم يعلما بالتحقيق لانها لم تشع دفعة واحدة بل تدريجاً . والمرجح ان تجار اوربا سبقوا علماءها الى اقتباس الارقام الهندية لان معاملاتهم مع الشرق كانت كثيرة . ومن الطبيعي ان يكون التجار الشرقيون قد استخدموها في كتابة اسعار البضائع وباقي اغراض التجارة

واشتهرت الارقام الهندية قبل وضع الصفر ففي سنة ٦٦٢ للميلاد ذكرها راهب سرياني في دير على الفرات وابدى اعجابه بسهولة العد والحساب بارقام الهند التسعة

واخذت العرب هذه الارقام عن الهنود وحملتها الى جميع البلدان التي امتدت فتوحها اليها . وفي القرن التاسع للميلاد كان في بغداد بعض الرياضيين وغيرهم من العلماء وكانوا كلهم يستعملون

الارقام الهندية . واختلفت اشكالها في الاندلس عن اشكالها في بغداد وعرفت ارقام الاندلسيين بارقام الغبار . وعن العرب اخذها اهل اوربا ولذلك تعرف عندهم بالارقام العربية

ويذهب البعض الى ان اهالي جنوبي اوربا عرفوا هذه الارقام قبل مجيء العرب اليها ولكن هذا الرأي لا يزال مفتقراً الى الاثبات . ومن ادلتهم على ذلك نسخة خطية من كتاب الهندسة لبيوثيوس فيها ارقام تقرب من الارقام الهندية وهذا الكتاب وضع في القرن السادس للميلاد ولكن يرجح ان هذه الارقام قد اقحمت فيه في القرن الحادي عشر اي حين كتابة النسخة المذكورة . وعليه فلا بد ان يكون الاوربيون عرفوا هذه الارقام قبل القرن الحادي عشر

وسواء صح ان الارقام الهندية وصلت الى اوربا قبل مجيء العرب اليها او بعده ُ فان الفضل في تعميم استعمالها بين الاوربيين يرجع الى عرب الاندلس . ولقد ثبت ان البابا سلفستر الثاني تعلمها من الاندلس حيث قضى مدة مكبّاً على تحصيل العلم قبل ارتقائهِ الى السدة البابوية . وقد كتب فصلاً في اعداد الغبار التسعة ولم يذكر الصفر في كلامهِ عليها

وشاع استعمال الارقام الهندية في القرن الثاني عشر في اوربا فكان كل فريق يكتبها باشكال تخالف اشكالها عند غيره وكان البعض يستعملونها بدون الصفر وآخرون يمزجونها بالارقام الرومانية ويضيفون الصفر اليها . وما زالت الحال على هذا المنوال الى ان قام الرياضي ليوناردو فيبوناتشي الايطالي فألف سنة ١٢٠٢ كتاباً في الحساب شرح فيه طريقة استعمال الارقام الهندية شرحاً وافياً . ثم جاء بعده ُ يوحنا ساكروبوسكو فوضع كتاباً آخر في الحساب وشرح فيهِ طريقة استعمالها وكان اول من سماها بالارقام العربية

وقد يرى المرء فضل الجديد ويتحقق نفعهُ ولا يقتبسهُ تمسكاً بالقديم وجرياً وراء العادة التي يصعب تغييرها . فان خبر هذه الارقام شاع في اوربا في ذلك الحين ولكن كثيرين بقوا متشبثين بارقامهم القديمة كما نرى الآن كل امة متمسكة بمقاييسها مع ظهور فضل المقاييس المترية عليها . ولم يكن في ذلك الحين مطابع لنشر هذه الارقام بين العامة فضلاً عن ان العامي قلّما يحتاج اليها فان اصابعهُ تغنيهِ عنها

وقد وجدت قطعة نقود من عهد روجر صاحب صقلية وعليها تاريخ سنة ١١٣٨ بالارقام الهندية ووجدت قطعتان اخريان مثلها الواحدة ايطالية تاريخها سنة ١٣٩٠ والاخرى فرنسوية وتاريخها سنة ١٤٨٥ . ووجدت في بريطانيا قطعتان ايضاً الواحدة اسكتلندية وتاريخها سنة ١٥٣٨ والاخرى انكليزية وتاريخها سنة ١٥٥١ . وتاريخ هذه القطع كلها

بالارقام الهندية . وفي الفرنسوية كتاب مخطوط من سنة ١٢٧٥ يحتوي على فصل في الارقام الهندية . ووجدت في المانيا كتابتان قبريتان مؤرختان بهذه الارقام وتاريخ الاولى سنة ١٣٧١ وتاريخ الثانية سنة ١٣٨٨ . وارخ بها احد المؤلفين تأليف كتاب وضعهُ سنة ١٤٧٠ وسنة ١٤٧١ عدت بها صفحات كتاب لبترارك طبع في مدينة كولون من المانيا . وكانت لذلك العهد تكتب على اشكال متنوعة وتمزج احياناً بالارقام الرومانية ولم تتوحد اشكالها الاَّ بعد ظهور الطباعة

واطلق الهنود على الصفر لفظة (سونيا) ومعناها فراغ وسماهُ العرب صفراً . واخذ الافرنج اللفظة العربية فتلاعبت بها ألسنتهم حتى اصبحت على ما نراها الآن في لغاتهم

ولم يأتِ القرن السابع عشر حتى عم استعمال الارقام الهندية اوربا كلها . ثم حملها الاوربيون الى جميع الاقطار وعولت عليها جميع الامم المتقدمة الاَّ انها لم تصل بعد الى الصين مع انها نشأت بالقرب منها

هذه لمحة اجمالية من تاريخ الارقام الهندية وهي مشهد من مشاهد ارتقاء العقل البشري . فقد كان الانسان في بادىء امره يعد على اصابع يديهِ ورجليهِ ثم جعل يضع العلامات للدلالة على الاعداد وبعد ذلك بقرون طويلة فطن لتعيير مدلول الرقم بتعيير مرتبتهِ ثم اهتدى الى وضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام فتم لهُ بذلك نظام العد واصبح قادراً على ان يحسب ابعاد النجوم وسرعة النور الى غير ذلك مما لا نهاية لهُ وذلك بارقام عشر لا تجاوز اصابع اليدين عدًّا

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ نور اما العرب فلم يستعملوا دائماً الارقام التي نستعملها الآن ولا هم يستعملونها على شكل واحد الآن وان صورة الرقم ٤ مثلاً في كتبنا المطبوعة منذ مئة سنة او اكثر تخالف صورتهُ المستعملة الآن وقد كانت صور الارقام عندنا في بعض الازمنة شبيهة بصورها الهندية وبصورها المستعملة الآن في اوربا وقد جمعها بعضهم بقوله

الف وحاء ثم حج بعدهُ ... عين وبعد العين عودٌ ترسم
هاء وبعد الهاء شكل ظاهر ... يبدو كخطاف اذا هو يرقم
صفران ثامنها وقد ضمَّا معاً ... والواو تاسعها بذلك تختم

والمشابهة واضحة بينها وبين الارقام الافرنجية المستعملة الآن كما ترى

9	8	7	6	5	4	3	2	1
و	8	7	٦	هو	ع	ع	ح	ا

واختلف كتاب العربية كثيراً في كتابة هذه الارقام ففي قانون ابن سينا المطبوع برومية سنة ١٥٩٣ للميلاد جعل رقم الاربعة مثل ٣ ورقم الخمسة مثل حرف الباء الافرنجية المقلوبة هكذا ꓭ وكذا رسمت الارقام في كتاب الاصول لاقليدس المطبوع سنة ٩٩٦ للهجرة اي سنة ١٥٨٧ للميلاد ما عدا رقم الخمسة فانهُ جعل دائرة

غرائب العادات

للناس مذاهب شتّى واساليب مختلفة في كل ما يعملون سواء في ذلك متمدنوهم ومتوحشوهم اما اساليب المتمدنين وعاداتهم في مآكلهم ومشاربهم وملبسهم ومسكنهم وزياراتهم وولائمهم ورسومهم في الولادة والزواج والموت والدفن وشعائرهم الدينية فتكاد تكون معروفة عندنا كلها لاننا نجري عليها او نرى الذين يجرون عليها واما اساليب المتوحشين واهالي البلدان القاصية الذين تخالف عاداتهم عاداتنا ففي معرفتها فكاهة عقلية ومواضيع للنظر والاعتبار · وقد وقفنا الآن على فصول في هذه المواضيع لاناس من الثقات الذين جابوا البلدان القاصية ووقفوا على عادات اهلها ورسومهم الدينية والاجتماعية فرأينا ان نقتطف منها ما تلذُّ معرفتهُ

والغالب ان الناس يندفعون الى اتباع امر من الامور بحكم الضرورة التي يدعوهم اليها اقليمهم او احوالهم المعاشية فيصير عادة لهم يصعب تركها مثال ذلك ان سكان صحراء افريقية المعروفين بالتوارك يتلثمون دواماً ويستعيب الرجل منهم نزع اللثام عن وجهه ولعلهم استعملوا اللثام اولاً ليقيهم من وهج الشمس وعصف الرمال الحارَّة فصار استعمالهُ عادة يشق عليهم الخروج عنها ويعاب على الرجل منهم كشف وجهه كما يعاب عليهِ كشف عورتهِ

ولقد كان للرسوم الدينية المختلفة اليد الطولى في تكثير العادات وتنويعها حتى صارت حياة المتوحشين سلسلة من العادات متصلة الحلق فلا يكادون يعملون شيئاً الاَّ علقوهُ بمعبوداتهم او بالارواح التي يتوهمون وجودها حولهم وتسلطها عليهم فقتنصو الوحوش في عيديا يزرعون انواعاً مختلفة من النباتات معتقدين ان كل نبات منها يقدمهم على نوع مخصوص من الصيد · وصائدو السمك من الامازون يصنعون تمثال سمكة يضعونهُ في مقدم زورق الصيد حاسبين انهُ يعينهم على صيد السمك فاذا صادوا سمكاً كثيراً اكرموا هذا التمثال وحفظوهُ الى نوبة اخرى والاَّ طرحوهُ وصنعوا تمثالاً غيرهُ

واذا كان القحط ينتاب البلاد ويمرُّ القوت فيها كما في استراليا فهناك تكثر الشعائر

الدينية لتكثير الطعام وقد انقسم سكان استراليا الاصلية الى قبائل و بطون وافخاذ ولكل فريق منهم حيوان يكرمونهُ وينتسبون اليهِ ويرجون منهُ ان يساعدهم على تكثير طعامهم فالامو وهو طائر كبير يشبه النعام لهُ فريق ينتسب اليهِ ويعتقد عليهِ لحمايتهِ ويمنع أكلهُ وصيدهُ وكل اهل هذا الفريق يعدون انفسهم اخوة واخوات وقد لا يكون بينهم نسب الّا انتسابهم الى هذا الطائر وقد يكون في القبيلة الواحدة اناس ينتسبون الى طائر الامو واناس ينتسبون الى حيوان الايسم واناس ينتسبون الى الكنغر فهم كاهل المذاهب الدينية واهل كل مذهب متعاونون متضافرون يضيف بعضهم بعضاً على تمام الولاء ولو كانوا من قبائل مختلفة ولكل مذهب حرّم تقام فيهِ شعائرهُ الدينية لكي يجزل الخير لاهلهِ

ومن المذاهب الشائعة عندهم مذهب المطر . واهلهُ يستمطرون اذا انحبس الغيث عنهم باصوات تشبه صوت طائر الاستقاط لان هذا الطائر يأتيهم قبل المطر فحسبوا ان صوتهُ هو السبب والمطر هو المسبب فهم اعقل من الذين كانوا يستمطرون بالبقر المسلعة وفيهم يقول الشاعر

لا درَّ درُّ اناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
اجاعل انت بيقوراً مسلّعة وسيلة لك بين الله والمطر

وذلك ان العرب كانوا اذا اجدبت ارضهم من قلة المطر يأخذون اغصاناً من شجر السلع ومن شجر العُشَر ويعلقونها بثيران الوحش ويضرمون النار فيها ويهبطون بها في الجبال يعتقدون ان ذلك يستنزل المطر لان الله يشفق عليها فينزل المطر لكي يطفئ النار

ولشدة الحاجة الى المطر وتوقف ظهور النبات والاثمار عليهِ توهم لهُ الناس آلهة كثيرة تتولى امرهُ وانواعاً مختلفة من العوذ والرقى والشعائر والرسوم يستنزل بها . وهي تزيد حيث يشتد القيظ ويقلُّ وقوع المطر حتى تكاد اعمال الناس تقتصر على وسائل الاستمطار . ولا تزال بعض اساليب الاستمطار شائعة حيث خلع الناس اسمال الهمجية كاهل الصرب فانهم اذا اشتد القيظ عندهم عرَّوا فتاةً والبسوها الازهار والبقول حتى يتغطى بها جسمها كلهُ وطافت بها اترابها في القرى ووقفن امام ابواب البيوت وهي ترقص وهنَّ في حلقة حولها يغنين وكلما وقفن امام باب خرجت ربة البيت اليهنَّ وسكبت دلو ماء على الفتاة

لكن الشعائر والرسوم التي تتبع احوال الاقليم لا تُعدُّ شيئاً مذكوراً في جنب ما يُطلب من المرء عملهُ في تلك البلدان حتى كأنهُ عبد لما تقضي بهِ عادات قبيلتهِ ولا مردَّ لهُ الاّ القيام بها فاهالي غينيا يعتقدون انهُ اذا اكل رجل منهم البكا (وهو حيوان صغير مرقط) وامرأتهُ حامل ولدت ولداً بارز الفم كالبكا او مرقط الجلد مثلهُ . ويقول دياك بورنيو انهُ اذا عمل

الوالد بآلة حادة او ضرب حيواناً او اطلق بندقيةً وامرأته حامل اضرَّ بجنينها . والنساء الحوامل في جزيرة مري يأكلنَ نوعاً من المحار لانهُ يزعمن انهُ يقوي رحماً صبيات ان اطفالهنَّ يأتون جهوري الاصوات واسعي الصدور قادرين على الغناء

وما دام ابناء المتوحشين صغاراً لا يطلب منهم الا ان يلعبوا ويتمرنوا على الصيد والقنص ونحو ذلك من الاعمال التي تعلم الرماية وتقوي العضل وتحدد البصر . ولكن الصبي لا يصير رجلاً عندهم ولو بلغ مبلغ الرجال ما لم يقبلهُ الرجال بينهم . ولهم في دخول غلمانهم مصاف الرجال رسوم كثيرة شاقة تعلي قيمة الرجل في اعينهم . منها ما يرمز بهِ الى موت الفتى وبعثهِ كانهُ ولد ولادة ثانية ومنها ما تظهر فيهِ المهارة والتفوق على الغير واجتراح ما يعدُّ من قبيل الخوارق مثل رمي قدة من الخشب يُحتال في رميها حتى تصوت وهي ذاهبة في الجو صوتاً رهيباً يزعج لهُ السامعون وتهلع قلوبهم . وهذا شائع في استراليا وغينيا الجديدة وجزائر سليمان وبرازيل وغرب افريقية وجنوبيها . وقد كان اليونان يفعلون مثل ذلك حينما يدخلون شبانهم في مصاف رجالهم فانهم كانوا يأمرون الشاب ان يرقص عارياً ويرمي القدة حتى تصوت وظلوا يفعلون ذلك بعد ان رسخت في الحضارة قدمهم دلالة على ان عاداتهم في ازمان همجيتهم كانت مثل عادات الاستراليين الآن

وصوت القدة المرماة مثل صوت العاصفة ولذلك يستعملها بعض المتوحشين في جنوب افريقية وبعض الهنود في اميركا الشمالية للاستمطار

وحينما يدخل الشاب في زمرة الرجال يُعلَّم الآداب والفضائل كالصمت والحشمة والوقار والطاعة والكرم والاجتهاد واحترام الوالدين والاقارب والصدق والنجدة والمروءة والرزانة والعفة والشجاعة والشراسة والصبر على الضيم وتحمل المشاق وينهى عن السرقة والعاربة والثرثرة والنميمة وافشاء السر والفحش في القول والهرب من القيام بالواجب والتزوج بمن لا يليق التزوج بهن . ويحض على القيام بما يطلب منهُ لقبيلتهِ والمعاداة لاعدائها . ويقال ان اخلاق اهالي خليج نابوان تكيفت بسنة الطبيعة حتى صار همهم الاول وغرضهم الذي يرمون اليهِ مصلحة مجموعهم

فكانت رسوم ادخال الشبان في مصاف الرجال اكبر ذريعة لتهذيب اخلاقهم واكارم انفسهم وجعلهم اعضاء عاملة في جسم القبيلة ومع ذلك لم تكف هذه الرسوم لترقية الامم المتبربرة لما يعتور غيرها من العادات الهمجية ولما هو متسلط عليها من الاوهام الخرافية . ترى في الصورة المقابلة امرأة من نساء الماضي وقد ملأت زنديها ومعصميها بالدمالج

والاساور وعنقها وصدرها بالعقود والقلائد وعلقت الضفائر باذنيها ونتفت شعر حاجبيها ورموش عينيها قصد التجمُّل والتحلي والى جانبها صورة رجل من اهالي جزائر سليمان وقد شق شحمتي اذنيهِ وعلّق بهما اثقالاً حتى تدلتا على كتفيهِ ووضع خزامة كبيرة في انفهِ وهو يحسب انهُ امتاز بذلك على اقرانهِ

ولكل ما اعتادهُ المتوحشون من العادات معانٍ مرتبطة بمعيشتهم واحوالهم الاجتماعية فلا يستخف بها مهما كانت غريبة وقد يكون عندنا ما هو مثلها او اغرب منها وابعد عن مقتضى الطبع ولا ضرر منها الا اذا قيَّدت العقل فنعتهُ من البحث عن اسرار الطبيعة والاستفادة من قواها والتغلب على مشاقها وحوَّطتهُ بالاوهام حتى غلَّت يديهِ عن السعي وحملتهُ على استرضاء معبوداتهِ بما لا فائدة لهُ بهِ ولا يجني منهُ غير اشغال البال وابطال السعي . وبعبارة اصرح ان اديان المتوحشين حرمتهم من الحضارة وكانهم منعوهم من الارتقاء وسيأتي تفصيل ذلك في الاجزاء التالية

قوام الصحة النور والحركة

(تابع ما قبلهُ)

ان الاعمال التي يعمل بها اكثر الناس في البلدان المتمدنة في هذا العصر يجري اكثرها على نسق واحد دائماً ويدعو الى الاقامة في مكان واحد ساعات متوالية يوماً بعد يوم . واذا كان العمل في معمل محجوبة عنهُ اشعة الشمس ذوى العمال وزالت نضارتهم لاسيما وان كل واحد منهم يعمل العمل الواحد يوماً فيوماً فيفقد كل رغبة فيهِ لانهُ لا يقتضي متق حيلتهِ واعمال فكرتهِ . وزد على ذلك انهُ لا يرى حولهُ ما يستوقف نظرهُ ويدعوهُ الى التأمل فيشتغل فكرهُ بالالتفات الى نفسهِ ويصرف همهُ الى اعضائهِ الباطنة وكيفية حركاتها

وما يصدق على العمال في المعامل يصدق على بنات الاغنياء فانهنَّ عفن العمل والجهاد وعشن عيشة الكسل والخمول واقتصرنَ على الملاهي والمراقص ونسين ناموس الطبيعة وهو انهُ يُطلب من كل احد ان يسعى ويكدح لاجل معيشتهِ او يسعى لهُ غيرهُ والا مات جوعاً

والناس في هذا العصر مثل عشرة القاهم القدر على جزيرة موحشة فاخذ خمسة منهم يسعون لاجل لوازم الحياة يصطادون الحيوانات طعاماً ويصنعون من جلودها ثياباً ويبنون الاكواخ مساكن . واخذ الخمسة الباقون ينظمون الودع عقوداً ويلعبون بالكعاب قماراً

ويرسمون على الرمال صوراً ويحفرون من الخشب تماثيل يخدعون بها الخمسة الاولين ويغزون اكثر كسبهم

لما كُشف الراديوم رأى العلماء بواسطته ان عمر الارض ليس ثلاثين مليون سنة كما قدَّره لورد كلفن بل الف مليون سنة . ومن رأي اوثركيث انهُ لزم لنشوء الانسان مليون سنة على الاقل . وشكل جمجمة الانسان واتساع دماغهِ والمهارة التي بلغها في استعمال الادوات الحجرية ورسم صور الحيوانات كل ذلك كان منذ عشرات الالوف من السنين كما هو الآن . وقد مرَّت قرون كثيرة والانسان يعيش عيشة الحيوانات البرية في الاقاليم الحارة ثم اكتشف كيفية اضرام النار وعمل الثياب من جلود الحيوانات وبناء الاكواخ للسكن فتمكن من الانتقال الى الاقاليم المعتدلة والباردة والسكن فيها بعد ان تكيَّف جسمهُ حسب حالة البداوة السابقة . وقد اعتمد في السنوات الاخيرة على منع مجاري الهواء من مساكنهِ ووضع الزجاج في كواها والمواقد الحجارية والكهربائية في غرفها حتى لا يمسهُ البرد وصار لمعدة داريًّا لا هم لهُ الا التسالي فلا عجب اذا جاء ذلك مخالفاً لمقتضى طبعهِ . اما طالب الصحة في سبيلها فيقول بلسان ميسون بنت بحدل

وبيت تخفق الارياح فيهِ احبُّ اليَّ من قصر منيف

والمعيشة في الخلاء حيث يمتد نظر الانسان الى اطراف السماء الارحب ويقوى جسمهُ بالجد والكدح لأفضلُ مما لا يقدَّر من قيامهِ في مصرف لا تراهُ الشمس يعد النقود ولو ذهباً

وليس العبرة بتركيب الهواء الذي يستنشقهُ الانسان كما تقدم فان هواء اكثر الاماكن ازدحاماً واقلها تهويةً كالمدارس والكنائس والملاعب لا يقلُّ الاكسجين فيهِ عن واحد في المئة مما هو في الهواء المطلق لان الابواب والكوى ومسام الجدران تكفي لتجديدهِ . وما دام الاكسجين كافياً لتطهير الدم فلا خوف من قلتهِ

ان الاكسجين في هواء بعض المصاح العالية في جبال سويسرا اقل منهُ في البيوت المهواة تهوية عادية . وفي جبال الاندس باميركا مدن كبيرة كمدينة بوتوسي سكانها مئة الف نفس وهي على ١٣٦٠٥ متراً فوق سطح البحر ومقدار الاكسجين هناك قليل جداً في ما تنسمهُ الرئتان منهُ لطافة الهواء بالارتفاع لكن البنات هناك يرقصنَ الى نصف الليل ولا يتعبنَ . والرعاة يصعدون بقطعانهم الى ما ارتفاعهُ ١٨٠٠٠ قدم في جبال حملايا ولا يصيبهم اذى

ثم ان ازدياد الحامض الكربونيك في هواء البيوت من قلة تجديدهِ لا يبلغ حد الضرر لانهُ مهما زاد لا يبلغ في ما يتنفس من الهواء ما يبلغهُ في الجسم نفسهِ بقليل من الرياضة .

ولا يتنفس الانسان الأ و يدخل رئتيهِ الهواء الذي كان في انفهِ ومسالكهِ الهوائية وفيهِ كثير من الحامض الكربونيك فما من احد يتنفس هواء نقياً واذا نام وغطى رأسهُ ووجههُ تنفس الهواء الذي يخرجهُ من رئتيهِ وهو كثير الحامض الكربونيك . والطفل يلصق انفهُ بثدي امهِ فيتنفس نفسهُ ولا يتضرَّر . وهذا شأن كل الحيوانات متى قفت بعضها على بعض فانها تتنفس الهواء الذي تخرجهُ من رئاتها

ولقد حللنا الهواء في معمل استقطار الاشربة الروحية المعروف بمعمل البيون حيث يجمع الحامض الكربونيك المتولد من الاستقطار ويسيَّل فوجدنا انهُ لا يقل في الهواء الذي يتنفسهُ العمال عن ١٤ الى ٩٣ جرماً في كل عشرة آلاف جرم . والعمال الذين يفتحون الحنفيات ويجمعون غاز الحامض الكربونيك يتنفسون مقداراً كبيراً منهُ وهم يبقون هناك ١٢ ساعة كل يوم ولبعضهم في هذا المعمل ١٨ سنة ولم يصبهم منهُ ادنى ضرر . ولا يضر تنفس الحامض الكربونيك الا اذا بلغ ثلاثة او اربعة في المئة من الهواء بل ان العمال الذين يعملون تحت الماء في نواقيس الغواصين او في الاساطين الحديدية قد يبلغ الحامض الكربونيك في الهواء الذي يتنفسونهُ ٣ في المئة ولا يؤذون

والذي يدخل غرفة نوم في الصباح قبل ان يجدَّد هواؤها او يدخل غرفة مقفلة فيها جمع مزدحم يشم رائحة خبيثة تزهق نفسهُ فيحسب ان هواءها سام مضر بالصحة ولكن الذين في تلك الغرفة لا يشعرون بتلك الرائحة ولا يتضررون منها . و بين خبث الرائحة وضررها بون شاسع فما كل خبيث الرائحة ضار ولا كل طيبها نافع

ان رائحة المزابل والمدابغ والمسالخ والمراحيض واماكن عمل الغراء وتقديد السمك خبيثة كلها تزهق النفوس ولكن الزبالين والدباغين والسلاخين والسربية وصانعي الغراء ومقددي السمك لا تضر بهم الرائحة الخبيثة بل قد لا يشعرون بها لان انوفهم اعتادتها والفتها . واذا نزل انسان الى بئر مرحاض كره رائحتهُ الخبيثة في اول الامر وبعد عشر دقائق يزول شعورهُ بها . واذا امتحن هواء هذه البئر وجدت الميكروبات فيهِ اقل منها في هواء البيوت والمدارس

ومثل ذلك يقال في رائحة بعض الاطعمة فرائحة بعض انواع الجبن تجيش لها نفس من لم يعتدها ولو كان يستطيب رائحة المسيخ ولكن الذين الفوا طعم هذا الجبن يستطيبون رائحتهُ ولا يطيقون رائحة الفسيخ . واجود الناس صحة الصيادون في البحر الشمالي وهم ينامون في قوارب ملؤها سمك منتن و يقفلون ابوابها لاجل الدفء حتى تنطفئ السرج التي فيها من قلة الاكسجين في

هوائها . وذلك كلهُ يدل على ان الرائحة الخبيثة لا تضرُّ بالصحة ولو اشمأزّ منها من لم يألفها

وقد تناقل الكتّاب ان نفس الانسان حاوٍ لمواد سامةٍ . وهذا القول قال به اولاً برون سكار ودارسنفال الفسيولوجيان الشهيران ولكن الذين بحثوا في هذا الموضوع بعد ذلك في اوربا واميركا لم يروا صحة لهذا القول . ولقد كان لهُ اثر سيّءٌ جدًّا لان مديري الصحة جعلوا يحاولون تنقية الهواء بالوسائل الكيماوية واهملوا الامرين الضروريين وهما برد الهواء وحركتهُ

وقد ثبت لنا بالامتحان ان الحيوانات التي توضع في اقفاص محكمة السد قليلة التهوية لا تصاب باذى من تنفس بعضها نفس البعض الآخر ما دام طعامها كافياً واقفاصها نظيفة جافة الهواء باردتهُ اي ان نفسها لا يضرها وانما يضرها اذا كان فيهِ مكروبات مرضية معدية

ولقد صنعتُ غرفة صغيرة من الخشب احد جوانبها من الزجاج وجعلتها محكمة لا يدخلها الهواء ولا يخرج منها ووضعت في احد جوانبها دفائين كهربائيين صغيرين ووضعت عليهما اناء فيهِ ماء حتى يسخنا الماء ويحولاهُ بخاراً فيشبعا هواءها بهِ . ووضعت في الجانب الآخر منها آلة من آلات التدفئة بالبخار يجري فيهِ ماء بارد عند الاقتضاء لتبريد الغرفة ووضعت في سقفها ثلاث مراوح كهربائية واحدة كبيرة واثنتين صغيرتين لكي يحرك هواءها بها . وتسع هذه الغرفة نحو ثلاثة امتار مكعبة من الهواء والغرض منها البحث في تأثير حرارة الهواء ونقاوتهِ فادخلت اليها في بعض التجارب سبعة او ثمانية من الشبان وجعلتهم يلبثون فيها نصف ساعة وكنت اراقب تأثير حرارة الهواء المحصور فيهم وابقيتهم فيها الى ان بلغ الحامض الكربونيك ٤ في المئة من الهواء وهبط الاكسجين الى ١٦ في المئة وارتفع الترمومتر المرطّب الى نحو ٨٥ درجة بميزان فارنهيت والترمومتر الجاف الى ٨٦ او ٨٧ درجة . ولما جلس الشبان في الغرفة جعلوا يتكلمون ويضحكون ولكن لما ارتفعت الحرارة صمتوا واحمرّت وجوههم وتصببت عرقاً وحاول واحد منهم ان يشعل سيكارة فكان الثقاب ينطفئ حالاً لقلة الاكسجين لكنهم لم يشعروا بقلتهِ . وصار تنفسهم عميقاً لكثرة الحامض الكربونيك في هواء الغرفة ولكن لم يصبهم شيء من الصداع . ثم ادرنا المراوح الكهربائية فزال حالاً ما كانوا يشعرون بهِ من التعب مع انها لم تغير الهواء بل حركتهُ فقط . وكنا كلما اوقفنا ادارة المراوح يطلبون منا ان نديرها . وبادارتها بقيت حرارة الهواء حولهم على ٨٠ الى ٨٥ درجة واما الهواء الذي كان لاصقاً بابدانهم ومتخللاً ملابسهم فكانت حرارتهُ من ٩٨ الى ٩٩ درجة . وكنا اذا تنفسنا الهواء من الغرفة بانبوب خارج منها لا نشعر بالتعب الذي شعر بهِ الذين فيها واذا تنفسوا هم الهواء الخارجي بانبوب داخل اليها لا يزول تعبهم

وتناوب عالمان دخول هذه الغرفة ورأيا تأثيرها في التنفس وسرعة النبض في حالتي السكون والعمل فانهما وضعا فيها جسماً ثقلهُ ٢٠ كيلو غراماً وكان كلٌّ منهما يرفعهُ بحبل مارٍ على بكرة في اعلى الغرفة . وكان الحامض الكربونيك يُدخَل اليها حتى يزيد مقدارهُ ٢ في المئة فلا يشعر من فيها بهِ بل كان يزيد تنفسهُ لكنهُ كان يشكو من الحرارة واذا اديرت المراوح فُرّج عنهُ وقلّت سرعة نبضهِ ولو بعد العمل الشاق برفع الثقل المشار اليهِ وكان التفريج يزيد حينما يجري الماء البارد في انابيب آلة التدفئة فيبرد هواء الغرفة عشر درجات . وكان تعبهما من الحرارة والرطوبة يزيد بلبسهما ثيابهما العادية ويقلّ بلبسهما الثياب القطنية فقط

والبستُ اناساً اثواباً كما يلبسهُ الذين ينزلون الى المناجم لانقاذ من فيها ووضعتهم في غرفة يقف فيها الترمومتر ذو البلبوس الجاف على ١٢٠ درجة فارنهيت والترمومتر ذو البلبوس الرطب على ٩٥ درجة فصعدت حرارة ظاهر اجسامهم وصارت مثل حرارة باطنهِ واسرع نبضهم جداً حتى بلغ ١٥٠ في الدقيقة وخيف عليهم من الزمن الذي يتولد من شدة الحر . ثم ادخلت في الانبوب الذي يتنفسون منهُ شيئاً من ثلج الحامض الكربونيك فقلّ تعبهم وفُرّج عنهم وصار يمكنهم ان يعملوا عملاً ولو بلغت الحرارة بالترمومتر الرطب ٩٥ درجة وان يحتملوا هذه الحرارة ساعتين متواليتين . وثبت من التجارب التي جُرّبت في معامل النسج انهُ اذا زادت حرارة الهواء ورطوبتهُ زادت حرارة الوجه بالنسبة الى حرارة باطن الجسم واذا هبطت حرارة الهواء وقلّت رطوبتهُ هبطت حرارة الوجه كثيراً بالنسبة الى حرارة باطن الجسم اي انهُ اذا كان الهواء حارّاً رطباً اضطر الجسم ان يعدل حرارتهُ ويجعلها متماثلة ظاهراً وباطناً واما اذا كان الهواء بارداً جافاً لم يعبإِ الجسم بذلك . ويقول العمال في المعامل التجارية ان العمل اسهل عليهم في الاماكن القليلة البخار ولو لم يتجدد هواؤُها منهُ في الاماكن الكثيرة البخار ولو تجدد هواؤُها دواماً

ويزيد عمل العمال في المعامل والمناجم والاسراب بادخال الهواء البارد الجاف اليها لانهُ يريح اعضاءهم التي تضطر ان توفق بين حرارة اجسامهم وحرارة الهواء ولذلك فالمروحة الكهربائية من اكبر النعم على العمال في البلدان الحارة . واذا وضع صاحب المعمل او المكتب مروحة كهربائية الى جانب كل واحد من عمّالهِ وكتّابهِ استفاد من زيادة عملهم ما يستفيدهُ بوضعهِ القنديل الكهربائي الى جانبهِ فيكسب من زيادة عمل العامل اكثر مما ينفق على الكهربائية

والثياب التي يلبسها الانسان مثل غرفة تحيط بهِ فاذا كانت محكمة حول جسمهِ حوّطتهُ بالهواء الحار الرطب كمن يجلس في غرفة هواؤُها رطب . وقد ثبت بالامتحان ان الجنود

الذين يتزجون التمرُّن يكون السير اسهل عليهم اذا حلوا سترهم وكشفوا صدورهم ولا يسرع نبضهم حينئذٍ كما يسرع اذا لبسوا سترهم وزرروا ثيابهم

كذلك يجب ان ينصرف هم المهندسين الى تبريد الهواء في اماكن الاجتماع العمومية وتبريد اجسام الذين يجتمعون فيها بتحريك هوائها بالمراوح لانهُ اذا كان هواء الغرفة حارًّا رطبًا صار الهواء الذي بين الثياب والجسم مثلهُ وصارت حرارتهُ مثل حرارة جسم الانسان فيصعب على الجسم ان يعدل حرارتهُ باشعاعها ويضطر قلبهُ ان يتعب في تعديل هذه الحرارة فيسرع النبض ويكثر الدم في ظاهر الجسم ويقل في الدماغ والاحشاء

ومعلوم ان الوفيات تزيد بازدحام السكان فاذا لم تحدث هذه الزيادة من كثرة الحامض الكربونيك وقلة الاكسجين في هواء الاماكن المزدحمة كما تقدم فلا بدَّ لها من سبب آخر وهو الحرارة والرطوبة وقلة حركة الهواء فان هذه الاسباب الثلاثة تقلل اشعاع الحرارة من الجسم وتقلل ايضاً تولُّد الحرارة فيهِ او ما يلزم لتوليدها من العمل والاكل والتنفس فيقل ويقل عملهُ واذا اضطرَّ الى العمل الشاق عملهُ مرغمًا . ثم ان الميكروبات المرضية تكثر في الهواء الحار الرطب . فتقلُّ مقاومة الجسم وتزيد عوادي الادواء في وقت واحد ولذلك لا عجب اذا كثرت الوفيات حيث يزدحم السكان

والجفاف التام يضرُّ كالرطوبة الكثيرة لانهُ يجفف الغشاء المخاطي المبطن للمسالك الهوائية وهو الذي يقي الجسم من فعل الميكروبات بما فيهِ من الابيثيلوم المهدَّب والكريات الدموية التي تأكل الميكروبات

اذا كثر الناس في غرفة حارة الهواء رطبتهُ امتلأ هواؤُها بما ينفثونهُ من الميكروبات بتكلمهم وسعالهم وعطاسهم فاذا خرج احدهم الى الخارج وتنفس الهواء البارد برد الغشاء المبطن لانفهِ وقصبتهِ وتقلصت اوعيتهُ الدموية وقلَّ الدم فيها فضعفت مقاومتهُ للميكروبات التي لصقت بهِ من المكان المزدحم . وهذا سبب كثرة الزكام في فصل الشتاء . ولا يحصل الزكام من البرد نفسهِ لان الذين ذهبوا الى القطبين لم يصابوا بهِ بل يحصل من وصول الميكروبات الى الاغشية المخاطية ثم تقليل المقاومة لها ببردها وتقلص اوعيتها الدموية

والجسم قادر على مقاومة البرد بالطبع لانهُ يولّد الحرارة لذاتهِ فاذا تعرض الانسان البرد في الهواء المطلق تحمسهُ يحرك ويولد حرارة تزيل تأثير البرد فلا ضرر منهُ ولكن الضرر من ازدياد الحرارة في المساكن والملابس حتى تضعف قوة الجسم ولا يعود قادراً على مقاومة البرد اذا انتقل من مكان حار الى مكان بارد

ويستحيل علينا ان نمنع وصول الميكروبات المرضية الى هواء الاماكن المزدحمة معما احسنا تهويتها لانها تصل اليها مع كل نفث وسعال وعطاس من المصابين بها ولكن لا يستحيل علينا ان نزيد قوة المقاومة في اجسامنا ولا يستحيل ايضاً ان نقلل هذه الميكروبات بتعليم الناس ان يضعوا منديلاً على افواههم وانوفهم وهم يسعلون ويعطسون او ان لا يخرجوا من بيوتهم الأ بعد ما يشفون

يولد الولد وفيه قوى طبيعية وعقلية وصفات موروثة ومقتدرة على مقاومة بعض الامراض واستعداد لطول العمر او لقصره . هذا هو الطبع ولكن الانسان ابن الطبع وابن التطبع ايضاً فيستطيع ان يطبع نفسهُ على ما يوفر راحتهُ ورفاهتهُ ويقوي قواه' الجسدية والعقلية ويزيد مقاومة جسمهِ للادواء فيطيل عمرهُ ولو الى حد محدود ويستطيع ان يطبع جسمهُ على ما هو ضد ذلك ونريد بالتطبع هنا كل الوسائل الصحية فقد اتقى الناس الطاعون والكوليرا والملاريا والصرعيا وما اشبه من الادواء باتقاء اسبابها واتقوا الجدري والتيفويد باتقاء اسبابهما وبالتطعيم . وسائر الادواء التي يقال ان الجسم معرض لها يمكن اجتنابها بالجري على القواعد الصحية التي يجري عليها الحيوان وهو يأكل الطعام القليل ويروض جسمهُ الرياضة الكثيرة ويتعرض للهواء المطلق . وما من خطإ اضرُّ من قولهم ان الاكثار من الطعام والاقلال من التعرُّض لمجاري الهواء يقويان الصحة

ان جسم العامل المولود حديثاً هو اتم الآلات الطبيعية واكثرها اتقاناً اذ قد اجتمعت فيهِ نتائج النشوء مدة ملايين من السنين

من والديهِ الاولين ومنشيهِ الاكرمين
وليس من عرَض ولا من علة هذا الجنين
لكن يشبُّ فيرى في البيت سجناً لا يهون

الجسم النحيف والوجه الشاحب والعضل الضعيف والاسنان التالفة والهضم السيء والتهيج العصبي والبال الكاسف كل ذلك من التطبُّع لا من الطبع . يخرج الولد من المدرسة قوي الجسم حسن الصحة فيتعاطى عملاً يقتضي القعود المستطيل في اماكن محجوبة عن الرياح ويتسلى بسماع الغناء في الملاهي ومشاهدة الصور في المشاهد بدل ترويض جسمه في العراء . ويأكل ما يضر من الاطعمة ويشرب المسكر ويدخن التبغ ويفعل كل ما يؤذيهِ ويعتاد كل ما يضرهُ حتى يصير فيهِ طبيعة ثانية الطبع صالح والتطبع قد يزيدهُ صلاحاً او يزيل صلاحهُ ويبدلهُ بالطلاح

حقوق الامم

الحرب (تابع ما قبله)

— الهدنة —

الاصل في الحرب ان تبقى مستمرة بلا انقطاع حتى يخضع احد الفريقين للآخر ويسلم له على شروط يتفقان عليها فحظروا على قواد الجيش الواحد ان يتداولوا مع قواد الجيش الآخر الا لسبب قهري عاقة وقوع خيانة او تواطوء على مكروه . ولكن قد يطلب احد الفريقين هدنة من الآخر لتبادل الآراء في شروط عقد الصلح فتبدأ عندئذٍ المداولة بارسال احد ضباط الجيش فيقترب من معسكر عدوه يحمل علماً ابيض شارة المسالمة والكف عن القتال ولعدوه ان لا يجيبه الى طلبه بان يشير برفض المداولة واستمرار القتال او ان يجيبه الى طلبه بان يخمد نيران مدافعه ويوقف رجاله عن الهجوم . فيجب عليه اذ ذاك ان يؤمن الرسول طريقه هو واتباعه الا اذا تأكد ان مجيئه لم يكن الا تجسساً واستطلاعاً فيأسره هو والذين معه

وعلى الرسول تأدية رسالته بامانة ودقة غير وجل ولا هيّاب وليس للعدو مؤاخذته بالواقع ولو كانت جارحة مؤلمة فما على الرسول الا البلاغ . والغالب ان لا يرسل الرسول الى جيش العدو الا طلباً للهدنة او عرضاً لشروط الصلح والتسليم

والهدنة على وجهين . اما ايقاف القتال البسيط ويراد به الكف عن القتال بضع ساعات في الاكثر في دائرة محدودة تمكناً من دفن القتلى ونقل الجرحى من ساحة القتال او رفع القتال على وجه ثابت وقتي يعم جميع فرق الجيش في كل ساحات الحرب وهذا ما تطلق عليه كلمة هدنة في الغالب لانها هي المقصودة بالذات

فالهدنة ادنى حالة سلمية وقتية بين المتحاربين بناء على انه فيها التداول واكثر ما تكون مقدمة الصلح بين المتحاربين كما يظهر من جميع الحروب المشهورة وتختلف عن مجرد ايقاف القتال ايقافاً بسيطاً بان لها صفة سياسية

ويحتم على القواد ابلاغ الجيش امر الهدنة لكي يخلدوا الى السكينة ويحافظوا على شروطها

وغاية الهدنة التوفيق بين مطالب الفريقين فلا يجوز لاحدهما تجاوز هذه الغاية الى غيرها كأن يقوم الفريق الواحد دون الآخر بتعزيز جانبه وتقوية جيشه في خلالها فلا يجوز مثلاً لسكان حصن محصور ان يرمموا اسواره ويقيموا متاريسه مدة الهدنة وليس

للجيش المحاصر استدعاء قواته الاخرى او تشكيل جيش جديد - الى غير ذلك من الاعمال ذات الاستفادة منها الاهمية الحربية التي يمكن حصرها تحت مبدإ واحد يكون قاعدة للجميع وهو انه لا يجوز للعدو ان يعود من الهدنة الى القتال اصلح حالاً مما كان وقت ابتدائها بمعنى انه عند انتهاء الهدنة يجب ان تكون قوتا المتحاربين على ما كانتا عليه عند ابتداء الهدنة . وهذا امر شديد الاهمية نظراً الى مؤن الجيش وذخيرته ولهذا لا يُصرح لحامية القلاع والحصون المحصورة ان تخزن المؤونة والميرة في زمن الهدنة بل يجب ان تتناول قوتها يومياً حتى تبقى مؤونتها وميرتها عند انقضاء الهدنة كما كانتا عند ابتدائها

هذا هو الاصل في الهدنة اذا لم يتفق الفريقان على شروط تخالف ذلك اما اذا اتفقا فيعمل في هذه الحال باتفاقهما كما حصل في الهدنة المبرمة الآن بين دول البلقان المتحالفة والدولة العثمانية فان من شروطها ان يعزز كل من الفريقين جيشه ما استطاع ولكن لا يجوز امداد المدن المحصورة بالمؤن والميرة

وتنقضي الهدنة بانقضاء اجلها المحدود فاما ان تعود الحرب او يبرم الصلح

قلنا ان مهمة رسول الحرب تكون طلب الهدنة او طلب التسليم وما التسليم الا اتفاق بين المتحاربين نتيجته خضوع جيش لجيش فيؤسر الخاضع باكرام عسكري او بلا اكرام ويمنع من مباشرة القتال مدة الحرب كلها ولا يحصل ذلك الا متى حُصرت فرقة الجيش وامتنع عليها القتال وسدت في وجهها اسباب النجاة بانقطاع المدد والاسعاف فلا ترى مندوحة من التسليم

ويتعين على قائد الفرقة الخاضعة ان يراعي بقبوله شروط التسليم ما يقتضيه شرف الجندية ومصلحة بلاده فلا يقبل بشروط مهينة شائنة ولا يسلم العدو كل ما يملكه من الذخيرة والسلاح اللهم الا اذا رأى ان عدم تسليمه على هذه الشروط يقضي على الجيش برمته

ومن واجباته متى عرضت عليه شروط التسليم ان يجمع ضباطه فيتداولوا في امرهم ولكنه غير مقيد برأيهم فله ان يخالفهم ويحمل تبعة عمله ويوقع شروط التسليم فيصبح جيشه تحت تصرف عدوه . والغالب ان يطلق العدو سبيل القواد والضباط ويكتفي منهم بقسم على ان لا يعودوا الى القتال . اما افراد الجند فيؤخذون ويعاملون معاملة الاسرى

وللعدو حق التصرف بجميع امتعة الجيش الذي سلم له وادواته من سلاح وذخيرة ومؤونة الا ان العادة قد قضت في ان القائد المحصور لا يسلم جيشه لعدوه قبل ان يُتلف اسلحته وميرته كي لا تصبح عدة عليه . انتهى الكلام عن الحرب البرية

الحرب البحرية

حرب البر وحرب البحر توأمتان تتشابهان معلاً وتختلفان شكلاً غايتهما واحدة وسبلهما متنوعة هذه تشق عباب البحر وتلك تقطع فيافي البر تسيران بقوة البخار وتحملان في جوفهما النار والدمار لكل منهما قوانين واصطلاحات تختلف باختلاف مقتضى الحال

واهم هذه الاختلافات تنشوء عن مراعاة المتحاربين بعضهما بعضاً فيما يتعلق باموال رعاياهما ومراعاتهما للذين على الحياد من الامم المحيطة بهما . وفيما عدا ذلك فكل ما قيل في حرب البر ينطبق على حرب البحر . وعليهِ فمدار البحث سيتناول الاموال الشخصية في البحر نظراً الى حقوق المتحاربين عليها وواجباتهم نحوها

ما من احد ينكر انهُ يحق لكل من المتحاربين ان يعطل قوات عدوهِ البحرية مما يستعمل في تنفيذ الحرب ولكن هل يحق لهُ امتلاك ما لرعايا عدوهِ من الاموال والمراكب في البحر ؟

هذه مسألة طالما اختلفت اراء الكتاب فيها وعُرِضت على بساط البحث في كثير من المؤتمرات الدولية

فمن الجهة الواحدة نرى ان العادة قد جارت في ما مضى بحجز مراكب العدو التجارية واسر رجالها وامتلاك ما فيها من الاموال . ونرى الكتاب في الجهة الاخرى مختلفين منقسمين . فريق يقول بصيانة املاك الافراد في البحر واحترامها ولو كانت في مراكب العدو التجارية ويؤيد الفريق الثاني العادة الحربية التي كانت تقضي بمصادرة المراكب التجارية وامتلاك ما فيها بشرط ان لا يتم ذلك في مياه دولة محايدة وكل من هذين الفريقين يؤيد دعواهُ بحجج نأتي على اهمها هنا

يتمسك الفريق الاول بالمبدإ القائل ان الحرب انما تنشب بين الدول لا بين الافراد بمعنى ان كل ما خرج عن املاك الدولة الخاصة لا يجوز امتلاكهُ عن طريق الحرب فيقولون ان حقوق الافراد محترمة محفوظة على البر فلماذا لا تكون كذلك في البحر ايضاً فان اجحف عدو بحقوق افراد عدوهِ في البر فقد نعذرهُ ونقول انهُ امتلك الارض التي نشأت فيها هذه الحقوق واني لنا عذرهُ في البحر وهو مشاع لا مالك لهُ . والغاية لا تبرر الواسطة بمعنى انهُ اذا جاز للعدو اتيان كل ما من شأنهِ اضعاف قوة عدوهِ واجبارهُ على التسليم بشرط ان يكون ما يأتيهِ ضروريا توجبهُ حالة الحرب وتجيزهُ دواعي الحال فذلك غير متوفر في امساك المراكب التجارية ولا يأتي امساكها بالنفع على ممسكها ولا يضطر العدو الى الاذعان والخضوع لانهُ ما دامت مراكب الدول المحايدة تجوب بحار كل بلاد فمن السهل ان تنقل هذه المراكب

تجارة شعبهِ وعليهِ لا تكون خسارة الدولة بحجز مراكب الاهالي التجارية كبيرة تضطرها الى التسليم لعدوها لقلة ما يؤثر حجزها في قوتها الحربية . فاذا كان حجز المراكب التجارية لا يؤدي الفائدة المطلوبة ولا يفي بالشروط التي تتطلبها قوانين الحرب فمن الواجب الامتناع عنهُ والضرب على ايدي المخالفين

اما الفريق الثاني القائل باسر مراكب العدو التجارية فينكر على الفريق الاول صيانة حقوق الافراد برًّا فكيف بها بحرًا و يذهب الى ان الاختلاف بين البر والبحر يشق اختلافًا في المعاملات بين التجار بين بمعنى انهُ ان كانت اموال الافراد مصونة برًّا في بعض الاحوال فما ذلك الا لان العدو يكتفي باحتلال البلاد المخايفة عدوهِ واجبارهِ على التسليم اما في البحر فلعدم امكان الاحتلال لا يبقى لهُ طريق يخضع فيها عدوهُ الا سد سبيل التجارة في وجههِ ومصادرة مراكبهِ . وعليهِ فهم يقولون انهُ لو تركت تجارة العدو حرة تروح مراكبهُ وتجي بدون معارضة لاصبحت الحرب لا اهمية لها ولا تأثير ومها طالت مدتها واربت على السنين . لان ما من دولة في هذه الايام الا وجل اعتمادها على تجارتها لسد عوز الاهالي فهي مورد رزقهم ومنبع ثروتهم يبقون ما بقيت لهم في بحبوحة وسلام

يرى القارئ مما تقدم شدة الخلاف بين الكتاب في هذا الموضوع اما العادة فلا تزال ثابتة مع كثرة ما تولاها من الصدمات والنقمات وستبقى على حالها اجيالاً تكون فيها المرجع الاخير في تحقيق الاموال المعرضة للاسر والوقوع في يد العدو وفيما يؤدي اليهِ هذا الاسر والمصادرة من النتائج

***

لذلك اذا أُخذ مركب من مراكب العدو التجارية عدَّ نوتيتهُ اسرى حرب اذا كانوا من رعايا العدو والا فيجب ارسالهم الى سفير دولتهم ومعتمدها وهو يتكفل بايصالهم الى بلادهم

اما الركاب المسافرون فلا يُعدون من اسرى الحرب الا متى ظهر انهم من عساكر العدو وجنودهِ اما محمول المركب من الاموال فللعدو الحق بها ولا يستثنى من ذلك اموال المحايدين

وعندهم محاكم ذات اختصاص بهذه الامور جعلت لفض المشاكل والاختلافات بين الحاجز والمحجوز على مذكرهِ . وحق امساك المراكب التجارية مقصور على المراكب الحربية كالبوارج وغيرها بشرط ان يتم ذلك في عرض البحر بعيداً عن مياه الحياد ومياه الدول المحايدة

ولكي يتسنى للقبطان معرفة جنسية المراكب التجارية يحق لهُ ايقافها وتفتيشها فيبدي لها

العلامة المتفق عليها للوقوف فان ظلت موغلة في البحر طلباً الهرب والنجاة جاز للسفينة الحربية مطاردتها ورميها بالقنابل توصلاً الى ايقافها ومنعها من الهرب ومتى وقفت يرسل قبطان السفينة الحربية بعض رجاله اليها ليطلعوا على اوراقها ويحققوا جنسيتها

وغاية هذا التفتيش منع السفن المحايدة من تهريب المواد الممنوعة للعدو ومنع العدو نفسهِ من الانتفاع بتجارة مراكبهِ اذ تصبح غنيمة في يد عدوهِ ينتفع بها كيفما شاء. اما تغريب السفن المأسورة واغراقها فلا يجوز الا في اشد الحالات كأن ترى السفينة الآسرة بوارج العدو تطاردها طمعاً في تخليص مركبها التجاري ولا ترى وسيلة تمنعها من اخذهِ الاَّ تعطيلهُ واغراقهُ لكي لا ينتفع عدوها بهِ

وفي كل الاحوال لا يصبح المركب المأسور ملكاً للآسر الاَّ بعد التحقيق والبحث. ويجري التحقيق في جنسية المركب وحمولهِ امام محاكم ذات اختصاص بهذه الامور

ومحاكم التحقيق هذه ادارية الاختصاص في الغالب اي انها تُعد من المحاكم الادارية في اغلب بلاد اوربا الاَّ في بلاد الانكليز والولايات المتحدة فتحسب كباقي المحاكم الاهلية فان حكمت بان المركب من مراكب العدو اصبح ملكاً لآسرهِ والاَّ فيتعين على الآسر القيام بالعطل والضرر اللذين اصابا اصحاب المركب وارباب الاموال التي فيهِ

سامي الجريديني المحامي

سورية مهد الحنطة

ذكرنا في الاخبار العلمية من مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٩ ما نصهُ

« لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جداً في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء الصينيين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكنَّ القمح البري لا يزال مجهولاً. وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيا احدى قرى جبل الشيخ فقال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البري عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض فينا النباتي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست سوى قمح ولعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

« وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنيك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان جب

يوسف وقرية يعونة والجهة الشرقية من جبل كنعان وبين مجدل شمس وعرنة في جبل الشيخ

« ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلاد كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البرّي والشعير البرّي . واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح ويبلغوه الى الدرجة التي بلغها في امكاننا ان نزيده تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة » انتهى

وقد وقفنا الآن على خطبة في هذا الموضوع للاستاذ شودا استاذ علم النبات في جامعة جنيفا فاقتطفنا منها ما يأتي قال

الامم التي تكثر من زرع الحبوب هي الامم الغنية حقيقة . وفي كل من البلدان الزراعية جماعة من العلماء انقطعوا للبحث عن الاساليب التي تزيد بها ثروة الامة باتقان الزراعة وما يمكن ادخالهُ فيها من الاساليب التي تكفل للبلاد توفُّر الثروة

ولكل اكتشاف يترتب عليهِ ازدياد ريع المزروعات او اجادتها اهمية تفوق اهمية الانقلابات السياسية . ولو لم يكن للاكتشافات الحديثة فضل آخر سوى تسهيل نقل الحنطة والدقيق مما منع حدوث المجاعات اوان القحط لكفى بهِ دليلاً على نفعها الاكبر للجنس البشري

وللحنطة المكان الاول بين الحبوب وقد كان القدماء يتخذون نموها رمزاً للحياة ويقدمونها لمعبوداتهم ويستخدمونها في كثير من الشعائر الدينية

واهم انواع الحنطة ثلاثة الامر والسلت والقمح الصميم . ويختلف النوعان الاولان عن النوع الثالث في ان سنابلها قصمة لان فقار السنابل ذات مفاصل فتنقصف بسهولة وفي ان حبوبها تبقى مغلّفة بعد نضجها ولا تنفصل عن العصافة الاَّ بطرائق مخصوصة . اما النوع الثالث ففقار سنابلهِ غير مفصلة وحبوبهُ تتساقط من السنبلة بعد نضجها وهو يفضَّل على الاولين في الاماكن التي ينبت فيها . وقد وجدت عصافة الامر في بعض القبور المصرية من عهد الدولة الاولى فدلَّ ذلك على ان المصريين القدماء كانوا يعتمدون على هذا النوع من الحنطة في زراعتهم منذ ستة آلاف سنة . ويظهر انهم كانوا يستخلصون الحبوب من العصافة باساليب خصوصية غير ضرب السنابل بالمراوة او سوق الماشية عليها لتدوسها

ومن النوع الثالث اي القمح الصميم صنف يعرف بالقمح الصلب ينمو في ما جاور بحر الروم وقد ثبت ان المصريين عرفوهُ وزرعوهُ منذ ازمان طويلة

واذا كانت انواع الحنطة كلها نشأت عن اصل واحد فالانواع ذات القنابر القصيرة احقها بان تكون ذلك الاصل الذي تفرعت عنهُ سائر الانواع لانها ادناها في درجات النشوء . وهي لا تزال تزرع في جبال جورا الشمالية بفرنسا و بلاد السرب ومقاطعة الباسك من اسبانيا ومقاطعة سوابيا من المانيا وفي بلاد بلخ بفارس ومن هذا يتبين لنا ان الحنطة القصيرة القنابر لا يعوّل عليها الزارعون في وقتنا الحاضر الا في الجبال والبلاد النائية . وقد بطلت زراعتها في سهول مصر الخصبة حيث حل مكانها القمح الصلب

فاذا علمنا ان القمح ذا القنابر القصيرة هو اقدم انواع الحنطة حكمنا ان مهد الحنطة هو البلاد التي ينمو فيها هذا النوع في الحالة الطبيعية اي بريًّا . وقد عثر احدهم عليه في اسيا الصغرى فظن انهُ اصل الحنطة ولكن الفرق بين الصنف الذي عثر عليهِ و باقي الاصناف المستعملة في الزراعة كبير حتى يصعب التسليم بانها نشأت عنهُ

وقد مضى على العلماء نحو قرن وهم يبحثون عن اصل الحنطة ومهدها فتفنّنوا عن ذلك في علم النبات وعلم مقابلة الاعضاء والتاريخ والفيلولوجيا فلم يصلوا الى نتيجة تذكر . وذهب البعض الى ان الحنطة نشأت من نوع من النبات ذهب من الوجود او ان الفرق بينها وبين الحنطة الاصلية قد زاد على تراخي العصور حتى تعذّر اكتشاف القرابة بينهما . اما القدماء فكانوا يعتقدون ان الآلهة انعمت على البشر بالحنطة وعلمتهم كيفية زرعها

ولا بد ان يكون الانسان قد عثر على هذا النبات في الحالة الطبيعية وفيهِ اكثر مزاياهُ النافعة لانهُ يتعذر عليهِ وهو في الحالة الهمجية ان يأتي بما يعجز عنهُ علماء هذا العصر اي ان يأخذ نباتًا بريًّا لا انفع منهُ فيربيهِ و يعالجهُ حتى يولد منهُ الحنطة على ما نراها اليوم

قال الفونس ده كندول العالم النباتي المشهور في كتابهِ اصل النباتات الزراعية « ان بلاد ما بين النهرين متوسطة بين البلدان التي يزرع القمح فيها فقد كانت زراعتهُ تمتد من الصين الى جزائر كناري وعليهِ فلا يبعد ان يكون مهد الحنطة الاصلي فيها . و يمكننا ان نشرك سورية مع بلاد ما بين النهرين في ذلك لما بين البلادين من تشابه الاقليم . ولم تنبت الحنطة في البلدان الاخرى الأ بعد ان نقلها الانسان اليها وقام على حراثتها »

وسنة ١٩٠٢ اتى المسيو آرونسن الذي عين مديرًا فنيًّا لمستعمرة حيفا الزراعية ببعض انواع الحنطة البرية ووضعها بين يدي العالم المعروف كورنيك فحكم انها صنف جديد من نوع الاصل ثم بنى على هذا الاكتشاف حكمًا هو عين الحكم الذي بناهُ ده كندول على الادلة التاريخية وهو ان سورية هي مهد الحنطة الاول

وحمل اصدقاء آرونسن في اوربا يحثونهُ على متابعة البحث عن الحنطة البرية بجارام في ذلك متثاقلاً لانهُ كان متأكداً ان مساعيهُ في هذا السبيل عبث اذ ان العلماء الذين دققوا البحث في نباتات سورية وفلسطين كالدكتور بوست لم يذكروا شيئاً عنها واخيراً عثر على سنبلة في شق صخر الى الشمال من بحيرة طبرية . وما عتم بعد ذلك ان رأى شيئاً كثيراً من هذه السنابل في سفح جبل الشيخ يختلف بعضها عن بعض اختلافاً ظاهراً فغلاف الحبة في بعضها اسود كلهُ او بعضهُ وفي بعضها مغطى بالزغب او عارٍ منهُ . وفيها ما يشبه الحنطة البولونية

ويستنتج من كثرة انواع الحنطة البرية في ذلك الجبل وامتدادها فيهِ من علو ١٥٠٠ متر الى علو الفي متر انهُ موطنهُ الاصلي . ومن المقرر الثابت ان الحنطة لا تنمو بدون اعتناء الانسان بها وانهُ مهما طالت زراعتها في بقعة من الارض لا يمكن ان تعيش فيها وتنمو من نفسها لان النباتات الاخرى تقوى عليها وتخنقها . زد على ذلك ان القمح البستاني لا يزرع في فلسطين على الاطلاق ولم يعثر على نبات متوسط بينهُ وبين الانواع التي تزرع في تلك البقعة

ثم عثر آرونسن سنة ١٩٠٨ على الشعير البري في ارض موآب الى الشرق من البحر الميت عند قرية يقال لها المزرعة وبالقرب من ذلك المكان وادٍ يقال لهُ وادي وحلة تكثر فيهِ الغدران فاستنتج من ذلك ان تلك البقعة هي موطن اول قبيلة عرفت الحنطة وقامت على زراعتها قبل التاريخ بازمان مديدة . وبعد ذلك وجد القمح البري في وادي الاردن وسهل السلط واماكن اخرى من فلسطين

ومما يرجح على يؤكد ان الانسان وجد الحنطة ولم يوجدها ان الحبوب في الحنطة البرية ليست دون الحبوب في الحنطة الزراعية وزناً ولا حجماً وبعد ان تأكدنا نمو الحنطة البرية في سورية لا يصعب علينا ان نتصور امتداد زراعتها الى ما بين النهرين حيث السهول الخصبة واقبال الناس على زراعتها لكثرة نفعها . وقد كان لها شأن كبير عند الاشوريين وذلك ظاهر من نقوشهم التي تكثر فيها صور السنابل واعمال الزراعة . واذا اكتشف نبات زراعي نافع تنتشر زراعتهُ في كل مكان بسرعة غريبة مثل ذلك التبغ والبطاطس فانهما وصلا الى قلب افريقية ومجاهل جبال هملايا بعد اكتشافهما بقليل

ولاكتشاف القمح البري الذي هو اصل قمح المزارع شأن كبير عند علماء الزراعة يعود بالربح الوافر على البلدان الزراعية . وايضاحاً لذلك اقول ان كل نوع من انواع النبات يحوي

اصنافاً مختلفة فاذا زرع مقدار كبير منهُ او اذا نبت من تلقاء نفسهِ برياً في ارض واسعة اختلطت هذه الاصناف بعضها ببعض فتعذَّر ظهور المزايا التي تميزها . ولكن اذا زرعت بزرة واحدة او بزور متفرقة ثم زرعت البزور التي تتولد من كل بزرة على حدة ظهرت فيها الاصناف التي يشتمل عليها ذلك البذار وامكن فصلها بعضها عن بعض ويظهر حينئذٍ انها مختلفة كثيراً او قليلاً شكلاً وحجماً وصلابةً وتركيباً . والآن تزرع الحبوب في اماكن مختلفة لاظهار مزاياها ويفتش عن اصناف القمح من حيث امتيازها بالصفات التالية وهي التجذية او التكثين (اي تولُّد اصول كثيرة من الحبة الواحدة) وانتظام النمو والثقل وعدم ميل القصل للترقيد وطول السنابل وتركيب الحب من حيث ما فيهِ من النشا والسكر والنيتروجين والدهن الخ ومقاومة الآفات المرضية

وهذه المزايا تهمُّ نوع الانسان بوجه عام لان طعامهُ متوقف على القمح فكل اكتشاف يأول الى اصلاح القمح يكون لهُ نفع كبير لنوع الانسان . هوذا فرنسا قد صارت من اغنى البلدان لان قمحها اجود من قمح غيرها

والظاهر ان السكان الاولين الذين كانوا في بلاد موآب قبل زمن التاريخ رأوا سنابل القمح البري تتمايل بالنسيم وفيها من الحبوب ما هو مثل حبوب قمحنا فاعجبهم رؤيتها وجعلوا يفركون سنابلها ويأكلونها ثم جعلوا يزرعونها فكانوا اول من زرع القمح من البشر(١)

ومن غريب الاتفاق ان الذي اكتشف نبات القمح البري في وطنهِ الاصلي هو شاب اسرائيلي وهو المسيو ارونسن من نسل سكان تلك البلاد الاصليين ويسرني ان هذا الشاب من اصدقائي النباتيين وقلما اكتشف احد اكتشافاً مهماً مثل هذا وهو اظرف منهُ خلقاً واحلى عشرة وعليهِ يصدق قول القائل على قدر اهل العزم تأتي العزائم

والآن نسمع ما يقول المسيو ارونسن فقد كتب اليَّ في ٢٦ يناير سنة ١٩١١ يقول وصلني الآن كتابكم اللطيف الذي ذكَّرني احاديثنا الشهية مدة انعقاد المؤتمر في بركلي ولقد اوليتموني مزيد الفخر بالموضوع الذي اخترتموهُ لخطبتكم السنوية في اجتماع جمعية الفنون ويسرني ان ارسل اليكم التفاصيل التي طلبتموها مني وسارسل ايضاً بعض الصور الفوتوغرافية التي صورتها في شهر يونيو الماضي لتروا فيها مزارع قمحي . ولا بدَّ من انكم

(١) [المقتطف] يفضل انهم رأوا الطير يجمعها ويخزنها في اعراقو طعاماً لهُ في الشتاء كما يفعل الى الآن فاقتدوا به في جمعها واكلها ثم زرعوها واستنبتوها

تسرون اذا علمتم انني تمكنت من زرع اكثر من فدان بالقمح الرزي . وقد اكتشفت هذه السنة في جبال الجليل نباتاً مولداً بين القمح والشوفان . وتولد من قمحي الرزي والقمح العادي صنف ليس في فقار سنابله مفاصل وقد ظهر ان قمحي الجديد لا يصاب بمرض الترميد (الصدإ) ولا يصعب ترسيخ هذه الصفة في البذار الذي يؤخذ منهُ »

وبعد ان اتمَّ الخطيب تلاوة كتاب ارونسن قال ترون من ذلك عظم فائدة هذا الاكتشاف لانهُ هدانا الى الاصل الذي تولد منهُ القمح ومهد لنا السبيل الى الحصول على اصناف جديدة تتولد من الاصناف المعروفة ومن المحتمل ان ما تمَّ للبشر من تأصيل القمح في مدة ستة آلاف سنة يتم لنا في بضع سنوات فيمكننا مثلاً ان نجمع بين استطاعة القمح البري تحمل القيظ ومقاومة الآفات وبين شدة نمو القمح المزروع وكثرة غلتهِ

ثم استطرد الخطيب الى عمل الخبز من دقيق القمح وكيفية تخميره حتى يختمر ويرتفع اذا خبز وقال ان الخميرة التي تخمر عجين القمح لا تخمر عجين الذرة فلا يرتفع حينئذٍ اذا خبز وانهُ هو اكتشف بعد العناء الشديد خميراً يستعملهُ اهالي شكيم وجبال حاميا ببلاد الهند وهذا الخمير اذا مزج بخمائر اخرى خمَّر عجين الذرة بجعل ارغفتهِ ترتفع حينما تخبز فيسهل عمل الخبز منهُ كما يعمل من دقيق القمح انتهى

وانا نستغرب كيف لم يعلم الاستاذ شودا ان اهالي الوجه البحري في القطر المصري يخمرون عجين الذرة فترتفع ارغفتهُ اكثر مما ترتفع ارغفة خبز القمح وذلك معروف عندهم من قديم الزمان . ولعلَّ القمح الذي اكتشفهُ المسيو ارونسن (او ابن هرون) هو نفس النبات الذي يكثر في سواحل لبنان ولاسيما على السطوح الترابية فان شكل سنابلهِ مثل شكل سنابل القمح وحبوبهُ كحبوب القمح لكنها اصغر منها جداً وهذا اذا صح لا يحط من قدر اكتشافهِ ونسبة فضل الاكتشاف اليهِ فانهُ مكتشف مدقق وباحث علمي محقق على ما يظهر من كتابهِ للاستاذ شودا ولكن ان كانت حبوب القمح البري الذي اكتشفهُ كبيرة كحبوب القمح المزروع ترجح ما استنتجهُ المستر عارثن وهو ان القمح كان اصلاً كبير الحب جداً ثم صغر حبهُ على مرور الزمن وقلة الانتقاء وانهُ اذا اعتني بزرعهِ وتسميدهِ الآن صار حبهُ مثل البندق جرماً . لان تربية الانواع الطبيعية اما ان تدعو الى تكبير جرمها كما كبر جرم الفرس او الى تصغيرهِ كما صغر جرم الهر وبعض الكلاب . وبعيد ان يبقى جرم المربى كجرم البري على تراخي الزمن

هذا وقد جمع ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة انواع الحنطة المعروفة

في عهده نقلاً عن الخليل صاحب كتاب العين وابي حنيفة وابن الاعرابي وابي عبيدة وكلهم من اهل القرن الثاني والثالث قال

الحنطة البرُّ اسم للجمع وليس لهُ واحد من لفظهِ وجمعها حنط والحنّاط بائعها وحرفتهُ الحناطة · ومن اجناس البر البرنجانية وهي نبيلة الحب · والقرشية وهي صلبة في الطحن خشنة الدقيق وسفاها اسود وسنبلها عظيمة · والبرُّ الذي عليه المعوَّل واليهِ مرجع جميع الحنط هو المابية وهي بيضاء الى الصفرة حبها دون حب البرنجانية · والسمراء حنطة غبراء رقيقة سريعة الادراك دقيقة القصب سريعة الاندياس الى الرقة ما هي وهي اوضع الحنطة واقلها ريعاً · والمهرية وهي حمراء عظيمة السنبل غليظة القصب مدحرجة الحب مرتمة · والتربية وهي حمراء وسنبلتها حمراء ناصعة الحمرة رقيقة تنتثر من ادنى برد او ريح · والمكيَّة وهي غبراء مستديرة ولذلك سميت مكية وسنبلها غليظ امثال العصافير وتبنها غليظ لا تنشط لهُ الآكلة وهي اربع الحنطة كيلاً ودقيقاً · والحمولة وهي حنطة غبراء مدحرجة كأنها حب القطن ليس في الحنطة اكثر منها حبًا ولا اضخم سنبلاً وهي كثيرة الريع ولا تحمد في اللون ولا في الطعم · والعلَس حنطة جيدة سمراء عسرة الاستنقاء جدًّا لا تنقى الاَّ بالمناحيز وهي طيبة الخبز وتشبه القرشية في الطحين يجيء دقيقها خشنًا وسنبلها لطاف وهي مع ذلك قليلة الريع · وقيل العلس ملتزن الحب حبتان حبتان لا يخلص بعضهُ من بعض حتى يدق بالمواجن وهي المهاريس يعني لا ينقّى ولا يدق وهو كالبر ورقًا وقصبًا · والفوم الحنطة وقيل الحبوب واحدتهُ فومة وهي ايضًا البر · والحطانطة برَّة صغيرة حمراء · والسلت حبٌّ بين الشعير والبر اذا نقي انسلت من قشره فكان مثل البر وهو ضربان اخضر واصفر ويقال للاخضر القصب اخي

ويظهر من ذلك ان اهالي مصر والشام وبلاد العرب كانوا يزرعون اصنافًا مختلفة من القمح من عهد قديم جدًّا وقد اتقنوا زرعها وتأصيلها حتى عظم الفرق بينها

ويبعد عن الاحتمال ان تكون لهم هذه العناية بزرع القمح وتأصيله وقد رأوا القمح البري في سورية ولم يعرفوهُ ولا انتفعوا بهِ لاسيما وان حبهُ لا يزال حتى الآن كبيرًا كحب القمح العادي ولعلهُ احد الاصناف التي ذكرها ابن سيده

الالبان

ذكرنا في العددين الماضيين شيئاً عن ممالك البلقان التي تحارب الدولة العلية ورأينا ان نتمم ذلك بكلمة عن الالبان او الارناؤوط لعلاقتهم بالحرب الحاضرة وما سيكون لهم من الشأن عند عقد الصلح

بلاد الالبان في غربي البلقان وتضم ولايتي اشقودره ويانيا والقسم الاكبر من ولايتي موناستير وسلانيك . وهي جبلية وعرة فيها كثير من الجداول والبحيرات والمروج الصغيرة بين الجبال . وجل اعتماد اهلها في معيشتهم على تربية المواشي وزراعة الحبوب

وليس في التاريخ ما يدل على اصلهم ولكن يرجح انهم من الشعوب الاوربية مثل سائر الاوربيين . و يطلقون على بلادهم اسم شكيبتاريا والترك يسمونهم ارناؤوط

ولغتهم لم تهذب بعدُ ولا دونت وهم يحاولون كتابتها بالحروف اللاتينية ومنهم من يكتبها بالحروف اليونانية . وقد حاولت الدولة العلية حملهم على كتابتها بالحروف العربية فلم تفلح بل كان ضغطها عليهم في هذا السبيل من اكبر اسباب نقمتهم عليها

وهم يحبون الحرب و يباهون باعمال الفروسية وقد كانوا من اشد انصار الدولة العلية في جميع حروبها اذ كانوا يتطوعون في الجيش العثماني بقيادة زعمائهم . و ينقسمون في بلادهم الى قسمين كبيرين الغيغه في الشمال والتوسكه في الجنوب و بين هذين القسمين بعض الفروق في اللغة والعادات . ثم ينقسم كلٌّ من الغيغه والتوسكه الى اسباط وقبائل قلما يبطل النزاع والخصام بينها

وعددهم بناهز المليونين والمسلمون منهم يزيدون على المسيحيين قليلاً . والدين لا يفرّق بينهم ولا يضعف عصبية قبائلهم فانك ترى المسلمين والمسيحيين في القبيلة الواحدة متآخين متكاتفين يشاطر بعضهم بعضاً السراء والضراء

والاستثارة للقتيل عندهم من الزم ما يجب على القبيلة واقدسهُ حتى ان القبيلة منهم تبيد ولا تنفك تطالب بثار قتيلها . وفي بعض المقاطعات الجبلية لا يبلغ الذين يموتون حتف انوفهم الأ ٧٥ في المئة من الوفيات

وللمرأة في بعض القبائل مقام واحترام حتى انها تجير الغريب فلا يتعرض لهُ احد بسوء . وتخرج نساؤهم مع الرجال الى ساحات القتال فيعتنين بالجرحى ويكفنَّ القتلى

واهم قبائلهم في الشمال المرديته او المردة وعدد القبيلة تناهز العشرين الفاً عدّاً . و بلادها

جبلية منيعة الى الجنوب الشرقي من اشقودره . وتكاد تكون مستقلة عن الدولة العلية ولم تدخل العساكر العثمانية بلادها الأ مرة سنة ١٨٨٠ لمجاهرة احد زعمائها بالتمرد

والتوسكة في الجنوب تلطفت طباعهم باختلاطهم مع اليونان والسلاف واخذوا ببعض اسباب الرقي والمدنية ولذلك ترى منهم التجار والصناع والزراع

وفي بلادهم كثير من الخرائب القديمة بعضها من عهد اليونان وبعضها مما شاده الرومان . ولم يكشف عن هذه الخرائب ولا يعرف ما فيها من الآثار اذ يكابد الاوربيون مشقات عظيمة قبل الوصول اليها

وقد كانت بلادهم مقاطعة رومانية الحقت بالمملكة الشرقية بعد انشقاق الامبراطورية . ثم توالت عليها غزوات البرابرة والسرب وبقيت مدة طويلة تخضع طوراً للسرب وطوراً للملوك القسطنطينية

ولما مات اسطفان دوشن ملك السرب وتجزَّأت مملكتهُ قام من الالبان امراء استقلوا بحكومة بلادهم . ولبثوا على هذه الحال الى ان دخل الاتراك بلاد البلقان واخضعوا ممالكها

وسنة ١٤٣١ استولى الاتراك على بانيا فهبَّ الالبان لصدهم واجمع زعماؤهم على ان يكونوا عصبة واحدة في الدفاع عن وطنهم وانضووا جميعاً تحت لواء الامير جورج كاستريوتا المشهور باسكندر بك . فتمكن من صد غارات الترك وتشتيت عساكرهم في مواقع عديدة

وبعد موته اخضع الترك القسم الاكبر من البلاد غير ان بعض القبائل لجأت الى الجبال فاعتصمت فيها وحافظت على استقلالها وعاداتها . ولم يكن خضوعهم للدولة العلية الأ اسمياً فقط فلم تكن تنتفع منهم الأ زمن الحرب اذ كان كثيرون منهم يتطوعون في الجيش كما تقدم وكانت لهم وجاقات خاصة بهم

وفي اواخر القرن الثامن عشر استبدَّ احد الولاة في القسم الشمالي من البانيا وكانت قاعدتهُ مدينة اشقودره وبعد ذلك بقليل حذا حذوهُ علي باشا في يانينا . فسيّرت الدولة العلية حملة عسكرية على علي باشا فتمكنت منهُ غير ان نار الثورة التي اثارها امتدت الى بلاد اليونان ولم تخمد الأ باستقلالهم . اما القسم الشمالي فاعيد الى املاك الدولة سنة ١٨٣١

وسنة ١٨٧٨ اجتمع امراؤهم وبيرقداروهم في برزرين على اثر انعقاد مؤتمر برلين فتحالفوا على ان يقفوا في وجه كل اعتداء خارجي على حدود بلادهم وان لا يتركوا شيئاً منها يذهب الى ايدي النمسا والجبل الاسود والسرب فكان لتحالفهم هذا بعض التأثير على ما اقرهُ ذلك المؤتمر . ولكن ولاة الامور في الاستانة اوجسوا خيفة من تحالفهم فعملوا على حل عراهُ

وبعد اسكندر بك لم تجتمع كلمة القبائل الالبانية في حرب او ثورة من جميع الحروب والثورات التي قاموا بها ولا ظهرت منهم روح قومية عمومية بل كانت كل قبيلة تقاتل للمحافظة على حقوقها وعاداتها الخاصة . غير ان المتنورين منهم قد بذلوا بعض المساعي في هذا السبيل والفوا لذلك لجاناً في بركــل وبخارست وآثينا فاخذت تذيع فيهم المنشورات تدعوهم فيها الى الاتحاد وتبث فيهم الروح القومية

تجارة القطر في العام الماضي

لم تبلغ تجارة القطر المصري في عام من الاعوام السالفة ما بلغتهُ في العام الماضي فان قيمة صادراتهِ بلغت ٣٤ ٥٧٤ ٣٢١ جنيهاً وكانت سنة ١٩١٠ المشهورة بكثرة صادراتها وجودة موسمها ٢٨ ٩٤٤ ٤٦١ جنيهاً فقط . واذا اضفنا الى قيمة الصادرات عشرة في المئة تطرح منها في تقدير الجمارك بلغت ٣٨ ٠٣١ ٧٥٣ او اكثر من ٣٨ مليوناً من الجنيهات وهي اكثر من ذلك كما سيجيء . ولقد بلغت قيمة الواردات في العام الماضي ٢٥ ٩٠٧ ٧٥٩ جنيهاً وقيمة الصادرات والواردات معاً ٦٣ ٩٢٩ ٥١٢ او نحو ٦٤ مليوناً من جنيهات ولم تصل الى هذا الحد في عام من الاعوام السالفة . وبلغ الفرق بين قيمة الصادر وقيمة الوارد اكثر من اثني عشر مليوناً من الجنيهات بقي منها الى القطر المصري اربعة ملايين من الجنيهات ذهباً وهي الفرق بين ما دخلهُ وما خرج منهُ من النقود . والباقي وهو ثمانية ملايين تزيد عما يطلب منهُ فائدة ديونهِ وديون حكومتهِ . ولعلهُ تناول الزيادة مما كان في البنوك في هذا القطر او اوفى بها بعض ديونهِ

اي ان قيمة الصادرات المصرية كفت لايفاء ثمن الواردات كلها وبقي منها ١٢ مليوناً من الجنيهات اوفيت منها فوائد ديون الحكومة وديون الاهالي لاوربا وزاد في القطر نحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي اقل مما بقي في القطر المصري من الذهب سنة ١٩١٠ فان الوارد منهُ بلغ حينئذٍ نحو ١٣ مليوناً من الجنيهات والصادر منهُ بلغ سبعة ملايين . والفرق بينهما ستة ملايين ولكن زيادة قيمة الصادرات على قيمة الواردات كانت حينئذٍ ثمانية ملايين من الجنيهات فقط اي اقل مما كانت في العام الماضي

هذا اذا نظرنا الى قيمة الصادرات والواردات نظرة عامة اما اذا نظرنا اليها بالتفصيل رأينا فيها اموراً كثيرة حرية بامعان النظر . فاذا التفتنا الى الصادرات رأينا انها قد زادت كلها تقريباً مقداراً وثمناً كما ترى في الجدول التالي

الصادرات

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
البيض	٩٦٧٦٥٠٠٠ بيضة	١١٦٢٤٠	١٥٠٤٠٨٠٠٠ بيضة	١٨٠٥٠٨
الجلود	٣٢٨٩٣٣٤ كيلو	١٣٢٢ ١	٣٣٣٦٠٠٤ كيلو	١٣٤٦٦٩
«	١٠٥٨٩٢٢ جلداً	٤٥٧٢٢	١٠٩٨١٤٥ جلداً	٠٤٧٠٢٩
الفول	٣٥٨٢٢ اردباً	٣٠٦٥٢	٩٧٤٨ اردباً	٩٥٣٩٩
بزرة القطن	٣٨١٨٣٧٥ اردباً	٣٠٣٨٩٧٦	٤٩٠٧٣٦١ اردباً	٤٠٨٦٩٥٢
الكسب	٨٥١٧٣ طناً	٣٥٥٧٤٤	٨٠٧٧٨ طناً	٣٦٣٥٥٨
البصل	٩٤٤٣٨ طناً	٣١٣٩٠٥	١٣١٧٧٩ طناً	٣٨٤٨١٩
القطن	٦٦٣٨٧١٠ قنطاراً	٣٢٩٨٨٧١١	٨٣٠٦٩٤٨ قنطاراً	٢٧٥٣٩٢٧٧
الصوف	١٧٥٨٩٤٤ كيلو	٩٤٠٣٥	٣٠٤٥٦٦٧ كيلو	١٣١٩٤٤

والعبرة في هذه الصادرات بالقطن والبزرة فقد بلغ ثمن ما صدر منها ٣١٦١٦٢٢٩ واذا اضفنا اليهِ ما يطرح من الثمن في تقدير الجمارك وهو عشرة في المئة بلغ ٣٤٧٧٧٨٥١ جنيهاً او نحو ٣٥ مليوناً من الجنيهات وهو اكثر من ذلك كما لا يخفى . فكل الاعتماد في الصادرات على القطن وبزرتهِ ويتلوهما البصل والكسب والجلود والبيض ونحوها ولكن قيمتها كلها لا تزيد على مليونين ونصف من الجنيهات

الواردات

وقد نقصت قيمة اكثر الواردات المهمة كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
الدقيق	١٦١٢٠٤٧٧٨ كيلو	١٦٠ ٦٧٦	١٤١٦٧٥١١٨ كيلو	١٠٣٥٠٨٧
السكر	٤٥٧٦٦٣١١ «	٠٥٩٧٢٦٧	٣٥٠٥٦٣٧٤ «	٠٤٢٤٣٢٨
خشب البناء	٦٤٨٩٢٥ متراً مكعباً	١١٥٧٢١٨	٥٦٧٤٩٦ متراً مكعباً	١٠٤٥٧٤٥
المنسوجات القطنية	٢١٩٣٧٦٣٥ كيلو	٢٧٩٣٠٩٧	٢٠٧١٩٦٣٤ كيلو	٢٤٥٧٤٨٥
« «	٧١٠٥٩٠٤٨ متراً	١٣٣١٩٦٠	٥٧٠٦١٩٥٨ متراً	١٠٤٣٧٢٧
المنسوجات الكتانية	٤٠٩٣٠٨٣ متراً	٠٧٠٣٠٩٠	٢٢٦٩١٣٧ متراً	٤٢٦٢١٩

وقد ذكرنا في الجدول التالي الواردات المهمة التي زادت قيمة ما ورد منها في العام الماضي

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
الارز	٣٨٤٨٦٧٧٤ كيلو	٣٣٣٢٩٤	٢٤٣٤٢٢٩٣ كيلو	٣٦٥٠٦٢
البن	٦٨٧ ٩٥٦ كيلو	٤١٢٢٥٦	٧١٥٤٨٧٧ «	٤٨٤٥٥٠
الفحم الحجري	١٠٨١٦١٩ طناً	١٣١٣٢٠٣	١٦٣٨٤١٧ طناً	١٥٧٤٦٥٣
السماد الكيماوي	٥٩٩٦٢ طناً	٤٩٦٦٤٤	٧٠٠٩١ «	٦٦٧٩٢٦

واهم الواردات كلها المنسوجات القطنية والدقيق والحديد والفحم الحجري وخشب البناء والتبغ والسكر . واكثرها نقص الوارد منهُ او زاد زيادة قليلة ولذلك يقال بنوع عام ان العام الماضي كان عام اقتصاد وتدبير لا عام اسراف وتبذير . وتدلُّ زيادة الوارد من السماد الكيماوي على زيادة الاهتمام بالزراعة وتكثير المحصولات

البلدان التي تاجرت معنا

لا يزال لانكلترا النصيب الاكبر من تجارتنا الصادرة والواردة وتتلوها فرنسا فالمانيا فاميركا فالنمسا فروسيا كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ قيمة ما اشتريناهُ من كل بلاد من هذه البلدان وما اشترتهُ هي منا وذلك بالجنيهات المصرية

	ثمن ما اشترتهُ منا	ثمن ما اشتريناهُ منها
انكلترا ومستعمراتها	١٦١٥٨٦٥٢	٩٥٥٨٤٠١
الولايات المتحدة الاميركية	٠٤١٣ ٨٩٥	٤٠٣٥٢٥
المانيا	٠٣٨٨٥٩٣٧	١٤٣١١٨٠
فرنسا	٢٧٠٦٩٧٥	٢٤١١٤٣٥
روسيا	٢٠٥٦٣٠٢	٠٧٦٤٥١٥
النمسا والمجر	١٤٣١١٦٧	١٦٧٩٨٣١
سويسرا	١٠٠٨٨٩٦	٠١٤٣٥٦٧
ايطاليا	٠٩٤٨٨٨٩	١٣٤٢٧٢٩
تركيا	٠٦٢٧٥٥٦	٢٧٥٩٨٨٣
الصين والشرق الاقصى	٠٦٤٠٣٣٠	٠٣٩١٦ ٣
اسبانيا	٠٤٨١٤١٥	٠٧٣٤٦١

واهمية هذه البلدان لنا بحسب ما تشتريهِ من صادراتنا لا بحسب ما نشتريهِ نحن من صادراتها . فانكلترا تشتري نحو نصف صادراتنا وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية فانها اشترت منا باكثر من اربعة ملايين من الجنيهات مع اننا لم نشترِ من بضائعها الأ ما ثمنهُ اربعمئة الف جنيه ثم المانيا اشترت منا ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين من الجنيهات واشترينا منها ما ثمنهُ نحو مليون ونصف ثم فرنسا اشترت منا ما ثمنهُ مليونان وسبع مئة الف جنيه واشترينا منها ما ثمنهُ مليونان واربع مئة الف جنيه فنحن معها على السواء تقريباً ثم روسيا اشترت منا ما ثمنهُ مليونا جنيه ولم نشترِ منها الأ ما ثمنهُ ٧٦٦ الف جنيه والنمسا تشتري منها اكثر مما تشتري منا وكذلك ايطاليا . اما تركيا فاننا اشترينا منها ما ثمنهُ مليونان و٧٥٩ الف جنيه ولم تشترِ منا الأ ما ثمنهُ ٦٣٧ الف جنيه فهي تستفيد من تجارتنا اكثر مما نستفيد من تجارتها

ولا يخفى ان الفرص الاول الذي ترمي اليهِ الممالك الآن في معاهداتها التجارية وفتحها البلدان القاصية بل وفي بنائها البوارج وتعبيتها الجيوش واثارتها الحروب ان تجد من يشتري بضائعها ويعطيها بدلاً منها ذهباً تشتري بهِ ما تشاء . ونفعها بعضها لبعض هو بنسبة ما تشتريهِ الواحدة من الاخرى فانفع البلدان لنا اكثرها اشتراء لبضائعنا واقلها نفعاً لنا اقلها اشتراء لبضائعنا . ونحن نزيد نفعنا للبلدان على مقدار ما نشتريهِ من بضائعها

الحياة وماهيتها ومنشأها وحفظها

(تابع ما قبلهُ)

تنظيم الجهاز العصبي لحركات الجسم

الحركات الارادية

ان اوضح عمل يقوم بهِ الجهاز العصبي في ظواهر الحياة هو احداث حركات الجسم العمومية وتنظيمها — الحركات التي تقوم بها العضلات المسماة بالعضلات الارادية . وهذه الحركات هي في الواقع نتيجة تأثيرات ترد الى اعصاب الحس او الاعصاب الموصلة التي على سطح الجسم اي في الجلد او في اعضاء الحواس الخصوصية . وقد لا تظهر نتيجة هذه التأثيرات حالاً بل يمكن ان تخزن في بعض خلايا الجهاز العصبي الى اجل غير معين وسواء حدثت تلك الحركات حالاً على اثر وصول التأثيرات السطحية او بعد حين او كانت مما يشعر بهِ او متمكنة محضة لا يشعر بها فان تنظيمها عمل معقد وشروط ضبطها وترتيبها بعضها بالنسبة

الى بعض امر دقيق لا يقتصر على استلزام انقباض بعض العضلات بل يقتضي ايضاً منع عضلات اخرى عن الانقباض ٠ وما نعلمهُ الآن عن هذه الشروط يرجع جانب كبير من الفضل فيهِ الى ابحاث الاستاذ شرنجتون

الحركات غير الارادية

ويقوم الجهاز العصبي ايضاً بعمل هو اقل وضوحاً من العمل المذكور آنفاً ولكنهُ لا يقل عنهُ اهمية وهو تنظيم انقباضات العضلات غير الارادية ٠ وهذه الانقباضات لا يُشعر بها في الاحوال الطبيعية ولكن تنظيمها يتم بطريقة مشابهة لطريقة تنظيم انقباضات العضلات الارادية اي انهُ نتيجة تأثيرات ترد الى سطح الجسم ٠ فان هذه التأثيرات تنتقل بواسطة الياف موصلة الى الجهاز العصبي المركزي فتصدر منهُ مؤثرات اخرى يجري اكثرها بواسطة الاعصاب السمبائوية او الجهاز العصبي المستقل فتحمل العضلات غير الارادية على الانقباض او عدم الانقباض ٠ وفي كثير من العضلات غير الارادية ميل طبيعي الى ان تنقبض انقباضاً مستمرًّا او دوريًّا بالاستقلال عن الجهاز العصبي المركزي فيقتصر حينئذٍ فعل المؤثرات الواردة من الجهاز العصبي المركزي على زيادة مقدار ذلك الانقباض او القاصه ٠ فمن الامثلة على هذا العمل المزدوج ما يشاهد في القلب لانهُ وان امكنهُ الانقباض انقباضاً منتظماً دوريًّا متى قطعت علاقاتهُ بالجهاز العصبي بل متى اخرج من الجسم ايضاً فان المؤثرات الواردة اليهِ من الجهاز العصبي المركزي بواسطة الاعصاب السمبائوية من شأنها ان تزيد عملهُ في احوالهِ الطبيعية كما ان المؤثرات الواردة عليهِ بواسطة العصب الرئوي المعدي من شأنها ان تقلل عملهُ في تلك الاحوال ٠ فبسبب تأثر القلب على هذين الوجهين المختلفين بانتشار تأثيرات تتولد في اثناء العواطف العصبية التي سميها بالانفعالات النفسية اصبح معنى القلب مرادفاً للانفعالات النفسية او العواطف في اصطلاح الشعراء بل في اصطلاح الناس في حديثهم العادي

تأثيرات الانفعالات النفسية

ويقال ذلك ايضاً بموازنة عمل العضلات غير الارادية في الشرايين فانهُ متى زاد انقباضها قلَّ حجم الشرايين فيقل الدم الذي تورده وتصغر الاقسام التي يذهب اليها ومتى قلَّ انقباض تلك العضلات كبر حجم الشرايين فيكثر الدم الذي تورده وتعمر الاقسام التي يذهب اليها ٠ وقد تحدث ايضاً هذه التغيرات في الشرايين كما في القلب بفعل الانفعالات النفسية٠ فاحمرار الوجه من الخجل مثلاً امر فسيولوجي محض ناتج عن نقصان عمل الاعصبة

العضلية في الشرايين كما ان الاصفرار الآتي من الوجل ناتج عن ازدياد انقباض تلك الانسجة. على انهُ فضلاً عن هذه النتائج الظاهرة فان هناك توازناً مستمراً بين نوعي الاعصاب الموزعة على القلب والاوعية الدموية وهو اقل ظهوراً من تلك النتائج ولكنهُ لا يقل اهمية عنها . فان هذين النوعين يتأثران بكل تأثير نشعر بهِ بل بمؤثرات لا نشعر بها مطلقاً كالتي تحدث في اثناء النوم او في حالة التنبه او التي تؤثر في اعضائنا الداخلية التي لا تتأثر في ما سوى ذلك

تنظيم الجهاز العصبي للافراز

ومن الامثلة الاخرى على التنظيم الذي يقوم بهِ الجهاز العصبي ما يشاهد في الغدد الافرازية . وهي لا تُنظَّم كلها بهِ او على الاقل لا تنظم كلها بهِ مباشرة ولكن ما ينظم منها بهِ تظهر فيهِ نتائج تستوقف الانظار . وتنظيم الجهاز العصبي لهذه الغدد من نوع تنظيمه للعضلات غير الارادية ولكنهُ يؤثر في الاعمال الكيماوية التي تقوم بها خلايا الغدد وفي افراز ما تفرزهُ . فيمكن بهذا التنظيم احداث الافراز او زيادتهُ او انقاصهُ . وعلى هذا الوجه يحفظ التوازن المناسب كما يجري في العضلات ويكيف عمل الغدد طبقاً لمقتضيات الجسم. واكثر الغدد الهضمية يتأثر على هذا النمط وكذلك غدد الجلد التي تفرز العرق

تنظيم حرارة الجسم

ويفعل الجهاز العصبي في غدد الجلد مع فعله في زيادة الدم الوارد الى الاوعية الدموية في الجلد او انقاصهِ تُنظَّم حرارة دمنا وتحفظ في انسب درجة لحفظ حياة الانسجة وعملها

تأثير الانفعالات النفسية في الافراز

ويظهر فعل الجهاز العصبي في افراز الغدد باجلى بيان في تأثير الانفعالات النفسية كما يظهر ايضاً في تلك الاحوال في القلب والشرايين . فانفعال نفسي من بعض الانواع — كانتظار الطعام — يسيل اللعاب كما ان انفعالاً نفسياً من نوع آخر كالخوف او القلق يوقف افرازهُ فيصعب الكلام او يتعذَّر ومثل هذا الايقاف يجعل ايضاً بلع الطعام الجاف صعباً وبناء على هذه الصعوبة كانوا يكتشفون المجرمين في الشرق بجعلهم يتفلون على الارز

التنظيم بواسطة عوامل كيماوية : المحركات — الافرازات الداخلية

واعمال الخلايا التي تتألف منها اجسامنا تُنظَّم كما تقدم القول بشيء آخر غير الجهاز العصبي اي بعوامل كيماوية او محركات تدور في الدم . وكثير من هذه المحركات تحدثها اعضاء غددية خصوصية تفرز افرازاً داخلياً . فان الغدد الافرازية العادية تفرز مفرزاتها على

خارج الجسم او على سطح متصل بالخارج واما الغدد التي تفرز الافراز الداخلي فترسل ما تفرزهُ الى الدم رأساً و به تنقل الحركات الى الاعضاء البعيدة . وقد يكون تأثير هذه الحركات على عضو من الاعضاء ضروريًا لقيامهِ بوظيفتهِ كما يجب او مساعداً له فاذا كان ضروريًا فاستئصال الغدة التي تفرز ذلك المحرك او تلفها يمرض ما قد يؤدي الى الموت

غدد فوق الكلية

وهذا ما يحدث في غدد ما فوق الكلية وهي غدد صغيرة مجاورة للكليتين ولكن لا علاقة فسيولوجية لها بهما . وقد اظهر الدكتور اديسن من اطباء مستشفى غي في اواسط القرن الماضي ان هناك علة تميت في كل الاحوال تقريبًا وهي مقترنة بمرض تلك الغدد فصارت تلك العلة تعرف باسمهِ من ذلك الحين . ثم بعد ذلك بزمن قصير وجد الفسيولوجي الفرنسوي برون سيكار ان الحيوانات التي تنزع منها تلك الغدد لا تعيش بعد نزعها اكثر من بضعة ايام الاَّ نادراً . وقد تجدَّد الاهتمام بهذه الغدد في السنوات العشر الاخيرة من القرن الماضي بسبب ما كشف من انها تعطي الدم على الدوام عاملاً كيماويًا (او محركاً) يسبب انقباضات القلب والشرايين ويساعد في ترويج كل عمل يتم بواسطة الجهاز العصبي السمباثوي (لابحلي) واتضح من ذلك ضرورة بقائها سليمة وان كنا لا نزال نفتقر الى معرفة اشياء كثيرة عن وظائفها

الغدة الدرقية (ثيرويد)

الغدة الدرقية مثال آخر لغدة تفرز افرازاً داخليًا ولا بدَّ منها لحفظ الحياة او على الاقل لحفظها في حالة طبيعية . ومن الامور المحققة ان عدم نمو الغدة الدرقية نموًّا تامًّا او مرضها يُعقب كلٌّ منهما باختلال التغذية وخمول الجهاز العصبي وكذلك يحصل البله والداء المعروف بالمكسوديما متى قلَّ افراز تلك الغدة . واذا نزعت بالطرق الجراحية حدثت احوال مشابهة لذلك ولكن الاعراض تخف او تزول اذا عولج المصاب بعصيرها . واذا كبرت الغدة الدرقية وازداد افرازها احدث ذلك اعراض تهيج عصبي . ومثل هذه الاعراض يحدث من افراط الانسان في اكل المواد الغددية . فيستنتج من هذه الملاحظات ان عصارة هذه الغدة تحوي محركات تساعد على تنظيم تغذية الجسم ومن شأنها تنبيه الجهاز العصبي الذي يظهر انها ضرورية لوظائفهِ العليا . وقد قال المسيو غلاي الذي له جانب كبير من الفضل في ما نعلمهُ عن وظائف هذه الغدة « ان تولد ارق قوى الانسان وعملها يتوقفان على فعل كيماوي محض تقوم بهِ مادة مفرزة . فليتدبر ذلك علماء الفلسفة العقلية »

الباراثيرويد

ومما يستوقف الانظار اكثر من ذلك مسألة الغديدات الباراثيرويدية التي اكتشفها سندستروم سنة ١٨٨٠ وهي اربعة اجسام صغيرة جدًّا لا يتجاوز حجم الواحد منها رأس الدبوس وهي في الغدة الدرقية ومع صغرها فافرازها الداخلي يحوي مفرزات تؤثر في الجهاز العصبي تأثيراً شديداً فاذا نزعت تماماً فقد تحدث اعراض تعرف فنيًّا باسم « تيتاني » وهي ذات بال في كل الاحوال وقد تكون مميتة . وبناء على ذلك فمحركات الباراثيرويد كمحركات الغدة الدرقية نفسها تؤثر في الجهاز العصبي الذي ينقلها اليه الدم وان يكن هذا التأثير من نوع آخر

الغدة النخامية

وهناك غدة اخرى تفرز افرازاً داخليًّا وقد استوقفت الانظار كثيراً في السنوات الاخيرة اعني الغدة النخامية وهي صغيرة لا يزيد حجمها على حجم البندقة متصلة بقاعدة الدماغ واكثرها مؤلف من خلايا غددية وقد وجد اكثر الباحثين ان نزعها يسبب الموت في يومين او ثلاثة على الغالب . واذا تضخمت في اثناء مدة نمو الجسم العضوي نما الهيكل العظمي بسببها نموًّا فائق الحد فتكبر القامة جدًّا . واذا تضخمت بعد ان يتم نمو الجسم العضوي فان الاطراف اي الايدي والاقدام وعظام الوجه — تتأثر خصوصاً فلذلك سميت هذه الحالة اكروميجالي (اي كبر الاطراف) . وقد بيَّن طبيب فرنسوي مشهور اسمهُ الدكتور بيير ماري سنة ١٨٨٥ ان هذه الحالة تحدث عند اعتلال الغدة النخامية . وتكون هذه الغدة كبيرة في « الجبابرة » والمصابين بكبر الاطراف . وكبرها ينحصر عموماً في قسم واحد منها اي في الفص المقدم فيستنتج من ذلك ان هذا الفص يفرز محركات تنبه نمو الجسم عموماً والهيكل العظمي خصوصاً . اما باقي الغدة النخامية فيختلف عن الفص المقدم في البناء ولهُ وظيفة اخرى فانهُ يمكن ان يستخرج منهُ محركات تؤثر في انقباض القلب والشرايين مثل محركات المحفظات التي فوق الكلية ولكن ليس بنفس الطريقة تماماً وما يستخرج منهُ يساعد ايضاً على افراز الكلى للبول والثديين للبن وهذه الاعضاء لا تتأثر مباشرة (كاكثر الغدد) بواسطة الجهاز العصبي . ولا ريب انها في الاحوال الطبيعية تنبَّه الى العمل بمحركات تنشأ في الغدة النخامية وتذهب منها الى الدم

وليس لما ذكر من الغدد التي تفرز افرازاً داخليا على ما تعلم غير وظيفة انتاج مواد كيماوية من هذا النوع للتأثير في اعضاء اخرى ينقلها الدم اليها . ومما يجدر ذكرهُ ان هذه الغدد

كلها صغيرة الحجم جدًّا وليس فيها ما هو اكبر من الجوزة وبعضها يكاد يكون مكرسكوبيًّا. ومع هذا فانها ضرورية لحفظ حياة الجسم على ما يجب وزوال احدها تمامًا بالمرض او بالجراحة يؤدي الى الموت العاجل في اكثر الاحوال

البنكرياس

على ان في الجسم اعضاء تعطي الدم مفرزات داخلية وتقوم في الوقت نفسهِ بوظائف اخرى . ومن احسن الامثلة على ذلك البنكرياس الذي افرازهُ ام العصارات الهضمية لهذا العصير — عصير البنكرياس — هو افرازهُ الخارجي وهو يسكب في الامعاء حيث يفعل بالطعام وهو خارج من المعدة على ما هو معلوم منذ زمن طويل . على ان فون مرنغ ومنكوفسكي اكتشفا سنة ١٨٨٩ ان البنكرياس يفرز ايضًا افرازًا داخليًّا يحوي محركًا يُنقَل منهُ الى الدم فينقلهُ الدم اولاً الى الكبد ثم الى الجسم عمومًا وهذا المحرك ضروري للانتفاع بالكربوهيدراتات في الجسم كما يجب. ومن الامور المعلومة ان كربوهيدراتات الطعام تحوَّل الى سكر العنب وتدور على هذه الصورة في الدم الذي يحوي دائمًا مقدارًا معينًا منهُ . والدم ينقلهُ الى كل خلايا الجسم لتستعملهُ وقودًا . فاذا انقطع افراز البنكرياس الداخلي إما بسبب مرض او بسبب نزعهِ بالطرق الجراحية لم تعد خلايا الجسم تنتفع بالسكر كما يجب فيميل هذا السكر الى التجمع في الدم ويخرج المقدار الزائد منهُ من الدم عن طريق الكليتين مسببًا البول السكري

الاثنا عشري

والبروسكرتين الموجود في الخلايا المبطنة للاثني عشري مثال آخر على افراز داخلي يفرزهُ عضو يقوم بوظائف اخرى وهي جزء كبير من المعاء . ومتى اختلط العصير المعدي الحامض بهذه الخلايا حوَّل بروسكرتينها الى سكرتين وهو محرك يصل الى الدم ويدور معهُ ولهُ تأثير خاص في خلايا البنكرياس التي تفرز افرازًا خارجيًّا ويسبب اسباب عصير البنكرياس السريع في الامعاء وفعلهُ هذا شبيه بفعل محركات الغدد الغشائية في خلايا الكليتين والثديين وقد اكتشف فعلهُ هذا بايلس وستارلنغ

الافرازات الداخلية التي تفرزها الاعضاء التناسلية

ان الغدد التناسلية هي من وجوه كثيرة احسن الامثلة على اعضاء تفرز — فضلاً عن انتاجها العادي وهو البويضات واللقاح — محركات تجري في الدم وتحدث تغييرات في خلايا

الاقسام البعيدة من الجسم . و بواسطة هذه الحركات تحدث المزايا التناسلية الثانوية كعرف الديك وذنبهِ وعرف الاسد وقرون الايل ولحية الانسان وجوزة عنقهِ ونحو ذلك من المزايا التي يمتاز بها كلٌّ من الذكر والانثى . وتوقُّف هذه الاوصاف الجنسية على حالة نمو الاعضاء التناسلية معروف من قديم الزمان . ولكنهُ كان ينسب عادة الى تأثيرات تحصل بواسطة الجهاز العصبي ولم يبيَّن الاَّ في السنوات الاخيرة ان هذه التغيرات تحصل بواسطة افرازات داخلية ومحركات تنتقل من الغدد التناسلية الى الدم الذي يدور في الجسم

ماهية المحركات كيماويًّا

لم يمكن استخراج محركات الافرازات الداخلية وعزلها في درجة من النقاوة تكفي لامكان تحليلها الاَّ في حالة او حالتين ولكننا نعلم عنها ما يكفي للدلالة على انها اجسام آلية ليست على جانب كبير من التركيب وهي ابسط جدًّا من البروتين بل من الازيم . وكل المحركات التي بُحث فيها قابلة للفصل بالدياليس وتذوب في الماء بسهولة ولكنها لا تذوب في الكحول ولا تتلف بالاغلاء . وقد امكن تركيب نوع واحد منها كيماويًّا وهو محركات غدد المحفظات التي فوق الكلية ومتى زادت معرفتنا لماهية غيرها الكيماوية فالمرجح انهُ لا يصعب تركيبها كيماويًّا ايضاً

فيتضح مما تقدم ان تنظيم الاعضاء بواسطة الجهاز العصبي لا يكفي لبقاء الحياة في حالة طبيعية بل لا بدَّ من تنظيمها كيماويًّا ايضاً . وقد يكون هذان النوعان من التنظيم مستقلين الواحد عن الآخر ولكن الواحد قد يؤثر في الآخر لانهُ يمكننا ان نثبت ان انتاج بعض هذه المحركات على الاقل يحدث بتأثير الجهاز العصبي في حين ان بعض وظائف الجهاز العصبي متوقف على المحركات كما رأينا

معدات كيماوية واقية — توكسين وانتيتوكسين

لا يسمح لي الوقت ان اشير الاَّ بمزيد الايجاز الى ما انشأهُ مجموع الخلايا من الطرق الواقية لحمايته من المرض وخصوصاً الامراض التي تحدثها المكروبات الحلمية وهذه المكروبات من نوع البروتستا ما عدا القليل منها وهي ولا شك اشد اعداء نحتاج ان نقاومها المتزوّى المتعددة الخلايا التي منها كل الحيوانات العليا . وهذه المكروبات هي السبب في كل الامراض التي يمكن ان تصيح وبائية كالنزلة الخبيثة والرندربست في المواشي والكلَب في الكلاب والقلط والجدري والحمى القرمزية والحصبة ومرض النوم في الانسان . ولقد اظهر تقدم الطب الحديث ان اعراض هذه الامراض كاختلال التغذية والحرارة والتعب

او التهيج وغير ذلك من الاضطرابات العصبية هي نتيجة سموم كيماوية (توكسين) مفرزة بانسجة الجسم توجدها المكروبات . ولكن الانسجة تحاول ابطال تلك النتائج بانتاج مواد كيماوية اخرى تقتل المكروبات او تضاد عملها وتعرف هذه المواد باسم الاجسام المضادة . وهذه الوقاية تتخذ احياناً شكل تغيّر دقيق في مادة الخلايا الحية يجعلها غير قابلة للتأثر بفعل السم مدة طويلة او دائماً . واحياناً تأكل بعض خلايا الجسم ككريات الدم البيضاء المكروباتِ المغيرةَ وتقتلها بفعل عوامل كيماوية في البروتوبلاسما التي فيها . فلذلك تتوقف نتيجة المرض على نتيجة التنازع بين هذه القوى المتعارضة — المكروبات من جهة وخلايا الجسم من جهة اخرى — وكل فريق يحارب باسلحة كيماوية . فاذا لم تتمكن خلايا الجسم من اتلاف الاجسام المغيرة فلا ريب ان هذه الاجسام تتلفها مع الوقت لان هذه الحرب عوان لا ترحم . على اننا قد تمكنا لحسن الحظ بمساعدة التجارب في الحيوانات ان نعلم بعض الشيء عن طريقة مهاجمة المكروبات لنا ومن الطرق التي تتخذها خلايا جسمنا لصد الهجمات . وما نعلمهُ من ذلك يستخدم استخداماً واسع النطاق لمساعدتنا في دفاعها

طبيعة الامراض العلمية

ولهذا الغرض تستعمل الامصال او الانتيتوكسينات الواقية التي تنشأ في دم حيوانات اخرى لتساعد ما تصنعهُ خلايانا منها . ولا نغالي اذا قلنا ان ما عرفناهُ من ان امراضاً كثيرة تنشأ من المكروبات ومن العوامل الكيماوية التي تحدث امراضها وتقاومها قد حولت الطب من فن يمارس بالتجربة الى علم حقيقي مبني على الامتحانات العلمية . وقد فتح هذا التحويل مجالاً لا ينتهي مداهُ لما يمكن ان يتم في سبيل شفاء الامراض بل في ما هو اهم من ذلك ايضاً وهو منع حدوثها ولقد حصل ذلك في زمن يذكرهُ اكثر الحاضرين هنا . وبالامس سية شهر فبراير الماضي كان العالم في حداد على وفاة رجل من اكبر المتفضلين عليهِ — وكان رئيساً لهذا المجمع — الذي بتطبيقهِ هذا العلم على الجراحة كان لهُ الفضل في انقاذ ارواح يزيد عددها على عدد قتلى كل الحروب الدموية التي وقعت في القرن التاسع عشر

الشيخوخة والموت

وقد دار الاخذ والرد في ما اذا كان يحتمل ان تدوم حياة الخلية او حياة مجموع الخلايا الى الابد اذا امكن ازالة اسباب الموت بالطوارىء العارضة . وبعبارة اخرى هل ظواهر الشيخوخة والموت نتيجة طبيعية لازمة من ظواهر وجود الحياة . ولا ريب انهُ يظهر لاكثر الحاضرين هنا ان المسألة لا تحتمل الاخذ والرد ولكن بعض الفسيولوجيين (متشكوف)

يذهب الى ان حالة الشيخوخة هي نفسها غير طبيعية وان الشيخوخة نوع من المرض او نتيجة مرض ويمكن منعها ولو نظرياً ولقد رأينا ان حياة الخلية كحياة كريات الدم البيضاء وحياة خلايا كثير من الانسجة يمكن ان تطال اياماً او اسابيع او اشهراً بعد موت الجسم اذا كانت الاحوال مناسبة . وقد شوهدت احياء من الاحياء المؤلفة من خلية واحدة تقوم بوظائفها طبيعياً مدداً طويلة ولا تظهر الانحطاط الذي يصحب الشيخوخة اذا كانت احوال التغذية مناسبة وتنتج بالانقسام احياء اخرى من نوعها فتبقى هذه الاحياء الاخرى حية ايضاً الى الابد على ما يظهر اذا كانت الاحوال موافقة . على انهُ وان كانت هذه الشواهد تدل على ان الحياة قد تمد طويلاً في ابسط اشكال الاحياء من دون ان يطرأ عليها ما يدل على الاضلال الا انها لا تثبت قطعياً ان الحياة يمكن ان تطال الى الابد . واكثر الخلايا التي يتألف الجسم منها تهرم وتكف عن القيام بوظائفها على ما يرام بعد ان تنمو وتقوم باعمالها زمناً يتفاوت في الطول والقصر . ومتى نظرنا الى الجسم كلهِ نجد في كل حالة ان حياة المجموع مؤلفة من سلسلة معينة من التغيرات تجتاز ادوار النمو والبلوغ ثم تصل الى الشيخوخة واخيراً تنتهي بالموت . ولا يستثنى من ذلك غير الخلايا التناسلية التي يؤدي بها البلوغ والتلقيح الى تجديد الشباب فتطول حياة البيضة الملقحة بدلاً من الدنو الى الشيخوخة وتنتقل تلك الحياة الى الجسم الجديد الناشىء منها ثم ينشأ في هذا الجسم خلايا تناسلية وبذلك تحفظ حياة النوع . ولا يمكننا القول بان الحياة تدوم الى الابد الا اذا عنينا انها تنتقل من نسل الى آخر على هذا الوجه ولذلك فانهُ انما يمكننا ان نخلد بواسطة نسلنا

متوسط طول العمر وامكان اطالتهِ

ان المدة التي تعمرها افراد كل نوع من الحيوانات لها متوسط على ما يظهر . فبعض الانواع تعيش افرادها بضع ساعات فقط وبعضها تعيش افرادها مئة سنة ومتوسط العمر في الانسان يزيد على الراجح عن السبعين السنة التي عينها لهُ صاحب المزامير اذا امكننا ان نزيل نتائج الامراض والطوارىء العارضة . واما اذا لم نزل هذه النتائج فان هذا المتوسط يقل كثيراً عن ذلك الحد

نهاية الحياة

لا شك ان التطبيقات الحديثة لمبادىء الطب المبني والصحي آخذة في العمل على اطالة متوسط العمر . على انهُ اذا امكن ازالة فعل الامراض تماماً فمن المؤكد ان خلايا جسمنا الثابتة لا بدَّ ان تشيخ وتقف اخيراً عن العمل ومتى حصل ذلك فالخلايا اللازمة لحياة

الجسم الحي نتج موت الجسم وسيبقى ذلك هو الناموس العام القاسي لا مفرّ منهُ وكل حي رهين البلى

والموت الطبيعي الذي لم يعجلهُ المرض (والموت بالامراض غير طبيعي كالموت بالطوارىء العارضة) يجب ان يكون هادئًا غير مؤلم لا يصحبهُ تعب عنيف او على ما قالهُ داستره « ان الحاجة الى الموت يجب ان تظهر في آخر الحياة كما تظهر الحاجة الى النوم في آخر النهار » ويحصل هذا التغيير تدريجًا بادوار مرتبة متوالية وهو آخر مظاهر الحياة . ولو كنا جميعنا على يقين باننا سنموت موتًا هادئًا لكنا نتوقع حدوث الموت بعد حياة طويلة بلا وجل. واذا جاء زمن عوَّد الانسان فيهِ نفسهُ ان ينظر الى هذا التغيير كامر فسيولوجي بسيط وان حدوثهُ امر طبيعي كحدوث النوم رحَّب الناس بالموت كما يكرهونهُ الآن . ولا يزال ذلك الزمن بعيدًا ولا يكاد يمكننا ان نقول ان فجرهُ قد انبثق ولكن عسى نور العلم يبدد الظلام المتراكم فوق خاتمة الحياة بعد ان عجز عن تبديدهِ انتظار السعادة في الحياة العتيدة

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن المركَّز

Concentrated Milk

اللبن الغذاء الطبيعي لصغار الانسان والحيوان يتغذى بهِ وحدهُ طفل الانسان حتى يبلغ نحو السنة من العمر. ففيهِ كل العناصر اللازمة لبناء جسمهِ من لحم ودهن وعظم وشعر والعناصر اللازمة لتوليد القوة والحرارة . وهو يغذي الكبار ايضًا ولو كانت عناصرهُ لا تكفيهم

وكما تتغذى بهِ صغار الحيوانات تتغذى بهِ الميكروبات ايضًا سواء كانت من ميكروبات الاختمار او من ميكروبات الامراض . فاذا كُشف للهواء وقعت بزورها فيهِ ونمت بسرعة

وكذا اذا كانت الآنية التي يوضع فيها ملوثة بالجراثيم الحية . فهو اذا تناولهُ الرضيع من ثدي امهِ خير غذاء لهُ ولكن اذا وُضع في اناء وعُرض للهواء مدةً فقد يصير سمّاً ناقعاً

ولا يخفى ان لبن الحيوانات الذي يؤْتى بهِ الى المدن ويسقى منهُ الصغار ويصنع منهُ طعام للكبار يوضع في آنية قلما تكون نظيفة النظافة التامةَ ويعرَّض للهواء حين حلبهِ وحين نقلهِ فتقع فيهِ جراثيم كثيرة بعضها سليم وبعضها ضارٌّ . ويمزجهُ بائعوهُ بالماء غشّاً منهم وهذا الماء قلّما يكون نقياً فيقلل غذاء اللبن من جهة ويمزجهُ بشيء ضار من اخرى

ثم ان الغذاء في اللبن قليل بالنسبة الى حرمهِ الكبير لان اكثرهُ ماء وقد لا يكون فيهِ من المواد الجامدة المغذية سوى خمسة او ستة في المئة فكأن الذي يحمل رطلاً من اللبن الى مدينة ليبيعهُ فيها يحمل اليها اوقية من الغذاء ويدفع اجرة نقل رطل . والذي يشتري رطل اللبن يشتري اوقية فقط ويدفع ثمنها واجرة نقل الرطل كلهِ ولهذا يكون اللبن غالياً في المدن ولو كان رخيصاً في الارياف حيث مراعي المواشي . واذا رُبيت المواشي في المدن تغلب فيها كان علفها غالياً ووجب ان يحمَّل ثمنهُ من ثمن اللبن فاذا كان في البلاد مراعٍ للمواشي وجب ان لا يكون ثمن رطل اللبن فيها اكثر من مليم واحد اما في المدن فيبلغ خمسة مليمات الى عشرة .

وهذه الامور كلها عوائق كبيرة في سبيل استعمال اللبن بكثرة لانها تزيد ثمنهُ وتقلل نفعهُ او تجعلهُ ضارًّا . وقد رأى الشهير باستور وغيرهُ من العلماء انهُ اذا سُخّن اللبن قُبيل شربهِ الى الدرجة ١٧٠ بميزان فارنهيت فالحرارة تقتل الميكروبات التي تكون قد دخلتهُ من الهواء او من الماء الذي يمزج بهِ غشّاً او من الآنية التي يوضع فيها . واستنبطت طريقة لتسخينهِ وابقاء الحرارة على هذه الدرجة مدةً كافية لقتل كل الميكروبات التي تكون فيهِ وسُمّيت معالجتهُ بالحرارة كذلك بالبسترة نسبة الى باستور مستنبطها

الاَّ ان البسترة تزيل ضرراً واحداً وتعرّض اللبن لضرر آخر لانهُ يصير صعب الهضم على نوع ما ولا تزيل العائق الاخير من سبيل استعمالهِ وهو غلاء ثمنهِ بسبب صعوبة نقلهِ بل تزيد ثمنهُ غلاء بما يُنفق على التسخين . وقد وجدوا ان اللبن المبستر معرَّض لنمو الميكروبات اذا ولجت فيهِ اكثر من اللبن غير المبستر . فاستنبط بعضهم طريقة تكثيف اللبن او تجميدهِ بالاغلاء المستمر . الاَّ ان هذا التكثيف يغير خواصهُ فلا يبقى مغذياً كما كان ويزيل منهُ الطعم الخاص بهِ

وقد استنبط احد الاميركيين طريقة أُخرى وهي تركيز اللبن اي نزع اكثر الماء منهُ

من غير ان تتغير خواصهُ الغذائية وذلك بتسخينهِ الى الدرجة ١٤٠ فقط بميزان فارنهيت واجراء المواد التي تسخن فيهِ وهو على هذه الدرجة من الحرارة. فالمواد السخن يتمص الماء منهُ ويميت كل ما فيهِ من الميكروبات ويتركهُ كثيفاً سليماً وتبقى فيهِ كل خواصهِ الكيماوية والغذائية فلا يبقى من رطل اللبن سوى ربع رطل . ولكن ربع الرطل هذا يكون فيهِ كل خواص الرطل الاصلي الغذائية

ولا بدَّ من فصل القشدة عن اللبن قبل تركيزهِ وهي تفصل بصفاة دقيقة جدًّا بقوة التباعد عن المركز ومتى فُصلت رُكّزت وحدها ورُكّز اللبن الحليب وحدهُ ثم مزجا معاً على نسبة ما يكونا في اللبن الجيد فيكون من ذلك مادة شديدة القوام كالدبس الشديد توضع في قناني تُسدَّ سدًّا محكماً وتختم وتباع . واذا مزجت الملعقة منها بثلاث ملاعق من الماء التي كان من ذلك لبن كاللبن الطبيعي التي الجيد في قوامهِ وطعمهِ وتغذيتهِ يطعم منهُ الاطفال او يستعمل في الطعام كما يستعمل اللبن العادي

وقد انشئت المعامل لتركيز اللبن في اميركا في الاماكن التي تكثر فيها المراعي فرُبيت المواشي فيها ورُكّز لبنها ونقل الى المدن وهو يباع فيها بارخص مما يباع اللبن عادةً لان ما يتوفر من اجرة نقلهِ يزيد كثيراً على ما ينفق على تركيزهِ . وقد امتحنتهُ ادارة اعطاء الامتيازات في اميركا فوجدتهُ اهلاً لان يُعطي اصحابهُ امتيازاً بهِ حتى لا يناظرهم احد في تركيز اللبن بل يبقى لهم ربح كبير من ذلك جزاء لهذا الاكتشاف البديع . وأُلفت لهُ شركة رأس مالها خمسة ملايين جنيه والمظنون ان ربحها في السنة لا يقل عن مليون جنيه لان الولايات المتحدة تستعمل في السنة من اللبن وما يصنع منهُ ما ثمنهُ ٣٠٠ مليون جنيه

ثم ان اللبن الحليب المركز يمكن ان يزاد تجفيفهُ حتى يجمد تماماً ويسحق حينئذٍ فيصير دقيقاً ناعماً يمزج مع دقيق الحنطة فيكون منهُ خبز كثير الغذاء طيب الطعم خالٍ من كل طعم زنخ لان القشدة تكون مفصولة عنهُ . وقد سمي هذا الدقيق بالتريوم اي المغذي

وخلاصة ما تقدم انهُ اكتشفت طريقة لنزع اكثر الماء من اللبن ونزع كل ما فيهِ من جراثيم الفساد من غير ان يتغير طعمهُ او تركيبهُ الكيماوي فيصير سهل النقل وتقلُّ اجرة نقلهِ فتصير ربع ما كانت او اقل . ثم اذا مزج بثلاثة اضعافهِ من الماء عاد لبناً كاللبن العادي الجيد في طعمهِ وقوامهِ . ويمكن تجفيف الحليب وحدهُ وسحقهُ فيصير منهُ دقيق كثير الغذاء يمزج بدقيق الحنطة او يجبن ويخبز وحدهُ . فعسى ان يستعمل هذا الاكتشاف في مروج سورية حيث تكثر المواشي والمراعي ويكون ثمن اللبن رخيصاً جدًّا

اغلي اللبن

جرت مناظرة في جريدة التيمس موضوعها اللبن (الحليب) فذهب البعض الى وجوب اغلائهِ قبل شربهِ وخالفهم آخرون قائلين ان اغلاء اللبن يحل بعض اجزائهِ النافعة ويذهب ببعض مزاياهُ فكتب الدكتور اريك برجشارد فصلاً في هذا المعنى نقتطف منهُ الفقرات التالية لما فيها من الفائدة قال:

ليس حل هذه المسألة اي افضلية اغلاء اللبن قبل شربهِ او شربهِ بدون اغلاء من الامور السهلة لانها تتضمن مسائل كثيرة يجب تفكيكها وحل كل منها على حدة. واذا نظرنا الى المسألة من وجه واحد لم يسعنا الاَّ ان نحكم بافضلية اغلائهِ واذا نظرنا اليها من وجه آخر قلنا بعكس ذلك

وقبل ابداء رأيي لا بدَّ لي من توطئة اسهل فيها على القراء فهم بعض المسائل التي ابني حكمي عليها. وساحصر كلامي في وجوه ثلاثة اولاً التغيرات التي تطرأ على اللبن لدى اغلائهِ وثانياً تأثير هذه التغيرات في الهضم وثالثاً ما يترتب على اغلاء اللبن من قتل الميكروبات ومنع العدوى

اللبن مجموع اجزاء من دقائق البروتو بلاسما الحية وان لم تكن هذه الاجزاء حية فعلاً فلا يزال فيها بعض مقومات الحياة. ويحتوي على المقادير اللازمة من المواد الضرورية لتركيب الانسجة الآلية. وقد زعم البعض انهُ كلما قربت هذه الاجزاء او الكسر من الحياة سهل على الآكل تمثيلها وبناء انسجتهِ منها وليس في العلم ما يؤيد هذا الزعم. وكل جسم يبني البروتو بلاسما اللازمة لهُ على طريقة خاصة بهِ واذا صرفت مواد البناء اي الاجزاء سهل عملهُ هذا. وما من طعام يتمتعهُ الجسم كما يصل اليهِ بل لا بد من تجزئتهِ وتحضيرهِ بالهضم قبل ان يُبدأ بتركيبهِ ثانية على ما يطلبهُ الجسم. ولا بد من مواد البناء جميعها ليتم تركيب البروتو بلاسما منها والاَّ بقي العمل ناقصاً وابقى البناء معيباً. هذه هي الامور الجوهرية في الغذاء ومنها يتبين انهُ لا بد من تجزئة اللبن وتحضيرهِ قبل ان يحلهُ الجسم ولا فرق بين ان يجري ذلك التحضير في المعدة او في القدر

واهم المواد التي يتألف منها اللبن البروتين والادهان والكربوهيدرات وبعض الفازات والرواسب والمتكتلات والخمائر واجرام اخرى غير معروفة تماماً تسمى بالاجرام المضادة للاسكربوط

تأثير الحرارة في اللبن — اذا احمي اللبن الى درجة غليان الماء ظهرت عليهِ الدوابة او

القشدة وهي غشاء رقيق يظهر على وجهه وتنشأ عن جفاف المادة الجبنية وهي من نوع القشرة الخارجية الصلبة في الجبن ويمكن تجنبها باحماء اللبن في اناء مسدود · وتحتوي الدواية على شيء من مادة اللبن الزلالية التي تجمد اذا بلغت الحرارة ١٦٠° فرنهيت ويعلق بها بعض ما تحلله الحرارة من اجزاء الزبدة · وتطرد الحرارة الحامض الكربونيك المتخلل بين اجزاء اللبن او المتحد بها اتحاداً كيماوياً ضعيفاً فيولد بعض الرواسب من املاح الجير والمغنيسيوم · ويحترق سكر اللبن اذا تجاوزت الحرارة ١٦٠° فرنهيت · وفي تحضير اللبن على طريقة باستور لا يسخن عادة الى ما فوق تلك الدرجة · وهذا الاحتراق هو سبب التغير في طعم اللبن المغلي ولونه · هذه اهم التغيرات التي تطرأ على اللبن لدى احمائه ولا حاجة بنا الى ذكر التغيرات الاخرى

تأثير هذه التغيرات في الهضم — نعرف بالاختبار ان بعض الذين يرتاحون لاكل اللبن عادة تعافهُ نفوسهم وتشمئز منهُ اذا اغلي وقد يمرضون اذا اكلوه · وسبب ذلك العامل النفسي لا تقل اهميتها وتأثيرها في الهضم عن اهمية جنس الطعام وتركيبهِ فعلى الطبيب ان ينتبه لها وهي تكون في الاطفال كما تكون في الشيوخ · ولكن اذا تركنا هذا السبب النفسي جانباً واعتبرنا اللبن نفسهُ فما من احد يشك في ان اغلاءهُ يسهل هضمهُ لان الحرارة تقوم ببعض وظائف الجهاز الهضمي فاصعب مواد اللبن هضماً المادة الجبنية واللبن يتجبن ويتكتل في المعدة كما يتجبن بفعل الجبنة فتتلبك المعدة اذا حدث التجبن فجأة فيها ويُحتاط لذلك باضافة فترات الصودا اليهِ قبل اكلهِ لان هذه المادة تؤخر تجبنهُ واذا نزعت منهُ املاح الجير التي تساعد على التجبن والتكتل كانت النتيجة واحدة كما لو اضيفت اليهِ فترات الصودا ويتم نزع هذه الاملاح باغلائهِ لانها ترسب منهُ عندئذٍ وكلما زاد الغليان زاد رسوبها · واذا اغلي الى ان يتجزأ اكثر مائهِ ويتجمد سهل هضمهُ جداً ولذلك تغتذي الاطفال الضعيفي الهضم باللبن المجمد · واحماء اللبن يسهل هضمهُ من وجوه اخرى

ولكن التمثيل واغتذاء الجسم غير الهضم · واغتذاء الجسم يقوم بتركيب اجزاء الطعام الذي تمّ بالهضم تركيباً يلائمهُ · ولا فرق بين اجزاء اللبن المغلي واجزاء اللبن غير المغلي بعد الهضم على ما نعلم · الا ان اللبن المغلي تنقصهُ بعض المواد التي لم يسمها العلماء حتى الآن ولكن فلنسمها هنا مضادة الاسكربوط · وهذه المادة تنحل بالغليان الى اجزاء صغيرة لا يقدر الجسم على تركيب المادة الاصلية منها ثانية · وقوة تركيب الاجزاء الصغيرة تختلف باختلاف الاشخاص · فمن الاطفال من تكون فيهم هذه القوة في منتهى الضعف ومنهم من تكون فيهم

قوية تتغلب على كل عقبة تعترض سبيلها . ونقصان الغذاء من قلة المادة المضادة للاسكربوط ينتهي بهذا المرض الذي يصيب الاطفال الذين تنمو اجسامهم وتحتاج الى كثير من تلك المادة وقلما يصيب البالغين الذين لا يلزم لاجسامهم الآما يعوض عن المادة المتدثرة بالعمل . ويشفى الاسكربوط باضافة بعض المواد التي تحتوي على المادة المضادة له كعصير البرتقال والعنب الى طعام المريض

ولا حاجة بنا ان نأتي بالبراهين على ان اغلاء اللبن لا يضر بقوة الاغتذاء في جسم الطفل او الحيوان الصغير الذي يقتات به . ففي باريس ونيويورك وبرلين ولندن الوف من الاطفال الذين يربّون على اللبن المغلي بدون اضافة المواد المضادة للاسكربوط اليه ومعدل الوفيات بينهم لا يزيد عما كان قبل ان شاعت عادة اغلاء اللبن . ومعدل الوفيات في ماريلبون احد احياء لندن نقص ستة في المئة عما كان من مضي اثني عشرة سنة واصبح من اقل المعدلات في لندن والناس في ماريلبون يغلون اللبن ولم يكن الأ القليلون منهم يفعلون ذلك من مضي ثماني عشرة سنة . فان كان اللبن المغلي لا ينقصه الأ المواد المضادة للاسكربوط فلماذا نكلف انفسنا العناء الكثير لكي نحصل على اللبن جديداً ولماذا لا يجمَّد او يركَّز في المقاطعات التي تصدره ثم يشحن منها في علب تكفل نظافتهُ وسلامتهُ . وقد كنتُ اعارض في اطعام الاطفال الاطعمة التي نسميها ميتة اما الآن فقد ثبت لي من اختباراتي واختبارات الدكتور نايش في شفيلد انها تأتي باحسن النتائج التي يأتي بها اللبن الجديد المغلي . ومن باب الاحتياط اللازم ان يضاف الى اللبن المجمد واللبن الجديد المغلي بعض المواد المضادة للاسكربوط وبعد اتخاذ هذا الاحتياط في تغذية الاطفال في الاحياء القذرة المزدحمة في المدن رأيت النتائج افضل من نتائج كل الوسائل التي استعملتها قبل ذلك . فما يمنعنا اذن من ان نتصدق طريقة توزيع اللبن بتجميده في المقاطعات التي يخرج منها ان السبب الوحيد في ذلك هو العادة والذوق « ولا جدال في الذوق » . ومن الغريب ان اميركا التي بذلت الالوف من الجنيهات في سبيل تنظيف اللبن ووقايته من الشوائب والاوساخ شاع فيها اغلاء اللبن حتى ان اكبر الدعاة الى مراقبة اللبن ووجوب اثبات نقاوته قبل عرضه للبيع يغلون لبنهم في الوقت الحاضر

موت الميكروبات بالحرارة — ولا خلاف في ان اللبن الجديد النظيف افضل من غيره وما من احد يعتقد ان اغلاء اللبن الفاسد يصيّره صالحاً للاكل . ولكن الخطر من تلوث اللبن بميكروبات الامراض كباشلس السل وميكروبات التعفن والاغلال كبير حتى

ان جميع اصحاب الخبرة في اميركا يقولون بوجوب اغلائهِ قبل تغذية الاطفال بهِ مهما بولغ ودقق في انتقائهِ والمحافظة عليهِ قبل ذلك

ومهما اعتني بلبن البقر لا يقل عدد الميكروبات في السنتيمتر المكعب منهُ عن ٥٠٠٠ الاَّ نادراً وهذا القدر هو مقياس نقاوتهِ في اميركا والقدر الذي تقاس بهِ نقاوة اللبن عند انتقائهِ هو ١٠٠٠٠٠ ميكروب في السنتيمتر المكعب . وفي اللبن الذي نشتريهِ عادة في لندن ما لا يقل عن ٣٣٧٠٠٠٠ في كل سنتيمتر مكعب الاَّ اذا أُغلي او أُضيفت اليهِ بعض المواد القاتلة للميكروبات وقد يرتفع ذلك العدد الى ٩٠٠٠٠٠٠ في فصل الحر

واكثر الميكروبات التي تعيش في اللبن لا تضر ولا تنفع ولكن قد يكون فيهِ ميكروبات مرضية مضرة . وما من لبن يمكن ان يكفل على انهُ خالٍ من ميكروب السل . وعلى ما اعلم ان ١١ في المئة من اللبن الذي يخمَّن توجد فيهِ ميكروبات هذا الداء فان كان في السل البقري خطر على صحة الانسان فهذا سبب كافٍ لوجوب اغلاء اللبن الى ان يموت ذلك الميكروب

واكثر الميكروبات في اللبن من الانواع الروبية اي التي تروّبهُ او تجعلهُ حامضاً . وهذه الانواع تنمو فيهِ وتمنع نمو الميكروبات الاخرى كالتي تفسدهُ مثلاً ويمكن ان تدر بأكلهِ . ولكن الميكروبات المضرة اشد صبراً على الحرارة من الميكروبات الروبية النافعة فاذا لم يحمَ اللبن الى الدرجة اللازمة ماتت الميكروبات النافعة وبقيت الضارة وهذا مما يستشهد بهِ على افضلية الامتناع عن اغلاء اللبن اما الدرجة التي تميت كل الميكروبات فهي ٦٢ بميزان سنتغراد (١٤٤ بميزان فارنهيت) اذا دامت عشر دقائق

اما درجة الحرارة التي يموت فيها ميكروب السل فلم تعلم بالتحقيق انما يعلم انهُ يموت عند الدرجة ١٧٠ بميزان فارنهيت اذا دامت الحرارة ١٠ دقائق او في درجة غليان الماء دقيقة واحدة

فالاعتراض على تحضير اللبن على طريقة باستور هو ان بعض الانواع التي تحلل اللبن وتفسدهُ تبقى حية ولو ماتت الانواع الاخرى وقد تسبب تسمماً وانحرافات في الامعاء . واوجه اعتراض على اغلاء اللبن هو ان طعمهُ ورائحتهُ يتغيران فتعافهُ نفوس بعض الذين لم يعتادوا شربهُ مغلياً . واللبن المغلي افضل من جهة الهضم ولكن تنقصهُ المواد المضادة للاسكربوط ويمكن ملافاة هذا النقص باعطاء الطفل شيئاً من عصير الاثمار . اما بعد عهد الطفولية فلا يترتب عليهِ ضرر لان طعام الولد يتنوع . اما خسارة اللبن لبعض المواد بالاغلاء كالمتكتلات والمواد الزلالية وغيرها مما يحتمل وجودهُ فيهِ قبل اغلائهِ فليس سبباً كافياً للاقلاع عنهُ . ويعلم بالاختبار ان الكبار يعيشون بدونها وان الصغار لا يتضررون من نقصها الاَّ نادراً . انتهى

فوائد منزلية

دهان البلادونا

يصنع من ثمانية اجزاء من الشحم وجزء من خلاصة البلادونا (المرأة الحسنة) ويستعمل لتخفيف الالم في داء المفاصل والخراريج

دهان الرصاص المركب

يصنع من ٦ اجزاء من الطباشير المتحصر و ٦ من الحامض الخليك المخفف و ٣٦ من الاسفيداج و ١٨ من زيت الزيتون يمزج الاسفيداج بالزيت على نار معتدلة و يضاف الطباشير اليه ثم الحامض و يترك المزيج حتى يبرد وهو يستعمل لتسكين الم القروح الملتهبة

دهان يوديد الرصاص

يصنع بمزج جزء من يوديد الرصاص بثمانية اجزاء من الشحم ويستعمل لتسكين الم المفاصل الملتهبة والغدد الخنازيرية

دهان يوديد الزيبق

يصنع بصهر جزئين من الشمع الابيض و٦ اجزاء من الشحم معاً ويمزج ذلك بجزء من يوديد الزيبق وهو يستعمل للقروح الخنازيرية

دهان يوديد الكبريت

يصنع بمزج جزء من يوديد الكبريت التام ستة عشر جزءا من الشحم ويستعمل دواء للجرب ونحوه من الآفات الجلدية

ازالة الملوحة من المرق

اذا زادت ملوحة مرق اللحم عرضاً او اذا سُلق فيه لحم مملح واردت ازالة الملوحة منهُ فالق فيهِ جزرتين مسلوقتين واتركهُ حتى يبرد فالجزرتان تمتصان اكثر الملوحة

الغسل بالبطاطس

اذا اسودت اليدان من مسك آنية سودتها النار سهل تنظيفهما بفركهما حينئذٍ بالبطاطس المسلوق ثم غسلهما بالماء السخن

اصلاح الزبدة الفاسدة

اذا فسدت الزبدة بطول المدة فاذبها واكشط القشدة عنها ثم ضع فيها كسرة خبز محمصة فبعد بضع دقائق تعود الزبدة صالحة

تنقية هواء غرفة المريض

اذا تعذَّر عليك فتح الكوى في غرفة المريض لتهويتها فضع فيها اناء واسعاً فيه ماء نقي ، وغيِّر الماء مرتين او ثلاثاً في اليوم فيصلح هواء الغرفة بذلك

اهمية الميكروبات في الزراعة

تتوقف جودة التربة على اركان عديدة اهمها خمسة وهي الغذاء والماء والحرارة ووصول الهواء الى الجذور وعدم وجود المواد والعوامل المضرة · وكل من هذه الاركان ضروري لحياة النبات واذا نقص احدها تعطَّل نموهُ

ومن مواد الغذاء الضرورية للنبات مركبات النيتروجين · والنبات ينتفع بالنيترانات اكثر مما ينتفع بغيرها من هذه المركبات وتلوها في الاهمية املاح النشادر · ولدينا من الادلة ما يؤكد لنا ان النبات لا ينتفع بالمركبات الكثيرة التراكيب من النيتروجين كالبروتين والبنتون حتى ولو كانت تذوب في الماء · واكثر مركبات النشادر في الارض من الانواع الكثيرة التركيب التي لا تذوب في الماء ولكنها تحل ببطء فتتأكسد الامونيا الناتجة من انحلالها ويتكون من تأكسدها النيترانات

ومن المعلوم ان النبات يزداد نموهُ اذا سمدت تربتهُ بالنيترانات وتوفرت لهُ اسباب النمو الاخرى اي ان التربة تصبح اجود اذا زدنا كمية النيترات فيها · ولزيادة النيترات واملاح النشادر طريقتان تقوم الاولى باضافة هذه المواد نفسها الى التربة او باضافة مواد اخرى تحل فتنشأُ عنها هذه الاملاح وتقوم الثانية بزيادة تولد الامونيا في التربة

وتتولد الامونيا في الاكثر بفعل الميكروبات وعليهِ فاذا وفرت لها اسباب الحياة كثرت وزاد عملها فازداد بذلك تولد الامونيا وجادت التربة · ويُتذرَّع الى تكثير الميكروبات التي تولد الامونيا بقتل اعدائها و يتيسَّر ذلك بتعقيم التربة تعقيماً غير تام · وازدياد الامونيا ملازم لازدياد الميكروبات بحيث لا يبقى مجال للشك في ان الاول نتيجة الثاني

وحتى الآن لم يتمكن احد من تعقيم التراب تعقيماً كاملاً مع ابقائهِ على حالهِ لكي نعلم تأثير

ذلك في النبات . ومن ما يُعرف انهُ اذا أُحمي التراب كثيراً الى درجة ١٧٠ بميزان سنتيكراد مثلاً صار اصلح من التراب غير المحمي لنمو النبات ولا يخفى ان التراب اذا وصل الى تلك الدرجة من الحرارة انحلت بعض اجزائهِ وكثرت فيهِ مركبات النيتروجين البسيطة القابلة للذوبان في الماء فتكون كثرة هذه المركبات السبب في ازدياد نمو النبات على رأي المستر رسل لا تقاوة التراب من الميكروبات . والشيء الضروري ثبات انما هو هذه المركبات النيتروجينية ولا فرق بين أن تتولد بفعل الميكروبات أو بعامل آخر غيرها

القطن المصري في جزائر الهند الغربية

جاء في مجلة جزائر الهند الغربية الزراعية ان زراعة القطن المصري المعروف بالسكاربدس جربت في قطعتين من الارض في مشترات من جزائر الهند الغربية في العام الماضي فظهر النبات اولاً طويلاً دقيقاً ولما عما كان مثل قطن السي ايلند في اوراقهِ وازهارهِ وامتاز باتساع حرجهِ . ولما فتح جوزهُ ظهر انهُ اقرب الى القطن الاميركي المعروف بالابلند منهُ الى السي ايلند . وبلغ المحصول من القطعة الاولى بمعدل ١٤٧٥ رطلاً للفدان اي اربعة قناطير و ٢١٥ رطلاً . ومن القطعة الثانية بمعدل ٩٣٠ رطلاً او نحو ثلاثة قناطير . وكان طول شعرة هذا القطن نحو عقدة ونصف ومتوسط التصافي ٩٩ ونصف وامم مميزاتهِ متانتهُ فانها كثيرة جداً والشعر غير المتين الذي يُطرح وقت مشطهِ اقل من ١٢ في المئة فهو اقل جداً عما هو في قطن السي ايلند ولكن لونهُ مثل لون السي ايلند تماماً

ومما يدهش في هذه التجربة ان متوسط محصول الفدان من قطن السي ايلند في جزائر الهند الغربية من قنطار وربع الى قنطار وثلاثة ارباع فقط ومتوسط خمس سنوات قنطار ونصف فاذا بلغ فيها محصول الفدان من القطن المصري ثلاثة قناطير الى خمسة فلا بدَّ من ان تعتمد عليهِ في المستقبل لاسيما وان تصافي القطن المصري تزيد كثيراً على تصافي القطن الاميركي فبينما نرى تصافي القطن المصري من ١٠٠ الى ١٠٧ نجد تصافي القطن السي ايلند ٨٠ رطلاً او اقل

المناظرة في زرع القطن

وردت الاخبار من بلاد الانكليز ان الحكومة الانكليزية وافقت على قرض حكومة السودان ثلاثة ملايين من الجنيهات لتنفق على اصلاح الزراعة فيهِ وتوسيع نطاقها . والقرض

الأكبر من ذلك توسيع زراعة القطن في السودان حتى لا تبقى معامل انكلترا متقيدة بأتيها من القطن الاميركي لان الاميركيين عازمون على تكثير معاملهم وتوسيعها حتى تغزل وتنسج كل القطن الاميركي او اكثره ٠ فاهتم سكان القطر المصري بهذا الخبر وخاف بعضهم من مناظرة السودان لهم في زرع القطن ٠ اما نحن فيظهر لنا انهُ لا خوف من هذه المناظرة على الاطلاق للاسباب التالية

فاولاً ان الحاجة الى القطن كبيرة جداً حتى اذا زاد المحصول مليون قنطار او مليونين او ثلاثة تناولتها المقطوعية كلها بدليل ان موسم القطر المصري يزيد او ينقص من سنة الى اخرى اكثر من مليون قنطار وموسم اميركا يزيد او ينقص اكثر من مليون بالة اي خمسة ملايين من القناطير

وثانياً ان زراعة القطن تقتضي عمالاً كثيرين فهي ليست مثل زراعة الحنطة التي يمكن ان تتم كلها بآلات تحرث الارض وتزرعها وتحصدها وتدرسها وتذريها ٠ بل لا بدَّ فيها من يد العامل للتخطيط والزرع والعزق والري والجمع ٠ فاذا اريد زرع مليون فدان فلا بدَّ لها من مليون عامل على الاقل او مليون عائلة ٠ وليس في السودان اكثر من نصف مليون عائلة فاذا فرضنا ان كل اراضيهِ صالحة لزرع القطن وان كل سكانهِ يعرفون كيف يزرعون القطن ويخدمونهُ وان كل اراضيهِ صارت تروى رياً صيفياً فلا يحتمل ان يزرع فيهِ اكثر من نصف مليون فدان ينتج منها مليونا قنطار على اوسع تقدير وهي لا تؤثر تأثيراً يذكر في مقطوعية القطن وسعره لاسيما وان ذلك لا يمكن ان يتم الاَّ بعد سنوات كثيرة

وثالثاً ان زرع القطن وخدمتهُ والنجاح في ذلك ليست من الامور السهلة فاهالي الوجه القبلي في القطر المصري لا يحسنون زرعهُ كاهالي الوجه البحري مع انهم متجاورون ٠ وفلاَّحان في حوض واحد لا يتقنان زرعهُ على حدٍ سوى ٠ وهذا شأن كل الاعمال التي يعتمد فيها على يدي الانسان فان اتقانها والمهارة فيها من الامور الشخصية

ورابعاً ان نبات القطن معرَّض لآفات كثيرة ولاسيما في البلاد التي يزرع فيها جديداً ولما كانت نفقات زرعهِ كبيرة متلفهُ بالآفات ينهك قوى المزارعين فلا يجرون التوسع في زراعتهِ الاَّ بالحذر التام

ولذلك كلهِ نرى ان البلدان التي حاول الانكليز زرع القطن فيها كجزائر الهند الغربية لم تتسع زراعتهُ فيها الاَّ قليلاً فقد كان محصول ما زرع منهُ في جزيرة سنت فنسنت ١٢٦٢ قنطاراً سنة ١٩٠٥ و٢٦٣٠ قنطاراً سنة ١٩٠٦ و ٤٢٧٨ قنطاراً سنة ١٩٠٧ و٤٥٩٣

قنطاراً سنة ١٩٠٨ و ٣٩٤٦ قنطاراً سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ و ٤٥٠٣ قنطاراً سنة ١٩١٠ . فالمقدار قليل والزيادة طفيفة تافهة مع اهتمام الحكومة الشديد بكل ما ينشط زراعتهُ هناك . واكبر الاسباب قلة النجاح وقلة التوسع في زراعة القطن قلة المال . وما قيل عن جزيرة سنت فنسنت يقال عن غيرها من جزائر الهند الغربية فان متوسط المحصول السنوي من زراعتهِ في برابادوز في السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١١ كان ٤٥٢٩٨ قنطاراً بلغ ثمنها وثمن بزرتها ٣١٠٥٣٧ جنيهاً. فاذا زاد محصول القطن المصري واحداً في المئة زيادةً تفوق موسم تلك الجزائر

المواشي المصرية الصالحة للتسمين

قال المستر مكول في كتاب الزراعة المصرية انهُ مضى على المواشي المصرية زمن طويل وهي تستخدم في الاعمال الزراعية اكثر مما مضى على غيرها في سائر البلدان ولذلك لاينتظر انا نزيد مقدرتها على العمل اذا مزجنا دمها بدم مواشي اخرى من بلدان اخرى . واذا اريد تربيتها للذبح فمواشي بعض البلدان تفوقها في مقدار اللحم ويحسن تجنيسها بها لهذه الغاية ولكن يخشى حينئذٍ من ان تكتسب صفة كثرة اللحم وتخسر صفة المقدرة على العمل الشاق فلا بد من الاعتناء التام في اختيار المواشي التي تجنّس بها لكي تكتسب ما يراد كسبهُ ولا تخسر ما تخشى خسارتهُ

ومنذ بضع سنوات جلبت المدرسة الزراعية في الجيزة من مواشي ابردين السوداء الجماء وجنّست بها بعض المواشي المصرية فجاء النتاج وفيهِ الصفات التالية

اولاً جاء لونهُ اسود مثل لون مواشي ابردين (ابردين انس)

ثانياً جاء اجم اي لا قرون لهُ مثل بقر ابردين

ثالثاً لم تأت عنقهُ وكتفاهُ قوية كالمواشي المصرية وقوة عنقها وكتفها تجعلها اصلح من غيرها لاعمال الزراعة

رابعاً زاد انخفاض الظهر وهذا الانخفاض من الامور التي تضعف المواشي المصرية

خامساً لم يزد مقدار اللبن او نقص

سادساً نقصت الصفات اللازمة للعمل ولكن زاد الميل الى السمن

ودلّت هذه التجارب على ان صفات مواشي ابردين ارسخ من صفات المواشي المصرية وان الصفات اللازمة للعمل نقصت بهذا التجنيس ولم تزد لان مواشي ابردين تمتاز بسمنها لا بعملها

اما الصفات اللازمة للمواشي لتكون صالحة لاعمال الزراعة فقد ذكرناها في الجزء الماضي . واما الصفات اللازمة لتسمين المواشي او ليكون من ذبحها ربح للذين يربونها فهي ان تكون اولاً سليمة من كل آفة لانهُ لا فائدة من تسمين العجل او الثور اذا لم يكن سليماً من كل مرض . فان علف المواشي غالي الثمن فلا يكون منهُ ربح اذا علف به حيوان مريض لا يسمن . واذا كان الحيوان مريضاً فالاربح لك ان تبيعهُ هزيلاً من ان تحاول تسمينهُ

والعجل الصالح لأن يُسمَّن يكون جسمهُ شبيها شكل مستطيل متوازي الاضلاع قائم الزوايا وكل عجل يخالف شكلهُ هذا الشكل لا يصلح تسمينهُ . والعجل الدقيق العظام اصلح للتسمين من العجل الثخين العظام . وعجول الوجه القبلي اصلح للتسمين من عجول الوجه البحري لان عظام الاولى ادق من عظام الثانية

والصفات التي تجعل العجل غير صالح للتسمين هي

اولاً عدم انتظام شكلهِ

ثانياً انخفاض ظهرهِ او كونهُ دقيقاً من الاعلى حتى يظهر شكلهُ كالاسفين

ثالثاً كبر اطرافهِ وكونها ثقيلة مستديرة

رابعاً طول رقبتهِ ودقتها وكبر رأسهِ او ضيقهُ

خامساً نشوه فمهِ

سادساً ضيق حفرتهِ الدال على ضعف رئتيهِ

سابعاً استواء اضلاعهِ وتقوس ظهرهِ

ثامناً التجوف الكثير في حقويهِ

صادرات القطن

يظهر من مقدار القطن الذي وصل الى الاسكندرية حتى آخر يناير ان موسم هذا العام لا يقل عن موسم سنة ١٩١١ بل قد يزيد عليهِ هذا اذا لم يكن المزارعون قد عجلوا في بيع اقطانهم الآن اكثر مما عجلوا منذ سنتين فقد بلغت الواردات الى الاسكندرية والصادرات منها حتى آخر يناير ما تراهُ في الجدول التالي وقد ذكرنا واردات هذا الموسم وصادراتهِ وواردات الموسم السابق والذي قبلهُ وصادراتهما

	من الموسم الحاضر	الموسم السابق	الموسم الذي قبله
الواردات	٦ ٧٩٨ ٠٤٨	٥ ٧٩٨ ٧٥٢	٦ ٦٠٩ ٩١٧
الصادر منها الى انكلترا	٢ ٤٣٢ ٠٨٧	٢ ١٥٠ ٧٠٠	٢ ٣٨٦ ٣٧٤
« « سائر اوربا	١ ٦٥٤ ٧٢٠	١ ٤٨٦ ١٣٧	١ ٧٩٨ ٠٤٨
« « الى اميركا	٦ ٤ ١٣٩	٣١٦ ٧٥٩	٦ ٢ ٧٥٤
جملة الصادر	٤ ٦٩ ٩٤٦	٣ ٩٥٣ ٥٩٦	٤ ٧٨٧ ١٧٦
الباقي في الاسكندرية	٢ ٤٥٧ ١٠٢	٢ ١٦٠ ٦٨٠	٢ ١٠٥ ٠٤١

واذا ثبت ان موسم اميركا لا يزيد على ١٣ مليونًا ونصف مليون من البالات فيزيد الطلب على القطن المصري رويداً رويداً حتى يستنزف الموسم كلهُ ولا يبقى في الاسكندرية في آخر اغسطس المقبل الاّ كما كان فيها في آخر اغسطس الماضي

كتاب الامير

تأليف نقولا مكيافلي

لمكيافلي مذهب سياسي مشهور عند اهالي اوربا مبنيٌّ على ان الغاية تبرر الواسطة . وكتاب الامير اشهر كتبهِ وقد بسط فيهِ مذهبهُ هذا فقال « ان الاساس المتين في حكم البلاد الحرَّة بعد فتحها هو تخريبها وتدميرها فان لم يهلكها الفاتح اهلكتهُ » وقال « اذا كانت البلاد جمهورية فتخريبها خير وسيلة لامتلاكها »

وقال في مدح قيصر بورجيا بن البابا اسكندر السادس انهُ « كان يخشى ان ينقلب خليفة البابا عليهِ بعد موتهِ فاتخذ لاتقاء هذا الخطر اربع وسائل الاولى اهلاكهُ سائر فروع الاسر المالكة التي اغتال عروشها ليسد الباب في وجه البابا اذا اراد ترشيح احدها الى عرش آبائهِ . الثانية اكتساب مودة نبلاء رومة ليتمكن بصداقتهم من ارهاب البابا . الثالثة حصولهُ على ما استطاع من النفوذ على القسيسين . الرابعة الوصول في حياة البابا والده الى درجة من البطش تمكنهُ من مقابلة الصدمة الاولى بمفردهِ ومقاومتها جهدهُ . وقد اتمّ ثلاث وسائل

من تلك الارض قبل موت البابا والدو واوشك ان يتم الزامة لانهُ قضى على مَن طالته يده من الامراء المخلوعة وقليل منهم فرّ من يدو واكتسب رضى اشراف الرومان وكان لهُ في الكلية الدينية نفوذ عظيم » . ثم قال بعيد ذلك ان اعمال قيصر بورجيا « ينبغي ان تكون نبراساً لمن يصلون الى الملك بالحظ او بالاعتماد على قوة الغير لانهُ كان ذا نفس كبيرة ومقصد سامٍ ولم يكن يستطيع ان يسلك في الحكم سبيلاً سوى الذي سلك . . فمن يريد في مُلك جديد ان يتقي الاعادي ويكسب مودة الاصدقاء ويقهر بالقوة او الخديعة ويحبب نفسهُ للشعب ويلقي في فؤاد الناس رهبة ويطيعهُ الجند ويحبهُ وان يهلك من يستطيعون ايذاءهُ وان يدخل الاصلاح في العادات والرسوم القديمة وان يكون قوياً تارةً وشفيقاً طوراً وان يكون عظيماً وكريماً قديراً على فناء جيش قديم وخلق جيش جديد وان يحافظ على ود الملوك والامراء بحيث يفرحهم ان ينفعوهُ ويخيفهم ان يؤذوهُ من يريد ذلك كلهُ فعليهِ ان يتبع اعمال الدوق ويقلدهُ »

وقال في الفصل الثامن « ان الفاتح الجديد ينبغي لهُ في اول امرهِ ان يقترف ما اراد من صنوف القسوة مرة واحدة بحيث لا يحتاج الى العودة اليها مراراً »

وقال في الفصل الرابع عشر « لا ينبغي للامير ان يكون لهُ مقصد او فكر او يعني بدرس امر سوى الحرب ونظامها وترتيبها لانها الصنعة الوحيدة الضرورية للذي يأمر وينهى » وقال في الفصل الخامس عشر « يجب على الامير ان لا يخشى عار المعايب التي يصعب عليهِ بدونها الاحتفاظ بالملك » وقال في الفصل الثامن عشر « لا يخفى على احد ما يلحق الامراء من الثناء اذا اشتهروا بحفظ الوعود ومراعاة العهود ولكن تجارب زماننا هذا دلّت على ان الامراء الذين لم يراعوا العهود قاموا باعمال كبيرة وتمكنوا من تحيير اوهام الناس بمكرهم وتغلبوا في نهاية الامر على الامراء الذين اتخذوا الامانة عادة والوفاء اساساً لحياتهم »

هذا مذهب مكيافلي السياسي وهو اول باحث اوربي بعد ارسطوطاليس بحث عن قواعد السياسة بحثاً علمياً مبنياً على الاستقراء لكنَّ استقراءهُ ناقص جداً لا يصحُّ بناء الاحكام عليهِ وهو نفسهُ كان يجب ان يرى ان الامراء الذين نجحوا بالمكر والخداع والقسوة مثل قيصر بورجيا لم ينشئوا ممالك وطيدة الاركان ولا طال ملكهم

وليس الكتاب كلهُ على هذا النسق بل فيهِ حسنات كثيرة تربو على السيئات وقد عرّبهُ حضرة المنشئ المجيد محمد افندي لطفي جمعه ويقيننا انهُ احتفظ بكل معاني المؤلف ولكننا نأسف على الوقت الذي اضاعهُ في تعريبهِ لان ما فيهِ من حسنٍ معروف مشهور او مبتذل

وما فيهِ من قبيح مؤَّداهُ بامثلة تعوي اهل السلطة وتحبب اليهم العمل بهِ ونحن في حاجة شديدة الى مَن يعلّم اهل السلطة ما انهم خدَّام الرعية مستأجرون عاملها ويجب عليهم ان يبذلوا قوام كلها في خدمتها بالصدق والامانة والاستقامة لا مَن يعلّمهم ان الاساس المتين في حكم البلاد الحرَّة بعد فتحها هو تخريبها وتدميرها · وعندنا ان شر الملوك والامراء والولاة والحكام هم الذين يجرون على سياسة مكيافلي هذه

KITAB AL-ANSAB

Reproduced in facsimile from the Manuscript in the British Museum.
With an introduction by Prof. D. S. Margoliouth, D Litt.

كتاب الانساب للسمعاني

نُقل بالفوتوغرافيا عن نسخة خطية في المتحف البريطاني واعتنى بنقلهِ الاستاذ مرغليوث استاذ العربية في جامعة اكسفرد وطُبع على نفقة تذكار جب

وقد قدَّم لهُ الاستاذ مرغليوث مقدمة انكليزية وجيزة ذكر فيها المراد بالانساب واشتهار بعض المؤلفين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي حتى دعت الحال الى تعريف الرجال بانسابهم · وكتاب الانساب هذا وضعهُ السمعاني في اواسط القرن السادس الهجري · ثم ذكر الاستاذ مرغليوث نسب السمعاني وترجمتهُ والكتب المنسوبة اليهِ

والكتاب كبير الحجم جدًّا فيهِ اكثر من الف وستمائة صفحة وهو مطبوع على ورق من اجود انواع الورق طبعًا حسنًا جدًّا منطبقًا على الاصل الذي نُقل عنهُ بالفوتوغرافيا · فمن يراهُ كمن يرى النسخة الاصلية التي نُقل عنها · والظاهر انهُ تناوب على كتابتهِ اكثر من خطاط واحد فان بعضهُ مكتوب بالقلم النسخي وبعضهُ بالقلم الفارسي وبعضهُ بقلم يشبه الرقعة · والاعلام في بعضهِ مكتوبة بحرف غليظ قليلًا او كثيرًا حتى تمتاز عن سائر الكتاب وفي البعض الآخر بحرف ما يليها فلا تمتاز عنهُ لكن المستر الس عاون الاستاذ مرغليوث فوضع دوائر صغيرة تجاه كل سطر تبتدئ فيهِ ترجمة رجل من المترجمين

ويظهر لنا ان خط هذا الكتاب حديث لا فائدة علمية من الاحتفاظ بهِ كما لو كان قديمًا من القرن الثالث او الرابع او الخامس فنشرهُ بالصورة التي وجد فيها في المتحف البريطاني يغني سائر المكاتب عن اقتنائهِ ولكنهُ يتعب الباحث في انساب مشاهير العرب لان مطالعتهُ ليست سهلة كمطالعة الكتب المطبوعة وحبذا لو تفضلت الحكومة المصرية وطبعتهُ ثانية

على نفقتها في المطبعة الاهلية بحروف الطباعة حتى يعم نفعهُ قراء العربية

هذا وانا نقدم الشكر الجزيل الى حضرة الاستاذ مرغوليوث على هذه التحفة النفيسة ولامناء تذكار جب الذين افادوا ابناء العربية بما نشروهُ لهم من الكتب الثمينة

HISTORY OF DAMASCUS
363 – 555 a. h.
by IBN AL-QALANISI
Edited with Extracts from other histories and Summary of contents
by H. F. AMEDROZ

ذيل تاريخ دمشق

لابي يعلى حمزة ابن القلانسي

ويتلوهُ نخب من تواريخ ابن الازرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي

ان من يضطرهُ سوء طالعهِ الى مطالعة الكتب التاريخية التي طبعت في المطابع المصرية بحروفها القديمة وطبعها السقيم كابن الاثير وابن خلكان ثم يطلع على ذيل تاريخ دمشق هذا يود ان يعاد طبع تلك الكتب كلها في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت او ما يماثلها من المطابع المصرية الحديثة كطبعة المقتطف

ويبتدئ هذا التاريخ سنة ٣٦٣ للهجرة وينتهي سنة ٥٥٥ فيشمل حوادث مئتي سنة تقريباً . ومدارهُ على حوادث دمشق وبلاد الشام عموماً في هذه المدة مع الاشارة الى حوادث بغداد ومصر وهو منقول عن نسخة خطية في مكتبة جامعة اكسفرد كتبت سنة ٦٢٩ ويرجح انها وحيدة لا ثاني لها ولكن ينقصها ١١ ورقة من الاول وقد طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

وسنعود الى هذا التاريخ ونقتطف بعض فوائدهِ ونتحف قراء المقتطف بها

KITAB AL-WUZARA BY HILAL AL-SABI

تاريخ الوزراء

تأليف ابي الحسن الهلال بن المحسن بن ابرهيم الصابي

هذا الكتاب ايضاً مما طبعهُ المستر امدروز في المطبعة اليسوعية ببيروت وهو كما يدل اسمهُ تاريخ لنوادر الوزراء بدأهُ مؤلفهُ بابن الفرات وختمهُ بابن سودمند الذي تولى الوزارة سنة

٣٩٤ . والكتاب كثير الحشو يتيهُ فيهِ مَن يطالعهُ لكن المستر امهروز لخصهُ بالانكليزية في نحو اربعين صفحة

تاريخ الخلفاء

هو تاريخ مختصر لخلفاء الراشدين والامويين في دمشق والاندلس والعباسيين في بغداد والقاهرة والفاطميين والعثمانيين تأليف حضرة محمد بك صالح شنوات رئيس قلم ادارة عموم المدن والمباني في نظارة الاشغال العمومية سابقاً . وقد وضعهُ باللغة الفرنسوية وترجمهُ الى العربية وهو مختصر يقع في نحو مئة وستين صفحة

العلاج الجراحي

« تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب»

هو كتاب مفيد للطبيب والجراح يتصل البحث فيهِ الى زماننا الحاضر . والظاهر ان غرض حضرة معربهِ ان يتحف العربية بكل ما يستطيع تعريبهُ من الكتب الطبية وهو غرض حميد لذاتهِ ولكنهُ يعلم ان الاطباء كلهم يعرفون الانكليزية او الفرنسوية او كلتيهما وانهُ لا تنفق ربع اتساع من كتاب طبي يطبعهُ وينشرهُ حتى يمسي قديماً لدى الاطباء وتجدُّ كتب كثيرة في موضوعهِ فالتعب الذي يتعبهُ في التعريب والطبع لا يقدم عليهِ الأ ذو سعة يسهل عليهِ الانفاق من غير حساب . وكيفما كانت الحال فسعيهُ حميد مشكور

التشريح الجراحي

« تأليف فردريك ترفس وارثركيث وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب » وهو كالكتاب السابق في دقة بحثهِ والوصول فيه الى زمننا الحاضر . وقد استغربنا من حضرة المعرب ذكرهُ اسمهُ مع لقبهِ وصورتهِ واغفالهُ القاب المؤلفين فان فردرك ترفس احد مؤلفي هذا الكتاب هو السر فردرك ترفس جراح ملك الانكليز ورئيس جامعة ابردين وقد كان استاذ التشريح والباثولوجيا في مدرسة الجراحين الملكية وهو رئيس معهد الراديوم ولهُ مؤلفات كثيرة طبية

وارثركيث هو الدكتور ارثركيث استاذ التشريح في مدرسة الجراحين الملكية ولهُ مؤلفات في علم الاجنَّة والمرفولوجيا

وقس على ذلك مؤلفي الكتاب الاول الاستاذ البرت كارلس استاذ الجراحة في مدرسة الملك والاستاذ وليم روز استاذ الجراحة فيها

باب الصناعة

بعض انواع الصابون وكيفية عملها

الصابون العوّام — خذ اربع مئة وعشرين رطلاً من زيت جوز الهند وثلاثين من زيت القطن المبيض وخمسين من القلفونة ومئة من زيت الزيتون ومئة وعشرين من الشحم واغلها مع ٣٦٠ رطلاً من ماء القلي الخفيف ثم زد كثافة هذا الماء تدريجاً الى ان تبلغ ٤° بمقياس بومه . فاذا امتزجت هذه الاجزاء وعقدت قليلاً اضف اليها اربعمئة رطل من بزر حشيشة البراغيث واعد اغلاءها الى ان يصير المزيج كالعجين و ينفصل عن الخلقين فتضيف اليه الطيوب وشيئاً من مسحوق كربونات الصودا فيتولد الحامض الكربونيك و يقلّ الصابون فتتكون فيه فراغات تقلّل ثقله النوعي فيطفو عند ما يوضع في الماء

صابون السكر - خذ مئة جزء من دبس السكر قبل ان يصفّى وسخنه في خلقين ثم حركه واضف اليه ٣٨ جزءا من الصودا المكلسة واستمر على تحريكه الى ان تذوب الصودا تماماً . ثم اضف اليه مئة جزء من الحامض الزيتيك ولكن ذلك بتأنٍ لكي يخرج الحامض الكربونيك الذي يتولد بعد ذلك . فاذا انتهيت من هذا ارفع الحرارة واغل المزيج الى ان يصير في الدرجة المطلوبة من الصلابة

صابون السكر وزيت جوز الهند — يصنع بمذوب الصودا الكاوية في دبس السكر بعد ان يحلى واضافة زيت النارجيل بعد احمائه الى ١٦٧° فارنهيت . والمئة جزء من دبس السكر ومثلها من زيت جوز الهند يصنع منها ٤٠٠ جزء من الصابون الصلب الجيد واذا استبدل هذا الزيت بادهان اخرى وجب ان يغلى المزيج اكثر

صابون سلكات الصودا — وهو صلب — امزج مئة رطل من زيت جوز الهند مع مئتي رطل من ماء الصودا الذي كثافته ٣° بميزان بومه واغلِ المزيج الى ان يزول الزبد كله . ثم اضف الصودا المكلسة شيئاً فشيئاً الى ان تتأكد ان الصابون قد كملت اجزاؤه ونضج . والسبيل الى معرفة ذلك ان تأخذ منه كتلة بقدر الريال فان جمدت وظهر على دائرها لون ضارب الى الزرقة فقد نضج الصابون . وتُمد ٦٠ رطل من ماء سلكات الصودا من عيار ٣٦° الى ٣٨° بومه . وتمزج من ١٨ الى ٢٠ رطلاً من الغليسرين غير النقي مع ٥٠ رطلاً من ماء الصودا من عيار ٢٠° بومه وتضيف هذا المزيج الى الصابون وهو يغلي على نار خفيفة .

ثم تضيف ماء سلكات الصودا شيئاً فشيئاً الى ان يفرغ ما قد اعددتهُ منها كما تقدم فان بقي الصابون ليناً فعالجهُ بالصودا المكلسة الى ان ترى اللون الازرق على دائر الكتلة كما تقدم

صابون سلكات البوتاس — وهو لين — يعمل بمزج مئة رطل من زيت جوز الهند ومئتين من ماء الصودا من عيار ٣٠° بومه . وبعد اغلاء هذا المزيج يضاف اليهِ مئتا رطل من سلكات البوتاسا تدريجاً ثم ماء البوتاسا من عيار ٣٠° بومه الى ان يصير قوامهُ كقوام الصابون اللين العادي . وهذا النوع من الصابون والنوع الذي قبلهُ يستعملان في غسل الصوف وصبغ المنسوجات القطنية وغيرهما من اغراض الصناعة

صابون الرمل — تأخذ خمسين رطلاً من زيت جوز الهند ومئة من ماء الصودا من عيار ٣٠° بومه وتبدأ بمعالجتها كما تعالجها في انواع الصابون الاخرى ونغليها بالملح وتصلبها بالصودا المكلسة ثم تغطيها وتتركها بضع ساعات فاذا برد الصابون ترفع الغطاء عنهُ وتنزع ما طفا عليهِ وتسكبهُ في ارض التقطيع . ثم تضيف اليهِ خمسين رطلاً من الرمل الابيض الجاف على الطريقة الآتية . يأتي رجل بمشط كبير مثل المشط الذي يستعمل لتمهيد الارض للزراعة ويأخذ بامرارهِ على الصابون ذهاباً واياباً بينما يأتي رجل آخر بالرمل ويذرهُ على الصابون بالمنخل . ويعطر هذا الصابون بثلاثة ارطال من زيت اللاوندة ورطلين ونصف من زيت الصعتر ورطل ونصف من زيت الكمون . ويجب ان يستمر على تحريكهِ بالمشط كما تقدم الى ان يشتد قوامهُ ويبدأ بالتصلب

صابون اللوز المرّ — طريقة لصنعهِ بدون نار — امزج ١٧٥٠ جزءا من زيت جوز الهند و٧٥٠ من الدهن مع ١٢٥٠ جزءا من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه واضف الى ذلك ١٧ جزءا من زيت اللوز المر و ٢١ جزءا ونصفاً من زيت البرغموت

صابون العائلة — تمزج ٢٥٠ جزءا من زيت جوز الهند بمائة جزء من ماء الصودا من عيار ٣٠° بومه وتطيبهُ باربعة ارطال من زيت البرغاموت واربعة ارطال من زيت الكاسيا ورطلين من كل من زيت الليمون والساسفراس

صابون الغليسرين اللامع الشفاف — تأخذ ٥٠١ جزءا من الماء و٣٠٠٠ من السكر و٥٧٠٠ من الغليسرين و٤٨٠٠ من زيت الخروع و٦٦٥٠ من كل من زيت جوز الهند والشحم و٨٣٠٠ من ماء القلي من عيار ٤٠° بومه و٣٥٠٠ من الكحول و ١٥ من العطور وتعد خلقيناً مزدوجاً يحمى بالبخار وفيهِ آلة التحريك وبعد ان تسخن هذه المواد اضف اليها الكحول وغطِ الخلقين وادر الآلة المحركة . فاذا امتزجت هذه المواد جيداً اوقف الآلة

الحركة والبخار . وبعد ست ساعات الى ثماني ساعات اضف الطيوب واتركهُ الى ان تنزل حرارتهُ الى ١٣٠° او ١٣٣° فارنهيت . ثم امكثهُ واحتل لتصليبهِ باسرع ما يمكن فيأتي الصابون لامعاً . ويمكن استبدال بعض الغليسرين بماء السكر فيتوفر بذلك شيء من النفقة . ويفضل ان تمزج الادهان بماء الصودا جيداً قبل ان يضاف اليها ماء السكر والغليسرين وسائر الاجزاء والأ فقد يأتي الصابون كدراً

صابون الغليسرين الشفاف — سخن ١٢٠٠ جزء من زيت جوز الهند والف جزء من الشحم و ٦٠٠ جزء من زيت الخروع الى ١٨٠° فارنهيت واضف الى ذلك ٦٠٠ جزء من الغليسرين ثم ١٥٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية سخناً ومثتي جزء من الكحول فتمتزج هذه الاجزاء بعضها ببعض . ثم غطِّ الخلقين ليمتنع تبخر الكحول واسكب في الصابون ٥٠٠ جزء من محلول السكر على نسبة جزء من السكر النقي لكل جزئين من الماء المقطر واحم هذا المحلول الى ١٦٥° فارنهيت وحركهُ الى ان يمتزج بالصابون وهذا النوع لامع وارخص من باقي الانواع

طريقة اخرى لعمله — اصطنع صابوناً من عشرة اجزاء من زيت جوز الهند وعشرة من ماء الصودا الكاوية السخن من عيار ٣٠° بومه واحفظهُ الى حين الحاجة اليهِ . ذوّب ٢٤٠٠ جزء من هذا الصابون في ٧٠٠٠ جزء من ماء الملح النقي من عيار ١٣° الى ١٥° بومه واضف ٥٠٠ جزء من البوتاس من عيار ٩٦° بومه وسخن هذه المواد كلها الى ١٦٧° فارنهيت . ثم اضف ١١٥٠ جزءاً من الكحول من عيار ٩٥ بالمئة وغط الخلقين الى ان ترسب الاوساخ جميعها . واحفظ هذا المركب في آنية زجاجية محكمة السد الى حين الحاجة . و ٣٠ او ٥٠ بالمئة من هذا المركب تكفي لعمل ٥٠٠٠ جزء من الصابون

صابون اليود — يستعمل لحمامات اليود ويظن انهُ ينفع في بعض الامراض الجلدية — ويعمل بدون استعمال النار كما يلي . يمزج ٢ رطلاً من زيت جوز الهند مع ١٠ ارطال من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه . فاذا تم اتحاد هذه الاجزاء وصارت صابوناً اضف اليهِ ثلاثة ارطال من يوديد البوتاس محلولة في اربعة ارطال من الماء

صابون الليمون — يمزج الف جزء من زيت جوز الهند مع ٥٠٠ من ماء الصودا من عيار ٤٠° بومه واربعة اجزاء من كل من زيت الليمون وزيت البرغموت . ولون هذا الصابون اصفر خفيف

صابون الزنبق - يصنع من ٣٠٠٠ جزء من صابون الشحم الاصفر و٣٠٠ من النشا

و١٦ جزءا ونصف من زيت البرغموت و٦ اجزاء ونصف من زيت الجرانيوم وجزء ونصف من زيت الكاسيا و ¾ الجزء من زيت خشب الصندل و٣ اجزاء وثلث من كل من زيت الارز وصبغة المسك وصبغة فول تونكا

صابون الخزام — يعمل من ٥٠٠ جزء من صابون الشمع الاصفر و٤٠٠ جزء من النشا و١١ جزءا ونصف من الخزام وجزء ونصف من زيت الورد التركي الاصلي و٥ اجزاء من زيت الجرانيوم و٣ اجزاء وثلث من روح السوسن وجزئين من زيت اللوز المر و٥ اجزاء من صبغة المسك وعشرة اجزاء من صبغة الميعة (الاصطرك)

صابون المسك — يعمل بدون نار من ٢٠٠٠ جزء من زيت جوز الهند و ١٠٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه و١٠ اجزاء من صبغة المسك و ٦ اجزاء من زيت البرغموت و ٣ اجزاء ونصف من زيت الليمون . ولونهُ سنجابي

صابون الخمان — يعمل من ٢٠٠٠ جزء من زيت جوز الهند و١٠٠٠ جزء من ماء الصودا من عيار ٤٠° بومه يضاف اليها ٥٠٠ جزء من مسحوق زهر الخمان وتحرك جيداً ثم تسكب وتطيب بجزئين من زيت الكاسيا وثمانية اجزاء من زيت البرغموت وجزء من زيت كبش القرنفل وجزء من زيت اللاوندا

صابون الورد — يصنع من ٢٠٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه وثمانية اجزاء من كل من زيت الجرانيوم وزيت البرغموت ونصف جزء من زيت الورد وجزء وربع من صبغة المسك

صابون الرز — يصنع من ٢٧٠٠ جزء من صابون الشمع الاصفر واربعمئة جزء من النشا و ٣ اجزاء وثلث من زيت الجرانيوم و٥ اجزاء من روح العار و٥ اجزاء من زيت البرغموت و ٣ اجزاء وثلث من روح حصى اللبن و ½ الجزء من صبغة البيرو بن الملونة بالاحمر او الابيض وثمانية اجزاء من الزنجفر

صابون الادهان — تعمل انواع الصابون اللين التي تستخدم عادة لغسل الايدي والوجوه من الدهن وماء البوتاسا الكاوي من عيار ٣٠° بومه . يذوب الدهن في وعاء في حمام ماء حار ويصب عليه ماء البوتاسا ببطء وتأنٍ ويحرك المزيج جيداً حين سكب البوتاس . ثم يخبط الى ان يصير لونهُ كلون اللؤلؤ فيضاف اليهِ ثلاثة اجزاء من ماء البوتاسا وجزء من ماء الصودا فيصبح منظرهُ جميلاً . وفي اثناء العمل تضاف الطيوب والمواد الملونة الى الصابون بعد ان تذوَّب في الكحول . وانواع صابون الادهان نافقة اكثر من غيرها لملاءمتها لحاجات الناس العادية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) استعمال اليد اليمنى

ولكسبرو بسلفانيا . الخواجه حنا يوسف نصر . ماذا اضطرَّ الانسان الى استعمال يده اليمنى غالباً دون اليسرى ولماذا لم يستعمل يديهِ على حدٍّ سوى

ج . ان الانسان يستعمل يديهِ معاً ولكنهُ يفضل استعمال اليمنى على اليسرى حينما يستعمل واحدة منهما وفي هذه القضية امران الاول استعمال يد واحدة في بعض الاعمال والثاني كون هذه اليد هي اليمنى لا اليسرى اما الامر الاول اي استعمال يد واحدة فالداعي اليهِ الاقتصاد في العمل والدقة . فاذا امكننا ان نعمل عملاً بيد واحدة فليس من الاقتصاد ان نعملهُ باليدين معاً ثم ان الاعمال الدقيقة كالكتابة والتصوير تقتضي استعمال يد واحدة لا اثنتين معاً واذا كانت غير دقيقة كضرب الصخور بالمطارق ودفع السفن بالمجاذيف فانَّنا نستعمل فيها اليدين معاً . وقد ذكر البعض عللاً تشريحية لاتفاق الناس كلهم على استعمال اليد اليمنى دون اليسرى ولكن المرجح الآن ان ابتداء الناس باستعمال اليد اليمنى حينما ارادوا ان يستعملوا يداً واحدة كان عرضاً ثم رسخ الاعتياد عليها بالوراثة . راجعوا الفصل المتعلق بذلك من خطبة الاستاذ اليوت سمث في الصفحة ٩٤٤ من جزء دسمبر الماضي

(٢) قاموس عربي انكليزي وانكليزي عربي

مصر . محمد افندي حسن . ما هو احسن قاموس من العربي الى الانكليزي ومن الانكليزي الى العربي

ج . لا نعرف غير قاموس ورتبات وبورتر المطبوع في مطبعة المقتطف . اما سؤالكم الآخر عن المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهل تصلح لكم فنجيب انها تصلح ولا بد من ان تستفيدوا من دخولها

(٣) عقر البغال

كوبلت باميركا . الخواجه الياس زغيب . لماذا لا تلد البغلة كباقي اناث الحيوان

ج . ان البغال متولدة بين الحمير والخيل كما لا يخفى فتأتي اعضاء التناسل فيها ممتزجة

من اعضاء الخيل واعضاء الحمير كما ان شكلها وجسمها ممتزجان من شكلي الخيل والحمير وجسميهما . والظاهر ان هذا الامتزاج يجعل اعضاء التناسل غير صالحة للقيام بوظيفة التوليد . هذا هو الغالب ويحدث احياناً ان تولد البغلة وصفات امها متغلبة على صفات ابيها فتكون اعضاء التناسل فيها مماثلة لاعضاء التناسل في امها فتلد حينئذٍ كما تلد الخيل . وقد شاهدنا بغلة على هذه الصورة كانت عند عمر باشا لطفي بمصر وولدت فلواً وكانت اشبه بالخيل منها بالحمير والبغال

(٤) مرض دود القز

ومنهُ . نسمع كل سنة ان دود القز اصيب بمرض الفلة . فما هو هذا المرض أوَلا يوجد علاج لما يصاب بهِ الدود وكتاب يمكن الاعتماد عليهِ في معالجة مرضهِ

ج . قد وصفت الامراض التي تصيب دود القز وصفاً وافياً في المقتطف في المجلد التاسع منهُ . ويقوم العلاج بفحص الفراش بالميكرسكوب قبل اخذ البزر منهُ . ويؤخذ البزر من الفراش السليم فقط ثم يفحص البزر بالميكرسكوب قبل تفقيسهِ ويربى دود البزر السليم فقط . ولا بدَّ من تطهير كل الادوات التي تستعمل لتربية الدود من الاطباق والطوائل ونحوها قبل تربيتهِ عليها . فاذا استعملت هذه الوسائل كلها حق استعمالها فالمرجح ان الدود يسلم من الامراض

(٥) تحنيط المصريين

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان في المتحف البريطاني ملكاً محنطاً من الفراعنة لا يزال في حالتهِ الطبيعية واذا كان الامر كذلك فلماذا ترك الناس صناعة التحنيط ولا يستعملونها لتحنيط موتاهم

ج . ان في المتحف البريطاني وغيره من المتاحف اجساماً كثيرة محنطة ولكنها سوداء يابسة غالباً . وعند المحدثين طرق للتحنيط احفظ لاجسام الموتى من طرق المصريين . ولكن اهتمام الناس مصروف الآن ليس الى حفظ اجسام الموتى بل الى اتلافها وملاشاتها ان امكن حتى لا تملأ الدنيا بها وقد اعادوا طريقة حرق الموتى حتى لا يبقى من الجسم الا حفنة صغيرة من الرماد

(٦) الزيت والامواج

الاسكندرية . الخواجه ميشل جرجس عاد . لدى تصفحنا اليوم تلغرافات جريدتكم المقطم عثرنا فيها على سكب ربان الباخرة « ملتك » الزيت فوق الامواج فاستغلق علينا فهم النتيجة التي تحصل من عمله هذا فترجو ان تشرحوا لنا ذلك على صفحات المقتطف

ج . عُلم من قديم الزمان انهُ اذا صب الزيت على الماء انتشر على سطحهِ وقلَّل تموجهُ وقد ذكرنا ذلك مراراً في المقتطف ولكن الفائدة التي تحصل من صب الزيت عند

كبيرة ولا سيما اذا كانت السفن جارية فانها لا تستطيع ان تصب الزيت على كل الاماكن التي تمرّ فيها ويتعذّر عليها الوقوف في مكان واحد فلا تلجأ الى صب الزيت الاّ نادراً

(٧) تقوية الاطفال

مصر. طالب. عندنا طفل في الثانية من عمره اصيبت امهُ بحزن شديد في الشهر الاول من ولادته ومكث هذا الحزن طويلاً وكان الطفل يتغذى بلبنها فقط واصيب بمرض اعتراهُ منهُ ضعف ووهن شديدان اقعداهُ عن المشي الى الآن وهو الشهر السابع عشر من عمره مع ان الطفل يأخذ في اسباب المشي من الشهر السادس وقد مشى من هو اصغر منهُ فما هو الدواء الذي يجعلهُ قادراً على المشي وما هو الغذاء النافع لهُ

ج. لا خوف من تأخر هذا الطفل في المشي لان كثيرين من الاطفال الضعاف لا يمشون قبل الشهر السابع عشر او الثامن عشر ولا بدّ لكم من تغذيتهِ باللبن المطبوخ بالارز او الاروروط ولا داعي لاستعمال الادوية فان الغذاء الكافي يحييهِ ويقويهِ ما دام هضمهُ جيداً

(٨) الاستدلال على وحدة الخالق

دمياط. محمد افندي كامل الخامسي
قرأت ما كتبتم في مقتطف الشهر الجاري في باب المسائل ردّاً على سؤال محمود افندي الناظر بشأن تعدد الآلهة عند اليونان وقد قلتم هناك « ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكّم لا موجب لهُ » على ان القائلين بوجود « الواجب » ومنهم فلاسفة اليونان قائلون بصدور افعاله عن ذاتهِ فلو تعدد الواجب فكان اثنين او اكثر لاختلف بعضهم عن بعض والاّ لم يكن هناك تعدد ولصدرت افعالهم مختلفة باختلاف ذواتهم . . فهلا يصح القول اذن بان وحدة النظام في العالم دليل على وحدة الفاعل ويكون ذلك من البراهين القاطعة على وحدة الاله بدون حاجة الى الالهام الهي ؟

ج. ان الدليل الذي ذكرتموهُ على وجوب وحدة الخالق هو مثل دليل العالم الذي اشرنا اليهِ في المقتطف فقد قلتم انهُ « لو تعدّد الواجب فكان اثنين او اكثر لاختلف بعضهم عن بعض » . فمن اين اتيتم بهذا الحكم فانهُ ليس من البديهيات ولا هو مما ثبت بالبحث والاستقراء . وزد على ذلك ان ما يعرف من نواميس الكون مناقض لهُ فاشعة النور وتموجاتهِ متعددة تعدّ بملايين الملايين ومع ذلك هي متماثلة ولولا تماثلها ما امكن معرفة افعالها . فتموجات النور الاحمر الذي يأتينا اليوم من الشمس هي مثل تموجات النور الاحمر التي اتتنا امس واول امس وفي كل

الازمان ولولا ذلك ما كانت افعالنا متماثلة . وكل علومنا الطبيعية مبنية على ان الاسباب المتماثلة تنتج نتائج متماثلة ولولا هذه الحقيقة ما امكننا ان نعمل عملاً فاذا كانت النار تسخن الماء اليوم وتبرده غداً واذا كان الحرث يصلح الارض اليوم ويفسدها غداً واذا كان النوم يريح الجسم اليوم ويتعبهُ غداً لم يبقَ سبيل للمعيشة على وجه الارض . فانتم ترون من ذلك انهُ ما من مانع عقلي ولا طبيعي يمنع وجود كائنين متماثلين تماماً في كل شيء بل كل المعلومات التي اتصل اليها الناس باختبارهم الطويل من اول نشأتهم الى الآن تدل على وجود اشياء كثيرة متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض لا في ذواتها ولا في اعمالها. وهذا كلهُ لا ينفي ان يكون الخالق واحداً فرداً صمداً

اصل الانسان

الَّف الدكتور جيوفريد ارجري الايطالي استاذ الانثروبولوجيا (اي علم الانسان) في جامعة نابلي كتاباً في اصل الانسان وقع احسن وقع عند علماء هذا الفن وترجم الى اللغة الالمانية . والالمان قلما يترجمون كتاباً علمياً الى لغتهم الا اذا فاق غيره . وقد بحث المؤلف بحثاً خاصاً في ان للانسان اصلاً واحداً او اصولاً متعددة فنظر اولاً في كل الادلة التي اقيمت على ان للانسان اكثر من اصل واحد وذكر الادلة التي تناقضها واستنتج ان الناس الموجودين في زماننا هذا من اصل واحد ونوع واحد Homo Sapiens ولكن هذا النوع مؤلف من تنوعات كثيرة في كل تنوع منها مميزات تجعلهُ نوعاً قائماً برأسهِ بالقوة ان لم يكن بالفعل . وان آثار الانسان التي وجدت في الارض حتى الآن تدل على انهُ كان فيها انواع مختلفة من الناس وقد انقرضت كلها ولم يبقَ منها الا نوع الانسان الحالي Homo Sapiens

المسك الصناعي ونفقات البحث العلمي

ذكرنا في العام الماضي انهُ اكتشفت طريقة لعمل المسك (الصمغ المندميه) بالصناعة ولم يكد امر هذا الاكتشاف يشيع حتى اثَّر في سوق المسك تأثيراً كبيراً ثم ثبت

ان السك الصناعي لا يكون ارخص من الطبيعي لكثرة ما يقتضي عمله من النفقات ولذلك ولكبر المقطوعية من السك الآن لا ينتظر ان احد النوعين يتغلب على الآخر الا اذا اكتشفت اساليب جديدة لترخيص السك الصناعي كما اكتشفت طريقة لترخيص النيل الصناعي . وقد اثرت شركة الانيلين والصودا على ان تنفق مليون جنيه في هذا السبيل وكانت قد انفقت مليون جنيه في سبيل النيل الصناعي فلما امكن جعله من الاصناف التجارية

مليون زائر

في مدينة لندن حديقة الحيوانات مثل حديقة الحيوانات في الجيزة لكن شتان بين عدد زوار تلك وعدد زوار هذه فقد بلغ عدد زوار حديقة لندن في العام الماضي حتى ٢٣ ديسمبر مليون نفس والشخص الذي تم به المليون أعطي اجازة للدخول مجاناً كل سنة ١٩١٣

هبة اميركية علمية

اوصى الاستاذ مورس لوب بمئة الف جنيه لجامعة هارفرد تأخذها بعد وفاة زوجته وقد كان استاذاً للكيمياء في جامعة نيويورك . واوصى باموال اخرى لغير جامعة هارفرد من المعاهد العلمية

الحشرات وتلقيح الاثمار

جُرِّبت تجارب كثيرة لمعرفة فعل الحشرات كالنحل والفراش في تلقيح ازهار النبات بعضها من بعض فوُجد ان بعضها كالشليك يتلقح من تلقاء نفسهِ اذا عصفت الرياح ولو لم تلقحهُ الحشرات وبعضها لا يتلقح جيداً من غير الحشرات . وبعضها يجود اذا لقح صنف منهُ بصنف آخر وبعضها لا يجود الا اذا لقح من صنفهِ او اذا لقحت الازهار نفسها واكثر الحشرات التي تلقح الازهار بواسطتها نحل فانها تبلغ ٨٨ في المئة من عدد الحشرات التي تدخل ازهار النبات

اسفنج بحيرة طبرية

بحث الدكتور اندابل في حيوانات بحيرة طبرية ليرى ما فيها من المشابهة لحيوانات البحيرات الافريقية فوجد فيها اسفنجاً فلَتْ مادتهُ الليفية فتكاثف وتصلب كما يكون في غيرها من البحيرات

عبَّاد النار في الهند

في ولاية مارواز ببلاد الهند اناس يبلغ عددهم نحو مئة الف نفس يعبدون النار او بالحري النور لان عندهم سراجاً يوقدون فيهِ السمن منذ ٤٥٠ سنة يرمزون بهِ الى معبودهم ويوجهون العبادة اليهِ ويغلب فيهم النساء والمظنون ان مذهبهم هو مذهب قدماء ايران الذين كانوا يعبدون النار

صبير الصين

الصبّيرّ او التين بشوكهِ كما يسمى في القطر المصري نبات اميركي الاصل أُتي بهِ من اميركا بعد اكتشافها فانتشر على سواحل بحر الروم . وهو ينمو الآن بكثرة في القفار الشاسعة التي في الجهات الغربية من بلاد الصين حتى على صخور الغرانيت . وقد اختلف الباحثون في كيفية وصولهِ اليها فمن قائل ان الصينيين اتوا بهِ من اميركا بعد اكتشافها ومن قائل انهُ أُتي بهِ من اوربا بعد ما وصل اليها من اميركا ومن قائل ان اليسوعيين اتوا بهِ الى الصين من اميركا بعد ما تقوضت دعائم الامبراطورية الاسبانية فيها . وقد ذهب بعضهم الآن الى ان الصينيين وصلوا الى اميركا من الجهة الغربية وادخلوا الصبير منها الى بلادهم قبلما وصل اليها الاوربيون من الجهات الشرقية اي انهم اكتشفوا اميركا قبلما اكتشفها الاوربيون بدليل كثرة الصبير في قفار الصين

سكة بغداد الحديدية

نال الالمان امتيازاً من الحكومة العثمانية بانشاء هذه السكة في بدء سنة ١٩٠٢ مبتدئة من قونية حيث تنتهي سكة الاناضول ومنتهية في خليج العجم فيكون طولها ١٤٠٠ ميل . ثم شرعوا في العمل في السنة التالية وتوقفوا فيهِ بين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٩ فلم يعملوا منهُ شيئاً لاختلافهم مع الحكومة العثمانية على الضمان الذي طلبوهُ . وكانوا قد جمعوا عشرة ملايين من الجنيهات وطلبوا من الحكومة العثمانية ان تضمنها وتدفع رباها السنوي فضمنتها سنة ١٩٠٩ وارتبطت بدفع الربا الى ان توفي ووعدت بضمان عشرة ملايين اخرى من الجنيهات لازمة لاتمام هذه السكة الى بغداد اي انها القت على عاتق الامة العثمانية حمل عشرين مليوناً من الجنيهات فوق ما اعطتهُ لمنشئي هذه السكة من الاراضي والامتيازات . ولا عجب اذا طلبت المانيا بعد ذلك ان يكون لها وحدها الحق بادارة هذه السكة والمراقبة على البلاد التي حولها الى ان تستوفي العشرين مليوناً . وهي الآن تعمل فيها بهمة فائقة فلا يقل عدد العمال في ما قيل عن اثنين وسبعين الفاً

وتقسم هذه السكة الى اربعة اقسام الاول من قونية الى اطنه والثاني من اطنه الى حلب والثالث من حلب الى الموصل والرابع من الموصل الى بغداد . وكان المراد اولاً ان يوصلها الالمان الى خليج العجم لكن الانكليز اعترضوا على ذلك وتم الاتفاق على انهم يوصلونها من بغداد الى خليج العجم . وكان الالمان قد اتفقوا مع الحكومة العثمانية على ايصال السكة الى الاسكندرونة واحضروا كثيراً من المواد لانشاء مرفإٍ عظيم هناك ثم

توقفوا عن العمل لاسباب مجهولة والمرجح ان انكلترا اعترضت على ذلك . فعسى ان تأخذ الغيرة الوطنية اعياء سورية ليسعوا في جعل مرفأ هذه السكة مدينة من مدنهم البحرية كبيروت او طرابلس او حيفا

السر فرنسيس داروِن

اعطى ملك الانكليز القاباً لكثيرين في رأس السنة ومنهم فرنسيس داروِن ابن داروِن الشهير فانهُ اعطاه لقب سر

فهم الحشرات

تلا المستر اندك رسالة في الجمعية الميكرسكوبية الملكية ببلاد الانكليز في فهم الحشرات قال فيها انهُ رأى ديدان الزنابير المعروفة بالجعل (اودوناتا Odonata) تخرج من الماء حينما تصير دوداً وتصعد على ساق نبات ثم تمدّ ذنبها فاذا مس شيئاً صعدت ايضاً ومدتهُ ثانية فاذا مس شيئاً كما مس اولاً غيرت مكانها ومدت ذنبها ولا تزال تفعل ذلك حتى تصير في موقف لا يمس ذنبها شيئاً اذا مدتهُ في جهة من الجهات تنقف هناك وتعد نفسها للتحوُّل الى حيوان مجنح كأنها تقول في نفسها ان لا بدَّ لها من بسط جناحيها حالما يتولدان ويجب ان لا يكون على مقربة منها حينئذٍ شيء يلمسهُ لئلا يلصقا بهِ عند اول ظهورها وقال انهُ راقب هذه الديدان مراراً فرآها تفعل ذلك دائماً وعملها هذا يدلُّ على انها تفعل فعلاً معقولاً وتدرك ما تفعلهُ

سكر القصب وسكر الشجر

بقي الناس يستخرجون سكرهم كلهُ من قصب السكر حتى اواسط القرن الماضي ثم اكتشفوا طريقة استخراجهِ من الشجر (الشمندور) فلم يختم القرن التاسع عشر حتى صار نصف السكر يستخرج منهُ وخيف من القضاء على سكر القصب ولكن صناعة استخراج السكر منهُ انتعشت من اول هذا القرن وجارت صناعة استخراج السكر من الشجر . والصناعتان تسار بان الآن كفرسي رهان . ويقال انهُ اذا زرع القصب على طرق علمية واستخدمت الوسائل العلمية لاستخراج كل سكرهِ باساليب قليلة النفقات فلا يبعد ان يعود الفوز لهُ على سكر الشجر

تيسرنك ده بور

خسر علماء الاحداث الجوية خسارة كبيرة بوفاة هذا العالم فقد كان مقدام الباحثين في طبقات الجو العليا . ولد بباريس سنة ١٨٥٥ وانتظم في معهد البحث الجوي سنة ١٨٨٠ . وقضى اوقات العطلة من سنة ١٨٨٣ و١٨٨٥ و١٨٨٧ في تونس والجزائر يدرس جيولوجيتها ومغنطيسيتها الارضية .

واشأ مرصداً سنة ١٨٩٦ للارصاد الجوية في سهل قرب باريس وجعل يرصد حركات الغيوم واحوال طبقات الجو العليا بواسطة الطيارات والبالونات التي كان يضع فيها آلات تدل من نفسها على درجات الحرارة وضغط الهواء · وعرف بها ان الهواء طبقتان يفصل بينهما فاصل على عشرة آلاف متر فوق سطح الارض اي فوق اعلى الغيوم وهي الطبقة العليا ستراتوسفير *Stratosphere* والسفلى تروبوسفير *troposphere* ووجد ان درجة الحرارة او البرد تبقى واحدة في الطبقة العليا وباع بيته في باريس واشترى يختو صغيرة وارسلها للبحث في مجاري الهواء فوق الرياح التجارية · وكانت وفاتهُ في السادس من يناير

موتمر الزراعة العام العاشر

سيعقد موتمر الزراعة العام العاشر في بلجكا بين ٨ و١٣ يونيو المقبل وقد قسمت المباحث فيهِ الى خمسة اقسام وهي (١) الاقتصاد الزراعي (٢) علم الزراعة (٣) تربية المواشي (٤) الهندسة الزراعية (٥) زرع الغابات

النساء والجمعيات العلمية

عرض على الجمعية الجغرافية الملكية الانكليزية سنة ١٨٩٣ ان ينتظم النساء في عضويتها فاشتدَّ الحجاج والجاج بين الاعضاء وكان الاكثرون على رفض هذا الطلب فرُفض · والآن عزمت هذه الجمعية ان تعيد البحث في هذه المسألة وارسلت قبل ذلك تطلب رأي الجمهور فجاءها الجواب بالقبول من ١٧٩٦ وبالرفض من ٥٧٨ وباشتراط شروط من ٣٣

كبد الضفدع والارنب

وجد بعضهم ان كبد الضفدع والارنب تحل الاتروبين وتبطل فعلهُ السام بمادة فيها تشبه الخمير في فعلها ويوجد شيء من هذه الخاصة في قلب الضفدع وكليتيها وفي دم الارنب

لبن جاموس الهند

حلّل لبن الجاموس في الهند فوجد السمن فيهِ بمعدل ٨ في المئة وهو في لبن البقر الانكليزية ٣ في المئة فقط · ووجدت المواد الجامدة فيهِ نحو عشرين في المئة · وهي في لبن الجاموس المصري ٢٥ في المئة او اكثر

تذكير النعام

جاء في المجلة الزراعية التي تصدر في جنوب افريقية ان مبيض النعام نزع من ثلاث نعامات عمر كلٍّ منها اربع سنوات والحال جعلت هذه النعامات تفقد مميزات النعامة وتبدلها بمميزات الظليم (ذكر النعام) فصار ريشها اسود لامعاً براقاً بعد ان كان

رمادياً وطال ريش جناحيها وذنبها فصار مثل ريش الذكور تماماً . ومعلوم ان الخصاء يفقد الذكور مميزات الذكر ويجعلها كالاناث فكأن مميزات الاناث والذكور متوقفة على المبيض والخصيتين

وكتب المستر فتزسيمونس مدير متحف بورت اليصابات ان نعامة من هذه النعامات اميتت بالكلوروفورم وارسلت اليهِ لتعرض في المعرض ففحصها فحصاً مدققاً ثبت لهُ انها انثى وصوَّرها تصويراً فوتوغرافياً وارسل صورتها الى مجلة المعرفة فنشرت فيها و يظهر من الصورة ان ريش بدنها كلهُ اسود قاتم ما عدا ريش ذنبها واطراف جناحيها فانهُ ابيض

هبة انكليزية

اوصى القس جون الى الانكليزيب بتركتهِ كلها بعد وفاة زوجتهِ لجامعة كمبردج وقيمتها تسعون الف جنيه على الاقل

الاستاذ كاليته

توفي الاستاذ كاليته المشهور بتسييلهِ لغاز الاكسجين . ولد سنة ١٨٣٢ ودرس في باريس واشتغل اولاً بعلم المعادن وبحث في طبائع الغازات اذا كان عليها ضغط شديد فاهتدى الى تسييل الاكسجين سنة ١٨٧٧ وسيَّلهُ الاستاذ بكته تلك السنة في جنيفا على اسلوب آخر . وجرى العلماء على طريقة كاليته فسيلوا سائر الغازات . وكل الاعمال العلمية التي عملت في تسييل الغازات وتجميدها وما بني عليها مبنية على مباحثهِ ومكتشفاتهِ

اهتزاز الارض بسقوط بيت

قال الاستاذ غيدو كورا انهُ سقط بيت في رومية فشعرت آلة الزلازل بسقوطهِ وبقيت الارض تهتز بعد ذلك عشرين دقيقة

ارتفاع الامواج

اشتدت الانواء حديثاً في الجهات الشمالية من الاوقيانوس الاتلنتيكي فعاد الناس يبحثون في ارتفاع الامواج فقدَّر قبطان سفينة من السفن التي شهدت تلك الانواء ان ارتفاع الموج بلغ سبعين قدماً . وكان امير البحر فتزروي قد قال في كتابهِ عن الطقس سنة ١٨٦٣ انهُ رأى موجة قرب خليج بسكاي ارتفاعها ٦٠ قدماً وحقق ربان السكك انهُ رأى امواجاً عديدة في الانواء الاخيرة في وسط الاتلنتيكي ارتفاع كلٍّ منها سبعون قدماً . وقال امير البحر السر وليم وردن ان الامواج قد ترتفع حتى يبلغ ارتفاعها ٩٠ قدماً ولكن ذلك نادر جداً واعلى ما تصل اليهِ غالباً ٦٠ قدماً

جذب كلف الشمس لمشاعلها

ابان الدكتور سلركم ان كلف الشمس تجذب مشاعلها فان الصور الفوتوغرافية التي صور بها قرص الشمس في ٨ اكتوبر الماضي

تظهر فيها مشاعل صاعدة من قرص الشمس وهابطة على كلفة كبيرة فيها و بعضها مجذوب الى باطن الكلفة من ٧٥٠٠٠ كيلو متر الى ٢٦٠٠٠٠ كيلو متر

مغنطيسية الشمس

اثبات المسيو دسلندر انهُ يحيط بالشمس جو مغنطيسي كما يحيط بالارض وهو حادث من دوران الشمس واشلات الايونات منها

الثلج لحفظ الغابات

أكثر الاخشاب التي ترد الى هذا القطر وسائر الاقطار مقطوع من الغابات التي يغطيها الثلج في فصل الشتاء لشدة البرد فيها كغابات كندا واسوج ونروج وروسيا حيث يشتد البرد خمسة شهور من السنة فيبلغ ثلاثين درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت اي ٦٢ درجة تحت درجة الجليد. لكن الثلج الذي يغطي الارض في تلك الغابات هو الذي يقي اشجارها من البرد الشديد لانهُ من اقل المواد ايصالاً للحرارة فتبقى حرارة الارض حول جذورها وتسلم بزورها من الموت برداً الى ان يأتي الصيف وتنتعش قواها وتنمو عادا قل الثلج في سنة من السنين يبس جانب كبير من تلك الاشجار

الكهربائية بدل الطعام

ان أكثر الطعام يؤْكل لتوليد الحرارة والقوة في الجسم وقد اثبت الاستاذ دارسنفال ان الكهربائية السريعة التردد تولد في جسم الانسان حرارة وقوة ولا تضر بهِ فلا عجب اذا اغنتهُ يوماً ما عن الطعام

وقد جربت هذه الكهربائية في كلية بوردو في اناس انهكهم التعب او المرض فقوتهم وانعشتهم ثم زاد وزنهم رويداً رويداً

نبات يسعل

لا يخفى ان اشجار الخروع تطلق بزرها بصوت شديد كصوت البنادق الهوائية لكي يندفع بزرها الى مكان بعيد ولا يقع تحتها فيقاسمها غذاء الارض. وقد وجد احد النباتيين الفرنسويين نباتاً في بعض الجهات الاستوائية يسعل كما يسعل الانسان كلما وقع الغبار على اوراقهِ فان الغبار يسد مسام الورق التي يتنفس النبات منها فيجتمع الغاز تحتهُ و يدفعهُ بعنف فيسمع لدفعهِ صوت كصوت السعال

ربح المسكوكات وخسارتها

ان من سك النقود الفضية ربحاً كبيراً للحكومة التي تسكها ليتعامل بها رعاياها فالريال الذي قيمتهُ عشرون غرشاً ليس فيهِ من الفضة ما يساوي عشرة غروش ولكن المسكوكات الفضية ينقص وزنها بالاستعمال فاذا استرجعتها الحكومة واعادت سكها خسرت بها خسارة غير قليلة وهي تخسر ايضاً اذا استردت المسكوكات الذهبية واعادت

سكها وقد حسبوا ان الحكومة الانكليزية استرجعت ٢٦ مليونًا من الجنيهات و ١٧ مليونًا من انصاف الجنيهات في عشر سنوات لان وزنها نقص بالاستعمال فوجدت انها نقصت ما يساوي ٦٢٦٠٠٧ جنيهًا

مراكب الهواء

لم تبقَ شبهة في فائدة الطيارات في الحروب وقد جعلت دول اوربا تنفق عليها النفقات الطائلة ففي ميزانية الحكومة الفرنسوية الحربية مليون و ٢٨٠ الف جنيه لهذه الغاية والمرجح ان الحكومة الانكليزية ستعين مليون جنيه او اكثر في ميزانيتها التالية لاجل ركوب الهواء

الحباحب والبرق

كتب روبرت بن في مجلة المعرفة الانكليزية ان النوع من الحباحب (سراج الليل) المعروف باسم *Lambris noctiloca* تبتدئ اناثهُ تنير حالما تخرج من البيضة ويزيد نورها اشراقًا بزيادة نموها الى ان تصير حشرة كاملة ويدوم نور الانثى الكاملة كل ليلة من ابتداء العتمة الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل وهي شديدة الشعور فاذا شعرت باحد دنا منها اطفأت نورها عمدًا لكي لا يراها واذا امسكتها بيدك اطفأت نورها وتقاوت الى ان تتأكد انك لا تقصد لها ضررًا . اما الدودة فلا تنير وحدها الا برهة وجيزة ولكنها تنير اذا امسكتها بيدك وحركتها وتنير ايضًا اذا رششت عليها ماء باردًا او غطستها في الماء

وحدث في ٢٩ يوليو سنة ١٩١١ ان ثار النوء وكثر البرق والرعد وكان عندي من هذا الدود فاخذت اراقبهُ لارى فعل البرق بهِ فوجدتهُ ينير كلما لاح البرق في السماء وراقبتهُ في الليالي التالية في مثل ذلك الوقت ولم يكن ثم برق فوجدت انهُ لا ينير

تجميد الزيوت

لا يخفى ان الشحم يكون جامدًا والزيت مائعًا . وقد اهتم الكيماويون من عهد طويل في اكتشاف طريقة لتجميد الزيوت فاكتشف الآن المسيو سابتيه والمسيو سندرن انهُ اذا اجيز غاز الهيدروجين في الزيت على درجة عالية من الحرارة وكان هناك مسحوق النكل جمد الزيت وصار مثل الادهان الجامدة ثم وجدا انهُ يحدث مثل ذلك اذا كان المعدن غير النكل مثل الكوبلت والبلاديوم والبلاتين وانهُ يمكن تجميد التزول وزيت القطن وزيت الفول السوداني فتصير كلها كالدهن والشحم . ويصير زيت الفول السوداني مثل شحم الخنزير لونًا وطعمًا ورائحة . ولا يبعد ان تجمد هذه الزيوت وتباع كالزبدة والسمن ولا ضرر من اكلها اذا اعتني بتجميدها حتى لا تدخلها مواد ضارة

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣١

الاستشهاد في سبيل الاكتشاف

الكبتن سكوت ورفاقهُ

كان لما اصاب الكبتن سكوت ورفاقهُ الذين رافقوهُ الى القطب الجنوبي وقع شديد في كل انحاء العالم. وصل هذا المكتشف الشهير الى القطب وقد ثبت ذلك بما ذكرهُ من العلامات والآثار التي تركها امندسن هناك ثم لقي حتفهُ هو ورفاقهُ في رجوعهم. ولم يكن بينهم وبين المركز العمومي الذي كانوا قد اعدوهُ للالتجاء اليهِ الا ١٥٥ ميلاً حين فاجأتهم العواصف واقامت في وجههم ما لا يذلَّل من العقبات

انقطعت اخبار سكوت ورفاقهِ من اوائل السنة الماضية ولم يُعرف عنهم شيء بعد ذلك حتى وصلت باخرتهم ترانوفا الى جزيرة زيلاندة الجديدة وكانت قد اقلعت من لندن في اول يونيو سنة ١٩١٠ وذلك اول عهدها بخوض البحار الشاسعة وفيها بعثة سكوت وهي تامة العدة مجهزة بكل ما يلزم لها وبما زاد في اتقان معداتها وابلاغ ترتيبها حد الكمال خبرة سكوت السابقة في معالجة المصاعب ومعاونة غيرهِ ممن سافروا الى الاصقاع الجنوبية وعرفوا بالاختبار ما يحتاج اليهِ المكتشف فيها. واجتمع حولهُ من الاعوان والعلماء ما لم يجتمع حول غيرهِ من جميع الذين اقتحموا بلاد الجليد

وصلت بهم الباخرة الى خليج مكردو بعد ان قاسوا اهوال البحر في شدة هيجانهِ واضطراب امواجهِ فانقسموا هناك الى ثلاث فرق نزلت الفرقة الاولى الى البر لاقامة مركز عموميّ على رأس أڤنس وكان سكوت فيها ونزلت الثانية في غرب الخليج وحاولت الثالثة النزول الى الارض المسماة ببلاد الملك ادورد السابع فلم تتمكن من ذلك لكثرة الجليد فنزلت في رأس أداري

وكابد رجال الفرقة الثالثة شدائد كثيرة فان العواصف دهمتهم من اول الامر فقضوا فصل الشتاء في كوخ من الثلج يقتاتون بلحم الفقم وقليل من الزاد الذي بقي معهم فدبَّ فيهم المرض ولم يصلوا الى المركز العمومي الأ في اوائل شهر نوفمبر الماضي

ولما عادت الباخرة بالخادم وما جرى لم حتى شهر يناير من سنة ١٩١٢ علم الناس ان العلماء بينهم يبذلون اقصى جهدهم ليقوموا حق القيام بما انتدبوا له حتى ان الدكتور ولسن اقتحم مخاطر جمة فقضى اشهر يونيو ويوليو واوغسطس (وهي اشهر الشتاء هناك) في رأس كروزير يدرس اطوار الطائر المعروف بطريق الامبراطور وطبائعهُ في إفراخه وتربيته لصغاره في فصل الشتاء. وكان الموكلون برصد الظاهرات الجوية وحركات الرياح وضغط الهواء واختلاف درجة الحرارة وامواج المد والجزر وجاذبية الارض ومغنطيسيتها مواظبين على اعمالهم يرقبون التغيرات ويضبطونها بدقة وعناية ومثل ذلك يقال في الموكلين بالابحاث الجيولوجية والبيولوجية وغيرها من اغراض الرحلة

وكان آخرون يبنون معدات التقدم نحو القطب ويقيمون المستودعات في الطريق . واخذ سكوت في التقدم الى القطب في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ولكنهُ عاد فتأخر شهراً بسبب موت نصف الدواب التي كانت معهم وافى الكوماندر ايفنس بآخر اخبارهم في السنة الماضية بعد ان تركهم وهم على ١٥٠ ميلاً من القطب وكانت امورهم حسنة في ذلك الوقت

ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك الأ ما وجد في اوراق سكوت الذي اعتنى بتدوين كل الحوادث بالضبط والتدقيق رغماً عما كان يحيق بهِ من المخاطر . ومما يدل على ثباته وبعد نظره انهُ لما رأى ان لا مناص من الهلاك جلس يكتب تفاصيل النوازل التي حلت بهم كما سيجيء

وقد وصل الى القطب في الثامن عشر من يناير سنة ١٩١٢ وكان معهُ الدكتور ولسن والكبتن اوتس والملازم بورز والضابط ادغر ايفنس . وقاسوا كثيراً من الشدائد في عبور نهر الجليد المسمى بيردمور فاصيب ايفنس بارتجاج الدماغ وقضى نحبهُ هناك . ثم اشتد الصقيع والريح فمرض الكبتن اوتس واعوزهم الوقود . وفي السادس عشر من شهر مارس رأى اوتس ان الموت مدركهُ لا محالة وانهُ اصبح عبئاً على رفاقهِ فتخلف عنهم ليلاقي حتفهُ . وواصل سكوت وولسون و بورز السير لكن الزمهرير اشتد عليهم وهم على احد عشر ميلاً من احد المستودعات فتعذر عليهم التقدم ولم يكن لديهم من الزاد الا ما يقوتهم يومين .

وكتب سكوت رسالتهُ الاخيرة هناك وكان قد انقضى عليهم اربعة ايام وهم في ذلك المكان . وقد خرج البعض في ذلك الوقت قصدهِ من المركز الصوري لملاقاتهم واغاثتهم ويظهر انهم اقتربوا منهم كثيراً الاَّ انهم لم يعثروا عليهم . ولم يهتدَ الى جثث سكوت ورفيقيهِ الاَّ في شهر نوفمبر الماضي بعد ان انقضى فصل الشتاء

هذه نهاية رجل من اكبر المكتشفين وقد كان كبير النفس يثير في رفاقهِ روح القوة والثبات في قضاء الواجبات ويعلّمهم بمثالهِ قدر اتعاب الرجال قدرها ويكتسب محبتهم له وتعلقهم بهِ حتى ان الذين رافقوهُ في رحلتهِ الاولى الى القطب سنة ١٩٠١ كالدكتور ولسن لم يحجموا عن اقتحام المخاطر معهُ مرة ثانية . وقد قال فيهِ الدكتور شاركو « انهُ فاتح الطريق الى القطب » . وحرص سكوت على التدقيق في التقارير وما اظهرتهُ رحلتهُ الاولى وبقايا رحلتهِ الثانية من الحقائق والفوائد العلمية كافٍ لان ينفي عنهُ كل تهمة توجه اليهِ من انهُ كان يقصد باعمالهِ اكتساب الشهرة والصيت

كانت ولادتهُ في مدينة ديفونبورت ببلاد الانكليز سنة ١٨٦٨ ودخل مدرسة عسكرية سنة ١٨٨١ ثم دخل في سلك البحارة في الاسطول الانكليزي وتقلب في المناصب حتى رقي الى رتبة كوماندر سنة ١٩٠٠ . ولما رجع من رحلتهِ الاولى سنة ١٩٠٤ رقي الى رتبة كبتن ومنح لقب كوماندر من رتبة فكتوريا الملكية ونال بضعة نياشين منها النيشان الملكي ونيشان خاص من الجمعية الجغرافية الملكية

والدكتور ولسن من متخرجي جامعة كيمبردج وكان في الرحلة الاولى مصوراً وموكلاً بالبحث في الحيوانات الفقارية وفي الرحلة الثانية رئيس القسم العلمي

اما الرسالة المشار اليها آنفاً فقد وجدت في خيمة سكوت الى جانب جثتهِ وهذا تعريبها ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة فاولاً اننا فقدنا دواب الحقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررتُ ان أؤخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا

وثانياً اشتد البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثاً وجدنا الثلج رخواً ليناً فابطأ سيرنا عليهِ

وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قللت مؤونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كافٍ لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارئ . اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبهُ اقوى مما كنا واصبرنا على المشاق

وهو ادغر ايفنس · وكان امامنا نهر الجليد المسمى بيردمور وعبوره قليل الصعوبة في الصعود ولكننا لم نصعد يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض مضطر الى حمله رفاقه وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد ان هد حيلنا وتركنا وفصل الزوابع قد ادركنا· ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب ما وجدناه عبوراً لنا. فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفناه في هذا الفصل من السنة فقد كانت درجته ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما وصلنا الى العرض ٨٢ وفي مكان اوطأ من الاول ١٠٠٠٠ قدم رأيناه ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمراً

و بيّن من ذلك ان ما اصابنا انما سببه هذا البرد الشديد الذي جاءنا بغتة على غير انتظار وفي غير ميعاده وغير مكانه فلم يكن في الحسبان · ولا اظن ان احداً من بني الانسان اصابه ما اصابنا في مثل هذا الشهر · وكان في الامكان ان نتغلب لولم يمرض رجل آخر منا وهو الكبتن اوتس و ينفد الوقود من مستودعنا ونعترض الزوابع بيننا و بين المستودع التالي وهو منا على احد عشر ميلاً فقط حيث كنا نرجو ان نجد كل ما نحتاج اليه

حقًا لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاته جهودها

صرنا على احد عشر ميلاً من المستودع الذي ودعنا فيه طعامنا ووقودنا وليس معنا سوى طعام يومين ووقود لتسخين طعام يوم واحد فاقمنا في هذه الخيمة اربعة ايام لا نستطيع الخروج من شدة العاصفة ونحن على غاية الضعف وانا لا اكاد استطيع الكتابة · واذا قصرت نظري على نفسي فانا لست نادماً لان هذه الرحلة برهنت على ان الانكليز لا يزالون يستسهلون تجشم المشاق والتعاون في الضراء ومقابلة الموت الزؤام بالصبر الجميل كما كانوا في سالف عهدهم

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت المقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين ان نبذل جهدنا الى النهاية

ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

واذا فُسح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحملهم المشاق كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني · ولكن هذه السطور وجثثنا الهامدة ستخبر خبرنا و يقيني تام ان بلاداً عظيمة غنية مثل بلادنا تعنى بالذين تركناهم في بيوتنا

٢٥ مارس ١٩١٢ ر· سكوت

تحويل العناصر وتوليدها

تلا الاستاذ السر وليم رمزي مقالة في الجمعية الكياوية في السادس من فبراير عن وجود عنصر الهليوم في انابيب اشعة اكس . وتلا الاستاذ نورمن كولي والمستر بترصن مقالة عن وجود عنصر النيون في غاز الهيدروجين بعد ما تمرّ فيهِ الكهربائية . فكان لهاتين المقالتين وقع عظيم في الدوائر العلمية لانهما تثبتان امراً من امرين اما تحول العناصر من نوع الى آخر او تولد العناصر من الكهربائية اي صيرورة القوة مادةً . وتناولت الجرائد اليومية هذا الموضوع وبالغت في ما بنتهُ عليهِ حتى لقد يظن من يقرأ مقالاتها ان الناس تمكنوا الآن من جعل النحاس ذهباً بل من ايجاد الذهب والمعادن كلها من القوة الكهربائية

اما السر وليم رمزي فقال في مقالتهِ انهُ ولَّد عنصر الليثيوم من النحاس منذ سنوات قليلة وانهُ وجد ان عنصر السليكون يولّد اكسيد الكربون الثاني ويولدهُ ايضاً عنصر الثوريوم . ويظهر من ذلك ان هذا العنصر يميل الى الانحلال فيتولد منهُ كربون . والكربون يتحد بالاكسجين فيصير منهُ اكسيد الكربون الثاني . وكان قد استعار نصف غرام من بروميد الراديوم من الاكادمية الملكية بفينا لكي يستعملهُ في التجارب العلمية فظن انهُ حول بهِ بعض العناصر من نوع الى آخر فلما استرجعتهُ الاكادمية منهُ لتبحث عن مادة تفعل فعلهُ فكان من ذلك الاكتشاف المشار اليهِ آنفاً وقد قال في هذا الصدد ما تعريبهُ

« مضى عليَّ بضع سنوات وانا استعمل الراديوم واظنني حولت بهِ النحاس الى ليثيوم والسليكون والتيتانيوم والزركونيوم والثوريوم الى كربون . وقد ولَّدت النيون حديثاً من الماء

« ومنذ سنتين استرجعت مني اكادمية العلوم قطعة الراديوم التي اعارتني اياها فجعلت ابحث عن شيء فيهِ قوة شديدة كما في الراديوم يقوم مقامهُ في اتمام تجاربي فامتحنت صلات الانابيب التي كانت تستعمل لاشعة اكس فوجدت فيها قليلاً من غاز الهليوم ولا يُعلَم كيف وُجد هذا الغاز فيها

« وكان الاستاذ كولي يبحث حينئذٍ في انابيب اشعة اكس التي تصلها الكهربائية السلبية لتوليد القوة وكان المستر بترصن يبحث هذا البحث ايضاً وكلٌّ منهما لايدري بما يفعلهُ الآخر فوصلا كلاهما الى هذه الحقيقة وهي انهُ اذا مرَّت اشعة الكهربائية السلبية في غاز الهيدروجين التي تولد فيهِ مقدار كبير من النيون وهو من اندر العناصر التي في الهواء . واذا تغيرت بعض الاحوال تولّد فيهِ عنصر الهليوم بدل عنصر النيون

« ولم يكن في هذه الانابيب هليوم ولا نيون ولا كان في الامكان دخولهما اليها من الهواء لانها كانت موقاة من ذلك ادق الوقاية فلا بدَّ من انهما تولدا فيها تولداً اما من استحالة الالومنيوم الذي منهُ القطب الكهربائي الواصل الى داخل الانبوب او من استحالة احد العناصر المختلفة التي يتألف زجاج الانابيب منها او ان بعض الهيدروجين الذي فيها استحال الى هليوم ونيون او ان الكهربائية نفسها استحالت الى هليوم ونيون اي ان القوة صارت مادةً . وعليهِ فهذه التجارب تثبت امراً من امرين اما تحول العناصر بعضها الى بعض او تحوُّل القوة الى مادة »

هذا هو رأي السر وليم رمزي ومزية اكتشافهِ واكتشاف الاستاذ كولي والمستر بترسن انهُ لا يقتضي استعمال الراديوم بل يكفي لهُ استعمال بطرية عادية ولفة كهربائية وانابيب زجاجية مفرغة من الهواء او مملوءة بغاز الهيدروجين او غيره من الغازات

وقال الاستاذ صودي وهو من اكبر الباحثين في اشعة الراديوم انهُ انتبه الى تولد الهليوم بواسطة الكهربائية في الانابيب المفرغة من الهواء منذ سنة ١٩٠٨ ونسب ذلك اولاً الى ان سلك الالومنيوم الذي يستعمل قطباً للكهربائية السلبية يكون قد امتصَّ هذا الغاز من الهواء فيخرج منهُ الى الانبوب ولكنهُ ثبت لهُ بعدئذٍ ان الامر ليس كذلك . وقد ثبت لغيره من الباحثين ان الهليوم وغيره من الغازات النادرة تتولد في الانابيب المفرغة من الهواء . ولكن لا يمكن بت الحكم في ما وجدهُ السر وليم رمزي والاستاذ كولي والمستر بترسن قبلما ينشرون تفاصيل التجارب التي جرَّبوها

وقال الاستاذ طمسن وهو اكبر ثقة في هذا الموضوع انهُ جرَّب تجارب مثل هذه فظهرت فيها الغازات المشار اليها آنفاً ولكنها لم تكن تتولد تولداً بل كانت تخرج من المعادن التي استعملها فاذا كان المعدن قديماً غير نقي خرجت منهُ كثيرة واذا كان جديداً نقياً خرجت منهُ قليلة دلالة على انهُ يمتصها من الهواء مدة اقامته فيهِ ثم ينفثها في الانبوب بقوة الكهربائية . واذا كانت في المعدن شققهُ شققاً وتعذر تركها لهُ بالاحماء فانهُ وضع قطعة من الرصاص في انبوب من البلور مفرغ من الهواء وصهرها فيهِ وتركها تغلي اربع ساعات حتى لم يبقَ من الرصاص الأ ربعهُ وامتحن الغاز الخارج من الرصاص حينئذٍ فلم يجد فيهِ شيئاً من الهليوم ولا من الغاز الآخر الذي يتولد معهُ . ثم اخذ الربع الباقي واطلق عليهِ الكهربائية في الانابيب المفرغة من الهواء فخرج منهُ الهليوم وذلك الغاز ثم اطلق عليهِ الكهربائية ثانية فخرج ذلك الغاز ايضاً ولكن انقطع خروج الهليوم كانهُ نفد كلهُ . وهذا دليل قاطع على ان الغازات التي وجدها السر وليم رمزي والاستاذ كولي والمستر بترسن آتية من الهواء

الرئيسان الجديدان

ما الفضل الا لاهل العلم انهم ‏ على الهدى لمن استهدى ادلاَّء

قد لا يعلم الذين يستشهدون بهذا البيت من كتاب العربية ان خطباء الافرنج يستشهدون به ايضاً حينما يريدون ابلاغ حجتهم فقد كنا نبحث الآن في مجلدات المقتطف الماضية عن جملة قالها وشنطون محرر اميركا ورئيسها الاول واذا هذا البيت ماثل امامنا والمستشهد به السر ليون بليفير لما كان رئيساً لجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٨٥ في خطبة الرئاسة التي القاها حينئذٍ. وما من امة ارتقت وفاقت غيرها الا وهي تقوم بمؤدى هذا البيت فتجل قدر العلم والعلماء وتعتمد عليهِ وعليهم في تدبير شؤونها

ولا نعني بالعلماء هنا الذين انقطعوا لعلم مخصوص ادبي او طبيعي وعاشوا في دائرتهِ الضيقة لا يفكرون الا بهِ ولا يبحثون الا في مسائلهِ فان هؤلاء على شدة الحاجة اليهم وعظم نفعهم للبلاد وتوقُّف العمران عليهم لا يصلحون غالباً لادارة شؤُون العباد. وانما يصلح لها العلماء الذين درسوا مبادئ العلوم وعرفوا ما بني عليها وقرنوا العلم بالعمل في ادارة الشؤُون. واذا بحثت ودققت وجدت ان اكثر وزراء اوربا واصحاب الرأي فيها هم الآن من الذين اتموا دروسهم في المدارس العالية وبقوا مشاركين للعلماء ولو لم ينقطعوا للاشتغال بعلم خاص غير علم القانون او علم الادارة او علم التاريخ. واذا كان اختيار هؤُلاء لمناصبهم منوطاً بالامة دلَّ اختيارها لهم على انها امة متعلمة متهذبة تعرف قيمة العلم والتهذيب طبقاً لما قالهُ وشنطون وهو «ان الحكومة التي تقصد الاعتماد على رعاياها يجب ان تهذب عقولهم قبل ذلك»

وقد جرت الحكومة الاميركية هذا المجرى فظهرت نتائجهُ في ارتقائها العجيب وفي اختيار رؤسائها فان من لم يكن استاذ مدرسة منهم كالرئيس روزفلت السابق مخادثةً او تقرأ كتاباتهِ فتجدهُ من العلماء المتبحرين ولو لم يكن من المشتغلين بعلم خاص

الرئيس ولسن President Wilson

والآن طُلب من الامة الاميركية ان تختار لها رئيساً فوقع اختيارها على رجل من اساتذة المدارس ومديريها وهو الدكتور توماس ودرو ولسن

ولد هذا الرجل في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٥٦ في ولاية فرجينيا من الولايات الجنوبية وتلقَّى دروسهُ في جامعة برنستن واتمها سنة ١٨٧٩ ونال حينئذٍ شهادة البكلوريا ثم نال رتبة دكتور

في الفلسفة من جامعة جونس هبكنس سنة ١٨٨٦ ورتبة دكتور في الشرائع المدنية سنة ١٨٨٧ . وتعاطى اولاً صناعة المحاماة ثم جُعل استاذاً للتاريخ والاقتصاد السياسي في كلية برين مور وانتقل منها الى جامعة ودلتن استاذاً لها واختير رئيساً لجامعة برنستن سنة ١٩٠٢ . وفي تلك السنة طبع كتابهُ المشهور في تاريخ الشعب الاميركي في اربعة مجلدات وعنوانهُ بالانكليزية History of the American People ولهُ كتاب آخر مشهور وهو تاريخ الولايات المتحدة History of the United States وقد جُعل والياً لولاية نيوجرزي سنة ١٩١١ وسيترسم الآن في البيت الابيض قصر رؤساء اميركا الذين يقال عنهم انهم ملوك من غير تاج و يرجى ان تسعد تلك البلاد في عهده و يرتقي شأن العلم فيها فوق ارتقائهِ

الرئيس بوانكاري President Poincaré

وبعد ان طُلب من الامة الاميركية ان تختار رئيساً لها ووقع اختيارها على احد اساتذتها طُلب من الامة الفرنسوية ان تختار رئيساً لها فاختارت رجلاً من بيت اشتهر بالعلم والفضل وكان من كبار المحامين وهو المسيو ريموند بوانكاري

وهو الآن كهل في الثالثة والخمسين من عمره ولد سنة ١٨٦٠ ودرس المحاماة واشتهر بفصاحة اللسان وحسن البيان حتى كان يشار اليهِ بالبنان في محاكم باريس . ثم انتخب لمجلس النواب وجعل وزيراً للمعارف سنة ١٨٩٢ اي حينما كان عمرهُ ٣٢ سنة وللمالية سنة ١٨٩٤ . ومنذ نحو سنة جعل رئيساً للنظار

وهو عضو من اعضاء مجلس الفنون الاعلى ومجلس المتاحف الوطنية وجمعية رجال الانشاء ورئيس لمجمع محبي جامعة باريس ونائب رئيس في كثير من الجمعيات العلمية والادبية

لما وضعت الحرب بين فرنسا والمانيا اوزارها بحث مجمع فرنسا العلمي في هذه المسألة وهي لماذا لم تجد فرنسا الرجال الممتازين وقت الخطر

Pourquoi la France n'a pas trouvé d'hommes supérieurs au moment du péril ?

فكان الجواب لانها اهملت امر التعليم في المدارس الجامعة حتى انحط شأنهُ . فاخذت من ساعتها تجدّد هذه المدارس وتعززها ويقول الخبيرون ان الامة الفرنسوية صارت الآن اعز واقوى وارقى مما كانت في كل العصور الغابرة ومن ادلة ذلك اختيارها للمسيو بوانكاري رئيساً لها

وصف الطبائع لثيوفراستس

(٤) في الوجه الصفيق

الصفاقة حرفة ظاهرة يتخذها المرء من الهزل الفاحش بحيث يأتي في اعماله الامور الشائنة ويتجاوز مع الغير حدود اللياقة والحشمة . مثال ذلك الرجل الذي يرى امرأة ذات مقام في الهيئة الاجتماعية مقبلةً فيبدو منهُ امامها ما يخلّ بالحشمة . او هو الذي يصفّق في الملاعب العمومية ويصفر للممثلين والناس سكوت يشاهدون ويسمعون او يستلقي على ظهره فيسمع الحضور من اصوات تجشؤهِ ما يضطرهم الى تحويل انظارهم عن التمثيل . وهو الذي يشتري من السوق الرطب والتمر ويأكلهُ على مشهد من الناس ويتحدث وهو واقف مع الفاكهاني وينادي المارة باسمائهم وهو لا يكاد يعرف احداً منهم ويستوقف في الطريق بعض السائرين الى اعمالهم . واذا رأى احد المحامين دنا منهُ وهنّأهُ فائزاً بالدعوى التي دافع فيها امام القضاة . وهو الذي يشتري اللحوم بنفسهِ واذا صادف في طريقهِ احد المارة اراهُ الاشياء التي اشتراها ودعاهُ الى الطعام ضاحكاً ويقف امام حلاق او عطار فيعلن انهُ سيولم وليمة يعاقر فيها بنت الكروم ولا ينتهي منها الأَ وسورة الخمر قد لعبت في رأسهِ . واذا باع الخمر يوماً مزجها بالماء لاصحابهِ ولغيرهم على السواء . واذا ناط بهِ القوم قضاء مهمة في سفر حفظ لديهِ قيمة النفقة التي قبضها من ذوي الشأن واقترض قيمة اخرى من رفاقهِ . واذا وصل مع الوفد الى الناحية المقصودة وقدّم لهم اهلها بعض الهدايا طلب نصيبهُ منها كي يبيعهُ وينتفع بثمنهِ . ثم هو يأبى على خدَمهِ الفلس الذي يلتقطونهُ من الطريق ولا يخجل من طلب اقتسامهِ معهم . والانكى من هذا انهُ يوزّع الزاد على خدامهِ بكيل مجوّف القعر ومستطيل على شكل هرم حتى اذا طفح انقص منهُ بقدر الاستطاعة وكذلك اذا اوفى ديناً عليهِ فانهُ يؤدّيهِ ناقصاً وينتفع بالفرق . واذا اولم وليمة جمعت كثيراً من المدعوين امر خدّام المائدة بعد انصراف المدعوين بجمع بقايا الاطعمة وتقديم حساب عنها اذ يسوءُهُ ان يترك لهم بقية صنف لم يؤكل كلهُ

في الاوقات غير المناسبة

الاقتراب من الناس او مخاطبتهم في اوقات غير مناسبة امر مزعج . فالمزعج او المقلق هو الذي يأتيك فيحدّثك في شؤونهِ بينما تكون مشتغلاً بشؤونك ويسأل زيداً من الناس ان

يكفله في الامر الفلاني بينما يكون محكوماً عليه جادية كمالة عن بعضهم . ويذهب الى النزهة مع جماعة وصلت من سفر طويل وهي محتاجة الى الراحة . ويتصب في الجمعيات فيعيد الكلام الذي سبقه غيره اليه وعلمه الحاضرون اكثر منه . واذا ادب احد مأدبة ذهب اليه وطلب قسماً من لحوم الذبائح[1] واذا رأى سيداً يعاقب عبده على ذنب اقترفه قال له : اني فقدت احد اقاربي في حال مثل هذا ذلك اني جلدته فيئس من الحياة وانتحر . واذا حكم في مسألة بين خصمين يطلبان الصلح زاد المسألة تعقيداً وحاول الايقاع بين الخصمين

المبالغة في الاكرام

ليست مبالغة المرء في الاهتمام بالغير سوى تكلف باطل يقصد به ابداء مظاهر التلطف والاكرام بالقول او الفعل مثال ذلك رجل يكلف نفسه من الاعمال فوق طاقتها فيقدم على شيء لا يسعه الخروج منه محفوظ الكرامة . او هو الذي يحضر الى المائدة مقداراً من الخمر يتجاوز كفاية المدعوين . ويدخل في مشاجرة بين اثنين فيزيد نارها اشتعالاً . ويعرض نفسه كدليل على ابناء السبيل وهو جاهل الطريق ومنافذها . واذا كان جندياً جاء يسأل القائد رفقته عن اليوم الذي يعد فيه جنوده للقتال وعما اذا كان لديه اوامر يلقيها اليه الغد . واذا دخل على مريض نهاه الطبيب عن الخمر اوعز الى اهل البيت ان يسقوه شيئاً منها على سبيل التجربة لعلها تأتي بالفائدة المطلوبة ثم يساعد العليل على شربها . واذا نعيت اليه امرأة في المدينة تصدى لحفر اسمها واسم زوجها ووالديها وبلدها على القبر مع بيان اصلها وفصلها ثم الثناء عليهم اجمعين بهذه العبارة « كانوا كلهم اهل فضل وفضيلة » . واذا الجأه حكم الاضطرار يوماً الى حلف اليمين في دعوى امام القضاة حضر وقال باعلى صوته « ليست هذه باول مرة اخترق فيها صفوف الحاضرين لتأدية اليمين »

في الغباوة

ثقل في العقل يلازم الاقوال والافعال . فالغبي هو الذي اذا عد الدراهم امام الناس مثنى وثلاث يسألهم بعد ذلك عن مقدار تلك الدراهم . واذا دعي الى المحكمة في دعوى اقيمت عليه ذهب الى البرية في اليوم المعين ناسياً ما عليه . وهو جالس في الملاعب العمومية ولا يفيق الا بعد نهاية اللعب وانفراط عقد الجمهور . واذا تعشى اكل بشراهة فيعتريه عسر هضم فيخرج من داره ليلاً يتمشى في الطريق للتخفيف وطأة الالم عنه فيلاقيه كلب الجيران

(١) كانت العادة عند الاغريق اذا قربوا القرابين ان يحتفلوا مع اصحابهم او يبعثوا اليهم بقسم من الذبيحة وعليه لم يكن ثمت داعٍ لطلب تلك الحصة قبل الاوان اذ ربما جمعت الوليمة ذلك الطالب بين المدعوين

فيهشهُ . ويفتش عن الشيء الذي وضعهُ في مكان فلا يجدهُ . واذا نُعي اليهِ احد اصحابهِ حزن وبكى وأنَّ واشتكى . وبينا العقلاء يقرضون دراهمهم امام شهود عدول عملاً بالقاعدة المتبعة تراهُ يعكس القاعدة ويسترد اموالهُ من مديونيهِ امام اولئك الشهود(١) . وينقض على خادمهِ بالشتم واللعن في ايام الزمهرير لانهُ لم يشترِ لهُ الفاكهة التي طلبها . واذا سمح لاولادهِ يوماً بالمصارعة او السباق في احد الملاعب فلا يأذن لهم في الكف عنها حتى يسيل منهم العرق او تنقطع حبال انفاسهم . وهو الذي يذهب بنفسهِ لجمع البقول من الحقول فيملحها ويطبخها ثم يعيد تمليحها ناسياً ما عملهُ اولاً فيأتي الطعام مالحاً لا يصلح للاكل . وهو الذي اذا امطرت السماء مدراراً والناس في اشد الاستياء من الغيث المنهمل يشكون ويتذمرون لا يخشى ان يقول جهاراً « ما احسن هذا المطر واعذبهُ »

في الفلاظة

الفلاظة نوع من الشدة في اللهجة او العنف في التعبير بل هي توحش يبدو في حركاتنا ويتطرق الى اقوالنا . فالرجل المتوحش هو الذي اذا سألتهُ عن احد الناس اجابك بهذه اللهجة « لا تقلقني » واذا حييتهُ لا يتنازل فيرد التحية . واذا شاء ان يبيع شيئاً لهُ فلا يجوز لك ان تسألهُ عن الثمن واذا فعلت فلا يلتفت الى سؤالك بل يجيبك تيهاً وعجباً : « ماذا ترى في هذه البضاعة » وهو يهزأ بتقوى الذين يمشون بقرابينهم الى المعابد والهيا كل ايام الاحتفالات العظيمة قائلاً : « اذا استجاب الآلهة صلواتهم ونالوا منهم طلباتهم فقد دفعوا ثمنها ولم تأتهم من السماء » . ثم الويل لمن يدفعهُ عن غير عمدٍ بكتفهِ او يطأ قدمهُ وهو سائر في الطريق فان ذنبهُ لديهِ لا يُغتفر . واذا طلب اليهِ صديق ان يقرضهُ مبلغاً من النقود اسمعهُ كلاماً جارحاً وحملهُ من المنة شيئاً كثيراً . واذا عثرت رجلهُ بحجر استشاط غضباً وانقض عليهِ باللعنات . ومثلهُ لا يتنازل وينتظر احداً في مكان معين . وتراهُ يتفرد دائماً بالاشياء الغريبة او بعبارة اخرى يحب الخروج عن المعتاد بين الناس فلا يغني بين جماعةٍ اذا جاء دورهُ ولا ينشد شعراً في وليمة ولا يرقص مع القوم في مأدبة(٢) وفوق ذلك كلهِ فانك قلما تراهُ في المعابد والهيا كل حاملاً للآلهة النذور والقرابين سليم عوَّاد

---

(١) كان استشهاد الشهود شائعاً جداً عند اليونان في جميع المعاملات

(٢) كانت العادة عند اليونان ان ينشدوا في الولائم بعض الابيات من شعر شعرائهم ويرقصوا معاً بعد الفراغ من المائدة

اليعاسيب

١ معاني هذه اللفظة والمعنى المراد بها هنا خاصة

اليعاسيب جمع اليعسوب . وقد وردت هذه اللفظة بمعانٍ شتى وهي على ما في القاموس : امير النحل وذكرها (والاصح اميرة النحل واناثها الصحيحة لانَّ العلماء اثبتوا انها من شق الاناث لا من شق الذكور الاَّ ان الاسم بقي يعسوباً كما ان الزنبور يطلق على الانثى والذكر وكذلك سائر اسماء الحيوانات التي هي من هذا القبيل) والرئيس الكبير كالعَسُوب (بدون ياء في الاوَّل) وضرب من الحجلان وطائر اصغر من الجرادة وغرة في وجه الفرس ودائرة في مركضها وفرس للنبي صلعم واخرى للزبير رضه واخرى لآخر وجبل . . . اه

والآن نبين اسباب هذه المعاني فنقول : اما اصل اليعسوب فهو العسوب زادوا الياء في الاول لزيادة في المعنى كما اثبتهُ ابن فارس . فاليعسوب وان كان بمعنى العسوب الاَّ ان مؤدَّى الاول اعظم من مؤدَّى الثاني كما هي الغاية من زيادة الحروف لزيادةٍ في المعاني . والعسوب فعول من عسب الفحل الناقة اذا طرقها . وقد يستعار للناس كما اوضحهُ صاحب اللسان . كما ان الفحل وردت بمعنى الرئيس اشتقاقاً من الفحولة جاءت ايضاً العسوب بهذا المعنى . واصل العَسْب العَسْو وهو الطلق . والمعنى ظاهر . ولهذا جاز ان يطلق لفظ العسوب على اميرة النحل ورئيس القوم . اما ورودهُ بمعنى « ضرب من الحجلان » فهو غلط دقَّ دخولهُ في اللغة فاستحكم في كتب كثيرين بدون ان يتدبروا اللفظة وطريق دخولها بهذا المعنى الغريب . وانما الصحيح هو : « ضرب من الجعلان » وتتمة عبارة القاموس هي : « وهو طائر اصغر من الجرادة » . والجعلان بتقديم الجيم على العين المهملة جمع جُعَل بالفتح وهو طويئر في خلقة الجرادة وليس بها ويسميه الافرنج Libellule والانكليز Dragon-fly الاَّ انهُ لما كانت لفظة الجعل والجعلان قليلة الورود غريبة اللفظ غير مألوفة السمع ظنوا ان صحيحها هو الحجل والحجلان ومما زادهم ثبوتاً في الوهم ان لفظ اليعسوب كلفظ اليعقوب واليعقوب هو الحجل فظنوا ان كلا الحرفين واحد في المعنى وان القاف انقلبت سيناً كما انقلبت في الفاظ عديدة منها : قتَّهُ وستَّهُ بمعنى واحد اي قطعهُ . ومرَّ مستدلاً ومقندلاً اسبى مسترخياً في المشي . الى غير هذه الكلم مما لا محل للاطالة فيه هنا . على ان الحق يوجب علينا ان نقول ان اليعسوب لم تأتِ بمعنى الحجل الذي هو القبج بل بمعنى الجعل الذي هو

هذا الطويئر الغريب الخلقة من الجرادة · وهذا صاحب لسان العرب على سعتهِ لم يذكر قط للفظة اليعسوب معنى الحجل مع انهُ ذكر سائر المعاني المقصودة بناصية اللفظة · ثم ان الذين نقلوا عن الفيروزابادي ذكروا هذا المعنى لكن لا عبرة في كلامهم لانتقال الغلط اليهم منهُ

ولما كان هذا الطويئر منتصب الجناحين خلقة ولا يمكنهُ ان يضمهما شبهت بهِ الخيل الضمر · ومنهُ قول بشر:

ابو صبية شُعثٍ يُطيف بشخصهِ　　كوالح امثال اليعاسيب ضُمَّرُ

فاذا عرفت ذلك رأيت السبب الذي من اجلهِ سمي بهِ بعض الافراس — واما مجيء معناهُ لغرة في وجه الفرس فمن باب المشابهة ولهذا لا تقال عن كل غرة بل عن تلك التي تستطيل وتنقطع قبل ان تساوي اعلى المنخرين · وكذلك اذا ارتفع البياض على قصبة الانف وعرض واعتدل حتى يبلغ اسفل الخُليقاء فهو يعسوب ايضاً قلَّ او كثر ما لم يبلغ العينين

وجاءت لفظة اليعسوب بمعنى دائرة في مركض الفرس من باب المشابهة ايضاً وذلك ان الفارس اذا اركض دابتهُ برجلهِ وضربها في جنبها وقع الشَعَر من مركضها فكان على صورة يعسوب · ثم ان الازهري غلَّط الليث في هذا المعنى لكنهُ غير محق ولا مصيب · فقد قال الازهري: هذا غلط · اليعسوب عند ابي عبيد وغيره: خط من بياض الغرة ينحدر حتى يمس خطم الدابة ثم ينقطع اه · فهذا المعنى ايضاً لا يخلو من المشابهة [1]

فانت ترى ان معاني اليعسوب كلها راجعة الى واحد وهي الرئاسة الراجعة الى الانتصاب والتصلُّب والتلظ · وعليهِ لا يجمع معنى اليعسوب الحجل الا على هذا الطويئر وهذا ما اردنا ان نبينهُ ولا يخفى على القارىء ما في اثبات المعاني للالفاظ من الفوائد الجليلة لانصراف الفكر اليها حالاً اذا نطق بها · ولاسيما في الالفاظ العلمية والاوضاع المصطلح عليها فهذا من ألزم الامور — وانت تعلم ان مجلة المقتطف خدمت اللغة خدمة لا نقدر بجمع كثير من

---

(١) وممن ذكر اليعسوب الجاحظ · قال في كتابهِ (عن الحيوان ٣ : ١٠١) للذبان يعاسيب وجحلان (وفي الاصل المطبوع وجحلان وهو غلط · وهذا الكتاب كثير اغلاط الطبع) ولكن ليس لها قادة ولا امراء ... ثم قال: وكل قائد فهو يعسوب ذلك الجنس المقود · وهذا الاسم مستعار من محل النحل وامراء العسالات · وقال الشاعر وهو يعني الثور

كما ضرب اليعسوب اذ عاف باقر　　وما ذنبهُ اذ عافت الماء باقر

وكما قال علي بن ابي طالب رضه في صلاح الزمان وفساده: فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبهِ · وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتاب قتيلاً يوم الجمل: لهفي عليك يعسوب قريش جدعت انفي وشفيت نفسي　فالها　وعلى هذا المعنى قيل يعسوب الطفاوة · اه

الالفاظ العلمية الدالة على الحيوان والطير والسمك واثبات معناها كدت اقول بما يثبت الرواسي عند نشره معجم الحيوان للدكتور امين افندي المعلوف · بقي على المقتطف ان ينشر الالفاظ الراجعة الى معجم الحشرات · وريثما يفصل ذلك انشر ما يقع اليَّ من تحقيق بعض تلك الحروف ليسهل العمل بعد ذلك على الجامع ويقع بالوشل اكتفاء بما نشر مفصلاً او مطولاً · وها انا اذكر اليعاسيب فاقول

٢ اليعاسيب وانواعها على ما جاء في كتب العرب وذكر اسمائها

قال في التاج وقد جمع اقوال جميع اللغويين في هذا الصدد : اليعسوب ضرب اي نوع من الجعلان بالكسر جمع جعل للطائر المعروف · وطائر اصغر من الجرادة (قلت : صحيح هذه العبارة هكذا : اليعسوب ضرب اي نوع من الجعلان بالكسر جمع جعل للطويئر المعروف وهو طائر اصغر من الجرادة) عن ابي عبيد · ونقله بالموت عن الاصمعي او اعظم منها طويل الذنب لا يضم جناحيه اذا وقع · تشبه به الخيل في الضمر · قال بشر ····· (البيت) وفي حديث معضد : لولا ظما الهواجر ما باليت ان اكون يعسوباً · قال ابن الاثير : هو هنا فراشة (كذا · ولو قال يشبه الفراشة لكان اصوب) مخضرة تطير في الربيع · وقيل انهُ طائر اعظم من الجرادة · ولو قيل : انهُ النحلة (في هذا الحديث) لجاز اه

وقال ابن سيدة في المخصص (٨ : ١٧٧ ابو حاتم : اليعسوب نحوٌ من الجراد دقيق لهُ اربعة اجنحة لا يقبض لهُ جناحاً ابداً ولا تراهُ ابداً يمشي الاَّ طائراً او واقعاً على رأس عود او قصبة · والجعل منها : العظم والجمع جعول · ابن دريد · وجعلان · قال : وهو في خلقة الجراد اذا سقط لم يضم جناحيه ··· قال ابو حاتم : قال الطائفي : الجعل تسميه السِرْمان · والبيض منها اليعاسيب ·· صاحب العين : التمع : ضرب من اليعاسيب اعظمها واحسنها والجمع التمابيع » انتهى · وقال في اللسان قولاً نقلهُ صاحب التاج بحرفهِ : السِرْمان (بالكسر) العظيم من اليعاسيب والضرلقة · والسِرْمان (بالكسر) دويبة كالجعل (وحركها وزان سبب) · « فقولهُ في الآخر والسرمان دويبة كالجعل غلط واضح فاضح وانما هو كالجعل بتقديم الجيم بمعنى العظيم من اليعاسيب فهو اذاً تكرار لا معنى فيهِ ولعل الاصل : السرمان دويبة كالجعل وهو العظيم من اليعاسيب فقدَّم الناسخ وأخَّر فمسخ وأضرَّ

وجاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري المطبوع في مصر : السرمان : دويبة كالجعير كذا · وهو غلط والاصح كالجعل · وسبب تصحيف هذه الكلمة هو كما قلنا غرابتها وقلة ورودها على الالسنة

ومن اسماء اليعسوب في العراق : عقربة الحمار . والبعض يقول : عقربة الزِمال . والزِمال عندهم مرادف لحمار وهو تصحيف وتحريف الزاملة . والزاملة في اللغة الفصحى التي يُحمَل عليها من الابل وغيرها . وعليهِ يصح تسمية الحمار بالزاملة . والعراقيون يقولون في مؤنث الزِمال : زمالة . اما عقربة الحمار فقديمة الوجود في لغة العراقيين ولعلها سابقة لعصر الخلفاء وذلك نقلاً لها من لغة الارميين وهي بلسانهم « عقرَبْتا وعقرَبْ حمار » . وجميع اللغويين اصحاب المعاجم السريانية العربية قالوا « عقربة الحمار » مقابلاً لها في العربية . واما اصحاب المعاجم السريانية اللاتينية او السريانية الاعجمية لم يذكروا لها مقابلاً اعجمياً غير قولهم : واسم هذه الدويبة عقربة الحمار بالعربية . والظاهر انهم لم يعرفوا ما المراد بهذه اللفظة والاّ لذكروهُ . ولاسيما لان كتبة اللغة العربية لم يذكروها في كتبهم على قدمها . واما انها قديمة فقد وردت في أقدم المعاجم السريانية العربية . ولولا ان عقربة الحمار مستعملة الى يومنا في العراق وعلى ألسنة عوامهم وخواصهم بواديهم وحواضرهم لما اهتدينا الى معناها . ثم ان البعض يسمونها ايضاً يعسوباً ولكن لا تسمع هذه اللفظة الاّ من الادباء الفصحاء . فاحفظ كل ذلك تُصِبْ ان شاء الله

وقد بحثت بحثاً عميقاً عما يقابل الفاظ اليعاسيب في اللغتين التركية والفارسية وعندي فيهما اعظم المعاجم واوسع دواوينهما فلم ارجع الاّ بما رجع بهِ حُنَيْن . — ثم حاولتُ ان اعرف ما وضع اصحاب المعاجم الفرنسوية العربية مقابلاً لكلمة Libellule فلم أرَ واحداً شفى غليلي . — ثم اخذت انقّر في دواوين اللغتين العربية والفرنسوية او العربية الانكليزية لأجد اللفظة الاعجمية التي تقابل اليعسوب او مرادفاتها العربية فلم يزدني علماً احد سوى انهم شرحوا الكلمة المنشودة شرحاً طويلاً نقلاً عن العرب . وانا اطلب كل ذلك في اوسع المعاجم واضخم الدواوين اللغوية . — ثم فتشت في معجم يوحنا ابكاريوس الانكليزي العربي فوجدتهُ يقول في Dragon-fly ذباب فارسي . مغزل يعسوب . حينئذٍ تنفست الصعداء . الاّ انهُ غلط في ذكر مرادف اليعسوب كلتي ذباب فارسي ومغزل . فاما الذباب الفارسي فليس باليعسوب على ما هو مشهور . واما المغزل فلعلهُ من وضعهِ لمشابهة جسم اليعسوب للمغزل . وعلى كل حالٍ اني لم اجد لها اثراً في المعاجم اللغوية الجمة الموجودة تحت يدي . واما اليعسوب فلا غبار عليها فهي الكلمة الصحيحة المناسبة للكلمة الانكليزية

فانظر بعد هذا عظم احتياجنا الى معجم علمي يدوّن الالفاظ الصحيحة الفصيحة المقابلة للاعجمية او بالعكس . وتحقق ان ما فعلهُ المقتطف من نشر « معجم الحيوان » للدكتور

امين المعلوف هو من اعظم الاعمال في تحقيق الـ سـظ الخاصة على الحيوان · الَّا انهُ لم ينشر بعدُ ما يتعلق بالحشرات · ولهذا نشرت هذه الالفاظ وربما يعود الكاتب الفاضل الى موضوعه الجليل فيوفي حقهُ من البحث والتدقيق

٣ اليعاسيب وانواعها على ما جاء في كتب الافرنج المحدثين

كل من انعم النظر في ما ذكرهُ العرب وصفاً لليعسوب لا يمكن ان يخامرهُ الشك في انهُ هو المسمَّى بالانكليزية Dragon-fly وبالفرنسوية الفصيحة Libellule وبالفرنسوية العامية Demoiselle الَّا ان فوليوس نقل في معجمهِ الكبير العربي اللاتيني ان اليعسوب هو Mordella Gaza او Orsodacna Aristot وقد نقل هذا اللفظ ايضاً فرجاغ ولم يعزُهُ الى صاحبهِ · ولا حاجة الى التنبيه الى انهما غلطا في جعل المرادف لها في اللاتينية احد هذين الحرفين او كليهما معاً · فالوهم ظاهر لمن لهُ ادنى وقوف على علم الحشرات وعلى حقيقة تعريف العرب لليعسوب

اما اللفظ الصحيح المقابل لليعسوب في اللاتينية فهو Libellula وهي تصغير Libellus ومعناها الكُتَيِّب وذلك لانها تشبه كتاباً صغيراً مفتوحاً لهيئة جناحيها المنبسطين واليعسوب قبيلة من قبائل الحشرات من رتبة الشُّبَكِيَّة الاجنحة من فصيلة الخرزية القرن تمتاز بقدها الرشيق الممشوق وخصرها الدقيق وجسمها الطويل اللطيف الملون بالوان مختلفة حسنة المواقع · ويشبه بطنها انبوباً صغيراً دقيقاً اسطواني الشكل مؤلف من اجزاء مختلفة تكاد تكون متساوية القدر · ورأسها ضخم بالنسبة الى جسمها وجبينها ناتئة كل النتوء ولرئاها قصيران بتهيات بشعرة وعيناتها ocelles واقعة على جانب ورقل مستعرضة ومشفراها يبانان كل البيونة وقويان ولها اربعة اجنحة متساوية متشابكة الخطوط · ولجناحيها المتقدمين اعصاب بشكل مثلث مستطيل معكوس

واليعاسيب تتطور التطورات الثلاثة · والاناث تسرأ في الماء لتخرج دود او دعاميص لها قوائم زبَّاء وتتحرك بسرعة وخفة وتسلخ مراراً · اما السُرُف فلونها لون حشرة ربداء قد نبت لها جناحان في الحُمَر وتتشبث بالحشائش والابنية المائية لتنتظر ثمَّ تطورها الاخير · واذا تمَّ خلقها رأيتها حسناء ولها تلك الاجنحة الملونة الرقيقة التي تزري بانواع الشفوف وعينان ضخمتان ذواتا صميمات في منتهى الغرابة ولمشفريها من القوة ما تقوى بهِ على تحطيم اي ذبابة تقع لها في طيرانها وترتزق بها

وترى اليعاسيب في الصيف في جوار المياه تسف سفاً سريعاً في اغلب الاحيان وتحلق

في الجوّ في بعض الأُوَيقات ومع شكلها الظريف وخلقها اللطيف فانها من اشد الهوامّ ضراوة بالاحياء الصغيرة

وتقسم هذه القبيلة الى ثلاث عمائر او اصناف وهي اليعاسيب والجعلان والتوابيع

اما ضروب اليعاسيب فاشهرها : اليعسوب المشهور Libellule communis او L. vulgata ويكاد يكون بطنهُ اسطواني الشكل والجسم اشهل غامقاً والاجنحة شفافة وهي القائمة ١٨ خطاً الى آخر ما هناك واليعسوب المفلطح L. depressa ويسميهِ عوام الافرنج اليونورة Eléonore وجسمهُ مفلطح دقيق المؤخر · — واليعسوب الكبير او السِرْمان (بكسر السين وتضمّ على لغة) L. grandis والفرنسويون يسمونهُ جولية Julia او Grand libellule وطول الاجنحة من طرف الى طرف يبلغ ٨ سنتيمترات · وجسمهُ يذكّرك بجم انبوب الريش وهو من الجعول لا من اليعاسيب · — واليعسوب ذو الاربع نكات او اليعسوب الفرنسوي او فَرَنسُوَاة Françoise وهو الذي سيجه جناحيهِ الاعليين نكتتان فقط في طرفيهما الخارجين وفي جناحيهِ الأُخرين نكتتان اخريان عند اصليهما — واليعسوب الشَبَحي او الاسمر ويسميهِ الفرنسويون أمنثة Aminth ويعرف بصفرة اجنحتهِ مع نكتة صفراء فيها وهو يرفعها صُعُداً في اغلب الاحيان اذا ما حطّ على موضع

اما ضروب الجعول فمنها السرمان الذي ذكرناهُ والجعل بالفرنسوية هو Æshne ومنها الجعل ذو الكلابة ويسميهِ الفرنسويون كارولينة Caroline ويعرف بنكتة مستطيلة على حافة كل جناح الى غيرها

اما التوابيع ومفردها التُبَّع Agrion فتمتاز عن اليعاسيب والجعول باجنحتها القائمة في وقت السكون وبضخم الراس من قبل الصدغين وقصرهِ ولها جباهٌ مفلطحة واعين بارزة مقبية · ومن ضروبها المشهورة التُبَّع الصرور وهو معروف في ديار العراق والشام ومصر وبلاد الافرنج واسمهُ بلغة العلماء Agrion virgo لونهُ اخضر مذهب او ازرق واضح وشكل اجنحتهِ متلززة والتُبَّع الفتيّ (١) وبالفرنسوية Agrion jouvencelle وغيرها · ومما

(١) من غريب ما اختلف فيه ابناء الغرب عن ابناء العرب في تسمية هذه الدويبات ان الاعاجم وضعوا لها احب اسماء الاناث اليهم لما رأوا من ظرافة شكلها وخلقها وبديع الوانها ومحاسن ولطافة بنيتها وتركيبها ورشاقة قدها ورقة خصرها فسموها باسماء اشهر بناتهم حسناً وجمالاً وقد رأيت بعضاً من هذه الاسماء وهي جولية واليونورة وفرنسوازة وامنثة وكارولينة وغيرها ومنها ما سموها بالعذراء او البكر وهي التي دعوناها « بالتبع الصرور » واما ذكّرنا التبوع لان المعرب العربي مذكر وكذلك ذكرنا للتعظيم

تعرف بهِ الجنابيع ان قدها دقيق كأنهُ خطٌ خُطَّ بالقلم وتختلف الى شواطئ الانهار وتبين من غيرها بلون بطنها ولألاءِ اجنحتها . وطيرانها دون طيران اليعاسيب سرعةً وهي لا ترتفع صعداً ولا تصفُ صفاً بل تتطاير على الانبتة وهي كلها من سباع الحشرات اي من اكلة اللحوم فيها

هذا ما اردنا تبيانهُ في هذا الباب . والسلام أمكح

التظاهر بالموت لاتقاء الموت

للاستاذ هولمز من جامعة وسكونسن في اميركا

من الحيوانات انواع كثيرة تتماوت اذا دهمها الخطر ولا يمكننا القول بانها تفعل ذلك عن ادراك عاقلة بانها تتذرع بهِ لتخليص حياتها من الخطر المحيق بها . ولو سلمنا بان للحيوانات العليا من الفهم والدهاء ما يدفعها الى مثل هذا لما وسعنا بان نسلم ان الشاكب ونحوها من الحشرات الدنيا التي تفعل ذلك تدرك نتيجة عملها . وقد جرَّب العالم الفرنسوي فابر بعض التجارب في هذا السبيل فثبت لهُ ان مدة تماوت الحشرة وانقطاعها عن الحركة لا تتعير بقائه قربها وانيانهِ الحركات بحيث تحس بوجوده . لجرب اكثر تجاربهِ في بعض انواع الخنافس فكانت تحني رأسها الى الامام وتضم ارجلها الى جسمها وتنقطع عن كل حركة عند ما يلمسها وتبقى على هذه الحال دقائق كثيرة وربما بقيت اكثر من ساعة . ثم تستفيق من سباتها فتبدأ مظاهر اليقظة بارتجاف خفيف في ارجلها وقرنيها وحلقات فيها ولا تلبث بعد ذلك ان تحرك ارجلها فتنهض وتدب كأن لم يكن شيء واذا امسكها ثانية عادت الى تماوتها . وقد كرر ذلك مراراً فوجد ان مدة السبات تزيد كل مرة عن المرة التي قبلها ولكن اذا تكرر ذلك على الحشرة نفسها القلت عن التظاهر بالموت كأنها تعبت منهُ او تأكدت ان حيلتها لا تنفع

وكان فابر في بعض التجارب يلقي الحشرات على ظهرها ويبتعد عنها ويجتنب كل حركة وصوت فتبقى هادئة . وخرج في بعض التجارب من الغرفة ولكنهُ كان يتردد اليها بكل تأنٍ واحتراس ليراقب حركات الحشرات فكانت النتيجة واحدة . ثم عطَّى بعضها حتى تأكد انها

في قولهم : الشيخ الفتية او الشابة او الصبية مراعاةً لمصطلح العرب ومزيةً لفتهم ولذلك قلنا الشيخ الفتي " . — اما الناطقون بالضاد منهم اطلقوا عليها اخذ الالفاظ واخصبها وبخسها واجملها كأنهم كرهوها ولم يحتقروا اشكالها . ومنها الجسوب والجعل والنيع وعقرب الحمار . اللهمَّ الاَّ السرمان فانها دون سائر الالفاظ جميلة وعذبة " . فسبحان مقلب العقول

لا تبصر شيئاً وخرج من الغرفة فلم يكن ذلك ليؤثر فيها . فتبين من ذلك ان المناظر والاصوات لا تؤثر في طول المدة التي تبقاها الحشرات حادثة متظاهرة بالموت . وقد جرّب كثيرون تجارب مثل هذه في انواع مختلفة من الحشرات فدلت كلها على ان الحشرات لا تتماوت خداعاً مدركة نتيجة عملها

وقد نبّه داروين الى الفرق بين اوضاع اجسام الحشرات حينما تتماوت واوضاعها حينما تكون ميتة حقيقة فقال : عاينت هيئات الجسم واوضاعهُ حين التظاهر بالموت في سبعة عشر نوعاً مختلفة من الحشرات ثم اتيت بحشرات ميتة من نوعها وامتُّ اخرى بالكافور واعتنيت بان اجعل موتها بطيئاً حيناً فلم يكن وضع جسم الميتة كوضع جسم المتماوتة ولا في واحد من هذه الانواع بل كان الفرق ظاهراً جليًّا بين الحالتين

وتتخذ بعض الحيوانات هيئات غريبة عند تماوتها . فاكثر الخنافس تضم ارجلها وقرونها الى جسمها . والدويبة المعروفة بالحدبة تجمع اطرافها وتستدير كالكرة . ومن الخنافس نوع اذا احس بدنو الخطر مدّ ارجلهُ فتنتصب كانها قطع سلك من الحديد وانقطع عن الحركة فتنخدع بذلك الطيور التي تأكلهُ . وارجلهُ تنتصب مثل ذلك عندما يموت . والعناكب تطوي ارجلها وتمتنع عن الحركة وديدان بعض الفراش تأخذ بغصن شجرة بارجلها الخلفية وتنتصب في الهواء كانها بقية غصن مقطوع . وكثيراً ما يكون لونها كلون الغصن الذي تتعلق به فيصعب اذ ذاك تمييزها عنهُ

ومع ان اكثر الانواع تتخذ اجسامها اوضاعاً وهيئات مخصوصة عندما تتماوت فبعض الانواع يبقى جسمها على ما كان حين ابتداء سكونها . ومن امثلة ذلك عقرب الماء (ranatra) فلهذه الحشرة ثلاثة ازواج من الارجل والزوجان الخلفيان طويلان دقيقان تعتمد عليهما في المشي والسباحة وتستعمل الزوج الامامي لامساك الحيوانات المائية الصغيرة لتقتات بها . فاذا اخذتَ واحدة من هذا النوع من الماء امتنعت عن الحركة وجدت ارجلها وقد تلتصق اطرافها بجسمها فتصبح كانها قطعة من خشب . وقد تمتدُّ عمودياً او تقف على هيئات اخرى ولا فرق بين ان تكون الارجل كلها على هيئة واحدة او على هيئات مختلفة . فوضع الارجل يتوقف على هيئتها عند ابتداء التماوت ولا يتغير الى ان تفيق الحشرة ثانية . وقد وجدت ان عقارب الماء الصغيرة تتظاهر بالموت يوم خروجها من البيض قبل ان تتصلب ارجلها ولكن مدة بقائها على تلك الحال اقصر من المدة التي تبقاها العقارب البالغة اشدّها .

ومن الغريب ان العقارب الكبيرة لا تتظاهر بالموت وهي في الماء مهما استعملت لذلك من الوسائط والحيل ولكن اذا اخرجتها منهُ سهل ذلك كثيراً عليها فتمسة حميقة قد تبقيها ساعة بلا حراك

وهذه الغريزة لا تظهر في الحيوانات العديمة الفقرات الاَّ ان بعض الانواع تعمل اعمالاً تقرب منها . وتظهر في الحيوانات القشرية ولكنها ليست تامة فيها فتها انواع تعيش على الشواطئ الرملية وتظهر كانها ميتة كلما اخذتها بيدك واذا كررت اخذها كررت عملها هذا

ثم تظهر هذه الغريزة على درجة اوضح في المدبة فبعض انواعها تستدير كالكرة وتبقى على هذه الحال مدة غير يسيرة . وبعض انواعها تضم اطرافها الى جسمها وتفقد شكلاً يقرب من شكل الكرة ولكنها لا تلبث على تلك الحال طويلاً فتنشر اطرافها وتعود الى شأنها الاول . ومن الحيوانات الكثيرة الارجل ما يفعل ذلك واكثر العناكب تفعلهُ ايضاً

ويظهر التماوت باتم احوالهِ في الحشرات السفلى كالخنافس وبعض الدوبيات ويقلُّ في الحشرات العليا كالذباب والنحل والنمل ويبدو في قليل من انواع الفراش وديدانها . وتختلف درجة هذه الغريزة في انواع الحشرات فتظهر في بعضها قوية كما في الانواع التي تتماوت فلا تتحرك ساعة من الزمن وتظهر في البعض الآخر ضعيفة كما في الانواع التي تسكن دقيقة او دقيقتين . وبعض الانواع تُقطع اطرافها او تلقى في النار فتبقى ساكنة ولا تبدو عليها علامة تدل على الحياة

اما في ذوات الفقار فالتماوت قليل في السمك ولا يزيد الاَّ قليلاً في الحيوانات التي تعيش في الماء واليابسة فلا يبلغ الدرجة التي يبلغها في الحشرات والعناكب . واذا احتيل على الضفادع بطرائق مخصوصة توقفت عن الحركة وتماوتت على نوع ما . وبعض الزحافات تتظاهر بما يقرب من التماوت وقد ذكر داروين نوعاً من الحردون في اميركا الجنوبية اذا احس بقرب العدو بسط اطرافهُ واغمض عينيهِ والصق جسمهُ بالارض كانهُ يحاول ان يختفي عن الانظار فاذا ازعجتهُ وهو على تلك الحال وارى نفسهُ في الرمل حالاً . والحواة في مصر يغمزون الصل في عنقهِ فيصيبهُ شبه الانشلال فيلعبون بهِ كيفما شاؤوا ويجري مثل ذلك لانواع اخرى من الافاعي

ولا يتماوت من الطيور الاَّ انواع قليلة . وقد دهشت لسرعة تولّد هذه الغريزة في فراخ

الخرشن من طيور الماء فان الصغار تبقى مدة بعد افراخها لا تخاف الناس فاذا اقتيت يدك عليها استأنست وجثمت تحتها . حتى اذا كبرت ونبت عليها ريش البلوغ صارت تخاف من الناس فاذا دنوت منها هربت واختبأت في العشب وبقيت بلا حراك . ويمكنك عندئذٍ ان تأخذ الخرشنة وتمد رجليها وتبسط جناحيها فلا يبدو عليها اثر الحياة . وقد تنزع ريش ذنبها وجناحيها ريشةً ريشةً فلا تتحرك . ثم تنقلب الحال بغتة فتفيق وتأخذ تصيح وتنفر وتحاول الافلات . وحاولت مراراً ان اجعل احد هذه الطيور يتماوت مرة ثانية فلم افلح . وذكر راملز ان اوزّ سيبيريا البري يفعل ذلك عندما يقع ريشهُ ويصبح غير قادر على الطيران . وجاء في وصف هدسن لبعض انواع الحجل في اميركا الجنوبية انهُ بعد ان يحاول الافلات من ممسكهِ يدلي رأسهُ ويتنفس مرتين او ثلاثاً كأنهُ في حالة النزع فتحسبهُ قد مات . فان القيتهُ من يدك فتح عينيهِ حالاً ووثب بغتة الى حيث لا تنالهُ يدك

فاذا انتهينا الى الحيوانات اللبونة رأينا هذه الغريزة ظاهرة جليًّا في الابسم . واذا أحرج الثعلب او وقع في فخ تماوت واحتمل اصناف الاذى من دون ان تظهر منهُ اقل حركة . وروى هدسن حكاية عن ثعلب رآهُ باميركا الجنوبية قال : « ركبت مرة مع رفيق لي في ارض عراء فرأينا ثعلباً لم يبلغ اشدهُ ينظر الينا كأنهُ ينتظر اقترابنا منهُ . ولكنهُ ما لبث ان انطرح على الارض بغتة فلما دنونا منهُ وجدناهُ مغمض العينين كأنهُ ميت . فالهبهُ رفيقي ضرباً بسوطهِ فلم يتحرك واخبرني عند ذلك انها ليست اول مرة رأى فيها ثعلباً يفعل ذلك »

واورد المستر مورغان في كتابهِ عن القندس (كلب الماء) الحادثة التالية وهو متأكد صحتها قال : «حدث ذات ليلة ان ثعلباً دخل قن الدجاج في احدى المزارع فاكل حتى انتفخ بطنهُ ولم يقدر على الخروج من حيث دخل . فاتى الفلاح في الصباح فوجدهُ ملقى على الارض ممدود الارجل كأنهُ مات من التخمة . فاخذهُ من ذنبهِ ومشى بهِ الى ان اقترب من البيت فرماهُ على الارض فنهض من ساعتهِ واطلق ارجلهُ للريح » وكثيراً ما يتمكن الثعلب من خدع الكلاب بهذه الحيلة فينجو بحياتهِ . وقد شاهد كثيرون الثعلب المتماوت يفتح عينيهِ ببطء اذا تُرِك وحدهُ ثم يرفع رأسهُ وينظر حولهُ ليتأكد ابتعاد العدو عنهُ ثم يقف بغتة ويهرب

وليست هذه السليقة سوى رد فعل للمؤثرات الخارجية في الحشرات ولكن الطيور والحيوانات اللبونة تدرك ما تفعل على نوع ما . ففي هذه الحيوانات الراقية يرافقها ادراك قليل من الحيوان الذي يلجأ اليها لتخليص حياتهِ ولكنها ليست نتيجة افتكار وجداني ولا هي

خطة يرسمها له عقله ولولا انها غريزة فيه لما امكنه اختراعها . وان حسبناها ناتجة عن فهم الحيوان فلماذا لا تلجأ اليها الحيوانات الاخرى التي لا يقل فهمها عن فهم هذه . ولا شك في ان الثعلب الذي يفتح عينيه رويداً رويداً و ينظر الى ما حوله نظرة المتثبت من امره قبل ان يقدم على شيء يفعل ذلك مدركاً نتيجة عمله ولكن لا ينتج من هذا انه يفعل هذه الامور من دون ان تسوقه اليها الغريزة

اما الاحوال الفسيولوجية التي ترافق التماوت فتختلف باختلاف الانواع . ففي اكثر الحيوانات الدنيا تتشنج العضلات كتشنج عضلات المصاب بالكزاز . واستدارة البعض كرات تضم الاطراف في وسطها و يبس قوائم الاخرى وبقاؤها على هذه الحال وقتاً غير يسير يقتضيان بذل قوة عضلية . وعقرب الماء المتماوت تأخذه من رجله الدقيقة فتحمله من دون ان تلتوي اذا مدّ افقياً . واذا تصورت رجلاً أخذ من رجله ومُدّ في الهواء افقياً ووجهه الى السماء ولم تلتوِ ركبته امكنك تصور صعوبة ذلك في عقرب الماء ورجله بالنسبة الى جسمه اضعف من رجل الانسان بالنسبة الى جسمه

وتماوت الحشرات والحيوانات الدنيا لا يتوقف على فعل الدماغ بل على فعل فسيولوجي في جميع الجسم . وقد وجدت ان القسم الخلفي من عقرب الماء يتماوت بعد نزع رأسه والقسم الامامي من صدره . واذا افاق من تماوته عاد اليه ثانية عند ما تمسه . وثبت ايضاً ان العناكب تتماوت بعد نزع دماغها

ولا شك في ان لغريزة التماوت علاقة بما يسمى بالاستهواء في الحيوانات الدنيا كالضفادع والجراذين و بعض السراطين والافاعي والطيور والحيوانات اللبونة تلبث في سبات عميق لا تبدي حركة اذا احتلت عليها ببعض الوسائل البسيطة . ويمكنك ان تجعل الحيوان يتماوت بمؤثر ضعيف بسيط كاللمس مثلاً . اما الاستهواء فلا يتم الأ بطرائق مخصوصة والمؤثر في كلا الحالين يأتي عن طريق اللمس . وفي استهواء الحيوان تتشنج اكثر عضلاته وتقل فيها قابلية الانقباض بالمؤثرات . ويحدث مثل ذلك في تماوت بعض الحشرات فيمتنع تأثر عضلاتها الى درجة مخصوصة . فاذا قُطعت ارجل عقرب الماء الواحدة بعد الاخرى او قُطع جسمه نصفين لم يتحرك . ولا نقدر في الوقت الحاضر ان نبت احكاماً قاطعة في حالة الجهاز العصبي في مثل هذه الاحوال ولكننا نقول ما نقول من باب الحدس الى ان يحقق العلم حدسنا او ينقضه

اللغة العربية

(تابع ما قبله)

ترون ايها السادة اني لا احسب الالفاظ المفردة من حيث هي الفاظ مفردة ولا الحركات الاعرابيةٌ ولا كثيراً من المذاهب والتعليلات الصرفية والنحوية من مقوّمات اللغة العربية ولا من القنيات التي امتازت بها فكانت سبباً لتفوّقها على كثير غيرها من اللغات الراقية ولا اذهب ايضاً الى انّ بلاغة الجاهلية جوهرية في اللغة العربية حتى اذا خرج الكتّاب عن عاداتها والصوغ على قوالبها الى ما تدعوهم اليه اذواقهم وتخيلاتهم فسدت اللغة العربية وانحطت رتبتها العالية بين اللغات المرتقية وانحط اهلها ايضاً تبعاً لانحطاطها . بل اعتقد ان جمادنا على تحدّي بلاغة الجاهلية وتوخيها في كتاباتنا لا يجوز لنا ولا يكون بلاغة ايضاً الاّ اذا كانت عقولنا ومدركاتنا وبالتالي عاداتنا ومألوفاتنا الاجتماعية الحسيّة والادبية شبيهة تمام المشابهة بما كانت عليه عقول الجاهلية ومدركاتها وعاداتها وسائر احوالها الاجتماعية . لان البلاغة عند التحقيق تقوم بانطباق الصورة الكلامية الخارجية على الصورة الداخلية الذهنية . ولا شك ان الصورة الذهنية لقوم او لجيل من الاجيال في زمانين متباعدين لا بدّ ان يقع فيها تغيُّرٌ يقلّ او يكثر على نسبة ما يقلّ الاختلاف او يكثر بين ظواهر تمدن الجيل في ذينك الزمانين . فان بقي التمدّن واحداً (اي جميع المظاهر الاجتماعية الخارجية وما دعا اليها من الاستعداد العقلي والديني والادبي) بقيت الصورة الذهنية لاهل الجيل في الزمانين واحدة وبالضرورة تبقى او يصحّ ان تبقى الهيئات التركيبية اللغية واحدة عندهما والاّ فلا . اذن فالذين يريدوننا على تحدي بلاغة الجاهلية او توخيها لا تخرج عنها في شيء كأنهم يقولون لنا ان افكاركم وتخيلاتكم ومدركاتكم ومعلوماتكم لا بل ومحيطاتكم الاجتماعية هي وافكار الجاهلية وتخيلاتهم الخ شيء واحد ان كان بينكم من يسلّم بصحة هذا فليتحدّ وليتوخّ بلاغة امرىء القيس والحارث بن حلزة والاعشى وغيرهم وليحذو حذوهم

اذا لم تكن الالفاظ المفردة ولا الجمل المفردة ولا علامات الاعراب ولا هذه الهيئة التركيبية او تلك بعينها من مقوّمات اللغة العربية ولا من صفاتها الجوهرية الثابتة والتي ينبغي ان تثبت وترتقي وتتكيّف مع الايام فما هو اذن ذلك الشيء الذي تميزت به العربية وجعلها تتفوّق على غيرها من اللغات ولا يزال باقياً بل وينبغي ان يبقى لا تخلق جدّته مع

الايام . والجواب على ما ارى . هو الاشتقاق والقياس . الاشتقاق على ما ينبغي ان يُفهم منهُ والقياس على ما ينبغي ان يفهم منهُ في كل انواعهِ وفي كل نوع من انواع الكلم العربية والدخيلة المعرَّبة ايضاً ان كانت

ايها السادة ان الاشتقاق ضروري في كل لغة لا تستقل لغة عن غيرها الاَّ بهِ ولا ترتقي الاَّ بهِ فان استقلَّ وترقى استقلَّت اللغة عن غيرها وترقَّت وان تميز الاشتقاق وانفرد في كل لغة من لغتين تميزت اللغتان وانفردت كل منها عن غيرها والاَّ فان تشابه واشترك تشابهتا واشتركتا . مثالهُ اللغة التركية فانها على كثرة الالفاظ المفردة المستعارة من العربية وعلى كثرة الجمل التامَّة المأخوذة كما هي منها اي من العربية لا تزال لغة مستقلة عن العربية ممتازة عنها تمام التمايز . إنَّ في التركية مئات والوفاً من الالفاظ العربية كما ان فيها عشرات والوفاً من العبارات والجمل التامَّة المستعارة راساً من تلك اللغة يعلم ذلك من يعلمهُ ومع ذلك هي في غاية البعد والتمايز عن اللغة العربية بخلاف العبرانية فانها مع بعدها بحسب الظاهر عن العربية حتى يُخيَّل للناظر انَّ التركية اقرب منها اليها بمراتٍ فمع ذلك هي والعربية اختان بينهما من المشابهة والاشتراك في الخصائص والمقوِّمات الشيء الكثير كما يعلمهُ علماء اللغات المحققون الذين يؤخذ بقولهم وكل ذلك لاشتراك الاشتقاق وقرب شبههِ في الواحدة بما هو عليهِ في الاخرى

الاشتقاق في كل لغة هو الامر الجوهري فيها . هو عماد اللغة والقوم مقوِّم من مقوِّماتها . وبعبارة اخرى هو حياتها وعليهِ يتوقف ارتقاؤُها او انحطاطها . تقدمها او تأخرها . واذا اردنا التمثيل قلنا هو من اللغة كالحيوان او الناطق في تحديد الانسان بل ربما هو اكثر من ذلك وقد لايخطئ من يقول ان اللغة هي الاشتقاق . الفاظ اللغة تموت وتحيا اي يهمل استعمال بعضها فتموت ويتجدد استعمال اخرى فتحيا ولا يمضي زمان يُذكر الاَّ ويموت كثير من الالفاظ في كل لغة ومن بينها العربية ويحيا كثير ايضاً . واللغات النامية المرتقية هي ما كانت مواليد الفاظها اكثر من وفياتها . والعاقل المتامل يعلم ان كثرة مواليد الالفاظ وقلتها في اللغة يتوقف على الاشتقاق فان كان الاشتقاق مرتقياً نشيطاً كثرت مواليدهُ وعاشت والاَّ قلَّت وماتت وعليهِ فارقى اللغات واكثرها حياةً هي ما كان الاشتقاق فيها اتمَّ منهُ في ما سواها داخلاً في كلّ فرعٍ من فروعها

ايها السادة الكرام اذا سلَّمنا انَّ ارقى اللغات وارقاها هي اكثرها زيادة عدد مواليد في الفاظها وعباراتها واذا سلَّمنا ايضاً ولا بدَّ للعاقل المتأمل من التسليم أنَّ اللغة القابلة على

ما كانت عليهِ اما لغة ميتة محنطة كالمومياء المصرية واللغة العبرانية القديمة او هي لغة شاخت فتوقفت عن النموّ واخذت تتراجع عمّا كانت عليهِ اذا سمحنا بما مرّ اذن فالذين يحاولون ابقاء لغتنا العربية على ما كانت عليهِ في الفاظها وعباراتها وهيئات تراكيبها لا يسمحون بزيادتها بوجهٍ من الوجوه لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق هؤلاء ينادون علناً ان اللغة العربية قد ماتت او شاخت وان انكروا ذلك وسلّموا كما هو الواقع ان العربية لغة حية نامية فعدم سماحهم بزيادة مفرداتها لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق تصريح واضحٌ منهم انهم يريدون و يسعون بكل مكنتهم الى اماتتها ولا نعلم اذلك من محبتهم لهذه اللغة الشريفة ام من بغضهم لها والمرجح عندي ان ذلك من شدة حبهم لها ولكنهُ الحب مع الجهل

وانّ قليل الحبّ بالعقل صالح وانّ كثير الحبّ بالجهل فاسد

دعونا نوجه خواطرنا الى مشهد آخر من مشاهد محبي العربية . من حملة هؤلاء المحبين من يعترفون بالسنتهم انهم لايرون بأساً بزيادة مفردات العربية بالاستعارة تارةً وبالاشتقاق اخرى فيأذنون بزيادة تلغراف واوتوموبيل مثلاً وبزيادة أبرق ومغّط ولكنهم لايتسامحون لاحدٍ ان يقول كما قال الحريري — واستمعت بقاطبة الكتّاب فكلٌّ منهم قطّب وناب . ويجيزون لهُ ان يقول استمعت بالكتّاب قاطبةً اكتع ابتع أبصع لايرون بأساً في زيادة عدد الكتعان والبتعان والبصعان لانّ كل ذلك اهون عليهم من الخروج بقاطبةٍ عن النصب حالاً الى الجرّ بالاضافة ويحتجون بقولهم ان ذلك لم يُسمَع او لم يرد عن العرب . ومثل هؤلاء فئة يقولون — هذه عبارة افرنجية — وهذا تركيب خارج عن مناحي التراكيب الجاهلية البليغة — شُلّت يمين كاتبهِ ولسان قائلهِ لانهُ يريد ان يُفسِد علينا فصاحة العربية وبلاغتها — يقولون ذلك ولو كانت العبارة اوضح من فلق الصبح على المعنى المستعملة فيهِ . ومثل هؤلاء المارّ ذكرهم يتبجحون اذا قالوا مثلاً — وما زال يفتل منهُ في الذروة والغارب حتى اداره الى ما يريد . ويصرخون بالويل والثبور اذا رأوا من يقول مثلاً — وما زال يأخذهُ ويجيء بهِ حتى اداره الى ما يريد — او ما زال يداورهُ حتى اداره الى ما يريد . ولماذا ذلك ؟ لانّ جملة — يفتل منهُ في الذروة والغارب . وردت عن العرب ولم ترد جملة — يأخذهُ ويجيء بهِ — ولا جملة — ويداورهُ — مع ان جملة يأخذهُ ويجيء بهِ من باب الكناية التي لا اوضح منها في محيطنا الآن على المعنى المراد وهي من باب قولهم — يقدم رجلاً ويؤخر اخرى — واما يداورهُ فمن باب القياس اي نقول داورهُ قياساً على حاسنهُ وسايرهُ وقاعدهُ وقاومهُ وتاركهُ الحديث واشباه هذه

بل لا نعدم من هذه الفئة كثيرين يرون في قولي قبيل الآن — ويصرخون بالويل والثبور اذا رأوا من يقول — إفساداً للغة ليس من ورائهِ إفساد لاني استعملت — رأوا من يقول — بدلاً من سمعوا من يقول — يزعمون اخذاً بالظاهر القريب ان رأى لا تقوم مقام سمع

ايها السادة والاخوة الكرام انَّ سرَّ تفوق اللغة العربية وانها من اشرف اللغات القديمة والحديثة وانها احق لغة بان تحيا كما قال بعض علماء الاميركان المحققين هو لانها لغةٌ باب الاشتقاق والقياس فيها واسع جدًّا لا يضيق عن ان يدع العقل ان يدخل منهُ معها طال قوامهُ واتسع صدرهُ بل كلٌّ من الاشتقاق والقياس فيها يتسع مجالاً للعقل ان يدخل منهُ الى باحات هذه اللغة الشريفة وان لبس قلنسوةً اطول من قلنسوة ابي دلامة او جُبةً اوسع من جبة ممدوح ابي تمام الذي يقول فيهِ

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكتهِ رقاب المال

فيالله اذن من كثيرين ممن يدعون حبّ هذه اللغة الشريفة ولكنهم يحظرون على العقل ان يزورها في الاحايين حتى ولو كانت زيارتهُ المامًا واطلالاً من باب دارها الخارجي ولطالما كان قبل عهدهم في ايام الجاهلية وصدر الاسلام يزورها غير معارض فيدخل كل مخدَع من مخادع مشتقاتها وكل عطفةٍ من عطفات قياسها بأمن ويمشي بما يقتضي لا يضيق ولا يعنت

ايها السادة امَّا الآن وقد فتشت كربي من بعض هؤلاء الذين يحبون اللغة العربية بزعمهم ولكنهم يضعون على امانتها ولا يعقلون فاتقدم الى بيان ما هو عليهِ الاشتقاق من الاتساع في هذه اللغة السيدة بين اللغات وما يزيد اتساعهُ في غنى اللغة ويهون على الشعراء والكتاب في ابراز ثمرات عقولهم وابداعها في احسن قوالب النثر والنظم . والاشتقاق منهُ في الاسماء ومنهُ في الافعال فلنبدأ بالاشتقاق في الاسماء

ان للمصدر نيفاً وثلاثين صورة فيما اعلم ومن اقربها واكثرها استعمالاً الاوزان الآتية وهي وزن فُعْل وفَعْل وفِعْل وفَعَال وفِعَال وفُعَال بدون التاء او بالتاء وفُعُول وفُعُولة وفَعَل وفَعَلان الخ . وكل هذه الصور تأتي ايضاً لاسم المصدر فضلاً عن غيرها من الصور الاخرى

ومثل المصدر الصفة فان لها من الصور ما يزيد عن صور المصادر او يساويها على الاقل ومن تلك الصور وزن فاعل وفعل وفَعِل وفعلان وفعول وفعيل ومِفْعال ومِفْعالة وفعّال وفعّالة وفاعول وفاعولة ويفعول ويفعولة ويفعلة ويفعلي وفعيل وفعلعل وهلم جرًّا وهذه الاوزان هي

التي يسمونها بالسماعية فيكون مصدر هذا الفعل على وزن او وزنين او اكثر من هذه الاوزان ومصدر ذاك على وزن او وزنين اخرين وهلمّ جرًّا . وهكذا الصفة فانها تكون من هذا الفعل او هذا الفريق من الافعال على وزن فاعل او فَعل او فعلان وقد يكون لها صورتان او ثلاث صور او اربع وقد تبلغ من بعض الافعال الى الصور العشر وفي ذلك ما فيهِ من الغنى في المترادفات . وهناك ايضاً صور اخرى من باب السماعيّ للزمان والمكان واسم الآلة والمصدر الميمي لا احتاج ان اطيل عليكم بذكرها

بقيت الصور القياسية للمزيدات فان لكل مزيد من مزيدات الافعال الرباعية والخماسية والسداسية صورة معينة لكل من المصدر على انواعهِ والصفة على انواعها واسم المكان والزمان . وقد يكون للمصدر صورتان قياسيتان كما هو معروف مشهور في وزني فعّل وفاعل — مَن منا لا يعرف انّ الفعل استعان مثلاً يأتي منهُ الاستعانة والمُستعان والمستعين والمستعان بهِ مصدراً ومؤكداً وميمياً واسم فاعل واسم مفعول على الترتيب

ومن قبيل الاشتقاق في الاسم الابواب الآتية وهي باب المثنى والجمع المكسّر والسالم وباب النسبة والتصغير . والبابان الاخيران يلحقان بالصفة فيزيدان من غنى اللغة المعنوي واما باب الجمع المكسَّر والسالم فيزيدان في مترادفات اللغة زيادة لا يعلم قيمتها المتعلم ويعلمها الشاعر او الناثر الساجع

ثم المتعلم يتبرّم من ضوابط جمع التكسير التي وضعها الصرفيون لكثرتها وصعوبة حفظها هيناً ولكنّ الشاعر الذي يعلم ان جمع ظلّ ظلال واظلال وظلول واظاليل يستفيد من هذه المعرفة وايما فائدة فانهُ يمكنهُ ان يستخدم ظلال في قافية كقافية

بقاني شاة ليس لهم ارتحالا وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا

وظلول في قافية مثل قافية

في الغد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد بهِ الخدود محولا

واظلال في مثل قافية

شرف ينطح النجوم بروقيهِ وعزٌّ يقلقلُ الاجبالا

واظاليل في مثل

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ اثرها لم يفد مكبولُ

وقس على ظلال واظلال وظلول بحار وابحار وبحور فانّ صور الجمع المتعددة والمجموع واحد

تنزل منزلة المترادفات بل المترادفات فلا تتساوى في المعنى ولذلك فقلما يتهيأ للشاعر او الناثر ان يضع مترادفاً موضع صاحبهِ ولا يختلّ المعنى شيئاً بخلاف صور الجمع المتعددة فان كل صورة منها يصح ان تنوب مناب صاحبتها وتوضع بدلاً منها من غير مخافة ان يختلّ المعنى المراد او يختلف عمَّا قصد لهُ بمقدار شعرة او دونها

واذا علمتم هذا ان تعدُّد صور الجمع والمجموع واحدٌ ليس هو تآليل في غصن الجموع العربية تشوّهُ كما يزعم بعض المتفيهقين المقلدين من منظره وتخشّن مسَّهُ وتعوّج قوامهُ . بل هي غصيبات الارز الجميل تزيد الغصن الاصلي جمالاً ورواء وتجعل ظلهُ النضير الرائع ظليلاً وارفاً

الاشتقاق في الافعال

في اللغة العربية اربع عشرة صورة وهي أفعَلَ وفَعَّلَ وفاعل وتفعَّل وتفاعل وانفعل وافتعل وافعلَّ وافعالَّ واستفعلَ وافعوعل وفعْلَل وتفعْلَل وافعنلل وكلٌّ منها تأتي لعدَّة معانٍ واشباع الكلام فيها لا يكفيهِ مجلَّد ضخم فاني لو أُريد أن أخيّل عيّلاً أي استوعبت الكلام فيهِ بما يجلي لاذهانكم اهمية هذا الاشتقاق في العربية وانها من هذا القبيل تفوق كل لغة من لغات الغربيين والشرقيين لا استثني لغةً اصلاً ومع ذلك يزعم بعضهم انها لغة ميتة او انها شاخت وقاربت الهلاك . كان البعض من متحمسة فتيان الاتراك يزعمون هذا الزعم ولا نلومهم لانهم يعرفون آداب اللغة الفرنساوية اكثر مما يعرفون آداب لغتهم ولا نقول آداب العربية وتحمّسهم الشديد كان الحالة الجديدة التي زعموا معها ان يوجدوا اللغة في كل الولايات العثمانية فيصبح العثمانيون كلهم يتكلمون لغةً واحدة هي اللغة التركية كما يتكلم الفرنساويون الفرنساوية والاميركان سكان الولايات المتحدة الانكليزية . ذلك صور لهم ما صور مما زعموا معهُ هذا الزعم الفاسد او تزاعموهُ ولا نلومهم كما نلوم البعض او الكلَّ من ابناء العربية ومحبيها ممن يسعون ان لم يكونوا يعرفون ذلك عن علم انّ لغتهم الشريفة اوسع اللغات اشتقاقاً واكثرها في ذلك حتى قال فيها بعض علماء الاميركان الاعلام كما المعنا سابقاً ونحبّ ان نكررهُ الآن انها اللغة الخالدة او اللغة التي هي احق اللغات بالحياة والبقاء . ومع معرفتهم هذه المعرفة يريدون ان يميتوا هذه اللغة الشريفة بسدّهم باب الاشتقاق وحظرهم استعمالهُ اللهم الاَّ فيما هو تافهٌ او عديم الجدوى ويؤدي الى الخطإ . نلوم هؤلاء لانهم يعظمون ما اشتُقَّ ويذكرونهُ ويعرفون الاشتقاق ويجوّزونهُ يقصرون ما قيس ولا يجيزون القياس . يحافظون على المولَّدات ولو كانت ايهاماً او اصبحت هامًّا ونذاميم ويهملون القوة المولّدة ويعملون على اماتتها فيا لله منهم

ماذا اخذت اللغة العربية وماذا اعطت

وصلت الآن الى موضوعي بعد ان مهّدت له هذا التمهيد الطويل العريض والواقف عليه معي وقد ماشاني كل الطريق خطوة خطوة يدرك من غير عناء ان العربية لم تكن في حاجة الى غيرها من اللغات بفضل اتساع اشتقاقها وقياسيته ووضوح المعنى المراد مما اشتق من الالفاظ وفقاً له سواء كانت تلك الالفاظ افعالاً او اسماء فان من يعرف معنى القشعريرة يفهم حالاً الفعل المشتق منها اعني اقشعر وهكذا من يفهم معنى استحق فانه يفهم حالاً معنى المصدر واسم الفاعل والمفعول المشتقات منه قياسيا · ومن يعلم ان تميم علم لقبيلة من قبائل العرب وان بيروت علم لمدينة يفهم من قولنا رجل تميمي او بيروتي انه من بني تميم او من اهل بيروت فهماً يتسارع الى الذهن كتسارع الصوت الى الاذن او النور الى العين · وكذلك من يفهم معنى قدّم وحسّن يفهم حالاً معاني مطاوعاتها تقدّم وتحسّن وهلم جراً ·

وغاية ما اخذته العربية عن غيرها من اللغات بعض الفاظ مفردة من باب الاسماء لا تجاوز بعض المئتين واكثرها من الاسماء الجامدة كخز وديباج واستبرق وترياق وفالوذج مما وجدوه عند غيرهم من امتي فارس والروم ولم يوجد عندهم · ولو كان يسمح المقام لعددت لكم تلك الاسماء المعروفة بالدخيلة او المعرّبة فانها لا تملأ اكثر من بضع صفحات في كتاب المزهر للامام السيوطي

واما علماء هذه الامة الذين ظهروا فيها بعد الفتوحات العربية الاولى ونقلوا العلم اليها من الفارسية او اليونانية او السريانية فلم يحتاجوا الا الى بعض اسماء حكمها حكم الالفاظ التي المعنا اليها سابقاً · وبالجملة نقول ان علماء العربية هم الذين اخذوا عن العلماء الذين جاوروهم من الفرس والروم والسريان دون العربية فانها لم تأخذ عن الفارسية ولا عن الرومية ولا من السريانية ولنضرب لذلك مثلاً — ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان اما رأساً او نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا موضوع ومحمول وقضية وقياس واستنتاج ومقدّمة صغرى ومقدّمة كبرى ونتيجة والمقولات العشر والقول الشارح والتصوّر والتصديق وكلي وجزئي وقضية كلية · وقضية كلية مهملة وقضية كلية مسوّرة · وهلم جرّاً من مصطلحات هذا العلم

واخذ العلماء الغربيون هذا العلم عن اليونان كما اخذه علماء العرب اما راساً او عن اللاتينية واخذته لغاتهم ايضاً من اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا سبجكت وبراديكت للموضوع والمحمول وقالوا كتيغوري اي المقولات العشر وهلم جرّا اي ان لغتهم اخذت نفس

الحدود عن الامة اليونانية بخلاف العربية فانها استغنت عن الفاظ تلك الحدود اليونانية بالفاظ من الفاظها ادت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس

وما قيل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فانهم اي علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تحتج الى لغة القوم ورأت فيها من الالفاظ ما يؤدي معاني الفاظ ذلك العلم فقالوا موجود ومعدوم وعرض وجوهر وحال وكسر وانكسار وتاثر واثر وماهية وهوية ومقتضي ومانع ومعارض وقالوا الماهيات مجعولة بجعل جاعل وغير مجعولة والعقل الاول والمبدأ القياس وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير وانتم ترون ان كل هذه الالفاظ من صميم الالفاظ العربية والعارفون منكم هذه المصطلحات بالفرنساوية او الانكليزية يعلمون ان اغلب هذه الالفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل يعلمون ان علماء هاتين الامتين ما زالوا يؤلفون في اللغة اللاتينية الى عهد قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تحمل هذه العلوم بنفسها بخلاف العربية فانها حملتها حالاً واصبحت تلك العلوم كانها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادي امرهم اكثر تلك العلوم عن اللغة العربية

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعيات والطب والكيمياء والفلك والنبات والحيوان فان اللغة العربية لم تحتج في كل هذه العلوم الا الى الالفاظ التي تستعار استعارة لان مسمياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان فاخذوا الاسم باخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صنّاع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بمئات من السنين

واما ما اعطتهُ العربية لغيرها من اللغات والامم فكثير ومن ذلك (١) انها اعطت حروفها الهجائية لملايين ملايين من الشعوب في بلاد الترك والهند وجزائر البحر فان المورو في جزائر الفيلبين يكتبون لغتهم بالحروف العربية لحد هذه الساعة

(٢) اعطت نفسها لكثير من الامم الذين تغلبوا على اهلها او تغلب اهلها عليهم مئات من السنين فكانت لهم ما كانت اللغة اللاتينية لشعوب اوربا فان الاتراك والتتر والفرس ما زال علماؤهم يؤلفون مؤلفاتهم في اللغة العربية الى عهد قريب ولا يزال كثيرٌ من علمائهم الى الآن يؤلفون في العربية فقد أُهدي اليَّ منذ بضع سنين مؤلف تاريخي في العربية لزين الدين الرسولي احد علماء قازان من روسيا

(٣) اعطت لغات الاتراك والتتر والفرس والاردو (احدى لغات الهند) المئات والالوف من الفاظ المعاني ومئات والوفاً من الجمل التامة بل اعطت اكثر هذه اللغات ولاسيما

التركية كل مصطلحات علوم اللغة والبيان والبديع والعروض واكثر مصطلحات العلوم والفلسفة حتى بدء القرن التاسع عشر وما بعده ايضاً

(٤) تفتخر انّا اعطينا لغات اوربا الارقام العربية وكثيراً من اسماء المعاني والمصطلحات العلمية ولكنها قليلة كان اولى بنا الاضراب عن المفاخرة بها

(٥) واخيراً اشكر لكم ايها السادة والسيدات والاخوة الكرام لانكم احسنتم الاصغاء اليَّ كلّ هذه الساعة وتابعتموني في مضايق هذا الموضوع لم تظهروا شكوى من اطالتي ولا تبرماً بخطابتي . وقد كنت احبّ ان اتوسع في بيان — لماذا احتملت لغتنا العربية الشريفة في ايام العباسيين مثلاً علوم اليونان والفرس والسريان بدون ان يظهر عليها عجز او ضعف ولا تستطيع اليوم ان تحتمل علوم الاوربيين على ما يزعم الاكثرون مع ان هؤلاء كانوا يترجمون كتب العلم والفلسفة عنها منذ بضعة قرون . الاّ اني لا ارى من اللباقة ولا الحكمة ان استنفد كل صبركم دفعةً واحدة فتكرموا اذن في الختام غير مأمورين بقبول مزيد شكري وامتناني ولكم الفضل اولاً وآخراً

اعتذر الى القرّاء الكرام بما اعتذرت بهِ الى السامعين فاني اعتقد انّ اغلبهم لا يحتملون ان يقرأوا في هذا الموضوع فوق ما قد قرأوا والسلام جبر ضومط

محاربة السل

تابع خطبة الاستاذ متشنيكوف

لم يبقَ شبهة في ان الانسان قد يعدى بالتدرُّن من البقر المصابة بهِ سواء اكل لحمها او شرب لبنها. ولكن مسألة المناعة الطبيعية لم تزل مطروحة على بساط البحث على انها صارت من الامور المرجحة جدًّا حتى لا نأْمن من عدها بين الحقائق العلمية التي يمكن الاعتماد عليها في محاربة السل . ولقد كان الاساس الذي تقوم عليهِ هذه المحاربة كون السل نقصاً في تغذية الجسم فكان المسلولون يعالجون بما يزيد تغذيتهم فيرسلون الى البلدان الجنوبية الطيبة الهواء مثل مداير ومنتون والقاهرة ونحوها او الى الجبال ويبالغ في تكثير طعامهم مع مراعاة شروط الهضم

ولا شبهة في ان هذه الوسائل كانت تأتي بالفائدة احياناً ولكن الذين استفادوا منها وشفوا اقل جدًّا من الذين لم يستفيدوا بل زاد المرض تمكناً منهم . لما ذهبتُ الى مداير

كما تقدم لم يكن باشلس كوخ قد كُشف وكانت وسائل العلاج كلها مبنية على التغذية وتغيير الهواء وكنت ارى هناك كثيرين من المسلولين يموتون بالسل بعد ان كنت احسب انهم متقدمون نحو الشفاء

ثم لما كُشف ميكروب كوخ وعُلم ان السل مرض معدٍ دعت الحال الى تنويع العلاج . لم يعدل الاطباء عن التغذية وتغيير الهواء ولكنهم لجأوا ايضاً الى مضادات الفساد قصد اماتة الميكروب بالكريوسوت والغوياكول او الزيوت الاثيرية . لان كل ما يشار به دواء للسل يعتقد به الناس ويستعملونهُ فكثر استعمال المواد المضادة للفساد ثم اهملها اكثر الاطباء

وقد قضى كوخ الجانب الاكبر من حياتهِ العلمية في البحث عن دواء للسل . وكل احد يتذكر ما كان لاكتشافهِ التوبركولين سنة ١٨٩٠ من الوقع العظيم في النفوس . فقد ظُنَّ ان هذه المادة وهي مستخلصة من مستنبتات ميكروب السل تشفي من التدرن في كل درجاتهِ اينما كان مقرهُ ولاسيما من الذئب الاكال فاهتم الناس بالتوبركولين اهتماماً شديداً ثم اهملوهُ تمام الاهمال . والآن وقد مضى على اكتشافهِ عشرون سنة عرف الاطباء كيف يقدرونهُ قدرهُ تماماً من غير زيادة ولا نقصان فانهُ ليس دواء شافياً من السل ولكنهُ لا يخلو من الفائدة . فان الاطباء الذين اكثروا من معالجة المسلولين يقولون انهُ يفيد في السل الرئوي الذي لم ترافقهُ الحمّى ومرَّ زمن وهو على درجة واحدة فيؤثر فيهِ تأثيراً لطيفاً ينتهي بالشفاء التام . ثم ان التوبركولين يفيد ايضاً في حوادث السل التي افاد فيها الهواء النقي والراحة ولكن بقيت الاعراض الموضعية على حالها فان استعمالهُ بضعة اسابيع او بضعة اشهر يزيل تلك الاعراض ولو كان قد مضى عليها سنة او سنتان او اكثر وهي على حالها ويقوّي الجسم على التخلص من الندوب التي تحدث في الرئتين

وقد اجتهد كوخ في اصلاح الطريقة المستعملة لاستحضار التوبركولين فاستنبط سلسلة من المستحضرات في بعضها من مولّدات مستنبت ميكروب السل في وسط سائل وفي البعض الآخر خلاصات من الميكروب نفسهِ . والاولى اكثر استعمالاً من الثانية وبعض الاطباء يستعمل النوعين معاً . وقد استُحضر ايضاً توبركولين خالٍ من المواد الالبيومينية وهو اقل فعلاً من التوبركولين العادي واكثر استعمالاً الآن . ومن ذلك نوع اربلت المادة الالبيومينية منهُ بفعل بعض الفطريات فزال منهُ الفعل السام او قلّ جداً . فاستعمل علاجاً للمسلولين ويقول الذي استعملوهُ انهُ كبير الفائدة

وحاول البعض اكتشاف انواع من المصل تشفي من السل كما اكتشف مصل يشفي من

الدفثيريا يحقنوا يحقنون الحيوانات بميكروب السل او بالمواد المتولدة منهُ لكي يستخرجوا منها مصلاً شافياً فعالجوا الحيوانات الموقة الكبيرة كالخيل والبقر بمستنبتات التدرُّن واستخلصوا منها اشكالاً من المصل ذات خواص مهمة . فاستخلص كلمت وعوربن مصلاً من البقر التي طعماها حتى صارت تحتمل ٢٨٠ ميليغراماً من ميكروب السل من غير ان يؤثر فيها . لكن هذا المصل لم يشفِ الحيوانات التي طعمت بميكروب السل على سبيل الامتحان بل زاد فعلهُ بها ولذلك لا ينتظر انهُ يشفي من السل ولكن يقول بعض الاطباء انهم رأوا لهُ فائدة كبيرة . وغني عن البيان انهُ لا يمكن استعمال كل مصل على حدٍّ سوى

وقد قال رفون ان المصل المضاد للسل يفيد في ردع حوادث السل او خفها فقط واكثر فائدته في السل الحاد وفي الحالات الحادة من السل المزمن التي تنقلب الى حالات مزمنة يفيد فيها تغيير الهواء ونحوهِ من الوسائل العلاجية . وقد استحضر الدكتور بيوسه مصلاً مضاداً للسل قال انهُ يفيد بنوع خاص في الاولاد الذين ظواهر السل فيهم حادَّة جداً واجسامهم تحتمل العلاج بالمصل اكثر مما تحتملهُ اجسام البالغين والشيوخ

وقد استعمل بعض الاطباء انواعاً اخرى من المصل مثل مصل مراجليانو ومصل مرمورك ومصل رُبل ومصل ركان وقالوا انها لا تخلو من الفائدة ولكن يقال بالاجمال ان استعمال المصل في علاج السل فائدتهُ قليلة محدودة . والآن يحاول البعض ان يمزجوا المصل بمحصلات ميكروب السل وبخلايا الخمير

وقد اقتفى بعض الاطباء خطوات فورلانيني واعتمدوا على تسكين الرئة المتدرنة بادخال غاز النيتروجين الى البليورا وذلك قلما تثبت فائدة تسكين الاعضاء اذا كانت مصابة بسل العظام والمفاصل . وقد شاعت طريقة ادخال الهواء الى تجويف البليورا Pneumo-thorax في علاج السل الرئوي

والآن يميل الاطباء الى مزج الاساليب القديمة بالمخترعات الحديثة للوصول الى النتائج المفيدة في علاج السل الرئوي ولذلك انشئت المصاحّ في اماكن عديدة ليعتنى فيها بالمسلولين من طبقات الناس المختلفة وهي مبانٍ فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء فيها اروقة كبيرة متجهة الى الجنوب يستكنُّ فيها المسلولون ساعات كثيرة كل نهار ويطعمون طعاماً كثيراً مغذياً والغالب انهم يتفقون من الذين لم يتمكن الداء منهم . وقد يعالجون ايضاً بالتوبركولين او انواع المصل وتدوم المعالجة اشهراً او سنين . وكثيرون من الذين يعالجون بها يستفيدون منها ولكن بعضهم لا يستفيدون مطلقاً او يظهر انهم استفادوا ثم ينتكسون رغماً عما عولجوا بهِ . ولذلك

قل الاهتمام بانشاء المصاح في المانيا بعد ان كانت الهمة مصروفة اليها . ومما يسوءُ ذكرهُ ان المسلولين الذين يخشى من انتشار العدوى منهم لا يقبلون في اكثر تلك المصاح حيث يمكن فصلهم عن الاصحاء بل يُرَدُّون الى بيوتهم ليكونوا بؤراً للعدوى او يوضعون في المستشفيات العادية الى جانب المرضى الذين لا سلَّ فيهم لكي يُعدوا منهم بسهولة

وكثيراً ما اشار البعض بالجري على خطة مستشفى برمتن في لندن وانشاء اماكن مخصوصة للذين سلهم شديد والميكروب ينتشر منهم بسهولة ولكن لم يعمل باشارتهم في كل مكان مع ان فصل المسلولين عن غيرهم لا بدَّ من ان يقلل انتشار العدوى . ولم تقتصر مقاومة السل على انشاء المصاح بل شملت انشاء المواقي واول موقى انشئ لهذه الغاية هو الموقى المنسوب الى اميل رو والذي انشأهُ الدكتور كلمت في مدينة ليل منذ عشر سنوات . ثم انشئت مواقٍ كثيرة على مثاله في فرنسا وغيرها من البلدان والغرض منها افادة الجمهور بمنع انتشار السل في الاماكن الكثيرة السكان ليس بمعالجة المسلولين بل بحمل اقاربهم على النظافة وذلك بارشادهم الى تطهير منازلهم بزيلات العدوى وتوزيع الماصق على المسلولين ليبصقوا فيها وتوزيع مضادات العدوى عليهم وبذل كل الوسائل الممكنة لمنع انتشار العدوى منهم . ولكن الناس لا يقبلون على هذه المواقي الاَّ اذا اضيفت المساعدات المادية الى النصائح الطبية

وقد انشأ الاستاذ غرانشه معهداً في باريس سنة ١٩٠٣ عملهُ التفتيش عن اولاد العيال التي اصيب واحد منها بالسل ونقلهم الى الارياف حيث يربون عند اناس اصحاء حتى لا تنتقل عدوى السل اليهم . وقد بدا من فوائد هذا المعهد ما دعا الى توسيع نطاقهِ

محاولة التطعيم لمنع السل

ان الوسائل التي استُعملت لمنع السل كثيرة لكن التطعيم احراها بالذكر . فان باشلس كوخ اكتُشف لما اكتُشف التطعيم بالمواد الميكروبية فاهتمَّ العلماء في اول الامر باكتشاف طعم للسل ولكن اراهم البحث ان ميكروب السل يختلف عن غيره من الميكروبات في انهُ قلما يقي الجسم الذي يفعل بهِ اول مرة من الفعل بهِ ثانيةً فأُسقط في يد الباحثين بعد ان اخذوا في هذا البحث بهمة رائدها الامل . ولذلك يجب علينا ان نسرَّ بما اكتشفهُ بهرنغ وهو ان ميكروب سل البشر يمكن ان يقي البقر من السل الذي يصيبها . ولم يستعمل هذا الاكتشاف حتى الآن لوقاية البقر ولكنهُ خطوة اكيدة من محاربة السل . وتستحيل تجربتهُ في البشر لانهُ لا بدَّ فيهِ من التطعيم بالميكروب نفسهِ وما من احد يستحلُّ ان

يطعم ولداً بميكروب وهو لا يعلم حق العلم ان التطعيم به خالٍ من الضرر

محاولة وسائل اخرى

رأيتم من هذا البيان الوجيز مقدار اهتمام العلماء بانقاذ الناس من هذا الداء الوبيل مع اني لم اشر الى كل ما فعلوهُ من هذا القبيل

اول مؤتمر عامّ لمقاومة السل عُقد في برلين سنة ١٨٩٩ وقتما عقد مؤتمر السلم الاول في الهاج عاصمة هولندا . وترون فوائد مؤتمر السلم هذا مما هو جارٍ الآن في البلقان ! اما مؤتمر السل فالخطب النفيسة التي تليت فيهِ ارتنا ضعفنا امام هذا العدو الالد وكنت حاضراً في هذا المؤتمر فتأثرت من عجز وسائلنا عن مقاومة ميكروب السل وقلت في نفسي أما من سبيل لمحاربتهِ باستنباط طريقة تتلف الشمع الذي يقيهِ من تلك الخلايا الجبارة . وكنت اعلم ان بعض الديدان يتغذى بالشمع على صعوبة هضمهِ . فلما انفضَّ المؤتمر جعلت ابحث عن المواد التي تساعد تلك الديدان على هضم الشمع لكي استعملها لمحاربة ميكروب السل ولم اداوم البحث لاني لم ارَ من النتائج ما شجعني على المداومة ولكن غيري من الباحثين الذين هم اصغر مني سنّاً واظبوا عليهِ زماناً طويلاً ولم يعودوا بطائل . واحقنا بعض الخمائر والمصول التي تفعل بالمواد الدهنية فلم تفلح

وقد حاول البعض حديثاً ان يكتشفوا في املاح الراديوم علاجاً للسل . فاستعمل الدكتور رنون هذه الاملاح ثلاث سنوات واعترف انها لا تؤثر في الميكروب المستفت ولا توقف السل في الحيوانات التي جُرب فيها . وان كان بعض المسلولين قد استفادوا منها فالفائدة ناتجة من عملها باجسامهم او من فعل الوهم

الوقاية بالافعال الطبيعية التي تفعل بالانسان

وهو غير منتبه لها ويجب كشف هذه الافعال وتقويتها

ليس من الانصاف انكار النجاح الذي نجحتهُ محاربة السل ولاسيما في السنوات الاخيرة . ولكن لا شبهة ان صناعة الطب قد اعترفت بعجزها من مقاومة جيوش ميكروباتهِ الجرارة كم من مرة ترى الاطباء يدعون لينقذوا مسلولاً متألماً فيقفون امامهُ حيارى مكتوفي الايدي . فلم يزل المجال واسعاً جدّاً للذين يريدون ان يخصصوا انفسهم لمحاربة هذا العدو الفتاك

ممّا يستحق امعان النظر ان الطبيعة تجد سبيلاً لشفاء المسلولين الذين عجزت عقول العلماء عن ايجاد سبيل لشفائهم . فان ميكروب السل منتشر حولنا في كل مكان وما من احد

الاَّ وقد دخل جسمهُ شيء منهُ ومع ذلك لا يموت بالسل الاَّ نحو سبع الناس او نحو ١٥ في المئة واما الخمسة والثمانون في المئة الباقون فيسلمون منهُ . ومعلوم ان ذلك ليس ناتجاً عن ان اجسام هؤلاء كلهم غير معرضة للاصابة بهِ فان كل اجناس البشر البيض والصفر والسود معرضون للاصابة بهِ على حدّ سوى فنجاتهم منهُ سببها اكتسابهم الوقاية اكتساباً . ولقد ذكرت ادلة كثيرة على وجود هذه الوقاية . ونشر الاستاذ روس تجارب جُرّبت في الحيوانات فدلّت على انها قد تكتسب المناعة ولو كانت من اقبل الحيوانات للاصابة بالسل كخنازير الهند. فاذا فرضنا ان الانسان يكتسب الوقاية او المناعة تتطعّمه بميكروب السل وهو غير منتبه لذلك فمن المهم جدًّا ان نعرف كل الشروط اللازمة لاكتساب هذه الوقاية

اين هذه الميكروبات التي تُنتج هذه النتيجة العظيمة اين مقرها واين توجد انتم تعلمون ان ميكروب السل الذي حُسب انهُ من نوع واحد وقتاً اكتشفهُ كوخ ليس نوعاً واحداً في الحقيقة فان هناك ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وميكروبات اخرى من هذا القبيل . افلا يحتمل ان ميكروب سل البقر يطعّم الانسان فيقيهِ من سل البشر كما ان ميكروب سل البشر يقي البقر من ميكروب سلها . او ان تطعيم الانسان الطبيعي يتم بمقادير قليلة من ميكروب سلهِ لتقيهِ من فتك المقادير الكبيرة . هذه مسائل لا يمكن حلها الاَّ بعد التجارب المدققة

بعد رجوعنا من قفار روسيا اخذ الدكتور بورنه يدرس هذه المسألة درساً مدققاً فالتفت اولاً الى الداء الخنزيري الذي هو مرض تدرنيّ كالسل ولكنهُ الطف منهُ . ومن الغريب ان الباحثين قصروا بحثهم على سل البقر وسل الطيور ولم يلتفتوا الى هذا الداء مع ان الميكروبات التي استخلصها بورنه من تدرن المفاصل وتدرن العظام وتدرن العقد ganglion كانت كلها من ميكروبات سل الانسان وقد اخذت كلها من اناس مصابين بالداء الخنزيري ولم يكن الداء شديداً فيهم ومع ذلك فعلت بخنازير الهند والقرود التي طعمت بها كما تفعل ميكروبات السل الرئوي . افنستنتج من ذلك ان ميكروب الخنزيري شديد الاذى مثل ميكروب السل الرئوي او نستنتج انهُ خفيف الفعل بالانسان ولو فعل هذا الفعل الذريع بالحيوان . ولا يمكن تحقيق ذلك بالامتحان لانهُ لا ينتظر امتحانهُ في الانسان فلا يحق لنا ان نقول ان ميكروب الداء الخنزيري خفيف الفعل . ولكن ميكروب السل الخفيف الفعل موجود في الطبيعة وقد اكتشفتهُ اللجنة الانكليزية المقامة لدرس السل ودرسهُ الدكتور بورنه باعتناء خاص

فان شاباً في التاسعة عشرة اصيب منذ طفوليتهِ بالتدرُّن الجلدي في قدمهِ وساقهِ وركبتهِ

وكان سير الندرن بطيئاً جداً ورُبي ميكروبهُ من قطعة من جلدهِ فظهر انهُ من ميكروب سل البشر وانهُ خفيف الفعل حتى في اشد الحيوانات تأثراً كخنازير الهند وبعض انواع القرود

وقد اقتدى بورنه بغيرهِ من الباحثين ودرس الداء الخنزيري الذي يقع في الجلد والمفاصل والعقد اللمفاوية فلم يستطع ان يربي ميكروب السل فيها مع انهُ لا شك في وجوده فيها . ولقحت الحيوانات بالمتحصلات الخنزيرية فاصابتها منها اصابات طفيفة

ولذلك فقد يكون في الانسان ميكروبات سل خفيفة الفعل على درجات مختلفة عدا ميكروب السل الشديد الفعل ويجب ان نفتش عن ضالتنا بين هذه الميكروبات الخفيفة الفعل اي عن الميكروب الذي يطعم الانسان تطعيماً طبيعياً فيقيهِ من السل . ويحتمل ان يوجد هذا الميكروب الخفيف الفعل بين ميكروبات السل الرئوي التي تضعف بخروجها من الانسان وبقائها مدة طويلة معرَّضة لفعل الهواء والنور

ويلاقي الانسان دواماً ميكروبات من ميكروبات السل على درجات مختلفة من القوة . ولما كانت العدوى تبتدئ في سن الصبوة كما ثبت من مباحث بركه وجب ان نفرض انهُ حينما يبتدئ الطفل يمشي ويلمس ما حولهُ ويضع اصابعهُ في فيهِ يدخل فاهُ إما الميكروب الشديد الفعل فيبتليهِ بالداء الوبيل واما الميكروب الخفيف الفعل فيكسبهُ الوقاية منهُ والامر في الطبيعة موكول الى الصدفة فعلى العلم ان يحقق الاساليب التي يكون فيها الميكروب سبباً ويطعم الجسم بهِ تطعيماً

نُشرت ترجمة كوخ حديثاً بجامعات على عاية الطلاوة وفيها ادلة كثيرة على ان فتك السل قد قلَّ في كثير من البلدان الاوربية ولا سيما منذ اربعين سنة الى الآن . وقد رئي ذلك اولاً في انكلترا ثم ثبت في سكتلندا والمانيا والدنمارك والولايات المتحدة وامتازت في ذلك لندن وبوستن وكوبنهاجن وهمبرج من المدن الكبيرة فان سكان همبرج زادوا زيادة كبيرة في السنوات الاخيرة ومع ذلك نقص عدد الذين ماتوا بالسل فيها . ففي سنة ١٩٠٠ كان عدد سكانها ٦٩٨٣٦٣ وعدد الذين ماتوا بالسل فيها ١٤٢٦ وسنة ١٩١١ بلغ عدد سكانها ٩٢٤٣٢٩ وعدد الذين ماتوا بالسل فيها ١١٥٢ فقط . وينسب سبب ذلك الى الوسائل الصحية التي مدارها بنوع خاص على عزل المسلولين الذين إصابتهم شديدة وتطهير منازلهم . ولكن برلين وفي مدينة المانية اخرى والوسائل الصحية فيها على احسنها زاد عدد وفيات السل فيها بين سنة ١٩٠٣ و١٩٠٦ من ٢١ الى ٢٤ في كل عشرة آلاف من السكان . ولما راجع كوخ هذه الاحصاءات قال ان ما يعرف من عدوى السل لا يكفي لايضاح قلة

الوفيات ولا بدَّ من اسباب اخرى لهذه القلة وقد طلبنا روس بالتطعيم الطبيعي المستمر وانا من رأيهِ في ذلك . وعندي ان هذه الوقاية الحاصلة من طعم ميكروب السل المنتشر في كل مكان تفعل مع الوسائل الصحية في تقليل عدد الذين يموتون بهِ

فيحق لنا والحالة هذه ان نقول ان التطعيم الطبيعي فاعل مهم في مقاومة الامراض المعدية فقد ثبت ان كثيرين يوقون من التيفويد بما يصيبهم من وقت الى آخر من الاضطرابات المعوية الحادثة من حمى تيفويدية خفيفة تصيبهم لتقيهم من الاصابات الشديدة. فترى الناس يصابون بالتيفويد في الاماكن التي تنتشر فيها هذه الحمى بينما سكان تلك الاماكن لا يصابون بها كما ان اولاد الحقول يصابون بالسل في المدن التي يأتونها بينما اترابهم من الاوربيين يبقون سليمين منهُ

ولطالما تعجب الناس من امراض الجذام لاسيما ان المجذومين يجولون في اوربا من مكان الى آخر من غير ان يعدى بهم احد ولكن اذا نقلوا الى بلاد لم يكن الجذام معروفاً فيها عُدِيَ بهم سكانها . و يعجب الناس من دخول المجذومين الى مستشفى سنت لويس في باريس ولا يعدى بهم غيرهم من المرضى . وقد كانت باريس مباءة لهذا المرض ففقد قوة عدواهُ فيها مع انهُ معدٍ ولهُ ميكروب شبيه بميكروب السل

الا يحتمل ان سكان المدن التي كانت مباءة للجذام اصيبوا بشيء خفيف منهُ فوقوا بهِ . فان كثيراً من الامراض الجلدية لا يعرف سببهُ حتى الآن فالمرض المعروف باسم Mal du Morvan يصيب الاصابع و يشبهُ بعض اشكال الجذام حتى حسبهُ بعض الاطباء جذاماً خفيفاً واعترض على ذلك بان ميكروب الجذام لم يوجد فيهِ مطلقاً ولكن اكتشاف هذا الميكروب اصعب جداً من اكتشاف ميكروب السل لاننا نستطيع ان نطعم الحيوانات بميكروب السل ونستنبتهُ واما ميكروب الجذام فلا يستنبت ولا يمكن تطعيم الحيوانات بهِ ولذلك يصعب الاستدلال عليهِ

ان ما تقدم كافٍ للدلالة على ان اكتشاف الاساليب الطبيعية التي يكتسب بها الانسان الوقاية من الامراض المعدية بنوع عام ومن السل بنوع خاص هو من الاهمية بمكان عظيم . ثم ان صناعة الطب لم تألُ جهداً في استخدام النتائج العلمية لمعالجة السل ولكن مقاومة هذا الداء لم تزل بعيدة عن الوصول الى غايتها المطلوبة ولا بدَّ لها قبل ذلك من امور كثيرة علماً وعملاً على ان النجاح الذي نجحناهُ حتى الآن يضمن لنا ان نوع الانسان سيتغلب في المستقبل القريب على هذا الكائن الميكرسكوبي الدقيق

عهد الامام علي

وكتاب السلطان بايزيد الثاني

ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية ان الاوربيين والاميركيين يغالون بالكتب النادرة حتى يشتروا النسخة منها بالوف من الجنيهات إما لانها خطت منذ مئات من السنين او لانها طبعت عند اول اختراع الطباعة او لانها كانت لملك او لامير او لاحد العظماء . ولم تكد تلك المقالة تطبع حتى وقع لنا كتاب نفيس من كتب السلطان بايزيد الثاني الذي رقي الى عرش الملك سنة ٨٨٦ هجرية الموافقة سنة ١٤٨١ مسيحية وقد خط سنة ٨٥٨ فلم يخط لهُ خاصةً لكنهُ اقتناه ُ ليستفيد منهُ على ما يظهر

والكتاب عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى مالك بن الاشتر النخعي حين ولاهُ مصر . وهو آية في جمال خطهِ وانتساقهِ مذهب الحواشي والنجوم اسود الحبر صقيل الورق ورقهُ حريري او كتاني مما كان يصنع باليد و يصقل بالمصاقل طول الصفحة منهُ ١٩ سنتمتراً وعرضها ١٢ وطول الكتابة فيها ١٢ سنتمتراً وعرضها سبعة وهي سبعة اسطر فقط في كل صفحة بالشكل الكامل

ولا نطيل في وصف هذه الاعراض لان غرضنا البحث في جوهر الكتاب

لا يخفى ان عهد الامام علي هذا وارد في نهج البلاغة . ونهج البلاغة كلهُ مظنون في نسبتهِ الى الامام علي و يقال انهُ من اوضاع الشريف الرضي وليس هذا محل البحث في ذلك ولكن هذه النسخة المخطوطة منذ نحو خمس مئة سنة تدلُّ ان البعض من كتَّاب العربية يستحلون ان يحمموا القوالم وآراءهم بين اقوال غيرهم وآرائهِ وينسبوها اليهِ . ومن كان كذلك لا يكبر عليهِ ان يؤلف كتاباً و ينسبهُ الى غيرهِ مبالغةً في اكرامهِ او اثباتاً لغرض يقصدهُ . بل قد استحلَّ كتَّابنا ورواتنا سامحهم الله ما هو اعظم من ذلك فوضعوا الشيء الكثير من الاحاديث وجعلوها اركاناً تبنى عليها المعاملات كما استحلَّ الرواة قبلهم نظم الاشعار ونسبتها الى الجاهلية ليبيعوها من الخلفاء والامراء

وقد نشرنا في ما يلي بضع صفحات من هذا العهد كما هو في نسخة السلطان بايزيد التي عندنا وكما هو في نهج البلاغة المطبوع في مصر وذلك في حقلين متقابلين لاظهار ما في الثاني من الزيادات المقحمة فيه

ما في نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما امر به عبد الله عليٌّ امير المؤمنين مالك ابن الحارث الاشتر في عهده اليهِ حين ولاهُ مصرَ جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها

امرهُ بتقوى الله وايثار طاعتهِ واتباع ما أمر بهِ في كتابهِ من فرائضهِ وسننهِ التي لا يسعد احدٌ الاَّ باتباعها ولا يشقى الاَّ مع جحودها واضاعتها وان ينصرَ الله سبحانهُ بقلبهِ ويدهِ ولسانهِ فانهُ جل اسمهُ قد تكفّل بنصرِ من نصرهُ واعزاز من اعزّهُ

وامرهُ ان يكسرَ نفسهُ من الشهوات ويزعها عند الجمحات فانَّ النفسَ أمارةٌ بالسوء الاَّ ما رحمَ الله

ثمَّ اعلم يا مالكُ اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدلٍ وجورٍ وأنَّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظرُ فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنتَ تقولُ فيهم وانما يستدلُّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عبادهِ فليكن أحبُّ الذخائر اليكَ ذخيرةَ العملِ الصالح . فاملك هواكَ وشحَّ بنفسك عمَّا لا يحلُّ لك فان الشحَّ بالنفسِ الانصافُ منها فيما أحبَّتْ او كرهتْ . وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبَّة لهم واللطف بهم ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنمُ أكلهمْ

ما في نسخة السلطان بايزيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما امر به عبدالله علي امير المؤمنين مالك ابن الاشتر حين ولاهُ مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها

امرهُ بتقوى الله وايثار طاعتهِ وان ينصر الله بيدهِ وقلبهِ ولسانهِ . فاملك هواك في ما تحب وتكره واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والعفو عن هفواتهم

فانهم صنفان إما اخٌ لك في الدين او نظيرٌ لك في الخلق يفرُطُ منهم الزَّللُ وتعرِضُ لهم العللُ ويؤتى على أيديهم في العمد والخطإ . فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبُّ ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاّك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم

ولا تنصبنَّ لحرب الله فانهُ لا يدَيْ لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته

ولا تندمنَّ على عفوٍ ولا تبجحنَّ بعقوبةٍ ولا تسرعنَّ الى بادرة وجدت منها مندوحةً ولا تقولنَّ اني مؤمَّرٌ آمرُ فأُطاعُ فانَّ ذلك إدغالٌ في القلب ومنهكةٌ للدين وتقرُّبٌ من الغِيَر . واذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهةً او مخيلةً فانظرْ الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدرُ عليه من نفسك فإنَّ ذلك يطامنُ اليك من طماحك ويكفُّ عنك من غربك ويفيُّ اليك بما عزب عنك من عقلك

اياك ومُساماةَ الله في عظمته والتشبُّه به في جبروته فانَّ الله يذِلُّ كل جبَّارٍ ويهين كلَّ مختالٍ

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيَّتك فانك الاَّ تفعل تظلِمْ ومن ظلمَ عباد الله كان الله خصمهُ دون عبادهِ ومن خاصمهُ الله ادحض حجتهُ وكان لله حرباً حتى

كما تحب ان يُفعَل بك . فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق مَن ولاّك

لا تندمنَّ على عفوٍ ولا تبجحنَّ بعقوبة ولا تسرعنَّ الى بادرة وجدت عنها مندوحة فاذا احدث لك ما كنت فيه من سلطانك ابهة فانظر الى عظم ملك الله تعالى فوقك وقدرته عليك فان ذلك يطأْمن عن طماحك ويكفُّ من غربك ويفيُّ اليك بما عزب من عقلك

انصف الله وانصف الناس من نفسك وخاصة اهلك ومَن لك فيه هوًى من رعيتك فانك إن لا تفعل تظلم ومَن ظلم عباد الله كان الله خصمهُ ومن كان الله خصمهُ

بنزع ويتوب . وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم. فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد

وليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك . فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك

اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساعٍ فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل

ادحض حجته وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم

وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة

وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرضاء واقل معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة . فليكن صغوك اليهم وميلك معهم

وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوباً الوالي احق بسترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك

اطلق الناس من عقدة كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح

الساعي غاش وان تشبه بالناصحين

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل

لك عن الفضل و يعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله

ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكون لك بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه. أولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك . ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا من هواك حيث وقع

والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة

بك عن الفضل ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله

شر وزرائك من كان قبلك للاشرار وزيراً ومن شركهم في الاثام فلا يكون لك بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك الوطم بمر الحق والملهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ورضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة

ترى من ذلك ان الذين تطاولوا على صورة هذا العهد التي كانت متعارفة منذ خمس مئة سنة وزادوا فيها هذه الزيادات الكثيرة زادوها غير متعمدين ضرراً . ولعلنا لو وقع لنا نسخة خطت قبلها بخمس مئة سنة لرأينا في نسختنا من الزيادات الشيء الكثير حتى نصل الى النسخة الاولى التي نسبت الى الامام علي فلا نجدها ربع ما هي الآن وسواء كتب هذا العهد الامام علي نفسه او كتبه آخر ونسبه اليه فيبعد عن التصديق ان يكتبه مطولاً مسهباً على الصورة التي نراه فيها الآن واهل ذلك العصر كان يعوزهم القرطاس حتى انهم كانوا يكتبون على الجلود والعظام . وما وجد مكتوباً من عهدهم نراه غاية في الايجاز . والعهد في صورته الحاضرة

لا يكتبهُ الأ رجل متأنق حرفتهُ صوغ الكلام لا امير مشغول بالحرب والجهاد كما كان الامام علي وفي عليه كل الخطب المنسوبة اليهِ والاشعار التي قيل انهُ نظمها

ولنأتِ الآن الى امر آخر لا بدَّ من ان يخطر على بال كل مَن يرى النسخة التي بين ايدينا وهو اقتناء السلطان بايزيد لها وما يمكن ان يكون قد ترتَّب على ذلك . فالظاهر ان السلطان بايزيد كان يعرف العربية ومعلوم انهُ كانت بينهُ وبين سلطان مصر حروب كثيرة وجهز مرةً اسطولاً كبيراً قصد فتح مصر بعد ان هزمتهُ الجنود المصرية في حلب. افلا يحتمل ان يكون قد رغب في الاستيلاء على القطر المصرية وتولية والٍ عليها كما ولَّى الامام علي مالك بن الاشتر من مطالعتهِ هذا العهد

كان السلطان بايزيد مسالماً قليل الرغبة في فتح البلدان فلماذا حاول فتح مصر . ذكر ابن اياس لذلك سبباً تافهاً قال والذي استفاض بين الناس ان سبب الفتنة بين السلطان (اي سلطان مصر) و بين ابن عثمان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة واحضرها صحبتهُ الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضتهُ مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق ... ولم يكف عن تدويخ اطراف الممالك المصرية . و بعث ستين سفينة حربية مشحونة بالسلاح لمقاتلة الجنود المصرية فصفقت بها الرياح واغرقتها . هذه خلاصة ما ذكرهُ ابن اياس ولكن السبب الذي ذكرهُ غريب تافه لا يعتد بهِ

وان صحَّ ان النسخة التي امامنا الآن نبهت السلطان بايزيد الى امتلاك مصر وجعلها من ولاياتهِ ليقيم والياً عليها يوصيهِ بما اوصى بهِ الامام علي مالك بن الاشتر فيكون لهذه النسخة شأن كبير في تاريخ هذا القطر

وسواء صحَّ هذا الفرض اولم يصح وسواء كان العهد للامام علي او كان لغيرهِ ونسب اليهِ وسواء وضع اولاً مختصراً ثم حُشي حتى بلغ ما بلغهُ في نهج البلاغة او وضع مسهباً من اصلهِ — فالنصائح التي فيهِ من ابلغ واحكم ما كتبهُ الحكماء والفلاسفة في كل عصر وما احراها ان تكون مرشداً لكل من ولي امر الناس

تاريخ طب العيون [1]

تمهيد

حاز الاستاذ بير "Beer" الالماني قصب السبق في البحث عن تاريخ طب العيون ونسج بعده الكثيرون على منواله · ولقد نشأ هذا الفن في العصور الغابرة الغامضة كما نشأ غيره من فروع الطب ولا بدع في ذلك فالحاجة ام الاختراع · ومن البديهي انه لما ارتقت مدارك الانسان الى درجة تمكنه من البحث والاستقصاء طفق يفتش عن طريقة يتقي بها اضرار ما كان يصيبه احيانا من الامراض واذ عسر عليه ذلك التجأ الى الكهنة المحفوفين بهالة الاوهام الدينية لانهم كانوا يمثلون العلم والمعرفة في تلك العصور فاختصوا بهذا الفن

ومن الصعب ادراك ما كان عليه طب العيون عند الشعوب المختلفة في العصور التي سبقت التاريخ لاسيما من كان منها حينئذ رتيبه في ظلمات الهمجية كالامة الغالية التي لم يصلنا من اخبارها الا القليل التافه فمن ذلك انها كانت تستعين بالتعاويذ والرقى لمعالجة عيونها وتستخدم بعض النباتات لكنها تنسب مالها من الفائدة الى الرسوم التي ترافق قطفها وقد عرفت هذه الامة نبات البنج واستخرجت منه سماً لسهامها فمن المحتمل ان تكون قد اهتدت الى تأثيره في العيون لانه شديد واضح

اما المصريون القدماء فلا ينطبق عليهم ما ذكر آنفا لان كهنتهم اطالوا البحث في العلوم الطبية ووضعوا فيها ستة كتب تسمى كتب هرمس وقد اطلع عليها جالينوس في القرن الثاني للمسيح لكنها فقدت بعد ذلك · وعثر في طيبة على بردي يعرف ببردي ابرس يحتوي على بقية من هذه الكتب ومنها ما هو مختص بمعالجة امراض العيون ويستنتج من مطالعته ان ابناء وطننا الاولين عرفوا الكثير من مكنونات هذا الفن ولا عجب في ذلك فبلادهم موطن الرمد الحبيبي واختلاطاته الكثيرة ولقد وصفوا من امراض العيون خراجها والشترة الداخلة والشترة الخارجة وزوغان الاهداب والشعيرة وورم الغدد الميبومية · ومن امراض الملتحمة احتقانها والرمد والحبيبات والظفرة والسرطان . ومن امراض القرنية البروز الشبي واستسقاء العين والارتشاح والانسكاب الصديدي في الغرفة المقدمة والعتامات · ووصفوا ايضاً الالتهابات القزحية والمائية والسهادير وشلل عضلات العين والكمنة والترتب لكنهم قصروا

---

(1) ملخص عن دائرة المعارف الفرنساوية لامراض العيون

تقصيراً واضحاً في معالجة هذه الامراض ولم يستعملوا لمداواتها الاَّ بعض العقاقير البسيطة كالنطرون والزنجفر والزنجار والاثمد وكبريتات الرصاص وحجر التوتيا والكمون واللبان والمرّ والطلع وعصير الورق الصفراء والخروع والسقية والعسل. وزعموا ان لروث العلي والجرذون والتمساح والسلحفاة والاولاد فائدة كبيرة. وكانوا يذيبون الاكحال بالماء والعسل والبول والدم وشحم الحيوانات. اما العمل الجراحي الوحيد المشار اليه في بردي ابرس فهو نزع الاهداب

ولقد كان لاطباء العيون المصر بين القدماء شهرة واسعة في جميع اقطار العالم. روى هيرودتس المؤرخ ان قورش ملك الفرس لما رمد ارسل الى اماز يس فرعون مصر يلتمس منهُ ان يبعث اليهِ بامهر طبيب رمدي ملبي فرعون طلبهُ واقام الطبيب المرسل في بلاط فارس وحمل قمبيز بعد موت قورش على محاربة بني وطنهِ فكان ذلك بدء مصائب مصر

ويرجع تاريخ الطب المصري الى العصور القديمة جداً لكن الكتب الموجودة منهُ (كابحاث شاركا وسوكروتا) اضيف اليها شروح عديدة في القرن الخامس قبل الميلاد واضاف اليها اليونان بعد ذلك كثيراً من معلوماتهم. و بتألف ما يختص منها بالرمد من شذرات من العلم اليوناني يكاد لا يعثر عليها القارىء لقلتها بالنسبة الى ما يملأ هذه الكتب من المقالات اللاهوتية الطويلة

اما اليونان فقد جاء في اساطيرهم ان خيرون اعاد البصر الى شبان الفينيقيين الذين اعماهم اميانور عقاباً لهم على دنسهم فهو اذاً اول الرمديين اليونانيين ولقد كان الطب عندهم في عصر بزوغ التاريخ بين ايدي الكهنة من نسل اسكولابيوس الذي تخرج على خيرون في خرافاتهم وكان هؤلاء الكهنة يمارسون صناعتهم في الهياكل و يطهرون المرضى بالصيام والاغتسال والدلك والتبخير (ثم تنوب الاغاني الانيسة عن اسكولابيوس بالاشارة الى الادوية التي ينبغي استخدامها) و يؤلف العلاج غالباً من المسهلات الخفيفة والمقيئات كالجبس والشوكران ومن الفصد في الحوادث الشديدة الخطر ثم يقدم المريض هدية تناسب ثروته

وقد وضع ارستوفانيس رواية هزلية تمثل هيكل اسكولابيوس حين شفاء بلوتوس من العمى و يستدل من تهكمهِ ان تلك المعالجة الكهنوتية لم تلبث ان قل رواجها وسقط اعتبارها في اعين الجمهور

واختص كهنة كل هيكل بوصفات طبية كثيراً ما كانوا يخطونها على جدران معبدهم ومن ذلك ما رواهُ آتيوس وهو ان صائغاً اهدى الى هيكل افسس وصفة لكل يشفي جميع امراض العيون. ولا بدَّ ان هذا العلاج لم يكن يخلو من الفائدة احياناً اما بتأثيره الادبي

في المريض لما لهُ من الشكل الدبقي واما بالدلك والتبخير والحمية والغسيل بالماء المثلج وغير ذلك مما كانت تأمر بهِ المعبودات . واذا خاب الامل ولم ينل العليل الشفاء القوا عليهِ تبعة جهلهم وزعموا انهُ ضعيف الايمان

وقضى الرومان ستة قرون ولا اطباء بينهم فكان رئيس العائلة يعالج امرأتهُ واولادهُ وعبيدهُ وقطعانهُ وكانوا يستخدمون بعض الادوية كالخربق والسقمونيا والسذاب والابهل ويثقون بالتعاويذ والرقى ويعتمدون كثيراً على الكرنب ويستخدمونهُ لجميع الامراض مجرداً او ممزوجاً بالكمون نيًّا او مطبوخاً وقد نسبوا اليهِ فوائد جمة وقالوا ان بول من اكلهُ يحتوي على مزاياهُ العظيمة فاذا دهنت العيون الضعيفة البصر بهذا البول اصبح بصرها حاداً

وظهر طب اسكولابيوس وشعائرهُ في رومية نحو القرن الثالث قبل المسيح ولم ينتشر فيها الأ بعد ذلك بمئة سنة . وقد اخرجوا من نهر التيبر حجراً مخوتاً يستدل من قراءة ما كتب عليهِ ان حدثاً ضريراً يسمى ڤاليريوس ابرس استشار هاتف الغيب فاوحى اليهِ ان يمزج دم ديك ابيض بالعسل ويركب من ذلك مرهماً يدلك بهِ عينيهِ ثلاثة ايام ففعل بالنصيحة واستعاد بصرهُ واتى لكي يشكر الآلهة امام الجميع

الطب اليوناني وما يختص منهُ بالعيون

للطب اليوناني ثلاثة عصور يبتدىء الاول منها في القرن الخامس قبل المسيح حينما وضع بقراط كتابهُ بعد ان درس الطب درساً حقيقياً ولم يحفل بخزعبلات الهياكل وترهات الكهنة لكنَّ الاوهام الدينية والشرائع المدنية التي كانت تحرّم تشريح الاموات اعاقت تقدم هذا العلم حينئذٍ

والعصر الثاني هو عصر تملك اليونان مصر وقيامهم في الاسكندرية وانشائهم فيها المدارس الزاهرة والمكاتب العامرة وقد اجازوا لاطبائهم تشريح الجثث والعبيد والمجرمين الاحياء فتقدم الطب تقدماً عظيماً لكنَّ المؤلفات التي تحتوي على نتيجة تلك المباحث فقدت جميعها مع غيرها من كنوز العلم التالية ولم يحصل بنا منها الأ ما رواهُ المعاصرون بعد ذلك

والعصر الثالث هو عصر انتقال مدرسة الاسكندرية الى رومية وقد انحطت فيهِ درجة الطبّ عن سابقهِ وكان بعض الاساتذة المشهورين يدعون بانهم يعلمون تلامذتهم هذا الفن في ستة اشهر فكثر الاطباء الجاهلون وسخر منهم جمهور المؤلفين وعاب ابليفيوس جشعهم وذم مارسالوس جهلهم وقال يخاطب احدهم «كنت بالامس طبيباً رمدياً واصبحت اليوم سيافاً فلم تغير مهنتك لانك دائماً تفقأ العيون » وابتدأ الاخصاء حينئذٍ فكان هناك اطباء

البدن واطباء العيون واطباء الاسنان واطباء الآذان واطباء البصر وصنّاع العيون الزجاجية للتماثيل وللبشر . لكنَّ رمديي ذلك العصر لم يتركوا من آثارهم الاَّ بعض الخواتم المربعة الزوايا المحفور على اوجهها الضيقة اسم الطبيب والكحل والداء الذي يفيد فيهِ . وكانت الاكحال حينئذٍ ارغفة صغيرة من عجينة رخصة يسمها الاطباء بخواتمهم الحجرية المذكورة آنفاً ثم ينشفونها ويحفظونها ويذيبون قطعة منها في لبن النساء او ماء المطر او البول او العسل حين الحاجة ويكحلون بها العين . ولم يخطَّ زمن استخدام هذه الخواتم القرن الثالث بعد الميلاد

ولقد وضع الرمديون القدماء مؤلفات عديدة في طب العيون فقد اكثرها وما بقي لم يحصل بامنهُ كتاب كامل قط ومن هذه المؤلفات نبذة كتبها هروفيلون الخلقيدوني وهو من اهالي الاسكندرية الذين عاشوا في القرن الثالث قبل المسيح لا نعرف منها سوى اسمها ومنها نبذة في ثلاثة كتب وضعها ديموسثينوس الماسيلي Demosthène le Massuer من المتخرجين على الاسكندر الذي كان رئيساً لمدرسة اللاذقية في زمن طيباريوس لم يبقَ منها سوى بعض الشذرات التي نقلها جالينوس واوريباز وآتيوس في كتبهم . ومنها مؤلفات جالينوس في تشريح العين وامراضها ترجمت الى العربية في القرن التاسع ثم استخرجت منها الى اللاتينية سنة ١٥١٢ واضيف اليها حواشٍ عديدة . ومنها كتاب سوارنوس وهو من معاصري جالينوس ونبذة اوريباز وهو من اطباء القرن الرابع ومؤلفات اسكندر ترالياتوس Alexandre de Tralles وهو من الذين نبغوا في القرن الخامس

ولم يشر بقراط الى تشريح العين في كتابهِ الاَّ باختصار كثير لكنَّ اطباء الاسكندرية افاضوا في ذلك واوفوا البحث حقهُ فوصف روفس وجالينوس الجفون وصفاً دقيقاً وقالا انها تتركب من ثلاث طبقات الخارجية وهي جلدية والمتوسطة وهي غضروفية وتنتهي بالاهداب وبها بصيلات صغيرة تفرز مادة دهنية (غدد ميبوميوس) والداخلة وهي امتداد من السمحاق يعرف بالملتحمة وسموا آماق العيون بالزوايا الكبرى والصغرى

اما المقلة فتتألف على زعم روفس من اربعة اغشية الاول البشرة والثاني بياض العين Albuginea وهو شفاف في جزئهِ المقدَّم المسمَّى بالقرنية والثالث اكتشفهُ هيروفيل وسمَّى الجزء المجاور منهُ للقرنية بالعنبي والجزء الذي تحت البياض بالشيمي لمشابهتهِ مشيمة الجنين والرابع يُدعى الشبكي ويسميهِ بعضهم بالعنكبوتي وغيرهم بالزجاجي نسبة الى السائل الذي يملأهُ . وقد اشار جالينوس الى صلابة البياض واشتداد تحدُّب القرنية وقال ان الغشاء الثالث يحمل الاوعية المغذية للعين ويتفرع من طرفهِ المقدَّم زوائد دقيقة تشبه الاهداب

بعضها يفيد في التغذية والبعض الآخر يجتمع مع الجزء الممتد من العصب البصري الرباط المحيط بالبلورية

وسموا انسان العين بالبؤبؤ وما يمتد من البؤبؤ الى القرنية بالقزحية وهي على زعم جالينوس حرة متمم للشبكية يلتصق بالبلورية ويثبتها . اما رطوبات العين فثلاثة . اولها البلورية وتعرف ايضاً بالعدسية وهي محاطة بغشاء يزعم بعضهم انهُ ناتج عن تكاثف طبقاتها العليا. وثانيها الزجاجية ودُعيت بهذا الاسم لمشابهتها الزجاج. وثالثها الرطوبة المائية ويسميها سلس هيبوخيما Hypochyma ويتولد العصبان البصريان من بُطيني المخ الجانبيين ويخرقهما قناتان صغيرتان ويتحدان عند التصالب وتتصل قناتاهما هناك ويرافق كلاً منهما وريد وشريان من السباتي الداخلي ثم ينبسطان في العينين

ولكل عين سبع عضلات تندمج تحت الملتحمة في الغشاء الصلب اربعة مستقيمة واثنتان مائلتان مدورتان وواحدة كبيرة تبتدىء عند دخول العصب البصري في المحجاج ووظيفتها رفع العين وتدويرها معاً

وكان جالينوس اول واصف الجهاز الدمعي وقد قال انهُ يتألف من غدتين عليا وسفلى ومن ميازيب تحت الجفن عند الزاوية الكبرى وان وظيفتهُ افراز الدموع التي ترطب العين وتصب في قناة تنتهي في الانف ويغطي فتحتها العليا جسم لحمي يعرف بالغديدة . اما كاسيوس فزعم ان الدموع تسكب من الرطوبة المائية

وزعم سلس ان العدسية مركز البصر ومستقره وقد استمر هذا الخطأ الى بدء القرن السابع عشر ونسب جالينوس رؤيتنا الاشياء الى هواء العين Pneuma الذي يملأ ما بين العدسية والقرنية وقال انهُ يأتي من المخ الى الحدقة بواسطة العصب البصري فيمدها وانهُ اذا اتصل بالاشياء الخارجية طرأ على العدسية تغييرات مطابقة للون الاشياء وهيئتها ومركزها. وتنطبع هذه التغييرات على المنطقة المؤخرة وهي على قوله امتداد من الشبكية كما تنطبع الصورة على المرآة ثم تنتقل بواسطة العصب البصري الى الدماغ

وليس ما ارتآهُ جالينوس الا توسعاً في نظريات افلاطون والفلاسفة الرواقيين الاقدمين اما امبيدوكليس وابيقوروس فقد عرفا ان النظر يتأتى عن تأثير الاشياء المرئية في العين ووافقهما ارسطوطاليس على ما ذكرا وزعم ان النور يأتي من الاجسام تظهرهُ الحركة التي يكوّنها لون الشيء المنظور وان هذه الحركة تنتقل الى رطوبات العين الشفافة

وقد توسع مريدو الاسكندرية في درس حوادث البصر الحسية فكان بطليموس يعتقد

كتابة القلاديوس انا تنظر بخروج الاشعة من العين وان الالوان هي اوّل الاشياء التي تدركها لانها العامل الحسي الخاص بالنظر وانها ملازمة للاجسام لكنها لا ترى الا بواسطة النور . واننا نعرف بُعد الاشياء بالاشعة البصرية من الطول ووضعها بهذه الاشعة من الترتيب وحجمها بالزوايا المكتنفة اطرافها من الانفراج . وان الانسان لا يرى الشيء مزدوجاً لان الاشعة التي تقع على الاشياء المنظورة متطابقة الترتيب في جميع الاجرام البصرية بالنسبة الى محور كل من العينين فاذا تمكّن من امالة احدى عينيه او اصابتهُ علة تسبّب ذلك كالحول اختلف الترتيب المذكور ورأى الشيء مزدوجاً ويكون هذا الازدواج متقابلاً في بعض الحوادث ومتصالباً في غيرها

وعرف بطليموس بعض الظواهر الخاصة ببقاء الصورة في العين وضرب لذلك مثلاً نقطة على إطار يتحرك يحسبها الناظر دائرة وقال ان الانسان اذا حدّق ببصره في لون باهر ثم وجههُ الى اشياء اخرى اكتسبت ذلك اللون ولاحظ ايضاً ان القرص المتحرك المقسم الى اجزاء مختلفة الالوان يظهر للرائي ذا لون واحد لكنهُ لم يعرف القواعد التي تعين ذلك اللون . ولقد خصص الجزء الخامس من كتابه بانكسار اشعة النور ووضع جداول يبيّن بها مقدار انحراف هذه الاشعة عند مرورها من الهواء في الماء او الزجاج على درجات مختلفة من الانحناء . اما الجزء المختص بالانكسار في الاجسام ذات السطح الكروي فقد فُقد لسوء الحظ و بات من الصعب الحكم في هل عرف القدماء العدسات المحدّبة والمقعّرة اولم يعرفوها .

وذكر سينيكوس Sénèque ومكروبيوس Macrobe ان الاشياء المغموسة في آنية كروية من الزجاج مملوءة بالماء تظهر للناظر اكبر من حجمها الحقيقي لكنهما عزيا ذلك الى الماء وليس الى شكل الوعاء . وروى بلينيوس ان الاطباء كانوا يكوون مرضاهم بكرة من البلور يعرضونها لاشعة الشمس وقال انهُ من السهل اضرام النار في الامتعة بهذه الطريقة . ولقد عثروا على بعض العدسات المحدّبة في الدماميس القديمة وفي بومباي وادعوا ان القدماء كانوا يستخدمونها في الاعمال الدقيقة لكن لا دليل يؤيد هذا الزعم . اما العدسات المقعرة فتشير اليها زمرّدة نيرون الشهيرة لكنّ هذه الزمرّدة حديث خرافة بني على تأويل باطل لفقرة مبهمة مما كتبهُ بلينيوس . ويستنتج من اعتبار الشارع الروماني قصر البصر في الرقيق عيباً مبطلاً للبيع انّ طريقة معالجته بالعدسات المقعّرة لم تكن معروفة حينئذٍ

الامراض

ذكر بقراط في اماكن مختلفة من كتابهِ نحو الثلاثين من امراض العين كالارماد واورام

الغدد الميبومية والعراخ والظفرة والشترة الداخلة والشترة الخارجة وزوغان الاهداب وعدم انتظام البؤبؤ واتساعه وضيقه وادرجاره وضعف البصر والنظر الليلي والحول . اما وصف هذه الامراض فيبهم جداً لان المدرسة البقراطية لم يكن لديها كلمات اصطلاحية معينة . وبقي اطباء ذلك الزمن معالجتهم على مبدإ تحويل مجرى الاخلاط فاستخدموا لهذا الغرض الفصد والحجامة والمعطسات والمرغرات الحادة واصطلحوا على طريقتين وحشيتين في الاحوال الخطرة الاولى تشريط الرأس تشريطاً عميقاً والثانية كي اوعية ما حول الحجاج والظهر بالحديد المحمى او بالزيت الغالي . وقد اجاد سلس بوصفه امراض العين ثم اضاف آتيوس وبولس الايجيني كثيراً الى ما ذكر

(امراض الملتحمة) قسم بقراط التهابات الملتحمة او الارماد الى جافة ورطبة وقال انها معدية وان لبعض فصول السنة تأثيراً فيها وذكر سلس الرمد الرطب والرمد الجاف والرمد الحبيبي وذكر ايضاً رمداً صلباً وعرّفه بان الطبيب لا يقدر ان يقلب جفن المصاب به وقال انه قد يسبب الشترة الخارجة وقسم جالينوس ومن خلفه الرمد بحسب الشدة الى خطر وخفيف وبحسب كية الافراز الى رطب وجاف ووصف سفيروس في القرن الثالث الرمد الحبيبي وسماه التراخوما

ويظهر من مطالعة كتاب بقراط ان النزلات الزكامية تعد في مقدمة العوامل المسببة لامراض العيون ويتلوها تأثيرات الفصول والعدوى ولهذا كان من واجبات المريض تحويل مجرى الاخلاط بالطرق المذكورة سالفاً وبكشط الملتحمة قبل الالتجاء الى الادوية الموضعية ولا تستعمل الاكحال في الاحوال الحادة ويدخل في تركيبها من النباتات الزعفران والمرّ وعصير الخشخاش ومن المواد المعدنية كثير من املاح النحاس والرصاص غير النقية وتمزج جميعها بالصفراء او لبن النساء

وقد اتبع سلس المعالجة البقراطية مع ما فيها من الشدة اما جالينوس فكان يفضل الكمادات والقطرات القابضة والمحولات . وانتقد سفيروس Severus كي الاوعية الدموية وتشريط الرأس المذكورين آنفاً وقال انهما طريقتان وحشيتان . وبقيت عملية كشط الاجفان محظورة لدى الاطباء زمناً طويلاً وحصر جالينوس وسفيروس استعمالها في الحوادث التي لا يصاحبها تقرح في القرنية . ووصف سلس الرمد الثري وقال عن الظفرة انها تكون غالباً في الجهة الانفية من العين وانها قد تشفى باستعمال القطرات القابضة اذا كانت حديثة العهد لكن القديمة تستلزم عملية جراحية

(امراض القرنية) ذكر سلس دمل القرنية وقال انهُ يسبب قرحة قذرة مجوفة مزمنة وانهُ يترك نُدبة في العين ويولد احياناً البروز العنبي الذي يعالج جراحياً

ووصف جالينوس وآتيوس وبولس قروح القرنية بالتفصيل وقسموها الى صغيرة مستديرة طرفية وصغيرة عميقة وكبيرة عميقة والى قروح مغطاة بالنسيج الندبي . وسبق اولهم غيرهُ الى ذكر الانسكاب الصديدي في العين (Hypopion) وسمى الصغير منهُ بالظفر Onyx وكان يعينهُ بمراقبته حين اهتزاز الرأس فاذا رآهُ يتبع حركة ذلك الاهتزاز امكن صحة التشخيص وعالجهُ بشرط القرنية في حرفها الاسفل عند النقطة التي كانوا يسمونها بالاكليل

واذا انثقبت هذه القروح سالت الرطوبة المائية وظهر الفتق القزحي وقد قسمهُ بولس الايجيني الى صغير يشبه رأس الذبابة ويسمى Mikrokephalon والى كبير يشبه العنبة ويسمى Staphyloma والى اكبر من هذا يظهر ناتئاً تحت الجفون وهو إما رخو او صلب

وتترك قروح القرنية بُقعاً بيضاء كان يسمها جالينوس بان يكويها بابرة حامية ثم يملأ الحرق بمزيج من العفص وقشر الرمان مذابين بمحلول ملح نحاسي

(امراض رطوبات العين) اطلق بقراط في كتابهِ كلمة جلوكوزيس على جميع الامراض التي تعكّر السواد . ودلّ اطباء الاسكندرية بالجلوكوما على اللون الازرق الناتج عن رطوبة او جفاف البلورية وبالهيپوخيما على تكاثف الرطوبة الذي بين العدسة والقرنية . اما سلس فقال ان هذه الهيپوخيما (المائية) تنتج عن جمود الرطوبة التي خلف الحدقة وامام البلورة وتقسم الى انواع مختلفة بعضها يؤثر فيه العلاج والبعض الآخر اما ان يستلزم عملية جراحية واما ان لا يفيدهُ شيء . ويظهر ان الذين خلفوا سلس لم يضيفوا على وصفهِ هذا ولم يأتوا بأحسن منهُ لان فابريس داكا بندنت Fabrice d'Acqu-pendente من اطباء القرن السابع عشر كان ينصح زملاءهُ بمطالعة هذا الفصل

وقد وافق جالينوس ارسطوطاليس في الكلام على الغلوكوما وقال انها تنتج عن جفاف العيون وميّزها عن المائية بزعمهِ ان العلة الاخيرة يسببها جمود الرطوبة المائية . واما الجلوكوما فليست سوى العدسة بعد ان جفّت جفافاً شديداً واكتسبت لوناً مبيضاً او شبيهاً بماء البحر . ولم يكن مؤلفو ذلك العصر يعرفون طريقة معالجة هذا المرض فقالوا انهُ غير قابل الشفاء . اما الكتاركتا او المائية فقد كان الاطباء الذين خلفوا سلس يفتتونها احياناً وينكسونها احياناً اخرى ويظهر ان بعضهم كان يخرجها ايضاً كما سيأتي في الكلام عن الجراحة

(امراض الجفون) وصف سلس التهاب اطراف الاجفان وجربها والشعيرة والكلازيون

والاكياس الدهنية وذكر التصاق الاجفان بعضها بالبعض الآخر او بصلبة العين وقال ان ذلك يستدعي الجراحة وفرّق بين الشترة الداخلة وزوغان الاهداب واشار بعمليات جراحية كثيرة لمداواتهما . اما الشترة الخارجية فهي اما خلقية الشفاء واما مسببة عن الشجوخة

(امراض زاوية العين الكبرى) اولاً الشوكة وهي درنة صغيرة تتولد احياناً عقب اجراء عملية الظفرة وتستدعي الاستئصال . وثانياً السيل او انسجام الدموع ويأتي عن نزع الغديدة اثناء عملية الظفرة ايضاً . وثالثاً الغرب وقال سلس انهُ سور يخرج الصديد بلا انقطاع ولم يكن يعرف الجهاز الدمعي فكان يداوي هذا الداء باستئصال الورم وكي موضعهِ بالحديد المحمى . اما جالينوس ومن تبعهُ فقد ذكروا طرقاً عديدة لمعالجتهِ

(امراض المقلة) وصف سلس الجروح التي تصيب العين وقال انها قد تكون صغيرة اسبب ورماً بسيطاً يداوى بدم اليمام والخطاطيف وقد تكون كبيرة فتؤدي الى خسارتها . واطلق كلمة جحوظ العين على ظهورها في الحدقة واورامها وقال ان معالجة هذا الداء تكون على الاغلب جراحية

(امراض عضلات العين) ذكر بقراط الحول في مجموعتهِ وقال انهُ يتبع الصرع ويكون وراثياً واطلق سلس اسم الانفلال العيني على شلل عضلات العين وعلى اهتزاز المقلة . وكان اور يباز يعالج هذا الداء بان يعلّق اشياء لامعة في الجهة المقابلة للعين الحولاء كي يجذب نظر المريض اليها

(ضعف البصر وخلل الانكسار) جاء في مجموعة بقراط ان ضعف البصر يأتي عن استسقاء الدماغ او عن انسداد القناة الموصلة من العين اليهِ وقسمهُ بليفيوس الى ثلاثة اقسام الاول يسببهُ الرمد والشجوخة والوهن والثاني الغشاوة او العمى الليلي ولا يصيب النساء والثالث انتشار الحدقة وقد يبرأ منها المريض بشرب المياه المعدنية

ويرى جالينوس ان ضعف النظر ينتج من علة في العصب تسد المسام التي يمرّ بها الهواء البصري وان هذه العلة ترافق امراض الدماغ والمعدة لانهما يُصعدان حينئذٍ ابخرة سوداء تعكّر الرطوبة المائية

وذكر ارسطوطاليس عدم انتظام البصر وهو اول من اطلق كلمة (Myope) على قصيرهِ وقال ان المصاب بهذا الداء تحرر عيناهُ حينما يحدّق نظرهُ في الاشياء وان الشيوخ يصابون بعكس ذلك فهم يرون الاشياء البعيدة ولكنهم لا يميزون الصور القريبة من العين

وزعم الاسكندر الافروديزي ان قصر البصر مسبب عن خفة الروح البصري وان

طوله' ناتج من كثافته . وقال جالينوس ان من اسباب النظر الشجري تكاثف رطوبات واغشية العين . اما معالجة هذين الداءين بالعدسات المحدّبة والمقعّرة فقد كانت مجهولة كما سيأتي ولهذا قال سيانون (Sueton) وشيشرون وكرنيليوس تابس ان الواجب على الانسان اذا شاخ واراد المطالعة ان يأمر عبداً ليقرأ له'

العلاج

استعمل الاقدمون اكحالاً عديدة لمعالجة الارماد المختلفة واوصى سكريبونيوس لارجوس بالاكحال المستخرجة من عصير النباتات في بدء العلة لان المساحيق مهما دُقّت وسُحقت تفسخ العيون . واشار بادخال الافيون في جميع المستحضرات العينية واثنى كثيراً على الاغسال السخنة وطبيخ النباتات الحار

وكان الرمديون يكتمون تركيب اكحالهم فكابد سكريبونيوس المذكور آنفاً صعوبات شديدة في معرفة بعضها وهي غالباً مشكّلة من مواد كثيرة فكحل هرمون الذي ذكره' سلس مؤلف من احدى وعشرين مادة . اما الجواهر الفعالة التي كانوا يستعملونها فهي املاح من الرصاص والزنك والنحاس والحديد غير نقية وممزوجة بلبن النساء او البول او الصفراء او الريق . وذكروا فوائد عظيمة لمرارة بعض الحيوانات والطيور والاسماك ولاسيما لحم الخطاطيف فانهم قالوا ان له' فعلاً خاصاً في البصر واعتقدوا كثيراً على التعاويذ واستخدموا المياه المعدنية وذكروا ان للمياه التي تحتوي على الحديد تأثيراً نافعاً جداً في العيون

الجراحة

لم يذكر بقراط في مجموعته من جراحة العين الا النذر اليسير فمن ذلك كيّ اوعية ما حول الحجاج والظهر وتشريط الجمجمة تشريطاً عميقاً ومنها ثقب القحف لتفريغ الماء المتجمع تحته' في بعض احوال ضعف البصر ومنها استخراج الصديد من داخل العين بتشريطها شرطاً عميقاً ومنها استخراج رأس سهم مغروز في الجفن ومنها لمعالجة الشعرة الخارجية خرز مرتبة على نظام خاص وشاملة لثنية من حد الجفن المصاب ومنها كشط حُبيبات الملتحمة بقطعة من الخشب مغطاة بورقة من شجر التين وذرّ (كبريتات النحاس) المسحوق على السطح المكشوط بعد ذلك

وكان سلس اول من وصف جراحة العين وصفاً علمياً ثم اضاف حلفاؤه' كثيراً الى ما كتبه' (الشعرة الداخلة وزوغان الاهداب) تقسم العمليات الجراحية الموضوعة لهذين المرضين الى اربعة اقسام

القسم الاول شتر شفر الاجفان وذلك طريقتان · الطريقة الاولى يسبب بها الجراح اختناق قطعة افقية من الجلد الجفني إما بان يشملها ضمن غرز متينة محكمة الشدّ كما كان يفعل بقراط واما بان يدخلها في شق قصبة يربط طرفيها الواحد بالآخر بعد ذلك ربطاً متيناً واما بان يكويها مراراً عديدة بالجير المطفي والرماد لاسيما متى كان المريض جباناً · والطريقة الثانية يقطع بها الجراح القطعة الجلدية الافقية المذكورة آنفاً قطعاً ثم يخيط احد طرفي الجرح الى الآخر

والقسم الثاني نقل القطعة الجلدية الشاملة للاهداب وهاك طريقة بولس الايجيني · تفصل الشفرة الجفنية طولاً الى صحيفتين تشمل المقدمة منها الجلد والاهداب وجذورها · ثم يقطع الجزء المتوسط طولاً من هذه الصحيفة المقدّمة ويُخاط طرفا الجرح لتزحل القطعة الحاملة الاهداب الى الاعلى وتبقى هناك بعد الشفاء · وكان آتيوس يجوّف الغضروف الرسغي اثناء اجراء هذه العملية

والقسم الثالث ابادة اصول الاهداب الزائغة وذلك بان ينتفها الطبيب و يكوي اصولها بطرف مسبر متأجج حاد او ابرة مصفحة محماة جداً

والقسم الرابع تحويل مجرى الاهداب بأن يولج الطبيب في خرم ابرة رفيعة طرفي شعرة امرأة او خيطاً دقيقاً جداً ثم يُدخل الهدب الزائغ في عروة الخيط و يمر بالابرة من الحرف الحفني الى ما فوق الاهداب ساحباً الخيط المذكور فيتخذ الهدب حينئذٍ طريقاً جديداً و يبتعد عن العين · ولم يستعملوا هذه الطريقة الا في الاحوال التي لا تتجاوز بها الاهداب الزائغة الثلاثة عداً

(الشترة الخارجة) قسّم اليونان الشترة الخارجة الى تقلصية وندبية وقالوا ان كلتيهما تصيبان الاجفان السفلى فقط · وعالجوا الاولى منها بالطرق الآتية اولاً مس الجزء المتقلص بالحديد المحمى او الجير او غيره من المواد الكاوية ثانياً قطع الغشاء المخاطي المتضخم وكيّ ما تحته بالحديد بعد احمائه الى ان يحمر وذر كربونات النحاس على الجرح وثالثاً قطع جزء مثلث من الجفن شامل لانسجته جميعها وضم احد طرفي الجرح الى الآخر وهذه الطريقة الاخيرة تعرف بطريقة انتيلوس

اما الشترة الخارجة الندبية فوضعوا لها عمليتين الاولى عملية انتيلوس المذكورة آنفاً والثانية عملية دموستينوس وهي ان تشرط الندبة شرطاً هلالياً يتجه طرفاهُ الى الخد ويُقطع الغشاء المخاطي المتضخم او يترك ثم يملأ الجرح الهلالي بالفتائل كي لا يلتحم شفتاهُ

(استحالة اهداب العين) يتأتى ذلك من ندبة معيبة في الجفن العلوي يُسببها خراج

او عملية رديئة لزوغان الاهداب . فإذا كان هذا العيب كبيراً استحال شفاؤُهُ اما اذا كان خفيفاً فيعالجهُ سلس بان يشق تحت الحاجب شقاً هلالياً يتجه طرفاه الى الاسفل و يبلغ الغضروف الجفني لكنهُ لا يشقهُ . ثم يملأ الجرح المفتوح بالنسالة كي يمنع اتصال الاغشية الجلدية فيطول الجفن و يرتخي و يتيسر اغماض العين

(اورام الاجفان) تُشق الشعيرة وتعصر ويُشرح الكلازيون بعد شقهِ من الغشاء المخاطي او من الجلد و ينزع الكيس بعد شق الجلد شقاً بسيطاً او بعد قطع جزء منهُ مناسب لحجم الورم ثم يخاط الورم

(القَرَب) يُعالج القرب بملاشاة الكيس الدمعي او فتح طريق صناعي للدموع والصديد والعمليات التي اصطلحوا عليها لمعالجة هذا الداء ثلاثة

الاول شرط الورم شرطاً افقياً يبتدأ في النقطة البارزة منهُ المجاورة لاتصال الجفنين ويشمل باقي الخراج ثم يمنع الجرح من الالتئام و يكوى يومياً بالمواد المجففة

والثانية ملاشاة الكيس الدمعي ولها طرق مختلفة منها طريقة جالينوس الذي كان يشق الورم و يمد حافتي الجرح ثم يستعمل مثقباً صغيراً مراراً عديدة لتمزيق الكيس و يدهن سطح الجرح اخيراً بمرهم نحاسي ومنها طريقة سلس الذي كان يشق الجلد المغطي للورم ثم ينزع جدار الكيس المقدم بعد جذبهِ بكلاّب صغير ويكوي الحفرة المفتوحة بالحديد الاحمر . ويستحسن آتيوس تغطية العين بسفنجة اثناء اجراء هذه العملية و يقول انهُ من الواجب كيّ الحفرة كيّاً تاماً شاملاً لجميع اجزائها اي قاعها وجدرانها الجانبية ولاسيما الجدار الاعلى .

وروى جالينوس عن ارشيجينوس Archigènes ان بعض الجراحين كانوا يدخلون في الفقة الناتجة عن شق الخراج الدمعي قمعاً دقيقاً يسندونهُ الى العظم ثم يسكبون بهِ رصاصاً سائلاً فينال المريض الشفاء لكنهم لم يستعملوا ذلك الا في حوادث تسوس العظم

(كشط الاجفان) ذكرت هذه العملية لمعالجة الارماد في كتاب بقراط الذي كان يكشط الملتحمة الجفنية بقطعة من الصوف الخشن ملفوفة حول قضيب صلب . اما سلس فكان يفضل الكشط بسطح ورقة التين الخشن او بمبرد او مشرط وتغطية الجرح بعد ذلك بمادة قابضة . ونهى جالينوس وسفيروس عن استخدام هذه العملية في الارماد التي يرافقها تقرّح القرنية واخترع لها بولس الايجيني آلة خاصة

(التصاق الاجفان) يقول سلس ان هذا المرض يشمل التصاق احد الجفنين بالآخر والتصاقهما بالعين ففي الحالة الاولى كان يدخل طرف مسبرٍ عريض بين الجفنين و يفصلهما

الواحد عن الآخر ثم يضع ما بينها النسال الى ان يدمل الجرح

اما في حالة التصاق الجفنين او احدهما بالمقلة فالطريقة التي كان يتبعها الاطباء وشهيرهم ليدس التورنتي وهي ان تفصل الانسجة الملتصقة بمنتهى التحفظ كي لا يزال شيء من العين او الجفن ثم تضمد العين باحد المراهم المستعملة لجيبات الملتحمة ثم يقلب الجفن يومياً لبسط المرهم ولمنع حدوث التصاق جديد و يوصي المريض ايضاً برفع جفنه مراراً عديدة كل يوم. لكن سلس يزعم انهُ لم يرَ مريضاً واحداً شفي بهذه العملية وان ماخوس الذي اجراها كثيراً يوافق على رأيه

(الظفرة) وصف سلس عملية الظفرة كما يأتي . يمد المساعد جفني العين المصابة و يجرّ الطبيب كلاباً صغيراً تحت قمة الظفرة و يرفعها و يدخل تحتها ابرة قد ادخل بها خيطاً ثم يترك الكلاب و يرفع الظفرة بشدهِ طرفي الخيط و يفصلها عن العين بمشرط مثقب بجرح الزاوية ويضمد الجرح بالنسال المدهون بالعسل . ومن الواجب بعد ذلك مشاهدة المريض يومياً وفتح عينيه وابعاد الجفنين . وقد اخترع آتيوس مشرطاً مخصوصاً لفصل الظفرة من العين

(البروز العنبي) لمعالجة هذا الداء ثلاث عمليات

الاولى الربط البسيط وذلك ان يدخل الطبيب في قاعدة البروز ابرة قد اولج بها خيطين ثم يعقد احدهما في الاعلى والآخر في الاسفل و يشدهما بالتدريج كي يتيسر فصل هذا البروز او سقوطهُ بقطع الغذاء عنهُ

والثانية قطع البروز وترك حافتي الجرح سائبتين وذلك ان يفصل من اعلاهُ قطعة بحجم العدسة ثم يذر على الجرح مادة كاوية خفيفة كاكسيد الزنك

والثالثة قطع البروز وضمّ الحافتين وذلك ان يجتاز الطبيب قاعدة البروز بابرتين متقاطعتين على شكل صليب في كل منها خيط مزدوج ثم يقطع الجزء الاعلى من هذا البروز و يشد الخيطين و يعقدهما و يتركهما فيسقطان بعد التئام الجرح

(الصديد في الغرفة المقدّمة) (Hypopyon) عالج اليونان هذا الداء بطريقتين احداهما شق القرنية والاخرى بزلها . اما الشق فقد ذكرهُ بقراط وقال عنهُ جالينوس ما يأتي « كثيراً ما اخرجنا الصديد مرة واحدة بشق القرنية فوق المكان الذي تجتمع فيه كل اغشية العين ويسمي البعض هذا الموضع بالازجية ويدعوهُ البعض الآخر بالتاج »

واما البزل فقد كان آتيوس يجريه بان يثقب القرنية بابرة المائية على موازاة سطح القزحية المقدم في الاحوال التي يكثر بها تجمع الصديد في الجزء الاسفل من الغرفة المقدمة . واما الحوادث التي يتسبب بها الصديد عن قرحة بسيطة فيرى ان لا داعي لبزلها لان هذا الصديد

بتجزّ كما غسلت القرحة

(المائية او الكتركتا) اصطلح اليونان على ثلاث عمليات لعلاج المائية

العملية الاولى التنكيس وهذا ما قالهُ سلس في وصفها · ينتظر الطبيب جمود المدسة فاذا تم ذلك قرَّر اجراء العملية وامر المريض بالحمية مدة ثلاثة ايام · ثم يأتي به في صباح اليوم الرابع قبل ان يذوق شيئاً ويجلسهُ على مقعد مواجهٍ النور في غرفة كثيرة الضوء ويأمر احد المساعدين بان يغطي العين السليمة ويثبت الرأس من خلف ويجلس الطبيب امام المريض واعلى منهُ قليلاً · ثم يأخذ ابرة حادة غير دقيقة ويدخلها في طبقتي العين الخارجتين عند منتصف المسافة بين سواد العين والزاوية الصدغية ويوجهها بلا خوف الى المائية التي يدفعها الى ما تحت البؤبؤ ثم يضغط عليها بشدة كي تغوص في اسفل العين وتستعمل اليد اليسرى في عملية العين اليمنى واليد اليمنى في عملية العين اليسرى

والعملية الثانية التفتيت وقد ذكره سلس قائلاً « اذا لم ينجح التنكيس وصعدت المدسة ثانية الى البؤبؤ فمن الضروري تجزئتها الى قطع صغيرة لا تضايق البصر كثيراً ويسهل ازالتها»

وذكر اطيفوس ان بعض الرمديين يوسعون الحدقة بالزمّ قبل اجراء عملية المائية لكن الزمّ الذي نعرفهُ لا يوسع الحدقة فمن المرجح انهُ اراد نبات البنج الذي نص جالينوس على فعله هذا

والعملية الثالثة الاخراج ودليلنا الوحيد على وجوده عند الاقدمين النص التالي من كتاب جالينوس « اذا لم يفد العلاج مائية العين فاننا ننكسها وقد اقدم بعض الاطباء على اخراجها حسب الطريقة التي سأفصلها في كتاب العمليات الجراحية ». لكن تأليف جالينوس الجراحية فقدت فلم يبق لدينا دليل آخر. ولا شك ان هذه العملية اهملت بعد مدة قصيرة لان الاطباء الذين تبعوه لم يشيروا اليها

(عمليات المقلة) يشق سلس كرة العين المصابة بالفلغموني اما العيون الصلبة فانهُ يقطع منها الجزء البارز بمشرط حاد

(الآلات الجراحية) اكتشف في قبري فيرميوس سفيروس وبولس سولثوس طبيبان تحتويان على بعض الآلات الجراحية المزخرفة كمشارط ذات نصال متحركة ولها في اطرافها التي تلي اليد ادوات لفصل الاورام الجفنية وملاقط بسيطة ذات اسنان مثبتة ومراود لوضع المرام في عيون المرضى وبعض الاحجار العينية والمساحج التي كانوا يحبون لها اصالاً مدهشة

وانتقل طب العيون من اليونان الى العرب وسأذكر ما ادخلوهُ فيهِ في فرصة اخرى

[المقتطف] فقدت الورقة التي فيها اسم حضرة كاتب هذه المقالة فنرجو ان يتكرم به

اصول التعليم الحديث

تمهيد

خضع التعليم لناموس الارتقاء العام كما خضع الانسان والعلم والتمدن لقد مرَّت عليهِ ادوار تدرَّج في اثنائها من ابسط حالاتهِ الى ما هو ارقى الى ان وصل الى ما هو عليهِ في هذه الايام . فما نراهُ اليوم في المدارس والكليات والجامعات من اصول التعليم الراقية ليس ابن يومهِ بل هو نتيجة ابحاث ومعادلات اشتغل بها العقل الانساني منذ ابتدأ التمدن الى اليوم

ولما كان تاريخ التعليم من الاهمية بمكان وكان على كل من اخذ على عاتقهِ القيام بهذه المهمة ان يقف على ذلك رأيت ان آتي على تاريخ التعليم الحديث مع القاء نظرة عامة على تاريخ التعليم من اول امرهِ مستنداً في كل ذلك على ما كتبهُ كبار علماء التهذيب الذين هم العمدة في هذا الباب والكتبة التي يحجُّ اليها كل من اراد التوسع في هذا الموضوع[1]

لقد قسم العلماء ازمنة تاريخ التعليم الى ادوار فسموا الدور الاول منها بالتعليم الابتدائي وهو لا يتجاوز حد « التقليد » كتقليد الصغار حركات من هم اكبر منهم سناً . وهذا الدور هو المعوَّل عليهِ في كل امة لتعليم الاطفال غير ان المتوحشين الذين لم يكن عندهم مدارس اقتصروا عليهِ ولم يزيدوا شيئاً

ولقد مضى زمان كانت فيهِ هذه الطريقة ارقى طرق التعليم اذ كانت الطريقة الوحيدة المعروفة ولكن ذلك لم يلبث طويلاً حتى قام اناس من بين المتوحشين يعرفون اشياء لا يعرفها باقي اخوانهم كحركات سرية او اشارات تبعد الارواح الشريرة ولما رأوها نافعة لهم لم يبوحوا بها الاَّ لاقاربهم واهلهم وهؤلاء هم الافراد الراقون او الكهنة الذين زادوا عليها الطقوس والرسوم وصاروا هم المعلمين وصارت بيوتهم المدارس فكان التعليم اذ ذاك محصوراً في فئة قليلة من الناس لا يتعداها الى سواها . فقويت هذه الفئة وقيَّدت افكار الناس وعاداتهم كما شاءت مستندة في كل ذلك على السحر والكهانة والشعوذة

لما ارتقى الانسان وابتدأت تتألف الجماعات وسنت بعض النظامات السياسية ووضعت الحروف الهجائية واللغة الكتابية ظهر ان للفرد اعتباراً وشأناً خاصاً اذ منهُ تتألف الجماعات

(١) قد عوَّلنا في كتابة هذه المقالة على كتب اكثرها انكليزي منها

(1) The Cyclopedia of Education. (Monroe)
(2) History of Education & Source Book (Monroe).
(3) Davidson History of Education.
(4) Horn's Philosophy of Education.

وظهر ان الجماعة يجب ان تعرف ماضيها وتستفيد من اغلاطها وتسعى وراء كل واسطة لحفظ كيانها. فقام التعليم الشرقي وكانت العناية مصروفة فيهِ الى الامور الآتية (١) حفظ اللغات واصطلاحاتها (٢) تعليم الانسان نوعاً مخصوصاً من التعاليم السرية (٣) التسلط على الامة بذلك. ولكي تسنى لهم هذه الامور وضعوا زمام التعليم في يد فئة قليلة من الكهنة الذين اتقنوا القراءة والكتابة وعرفوا كل النظامات والقوانين المسنونة. لكن ظهر تقصير التعليم الشرقي في اربعة امور (١) التشديد في اهمية اللغة (٢) تكريم الماضي (٣) عبادة الاسلاف (٤) تقييد شخصية الفرد بشخصية الجماعة فترتب على ذلك النتائج التالية (١) اخضاع العقل للسان (اي اللغة) (٢) الحط من شأن الحاضر. فابتدأ العقل الشرقي حينئذٍ يخلق فردوساً بعد الموت وجنة بعد الانتقال من هذا الشقاء فكنت تراهُ تارة ينشد الاشعار مفتخراً بماضيهِ واخرى سابحاً في لجج الفلسفة مفكراً في مصيرهِ لكن قلما كان يهتم باصلاح حاضرهِ (٣) عدم الاعتماد على النفس

التعليم اليوناني

كان التعليم الشرقي الذي بدت حاجتهُ على اوضح حالاتها في الصين مبنياً على اخضاع الفرد والتسلط عليهِ. ثم قام التمدن اليوناني فاجتهد اليونان ان يحرروا الانسان من كل تسلط غير مشروع ويقوّوا فيهِ عاطفة الفردية ليعرف نفسهُ انهُ كائن حر وان ليس لاحد ان يحرمهُ هذه الحرية. وقبل الوصول الى هذه الغاية تقلّب العقل اليوناني في ادوار كثيرة. ولم يتم ذلك لليونان الاّ بعد اختلاطهم بالشعوب الاخرى فاخذوا يستبدلون نظاماتهم القديمة باخرى ارقى منها ترفع من شأن الفردية. ولذلك كان من همّ فلاسفة اليونان المتأخرين وعلى الاخص سقراط وافلاطون وارسطوطاليس ان يوفقوا بين القديم والحديث وان يضعوا اصولاً موافقة للتعليم فكانت نتيجة ذلك ان وضعت المبادئ التي بنى عليها العلم الحديث نظاماتهِ وقوانينهُ. وبقي الميل الى تقوية شأن الفرد الى ان داستهُ اقدام الرومانيين

التعليم الروماني

مال فلاسفة اليونان الى الفلسفة النظرية فهاموا في عالم التصورات اما الرومان فكانوا امة عملية فقوّوا التعليم العملي وجعلوا مقياس صلاحية الشيء منفعتهُ وتأثيرهُ ولهذا نظروا الى اليونان كامة ذات احلام ورؤًى كما ان اليونان نظروا الى الرومان كامة بربرية اعتمادها على القوة وليس فيها شيء من الشعور والتصور. وجعل الرومان البيت المدرسة الاولى منشأ التربية والعلم فيهِ تتأسس الفضيلة وتنشأ التربية الصحيحة ولما كان جلّ اعتماد اليونان على الفلسفة النظرية لم يكن للعامة من شأن يذكر في امر التعليم بل بقي العلم محصوراً في طبقة مخصوصة منهم

بخلاف الرومان فقد كان لكل فرد من افراد الامة حظ وافر منهُ وزها العلم وتقدم لما عظم شأن الرومان . ولكن لما اخذت الامبراطورية في الانحطاط وسرى السم في جسدها وتسلط البرابرة على القسم الغربي منها تأخر العلم تأخراً عظيماً وانحطت اخلاق الامة وفسدت تربيتها

ولقد ظهرت آراء الرومانيين في التعليم في ما سنّوهُ من الحقوق والواجبات فكان للروماني خمسة حقوق بحسب ما سنّتهُ الشريعة الرومانية . (١) حق الوالد على ولدهِ (٢) حق الرجل على امرأتهِ . (٣) حق السيد على عبدهِ . (٤) حق الحر على آخر في احوال تبينها الشريعة . (٥) حق الرجل على املاكهِ . فكان الحر ينال هذه الحقوق بالولادة . وبعد القرون الاولى من تأسيس رومية صار الانسان ينالها اذا تبناهُ رجل حر او نال الجنسية الرومانية

التعليم في القرون الوسطى

بعد ان استوى الملك قسطنطين على عرش المملكة الرومانية صارت الديانة المسيحية ديانة الحكومة الرسمية وانتشرت في كل المملكة و بعد ان كانت السلطة في يد الحكومة اخذت تتسرب شيئاً فشيئاً الى يد الكنيسة حتى صارت هي المرجع الاعلى في جميع الشؤون المدنية والكنسية واخذت التعاليم الوثنية تتقلص امامها لانها جاءت بتعاليم جديدة روحية وتهذيب حقيقي على الاس الذي لم يكن يحقق في التعاليم اليونانية والرومانية . وكان في وسع كل رجل ان ينال حظاً وافراً من هذا التعليم لانهُ كان مبنياً على الادبيات لا على العقل والذكاء كما كان عند اليونان . وقد كانت الديانة المسيحية في اول نشأتها على اتفاق تام مع التعليم المدرسي ولكن لما امتدت سلطتها الى جميع الاقطار جعلت تحتكر كل شيء وحرمت الانسان من التوسع في البحث والتعليم . فقام الرهبان وافنوا الجانب الاكبر من اوقاتهم في المطالعة والدرس والكتابة والتأليف . ولما احتاجوا الى المجادلات الدينية رأوا ان لا بدَّ لهم من علم المنطق والفلسفة وهكذا نشأت الفرقة المعروفة بالمدرسيين ثم لما تولد في اوربا النظام الاقطاعي ورأى الناس انفسهم مضطرين الى حمل السلاح اخذ التعليم يتكيف بصورة اخرى فنشأ التعليم المدعو بالتعليم العسكري وهو ان يمرن الانسان نفسهُ على الشجاعة والفروسية ليتمكن من الجهاد بسيفهِ وقت الحرب . وبعد ان انقضى القرن الثالث عشر ظهرت التعاليم بمظهر جديد وكلها ترمي الى الضغط على العقل والحرية

زمن الاصلاح — هدم القديم ومحاولة البناء على اساس فلسفي

تقدم القول ان التعليم في القرون الوسطى كان يرمي الى الضغط على حرية الافراد والعقل فقيام النشأة الجديدة لمحاربة هذا الميل كان نتيجة طبيعية . ولقد وقف ابطال هذا

الدور حياتهم على محاربة سلطة الكنيسة والحكومة ونظام الهيئة الاجتماعية القديم وليدة القرون الوسطى . اما الغايات التي وجهوا انظارهم اليها في كل تعاليمهم فهي (١) حقيقة الحياة فوافقت آراؤهم في ذلك اراء فلاسفة اليونان الذين اعاروا هذه المسألة جانباً عظيماً من الاهمية بخلاف ما كان عليه قادة الافكار في القرون الوسطى . (٢) عالم التصورات الداخلي والفرح في الحياة واللذة في المعيشة واعطاء الجمال حقهُ من الاهمية . و بديهي انهم لم يكونوا ينظرون الى ذلك من الوجهتين الدينية والفلسفية بل من الوجهة العالمية . (٣) الاشتغال بالامور الطبيعية فأدت الاولى الى درس آداب اللغتين اليونانية والرومانية والثانية الى اتقان الحفر والنقش والتصوير والثالثة الى الاكتشافات الجديدة . وخلاصة القول ان دور النشأة الجديدة وضع اساس التهذيب كما نراهُ اليوم وليست الادوار الثلاثة الآتية الا تكملة لهُ . اما اهم رجال هذا الدور فهم بترارك وبوكاتشيو في ايطاليا . و يوحنا ورينولف و يوحنا ركلين في المانيا ورئيس هذه النهضة الاكبر اراسموس

دور الاصلاح

يختلف الدور السابق عن هذا الدور بوجه وثيق . وما الاصلاح الا نتيجة امتداد النشأة الجديدة في شمال اوربا حيث اجتهد المفكرون في اصلاح الكنيسة والهيئة الاجتماعية من الوجهة اللاهوتية . ويجدر بنا ان نذكر بعض الفروق بين الشعوب اللاتينية والجرمانية المعروفة بالطوطونية . فاللاتين كانوا يميلون الى درس الآداب الوثنية والجرمان الى درس الآداب المسيحية . اولئك اهتموا بالتهذيب الشخصي وهؤلاء بتهذيب المجتمع دينياً وادبياً . كان تمدن اللاتين مبنياً على التقاليد وتمدن الجرمان على الديانة المسيحية . عقل هؤلاء كان ميالاً الى الدين وعقل اولئك كان يسعى وراء المنفعة الذاتية . لذلك لم يكن ابتداء الاصلاح في المانيا ومساعدة ملوكها للمصلحين بالامر الغريب

اما اهم ابطال الاصلاح فهم يوحنا كلفينوس (١٥٠٩ — ١٥٦٤) كان منهمكاً في حياته بالمجادلات اللاهوتية ولم يعر التعليم جانباً من الاهمية الا في السنين الاخيرة من عمره

يوحنا زونكلي . (١٤٨٤— ١٥٣٢) . اعظم المصلحين في سويسرا . قوى التعليم الابتدائي . وكتب كتاباً في كيفية تربية الاولاد في الديانة المسيحية

مرتينوس لوثيروس (١٤٨٣ - ١٥٤٦) اعظم المصلحين بلا جدال ومصدر النهضة الالمانية . انحصرت تعاليمهُ في ثلاثة وجوه . ضد الحكومة — وضد الكنيسة — وضد التعليم الكنسي . والى القراء حذف من اقواله في وجوب التعليم . « هب ان لا روح ولا سماء ولا جهنم

فهذا لا ينفي ان التعليم ضروري لقضاء الحاجات على الارض كما قال بذلك فلاسفة اليونان والرومان . العالم في احتياج الى رجال متعلمين ليسوسوا البلاد بالعدل والحكمة والى نساء مهذبات يربين اولادهن التربية الحسنة ويعتنين بامور بيوتهن » اما اكره المدارس التي يقضي فيها التلميذ عشرين او ثلاثين سنة في تعلم امور لا اهمية لها ان عالماً جديداً قد اشرق علينا وقد لبس كل شيء ثوباً جديداً فانا ارى ان يرسل الولد ساعة او ساعتين في النهار الى المدرسة ويقضي بقية يومه في البيت يتعلم صناعة لان الصنائع والعلوم يجب ان تسيرا جنباً الى جنب »

وقد علم ان الحكومة يجب ان تلزم الاهالي بارسال الاولاد الى المدارس كما انها تلزمهم بتأدية الخدمة العسكرية

فيليب ملانكثون (١٤٧٩ - ١٥٦٠) دُعي معلم المانيا ولم يطلق عليه هذا اللقب اعتباطاً اذ لم تبق مدرسة في المانيا الا واتبعت خطتهُ في التعليم او مشورتهُ في انتقاء الدروس ولم يبق معلم مشهور الا واخذ عنهُ . وقد الف كتباً مدرسية كثيرة كان يعتمد عليها في المانيا مدة طويلة . فالتعليم الابتدائي اذاً مديون للاصلاح

الدور المعروف بدور الفلاسفة الحقيقيين (اي المذهب القائل بحقيقة الاشياء)

كانت الحركة في القرن الخامس عشر شخصية وتثقيفية . وظهرت بالكتابات والحركات العسكرية . وفي القرن السادس عشر اصلاحية وادبية فظهرت في الدين والاجتماع . وفي القرن السابع عشر اتجهت نحو الفلسفة والمسائل العلمية ولذلك يمكننا ان ندعو هذا الدور بالدور العلمي

انقسم العلماء في هذا الدور الى قسمين الاول العلماء الحقيقيون المختصون بالعلوم الادبية اهمهم اراسموس وملانكثون والثاني الحقيقيون الاجتماعيون وهؤلاء قللوا من اهمية المدارس وجعلوا اهم وسائط التعليم الارتحال في الارض والمعاشرة والاحتكاك مع الناس

ورافع علم هذا الرأي مونتانيه وقد ظهر في هذا الدور فرنسيس باكون (١٥٦١—١٦٢٦) واضع الفلسفة الحديثة وهادم اركان الفلسفة القديمة . ولقد علم هذا الفيلسوف ان العلم لا يقوم بحفظ القواعد الصرفية والنحوية واستظهار بعض الكلمات ولا بالعلوم اللاهوتية بل بالعلوم الطبيعية فهي وحدها يجب ان تسود في الكون واليها يجب ان ترجع الفلسفة . فباقواله هذه فتح باباً جديداً ومهد سبيلاً واسعاً للاكتشافات التي حدثت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر

ولفكانك رتك (١٥٧١ — ١٦٣٥) كتب هذا العالم لمجلس المملكة الالمانية في فرنكفورت ما يأتي :

« استطيع ان اعلّم اللغة اللاتينية واليونانية باصلوبي الجديد في مدة قصيرة فيتدرب فيها التلميذ احسن مما يتدرب في مدارسنا الحاضرة . يجب ان تكون اللغة العامية — اي الوطنية — اساس كل علم ويجب ان يعلم التلاميذ الصنائع مع العلوم . يجب ان تسود في المانيا لغة واحدة ولهجة واحدة لاغير ». ولكن هذا العالم لم يصادف النجاح التام في حياته

اما مؤسس تاريخ التعليم الحديث فهو يوحنا عاموس كومنيوس (١٥٩٢ — ١٦٧٠) ويمكننا ان نجمع آراء هذا الفيلسوف بالتعليم في هذه الخلاصة

« القصد من التعليم هو التمتع بالسعادة التامة وهذه ينالها الانسان بقوة الارادة ومعرفة النفس وبالتالي معرفة كل شيء » وقال في التعليم ما يأتي .

« يجب على الانسان ان يفقه العالم جيداً ويضع كل قسم في مكانه دون اختلاط ولا امتزاج » . ولذلك نرى كلامهُ في كل كتبهِ المدرسية آخذاً بعضهُ برقاب بعض . ويجدر بنا ان نذكر القضايا التسع التي وضعها هذا العالم في التعليم

(١) كل ما يجب ان يعرف يجب ان يعلّم صريحاً للتلميذ لا بالرموز ولا بالامثال

(٢) يجب ان تلقى الدروس على طريقة تقربها من الافهام وليس على طريقة معقدة صعبة

(٣) كل ما يعلّم يجب ان يكون ذا نفع ومن الاشياء التي يستعملها التلميذ كل يوم والواقعة تحت حواسهِ

(٤) كل ما يعلم يجب ان يعلم بالرجوع الى طبيعتهِ الحقيقية واصلهِ اي بواسطة اسبابهِ وعللهِ

(٥) يجب ان تقدَّم مبادئ الاشياء العمومية في التعليم على التفصيلات والشروح الطويلة

(٦) كل شيء يجب ان يعلم مبتدأً من رتبتهِ ومركزهِ وعلاقتهِ بالاشياء الاخرى

(٧) يجب ان تعلَّم كل الاشياء بالتعاقب ولا يجوز ان يعلم اكثر من شيء واحد في وقت واحد

(٨) يجب ان لا يترك المعلم شيئاً قبل ان يفهمهُ التلميذ جيداً

(٩) يجب ان يدقق تمام التدقيق في الفروق التي تُرى بين الاشياء لكي تكون المعرفة حقيقية واضحة

وقد اشتهر هذا المعلم ايضاً بما وضعهُ من الكتب المدرسية حتى انها كانت الغاية في هذا الباب وفاقت كل كتب الذين تقدموهُ وعاصروهُ . والسبب في نجاحهِ انهُ كان معلماً فكتب ما كتب عن اختبار واستقراء . وقد ذكر انهُ يجب ان تكون المدارس نوعين

(١) مدرسة الاطفال . فكأنهُ اشار بذلك من طرف خفي الى بستان الاطفال (كندر كارتن) كما سيجيء (٢) المدرسة العمومية . ولم ينسَ واجبات الامهات فكتب كتاباً مهماً في التربية

الدور المعروف بالتمرين

كانت اهمية هذا الدور قائمة بامور ثلاثة . (١) ان العبرة ليست بالمواضيع العلمية التي يتلقنها التلميذ بل بالطريقة التي تتلى بها . (٢) ان الاسلوب الصحيح يرقي القوى العقلية الى درجة تستطيع بها ان تفهم المواضيع فهماً صحيحاً . (٣) ان العقل مركب من قوى كثيرة اهمها الذاكرة والادراك وان هاتين يجب ان ترقيا بواسطة التمرين العقلي . وقد صادفت هذه النظريات قبولاً من كل العلماء ولا يزال كثيرون منهم الى اليوم يؤيدونها بآرائهم

اما ممثل هذا الدور فهو يوحنا لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) . كانت غاية هذا الفيلسوف في حياتهِ محبة الحق فقد قال ان الدليل الى الحق وكل عمل في الحياة هو الادراك القائم على التمرين العقلي . وقد وافق باكون ايضاً في ان كل معرفة تأتي من الاختبار . ولم يكن التهذيب عند لوك سوى عمل عقلي تكيفهُ العادة بواسطة التمرين وهذا لا تقوم بهِ الكتب وحدها بل يلزم لهُ التأمل والافتكار العميق . وقد ذكر في موضع اخر من كتاباتهِ ان القصد من التعليم هو الفضيلة والحكمة

وقال « ان العقل السليم في الجسم السليم » . فعبثاً يحاول الانسان ان يرقي عقلهُ مادام جسمهُ معتلاً واذا كان الجسد يستطيع ان يحتمل المشقات فالعقل لا يستطيع ان يحتملها » وقد وضع اساس الفضيلة والاستحقاق في هذه الكلمات « ان يكون الرجل قادراً على انكار نفسهِ وشهواتهِ ويتبع ما يرشدهُ اليهِ عقلهُ ولو قادتهُ معدتهُ الى غير ذلك وهذا لا يقوم الاَّ بالسعادة وبالتمرين ولذلك رأى ان يمنع الاولاد من رغائبهم وهم في المهد وان يعلموا انهم لا يعطون شيئاً لمجرد رغبتهم فيهِ بل لانهُ موافق لهم » . وقد ذكر ان الغاية من التعليم ان يؤهل الشاب عقلهُ لفهم كل ما يلقى اليهِ من العلوم لا ان يتقن علماً واحداً فقط . اما اهم العلوم التي يجب ان يتلقاها التلميذ فهي الرياضيات لانها تمرن العقل . وقد قال في هذا الشأن « نحن خلقنا لنكون اذا اردنا مخلوقات مفكرة ولا يؤدي الى ذلك الاَّ العمل والتمرين وقد خصصت بالذكر الرياضيات لانها واسطة التمرين والممارسة . وبواسطتهما يتأهل العقل لفهم كل العلوم التي يشتغل بها »

هنا انتهى تاريخ التعليم القديم وسنأتي على تاريخ التعليم الحديث

يولس شحاده

غرائب العادات

عادات اهالي ملانزيا

تمهيد

يطلق اسم ملانزيا على مجموع كبير من الجزائر الى الشمال الشرقي من استراليا . أكبرها غينيا الجديدة وكلدونيا الجديدة وجزائر سليمان وفيجي وهبريدس وبسمارك

ويختلف سكان هذه الجزائر في اشكالهم ويحسبون كلهم من السود ولو كانوا متفاوتين لوناً من الاسود الفاحم الى الاسمر . ومتوسط قاماتهم خمس اقدام وثلث قدم وشعرهم اسود مفلفل . ويتباينون كثيراً في ملابسهم فالرجال قد يمشون عراة او يلبسون قوطة صغيرة كالتبان والنساء يربطن مئزراً على احقائهن او قوطة يسترن بها عورتهن . وقلما يخرجن عراة من غير شيء من اللباس ولو لستر العورة ولاسيما بعد ما يراهقن

ويختلفون كثيراً في ما يلبسونهُ للزينة والغالب عندهم وضع الريش في رؤوسهم ولبس قلائد من الصدف او اسنان الكلاب او الاثمار المقددة وعندهم الاقراط الكبيرة والاشناف والمناطق والاساور والخلاخيل . وكثيراً ما يزينون ملابسهم بالازهار او الاوراق الملونة

وادواتهم في الجمال مختلفة كثيراً فبعضهم يجملون في زينة ابدانهم وبيوتهم وقواربهم وآلاتهم وادواتهم اشكالاً دقيقة الرسم قد تشبه صور الناس والبهائم والطيور والاشجار ولو كانوا في سائر امورهم على غاية السذاجة

والوشم شائع في اكثر هذه الجزائر وقد يشترك فيهِ الرجال والنساء او يختص بهِ النساء ولاسيما اذا جُعل علامة للمراهقة . وقد يكون شكل الوشم من مميزات القبيلة كالوسم في الانعام او يكون من مميزات الشيوخ او يكون علامة على ان الرجل قتل قتيلاً فصار ممتازاً بين قومهِ . ويختلف شكلهُ حينئذٍ ليدل على ان القتيل رجل او امرأة

ومما هو شائع بينهم من قبيل الوشم تشريط الجلد لتظهر الندوب فيهِ بعد برء الاشراط وهم يحسبون التشريط من الزينة او من المميزات

ويثقبون انوفهم وآذانهم رجالاً ونساء اما الانف فيثقبون ارنبتهُ وعارضيهِ واذا ثقبوا اعلى ارنبة الانف ادخلوا في خرقها قلماً او عظماً او صدفةً . واذا ثقبوا الاذن ادخلوا فيها قرطاً

او وسعوا الخرق وادخلوا فيهِ قرطاً كبيراً حتى تصير شحمة الاذن كالاطار لها او علقوا بها اقراطاً ثقيلة حتى تتدلى على الكتف كما رأيت في صورة الرجل التي نشرناها في الجزء الماضي

وكان اكل لحوم الناس شائعاً في اكثر هذه الجزائر لكنهُ بطل الآن الاَّ في ما ندر حيث لم تصل سلطة الاوربيين او يُفعل الآن خفيةً · وعندهم عادات كثيرة غاية في الغرابة ولاسيما ما يتعلق منها بادوار الحياة المختلفة كالولادة والزواج والموت وما اشبه

عادات الولادة

من اغرب عاداتهم في الولادة ان ينفس الرجل مع زوجتهِ ويمتنع معها عن الاطعمة التي تضرُّ بجنينها حسب اعتقادهم · وقد يمتنع الوالد عن رفع الاثقال وتسلُّق الاشجار والذهاب الى البحر لئلاَّ يصاب طفلهُ بأذى · وفي بعض الجزائر يمتنع الوالد عن الذهاب الى بعض الاماكن الدينية مدة شهر من الزمان بعد ولادة الطفل خوفاً عليهِ · وقد يضطر الوالدان الى اكل طعام مخصوص قبل ولادة الطفل لئلاَّ يؤْذى

وفي بعض الجزائر تذبح الدبائح للطفل حينما يصير عمرهُ ثمانية ايام لكي لا يصاب باذى · وفي بعضها يذهب والدهُ الى البحر حينما يصير عمرهُ عشرة ايام ويسل نبابةً فيهِ ويرمي في طرفهِ قسياً صغيرة اذا كان الطفل ذكراً والياقاً من الياف النبات الذي يصنعون منهُ الحصر اذا كان انثى حتى ينشأ الذكر من الرماة المشهورين والانثى من صانعات الحصر · ولصناعة الحصر شأن كبير عندهم لان مآزرهم منها وهي من اعمال النساء خاصة ويتعاملون بها بدل النقود

واذا مات الطفل بعد ان اكل طعاماً ما امتنع والداهُ عن اكل ذلك الطعام بعد ذلك

وفي بعض الجزائر تقيم الوالدة وطفلها اذا كان بكراً في بيتها عشرة ايام بعد ولادته واقارب زوجها يأتونها بالطعام ثم يطعمهم زوجها ويعطيهم حصراً فيضعون على رأس الطفل حصراً اخرى وحبالاً مما تربط بهِ الخنازير دلالةً على انهم يكونون لهُ انصاراً يطعمونهُ ويمونونهُ اذا احتاج اليهم وفي بعض الاماكن يحتفل بولادة البكر احتفالاً حربياً فتهجم قبيلة الوالدة على بيتها حتى يضطر زوجها ان يرشيهم ويصرفهم عنهُ

ويحتفل بولادة ابكار الرجال العظام في بعض تلك الجزائر على الاسلوب التالي · يأتي ساحر او كاهن ويسحر طعام الوالدة ويذر الجير (الكلس) حولها لكي يطرد الارواح الشريرة عنها ويفرك بدنها بالجير وحينما يولد الطفل توقد نار كبيرة وتجيء امرأة فيها وهي تقول أُقوَ واقتنِ كثيراً من الصدف (وهي عندهم بمثابة النقود) وارمِ المزراق وارشق

الحجارة بالمقلاع » . هذا اذا كان الطفل ذكراً واما اذا كان انثى قالت لها اكبري وقوي حتى تستطيعي العمل في الحقول . ويكون الساحر حاضراً فيضع يده في دخان النار وهو قابض على قليل من الرماد ويلمس بالاخرى عيني الطفل واذنيهِ وصدغهُ وفاهُ لكي يقوى على الارواح الشريرة

واذا ولدت امرأة في اواسط جزائر سمارك اجتمع رجال القرية في ناديهم ومع كلٍّ منهم غصن فيحرق ورقهُ ويكسر فروعهُ ويمسكها بيدهِ ويتلو واحد منهم بعض التعاويذ على قطعة من الزنجبيل ثم يقسمونها بينهم ويمضغونها ويتفلون على الاغصان ويمسكونها في الدخان وهم يفعلون ذلك لا ليدفعوا عن الطفل شرّاً امل لكي لا يجبنوا في الحرب ولا تفقد اسلحتهم قوتها

وفي جزيرة ارلندا الجديدة يحتفل بولادة البكر بحرب تثار بين الرجال والنساء على سبيل المزاح فيتسلّح الرجال بالعصي والنساء بالحجارة ويتراشقون ثم يولمون وليمة من القلقاس ولحم الخنزير

وفي جزائر سليمان يبني النساء كوخاً من الاغصان للمرأة قبل ولادتها في مكان بعيد بين الحراج فتقيم فيهِ الى ان يولد طفلها . ولا يجوز ان يدنو من هذا الكوخ رجل ولا زوج المرأة نفسها ما دامت فيهِ ولا يرى الرجل طفلهُ قبلما يصير عمرهُ اسبوعين وحينما يولد الطفل يذبح النساء حيواناً ويرششن دمهُ عليهِ

وفي الجنوب الشرقي من غينيا الجديدة ترفع الوالدة طفلها حينما ترى اول هلال وتقدمهُ اليهِ معتقدة انهُ ينمو بذلك ويتكلم سريعاً

والكوانا من اهالي غينيا الجديدة يزينون الطفل متى صار عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وتحملهُ امهُ بعد ان تتزين ايضاً وتذهب بهِ الى بيت امها وتذهب معها اخت زوجها تمشي وراءها حاملة قدراً فارغاً ورمحاً ومئزراً ومشعلاً ومتى وصلتا جلستا تمضغان ورق الفوفل والحال تأتي زوجة خال المرأة وتنزع عنها وعن طفلها زينتهما وتأخذ القدر والرمح والمئزر هدية لاقارب ام الطفل ولكن يهدى الى المرأة وطفلها هدايا مثلها قبلما تغادر بيت امها

وفي اقليم مكيو من غينيا الجديدة يجتمع اهل القرية حول البيت الذي يولد فيهِ بكرٌ ويغنون الليل كلهُ وفي الصباح يذبح لهم والد الطفل خنزيراً او كلباً وليمة ولكن اذا مات احد في القرية قبل ذلك لم تولم الوليمة

ويجتمع نساء الكوني حينما يولد بكر ويهجمون على بيت الوالدة بالحراب على سبيل المزاح . ونساء الفولو يجتمعن حينما يولد بكر ويهجمن على القرية متسلحات بالحراب والبابيت

ومن يرقصن و يرشقن حرابهن ويختم الاحتفال بذبح خنزير واكلهِ

واذا اشتدَّ المخاض على النفساء في جزائر طورس مضى زوجها الى البحر واقام في الماء الى ان يولد الطفل معتقداً ان اقامتهُ في الماء تخفف آلام المخاض عن زوجتهِ . واذا تعسَّرت الولادة استدعي الساحر فيصنع عوذةً في البحر الى ان يولد الطفل او وقف والدهُ في الماء الى ان تبرد رجلاهُ

وحينما يولد ولد بكر في الجهة الشرقية من غينيا الجديدة توضع علامة في محد ورقة من شجرة الموز يُنتظر حملها بعد شهر من الزمان وحينما تحمل تولم وليمة لاخوال الطفل يضاف اليها ثمر الموزة ثم تولم ثلاث ولائم بين كل وليمة والتي تليها شهر . وتكون الوالدة قد مُنعت عن كثير من الاطعمة فيزول المنع عنها رويداً رويداً في هذه الولائم . و يرسل والد الطفل الى نادي القبيلة ليقيم فيهِ ستة اشهر يأكل طعاماً خاصاً واذا خالف ذلك هو او زوجتهُ وقع عقاب المخالفة على الطفل . ولا يسمح للوالد ان يرى طفلهُ في الشهر الاول بعد ولادتهِ ويبقى بضعة اشهر بعد ذلك وهو يجتنب الدنو من زوجتهِ او الاقتراب من مكان هي فيهِ اذا كان طفلها معها . ولا يجوز لهُ ان يلمس الطفل بوجه من الوجوه قبلما يصير عمرهُ خمسة اشهر الى ثمانية لاعتقادهم انهُ اذا لمسهُ بطل نموهُ او مرض او مات . وحينما يحين الوقت ليلمس الوالد ولدهُ تربط امهُ الاصداف حول معصميهِ ومرفقيهِ لكي يراها والدهُ و يدنو منهُ

وقتل الاطفال شائع في كل ملانزيا . والسفاح مباح في اكثر تلك الجزائر لغير العذارى ولذلك فالفتاة التي تلد قبلما تتزوج زيجة شرعية تقتل طفلها والاّ اهينت او عوقبت بالموت

وقد تقتل المرأة طفلها الشرعي اذا كثر اولادها او كان الطفل ذكرًا وهي تطلب انثى او انثى وهي تطلب ذكرًا ولكن الغالب في بعض الجزائر ان يستبقيا الصبيان كلهم ولا يقتل الاّ البنات

واذا ولد لامرأة توأمان فالبعض يقتلون احدهما حاسبين انهما من ابوين مختلفين والبعض يستبقونهما ويفتخرون بهما . والطفل المشوَّه الخلقة يُقتل غالباً والبعض يستبقونهُ حاسبين انهُ ينشأ ساحراً

وقد تقتل المرأة طفلها لكي تربي خنزيراً وترضعهُ لبنها او تقتلهُ لانها لا تريد ان يكون لها طفل قبلما يكون عندها خنزير تولم بهِ وليمة او تقتلهُ تشاؤماً والغالب ان تعلن ذلك وتذهب الى البحر لترميهُ فيهِ فتتبعها احدى جاراتها العواقر وتنتشلهُ من الماء وتتبناهُ

تنشئة الاحداث

لاهالي هذه الجزائر عادات خاصة بتنشئة احداثهم اكثرها مرتبط بابتداء لبسهم الثياب وبلوغهم سن الرشد واطلاعهم على اسرار قبيلتهم

فالاولاد يتركون عراة الى السن الذي يباح لهم فيهِ ان يلبسوا الفوطة والمئزر فاذا حان ذلك زُيّن الولد وحلق شعر رأسهِ حتى لا يبقى منهُ الا اكليل فاذا كان شاباً ترك عارياً الى ان يأتيهُ احد اقاربهُ بفوطة فيفرك بها حقويهِ ويلتم عليها ثم يربطها حول وركيهِ ثم يرقص ذووهُ وهم لابسون على رؤُوسهم ملابس تخفي وجوههم . وتكشف للشاب حينئذٍ اسرار قبيلتهِ . ويضرب رجل امامهُ ليرى ما يحدث لهُ اذا افشى شيئاً منها ويضرب على رجليهِ لكي تسرع خطواتهُ وعلى فيهِ لكي يصير جسوراً في كلامهِ

فالرجل من الرورو والمكيو من سكان غينيا الجديدة يذبح كلباً او خنزيراً ويعطيهِ الى اخوال ابنهِ حتى يأكلوهُ ثم يرسل ابنهُ الى خالهِ وهناك تربط لهُ الفوطة من غيران يحضر ابوهُ او احد من اعمامهِ . وعندهم عادات أُخرى يمتاز بها اخوال الرجل على اعمامهِ وهي تدل على انهم يحفظون انسابهم من جهة امهاتهم لا من جهة ابائهم والغالب ان الولد يربيهِ اخوالهُ لا اعمامهُ كانهُ تابع لبيت امهِ لا لبيت ابيهِ

واكثر النساء يلبسنَ مئزراً من لحاء الاشجار ولكن نساء المعولو لا يلبسنَ المئزر بل يكتفين بالفوطة . وحينما يلبس الفتى او الفتاة اول فوطة يحتفل بذلك احتفالاً كبيراً فيرقص اقاربهُ ويذبحون خنزيراً ويزينون الولد ويوقفونهُ على جثة الخنزير ويضعون اكليلاً من الريش على رأسهِ يتدلى طرفاهُ كالمنقشين على ظهرهِ

وعندهم رسم ثانٍ يقومون بهِ لتخويل الشاب حق الدخول الى النادي والسكن فيهِ حيث الرقص وذبح الخنازير واكلها ورسم ثالث لتخويلهِ استعمال الطبل والرقص في المواسم

ولكشف الاسرار والبلوغ رسوم متشابهة فانهم يكشفون اسرارهم للفتى حينما يبلغ اي يعلمونهُ ما يلزم لهُ كرجل وما تمتاز بهِ قبيلتهُ من الرسوم والعادات ويقوم الكشف بوضع الفتى في مكان منفرد وباعمال اخرى تختلف باختلاف الاماكن ففي باتل باي من غينيا الجديدة يرث الفتى ثمرة غير ناضجة من ثمر المنو في الماء مع قشر النارجيل ويمزجها بماء البحر ويشربهُ ثم يغسل الاناء بماء البحر ويشربهُ ويغوص في البحر ويسبح ويشرب منهُ ثم يشرب بعدهُ من لبن النارجيل غير الناضج

وفي جزائر انكوديت يوضع الفتيان في بيت خاص بعيد عن القرية حيث يوكل بهم

احد الشيوخ و يُعَد لهم طعام خاص في القرية ويرسل اليهم و يجب ان لا يبل شعرهم بماء البحر ولا يصطادوا سمكاً ولا ينظروا الى امرأة . واذا جاء ابو فتى منهم وجب على ذلك الفتى ان يبعد عن البيت لكي لا يرى اباه . و يعلم الفتيان مدة اعتزالهم رسوم قبيلتهم وعاداتها ثم يعودون الى بيوتهم وعلى رأس كل منهم قفص كبير من الخشب فتولم لهم الولائم ومن ثم يباح لهم مضغ جوز التوفل

واذا بلغ الفتيان سن الرشد في بعض الجزائر اولم اقاربهم لهم وليمة كبيرة وبينهم جلوس يهجم عليهم رجال يشدون كتافهم . ويباح للفتيان حينئذٍ ان يفلتوا منهم اذا استطاعوا و يحاولوا قتلهم والحال يدنو منهم احد رؤسائهم و يرمي على كل منهم سبحة من الصدف فمتى وقعت السبحة عليه ابطل المقاومة وارتكن الى السكينة . والذي يفلت منهم يخادعه احد الرجال و يرمي عليه سبحة الصدف فيسكن حالاً

ومتى قُبض على الفتيان كلهم أُرسلوا الى الغاب حيث تقام لهم أكواخ يعتزلون فيها ثلاثة اشهر الى سنة . ولا يجوز لهم ان يروا امرأة من اقاربهم كل مدة اعتزالهم واذا اتفق لاحد منهم ان رأى امرأة من اقاربه اضطر ان يعطيها كل ما يملك تعويضاً عن العار الذي لحق بها من رؤيته اياها

ومتى انقضى زمان اعتزالهم أُخذوا الى بيوت على الشاطىء وأُولم لهم اصدقاؤهم وليمة فتتم مكاشفتهم

ومن اغرب شعائرهم ما يتعلق منها بادخال الفتيان في الطرق السرية لان عندهم اسراراً يكاشفون بعض فتيانهم بها بعد ما يبلغون سن الرشد . وهذه المكاشفة شعائر تختلف باختلاف البلدان والقبائل وتتفق كلها في ان الرجال المنتظمين في طريقة من هذه الطرق يجتمعون بعضهم مع بعض في اندية منفردة او ساحات محروزة او محجوبة بالحجب والتمائم حتى لا يدخلها احد من النساء ومن غير اهل الطريقة ومن دخل فعقابه الموت غالباً . وكل ما يعلم من امر المجتمعين انهم يصيحون و يعطسون ويقرعون آلات لها اصوات شديدة مزعجة تخيف السامعين . وكثيراً ما يلبس رجال الطريقة ملابس غريبة عظيمة تخفي وجوههم و يخرجون من انديتهم على هذه الصورة و ينهبون الحدائق والكروم ويخيفون النساء والاولاد الهاربين من وجوههم و يضربون الرجال الذين يلتقون بهم ولاسيما الذين اهانوا طريقتهم بوجه من الوجوه . والغالب ان الشاب الذي لا يدخل طريقة من هذه الطرق لا يستطيع ان يعيش مع الشبان المنتظمين فيها ولا ان يتزوج

واشهر هذه الطرق طرق الدكدك وهاك وصف طريقة منها : — ناديها الذي يجتمع اعضاؤُها فيهِ ساحة كبيرة في غاية محجوبة عن النظر بوشيع يحيط بها من الانجم الشائكة والحصر المصنوعة من سعف النارجيل · ويكون في الساحة اكواخ توضع فيها ملابس الاعضاء التي يحتفون بها · والناس الذين ليسوا من اهل الطريقة يعرفون محل النادي ولكنهم لا يدنون منهُ خوفاً من ان تحل بهم نقمة اصحابهِ

واذا اريد ادخال الشبان في هذه الطريقة أُعلن ذلك اولاً بنداء يسمعهُ السكان كلهم ويؤْتى بالشبان الى النادي و يوقفون فيهِ حلقة فيدخل رئيس الطريقة الى وسطهم بلباس مزخرف وهو يصيح ويضرب الشبان بعصًى في يدهِ · و يحيط بالحلقة رجال من الطريقة يضربون بعصيهم والشبان يزعقون و يتوجعون · وتكون امهاتهم واخواتهم حينئذٍ في بيوتهنَّ يبكينَ ويغنينَ · ثم يؤْتى الشبان بالطعام فيأكلون و يخلع الرئيس لباسهُ المزخرف و يأمرهم ان يلبسوهُ الواحد بعد الآخر ثم يشرع الجميع يرقصون معاً و يعلم الشبان كيف يرقصون الرقص الخاص بطريقتهم و يحذرون من افشاء الاسرار التي اطلعوا عليها · و يكون اقاربهم قد اعدوا لهم وليمة كبيرة فيشترك فيها أعضاء الطريقة كلهم · و ينام الشبان ليلة ذلك اليوم في المرقص وفي الصباح يهدى اليهم لباس الدكدك فاذا كان المرقص قريباً من البحر نزلوا في زورق مزخرف وساروا فيهِ حول الشاطئ وهم يصيحون و يطبلون ثم يعودون إلى المرقص يرقصون فيهِ ورؤَساء الطريقة يضربونهم بعيدان كبيرة من القنا الهندي وهم يصيحون و يصخبون والنساء خارج المرقص يسمعن صياحهم فيشاركنهم باصوات مزعجة تصمُّ الآذان

و يجتمع اعضاء الطريقة في حلقة و يقف الرئيس في وسطهم ويفرق عليهم شيئاً من الاصداف التي يتعاملون بها كالنقود فيخلعون ارديتهم و يضعونها جانباً و يكون اقاربهم قد اتوهم بالطعام فيأكلون و يشربون

وفي اليوم التالي يشرع اعضاء الطريقة يجبون الجباية من السكان ويستمرون على ذلك الشهر والشهرين حتى يكادوا ينهبون ما عند كل احد غيرهم · وحينئذٍ يعلن الرئيس ان الدكدك مات وتجمع الاردية وتوضع في الاكواخ المعدة لها الى دكدك آخر

وفي جزائر بسمارك طريقة اخرى سرية اسمها طريقة الاجيات رئيسها ساحر كبير يستشيرونهُ في تطبيب مرضاهم ويعتقدون بهِ اعتقاداً عظيماً و يقولون انهُ يتسلط على الارواح الشريرة مثل الكلس والرقاقية والزنجبيل والرقى فيجعلها تغضب او ترضى وتقبض روح من يشاء · ولهذه الطريقة حرم سري يجتمع فيهِ اهلها لا يدخلهُ غيرهم ومن خالف ذلك فعقابهُ الموت ·

وداخل هذا الحرم معبد فيه تماثيل ساذجة من الحجر والخشب تشبه الناس والخنازير والتماسيح وكلاب البحر والطيور وغير ذلك من الحيوانات لا يدخله الا رئيس الطريقة . والذين يدخلون الحرم اول مرة لكي ينتظموا في الطريقة يُعطون الزنجبيل لكي يمضغوه ونبات الزنجبيل لكي يمضغوهُ حول رقابهم ويمتحنهم الرئيس بجمعة سحرية من الزنجبيل والحجر والا ماتوا

ومن طرقهم السرية طريقة اخرى يُطلب من الفتيان حينما يراد انتظامهم فيها ان يغتسلوا في البحر ومتى خرجوا منهُ وجدوا رجال الطريقة قياماً في انتظارهم مختبئين فيهجمون عليهم وحينئذ لا يرى الفتيان سبيلاً للهرب فيصعدون الى بيت مبني على رأس اعمدة طويلة فيجعل الرجال يهزون الاعمدة ثم يصعدون الى البيت ويهزونهُ حتى يظن الفتيان انهُ ساقط بهم لا محالة فيستعملون بعض الرقى والعزائم التي يكونون قد علموها ويصرخون ويصخبون ثم يقفون في وسط البيت فيهدمون الرجال واحداً واحداً ويسمونهم اسماء جديدة ويعطونهم جوز التوفل ليمضغوهُ . ويعودون الى القرية وقد بني لكلٍ منهم بيت جديد ليسكن فيهِ خمسة اشهر الى ستة . والبيوت صغيرة لا يستطيع الفتى ان ينام فيها مستلقياً وما دام هناك فشرابهُ لبن النارجيل ولا يجوز لهُ ان يوقد ناراً ولا يجوز لامرأة ان تدنو من البيت . ومتى انقضت هذه المدة أُخرج الفتيان من هذه البيوت واعطوا طبولاً وزموراً وطعاماً كثيراً لكي يقووا ويسمنوا وتوضع الاساور على معاصمهم والخلاخيل في ارجلهم وهي من الخرص المقشور

ولا تكاد توجد جزيرة او قبيلة الا ولها رسوم خاصة لمكاشفة الفتيان حينما يراد اطلاعهم على ما يعرفهُ غيرهم من رجال قبيلتهم كأنهم يقصدون ان يكون الرجل شأن يمتاز بهِ اما البنات فاذا خُطبت احداهنَّ في صغرها لرجل ذي مقام بني لها كوخ صغير كالقفص ووضعت فيهِ لا تخرج منهُ الا مرة في اليوم لتغتسل . وللكوخ باب صغير يدخل منهُ طعامها وقد تبقى فيهِ خمس سنوات

ومتى بلغت الفتاة سن المراهقة في غينيا الجديدة الالمانية وُشم بدنها وعلّمها النساء ما يلزم لها مما يتعلق بامر الزواج . وفي بعض الاماكن تزين بكل ما يمكن تزينها بهِ من القلائد المصنوعة من اسنان الكلاب والخنازير واللؤلؤ وتوضع منطقة على حقويها ويقص شعرها وتقيم في ساحة القرية يوماً بعد يوم يراها الشبان حتى اذا راقت في عيني احد منهم خطبها وتزوج بها

آثار فلسطين (١)

يؤمّل السائح ان يرى في فلسطين كثيراً من آثار الاسرائيليين و بقايا القصور التي كان ملوكهم يقيمون فيها حتى اذا جال في انحائها عجب لكثرة الآثار الباقية من عهد الرومان وغيرهم من الامم مع قلة الآثار اليهودية ولعل السبب في ذلك ما كان من حرص الرومان على طمس معالم المدنية اليهودية واستبدالها بمظاهر التمدن الروماني . فانك لا ترى في الغالب الأ بقايا القنوات والطرق والجسور والحمامات والمراسح الرومانية

ولا يزال في بطن الارض كثير من الآثار المهمة يحول دون الكشف عنها مصاعب جمة كجهل الاهلين وكثرة النفقات وصعوبة الحصول على الاذن من الحكومة . زد على ذلك ان المعاهد الدينية تغطي أكثر البقع التاريخية المهمة وهيهات ان يسمح لاحد بان يقتلع منها حجراً او يثير ترابها

ولكن عزيمة العلم لا تثبطها المصاعب مهما تعددت وتنوعت . فقد كشف الباحثون في السنوات الخمس الاخيرة كثيراً من آثار اليبوسيين والكنعانيين والعبرانيين والرومانيين

اريحا

كشف الدكتور سلين النمسوي الذي ارسلهُ احدى الجمعيات الالمانية موقع اريحا القديمة وهي المدينة التي تذكر التوراة سقوط اسوارها امام الاسرائيليين باعجوبة . ولم يحفر في الارض الأ ثماني اقدام حتى اتى على سورها القديم

وفي بناء هذا السور ما يدل على براعة البانين في ذلك العهد وهو ثلاثة اقسام فالقسم الاسفل مزيج من الحصى والتراب مدّ على الصخر مباشرة وعلوهُ اربعة اقدام . والقسم الاوسط مبني من حجارة صغيرة غير مهذبة ووجههُ الامامي غير عمودي بل مائل ويبلغ علوهُ عشرين قدماً وسمكهُ من ستة اقدام ونصف الى ثمانية اقدام والحجارة في اعلاهُ اصغر منها في اسفلهِ . وقد أتقن بناؤهُ وسدّ فيه كل ثقب يمكن للعدو المحاصر ان يستفيد منهُ . ويقوم القسم الاعلى او السور الحقيقي على هذا وهو مبني باللبن و يبلغ علوهُ في بعض الاماكن ثمانية اقدام ولكن يظهر انهُ كان اعلى من ذلك كثيراً

(١) معربة بتصرف من مقالة لهرولد شبستوين في مجلة سجر العالم الانكليزية

وطول السور الاصلي نحو ٢٧٠٠ قدم ولكن لم يكشف منهُ الاَّ ١٣٥٠ قدماً . وفي الجهة الشمالية ثغرة كبيرة يظهر ان عدوًّا فاتحاً ثغرها

وقد استلفت هذا الاكتشاف الانظار اذ يحتمل ان يكون هذا هو السور الذي احاط بهِ يشوع بن نون برجالهِ وحتى الآن لم يجزم في ان هذه الآثار بقايا مدينة اريحا القديمة لان في التوراة كلاماً صريحاً على ان يشوع احرق المدينة واخربها لكن هذه الاسوار لايزال قسم كبير منها ماثلاً لم يصب بضرر كبير

ووجد في انقاض هذه المدينة سُرج وصفائح وكؤوس واباريق وجرار واجران وارحية من البرنز والحجر . وبعض هذه الآنية متقن الصنع وبعضها لا يفضل ما كان يعملهُ الناس في اول عهدهم بالحضارة . وكُشفت بقايا بعض البيوت وارضها مطلية بالطفال ووجدت آنية فيها اجسام اطفال مطمورة في هذه المساكن وعُثر على كتابات عبرانية قديمة

وكُشف ايضاً قسم كبير من السور الداخلي من الجهة الداخلية وفيهِ ابراج مبنية على زواياه . ووجدت انقاض بيوت كنعانية خارج السورين على منحدر التلة الشمالي وبعضها متصل بالسور يذكّر المتأمل بوصف بيت راحاب القديسة لجأ اليهِ جواسيس العبرانيين . ويفصل بين غرف البيوت جدران من الطين وفيها مواقد لا تزال ماثلة . وهناك مصرف للماء لا يزال على حالهِ الاصلية

ويظن ان هذا المنحدر بقي آهلاً بالسكان عامراً بالبيوت من نحو الفي سنة قبل الميلاد الى ما قبل ابتداء التاريخ المسيحي بقرون قليلة . وقد وجدت هناك خمسة سلالم كبيرة درجاتها من الحجر ويرجح انها اقيمت بعد ان خربت المدينة واصبحت الاقسام المرتفعة منها كروماً وبساتين

وكشف على مقربة من ذلك المكان نحو خمسين بيتاً يظن انها كانت قرية مجاورة للمدينة ويظهر انها لم تقم الاَّ قبل الميلاد بنحو ٧٠٠ سنة . ولا يزال احد هذه البيوت ماثل الجدران وهو دار غير مسقوفة فيها مقعد للجلوس وغرفة طويلة ومطبخ لهُ باب يخرج منهُ الى الدار حيث لا يزال اناء الماء في مكانهِ

السامرة

وكشف في السامرة قصر الملك اخآب وهو اول قصر لملك يهودي وجد حتى الآن . ووجد فيهِ اشياء كثيرة منها قطع من الخزف وكتابات تحتوي كثيراً من الاسماء الواردة في التوراة كاليشع وآسا وناثان وعزا وشبا وايعازر وورد فيها ذكر كرم يظن انها كرم نابوت الوارد ذكرهُ في التوراة

ويجدر بنا في هذا المقام ان نأتي بلمحة اجمالية عن تاريخ السامرة :— لما مات الملك سليمان نحو سنة ٩٣٠ ق . م انقسمت مملكته الى قسمين مملكة يهودا ومملكة اسرائيل . فبقيت اورشليم قاعدة الاولى واتخذ ملوك الثانية مدينة شكيم (نابلس) عاصمة لهم

ثم انتقل ملوك اسرائيل من شكيم الى ترصة لعدم حصانة الاولى . ولما ملك عمري ترك ترصة وابتنى لهُ مدينة على اكمة تبعد ستة اميال عن شكيم ابتاعها بوزنتين من الفضة من رجل يقال لهُ شامر (ودعيت المدينة سامرة باسم شامر) واقام من حولها سوراً فاصبحت منيعة جداً

وارتفاع هذه الاكمة عما يحيط بها من الاودية ٤٠٠ او ٥٠٠ قدم وتعلو عن سطح البحر نحو ١٤٠٠ قدم . وتطل على البحر المتوسط من جهة الغرب وعلى جبال واودية جميلة من الجهات الاخرى

وقد كان محيطها نحو ميلين ونصف في ايام هيرودس الكبير الذي كان يقيم فيها ولا تزال آثار سورها ظاهرة . وفيها صهاريج كثيرة كان الناس يجمعون فيها ماء المطر اذ لا ينابيع في الاكمة ولكن على مقربة منها في الجانب المقابل من الوادي نبع ماء عذب . وتربتها جيدة كتربة الآكام التي حولها ويزرع فيها الآن الزيتون والتين والحبوب

وبقيت السامرة قاعدة ملك اسرائيل الى ان فتحها الاشوريون سنة ٧٢٢ قبل الميلاد . واقام فيها اخآب بيت العاج وهيكلاً للبعل باشارة زوجته ايزابل فاخربهُ ياهو من بعده . وتوالت عليها غزوات كثيرة وخربت مراراً من عهد عمري الى عهد هيرودس . وبلغت ذروة مجدها وجمالها في ايام هيرودس الكبير الذي اقام فيها من سنة ٣٧ ق م الى سنة ٤ ق م

وجدد هيرودس بناءها وزاد في فخامتها واطلق عليها اسم سبسطية نسبة الى الامبراطور الروماني اوغسطس . وشاد فيها هيكلاً كبيراً وبالغ في تحصينها . وفيها رقصت سالومة امام هيرودس في قصره ثم طلبت منهُ راس يوحنا بايعاز من امها بعد ان وعدها ان يعطيها ما تشاء

وكان اليشع النبي يقيم فيها ولقد كان فيها لما اتاهُ نعمان السرياني . وبناءها النبي ايليا وبكَّت كهنة البعل

ولم يبقَ من هذه المدينة الزاهرة الا اطلال وركام من الردم . وعلى منحدر الاكمة الشرقي قرية صغيرة يقال لها سبسطية لا يزيد سكانها على ٨٠٠ نفس

وسنة ١٩٠٨ نالت جامعة هارفرد الاميركية اذناً من الحكومة العثمانية في الحفر هناك وكان من شروط الاذن ان تعيد المكان الى حاله قبل الحفر . وكان القائمون على العمل

يكشفون جانباً من الآثار ثم يطمرونهُ بالتراب الذي يستخرجونهُ من قسم آخر بعد ان يصوروا ما اكتشفوهُ

واهم الآثار في سبسطية قصر على قمة الأكمة تشغل مساحتهُ نحو فدانين من الارض ولا شك في انهُ قصر عمري واخآب والساف الاسفل من الحجارة في الاساس منزَّل في الصخر تنزيلاً حتى ان الصخر يحيط بهِ من جهات ثلاث وقد عثر فيهِ على اناء من الرخام عليهِ كتابة مصرية من عهد الملك اسوركون الثاني تثبت ان الآثار بقايا القصر الذي كان ملوك اسرائيل يقيمون فيهِ

ويظهر انهُ كان بناء عظيماً ولا يزال شيء من جدرانهِ ماثلاً ويتبين فيها نوعان من البناء الواحد اكثر اتقاناً من الآخر مما يبعث على الظن ان اخآب زاد في قصر ابيهِ عمري واستخدم لذلك جماعة من البنائين الحاذقين

وعثر على ٧٥ قطعة من الخزف عليها كتابات بالخط العبراني القديم الذي يشبه الخط الفينيقي وقد خطت بالحبر والاقلام القصب مما يبين طريقة الكتابة في ذلك العصر وفصل بين الكلمة والاخرى بنقط او خطوط فاصبحت قراءتها سهلة جداً . ويظهر ان هذه الكتابات كانت على جرار الزيت والخمر وفي كل منها تاريخ واسم المكان الذي اتى بالخمر او الزيت منه[1] وهذه بعض منها

في السنة العاشرة . من ايبعازر . لشمريو . جرة من الخمر المعتقة من آسا . من التل

في السنة العاشرة . لشمريو من التل . جرة من الزيت الجيد

في السنة العاشرة . خمر من كرم التل . جرة من الزيت الجيد

في السنة العاشرة . من ساق . لجاديو . جرة من الزيت الجيد

ويذكر في اكثر الكتابات اسم صاحب الجرة ولكن بعضها خالٍ من ذلك فيرجح انها كانت للبلاط الملكي . ويرد فيها اسم « التل » او « كرم التل » كثيراً مما يدل على انهُ كان لهذا الكرم شأن كبير في تلك الايام وليس في التاريخ كلهِ اشهر من كرم نابوت اليزرعيلي الذي اغتصبهُ منهُ الملك اخآب ولذلك يرجح ان هذا الكرم هو المعني « بكرم التل »

وهناك اربعة انواع من البناء يهودي وبابلي ويوناني وروماني . ومن الآثار الرومانية سلم من الحجر عرضهُ ثمانون قدماً ينزل منهُ الى مذبح وبناء يظن انهُ كان هيكلاً اقيم اكراماً للامبراطور اوغسطس وجد فيهِ تمثال فقد رأسهُ واطرافهُ ويرجح انهُ تمثال قيصر وقطعة

---

(١) وقد ذكرنا كثيراً منها في الصفحة ٤١٨ من المجلد الثامن والثلاثين من المقتطف

نقود من ايام هيرودس استدل منها على ان هذه الابنية اقيمت في عهده

وفي جانب الاكمة الشرقي بقايا كنيسة رومانية كبيرة . ولا يزال هناك دكة على هيئة نصف دائرة وقد بنى عليها العرب وتظهر تحتها آثار معابد اقدم منها

وتمتد ثلاثة صفوف من الاعمدة من باب المدينة الغربي الى هذه الكنيسة في شرقي الاكمة ولا يزال اكثرها في مكانه منتصباً او مائلاً ولكن تيجانها ذهبت كلها . والظاهر من الانقاض ان المدينة كانت اكبر من اورشليم كما هي داخل السور في يومنا هذا وانها كانت زاهية بالقصور والمباني الفخمة والابراج الشاهقة

ولدى الحفر حول الباب الغربي وجدت ثلاثة انواع من الآثار نوع روماني ونوع يوناني ونوع عبراني في طبقات يعلو بعضها بعضاً . وظهر من وضع الباب القديم انهُ كان يوصل الى قصر الملك وان الرومان غيروا فيه فاصبح يوصل الى محل الاجتماع في شرق الاكمة توّاً بالمرور في شارع الاعمدة المتقدم ذكرهُ

ولا يزال قسم كبير من الانقاض مطموراً في التراب ويؤمل البعض ان يجدوا اشياء كثيرة ذات قيمة تاريخية وعلمية بمتابعة الحفر . وقد عثروا على غلاف كتاب من الاجر فيهِ جانب من اسم الشخص الذي ارسل اليهِ الكتاب فكان هذا باعثاً على احياء الامل بان توجد في الردم رسائل مما كان يستعمل في ذلك الوقت . والكتابة على الغلاف اشورية وهذه اللغة كانت مستعملة في المراسلات بين مصر وفلسطين في تلك الايام

القدس

وجدت في القدس مقاييس يهودية بالقرب من المكان الذي كان فيهِ بيت قيافا مما كان مستعملاً في ايام المسيح . ولهذا الاكتشاف اهمية كبيرة لان المقاييس اليهودية كان اكثرها مجهولاً لا يعرف بالتحقيق رغماً عن اجتهاد الباحثين

ومقاييس السوائل التي ورد ذكرها في التوراة هي اللج والقب والهين والبث ويلحق بها الحرتكة كان في الغالب يستعمل في قياس غير السوائل . وقد وجدت هذه المقاييس كلها وكثير غيرها من مقاييس غير السوائل واتضح ان المقاييس اليهودية تغيرت بعد السبي (سنة ٦٠٦ ق م)

وحلّت بذلك بعض المسائل الخلافية ففي المتحف البريطاني مثلاً كتابة اشورية يقال فيها ان حزقيا ملك يهوذا قدم لسنحاريب ثلاثين وزنة من الذهب وثمانمئة وزنة من الفضة وحجارة كريمة وعاجاً الخ تقدمة صلح وفي التوراة انهُ اعطاهُ ثلاث مئة وزنة من الفضة .

وقد كان البعض يظنون ان سنحاريب بالغ في تقدير القيمة حباً بالجاه والافتخار . لكن ظهر الآن ان الوزنة الاشورية اصغر من الوزنة اليهودية فزال الاشكال وسهل التوفيق بين الروايتين

ومن الذين تولوا الحفر في القدس الكبتن باركر واهم الاغراض التي كان يسعى اليها معرفة موقع مدينة داود الاصلي واكتشاف قبر داود وتتبع القنوات التي تحت جبل عوفل فالغرض الاول تم لباركر لانهُ وجد من الآثار ما يثبت له ُ ان المدينة التي اخذها داود من اليبوسيين كانت على جبل عوفل وهو لسان من الارض يمتد جنوباً من المورِيا والارض التي كان الهيكل مبنياً فيها . ووجد من قطع الخزف ما يدل على ان عمارة اورشليم بدأت قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وليس بالف وخمسمائة سنة فقط كما كان يظن

في جبل الزيتون

حفر الرهبان الدومينيكيون في جبل الزيتون فاتوا على بقايا جدران الكنيسة التي اقامتها الامبراطورة هيلانة فوق المغارة التي جاء في التقاليد ان المسيح كان يعلّم تلاميذهُ فيها . وكانت هذه الكنيسة تعرف بالبونا وقد هدمها الفرس في القرن السادس للميلاد ولم يهتدَ الى البقعة التي كانت فيها الأ بعد ان كشف عنها الدومينيكيون على ما تقدم ووجدوا المغارة نفسها

وسنة ١٩٠٧ حفر في البقعة التي زُعم فيها اسطفانوس فاكتشف اساس الكنيسة التي اقامتها الامبراطورة يودوكسيا في القرن الخامس للميلاد ووجد فيها لوح من الرخام عليهِ كتابة ويظن انهُ كان في مدخل الكنيسة. واقيمت كنيسة جديدة على اساس القديمة وهندستها وضعت فيها قطع الفسيفساء والآثار الاخرى التي عثر عليها في ذلك المكان

واكتشف باب في خان الزيت الى الشرق من كنيسة القبر المقدس يظن انهُ احد ابواب الكنيسة التي بناها قسطنطين او احد ابواب السور الذي كان يحيط بالمدينة وقد اتخذ الذين يذهبون الى ان موقع القبر اصلي خارج السور القديم هذا الاكتشاف دليلاً على صحة قولهم

ونص الانجيل صريح على ان القبر كان خارج المدينة فلذلك كان فريق يقول ان القبر الحالي ليس قبر المسيح الاصلي لانهُ داخل المدينه . فاذا ثبت ان هذا الباب المكتشف من بقية السور الثاني لم يبقَ ريب في ان القبر الحالي كان خارج المدينة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

نجعة الرائد

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

نلتمس منكم ان تنشروا اقتراحنا الآتي في مجلتكم الزاهرة ولحضرتكم الفضل

لم يبقَ في ارباب الاقلام ومنتحلي صناعة الانشاء في هذه اللغة من لم يتناول بما حوى كتاب «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» لامام اللغة وفقيدها الشيخ ابرهيم اليازجي من لوامع التحقيقات وبدائع المترادفات لما بذل فيهِ رحمهُ الله من الاعراق في النظر وتحرّي من الصحة والاحكام في ترصيفهِ ممَّا جلّى بهِ في حلبتي العلم والادب. وقد كان ختام عهده قُبيل ظهور الجزء الثاني من هذا التأليف النفيس حتى اذا ما عاجلهُ سهم القضاء قبل الشروع في تمثيل الجزء الثالث ووضعهِ بين ايدي الادباء والمنشئين عقد الأمل بالذين أُؤتمنوا على اوراق هذه الذخيرة الوضاءة ان يجدّوا طبعها واذاعتها حرصاً على ما دوّنهُ فيها المؤلف من عيون الكلام ولآلئ البيان

ولما طال بنا عهد التطال اليهِ والخواطر هائمة للارتشاف من مناهلهِ اعلنّا امر استبطائهِ في مقتطف مارس من السنة الغابرة وندبنا لهُ من لغويينا الافاضل من يجمع شتاتهُ ويبرزهُ من حجب خفائهِ ليتهادى في حلة صنويهِ لما هو معلوم من ان مثل هذا التأليف انما يتولى احياءهُ من وقف نفسهُ لرفع منار اللغة وتوطيد شأنها فلم نلقَ من تلقّى هذا الاقتراح باسماعهِ وتنبَّه لمنزلتهِ من المصنفين والكتَّاب بل من اللغة والادب فأخفق بذلك املنا وطاش سهمنا مكأنهُ قد حبل على هذه اللغة الشريفة الا ان تكون عرضة لطوارق الدهر مهشّمة الاوصال مشوّهة بضروب النكال ولم يبقَ الآن يعثر على اصهارها بقصائد التأبين والرثاء

غير ان الذي نتيقنهُ الآن من همم الغيورين على اللغة وادابها بعد استئنافنا مثل هذا النداء ان لا تبلغ مقاضاتنا هذه مسامعهم الأ ونجدهم قد نشطوا لسد هذه الثلمة المغلوبة بل الدرةَ البتيمة تخليداً لمثل هذه الخدمة للغة التي تنطق بفضل المؤلف ما نطق عربيٌّ بالضاد وايذاناً بسمو منزلة هذا الاثر النفيس الذي لا ينفسهُ فيه منافس

بغداد — يوسف يعقوب مسيح

عقرقوف لوقوفا

سيدي العلامتين

تصفحت العدد الاول من المجلد الثاني والاربعين من المقتطف وبينما انا اتقطف من ثمراتهِ الشهية . اذ وقع نظري على مقالة — الفلك عند العرب — فوجدت فيها من ضروب الحقائق ما ادهشني . ولما وصلت حين مطالعتي اياها الى ما جاء من تفسير المقتطف بعض غوامضها ومنها هذه العبارة — كتاب تنكلوشا البابلي القوفاني — فذكرت في شرحها لفظة — قوفاني — انها منسوبة الى قوفا وهي الآن قرية تسمى عقرقوف في بلاد ما بين النهرين من غربي بغداد . . . الخ . على ان عقرقوف — على ما اعلم — لم تعرف في دور من الادوار باسم قوفا . وليس هناك قرية بل ارض قفرة فيها تل عظيم . وعقرقوف هذا لهُ شأن عظيم في التاريخ الكلداني . وهو بناءٌ ضخم وصرح مشيد الاركان يبعد عن بغداد اربعة فراسخ من الجهة الغربية وهو تل شمخ بني بالآجر . ويرجع تاريخ بنائهِ الى الكلدانيين ملوك بابل القدماء وكان هذا التل الشامخ في عهد حضارة بابل وسامق مجدها صرحاً فخماً مبنيًّا في مدينة كانوا يسمونها دوركوريجليزو التي هاجمها احد ملوك الاشوريين «تغلث فلاصر» في نحو سنة ١١٣١ ق م وعلى هذا تكون المدة من تدويخها الى اليوم ٣٠٤٢ سنة فاذا زدنا عليها انها بنيت وعمرت قبل هذا التاريخ ببضع مئات من السنين فيكون بناء هذا التل من عوارسة آلاف سنة اي من عهد الخليل مع ان الذي يراهُ لا يخال انهُ يشاهد صرحاً من تلك الصروح الخالية

اما دوركوريجليزو فقد طمست معالمها وانمحت رسومها فلم يبقَ منها اليوم الأ بقايا اطلال وخرائب تشير الى عظمتها وتنطق بما كان لها في سالف الازمان من المكانة العليا والمنزلة الرفيعة من امهات المدن المنتظمة . ويقول العارفون ان هاتيك الاطلال وتلك الرسوم البالية لا تخلو من آثار قديمة يمكن بواسطتها الاستخبار عن حالتها الحقيقية فيما لو بذلت الهمة في التنقيب

عنها والمستقبل كشاف اذ هو لا يزال يكشف لنا ما هو مدفون في بطون الارض من العبر والمعجزات والآيات البينات · وارض عقرقوف من اجود اراضي العراق فهي خصبة للغاية ومناخها لطيف وتربتها وافية بالمقصود · ومياهها غزيرة وخيراتها كثيرة · ويكفينا ان نستدل على جودة هذه الارض بما قاله بها المهندس الكبير السر وليم ويلكوكس في مجلس خاص باعيان العراق قال « اذا كان العراق اخصب قطعة في الكرة الارضية فان عقرقوف من اخصب البقعة العراقية » وهي الآن لا تخلو من مزارع تستفيد الحكومة من غلالها مبالغ جمة

وانت ترى مما تقدم ان عقرقوف من بقايا دور كوريجلزو على ان نسبة قوفاني الى عقرقوف جائز في اللغة العربية لان العرب اذا نسبت الى اسم مركب فالنسبة تكون غالباً للعجز كنسبتهم الى امرىء القيس « قيسي » والى عبد شمس « شمسي » والى معد يكرب « كربي » وقد ينسب الى الصدر باهمال العجز وقد ينسب الى الصدر والعجز معاً · وعلى ذلك شواهد كثيرة ليس هنا محل سردها · وما يقال في النسبة الاولى يقال في « عقرقوف » فانها كلمة مركبة من كلمتين وهما « عقر » و « قوف » والنسبة اليها قوفي على الطريقة الكلدانية وقوفاني على الطريقة الارمية كالنسبة الى لحيه لحياني وكالنسبة الى كلدة كلداني والى سورية سرياني هذا ما رأيته في هذا الباب · وربك فوق كل ذي علم عليم

بغداد ابرهيم حلمي

الدور الجليدي

حضرات المحترمين اصحاب المقتطف الاغر

رأيت في المقتطف الاغر في الصحيفة السابعة من الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين (يناير ١٩١٣) هذه الجملة

« وظهر من بحث الدكتور سنلرات ان العصر الجليدي مسبب من تغير وضع المجرة بالنسبة الى قطبي الكون ولذلك يعود الدور الجليدي كل ٢٦٠٠٠ سنة »

ولما كان ذلك متعلقاً بعلم الفلك العملي وان هذا الدور يعود كل ٢٤٥٠٠ سنة لا كما ذكره جناب الدكتور فقد وجب بيان ذلك بعملية حسابية بسيطة فاقول

لمعرفة موضع قطب دائرة المعدل في زمن معلوم يقال

بما انه يسبب من مبادرة الاعتدالين دوران قطب دائرة المعدل حول الدائرة الكسوفية

(تقريبا) في دائرة صغيرة بعدها القطبي يكون مساويا لميل الدائرة الكسوفية فاذا رمزنا لمقدار الزمن الذي يدور فيهِ القطب دورة كاملة ويرجع الى وضعهِ الاصلي بالرمز ز (مع ملاحظة اهمال التغيرات الصغيرة في ميل الدائرة الكسوفية) نجد مقدار ز من هذه المعادلة

٢٤١١و٥٠ ً ز + ١١٣٤٠٠٠و٠ ً ز٢ = ٣٦٠ × ٦٠ × ٦٠
= ١٢٩٦٠٠٠ ً

ومن هذه المعادلة يستخرج مقدار ز فيكون

ز = ٢٤٤٤٧ سنة

او بالاعداد المدورة حيث ان السبق لم يكن معلوما بالضبط الكافي ان

ز = ٢٤٥٠٠ سنة

وهذا ما اردنا بيانهُ

احمد زكي
احد مدرسي العلوم الرياضية
بالمدارس الحربية سابقا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نساء الخاصة ونساء العامة

وولادة الاولاد

لما كان الانسان على الفطرة كانت المرأة تعمل كالرجل او كانت الاعمال موزعة بين الرجال والنساء على السواء اولئك يحاربون ويصطادون وهؤلاء يرعين المواشي ويستقين الماء ويهيئن الطعام واللباس فوق عملهن الطبيعي الخاص اي ولادة الاولاد وارضاعهم . وكانت قامة المرأة حينئذٍ مثل قامة الرجل طولاً وعرضاً ودماغها مثل دماغهِ حجماً ووزناً لان اعمالها تقويها وترقيها كما تقوي اعمالهُ وترقيهِ . ولا يزال هذا شأن المرأة بين اهل

البداوة الأ حيث حاد الرجال عن الفطرة وجاروا على المرأة وجعلوها من جملة مقتنياتهم . ولا يزال هذا شأنها ايضاً بين اكثر العامة حتى في اكثر البلدان حضارة فتجد امرأة الفلاح الاور بي الراقي تربي المواشي وتهيئ الطعام والشراب واللباس وتعمل كثيراً من اعمال الزراعة او تشارك زوجها فيها كلها . وامرأة الصانع تشاركهُ في صناعتهِ في المعمل الذي يعمل فيهِ او في غيرهِ . او تفتح حانوتاً تبيع وتشتري بينما زوجها يعمل في معمل وقد لا يزيد دخلهُ على دخلها . ولا تكفُّ مع ذلك عن ولادة الاولاد وتربيتهم ولم تنحط مرتبتها عن مرتبة الرجل لا جسماً ولا عقلاً الأ حيث زادت الثروة فترفهت او حيث دعت الحال الى احتجابها وانقطاعها عن الاعمال الشاقة لاسباب دينية او اجتماعية

اما الخاصة فاول شيء يفعلونهُ انهم يريحون نساءهم من الاعمال الشاقة لان ثروتهم تغنيهم عنها ولكن انتظام الرجال في الجندية وخروجهم للصيد والقنص على سبيل الفكاهة واشتغالهم بالمهام السياسية والتجارية كل ذلك يقوي اجسامهم وعقولهم واما نساؤهم فلانهنَّ لا يمارسن شيئاً من ذلك ولانهنَّ مضطرات لعمل ما تعملهُ نساء العامة من استقاء الماء وتدبير الطعام وتربية المواشي والبيع والشراء يكتفين بالقعود في البيت والخروج الى النزهة وحضور الملاهي وما اشبه مما لا يقوي الجسم ولا يشغل العقل ولذلك تضعف ابدانهنَّ وعقولهنَّ ويقل نسلهنَّ او يأتي سقيماً فينقرض سريعاً . وبذلك يعلل انقراض نسل الاغنياء واهل الجاه ونحوهم من الذين لا تعمل نساؤهم اعمالاً تقوي ابدانهنَّ وعقولهنَّ . او لا يعمل نساؤهم هذه الاعمال ولا يعملها رجالهم ايضاً

وقد انتبه الناس الى هذه الامور في كثير من البلدان فجعل نساء الخاصة يخرجنَ للصيد والقنص كالرجال ويروضنَ اجسامهنَّ مثلهم ويتعاطينَ الاشغال العقلية فقرن بمباراة الرجال ولكنهنَّ اتقينَ من الحمل والولادة لما فيهما من المشقة والالم فحصلت الفائدة المطلوبة من الوجه الواحد ولم تحصل من الوجه الآخر . وستدعو الحال الى انقراض نسل اكبر الناس عقلاً واعلاهم همة فيتأخر ذلك ارتقاء نوع الانسان ويقل ظهور النوابغ فيهِ . ولا علاج لهُ الأ الرجوع الى الفطرة بجعل نساء الخاصة يعملنَ اعمالاً تزيل مشقة الحمل والولادة وفي التفاهم بالوسائل الادبية ان في ولادة الاولاد فخراً لهنَّ حتى تصير المرأة تفتخر بارضاع طفلها في المحافل العمومية كأنها تعمل اشرف الاعمال لا احقرها وادعاها الى الاختفاء كما تعتقد الآن اذ تعلوها حمرة الخجل اذا رآها احد ترضع طفلها فتغطي ثديها وصدرها وقد تغطي رأس طفلها ايضاً ولو فطس . وحتى تصير تفتخر بانها حامل فتظهر كذلك امام الاقارب والاباعد كما تفتخر اذا

كان في عنقها قلادة من نفيس الجوهر · وهل حجر الماس او حبة اللؤلؤ افخر واثمن من طفل تكوّنهُ المرأة وتخرجهُ للعالم سيداً للمخلوقات

كنا في صبانا نرى المرأة تفتخر بانها حامل وتفتخر بان لها طفلاً ترضعهُ وكان لباس النساء حينئذٍ مقوّراً من صدره يظهر الثديان منهُ كما تظهر العينان والاذنان والوجنتان وهل الثديان من المعايب حتى يجب اخفاؤُهما وهما مصدر غذاء كل طفل ولولاهما ما كان احد منا في الوجود · ولكن تغيرت الازياء لسبب غير معقول فصار الحمل عيباً يحتال على اخفائهِ بكل واسطة ممكنة وصار ارضاع المرأة لطفلها من العيوب التي يجب اخفاؤُها وضُيّق على الثديين حتى صارا عرضة لداء السرطان من كثرة الشد عليهما · عادات ضارَّة وازياءٌ شائنة تضعف النسل او تقرضهُ ولكن قلما يدفع الحث والانذار لان العادات لا تزول الاَّ بضدها والزي لا يصلح الاَّ بالزي

الزي يصلح الزي

لو جمع ما كتبهُ الاطباء في اضرار الشد بلغات مختلفة وما فاه بهِ الخطباء في هذا الموضوع لملأ مكتبة كبيرة كالمكتبة الخديوية · ومع ذلك فالمرجح ان النساء اللواتي تركن الشد اقتناعاً بما قالهُ الاطباء والخطباء قليلات جداً · ولكن ما عجز عنهُ الاطباء والخطباء فعلتهُ امرأة غيرت الزي فتغيَّر حالاً

رأينا قبيل كتابة هذه السطور صورة مدام باكن التي منحتها الحكومة الفرنسوية وسام لجون دونر وهي صاحبة محل ازياء النساء المشهور في باريس · وقد يكون الداعي الى منحها هذا الوسام انها عملت عملاً تجارياً واسعاً افاد فرنسا فائدة مالية كبيرة · ولكن صورة هذه السيدة باللباس اليوناني الذي صار الآن زياً متبعاً باهتمامها واهتمام امثالها من واضعات ازياء النساء تكفي للدلالة على انها افادت النساء فائدة صحية لا تقدَّر وفعلت ما عجز عنهُ الاطباء والخطباء فلا مشد يجعل خصر المرأة كخصر النحلة ويرفع ثدييها الى اعلى صدرها او يخفيهما بل ثوب بسيط يغطي الجسم ولا يضيق عليهِ وهناك الصحة والجمال ايضاً ولا يُصلح الزي الضار الاَّ زي آخر نافع يبدل بهِ

شهادة الزواج

رأى بعض النساء الطبيبات في بلاد نروج سنة ١٩٠٨ ان يطلبن من الحكومة اجبار

الخطيبين على ابراز شهادة طبية تجيز لها التزوج من حيث السن ومن حيث الخلو من الامراض . وقد كثر البحث في هذا الموضوع بين مصوّب لهذا الطلب ومخطئ له لكن حجج المصوّبين اقوى وابلغ ولاسيما من حيث الشهادة الطبية التي يجب على الخطيب ان يبرزها دلالة على انهُ سليم من الامراض المعدية او التي تضرُّ بالنسل لانهُ اذا اخفى ذلك قبل تزوجهِ فلا بدَّ من ان يظهر بعدهُ فيتنغص عيش زوجتهِ ويتنغص عيشهُ معها ويستحيل الزواج الى شر مستديم

النساء والانتخاب في اميركا

اجازت ثلاث ولايات من ولايات اميركا الانتخاب للنساء في الانتخاب الاخير وهي اريزونا وكنساس واورغون فصار عدد الولايات التي اعطت حق الانتخاب للنساء تسعاً . اولها ويومنغ نالت النساء فيها حق الانتخاب سنة ١٨٩٠ وتبعتها كلورادو سنة ١٨٩٣ واوتاه وايداهو سنة ١٨٩٦ ووشنطون سنة ١٩٠٠ وكليفورنيا سنة ١٩١١ وكنساس واريزونا واورغون سنة ١٩١٢ . والمرجح ان حق الانتخاب سيعطى للنساء في سائر الولايات بعد عهد غير بعيد

تربية الاطفال

كل طفل يموت يحرم البلاد من رجل او امرأة وحرمان البلاد من الرجال والنساء ليس من الامور التي يجوز الاغضاء عنها وعدم الاكتراث لها . وقد ارتاع المفكرون من اهل الغرب كثيراً لما رأوا عدد المواليد آخذاً في التناقص وبذلوا كل ما في وسعهم لتلافي هذا الامر ولكنهم تحققوا اخيراً ان خير الوسائل لصيانة الامة من التناقص والانحطاط ان يعتنى بالاطفال فان المحافظة على الموجود اولى من ايجاد المعدوم

لا يُنكر ان الطفل يكون في اول الامر عرضة لمخاطر كثيرة وذلك لضعفهِ وعدم اقتدار جسمهِ على مقاومة الآفات ولكن من المحقق ايضاً ان اكثر من نصف وفيات الاطفال ناتج من جهل الامهات او من المحاضن

وقد نقص عدد الوفيات بين اطفال باريس في فصل الحر من ٣٥٠٠٠ الى ١٧٠٠٠ بعد اقامة معهد بودن (Budin) وفي هذا المعهد اطباء ومربيات يعاينون الاطفال الذين يؤْتى بهم ويبذلون النصائح للامهات ويوصونهن بما يجب اتخاذهُ من الوسائل ويلقون عليهن الخطب في تربية الاطفال . ولكل ام ان تأتي بطفلها الى هذا المعهد مرة في الاسبوع فيوزن

وبحضرة الطبيب ويزودها بما يلزم من الارشادات · وما يقال عن نقص الوفيات في باريس يقال عن نقصها في غيرها من الانحاء حيث أُقيمت المعاهد لارشاد الامهات فعملن بما أُمرن به

واهم الامور التي ينظر اليها في تدبير الطفل النظافة والغذاء · اما من جهة النظافة فتوصى الامهات في تلك المعاهد بغسل الطفل كل يوم صباحاً وتأخذ احدى معاونات الطبيب طفلاً وتغسلهُ امامهنَّ لكي يرين عياناً ما يجب ان يعملنهُ · وليست النظافة فوق طاقة احد فيعذران اهمل امرها · اما الطعام فيعين الطبيب نوعهُ وكميتهُ ولا يسمح بإرضاع الطفل غير لبن امهِ الاَّ في حالات خصوصية وذلك لما ثبت فعلاً من ان لبن الام الذي اعدتهُ الطبيعة لغذاء الطفل هو خير طعام لهُ

ولقد لوحظ ان وفيات الاطفال قلت كثيراً في باريس لما احاطت بها عساكر الالمان في حرب سنة السبعين مع ان الوفيات بين الكبار زادت لشدة الضيق وعدم الحصول على ضروريات الحياة · وحدث مثل هذا في مقاطعة لنكشير من بلاد الانكليز لما ثارت الحرب الاهلية في اميركا وتعطلت معامل النسج · ويقول المحققون ان سبب ذلك هو ان كثيرات من الامهات اللواتي كن يعملن بشؤُون اخرى غير اطفالهنَّ عدن الى ارضاعهم لما امتنع العمل وقلت الاطعمة

واللبن الذي اوجدتهُ الطبيعة لتغذية العجل الذي لهُ اربع معدات ويبلغ وزنهُ سبعين رطلاً لا يصلح غذاء الطفل الذي ليس لهُ الاَّ معدة صغيرة في غاية اللطافة ولا يزيد معدل وزنهِ على سبعة ارطال · وقد اظهرت بعض الاحصاءات في بلاد الانكليز ان نسبة معدل الوفيات بين الاطفال الذين يغذون بالبان امهاتهم الى معدل الوفيات بين الاطفال الذين يغذون بلبن البقر كنسبة الواحد الى الخمسة عشر

ومن عادة بعض الامهات ان يقمطن الاطفال بطريقة تمنع الطفل عن كل حركة والحركة من لوازم الحياة والنمو · واقبح من ذلك إلقام الطفل قطعة من المطاط الصمبة الملحم كلما بكى وكثيراً ما يكون سبب بكائهِ تلبك معدتهِ فيزداد ما يشكو منهُ

ويجب ان يعرض الطفل للنور والهواء المطلق وتعين لهُ اوقات الأكل والنوم ويغسل كل يوم ويحافظ على نظافتهِ ونظافة كل ما يأكلهُ او يلبسهُ ويسمح لهُ بالحركة لكي ينمو جسمهُ فيكون في البيت بمنزلة الزهرة من النبات ولا يحمل اهلهُ الهموم والغموم بانحراف صحتهِ وكثرة مرضهِ

فوائد منزلية

اذا كانت الفلينة كبيرة لا تدخل الزجاجة فانقعها قليلاً في ماء عالٍ فتلين و يسهل سد الزجاجة بها

اذا غسلت المناديل والصداري فضع في الماء الذي تشطفها بهِ اخيراً قطعة صغيرة من جذر السوسن فتصير رائحتها كرائحة البنفسج

اذا اسودت شبكة قناديل النار او البترول من الدخان و بطل سطعان نورها فلا تبدلها بغيرها بل رش عليها قليلاً من الملح الناعم فتعود كانها جديدة

اذا اردت ان تفرش مشمعاً من اللينوليوم في غرفة ارضها بلاط فذر عليها اولاً من نشارة الخشب الناعمة ثم افرش اللينوليوم فيسلم من الرطوبة ولا يشتد بردهُ شتاء

اذا اردت ان تمنع شفافية الواح الزجاج فاذب قليلاً من الملح الانكليزي في كاس من البيرة القديمة وادهن اللوح بالمذوب فتتكون عليهِ قشرة بلورية جميلة تقلل شفافيتهُ

اذا اغليت مواد مختلفة في وقت واحد فتعذر عليك تحريكها كلها بالملعقة فضع في كلٍ منها كرة نظيفة من الزجاج او الرخام فانها تتحرك بالغليان وتحرك السائل وتمنع احتراقهُ كأنهُ حركتهُ ملعقة

اذا عصرت الليمون الحامض فلا ترمهِ بل استعملهُ لتنظيف الاصابع من الدبوغ ومع قليل من الرمل لجلو الآنية النحاسية ولتنظيف الخلل ونحوها مما يلصق بها من الاوساخ والروائح الخبيثة

اذا رأيت صعوبةً في نزع فلوس السمك فضعهُ في الماء الغالي دقيقة فيسهل نزع فلوسهِ حالاً

العادة في تدفئة الفرش بزجاجات الماء السخن ان توضع الزجاجة بين الفراش والغطاء على بطنها وهذا خطأ والصواب ان تضعها قائمة على الفراش وتضع الغطاء فوقها فتسخن كل الهواء الذي بين الفراش والغطاء اي تسخن الفراش كلهُ

اذا وضع للكنار قطعة من الشحم في قفصهِ وهو ينسلخ ريشهُ يأكل منها فتقويهِ وتحسن صوتهُ

باب الرياضيات

قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

قرأت في الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين من المقتطف الاغر مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية لحضرة اسكندر افندي بلسيليوس الطالب بالمدرسة السعدية وتلافياً يعلق في ذهني او ذهن احد قراء المقتطف الاغر ممن لم يدرسوا العلوم الرياضية العالية ان حل المسئلة صار ممكناً بواسطة المسطرة او ان الخط المنحني الناتج من تحليق المساطر هو في غاية من الضبط حتى يستعمل كرقة بها يمكن تقسيم اي زاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ولما كانت هذه الطريقة بها عيوب لعدم ضبط المنحني ضبطاً كافياً ولصعوبة العمل بواسطة المساطر وبما ان مثل هذا المنحني لا يمكن رسمهُ الاَّ بواسطة الهندسة التحليلية لحرف خواصهُ قد بادرت بشرح الطريقتين الهندسيتين وهما اولاً — رسم هذا المسار نقطة فنقطة — ثانياً استعمال فرعي القطع الزائد في حل مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية . وقبل البدء في العمل اذكر لمحة تاريخية عن البحث في حل الثلاث مسائل المعضلة الحل باصول الهندسة (اي بالمسطرة والبرجل) فاقول

مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية هي احدى المسائل الثلاث المعضلة الحل بطرق اصول الهندسة ويظهر من اشتغال علماء الرياضة في الازمان الغابرة لكي يصلوا لحل تثليث الزاوية وتضعيف المكعب وتربيع الدائرة بواسطة خطوط ذات خواص معلومة تساعدهم على الحل ان الرياضي الشهير منيا خموس استاذ الهندسة في مدرسة بطليموس في القرن الرابع قبل الميلاد كان اول من اكتشف الثلاثة خطوط المعروفة بالقطاعات المخروطية وفي الحقيقة فانهُ بواسطة هذه المسارات الهندسية امكن حل مسئلتين من المسائل الثلاثة السالفة الذكر وهما تثليث الزاوية وتضعيف المكعب وسأشرح ذلك ان شاء الله تعالى في رسالة تالية افادة لقراء المقتطف الاغر . واما اقصد الآن الفات نظر حضرة الطالب الى ان رسم المسار الهندسي المذكور في حلهِ وان كان وافياً بالغرض المقصود غير ان رسم المسار بطريق الاستمرار فيهِ عيوب لاتخفى على من درس اصول الهندسة التحليلية ولذلك لم

يستعمل الرياضيون في البحث عن المسارات الهندسية سوى الطرق الحسابية او الطرق الهندسية لكي يحددو اتجاه المسار تحديداً تاماً مها كان نوعهُ . ولنأت هنا على كيفية رسم هذا المسار نقطة فنقطة بواسطة استعمال الدوائر فاقول ارسم دائرتين متحدتي المركز كما في هذا الشكل بحيث يكون نصف قطر الكبرى ضعف نصف قطر الصغرى

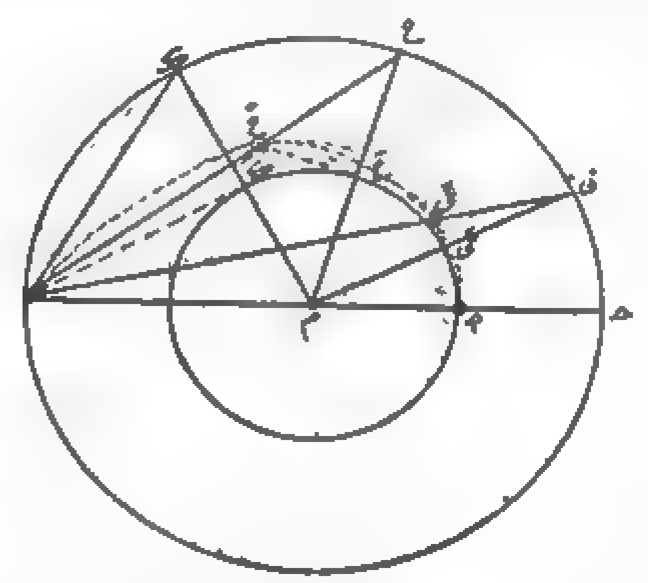

ثم ارسم من نقطة د احدى نهايتي القطر هـ د عدة من المستقيمات مثل د ق ، د ح ، د ك ، .... الخ لتقابل محيط الدائرة الكبرى في ق ، ح ، ك ، .... الخ ثم صل من نقط التقابل المذكورة المستقيمات ق م ، ح م ، ك م ، .... الخ لتقطع هذه المستقيمات محيط الدائرة الصغرى في النقط قَ ، حَ ، كَ ، .... الخ فاذا رسمت من هذه النقط الماسات قَ قً ، حَ حً ، كَ كً د ومدت حتى تتقابل مع د ق ، د ح ، د ك ، ..... الخ في النقط قً ، حً ، .... الخ لكانت هذه النقط هي من نقط المسار الهندسي المطلوب فاذا وصلت هذه النقط بخط متصل لكان هو جزء المسار الهندسي المبحوث عنهُ وهو هـ قً حً د ولكي يكتفي بهذا الجزء يلزم ان لا تزيد الزاوية الواقعة بين ك د ، د هـ عن ٦٠°

احمد زكي
احد مدرسي العلوم الرياضية
بالمدارس الحربية سابقاً

باب الزراعة

زراعة التين

التين من الذ الاثمار ان لم يكن الذها كلها اخضر ويابساً ومطبوخاً بالدبس او بالسكر وهو ايضاً اكثرها غذاء ولاسيما اذا كان يابساً فاذا أُكل مع الخبز فهو ادام مغذٍ على طيب طعمهِ . وقد عني الناس بزرعهِ في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار حول البحر المتوسط من قديم الزمان حتى يقال ان وطنهُ الاصلي فيها

وقد كتب الكتّاب في زرعهِ من قديم الزمان وخير ما رأيناهُ فيهِ من كتب القدماء ما جاء في كتاب الفلاحة الرومية الذي ترجمهُ سرجس بن هليا قال : —

اعلم ان التين قد يغرس في الخريف وفي الربيع (قال قسطوس) قد خالفت ذلك وزرعتهُ في حزيران (يونيو) اجتهاداً مني لأنظر كيف حالهُ فعلق واطعم وسلم وحمدت رأيي في ذلك . واحق ما غرس فيهِ التين من المواضع البقعة الرطبة من الارض القوية غير الندية والظاهرة الماء فان كثرة الماء والنداوة تضرُّ بشجرة التين وثمرها . ورب من يسلك مسلكاً آخر في غرس التين فيعمد الى ما يعدا لهُ منهُ فينقعهُ في الماء يومين وليلتين ثم يغرسهُ في ذلك الماء مرساً بالغاً ثم يعمد الى حبهِ الذي في جوفهِ فيخلطهُ باخثاء البقر الرطبة والسهلة ثم يطلي بذلك حبلاً من بردي ويدفن ذلك الحبل مستطيلاً في حفر مستطيل عمقهُ في الارض شبر ثم يردّ عليهِ التراب ويسقيهِ من ساعتهِ فانهُ ينبت ملتفاً متقارباً فيقرّ مكانهُ حتى يبلغ طولهُ ذراعاً ثم يقلع من ذلك الموضع ويغرس في موضع آخر الذي هو غايتهُ . وقد يغرس التين على هذه الصفة بان يعمد الى قضبان شجرة فتنقع في ماء وملح ثلاثة ايام او اربعة بلياليها ثم يغرس وان نقعت ايضاً في اخثاء بقر رطبة ثم غرست كان ذلك اوفق ورب من يجعل في اصل كل غرس من قضبان التين بيضتين او ثلاثاً من بيض الدجاج صحيحاً فانهُ يزداد بذلك نزل التين وثمرته واكثرما يكون ذلك التين ثمرة اذا تقادم عهدهُ ورب من يعمد فيطلي موضع غرس التين برماد جوز او الدواء الذي يسمى بالرومية ساجون . وان سرّك ان يكثر حب التين وتقصر شجرتهُ فاغرس قضبانهُ منكسة تكون فروعها في الحفرة التي تغرس فيها واسافلها فوق ورب من يكتفي في غرس التين بحبهِ الذي في جوفهِ على ما تقدم

كيف يحتال في التين حتى يكون في التينة الواحدة الوان شتى من سواد و بياض وحمرة

اذا اردت ذلك فاعمد الى قضبان التين الثلاثة وضم بعضها الى بعض ضماً شديداً وعصب عليها بالبردي ساعة قطعها واغرسها جميعاً في حفرة واحدة واحش ما تواري الارض من اصولها تراباً واروات دواب واسقها واتركها حتى تعلق وتثبت فروعها ثم ضم فروعها النابتة بعضها الى بعض وعصب عليها تعصيباً شديداً واتركها حتى يلتصق بعضها ببعض ثم اقطع ما فوق الارض من هذا الغرس بعد عامين واغرسهُ في موضع آخر فانهُ يعلق و يختلف الوان ثمرتهِ وان تركتهُ ولم تقطعهُ كان ايضاً بتلك المنزلة الا ان قطعهُ اركى لهُ . ورب من يغرس التين المختلف الالوان غرساً هو ايسر واهون من ذلك وذلك بان يعمد الى حب التين الذي يكون في جوفهِ و يأخذ من كل لون شيئاً منهُ و يخلطها ويجعلها في خرقة من كتان ويجعلها في حفرة في الارض عمقها اربع اصابع ثم تحشى تلك الحفرة تراباً واروات دواب وتتعاهدها بالسقي حتى تنبت ثم تنقلها من اصلها بعد عامين واغرسها في موضع آخر فانها تعلق وتختلف الوان ثمرتها

كيف يحتال للتين اليابس المجموع ان يسلم من العفن

وذلك انهُ اذا عمد الى ثلاث تينات يابسات فغمست في قار رطب ثم جعلت تينة منها اسفل الوعاء الذي يجعل فيهِ ذلك التين وتينة وسطاً منهُ وتينة في اعلاهُ سلم ذلك التين من العفن ومما يسلم بهِ التين اليابس المجموع من العفن ان يجعل في سلة من قضبان و يدلى في تنور بعد ان يفرغ من الخبز فيهِ وتذهب عنهُ سورة حره فيقر معلقاً في ذلك التنور يومهُ الحرّ بعض المص ثم يخرج من التنور و يبرد ويجعل في خوابي من خزف جديد . ومما يسلم بهِ التين من العفن ان يجنى باعوادهِ التي ينبت فيها و ينضح بماء وملح ثم يوضع في الشمس حتى يجف و يرفع في اوعية من خزف جديد و يطين ثم يوضع في الظل فانهُ يسلم بذلك من العفن

كيف يصان التين لكي يبقى غضاً الى الربيع

(قال قسطوس) اعلم ان التين امراً ليس لغيره من رطب الثمار فانهُ ان لم يجن التين حتى يبلغ ابانهُ سقط من شجره فما يصان بهِ ان يعمد الى وعاء و يجنى التين باعوادهِ التي هو فيها ثم يوضع باعوادهِ في ذلك الوعاء وضعاً رفيقاً غير متقارب حتى لا تنال تينة اخرى ثم يسدّ فوق ذلك الوعاء بشمع و يجعل ذلك الوعاء بما فيهِ في وعاء شراب حتى يغيب فيهِ و يغمرهُ الشراب فانهُ لا يزال ما دام كذلك غضاً . ورب من يطلي التين بالعسل ثم يجعلهُ في وعاء غير متقارب حتى لا تنال تينة اخرى ثم يشدّ فوق ذلك الوعاء و يرفع فانهُ لا يزال كذلك غضاً وقد يجعل التين ايضاً اذا طلي بالعسل في اناء من زجاج

وفي كتاب الزراعة المصرية في الفصل الذي كتبهُ الاستاذ بونابرت في الاشجار المثمرة كلام مفصَّل عن زراعة التين قال فيهِ بعد الديباجة ان شجر التين كثير الحمل ويسهل زرعهُ ويبتدئ حملهُ باكرًا ولا صعوبة في خدمتهِ ولذلك هو من الاشجار التي تستحق العناية. والتين اليابس من العروض التي يتجَّر بها فتصدر من بعض البلدان في جنوب اوربا وبلاد المشرق وافضلهُ التين الازميرلي وهو يصدر من مدينة ازمير

وينمو التين في كل انحاء القطر المصري ولاسيما في الفيوم وضواحي الاسكندرية . وتين الفيوم جيد ويرسل منها الى جهات القطر في شهور الصيف بمقادير كبيرة

وتحمل شجرة التين مرة واحدة في السنة من اوائل الصيف الى اوائل الخريف الأَّ التين الفيومي فانهُ يحمل مرة ثانية من نوفمبر الى دسمبر . ولا ييبس التين في مصر ولا يصدر منهُ شيء بل يؤْكل كلهُ اخضر واشهر اصنافهِ في مصر ثلاثة السلطاني او تين سيدي جابر والفيومي والكثري والاولان اسمران الى السواد والثالث ابيض

والكثري اجود هذه الاصناف والطلب عليهِ كثير وهو يزرع في ضواحي الاسكندرية وكذلك السلطاني يزرع في ضواحي الاسكندرية وهو اكثر من الكثري وثمرهُ اكبر حجمًا من ثمر الكثري . واما الفيومي فاكثر ما يزرع في مديرية الفيوم وهو ينضج قبل الصنفين الاخرين بنحو شهر لكنهُ دونهما نوعًا واصغر منهما حجمًا ولهُ اهمية كبيرة في مديرية الفيوم لكثرة ما تبيع منهُ ولاسيما القاهرة

الاراضي الصالحة لهُ — يجود التين في كل ارض ليست شديدة الخصب ولا تحتها طبقة رطبة وهو شديد النمو طبعًا فاذا كانت الارض خصبة كثرت اغصانهُ واوراقهُ وقل ثمرهُ . واجود الاراضي لهُ الارض الرسوبية القليلة التماسك القليلة الخصب . واما الارض السوداء الخصبة فلا تصلح لهُ لانهُ ينمو فيها جدًّا فتطول اغصانهُ وتكثر اوراقهُ وتكون اثمارهُ قليلة صغيرة الحجم غير طيبة الطعم

والتين اسهل الاشجار المثمرة زرعًا فيزرع من بزره ويزرع بالترقيد وتنمو من اصلهِ فروع يمكن نقلها كالفسائل وزرعها وتقطع عيدانهُ وتزرع فتنمو وهذه افضل الطرق لزرعهِ . وتقطع هذه العيدان قبل ان تظهر اوراق الشجرة وتكون ممَّا نما فيها في السنة السابقة ويفضل ان يكون طول العود ٣٥ سنتيمترًا وقطرهُ سنتيمترين ويجب ان يكون في طرفهِ برعم قوي . وتزرع هذه العيدان او النقل في اوائل فصل الربيع اما في مكان الترقيدة او في البستان الذي يراد زرعها فيهِ مباشرة كما في الفيوم وحينما يزرع العود في الارض لا يترك منهُ فوق

الارض الاَّ جزءَا صغيرا جدًّا لئلاَّ ييبس

الري — تروى شجرة التين بالاعتناء وهي تنمو من اوائل ابريل الى ان يبتدئ ثمرها ينضج وذلك كل ستة ايام او ثمانية او عشرة حسب حالة الهواء والتربة . واذا اهمل ريها مرة واحدة قلَّ ثمرها لكن ريها في اغسطس وسبتمبر يضر بها ضررًا كبيرًا . ولا تروى مدة سكونها من نوفمبر الى اواسط مارس او تروى ريًّا ضعيفًا جدًّا

التسميد — يجب تسميد التين لكي يكثر حملهُ واهل الفيوم يسمدونهُ كل سنة بالسماد البلدي قبل شهر مارس ويعزقون الارض بين الاشجار اكثر من مرة في اوائل فصل الاثمار ولا يزرع بين اشجار التين في الفيوم الاَّ مالا يغطي مساحة كبيرة كالبصل والثوم واما في الاسكندرية فيزرعون بينها البطاطا الحلوة والبرسيم وانواع الخضر

التقليم — ولا يحسن الاكثار من تقليم التين لان الغصن المقلَّم تنبت منهُ فروع شديدة النمو قليلة الحمل ولكن اذا كثرت اغصان الشجرة واوراقها وقل حملها وجب ان تقلم وتنزع منها الاغصان الدقيقة التي تنمو حول اسفل الاغصان الكبيرة والفروع التي تنبت في اسفلها واذا زاد نموها وقل ثمرها وجب ان تقطع بعض جذورها

وتثمر شجرة التين باكرًا ولكن لا يصير ثمرها وافيًا بالمراد من باب مالي الاَّ متى صار عمرها اربع سنوات او اكثر وتبقى تحمل سنين كثيرة ويكون حملها على اكثره وعمرها ١٣ سنة الى ١٥ سنة

ويبلغ ريع فدان التين الكبير الاشجار نحو ثلاثين جنيهًا في السنة

موسم القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن حتى ٢١ فبراير ٧٠٨٤٤٥٩ قنطارًا وكان في العام الماضي ٦٤٣٢٢٨٨ قنطارًا فقط وفي الذي قبلهُ ٦٩٣٢٨١٨ قنطارًا فزاد عن عام ١٩١٠ نحو مئة وخمسين الف قنطار ولذلك لا عجب اذا بلغ الموسم سبعة ملايين وثلاثة ارباع المليون كما قدرتهُ مصلحة الزراعة اخيرًا . لكن الصادر منهُ هذا العام اقل من الصادر سنة ١٩١ باكثر من مئة وخمسين الف قنطار ولذلك زادت المتأخرات في الاسكندرية نحو ثلثمئة الف قنطار عمَّا كانت عليهِ سنة ١٩١٠ وهذا النقص واقع في ما اخذتهُ اوربا منا اما ما اخذتهُ انكلترا فلا يزال على حالهِ تقريبًا وما اخذتهُ اميركا زاد قليلاً ولعلَّ سبب النقص في ما اخذتهُ اوربا استمرار الحرب الناشبة الآن في البلقان بعد حرب ايطاليا

ولقد زاد الوارد من بزرة القطن الى الاسكندرية وزاد الصادر منها الى اوربا اكثر من اربع مئة الف اردب

ولا تزال اسعار القطن والبزرة على ما يرام فلم ينقص سعر الكنترانات من القطن المفيفي عن ١٨ ريالاً ونصف ريال ومن السباسي من ١٩ ريالاً الى ٢٠ او ٢١ ومن اليونفتش من عشرين ريالاً الى ٢٢ . واسعار البزرة جيدة ايضاً من ٩٦ الى ٩٨

والخلاصة ان الموسم الاخير هو اكبر موسم جناه القطن المصري في مقداره وفي ثمنه ايضاً والمرجح الآن ان ثمنهُ سيزيد على ٣٥ مليوناً من الجنيهات

زراعة القمح

تبلغ مساحة الاطيان التي تزرع قمحاً كل سنة في روسيا ٤٧ مليون فدان وفي فرنسا ١٦ مليون فدان وفي النمسا والمجر ١٢ مليون فدان وايطاليا احد عشر مليوناً ونصف مليون والمانيا نحو خمسة ملايين فدان وانكلترا مليوني فدان . ومتوسط غلة الفدان تختلف في هذه البلدان وغيرها فاذا زادت المساحة المزروعة قلَّ متوسط محصول الفدان واذا نقصت المساحة زاد متوسط المحصول واكبر متوسط في بلاد الدنمارك حيث يبلغ ٤٢ بشلاً او اكثر من سبعة ارادب ونصف

(١) الخط العربي بحروف منفصلة

الاستانة . محمد افندي صبري نجيب الطاشوالي . كان احد ادباء العراق جميل الزهاوي كتب مقالة في موضوع الخط وادرجتموها في المقتطف في اواخر سنة ١٣١٥ ولكن ما من احد تناول هذا الموضوع بعدهُ ولا بد من انكم تسلمون ان مسألة الخط في غاية الاهمية وتستحق ان توضع على بساط البحث فلمَ لا ترغّبون الباحثين في تناولها والبحث فيها

ج . ان العالم العراقي زهاوي زاده جميل صدقي افندي كتب في هذا الموضوع واستنبط حروفاً منقطعة للكتابة العربية . ولو كان ابناء العربية اميين لا كتابة عندهم لسهل عليهم ان يقتبسوا اي نوع كان من الكتابة ولتعلموا ثم حينئذٍ ان يستعملوا

الحروف الافرنجية كما تصح للذين يحتاجون الى الابر ان يشتروا الابر الاوربية والذين يحتاجون الى الآلات الجارية ان يشتروها من اوربا او اميركا . اما واضعو العربية يكتبون بحروف شائعة في كل البلدان العربية وغير العربية وقد استعملها اسلافهم من قبلهم منذ اكثر من اثني عشر قرناً الى الآن فلا نرى موجباً لتغييرها على الاطلاق

وقد ظن البعض ان طبع الكتب بحروفنا اصعب من طبع الكتب بالحروف الافرنجية او بالحروف المنفصلة لكثرة انواعها اما نحن فاختبارنا الطويل في صناعة الطباعة ينفي ذلك. وظن غيرهم ان تعلم القراءة بها اصعب من تعلمها بالحروف المتقطعة وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن وقت الطفل الذي يتعلم مبادئ القراءة ليس ثميناً الى حد يوجب تغيير حروف اللغة

وزعم البعض انتصار الكتابة العربية على الحروف الصحيحة غالباً هو من عيوبها التي يجب اصلاحها بوضع حروف بدل الحركات ونحن نعده من مزاياها لانها صارت به كالكتابة المختزلة . وكيفما كانت الحال فترك حروفنا الآن وابدالها بحروف اخرى يكاد يكون ضرباً من المحال واذا كان لا بدَّ من هذا الابدال فخير ما تبدل به الحروف العربية هو الحروف الافرنجية المستعملة في فرنسا وانكلترا وايطاليا واكثر اوربا واميركا . ولا يتعذر الاستدلال على مثل الثاء والخاء والطاء والذال بحروف افرنجية مقلوبة فتصير حروف مطابعنا مثل حروف مطابعهم تماماً ولكن زمن ذلك بعيد

(٣) الزلازل في بلاد اليابان

مصر . محمد افندي سالم . قرأنا في المقتطف مراراً عن حدوث زلازل كثيرة في بلاد اليابان ولم نقرأ نبأ عن حدوث زلازل مثلها في البلاد المجاورة لها مثل كوريا فهل الزلازل لا تحدث فيها او ان اخبارها لا تبلغنا

ج . ان حدوث الزلازل قليل فيها واقدم زلزلة ذكر حدوثها في تواريخ كوريا حدثت سنة ٥٧ قبل المسيح ومن ثم الى الآن حدث فيها ١٦٧١ زلزلة ولكن الشديد منها ٥٩ فقط اما بلاد اليابان فجزائر بركانية والغالب في الجزائر البركانية ان اسافلها تكون كثيرة الكهوف فتخسف سقوفها من وقت الى آخر لشدة ما عليها من الضغط فترتج بخسوفها او تتكسر طبقاتها من شدة الضغط عليها فترتج ايضاً . اما القارات القديمة فقد توازنت اجزاؤها من قديم الزمان فقل تكسر طبقاتها

(٤) نفقات التعليم في انكلترا

ومنه . كم تبلغ نفقات التعليم في انكلترا

ج . بلغت نفقات مجلس المعارف في السنة التي نهايتها ٣١ مارس سنة ١٩١٢ في انكلترا وويلس ١٤٢٩٨٠٣٠ جنيهاً انفق منها ١١٧٧٥٣٩ جنيهاً على التعليم الاولي

و٧٥٨٥٢٠ على التعليم الثانوي و٠٨٧٢١٣ على التعليم الصناعي والفني و٠٧١١٤٣ على تعليم المعلمين والمعلمات. هذا ما انفقتهُ الحكومة اما ما انفقتهُ المجالس البلدية ونحوها فبلغ ٤٣٢٧٨٤٢ جنيهاً فجملة ما انفق على التعليم في سنة واحدة ١٨ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . ولو انفق القطر المصري على هذه النسبة لبلغت نفقاتهُ على التعليم خمسة ملايين من الجنيهات في السنة

(٤) عدد الجنود الروسية

ومنهُ . كم عدد الجنود الروسية وقت السلم وكم عددها وقت الحرب

ج . رأينا في آخر تقرير عن الجنود الروسية ان عددها وقت السلم في اوربا ٩٤٩ الفاً وهي مقسومة هكذا

المشاة	٦٢٧ ٠٠٠
الفرسان	١١٦ ٠٠٠
المدفعية	١٣٨ ٠٠٠
المهندسون	٠٣٤ ٠٠٠
ادارة التعيينات	٠٣٤ ٠٠٠

وعدد جنودها في اسيا ١٢٤ الفاً وهي مقسومة هكذا

المشاة	٨٣ ٠٠٠
الفرسان	١٤ ٠٠٠
المدفعية	١٥ ٠٠٠
المهندسون	٠٨ ٠٠٠
ادارة التعيينات	٠٥ ٠٠٠

واذا أضيف الى هذين المجموعين القزاق وحرس الحدود بلغ مجموع الجيش العامل وقت السلم مليوناً واربع مئة الف نفس ومنهم ستون الفاً في تركستان و٢٨٠ الفاً في سيبيريا. والذين يلتزمون من القرعة كل سنة نحو مليون وثلثمئة الف نفس

اما عدد الجنود الروسية وقت الحرب فهو ٢٨٥٥٠٠٠ وعدد ضباطهم ٥٠٠ ٠٦ والمشاة منهم ١٧٩٢٠٠٠ والفرسان ١٩٦٠٠٠ ويضاف اليهم الرديف وهو ١٠٦٤٠٠٠ والرديف المحلي وهو مليونان . ولا يقل جيش روسيا وقت الحرب عن خمسة ملايين من الجنود المنظمة

(٥) قلة الانصاف

بغداد . رزق افندي عيسى . لماذا اذا غزا الغربي البلاد ودمَّر القرى والبلاد يعدُّ بطلاً مغواراً وقائداً محنكاً . واذا فضَّل الشرقي اخاهُ في الدين والمذهب على غيرهِ يستهجن فعلهُ هذا ويعدُّ جاهلاً متعصباً

ج . اذا دققتم البحث لم تجدوا الامر على ما ذكرتم تماماً فالحروب التي اثارها الغربيون منذ خمسين سنة الى الآن في اوربا واميركا واسيا وافريقية لم يثيروها عفواً بل كان لها اسباب دعت اليها ومن المحتمل بل المرجَّح انهُ كان يمكن الاستغناء عنها كالحرب بين فرنسا والمانيا والحرب بين الشمال والجنوب في اميركا والحرب بين انكلترا والحبشة وبين

اميركا واسبانيا وبين الجيوش المصرية وجيوش خليفة المهدي وبين انكلترا والبوير. ولكن نتائج هذه الحروب ليست قبيحة الى الحد الذي تصورونهُ ففرنسا غُلبت ولكن الجمهورية التي نجمت عن الحرب افادتها جدًّا وحرب اميركا حرَّرت العبيد ولوَّنت الزراعة والصناعة والحرب بين انكلترا والحبشة وبين ايطاليا والحبشة لم تنجم عنها فائدة تقابل خسائرها ولكن حرب اميركا واسبانيا افادت كوبا وجزائر فيلبين فوائد لا تقدَّر وكذا حرب مصر لاسترجاع السودان افاد السودان اعظم فائدة وافاد مصر ايضاً وحرب انكلترا مع البوير افاد البوير اخيراً كما يظهر من اعتراف بوثا اكبر قوادهم . وقواد هذه الحروب مثل ملتكي وغرانت وولسلي ودوسيه وكتشنر وربرتس يعترف بفضلهم كل الذين عاملوهم من انصارهم كانوا او من اعدائهم . وهذا كلهُ لا ينفي ضرر الحروب ووجوب الاستغناء عنها وبذل الوسع لحصول على فوائدها بالوسائل السلمية . ولا نرى ان من يفضّل ابن مذهبهِ على غيرهِ يرمى بالتعصب وانما يُرمى بالتعصب من يقتل غيرهُ او ينتهك حرمتهُ لانهُ ليس من مذهبهِ . واذا كرهتم ان يسمَّى ذلك تعصبًا فسموهُ ما شئتم فان التسمية لا تبررهُ ولا تغير جوهرهُ

(٦) كتاب جيولوجية سوريا

مولبليه . جبران افندي اسكندر كرما . ارجو افادتي عن كتاب يبحث بالتفصيل عن جيولوجية سوريا سواء كان بالعربية او الافرنسية او الرومية او الانكليزية ومن اين يمكن الحصول عليهِ

ج . ربما يفي بغرضكم بالانكليزية رسالة الدكتور هل وعنوانها Hull, Memoir on the Geology and Geography of Arabia, Petraea, Palestine, and adjoining Districts (London 1886)

وفي الالمانية

M. Blanckenhorn, Beitrage zur Geologie Syriens (Cassel 1890)

وفي الفرنسوية

V. Cuinet, Syrie, Liban et Palestine (1896)

وهي تطلب من كل باعة الكتب الكبار

(٧) قيمة المنسوجات القطنية

الاسكندرية . احد القراء . كم قيمة المنسوجات القطنية التي صدرت من بلاد الانكليز وفرنسا والمانيا في السنة الماضية

ج . لم نطلع على تقرير السنة الماضية حتى الآن ولكن في تقرير سنة ١٩١١ ان قيمة المنسوجات التي صدرت من بلاد الانكليز ٩٠٥١٣٠٠٠ جنيه ومن المانيا ١٩٥٧٥٠٠٠ جنيه ومن فرنسا ١٣٥٤٠٠٠٠ جنيه وقيمة المغزولات من انكلترا ١٥٦٦٥٠٠٠ ومن المانيا ٢٩٦٠٠٠٠ ومن فرنسا ٦٤٥٠٠٠

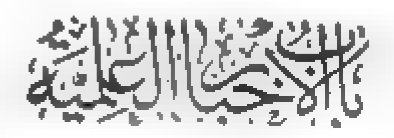

غلاء الاراضي في المدن

اغلى ثمن بيعت به اراضي البناء في مصر نحو ثمانين جنيهاً المتر المربع او نحو سبعة جنيهات القدم المربعة . ومنذ تسع سنوات بيعت قطعة ارض في مدينة لندن بمئتين وعشرة آلاف جنيه فبلغ ثمن القدم المربعة منها سبعين جنيهاً . وبيع في مدينة نيويورك قطعة ارض طولها مئة قدم وعرضها ٢٥ قدماً بمئة واربعين الف جنيه فبلغ ثمن القدم المربعة منها ٥٥ جنيهاً وثمانية شلنات . ويملك دوق وست منستر اربع مئة فدان في وستمنستر بمدينة لندن يأخذ منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ايجاراً سنوياً وارل كادوغان يملك مئتي فدان يأخذ منها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات ايجاراً سنوياً . واكثر شارع الستراند في مدينة لندن لدوق نورفلك وهو يأخذ ايجاره في السنة مليوناً ونصف مليون . واللورد نورثامبتون ٢٦٠ فداناً في كلاركنول يبلغ ايجارها في السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . والدوق بدفورد ٢٥٠ فداناً في لتنهام يبلغ ايجارها مليونين و٢٥٠ الف جنيه . واللورد هورد دي ولدن ٢٩٢ فداناً يبلغ ايجارها مليونين و٩٠٠ الف جنيه . واللورد بورتمان ٢٧٠ فداناً يبلغ ايجارها ١٨٩٠٠٠٠ . وكل هذه الاراضي موَّجرة للبناء

اكبر محطات سكك الحديد وانفسها

ستفتح في مدينة نيويورك هذا الشهر اكبر محطة لسكك الحديد في الدنيا وهي من الرخام طولها ٦٧٢ قدماً وعرضها ٣١٠ اقدام وارتفاعها ١٥٠ قدماً وهي كافية لان يمر فيها ثمانمئة قطار كل يوم ومئة الف راكب . وقد بلغت نفقات انشائها ٣٦ مليوناً من الجنيهات

اعادة نبض القلب بالكهربائية

يرى الدكتور ارلانجر انهُ اذا وقف نبض القلب ولم تنجع فيهِ الوسائل التي تستعمل عادةً فخير وسيلة ان يؤْخذ قطب ايجابي على هيئة الانبوب ويدخل عن يسار القص بين الضلعين الثالث والرابع حتى يلامس الياف القلب التي تصدر منها حركتهُ . ثم يدنى القطب السلبي من الجسم فتتقلص عضلات القلب ويعود الى عمله . فاذا ثبت

لتم هذه الطريقة واستعملت معها تهوية الرئتين الصناعية بواسطة الانابيب المدخلة الى الصدر فلا يبعد ان تعاد مظاهر الحياة الى بعض الذين يموتون قبلما يبتدئ الانحلال فيهم

تنقية مياه الشرب بخزنها

ثبت بالامتحان ان حفظ المياه مدة في حوض يزيل اكثر الميكروبات منها فانهُ وُجد في آخر شهر مارس الماضي في السنتيمتر المكعب من مياه نهر التمس بلندن ٩١٥٥ ميكروبًا ثم حفظ هذا الماء مدة ورشح فلم يبق فيهِ سوى ١٧ · ومن رأي الدكتور هوستون انهُ لا يحتمل ان يبقى في الماء ميكروب مرضي بعد حفظهِ مدة وترشيحهِ

خسائر الانواء

كان لاشتداد الانواء في العام الماضي فعل ذريع في السفن كبيرها وصغيرها مع ان التلغراف اللاسلكي سهَّل عليها معاونة بعضها بعضًا · وقد نشرت جريدة البال مال الانكليزية فصلاً مسهبًا عما حلَّ بالسفن الانكليزية المؤمن عليها عند محل لويد سنة ١٩١٢ فقالت ان قيمة الخسارة بلغت ٦٦٨٤٥٠٠ جنيه ولولا انتشال الذهب الذي كان في وسق السفينة دلهي والسفينة اوشيانا وتعويم السفينة رويال جورج لكانت الخسارة اكبر · اما هذه الخسارة فاقسمت على فصول السنة هكذا

من يناير الى مارس	١٧٨٨٠٠٠ جنيه
من ابريل الى يونيو	٣٠٤٠٠٠٠ «
من يوليو الى سبتمبر	٨١٣٥٠٠ «
من اكتوبر الى دسمبر	١٠٤٣٠٠٠ «

ولعلَّ الخسارة اكبر من ذلك لانها لم تعلم كلها حتى الآن · والسفن التي اصيبت وحمولها من ٥٠٠ طن فصاعدًا بلغ عددها ٦٠٣١ تصادم منها ١٩٧٥ سفينة وارتطم ١٧٤٦ سفينة واصيب من ثقل الامواج ١١٦٦ ولعبت النار في ٣٩٩ · وغرق ٢٢٨ سفينة حمولها ٤٨٣١٥٨ طنًا ٨٢ منها بريطانية و١٤٦ لسائر الامم

زيت بيض السلاحف

كان السكان حول نهر الامازون في اميركا الجنوبية يستخرجون الزيت من بيض السلاحف يجمعون البيض في القوارب ويخبطونها بالعصي حتى تتكسر ويصبون عليها ماء فيطفو زيتها على وجههِ فيجمعونهُ وكانوا يتلفون كل سنة مئتي مليون بيضة لاستخراج زيتها فلما انتشر استعمال البترول عندهم ورخص ثمنهُ اهملوا استخراج الزيت من بيض السلاحف فكثرت جدًّا وهم يربونها الآن كالمواشي لاجل لحمها · وتربى في اماكن اخرى في اميركا الشمالية وفي اليابان وتربيتها من الاعمال الكبيرة الربح

اكبر البواخر

صنع الالمانيون الآن باخرة سموها «الامبراطور» جعلوها اكبر البواخر التي صُنعت حتى الآن واعترها كلها طولها من طرف الى طرف ٩٢٠ قدماً وعرضها ٩٨ قدماً وعمقها ٦٣ قدماً وارتفاع راس ساريتها من قاعها ٢٤٦ قدماً وفيها تسع طبقات فوق حد الماء وثلاث مداخن اهليجية الشكل طول كل مدخنة منها ٦٩ قدماً وقطرها الاطول ٢٩ قدماً والاقصر ١٨ قدماً وثقل دفتها ٩٠ طناً وتفريغ هذه الباخرة ٦٠٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠٠ حصان وينتظر ان تكون سرعتها ٢٢ ميلاً بحرياً ونصف ميل في الساعة او نحو ٢٦ ميلاً اعتيادياً . وقد جعل قاعها وجوانبها مزدوجة كلها حتى اذا اصطدمت بشيء او خرقها شيء لا تغرق كما غرقت التيتانك . وهي تسع ٤٢٥٠ نفساً من الركاب و ١١٠٠ من البحارة وفيها من وسائل الراحة والترف ما لا مثيل لهُ الاَّ في قصور الملوك كالمراقص والمشاهد والجنائن والملاعب والمغاسل والحمامات وما اشبه

قلة المواليد

قابل الاستاذ ادورد روس بين ما كانت عليهِ المواليد من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٠ وبين ما صارت اليهِ من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٠٥ فوجد انها نقصت في كل البلدان التالية على ما في هذا الجدول

في زيلندا الجديدة	٣٥ في المئة
نيوسوث ويلس	٢٣ « «
انكلترا	٢١ « «
فكتوريا	٢١ « «
فرنسا	١٨ « «
المجر	١٧ « «
البلجكا	١٦ « «
اسوج	١٥ « «
المانيا	١٤ « «
ايطاليا	١٢ « «
سويسرا	١١ « «
الدنمارك	١١ « «
نروج	١٠ « «
النمسا	١٠ « «
ارلندا	٠٩ « «

وقد نقص عدد الاولاد الذين عمرهم اقل من خمس سنوات في بيوت الولايات المتحدة من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٩٠٠ اربعة وعشرين في المئة . الاَّ ان معدل الوفيات قلَّ ايضاً وقلتهُ اكثر من قلة معدل المواليد ولذلك فعدد السكان آخذ في الزيادة . وقلة عدد الوفيات ناتجة من التدابير الصحية ومقاومة الامراض والاوبئة والمجاعات فاذا وصلت هذه التدابير الى البلدان الشرقية الكثيرة

السكان كالصين والهند ولم يقل معدل المواليد فيها ملأت شعوبها المسكونة بعد سنين قليلة

الاروسكوب AEROSCOPE

الاروسكوب آلة تصوير شمسي تصوّر الاشياء المتحركة صوراً متوالية فيكون منها صور متحركة السينماتوغراف . استنبطها المسيو بروزنكسكي البولندي وهي صغيرة يحرك النشاه (الشريط) فيها بقوة الهواء المضغط ويمكن ان توضع فيها لفتان من النشاه طول كل لفة منها ٣٠٠ قدم ومع ذلك لا يزيد وزنها على ١٤ ليبرة ويستطيع الانسان ان يستعملها وهو راكب على فرسهِ

الوقاية من التيفويد بالتطعيم

ابان الدكتور شانتمس في اكادمية العلوم بباريس ان البحَّارة في اساطيل الحكومة الذين طعّموا بالطعم الواقي من الحمى التيفويدية لم يصب بها احد منهم واما الذين لم يطعموا فاصيب واحد من كل مئة نفس منهم

تسلق القمر لجدران الجليد

كان يظن ان القمر يثب من الماء الى اعالي جدران الجليد وثبة واحدة . وقد صوّرهُ بعضهم في بعثة سكوت بالآلة التي تؤْخذ بها الصور المتحركة فظهر انهُ يدفع نابيهِ من الجليد ويحكّهُ الى ان يحدث فيهِ حدثاً يمكنهُ التعلق بهِ ثم يحدث حدثاً آخر اعلى منهُ وهلم جرًّا الى ان يصل الى اعلى الجدار

زراعة الاسفنج في البحر

اخذ البعض يزرعون الاسفنج في البحر فيأخذون قطعاً صغيرة منهُ ويربطونها الى قطع من السمنت باسلاك النحاس المغشاة بالرصاص ثم يطرحونها في البحر حيث تنمو وتترك هناك سنة او سنتين الى ان يكمل نموها ثم ترفع وتزرع قطع اخرى مكانها . ويقال ان الاسفنج الذي يربى على هذه الطريقة افضل من الاسفنج الطبيعي لان الاخير يتمزق وتقطع الياهُ عند نزعهِ من الصخور فيتلف سريعاً .

الحروف للكتابة الصينية

عقد جماعة من علماء الصين اجتماعاً بناء على دعوة من ناظر المعارف في بكين ليضعوا حروفاً هجائية تكتب بها لغات الصين المختلفة فاتفقوا على ان يذيعوا اقتراحاً على العلماء قاطبة بان يتباروا في وضع الحروف ثم يختارون من بينها الحروف التي تفضل غيرها

الاستعاضة عن البترول بالبنزول

كثر استعمال البترول وقوداً حتى خشي من نفاده واخذ من يهتم الامر يبحثون عن نوع آخر من الوقود يقوم مقامهُ وقد جرب البنزول فثبت ان فيهِ من القوة اكثر

عنا في البترول . وقد اكتشف البترول سنة ١٨٤٥ في الغازات التي تتصاعد من الفحم الحجري حين احالته تحويله الى كوك . ويستخلص الآن بامرار هذه الغازات في سوائل تمتصها وتصعيد البترول منها بعد ذلك

اكبر جسر في العالم

وضع احد المهندسين الاميركيين خريطة جسر (كوبري) يصل بين مدينتي سان فرنسيسكو واوكلاند بالولايات المتحدة ويمتد فوق الخليج المعروف بخليج سان فرنسيسكو . وسيبلغ طول هذا الجسر تسعة اميال ونصف ميل وعلوه فوق الماء ١٨٠ قدماً . وقد قدرت نفقاته بستة وعشرين مليون ريال

السرطان واسبابه

نشر رجل يقال له المستر رولو كتاباً في السرطان بحث فيه بحثاً استقرائياً واستنتج ان الاصابات بهذا المرض زادت كثيراً في الخمسين سنة الاخيرة في كل البلدان المتمدنة وانه قلما يصيب الذين طعامهم قليل بارد الا اذا نشأت الاصابة عن اسباب خصوصية . ويرى ان شرب الماء الزلال يفيد في الوقاية منه . ومن الاطعمة التي تعرض الجسم للاصابة به الاشربة الروحية واللحوم على انواعها اذا أكثر منها والاشربة والاطعمة الحارة اذا زادت حرارتها على حرارة الدم والاشربة الحامضة وبعض المواد الاخرى واهمها الزرنيخ . وقد دعم آراءهُ هذه باحصاءات وامثلة كثيرة

رجل الضفدع في التلغراف اللاسلكي

نزع الاستاذ لفتر الفرنسوي عضل رجل الضفدع العصبي يمتد الى الخلف ووصلهُ بالمجرى الكهربائي في الآلة التي تقبل الرسائل اللاسلكية . ثم اثبت احد طرفيهِ بدبوس ووصل الآخر بحبل يحرك فيرسم علامات على ورق مخصوص . وقد قرأ بهذه الواسطة رسائل كانت ترسل اليهِ من برج ايفل وهو على ٢٣٠ ميلاً منهُ . غير ان رجل الضفدع تفقد خاصية التأثر بالكهربائية في مدة يسيرة فتصبح غير نافعة في التلغراف

نسيج لا يحترق

اكتشف الدكتور بركين الانكليزي طريقة يعالج بها الانسجة القطنية فلا تعمل بها النار . وطريقتهُ في ذلك تغطيس النسيج في احد مركبات الصوديوم الحامض القصديريك وتنشيفهُ ثم تغطيسهُ ثانية في كبريتات النشادر واحماؤهُ الى درجة عالية بعد تنشيفهِ . ويقال ان الانسجة التي تعالج على هذه الطريقة تزداد نعومة ولا تخسر مزية عدم الاحتراق مهما تكرر غسلها . وسنصف طريقتهُ وكيف انصل اليها في بعض الاجزاء التالية

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والاربعين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣١

دولة الروس

او ثلثمئة سنة على بيت رومانوف

احتفلت روسيا في الشهر الماضي بمرور ثلثمئة سنة منذ تبوَّأ عرشها اول ملك من بيت رومانوف وهي جديرة بهذا الاحتفال لان كل ما تفخر بهِ من مقومات العمران ونتائجهِ نشأ فيها او وصل اليها في زمن هذه الدولة فوق ما بلغتهُ من سعة الملك الذي قصَّر عنهُ الرومان في اوج عظمتهم

كان سكان مملكة الروس حينما تولاها ميخائيل رومانوف سنة ١٦١٣ وهو الاول من بيت رومانوف نحو عشرة ملايين من النفوس فزاد عددهم بالنمو الطبيعي والفتوح حتى بلغ الآن نحو مئة وسبعين مليونًا وقد تدرَّج في ذلك تدرُّجًا ولكن بخطوات الجبابرة سواءٌ كان بالنمو الطبيعي او بالفتح كما ترى في هذا الجدول

سنة		عدد السكان		سنة		عدد السكان	
سنة	١٦١٣	عدد السكان	١٠ ملايين	سنة	١٨١٥	عدد السكان	٤٥ مليونًا
«	١٧٢٢	« «	١٤ مليونًا	«	١٨٢٥	« «	٦٠ «
«	١٧٤٢	« «	١٦ «	«	١٨٥٩	« «	٧٤ «
«	١٧٦٢	« «	١٩ «	«	١٨٨٢	« «	١٠٣ ملايين
«	١٧٨٢	« «	٢٨ «	«	١٨٩١	« «	١١٥ مليونًا
«	١٧٩٦	« «	٣٦ «	«	١٨٩٧	« «	١٣٠ «
«	١٨٠٦	« «	٤١ «	«	١٩١٠	« «	١٦٤ «

ولا يبعد ان يكون عددهم الآن اكثر من ١٧٠ مليونًا لان الزيادة السنوية اكثر من واحد في المئة

وكانت مساحة مملكة الروس حينما تولاها الملك ميخائيل الاول نحو مليون وربع من الاميال المربعة واكثرها قفار شاسعة لا ساكن فيها او فيها قبائل رحل فاصبحت مساحتها الآن ثمانية ملايين و٦٤٧ الفاً من الاميال المربعة ولا تزال فيها قفار شاسعة قليلة السكان ولا سيما في سيبيريا ولكن مساحة الارض زادت اقل من ستة اضعاف واما عدد السكان فصار سبعة عشر ضعفاً

ولم نقف على دخل الحكومة الروسية في عهد الملك ميخائيل لما كان عدد سكانها عشرة ملايين ولكن لما كان عدد السكان ثلاثين مليوناً سنة ١٧٩٠ كان دخل الحكومة ٤٥ مليون روبل او نحو سبعة ملايين من الجنيهات ولذلك نرجح انهُ لم يزد على مليونين او ثلاثة من الجنيهات سنة ١٦١٣ وهو الآن اكثر من ٢٧٠ مليوناً من الجنيهات اي انهُ زاد اكثر من مئة ضعف وهو لا يزيد كذلك الاَّ اذا زادت ثروة البلاد زيادة تناسبهُ

وقد رأينا ان نلخص تاريخ بلاد الروس في الصفحات التالية ونقتصر على ما فيهِ عبرة للباحث في تاريخ الامم فنقول

كانت بلاد الروس في سالف عهدها امارات صغيرة مستقلة ولا يعرف الآن من تاريخها حينئذٍ شيءٌ الاَّ ما كتبهُ عنها راهب اسمهُ نسطور فقال ان القبائل التي كانت تسكن الغابات حول بحيرة المن وبحيرة لادوغا في الشمال الغربي من روسيا كانت تدفع الجزية لامراء جاءوها من بلاد روس (والمظنون ان بلاد روس هذه هي اسوج)· وسنة ٨٥٩ طردت تلك القبائل اولئك الامراء ولكن قام النزاع بينها فعادت واستدعتهم اليها بعد ثلاث سنوات لكي يتولوا امرها · فجاء منهم ثلاثة اخوة وهم روورك وسنيوس وتروفر ونشأت منهم دولة في البلاد يقال ان كثيرين من امراء الروس الآن متسلسلون منها · واقام روورك قرب بحيرة المن وبنى هناك عاصمتهُ ومنها كان يأتي حراس ملوك القسطنطينية · وهو الملك الاول من ملوك الروس

ولم يكتفِ اولاد هؤُلاء الامراء بالاستيلاء على القبائل التي استدعتهم بل دوخوا ما حولهم من البلاد قبل ان يمرَّ قرن عليهم وجعلوا مقرهم مدينة كيف لانها كانت في سكة القوافل الذاهبة الى بلاد الروم والآتية منها · ثم غزوا تخوم الروم وهددوا القسطنطينية واخذوا اخت ملك الروم زوجة لواحد منهم فتنصَّر هو وشعبهُ · وصاهروا ملوك بولندا والمجر ونروج وفرنسا · لكن احوال البلاد الداخلية لم تكن منتظمة لان بيت روورك حسب البلاد كلها ملكاً لهُ فصار كل واحد من اعضائهِ يحسب ان لهُ قسماً منها فتجزأت الى امارات لا تجمعها جامعة الاَّ كون الامراء من بيت واحد وانهم تحت سلطة صاحب كيف ام مدائن الروس ·

ولم تكن الخلافة في اولاد صاحب كيف بل كانت لأكبر الامراء سناً وكذا الحال في كل امارة من الامارات فينتقل الامراء من امارة الى اخرى فتنشأ بينهم الخصومات والمنازعات . واخر امير من امراء كيف حفظ تقاليد السلف هو الامير يروسلاف الملقب بالعظيم الذي توفي سنة ١٠٥٤ وبعد وفاته كثرت المنازعات مدة ١٧٠ سنة وتمزقت المملكة كل ممزق واضطر كثيرون من السكان الى المهاجرة شمالاً فعظم شأن موسكو ونوفوغورود وغيرها من المدن الشمالية . وكثرت المخاصمة بين هاتين المدينتين وكثيراً ما كان امراؤها يتقاضيان الى السيف ويشترك معهما سائر الامراء . وبينما هم كذلك في خصام مستمر جاءهم التتار المغول في اوائل القرن الثالث عشر ودوّخوا بلادهم واقاموا فيها وبنوا لهم عاصمة في الجهة الجنوبية منها سموها سراي وضرب خاناتهم الجزية على امراء الروس . وقوي شأن امراء موسكو في هذه المدة لانهم عرفوا كيف يسترضون خانات التتار ويجمعون لهم الجزية من سائر الامراء . ثم قام منهم امير اسمهُ ديمتري دنسكوي حارب التتار وتغلب عليهم في معركة مشهورة فلقب امير روسيا كلها . ولكن بلاد الروس لم تخضع كلها لامير موسكو الا في عهد ايفان الثالث وابنهِ باسيليوس وحفيدهِ ايفان الرابع الملقب بالرهيب كما سيجيء

ثم انقسمت مملكة التتار الى خانات صغيرة وجعل كل منها يناوئ الآخر فتغلب الروس عليهم بالسياسة وبمعاونة بعضهم على البعض الآخر حتى خلعوا نيرهم . وجعل امراء موسكو يوسعون تخومهم الى ان خضعت لهم امارات الروس كلها . ولقب هؤلاء الامراء انفسهم قياصرة وكانوا قد تنصروا وجاءهم الكهنة من القسطنطينية وعلوم ادارة شؤون الملك فتشبهوا بقياصرة الروم في حسبانهم انفسهم مختارين من الله للسلطة على شعبهِ . حتى اذا انقرضت دولة الروم من القسطنطينية حسبوا ان حماية الكنيسة الارثوذكسية انتقلت اليهم . وعاشوا في قصورهم عيشة القياصرة والاحبار حتى طلب باسيليوس بن ايفان الثالث من رؤساء الدين ان يخضعوا لهُ خضوعاً تاماً وعزل المتروبوليت وكان أكبر اسقف في الكنيسة الروسية . وذهب سيموند فون هربرستين سفيراً الى موسكو من قبل النمسا في ذلك العهد وقال انهُ ما من ملك في اوربا يطيعهُ شعبهُ أكثر مما يطيع الروس ملكهم وان في بلاط ذلك الملك من الابهة ما يقضي بالعجب وفي قصرهِ عدداً عديداً من الخدم والحشم والامراء ولهُ حرس من اولاد الاشراف بالحلل الفاخرة والاسلحة المفضضة

واشهر هؤلاء القياصرة ايفان الرابع الملقب بالرهيب وقد توفي ابوهُ وهو حدث فكفلتهُ امهُ وادارت دفة المملكة بيد ضعيفة ثم سلمتها لبعض الاتباع . ويقال ان مخايل

النيابة بعث عليهِ في حداثتهِ . ويروى عنهُ انهُ جمع هؤلاء الاتباع وهو حدث ووبخهم على اختلاسهم اموال الخزينة وظلمهم للرعية ثم امر بواحد منهم وهو الامير شوسكي ان يربط ويطرح للكلاب فنزلت بدنهُ وصار عبرةً لغيرهِ . لكنهُ لم يستطع ان يصلح احكام البلاد لصغر سنهِ لانهُ كان لا يزال في الثالثة عشرة من العمر فلما صار لهُ سبع عشرة سنة طلب من رئيس الاساقفة ان يتوجهُ قيصراً على روسيا كلها لا اميراً على موسكو كما كان يتوج اسلافهُ وكان ذلك سنة ١٥٤٧

وحدث بعد بضعة اشهر ان شبت النار في موسكو وكادت تحرقها كلها وثار الغوغاء فقتل عمّ القيصر في ثورتهم فحسب ان ذلك عقاب لهُ عاقبهُ بهِ الله لتغاضيهِ عن شؤون مملكتهِ فجعل ينظر في امورها كلها بمساعدة كاهن حسن الروية بعيد النظر اسمهُ سلفستر ورجل من الاتباع اسمهُ اداشف وبمشورتهما تمكن من تقييد سلطة الامراء والعدل في الرعية . وظل على ذلك اربع عشرة سنة . ثم انتقل فجأة من اللين الى الشدة لسبب مجهول فحكم البلاد بيد من حديد اربعاً وعشرين سنة حتى لُقب بالرهيب فقتل كثيرين من الخاصة والعامة عتواً ولما خاف غيرهم من الامراء شرهُ وهربوا منهُ والتجأوا الى صاحب لثوانيا اوجس شراً من البقية فاستقدم كثيرين من الاعراب الذين لا يخالفون لهُ امراً حتى بلغ عددهم ستة آلاف ويقال انهُ زحف بهم على امارة نوفغورود وقتل من اهلها ستين الفاً وبينهم كثير من النساء والاولاد ومن المحتمل ان الذين ذكروا ذلك بالغوا في عدد القتلى ولكن وُجد في دير مار كيرلس اسماء ٣٤٧٠ من القتلى الذين طلب من الكنيسة ان تصلي عن ارواحهم . وهناك صلاة يقال فيها اذكر يارب نفوس عبيدك النوفغوروديين الذين عددهم ١٥٠٥ . ويقال في سجلات نوفغورود انهُ كان يقتل احياناً ١٥٠٠ نفس في اليوم الواحد

وجعل الروس في زمن ايفان الرابع ينتشرون في البلاد المجاورة لبلادهم كما يفعل سكان الولايات المتحدة الآن واضطروا ان يحاربوا سكانها الاصليين او يدفعوا مَن جاورها عنها فتألفت منهم عصابات مسلحة لصد النهابة وهم القزاق الذين اشتهر اسمهم في تاريخ روسيا واكثر معيشتهم من مواشيهم وغزو البلاد التي حولهم وكثيراً ما كانوا يغزون المدن التي ينتظر منهم حمايتها كما يغزون القبائل التي يراد ان يحموها منهم . وخضع بعضهم لقيصر الروس وبعضهم لملك بولندا حسب البلاد التي اقاموا فيها الى ان صارت البلاد كلها لروسيا فصاروا من رعاياها

وكان امر خانات التتار قد ضعف على ما تقدم فاستولى ايفان على خانتي قزان واستراخان وضرب الجزية على البشكير وحارب اسوج وبولندا لكي يوصل روسيا بالبحر ويوسع تجارتها

ويجلب من اوربا الاسلحة والصنائع لان ملوك اسوج وبولندا كانوا يحظرون على التجار المجيء بالاسلحة الى بلاد الروس كما يحظر الاوربيون اليوم جلب الاسلحة الى قبائل افريقية . قال احد ملوك بولونيا للتجارة الانكليز الذين كانوا يجلبون الاسلحة « ان الروس الذين هم خصومنا اليوم واعداء كل الامم الحرة غداً يجب ان لا يعطوا مدافع وقنابل ولا صناعاً يصنعون لهم الاسلحة » . وهذا ما دعا ايفان الرابع الى بذل جهده الوصول الى السواحل البحرية . وكان جده قد اتى بالصناع من البندقية فبنوا له القصور والكنائس وسبكوا الاجراس والمدافع فحاول الاقتداء به وجلب الصناع من المانيا فلم يفلح ولكن جاءه الفرج من حيث لم يكن ينتظر فان سفينة انكليزية كانت تحاول الوصول الى الصين بالسير في الدائرة الشمالية فوصلت الى مرفإ دفينا في شمال روسيا وذهب ربانها الى موسكو فقابله القيصر بالاكرام ومن ثم ارسلت انكلترا سفيراً الى روسيا واتصلت روابط التجارة بينهما ولكن مياه دفينا في البحر الابيض الشمالي وهو يجلد اكثر شهور السنة فرأى القيصر ايفان ان لا بد له من الاستيلاء على بلاد ليثوانيا فاتحدت لها بولندا واسوج تحاربهما ولم يفلح . ولما توفي خلفه ابنه ثيودور وكان ضعيف العزيمة على حسن سلوكه وكان له صهر همام اسمه بوريس غودونوف فاستعان به فوضع في روسيا نظام استعباد الفلاحين اي تقييدهم بالارض التي يعملون فيها فيباعون ويشترون معها وجعلها بطريركية مستقلة عن بطريركية القسطنطينية

وتوفي ثيودور بلا عقب فخلفه صهره بوريس غودونوف لكن الزمان لم يصف له فحدث في البلاد جوع ووباء وثار عليه الخاصة والعامة وكان للقيصر ايفان الرابع ابن اسمه ديمتري قتل صغيراً فقام رجل وادعى انه هو ديمتري هذا ودخل روسيا بجيش من مستر زقة الالمان والبولنديين واستتب له الامر فيها بعد موت بوريس ولكن لم تمر سنة حتى ثار عليه رجل من الاشراف اسمه باسيليوس شوسكي فقتل في الكرملين ونودي بشوسكي قيصراً ثم قام رجل آخر ادعى انه ديمتري ابن القيصر ايفان واضطر شوسكي الى التنازل له بمساعدة ملك بولندا . ثم حمل ملك بولندا ابنه ملكاً على روسيا فرضي اهل موسكو بذلك على شرط ان يبقى مذهب البلاد الارثوذكسية ولكن ظهر ان ملك بولندا يريد الملك لنفسه لا لابنه وجاء اهالي اسوج برجل ثالث ادعوا انه ديمتري المقتول وحينئذٍ دبّت النخوة الوطنية في نفوس الروس فنهضوا بقيادة رجل اسمه منين وامير اسمه برشارسكي وطردوا كل المتطالين الى مملكة الروس وجمعوا الجمعية العمومية واختاروا ميخائيل رومانوف قيصراً لهم وبه ابتدأت دولة رومانوف الحالية كما سيجيء

التهويل بابي الهول

ابو الهول تمثال كبير على ربع ميل من الهرم الاكبر من اهرام الجيزة الى الجنوب الشرقي منهُ لهُ رأس انسان وبدن اسد رابض. طولهُ ١٧٢ قدماً ونصف قدم وارتفاعهُ ٥٦ قدماً. لم يذكرهُ هيرودوتس المؤرخ على اسهابهِ في ذكر المنشآت المصرية ولكن ذكرهُ بلينيوس المؤرخ فقال «وامام الاهرام السفنكس وهو من آيات الصناعة ولكن امرهُ مكتوم لان لهُ في عيون السكان مقاماً دينياً وهم يعتقدون ان هرميس دفن فيهِ وانهُ أُتي بهِ من مكان بعيد. والراجح انهُ منحوت من صخر طبيعي ولاحترامهم لهُ دهنوا وجههُ دهاناً احمر. محيط رأسهِ عند جبهتهِ مئة قدم وقدمان وطول يديهِ مئة وثلاث واربعون قدماً وارتفاعهُ من بطنهِ الى رأس الصل الذي فوق جبهتهِ اثنتان وسبعون قدماً»

وقال المقريزي في خططهِ «هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً ببلهيب [1] ويقول اهل مصر اليوم ابو الهول. قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة في ما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأسهِ فقط تسميهِ العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انهُ طلسم للرمل لئلا يغلب على اهل الجيزة» انتهى ما نقلهُ المقريزي

وقال عبد اللطيف البغدادي في القرن السادس للهجرة بعد وصفهِ الاهرام ما نصهُ

«وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميهِ الناس ابا الهول ويزعمون ان جثتهُ مدفونة تحت الارض ويقتضي القياس ان تكون جثتهُ بالنسبة الى رأسهِ سبعين ذراعاً فصاعداً. وفي وجههِ حمرة ودهان احمر يلمع عليهِ رونق الطراءة وهو حسنُ الصورة مقبولها عليهِ مسحة بهاء وجمال كأنهُ يضحك تبسماً. وسألني بعض الفضلاء ما اعجب ما رأيت فقلت تناسب وجه ابي الهول فان اعضاء وجههِ كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة. والعجب من مصورهِ كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها. وانهُ ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيهِ»

وبقي بدن ابي الهول مطموراً بالرمل الى سنة ١٨١٧ حينما اخذ المسيو كابجليا احد الباحثين عن الآثار المصرية يرفع الرمل عنهُ فاكتشف بين يديهِ مذبحاً من القرابين الاحمر

(1) واسم ابي الهول في اللغة المصرية القديمة «هو» بحوس و اشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليه لفظة با او اب او بو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بو اي بيت اله الصباح او مكانهُ او معبدهُ ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة. وعندنا لو رجعنا اليها لترجمنا كلمة سفنكس بها لانهُ يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

وامام صدره صفيحة كبيرة من الترانيت ارتفاعها ١٤ قدماً نقش عليها كيف ازال الملك تحتمس الرابع الرمل الذي كان يغمر بدنه . وفي اعلى هذه الصفيحة الرسم المرسوم في اعلى الشكل المقابل وفيه صورة هذا الملك يقدم الطيوب ويسكب السكائب لاسدين رابضين لكلٍّ منهما رأس انسان . وبين الاسدين كتابة هيروغليفية يقال فيها ما ترجمتهُ : «لقد سمعت ان ينتصب رامن خيرو تحوتي مس خاخاو كالشمس على عرش الاله سب ويبلغ مقام الاله تم »

وفوق احد الاسدين كتابة يقال فيها « اني انصر سيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس » . وفوق الآخر كتابة اخرى يقال فيها « اني اعطي الحياة والقوة لسيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس » وتحت هذه الصورة كتابات هيروغليفية مفادها ان هذه الصفيحة اقيمت في اليوم التاسع عشر من الشهر الثالث من فصل شات في السنة الاولى من مُلْك الملك . ثم يقال فيها « ان جلالتهُ كان مثل الطفل هورس بين الخلفاء وقد خرج للصيد متنزهاً في القفر الذي حول منف وفي طرفيهِ الناحية شمالاً وجنوباً لكي يتمرن على رمي السهام التي رؤوسها من نحاس فاصطاد الاسود والغزلان في الجبال وصار في مركبتهِ التي تجرها خيول اسرع من النسيم وكان معهُ اثنان من اعوانهِ ولم يعرف احد الى اين ذهب معهما . ولما حان الوقت ليستريح خادماه ودَّ ان يقوم بفرض العبادة لهرمخت[1] في معبد صار في العالم السفلي ويقدم تقدمة من الدقيق ويدعو للالهة ايسس سيدة السور الشمالي والسور الجنوبي ولسخت الخويسي ولست . وكان هناك طلسم منذ الازل يمتد الى كل البلاد حتى خرهوت حيث طريق الالهة الى افق السماء الغربي » الى ان يقول : — ان الملك كان يصطاد قرب الظهر فجلس يستريح في ظل ابي الهول فغلب عليهِ النعاس ونام وحلم لما بلغت الشمس الهاجرة : ان الاله اباهُ جاءهُ وقال لهُ اني اجلسك على عرشي واملكك على شعبي واضع على رأسك تاجي الجنوب والشمال (الوجه القبلي والوجه البحري) فتصير لك كل البلدان التي تشرق عليها الشمس وتأتيك الجزية من اقاصيها وتعيش سنين لا تحصى ولكن الرمال تحدق بي وتغطيني فقل لي انك تعمل ما اطلبهُ منك وحينئذٍ اعلم انك ابني حقاً الذي يساعدني . ادنُ مني فاكون معك وارشدك » . والصفيحة مكسورة هناك لا تعلم تتمتها

(١) والظاهر ان كلمة هرم العربية محرفة من كلمة هرمخت او هرمخيس المصرية ومعناها شمس الافق التي كان هذا التمثال يرمز اليها . وما اكثر الكلمات التي يحسبها من صميم العربية وهي مصرية الاصل لان العرب لم يعرفوا هذه لسانهم الاَّ بعد ان اقاموا في هذا القطر مئات من السنين واختلطت لغتهم بلغة اهلهِ

ولكن يقال في الكتابة الباقية ان الملك خفرا هو الذي نحت ابا الهول وانهُ جعلهُ مثالاً لهُ او لهرمخس او هرمخت

اي ان الكهنة الذين كانوا في زمن الدولة الثامنة عشرة قالوا لاحد ملوكها ان الملك خفرا باني الهرم الثاني هو الذي نحت ابا الهول وجعلهُ تمثالاً لهرمخت واقنعوهُ لكي يزيل الرمال التي علتهُ ففعل ونُصّب على عرش ابيهِ

وعادت الرمال فطمرت ابا الهول فرآهُ بلينيوس وعبد اللطيف البغدادي مطموراً والظاهر انهُ بقي كذلك الى عهد المسيو كافيجليا فازال الرمال عنهُ كما تقدم . ثم طمر ثانية وبقي مطموراً الى عهد مريت باشا فازال الرمال ووصل الى الصخر ولم نسمع عنهُ شيئاً يذكر بعد ذلك الى الشهر الماضي فاذاعت الجرائد انهُ كُشف بجوفهِ هيكل كبير وفي اسفلهِ قبر الملك مينا اول الملوك المصريين . وقبل ان مكنتنا الفرصة من الذهاب اليهِ ورؤْية ما كُشف فيهِ جاءَتنا جريدة السفير الانكليزية المصورة وفيها الصورة التي نقلناها عنها ونشرناها في صدر هذه المقالة تحت رسم الصفيحة المشار اليها آنفاً . ويقال في جريدة السفير ان الاستاذ ريزنر وجد رملاً في قمة رأس ابي الهول فخفرهُ ووجد تحتهُ قطعاً من الحجارة فاستخرجها واذا غرفة كبيرة في اعلى رأس ابي الهول طولها ٦٠ قدماً وعرضها ١٤ قدماً يوصل منها بسلم الى هيكل اكبر منها جدًّا كما ترى في الرسم ومن هناك ينزل بسلم طويل الى بدن الاسد وفيهِ هيكل من اكبر الهياكل بالقياس على الهيكل الذي في رأسهِ ومن رأي الاستاذ ريزنر انهُ كان يوصل الى هذا الهيكل من الاسفل وان الهيكل الذي في رأس التمثال هو قدس الاقداس بالنسبة اليهِ . وينزل منهُ بسلم الواحد يصل الى قسحة هرمية فيها قبر الملك مينا والا في الى الهيكل الذي بين يدي الاسد . ويقال هناك ان الهيكل الكبير واصل الى ما تحت بدن الاسد وفيهِ كثير من الاعمدة والنقوش المصرية والادوات الذهبية وهو لعبادة الشمس ويظن الاستاذ ريزنر ان هناك نفقاً توصل الى مدينة تحت الارض كانت مسكونة في غابر الزمن ثم سفت عليها الرمال وطمرتها ونسي امرها

ونشرت الاجبشين غازت في ٧ فبراير ما هو اغرب من ذلك جدًّا حتى جعلت المدينة التي تحت التمثال من الذهب الابريز وقد نشرت ذلك هي والسفير وسائر الجرائد كأَنهُ من المكتشفات التي لا ريب فيها . والحقيقة انهُ تهويل بتهويل واخبار ملفقة لا اصل لها على الاطلاق . ثم ان قطر رأس ابي الهول نحو ثلاثين قدماً فكيف يصدق احد انهُ يسع هيكلاً طول غرفتهِ الامامية ستون قدماً ولكن الاكاذيب تروج اكثر من الحقائق

اصل الاسبوع

لقد كان القمر اول الاجرام الفلكية التي اجتذبت انظار الناس لكثرة تقلبهِ وغرابة اطوارهِ فانهم رأوهُ يبدو هلالاً ويكبر حتى يكتمل ثم يأخذ في التناقص الى ان يختفي كأنهُ حي لهُ عمر محدود نحو ٢٨ يوماً فاخذوا يقسمون الزمن الى شهور قمرية اي الى مدد متساوية حسب ظهور القمر واختفائهِ

ثم اهتدوا الى حساب السنين مما رأوهُ حولهم من توالي الفصول وخبوء الحياة النباتية وتجددها وانتقال الشمس في الابراج . اما حساب الاسابيع فلم يهتدوا اليهِ الا بعد زمن طويل وذلك لانهم لم يروا في الطبيعة حادثاً يتكرر في مدة اطول من اليوم واقصر من الشهر

ولا غرابة اذا بدأ الناس يقيسون الوقت بحركات القمر والشمس فانها منتظمة تجري على وتيرة واحدة لا تشذ عنها عدا عن ان القدماء نسبوا اليها ما يجري في الكون من الامور الخطيرة لما رأوهُ من بهائهما وامتيازهما على كل الكواكب

يتضح مما تقدم انهُ اذا اختلفت الامم في طول الشهر والسنة فلا يكون الاختلاف كبيراً لان المقياس الذي يقاس بهِ كلٌّ منهما طبيعي لا يتغير . اما الاسبوع فلا يتحدد عدد ايامهِ بحادث طبيعي كما تقدم ولم يكن لهُ اصل واحد عند جميع الامم ولذلك كان الاختلاف فيهِ كبيراً

فقبائل افريقية مختلفة في تقسيم الشهر الى اقسام فبعضها يجعل القسم منها ثلاثة ايام وبعضها اربعة وبعضها خمسة وبعضها اكثر من ذلك . ويتوقف عدد ايام الاسبوع عندهم في الاكثر على الاسواق التي يقيمونها . فالقبيلة التي تقيم سوقاً كل اربعة ايام يكون الاسبوع عندها اربعة ايام ايضاً . ومثل ذلك يقال في القبائل التي تقيم الاسواق كل خمسة ايام او ستة وهلم جرّا . والغالب عندهم ان يطلقوا على كل يوم من اسبوعهم اسم السوق التي يشهدونها ذلك اليوم . ففي لغات بعض القبائل في جوار الكونغو اسم الاسبوع مثل اسم السوق . والاسبوع عند اهل تبت والصين مؤلف من خمسة ايام يسمونها حسب العناصر وهي عندهم الحديد والخشب والماء والريش والتراب

غير انهُ لما كان الناس يقسمون الزمان اشهراً متساوية اخذ بعضهم يقسمون الشهر الى اقسام متساوية . فقسمهُ البعض الى قسمين وقسمهُ غيرهم الى اربعة او ستة وهلم جرّا فكانت

الاقسام الأكثر شيوعاً هي التي توافق اوجه القمر والقسم منها سبعة ايام . ولا يزال كثيرون من الناس يقسمون الشهر القمري الى ارباع الى يومنا هذا . ويلي ذلك في كثرة الشيوع الاسابيع التي تقسم ايام الشهر الى خمسات او عشرات لان الانسان يعدُّ باصابع يدهِ او يديهِ كما اراد العد او الحساب

وقد جاء في فصل كتبهُ الكولونل الس « ان الشهر عند اهالي ايبو في الاقسام السفلى من النيجر ثمانية وعشرون يوماً ويقسم الى سبعة اسابيع كل منها اربعة ايام . والاسبوع عند اهل الكونغو مثل اسبوع هؤُلاء

وقال ده فاليا ان اهل سوفالا في شرق افريقية يحسبون الشهر ثلاثين يوماً ويقسمونهُ الى ثلاثة اسابيع في كل منها عشرة ايام الاَّ انهُ ذكر بعد ذلك ان اليوم الاول من الاسبوع الاول عندهم عيد الهلال ولعلهُ اراد ان كلاًّ من الاسبوعين الاولين يتألف من عشرة ايام كاملة اما الاسبوع الثالث فينتهي بظهور القمر الجديد . وكان اليونان يجعلون الشهر ثلاثين يوماً ويقسمونهُ الى ثلاثة اسابيع في كل منها عشرة ايام . وقبائل الأهانتا في شاطئ الذهب يجعلون كلاًّ من الاسبوعين الاولين عشرة ايام والاسبوع الثالث ما بقي من الشهر القمري ويطلقون على الاسبوع الاول اسم أُداي وجفاءلون به وعلى الثاني اجاين فو ويتشاءمون منهُ وعلى الثالث اديم ويعتقدون انهُ بين الاثنين لاسعد ولا نحس . واليوروبا من شاطئ الرقيق في غرب افريقية يحسبون الوقت ليالي واقماراً ويتألف القمر عندهم من ستة اقسام في كلٍّ منها خمسة ايام الاَّ السادس فانهُ يتألف من اربعة ايام وبعض اليوم . وقد كان اهالي جزيرة جاوى يقسمون الشهر الى ستة اقسام في كل منها خمسة ايام الى ان اتاهم العرب بالاسبوع المؤلف من سبعة ايام »

اما الاسبوع الذي شاع اكثر من غيره فهو الاسبوع المؤلف من سبعة ايام ويرجح ان اول من وضع الحساب بهِ الكلدان ثم اخذهُ عنهم سائر الامم في جملة ما اخذت من علومهم . وقد كان المصريون القدماء يقسمون الشهر الى اقسام كل منها سبعة ايام الاَّ انهم اخذوا اسماء الايام من الكلدانيين بعد بدء التاريخ المسيحي ومنهم اتصلت الى الرومان

وقد يستفاد من التوراة ان اصل الاسبوع من بدء الخليقة او من خروج العبرانيين من مصر غير ان يوسيفوس وغيرهُ من الكتبة يقولون انهُ ليس من اصل عبراني

وليس لدينا ادلة كافية على السبب الذي حدا بالكلدنيين الى جعل الاسبوع سبعة ايام ولعلهم قسموا الشهر القمري في اول الامر الى قسمين يبدأ الاول منهما من ليلة ظهور القمر

وينتهي ليلة اكتماله ومن ثم يبتدئ القسم الثاني وينتهي بظهور القمر الجديد ثم قسموا كلاً من هذين النصفين الى قسمين ايضاً اي قسموا الشهر القمري الى ارباع كما يفعل كثيرون حتى الآن

وذهب البعض الى ان الكلدان جعلوا ايام الاسبوع سبعة مثل عدد السيارات السبعة التي كانت معروفة عندهم واستدلوا على صحة ذلك باسماء الايام في الكلدانية فانها مثل اسماء السيارات غير ان ترتيب الايام لا ينطبق على ترتيب السيارات كما اورده الكلدان . فانهم رتبوا السيارات حسب البعد هكذا — زحل فالمشتري فالمريخ فالشمس فالزهرة فعطارد فالقمر . اما ترتيب ايام الاسبوع فكان هكذا — زحل فالشمس فالقمر فالمريخ فعطارد فالمشتري فالزهرة

ولكن وجدت كتابات كلدانية تدل على انهم كانوا يخصصون كل ساعة من ساعات النهار بواحد من السيارات و يطلقون على اليوم اسم السيار الذي تختص به الساعة الاولى منهُ وعليهِ تكون الساعة الاولى من اليوم الاول لزحل والثانية للمشتري والثالثة للمريخ وهلمَّ جرًّا الى آخر السيارات فاذا انتهت اعيد الدور ثانية فتكون الساعة الثامنة ايضاً لزحل ومثلها الخامسة عشرة والثانية والعشرون . والساعة التاسعة للمشتري ومثلها السادسة عشرة والثالثة والعشرون . واذا توبع هذا النظام بدون انقطاع كانت الساعة الاولى من اليوم الثاني للشمس والساعة الاولى من اليوم الثالث للقمر وهلمَّ جرًّا حسب ترتيب السيارات كما وردت في اسماء ايام الاسبوع

وسواء كان الكلدان قد قسموا الايام الى سبعات لان عدد السيارات سبعة او انهم قسموها اولاً الى سبعات لاسباب اخرى ثم اطلقوا على كل يوم منها اسم واحد من السيارات فهم واضعو الاسابيع ومنهم اخذتها سائر الامم

واسماء الايام في العربية مشتقة من الاعداد فاليوم الاول يسمى الاحد والثاني الاثنين والثالث الثلاثاء وهلمَّ جرًّا الى السادس فيسمى الجمعة للاجتماع فيهِ للصلاة والسابع فيسمى السبت وهي لفظة عبرانية معناها الراحة . اما في الجاهلية فكانت لها اسماء غير هذه جمعها الشاعر بقوله

أؤمل ان اعيش وان يومي	بأول او باهون او جبار
او التالي دبار او فيومي	بمؤنس او عروبة او شيار

ولم نرَ لاحد حتى الآن بحثاً في اصل هذه الاسماء وسنبحث عنهُ في فرصة اخرى

حمى مالطة

انتشرت هذه الحمى في القاهرة في السنين الاخيرة وقد شاهدت حوادث عديدة منها في الجيش وبين الاهالي فاحببت ان اذكر نتيجة اختباري مشفعاً ايضاً شذرات من تقارير الاطباء الاختصاصيين[1] ولا سيما اعضاء اللجنة الملكية التي ارسلت من بلاد الانكليز الى جزيرة مالطة لدرس هذه الحمى اذ كانت متفشية في الجيش الانكليزي المقيم هناك

وصف مختصر

هي حمَّى تطول مدتها من بضعة اسابيع الى بضعة اشهر ويصحبها عرق غزير وامساك واوجاع عصبية وروماتزمية وورم في الخصيتين والمفاصل وتضخم في الطحال والكبد والوفيات فيها قليلة والنكسات متعددة ويصاحبها ايضاً ضعف دم زائد (انيميا)

تاريخها — جاء في كلام ابقراط عن الاوبئة وصف ينطبق تماماً على هذه الحمى . اما تاريخها الحديث فيرجع الى اوائل القرن الماضي حيث ورد ذكرها في تقارير رجال البحرية والحربية الانكليزية ولكنهم كانوا يعدونها من نوع الملاريا المتقطعة ويقولون انهُ يصاحبها اوجاع روماتزمية ولم يُفصل بينها وبين الملاريا الَّا بعد حرب القرم اذ صاروا يعدونها نوعاً مستقلاً بذاته

ومن سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٦ ارسلت الحكومة الانكليزية بعثات طبية الى جزيرة مالطة للبحث فيها بناء على طلب وزارتي البحرية والحربية لانها كانت متفشية في حامية تلك الجزيرة . واذا علمنا ان المريض بها لا يشفى الَّا بعد مرور الاسابيع والشهور عرفنا مبلغ تأثيرها في اضعاف قوة الحامية التي يصاب ثلثها او ربعها بهذه الحمى . وقد توصلت اللجنة الانكليزية الى اكتشافات مهمة

اما كون هذه الحمى غير مقتصرة على مالطة فواضح مما يلي في جبل طارق حمى اعراضها تشابه هذه تماماً يصاب بها العساكر المقيمون هناك ويطلقون عليها اسم الحمى الصخرية . وفي قبرس وجزيرة كريت حمى تقرب منها . وبعض الاطباء الايطاليين وصفوا نوعاً من الحمى يشبهها كثيراً في نابلي وقطانيا (Catania) من جزيرة صقلية

وقد ذكر الدكتور بارسن ان هذا النوع من الحمى موجود في القسطنطينية حيث تدعى

(١) الاحصائيات المدونة هنا معربة عن مقالة للدكتور لاين توطر

حمى القرى - وفي كريت يطلق عليها اسم حمى ايطاليا . وبالاختصار ان جمهوراً كبيراً من الاطباء ذكروا هذه الحمى ووصفوا اعراضها. ويظهر من تقاريرهم انها منتشرة في كل سواحل البحر المتوسط وفي سواكن ومصوع على البحر الاحمر وعلى ضفاف نهر الدانيوب وفي الصين والهند وجزائر فيجي واميركا الشمالية وجزر الهند الغربية واميركا الجنوبية . فترى من هذا انها منتشرة في قسم كبير من المنطقة المعتدلة

ولم يعرف عنها شيء حتى نشر الدكتور بروس نتيجة ابحاثه عنها سنة ١٨٨٧

وقد كان الرأي الشائع انها تحدث من القذارة والسكن في المحلات الواطئة الرطبة . وهي تزيد صيفاً وتخبو شتاء

لم يوجد مكروب الحمى المالطية في غير الحيوانات ذات الدم الحار . والاعضاء التي وجد المكروب فيها هي الطحال والكبد والكليتان والعقد اللمفاوية والعقد اللمفاية والدم والصفراء ولكنهُ لم يوجد في الامعاء (الكبتن كندي)

وقد بحث اعضاء اللجنة الملكية المشار اليهم آنفاً بحثاً دقيقاً في الطرق التي بها ينتقل المكروب فحصوا الهواء الخارج بالتنفس فلم يجدوهُ فيهِ ولا في العرق ولا في البصاق ولا في القشور التي تحك من الجلد ولا في المبرزات ولكنهم وجدوهُ في البول فان الماجور هاروكس فحص بول ١٣ مريضاً ٣٩ مرة فوجد المكروب فيهِ كل مرة . ولم يجدهُ قبل اليوم الخامس عشر من ابتداء المرض ولا بعد اليوم الثاني والثمانين

وفحص الكبتن كندي بول ٦١ مريضاً فوجد المكروب في بول ٣٣ منهم ولم يعثر عليهِ الاَّ بعد ابتداء المرض بواحد وعشرين يوماً ولكنهُ رآهُ في البول في اليوم المئتين والتاسع والاربعين بعد ابتداء الحمى . ووجدتهُ انا في بول مريض في القاهرة في اليوم المئة والتسعين بعد ظهور العلة فيهِ

فيستدل من هذا على ان مكروب الحمى المالطية يبدأ يترك الجسم عن طريق الكليتين في البول من اليوم الخامس عشر الى ما بعد النقه وينتقل بواسطة اخرى وهي اللبن فقد اوضح الماجور هاروكس باجلى بيان ان لبن المعزى والبقر يحتوي على المكروب واذا كان الامر كذلك فليس ما يمنع وجودهُ في لبن الأُم المريضة بهذه الحمى . وقد وجدهُ الدكتور جلمر في دم ٢٢ في المئة من المعزى والدكتور زاميت في دم ٥٠ في المئة منها

ولنأتِ الآن الى الطرق التي بها يدخل الجسم فقد بحثت اللجنة الملكية الانكليزية بحثاً دقيقاً في هذا الموضوع فثبت لها ان المرض لا ينتقل باللمس ولم يقم دليل حتى الآن على انهُ

ينتقل بالتبار . وبحثت اللجنة في مياه الشرب والثلج والمياه الغازية المستعملة للشرب ايضاً فرأت انها لا تحمل مكروب الحمى

بقي مسألة اللبن والمرجح انهُ الواسطة الوحيدة لنقل العدوى فقد فحصوا اولاً دم المعزى على طريقة ڤيدال فوجدوا ان ٥٠ في المئة منها مصاب بهذه الحمى ورأوا المكروب في لبن عشرة في المئة منها وتبين لهم انهُ يبقى في جسم الماعز ثلاثة اشهر قبل ان تظهر عليهِ اعراض المرض او ان يحدث اي تغيير في اللبن نفسهِ . وقد سقوا قروداً من هذا اللبن على سبيل التجربة فظهرت عليها اعراض المرض والمرجح ان ما يصيب القرد يصيب الانسان ايضاً

اما كون العدوى تنتقل بواسطة البعوض او الناموس فلم يثبت الى الآن . ولكن الدكتور زامت ذكر انهُ عرض قرداً للسع بعوض قد امتص دم مصاب بالحمى فاصيب القرد بها

وتصيب الرجال والنساء والاطفال والشيوخ على حدٍ سوى فهي تختلف بهذه المزية كل الاختلاف عن الحمى التيفويدية

ثم ان هذه الحمى تعدي بواسطة امتعة المريض وثيابهِ الملوثة ببولهِ المحتوي على الميكروب فقد فحص الماجور هاروكس ثياب العساكر المصنوعة من النيل الهندي والملاءات فوجد المكروب فيها بعد اليوم الثمانين من وقوع الاصابات والدكتور شو وجد المكروب في القمصان بعد اليوم السابع والثمانين . وعليهِ يجب الاعتناء بتطهير امتعة المريض تطهيراً كاملاً

اما المكروب فسابح في الدم وهو نبات لا حيوان ويتحرك كمكروب الملاريا . ويظهر اما مستقيماً بشكل العصا او محنياً او بهيئة عقد . واول من ذكرهُ الدكتور بروس (Bruce) سنة ١٨٨٧ وهذا الوصف مأخوذ عنهُ . ويتصل بعضهُ ببعض فتتكون منهُ سلاسل

اما مدة الحضانة فمختلف فيها . ولكن الدكتور تشارترس ذكر انهُ بعد دخول احدى الفرق الى قشلاق ڤاردالا (Vardala) في مالطة بستة ايام ابتدأت حوادث هذه الحمى تظهر في جنودها . والدكتور مارستن يقول ان مدة الحضانة عشرة ايام وذكر حادثتين تأييداً لقولهِ هذا . وفي بعض الحوادث تبدو اعراض الحمى بغتة ولكنها لا تظهر غالباً الا بعد حدوث العدوى بوقت طويل فلا نكون مخطئين اذا حسبنا مدة الحضانة بين ٦ ايام و١٥ يوماً وهذا رأي اكثر الباحثين

الاعراض العمومية — يسبق ظهور الحمى سوء هضم وصداع وبرد في الاطراف ووجع في الظهر وانحطاط عمومي ويصحب ذلك في اغلب الاحيان اوجاع في العضلات . وتظهر الاعراض في المعدة من بداية المرض وتستمر الى النهاية فيشعر المريض بغثيان

الانسان في هذا العصر وضعف دماغ ارق انواع القرود وعظامهُ غليظة وعضلات صدغيهِ تمتد فوق قحفهِ اكثر مما تمتد في كل القحوف التي وجدت حتى الآن وفكهُ الاسفل يشبه الفك الذي وجد في هيدلبرج الّا انهُ اقرب منهُ الى فك القرد واقل غلظاً وتحدبا في مكان الذقن حتى يكاد يكون مستديراً . فهو شبيه بفك الشمبانزي من انواع القرود . واكتشفت اكتشافات اخرى تدل على ان الانسان كان منتشراً في اوربا وجزيرة جاوى وما بينهما من البلدان منذ نحو مئة الف سنة الى مليون سنة وانهُ كان على انواع مختلفة في ذلك العهد

الاخلاق[1]

ايها السادة والسيدات

لم يُخلق الانسان اميراً ولا كاهناً ولا سلطاناً ولا رئيساً ولا مرؤوساً وما السيادة الّا للعقل . وما التفاضل الّا بالمآثر والمبرات . فلا ينبغي ان يُرتفع امرؤ على آخر ويُفضل بغير عقلهِ ونفسهِ وادبهِ واخلاقهِ . كل ما خُص بلقب من خالقهِ اشرف من القاب الملوك والسلاطين . الا هو لقب « انسان » . ولكل منا حقوق طبيعية متساوية ملازمة غير متعدية لا يستحق ان يُدعى بشراً من ينام عنها او يُغضي على امتهانها . ولكل منا حقوق سياسية اجتماعية تنشأُ في حياتنا المدنية ومنها عارٌ علينا ان نسكت عن ينتضهما من اولي الرئاسة والامارة

« وأرى ملوكاً لا تحوط رعية فعلى مَ تؤْخذ جزية ومكوسُ »

ولكل منا حقوق ادبية نفسية ليس فوقها غير سنَّة الله السائدة في الاكوان لا نخضع فيها لسواها — لسنة الله التي تنير في الانسان الضمير كما تنير في السماء الكواكب والنجوم — لسنة الله التي تقرن نور الشمس بنور اليراعة وقوس قزح بالوان الطاووس وزئير الاسد بصوت النبي وتغريد البلابل بقوافي الشعراء . فحقوقنا الادبية النفسية التي لا نخضع فيها لغير سنة الله انما هي برهاننا على وجود الله . ولا حق اثبت منها واعلى . قد ألقى في السجن فاحرم حقوقي المدنية . وقد احرم قوتي وأمام العذاب تمتهن حقوقي الطبيعية ولكن السجن والجوع والعذاب لا تذهب بذرة من حقوقي الادبية الروحية . انك اذا استطعت حبس

---

(١) خطبة القيت في دار الكلية الاميركية في بيروت في ٨ مارس (اذار) سنة ١٩١٣

نور الشمس او ايقاف ريح السموم او تقييد امواج البحار لتستطيع سلب حق من حقوق اخيك النفسية . ولكنها قد تُغفل فيه فتفقد فتضعف فتموت . وكذلك حقوقهُ المادية كلها . ولا حاجة لان اضرب لكم الامثال ايضاحاً . فحرية الحركة مثلاً من حقوق الطبيعية وحرية التبعة من حقوق السياسية . وحرية الفكر والضمير من حقوق النفسية . وسياج هاته الحقوق كلها الاخلاق بل الاخلاق الطيبة السليمة الجيدة السامية . فاذا أُفسدت الاخلاق في امة نامت تلك الامة عن حقوقها . واذا نامت عن حقوقها استبد حاكمها . واذا استبد حاكمها ساء حالها . واذا ساء حالها خربت ديارها . واذا خربت ديارها حق لامة يائظة ناشطة راقية ان تتولاها فتعمرها

ملك اساسهُ الجهل والسفه وقوامهُ الاستبداد والجور ومظاهرهُ الفقر والبؤس والقذارة لهُ يوم من الدهر فيزول . امة لا تسمع فيها غير التأوه والانين والصراخ والشكوى لها يوم من الشقاء فيزول فيبعث الله من يحل قيودها . ويجمع دمها . وينعش بالعدل نفسها . وبالعلم يجدد قواها . كانت ايامٌ تباد فيها الامم . يبيدها الجهل او الوباء او المجاعة او الظلم او الحرب . واما اليوم فالامم تجدد شبابها لان المعارف والعلوم غير محصورة في فئة صغيرة من الناس . والاوبئة التي تساعد في افنائها الاضاليل يكاد العلم يستأصلها . وعاطفة سيف الامم الراقية شريفة تمدها اموال كثرت في البلاد المتمدنة لا تمكّن المجاعات من البشر . والحكومات الاستبدادية لم تعد تطاق . والحروب شبه حروب أتِلاّ وجنكيزخان امست في خبر كان . فلا خوف على الامم اليومَ اذاً الأ منها وفيها الخطر على حياتها في قلبها . في نفسها . في حكومتها . في الخاصيّ المائت من علومها ومذاهبها وتقاليدها . في فساد اخلاقها واحكامها وشرائعها

« وجدت الشرعَ مختلفهُ البالي كما خلق الرداء الشرعيّ »

فالاخلاق السليمة السامية الجيدة انما هي سياج حقوقنا كلها بل هي من اهم اركان الترقي والعمران . انها لنور العدل في الملك . ونور الايمان في الدين . ونور الصدق في العلوم . ونور الحياة الحقة في الامة ولنا ان نسأل ما هو مصدر هاته الانوار المعنوية وما هي خاصتها وغايتها . وبكلمة اوضح ما هي الاخلاق . وما هي اصولها واسباب رقيها . وما هي عوامل الفساد فيها . وكيف تُصلح اذا فسدت في الامة سأجيب مختصراً عن كلّ من هذه المسائل ثم اقابل بين ما عُرف من اخلاق الغربيين لعلنا نهتدي الى الاخلاق الاسمى فنتخلق بها

١

الخلق غير الطبع والمزاج · الخلق اطلاقاً ما يظهر من الفكر والنفس · والمزاج ما يظهر من الشعور · وفي القاموس الخلق الطبع والسجية والمروءة والعادة والدين · فجاء في التحديد بين الطبع والدين ما قد يكون من اهم مظاهر الاخلاق واصولها · ففي الطباع والسجايا شيء من الوراثة التي ليست من بحثي الليلة · واما المروءة مثلاً فخلق في الناس · المروءة مظهر من مظاهر النفس بل صفة راسخة من صفاتها لا يحتاج صاحبها الى اجتهاد او تكلف في اظهارها · وكذلك الشجاعة والكرم والحلم · وكذلك الجبن والبخل والغضب · هذه اخلاق قد تكون خاصيتها معنوية ومادية معاً · قد تكون في كريات الدم وفي الجهاز العصبي وقد تتصل اسبابها بنجوم السماء · ان مزايا النفس السامية التي لا يأتي عليها كيل ولا قياس ليراها الناس فيقدرونها انما هي مادية روحية · ومصدر المادة فيها لم يزل غامضاً نوعاً كمصدر الروح · اما المتطرفون من علماء النفس وعلماء المادة فلهم غير هذا الرأي · على انه لا ينكر ان مزايا النفس في بعض احوالها كالكهرباء لا تعرف الاَّ بمظاهرها · ففي الخلق العظيم الجيد شيء من طبع البربري واشياء من سجية النبي الالهية · واما الخلق العظيم عند السالكين اي الإعراض عن العالم والاقبال على الله تعالى بالكلية فتلك مسئلة اخرى اجيء بعد قليل على ذكرها

ولهذه المزايا النفسية علم هو علم الاخلاق او علم السلوك الف علماؤنا فيه مجلدات قلت فائدتها على كثرتها · وقد تستغربون قولي ان سيف علم الاخلاق عندنا ما يسد الاخلاق السليمة السامية · كان العرب في صدر الاسلام وفي الجاهلية يقومون المعوج في اميرهم بحد السيف · كانوا يقولون للظالم المستبد : اما ان تعدل واما ان تعتزل · ويعملون بما يقولون · فجاء بعدئذٍ من علموا علم الاخلاق بمقتضى الحكمة العملية فقالوا : « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه وكف لسانك عن سبهم » و « لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله » وكثيرة في كتبنا العربية امثال هذه الحكمة العملية التي قلما تراعى الحقيقة فيها · وضعت لتقييد المظلوم وتأييد الظالم · فافسدت اخلاق الاثنين

اما الحكمة الخلقية فبينها و بين الحكمة العملية تفاوت عظيم وفي تراجم النوابغ من رجال التاريخ مثال حي لهذا التفاوت · خذ اياً منهم كيوليوس القيصر مثلاً اوالفيروس او كرمول او نپوليون الاول · نوابغ السيف والروح بل الملك والدين · كل خطير النفس رفيع الاهواء بعيد الهمة كانت شريعتهُ الحكمة الفطرية في ما نالهُ من جسيم الامور الى ان صار سيداً في الناس وربَّ ملك في العالم · فوارس من فوارس السياد اوقدوا في الناس مشعال الحرية

والحقيقة فملأُوا البلاد نوراً ضوءهُ نورهم فرفعوا انفسهم الى مقام الآلهة واتخذوا الحكمة العملية سيفاً لتعزيز شؤُونهم وتنفيذ مآربهم. وفي الشرق حتى اليوم ملوك وامراء لا يستحقون ان يكونوا عبيداً لاولئك النوابغ الابطال يرفعون انفسهم الى مقام الالهة ويكافون الناس التبجيل والسجود

« ومن شر البرية ربُّ ملك يريد رعية ان يسجدوا لهْ »

الاخلاق قوى كامنة في النفس تؤَثر فيها الحوادث والاشياء فتظهر عفواً لغرض اولي هو ارتياح النفس واطمئنانها ولا يطمع صاحبها بادئ بدء الى معالي المجد او الشهرة او الغنى او السيادة . خذ الغربي في امة فسدت حكومتها فهو يناهضها في الدرجة الاولى طوعاً لحكم ضميره فتطمئن نفسهُ . ورغبة باصلاحها ثانياً فتصان حقوقهُ . واذا نتج عملهُ اصابهُ في الدرجة الثالثة منهُ بعض النفع والفائدة - فيمرّهُ اذ ذاك الكسب وتسمو به السيادة فيصبح وا اسماءهُ سياسياً شرعتهُ الحكمة العملية . اما الشرقي في مثل حاله فقد يتمثل باقوال الحكماء التي ذكرت شيئاً منها و يستعيذ من الظالم بالله . اذا وقف الغربي عند الدرجة الثانية من عمله كان عملهُ شريفاً مجيداً . واذا تعداها كان عملهُ مشوباً مشيناً . وفي كلا الحالين يظل احسن من ان « ندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيه » . عظم الهمة والجرأة الادبية ومناهضة الظلم والظالمين اخلاق غربية . والتصون والتقية والاستسلام الى الاقدار اخلاق شرقية

« نشكو الزمان وما اتى بجناية ولو استطاع تكلماً لشكانا »

٢

قلت ان الاخلاق مزايا راسخة في النفس تظهر في مظاهر شتى لغاية اولية هي ارضاء النفس واطمئنانها كالاستسلام الى الاقدار مثلاً عند الشرقيين . او السعي في مناهضتها عند الغربيين . او الهرب منها عند السوريين . لننظر الآن في اصول الاخلاق وعوامل التربية فيها اذا اجلنا الطرف في عالم الحيوان رأينا فيه امثلة من العمل والصناعة ورقي الحواس قلما نشاهد مثلها في الانسان ولكننا لا نرى فيها عامل الرقي حيّاً ثابتاً دائماً . فالنمل مثلاً لم يرتقِ في عمله منذ مدحهُ سليمان الحكيم - كانهُ مثل الانسان يضرب به الاطراء — ولا النحل ارتقى في صناعة العسل ولا البلبل في فن الانشاد ومهما بالغ الانسان في تربيتها تظل الغريزة فيها واحدة وتبقى قواها محدودة . وفي الانسان شيء ادبي روحي ثابت لا تؤَثر فيه الحوادث

والاشياء . الانسان مدني بالطبع وسيبقى مدنياً . وفيه فطرة خير لا يضعفها نكد الدنيا ولا يزيلها البؤس والاستبداد . وفيه عاطفة الحب حية ابدية . وفيه نزعة الى المجد والعلى في اكليل اعرافه العالية كلها . وفيه مزية سامية الهية تحبب اليه ما هو ثابت دائم ازلي فيعجب من مظاهرها في النمل والنحل والطيور ويأخذه الخشوع والتهيب عندما يشاهده منها في نظام الكواكب والافلاك . وعندي ان هاته الخاصية البشرية الالهية التي تتساوى اصلاً في الناس البدو منهم والحضر وتتفاوت فرعاً انما هي المصدر الحق لما ينشأ فينا من الاخلاق فتتباين وتتفاضل عملاً سنة الالفة والانفراد . خلق النساك هو واحد في الهند وفي جبل آثوس لا يتغير . والوفاء في الكلاب لا يظهر الا في مرافقتها الانسان . واخلاق البدو من العرب كانوا او من زنوج اميركا هي واحدة . وما يصح في البدوي يصح في القبيلة . وما يقال في الرجل المتمدن يقال في الامم المتمدنة . اي انها لا تفضل بعضها بعضاً ادباً واخلاقاً ولكنها تختلف في ذلك اختلاف عاداتها وتقاليدها وشرائعها . حرية الافرنسي الجمهوري مثلاً لا تفوق حرية الانكليزي الملكي . وليست اخلاق الانكليز بافضل من اخلاق الفرنسيس . بل الامتان تستويان في الفطرة البشرية السامية كما تتساوى افرادها ولا تختلفان الا ظاهراً وعرضاً كما تختلف الطيور في ريشها ولونها وكما تختلف في شكلها اوراق الاشجار — لا يفوتنكم ان موضوعي الاخلاق لا الطباع — اما النزعة الشديدة الى العلم . والطموح الى المآثر العالية . والصبو الى استطلاع ما وراء الاشياء الى اكتشاف اسرار الطبيعة ليستخدم ما فيها من القوى الكامنة في سبيل الرقي والعمران — رقي الانسان وعمران البلاد — فهذه كلها من المزايا الراهنة اليوم في روح المدنية الجديدة ولا فضل لامة على اخرى الا بما احرزته من جسيم الامور في مضمار الفكر والبحث والعمل وبما اكسبها نوابغها من مجد في سبيل الانسانية وفخر . وهذه السجايا الشريفة في الامم انما هي نتيجة الاخلاق السامية في افرادها العاملين . وهي السبب ايضاً في ما قد يكون اسمى منها في ابنائها الآتين

يقال ان الانسان ابن الاحوال اسير الحوادث خاضع لاحكام الزمان مقود بزمام القضاء . وقد يكون الحيوان وما في البشر من الحيوان كذلك . اما الانسان — وفي كل جماعة وكل امة نخبة — فهو فوق الاحوال والجوع والحوادث . وهو في الاحايين يتغلب على القضاء . فيكتشف بلاداً جديدة . ويغير خريطة العالم . ويذلل العناصر . ويسوق الى غرضه سنن الاكوان . ويهدم الهياكل ويؤسس الاديان . ويزعزع الممالك ويبيدها . ينبغ في الامم

المائتة روح الحياة . الانسان حر في ارادته وعمله وفكره . مهيمن على نفسه . مالك زمام الحوادث التي ترفع به الى ما فوق اصطلاحات الجموع واحكام الناس . ولو لم يكن كذلك لكان اعتقادنا بالله باطلاً . ولو لم يكن كذلك لكانت اخلاق البشر كغرائز الحيوان لا يعمل بها ناموس النشوء الحي ولا تؤثر فيها عوامل الارتقاء الثابتة

يقال ان سر السعادة في تكييف اميالنا لتوافق الاحوال التي نحن فيها لا في تكييف الاحوال لتكون لنا سلماً الى نشوئنا البعيدة وآمالنا العالية . وقد يكون هذا سر النجاح في التجارة وفي السياسة لا سر السعادة وقد يوافق الصيرفي والاسكاف والبقال . ولكن الانسان المدرك ما فيه من قوى الاكوان الكامنة الناظر الى اليد العلوية التي ترصع الافلاك بالنجوم وتخط فيها الاسرار وتنصب منها النفس البشرية محجة انوارها لا تنطق — الانسان الذي لا يعيش ليومه ولنفسه فقط يرى ان عليه ان يسعى ابداً سرمداً سعياً تروبض عقله للفكر وارادته للعمل وشعوره لما رق ودق في الحياة . علينا ان نجاهد في سبيل العلم الذي هو اساس ملك الانسان في الدنيا وفي الآخرة

هذه الارض موطن . قدس الله وموطن . قدس الانسان . ما فيها ينبغي ان يكون طوع ارادته خاضعاً لفكره عاملاً بمشيئته . البخار والكهرباء والاثير درجات في الفكر والاكتشاف تؤدي الى درجات في سماء النفس ونورها . من كان يحلم في الماضي ان قوة كامنة في الفضاء يتمكن الانسان من تجهيزها لتحمل انباءه من قطر الى قطر . التلغراف اللاسلكي اليوم . والتلفون اللاسلكي غداً . و بعد غد ان شاء الله نخاطب بعضنا بعضاً بواسطة النفس التي هي آلة الفكر الكهربائية . اضغاث احلام . ولكن احلام السلف واوهامهم هي اليوم حقائق راهنة

اجل سادتي . ان هذه الارض وهي ذرة في فضاء الاكوان بما فيها من قوات ظاهرة وكامنة و بما فوقها وحولها من العجائب والاسرار انما هي موضوع مساعي الانسان الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية . « ان الوجود لسر مكشوف » كما قال الشاعر الالماني الشهير . ولا يرى منهُ و يدرك غير ما نستطيع استخدامهُ والانتفاع بهِ . وما يرى و يدرك لا يذللهُ غير العقل . ولا يعمل العقل الا حراً مشجعاً . ولولا هذه الحرية وهذا الاقبال على العلم في البلاد العامرة الراقية لما اتصلنا الى رغم ما نحن فيهِ مجتنون من ثمار العلوم والصناعات . وان حب العلم وتشجيع العاملين بهِ لمن ثمار الاخلاق الشريفة السامية

٣

ها قد عدنا الى اصول الاخلاق بعد ان اختلفنا قليلاً الى بعض فتائجها · اجل ان اصول الاخلاق لفي هذه النفس الخالدة القلقة السامية المتيقظة النازعة الى استطلاع انباء ما وراء الطبيعة لاصلاح شؤون المجتمع ورفع شأن الافراد فيه والجماعات · والاخلاق في نشوئها ونموها وتنوعها خاضعة مثل مظاهر الكون لعوامل خارجية طبيعية واجتماعية · ولكن طيب شذاها لا يتغير بل تنوع عوامل الرقي فيها غصن ورد تزرع نصفهُ في تربة حارة في اقليم حار ونصفهُ الاخر في تربة باردة في اقليم بارد فلا يتغير في وردها غير الحجم واللون · اما شذا الوردتين بل نفسهما بل خلقهما فهو واحد في الحالين · هذا في النبات · وفي السياسة اذا تغيرت الاحوال تتغير مبادئ السياسيين واما فضائل النفس فهي واحدة في كل مكان وزمان · والنفس الكبيرة السامية لا تعمل فيها الحوادث ولا تفقدها الاحوال فضيلة واحدة من فضائلها · على ان مسلكها قد يتغير في الناس و يتنوع فتكسبهُ الاحوال شيئاً من روحها وطبيعتها · قال ابن خلدون « الانسان ابن عاداته ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه » والاصح انهُ ابن الاثنين

من الباحثين في طبائع البشر والعمران اناس يقولون ان عوامل الهواء والشمس تغير في جوهرها تغييراً بيناً · ومن هؤلاء العلماء منتسكيو وابن خلدون · اما ظاهر تأثير الهواء والشمس ففي الاجسام كما نشاهدهُ مثلاً في الوان البشر وريش الطيور · رأيت في احد متاحف لندرا نوعاً من الطير من فصيلة واحدة بعضهُ من اقليم بارد و بعضهُ من اقليم حار ولا يختلف في سوى لون الريش في الطيرين · اما تأثير الاقليم في الاخلاق البشرية ففيه نظر · يقول منتسكيو ان الجبن خلق في سكان البلاد الحارة وان الشجاعة من اخلاق سكان البلاد الباردة · ولكن الرومانيين قديماً (سكان ايطاليا الحارة) غلبوا السكوتيين (سكان بريطانيا الباردة) فتأملوا · وعندنا في العرب شاهد آخر · كان عرب البادية احسن خلقاً وارق نفساً من اهل البلدان المتمدنة التي احتلوها وسادوها ناهيك بشدة بأسهم وشجاعتهم · فاذا كان صحيحاً ما يقول ابن خلدون ومنتسكيو ان الحر يذهب بالبأس والمنة وهما من الاخلاق الجيدة في الناس لِمَ لَمْ يؤثر قديماً في الرومانيين ولِمَ لَمْ يؤثر في العرب ؟ أوَليست شجاعة الامم المعنوية الروحية فوق شجاعتها المادية ؟ قد فات ابن خلدون هذا · وما قولنا في الحبش وهم جيران العرب يسكنون في منطقة واحدة ولا يفصل بين الامتين غير البحر فاين منهم بأس العرب ومنعتهم ؟ واين آدابهم واين شعرهم ؟ هل تذكي الشمسُ قوماً

وتسعد قوماً ؟ وهل كان الاقليم عاتياً في امة متعاملاً في اخرى ؟ وهاكم مثالاً آخر من بحث ابن خلدون في تأثير الاقليم في الاخلاق وصف السودانيين بالخفة والطيش وشدة الطرب ونسب ذلك كما فعل منتسكيو بعده الى هواء بلادهم وشمس الاقليم الحارة . وقد كتب تسيتوس المؤرخ الروماني فصلاً في الشعوب الالمانية القديمة الذين استوطنوا البلاد الشمالية الباردة فوق نهر الدانوب فوصفهم كما وصف ابن خلدون السودانيين بالميل الشديد الى اللهو والطرب فقال « انهم في ايام السلم في هرج ومرج دائماً نائمون » ولم ينسب المؤرخ الروماني ميلهم هذا الى العوامل الطبيعية . اخلاق القبائل في امور كثيرة هي واحدة كما قلت ولا تختلف باختلاف الاقليم كما يظهر مما تقدم . اما اذا كانت طبيعة الفرح والسرور انتشار الروح الحيواني كما يقول ابن خلدون وطبيعة الحزن انقباضهُ وتكاثفهُ فتكون الحرارة سبب الاولى ويكون البرد سبب الثانية . ولكن هذا نظر سطحي . فالالمانيون القدماء كانت تغلب فيهم كما قال المؤرخ الروماني طبيعة الفرح والسرور واهل اوربا الشمالية اليوم وهم من سلالة اولئك الاقوام تغلب فيهم طبيعة الحزن والكآبة . وهواء تلك الاصقاع اليوم هواؤها منذ الفي سنة واقليمها واحد لم تتغير فيه شمسهُ وسماؤهُ . فما السبب في تغير طباعهم ياترى ؟

لم اكن لاستوقفكم عند هذا البحث لو لم تكن قد أتهمت سماؤنا نحن السوريين بجمود طباعنا . فقال الاوروبيون ان لطيف هوائنا وجميل جونا لما يدعو الى الخمود والخمول . ومعاذ الله ان تكون هذه السماء الجميلة سماؤنا ام هاته الآفات في ابنائها . وانما هنالك عوامل اخرى مدنية ودينية وادبية غير عوامل الشمس والهواء والبرد والحر

الاخلاق كما قلت مرايا راسخة في النفس تعمل في اظهارها الاحوال الاجتماعية في الدرجة الاولى . ومن هذه العوامل الاجتماعية العادات والتقاليد والشرائع والاديان . فهي تعمل في اصلاح الاخلاق كما تعمل في افسادها

وهاكم مثالاً من ترهات امة شرقية مما لم نزل نحن في بعضها كان للتتر ايام جنكيزخان قوانين واحكام سخيفة يراعونها و يعاملونها منزلة الشرائع الالهية . ومن اعرجها ان من يرمي سكيناً في النار يُعد مجرماً قصاصهُ الشنق وكذلك من نام على سوط او ضرب حصاناً برسنهِ او كسر عظماً على عظم آخر — ولكنهم وان احترموا مثل هاته الترهات من الاحكام لم يروا في نكث العهد عيباً ولا في السرقة والنهب والقتل ذنباً . فالاحكام السخيفة والشرائع الباطلة

افسدت اخلاقهم فامسوا لا يعرفون من الخير والشر غير ما اجازهُ الحاكم او ابطلهُ .
والشرائع الباطلة في امة لا تعرف غير اميرها سيداً تذهب بحرمة النواميس الطبيعية
والادبية . ناهيك عما لها من التأثير الخبيث في روابط الالفة وفي الجامعة الوطنية

« ان الشرائع القت بيننا إحناً واودعتنا افانين العداوات »

ليس الذنب اذاً ذنب سمائنا وهوائنا . بل هي الشرائع كما قال المعري ولم تزل كما كانت
في ايامهِ تعيث بالعقول وتفسد في الاخلاق

« كم وعظ الواعظون منا وقام في الناس انبياء »
« فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياء »

٤

اما عوامل التربية في الاخلاق فعديدة اذكر اهمها واذا حصرت النظر في اوربا فلأن
مدنيتها خلاصة مدنيات العالم جمعاء . في الاعصر الخالية عند سقوط الدولة الرومانية كان
الدين المسيحي العامل الوحيد في تلطيف اخلاق البرابرة هناك . ولكن الفساد الذي اعترى
ادعياءهُ بعد ذلك تفشى في البلاد وعم شعوبها فخيمت عليهم ظلمات امرها في التاريخ
مشهور . وكلنا نعلم ما كانت فيهِ تلك الامم من الجهل والخرافة والخمول يوم اشعل العرب
مشعال العلوم في بغداد فاتصل نورهُ بالاندلس وشع منهُ اشعة في صوامع الرهبان في اوربا .
فالرهبان اول من اشتغلوا في احياء العلوم في بلاد لم يكن ليسمع فيها غير قرع الرماح وصليل
السيوف . وللحروب الصليبية فضل في تدميث اخلاق الاوربيين وتلطيف ادوائهم . ونظام
الاقطاعات الذي لا يرى فيهِ بعض المؤرخين غير الجور والعسف والاستبداد ربى في
العامة اخلاقاً شريفة اهمها الوفاء والصدق واسس في الاسر الاوربية سيادة المرأة . والنهضة
الاصلاحية الدينية حررت نفس الانسان من قيود السلطة المطلقة . والثورة الانكليزية
الاولى اعطته ثقة بحقوقهِ . والثورة الافرنسية الشهيرة متعتهُ بها وعلمتهُ التؤدة والاعتدال .
وهناك عوامل اخرى عديدة كاكتشاف اميركا واختراع الطباعة واحياء الفنون والصناعات
مما هو من نتاج العقل الذي يجلو مظاهر الاخلاق ويشحذها

ولا يفوتنا ان نذكر بعض الفلسفات الاوروبية وفضلها في تهذيب الاخلاق كالفلسفة
الاستقرائية التي احياها دبكرت في فرنسا و . . . . في انكلترا فلفتت الاوربي حكمة الريب

وعودته ان يسأل « كيف ولماذا » في كل عقيدة ومذهب وتعليم . وحبَّبت اليهِ البحث العلمي والتمحيص . ثم الفلسفة الكمالية الالمانية التي غذَّت عقلهُ وقلبهُ . ثم الفلسفة الانكليزية العملية التي غذَّت جسدهُ فاشتد ساعدهُ وصحت عزيمتهُ . وفي هاتهِ الفلسفات كلها نرى ان المقام الاول في العمل انما هو للارادة فالارادة اذا ضعفت في المرء ضعفت فيهِ فضائل النفس والعقل والجسد كلها . والارادة مثل كل الجوارح فينا ينميها الترويض وتعززها الممارسة . وهل تظنني مغبوناً اذا حرمت نفسي قليلاً مما اعتدتهُ من اساليب الراحة والرفاه او عملت عملاً صغيراً استثقلهُ متعمداً في ذلك لا إماتة نفسي بل ترويض ارادتي العمل ؟ فاذا مرَّ عليَّ سنة وانا كل يوم اعزم عزماً مهما كان صغيراً وانجز العمل به استطيع ان اقول مع الفيلسوف كَنْتْ « عليَّ ان اعمل اذن لي ان اعمل » اذ ما الفائدة من هذه الافكار الجميلة افكارنا ومن هذه الخيالات السامية ومن هذه الاخلاق الفاضلة الجيدة اذا كنا لا نروّض انفسنا لها ونعمل بها عازمين حازمين لينتفع بها الناس ولينتفع بها الوطن

ولا انكر ان الضرورة في الاحايين تغير من اخلاق الناس فتحسنها او تفسدها . ضاقت مدينة اثينة على سكانها ايام مجدها . والارض المجاورة لم تكن خصبة فقلت المواشي وعزت فاغتنم الناس الاضحية . فافتى الحكماء . ان هدية تهدى الى الآلهة خير من ثور يذبح لها . فاتخذ الاثينيون الفتوى سنة لانهم كانوا اشد من الآلهة حاجة الى اللحم . وكان هذا سبب اعتدالهم وحكمتهم . حتى ان الناس بعدئذٍ وقد نسوا او جهلوا الاسباب قالوا ان الاثيني ارق في خلقهِ الديني من سواه . ومثل هذا في التاريخ امثلة عديدة لامور صغرت اسبابها وكبرت نتائجها

اما عوامل الرقي الفلسفية والفنية التي ذكرتها فقد لا تلزم لتهذيب الاخلاق في القبائل البدوية وقد تحرم منها امة وتكون اخلاقها سليمة كامة العرب في صدر الاسلام . ولكن الملك اذا اتسع وتعددت فيهِ المساعي والنزعات قام في خلقهِ من مظاهر الابهة والجلال والنفوذ والاقتدار ما لا تسلم عواقبهُ ويسلم الملك منها اذا حُرم عوامل الرقي الخلقية والعلمية والفلسفية والفنية . ولنا على ذلك شاهد من الدول الشرقية الماضية ومن الدولة العثمانية اليوم . ولكن بحثنا الليلة في الاخلاق لا في السياسة ستأتي البقية

امين الريحاني

ركوب الهواء

لا نزال بعيدين عن الزمن الذي يستخدم فيهِ ركوب الهواء للنقل والانتقال لكنهُ آتٍ كما اتى استخدام البخار . اما الآن فاستخدم في الحرب للاستطلاع والارهاب وفي السلم للنزهة والمباراة باقتحام الاخطار . وقد وقفنا على ما كتبهُ اثنان ركبا الهواء منذ عهد قريب الاول في الحرب والثاني في السلم ووصفا ما شاهداهُ وشعرا بهِ ادق وصف فرأينا ان نعرّب بعض ما قالا

ركوب الهواء في الحرب

قال الطيّار الروسي لوما اليموف الذي كان مع جيش البلغار وطار فوق ادرنه في اوائل الحرب ما خلاصتهُ

كنتُ في مصطفى باشا في الثامن عشر من اكتوبر (١٩١٢) وكان الهواء صاحيًا كأَنَّ الفصل غير الخريف . فجعلت انا ورفاقي نعد محرك الاروبلان ونركب اجزاءَهُ بعضها مع بعض وجعل الجنرال يدور حولهُ من وقت الى آخر وهو يتكلم معنا في امر الاستطلاع . ثم طلب مني ان اطير فوق ادرنه لكي اقف على احوالها وارمي فيها بعض المنشورات المطبوعة باللغة التركية وقد وعد فيها المحصورين بالمعاملة الطيبة ان هم سلموا لهُ . ولم اكن مستعدًّا لهذا الاستطلاع ولا كانت معي النظارات التي اقي بها عينيَّ ومع ذلك وعدتهُ ان افعل ما طلب . وكان معنا اروبلانان من نوع بلريو احدهما قديم ركبتهُ مرارًا والآخر جديد لم اركبهُ من قبلُ فاخترت القديم لاني قطعت بهِ مسافات شاسعة وعرفت اطوارهُ فجلست فيهِ وودَّعت الذين حولي وادرت الآلة وسلمت نفسي للهواء فارتفعت رويدًا رويدًا على مهل وكان النسيم عليلاً حتى كاد يتولاني النعاس

ومرَّت تحتي البيوت والحراج والآكام وصغرت الخيام حتى صارت نقطًا على بساط الغبراء فالتفت الى البارومتر واذا انا لم اعلُ غير ٦٠٠ متر فقلت في نفسي لقد شاخ هذا الاروبلان وضعف عن الطيران . وخفت ان لا يعلو بي عن ذلك الحد فتبلغني بنادق العثمانيين وجعلت احاول الارتفاع وهو لا يطيع لي امرًا الى ان أسقط في يدي فسلمت امري للمقادير . وكان جمال الطبيعة يختلب الالباب فنظرت الى ما حولي يمنة ويسرة وكأني سمعت صوت البنادق ودوي المدافع وملاك الموت من حولها يحصد الارواح ودماء القتلى تصبغ اديم الارض وانين الجرحى يمزق كبد السماء لا من يرثي ولا من يغيث . هنا تتبارى الامم ويمحق بعضها بعضًا لكنني لم اكن اسمع في الحقيقة شيئًا لان صوت الآلة ومقاومة الهواء صمّا اذنيَّ . الارض تحتي

قلقة مضطربة والمياه فوقي ساكنة هادئة وانا بينهما كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ

هناك ادرنه وهذا نهرها واما حصونها ومعاقلها وخيام جنودها فلا تزال على خمس كيلومترات مني وانا على ٩٠٠ متر فوق وجه الارض فلا ازال في موقع الخطر ولكن ليس تختي الآن سوى خنادق البلغار . ثم ارتفعت الى ١٣٠٠ متر وهذا ايضاً لا يكفي وقد فرغت حيلتي ورأيت ان لا بدَّ لي من الدنو من المدينة ولو بقيت على ثلاثة كيلو مترات منها فجعلت ادور حولها وانا اقترب منها رويداً رويداً فمررت فوق بعض الاكمات ورأيت الجيوش تستعرض فصوبوا بنادقهم اليَّ ورأيت الدخان خارجاً من افواهها ولكنني كنت اسعد من ان يصل اليَّ رصاصها فابتعدت عنهم واختنق دخان بنادقهم

ثم خطر لي ان آلتي لم تقع فالعلم بين هؤلاء الجنود فالتفتُّ اليها ورأيتها دائرة دوراناً منتظماً فاطمأنَّ بالي

الى الآن لم اصل الى ما فوق المدينة نفسها ولكن لا بدَّ من ان اطير فوقها وارمي المنشورات فيها فتأهبت لذلك ووجهت الاروبلان اليها ولم يكن الأ القليل حتى صرت فوقها تماماً فرأيت بيوتها تحيط بها الحدائق واخرجت رزمة من المنشورات ورميت بها فنزلت معاً ثم تفرقت وفي الحال جعلت البنادق تطلق عليَّ فخرقت رصاصة جناح آلتي الايمن فخفضت الرافعة خمس درجات لكي ازيد سرعتها ورميت رزمة ثانية من المنشورات ثم رزمة ثالثة واذا برصاصة خرقت الجناح الايمن على قدمين مني ورأيت الدخان ينفجر تحتي وعلمت اني رميت بمدفع رشاش . ورأيت بعد ذلك قاع الطيارة مخروقاً بالرصاص وثلاث قنابل بلغارية سقطت في الطابية . فابتعدت عن المدينة ووصلت الى مخيم البلغاريين وبعد ثلث ساعة بلغت مصطفى باشا سالماً

ركوب الهواء في السلم

لما صنع الكونت زبلن الالماني بلونهُ المسيَّر وطار بهِ الى ابعاد شاسعة وعاد الى المكان الذي طار منهُ حسب كثيرون انهُ حلَّ مسألة ركوب الهواء ولم يبقَ امامهُ الاَّ التوسع والاتقان . ثم لما سقط ذلك البلون وعصفت بهِ الرياح قال الاكثرون انهُ قضي على مراكب الهواء التي من نوع البلون ولم يبقَ لركوب الهواء الاَّ الطيارات المعروفة بالاروبلان سواء كانت من ذوات السطح الواحد او من ذوات السطحين . ولكن عزيمة الكونت زبلن لم تضعف بفشلهِ الاول فصنع بلوناً بعد آخر واستعان بالآلات المحركة التي استنبطت حديثاً لتسيير الاوتوموبيل والاروبلان فنجح نجاحاً باهراً

وقد ركب احد الادباء البلون المعروف باسم فكتوريا لويزا من بلونات زبلن وسار بهِ من مدينة دوسلدرف بالمانيا الى مدينة برلين عاصمتها مسافة اربع مئة ميل ووصف سفرتهُ بهِ قال

يظهر ان الرغبة في ركوب البلون شديدة جدًّا فلا يجد الانسان مكانًا فيهِ ما لم يوصِ عليهِ قبل يوم السفر بثلاثين يومًا . وكان ميعاد قيام بلوننا من دوسلدرف الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين صباحًا فوصلت الى المكان الذي يطير منهُ قبل الميعاد بساعة ولكنني رأيت الركاب قد ازدحموا فيهِ وكان ربانهُ يدور حولهُ وهو لا يزال في بيتهِ وطيارهُ يتفقدون آلاتهِ المختلفة وحبالهُ وطبقاتهِ

وكان الركاب ثلاثة وعشرين نفسًا فلما جلسنا في اماكننا بدت علينا كلنا امارات الاهتمام بما نحن مقدمون عليهِ . ورُفعت المرساة فارتفع رأس البلون وطار بنا في الجو بقوة آلاتهِ الرافعة والدافعة حتى اذا بلغنا حدًّا معلومًا من الارتفاع استوى البلون في سطح افقي وسار بنا سيرًا منتظمًا كأنهُ قطر من قطار سكة الحديد لا يرتفع ولا ينخفض ولا يميل يمنة ولا يسرةً . وكانت الريح تهبُّ جنوبًا بشرق واما نحن فكنا سائرين شمالاً كما يستدل من حركة الغمر . وطرنا فوق الضباب وكان يغطي وجه الارض وفوق النيران التي كانت السنتها تندلع من افواه مداخن المعامل وكنا اعلى من ان تصل الينا لكننا سررنا بالابتعاد عنها والسير فوق السهول والهضاب . وكنا نقطع اربعين ميلاً في الساعة والبلون يسرع اكثر من ذلك عند الاقتضاء فقد بلغ متوسط سرعتهِ في سفرة اخرى ٩٦ ميلاً في الساعة

ووصلنا فوق مدينة بريمن قُبيل الساعة السابعة فرأينا زُمر العمال آتين الى المعامل فنظروا الينا على غير اكتراث لكثرة ما شاهدوا هذا البلون وامثالهُ . وكنا من وقت الى آخر نرى تحتنا رجلاً يردُّ تحيتنا بمثلها . اما في الاريافِ ومزارع الفلاحين فكان الناس يقفون وينظرون الينا مسرورين وكانت المواشي تخافنا اذا رأتنا كأننا قضاء مبرم او طائر كبير آتٍ لاختطافها فتقف اولاً تحدق بنظرها الينا ثم تفرُّ لا تلوي على احد

ووصلنا الى فوق مدينة همبرج الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين فدرنا حولها وكنا نسمع لغط سكانها وآلاتها فوق صوت آلاتنا . وسرنا من هناك نحو برلين جنوبًا بشرق وعند الظهر صرنا فوق وادي الالب ومدَّت لنا حينئذٍ موائد الطعام فتغدينا غداء فاخرًا شوربا ومقبلات وروستو وخضر مطبوخة وسلطة وجبنًا وشربنا القهوة . وكان غداؤنا كالعشاء في تنوُّع اشكالهِ ولكنهُ لم يطبخ على نار بل طُبخ على الحرارة المتولدة من آلات البلون ونام اكثرنا القيلولة بعد

المعاء وكما نشعر ان الهواء نقي منعش يصلح للعمليات الجراحية من غير تطهير

وقبيل الساعة الثالثة مررنا فوق برج التلغراف اللاسلكي بنوان الذي يتراسل مع اماكن تبعد عنهُ ثلاثة آلاف ميل وكان في بلوننا جهاز لهذا التلغراف فتراسل هو والبرج ولكن الركاب لم يعرفوا ما دار بينهما

واستمر البلون سائراً بنا الى ان وصل الى مفرورفي برلين قبيل الساعة الرابعة فخفض رأسهُ كأنهُ ينوي النزول على العمال الواقفين في انتظاره لكي يمسكوهُ بحبالهِ . وهنا لقينا الصعوبة الوحيدة التي صادفتنا في هذه السفرة . فان ثقل البلون نقص نحو طن بما حرق من وقود فلما قلَّ دوران الآلات المحركة ارتفع في الجو فلما تمكن العمال من استلام الحبال التي ينزلونهُ بها حتى اذا بلغ الف قدم في الارتفاع أُطلق منهُ جانب من الغاز فثقل وعاد الى الهبوط والآلات المحركة تسددهُ الى المكان الذي يراد نزولهُ فيهِ . وبعد قليل استلمت آلة زمامهُ وانزلتهُ الى الارض فخرجنا منهُ على الرصيف المعد لنزول ركابهِ . انتهى

فهذا بلون يسير اربع مئة ميل اي نحو اربعة اضعاف المسافة بين القاهرة والاسكندرية يركبهُ ثلاثة وعشرون راكباً ما عدا ربانهُ وخدمهُ وفيهِ موائد الطعام وكراسي مبسوطة للمطالعة وكل لوازم الراحة ولا يشعر ركابهُ بشيءٍ من التعب . والاجرة الآن نصف شلن عن كل ميل ولذلك فالسفر فيهِ لا يزال من انواع الترف التي لا يستطيعها الاَّ الاغنياء . ويشترط في وسائل النقل والانتقال حتى تعمَّ ان تكون رخيصة او تكون درجات للاغنياء والفقراء . ولكن ما هو خاص بالاغنياء اليوم لا يبعد ان يصير عامًّا لجميع الناس غداً

وفي المانيا نوع آخر من البلون المسيَّر اسمهُ بلون بارسفال وهو كثير الاستعمال فيها مثل بلون زبلن او اكثر وقد صادف ربانهُ الكبتن ستلنغ مرة زوبعة اذاقتهُ المر وهاك وصف ما عاناهُ منها قال

سار البلون ضد الريح مع ان سرعتها كانت ٢٥ ميلاً في الساعة لكنني علمت اننا ملاقون المشاق حتماً ولم يكن الاَّ قليل حتى دخلنا نوءا كهربائيًّا فاشتدت العاصفة حتى اوقفتنا عن سيرنا ابتدأت ونحن على ٣٠٠ قدم فوق الارض ثم انصبَّ المطر علينا كالوابل المتون فزاد بهِ ثقل البلون . واستحال علينا ان نغالب العاصفة فنغلبها لان سرعة الريح تقل قرب سطح الارض ولكن الدنو من الارض لا يخلو من الخطر فقد كان على يميننا قرية ببيوتها وعلى يسارنا غابة باشجارها وامامنا أكمة مرتفعة فاضطررنا ان نسير في طريق سوي لا نعرج يمنة ولا يسرة وكلما وقفت الريح لحظة وثبنا بالبلون وثبًا وكدنا مرة نصطدم بصوار من البقر كان مجتمعاً بعضهُ

مع بعض ليتجنبو من عصف الرياح وكانت سرعتها قد بلغت ٤٥ ميلاً في الساعة

ولا تسل عمّا اصاب الركاب من الاضطراب حتى عزمت ان انزل بالبلون حيث كنا اذا لم تسكن الريح قبل الليل . وبعد جهاد ساعتين هجمت قليلاً فعاد البلون يسير وئيداً ثم اسرع قليلاً وكنا لا نزال على ستين قدماً فوق سطح الارض وهو موقف لا يخلو من الخطر لما يحتمل ان يصطدم به من الاشجار والبيوت ولكنني لم اجسر ان ارتفع اكثر من ذلك خوفاً من العاصفة

ثم زاد هجوم الريح فعلونا الى ٢٢٠ قدماً فوق الارض ووصلنا الى مدينة اوصنبرج عند الشفق فنزلنا هناك وتركنا البلون معرضاً للامطار والرياح الليل كلهُ لكنها لم تضر بهِ ضرراً يذكر ثم ركبناه في الصباح وطرنا بهِ الى مقرهِ . انتهى

وطول البلون الاول الموصوف هنا اي فكتوريا لويزا ٤٨٦ قدماً وعرضهُ ٤٦ قدماً وفيهِ ثلاث محركات من نوع ديزل قوتها معاً ٤٥٠ حصاناً ويمكن تسيير البلون بها ٥٠ ميلاً في الساعة اذا لم تكن الريح شديدة . واذا وقف محركان منها لسبب من الاسباب فالمحرك الثالث وحدهُ يكفي لتسيير البلون ضد الريح ولو كانت سرعتها ٢٧ ميلاً في الساعة . وفي كل بلون من بلونات زبلن جهاز للتلغراف اللاسلكي ليخبر بهِ عن حالة الهواء امامهُ حتى اذا علم انهُ ملاقٍ عاصفة تجنبها

والظاهر ان في الجو مجاري وانهراً وتيارات كما في البر والبحر وقد جعل ربانو البلونات يبحثون عنها الآن حتى يستخدموا النافع منها ويجتنبوا الضار . قال القبطان هيكر ربان البلون فكتوريا لويزا انهُ صادف الريح في الربيع الماضي تعصف عند سطح الارض عصفاً شديداً وكانت سرعتها ٣٠ ميلاً في الساعة فارتفع ١٨٠٠ قدم فوجد الهواء ساكناً لا يتحرك فارتفع الف قدم فوقها فوجد ريحاً سرعتها ١٥ ميلاً متجهة في الجهة التي كان يقصد السير فيها . واتفق مرة انهُ صادف زوبعة في طريقهِ واعلمهُ التلغراف اللاسلكي حينئذٍ انهُ اذا حاد خمسين ميلاً ابعد عنها فعل ونجا منها

وغرف هذا البلون مثل غرف اعظم الفنادق في اثاثها وتدفئتها وفيها كتب وجرائد ومقاعد للاستلقاء . والمجال على الركاب اوسع مما هو في مركبات السكك الحديدية ذات الكراسي وفي اماكن الغسل ماء بارد وماء سخن . واصحاب هذه البلونات في المانيا شركات تجارية غرضها الربح ويقال ان ربحها غير قليل فهي تحرص عليهِ وتهتم باصلاح البلون وزيادتهِ . ومتى صارت الاعمال تجارية فلا بد من ان تنتشر ويكثر استعمالها

كيف نشأ القمر

ان مسألة نشوء القمر من اعوص المسائل التي اشتغل بها علماء الفلك وحقهم ان يشتغلوا بها لانهُ اقرب الكواكب الينا و ينتظر منا ان نعرف من امره اكثر مما نعرف من امر غيره من اجرام السماء . ولا نريد بهذه السطور ان نلتفت الى الامور العويصة التي يختلف فيها علماء الهيئة مما يصعب فهمهُ الأعلى من جانب ابحاث الفلكيين الدقيقة في حركات الاجرام السماوية وتأثير بعضها في بعض . بل نكتفي بايراد اشهر الآراء الحديثة في اصل القمر معتمدين في ذلك على فصل للعالم هربسون نشرهُ في مجلة المعرفة الانكليزية

القمر خالٍ من الحياة مَن رأى سطحهُ الكثير الحزون والوهاد لا يسعهُ الا ان يحكم انهُ كان في سالف عهده كثير الاضطراب . واذا نظرت اليهِ بالتلسكوب عجبت من الوحشة المخيمة على ارجائهِ ولم يسعك الا ان تسأل عن اصل ما فيهِ من الجبال الشاهقة والاودية العميقة وعما انقضى عليها من العصور وهي على هذه الصورة . ثم تنتقل الى مسألة المسائل وهي كيف تولّد هذا النير وما هو اصلهُ وما سبب دورانهِ حول الارض ومتابعتهِ لها . وهو اقرب الاجرام الفلكية منا ومع ذلك ترى الآراء في اصلهِ متضاربة والحقائق المعروفة عنهُ التي يعتمد عليها في الوصول الى معرفة تكونهِ متناقضة اكثر من كل الحقائق المعروفة عن بقية اعضاء النظام الشمسي . غير ان هذا التناقض والتضارب مما يزيد الرغبة في البحث

واهم الآراء في اصل القمر رأيان الواحد ان اصلهُ سيار صغير اقترب من الارض فجذبتهُ او امسكتهُ واسرتهُ والثاني انهُ قطعة من الارض انفصلت عنها بقوة التباعد عن المركز الناتجة من سرعة دورانها على محورها . وقبل ان نبدأ بالكلام على هذين الرأيين لا بد من ايقاف القارئ على الرأي الشائع عن اصل السيارات وتكون النظام الشمسي

ذهب لابلاس الرياضي الشهير الى ان النظام الشمسي كان في الاصل ضباباً سديمياً او غازاً نورهُ ساطع من شدة الحرارة . فشعت حرارتهُ في الفضاء فتقلص وانفصلت منهُ حلقات تقطعت وتكونت منها السيارات و بقي قلب السديم يتقلص الى ان تكونت منهُ الشمس كما نراها الآن

ثم قام بعد لابلاس علماء غيروا بعض وجوه هذا الرأي على ما يطابق الحقائق التي اكتشفوها . فقد وجدوا ان لا موجب للقول بان السديم الاصلي كان شديد الحرارة كما قال لابلاس اذ يمكن ارجاع ما في الشمس والسيارات من الحرارة الى تقلص السديم فان ذلك

التقلص كافٍ لتوليد ما بقي فيها من الحرارة وما خسرتهُ بالاشعاع حين تقلّصها · ثم يبعد ان تكون سرعة السديم في دورانهِ بلغت حدًّا كافيًا لانفصال الحلقات عنهُ · ولو سلمنا انها انفصلت على هذه الصورة لوجب ان تكون دقيقة جدًّا والأ زادت سرعة اقسامها الخارجية على سرعة اقسامها الداخلية ونشأ عن ذلك اختلال في توازن القوة فيها · وتزداد سرعة دوران السديم تدريجًا كلما تقلّص وصغر حجمهُ مما يوجب انفصال حلقات كثيرة منهُ بعد بعضها عن بعض مسافات متناسبة اي ان الابعاد بين اجزاء نظامنا الشمسي يجب ان تكون على نسبة مخصوصة · وكذلك لو سلمنا بان السيارات نشأت من تقلص هذه الحلقات لوجب ان يكون بين السيارات تناسب في الاقل اكثر مما بينها · وزد على ذلك انهُ قد اكتشفت سُدُم كثيرة وليس بينها واحد تظهر فيهِ حلقات ذات مركز واحد كالحلقات التي فرضها لابلاس

وذهب العلماء مذاهب اخرى في تكون النظام الشمسي احدها رأي التصادم الذي قال بهِ الاستاذ بكرتن وشرحناهُ في العام الماضي

لنرجع الى ما وراء العهد الذي رجع اليهِ لابلاس ونبحث عن اصل السديم الذي تكلم عنهُ · ويظن ان السديم نشأ عن اقتراب نجم من الشمس التي كانت جسمًا مظلمًا في ذلك الوقت · وليس من الضروري ان يكون قد اصطدم بها فان وجود الاجزاء المختلفة من كل من الجرمين اي الشمس والنجم الذي دنا منها على ابعاد مختلفة عن مركز القوة المشترك بينهما كافٍ لان يفكك اجزاءهما بعضها عن بعض وان يمزقهما الى قطع صغيرة

ولا بد لهذه القطع من اتخاذ واحد من ثلاثة طرق الاول ان تبعد عن النظام الشمسي فلا تعود اليهِ والثاني ان تقع على الشمس والثالث ان تدور حول الشمس في فلك اهليلجي · ولو كانت الشمس سائرة في الفضاء على خط مستقيم ولم يعرض للقطع عوائق تغير مجراها لسارت كلها في الطريقين الاول والثاني فقط · الا انهُ لا بد من ان يكون بعض هذه القطع اصطدم بالبعض الآخر او عرضت لهُ قوة خارجية غيرت مجراهُ فاخذ يدور حول الشمس وتكوّن منهُ النظام الشمسي في عهدهِ الاول · وما بقي من القطع فاما انهُ وقع على الشمس فزاد حرارتها او انهُ ذهب في الفضاء فلم يعد الينا

ولعل الشمس كانت تدور على محورها قبل ان دنا النجم منها واحدث ذلك التفريق وليس من طريقة اخرى يعلل بها دوران اكثر المواد المتفرقة في جهة واحدة · وذلك لا يمنع ان يكون قسم كبير منها اتخذ وجهة تخالف هذه · ثم ان هذا الاختلاف في وجهة الدوران جعل بعض المواد يصطدم بالبعض الآخر فنشأت عن هذا الاصطدام مراكز قوة جديدة · ولما كثرت

هذه المراكز جذبت اليها القطع القريبة منها فجعلتها تدور حولها . ثم اصطدم بعض هذه القطع الدائرة حول المراكز بالبعض الآخر فضعفت قوتها واقتربت من المراكز تدريجاً الى ان لصقت بها . ومن البديهي ان قطع الشمس الاصلية جمعت اكثر من غيرها من هذه القطع لانها كانت اقرب الى المركز الاصلي وتزيد سائر المراكز بثقلها

ويمكننا ان نتصور النظام الشمسي يتكون من هذه القطع المتطايرة التي يزيد بعد بعضها عن بعض كلما بعدت عن المركز . وبقيت هذه القطع يصطدم بعضها ببعض فينشأ من تصادمها نور وحرارة وكانت اكثر الاصطدامات واشدها بالقرب من الشمس . ومع ان كلا من هذه القطع كان يسير في طريق خاص لا بد وان يكون معظمها جاري الشمس في جهة دورانها على محورها وان المجاميع التي تألفت منها وكانت تدور على نفسها كانت كلها في مستوى واحد هو المستوى الذي اتى به المجم نحو الشمس . فيكون منظر النظام الشمسي عند ئذٍ مثل منظر السدم التي نراها بالتلسكوب وتصوّر في المراصد على الالواح الفوتوغرافية

ومما يجدر ذكرهُ ان كلاًّ من السدم التي نراها يتألف من نواة يمتد منها ذراعان كلٌّ في جهة تخالف جهة الآخر على خط مستقيم . ولا نعلم سبباً ينتج مثل هذا الأ المد اي ان يحمل بالسدم جرمان غريبان فيجذباته كلٌّ في جهة كما تفعل الشمس والقمر بالارض اذ ترفعان ماء البحر في جهتيها . ولو كان ظهور الذراعين ناتجاً عن قوة التفرق بسبب الدوران لظهرت ذراعات اخرى في نقط مختلفة من محيط السديم او لو كان سببه قوة انفجار لوجب ان يظهر مثلها ايضاً في جهات مختلفة من النواة

هذا هو الرأي الحديث في تكون النظام الشمسي ويخالف عن رأي لابلاس بانهُ يجعل اصل السيارات من قطع دارت في قرص اهليلجي حول مركز محوري بينما لابلاس يجعل اصلها كرة من الغاز شديدة الحرارة تدور على نفسها . ويفضلهُ ايضاً بانهُ يتتبع الدور الذي جرى عليهِ تحول المادة من نجم الى سديم ومن سديم الى نجم وهذا مما يهون على العقل تصديقهُ وتصورهُ كما يسهل عليهِ تصور اللانهاية الدائرة او الحلقة ويصعب عليهِ تصورها بالخط المستقيم

ويجب ان لا يظن احد ان هذا الراي كافٍ لتعليل نشوء النظام الشمسي وانهُ يلتئم مع جميع الحقائق المعروفة بل انهُ لا يفضل غيرهُ الأ في ان الاعتراضات عليهِ اقل منها على غيرهِ . واذا سلّمنا بصحة هذا الراي لم يصعب علينا تصور نشوء السيارات واقمارها بتجمع القطع الصغيرة واجتذابها لما يدنو منها من القطع الاخرى . ويمكن تتبع ذلك الى نشوء

المجاميع الكبيرة التي تجذب هذه المجاميع الصغيرة اليها مع بقائها جميعها خاضعة لجاذبية الشمس ويستحيل ان يمسك جرم فلكي جرماً آخر ويجعلهُ يدور حولهُ بدون واسطة قوة خارجية.

ومن الامثلة على ذلك دنو المذنبات من النظام الشمسي . فان سرعة المذنب تزداد كما دنا من الشمس بسبب جاذبيتها ولكنهُ اذا دار حولها واخذ بالابتعاد عنها لا تؤثر في خفض قوتهِ الأ بقدر ما اثرت في زيادتها فيغادر المذنب النظام الشمسي بالسرعة التي اتى بها كأنهُ لا اخذ ولا اعطى . لكن اذا دنا من احد السيارات فقد يتغير مجراهُ بسبب جذب السيار لهُ فيأخذ بالدوران حول الشمس . وقد يتم ذلك بطريقة اخرى وذلك بان يمر المذنب في مادة لطيفة فيخسر بعض قوتهِ ويصبح اسيراً للشمس لا يقدر على الافلات منها . اما في الحالة الاولى فان القوة التي تؤثر في الجرم فتمكن الشمس منهُ قد تؤثر فيهِ ايضاً فتبعدهُ عنها

فلا بد اذاً من وجود مادة تعيق سير الاجرام لكي يتم امساكها على هذه الطريقة . ولقد رجح الاستاذ سي اكبر انصار هذا الراي وجود هذه المادة اذ من المحقق ان الغازات التي تولدت عند تكون النظام الشمسي بقيت مدات طويلة من الزمن قبل ان اتحدت بالقطع الجامدة او تجمعت حول العوالم بصورة جوّ لها وهذا يمكّن السيار من امساك قمر اذا دنا منهُ. ويؤثر وجود هذه المادة ايضاً في شكل فلك القمر فيقرب من الدائرة لان الدائرة تحيط بساحة اكبر من المساحة التي يحيط بها اي شكل آخر اذا كان طول محيطهِ مثل طول محيطها. وعليهِ فان الجرم لا يصرف من القوة في دورانهِ حول مساحة معلومة اذا كان فلكهُ حولها دائرة مثل ما يصرفهُ اذا كان لفلكهِ شكل آخر

وتمتد قوة جذب الارض الى تسع مئة الف ميل الى كل جهة منها فاذا دنا منها جرم على هذه المسافة جذبتهُ واسرتهُ . وبعد القمر عنها لا يزيد على مئتين واربعين الف ميل وفلكهُ في الدوران حولها لا يختلف عن الدائرة كثيراً فيمكن تعليل بعدهِ وشكل فلكهِ بانها جذبتهُ اليها فدار حولها . ومثل ذلك يقال في اقمار جميع السيارات الأ قمري المشتري وزحل الخارجيين فانهما لا يسيران في فلك مستدير حول سياريهما

وكان زحل يؤخذ مثلاً على نشوء السيارات وكانت حلقاتهُ تحسب عازاً في ايام لابلاس ولذلك ظن انها تؤيد رأيهُ . ولكن ثبت من بعدهِ ان هذه الحلقات مؤلفة من قطع صغيرة وبقي البعض يظنون انها قمر في حالة النشوء الى ان اثبت روش الرياضي الفرنسوي انهُ لا يمكن لقمر ان يبقى على مسافة قطر وخمسي القطر من السيار لشدة الجذب على هذه المسافة . فان كان في النظام الشمسي مادة منتشرة تعيق سير الاجرام فمن المحتمل حينئذٍ ان يقترب

القمر من سياره فيتمزق قطعاً صغيرة . وعليهِ فخلقات زحل مثال على نهاية عالم لا على نشوئهِ

فالقول بان الاقمار اجرام فلكية دنت من السيارات فامسكتها بقوة الجذب قول معقول ولولا تناقض بعض الحقائق المعروفة عن قمرنا لما اختلف اثنان في ان هذا الرأي يصح عليهِ . وان لم يكن قمرنا جرماً غريباً دنا من الارض فامسكتهُ بقوة الجذب ترجح انهُ قسم منها انفصل عنها كما قال انكساغوراس الفيلسوف اليوناني منذ سنة ٥٠٠ ق . م . ومما يؤيد هذا القول ان حجمي الارض والقمر يقربان الواحد من الآخر فالنسبة بينهما كنسبة واحد الى واحد وثمانين . واذا تركنا نبتون وقمرهُ (وهذا مشكوك فيهِ) فان اكبر قمر بالنسبة الى سياره هو قمر زحل الاكبر والنسبة بينهما كنسبة واحد الى اربعة آلاف وسبعمائة . فاختلاف قمرنا عن بقية الاقمار من هذا القبيل يرجح ان لهُ اصلاً غير اصلها . وليس في ذلك ما يمنع ان تكون الارض قد امسكتهُ على كبره بالنسبة اليها اذا دنا منها وهو يسير في مادة تعيق سيرهُ

اما المذهب القائل بان القمر جزء من الارض انفصل عنها بقوة التباعد عن المركز فقد لخصناهُ عن الاستاذ بكرنج الاميركي في المجلد الثلاثين من المقتطف حيث قلنا « ان القمر انفصل عن الارض حيث الاوقيانوس الباسيفيكي فلما طار الى الفضاء أطبق الماء من كل جانب ليملأ الفراغ الذي احدثهُ انفصال القمر مكان الاوقيانوس المذكور . وكان القمر في بدء امره اهليجيًّا بسبب شدة جذب الارض لهُ وعلى خطر التجزؤ اجزاء صغيرة ولكنهُ عاد فجمع اطرافهُ وصار كما يرى الآن وهو اكبر تابع من التوابع المعروفة بالنسبة الى متبوعاتها

« ومن رأيهِ انهُ لما انفذ القمر من الارض واملت الى الفضاء نشأ عن ذلك انفصال اميركا عن اوربا فكان الاوقيانوس الاتلنتيكي وان ذلك جرى ايام كانت الارض مائعة او شبه مائعة . فان فعل المد حينئذٍ — وما زال مستمراً — ودوران الارض على محورها جعلا شكل الارض كشكل الكمثراة وما زالت عنقها تدق وتقصر حتى انفصل رأسها فكان القمر

« وليس ذلك ختام الامر بل ان القمر لا يزال يتقهقر ودورة الارض على محورها تبطئُ والنتيجة اطالة اليوم الارضي حتى يعادل الوقت الذي يدور القمر فيهِ حول الارض وحينئذٍ يرينا القمر وجهاً واحداً ونريهِ وجهاً واحداً من ارضنا ويظهر ساكناً لا يتحرك في كبد السماء »

ويقال الآن ان هذا المذهب يصدق اذا كان الفضاء فراغاً تاماً خالياً من كل المواد التي تعيق سير الاجرام السماوية فيهِ ولكن اذا لم يكن فراغاً تاماً قوي الاعتراض على هذا المذهب وترجح عليهِ المذهب الثاني الذي يفسر وجود القمر حول الارض بانهُ نجم صغير من النجيمات الكثيرة دنا من الارض فاجتذبتهُ اليها فدار حولها

ملكا اليونان

الملك جورج الاول

كان الملك جورج الاول ملك اليونان سائراً في شوارع سلانيك على جاري عادته عصر الثامن عشر من هذا الشهر ومعهُ ياورهُ الكولونل فرنجوليس فدنا منهُ رجل من البهال فجأةً واطلق عليهِ الرصاص من مسدَّس فارداهُ. والموت على هذه الصورة اقل الميتات ألماً ولكن الجناية من افظع الجنايات واشدها ايلاماً للنفوس

نحن في حرب مع اليونان لكن الحرب لا تمنع الباحث الاجتماعي من ابداء الاسف الشديد على اغتيال ملكهم لان اغتيال الملوك يقوّض دعائم العمران ويحمي الناس فوضى ومن مشاركتهم في الحزن الشديد عليهِ لانهُ كان ملكاً دستورياً محبوباً من شعبهِ شديد الرغبة في ترقيتهِ

كانت بلاد اليونان في سالف عهدها مهد العلم والفلسفة ولم تزل تعاليم فلاسفتها نبراساً يستضاء بهِ. واعرف الناس بفضلهم ابناء العربية فترى علماءهم لا ينفكون من الاطناب في مدح الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني والتنويه بفضلها ولكن اخنى الدهر على تلك البلاد كما اخنى على غيرها من البلدان الشرقية حتى كاد يتلاشى آثار اهلها الاولين كما كاد يتلاشى سكانها حتى لم يبقَ منهم حين استقلوا الاّ نحو نصف مليون من النفوس. وقد استقلوا سنة ١٨٢٨ وجعلت بلادهم حينئذٍ جمهورية ونُصب عليها رئيس اسمهُ كبوديسترياس فاستبدَّ بالحكم استبداداً احنق الشعب فقاموا عليهِ وقتلوهُ وفشت الفوضى في البلاد. وكانت دول اوربا كارهة ثورة اليونان حاسبة انها فرع من الثورة الفرنسوية وانها اذا لم تُقمع خيف من امتداد شررها الى كل البلدان فيقوم الناس على ملوكهم ويقتلونهم. ولكن المتعشقين للآداب اليونانية والفلسفة اليونانية والصناعة اليونانية من الاوربيين والاميركيين اضطروا حكوماتهم الى الانتصار لليونان والاخذ بيدها فاتفقت انكلترا وفرنسا وروسيا سنة ١٨٣٠ على جعلها مملكة مستقلة تحت حمايتهن وضمنَّ لها قرضاً مقدارهُ ستة ملايين من الجنيهات والظاهر ان ضمان هذا القرض اسكت الماليين الذين ساءهم انفصال اليونان عن الدولة العلية فتركوها وشأنها

وعُرِض عرش اليونان حينئذٍ على غير واحد من امراء اوربا فلم يقبل بهِ الاّ البرنس

فردرك لويس ابن ملك بافاريا وكان عمرهُ ١٦ سنة فسمي الملك اوتو الاول وجُعل له وصيٌّ الماني الى ان بلغ سن الرشد سنة ١٨٣٣ وكان هذا الوصي من اهل الاستبداد فكرههُ اليونان وعزلهُ الملك واستقلّ بالملك ٢٩ سنة . ولكنهُ جرى على طرق الاستبداد ايضاً فخلعهُ مجلس النواب اليوناني سنة ١٨٦٢ وعرض عرش اليونان على البرنس البرت دوق ادنبرج فلم يقبلهُ فطلبت الجمعية اليونانية العمومية من الحكومة الانكليزية ان تختار لها ملكاً فاختارت ابن ملك الدنمارك اخا ملكة الانكليز وامبراطورة روسيا ولم يكن ابوهُ قد صار ملكاً فسمي جورج الاول وقطع لهُ ١١٢٥٠٠٠ فرنكاً في السنة وقطعت لهُ كلٌّ من بريطانيا وفرنسا وروسيا ٤٠٠٠ جنيه فوقها فصار المال المقطوع لهُ نحو ٥٢٠٠٠ جنيه او نحو نصف المال المقطوع لخديوي مصر . ولم تكتفِ انكلترا باختياره وقطع المال لهُ بل اعطت اليونان الجزائر اليونانية التي كانت لها

ولما اختير لذلك جعل شعارهُ « قوتي حب شعبي لي » وبذل جهدهُ حتى يجمع شعبهُ على حبهِ وكان يمشي في الشوارع من غير حرس كما يفعل ابوهُ وكثيراً ما كان يقف امام دكاكين بعض الباعة ويخاطبهم في شؤُونهم . وقد حاول الفوضيون اغتيالهُ غير مرة فلم يفلحوا والذي اغتالهُ اخيراً ليس منهم على ما يظهر

ويروى عنهُ انهُ كان ماشياً وحدهُ ذات ليلة من ليالي الشتاء المظلمة سنة ١٨٨٢ فرآهُ احد الحراس وناداهُ فلم يجبهُ فاطلق عليهِ الرصاص فمرَّت الرصاصة لصق كتفهِ فاستدعى ذلك الحارس في اليوم التالي وقلدهُ نشاناً بيدهِ لانهُ لم يتغاضَ عن القيام بما يطلب منهُ

وقد اخذ على نفسهِ لما نصب ملكاً ان يردَّ الى بلاد اليونان مجدها السالف ولكنهُ وجد اتمام ذلك اصعب مما قدَّر ولا سيما لما قامت في البلاد عصابة من اللصوص سنة ١٨٤٩ واختطفت اثنين من سياح الانكليز وواحداً من السفارة الانكليزية وواحداً من السفارة الايطالية وطلبت لفكاكهم مبلغاً باهظاً والعفو عما فعلت ولما لم تُجب الى طلبها قتلت هؤُلاء الرجال فقامت اوربا وقعدت لهذه الفعلة الشنعاء ورأى الملك حينئذٍ ان لا بدَّ من تأديب اللصوص وقاطعي الطرق فتعقبتهم الجنود واوقعت بهم حتى خلصت البلاد من شرهم

وكان كثير الاشتغال بمهام مملكتهِ وصفهُ احد الكتَّاب فقال ان حب الشغل خلق راسخ فيهِ فتراهُ في مكتبهِ باكراً كل صباح حتى في ايام الشتاء . ويقابل زوارهُ وكل من يمرُّ في اثينا ويطلب مقابلتهُ مرتين في الاسبوع فيجدهُ الذين يقابلونهُ واوراق المملكة امامهُ ينظر فيها

وقصر مملكة اليونان في اثينا من افخر قصور الملوك فيهِ قاعة للرقص ليس اكبر منها في قصر اخر بناهُ الملك اوتو وانفق عليهِ نصف مليون من الجنيهات وفيهِ من الصور والتماثيل والتحف ما يندر وجودهُ في غيرهِ وقد علّق فيهِ الملك جورج صور الرجال الذين كان لهم اليد الطولى في تحرير اليونان وترقيتها يونانيين كانوا او اجانب اعترافاً بفضلهم ومن اشهرهم لورد بيرون الشاعر الانكليزي الطائر الصيت . وكان واسع الخبرة جداً يقابل زوارهُ ويدعوهم يفيضون في الكلام معهُ حتى يستفيد من اختبارهم . ويراقب دواوين حكومتهِ وثكنات جيشهِ بنفسهِ وكثيراً ما يذهب اليها ماشياً وليس معهُ الاَّ رجل واحد او رجلان. والغاية التي كان يرمي اليها نجاح اليونانيين في بلادهم وتحرير الذين لا يزالون منهم خاضعين لدولة اخرى حتى يضم شتاتهم ويجعلهم مملكة كبيرة عزيزة الجانب

وقد اقترن بالاميرة اولغا ابنة الغران دوق قسطنطين اخي قيصر روسيا السابق ورزق منها ستة اولاد خمس صبيان وابنة . والملكة اولغا من نوابغ النساء تتكلم الانكليزية والفرنسوية والروسية والايطالية واليونانية والالمانية وكثيراً ما تلبس اللباس اليوناني القديم . وقد منحها عمها قيصر روسيا رتبة اميرال لشغفها بالملاحة وهي الامرأة الوحيدة التي اعطيت هذه الرتبة. واشتهرت في بلاد اليونان باعمال البر والاحسان فانشأت من مالها الخاص مدرسة لتعليم الممرضات وجمعت من الاغنياء مالاً انشأت بهِ مستشفى للفقراء

الملك قسطنطين

هو اكبر اولاد الملك جورج ولد سنة ١٨٦٨ ودرس في ليبسك وانتظم في الجيش الالماني وانتقل الى برلين واقترن بالاميرة صوفيا ابنة الامبراطور فردرك وشقيقة امبراطور المانيا الحالي فهو زوج اخت امبراطور المانيا وابن خال قيصر روسيا وابن خال ملك انكلترا. وقد اعتنقت زوجتهُ المذهب الارثوذكسي كما اعتنقهُ هو لان قانون البلاد يقضي ان تكون الارثوذكسية مذهب ملوكها بعد الملك جورج الاول الذي سُمح لهُ ان يبقى على المذهب البروتستانتي . وهو يشبه في شكلهِ وملامحهِ جدهُ الغران دوق قسطنطين الروسي ويعرف من اللغات الانكليزية والفرنسوية والالمانية واليونانية والروسية والدنماركية . وقد اشتهر في الحرب الاخيرة بادارتهِ الحربية فعسى ان تسعد بلادهُ في ايامهِ وتعود عرى الصداقة الى التمكن بينها و بين البلاد العثمانية

المكاتب الحربي

لم يعنَ الجمهور بامر مكاتبي الجرائد الذين يرافقون الجيوش الى ساحات القتال كما عُنوا بامرهم في الحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان لان الملازم وغمر مكاتب جريدة الرخسوصت الحصوية نشر من الاخبار والتفاصيل ما لا حقيقة لهُ على الاطلاق فاضطر المكاتبون الآخرون الى تكذيبهِ واستعرت نار الجدال في الجرائد والمجلات . ثم كتب المستر بنت مقالة في مجلة القرن التاسع عشر لام فيها المكاتبين الذين رافقوا الجيوش العثمانية فردَّ عليهِ المستر جورج بلنشر في تلك المجلة وقام المستر وليم مكـول مكاتب الدبلي ميل وهو من اشهر مكاتبي الجرائد الحربيين وانشأ مقالة بديعة في مجلة القرن التاسع عشر ذكر فيها كثيراً مما يعانيهِ مكاتبو الجرائد وما حدث لهُ ولغيرهِ في الحروب الاخيرة حرب السودان وحرب البوير وحرب اليابان والحرب الحاضرة فرأينا ان نعرّب اكثر ما جاء في مقالتهِ قال

هذه اول حرب حدثت منذ سنة ١٨٥٤ مُنع مكاتبو الجرائد من حضور معاركها . وتركيا ودول البلقان محقون في هذا المنع ولا لوم عليهم فان مكاتب الجريدة في الزمن الغابر كان يكتب ما يشاهدهُ ويرسل بهِ الى جريدتهِ فلا يصل اليها وينشر فيها الأ بعد ان تمرَّ ايام على ما رآهُ وكتب عنهُ فلا يستفيد المحاربون منهُ ولا يضرون بهِ . اما الآن فرسائل المكاتبين ترسل وتنشر في اليوم الذي ارسلت فيهِ ويطلع عليها الخصمان فلا يستطيع احد منهما ان يخفي عن خصمهِ ما يريد اخفاءهُ عنهُ فصار المكاتب من هذا القبيل جاسوساً يتجسس احوال الجيش ويطلع خصمهُ عليها وما من قائد يريد ان يعرف خصمهُ شيئاً عن جيشهِ . وغرض القواد الذين يرمون اليهِ هو قهر خصومهم لا تسلية قراء الجرائد

وقد كان مكاتبو الجرائد في العهد الماضي قليلاً منتخبين اما الآن فصاروا كثاراً وهم من كل طبقات الناس . ومنهم من يتبرَّع لمكاتبة الجرائد تبرُّعاً من غير اجرة حبًّا باقتحام المخاطر او رغبة في مشاهدة المعارك الحربية . وكثيرون منهم لا يعرفون كيف يكتبون او كيف يصفون وهم يحسبون ان مجرَّد الاقرار على كونهم من مكاتبي الجرائد يجعلهم اهلاً لمكاتبتها . وهذا يذكرني بما قالهُ احد كبار المحررين لصاحب جريدة . قال هذا كان يحبك البسط ثم انشأ جريدة واستخدم ذلك المحرر لتحريرها وكتب يوماً مقالة واعطاها لهُ لينقحها فتأفف المحرر من تنقيحها لركاكتها فاعتذر صاحب الجريدة من ذلك بقولهِ اني قرأت مقالات كثيرة

حسبت اني صرت قادراً على كتابة مثلها - فقال له المحرر وانا دست على بُسُط كثيرة ولم يخطر على بالي قط اني صرت قادراً على عمل البسط

وقد زاد عدد المكاتبين بتوالي الحروب حتى صار سيلاً جارفاً فقد كنا في ام درمان ستة عشر حتى قال لنا اللورد كتشنر اننا صرنا كافين لتأليف فرقة في الجيش ولكن المكاتبين المحترفين لم يكونوا سوى ستة ومنهم فرنك رودس الذي جرح وهربرت هوورد بن ارل كارليل الذي قتل . وكنا كثاراً في حرب البوير ايضاً وصرنا جيشاً جراراً في حرب الروس واليابان وبعضنا تطوع للمكاتبة تطوعاً غير طالب اجراً ولا شكوراً . وقبل ان خرجنا من اليابان قاصدين كوريا طلب ٥٦ منا مرافقة الجيش وهم ٣٣ من مكاتبي الجرائد الانكليزية و١٧ من مكاتبي الجرائد الاميركية واثنان من مكاتبي الجرائد الفرنسوية واثنان من مكاتبي الجرائد الالمانية واثنان من مكاتبي الجرائد الايطالية . وكان بيننا من مكاتبي الجرائد الانكليزية تجار وكتّاب ومعلمون وباعة وجنود ثم زاد عددهم لانهُ كان يأتينا فوج جديد مع كل باخرة وبينهم سيدة اميركية واخرى سويسرية

اما المكاتبون الذين رافقوا الجيش البلغاري فلا اعلم عددهم ولا الامم التي ينتسبون اليها لانهُ سُمح لي بمغادرة صوفيا قبل وصولهم ولكنهم لم يكونوا اقل من مئة وكان بعضهم ضباطاً في الخدمة فادعوا ان لهم امتيازاً على المحققين العسكريين لانهم مكاتبون وامتيازاً على المكاتبين لانهم ضباط . واكثرهم لم يكونوا مستعدين لهذا العمل لا بالمال ولا بالاختبار بل كانوا يحسبون ان الحكومة البلغارية والامة البلغارية تعيان بامرهم لانهم جاؤُوا لخدمتهما

وتختلف معاملة الامم للمكاتبين الحربيين اختلافاً كبيراً ففي حرب ام درمان صرَّح اللورد كتشنر انهُ لا يريد ان يكون معهُ احد من مكاتبي الجرائد مع انهُ هو نفسهُ كان مكاتباً لجريدة الستندرد ولكن توسَّط لورد روزبري في الامر فسمح اللورد كتشنر بقبول المكاتبين وبذل جهدهُ في تسهيل مهمتهم . وقد سهل مراقبة ما كتبوهُ لانهُ لم يكن هناك الاَّ جيش واحد وكان الرقيب السر فرنسيس ونجت

وفي حرب البوير كانت المراقبة على المكاتبين عسيرة لكثرة الجيوش وتفرقها وكانت منوطة بلورد ستنلي الذي هو اليوم لورد دربي فحتم ان لا يكتب المكاتب اكثر من رسالة في الاسبوع ولا يرسل فيه المصور اكثر من صورة

وقد قيل ان اليابانيين استعملوا من الوسائل ما يمنع مكاتبي الجرائد من مرافقة جيوشهم ولكن ذلك غير صحيح ولا اعلم ان امةً من الامم اعتنت بامر المكاتبين ووضعت

لهم قوانين معقولة كالامة اليابانية . وكانت قوانينها ترمي الى قبول المكاتبين الأكفاء دون المتطفلين على هذه الصناعة وقد سهلت لهؤلاء الأكفاء رؤية كل ما يمكن رؤيته من المعارك الحربية ورافقت ما كتبوه مراقبة معقولة فلم تحذف منه شيئاً يجوز نشره . واختارت المكاتبين وحددت عددهم وكان على المكاتب ان يأتي بشهادة من سفارته انه اشتغل بالصحافة سنة على الاقل وانه صالح لان يكون مكاتباً حربياً واذا وقع خلاف بين السفير والمكاتب احيلت المسألة على الحكومة التي ينتمي اليها ذلك المكاتب تحكم فيها . وبعد البحث والتدقيق اجيز لستة وخمسين مكاتباً بمرافقة الجيوش اليابانية فرافق الجيش الاول ١٦ مكاتباً ٨ منهم انكليز و ٦ اميركيون وواحد فرنسوي وواحد الماني . والجيش الثاني عشرون مكاتباً ١١ منهم انكليز و٦ اميركيون وواحد فرنسوي وواحد الماني وواحد ايطالي والجيش الثالث عشرون مكاتباً ايضاً ١٤ منهم انكليز و ٦ اميركيون

وأمر هؤلاء المكاتبون ان يبقى كل منهم مع الجيش الذي خرجت قرعته معه ولا ينتقل الى سواه . واتفق ان مكاتباً اميركياً مشهوراً لم يرضه هذا التقسيم فاقنع مؤلفاً اميركياً معروفاً ومصوراً انكليزياً مشهوراً بالاحتجاج على ذلك فكان الجواب لهم ان جاءهم ضابط من اركان الحرب وقال لهم سيقوم قطر من هنا الى اليابان بعد ساعة ويجب ان ترجعوا فيه الى طوكيو فكان كما قال

اما البلغار فلم ينتقوا المكاتبين كما فعل اليابانيون بل اجازوا اولاً مرافقة الجيش لكل احد مع ان اثنين من قوادهم اعترضا على ذلك ولكن البلغاريين خافوا ان ينفر المكاتبون فيسوء هؤلاء سمعتهم في جرائدهم ويثيروا شعوب اوربا عليهم

وحاول البلغاريون قسمة المكاتبين الى قسمين لكي يرسلوا قسماً بعد آخر فاعترض القسم الذي اريد تأخيره اعتراضاً شديداً اخاف البلغاريين فسمحوا لهم ان يسافروا كلهم من صوفيا الى مقر الجيش في وقت واحد وهم نحو مئة وهناك دبت الحية في رؤوس بعضهم فامتازوا على غيرهم ولو سراً وسمح لعشرة منهم ان يرافقوا الجيش الثالث وهم الكولونل رنكن مكاتب التيمس والمستر فرنك فكس مكاتب المورننغ بوست واما مكاتب الديلي ميل وثلاثة من الروس اثنان منهم ضابطان كانا دائماً يلباسهما العسكري الرسمي واربعة من الفرنسو بين اثنان منهم من الضباط . ولم يكن من شعوب المحالفة الثلاثية في معارك قرق كليسه ولولو برغاس وشطلجه غير مكاتب واحد . وقد ادعى المكاتب وعنر النمسوي انه كان مع الجيش الثالث ودوّن امثاله كلها تدوين المؤرخ المحقق مع انه لم يكن في ذلك الجيش احد من المكاتبين النمسويين

وقد منع المكاتبون الفرنسويون والالمانيون من مرافقته عن قصد لكي لا يروا الاساليب التي يجري عليها البلغار في حروبهم

وكنت من المكاتبين الذين اتيح لهم ان يرافقوا الجيش (الاوردي) الذي يختارونهُ فلما وصلت الى مصطفى باشا لم يسمح لي القائد بمرافقة جيشهِ مع ان جواز صريح . وكان هذا القائد لطيف المعشر وقد دعاني الطعام معهُ ولكنهُ ابى عليَّ مرافقة الجيش حتماً مع ان جوازي مضى من رؤسائهِ وقال ان لا بدَّ لي من البقاء في مصطفى باشا . ثم جاء الفرج من حيث لا ينتظر فانهُ جاء استاذان الواحد من المدرسة الحربية والآخر من جامعة صوفيا وكانا مكلفين بمراقبة ما يكتبهُ المكاتبون وأمرا بمرافقة الجيش الاول والجيش الثاني اللذين كانا سائرين نحو شطلجه والشقة بعيدة والسير فيها شاق ولم يجدا مطية يركبانها . وكان معي ومع الكولونل ركن اوتوموبيل فاتفقنا معهما على ان نأخذهما معنا اذا اذن لنا بمرافقة الجيش فصدر الاذن حالاً . وكانت سفرة كثيرة المشاق ذقنا فيها الامرَّين ولما وصلنا الى قرق كليسه فارقنا الاستاذان وغاص اوتوموبيلنا في وحول بابا فتركناهُ هناك

وقبل ان خرجنا من قرق كليسه دخلتُ حصونها وبحثت عمَّا جرى فيها . ولم يكن فيها احد من مكاتبي الجرائد حين احتلالها فكتب المكاتبون ما اخبرهم بهِ البلغاريون واشاروا اليها كأنها حصن كبير منيع قال اركان الحرب الامبراطوري الالماني انهُ لا يؤْخذ في اقل من ثلاثة اشهر . وقالوا ان البلغار اسروا منها اربعين الفاً ومئات من المدافع وما لا يقدَّر من الميرة . اما انا فكتبت ان قرق كليسه لم تكن محصنة وان ليس فيها الاَّ طابيتان قديمتان وليس فيهما مدفع من المدافع الكبيرة وكل ما فيهما بعض المدافع الصغيرة التي تنقل مع الجيش . فقرأ الرقيب للمراقب وقال لي لماذا لا تكتب كما كتب اخوانك فقلت لهُ ولماذا تسمح لهم ان يرسلوا الى جرائدهم هذه الاكاذيب . وكان الرقيب من اساتذة المدرسة الحربية فتبسم وقال اننا لسنا مسؤُلين عمَّا يكتبون ولا شأن لنا الاَّ منع انتشار الاخبار التي تضرُّنا واما الاخبار التي تفيدنا ولا تضرنا فلا نطالب عنها ولو كانت كلها اكاذيب

وقد اخبرني الكولونل جونستون بتفاصيل واقعة قرق كليسه واذا الذي حدث هناك حدث بعيداً عنها على اميال منها وليس لهُ شأن كبير واما قرق كليسه فلم تطلق فيها بندقية

ولا يخفى ان المكاتبين الذين يرافقون الجيوش ايام الحرب مضطرون ان يعرضوا كل ما يكتبونهُ على الرقيب وهو حرٌّ ان يحذف منهُ ما يشاء او يمنع ارسالهُ مطلقاً والمكاتبون يجتهدون كتابةً بالعمل بهذا القانون لكن بعضهم يحتال بكل واسطة ممكنة لمخالفتهِ . وكثيراً ما

تنشر الجرائد للفرقات تدّعي ان الرقيب لم يطّلع عليها وهذا اخلال بالعهد . ولكن الرقباء قد يغالون في تمنتهم فيحرجون المكاتب . ومنهم لا يحققون الاّ كل مدح مثل الجنرال داف في لادي سمث والسر فرنسس وينجت في السودان ولكن غيرهم لا يحققون هذا المدح ومنهم رقيب في السودان كان يعبث برسائلي حتى لا يبقى منها شيئاً واخيراً خطر لي ان اطرئهُ فكتبت رسالة اعتنيت بكتابتها وجعلت عبارتها متحجمة حتى يتعذر حذف كلمة منها وجعلت مدحهُ في وسطها . فشرع يقرأها والقلم الازرق في يده وهو يضرب على الكلمة بعد الاخرى الى ان وصل الى المدح فوقف هناك وقال لا بأس بارسالها بعد حذف كلمات قليلة منها . فقلت لهُ إما ان ترسل كلها او تحذف كلها . فقال اذن لا بد من اطلاع اللورد كتشنر عليها . فأرسلت ولم اعد اجد سعةً ما كنت اجد اولاً

لما رفع الحصار عن لادسمث في حرب البوير منع الرقيب كل اشارة الى الجنود والبطريات فكتبت التلغراف الآتي وارسلتهُ وهو هذا « لم يسمح لي بذكر اسماء الارط التي دخلت لادسمث . هذا ما اقرّ عليهِ الرقباء الذين اقامهم الجنرال بلروم يدعون مثل بعض رجال السياسة انهم ارفع من ان يقرأوا جريدة ويعتقدون ان الجهل قد اعمى البوير حتى انهم لا يعرفون اسماء الارط التي مرّ عليهم اربعة اشهر وهم يصدونها . واذا لم أتهم لمجاراة العدو فاني اقول ان القوة التي انقذت لادسمث كانت مؤلفة من رجال ومدافع وخيل »

وكانت مراقبة اليابانيين في حربهم مع الروس دقيقة جدًّا ولكنها كانت تجري على طريقة معقولة فكان الرقيب حدثياً واسع الاختبار ومعهُ اثنان من اساتذة المدرسة الحربية ولم يمضِ وقت طويل حتى صرنا معهم على تمام الصداقة كاننا اخوان

وقد حذا البلغاريون حذو اليابانيين فاقاموا اساتذة المدارس للمراقبة ولكن شتان بينهم وبين اساتذة اليابانيين في علمهم وسعة اختبارهم . وقد اختاروهم ظنًّا منهم انهم عارفون باللغات الاجنبية فكانت النتيجة ان اكثرهم كانوا لا رأي ولا شجاعة فلم يسلم للفراف منهم مهما كان خالياً من كل ما يحظر ارسالهُ . واذا ذُكرت فيه المدافع او البنادق اصابتهم منهُ هزة وقشعريرة . وكثيراً ما كانوا يجمعون المكاتبين في مكان واحد ويطلبون من كلٍّ منهم ان يقرأ ما كتبهُ على رفاقهِ . ولكن كان بينهم رقيب او اثنان من افضل الرقباء

ورجال الحرب اسهل مراساً من غيرهم فان الجنرال ديمتريف والكولونل جوستوف رئيس اركان حربهِ بذلا جهدهما ليساعدانا ويسهلا مهمتنا حيثما وصلنا الى شطلجه وسمحا لنا ان نشاهد مواقع الجيش . ولما ابتدأ القتال في ١٧ نوفمبر دعينا لمرافقة الجنرال ديمتريف واركان

حربهِ ولكننا لما عدنا في المساء منعنا من ارسال التلغرافات وتعشينا تلك الليلة مع الضباط · وكتبت تلغرافاً بالفرنسوية وعرضتهُ على الكولونل جوستوف وتوسلت اليهِ ان يسمح بارسالهِ فسمح لي وارسلتهُ ولكن عثث بهِ الابدي في الطريق فاتلفتهُ ولم يصل ما بقي منهُ الى لندن الاَّ بعد عشرة ايام

واصعب ما يلاقيهِ المكاتب الحربي الوصول الى بيت التلغراف لانهُ قد يكون بعيداً عنهُ مئة ميل ويتعذر عليهِ استعمال تلغراف الجيش لانهُ يكون مشغولاً بالمراسلات الرسمية حتى ان الكولونل جوستوف لم يستطع ان يرسل تلغرافاً الى زوجتهِ ويصلهُ الرد منها في اقل من شهر

ورفض اليابانيون في اول الحرب ارسال رسائل المكاتبين بتلغرافهم الحربي ثم سمحوا بارسال ١٢٠ كلمة كل يوم توزع على المكاتبين او يتناوبونها وكذا كانت الحال في حرب البوير وكنا نرسل الرسائل وقت حصار لاديسمث مع سعاة الهوتنتوت وندفع اجرة الرسالة للساعي عشرين جنيهاً الى خمسين وكنت احياناً ارسل اربع نسخ من الرسالة الواحدة مع اربع سعاة لكثرة ما كان يؤسر منهم واكتب لعامل التلغراف على كل واحدة منها ان يرسل التي تصل اليهِ اولاً ويهمل الباقيات · واتفق مرةً ان الجنرال جوبر امسك الساعي واخذ الرسالة منهُ وارسل اخبرنا ان الرسالة المرسلة الى جريدة الستندرد في بلاد الانكليز ستنشر في جريدة الستندرد في بريتوريا · فارسلت نسخة اخرى من تلك الرسالة ووضعتها في ظرف كتبت عليهِ الى الجنرال جوبر ان لا حاجة لهُ بها لان صورتها عندهُ · وأُسر الساعي ولكن الرسالة ارسلت الى لندن وردَّ لي الجنرال جوبر الظرف وعليهِ توقيعهُ ولم يزل عندي حتى اليوم

ولم يمسك البوير عن ظرفهم ومزاحهم حتى في ساعة الحرب ففي يوم عيد الميلاد اطلقوا على لاديسمث قنابل كتبوا عليها « A Merry Christmas » (وهي عبارة المعايدة عند الانكليز في عيد الميلاد)

وامتازت حرب البلقان بتضييقها على المكاتبين فصمتوا ولم يكتبوا شيئاً ولما رأى الملازم وغر مكاتب الرخسبوست النمسوية ان قراء الجرائد لا يصبرون على هذا الصمت جعل يختلق الاخبار ويرسلها الى جريدتهِ ويصف معارك حدثت في الخراج حيث لا معارك ولاخراج وانهراً جارية من الدماء حيث لا انهر ولا دماء · وعبر بمخيلتهِ اميالاً من الوحول حتى وصل الى شطلجه ثم جعل يصف المعارك التي حدثت فيها قبل ان أُطلقت فيها بندقية بايام حتى عجب اصحاب الجرائد في لندن وباريس وبرلين من بلادة مكاتبيهم مع الجيش البلغاري ومع الجيش التركي مع ان الاطرش في الاستانة كان يجب ان يسمع اصوات المدافع التي

ذكرها الملازم وغيره . ونشرت احدى الجرائد في ١٥ نوفمبر ان جيش البلغار اخترق قلب الجيش العثماني في شطلجه بعد معركة دامت اربعة ايام ونشر هذا الخبر في لندن قبلما ابتدأت الجنود البلغارية بالهجوم بيومين . وكتب مكاتب التيمس الى جريدته حينئذٍ يقول ان كل المعارك التي وصفها مكاتب الرخصوصت في شطلجه لم تقع الأ في مخيلته

وكل المعارك التي حارب فيها البلغاريون (قبل المدينة) ثلاث اولاها المعركة التي حدثت قرب قرق كليسه من ٢٢ الى ٢٣ اكتوبر والثانية معركة لولو برغاس و بنار حصار من ٢٨ الى ٣١ اكتوبر والثالثة معركة شطلجه من ١٧ الى ١٨ نوفمبر . واما ادرنه فقصد البلغاريون من اول الامر ان يحصروها لا ان ينازلوها و يحاربوها

ولم يحسن البلغاريون معاملة مكاتبي الجرائد بل اخذوا اجور التلغرافات منهم ولم يرسلوها او ارسلوها بعد ان ضاعت فائدتها والفرق بينهم و بين اليابانيين شاسع كما ترى من القصة التالية

استدعاني الجنرال فوجي رئيس اركان حرب الجنرال كيوروكي بعد واقعة شاهو وسلّمني تلغرافاً فيهِ « طوكيو في ٨ دسمبر من الجنرال موراتا الى الجنرال فوجي نودُّ ان يبقى المستر مكسول مكاتب الستندرد مع الجيش ولكن اصحاب جريدته طلبوا ان يرجع الى بلادهِ هرباً من كثرة النفقات فأجيبوا ان قوانين الجيش تمنع خروجهُ منهُ لكن اصحاب جريدتهِ خاطبوا السفير هياشي في لندن في ارجاعهِ . ونحن لا نستطيع ان نمنعهُ من الرجوع فانظر في الامر واجبني باسرع ما يمكن »

فلما قرأت هذا التلغراف قلت انهُ لم يبلغني قبل الآن انني استدعيت ولا اجبتُ بما نُقل عن لساني فقال الجنرال فوجي ان استدعاءك وصل اليَّ وانا اجبتُ بان قوانين الجيش تمنع رجوعك . فقلت ولكن اذا اردتُ الرجوع فلا احد يستطيع منعي فقال الامر كما قلت ولكننا نريد ان تبقى معنا ولما كان الداعي لرجوعك هو النفقة فاذا اردت البقاء فنحن نقوم بنفقاتك وندفع راتبك واجرة تلغرافاتك

فقلت اني لا اريد ان اكون اجيراً لكم . فقال « ألا تود ان ترى سقوط بورت ارثر » . فمالت نفسي الى البقاء لانني حضرت حصار لادسميث من اولهِ الى آخرهِ ووددت ان ارى نهاية هذه الحرب بسقوط بورت ارثر فوقفت افكر في الامر . فقال لي لك ان تذهب الى بورت ارثر اذا اردت وتعود الينا بعد سقوطها . فخطر لي حينئذٍ ان اعرّج على بكين وسألتهُ هل يباح لي ذلك فوقف كأنهُ ارتاب في الامر فقلت لهُ اني اعدك بانني لا ارسل تلغرافات

منها الى جريدتي . فقال لا اعتراض على ذهابك الى بكين ولا على ارسالك التلغرافات منها وقت في الصباح قاصداً بورت ارثر فودعني الجنرال كيوروكي وهو يدعو لي بسلامة الذهاب والاياب ووصلت بورت ارثر وشاهدت سقوط الحصن الاخير من حصونها والهجوم على السور الصيني ودخلت المدينة مع الجنرال نوجي وجنوده ورجعت الى طوكيو مع الاميرال ورن والجنرال سمرنوف اللذين فضَّلا الاسر في اليابان على ان يعدا بان بقيا في روسيا ولا يحاربا

وسألني الجنرال نوجي ذات يوم لماذا لا ادنو منهُ حينما تكون رحى الحرب دائرة . فقلت لانهُ اذا دنا مكاتب من قائد اوربي وقت الحرب طردهُ طرداً . فقال ادنُ مني كما رأيت سيكارة في فمي ولا تخف . وكثيراً ما كان يشرح لي تفاصيل المعارك الحربية شرحاً بالغاً الغاية في الفائدة واذا قُطع الكلام لسبب من الاسباب عاد اليهِ بعد ايام وابتداهُ من حيث انقطع كأنَّ ذاكرتهُ لا تنسى شيئاً

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة .

عقيدة التوحيد

جاء في مقتطف يناير سنة ١٩١٣ صفحة ٩٣ تحت تعدد الآلهة ما نصهُ

ام درمان : محمود افندي الناظر . كان قدماء اليونان يقولون بتعدد الآلهة ويقولون ان للجمال الهاً وللنور الهاً وللحرب الهاً . فكيف ذلك مع انهُ كان فيهم فلاسفة مفكرون : –

الجواب : يظهر لنا ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد . فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكماً لا موجب لهُ لانهُ كما يصح عقلاً ان يكون في العالم اله واحد يصح ان يكون فيهِ الهان او ثلاثة

او اكثر — سمعنا مرة عالماً من اكابر العلماء يبرهن على وجوب وحدة الخالق بقوله اذا وجد الهان فيستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء واذا اختلفا في القوة تغلّب احدهما على الآخر ولاشاهُ فيبقى الهٌ واحد. فقلنا لهُ كيف تثبت المقدمة الاولى وهي قولك انهُ يستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء فقال هاتوا لي شيئين متساويين فقلنا ان الجوهر الواحد من الذهب او الفضة يماثل الجوهر الآخر وهب انهما مختلفان فاحدهما لا يلاشي الآخر فوجم كأن هذا المثل لم يخطر على بالهِ قبلاً • ولذلك يرجح علماء الاديان الآن ان عقيدة التوحيد وصلت الى الناس بالهام الحي • انتهى

ولما كانت عقيدة التوحيد من اهم العقائد التي كلف الله بها عبادهُ حتى قال كثير من علماء الكلام ان الشخص البالغ العاقل مكلَّف بها ولو لم يكن شرع اكتفاء بدلالة العقل واوَّلوا قولهُ تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) بأن المراد من الرسول العقل وكانت هذه المقالة التي بالمقتطف تنافي ذلك وتباينهُ وجب ان نبين الحق من الباطل في هذا الموضوع دفعاً لما عساهُ ان يلتبس على العوام في هذه المقالة فنقول :

تضمنت هذه المقالة اموراً — الاول ان عقيدة الوحدانية انما تصل الى الناس بالهام الحي لا بالعقول — الثاني • ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى تلك العقيدة والاَّ كانت وصول بعض الناس الى تلك العقيدة دون بعض تحكماً : الثالث ان العقل كما يصح عندهُ ان يكون الاله واحداً يصح عندهُ ان يكون متعدداً وكل ذلك باطل

اما الاول فلانهُ لو كانت عقيدة التوحيد انما تصل بالالهام لا بالعقول والافكار لما صح ان يكلف الله بها عبادهُ لانها على هذا الاعتبار ليست مقدورة للعبد وليس في وسعهِ الاتيان بها ولا حصولها في نطاقه — لا يكلف الله نفساً الاَّ وسعها

واما الثاني فلأنهُ لم يقل احد ان الموصل مطلق الفكر حتى يلزم من وصول بعض الناس بهِ دون بعض تحكم بل الفكر الصحيح المستوفى الشرائط المبينة في علوم الحكمة ولم يخالف في افادة النظر الصحيح العلم اليقيني الاَّ من شذ من السمنية عباد الاوثان القائلين بالتناسخ زعموا انهُ لا يفيد العلم مطلقاً لا في الالهيات ولا في غيرها والاَّ شرذمة من المهندسين في خصوص الالهيات زاعمين ان المقصود فيها الاخذ بالاليق والاولى • والبرهان قائم على بطلان هذين المذهبين واثبات ان الفكر الصحيح يفيد العلم مطلقاً في الالهيات وغيرها وانهُ متى حصل النظر الصحيح لزم حصول العلم — والدليل على افادة النظر الصحيح العلم انا نعلم بالضرورة ان من علم لزوم شيء لشيء كلزوم طلوع الشمس لوجود النهار وعلم مع ذلك وجود الملزوم علم وجود

اللازم وان علم مع ذلك نفي اللازم علم نفي الملزوم . ومن علم ان العالم ممكن وان كل ممكن له سبب علم ان العالم له سبب فثبت ان النظر الصحيح يفيد العلم مطلقاً في الالهيات وغيرها. والدليل على لزوم العلم للنظر الصحيح وعدم انفكاكه عنه ان من علم ان العالم متغير وان كل متغير ممكن اذا استحضر هاتين المقدمتين ولاحظ ترتيبهما استحال ان لا يعلم ان العالم ممكن

واما الثالث فلأن التعدد في الالوهية مستحيل لما سنبينه ومن البديهي ان العقل لا يصدق بوجود المستحيل بل لا يتصوره الا ضرب من التشبيه او على وجه النفي فلا يصح قوله ان العقل كما يجوز ان يكون الاله واحداً يجوز ان يكون متعدداً

فالحق ان تلك العقيدة وصلت الى الناس بنظر العقل الصحيح وفكر الثاقب في آيات الله ومصنوعاته الدالة على وحدانيته : ففي كل شيء له آية تدل على انه الواحد : وانما اختلفت الناس في تلك العقيدة لاختلاف انظارهم بالصحة والفساد فمن تجرد عقله من غواشي الوهم واعمل فكره في تحصيل المقدمات الصادقة ورتبها ترتيباً صحيحاً وصل الى تلك العقيدة الصحيحة ومن غلب على عقله الوهم والخيال قاده ذلك الى مقدمات وهمية وترتيب فاسد فتكون نتيجته باطلة ولذلك استدل الحكماء الفلاسفة اليونانيون وغيرهم والمتكلمون جميعهم على تلك العقيدة بالادلة العقلية وهم اساطين الكلام وقادة الانام يجوزون الاستدلال عليها بالادلة النقلية ايضاً وردوا على مخالفيهم في تلك العقيدة مفندين ما استدلوا به من الادلة الفاسدة

لو فرض الهان صانعان قادران على الكمال بالفعل او بالقوة لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما حركة جسم والآخر سكونه فلنفرض ذلك التمانع واقعاً لان الممكن هو الذي لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته والا لكان ممتنعاً لا ممكناً ولا شك ان كلا من الارادتين وتعلقهما ممكن في نفسه ولا تضاد بينهما بل بين المرادين : فلا يقال اذا اراد احدهما الحركة كان السكون مستحيلاً . فلا تتعلق به ارادة الآخر على ان المفروض توجه الارادتين معاً لا متعاقباً واذا تمانعا فاما ان يحصل مرادهما معاً فيلزم ان يكون الجسم متحركاً ساكناً في آن واحد وهو محال واما ان يحصل مراد احدهما فالذي لم يحصل مراده يكون عاجزاً فلا يكون الهاً : واما ان لا يحصل مراد واحد منهما فيرتفع الضدان المتساويان كالنقيضين وهو باطل ويلزم عجز كل منهما فلا يكونان الهين

فثبت ان امكان التعدد مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالاً وهذا الدليل المتقدم يسمى برهان التمانع . وللمتكلمين ايضاً برهان آخر يسمى برهان التوارد نقرره :

لو وجد الهان قادران على الكمال مستجمعان شروط الالوهية لامتنع وجود شيء من العالم وامتناع وجود شيء من العالم باطل — اما المقدمة الثانية فدليلها المشاهدة — واما المقدمة الاولى فدليلها انهُ لو وجد الهان مستجمعان شروط الالوهية لكانت نسبة المقدورات الى كل منهما واحدة لان المقتضي للقدرة الذات والمصحح للمقدورية الامكان . فتكون قدرية كلٍ عامة لجميع الممكنات . وحينئذٍ فاذا فرضنا مقدوراً معيناً يراد وقوعهُ فاما ان يقع لكل واحد منهما استقلالاً في آن واحد وهو باطل للزوم اجتماع المؤَثرين المستقلين على اثر واحد بالشخص وهو محال بالبداهة وان وقع بكل منهما متعاقباً لزم عليهِ تحصيل ما هو حاصل وهو باطل بالبداهة واما ان يقع باحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجح وهو محال ايضاً واما ان لا يقع فيلزم عجزهما . فثبت انهُ لو وجد الهان قادران على التمام مستجمعان شرائط الالوهية لامتنع وجود شيء من العالم . وعلمت ان امتناع وجود شيء من العالم باطل بالمشاهدة . فثبتت وحدانية الاله واستحالة التعدد . ولم تتعرض لاحتمال ان يقع المقدور المعين بمجموع القدرتين الالهيتين لظهور بطلانهِ بقولهِ قادران على الكمال

والوصول الى عقيدة التوحيد بنظر العقل الصحيح لم يخالف فيها الا الثنوية دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالوهية وان اطلقوا عليها اسم الآلهة بل اتخذوها على انها تماثيل للانبياء او الزهاد او الملائكة واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلاً بها الى ما هو اله حقيقة . قال تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم الاَّ ليقربونا الى الله زلفى) فعدهم من المشركين لقولهم بتعدد المستحق للعبادة لا لقولهم بتعدد واجب الوجود — واما الثنوية فقالوا نجد في العالم خيراً كثيراً وشراً كثيراً والواحد لا يكون خيّراً شريراً بالضرورة . فلكل منهما فاعل على انفرادهِ — وقد رد عليهم بانهُ ان كان المراد بقولهم لا يكون الواحد خيّراً شريراً انهُ لا يوجد واحد يكون ذا خير كثير وشر كثير فممنوع . اذ لا مانع من ان يكون الفاعل واحداً منهُ الخير الكثير والشر الكثير — ولو سلمنا ان الواحد لا يكون خيّراً شريراً بهذا المعنى — لا نسلم انهُ يلزم ان يكون للخير اله وللشر اله لان الخيّر ان قدر على دفع شر الشرير ولم يدفعهُ فهو شرير وان لم يقدر على دفعهِ فهو عاجز ولا يكون الهاً . وان كان المراد بالخيّر من يغلب خيرهُ على شرهِ والشرير من يغلب شرهُ على خيرهِ صح ان الواحد لا يكون خيّراً شريراً بهذا المعنى لكن لا يلزم من كون فاعل الخير والشر واحداً ان يكون ذلك الواحد خيّراً شريراً بهذا المعنى فلا يفيد ابطالهُ لانهُ ليس بلازم حتى ينفع ابطالهُ ويثبت التعدد

وما تمسك بهِ صاحب تلك المقالة من انهُ سمع عالماً يبرهن على وجوب وحدانية الخالق وانهُ جادلهُ في ذلك البرهان حتى اسكتهُ لا ينتج ما ادعاهُ من ان عقيدة التوحيد انما تصل بالالهام الالهي : لان عجز هذا العالم عن اقامة البرهان الصحيح لا يقتضي عدم وجود البرهان في ذاتهِ الذي اهتدى اليهِ الكثير من الناس ولا ينافي ان ذلك العالم وصل بفكرهِ الى تلك العقيدة وان عجز عن التعبير عنهُ بعبارة صحيحة امام من نازعهُ في ذلك

هذا ولقد كان يكفي في الجواب عن السوءال بأن قدماء اليونان يقولون بتعدد الآلهة ومنهم فلاسفة مفكرون ان يقال ان الفلاسفة المفكرين من اليونان وغيرهم وصلوا بافكارهم الى تلك العقيدة كما هو مدون في كتب التاريخ والفلسفة : ووجود فلاسفة مفكرين في امة وصلوا بالمكارم الى عقيدة لا يلزم منهُ ان تكون امتهم على منهجهم في تلك العقيدة اذ كثيراً ما نجد عوام الامة مخالفين لعلمائهم في العقيدة

نسأل الله ان يوفق عبادهُ للسداد والصواب في معتقداتهم واعمالهم انهُ وليُّ التوفيق

محمد ابو الفضل

شيخ علماء الاسكندرية

[المقتطف] لقد رحبنا بهذا البيان الوافي واننا ننشرهُ مع الشكر لحضرة منشئهِ الاستاذ الفاضل . وما قال بهِ حضرتهُ قال بهِ كثيرون من علماء اللاهوت . وقد قال البروتستانت منهم « ان لجميع الناس شيئاً من المعرفة بالله اي لهم معرفة بوجود كائن سرمدي هم متعالقون بهِ ومسوءولون لهُ . وفي اصل تلك المعرفة ثلاثة اقوال الاول انها غريزية والثاني انها نتيجة عقلية والثالث انها ناشئة عن اعلان خارجي متصل الى كل الاجيال بالتقليد واصح هذه الاقوال الاول » . وقالوا ايضاً « ان الاعتقاد بوحدانية الله هو اعتقاد جنسنا الاصلي ثم لما حاد البشر عن ذلك مالوا الى عبادة الخليقة . . فتطرقوا الى عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والهواء والماء ثم شخّصوا تلك القوى الطبيعية والّهوها وهكذا انتشر بينهم الاعتقاد بالهة كثيرة » ولعلماء اللاهوت وعلماء الاديان كتب ممتعة ومناظرات كثيرة في هذا الشأن . ولكن ماذا نجد اذا تركنا ما يقولهُ زيد وعمرو والتفتنا الى ما يعلمهُ قراءُ هذه السطور انفسهم فالاستاذ الفاضل موقّع برد الرد السابق يعرف مئات من العلماء فهل يعرف ان كثيرين منهم وصلوا الى عقيدة التوحيد باستدلالهم العقلي على نحو ما بيّن . اما نحن فلا نعرف واحداً بين المئات الذين عرفناهم وعاشرناهم منذ خمسين سنة الى الآن وصل الى هذه العقيدة بالاستدلال العقلي . ويقال ان ثلاثة او اربعة من فلاسفة اليونان وصلوا اليها بهذا الاستدلال ولكننا

فحصنا بعض الادلة التي بني عليها هذا القول فلم نجدها مقنعة ويظهر لنا ان كثيرين من الذين ينظرون في هذه المواضيع بتقوى خالصة يميلون الى الاعتقاد بان خالق الكون لم يخلق الناس ويتركهم ويبعدهم عنهُ بل لا يزال متصلاً بهم يلهمهم ويرشدهم . « والخلق لم يخلقوا سدًى ولو لم تكن اعمالهم بالسديدة »

وبعدُ فقد قام في هذا العصر علماء محققون بحثوا في اديان البشر بحثًا تاريخيًّا استقرائيًّا فجمعوا كل ما عُرف عن اديان المصريين والاشوريين والبابليين والصينيين والهنود واليونان والرومان وقبائل افريقية واستراليا واميركا والجزائر وغيرهم وبوَّبوا ذلك كلهُ لكي يستدلوا منهُ على كيف اتصل الناس الى عقائدهم الدينية . فظهر من بحثهم واستقرائهم ان الناس عاشوا الوفًا من السنين وهم يعتقدون بآلهة كثيرة وحتى الآن لا يزال اكثر من نصف البشر يعتقد ان في الكون اكثر من اله واحد . ولهؤلاء العلماء اراء كثيرة في كيف اتصل الناس الى عقيدة التوحيد وهذه الآراء مبنية على البينات التي وجدوها في تاريخ الاديان المختلفة وشعائرها . والذين قالوا منهم ان عقيدة التوحيد جاءت الناس بوحي الهي هم اشدهم انتصاراً للاديان المنزلة والملهم انتصاراً للاديان الطبيعية . ولهم كلهم في ذلك كتب كثيرة مبنية على الاستقراء العلمي كما تبنى احكام القضاة على البينات وشهادات الشهود والقرائن . الأ ان النتائج العلمية التي نستنتجها اليوم نبنيها على ما نعرفهُ اليوم من المقدمات او المعلومات وقد نعرف غداً ما ينفيها وينتج نتائج اخرى فنضطر الى ترك النتائج الاولى وقبول النتائج الثانية . مثال ذلك ان اكل اللحم محسوب من الوسائل التي تقوي الناقه من مرض فاذا اثبت الاستقراء الآن ان اكل اللحم يضعف الناقه ولا يقويهِ بشهادة اكثر الاطباء اضطررنا الى التسليم بذلك ولم نعد نصف اكل اللحم للناقهين . ومثالهُ ايضاً ان الفصد كان يوصف للشفاء من الحمَّى وكان الشفاء يحدث بعدهُ غالبًا فاذا ثبت الآن بالاستقراء ان الشفاء لم يكن ناتجًا عنهُ اي عن الفصد بل عن سبب آخر وان الفصد يضرُّ ولا ينفع لزمنا التسليم بذلك الى ان يثبت غيرهُ وقيسوا عليهِ كل النتائج العلمية

الاعجوبة

حضرات اصحاب المقتطف المحترمين

عندنا بقرة ولدت عجلاً منذ شهر تقريبًا وهو اعجوبة من اعاجيب الزمان ففي جانب اذنهِ عرق يشبه الليمونة في الحجم وفمهُ اشبه بمحرم في الجهة اليمنى ولسانهُ مدلًّى منهُ وشفتهُ

العليا اقصر من السفلى ومن يوم ولادته الى الآن لم يرضع من امه بل يدخل اللبن من خرم فيهِ

حنا معوض بمقاقه

كاتب مقالة طب العيون

جاءنا من حضرة الدكتور الياس ابرهيم الصليبي طبيب العيون انهُ هو الكاتب للمقالة التي نشرناها في مقتطف مارس في تاريخ طب العيون

قسمة الزاوية الى خمسة اقسام

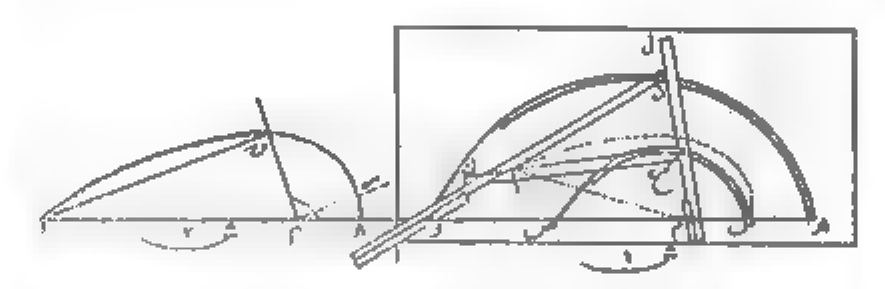

شكل ١ عبارة عن سطح من الرق فيهِ الخط المنحني ه د و لقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام (وسبق ذلك في عدد يناير) ورسم موازي هذا المنحني ثم قطع الجزء الذي بين الخط المنحني وموازيهِ . وفي هذا الشكل ايضًا الخط المنحني س ع ص المجرور والمقطوع ما بينهُ وبين موازيهِ عبارة عن المسار المتعمي لمتنصفات المستقيات الواصلة من م (التي هي في ثلث ه و) الى الخط المنحني ه د و

وتحرك في م المسطرة م ل وعليها عمودي في ع المسطرة المثبتة ع ك ونقطة ع مبرشمة بمسمار يمر بالمرواز س ع ص اعني متى تحركت المسطرة م ل تكون نقطة ع على المنحني س ع ص دائمًا اي على المسار الهندسي لمتنصفات المستقيات الواصلة من م الى المنحني ه د و

وتحرك ايضاً في و المسطرة ود التي طرفها د مبرشم بمسمار يمر بالبروار وتكون نقطة د دائماً على المحيط هـ د ومتى تحركت المسطرة ود

فاذا كانت المسطرة م ل متكئة دائماً على المسطرة ود في د فانهُ اذا وصل من نقطة تقابل العمود ع ك مع و د (ولتكن تلك النقطة ا) الى م كانت زاوية م ا و اربعة امثال زاوية م و ا لان

زاوية م د ا = ضعف زاوية م و د (لان المحيط هـ و د لتقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام)

وزاوية م د ا = زاوية د م ا (لان ا ع عمودي على منتصف د م)

وعليهِ فزاوية م ا و = ضعف زاوية م د و = اربعة امثال زاوية م و ا

وتكون الزاوية الخارجة س م ا منقسمة الى قسمين احدهما اربعة امثال الآخر اعني الى خمسة اقسام

وكذلك اذا تحركت المسطرتان م ل ، و د متكئة احداهما على الاخرى في نقطة د دائماً فان نقط تقابل ع ك مع و د ترسم خطاً محنياً مبتدئاً من و ومنتهياً عند انطباق ع م ، و د ، هـ م بعضها على بعض في نقطة س التي هي منتصف هـ م وتكون نقطة م بالنسبة الى س و في خمسهِ لان م و ضعفا هـ م و هـ م ضعفا س م وتكون كل نقطة على هذا المحني اربعة امثال الزاوية الحادثة بين م و والضلع الموصل من و الى تلك النقطة وتكون الزاوية الخارجة لها منقسمة الى قسمين احدهما اربعة امثال الاخر اعني الى خمسة اقسام متساوية

وعليهِ يمكن رسم رقة (ش ٢) محيطها هذا الخط المحني س ا و وقاعدتها س و ونقطة م معينة في خمس س و وتصلح هذه الرقة لتقسيم اية زاوية الى خمسة اقسام متساوية

فمثلاً لتقسيم زاوية مثل هـ م ق (شكل ٢) الى خمسة اقسام نضع الرقة بحيث يقع خمسها (نقطة م) على رأس الزاوية فيقطع محيط الرقة ضلعي تلك الزاوية في ق ، هـ وامتداد هـ م في و ثم نصل ق و فتكون زاوية م ق و اربعة امثال زاوية م و ق وتكون زاوية هـ م ق منقسمة الى قسمين احدهما اربعة امثال الاخر فنرسم م ر موازياً الى و ق فتكون زاوية ق م ر اربعة امثال زاوية هـ م ر اعني ان زاوية هـ م ر خمس زاوية هـ م ق

وسننتهي في العدد المقبل بعمل رقة واحدة تقسم اية زاوية الى ثلاثة اقسام او خمسة اقسام وتقسم القائمة الى سبعة اقسام ايضاً

اسكندر باسيليوس
طالب بالمدرسة السعدية

باب الزراعة

ارشادات في زرع القطن

نشرت مصلحة الزراعة الارشادات التالية لمساعدة المزارعين في الوجه القبلي على تحسين الطرق التي يتبعونها في زراعة القطن وارشادهم الى الطريقة التي يحصلون بها على قطن جيد مثل الذي ينتج من احسن اراضي الوجه البحري

ويجب على العمدة ان يقرأ هذا المنشور في كل قرية من قرى الوجه القبلي التي يزرع فيها القطن وان يدعو المزارعين لسماعه

١ — ارشادات عامة

اذا قارنا بين زراعة القطن في الوجهين القبلي والبحري لا بد وان ندرك في الحال ان اراضي الوجه القبلي لا يعتنى بخدمتها العناية الكافية كما يعتنى عادة بخدمة اراضي الوجه البحري وهذا اهم الاسباب في حصول الفرق بين المحصول في الوجهين المذكورين فمثلاً من المعتاد ان مزارعي الوجه القبلي يزرعون الارض مباشرة بعد خلوها من الزراعة السابقة دون حرثها حرثاً جيداً ومن المعتاد ايضاً انهم يقطعون احطاب القطن عوضاً من تقليعها بجذورها كما انهم لا يحرثون الارض حراثة جيدة كما هو الضروري بل يبذرون بذور الفول او القمح مع وجود حطب القطن في الارض

وقد اعتاد بعضهم ايضاً زراعة القطن بعد الفول ليتحصل على محصول الفول بدرياً حتى يتمكن من زراعة القطن ولكن الارض باستمرار زراعتها على هذه الحالة تأخذ في الضعف وتفقد جميع قواها وتصبح غير قادرة على مساعدة نمو القطن الجديد كما هو حال العامل الذي يشتغل على الدوام بدون راحة

وهناك امر آخر يجب ملاحظته بعد قطع احطاب القطن في نهاية الموسم بدون تقليعها بجذورها وحراثة الارض وهو ان هذه الجذور تنبت بين نبات الفول او القمح وتأخذ مقداراً عظيماً من الغذاء الموجود في الارض مع ان هذا الغذاء نافع للقمح او الفول فاذا تغذت به تلك الجذور لا يستفيد منها المزارع شيئاً

وليس الضرر قاصراً على هذا فقط بل من المعروف ان اعظم ما يصيب القطن في الوجه

القبلي هو دودة اللوز وهذه تتغذى اثناء فصل الشتاء بالاوراق الخضراء التي تنبت في القطن او التيل او الباميا فتتكاثر وتفتك بالقطن في فصل الخريف فالمزارعون الذين لا يقلعون جذور القطن او التيل او الباميا التي تنبت اثناء الشتاء يقدمون بذلك لدودة اللوز غذاء في حين انهم اذا قلعوا هذه الجذور يسهل عليهم اماتتها جوعاً

فاذا بحثنا عن سبب فتك دودة اللوز بزراعة القطن بمديرية المنيا هذه السنة بعد ان ظهر ان المحصول فيها كان عظيماً لغاية نهاية الجمعة الاولى وجدنا ان المزارعين في تلك المديرية هم الذين ساعدوا الدودة على هذا الفتك وذلك باعطائها غذاء كافياً لها اثناء فصل الشتاء بتركهم جذور القطن تنبت عوضاً عن تقليعها

فمصلحة الزراعة ترشد المزارعين الى ما يأتي —

اولاً — تقليع جميع جذور القطن والتيل والباميا عقب انتهاء الزرعة مباشرة وابادة الاوراق او اللوز بواسطة احراقها او دفنها في الارض بدلاً من تركها غذاء لدود اللوز

ثانياً — حراثة الارض حراثة تامة وتفكيك اجزائها سواء كان الزرع الذي سيعقب القطن قمحاً او فولاً

ثالثاً — عدم زراعة الفول قبل القطن خصوصاً لانهُ يبقى في الارض مدة طويلة فلا يتيسر خدمتها وحراثتها كما يجب في الوقت المناسب لزراعة القطن بعدها

والامر بخلاف ذلك في زراعة البرسيم لانهُ يمكن حراثتهُ عند ضرورة اعداد الارض لزراعة القطن

٢ — الحراثة

يراعى دائماً قبل زراعة القطن حراثة الارض ثلاث او اربع مرات في اتجاهات مختلفة لخلط اجزاء الارض بعضها ببعض وتنعيمها لايجاد محل لائق للبذرة وبعد حراثة الارض جيداً على هذه الحالة يجب تزحيفها بالزحافة بحيث لا يبقى فيها ادنى مدر « قلقيل »

٣ — تخطيط الارض والمسافات بين النباتات والزراعة

تعمل الخطوط لزراعة القطن على مسافات بحيث تكون اربعة خطوط في كل قصبة في الارض الجيدة وخمسة في كل قصبة في الارض الضعيفة ويجب ان تعمل تلك الخطوط بحيث تكون متجهة دواماً من الشرق الى الغرب حتى تكون الجهة القبلية معرضة لضوء الشمس طول النهار وفي هذه الجهة الدائمة يجب ان توضع البذور لوقايتها من الرياح الشمالية لانها اذا وضعت في الجهة البحرية كانت معرضة لتلك الرياح ويكون هذا سبباً في ان النبات يتغير

لونهُ الى السمرة و يضعف ويجب ان توضع البذور في حفر تعمل في الجهة القبلية على ثلثي المسافة بين اسفل الخط وقمتهِ و يوضع في كل حفرة مقدار ثماني بذور الى اثنتي عشرة بذرة وتكون الحفر بعيدة عن بعضها بمسافات من ٤٠ الى ٤٥ سنتيمتراً وفي الاراضي الضعيفة من ٣٠ الى ٣٥ سنتيمتراً

و يبتدأ في زراعة القطن في الوجه القبلي في شهر فبراير او في اوائل شهر مارس لان الزراعة المتأخرة عن هذا الوقت تصاب بدودة اللوز التي تشتد وطأتها عادة في شهر اكتوبر

٤ — الخف

ان جودة نوع القطن تتوقف على عملية الخف فانهُ في جميع انواع البذور يوجد نوع يقال لهُ « الهندي » مختلط بها ومتى ما ينتج نباتاً قوياً جداً ولكن قطنهُ من صنف رديء للغاية و يمكن تمييز بذرة الهندي بسهولة اذ لا يوجد عليها شعر كما انها مدببة عند طرفها كسن الابرة

وليس في الامكان تنقية جميع بذور الهندي قبل الزراعة ولكن من السهل جداً تمييز نباتات الهندي الصغيرة عند ما تأخذ في النمو فيمكن للزارع اثناء عملية الخف استئصالها والتحقق من ان غيطهُ لا يحتوي الأ على نبات القطن الذي هو من النوع الجيد

ان المزارع اذا تأمل في نبات القطن الحديث عند ما تظهر عليه ورقتان او ثلاث يرى في بعضها نقطة حمراء في محل اتصال الساق بالورقة وتمتد تدريجاً بصفة خطوط حمراء على الساق فعند الخف الذي يلزم ان يكون من اربعين الى خمسين يوماً بعد الزراعة يجب عليهِ ازالة جميع الشجيرات التي تكون فيها هذه العلامة الحمراء حتى ولو ظهر لهُ ان هذه الشجيرات هي الاقوى والاصح كما هو الواقع

و ينبغي ترك شجرتين فقط في كل حفرة وهاتان الشجرتان يجب ان تكونا خاليتين من تلك العلامة الحمراء

٥ — تنقية الحشائش والعزيق

في كل غيط حشائش مختلفة تنمو بنفسها فمثل هذه الحشائش يجب معاملتها كما تعامل الفيران التي توجد في مخازن الحبوب فاذا لم تعدم هذه الحشائش باسرع ما يمكن فانها تأخذ غذاء القطن بالكيفية التي يأخذ بها الفار حبوب الفلاح

و يجب تقليع هذه الحشائش قبل السقية الاولى وقبل ان تنمو جذورها في الارض التي تحتوي على الغذاء المختص لنبات القطن فبعد السقية الاولى التي تكون من ٣٠ الى ٤٠ يوماً بعد الزراعة يجب عزق الارض بالفأس وتكسير اجزائها بقدر ما يمكن لانها اذا تركت حتى

تجف وتتشقق بعد سقيها يتبخر كثير من الماء الذي احتاجهُ النبات و يفقد

اما اذا تكسرت قشرة سطحها بالعزيق فان الرطوبة تبقى في الارض مدة طويلة والمزارع الذي يقوم بهذه العملية تماماً لا يخشى على قطنهِ من قلة المياه

٦ — الري

يجب ان يكون ري القطن خفيفاً بحيث لا تصل المياه الى جذور النباتات الاَّ بالرشح فاذا كان الري غزيراً وخصوصاً في وقت تكوين اللوز فان كثيراً منهُ يتساقط و يتسبب عن ذلك عجز في المحصول وفضلاً عن ذلك فان المياه الغزيرة تسبب سرعة نموّ الاوراق وتساعد على انتشار دودة القطن

ومن المفيد جدًّا في المزارع التي يقوى نموّ القطن فيها حتى تطول شجيراتهُ كما في الوجه القبلي ان تطوش الشجيرات بان تقصف الاطراف الغضة « الطرية » من قمم الشجيرات وهي الاطراف المعروفة بأنها « سواق الشجيرة » فيقف النموّ في الاغصان السفلى و يكثر الطرح فيجود و يكثر المحصول

وتعمل هذه العملية في نهاية شهر يوليه تقريباً

٧ — الجني

تجب العناية بفصل قطن كل جمعة على حدتهِ لان اول جنية من القطن يكون قطنها احسن القطن ثم تحط درجتهُ اذا وضع زمناً طويلاً في مخزن صغير او اذا خلط بالجمعات الاخرى التي ربما تكون ملوثة بشيء من دودة اللوز

٨ — بل القطن بعد جمعه

يحصل الغش في جهات كثيرة بواسطة بلّ القطن بعد جمعه ظنًّا من المزارع بانهُ يربح شيئاً من زيادة وزن القطن ولكن الذين يشترونهُ يسهل عليهم معرفة هذا الغش فضلاً عن ان هذا البل يؤدي الى تعفن تيلة القطن وتلفهِ فالمزارع الذي يعمل هذه العملية انما يخسر في الحقيقة من حيث يريد الكسب لان المشترين لا يدفعون لهُ الاَّ ثمناً بخساً لرداءة الصنف فضلاً عن استنزال جزء من وزنهِ في نظير البل بالمياه

هذا والمأمول ان المزارعين الذين يرغبون زراعة القطن يقرأُون هذه الارشادات بمزيد العناية و يتبعونها واذا كانت هناك بعض نقط تحتاج الى بيان فان مفتشي مصلحة الزراعة مستعدون لمساعدة من يرجو منهم المساعدة

مدير عموم
مصلحة الزراعة

المشملة (الاكي دنيا)

المشملة شجر مثمر وطنهُ الاصلي بلاد اليابان ومنها انتشر في الهند والصين وملقا واستراليا ووصل الى هذا القطر والقطر الشامي . ويقال انهُ أُدخل الى القطر المصري سنة ١٨٣٢ وانتشرت زراعتهُ في الجنائن المصرية اولاً لجمال منظره لا لطيب ثمره . وفي كتاب الزراعة المصرية ان ثمر ما يزرع منهُ في القطر المصري حامض غير جيد اما نحن فرأينا منهُ في بعض حدائق القاهرة شجراً لا اطيب من ثمره فانهُ حلو الطعم جداً وفيهِ نكهة عطرية وكان لونهُ برتقالياً ولكن الحديقة التي رأيناهُ فيها كانت متروكة من غير ري مدة طويلة فلعل كثرة الري تقلل حلاوتهُ

واشجار المشملة صغيرة لا يزيد ارتفاعها على ستة امتار واغصانها غليظة واوراقها كبيرة ثخينة اسفلها كثير الزغب الضارب الى السمرة وازهارها بيضاء عطرية تجتمع معاً والثمر اصفر برتقالي بيضي الشكل طول الثمرة منهُ من سنتمترين الى اربعة وفي الثمرة منهُ نواة كبيرة او نواتان او اكثر والنوى صقيل رقيق القشر فيهِ شيءٌ من المرارة . وينضج ثمرهُ في الربيع واوائل الصيف

ويزرع من بزره الجديد في القصاري وينقل الى البستان متى صار عمرهُ ثلاث سنوات ويجعل البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار ويقال انهُ يمكن تطعيم السفرجل بهِ

نتائج حماية الفلاح

بين الخير والشر حد ضيق اضيق من سم الخياط بل كثيراً ما يلتبس الخير بالشر والشر بالخير او يكون احدهما تطرفاً في الآخر . نقول ذلك على اثر ما رأناهُ من اهتمام الحكومة المصرية ببقاء الاطيان للفلاحين وحمايتهم فان البلاد زراعية لا تنجح الا اذا كانت اطيانها موزعة على كثيرين من الفلاحين والفلاح الذي يملك فدانين لا غير يستغل من كلٍ منهما اكثر مما يستغلهُ من الفدان الواحد صاحبُ الف فدان او مئة فدان . فاذا توزعت الاطيان على كثيرين من الفلاحين زادت الثروة العمومية . فاهتمام الحكومة ببقاء الاطيان لصغار الفلاحين جيد جداً . ثم ان الفلاح في الغالب غير متعلم فيسهل غشهُ ولا بدَّ للحكومة من حمايتهِ اذا شاءت حفظهُ وتأمينهُ على حقوقهِ

هذه امور تامة لا يمارى فيها ولكن بين الخير والشر حد ضيق جداً كما تقدم فان الذين حاولوا حماية الفلاحين في اوربا نشروا بينهم المبادئ الاشتراكية التي كادت تقوض دعائم

العمران الاوربي لولا ما فيهِ من الوسائل الرادعة لتطرُّف المتطرفين . ونحن نخشى ان ما تفعلهُ الحكومة الآن لحماية الفلاح المصري يفضي الى اوخم العواقب في المستقبل . ففي العام الماضي سنَّت قانوناً لم نزل فيهِ اعتراض المعترضين من اعضاء مجلس الشورى مع ان اعتراضهم وجيه مبنيٌّ على اختبارهم الطويل . ورجال الحكومة الذين خالفوهم واسكتوهم ليس لهم من الاختبار عشر ما لاولئك . وايضاحاً لذلك نضرب المثل التالي

استأجر زيد فدانين بعشرين جنيهاً وزرع احدهما قمحاً استغلَّ منهُ ستة ارادب وخمسة احمال من التبن وبرسيماً كفى بقرتهُ وباع منهُ . وزرع الفدان الآخر قطناً فاستغلَّ منهُ ستة قناطير وكانت الاسعار مرتفعة فباعها بثلاثين جنيهاً فاوفى الايجار ومان بيتهُ باردبين من الحنطة وباع اربعة بخمسة جنيهات فبقي معهُ من ثمن القطن والقمح والتبن سبعة عشر جنيهاً فاشترى جاموسة وعجةً وثياباً لهُ ولعائلتهِ . ولم يشتكِ المالك لانهُ استوفى ايجار اطيانهِ تماماً

وفي العام التالي استأجر ذلك الفلاح ذينك الفدانين بعشرين جنيهاً ايضاً وزرع اولها قطناً والثاني قمحاً وبرسيماً فاستغلَّ من القمح اربعة ارادب فقط وكانت الدودة القطن فلم يبلغ محصول الفدان سوى قنطارين باعهما بثمانية جنيهات فلم يتوفر لهُ من ثمن القطن والقمح سوى عشرة جنيهات اي نصف الايجار المطلوب منهُ . افلا يجوز للمالك ان يحجز على الجاموسة ويبيعها ويأخذ ثمنها . القانون الذي وضعتهُ الحكومة يمنع ذلك ولكن المستأجر اشترى هذه الجاموسة بما زاد من ريع الاطيان في السنة الاولى فهل يجوز لهُ ان يتمتع بهذه الزيادة وحدهُ ويترك للمالك الخسارة من ظهور الدودة وهبوط الاسعار . اوليس من القواعد المرعية ان الذي لهُ الغنم عليهِ الغرم

ورُبَّ معترض يقول ان المثل الذي ذكرتموهُ نادر الوقوع لانهُ يندر ان يزيد مع المستأجر الصغير من ثمن المحصولات زيادة تذكر وان مصادرة المالكين للمستأجرين بالحجز على مواشيهم وبيعها اكثر وقوعاً . فنجيب ان اختبارنا لا يؤيد ذلك بل ان المالكين اعقل مما يظنهم واضعو هذا القانون وهم يعتنون من المستأجرين ويرعونهم بكل واسطة ممكنة ويشترون لهم المواشي من مالهم لكي يساعدوهم على خدمة اطيانهم وكثيراً ما يشترون لهم التقاوي والسماد ولا يفعل ما يناقض ذلك الأ المالك الضعيف العقل القليل التدبير الذي لا بدَّ من ان تتضعضع احوالهُ عاجلاً او آجلاً وتنزع اطيانهُ منهُ او المالك الذي رأى في اطيانهِ مستأجراً كسولاً فاسد الاخلاق واراد التخلص منهُ

ويظهر لنا ان النتيجة اللازمة عن هذا القانون ستكون تقليل ريع الاطيان وثروة البلاد

لانهُ اذا رأى المالكون صعوبة الحصول على حقوقهم من المستأجرين ابطلوا التأجير وجعلوا يزرعون اطيانهم وسيّة ويستخدمون الفلاحين بالمياومة · والفلاح الذي يعمل لغيره لا يعمل نصف ما يعملهُ لنفسهِ فتكون النتيجة زيادة نفقات الزراعة وقلة المحصول · وقولنا هذا مبني على اختبارنا فان المالك اذا كانت اطيانهُ قليلة واعتنى بزرعها وخدمتها بنفسهِ واستأجر لها العمال ورافبهم نهاراً وليلاً استغل منها كما يستغل الفلاحون اذا استأجروها منهُ او اكثر · ولكن اذا كانت اطيانهُ كثيرة وتعذر عليهِ ان يراقب زرعها وخدمتها بنفسهِ كما هي الحال مع اكثر اصحاب الاطيان الواسعة (واطيانهم اكثر من نصف اطيان القطر) فالمرجح بل المؤكد ان محصولها يقلّ عمّا يحصل منها لو كانت مؤجرة لعدد كبير من الفلاحين

ويقال مثل ذلك عن القيود التي يراد وضعها الآن في سبيل التأجير خوفاً من ان يغبن المستأجر بالتوقيع على عقد غير مشروع او خوفاً من ان ينكر امضاءهُ · وتمر بعض العقود للمعاملات الرسمية يؤخر زمن التأجير ويجعل الفلاح يعتقد انهُ مهضوم الحقوق فيمتنع عن الاستئجار في الوقت المناسب فتبور الارض او يتأخر الزرع عن مواعيد الري او يضطر المالك الى زرع ارضهِ وسيّة فيقل ريعها وتكثر نفقاتها

وكيفما كانت الحال لا نرى من الحكمة ان يغير نظام معاشي (اكونوميك) في بلاد دفعةً واحدة ولا يحسن تغييرهُ في البلاد كلها في وقت واحد ولا قبل ان تقوم الادلة الكافية على وجوب هذا التغيير وحينئذٍ يعمل بالتغيير في مركز واحد او مديرية واحدة على سبيل التجربة فاذا نجحت هذه التجربة عمّ المشروع رويداً رويداً والاَّ عُدل عنهُ

هذه نصيحتنا لرجال حكومتنا فعسى ان ينظروا فيها بعين التروي وهم لا ينكرون علينا اننا قضينا اكثر من اربعين سنة ونحن ندرس هذه المواضيع وامثالها

موسم القطن الاميركي

اصدر قلم الاحصاء في الولايات المتحدة تقريرهُ الاخير عن محصول القطن الاميركي في العام الماضي يوم ٢٠ مارس الجاري وقد جاء فيهِ ان المحصول كلهُ بلغ ١٤٠٧٦٤٣٠ بالة اي كما كان يتوقعهُ تجار القطن فلم يحدث اصدارهُ تأثيراً في الاسواق على الاطلاق

هذا وسيتوقف سير اسعار القطن من الآن فصاعداً على مساحة الاراضي التي تزرع قطناً والتبكير في الزراعة · ولم يبدأ بالزراعة الى الآن الاَّ في القسم الجنوبي الاقصى من منطقة زراعة القطن في الولايات المتحدة

باب الصناعة

منسوجات قطنية لا تحترق

لا يخفى ان الصوف والحرير يصعب حرقهما واما القطن فتضطرم فيهِ النار سريعاً لان الصوف والحرير من نوع اللحم والجلد واما القطن فمن نوع الخشب ولذلك تحترق الثياب القطنية بسهولة واما الثياب الصوفية والحريرية فلا تحترق . وينسج من القطن نسيج له زغب كالصوف على رخص ثمنهِ ولكنهُ سريع الالتهاب جداً فاذا دنت منهُ شمعة مشتعلة التهبت حالاً . وكل احد يعلم كيف تشتعل الناموسيات (الكلات) حالاً اذا أُدنيت منها شمعة مشتعلة . وقد كان اشتعالها سبباً لموت الاستاذ كريتر الفسيولوجي المشهور

الآن الاستاذ بركن الكيماوي الكبير استنبط طريقة لحفظ المنسوجات القطنية من الاشتعال وقد تلا خطبة في هذا الموضوع في اواخر العام الماضي شرح فيها كيف اتصل الى هذا الاكتشاف بعد تجارب كثيرة فاقتطفنا منها ما يأتي قال الخطيب :—

قيل ان الرومانيين حاولوا حفظ بيوتهم الخشبية من الاحتراق بتغطيس خشبها في الخل والشب . وهذه الطريقة تقلل احتراق الخشب ولكن يرجح انها لم تستعمل الا قليلاً لغلاء الخل في تلك الايام . وقد فتشتُ في كتب الاقدمين عن الطرق التي استعملت لمنع احتراق الخشب واقدم ما عثرتُ عليهِ من هذا القبيل تاريخهُ سنة ١٦٣٨ للميلاد حينما نشر نيقولا سباتيني رسالة ذكر فيها الحاجة الى اصلاح ادارة المشاهد وبانها في ايطاليا مبيناً مقدار الخطر من احتراق خشبها ودهانها والمنسوجات التي تستعمل لستائرها ومناظرها وثياب الممثلين والممثلات فيها واشار بان تمزج الادهان التي تدهن بها بالصلصال والجبس ولكنهُ لم يقل شيئاً عن حفظ الثياب من الاحتراق

وسنة ١٧٣٥ اشار بعضهم باستعمال مزيج من الشب والبورق والحامض الكبريتيك لهذه الغاية . وسنة ١٧٤٠ اشار آخر في مقالة تليت في اكادمية ستكهلم بمزيج من الشب الابيض والزاج . وجاء في الانسكلوبيذيا الصناعية المطبوعة سنة ١٧٨٦ ان المزيج من الشب الابيض والزاج والملح يقي الخشب ونحوهُ من الاحتراق

ولما احترق المشهد الوطني في مونخ سنة ١٨٢٣ جرت تجارب كثيرة قصد وقاية الخشب من النار فدُهن سقف المشهد الجديد مراراً بسكات الصودا والطباشير . وهذا الدهان يبقى سنين كثيرة وهو لا يمنع احتراق الخشب ولكنهُ يمنع امتداد النار فيهِ بسرعة عند اول اشتعالها فيسهل اطفاوءها . ووجد بعد ذلك ان بعض الاملاح مثل املاح النحاس والامونيوم تقاوم الالتهاب وافضلها كلها كلوريد الزنك وهذا الملح يلصق بالياف الخشب . وكل الالياف التي تشبع بهِ اذا جفت توقى من الالتهاب . وهو مضاد للفساد ولذلك يحسن ان يدهن بهِ خشب المستشفيات والاماكن العمومية ولكن ليس غرضي الكلام على الاساليب التي يوقى بها الخشب من الالتهاب بل على المواد التي توقى بها المنسوجات القطنية ولا تزول عنها ولو غُسلت

لقد عُرف منذ عهد طويل ان بعض الاملاح يقي المنسوجات فاذا غُسل ثوب ثم شطف بذوب الشب الابيض او شيء بشاء مشبع بالشب الابيض قلت قابليتهُ للاشتعال ولكن الشب يغيّر الثياب واذا غسلت زال عنها فيجب اعادتهُ كلما غسلت

ومما اشير بهِ لمنع اشتعال الثياب مزيج مؤلف من ثلاثة اجزاء من سلفات الامونيوم وجزئين من كلوريد الامونيوم وجزء من كربنات الالومنيوم في اربعين جزءاً من الماء فاذا غسل الثوب ثم غطس في هذا المزيج او شيء نشاء مشبع بهذا المزيج صار احراقهُ عسيراً ولا يظهر عليهِ شيء كالعار ولذلك كثر استعمالهُ للستائر التي يخشى احتراقها ولكن اذا غسل النسيج المعالج بهذا المزيج زال عنهُ وعاد كما كان قبل معالجتهِ . وكل المواد التي استعملت لمنع اشتعال الثياب تذوب بالماء فتزول بالغسل فيجب اعادتها بعد كل غسل وذلك يقتضي نفقة كبيرة فلا يمكن الاعتماد عليهِ ولا سيما في بيوت الفقراء . ولا بدَّ من ان تنشف المنسوجات قبل تغطيسها في المزيج الذي يقيها من الاشتعال

واقوى المواد على مقاومة الاشتعال طمستات الصوديوم ولكنهُ سريع الذوبان في الماء فاذا غُسلت الثياب بعد معالجتها بهِ زال عنها حالاً . وقس عليهِ كل الاملاح التي قيل انها تقي من الاشتعال ولذلك اهتمت باكتشاف مادة تقي المنسوجات فتبقى موقاة ولو غسلت .

وكان الغرض اولاً اكتشاف مادة تقي الفلانلت اي الانسجة القطنية الكثيرة الزغب فان زغبها يجعلها كفانلا الصوف من حيث الحدفئة ولكنهُ يعرضها للاشتعال بسهولة ولذلك كثرت حوادث احتراق الناس بها حتى خاف كثيرون من اجالب استعمالها وطلبوا متي ان اكتشف لهم اسلوباً يقيها من الاشتعال . والمادة التي تقي هذه المنسوجات من الاشتعال يجب

ان لا تقلل متانتها ولا تعرضها للترطب ولا تكسوها طبقةٌ من الغبار ولا تؤثر في الوانها ولا تكون سامةً ولا ضارةً ويجب ان تكون الوقاية ثابتة لا تزول بالغسل ولو غسلت الثياب عشرين مرة او اكثر ويجب ان تكون رخيصة الثمن اي يجب ان يصير القطن الذي يعالج بها مثل الصوف تماماً في عدم قابليتهِ للاشتعال وفي رسوخ هذه الصفة فيهِ رسوخاً لا يزيلها الغسل والاعلاء معها بالغ الغسالات بهِ وهذا يظهر في اول الامر ضرباً من المحال . ومع ذلك اهتديت الى المادة المطلوبة ولكن بعد ان جرَّبت التجارب في اكثر من عشرة آلاف قطعة من المنسوجات صبأتي البقية

تمويه المعادن بالبلاتين

ادهن المعدن الذي تريد تمويههُ بمزيج من بورات الرصاص واكسيد النحاس وروح التربنتينا وعرّضهُ لحرارة درجتها من ٢٥٠ الى ٣٣٠ فيكتسي بقشرة من الرصاص ثم ادهنهُ ببورات الرصاص واكسيد النحاس وزيت اللاوندا وبعد ذلك ادهنهُ بمذوب كلوريد البلاتين وعرضهُ لحرارة درجتها ٢٠٠ فقط فيكتسي قشرة لامعة من البلاتين . والنفقة قليلة جداً

تلوين النحاس بلون البلاتين

نظف ادوات النحاس الاحمر جيداً وغطسها في مغطس مؤلف من عشرين اوقية من الحامض الهيدروكلوريك وسبع اواقي ونصف من الحامض الزرنيخيك واوقية وربع من خلات النحاس واترك الادوات في هذا المغطس حتى يصير لونها مثل لون البلاتين

تمويه الفضة بالبلاتين

ضع قليلاً من البلاتين في ماء الملوك اي المزيج من الحامض النيتريك والحامض الهيدروكلوريك الذي يستعمل لاذابة الذهب واتركهُ في مكان حار اياماً حتى يذوب وحينما يذوب بخر السائل بحرارة معتدلة حتى يصير قوامهُ مثل قوام العسل واضف اليهِ قليلاً من الماء فاذا دهنت الفضة بهذا المذوب اكتست قشرة من البلاتين

الصاق النحاس بالخشب

ادهن صحيفة النحاس بالحامض النيتريك المخفف من الجانب الذي يراد الصاقهُ بالخشب حتى يخشن واضف الى الغراء قليلاً من الغليسرين والجبس الناعم ثم سخن صحيفة النحاس وادهنها بهذا الغراء والصقها بالخشب فتلتصق بهِ جيداً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة الانكليز وتربية الاولاد

نقلاً عن مجلة المجلات الانكليزية

ملكة الانكليز الحالية اقترن بها الملك جورج الخامس سنة ١٨٩٣ وكان اذ ذاك دوق يورك (وهو لقب يطلق على الابن الاكبر لولي عهد الانكليز) فوجهت همها الى الاعتناء بمملكتها البيتية فاحسنت سياستها. ولم تأنف من مباشرة مهام البيت بنفسها ولا وكلت شيئاً منها الى الخدم يتمونهُ كما يشاؤُون بل كانت تطلع على ما يعملون وتدربهم على اتمام ما يطلب منهم عملهُ كما يجب ان يعملوهُ وهي لا ترى في ذلك غضاضة في كرامتها او حطة من مقامها

وقد قال فيها احدهم «كلما نظرت اليها رأيتها ربة بيت تعتني بثياب اولادها وطعامهم ولا يفوتها شيء من دقائق ذلك ولا تعدل عن الترتيب والنظام في اتمام احقر الامور»

وهي كثيرة الاهتمام بشؤُون اولادها تطلع على كل كبير وصغير من امورهم وقد اجتهدت ان تكون على وفاق تام مع مربيتهم بعد ان بذلت عنايتها في انتقائها وهذا ما يجب على كل ربة بيت ان توجه اهتمامها اليهِ. ولها عناية خاصة بتوسيع مداركهم وقد وكلت اليهم امر تزيين غرفهم الخاصة تحت مراقبتها

وترى ان التنزه في العراء واللعب في الهواء المطلق ضروريان للاولاد. وكانت مدة اقامتها في يورك تخرج باولادها كل يوم نحو الساعة العاشرة قبل الظهر ولا تمتنع عن ذلك الاَّ اذا اشتدَّ المطر والبرد. وكثيراً ما كانت تشاركهم في العابهم فتسابقهم في الجري او تعلمهم العاباً جديدة. واذا خرجت بهم لا تصطحب احداً الاَّ المربية احياناً

وقد حدث مرة انها خرجت بابنها الاكبر ولم يكن قد اتم الرابعة من عمرهِ فما ابعدا اكثر من ميل حتى تعب فاخبرها انهُ اعيا عن المشي. فاخذتهُ على ذراعيها وعادت بهِ مشياً الى البيت

ولما كثرت عليها الاشغال عينت يوماً في الاسبوع تنقطع فيهِ لشؤُون اولادها فلا تقابل

احداً فيهِ ولا تلتفت الى عمل آخر . وكانت في ذلك اليوم تخرج بهم للرحة في عربة قبل الظهر ثم تجمع اعضاء العائلة جميعهم فتحضر لهم الشاي بعد الظهر وتقوم على مكبهِ وتقدم الحلوى بنفسها لا تسمح لاحد ان يشاركها في ذلك . الاَّ انها اضطرت ان تعدل عن هذا بعد ان صار سكنها في لندن لكثرة ما يتطلب منها ومن زوجها من الاشغال والمقابلات الرسمية التي لا يجوز خرقها فاستحدثت تختلي باولادها ساعة من الزمن كل يوم لا يمنعها عن ذلك الاَّ غيابها عن المدينة

وقد زرعت في افئدتهم حب الاحسان والاشفاق على المعوزين وعلمتهم ان يعملوا بايديهم كل يوم شيئاً يتحفون بهِ بؤس الفقراء . ولكل منهم عيد ميلاد تهدى اليهِ فيهِ الهدايا ويتقدم هو بنفسهِ لتوزيع الهدايا والصدقات على الفقراء القريبين من سنهِ

وقد روت احدى مربياتهم حادثة عن اكبرهم قالت « اصابهُ مرض خفيف فلما شفي منهُ كان قليل الصبر يتأثر لادنى سبب فقلت لهُ لا يليق بسموك الملكي ان تكون قليل الصبر لهذا الحد . انظر الى ما انت فيهِ من النعيم . لك ايوان بجانبك وبيت جميل تأوي اليهِ وفراش وطئ تنام عليهِ وكثير من اللعب تتسلى بها . وهل علمت انني كنت قبلك مربية ولد لا اب ولا ام لهُ وانهُ كان يعيش في غرفة قذرة في حي يكثر فيهِ الازدحام . ولم يكن لهُ فراش يلقي جنبهُ اليهِ فينام على الارض ولا مخدة يسند رأسهُ عليها فيستعيض عنها بلفة من الجرائد القديمة . ولم يكن عندهُ لعبة يتسلى بها »

فاجاب « لم اعلم قبل ان من الاولاد من ليس عندهُ لعبة فهل اعطيه بعض لعبي »

قلت « اذا كنت تستغني عن بعض لعبك التي قد تعبت منها فهجرتها فانا متأكدة ان ذلك الولد المسكين يسر كثيراً اذا سمحت لهُ ببعضها »

فاجاب « ماذا تعنين . قلت اني اريد ان احب ذلك الولد محبة وانت تقولين اسمح لهُ ببعض اللعب التي مللت اللعب بها . واني تقول ان المنة هي ما اعطيناهُ الصبر على حاجتنا اليهِ وتعلقنا بهِ لا ما استغنينا عنهُ فتركناهُ لهم . لا لا ساعطيهِ بعض لعبي الخاصة التي احبها »

ثم انهُ برَّ بوعدهِ واهدى الى الولد بعض لعبهِ . وهذه القصة تدل دلالة واضحة على المبادئ التي تغرسها تلك الام في صدور اولادها وعلى انها تعرف كيف تعمل ذلك لكي يأتي بالتأثير المطلوب

ومما يجدر ذكرهُ ان عائلتها كانت كلها في يورك كأنها جسم واحد لا يتجزأ فاينما رأيت واحداً منها رأيت الكل . الاَّ ان الاب كان يتخلف عنها احياناً اذا خرجت للنزهة وكثرت عليهِ الاشغال

اما تهذيب الاولاد العلي فلم تكله للمعلمين بلا قيد ولا شرط بل كانت تعين بنفسها طريقة التعليم التي يجب اتباعها وقد اختارت لهم ما يسمى بجنينة الاولاد وهم صغار فكانت توعز الى المعلمين باستعمال الادوات التي تنتقيها وعلى الكيفية التي ترسمها لهم . ومما يؤثر عنها ايضاً ويجب على جميع المعلمين ان يقتدوا بها فيه انها لم تسمح باطالة الدروس بل جعلتها قصيرة لا تستغرق وقتاً طويلاً فهي توافق في ذلك آراء علماء التربية الحديثين في ان الدروس الطويلة تضر بالصغير اكثر مما تنفعهُ اذ تحمّل قواهُ العقلية ما لا تطيق

وكانت ترسل اولادها مع معلميهم ومربياتهم الى جنينات الحيوانات والمعارض والاماكن التاريخية . ولا تلبسهم الا الالبسة البسيطة ولا تضع بين ايديهم الا ادوات اللعب التي يميل اليها الصغار ويسهل عليهم اللعب بها من دون ان تنكسر او تتفكك اجزاؤها

ويقوم على تدريبهم على الرياضة البدنية جندي اسكوتلندي فيوصيهم بانتصاب القامة ويرنهم بعض التمارين غير العنيفة . وكلهم يحسنون الركوب على الدراجة وامتطاء الجياد

والملكة معروفة بالورع والتقوى ويظهر تدينها في آدابها واعمالها لا في عقائدها وحماسها الديني المجرد . وقبل ان ارتقت الى العرش لم يكن يفوتها اسبوع واحد لا تحضر فيهِ اجتماعاً دينياً فتذهب الى الكنيسة هي وزوجها واولادها جميعاً ويختلطون بعامة الناس لا يترفعون عنهم في شيء . وتقرأ كل يوم فصلاً من الكتب المقدسة لا يمنعها عن ذلك مانع . وقد غرست في بنيها فضائل جمة كحب الغير وضبط النفس

ولما اتفقت حاجة الى خدمها وهي تعتقد ان على كل ربة بيت ان تبذل ما في وسعها لكي تجعل ساعات الفراغ عند خدمها اوقات سرور وهناء

ولا تحب لعب الورق وبعض القمار كما يحبهُ زوجها لكنها تميل الى المشي كما يميل هو الى الالعاب الرياضية . وهي صناع اليدين تحسن الحبك بالابرة وقد عُرف عنها ذلك وهي في بيت ابيها فكانت اذا اجتمعت بصديقاتها تستأذن فتاتي بعدتها وتأخذ تحبك الجوارب او غيرها . ويروى عنها انها كانت تردد هذه الكلمات كثيراً « كم اتمنى لو يعطى لي نصف الوقت الذي تضيعهُ البنات في البطالة لا يعملنَ فيهِ شيئاً »

فهي ام في المحل الاول ثم امرأة وربة بيت في باقي الوجوه ولما رافقت زوجها في سياحتهِ حول العالم اعدها آلة الصور المتحركة في اليخت الملكي فكانت كلما حنّت الى اولادها تعرض عليها صورهم وهم يلعبون او يتنزهون او يعملون . ولما دخل ابنها الاكبر المدرسة الحربية البحرية أعدلها بيت في بعض الجزر الصغيرة لكي تكون قريبة منهُ

هذه هي الام الحنون على عرش المالك البريطانية وليس منظرها على العرش والتاج المرصع بزين مفرقها باجل او باهيب من منظرها وهي في بيتها تحمل ولداً من اولادها على ظهرها وعلائم الصحة والنشاط والسرور بادية على وجهه

ترياق السموم

كثيراً ما يأكل الانسان او يشرب شيئاً ساماً فيقف الذين حولهُ مغلولي الايدي لا يدرون ما يجب ان يفعلوا حتى يصل الطبيب · وقد يتفق ان الطبيب يبطئ فلا يصل الا بعد ان يقضي المسموم او بعد ان يتمكن السم منهُ ويصبح تخليص حياتهِ ضرباً من المحال فيجدر بكل احد ان يعرف شيئاً مما يجب عملهُ في مثل هذه الاحوال

اذا كان السم من الحامض الفنيك او الكبريتيك او الهيدروكلوريك او النيتريك او النيتروهيدروكلوريك او الكريوزوت او صبغة اليود او الفصفور فاعطِ المسموم زلال بيضة ممزوجاً بالماء خفقاً وملعقة صغيرة من الخردل في الماء السخن · وان دخل الحامض الكبريتيك او النيتريك او الهيدروكلوريك الى الجوف فاعطِ المسموم شيئاً من الجير (الكلس) مع اقل ما يمكن من الماء · واليك اهم السموم واعراض التسمم بكل منها مع الترياق الذي يوقف فعلهُ

الحامض الاكساليك واكسالات البوتاسا : اقل ما يقتل منها درهم واحد · اعراض التسمم بهما حرقة في الحلق والمعدة وقيء وتشنج وخدر · ترياقها الطباشير او المغنيسيا المحلولة بالماء

الامونيا والبوتاسا والصودا : اعراض التسمم بها تورم اللسان والفم والحلق وبعض الاحيان تضيق في المريء · ترياقها الخل والماء

كلوريد الزئبق (السليماني) : اقل ما يقتل منهُ ثلاث قمحات · يحس المسموم بهِ بطعم حامض معدني وتضيق في حلقهِ ومعدتهِ ويصحب ذلك غثيان وقيء · وترياقهُ زلال البيض النيء · وعدهُ مع اللبن وقد يلجأ الى عجين الدقيق اذا لم يوجد البيض

خلات الرصاص : اعراض التسمم بهِ تضيق في الحلق والمعدة وتشنج البطن المصحوب بالالم وازرقاق حول اللثة · ويعالج بكبريتات الصودا او المغنيسيا ومنها كبريتات الزنك

سيانيد البوتاسا : اذا دخل الجوف ثلاث قمحات منهُ تميت ومن اعراضهِ انقطاع الحس وضيق وابطاء في التنفس واتساع بؤبؤ العين وانطباق الفم وتشنج عضلاتهِ ولا يعرف لهُ ترياق خاص وينفع في حوادث التسمم بهِ صب الماء البارد على الرأس والعنق

اما اذا اصاب جرحاً او سحجاً في الجلد فيراققهُ الم حاد و يعالج بكبريتات الحديد

بيكرومات البوتاسا : اذا دخل الجوف سبب الماً وتهيجاً في المعدة وقيئاً و يجب اعطاء المسموم بهِ بعض المقيئات والمغنيسيا والطباشير . واذا اصاب سحجاً في الجلد سبب تقرحاً مؤلماً

نيترات الفضة (حجر جهنم) : وهو مهيج جداً ويضع لهُ ملح الطعام تعطى من بعدهِ المقيئات حالاً

الحامض النيتريك : درهمان منهُ يميتان وابخرتهُ قتالة واعراض التسمم بهِ تأكل القصبة والتهاب مريع حاد و ترياقهُ بيكربونات الصودا او كربونات المغنيسيا والطباشير

الحامض الهيدروكلوريك : اربعة دراهم منهُ تميت ويعمل فيهِ ما يعمل في الحامض النيتريك صنا في البقية

مناهج الادب

الطبعة الرابعة

اذا طبع كتاب علمي ادبي باللغة العربية اربع طبعات متوالية فذلك اكبر تقريظ لهُ . وهذا شأن الكتاب الاول من مناهج الادب الذي وضعهُ حضرة الاداري الغيور امين بك واصف مدير الجيزة فانهُ طُبع حتى الآن اربع طبعات . والغرض الذي وضع لهُ تدريس علم الاخلاق لصغار الطلبة على طريقة السؤال والجواب المتبعة في مدارس فرنسا اي على اسلوب يجعل التلميذ يبحث عن حقيقة الاخلاق و يستعين بالاستاذ على ما لا يستطيع فهمهُ بنفسهِ . ولا بدَّ من ان تنفد هذه الطبعة سريعاً لان نظارة المعارف قررت استعمال الكتاب في المدارس الابتدائية والثانوية فعسى ان يصلح حضرة المؤلف ما اوردهُ في الصفحة السادسة والسبعين حيث قال الاستاذ « كان الاقدمون منذ نيف واربعة آلاف عام يعيشون جماعات منفصلاً بعضها عن بعض يقضون نهارهم في اصطياد ما بهِ يتغذون ومنهُ يرتدون ثم يلجأون بالليل الى الكهوف والمغاور فراراً من اعتداء الحيوان المفترس » الخ فان هذا القول يصدق على اهالي اوربا لا على اهالي مصر وسورية والعراق لان هؤُلاء كانوا منذ اربعة

آلاف سنة بل منذ خمسة آلاف سنة ممالك متحضرة ذات مدن حصينة وقرى عامرة فاما ان يُؤْتَرنسق الجواب او يخصص بسكان اوربا

ويلي هذا الكتاب كتاب ثانٍ يحوي الجزء الثالث والرابع من مناهج الآدب وهما سيف النظام الاداري والاقتصاد السياسي بدأه بكلام عام في اصول القانون قال فيهِ « يجب ان تكون القوانين الخاصة بنظام البلاد مدونة الاصول الاساسية بعد موافقة الامة عليها بحرية تامة » . الاّ انهُ قال بعد ذلك ما يستفاد منهُ ان اول من اعلن حقوق الانسان هو الامة الفرنسوية في ثورتها الكبرى سنة ١٧٨٩ ولكن لا شبهة في ان الانكليز سبقوا الفرنسويين الى شيء من ذلك في اجبارهم ملكهم يوحنا على اعطائهم الدستور (الماكارتا) سنة ١٢١٥ اي قبل الثورة الفرنسوية بخمسمئة و٧٤ سنة وذلك الدستور هو « الحجر الاول في بناء القانون العام » . وحبذا لو اشار حضرة المؤلف اليهِ او الى ما هو اقدم منهُ واعلق بنا وهو عهد الامام علي الى مالك بن الاشتر النخعي لما ولاهُ على مصر . ولا شبهة في ان النظام الذي وضعهُ اعضاء الجمعية الدستورية الفرنسوية اوفى واتم من « الماكارتا » من كل وجه وقد احسن المؤلف في ادماج بنودهِ في كتابهِ وفي ما جاء عليهِ من الاحكام

ويلي ذلك كلام مفصل يشمل نظام الحكومة المصرية بكل فروعها ومبادئ الاقتصاد السياسي وهي الجزء الرابع من الكتاب

Introduction to the Study of English Literature.

تمهيد لدرس آداب اللغة الانكليزية

وضع هذا الكتاب المستر ستفنس وجمع فيهِ زبدة آداب اللغة الانكليزية وتاريخها من اقدم عهدها الى الآن قاصداً بهِ الافادة من يتعلم الانكليزية من ابناء هذا القطر فاحسن في الوضع والاختيار وجمع في ١٢٨ صفحة صغيرة زبدة ما يرى في مجلدات ضخمة . ومما يمتاز بهِ هذا الكتاب على كتب الآداب الانكليزية ان فيهِ اشارات الى ما يقابل مواضيعهُ في كتب الادب العربية وقد اصاب المؤلف في اكثر هذه المقابلات كما ترى في اشارتهِ الى حماسة الجاهلية عند ذكرهِ الاشعار الحربية واشارتهِ الى الدخيل من الفارسية واليونانية عند ذكرهِ ما دخل الانكليزية من اللاتينية واليونانية والى انتشار العربية وقت الفتح عند ذكرهِ انتشار الانكليزية الآن واشارتهِ الى ترك علامات الاعراب في اللغة العامية عند ذكرهِ ترك تغير آخر الكلمات الانكليزية في العصر المتوسط واشارتهِ الى لغة قريش والاحد

بها عدد ذكرهم تفوق لغة وكلف وتشوسر وككستون الى غيرها من اللهجات الانكليزية . وتزيد هذه المقابلات في المصطلحات البيانية والبديعية بنوع خاص والكتاب من هذا القبيل كبير الفائدة جداً

A New Practical Grammar of the Modern Arabic of Egypt.

اجرومية جديدة للعربية المصرية

وضع هذا الكتاب حضرة سقراط بك سبيرو صاحب القاموسين العربي والانكليزي والانكليزي والعربي وهو وعما في العربية المصرية المحكية الآن في هذا القطر . وهو لازم للذين يقصدون ان يتعلموا التكلم بالعربية المصرية من الانكليز ولا يقتصر على انالتهم غرضهم ولكنهُ يفيد ايضاً من شاء البحث في ما صارت اليهِ العربية المصرية وما كان يمكن ان تبقى عليهِ لولا المطابع والجرائد . ومن ظنَّ انها لا تصلح للكتابة والانشاء فليقرأ الابيات التالية من هذا الكتاب

القط والفار حكايه   القتها من فتوني
يا ناس يا اهل الدرايه   في عرضكم اسمعوني
القط راح يوم يصطاد   والصيد يمتاز صناعه
اتحاش في فخ صياد   جوا شرك يا جماعه
برمه وفار الخلا فات   شاف الاسير في حاله
لما رآهُ وسط فات   آمن الموت وجاله
لما رآه وسط الشاك   قال له عنارم عنارم
يا هل ترى مين رماك   يا عز يا ابن غانم
قال لهُ القط انا غلبان   الرض بستك حبالي
وبعدها خش الاوطان   من القطط لا تبالي
يا فار يا عز الاحباب   يا بو شجاعه طويله
فك الشرك وافتح الباب   واعمل معاي جميله
قال لهُ جميله بدار   ما في الجميله منافع
احنا سمعنا مثل سار   ماشي وفي الناس شايع

مسكين من يطلع الناس ويريد مرق من حديده
مسكين من يغضب الناس ويريد من لا يريده

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف على نفقة لوزاك وشركاه بلندن

Luzac & Co.
64, Great Russell Street,
London.

مقاومة المواد

يسرنا اقدام متخرجي مدرسة المهندسخانة الخديوية على تأليف الكتب المفيدة التي قرنت فيها القواعد العلمية بالتطبيقات العملية كهذا الكتاب فقد قال مؤلفهُ انهُ تصفح كثيراً من المؤلفات المفيدة في هذا العلم انكليزية وفرنسوية ليستعين بها على الجزء العلمي اما ما يختص بالجزء التطبيقي فقد عوَّل فيهِ على المعاملات المختلفة والاثقال النوعية الخاصة بمواد القطر المصري الذي وصل اليها كبار المهندسين بالتجارب في الاعمال المصرية

والكتاب مسهب في بابهِ موضح بالاشكال والرسوم المختلفة وقد فتشنا فيهِ عن حساب المباني الجديدة التي تبنى الآن بالخرسانة المسلحة فلم نعثر على بحث وافر فيها فيحسن بالمؤلف ان يضيف فصلاً مسهباً في هذا الموضوع الى الطبعة الثانية من كتابهِ لانهُ سيكون للخرسانة المسلحة شأن كبير في المباني. وكذلك نود ان يلحقهُ بفهرس مرتب على حروف الهجاء لتسهل مراجعة ما تراد مراجعتهُ فيهِ ويلحقه ايضاً بمعجم الكلمات الاصطلاحية وما يقابلها بالانكليزية او الفرنسوية حتى يسهل على من يريد التوسُّع في هذه المواضيع ان يقرأ عنها في الكتب الاوربية

مطبوعات جديدة

« المدنية والاسلام » تأليف محمد افندي فريد وجدي طبع على نفقة امين افندي هندية

« المرأة المسلمة » ردٌّ على كتاب المرأة الجديدة تأليف محمد افندي فريد وجدي . طبع على نفقة امين افندي هندية

« شعراء العصر » الجزء الثاني لراقمهِ محمد افندي صبري طبع بمطبعة هندية

« النظام والاسلام » تأليف حضرة الشيخ طنطاوي جوهري من اساتذة مدرسة دار العلوم وهو الطبعة الثانية على نفقة امين افندي هندية

« فلسفة العمر » كتاب فلسفي اخلاقي ادبي يبحث في احوال الانسان في ادوار عمرهِ الاربعة نقلهُ عن الافرنسية حضرة الكاتب الاجتماعي صالح بك حمدي حماد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) ثروة فرنسا

مصر . امين افندي محمد . كم مقدار ثروة الفرنسويين وكيف عرف ذلك

ج . قدرت منذ خمس سنوات بنحو ٩١٠٠ مليون جنيه . وحسب ذلك على هذه الصورة :— بلغت قيمة التركات حينئذٍ نحو ٢٢ مليون جنيه وقيمة الهبات ٤٠ مليون جنيه والجملة ٢٦٠ مليون ومتوسط عمر الانسان في فرنسا ٣٥ سنة فهذه التركات والهبات هي جزء من ٣٥ جزءا من ثروة السكان فتكون الثروة كلها ٢٦٠ × ٣٥ اي ٩١٠٠ مليون جنيه

(٢) ثروة الالمان

ومنهُ . كم ثروة الالمان

ج . قدرت ثروة الالمان سنة ١٩٠٩ بنحو ١٨٠٠٠ مليون جنيه وقدرت سنة ١٨٩٦ بنحو ١١٠٠٠ مليون جنيه

(٣) ثروة الانكليز

ومنهُ . كم مقدار ثروة الانكليز

ج . قدرت منذ ثلاث سنوات بعشرين الف مليون جنيه وهي تزيد نحو ثلثمئة مليون جنيه كل سنة فتقدَّر الآن نحو ٢١ الف مليون جنيه

ومنهُ . وكم مقدار دخلهم السنوي

ج . نحو الفي مليون جنيه فيكون متوسط دخل كل نفس منهم ٤٤ جنيهاً ومتوسط دخل كل بيت فيهِ خمسة انفس ٢٢٠

(٤) ادرنه

ومنهُ . يقال ان ادرنه كانت عاصمة العثمانيين فهل ذلك صحيح ومتى كان ذلك

ج . نعم كانت عاصمة العثمانيين من سنة ١٣٦٦ الى سنة ١٤٥٣ او نحو تسعين سنة

(٥) عدد سكان ادرنه

ومنهُ . كم عدد سكانها

ج . نحو ٨٣ الفاً وعدد سكان الولاية كلها مليون و٢٨ الفاً

(٦) بعدها عن الاستانة

ومنهُ . كم البعد بينها وبين الاستانة

ج . نحو ١٣٧ ميلاً

(٧) عدد سكان يانيا

ومنهُ . كم عدد سكان يانيا

ج . يقال ان ليس فيها الآن اكثر من عشرين الفاً ولكن كان عدد سكانها في زمن علي باشا الارناؤطي اكثر من اربعين الفاً وسكان الولاية كلها الآن نحو ٥٢٧ الفاً

(٨) الخضوع للدول

ومنهُ . هل تظنون ان اهالي هاتين الولايتين يخضعون للبلغار واليونان كما كانوا خاضعين للعثمانيين او يثورون عليهم ويخلعون نيرهم

ج . ان فريقاً كبيراً من سكان ولاية ادرنه بلغار ومن سكان يانيا يونان فالاولون يرحبون بحكومة البلغار والآخرون بحكومة اليونان . وفوق ذلك فان خضوع الشعوب لا يتوقف على الجنسية وحدها بل على حسن الحكومة ايضاً فالحكومة التي تهتم بشؤون الرعية واصلاح امورها يخضع لها شعبها عن طيب نفس ولو لم يكونوا من جنسها

(٩) كيفية الوقاية من السل

مصر . لبيب افندي نعمان طبشي جاء في خطبة الاستاذ متشنيكوف عن محاربة السل المنشورة في المقتطف ان السل ميكروباً ضعيف الفعل اذا أصيب بهِ الانسان تطعَّم بهِ فيقيهِ من الداء . فما الذي يفعلهُ ذلك الميكروب بعد اختلاطهِ بالدم حتى يتطعَّم بهِ الجسم وكيف لو هاجم الميكروب القوي الجسم بعد ذلك لا يصاب بالمرض

ج . يظهر من خطبة الاستاذ متشنيكوف ومن كل ما يُعلَم من امر الوقاية في الامراض المعدية ان الجسم يتغلَّب على ميكروب المرض اذا كان الميكروب ضعيفاً او اذا كان قليلاً . وهذا امر طبيعي لان نسبة الميكروب المرضي الى الجسم السليم كنسبة العدو الذي يهاجم مدينة حصينة اليها فاذا كان عدد جنود العدو قليلاً ودخلوا المدينة تغلبت حاميتها عليهم وقتلتهم وكذلك اذا كان عدد جنود العدو كثيراً ولكنهم كانوا ضعافاً منهوكين من التعب او المرض فان حامية المدينة تتغلب عليهم . اما تعليل الوقاية اي كيف يوقى الجسم بدخول الميكروب القليل او الضعيف اليهِ فمختلف فيهِ فقد قال البعض انهُ يكون في الجسم بعض المواد اللازمة لمعيشة الميكروب المرضي وهي قليلة جدًّا فيهِ فتتناولها الميكروبات الاولى منهُ فلا يبقى صالحاً لمعيشة غيرها . وقال غيرهم ان الميكروب القليل الذي يتغلب عليهِ الجسم يبقي في الجسم مادة سامَّة لذلك الميكروب عينهِ كما ان الاجسام الميتة من اكثر الاحياء هي سمٌّ لما كان من نوعها فاذا دخلت الجسم ميكروبات اخرى من ذلك النوع وجدت فيهِ هذا السم فاماتها . وقال آخرون ان خلايا الجسم التي تحارب الميكروبات القليلة وتتغلب عليها تعتاد محاربة تلك الميكروبات فتقوى على محاربة الميكروبات الكثيرة . وقال

عيرهم غير ذلك . وكل هذه الاقوال من باب التعليل لامر واقع وهو الوقاية ولكن لم يكشف سببهُ الحقيقي حتى الآن ويراد بالسبب الحقيقي الشيء الذي بهِ تحصل الوقاية فعلاً وبدونهِ تزول فاذا وُجد بالامتحان ان في الجسم اثراً من الفضة وان ميكروب الدفتيريا مثلاً لا يعيش في جسم الحيوان الأ اذا كان فيهِ شيء من الفضة وانهُ يتناولها كلها من الجسم فلا يبقى فيهِ شيء منها واذا اعيدت الى الجسم عاد ميكروب الدفتيريا الى المعيشة والنمو فيهِ فحينئذٍ يثبت ان الوقاية تنتج من ان ميكروب الدفتيريا اذا دخل الجسم بمقدار قليل او ضعيف حتى لم يستطع التغلب عليهِ تناول منهُ الفضة التي فيهِ فلا يعود الجسم صالحاً لنمو ميكروب الدفتيريا فيهِ

(١٠) القصيدة المندبة

مصر . الدكتور حامد ابرهيم . منذ ثماني عشر سنة او عشرين سنة تقريباً نشرتم في مقتطفكم قصيدة زاهرة تحت عنوان القصيدة المندبة الذكر مطلعها وهو

ارأيتَ في يقظة من نومة الالم

اني شبيهك مكلوم على كلمي

وقد حاولت كثيراً ان اعثر على الجزء المنشورة فيهِ فلم يتيسَّر لي ذلك فارجو ان تتكرموا علينا باعادة نشرها لانها على ما اتذكر من ابلغ القصائد التي قرأتها

ج . ان القصيدة التي تشيرون اليها واردة في مقالة مسهبة لحضرة الوجيه الخواجه ديمتري خلاط موضوعها «كلام من الشعر المندي» نشرت في مقتطف يوليو سنة ١٨٨٨ اي منذ ٢٥ سنة والقصيدة طويلة ملأَت خمس صفحات من المقتطف فاذا شاء حضرة ناظمها ان نعيد نشرها فعلنا ذلك في الجزء التالي

(١١) ثقل الارض

مصر . الخواجه سمعان بطرس نجار طالعت في مقتطف مارس ١٩١٣ سؤالاً عن معرفة ثقل الكرة الارضية واجابتكم عن هذا السؤال ولكنني ارى ان الجواب لم يكن وافياً لاننا لو عرفنا حجم الكرة الارضية يقي امامنا عوارض كثيرة وهي اولاً ان ثقل الماء يختلف من ثقل التراب ثانياً ان طبقات الارض مختلفة نوعاً وثقلاً نوعياً ثالثاً ان سطح الارض مختلف ففيهِ سهول وجبال واودية فما قولكم في هذه الامور

ج . يراد بثقل الارض النوعي متوسط ثقل مادتها المؤلفة من مواد ثقيلة ومواد خفيفة على اختلاف انواعها . واما الجبال والاودية فلا تؤثر في شكل الارض وحجمها تأثيراً يذكر لان اعلى جبالها لا يبلغ ارتفاعهُ ستة اميال وقطر الارض نحو ثمانية آلاف ميل فاذا اخذتم ليمونة كبيرة مستديرة قطرها عشرة سنتمترات وسطحها مبرغل قليلاً كما يكون البرتقال عادة ففيهِ ارتفاعات على كل

منها عشر الميليمتر اي ارق من ورق المقتطف فنسبة هذه الارتفاعات الى جرم الليمونة اكبر جداً من نسبة اعلى جبال الارض الى جرم الارض

(١٢) الحركة الدائمة

ومنهُ . سمعنا ان العلماء يبحثون عن الحركة الدائمة فهل يمكن الاهتداء اليها

ج . كلاَّ ما دمنا نستعمل المواد التي يحتك بعضها ببعض والتي لها ثقل اي تجذبها الارض لان كلاًّ من الاحتكاك والثقل يزيل بعض القوة فتضعف رويداً رويداً

(١٣) عطر الورد

لوفر اورزدني . الخواجه خليل اسطفان حاولت ان اخرج روح الورد بالسبيرتو لكي يصير كماء الورد الذي يستخرج في سوريا فلم افلح جيداً فارجو ان تخبرونا كيف يستخرج وباي طريقة

ج . الطريقة المتبعة في سورية لاستخراج ماء الورد لا يستعمل فيها السبيرتو بل الماء فقط والظاهر انكم تريدون استخراج عطر الورد لا ماءهُ وهذا يستخرج باخراج ماء الورد كما يستخرج عادة في سوريا ثم يصب الماء في آنية مكشوفة ويترك في الليالي الباردة حتى يطفو عطر الورد على وجه الماء فيجمع عنهُ بريشة طائر

(١٤) الملح في الافران

ومنهُ . رأيت مرة احد الخبازين يبني فرناً وكان يضع تحت بلاطهِ ملحاً فسألتهُ ما المنفعة من وضع الملح فاجابني جواباً مبهماً فتكرموا علينا بتعليل ذلك

ج . ان الملح موصل غير جيد للحرارة اي انهُ اذا احمي لا يبرد بسهولة بل يبقى سخناً زمناً طويلاً فيوضع تحت بلاط الفرن حتى اذا سخن يبقى سخناً زمناً طويلاً ويبرد رويداً رويداً ويبرد البلاط معهُ رويداً رويداً لانهُ اذا برد بسرعة لم يعد صالحاً لخبز الخبز ويخاف ايضاً من تشققهِ

(١٥) مرض الاسنان في برازيل

برازيل . الخواجه يوسف توما الزين . ما سبب كثرة مرض الاسنان في هذه البلاد فان الكبار والصغار يشكون منهُ . ويقول بعضهم انهم اخذوهُ من سكان البلاد الاصليين ويقول غيرهم انهُ من اكل الحلوى التي يطعمونها للاولاد بكثرة منذ الصغر ولكننا نرى ان الزنوج اولاد البلاد اسنانهم قوية وجميلة واما البيض فعشرون في المئة فقط اسنانهم طبيعية والباقون اسنانهم صناعية فما سبب ذلك

ج . ان ضعف الاسنان من نتائج التمدن في كل عصر لان المتمدنين يكثرون من وقاية الاطفال الضعاف ومن طبخ الاطعمة فيعيش الاولاد الذين كانوا يموتون في عصر التوحش لقلة غذائهم فتكون اسنانهم ضعيفة ثم يزيد ضعف الاسنان لقلة استعمالها لان الطعام المطبوخ يغني عنهُ . راجعوا مقالة العمران ومرض الاسنان في مقتطف اغسطس الماضي

اغتيال الملوك

كان اغتيال الملوك شائعاً في الازمنة الغابرة حتى قلامات ملك حتف انفه . وقد قل الآن ولكنه لا يزال كثيراً جداً في حسب من يغتال من سائر الناس . وهاك اسماء بعض الملوك ورؤساء الحكومات الذين اغتيلوا في الخمسين سنة الماضية وتواريخ اغتيالهم

لنكلن رئيس الولايات المتحدة قتل في ١٤ ابريل ١٨٦٥ والقيصر اسكندر الثاني في ١٣ مارس ١٨٨١ وغرفيلد رئيس الولايات المتحدة في ١٠ سبتمبر ١٨٨١ وكارنو رئيس جمهورية فرنسا في ٢٤ يونيو ١٨٩٤ وناصر الدين شاه ايران في ١ مايو ١٨٩٦ وامبراطورة النمسا في ١٠ سبتمبر ١٨٩٨ وامبرتو ملك ايطاليا في ٢٩ يوليو ١٩٠٠ ومكنلي رئيس الولايات المتحدة في ٣ سبتمبر ١٩٠١ واسكندر ودراجا ملكا سربيا في ١١ يونيو ١٩٠٣ وكرلوس ملك البرتغال وبكره في ١ فبراير ١٩٠٨ وجورج ملك اليونان في ١٨ مارس الجاري

مؤتمر التاريخ

سيجتمع في مدينة لندن مؤتمر عام للتاريخ فيحضره نواب عن اكثر امم الارض وتستغرق جلساته ستة ايام من ٣ الى ٩ ابريل ويخطب فيه كثير من الاساتذة ورجال العلم المشهورين

فهم الحشرات

وصف المستر لودرك انوك في الجمعية الميكروسكوبية الملكية ببلاد الانكليز زنبوراً من الزنابير التي تحفر سوق الاشجار وتبني بيوتها فيها وقال انهُ رأى في بيت واحد منها آثار ٢٧ فراشة من فراش يندر وجودهُ في بلاد الانكليز حتى انهُ لم يرَ منهُ في اربعين سنة الا فراشة واحدة . وكان هذا الزنبور يقطع سوق الفراشة وجناحيها قبل ادخالها بيته

المادة الصفراء في الحيوان والنبات

جمع الدكتور الشر الاجسام الصفراء من مبيضات عشرة آلاف بقرة واستخلص منها نحو نصف غرام من المادة الملونة ولدى البحث ثبت لهُ انها من نوع المادة الملونة في الجزر واوراق النبات وتقرب كثيراً من المادة الملونة في الطماطس . واظهر غيرهُ ان المادة الملونة في دقيق الحنطة من نوعها ايضاً

بعوض جديد وسلحفاة جديدة

اكتشف عالم يقال لهُ المسيو لاحيل نوعاً جديداً من البعوض في توكومان من بلاد الارجنتين يحمل عدوى الملاريا وسماهُ انوفلس توكومانس

واكتشف ايضاً نوعاً من السلحفاة عند مصب نهر لابلاتا لون ظهره واعلى رأسه وما حول عينيه اسود لامع ولونهُ ابيض ناصع في اقسامهِ السفلى كالبطن والفك الاسفل وفوق عينيهِ قوسان ابيضان

اشعة النور

القى الاستاذ ملكان خطبة في مجمع تقدم العلوم الاميركي ذهب فيها الى ان اشعة النور تسير في الفضاء في خطوط من القوة ولا تنتشر فيهِ انتشار التموجات ووافق ايضاً على رأي الاستاذ بلانك ان سير قوة النور في هذه الخطوط اشبه بسير جواهر فردة منها بجرى متصل ولكن هذا القول لا يتفق مع كثير من الحقائق المعروفة عن تعارض الاشعة

حكاية هندية

يتناقل الهنود حكاية عن الملك سبكي انهُ رأى مرة باشقاً قد انشب اظفارهُ بحمامة فخلصها منهُ ثم عوّضهُ منها قطعة لحم اجتزها من بدنهِ ودفعها اليهِ. وقد عثر بالاسس في وادي سوات في الشمال الغربي من بلاد الهند على لوح من الحجر عليهِ نقوش تذكر هذه الحادثة. ولهذا الاكتشاف اهمية كبيرة في تحقيق التقاليد الهندية والبودية ويظن البعض ان هذه الحكاية وصلت الى اوربا وسمعها شكسبير الروائي الشهير فبنى عليها القصة المشهورة عن شيلوك في رواية تاجر البندقية

كلف الشمس

ينتظر بعض الفلكيين ان يعود دور كلف الشمس قريباً فيبتدئ في شهر مايو المقبل. ولكن الكلف التي ظهرت اخيراً تأخرت عن ميعادها نحو اربع سنوات فلا يمكن الجزم بابتداء الدور هذه السنة

السكر من نشارة الخشب

يصنع السكر من نشارة الخشب بفعل الحامض الكبريتيك والمادة السكرية التي تحصل منهُ تستعمل علفاً للخيل بدل الحبوب فتسمنها وتقويها وهي تحتوي انواعاً مختلفة من السكر والياقاً خشبية سهلة التفتت

اثمن السجاجيد

يقال ان عند رجل من اهالي براغ سجادة أُعطي بها ٢٤٠٠٠ جنيه فلم يبعها وان عند المستر مورغان المثري الاميركي المشهور بساطاً ثمنهُ مئة الف جنيه

رائحة التراب

لا يخفى انهُ تتضوع من بعض الاتربة رائحة طيبة اذا بلّت بالماء وقد بحث الدكتور رولند الالماني في هذا الموضوع وارتأى ان هذه الاتربة واكثرها من الطفال اعلت من الصخور القديمة بفعل الميكروبات ولا تزال اجسام تلك الميكروبات الميتة ممتزجة بها وهي سبب رائحتها

رأس الاسد للينابيع

لا يخفى ان اكثر الينابيع التي يتدفق الماء منها الى السواقي ونحوها يكون فيها صورة رأس اسد يخرج الماء من فيهِ ويقال في سبب ذلك ان فيضان نيل مصر يبتدئ حينما تكون الشمس في برج الاسد فجعل المصريون القدماء رأس الاسد ميزاباً تنصب منهُ المياه في بيوتهم وجنائنهم واقتدى بهم اليونان والرومان وشاع ذلك بعدهم

المطر والزلازل

ابان الاستاذ اوموري الياباني وهو من اكبر الثقات في مراقبة الزلازل ان الزلازل تكثر في بلاد اليابان في السنين التي يكثر فيها وقوع المطر والثلج في شمال بلاد اليابان وتقلُّ في السنين التي يقل فيها وقوع المطر والثلج · كأن كثرة المطر والثلج تزيد الضغط على ارض جزائر اليابان فتخسف طبقاتها او شقوق كهوفها فتهتز من انخسافها

البيض وقتل الميكروبات

امتحن احد الاطباء قوة البيض في التطهير فثبت لهُ انهُ يقتل انواعاً كثيرة من الميكروبات من جملتها ميكروب حمى التيفويد وعليهِ فان الذين يتخذون البيض ضمادات للجراح والحروق محقون في عملهم هذا

عيد لفنستون

احتفل في لندن في ١٩ مارس الماضي بمرور مئة سنة على ولادة لفنستون الرحالة الافريقي المشهور · وتلا السر هري جنستن خطبة وصف فيها اعمال لفنستون وقال ان مَن يمعن نظرهُ في كتبهِ واعمالهِ يجد انهُ اعظم كل الرحال الذين جابوا افريقية · والفوائد وآراؤهُ التي نشرها منذ خمسين سنة او ستين سنة نقرأها الآن فنجدها حديثة · وهو الذي وضع العبارة المشهورة The Cape to Cairo (اي مد سكة من رأس الرجاء الصالح الى عاصمة الديار المصرية) وقد كتبها سنة ١٩٠١ وكان مد هذه السكة من الاغراض التي يسعى اليها · وما افاد بهِ علم الجغرافية ونوع الانسان سبق بين اعظم الاعمال التي عملت من قديم الزمان الى الآن

اصلاح خطأ

ورد في آثار ترجمناها من عدد فبراير اسم مهدي افندي والصواب فيض الله افندي العلي

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ جماد اول سنة ١٣٣١

رجل السيف ورجل المال

ولسلي ومورغان

لقي في الشهر الماضي رجلان عظيمان رجلُ سيف ورجل مال . وما كل رجل سيف يُترجَم في المجلات ولا كل رجل مال يُعنَى الكتَّاب بذكره . لكن الفقيدين فاقا الاقران المرشال ولسلي اصلح الجندية الانكليزية فاستحقَّ مقاماً سامياً بين قواد الجيوش وبذلك يبقى اسمهُ مذكوراً ، وبيربنت مورغان ألَّف بين الشركات المتناظرة فقلَّت نفقات العمل وكثر ربح العمال فصار لهُ المقام الاسمى بين اغنياء الارض . و يشترك هذان الرجلان في انهما لم ينبغا من العدم كاكثر المشاهير بل جرى كلٌّ منهما في خطة والدهِ ولكنهُ فاقهُ بمراحل كثيرة فوالد ولسلي كان ضابطاً في الجيش ووالد مورغان كان صرافاً كبيراً

المرشال ولسلي

Field Marshal Viscount Wolseley

قال احد مترجميهِ « ان تاريخهُ هو تاريخ الجيش الانكليزي بعد دوق ولنجتون » ولعل ذلك اعظم مدح يمدح بهِ قواد الجيوش

ولد في الرابع من شهر يونيو سنة ١٨٣٢ وتوفي في الثانين من عمرهِ . وابوهُ الماجور غارنت ولسلي من نسل الانكليز الذين هاجروا الى ارلندا منذ سنين كثيرة و بلغوا مراتب الاشراف فيها . درس في دبلن عاصمة ارلندا وانتظم في الجيش وعمرهُ ١٩ سنة وحضر حروب برما والقرم والهند والصين والاشنتي ومصر والسودان وابلى فيها كلها بلاء حسناً بل فعل ما هو خير من ذلك وهو انهُ اخمد بعض الثورات بالتهديد من غير حرب كما حدث في حملتهِ على ريل في كندا سنة ١٨٧٠ . وهو قائد الحملة التي تغلبت على عرابي في التل الكبير وكانت

الحد الفاصل بين العهد القديم والعهد الحديث في تاريخ هذا القطر . وقد اشرنا الى ذلك حينما وقفنا اول مرة امام التل الكبير وقلنا

مدافن المفتدينَ الاهل والوطنا ولا ضريحا ولا لحداً ولا كفنا
ايعلمُ القومُ ممَّن زرعهُ نضرٌ والنيل يسقيهِ لا ماً ولا ثمنا
والعدلُ والكل في فسطاطهِ شرعٌ لا يظلمون بهِ سرّاً ولا علنا
أنَّ الدماء التي التلُّ الكبير سقت تحت مظالم فاوى عهدها الزمنا

والذين تتبعوا الثورة العرابية من اولها الى آخرها ظنوا ان الجيش الانكليزي نزل في الاسكندرية اولاً وناوش جيش عرابي في ضواحيها ولما رأى انهُ لم ينل منهُ منالاً انقلب الى الاسمعيلية . ولكن الحقيقة غير ذلك فان خطة السير الى القاهرة بطريق الاسمعيلية هي الخطة الاولى التي اشار بها ولسلي بتقرير وضعهُ في ٣ يوليو سنة ١٨٨٢ لانهُ كان يعلم صعوبة الزحف من الاسكندرية على القاهرة من الجهة الغربية بطريق وردان لان الرمال هناك ناعمة تعيق سير الجنود ففضَّل ان يكون السير من الشرق بطريق الاسمعيلية والزقازيق لان الرمال هناك خشنة غير متماسكة . ولقد ناوشت جنودهُ الجنود المصرية في ضواحي الاسكندرية وكفر الدوار من باب التعمية . ووصل هو الاسكندرية في ١٥ اغسطس ثم اقلع منها في ١٩ منهُ واحتلَّ ترعة السويس في اليوم التالي وجعلها قاعدة لاعمالهِ وكان قد استدعى بعض الجنود الهندية لنجدتهِ فلما وصلت سار بها الى القصاصين في ٩ سبتمبر واخرج منها الجنود المصرية التي أرسلت اليها لمقاومتهِ فيها ولما اكتمل جيشهُ هناك وهو نحو ستة عشر الفاً زحف بهِ على التل الكبير فاستولى عليهِ في نحو نصف ساعة من الزمان . ووصل فرسانهُ الى القاهرة ظهر اليوم التالي . وتمَّ النصر لهُ كما قدَّر ولم يُقتل من رجالهِ سوى ١٠ من الضباط و٧١ من « الانفار » وجرح منهم ٤٣ ضابطاً و٣٢٥ نفراً . ولما عاد الى انكلترا اعطتهُ الحكومة الانكليزية ثلاثين الف جنيه هبةً وأُعطي رتبة جنرال وجُعل من اشراف المملكة

ولا يمكن الحاكم البات بما كان يمكن ان تكون حال الديار المصرية الآن لولا مجيء ولسلي اليها وفوز جنودهِ فيها ولا هنا محل النظر في ذلك

لكن فوزهُ في حروبهِ وابلاءَهُ في خصومهِ لا يميزانهِ على غيرهِ من القواد الكبار وانما الذي امتاز بهِ اصلاحهُ للجندية الانكليزية فاولاً وضع كتاباً صغيراً عدَّد فيهِ ما يجب على الجندي فاتخذهُ الجنود وضباطهم دليلاً في اعمالهم وقد مضت السنون وهذا الكتاب يطبع سنة بعد اخرى و يعتمد عليهِ الجنود والضباط كانهُ احد لوازمهم فيستفيدون منهُ اكبر فائدة

وثانياً اعان المستر كاردول وزير الحربية الانكليزية في اصلاح الجندية بوجه عام . فان المستر كاردول جُعل وزيراً للحربية سنة ١٨٦٨ وللحال اهتمَّ بتقوية شأن الجيش البريطاني بجمعهُ في بريطانيا وطلب من المستعمرات ان تقيم الجيوش لنفسها وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط تقضى السنوات الخمس او الست الاخيرة منها في الرديف وكان ولسلي قد اشتهر بانهُ المقدم للقواد الاحداث فاستعان بهِ على اجراءِ ما يريدهُ من الاصلاح . وكانت وظائف الضباط تباع وتشترى طمعاً فالغى ذلك ووجد في الغائهِ مشقة عظيمة لان مجلس الاعيان لم يصادق على قرار مجلس النواب في هذا الشأن ففشلت الوزارة ولكنها جعلت الملكة تؤيد الالغاء بامر خاص . ثم اعاد تنظيم الجيش وجعلهُ فرقاً خاصة وجعل اركانهُ كلها تابعة لنظارة الحربية وانشأ قلم المخابرات سنة ١٨٧٣ فصار لهُ الشأن الاكبر في الادارة الحربية . وللوزير كاردول الفضل الاول في هذه الاصلاحات لانهُ اول من انتبه لها ولانهُ استعان بالجنرال ولسلي على تحقيقها ولكن فضل ولسلي فيها لا ينكر لانهُ كان الفاعل الاكبر في اقتراحها واجرائها

وكانت وفاتهُ في ٢٥ مارس ودفن في ٣١ مارس في كنيسة مار بولس مدفن عظماء القواد

بيربنت مورغان
Pierpont Morgan

اما بيربنت مورغان فمعروف عند كثيرين من سكان هذه العاصمة لانهُ جاءها وانهُ اقام فيها هذا الشتاء قبل ان ذهب الى رومية حيث وافتهُ منيتهُ ظهر الحادي والثلاثين من شهر مارس الماضي . وقد ترجمناهُ منذ احدى عشرة سنة وقلنا فيهِ ما يأتي

« هو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبهِ حيث يدير اشغالهُ الكثيرة مفصولاً عن الكتّاب الذين في خدمتهِ بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروهُ واذا دخل عليهِ وزير قابلهُ كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يختار في حديثهِ الكلمات الوجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلمة لا ويلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل بات الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة رُكفلر ولا ثروة كارنجي ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما وقد اثريا اكثر منهُ لان جانباً كبيراً من ثروتهما اتاهما عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فابن ثروتهُ بجدهِ وحسن نظره في العواقب

« كان ابوهُ صانعاً عند فلاَّح ثم صار كاتباً عند بائعٍ منسوجات وبقي كذلك الى ان صار عمرهُ ٣٨ سنة وخطر لهُ حينئذٍ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوستن واشتهر باجتهادهِ واستقامتهِ فاتسعت اشغالهُ رويداً رويداً وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق بهِ معاملوهُ ثقة تامَّة لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم . واقتصر على ما يسمَّى باشغال البنك القانونية وزادت اشغالهُ بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار لهُ المقام الاول بين الماليين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وتعرَّف فيها بالمستر بيبدي المشهور بسخائهِ ومبرَّاتهِ فقدرهُ بيبدي قدرهُ وعرض عليهِ ان يشاركهُ في اعمالهِ المالية فزادت تلك الاعمال نجاحاً وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال وبذل جهدهُ في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيويورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية . ولما عاد الى نيويورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم واولم لهُ كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضلهِ عليهم ويقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت خمسمئة مليون جنيه

« ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيهِ وتدرَّب عندهُ على المعاملات المالية وتوفي ابوهُ سنة ١٨٩٠ فاستقل بادارة اعمالهِ ووسَّع نطاقها بهمتهِ واشتهر باصالة الرأي والحزم في الاعمال . قيل جاءهُ رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم لهُ باعلى ثمن لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ . وجعل يحدث نفسهُ بما يقولهُ وما يجيبهُ المستر مورغان بهِ حتى لم يبقَ عندهُ ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جداً لهُ فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمهِ وجلس ينتظر الى ان عيل صبرهُ واخيراً خرج مورغان اليهِ وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فامضى الرجل البيع ولم ينبس ببنت شفة

« وقال احد المعاصرين جئتهُ يوماً لاقترض منهُ مليوناً من الريالات على ضمان ولم أكن اعرفهُ ولا كان يعرفني فتفرَّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال « نعم » واشار الى احد شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب . فامضى في ربع دقيقة عملاً مالياً كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيهُ في اسبوع

« واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى تزول المناظرة من بينها وتقل نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمانٍ من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه . واهم هذه الشركات شركة كارنجي وكان لكارنجي

في شركتهِ ٨٥٠٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه بجملة ما يتملكهُ منها ٢٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمَّ لهُ ذلك لم يتعذَّر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما حمل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو ستين مليون جنيه وكان هذا الربح حقيقياً لا وهمياً لان ارباحها زادت مليونين ونصف مليون من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيء . وعنيَ عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير ولم نقف على مقدارها ولكنها لا تقل عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئاً من عمل الفولاذ

« ولمْ تدرَّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربهُ في عظمتهِ وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه فانهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفَّر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضمَّ الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجري وبلغ ربحهُ من ذلك كلهِ ما اشرنا اليه قبلاً . ذلك انهُ ورث عن ابيهِ مليونين من الجنيهات فصيرها ثلاثين مليوناً في بضع سنوات . ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

« وهو من كبار المحسنين دفع ٣٠٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيو يورك و ٢٠٠ الف جنيه لدار البحث البيولوجي في جامعة هارفرد و ١٠٠ الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

« ولهُ ولع شديد بجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غاينسبرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة « دوقة دبنشير » وابتاع صورة أخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم وكلما اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في نورمندي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى

ربما منقوشاً عند امرأة فلاّحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكني اريد ان اشتريهُ فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطيني بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها . انتهى »

ويقال ان التحف التي جمعها من صور ونسط وادوات ذهبية وفضية وما اشبه تساوي عشرين مليوناً من الجنيهات

ولا يعلم مقدار ثروته تماماً فالذين يبالغون فيها يوصلونها الى اربعين مليوناً من الجنيهات والذين يحسبونها يحطونها الى عشرة ملايين . ولكن ان اختلف المقدرون في تقديرها فهم لا يختلفون في ان اصحاب الف ومئتي مليون من الجنيهات وضعوا اموالهم كلها في يده ليتولى ادارتها فهو من هذا القبيل اقدر مالي قام في الدنيا حتى الآن

لما حدث الضيق المالي سنة ١٩٠٧ اشتد في نيويورك حتى هدد البلاد بخراب عام وحمل الذين عندهم اسهم وسندات يعرضونها للبيع ولا من يشتري لقلة النقود المتداولة . وطلب بعضهم ان يستقرضوا ويدفعوا فائدة بمعدل ستين في المئة في السنة فلم يجدوا من يقرضهم فذهب المستر طوماس رئيس بورصة نيويورك الى المستر مورغان وطلب منهُ ان يفرج ضيقة الناس وهاك ترجمة ما قالهُ في هذا الصدد منقولاً عما شهد به في العام الماضي امام قاضي التحقيق قال « قلت للمستر مورغان لقد عزّت النقود واعضاء جمعية البورصة يحتاجون الى خمسة ملايين من الجنيهات . وبعد ما تذاكرنا بضع دقائق قال ستُعطَون خمسة ملايين لعدت الى البورصة وقلت لاعضاء الجمعية ان النقود ستأتينا حالاً . وبعد خمس دقائق جاءت النقود وزالت الازمة فان البنوك التي يتولى المستر مورغان ادارتها فتحت ابوابها وللحال انخفضت الفائدة السنوية الى ستة في المئة ثم الى ٣ في المئة »

وهذه ليست اول ازمة فرّجها ففي سنة ١٨٩٣ اشتد الضيق على خزينة الحكومة الاميركية لكثرة صدور الذهب من البلاد وخيف من وقوف الاعمال فرأس لجنة من الماليين واشترى ما يساوي ١٢ مليون جنيه من سندات الحكومة دفع ثمنها ذهباً فانفرجت الازمة حالاً

والبنك الذي انشأهُ هو وشريكهُ طوماس منذ ثلاثين سنة كان رأس ماله مئة الف جنيه فبلغت ارباحهُ في هذه الثلاثين سنة ١٨ مليوناً من الجنيهات اي ان الجنيه الواحد ربح ١٨٠ جنيهاً

قوات الدول البحرية

اصدرت نظارة البحرية الانكليزية مساء ٢٠ مارس الماضي احصاء رسمياً بما كان لكل من انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا والنمسا والولايات المتحدة واليابان — وهي الدول البحرية الكبرى — من السفن الحربية في اول يناير الماضي مفصلة فيه ذكر البوارج والطرادات المدرعة التي مضى على تاريخ انزالها الى البحر اكثر من عشرين سنة . وهذا بيان ذلك

بوارج مبنية — لانكلترا ٥٥ ولفرنسا ٢١ ولروسيا ٩ ولالمانيا ٣٣ ولايطاليا ٩ والنمسا والمجر ١٣ وللولايات المتحدة ٣٣ ولليابان ١٧

بوارج تحت البناء — لانكلترا ١١ ولفرنسا ٧ ولروسيا ٧ ولالمانيا ٧ ولايطاليا ٥ والنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٤ ولليابان بارجة واحدة

سفن خفر السواحل — ليس لانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا والمجر واليابان سفن من هذا الصنف ولفرنسا ست منها ولروسيا واحدة فقط وللولايات المتحدة تسع سفن

طرادات مدرعة — لانكلترا ٣٤ ولفرنسا ٢٠ ولروسيا ٦ ولالمانيا ٩ ولايطاليا ٩ والنمسا والمجر ٤ وللولايات المتحدة ١٤ ولليابان ١٣ وليس لاحداهن طرادات من هذا الصنف تحت البناء

طرادات مدرعة نصف تدريع — لانكلترا ثمانية من هذه الطرادات تحت البناء وليس لسائر الدول شيء منها لا مبني ولا تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثانية — لانكلترا ٣٨ عداً من طرادات تستخدمها لقضاء مصالح مستعمراتها . ولفرنسا ٤ وليس لروسيا سفن منها ولالمانيا ٣٠ ولايطاليا ٢ والنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ١٥ ولليابان ١٣

طرادات محمية من الدرجة الثانية تحت البناء — لانكلترا ٧ ثلاثة منها تبنى للخدمة البحرية في استراليا ولالمانيا ٤ ولايطاليا طراد واحد ولروسيا طرادان وليس للولايات المتحدة واليابان سفن منها تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثالثة — لانكلترا ١٥ ولمستعمراتها طراد واحد ولفرنسا ٥ ولروسيا طرادان ولالمانيا ١١ ولايطاليا ١١ والنمسا والمجر ٣ وليس للولايات المتحدة سفن منها ولليابان اربعة طرادات من هذا الصنف

طرادات محمية من الدرجة الثالثة تحت البناء — لايطاليا اربعة طرادات وليس لسائر

الدول سفن منها تحت البناء

طرادات غير محمية — لانكلترا ٥ ولالمانيا ٤ وللنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٣ ولليابان اربعة وليس لفرنسا وروسيا وايطاليا سفن منها

طرادات غير محمية تحت البناء — لانكلترا طرادان وليس لسائر الدول سفن منها تحت البناء

كشافات — لانكلترا ٨ ولايطاليا كشافة واحدة وللولايات المتحدة ٣ وليس لسائر الدول شيء منها

كشافات تحت البناء — لايطاليا كشافتان وليس لسائر الدول شيء منها تحت البناء

سفن طوربيد — لانكلترا ٢٨ ولفرنسا ٤ ولروسيا ٣ وليس لالمانيا شيء منها ولايطاليا ٣ وللنمسا والمجر ١١ وللولايات المتحدة سفينتان ولليابان ٣ سفن

سفن طوربيد تحت البناء — لانكلترا سفينة واحدة وليس لسائر الدول شيء من ذلك تحت البناء

مدمرات — لانكلترا ١٩١ منها ثلاث لاستراليا ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٩٦ ولالمانيا ١٢٤ ولايطاليا ٢٣ وللنمسا والمجر ١٢ وللولايات المتحدة ٤٦ ولليابان ٥٩

مدمرات تحت البناء — لانكلترا ٣٨ ولفرنسا ١١ ولروسيا ٩ و٣٦ اوصت بها ولم يبدأ ببنائها بعد ولالمانيا ٩ ولايطاليا ١٠ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٤ وليس لليابان شيء من ذلك تحت البناء

نسافات من الطرز الجديد — لانكلترا ٣٦ نسافة وليس لسائر الدول نسافات من هذا الصنف

نسافات عادية من جميع الاصناف — لانكلترا ٧٣ ولفرنسا ١٦٦ ولروسيا ٢٦ ولالمانيا ٨٠ ولايطاليا ٧٧ وللنمسا والمجر ٧٠ وللولايات المتحدة ٢٢ ولليابان ٥٠

غواصات — لانكلترا ٦٥ ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٢٩ ولالمانيا ١٨ ولايطاليا ١٢ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٢٥ ولليابان ١٣ غواصة

غواصات تحت البناء — لانكلترا ٢٢ اثنتان منها لاستراليا ولفرنسا ٨ ولروسيا ٨ ولالمانيا ١٤ (وقد يمكن ان تكون قد اوصت باكثر من ذلك) ولايطاليا ٨ وليس للنمسا والمجر شيء منها تحت البناء . وللولايات المتحدة ٢٢ منها ثمان لم يشرع في بنائها بعد ولليابان غواصتان اثنتان . هذا وقد اوصت روسيا ببناء اثنتي عشرة غواصة قريباً

الاخلاق

(تابع ما قبله)

٥

قد اتضح لكم اذاً ان العوامل الاجتماعية تؤثر في الاخلاق مثلما تؤثر عوامل الاقليم اي الحر والبرد في الحيوان وفي ما هو حيواني في الانسان . بقي علينا ان ننظر خصوصاً في ما يحط الاخلاق ويفسدها فتخمد في سبيل المجد والعلى ولا ينشط صاحبها الى نصرة ما فيه اقامة حق او ازهاق باطل . ولا يطمح الى مأثرة ولا تسمو الى منقبة همته . بل يغضي على الضيم خاملاً وقد رئم المذلة والاستعباد . وان عبداً لعاداته القديمة لكالعبد للحكومة الاثيمة . ففي الغرب كما في الشرق مذاهب وعقائد وتعاليم تذهب بالبأس والهمة والشجاعة والاباء فتطفئ في المرء نور الضمير . وتخدر منه الحس والشعور . وتقعد فيه الارادة الاَّ في سبيل الاباطيل والمنكرات . احقاً ان الغاية القصوى من الحياة ان يجمع الانسان في عمله مهما كان وكيفما كان ؟ هل رصدت ايها المتكالب في سبيل المال العابث بما في الحياة من جوهر الكمال . ان في الحقول وفي المراج وفي الخمائل ما في السماء وفي البحار وفي النفس البشرية من جمال . لا يوزن منه قنطار ولا يكال . وانت ايها الزعيم زعيم العمال . سمعت اناساً يقولون انك تتاجر بالفقر والفقراء فتمسي غنياً . وانتم ايها البائسون المؤمنون بمن لا يصدقون يتخذون فيكم الغرائز ويغرون عليكم الاسياد . والى غاياتهم على بؤسكم يسيرون

« وما انخفضوا كي يرفعوكم وانما رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا »

وسيدي صاحب الدولة والرتب العالية ان دستوره « كتاب الاميره وابناء يتخذه دستوراً لاعماله وافكاره . (« وكتاب الامير » لمكيافلي ايها السادة يعلم الكذب في السياسة والمكر والغدر والسفسطة والرياء)

قال الكردينال ريشليو في وصيته السياسية ان الحاكم لا ينبغي ان يولي صاحب الشرف والوجدان . وفي كتبنا العربية التي تعلم الملوك والسوقة السلوك كثير من هذا . وان نصيحة ريشليو لتذكرني بما قاله عمر عند ما عزل زياد بن ابي سفيان قال زياد : لم عزلتني يا امير المؤمنين أعجز ام خيانة ؟ فقال عمر : لم اعزلك لواحدة منها ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس

فالشرف والكياسة والذكاء والوجدان عيوب في صاحب السياسة غربياً كان او شرقياً الأَ اذا استخدمت في المصانعة والكذب والمكر والخداع

على ان الشرقيين قد لا يرون في مدنية اوربا غير آفات الغش فيها في خطاب لي سبق فينفرون منها بل ينبذون من اجلها المدنية كلها زاعمين انَّ فيها مالا يوافق حالهم وشؤونهم وطباعهم. ولعمري ان ما فسد في تلك المدنية لا يوافق احداً من الناس لاشرقيين ولا غربيين. وفي اوربا واميركا كثيرون من ذوي الرصانة والحصافة نوابغ في العلوم وفي الفنون وفي الآداب يحملون على ما في مدنيتهم من الموبقات والمنكرات. واكثرها آفات ظاهرة تعرف الحكومة كيف تأثرها لتصلحها او تستأصلها. واما في الشرق فآفات المدنية خفية دقيقة يصعب على العلماء معالجتها ويعجز في سبيلها الحكام. الغربي بما فطر عليهِ من حب الحرية والجهر بالامور يجرأ على عمل قد يكون مخالفاً سنن العدل المصطلح عليها ولا يخفي قصدهُ عن الناس بل يسير اليهِ في رابعة النهار ويعززهُ بحجة عقلية او سياسية. وقد يكون مجرماً مع ذلك او فوضوياً. اما الشرقي فنفسهُ كتاب من الاسرار مختوم لا يعلم منهُ الاَّ ما نقش على الختم — « الطف. المجاملة. المسامحة. الاستسلام.» — تحدث الشرقي في اجل الامور او في احقرها وتطلق لنفسك العنان في النصح او النقد او التقريع فيهز رأسهُ مؤمناً مجيباً — اي نعم — تمام — الحق معك — هذا صحيح — حبذا والله — ثم يذهب في شأنهِ ثابتاً في خلالهِ

اخواني. في كل اخلاقنا الكريمة الشريفة ما وجدت خلقاً يقارن الجرأة الادبية والحرية الادبية. شعوب وامم تفرقوا مذاهب وهم في حاجة الى التئام قبل كل شيء. ومفتاح التئام التصريح بمقاصدنا وغاياتنا. التصريح بما تكنهُ افئدتنا مما يختص بشؤوننا الاجتماعية والدينية اما هذه الحرية السياسية التي ترفع في الجرائد وفي الاندية عقيرتها فليست صافية من شوائب التقية والتعصب والمخاتلة. لم يزل هذا الشرقي شرقياً مسلماً كان او مسيحياً. فيقف مثلاً امام الحاكم مكتفاً مزرراً ويتأدب تأدباً لا يمنعهُ من الغيبة والنميمة عند ما يخرج من الديوان. ويظهر ان سبَّ الحاكم سراً خلق قديم من اخلاق الشرقيين. لذلك قيل في الامثال. « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيهِ وكف لسانك عن سبهم »

على المرء ان يدفع الحجة بالحجة والظلم بالحق واذا اقتضى الامر فبالتمرد والعصيان. فيكون التمرد اذ ذاك حقاً والعصيان واجباً. عليهِ ان يطالب ابداً بحقوقهِ المهضومة معها

كانت . فاذا نام عن صغيرها لا يستطيع صيانة كبيرها . ولكن الشرقي لرقة ادبه او لكبر نفسه او لشدة ورعه يُغضي على الضيم ويعود الى الله . وقد يتأوه في سره ويشكو الزمان . والحق يقال ان في الناس حتى في الغرب كثيرين مثل الشرقيين يسكتون ولا يعارضون ما زالت تجارتهم رابحة وما زالوا على شيء من العيش رغد هنيء . ولا بد لتجار اصحاب الذراع والميزان من المجاملة والمكايسة فالحضارة تنبه في الانسان غرائز لا اثر لها في فطرة اهل البادية . وحبذا اخلاق العرب . حبذا البأس والمنعة وعزة النفس والمروءة والاباء والشهامة والوفاء . ولكن الاحكام الشرقية والتقاليد الدينية والمذاهب السياسية ذهبت باكثرها

« في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيل »

ترانا لا نأتي عملاً لا يكون منصوصاً عليه في كتب الدين . ولا نخطو خطوة لم يخطها ابلنا اجدادنا . ولا نقول في مشاكل الحياة قولاً لا نستطيع اسناده او اسناد مثله الى احد الائمة الكبار . ولا يعنّا ضر او خير الأمة تعالى . فنتوه في جهلنا قائلين : انا لله ! ونتربع على بساط المذلة صارخين : انا لله ! ونركب مطية الجبن والعجز متأوهين : انا لله ! ونحل بنا صبع ضربات مصر فنصرخ مبتهلين : والحمد لله والشكر لله !! جيل هذا التناهي في الورع والتقوى . جيل هذا الصبر والاستسلام . ولكن امماً في الغرب اراحوا الله من صراخهم وشكواهم فافلحوا . صادقي . خلق الله الطير ليطير بجناحيه لا لتمرغ بهما في اوحال اليأس ويكسرهما على صخرة الايمان . وجناح النفس والعقل في الشرق لم يزل والحمد لله سليماً ولكنه مكبل مقيد قيدته الاباحة والاستسلام . قيدته عقيدة القضاء والقدر . قيدته الاحكام الظالمة . قيدته السيادة الدينية المطلقة . قيدته الطاعة العمياء . قيدته التقاليد والخرافات . بل قيدته المرأة في قيودها . حلوا قيود المرأة الشرقية تحل قيود الشرق كلها تدريجياً

ومن غريب مجايا الشرائع والاحكام انها تحرر جيلاً من الناس وتستعبد آخر . كانت عقيدة القضاء والقدر قديماً من اكبر عوامل النصر في الاسلام وهي اليوم من اكبر العوامل في تأخر المسلمين . والشريعة التي حررت المرأة من احكام الجاهلية وعاداتها جعلها بعض ائمتها اليوم نيراً على المرأة لا يطاق . الشريعة التي تقبلها امرأة العصر الخامس لا تقبلها امرأة العصر العشرين . والتي تقبلها امرأة اليوم قد ترفضها امرأة الغد . وهذا هو ناموس الترقي الحي الدائم الذي يخدع المتشرع والمصلح والحكيم . فمن الادب والسياسة انما هي من عقل الانسان وانما هي التي ابقت عقل الانسان في قيود الجهل والعبودية زمناً طويلاً . على المرء اذاً ان يكون

متيقظاً عاملاً ناشطاً مفكراً فلا يقبل اليوم من الشرائع التي سُنَّت لاجدادهِ مالا يوافق حالهُ ولا يساعدهُ في ترقية نفسهِ وعقلهِ بل في ترقية قواهُ الحيوية والروحية كلها . عليهِ الاَّ يكون عن

« عاشوا كما عاش آباؤهم سلفوا   واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا »

« فما يراعون ما قالوا وما سمعوا   ولا يبالون من غيٍّ لمن سجدوا »

ومن سعى سعياً جميلاً في تكييف الاحوال لتوافق نزعات النفس السامية ولتحقيق آمال الفكر العالية كان من الصالحين المقربين من الآلهة . وما يعترضنا في طلب الحقيقة وفي تعشق صورة الكمال من جهل وتعصب وتقاليد وخرافات فمن الشيطان لا من الله . وعلينا ان نناهضها لنذللها ونستأصلها تماماً

قال إمرسون : « النفس العاقلة هي التي ترى الخلود في كل شيءٍ وتساعد في تكوين العالم » . وفي النفس مرآة الهيئة تنعكس فيها صورة الكمال . وكل فكر جميل يصقلها وكل فكر خبيث يشوهها . علينا اذًا ان نهجر امانينا السيئة وآمالنا الباطلة ونزدريها اذا اعترضت الفكر الجميل في سعيهِ وسعيهِ وجدهِ . ان ارادة الانسان اذا ادركها وروَّضها لمطيعة . ومتى بدأ يقول « علي ان افعل اذن لي ان افعل » كما قال الفيلسوف كَنت ويقرن بالعمل قولهُ يتدرَّج الى السيادة المطلقة في عالك الحيوان والنبات والاثير وفي ما فوقها للنفس من ملك لا يحد

ولكل منا دائرة اجتماعية صغيرة يستطيع ان ينير فيها مصباح الفكر والحب والارادة . ولكل منا سلسلة حوادث يتألف منها المهم في حياتنا الاصطلاحية فيستطيع ان يكونها لتوافق ما سما من افكارنا وما سلم ورقَّ من شعورنا . هذا اذا كانت لنا ثقة بانفسنا فنعزز بالعمل الارادة فينا

ولا بد من سقوط كل عقيدة من شأنها ان تبقي الانسان في ضعفهِ وجهلهِ وخمولهِ . ولا بد من اضمحلال مذاهب وتعاليم ركنها الاول من الوهم والخرافة . ولا بد من نسخ كل شريعة لا يقرها العقل ولا يخضع لها الضمير . وما نهض بالاوروبيين من مهامه الجهل والهمجية والاستعباد غير تحررهم من خزعبلات السياسة والاحكام من قيود الخرافات والاوهام

في جزيرة جاوى نوع من الشجر لا ينمو في ظلهِ نبت ولا يعيش حيوان . شجرة في جذعها واغصانها سم يسم تربتها وظلالها ثمارها وما حولها من الارض الجدباء كانها واحة

في قلب البادية : هذه لعمري شجرة الخرافة تزرع في النفس فتسم الفضائل والاخلاق · وتمتد ظلالها الى العقل والى القلب فتفسد فيهما الفكر والشعور · شجرة جذعها من الخوف وسمها من الجهل واغصانها من الاوهام وثمارها وان كانت كبيرة جميلة كتفاح سدوم قلبها رماد وكبريت · متى يتخلص غلالك في الشرق ايتها الشجرة السامة المهلكة · متى يستأصلك العلم من انفس الشرقيين · ومتى يطرد الذين يرعونك بالتربية ويتاجرون لسمك وثمارك ؟

« تكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق »

اولئك الذين يتاجرون بتفاح سدوم يفسدون في الناس عقيدة الايمان الحقة · الايمان سر القوى البشرية من عقلية وروحية ومادية · الايمان الحي الصادق يحرك صاحبهُ الى المفاداة بالنفس والنفيس في سبيل الحق والشرف والعدل والحب والمجد والعلى · وفي سبيل العلوم التي تحبب هذه الفضائل الى الناس · وفي سبيل الفنون التي تحيي فيها صورة الكمال · قديماً كان النبي الكاتب الشاعر في الناس · وما كان ليهيب الموت اذا اعترضهُ في سبيلهِ · فيصيح كلمتهُ على اعداء الحق بل اعداء الله ولسان حالهِ يقول على الدنيا السلام · فاين شبه الانبياء في ادباء هذا الزمان وشعرائهِ · تراهم يتزلفون الى ذوي السيادة و يصانعون صوناً لمصلحة او جراً لمغنم · اما الايمان فميت في صدورهم فالاديب الذي يفادي بسعادتهِ سبيل ادبهِ · والسياسي الذي يفادي بمنصبهِ في سبيل وطنهِ · والعالم الذي يفادي بحياتهِ في سبيل علمهِ · ان هؤلاء وان عدوا من الكافرين لمن اجل الناس ورعاً واعظمهم اعتقاداً واصدقهم ديناً · ذلك لان ايمانهم بالله وبالحري بما في النفس البشرية من القوى الالهية الكامنة حي صادق مجيد · المجد الله يا هذا · كن عادلاً محباً منصفاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عاملاً في تحقيق امل واحد من آمال النفس السامية · فانت في الحدائق بالمقربين منهُ تعالى تمجيداً كاتباً لاسمهِ

٦

عقائد في الشرق واضاليل تفسد العقول والاخلاق فما الذي يصلحها ؟ لا اقول قول منتسكيو ان على الحاكم ان يتقدم القانون ليتبه من اماهم الدين او بالحري الاعتقادات الدينية الباطلة التي تعزو الاشياء كبيرها وصغيرها الى قضاء لا يرد فالعقائد الفاسدة لا تزيلها غير العقائد السليمة · والقانون لا يجرأ على اقتلاع شجرة الخرافة من اصولها لان ذوي المصلحة الذين يتاجرون نسمها وثمارها كثيرون · فالعلم الصحيح وحدهُ ببه من خدرتهُ التقاليد

والخرافات ويبعث منهُ الخمس والجسد اما القوانين والاحكام فتعجز عن اصلاح ما افسدتهُ من الاخلاق

ان عصرنا هو عصر البحث والتفتيش والتمحيص . واذا كانت لا تسود هذه الروح روح الزمان الرائية في آدابنا واديانا وسياساتنا واجتماعياتنا لا تصطلح اخلاقنا ابداً ولا تفك قيود العقل والنفس فينا

في كل الفلسفات الادبية القديمة والحديثة ما وجدتُ اصلح من فلسفة الرواقيين واسمى منشئها زينون اليوناني . فان فيها من المنبهات العقلية والمقويات الروحية ما لا نجدهُ صافياً في الحقائق التي تلقننا اليوم فلسفة الرواقيين تعلّمنا الواجب الذي لا يتعدى العمل به اللازمَ المفيد . وتعلّمنا الصبر على الشدائد وعظائم الهمة . وتعلّمنا ان ننظر الى السرور والحزن بعين هادئة وقلب مطمئن . وتشدد العزيمة فينا فتحصن النفس من طوارئ الدهر وتعدّها لنوائب الزمان . وتحبب الينا الفضيلة حبّاً بها لا حباً بجنات تجري من تحتها الانهار لمذهب الفيلسوف زينون الفضل الاكبر في عظمة رومية و بأس ابنائها . بل هو مهد رجالها العظام من قادة وسياسيين وفلاسفة وقياصرة . لو حكم عليَّ بالمذهب لما اخترت غير الرواقية مذهباً

لا انكر ان ماضي الشرق غنيٌّ بالنوابغ العظام . بالذين تفردوا ذكاء وروحاً واخلاقاً فنظموا الشعر واشترعوا الشرائع ووضعوا التعاليم فكانوا اعلاماً يهتدي الناس بها . ولكن المعلمين منبهون مرشدون . والانبياء الى الطرق القويمة هادون . على ان « الانسان لم يُخلق ليقاد بالزمام » بل فطر على ان يهتدي بمصابيح العلم والحرية فالعلم ينير الحوادث ودلائلها والحرية تمكنهُ من الاستفادة بها فكراً وعملاً

ان في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيراً يبطل الاخير منها السابق لها . ان تعاليم كنفوشيوس السياسية تغاير الشرائع الدستورية التي تأسست عليها اليوم جمهورية الصين . وفلسفة بوذا الاجتماعية تتقوض في ظل الاحكام الانكليزية

وفي الشرقيين من ادركوا هذا من عظم خلقهم وكبر قصدهم وبعدت همتهم . وانما لنرى شيئاً من هذا الادراك السامي حتى في المتفردين بالتوحش من الفاتحين . رجل رجلاهُ في الدم وفي رأسهِ شيء من السماء نظر الى السماء وقال : اذا كان الله في كل مكان لِمَ لا نعبدهُ في اي مكان كان . في اشراك نفس جنكزخان الذي هدم الجوامع واعتنق الاسلام وردة جميلة من ورد الحقيقة السامية . وان كلمتهُ لتذكرني بما اخبرناهُ القديس اوغسطينوس عن العالم الوثني الشهير في زمانه فكتورنيوس فانهُ اخبر احد اصحابهِ يوماً انهُ اهتدى الى الدين

المسيحي فقال صاحبهُ لا اصدق حتى اراك في الكنيسة . فقال فكتور هيوس وهل الجدران تجعل المرء مسيحياً . الحقيقة تجلى في الاحايين البربري تجليها للفيلسوف

وانا لنجد في الشرق اليوم في اي مدينة كانت اناساً تساموا عقلاً وخلقاً ولكن خاصة اخلاقهم لازمة غير متعدية

بين ان الغربيين اذا سمت اخلاقهم صحت منهم العزيمة وبعدُ القصد فيعملون بما اوتوا من المواهب لخير الناس . وانا لنرى هذا الفرق في حكمتنا وحكمتهم كما قلت . وازيدكم من ذلك مثالاً . جاء في بعض الكتيبات الرجل الفاضل الرشيد لا ينبغي ان يُرى الأ في مكانين اما مع الملوك مكرماً واما مع النساك متعبداً . هذه حكمة الشرق . اما الفاضل الرشيد من لا يُرى لا مع الملوك مكرماً ولا مع النساك متعبداً بل في معمعان الحياة عاملاً . هذه حكمة الغرب . فالزهد والانقطاع عن الدنيا كالاخلاد الى نعيم العيش كلاهما يورث الخمول والخبال . واذا سمت مراقبهُ فلا يربي في صاحبهِ غير الفضائل السلبية . وها كم قصة تمثل ما اريد

التقيت مرة في الطريق على شاطئ البحر بدرويش اسمهُ الشيخ عبدالله وهو من السالكين طريقةً مولوية . فاخبرني انهُ وصل الى سوريا منذ خمسة عشر يوماً قادماً من الحجاز ماشياً وقضى في الطريق خمس عشرة سنة . واخبرني انهُ جاء سوريا ليزور فيها قبر احد الاولياء في نواحي طرابلس

« تركتَ ضياء الشمس يهديك نورها وتبغت في الظلماء لمحة بارقِ »

على انهُ بان لي بعد ان حدثتهُ في طريقتهِ واحوالهِ — ولي نزعة الى استطلاع اخبار هؤلاء الدراويش — ان الحاج عبدالله على شيء من العلم وانهُ في سلوكهِ وقنوتهِ لمن الصادقين . ولم يطلب مثل أكثر اخوانهِ صدقة لوجه الله . ولكنني عند مصافحتي اياهُ مودعاً وضعت في يدهِ قطعة من نحاس هذه الدولة فقبلها شاكراً . وسرت في طريقي اتأمل من جاء ماشياً من الحجاز — وقضى خمس عشرة سنة في الطريق — ليزور قبر ولي من الاولياء

« أرسلت عزمك تبتغي الماء مجتهداً وما علا الغرب لما خانك المرس »

وكنت وصديق لي نقصد يومئذٍ عمشيت لنزور فيها قبر ولية من وليات البر والحجى هي هنريتّ رنان اخت الفيلسوف الافرنسي الشهير . فكنا والحاج عبدالله سويين من هذا القبيل لكلانا مزار تحركنا اليهِ عاطفة الورع والتقوى . ولكن هذا غير ما اعجبني من القصة . في اليوم الثاني ونحن عائدون الى بيروت — وكانت السماء يومئذٍ ماطرة . تراءى لنا خيال اسود على حجر الى جانب الطريق فاقتربنا منهُ واذا بهِ الحاج عبدالله يستريح تحت المطر من

عناء السفر — وهؤلاء الدراويش لا يحاولون الزوابع والرياح — فحدثناه ثانية وقدم اليه رفيقي شيئاً من المال — وهذه النكتة — طرفة — قائلاً : « لم يزل معي والحمد لله عما تفضلتم بهِ البارحة » · القناعة كنز لا يفنى ولكنهُ كنز لا يعمّر البلاد

خلق الحاج عبدالله ما يسمونهُ في لغة المتصوفين خلقاً عظيماً لانهُ اعرض عن العالم واقبل بكليتهِ على الله تعالى · ولا اظنكم تجهلون ما في هذه الطريقة طريقة السالكين والنساك من تعطيل الحواس الظاهرة والكفران بالذات · وان السالك ليقتل ارادتهُ ويخلد الى السكون الذي يولّد الخمول والكسل · وفي الهند عند البراهمة غرائب من اساليب الكسل والخمول عقيدة البوذي مثل عقيدة المتصوفين في نتائجها وفي بعض اصولها والغاية القصوى منها اتحاد المرء والمبدإ الاولي الدائم مبدإ اللاشيء اي العدم الازلي فالبوذي يغمض طرفهُ ويقول: اني جزء من هذا اللاشيء الازلي لا نهاية لهُ · وفي قتل الارادة واستئصال الرغائب والآمال الدنيوية من صدري الوزر على النفس فيتم اتحادي بالخلة الازلية الابدية · وهي تدعى عندهم « رڤانا » والمتصوف يدعوها جمع الجمع اي العزة الالهية واذا سئل البوذي ما هي « رڤانا » اجاب : اني حين اغمض طرفي واعود الى نفسي مردداً أم أم اظفر بها أم أم ! — الله الله ! قد يُسعد النسك صاحبهُ ولكنهُ يخرب العالم

مثل هذه العقائد اصولها في اوحال العادات والخرافات وفروعها في سماء النظريات والاوهام لا تربي في المرء اخلاقاً سامية مجيدة · يتعدى خيرها ولا يلازم صاحبها وينحصر فيهِ · ومن سخيف تقاليدها مثلاً ما تراهُ متبعاً عن البراهمة فعلى البرهمي الاّ ينظر الى الشمس عند شروقها وغروبها · ولا يطأ حبلاً رُبطت بهِ بقرة ولا ينظر الى امرأتهِ حين تأكل او تعطس او تتثاءب · ولا يلبس لطعام الظهر غير ثوب واحد · ولا يستحم عرياناً وغيرها من آداب السلوك المستغربة المضحكة · حتى انهُ في ازالة الضرورة تراهُ مقيداً بخرافات بوذية · فقد حُظر على البرهمي ان يزيل ضرورة على الرماد او في حقل مفلوح او على ربوة خضراء او على وكر نمل ابيض · وغير هذه من الاوهام التي ينزلونها منزلة النواميس الطبيعية بل الالهية وهم مع ذلك اصحاب نجلة وكرامة محترمون في قومهم مؤدبون فلا غرو اذا كانوا متقاعدين متقاولين خاملين لا يعملون عملاً مفيداً · الجلالة والوقار والكسل انما يتصل بعضها من بعض · وكل امة يغلب في شعبها وهم الابهة والجلالة · تستنيم الى الضعة · ويخمل منها الحس · ويكثر فيها الكسل

هؤلاء نساك الروح رهبان الشرق براهمة ومتصوفون يهربون من الحياة ويزدرونها ·

اما نساك العقل فاليكم خبرهم · في الغرب اليوم عصبة الفلاسفة المتفردين الذين يعرفون الاحكام ولكنهم لا يقرونها ولا يتعرضون لها مباشرة · يعيشون في حقولهم بعيدين عن ضجيج المدن والناس مستقلين مطمئنين لا يتطلبون شهرة ولا مجداً · يعيشون على الفطرة الاولى من الوجهة الجسدية وعلى ارفع ما اتصلت اليهِ العلوم والحكمة من الوجهة العقلية والروحية والمعنوية · ترى احدهم بدويًا في غرائزهِ وطباعهِ حضريًا في مزاجهِ واخلاقهِ · اميراً وفلاحًا في وقت واحد · وكثيرون من هؤلاء في الولايات المتحدة في البر لا في المدن · يعيشون في عزلة عن الناس كل في دائرتهِ كالنجوم في حبكها وتشعُّ انفسهم اشعة الالفة الحقيقية التي تربط كل دائرة باختها · ولكل منهم مهنتان مهنة سماوية نسكية قوامها الآية « على الارض السلام وبالناس المسرة » ومهنة دنيوية زراعية قوامها الفكر والعمل · فيحرث احدهم الارض ويربي المواشي « ويقطر عربة افكارهِ بالكواكب السيارة كما قال امرسون »

وقد زرت احد هؤلاء الكبار مرة في بيتهِ فلقيتهُ عند وصولي قدام باب الاصطبل حاملاً جراب قمح يطعم منهُ الدجاج · وبعد ايام دعيت الى مأدبة في المدينة جمعت من رجال العلم والادب اشهرهم عندك وكان صديقي هذا رئيسها وخطيب دائرتها فتأملوا هؤلاء النساك نساك الفلسفة · نساك العقل · لا يتكبرون عن العمل المفيد مهما كان زريًا ولا تأخذهم اوهام الابهة وخزعبلات الوقار والجلالة · وقد لا تعجبكم اخلاقهم او بالحري سلوكهم · فهم لا يحفلون بما نُقِيمهُ في الشرق من المجاملة والمصانعة في الضيافة · ولا يحسنون من اللطف الشرقي الالف باء · ولكن صدقًا في العوالم · وحرية في اعمالهم · وجرأة في حريتهم · تقربهم الى الفطرة البشرية الاولى التي لا تعرف القهر والضعف فيتوسلون مع الطباع ولكنهم يستعملون في ذلك الفكرة والتمييز · والفطرة الاولى اقرب الى الخير على ما فيها من غلاظة وسماجة لبعدها عما يتطامع في نفوس اهل المدن من سوء الملكات وقبح العادات وفاسد الاصطلاحات · وهذا ما يحمل ذوي الالباب والحصافة اليوم الى السكنى في القرى او التنسك في البرية

ذلك مبلغ نساك العلم والادب · وتلكم طريقتهم النسكية الفلسفية ناسك الروح يعطل الحواس منهُ لوهم فيهِ ان ذلك يقربهُ من ربهِ · وناسك العقل يهذبها ويرعاها ابداً بالتربية ليقترب من نفسهِ فيعرفها · شعارهُ بساطة العيش مع سمو الادب · فيقرن لذة الحراثة بلذة التأمل ولذة التأمل بلذة العمل · ناسك الروح يبعد عن الناس ليقترب من الله · وناسك العقل ينزل الناس ليقترب من الناس فيعيش طبق فلسفتهِ وعوجب علمهِ فيصعد

املاً لان يخدم الناس وينفعهم . فما قولكم بالناسكين ناسكنا وناسكهم واي منهما اقرب الى الله

وهاكم مثالاً آخر من اخلاقنا الكريمة التي قلما تفيد . في لبنان يكثر الشحادون ومنهم نساء من العرب يستعطين ليمتّن اولادهن ورجالهن ! ومن هؤلاء البائسات بدويتان استوقفتاني يوماً فادهشني امرهما . بعد ان جاءتهما الخادمة بشيء من الدقيق جلستا على الدرج قدام الباب وفتحت كلٌّ جرابها . فاخذت البدوية الصغيرة واسعها حتى تفرغ من جرابها الملآن في جراب رفيقتها الفارغ فسألتها السبب في ذلك . فقالت : هي ضرتي ياسيدي ورجلنا يؤثرني عليها ويضربها ضرباً اليماً اذا عادت المساء وجرابها فارغ فاشاطرها ما معي لارد عنها الضرب . فعجبت لكرم اخلاقها ولكني اسفت لما ربيت عليه من الذلة والاستكانة والاستسلام . فهي لا تستطيع ردع زوجها المتوحش الا بهذه الحيلة الجميلة . ولو حاولت ردعه ساعة غيظه لضربها ايضاً . حبذا شهامة مقرونة بالقوة والعصيان . علم الصبح يلزم له اسنان الكلب . وانهُ ليحق لمثل هذه المرأة ان تهجر زوجها وتُبارك لها الله لو فعلت

وهاكم قصة اخرى تمثل ما اريده بالاخلاق اللازمة والمتعدية . مرَّ اعرابي بعجوز فطلب منها طعاماً . فجاءته ببضع حيات مشوية وبكوز من الماء الملح فاستغرب ذلك وسألها السبب فقالت هذا كل ما عندنا في هذا الوادي . فتعجب الاعرابي وسأل العجوز كيف تقيم هناك تأكل الحيات وتشرب الماء الملح . فقالت وكيف تكون بلادكم . فوصف لها بلاداً فيها دور رحبة واسعة وثمار يانعة لذيذة ومياه غزيرة عذبة . فقالت العجوز . وهل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمهِ . فقال الاعرابي : قد يكون ذلك . فقالت آكلة الحيات : اذاً والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف مع الجور والظلم سمّاً ناقعاً وتعود اطعمتنا مع الامن درياقاً نافعاً . حكمة العجوز بليغة وجهل اياه نفسها . ولكن ذلك لا يردع السلطان عن غيهِ ولا يكبحهُ عن جورهِ وظلمهِ

اجل ان شهامة البدوية حتى وقناعة الحاج عبد الله وعزة نفس العجوز آكلة الحيات لفضائل كلها جميلة ولكنها سلبية ملازمة . شريفة اخلاقهم روحية . ولكن شيئاً كهربائياً لينقصها . مثل هذه الاخلاق في الشرقي لا تؤهلهُ لمناهضة الظلم والظالمين لانها غير مقرونة بادراك النفس ما لها من الحقوق وما عليها . وقد يصح ان نقول ان في مثل هذه الاخلاق الشريفة نوراً وليس فيها دم . الشرقي يهرب من الظلم معتصماً بالله — « لا تحمل سلاحك على من ظلمك السماء عليهِ ولكن الثقة بالله » . فالهرب الى البرية من الظالم جبانة .

والهرب الى الله من الحياة كفران بالحياة وبباريها · نفس الحاج عبد الله جميلة ولكنها ضالة · ونفس العجوز أبية ولكنها مستبدة · ونفس حسن الدوبة كريمة ولكنها خامدة خاملة · فجبلتها لا تزيل شراسة الخلق في زوجها · وكان ينبغي لها ان تنفق وصرتها لتهجرا مثل هذا البربري · فان خماشاً في كهف خير منه

اقول وحقاً ما اقول ان الشرقي بطل شرقياً قاعد الهمة · عاجز الرأي · خامد الطباع · متخاذلاً مستسلماً · قانعاً من زمانه بالضعة والذل · اذا كان لا ينفض عن نفسه غبار السنين من الكسل والخمول ولا يكسر قيوداً من التقاليد والخرافات والعادات قيدت منه العقل والنفس والجسد

الانسان الذي خلقه الله على صورته تعالى ومثاله اذا تقيد في كل اعماله واقواله وافكاره لا يبقى فيه شيء من صنعة الله حر جميل · الفكر انهضوا به من قبور التقاليد · النفس حرروها من خزعبلات الاوهام · الجامعة ارفعوها على الحكومة والحكام · الاخلاق روضوها للعمل المفيد · ان الاخلاق الروحية لرأس مال كبير في حياتنا الجديدة · علينا اذاً ان نستقدمه لخيرنا وخير الشرق بل لخير الناس اجمعين · وان من لا يرجو من هذه الحياة خيراً لهو حاباً من لا يستأهلون الخير ولا ينالونه · كلمات اليأس لا يزيل ترداذها اليأس · التأوه والانين لا يصلحان الشؤون بل يوهنان القوى ويورثان الخبال · لنعوّد انفسنا ترداد كلمات الامل والرجاء · فانها وان كانت مبنية على وهم مستحب او فكرة طائشة لتعودنا في الامل العمل · وتوقظ فينا النشاط · وتشحذ منا الارادة · ان املاً اردده في نفسي كل يوم لا يلبث ان يملكها فيدفعني الى العمل لتحقيقه · المريض لا يشفيه الانين · والشقوة لا يزيلها الاستسلام الى الاقدار · لنبرهن خطتنا في امور الدنيا والآخرة على عقلنا · ولنبرهن قوتنا على خطتنا · ولنبرهن اعمالنا على هذه القوة فينا · وحبذا الشرقيون والغربيون لو اخذ بعضهم عن بعض ما هو جميل في ادبانهم صحيح في آدابهم سامٍ في فنونهم سليم في عاداتهم سديد في عقائدهم · عادل في احكامهم وشرائعهم · فالحق يقال ان خلاصة آداب الشرق والغرب بل خير ما في الاثنين ممزوجاً موحداً انما هو الدواء الوحيد لامراض هذا الزمان الاجتماعية والدينية · فالغربي عندئذ يعود الى الله والشرقي يرفع عنه بعض التقاليد

امين الريحاني

اصول التعليم الحديث

الدور السيكولوجي

هذا الدور ممتزج امتزاجاً كلياً بالدور الفسيولوجي والعقلي حتى ان الانسان قلما يستطيع ان يميز بينهما . ولقد نشأت هذه الادوار كلها من الدور الطبيعي كما تقدم القول . على ان الفرق بين هذه الادوار يدرك بدرس خصائص كل دور على حدة ولذلك فاننا نستطيع ان نجمع خصائص الدور السيكولوجي بما يأتي —

كان هم هذا الدور ان يرقي مبادئ الدور الطبيعي ولذلك جعل قواعده الاولية

(اولاً) ان التعليم ليس هو التقدم الخارجي القائم بمعرفة الكلمات والاشياء معرفة سطحية بل هو اظهار القوى المغروسة في الطبيعة الانسانية . فعلى الدور السيكولوجي اذاً ان يضع هذه الافكار في صور عملية و يدخلها الى المدارس فعلاً

(ثانياً) الاجتهاد في التوفيق بين التعليم القديم اي التعليم بالكد والسعي و بين التعليم الجديد اي التعليم لاجل المنفعة

(ثالثاً) ان التعليم يجب ان يكون اساسهُ ترقية قوى الانسان بواسطة الملاحظة والاختبار

(رابعاً) السعي لاصلاح طرق التعليم في المدرسة وتهذيب المعلم ليتسنَّى لهُ ان يقوم بوظيفتهِ حق القيام

(خامساً) الشفقة على التلميذ ومراعاة اقتدارهِ العقلي ومنفعتهِ الخاصة

(سادساً) الاهتمام بالتعليم الابتدائي الامر الذي لم يفطن لهُ المصلحون الاولون حتى كومينيوس نفسهُ

(سابعاً) القصد من التعليم ارتقاء الفرد ولذلك قال بستالوتسي كلمتهُ المشهورة « ان التعليم هو ارتقاء جميع قوى الانسان على السواء »

(ثامناً) ما دام القصد من التعليم ارتقاء الفرد فينتج من ذلك اذاً ان كل فرد في العالم يجب ان يرتقي بحسب اقتدارهِ العقلي واستعدادهِ الطبيعي

ولقد كان للدور السيكولوجي وجهتان الاولى عملية وقوّادها بستالوتسي وهربرت

وفربيل والغاية منطقية وقوادها كنت وفكتي وشلنك وهكل · ونحن انما نبحث هنا في الوجهة العملية لا غير

لا ريب انهُ من الخطإ ان تنسب الى بستالوتسي كل الاصلاح التعليمي الذي حدث في القرن التاسع عشر· لان بستالوتسي لم يكن سوى موفق بين اراء روسو وجامع بين تعليمهِ الايجابي والسلبي كما تقدمت الاشارة اليهِ · زد على ذلك ان كل المبادئ والتمارين والتعاليم المنسوبة اليهِ انما قام بها تلامذتهُ بعد ان اخذها هربرت وفربيل وزادا عليها لتعمقهما في الفلسفة ولتوسعهما في العلوم· فبنيا على اساسهِ بناء ثابتاً لم يستطع بستالوتسي نفسهُ ان يقوم بهِ· فتعاليم بستالوتسي اذاً لم تكن كاملة بل كانت الجرثومة التي بُني عليها الاصلاح الحديث · ولذلك يجدر بنا ان ندرس حياة هذا المصلح العظيم لنستطيع ان نفهم المبادئ الاصلاحية التي قام بها

هنري بستالوتسي (١٧٤٦ — ١٨٢٦)

شغف هذا الرجل منذ حداثتهِ بالتعاليم التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » وصار ميالاً الى الثورة بكل قواهُ · وبعد ان كان عاقداً نيتهُ ان يُسامَ قسيساً ترك ذلك واشتغل بالفلاحة حسب الطرق الزراعية الحديثة · ولما لم ينجح في عملهِ حوّل مدرستهُ التي كان قد فتحها قبل ذلك الى مدرسة للاولاد المتشردين · وقادهُ عقلهُ في تعليم ابنهِ الى المساوئ والمحاسن التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » المار ذكرهُ · ومن هنا ابتدأ عملهُ العظيم · وكان اول شيء عملهُ انهُ وضع كتاباً سماهُ « جورنال الاب » اودع فيهِ كل اختباراتهِ في تعليم ابنهِ

ومن سنة ١٧٧٥ — ١٧٨٠ شاد مدرسة لتعليم الفقراء وادخل اليها بعض الصنائع ايضاً كغزل القطن وحياكتهِ وقد ذكر ان العلم والصناعة يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ولكن لما لم يكن في استطاعتهِ ان يقوم بذلك اخفق مسعاهُ وذهب مشروعهُ ادراج الرياح

ومن سنة ١٧٨٠ — ١٧٩٨ اكبّ على الكتابة والتأليف لانهُ كان متشرباً محبة الثورة وكان الفكر الاساسي الذي دارت عليهِ كتاباتهُ « ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يقوم بالتعليم الذي يصلح الفرد ادبياً وعقلياً » · وكان اهم كتبهِ رواية « ليونارد وغرترود » · وقد قصد في هذه الرواية ان يصور حياة القرويين البسيطة والتغيير العظيم الذي استطاعت غرترود المرأة الجاهلة البسيطة ان تحدثهُ في القرية · فانها باجتهادها وثباتها وصبرها في تهذيب اولادها قدرت ان تنقذ زوجها ليونارد من الكسل والسكر · وقد كان

لهذه الرواية دويٌّ عظيم في القرى المجاورة فأثرت في اخلاق السكان تأثيراً كبيراً واحدثت اصلاحات شتى في كثير من القرى وصار الكل يرون ان للولد حقاً على الوالد فهو مسؤول عن تربيته وتعليمه وتهذيبه . وفي سنة ١٧٩٨ طرأ على بستالوتسي تغير عظيم مآلهُ رأى ان اصلاح الهيئة الحقيقي انما يقوم باظهار نقائصها بطريقة عملية فاخذ على نفسهِ امر التعليم . فهذا الرجل الذي لم يمارس هذه المهنة حتى بلغ الخمسين من العمر والذي خاب في كل عمل قام بهِ قبل ذلك الوقت صار لهُ من السلطة ما لم يكن يحلم بهِ اعظم مصلح في القرن التاسع عشر . والسبب في ذلك ان آراءهُ وافكارهُ كانت كلها نتيجة اختبارهِ

كان بستالوتسي معلماً في قرية من قرى سويسرا تدعى ستانز وكانت مدرستهُ تجمع عدداً كبيراً من الايتام الذين قتل اباؤهم في الحرب ففين هؤلاء الايتام القيت بزرة الاصلاح الاولى ومنهم خرجت ونمت . ودُعي في السنة التالية ليكون مساعداً في قرية برغدورف فوضع هنا اساس « علم الاشياء » قصد بهِ تثقيف العقل لا معرفة الشيء لذاتها كما قال كوميفيوس وغيره من المعلمين . ثم اخذت الحكومة مدرستهُ على نفقتها فتسنى لهُ ان يختبر اساليب التعليم مدة اربع سنوات متتابعة مع المعلمين ومع التلامذة

وكان عمل بستالوتسي الاعظم ان يبين اساس التعليم الابتدائي اي ما هي المعرفة اللازمة للولد وكيف يجب على الولد ان يتعلم وما هي الاساليب اللازمة لذلك . ولذلك وضع سنة ١٨٠١ كتابهُ « كيف علمت غرترود اولادها » جواباً عن المسائل المار ذكرها . ولم يمضِ على تلك المدرسة مدة حتى اقفلت بسبب الاختلافات التي وقعت بين مديريها ومعلميها . فاضطر بستالوتسي ان ينتقل الى ايفردن حيث تابع اختباراتهِ

التأثير الذي نتج من تعاليم بستالوتسي

وضع بستالوتسي امامهُ غاية واحدة فوجه اليها كل قواهُ وهي ان القصد من التعليم هو اصلاح الهيئة الاجتماعية وهذا الاصلاح يجب ان يتناول كل فرد من افراد الهيئة ليس من الوجهة الادبية بل من الوجهة الاجتماعية لان لكل فرد مهما كان فقيراً حقاً في ان يهذب نفسهُ ويرقي مداركهُ على قدر ما يستطيع . ولقد ذكر في كتابهِ « كيف تعلم غرترود » ما يأتي

« ان اوربا باتباعها اساليب التعاليم الشائعة فيها الآن قد وقعت في خطإ عظيم لا بل قد اوشكت ان تجني على نفسها . فهي من الجهة الواحدة قد وصلت الى اسمى درجة من العلوم والصنائع ولكنها من الجهة الاخرى قد فقدت اساس التعليم الطبيعي القائل بتعليم جميع الناس على السواء »

« ولست ارى قسماً من العالم ارتفع الى هذه الدرجة وسقط هذا السقوط الهائل كاوربا مقارنا والحالة هذه تشبه تلك الصورة التي مثلها لنا الانبياء رأسها من ذهب ولكن القوائم التي يقوم هذا الرأس عليها من الخزف · فاوربا بعاليمها هذه قد جردت الشعب من المحبة والحكمة والعواطف وقوّت فيه عدم المحبة والايمان والاوهام والخرافات والطريقة التي اراها لسد هذا الخلل هي ان نترك التعليم السطحي ونجتهد في ترقية التعليم العقلي ومصدر المعرفة الحقيقية »

اما معنى التهذيب الجديد فقد شرحهُ بما يأتي

« التعليم الصحيح يشبه شجرة مغروسة عند مجاري المياه والبذرة الصغيرة التي تحتوي على كل خصائص الشجرة مخبوءة في التربة · والرجل اشبه بتلك الشجرة فاننا نرى في الولد تلك القوى المستورة التي تظهر في حياته ····· تهذيب الانسان نتيجة ادبية لاغير »

فالتعليم عندهُ هو اظهار كل قوى الانسان اظهاراً طبيعياً متناسقاً متتابعاً

نظر بستالوتسي فرأى ان في كل فرد بزوراً من القوى العقلية يستطيع ان ينميها ويربيها اذا وجد من يهتم به ويأخذ بيده · وان التعليم في ذلك الوقت كان مقتصراً على تلقين الولد بعض الصور والتراكيب الصرفية والنحوية وبعض القطع الانشائية والكلمات الميتة والجمل من الرياضيات فقال يجب ان يتناول التعليم شيئاً اعظم من ذلك اي اظهار القوى الكامنة في الانسان وتهذيبها لكي تكون صالحة للعمل بنفسها

ولكي نفهم حالة التعليم في زمن بستالوتسي علينا ان ننظر الى المعلمين في ذلك الوقت فقد كان بعضهم من العساكر الذين اصابتهم بعض العاهات في الحروب ومن الارامل وحراس القرى وصناع القرميد وامثالهم من الذين لم تكن مهنهم تقوم بمعيشتهم فاتخذوا التعليم واسطة للمعيشة لا لتقدم الامة وارتقائها · ولقد شرح دسترورك الطريقة التي كان المعلمون يتبعونها في مدارسهم بما يأتي

« كان كل ولد من الاولاد يقرأ وحدهُ اذ لم تكن الطريقة التي يتعلم بها جميع التلاميذ في وقت واحد معروفة حينئذٍ فكان كل تلميذ يأتي الى حيث يجلس المعلم فيلقنهُ المعلم حرفاً ويعيدهُ التلميذ من بعده وهو لا يزال يكررهُ حتى يطبع في ذاكرته ثم يأخذ المعلم كلمة ويبتدىء يلقن التلميذ حروفها حرفاً حرفاً الى ان يتعلمها هذه هي الواسطة التي كان يتعلم بها اولاد المدارس القراءة ولا يخفى ما فيها من المشقة والصعوبة وطول المدة التي كان يحتاج اليها التلميذ ليتعلم قراءة خالية من كل معنى · وكان التلاميذ يستظهرون آيات كثيرة من الكتاب المقدس حتى انهم كانوا يستطيعون ان يتلوا المزامير كلها غيباً في نغمة واحدة وعلى نسق واحد عما دل

على انهم لم يكونوا يفهمون شيئاً مما يرددونهُ وقس على ذلك الاسئلة والاجوبة ولهذا فقد كان التلميذ يخرج من المدرسة وهو لا يكاد يفهم شيئاً مما قرأهُ". هكذا كانت مدارسنا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر »

فالعمل الذي قام بهِ بستالوتسي عظيم جداً ولم يكن لينجح لولا انهُ مارس مهنة التعليم بنفسهِ وتوصل الى الاسلوب الصحيح القائم بتحليل كل شيء الى ابسط حالاتهِ وغرس معناهُ الحقيقي في ذهن التلميذ بواسطة الملاحظة والاختبار والتجربة

ولقد جمع مورف احد تلامذة بستالوتسي مبادىء التعاليم البستالوتسية بما يأتي

(١) الملاحظة هي اساس التعليم (٢) اللغة يجب ان تقترن بالملاحظة (٣) وقت التعلم ليس وقت الانتقاد والقصاص (٤) يجب ان يبتدىء التعليم في كل فرع من ابسط حالاتهِ الى ان يصل الى اصعبها (٥) لا يجوز للمعلم ان ينتقل من موضوع الى آخر قبل ان يفهمهُ التلميذ حق الفهم (٦) غاية التعليم هي الارتقاء العقلي لا عرض العقائد الدينية (٧) يجب ان يحترم المعلم شخصية التلميذ (٨) يجب ان تكون نتيجة التعليم اظهار قوى الانسان لا وضع قوى فيهِ (٩) القوة يجب ان تقترن بالمعرفة والذكاء بالتعلم (١٠) يجب ان تكون المحبة اساس العلاقة بين المعلم وتلميذهِ (١١) غاية التعليم العظيمة يجب ان تكون التهذيب

هذه هي القوانين التي اتبعها بستالوتسي في مدرستهِ فاقبل التلامذة عليهِ اي اقبال واشتهر اسمهُ في كل الاقطار ولهذا سماهُ الجميع « بالاب بستالوتسي » لما طبع عليهِ من الحنو والشفقة والمحبة لجميع تلاميذهِ على السواء

الطريقة الهربرتية

بنى هربرت تعاليمهُ على تعاليم بستالوتسي غير انهُ خالفهُ في الامور التالية

(١) كانت غاية بستالوتسي العظمى ان يهذب القوى العقلية في التلميذ ولكنهُ لم يظهر كيف يحدث هذا الترقي العقلي فبين هربرت ان الترقي العقلي يقوم بما يدعونهُ « العمل الادراكي » (٢) اظهر بستالوتسي ان اهم الدروس المدرسية يجب ان يكون « درس العالم الطبيعي » (الطبيعيات) واما هربرت فقال ان اهم الدروس يجب ان يكون « درس العالم الادبي » (الادبيات)

بعد ان تهدم منهُ جانب كبير ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الحصيرة مما اعتادوا ان يروه في معيشتهم الرعائية

(٣) جعل بستالوتسي الاهمية الكبرى لدرس الجغرافية والحساب ودروس الطبيعة واما هربرت فجعلها للغات والادب والتاريخ

(٤) اعلن بستالوتسي ان قصده هو التعليم السيكولوجي ولكنه رفض الفلسفة العقلية القديمة ولم يذكر اسلوباً آخر عوضاً عنها · وبالجملة فان هربرت رقّى تعاليم بستالوتسي و بناها على المنطق والفلسفة الامر الذي لم يهتم له بستالوتسي يولس شحاده

الآثار المصرية

مقبرة طرخان

اصدرت المدرسة الانكليزية التي تبحث عن الآثار المصرية تقريرها السنوي وفيه ذكر الآثار التي اكتشفت سنة ١٩١٢ · واهمها مقبرة على ٣٥ ميلاً الى الجنوب من القاهرة وفيها من الآثار ما يرجع عهده الى ايام الدول الاربع الاولى وآخر دولة سقتها في مصر وعُثر فيها على نحو ٦٠٠ قبر تشغل مساحة كبيرة في الصحراء ما عدا القبور التي اخربت قديماً وهي تزيد عن هذه عدداً · وتعرف هذه المقبرة بمقبرة طرخان وهو اسم القرية المجاورة لها وتعد من اهم المكتشفات التي يرجع عهدها الى اوائل عصر التاريخ · وليس الى الشمال منها في جميع مصر آثار تحاكيها في القدم

وعرف عصر هذه المقبرة ومبلغ قدمها من شقف الخزف التي وجدت فيها فقد وجد في بعض القبور شقف من عهد ملك حكم قبل مينا وفي آخر شقف اخرى من عهد نارمر مينا · وكبر هذه المقبرة وقدمها يدلان على انه كان في تلك الجهة مدينة كبيرة قديمة في نواحي القرية المعروفة بكفر عمار · وقد قامت هذه المدينة قبل مدينة منف وقبل عهد الملك مينا بقرون قليلة · ويظن انها بنيت اولاً لتكون قاعدة الملك في الوجه البحري قبل مدينة منف ثم عدل عنها في العصر الذي ابتدأ فيه بناء الاهرام · وفي هذه الآثار دليل على ان ملوك ابيدوس بسطوا سلطانهم على تلك الجهات · ومن القبور ما يرجع عهده الى عصر الدولة السادسة والدولة الحادية عشرة والدولة الثانية عشرة · ويظهر ان تلك البقعة هجرت واوحشت من السكان بعد ذلك حتى عصر الدولة الثالثة والعشرين

ومن اغرب الآثار التي وجدت في هذه المقبرة قطع من الخشب والثياب القديمة التي لم تبلَ على كرور الايام · فقد وجدت قطع من نسيج الكتان لا تزال على جدتها ولولا كانها لم

تنزع من نول الحائك الأ بالامس . ولا يزال كثير من التوابيت متماسك الاجزاء وهي مصنوعة من خشب السنط . وترى العوارض في سقف القبر والاعمدة التي تدعمها باقية في مكانها الذي وضعت فيهِ

ولا اثر لمساكن الناس في تلك البقعة كلها لكن اتضح ان بعض التوابيت مصنوع من الواح الخشب التي كانت البيوت مبنية بها . وهذا يؤيد رأي الاستاذ بتري ان الناس كانوا اولاً يبنون بيوتهم بالواح الخشب ثم استعاضوا عنها بمواد اخرى للبناء لكنهم بقوا ينقشونها من الخارج و يقطعونها على هيئة الالواح . وعلى اطراف الالواح التي وجدت ثقوب لكي يمكن شد بعضها الى بعض وقد عمل القناء في بعض تلك الالواح من الوجه الواحد والنار من الوجه الآخر وهذا يبعث على الظن ان البيت الذي اخذت منهُ احرق اولاً ثم صنعت التوابيت من اخشابهِ

وعثر على توابيت كثيرة محبوكة من العيدان والقصب كما تحبك السلال ومنها واحد صبر على غير الدهر ولم يصب باذًى ولا ضرر حتى ان البرام لا تزال على عيدانهِ . ولقد نقل الى القاهرة على الاكف لئلاَّ يصيبهُ ضرر في الطريق . وعثر ايضاً على اطباق ونعوش مصنوعة من الخشب و يختلف بعضها عن بعض في الشكل ولا يزال اكثرها سليماً لم يفقد شيئاً من متانتهِ وتقوم النعوش على ارجل تنتهي في الغالب بما يشبه ارجل الثيران في اسفلها، واتصال الجوانب بعضها ببعض على الزوايا يختلف في البعض منها عمَّا هو في البعض الآخر حتى ان منهُ خمسة او ستة انواع . وحتى الآن لم يعثر على شيء مثل هذا لا في قبور الملوك ولا في المدافن الاخرى

ومما عثر عليهِ ايضاً كثير من قطع الخزف ونحو ثلاثمئة من الصحون والآنية الرخامية وكاس عليها صورة الاله فتاح وهي اول صورة لهُ عثر عليها . ووجد قليل من الادوات النحاسية رغماً عن ان القبور نبشت مراراً في الازمان الغابرة لاستخراج ما فيها من الجواهر . ويظهر على احدى الجرار رسم الحيوان المعروف بالزبرا ومقدمهُ ومؤخرهُ ظاهران جليًّا . وكشفت قطع موسومة بخاتم الملك نارمرمينا وخاتمهِ على هذه القطع اربعة اشكال لم تعرف من قبل فالاول يحتوي على اسمهِ كاملاً هكذا نارمرزا والثاني خاتم مزارع النخيل والثالث خاتم حديقة الزهور والرابع خاتم الفيوم العظيم وفيهِ صورة التمساح المقدس وصفوف من التاسع في ماء البحيرة المتموج

ومن تلك الآثار مغرفة من العاج تشبهُ حوضاً في شكلها وعليها صفوف من الحيوانات

على كل جانب واخرى مثلها لها مسكة متعرجة بشكل الصل الملتوي · وقد ثبت ان عبادة الجمل كانت شائعة في ذلك العصر من علبة صغيرة على هيئة الجمل ولا يزال عطاؤها في مكانه يمسكهُ الخيط الذي كانت تعلّق به · ومن تلك الآثار ايضاً ما هو احدث عهداً من هذه كلها ولا يقل عنها اهمية فقد عثر في قبر روماني هناك على خاتم كبير وعقد من الذهب

وقد قام على الحفر الاستاذ بيتري والمستر الفرسون وتلامذة المدرسة الاثرية المستر مكي والمستر وينرايط والمستر انجلباخ واضم اليهم مدة المستر لورنس من الناحين في كركيش وكانت مسز بيتري ترسم صور الآثار بيدها

في منف وهليوبوليس

مضى على المدرسة اربع سنوات وهي تتابع الحفر في موقع مدينة منف وقد بدأت السنة الماضية في الحفر في موقع هليوبوليس القديمة — ويحصر الحفر في هذين المكانين الآن بعد ان يقل الماء في النيل

وعثر المستر مكي في منف على تمثال من الرخام على شكل ابي الهول وهو سليم ولولا بعض التشقق بعوامل الطبيعة لكان وجههُ تام الاجزاء ظاهر الملامح مثلما كان يوم نصبهِ · وهو اكبر تمثال من نوعهِ طولهُ ٢٦ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً ووزنهُ ٨٠ طناً · وليس عليهِ اسم انما يرجح انهُ من عصر الدولة الثالثة عشرة او الدولة التاسعة عشرة اي انهُ نصب نحو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد · وكان لما كشف عنهُ ملقى على احد جانبيهِ بين التمثالين الكبيرين ويظهر انهُ بقي في ذلك المكان مدة طويلة وسينصب ثانية فيجتلبه انظار المتفرجين كما تجتلبها غيرهُ من آثار منف البديعة

ووجد عند الباب الشمالي من هيكل فتاح تمثال آخر يشبههُ وهو من الصخر المحبب الاحمر ويزيد طولهُ على ١١ قدماً وعلوهُ على ٧ اقدام وعليهِ كتابة لرعمسيس الثاني · وقد امحى وجههُ فلا يظهر منهُ شيء ولا يزال سائرهُ سليماً وبالقرب منهُ تمثال الاله فتاح وتمثال رعمسيس الثاني محفوران في الصخر المحبب وهما متصلان ووجهاهما كاملان لم يتغير فيهما شيء انما حملت العير تحملها باقسامها السفلى · ونقشها متقن ويعدان من احسن ما صنع في عهدها وعلى هامة كل منهما اكليل كبير من الريش وحجمهما يقارب حجم الانسان الطبيعي · وسيرسلان الى متحف ني كارلسبرج في كوبنهاغن ببلاد الدنمارك لان ذلك المتحف يقوم بنفقات الحفر وثقلهما لا يزيد على ٩ طنات · وكان على مقربة منهما تمثال كاتب تغطيه الكتابة ولكنهُ بدون راس · وكشف في ذلك المكان ايضاً اي عند الباب الشمالي عن

عتبة قديمة مطمورة في الردم من ايام امنمحات الثالث فاستدل من ذلك على ان امنمحات بنى ذلك الباب وهذا يؤيد قول هيرودوتس فانهُ ذكر ان باني الباب الشمالي هو موريس وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان على هذا الملك · واتضح من ذلك ان هيرودوتس اعتمد في رواياتهِ على مصادر يوثق بها فانهُ اصاب ايضاً في نسبتهِ اقامة التمثالين الكبيرين والرواق الجنوبي الى رعمسيس

اكتشافات هليوبوليس

قام الاستاذ بيتري والمستر انجلباخ بكشف اولي في موقع هليو بوليس استعداداً للحفر في المستقبل وقد ثبت لهما ان المكان خلا من السكان بعد الفتح الفارسي سنة ٥٢٥ ميلادية · ويرجع عهد الآثار في الطبقات العليا الى القرن السادس قبل الميلاد كما استدل من قطع الخزف · اما الآثار من عهد البطالسة والرومان والعرب فتكاد تكون معدومة · ويظهر ان هليو بوليس كانت سدًّا في وجوه الفاتحين الشرقيين في طريقهم الى منف فرأى الفرس ان يخربوها ويتخلصوا منها ·

وكان طول حرم المعبد ثلاثة ارباع الميل ويحيط بها سوران صنعان اثنيا في عهد الدولة التاسعة عشرة ويبلغ ثخن كل منهما ٤٠ الى ٥٠ قدماً ويمكن تتبعهما من جميع الجهات · وعلى الزاوية الغربية الشمالية طابية مصنعة من اللبن لكن المقبرة التي هناك واستعمال الارض سهد الزراعة حالا دون اكمال البحث عنها · واعجب اثر اكتشف هناك طابية تشبه الطابية التي اكتشفها الاستاذ بيتري في تل اليهودية سنة ١٩٠٦ ونسبها الى ملوك الرعاة وهي مثلها في الشكل والحجم وضخامة الجدران قطرها نحو ١٣٠٠ قدم · وليس لها باب والبقية الباقية من الجدار في الجهة المقابلة للسلة تعلو ١٧ قدماً عن مساواة قاعدة المسلة

آثار الرعاة

يحول استعمال الارض للزراعة دون تتبع الطريق التي كانت ترتفع تدريجاً الى ان تعلو السور في اليهودية وقد وجد تحتهُ قطعة كبيرة من الحجر عليها نقوش تبين انها اخذت من انقاض معبد فظهر من ذلك ان هذه القلعة انشئت بعد عهد المملكة القديمة · والسور الذي بني في ايام الدولة الثامنة عشرة يحاذي جدران هذه الطابية · ومن هذا يستدل انها بنيت بين عهد الدولة السادسة والدولة الثامنة عشرة · وليس في جميع آثار المصريين والطوابي التي اقاموها شيء يشبهها فلذلك وجب ان تكون انشئت على عهد الرعاة او عهد الغزاة البرابرة قبلهم · ولا يبعد ان يكون الرعاة حلوا في المعبد الذي بني في ايام الدولة الثانية عشرة بعد ان تهدم جانب كبير منهُ ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروهُ في معيشتهم الرعائية

واستوأجر حقل بالقرب من المسلة وحفر فيهِ الى الطبقة الرملية واهم الآثار التي اكتشفت هناك بقايا مسلة نصبها تحتمس الثالث ثم غيَّر رعمسيس الثاني الكتابة التي تغطيها . واكتشف ايضاً باب الهيكل الشرقي وكتابات من ايام عشرة ملوك مختلفين وهذه اول مرة حفر فيها في هليو بوليس ولا شك انهُ اذا توسع الحفر فيها تكتشف آثار مهمة كثيرة

المجاعات في الهند (1)

لا ينكر احدٌ ان اسعار المآكل في العالم قد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً وقد تناول العلماء المفكرون اسباب هذا الغلاء فلم يصلوا الى حقيقة يُقطع بها بل لكلٍّ منهم آراء ومذاهب تختلف باختلاف العوامل والاحوال . اما كلامي هذه الليلة عن الهند فليس من قبيل تدبير الاسباب التي ترفع اسعار المآكل بل البحث عن اسباب المجاعات التي تنتاب البلاد الهندية من حين الى آخر فتهلك الالوف وتترك بعض الاماكن فيها خراباً يباباً

وتاريخ المجاعات في العالم قديمٌ جداً وقلما خلت منهُ امةٌ شرقية كانت او غربية وذلك لاسباب عديدة منها ان معرفة الانسان بالانتفاع من الطبيعة كانت قاصرة جداً ووسائل النقل معدومة حتى ان انكلترا التي تتقلب الآن في النعيم والرخاء كانت مهد المجاعات والامراض والمصائب . وقد اجتاحتها المجاعات مراراً عديدة كما يظهر في البيان التالي

القرن		
القرن الحادي عشر	حدث فيهِ	مجاعتان
» الثاني عشر	١٥	مجاعة
» الثالث عشر	١٣	»
» الرابع عشر	١٦	»
» الخامس عشر	٩	مجاعات
» السادس عشر	١٥	مجاعة
» السابع عشر	٦	مجاعات
» الثامن عشر	٧	»
» التاسع عشر		مجاعتان

وكانت المجاعات فيها هائلة وعمومية حتى ان الاهالي اضطروا الى اكل لحم الخيل

(1) خطبة القيت في جمعية حلقة الادباء في المدرسة انكلية في ٦ شباط

والكلاب والفيران والقطط والانسان وكانت جثث الموتى تشاهد في البيوت وفي الشوارع وفي الحقول حتى تعذّر على الاحياء دفن الموتى وقد حدث مثل هذه المجاعات في مصر وما بين النهرين وفي الهند وغيرها

وبعد هذه التوطئة ارجع الى الكلام عن المجاعات في الهند واليك تاريخها قبل الحكم الانكليزي

في القرن الحادي عشر	مجاعتان
« « الثالث «	مجاعة واحدة
« « الرابع «	ثلاث مجاعات
« « الخامس «	مجاعتان
« « السادس «	ثلاث مجاعات
« « السابع «	حتى سنة ١٧٤٥ اربع مجاعات

اما تحت الحكم الانكليزي فحدث في القرن الثامن عشر من سنة ١٧٦٩ الى سنة ١٨٠٠ سبع مجاعات وفي القرن التاسع عشر ٣١ مجاعة

وهذه المجاعات كانت مخيفة وخصوصاً ما حدث منها في القرن التاسع عشر ففي الربع الاول منهُ حدث ٥ مجاعات مات بها مليون نفس وفي الربع الثاني خمسمئة الف وفي الربع الثالث حدث ست مجاعات مات بها خمسة ملايين من النفوس وفي الربع الاخير حدث ثماني عشرة مجاعة مات بها ٢٦ مليوناً

واصحاب الخبرة والرأي يقولون ان اسباب كثرة المجاعات في الزمن الاخير ثلاثة — كثرة السكان وقلة المطر وقلة الحبوب فلنبحث عن السبب الاول وهو كثرة السكان فنقول

مساحة الهند بالنسبة الى المسكونة ⅟₃٠ يعيش فيها ⅕ الجنس البشري وبعض الاماكن فيها مزدحم بالسكان ازدحاماً كثيراً لكن البلاد ليست اكثر ازدحاماً من غيرها كما ترى من الجدول التالي وقد ذكر فيهِ عدد السكان بالنسبة الى الميل المربع في كل من البلدان التالية

في بلجكا	٥٨٩	في ايطاليا	٢٩٣٫٤٧
في هولندا	٤٥٤	في المانيا	٢٩٠٫٤
في انكلترا وويلس	٤٠٥٫٦	في الصين	٢٦٦
في اليابان	٣١٧	في الهند	٢١١

فان كان ازدحام السكان هو السبب في المجاعات وجب ان تكون المجاعات في بلجكا

وهولاندا وانكلترا والمانيا اكثر منها في الهند لانها اقل منها سكاناً والقسم المزدحم منها هو بنغالا والمجاعات لا تنتابهُ الاَّ قليلاً

فالسبب في كثرة المجاعات ليس اذاً ازدحام السكان — فهل هو قلة المطر ؟ إن كثيرين من العلماء يقولون بهذا الرأي ومنذ عهد قريب القى اللورد مورلي خطاباً في انكلترا اشار فيهِ الى ان السبب الاكبر في مجاعات الهند قلة المطر فاذا اجتاحت البلاد المجاعات فلا يكون هو المسئول عنها اذ لا يمكنهُ ان يجري ما اجراهُ النبي ايليا على جبل الكرمل

ولم يعلم في تاريخ الهند ان الاهالي شكوا من قلة المطر لان الهند اكثر البلدان مطراً فقد تمطر في بعض الاماكن منها في يوم واحد قدر ما تمطرهُ في انكلترا في السنة كلها . والذين درسوا احوال المجاعات واسبابها يقولون انهُ اذا كان معدل المطر في بلاد ما عشرين عقدة فلا خوف على تلك البلاد من المجاعة . وقد لوحظ في سني المجاعات ان متوسط المطر في بلاد الهند كلها كان يزيد على عشرين عقدة ففي سنة ١٨٦٥ — ١٨٦٦ حين حدثت المجاعة الشديدة في اوريسا بلغ المطر فيها ستين عقدة وسنة ١٨٧٦ في المجاعة التي اجتاحت بومباي بلغ متوسط المطر خمسين عقدة وفي مجاعة مورس سنة ١٨٠٧ بلغ ٦٦ عقدة

وزد على ذلك ان البلاد ملأى بالانهار والينابيع والجبال واسع الري الصناعي وقد اشار الى ذلك الماجور فيليب فيسن في رسالة لهُ عن المجاعات في الهند فقال ان المياه غزيرة في الهند لا ينقصها الأ همة لتوزعها على الحقول فتكفي كل نفس وهذا لا يتسنى الأ بالري الصناعي

اما السبب الاخير وهو قلة الحبوب فكثيرون يعتقدون صحتهُ والطرق المستعملة في الزراعة قديمة والفلاح جاهل والري مفقود ولكن الهند من البلدان الغنية بالحبوب فقمحها لا يفوقهُ الأ القمح الروسي والاميركي وذرتها وحمصها مشهوران وفي اشد مجاعاتها هولاً كانت غلاتها تفوق ما يحتاج اليهِ شعبها

وقد وجد في سنين المجاعات حين كان الناس يموتون بالالوف ان الهند كانت ترسل قمحها الى العالم ففي سنة ١٨٩٩ الى ١٩٠٠ اصاب الهند مجاعة شديدة وفي تلك السنة اصدرت قمحاً تعادل قيمتهُ ١٢ مليوناً من الجنيهات ومتوسط ما يصدر من الهند من مواد الطعام يبلغ ثمنهُ عشرين مليوناً من الجنيهات كل سنة . ويقال ان السبب الاكبر في المجاعات راجع الى تصدير القمح الهندي والدقيق الى انكلترا

وان كانت قلة الحبوب وسائر مواد الطعام في البلاد هي سبب المجاعات فلماذا لا تحصل

مجاعات في البلاد الانكليزية او في المانيا فان مواد الطعام التي تنتج في كل منهما لا تكفي سكانها ثلاثة اشهر

قال احد القسوس في خطاب القاهُ في انكلترا ان لمجاعات الهند اسباباً لا يمكنني ذكرها

وقال المستر وادابحي احد الاعضاء السابقين في البرلمنت الانكليزي ان سهظ الضرائب واصدار الحنطة من البلاد هما السبب في هذه المجاعات

ولعلَّ السبب الاكبر لمجاعات الهند هو ثقل الضرائب وتصدير الحبوب وعدم وجود الري

انتهى نقلاً عن الانكليزية بتصرف نجيب ملحم نصار

حساب العقود

هو احد فروع علم الحساب ويراد بهِ معرفة الاعداد من الواحد الى العشرة آلاف باوضاع خاصة في عقود الاصابع العشرة ولم اجد من عني بهِ في هذا العصر والظاهر انهُ عرف عند العرب قبل معرفتهم الارقام الهندية

وقد ذكرهُ صاحب كشف الظنون في جملة فروع علم الحساب فقال « ومنها علم حساب العقود اي عقود الاصابع وقد وضعوا كلاً منها بإزاء اعداد مخصوصة ثم رتبوا لاوضاع الاصابع احاداً وعشرات ومئات والوفاً ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الالوف فما فوقها وهو عظيم النفع للتجار لاسيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر وعند فقد آلات الكتابة والعصمة عن الخطاء في هذا العلم اكثر من حساب الهواء . وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة رضي الله عنهم كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ في التشهد انهُ عقد خمساً وخمسين يعني ان النبي صلى الله عليهِ وسلم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلق الابهام معها وهذا الشكل في العلم المذكور دالٌّ على العدد المرقوم فالراوي ذكر المدلول واراد الدال وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم » . انتهى

ثم رأيت المقتطف قد ذكر في مقالة الارقام الهندية انهم لجأوا الى الاستعانة بالاصابع على العد والحساب ولم يشر الى هذا الحساب . وكنت رأيت كلاماً لبعض الافاضل شرح فيهِ هذا العلم وبين كيفية اوضاع عقود الاصابع الدالة على الاعداد فاحببت ان اتحف بهِ قراء المقتطف مع بعض تصرف في الترتيب لا غير قال : — ان القدماء وضعوا ثماني عشرة صورة من اوضاع الاصابع الخمس اليمنى لضبط الواحد الى تسعة وتسعين ومثلها من اوضاع

الاصابع الخمس اليسرى لضبط المائة الى تسعة آلاف ووضعاً واحداً لعشرة آلاف ويضبطون بتلك الاوضاع من الواحد الى عشرة آلاف

جعلوا الخنصر والبنصر والوسطى من اليمنى لعقود الآحاد اي من الواحد الى التسعة ومن اليسرى لعقود آحاد الالوف التي هي من الالف الى تسعة آلاف وجعلوا السبابة والابهام من اليمنى لعقود العشرات اي للعشرة الى التسعين ومن اليسرى لعقود المئات اي للمائة الى التسعمائة وتفصيل ذلك

اوضاع اليمنى

١ (للواحد) تثني الخنصر بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع
٢ تثني البنصر كذلك
٣ تثني الوسطى كذلك
٤ ترفع الخنصر وتمدد البنصر والوسطى
٥ ترفع البنصر مع الخنصر وتثني الوسطى
٦ تثني البنصر فقط
٧ تثني الخنصر فقط
٨ تثني الخنصر والبنصر
٩ تثني الخنصر والبنصر والوسطى

وفي هذه الثلاثة تبسط الاصابع على الكف مائلة اناملها الى جهة الرسغ لئلا تلتبس بالثلاثة الاول

١٠ تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كحلقة مدورة

٢٠ تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة الثانية من السبابة التي تلي الوسطى بحيث يظن ان انملة الابهام اخذت من اصل السبابة والوسطى وان لم يكن لوضع الوسطى مدخل في ذلك لكون اوضاعها متميزة بعقود الاحاد

٣٠ تضع رأس انملة السبابة على طرف ظفر الابهام الذي يليها ليصير وضع السبابة والابهام كهيئة القوس مع وترها ويجوز ان يعرض للابهام انحناء ايضاً

٤٠ تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة الثانية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً

٥٠ تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة

٦٠ تأخذ ظفر الابهام بباطن العقدة الثانية السبابة كما يفعلهُ الرماة

٧٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً

٨٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على مفصل انملتهِ طرف انملة السبابة

٩٠ تضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

اوضاع اليسرى

١٠٠ تثني الخنصر من اليد اليسرى بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع

٢٠٠ تثني البنصر كذلك

٣٠٠ تثني الوسطى كذلك

٤٠٠ ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى

٥٠٠ ترفع الخنصر والبنصر وتثني الوسطى

٦٠٠ تثني البنصر فقط

٧٠٠ تثني الخنصر فقط وتكون مبسوطة على الكف وانملتها مائلة الى جهة الرسغ

٨٠٠ تثني الخنصر والبنصر كذلك

٩٠٠ تثني الخنصر والبنصر والوسطى كذلك

١٠٠٠ تكوّن حلقة مستديرة بوضع ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام

٢٠٠٠ تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة الثانية من السبابة مما يلي الوسطى

٣٠٠٠ تضع رأس انملة السبابة على طرف ظفر الابهام ليصير من ذلك شبه قوس مع وترها ولو عرض للابهام انحناء لا يضر

٤٠٠٠ تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة الحنية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً

٥٠٠٠ تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة

٦٠٠٠ تجعل ظفر الابهام بباطن العقدة الثانية من السبابة كما يفعلهُ الرماة

٧٠٠٠ تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً

٨٠٠٠ تضع على مفصل انملة الابهام وهو منتصب طرفَ انملة السبابة

٩٠٠٠ تضع ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

١٠٠٠٠ تضع طرف انملة الابهام على طرف انملة السبابة بحيث يصير الظفران متحاذيين

وبالجملة ان العقود الثمانية عشر في اليمنى تضبط باوضاعها المذكورة هنا من الواحد الى التسعمائة والعقود الثمانية عشر في اليسرى تضبط ايضاً باوضاعها التي تشبه اوضاع اليمنى شبهاً تاماً من الالف الى التسعة الالاف والوضع المفرد في اليسرى او في اليمنى يدل على عشرة آلاف فاذا كان عقد الخنصر بوضع رأس الانملة على اصل الاصبع يدل في اليمنى على (الاثنين) فعقده كذلك في اليسرى يدل على (المائتين)

واذا كان وضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام رمزاً للتسعين في اليمنى فهو كذلك رمز التسعة آلاف في اليسرى وهكذا

السطنبة احمد رضا

[المقتطف] اسماء الاصابع على ترتيبها خنصر بنصر وسطى سبابة ابهام

الفلاحون والملاك في اوربا

وكيف يستدينون المال

الفلاح عنوان ارتقاء البلاد وانحطاطها يشقى معها ويسعد بها فلا عجب اذا فاق الفلاح الاوربي غيره في انشاء النقابات والبنوك التي تسهل عليه استدانة المال وتكفيه شر المرابين

ولا يصعب على صاحب العقارات الواسعة ان يشتري الاسمدة والآلات الزراعية ويقوم بكل ما يلزم لاطيانه ولكن الفلاح الصغير الذي لا يملك الأ امدنة قليلة قلما يجد من يأتمنهُ على ماله فلا بد لهُ من اغراء اصحاب الاموال بدفع الربا الفاحش الذي يذهب بالقسم الاكبر من ربحهِ

ولما رأى الفلاحون الاوربيون انهم صائرون الى الخراب لا سيما بعد انشاء السكك الحديدية وتسهيل نقل الحاصلات الزراعية من بلاد الى أُخرى حتى صارت الحاصلات الاجنبية تباع في اسواقهم باثمان لا يمكنهم بيع حاصلاتهم بمثلها اجتمعوا وتآلفوا وانشأُوا من النقابات والبنوك ما يسهّل عليهم استدانة المال بفوائد قلما يحوّج التجار الى الاستدانة بمثلها.

ولا بدع في ذلك فان ما يصعب على الفرد لا يصعب على الجماعة . ولفتت اصواتهم ايضاً آذان حكوماتهم فسعت الى مساعدتهم اشفاقاً على اراضيها ان تبور وعلى فلاحيها ان يسهم الشقاء . والاستاذ بريس احد اساتذة جامعة اوهيو الاميركية فصل في هذا المعنى كتبهُ عبرة

لاهل الولايات المتحدة الاميركية ونحن نقتطف منهُ ما فيهِ عبرة لاهل الشرق لكي يروا ثقة الغربيين بعضهم ببعض وتناصرهم على اجتلاب الخير واجتناب الضير

قسم الاستاذ بربس الاموال التي يستدينها الفلاح الاوربي الى ثلاثة انواع النوع الاول الاموال التي ترصدها الحكومة لهذا الغرض · والنوع الثاني الاموال التي يوفرها الفلاحون واهل الارياف ويجمعونها في صناديق التوفير والنوع الثالث الاموال التي تستلفها نقاباتهم وتؤمنها برهن الاراضي

ولكل حكومة نظر يختلف عن نظر غيرها في تقديم المال للفلاحين · فالحكومة الفرنسوية تعطي البنوك الزراعية اموالاً لا تأخذ عليها فائدة وقد بدأت بذلك سنة ١٨٩٩ · وسنة ١٩١٠ بلغ راس مال البنوك التي انشأتها على هذه الطريقة ٧١ مليون فرنك و بلغ ما قدمتهُ لها من المال ٤٠ مليون فرنك · وقد حذا حذو الحكومة الفرنسوية في ذلك كثير من ولايات العسا · اما في المانيا فانشأت الحكومة بنوكاً مركزية في المدن الكبيرة تقدم لها المال وتأخذ عليهِ فائدة ٣ في المئة وهذه البنوك المركزية تمد البنوك الزراعية التي تسلف الفلاحين بما يحتاجون اليهِ من المال · وقد بلغ رأس مال البنك البروسي المركزي ٧٥ مليون مارك (٣٧٥٠٠٠٠ جنيه) كلها من الحكومة لكن هذا البنك لا يقتصر على تسليف البنوك الزراعية بل يسلف النقابات والبنوك التي تعمل على ترقية الصناعة وفي المانيا فريق يرى ان تحتفظ الحكومة باموالها وانهُ يمكن مساعدة الفلاحين بطرائق اخرى تنفل هذه

والبنوك التي تجمع الاموال من النوع الثاني (اي التي يوفرها الفلاحون) منفعة في انها تعوّد اهل الارياف توفير المال وتجمعهُ منهم ثم تدينهُ للفلاحين بفوائد قليلة · وفي المانيا وحدها ١٦ الف بنك من هذا النوع بلغ راس مالها ١٥٠ مليون جنيه كلها مما وفرهُ اهل الارياف واودعوهُ فيها . وهذه البنوك تبقي مال كل مقاطعة فيها فيستفيد اهلها منهُ · اما المال الذي يودع في فروع البوستة او في صناديق التوفير الاخرى فيذهب كلهُ الى خزائن البنوك في المدن فلا يستفيد منهُ الفلاحون واهل الارياف

اما استدانة المال بواسطة النقابات التي ترهن املاك الفلاحين وتضمن مال الدائن فبدأت في المانيا سنة ١٧٧٠ ولكن لم يستفد منهُ الفلاحون كثيراً الاَّ في السنين المتأخرة · وقد بلغ المال المستدان على هذه الطريقة في المانيا ٢٠٠ مليون جنيه لا تجاوز فائدة المئة منها ثلاثة او اربعة

الفلاح في ولاية سكسونيا البروسية

موقع هذه الولاية في اواسط المانيا والوسائط التي تسهّل على فلاحيها استدانة المال كثيرة ولذلك سهب في الكلام عليها والقارئ ان يقيس بها الولايات الاخرى

ولاية سكسونيا (وهي غير مملكة سكسونيا) كثيرة السكان مساحتها ٩٧٥٠ ميلاً مربعاً وسكانها ٣٠٨٨٠٠٠ نفس فيصيب الميل المربع منها نحو ٣١٦ من السكان. وتربتها جيدة جداً يجود فيها البنجر الذي يستخرج منهُ السكر وفلاحوها اهل جد ونشاط ويستخدمون احدث الوسائل لحرث الارض وزيادة خصبها وهذا مما يدفعهم الى استدانة المال. ومتوسط ثمن الفدان فيها ستون جنيهاً ومتوسط الثمن في المانيا كلها ثلاثون جنيهاً . ولفلاحيها طريقتان في استدانة المال فاما ان يرهنوا املاكهم لنقابة الرهون العقارية واما ان يلجأوا الى بنوك التعاون الزراعي

نقابة الرهون العقارية

ظهرت اول نقابة على هذا الشكل سنة ١٧٧٠ اذ اتفق اصحاب الاراضي في شرق المانيا ان يكونوا عصبة واحدة يعاون بعضهم بعضاً على استدانة المال وضموا املاكهم كلها في رهن واحد امنوا به ما يستلفونهُ من المال فقويت ثقة المتمولين بهم فصاروا يعرضون المال عليهم بفوائد قليلة جداً ويمهلونهم في ايفائهِ ما شاؤوا فرأت ذلك الطبقة الوسطى من الفلاحين واقتدت بهم

اما الفلاحون في ولاية سكسونيا فلم يقوموا بشيء من هذا الا سنة ١٨٦٤ ولكن حرب سنة السبعين لم تمهلهم كثيراً فعطلت الاشغال واوقفت الاعمال ولم تستأنف نقابتهم اعمالها بجد ونشاط حتى سنة ١٨٨٠ . وتبلغ ديون الفلاحين في تلك الولاية الآن ٤١ مليون جنيه منها ١١ مليوناً تضمنها النقابة ولا يزال الدين الذي تضمنهُ آخذاً بالازدياد وانواع الديون الاخرى تتناقص ولكن لا ينتظر ان يأتي يوم تصبح فيهِ مرجع الفلاح الوحيد في استدانة المال لان كثيرين من الفلاحين يستدينون من انسبائهم واصدقائهم

كيف تأتي نقابة الرهون العقارية بالمال

هذه النقابة عبارة عن انضمام الفلاحين وتعاونهم على استدانة المال ولا غرض لها غير ذلك فاذا زاد دخلها على نفقاتها لا توزع الزيادة على الاعضاء بل تضيفها الى المال الاحتياطي . ويشترط في من يريد الانضمام اليها من الفلاحين ان يملك من الاراضي ما يدفع عنهُ اربعة جنيهات ونصف جنيه او اكثر ضرائب للحكومة

وقد وافقت الحكومة الروسية على قوانينها وناطت امر مراقبتها والسهر عليها بنظارة الزراعة . والنقابة حرة في ان تنتخب من يريدهُ الاعضاء لادارة شؤونها والقيام باشغالها ولكن لا بد من موافقة الحكومة على انتخاب موظفيها الكبار . وطريقتها في تسليف الفلاح ان ترتهن اطيانهُ ثم تصدر سنداً بقيمة الرهن وتبيعهُ وتعطي ثمنهُ للفلاح . ولا تسلف فلاحاً اكثر من ثلثي قيمة اطيانهِ

وتختلف سندات النقابة عن غيرها من السندات في اربعة امور . اولاً ان كل سند منها تضمنهُ النقابة بكل ما عندها من عقار ورهون . ولا ينفرد في ذلك الفلاح الذي ينتفع بهِ وحدهُ . ثانياً انهُ يمكن بيعهُ وشراؤهُ من دون تجيير . ثالثاً انهُ لا يستحق في ميعاد معين . رابعاً ان ليس للدائن ان يجبر النقابة على ايفائهِ دينهُ واسترجاع السند وللنقابة ان تجبرهُ على استيفاء مالهِ وارجاع السند اليها . فلها مثلاً ان تدفع قيمة السند بعد اصدارهِ باشهر قليلة ولها ان تؤخر ذلك ما شاءت ولكنها لا تصدر من السندات ما تزيد قيمتهُ على قيمة الرهون التي لديها

وامثال النقابات التي من هذا النوع تسير على غاية الضبط والدقة ولاصحاب الاموال ثقة قوية بها حتى انهم يفضلونها على غيرها . ولا يفضلها في الاسواق المالية الا سندات الحكومة ولكن هذه قد تهبط اسعارها اذا خاف الناس من نشوب حرب اما تلك فقد ترتفع عند ذلك لان عقار الفلاح ضمان ثابت لا يؤثر فيهِ اضطراب الامن وانقلاب الحكومة

اما معدل الفائدة فيختلف في بعضها عما هو في البعض الآخر . فهو في البعض ٣ في المئة وفي البعض ٣ ½ وفي البعض ايضاً ٤ في المئة وللفلاح الخيار في ان يستدين على معدل الفائدة الذي يفضلهُ الا ان اسعار السندات تختلف باختلاف الفائدة . فالسند الذي فائدتهُ ٤ في المئة اعلى من السند الذي فائدتهُ ٣ فقط . مثال ذلك اذا اراد الفلاح ان يستدين مئة جنيه فاذا تعهد بدفع ٤ في المئة فائدة سنوية اعطاهُ صاحب المال ٩٠ جنيهاً واخذ منهُ سنداً قيمتهُ مئة جنيه . اما اذا تعهد بدفع ٣ في المئة فلا يعطيهِ الا ٨٠ جنيهاً فقط ويأخذ منهُ السند الذي قيمتهُ مئة جنيه

وفي شهر يوليو سنة ١٩١٢ كانت اسعار هذه السندات كما يلي

السند الذي فائدتهُ	٣	في المئة سعر مئتهِ	٨١
«	٣ ½	« «	٩٠
«	٤	« «	٩٩٫٨

وكانت سندات الحكومة التي فائدتها ٤ في المئة تباع مئتها بمئة عند ذلك اي ان الفرق بينها وبين سندات الجمعية من النوع الاخير عشران في المئة او اثنان في الالف

فالفلاح الذي استدان الف جنيه في يوليو سنة ١٩١٢ بفائدة ٣ في المئة استلم منها ٨١٠ جنيهات فقط واصبح مديناً بالف يدفع عنها كل سنة ٣٠ جنيهاً والذي استدان الفاً بفائدة ½ ٣ في المئة استلم منها ٩٠٠ جنيه واصبح مديناً بالف يدفع عنها ٣٥ جنيهاً كل سنة والذي استدان الفاً بفائدة ٤ في المئة استلم منها ٩٩٨ جنيهاً واصبح مديناً بالف جنيه يدفع عنها ٤٠ جنيهاً كل سنة

واذا تحسنت السوق المالية دفع الفلاح ديونهُ القديمة واستدان غيرها بشروط اخف من الاولى اما اذا عزَّ المال وارتفعت الفوائد فليس لاحد ان يضطرهُ الى ايفاء دينهِ او زيادة ما يدفعهُ من الفائدة السنوية

النقابة المركزية

وسنة ١٨٧٣ أُلفت نقابة مركزية في برلين لكي تضم النقابات التي من هذا النوع وتروّج سنداتها في بورصات العالم الكبيرة لكنها لم تصل الى الغرض المطلوب اذ هبط سعر هذه السندات لما كثرت في بورصة برلين . وكل من اصحاب الاموال يفضل ان يشتري سندات النقابة المختصة بولايتهِ لانهُ يرى سيرها ويثق بها اكثر مما يثق بغيرها . وتبلغ قيمة السندات التي اصدرتها نقابة الرهون العقارية لولاية سكسونيا ١١ مليون جنيه كما تقدم وليس منها في ايدي المتمولين خارج تلك الولاية الاَّ ما قيمتهُ خمس هذا المبلغ [1]

استهلاك السندات

واستهلاك هذه السندات تدريجي الزامي على المدينين ولا يزيد المبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة على ¾ في المئة ولا ينقص عن ½ في المئة من قيمة السندات الاصلية تستوفي النقابة

(١) [المقتطف] وتبلغ قيمة كل السندات المتعامل بها الآن في بروسيا ٣٠٩٤٤١٢٥٤٥ ماركاً اي نحو ١٥٤ مليون جنيه اي ان بروسيا وعدد سكانها اكثر من اربعين مليوناً لا تزيد ديون الفلاحين فيها على ١٥٤ مليوناً من الجنيهات ومساحة الارض الزراعية والكروم والجنائن في المانيا كلها ٦٥ مليون فدان ومساحة المروج والمراعي ٢١ مليون فدان ومساحة الحراج والغابات ٣٥ مليون فدان وسائر الاراضي ١٣ مليون فدان والجملة ١٣٤ مليون فدان ثلثاها على الاقل في بروسيا اي نحو ٨٤ مليون فدان فيخص الفدان منها اقل من جنيهين وعلى هذا القياس يجب ان لا يكون دين الفلاحين في مصر اكثر من احد عشر مليوناً من الجنيهات

½ في المئة زيادة عليه لكي تقوم بنفقاتها واذا كانت فائدة السند ٤ في المئة والمبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة ½ في المئة استوفت النقابة ½ في المئة فوق ذلك فيصبح ما يدفعهُ الفلاح كل سنة ٥ في المئة لا غير من قيمة السند . ولهُ فوق ذلك ان يوفي السند كلهُ او ان يوفي قسماً منهُ اي وقت اراد وفي الغالب لا يمضي على السند ٢٥ سنة الاّ ويستهلك كلهُ . واذا استهلك من السند عشرهُ حق للفلاح ان يستدين ايضاً فيمكنهُ بهذه الطريقة ان يبقى منتفعاً بكل ما تخولهُ اطيانهُ ان يستلفهُ من المال

وقد قسمت النقابة ادارة الولاية الى اقسام صغيرة لها سهم كل منها وكيل يقوم مقام الوسيط بينها و بين الفلاحين فلا يضطر الفلاح الى الذهاب الى المركز اذا اراد استلاف المال ولا يضطر عمال النقابة ان يأتوا الى مزرعة الفلاح كلما كان لهم شأن معهُ

شركات التعاون الزراعي

نقابات الرهون العقارية عون كبير للفلاح الالماني لكن بعض الفلاحين لا يملكون اطياناً او يملكون ما لا يحترم حتى الاصيام اليها وقد يحتاج الفلاح ايضاً الى شيء من المال لستة اشهر او تسعة اشهر لشراء البذار والمواشي والاسمدة ويمكنهُ ان يوفي ذلك من ثمن موسمهِ فليس من مصلحتهِ في مثل هذه الحال ان يرهن اطيانهُ للنقابات فلا بد اذن من سد هذا الخلل

في اواسط القرن التاسع عشر قام في غرب المانيا رجل يقال لهُ ريفسن دعا الفلاحين الى تأليف شركات تعاون تنشئ بنوكاً تقوم بهذا الغرض . والبنوك التي انشئت حسبما اشار ريفسن اربع مميزات (الاول) ان الفلاحين الذين يؤلفون الشركات يضمنون ديونها جميعهم وان كلاً منهم يضمن بكل املاكهِ (والثاني) ان كلاً منها يسلف الفلاحين الذين من مقاطعتهِ ولا يسلف سواهم ابداً (والثالث) انها لا توزع ارباحاً على الاسهم بل تدفع للذين يودعون اموالهم فيها اربعة في المئة فائدة سنوية وما زاد من دخلها على ذلك اضافتهُ الى المال الاحتياطي فيها و (الرابع) انها لا تدفع اجوراً لمستخدميها الاّ للكاتب الذي يضبط الحسابات ومن بقي من الموظفين في الشركة والبنك يتخذ الاعضاء فيقوم بالخدمة تبرعاً

ولهذه البنوك منافع كثيرة وهاك مثالاً من اعمالها . اذا اراد فلاح ان يحفر مصارف في ارضهِ فمجلس ادارة البنك من جيرانهِ واصدقائهِ فينظر في ذلك فاذا رأى ان انشاء المصارف يفيد الارض اعطاهُ المال اللازم لذلك وكان جيرانهُ كلهم اعواناً لهُ لانهُ يشتغل

بمالهم فان حطت مساعيهم خسروا هم وان لم يرَ المجلس فائدة من انشاء المصارف منع المال عنهُ ونصحهُ بالاقلاع عن رأيهِ

والبنك يمهل الفلاح في ايفاء دينهِ اذا اعلن موسعهُ او طرأ عليهِ ما اقعدهُ عن العمل اضطراراً . وقد انشيء كثير من هذه البنوك في جميع البلدان الاوربية لكنها تختلف بعضها عن بعض وتتكيف في بعض الجهات لكي تلائم احوال الفلاحين وحاجاتهم

البنوك الزراعية في ولاية سكسونيا

الفرق الاكبر بين هذه البنوك والبنوك التي انشئت حسب مشورة ريفسن هو انها تحدد المبلغ الذي يضمنهُ كل من الاعضاء . فالفلاح الذي يملك من الاطيان ما قيمتهُ خمسة آلاف جنيه لا يرضى ان يجعلها كلها ضماناً للبنك الذي لا يكون لهُ فيهِ من الحقوق اكثر من جارهِ الذي لا تزيد قيمة املاكهِ على مئتي جنيه . فلما لذلك رأت هذه البنوك ان تجعل القيمة التي يضمنها كل من الاعضاء معادلة لحصتهِ في البنك لا لاملاكهِ الخاصة

وغرض هذه البنوك تسهيل استلاف المال على الفلاحين لا تشغيل الاموال والحصول على الربح . وفي سكسونيا ٦٦٠ بنكاً منها ولكل بنك نحو مئة عضو . وقد يضم بعضها الى بعض فتقيم لها جمعية عمومية او بنكاً مركزياً مشتركاً بينها . وفي مدينة هال بنك يدعى البنك التعاوني المركزي لا يشترك فيهِ الا هذه البنوك الزراعية المتفرقة . وفيها ايضاً شركة لشراء الغلال وبيعها واخرى تدعى اتحاد الشركات التعاونية وهي بمنزلة الرقيب على الشركات والبنوك المشتركة فيها تنظر في حساباتها ومعاملاتها وتنبهها الى اماكن الخلل

ولهذه الشركات والبنوك منافع كبيرة غير المنافع المالية فانها توسع مدارك الفلاحين وتقربهم بعضهم من بعض . واذا كانت من النوع الذي انشئ حسب مشورة ريفسن جعلت كل فلاح في القرية يتمنى النجاح لكل فلاح آخر لان خسارة الواحد خسارة الكل . وقد شهد كثيرون انها عامل كبير في الردع عن السكر والاسراف والحث على الاجتهاد . فاذا تطوح الفلاح في شرب المسكرات مثلاً او توانى عن اصلاح مزرعتهِ علمت الجمعية انهُ صائر الى الخراب لا محالة فانذرتهُ فان لم يرتدع اجبرتهُ على ايفاء ديونهِ

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ بريس عسى ان يكون فيهِ مرشد للذين يهتمون الآن بانشاء النقابات الزراعية في القطر المصري

جمعية الهلال الاحمر المصرية

بقلم احد اطبائها

قامت جمعية الهلال الاحمر المصرية بخدمات جليلة للعثمانيين في حربهم مع ايطاليا في طرابلس الغرب . وما شبّت نار الحرب البلقانية حتى قام اعضاؤُها برئاسة الامير محمد علي باشا وجمعوا مالاً طائلاً وارسلوهُ الى تركيا لتنشئ بهِ مستشفى في ادرنه

ولا بدع ان هزت الاريحية عواطف المصريين لاعانة اخوانهم العثمانيين فالروابط الدينية التي تربط الفريقين متينة جداً ولا اظنني مخطئاً اذا قلت ان هذه الحرب في نظر الفلاح المصري دينية اكثر منها سياسية—اي انهُ لا يعرف انها نتيجة سوء الادارة العثمانية في القرون الماضية

ولما اتسع نطاق الحرب رأت جمعية الهلال الاحمر المصرية ان ترسل الى ساحات القتال بعثات مجهزة بجميع ما يلزم لاسعاف الجرحى . فارسلت لهذا الغرض اربع بعثات طبية وكان كاتب هذه السطور في البعثة الثانية واليك بعض ما قامت بهِ هذه البعثات وبعض ما شاهدتهُ في الحرب الحاضرة

كانت البعثة الاولى مؤلفة من مستشفى ميدان وسبعة اطباء اكثرهم من اطباء الجيش المصري السابقين فلم يكن ما اتخذوهُ امراً جديداً لديهم وكانت مجهزة بجميع اللوازم وفيها ستون رجلاً يعينون الاطباء و يعتنون بالدواب وامور النقل وغيرها وسبعون بغلاً لنقل الاثقال . ولما وصلت الى الاستانة أرسلت حالاً الى خطوط العثمانيين الامامية فضربت خيامها بالقرب من جتالجه

و برد الهواء وكثر المطر بعد عقد الهدنة حتى لم تعد الخيام التي اعدتها البعثة تصلح لايواء الجرحى والمرضى فاقيم لها سقيفة من الخشب في حادم كوي (وكانت اذ ذاك المركز العمومي لقيادة الجيش العثماني) . وقاست ما قاساهُ سائر الجيش العثماني من قلة الاطعمة . والحق يقال ان تقصير الموكلين بارسال المؤُنة للجيش هو السبب الاكبر في فشلهِ . فقد رأينا ضباطاً قضوا ثلاثة ايام لم يذوقوا فيها طعاماً واخبرنا بعض الجنود انهم بقوا ثمانية ايام او تسعة بلا قوت في واقعة لولو برغاس وبعدها . وفي جتالجه نفسها وهي على ٢٥ ميلاً فقط من الاستانة لم يكن للجنود ما يكفيهم من القوت . واليك حادثة صغيرة يظهر منها ما وصل اليهِ

الضباط انفسهم . ركب بعض رفاقنا من الاطباء المصريين ذات يوم القطر الذي يسير من خادم كوي الى الاستانة واتفق ان كان معهم في المركبة التي كانوا فيها ثلاثة ضباط عثمانيين . فلما قام القطر بهم اخرج احد هؤلاء الضباط كسرة من الخبز اليابس فاقتسمها هو ورفيقه . فما كان من الضابط الثالث الذي لم يكن الاثنان الاولان يعرفانهِ على ما يظهر الاَّ ان رجاهما ان يعطياهُ قطعة منها يجتزئ بها . فمدّ اليهِ الضابط الاول القطعة التي بقيت لهُ لكي يكسر منها كسرة صغيرة لكنهُ بقي ممسكًا بكلتا يديهِ لئلا يكسر منها اكثر من نصفها. فلما شاهد اطباؤُنا ذلك بادروا الى تقديم الطعام للضباط مما كان معهم فاكلوا وشبعوا بعد ان كانت قد انقضت عليهم شهور لم يأكلوا طعامًا مثل ذلك

ولقي رجال البعثة الاولى كل حفاوة وترحيب من الضباط العثمانيين الذين رأوهم وسمح لهم ان يروا خطوط التحصين في جتالجه كلها ولم يسمح بذلك للبعثات التي تلتهم لانهُ حظر الذهاب الى حصون جتالجه لا سيما بعد ان قضى طبيبان انكليزيان يومًا كاملاً يجولان فيها ويصوّرانها بدون استئذان . ولما علم ارباب الامر انهُ يسهل على العرب الوصول اليها وتصويرها شددوا في عدم السماح لاحد بالدنو منها

وكانت البعثة الثانية (وكاتب هذه السطور منها كما تقدم) مؤلفة من مستشفى فيهِ مئتا سرير ولا ينقصهُ شيء . وكنا قد اتينا من مصر بكل ما يلزمنا من اسرة وكتان وثياب للجرحى وطاولتين للعمليات الجراحية وكل ما يلزم المستشفيات وادوية وربائد وجهاز لاشعة رنتجن وعدة للفحص البكتريولوجي وآنية للطبخ وكل ما يحتاج اليهِ الاطباء والممرضات من الاثاث وزاد كافٍ لإطعام البعثة والجرحى الذين تعتني بهم مدة شهرين . واكثرنا من الزاد لانهُ كان قد بلغنا ان الناس يموتون جوعًا في الاستانة وذلك صحيح ولكن لم تكن سببهُ قلة الاطعمة في المدينة بل كثرة اللاجئين اليها واختلال الاحوال فيها . وقد كفانا احتياطنا للامر مؤونة السعي للحصول على الاطعمة

اما رجال البعثة فكانوا مزيجًا من الاوربيين والمصريين فقد كان مديرها طبيبًا المانيًا سبقت لهُ خدمة كجراح في الحربية وكان كاتب هذه السطور الانكليزي الوحيد فيها . ومن بقي من الاطباء وهم خمسة فمصريون وواحد منهم مختص باشعة رنتجن . ثم انضم اليها طبيب بكتريولوجي وعشر ممرضات من الالمان امدتنا بهم جمعية الصليب الاحمر . وكان معنا ٢٥ من الاعوان للمستشفيات وطباخ وحلاق ونجار . وبعض هؤلاء الاعوان كانوا في طرابلس الغرب ويحسنون التركية والعربية فكانوا لنا تراجمة حتى تعلمنا من التركية ما

يكفينا · وكان بعض المصريين يحسنون الالمانية والفرنسوية والانكليزية فلم يصعب علينا التفاهم مع من انضم الينا من الالمان

واعطينا مدرسة في مكان يعرف ببكلر بك على العدوة الاسيوية من البسفور بالقرب من القصر المحجور فيهِ على السلطان السابق عبد الحميد فحولناها الى مستشفى عالجنا فيهِ كثيراً من الجرحى · ومن الذين عالجناهم كثيرون من الذين اصيبوا بجراح من رصاص البنادق او قنابل شرابنل وغيرهم ممن اضرَّ بهم الصقيع · وقد شاهدنا جراحاً غريبة نشأت عن رصاص البنادق · ومن المعلوم لدى الجراحين العسكريين ان الرصاصة تسير في الجسم غالباً في طرق لا تخطر على البال · وقد شاهدنا جرحاً من هذا النوع في حدي اصابتهُ رصاصة عند كتفهِ اليسرى فنفذت في القسم الاسفل من عنقهِ الى ان استقرت في الغدة الدرقية الى يمين القصبة ولم تؤذِ الاوعية الدموية ولا غيرها مما في العنق وقد يصعب تصديق ذلك ولكننا شاهدناهُ بانفسنا ولا تقلُّ هذه الحادثة في غرابتها عن حادثة الرصاصة التي اصابت احد الجنود في الحرب التي ثارت في جنوب افريقية عند ترقوتهِ ثم استقرت في عقب قدمهِ الايمن

وكان في سان ستفانو نحو خمسة آلاف من الجنود المصابين بالكوليرا والدوسنطاريا ولم يكن لهم مأوى ولا ملجأ ولا طبيب يعتني بهم فارسلت بعثتنا فريقاً منها لاسعاف المأمورين العثمانيين الذين كانوا يبيتون لهم المأوى فاقاموا لهم احدى عشرة سقيفة كبيرة من الخشب في موقع جميل على اكمة تطل على بحر مرمرا وكانت تسعة من هذه السقائف ملاجئ تسع كل منها ستين مريضاً وجعلت الثنتان الباقيتان محجراً للناقهين يحجر عليهم فيه خمسة ايام قبل ان نسمح لهم بالخروج · فان كان الناقه من صف الجند النظامي وكانت حالتهُ تمكنهُ من العودة الى الجيش اعيد اليهِ ثانية وان كان من صفوف الجيش الاخرى سمح لهُ في الغالب بالعودة الى بيتهِ

وكان على مقربة من هذه السقائف مستشفى لجمعية الصليب الاحمر الانكليزية يسع نحو ١٥٠ سريراً ويتألف من تسعة بيوت بنيت من ورق Papier Mâché فكانت وافية واسباب الراحة متوفرة فيها

وعلى مقربة من ذلك المكان مدرسة يونانية وضع فيها اربعون سريراً وكان فيها قبل ذلك عندما بدأ تفشي الدوسنطاريا والكوليرا ٤٠٠ مريض ينامون على الارض لا غطاء ولا

وطاء . وكان بالقرب من محطة السكة الحديدية اربع سقائف من الخشب جُعلت لايواء الذين لم تكفل عليهم وطأة المرض

واقام بكتريولوجي مستشفانا معملاً البكتريولوجي في سان ستفانو واثبت وجود جراثيم الكوليرا ثم استلم ادارة المعمل بعد ذلك بكتريولوجي مصري مشهود لهُ بالكفاءة . اما نحن الذين كنا نعالج المرضى فرأينا ان حوادث الكوليرا لم تكن أكثر مما تكون عادة عند تعبئة الجيوش العثمانية وان الدوسنطاريا والجوع والبرد لم تكن اقل منها فتكاً . ولما اشتد الحر في نوفمبر بلغ عدد الوفيات كل يوم مئتين في الفرق المرابطة في الخطوط الامامية وثلاثمئة في سان ستفانو ثم قلَّ عدد الوفيات لما برد الهواء

وكنت موكلاً باحدى السقائف الخشبية الكبيرة التي على الأكة ووجدت في عملي لذة وفائدة . ومما زادني رغبة في العمل انني كنت اعمل ما عملهُ ابي قبلي منذ خمس وثلاثين سنة اذ خدم الجيش العثماني بطبه في الحرب الروسية العثمانية

وعلى مقربة من سان ستفانو نصب اقامهُ الروس ذكراً لضباطهم وجنودهم الذين قتلوا في تلك الحرب (١٨٧٧ — ١٨٧٨) وخمسة عشر الفاً من الروس فتكت بهم الكوليرا لما كان جيشهم هناك

وكانت البعثة الثالثة مؤلفة من ١٢ طبيباً مصرياً لمقاومة الكوليرا فانقسمت الى فريقين فريق قام على العناية بمستشفى فيه أكثر من الف فراش في مكان يعرف بمال تپه وفريق اقام في سان ستفانو . ولما استؤنفت الحرب اقيم في سان ستفانو مستشفى صغير للجرحى

وكان الامن مستتباً في الاستانة ولم يظهر من مسلميها اقل عداء لمسيحييها ولا عدوا هذه الحرب حرباً دينية ومن المؤكد ان معظم الجنود لم يحسبوها دينية ايضاً ولكن مظهر المدينة كان يدل على الحرب فلا ترى في الاسواق الا جنوداً وضباطاً ولا تأتي الساعة السابعة مساء حتى تبطل كل حركة . وحُظر على الناس الخروج بعد الساعة العاشرة واغلقت محال الاجتماعات العمومية الا في بيرا (حي الاوربيين) حيث بقي مشهد او مشهدان يعرضان الصور المتحركة وقاعة موسيقية يتردد اليها المكاتبون الحربيون الذين بقوا في الاستانة

ومما يذكر بالاسف كثرة الحرائق في الاستانة فلم يكن ينقضي اسبوع الا وتشب النار في جهة منها فتلتهم مئتي بيت او ثلاثمئة ورجال المطافئ هناك على جانب كبير من الشجاعة والاقدام ولكن اكثر البيوت من الخشب ووسائط استحضار الماء تكاد تكون معدومة والقارئ يعد هذا ان يتصور النتيجة

وبعد ما حدث انقلاب الوزارة ظهرت روح جديدة في الشعب والجيش . فاخذ الناس يؤلفون فرق المتطوعين وبدأ الجيش بالمران والمناورات وكان قد اهمل ذلك من قبل . وكنت ترى كل من تلقاه واثقاً بالنصر للجيش العثماني يؤمل انه يهزم جيوش البلقان ويسترد منهم تراقية ويرفع الحصار عن ادرنه . وكل ما اشيع عن اختلاف الضباط واقتتالهم بعضهم مع بعض عارٍ من الصحة . وكانت امياناسع العثمانيين فكنا نرى ان شروط الصلح شائنة لهم مع انهُ ربما كان عقد الصلح خير ما تعملهُ الحكومة في الاحوال التي وصلت اليها

وكان لسان حال كل واحد يردد دعاء احد كتاب الانكليز الذي قال مخاطباً انكلترا « ان كان قد دنا القضاء عليك فليكن ذلك القضاء شريفاً . وان كان لا بدَّ من غرقك فليكن في الدم والنار وتجري معك اكثر من شعب واحد يشاركك في سقوطك . واضرع الى الله ان يكفيك عار ميتة بطيئة تصل بك قبل الانقراض الى حالة تمسين فيها هزءا ومعرة لاعدائك الذين لا يسعهم على حسدهم و بغضهم لك الآن يخافوك ويحذرك رغماً عن انوفهم »

وحاول انور بك ان ينزل بار بعين الف جندي الى البر في رودستو (وهي متوسطة بين غاليبولي وجتالجه) او بالقرب منها لكي يفصل بين جيشي البلقان في غاليبولي وجتالجه . وطلب من جمعية الهلال الاحمر المصرية ان تجهز مستشفى لهذه الحملة فاعددت صدقي انا وطبيبان مصريان لكي نلحق بها وهيأنا مستشفى يسع مئتي جريح واعددنا ما يلزم من كتان وثياب الجرحى وطاولات العمليات الجراحية وزاد يكفينا اسبوعين قبل ان تبدأ المؤونة بالوصول الينا وصولاً منتظماً . الآ ان انور بك لم ينجح في عمله هذا لسوء الحظ فذهبت اتعابنا سدى

وكانت البعثة الرابعة مؤلفة من باخرة حولت الى مستشفى تجول في بحر ايجه لنقل جرحى العثمانيين من سلانيك الى ازمير واعانة العثمانيين البائسين الفارين من وجه البلقان

وبلغتنا اخبار كثيرة عن الفظائع التي ارتكبها البلقان واخشى ان تكون صحيحة . وقد قيل انهم قتلوا كل رجل تركي التقوا به ولم يحجموا عن التعرض للنساء

وجاءَ الينا في سان ستفانو صبي تركي عمره نحو ست سنوات اذ لقي من عنايتنا به ما لم يلقهُ من ادارة البوليس وكان يتكلم التركية جيداً مما يدل على انهُ من عائلة راقية لكن اباهُ وامهُ قتلهما البلقان ثم تبناهُ احد الاطباء المصريين واتى به الى مصر

وقد اقتصرت في ما تقدم على ذكر القليل من الامور التي رأيتها والتي سوف تبقى في ذاكرتي ما دمت حياً

الفقر والفقير [1]

ايها السادة

في الارض سؤال لم تزل تلقيه اطماع الناس في كل عصر من عصور الحياة ولا تصيب لهُ جوابًا مقنعًا لان الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة فهو يسأل سؤالًا غير محدود ويريد بطبيعته جوابًا غير محدود . هذا السؤال احد ثلاثة في حقائق الانسانية الثالثة عن الانسان نفسهِ في غيب الله . يقول ما هي الروح التي تعطي الحياة . وتقول آمالهُ ما هو الموت الذي يستلب هذه الحياة . وتقول اطماعهُ وما هو الفقر الذي يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك تتساءل ما هو الفقر . على انهُ ما غيرَ الفقر سؤال في كل نفس انسانية معنىً من جوابهِ ولا غير الفقر قبر الاماني الذي لم يخلق الله نفسًا من النفوس الا ولها ميتٌ من الامل في ترابهِ . بل واذا كان في لمات الافواه لفظ خالد فانما هو الفقر . واذا كان في هواجس القلوب معنى خالد فانما هو خوف الفقر . واذا كان للدموع الانسانية مصب واحد تلتقي اليهِ من جهات الارض فانما هو بين شاطئين ان جاز أن يكون احدهما الحب فان من المحقق ان احدهما الفقر

ان هذه الارض لتصبح في كل يوم ولا يمكن ان يقال بحق ان فيها عملًا انسانيًا عامًا غير طلب المال فأحرِ بها ان تمسي في كل يوم ولا يمكن ان يقال ان فيها معنى انسانيًا عامًا غير راجع الى الفقر . ويقولون انها تدور حول قرص الشمس وهو قول فلكي او سماوي بعيد اطلاقهُ على الارض كهيئتها يوم خلقها الله او على الاقل كما خلقها . اما الحقيقة الارضية فانها تدور حول قرصين قرص اللهب وقرص الذهب وبالله والفقير . انهُ دائمًا في الجهة المظلمة

الفقر متى اتيتهُ سؤالًا عاد اليك بجواب نفسهِ لانهُ فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة . وليس في الناس جميعًا من يصدق اذا ادعى انهُ لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنيّ جنّ من فرط الغنى وفقير جنّ من فرط الفقر . فالاول لا يعرف الفقر في جنونهِ لانهُ جنّ بغيرهِ والثاني لا يعرفهُ لانهُ جنّ بهِ ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذي احاط بهِ الجهل حتى انهُ ليجهل نفسهُ . واينما اتجه اشاح عنهُ الناس بوجوههم فلووا رؤوسهم وصعّروا خدودهم واماوا اعناقهم حتى كأن

---

(١) خطبة الفاضل مصطفى افندي صادق الرافعي في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ١٦ ابريل سنة ١٩١٣

كل رأس في الثراء عنقه من الشموخ والاستكبار يمثّل علامة استفهام اخبث في وجه هذا المسكين او علامة انكار

من هو هذا الحي الذي تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شيء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شيء واحد وهو الغنى فقضت عليهِ شرائع الاجتماع ان ينفق من حياتهِ اضعاف ما يكسب لحياتهِ فهو اذا كدح في العمل طوال يومهِ فقوت هذا اليوم عليهِ كثير، واذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع قاطعهُ من جسمهِ فذلك عليهِ يسير، واذا ذاب في الشمس وجمد في البرد فهو عند الاغنياء ذو طبيعتين لانهُ فقير!

من عسى ان يكون هذا القويّ الذي يقتسمهُ المجتمع كلهُ ويخشى ان يرتفع فيكون «قاضياً» عليهِ، ويأخذهُ اليوم بالجباية وهو الذي ارضاها بالامس اليهِ، ومن هذا الذي يرى المجتمع انهُ اذا قُدّر للشريعة ان تُحد في غير فلن تُدفن الاَّ في هاوية من مطامعهِ، واذا حكم الله على عصرٍ من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها الاَّ من ذراعيهِ واصابعهِ ؟

من هو الذي يجف ريق الارض لو جفَّ عرقهُ من ترك العمل، ويخيب املهُ مع ذلك في كل غنيّ وهو نفسهُ للاغنياء اكبر اسباب الامل يُدِلُّون عليهِ بالغنى ولولا أنَّ في قلوبهم عنصراً من دمعهِ القيم لما وجدوا لها قيمة، ولولم يكن في ذهبهم روح من دمهِ الكريم لما عُدّ افضل المعادن الكريمة

ذلك ايها السادة هو المدرج في اكفان النسيان، الذي ليس لهُ في الناس الاَّ منكر ونكير، ذلك هو النائس في بني الانسان، الذي يكثر عليهِ القليل ويقل منهُ الكثير، ذلك هو المتناقض في نفسهِ حتى لا يصغر ان يقال فيهِ صغير ولا يكبر ان يقال كبير، ذلك هو الذي يشبه ان يكون عملهُ حركة فلكية في الارض لآلة الغنى، ذلك كلهُ هو الفقير

يا لله ما تحمل الارض انساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ في هذه الارض كأنهُ الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها، وعذابها، ويستعيذ برحيمها، من جحيمها، ويفرّ من امهِ وابيهِ، وصاحبتهِ وبنيهِ، ويضع في ميزانها آمالهُ، فلا يزن الاَّ اعمالهُ، ويستصرخ كل من يمرّ بهِ فلا يسمع الاَّ قائلاً يقول نفسي نفسي، ويذكر كل انسان بموتهِ وكل انسان هنالك قد نسي او انسي، فينظر فاذا هو في الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلاً، ومفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلاً، واذا هو بالسماء وقد التهبت بأقدارها حتى كأنها في عينهِ جمرة من البرق الخاطف واذا الارض قد ثارت باهلها كرمادٍ

اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فان اقبل على الناس فرّوا من اماكنهم كأنه زلزلة تمشي وان استصرخهم نفروا كأن في صوته قزع الرعد القاصف . بالله لا تحمل الارض الأمن يعرف هذا من الفقر بل اشد منه ثم يبقى الفقير كأنه مسئلة مجهولة في حساب الناس لا عمل فيها الا كثرة الطرح والضرب ثم الغلط في النتيجة ... وتحاز طبائع الناس كلها في جهة والفقير وحده في جهة حتى لا يرى هذا المسكين في العالم على سعته غير اثنين هو واستبداد الغنى

ترى اين تكون شرائع الآداب إذن . هل هي في ضمائرنا ام هي في كتبها . ام صار الحق كله انسانياً بحتاً لي عليك ولك عليَّ وليس لله عليها شيء . وفصلنا انفسنا من السماء وقطعنا الروابط التي كانت تربطنا بها ونبذناها فرثّت ثم رثّت ماذا هي على اجسام الفقراء تلك الاسمال البالية

ايها السادة : الحقوق متى صارت انسانية محضة ليس فيها لله شيء فكل درهم يوضع في يد الانسان يجعل فيها عقلاً يحكم على عقله وكل رغيف يستقر في معدته يخلق فيها ضميراً يستبد بضميره . فينفصل الانسان من الله و يبتعد منه بمقدار ما يقرب من الغنى . وحسبه يومئذٍ في اعتباره بعيداً جداً عن الله ورحمته ان يقال ان بينه و بين ربه مسافة الف دينار ... ذلك بان عدل الله يقضي ان يكون للفقير ثروة وانما الجزء المهم من هذه الثروة هو الاحساس في ضمائر الاغنياء . والادلة على هذه القضية (قضية الحقوق الانسانية) كثيرة تفوت الحصر لان كل مراب جمع ماله من السحت والربا انما هو في نفسه دليل عليها . وليس احد اخيب رجاء ولا احق بان يخيب ممن يسأل المرابي احساناً لوجه الله فان الذي لا يعرف الله فيما يأخذ كيف يعرف الله فيما يعطي

لماذا نرى جفاة الاغنياء يخشون من الفقر على انفسهم فقط ولا يخشون منه على الفقير ؟ اظنهم يقولون ان في الارض شيئين بمعنى واحد . قبور الاموات في باطنها واكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرق بينهما في النسيان لانه يشملها جميعاً وانما الفرق بينهما في حاليها المتناقضتين . هذا قبر ميت وهذا كوخ حي . نعم صدقوا و برّوا وقالوا حقاً . اليسوا جفاة القلوب غلاظ الاكباد والا فما هو الفرق بين موت منسيٍّ كموت الغريب وحياة منسية كحياة الفقير الا على الفرق الذي لا يبالي به هؤلاء الاغنياء حين يكون لاحدهم ظاهر حي وضمير ميت

واظن اولئك الجباة يقولون : انما نرى الفقير لا يملك في الارض شيئاً بل هو الحارس على قطعة من ارض الله يطوف حولها يومهُ . فقر فلان التاجر الغني مثلاً ليس هو في الحقيقة ان لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وانما هو امتاجرة في الآمال . بعد الاموال . وفيض الربح . بعد قبض الربح . واستقبال الابواب والجدران . بعد استقبال الاصحاب والجيران . وهلمَّ من هذا الباب الذي يفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث لحياة البائسة وهي الفقر والمذلة والألم . وانما هو رجل كَكُلّ رجال المال متى خرج المال من يد احدهم خرج اسمهُ من افواه الناس وحبهُ من قلوبهم ويكون من اهل السعادة لو خرج هو ايضاً من الدنيا . . .

قتل الانسان ما اكفرهُ . لو ان غنياً فقد جبلاً من الذهب واصاب رغيفاً لكان ذلك ايسر في مذهب الانسانية من ان لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك به الرمق ويقيم منهُ باباً حاجزاً يهم الجوع ان يُدخل اليهِ الموت او يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الانسانية في اهلها ان الله لم يخلق الاَّ صنفاً واحداً من الناس على ان كل انسان يظن انهُ ذلك الصنفُ الواحد . فالغنيّ حين يتصور الفقر وهو لا يزال في غناهُ لا يتصور الاَّ اختلال نظام الاقدار . واضطراب حركتي الليل والنهار . بعد ان يهوي كوكب سعدهِ الذي يصاغ من كل درة من اشعتهِ دينار . . . ولا يرى بهذا الفقر الاَّ ان ثمةَ هابطة من السماء ولمتةً صاعدة من الارض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ في جو كبريائهِ فاصطدمتا بهِ فاذا هو مُكبٌّ لليدين وللفم عند اقدام الناس واذا هو فقير

هذا هو الفقر في اوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط . . . اما سائر الناس فهم عندهم اهل باطل ودعوى . يتخذون الفقر ويدعونهُ ليماووا نعمة الغنيّ بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس لهم فقر وقلة الاصحاب فقر وحتى لو ان احدهم صفعتهُ زوجهُ لنسب ذلك الى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالاغنياء هو الفقر . فاذا كان الفقر كل شيء فما هو الشيء الذي يسمى الفقر ؟

من اجل ذلك ايها السادة يخشى الاغنياء من الفقر على انفسهم وهم انفسهم لا يخشون منهُ على الفقير . لان هذا الفقير عندهم قد اصبح شخصاً آخر لا صلة لهم بهِ فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئتهِ سيئة مثلها . فاذا انخدعوا لهُ بمقدار ما يتعجبون من مخافتهِ واذا اعطوه كان العطاء سخيفاً بمقدار ما ينخدعون . ولا ينظرون لاثر

الله عليهِ ولكن لاثرهِ على نفسهِ اذ المفقود عندهم حقوق انسانية فهيهات ان يختلج في نفس احدهم ان لو شاء الله لوضعهُ في ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير في ثيابهِ. اتردُّ مثل هذا الشيء الخاضع الى الدين ؟ انهُ لهو الدين . اتردهُ الى الانسانية ؟ فمن هو ادون اذا لم يكن من صميم الانسانية ومعين اهلها بل انسان هذه العين . اما الحق فاذكر امرالهُ تعلم ان « الحق في يدهِ » ... هكذا هكذا يعطي المال اهلهُ حتى فضائل غيرهم ويسلب الفقر اهلهُ حتى محاسن انفسهم

ايها السادة : لا بد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الانسان والانسان من التباين والاختلاف في كل شيء حتى بين الاخوين تلدهما الام الواحدة وهما معاً اتفقا في الحياة ومظاهرها فانهما لا بد مفترقان افتراق الثديين اللذين ارتضعا منهما الحياة . فما عسى ان تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟ تقول الشرائع ان الصلة التي تجمع الناس بعضهم ببعض هي العدل . وتقول العلوم انها العقل . وتقول الآداب انها شيء من العدل والعقل يكوّن الانسانية في الضمير . وتقول الحياة انهُ سبب الانسانية وهو الرحمة . ثم يرعد صوتُ الهيُّ يقصف من جهة السماء التي هي مصدر العدل والعقل والانسانية والرحمة فيسيح بكل ما في هذه الاشياء من القوة ويقول كلا . بل هو سبب الرحمة ومظهر الانسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر

من الذي وُلد وفي يدهِ قطعة من الذهب ومن الذي مات وفي يدهِ تحويل على الآخرة؟ لقد وسمت الحرادث كل شيء الأ هذا فما لنا نتحد في البدء والنهاية ثم نختلف في الوسط ؟ ذلك لان بدءنا من طريق الله ونهايتنا في طريق الله ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وبكلمة واحدة طريق بعضنا الى بعض ... وحيثما التقى الانسان بالانسان فاما ان تلتقي المنفعة بالمنفعة والاَّ فالمنفعة بالمضرة فلا بد من انتفاع احدهما او كليهما . ومن ثمَّ يقول البخلاء ما الذي تنتفع بهِ من رحمة الفقير . او لا يكفيهِ اننا لا نرزؤهُ شيئاً واننا نفضل عليهِ بهذا الدرهم الذي نمسكهُ عنهُ كأنهُ درهم اخذناهُ منهُ وبذلك لا يضرنا ولا ننفعهُ بشيء ومن جهة اخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شيء ...

قاتل الله البخل وقبحهُ فما هو الأ حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيهِ المنفعة . وان كان لحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد في امساكها ، وان الله لرحيم اذ لم يعاقب البخلاء بما يعاملون بهِ الناس . فليس بين كل بخيل و بين الهلاك الأ ان ينقل الله

الامساك من يده الى جوفه . على ان البخل اذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة عينها فهو على كل حال نقص من الايمان لان الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما انفقوا مكافأةً على فضيلة الاحسان التي هي في الحقيقة فضيلة الاحساس ثم ان يخلف عليهم ما انفقوه اضعافاً مضاعفة إذ المحسن لا يجود بدراهمه على الله ولكنهُ يقرضهُ اياها قرضاً حسناً متى وضعها في يد الانسانية الفقيرة . فمن امسك عن الاحسان بخلاً فانما يشك في وعد الله والاّ ففي قدرة الله والاّ في الله نفسه . فاكبر البخل عند اكبر الكفر واصغرهُ عند اصغره . ويوم يخرج الايمان من قلوب الاغنياء تخرج ارواح الفقراء من اجسامهم فيموتون بالجوع وبالعُري وبالمرض وغيرها وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الاغنياء كفراً في الضمير لا كفراً في اللسان

من هنا ايها السادة لا تجدون الفقر في اي عصر من العصور الاّ بعض الخلل في نظام الاجتماع الانساني كما ان البخل بعض الخلل في نظام النفس الانسانية والفراغ الذي يجدهُ الفقير في بيته انما هو موضع النعمة التي بخل بها الغنيّ وهو في الحقيقة موضع التفكك او الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع

الانسان انما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة الأَّ حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموعٍ لأن اليد الواحدة في الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم فانها لا يفارقها عيب اختها المقطوعة

وكل خلل في النظام الاجتماعي انما مردّهُ الى طغيان بعض الافراد وجنوحهم الى ان تكون شخصية الواحد منهم من الكبَر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بَيْدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالاً بالموازنة الاجتماعية لانها تجعل كل حركةٍ من هذا الفرد زلزلة في المجموع كالثقل في احدى كفتي الميزان ان خفّ سقطت الكفة الاخرى وان ثقل شالت وهو السقوط الى فوق ...

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ الاّ اذا تطمّنت قوى المجموع فاندفعت في تيار واحد الى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم الاّ اذا جاءت من عكس هذه الجهة تقصد قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على ضدها . ومن اراد التثبت فان ضعف شخصهِ يعطيهِ منها اكثر مما تعطيه قوة نفسهِ ولا يكون ضعف المجموع الاّ من حصر الشخص العظيم قوة عقلهِ ونفسهِ وضميره في هذا السبيل الفردي لتكون منهُ الشخصية الهائلة التي تشبه ما كان في تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الالهة

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام او شريعة الى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشري الداء في الموازنة الاجتماعية فيفسدها ويوقع في نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها في مصدر واحدة وحتى لا يبقى الناس ارقاءً يعدهم الغني المستبد كما يعد ورائهُ لانهم ثروتهُ الحية . . . غير ان هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل الى عهدنا عهد الاشتراكية العملية الأ ثورات هي مهما كانت فانها اشبه شيء بجموح الحيوان اذ يحس انفهُ فيجمح ثم يسترسل في جماحه ثم يشتد حتى يعثر صاحبهُ على رأسهِ ويهلك نفسهُ معهُ ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرهاً بعد ان جمح راضياً فان لم يسكنهُ الالم من صاحبهِ اسكنهُ التعب من نفسهِ . لان التخلص من شيء في فطرة الانسان لا يكون بالتخلص من انسان بعينهِ كالحرية إن لم تكن في نفوس الشعب المستعبد لم ينفعهُ كل ما يتخيلهُ من الآمال عند سقوط المستبد وزوال عهدهِ فان هذه الآمال الجميلة انما هي بعض الهواء النقي الذي يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملء رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التي يحدثها ذلك السقوط

ومن هذا ايها السادة ترون ان الانسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً . فاذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ في عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش في بقعة مجهولة من فؤادهِ فاعلموا ان اهمال ذلك الفقير انما هو نوع من القتل الاجتماعي

هنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسهِ ولا قتل بدم . اما المقتول فانهُ لم يُقتل في اثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذي بلغ منهُ حتى جعل اهمال القوي إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل فترى على من تكون هذه التبعة وهي بالتحقيق ليست على القوي لقوتهِ ولا على الضعيف لضعفهِ ؟

هناك اثنان رجل في الماء وآخر على الشاطئ فاما الذي في الماء فليس بينهُ وبين الموت غرقاً الأ نفس واحد معتل يسيل بالماء من حلقهِ الى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً في حفر قبرهِ المائي فيس الموج المتناثر حولهُ الأ ما تثيرهُ يد حفار الموت من تراب ذلك القبر ويحثوهُ في وجههِ بنزق وغضب . بعيدٌ عن الاحياء حتى بعد من ان يكون لهُ قبرٌ بينهم ولا صلة بينهُ وبين الحياة الارضية الأ نظرات ذلك الرجل القوي الذي يلوح في عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطئ لها قوة وليس لها ارادة ولا يد ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الارض تحت قدميهِ ويشعر صلابة بدنهِ وعضلاتهِ يشعر ايضاً بمعنىً من الصلابة

في قلبه . وقد جاء الى الشاطئ ليتنفس تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون ارواحاً للامواج تبعث فيها حركة الحياة . ما له ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ قطعة من المتاع او حذاء قديم او ريش طائر او رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو الى الماء فيكون حقاً عليه ان يستنقذهُ ولا كان الغوص من صناعته فيحتمل في اخراجه ليخرج معهُ اجر عمله وهو قوي ولكنهُ قوي لنفسه لا للضعفاء وقد جاء ليروّح عن نفسه . وانقاذ الغريق عمل آخر . اخذ فيما جاء له وما زال يتنفس ملء صدره من الهواء ومن زفرات الانسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ ان ينصرف وترك الرجل يغرق وهو يقول لا بأس ان ينقص عدد اهل الارض واحداً انهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة ايضاً ؟

اذا اردتم ايها السادة ان تعرفوا ذلك فانكم تستطيعون ان تحققوهُ بدون ان تكونوا شرطة او قضاة او اهل قانون او فلسفة ولكن بان تكونوا من ذوي الانسانية فقط . فان الانسانية لا ترى في الارض الا الضمائر وما هذه الاجسام الا ادوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير فالرجل قد مضى بريء اليد و بريء القوة و بريء العقل اذ هو لم يقتل ولم يجن على القتيل ولم يحتل لقتله ولكن الانسانية حين تنادي الضمائر باوصافها فتقول ايها الطيب وايها الكريم وايها الشقي وايها السافل تقول لضمير هذا الرجل ايها القاتل

اذا لم يقرّ الاغنياء لانفسهم بالضمائر ولم يلحقوا بها التبعات التي تناسبها فهل هم في ذلك الا كالمجانين لا تعرف لهم الشرائع بالعقول وتحرسهم من تبعة ما يجنون على العقلاء لانهم مجانين . وكيف ترون ذلك الغني الفظ الذي يمر في وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنهُ يجبههم بلعنة كلية . . ولا ينفأ يقذفهم بالالفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة . . واذا اعطاهم فانما يعطيهم بقبضة فارغة . . . وهو لا يوقر الا من فوقهُ كأنهُ لا يرى في الدنيا كلها اسفل من نفسه . . . ولا يبالي الأ بن يطمع فيه كأنهُ جالس في (مكتب احد المخدمين) وقد تساوى في الدناءة والتكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأنَّ ضميرهُ لبسة مقلوبة . . . وصار امر رضاهُ وغضبه واحساسه وحياته موقوفاً على ما يكون من امر المعاملات كأنَّ اخلاقهُ ليست في نفسه ولكنها في ايدي الناس . . . أليس مثل هذا الغني الذي رجلاً عاقلاً ؟ على انهُ لا اعقل من كل من يمدحهُ ولو كان أكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضمير بحيث لا يعقل الا بحواسه

ستأتي البقية

القصيدة الهندية

لما اطلع حضرة الوجيه الخواجا ديمتري حلاط على السؤال المنشور في مقتطف ابريل كتب الينا يقول « لم يسعدني الحظ بمعرفة الدكتور حامد ابرهيم لكن الانشاء يدلُّ على ادب الانسان كما يدلُّ العبق الطيب على الريحان فارجو اجابة طلبهِ واعادة نشر القصيدة في العدد التالي من المقتطف » فاعدنا نشرها وتركنا الشرح المسهب الذي جعلهُ حضرة الناظم تمهيداً لها وهو حري بمطالعة كل من يود ان يعرف شيئاً عن الشعر الهندي

اراك في يقظة من لوعة الألمِ ... اني شبيهك مكلومٌ فتى كلمِ
أصلي ولا تجبي عما أصبتُ بهِ ... اني سعيتُ الى حتفي على قدمي
ولقد حصدتُ ثمارَ الوجد يانعةً ... لما زرعتُ بذور الضرّ والنقمِ
وهكذا الذنب مشفوعٌ بنقمتهِ ... وصاحب البرّ لن يشقى ولم يضمِ
نبّا لهـا ساعةً لما قضيتُ بها ... واما قضيتُ الكرى معهُ فلم انمِ
انّ الجنون فنونٌ كيف حيلةُ من ... شام ابنهُ نورهُ أطفاهُ ثمّ عمي
إني سلكتُ سبيل الغيّ عن عجلٍ ... ضلالةٌ فيهـا شبيه العير والبهمِ
ولقد ملأتُ كؤوس اللهو مترعةً ... رشفتها فشربتُ السمّ في الدسمِ
حاكيتُ طفلاً رأى حبلاً فدلّاهُ ... عنقاً فكان بهِ حتفاً على وضمِ
سلطانة الهند لما كنتِ يافعةً ... وكان فيك حيائي غير مكتتمِ
كنتُ امرءاً قاعداً عن هم سلطنةٍ ... خليّ بالٍ شجيّ الحبّ والنغمِ
والقلب في فرحٍ والجسم في مرحٍ ... والعصمُ في ترحٍ والاهلُ في نعمِ
وكنت من شغفي بحب فاتنتي ... أهيمُ للقنص في الآجام والأكمِ
فذات يوم تأبطت الكنانةَ وال ... قوس الموتّر يصمي طائر الرخمِ
واد وجدتُ مليكَ النور مبترماً ... والليل الليلَ مع اقباله الدهمِ
امّتُ نهر السرابه على ذا غلاءٍ ... من الاوابد يأتي الماء في أمم
لبثتُ عنيّا للقنص مرتصداً ... حتى سمعتُ اناه في المياه رمى
حسبتُ خرطومَ فيلٍ جاء مستقياً ... صوّبتُ سهمي وُفيتُ ساعة الوهمِ
اطلقتهُ مسرى والشؤمُ يحملهُ ... على غرابٍ بجنح البين ملتزمِ
اصاب سهمي لا فيلاً ولا اسداً ... بل ناسكاً ناطقاً من خيرة الامم
الفى اناه الى الماء القراح لكي ... يملاهُ منهُ فاسقي من إنا العدمِ

سمعتُ أنّةً يشكو اذى ألمٍ ... وصاحَ من حرقٍ "يا خائضَ الاجمِ

حلّلتَ ما حرّمَ العقلُ السليمُ بهِ ... فالصيدُ في الحِلّ مثل الصيدِ في الحرمِ

إن كنتَ عامدَ قتلٍ ليس من سببٍ ... يجزى القتلُ في شرعٍ لذي ذِمَمِ

يا نورُ يا نهرُ ما هذا المصاب فقد ... وجدتُ حرَّ الردى في مائكَ الشبمِ

ولستُ أبكي على فقد الحياة فقط ... أبي كذاك أبي سيفٌ حالة الحرمِ

أبكي ثراهما اذ كنتُ عونهما ... عند الشدائد والاحزان والسقمِ

من يعولهما بعدي وضيفهما ... ضيفُ الحمى بئس ضيفاً غير محتشمِ

تفتّتت كبدي من ذا العويل وذي ... الشكوى فبتُّ كسكرانٍ وذي لممِ [1]

لم أدرِ هل طبّقت ارضٌ عليّ أم انقضّت عليّ من الاعلى كُرى [2] الرجمِ

فسرتُ نحو مهبّ الصوت مضطرباً ... لهراً كلا الراجفين [3] الهول والندمِ

وجدتُ ملقى صريعاً في المياه فتىً ... على محيّاهُ سيما الطهرِ والشيمِ

لمّا رآني اليهِ مقبلاً وبما ... وجهي كجمرٍ يموج الغمِّ مُكتظمِ

رنا اليَّ بطرفٍ كاد يحرقني ... شرارهُ بلهيب الحزن مضطرمِ

وقال لي "يا كيّاً قد فتكتَ بمن ... نحو القريب ونحو الله لم يصمِ [4]

أرشتَ سهماً وكان السهمُ مصرعهُ ... ثلاث قتلى تباعاً خلف بعضهمِ

أين الفدا أين تبكي ما انتفاعي بهِ ... ولقد قُتلتُ بلا ذنبٍ ولا أثمِ [5]

قد كنتُ قرّةَ عين الوالدين غدا ... ابي تيهاً لفقد الرشدِ والحلمِ

وما انتفاع أخي الدنيا بعيشتهِ ... اذا استوت عنده الانوار بالظلمِ [6]

انصرْ عناك فان تطلب معالجتي ... اعتقتَ والموتُ داءٌ عبطُ الجسمِ

والمرء كالغصنِ ان قُدّت ارومتهُ ... بالفاس مات واضحى مطعم الضرمِ

لكن اذا كنتَ ترجو الآن مغفرةً ... لدى إلهٍ رحيمٍ باذخ الكرمِ

فسرْ الى والدي من ذي السبيل وسلْ ... منهُ السماح وقل يا كامل الشيمِ

أتيتُ معترفاً لما اقترفتُ ولد ... رضيتُ حكمك يا حصني ويا حكمي

عسى اعترافك يقصي عنك ادعيةً ... عليك هطّالةً بالشؤم كالديمِ

فقف لا تسرْ وحديد النصل يخدعني ... كيّةً كنتَ بالأدمغ والسحمِ [7]

---

(1) اللمم الجنون (2) جمع كرة (3) الراجف المحموم برعدة (4) يعيب (5) تضمين مصراع صدرٍ لصفي الدين الحلي (6) ابداع بيت المتنبي مع تصرفٍ في معناهُ (7) السر قبل الادغام

انزعْهُ من كبدي وارفع اذيتهُ | فليس يفعل غير الحسّ والالمِ
سللتهُ من فؤادٍ خافقٍ الماً | فسال منهُ دما داعي جاد دمي
واستسلم الروح في شرخ الصبا فسرتْ | الى العُلا وانا في ارض ذي سَلَمِ (١)
مُصفرُّ وجهٍ وغُرُّ العيون وسودُ | م الجبين ومزرقُّ اللمى وفمي
منَ الكآبة قد خيط اللسان بهِ | والأذنُ صمّتْ فمن قبكمٍ والصممِ
لما صعقتُ من البلهِ الملمّ ومن | خطبٍ مهولٍ يدقُّ العظمَ بالعظمِ
جَمعتُ مثوى أبيهِ حاملاً بيدي | وعاءهُ فوجدتُ الشيخَ في الحجمِ
مع القرينة أمّ الظبي وأسفي | كلاهما من تداعي العمر كالرِّمَمِ
نومَ الشيخُ في ومع الخطى خطا | وخالني باندانا صاح عن زممِ
" يا باندات" لما ابطأتَ يا ولدي | ودأبُ عذولك كالسيارة الرسُمِ (٢)
وانتَ تعلمُ أنَّ الامسَ مفترقٌ | عنَّا اذا كنتَ معنا غير ملتئمِ
ماتتَ روحٌ لنا راحٌ لراحتنا | ريحانُ نسمتنا لولاك لم تدُمِ
هاتِ الإناءَ وقرّبْ انني ظمئٌ | إليك كالماء رطّبْ بالدنوّ فمي
مالي اراك بعيداً صامتاً بعنا | وانتَ لي دائماً بالطلوع كالقلمِ
فقام وجهي وصال الرعد في بدني | وسال دمعي كطلِّ الغيث منسجمِ
واشبهتْ حالتي فلك العُباب متى | من وطأة الريح لم يهدأ ولم يهمِ
وطنتُ نفسي على ردّ الجواب له | فقلتُ يا مَن بغير الزهد لم يَهِمِ
لستُ ابنك الفاضل المشهور بل رجلٌ | يا سيدي داثرانا فارسٌ وكمي
قصدتُ قنصاً وحظّي راكبٌ زُحلاً | فالنحس رافق سيري غير منفصمِ
وفي مهاوي أنجوى الغيثُ وأسفي | سأصرف العمر طراً غير مبتسمِ
وبعد فاجعة التأسا رويتُ له | حديثَ فاجعتي فازورّ كالصحمِ (٣)
وقام يزأر مثل الليث غضباً | والأمُّ باتت من اللأواء كالصنمِ
ظلّا صريعين من مفعول صاعقةٍ | يشيبُ منها اشتعالاً اسود اللممِ
فريثما خمدت نيرانُ حزنهما | آلا لحال بعقد الرشد منتظمِ
وايقنا بوجودي واقفاً وجلاً | وما جهلتُ لدى ذي حكمةٍ فهمِ
فقالــــ والغمُّ « إعلم بانك لو | ما جئتَ معترفاً بالقتل والهدَمِ (٤)

(١) ارض الشوك (٢) السريعة الوخد (٣) جمع الجمم اي شديد حمرة العينين (٤) هدر الدم

وتائباً في براه عن تقدمه ... لصرتَ في الحال كالصفوان والحمم
لان يرم من بالوج مسكنهُ ... يبوي بأدعيتي من حالق القمم
فقرّ بالأستقي صيداً ملكاً ... ولستُ منكَ بمقتصٍ ومنتقم
لكن خذ النصح مني لا تُصب احداً ... من برهميين شهلك(١) فاستفد حكمي
والآن خذ بيدي صرْ بي مع امرأتي ... الى قتيلٍ ذليلٍ كان ذا شمم
حتى نودعهُ والقلب نودعهُ ... امانةً فوفاهُ غير منصرم
هيّاً بنا لمزيجٍ كان مصرعهُ ... نحنَ الكبود مثيرَ الغم والسأم
قد كان عكازنا علبا عكازنا ... مصباحَ ظلمتنا من أحسن الخدم
هيّاً نُماشهُ نطوي ضمائره(٢) ... تزورهُ قبل ياما(٣) قابض النسم
سرنا أقودُهم والحزن شاملنا ... حتى وصلنا وكانت فكرتي بهم
فلد دنوا من لمام ولولوا وبكوا ... حتى دوى الأفقُ رعداً من دويهم
واحدقوا واحاطوا في مقبّلهِ ... كما تحاط خصور الناس بالحزُم
ثمّ تلا النعيُ قالت امهُ ولدي ... جئنا إليكَ لما يا روح لم تقم
وما تعوّدتُ منك الصدَّ في طلبٍ ... وما أجبتَ ندائي غيرَ بالنعم
قد كان حبك لي عشقاً بلا عذلٍ ... وقد رضعتَ حيائي غيرَ منفطم
فهل رضيتَ النوى قل لي أمن مللٍ ... جلّت صفاتك لا ارميها بالتهم»
وضمّ والدهُ منهُ كرامةً ... وصاح يا مهجتي إنا فديك قم
قبّل وعانق وصافح بُس وحيّ وقف ... إسلم وسلّم وسل سالماً وعش ودُم
بالله دع ذا الجفا عاشرتنا بصفا ... والطبع منك الوفا قولاً بلا قسم(٤)
فمن يؤانسنا ان غبتَ يا ولدي ... ومن يصلّي لنا في ارحم الرحم
ومن يقينا من الفقر الملمّ بنا ... والجوعُ ضارٍ قتولٌ غير ذي رُحم
ومن نلاطف في الليل البهيم وفي ... الصبح المنير ويجلو ظلمة الغشم
يا زهرةً ذبلتْ قبل الاوان ويا ... غصناً نضيراً ذوى ليتَ الفنا بدمي
أحسب العيش بعد النأي عنصلاً ... فالجورُ قاسٍ وغاض الصبرُ فاحتكم
لا ريب انك نادِ العلاء لكي ... تلقى ذوي الفضل والآداب والحكم

(١) في ملعب الهنود من قتل برهمياً هلك (٢) عادة الهنود تم شعر الميت (٣) ياما الاله القابض الارواح (٤) اي انك لا تحتاج في الوفاء الى القسم فمتى قلت فعلت

الى مقام محمد الأُلى قصدوا … من الملاجئ وقاموا في زكاتهم
نظير بليا وناهوسا (١) الذين هما … بالبرّ اشهر من نارٍ على علمِ
من كان مثلك لا يهوي لهاويةٍ … فانها منزل الغاتول ذي الجرمِ
ما الغز الوالهان التي حتى بها … فتاها راقلاً في حلة النعمِ
وراكباً من جياد الخيل مركبةً … تروم أفق الفضا مرخيةُ اللجمِ
وبانداتُ جليسٌ فوق مقعدها … مفترٌ ثغرٍ نظيم الدر مبتسمِ
يقول يا والديّ الصبر فاجتنبا … هذا الاسى وانظراني ما ار بقي دمي
وما قتلتُ ولكن قد حييتُ بذا … امرُ الالهِ اقسى (٢) من سالف القدمِ
انا صبلتُ وانتم لاحقون الى … دار الضيا هرباً من منزل الظلمِ
ثم ارتقى صعداً بالبشر ملتفاً … ككوكب بشعاع النور ملتثمِ
فبعد ان غاب عن مرآها صرخا … ما رزقنا الملبس الرزق بالقسمِ
وصلّيا وعليه استمطرا صحباً … من الرضى المعتلي بالقدر والقيمِ (٣)
عقيب ذلك مال الشيخ ملتفتاً … نحوي وسيماؤهُ شفت عن الاضمِ (٤)
وقال تب لولي الامر عن زللٍ … واعدل بصيدك بين الذئب والغنمِ
ستفقد الابن مثلي ثم تبلى بجوى … يحكي اداهُ اذا حرّ الوطيس حمي
وتشتكي مرّ طعم البين عن ولدٍ … مستكمل الحب من كل العيوب حمي
وحشرجت نفسهُ مع نفس زوجته … وغادراني جسمين بلا نسمِ
لبثتُ في هذه الآجام منفرداً … وبين اجيالهم (٥) كالابله الوجمِ (٦)
الوك من وجل الانباء مرتعشاً … يا نفس توبي وبالاحسان فاعتصمي
ثم انثنيت الى داري اطارد من … فكري النبوة او ترديد ذكرهمِ
حتى بليت بما يضني لواحقي … وألبس البين جسمي مطرف السقمِ
بئس الحياة حياة لا ثبات لها … فقدت منها رجائي منتهى هشمي (٧)
وقد طعمت (٨) اقتاماً من زخارفها … والموت يشاً من الافراط والتخمِ
دنت وفاتي ابا زوجي وها نفسي … يضيق بالصدر تصعيداً فلا تلمِ
أقررت بالذنب فاعفِ جاء في اجلي … فأجمل العفو منك حسن مختتمي

---

(١) هما من قدماء امراء الهند المشهورين بالتقوى (٢) الهنود يعتقدون بالقضاء والقدر (٣) رضي الوالدين نفس جداً (٤) الحقد والغضب (٥) الجميع عائد الى الثلاثة (٦) الصامت عن عي وبعدة (٧) هي (٨) هضم الفرط من الاكل والتخم

دولة الروس

اوردنا في الجزء الماضي خلاصة مختصرة من تاريخ امراء الروس وقياصرتهم من اول عهدهم الى زمن ميخائيل رومانوف الذي تولى سدة الملك سنة ١٦١٣ وهو الاول من دولة الروس الحالية . وقد رأينا ان نورد الآن خلاصة اخرى من تاريخ البلاد نفسها اي من اخبار الملوك والسكان وعاداتهم والمعالم الدالة على درجتهم من الحضارة

الروس من امم مختلفة الاجناس والازياء كما ترى من صورهم في الصفحة المقابلة واستمرّوا على ازيائهم القديمة او عادوا اليها في زمن التتار واحتفظوا بها الى ان اضطرهم القيصر بطرس الاكبر الى تغييرها واقتباس الازياء المتبعة في اوربا

وامراؤهم تشبهوا بملوك اوربا وصاهروهم حالما تنصروا فالامير ياروسلاف زوّج اخته ماريا لكزمير ملك بولندا وابنته اليصابات لهرولد الشجاع ملك نروج وابنته حنة لهنري الاول ملك فرنسا وابنته انستاسيا لاندراوس ملك المجر وزوج ابنه الاول بابنة هرولد ملك انكلترا وابنه الثاني بابنة ملك بولندا . وبلغت مدينة كيف في عهده مبلغاً عظيماً من العمارة حتى ماثلت القسطنطينية وكان فيها اربع مئة كنيسة وكثير من المباني الفاخرة وكان التجار يقصدونها من هولندا والمجر والمانيا

لكن العمران الذي رسخت اصوله في ذلك العهد تقلص ظله بعد ما دوّخ التتار البلاد ثم اقتدى السكان بهم رويداً رويداً حتى صاروا مثلهم وصارت ممالك اوربا تعدهم من الامم الشرقية المتوحشة . وكاد اتصالهم باوربا ينقطع في القرن السادس عشر والسابع عشر بعد ان أُحكمت ربطه في القرن الحادي عشر والثاني عشر . فصار قياصرة الروس مثل خانات التتار وسلاطين الترك يتصرفون برعاياهم كأنهم من ممتلكاتهم والرعايا يمرغون جباههم بتراب اقدام ملوكهم كما يقال في المصطلحات التركية ويحسبون انفسهم عبيداً ارقاء لملوكهم وقامت العبودية عندهم مقام الطاعة

وتعذَّر على قياصرة الروس في اول الامر ان يذلوا امراء البلاد لشدة انفتهم وعزة نفوسهم فمنعوا اعاظمهم من التزوج لكي ينقطع نسلهم . وكانوا اذا اراد القيصر ان يتزوج يجمعون لديه اجمل العذارى ليختار له زوجة منهنَّ ويقال ان العذارى اللواتي أُتي بهنَّ الى واسيلي ايفانوفتش بلغ عددهنَّ ١٥٠٠ فاختار منهن ٥٠٠ ثم اختار من هؤلاء ٣٠٠ فمئتين فمئة فعشراً واخيراً اختار واحدة من العشر وتزوج بها وللحال قرّب اباها واعمامها فصاروا وزراءه

واعوانهُ واهل شوراه . و بديهي ان الوزراء والاعوان الذين خرج الامر من يدهم لم يكونوا ليصبروا على الضيم فاحتالوا بكل واسطة لاغتيال الزوجة التي نالهم منها الخسف ولذلك فلما كانت زوجة القيصر تعمر طويلاً والغالب انها كانت تمرض بغتةً وتموت بما يدس لها من السم

وكانت اعمال الوزراء والاعوان في الحرب والقضاء واما دواوين الانشاء فكانت لاولاد القسوس والتجار لان الامراء كانوا يترفعون عنها . وكان القيصر مضطراً ان يرسل الى امرائهِ واعوانهِ ما يحتاجون اليهِ من الطعام والشراب يومياً وكانت ادارة قصرهِ مقسومة بين مئات من الامناء كامين الكؤوس الذهبية والفضية وامين الملابس وامين المفاتيح وامين الاصطبل وامين البزاة وامين الصيد وامين الماجين وامين الاقزام وامين الدباب وامين الكلاب وما اشبه

وكان القياصرة تجاراً يحتكرون البضائع التي منها ربح كبير كالانسجة الحريرية والذهبية والفراء وقد يغتصبونها من اصحابها بارخص ثمن او بلا ثمن و يبيعونها باغلى الاثمان و يحتكرون البضائع الواردة الى البلاد ويضطرون الاغنياء الى ابتياعها ويضربون الضرائب على المحتكات والنفوس . ومع ذلك لم يبلغ مجموع الضرائب كلها في عهد بوريس غودونوف سوى مليون ومئتين وثلاثة وعشرين الف روبل . وكثيراً ما كان القيصر يقتص من الواحد من وزرائهِ واعوانهِ حتى يبتز كل ما يمكنهُ ابتزازهُ من اموال الرعية ثم يفتك بهِ بغتةً ويأخذ اموالهُ كلها . اي ان الحال كانت في روسيا كما كانت في بلاد التتار وفي القطر المصري زمن المماليك

وكان اكثر جيش المملكة من الفرسان وهو مؤلف من الحرس الخاص وفيهِ ثمانية آلاف فارس وفرسان الاشراف وعددهم ثمانون الفاً وفرسان الاحرار وهم نحو مئتي الف ويضاف الى ذلك فرسان القزاق والفن والترك والتتار والبشكير . اما المشاة فكانوا قلالاً في جنب الفرسان

وكان لباس الفرسان مثل لباس المشارقة واسلحتهم مثل اسلحتهم وكان القيصر نفسهُ يخرج الى الحرب بالرمح والقوس والنبال

اما ابهة الملك فلم يفق احدٌ قياصرة الروس فيها فكان سفراؤهم يؤمرون بالظهور في اعظم المظاهر وافخمها واذا وفد سفير من دولة اجنبية الى روسيا قوبل بالاجلال والاكرام من حين دخولهِ البلاد وقدمت لهُ ولاتباعهِ المركبات والميرة وسير بهِ في اغنى الولايات واخصبها واكثرها سكاناً وطلب من السكان ان يقابلوهُ في كل مكان وهم بافخر ملابسهم وحينما يصل الى موسكو يعطى قصراً من قصور القيصر ويرسل اليهِ الطعام من مائدتهِ . والمقابلة الاولى التي يقابلهُ القيصر بها تكون في القصر المجزع . والبهو الذي يقابلهُ فيهِ مزدان بالآنية الذهبية والفضية ويكون القيصر جالساً على عرش سليمان والتاج على رأسهِ

والصولجان في يده وتحت العرش اسود صناعية تزأر كالاسود الطبيعية ارهاباً للسفير وحوله الحرس الملكي بالقفاطين البيضاء والفؤوس الفضية والاشراف بحللهم الفاخرة ورؤساء الكهنة بملابسهم البسيطة فيسأله القيصر عن سلامة الملك الذي ارسله وعما لقيه في سفره. واذا لم يسرّ به صار القصر الذي خصصه لسكناه سجناً له لانه لا يسمح لاحد ان يزوره او يكلمه حتى يضطر ان يعود الى بلاده

وكان سكان البلاد غير الاشراف مقسومين الى الفلاحين والتجار والفلاحون ثلاث طبقات الفلاحون العبيد اي الذين يؤسرون في الحرب ويستعبدون او الذين يبيعون انفسهم او يبيعهم غيرهم للاستعباد واولاد العبيد. والفلاحون المرتبطون باراضي الاشراف. والفلاحون الاحرار اي الذين يحق لهم ان ينتقلوا من املاك رجل الى املاك رجل آخر

والتجار هم سائر الناس والظاهر انهم كانوا كلهم غرباء في اول الامر لان معنى اسمهم الغرباء . وصادرات روسيا كثيرة من الجلود والفراء على انواعها والشمع والعسل والقنب والزيت والسمك المقدد ولكن ظلم الولاة وابتزازهم المال من الرعية صرف السكان عن التجارة فتعاطاها غيرهم من الغرباء

وهناك فريق آخر وهو العبيد الذين في بيوت الامراء فانه كان عند كل امير مئات منهم رجالاً ونساء مشترين او مولدين وقلما كان امير يسير من مكان الى الآخر الا بموكب كبير. فاولاً تسير امامه المركبات والفرسان ليدفعوا الجموع من الطرق ثم اناس مشاة يحيطون به ثم جيش من الخدم والحشم وهؤلاء عبيد ارقاء يبيعهم اسيادهم ويشترونهم ويسومونهم انواع العذاب لاقل سبب وكثيراً ما يبيعون الرجل ويتركون زوجته عندهم او يبيعون الزوجة ويتركون زوجها او يبيعون الاولاد ويتركون امهم او يبيعون الوالدين ويتركون اولادهم

وكان تحجب النساء قديماً عندهم من قبل مجيء التتر فزاد تمكناً واعتبرت الزوجة كبعض ممتلكات الزوج ويحق له ضربها كما يضرب جاريته وفي وصايا الكاهن سلفستر ينصح الزوج ان لا يضرب زوجته بعصاً غليظة جداً ولا بقضيب له رأس من حديد ولا امام خدمه بل على انفراد. وكانت القرى النساء تقف امام زوجها ليضربها ولا تمانعه معها كان ضعيفاً وهي قوية. ذكر هربرستين ان امرأة روسية تزوجت رجلاً غريباً فحسبت انه يكرهها لانه لم يكن يضربها

وكانت المرأة تقيم في خدرها وهي في البيت حتى لا يراها احد وتسبل نقاباً على وجهها حينما تخرج ومن نظر الى زوجة القيصر عدّ نظره اليها خيانة وعوقب عقاب الخائنين .

ولم يسمح للنساء بالذهاب الى الكنائس لاجل العبادة بل كنَّ يعبدنَ في بيوتهنَّ وكنَّ مع ذلك يتبرجنَ ويكحلن ويزججن حواجبهنَّ . قال الرحالة بتري اتفق لما كنت في روسيا ان تزوج احد الامراء بامرأة جميلة جدًّا فابت ان تتبرج مثل غيرها فاغتاظ نساء الامراء منها وجعلن ازواجهنَّ يشكونها الى القيصر كزدرية بعادات البلاد فامرها بان تتبرج مثلهنَّ . وكان الرجال يلبسون الجبب الطويلة ويطلقون لحاهم ولا يحلقونها كأمم اوربا حتى قال القيصر ايفان الرهيب ان حلق اللحية خطية مميتة لا تطهرها كل دماء الشهداء لانها تتلف صورة الوجه الذي خلقهُ الله

وحُرّم على الناس لعب الورق والشطرنج والغناء ولو في مدح ابطالهم القدماء وحرّم عليهم ايضاً الرقص والخروج للصيد بل حرّم عليهم المزاح وهم على موائد الطعام لئلاَّ تهرب منهم الملائكة ويأتي بدلاً منها الشياطين . لذلك ولحجب النساء لم يبقَ في روسيا شيء من الانس بل صارت البلاد كلها كأنها صومعة من صوامع الرهبان . لكن هذا التقشف الظاهر لم يمنع السكر والفجور فشاعا في البلاد حتى كان الكبار والصغار والرجال والنساء يطرحون في الشوارع سكارى ولم يستثن الكهنة من ذلك فانحصرت اسباب البهجة والسرور في السكر حتى صارت كلمة سكر وكلمة فرح مترادفتين . وقد حذَّر احد الوعاظ من السكر بقوله « اتعدون السكر فرحاً يا اصدقائي اتعدونهُ سروراً حسب شريعة الله . السكر يبعد عنا الملائكة الذين يحرسوننا ويسر الشياطين . السكر ذبيحة للشيطان فيقول ان ذبائح الوثنيين لم تسرهُ نصف ما سرهُ سكر المسيحيين . الخمر حلال وشربها غير محرَّم وقد اعطانا اياها الله ليفرّحنا . وآباء الكنيسة لم يحرموا الخمر ولكن يجب ان لا نشرب حتى نسكر »

وكانت ملاهيهم مقصورة على مجالس المادرين والرواة فلم يخلُ منهم قصر ولا دير . وقلما كان الاحياء ينامون الاَّ وواحد يقص عليهم قصة . وكان عند ايفان الرهيب ثلاثة من هؤلاء الرواة يتناوبون حول فراشهِ ليطرفوهُ باحاديثهم حتى ينعس وينام

وكانوا يعتقدون بالسحر والتنجيم وبكل خرافات الامم التي حولهم . ويثقون بالعوذ والرقى اكثر مما يثقون بعقاقير الاطباء . بل كثيراً ما كانت صناعة الطب بلية على صاحبها لانهُ اذا لم يشفِ المريض عُدَّ ساحراً وعوقب عقاب السحرة . من ذلك ان طبيباً يهودياً قُتل على مشهد من الناس في عهد ايفان الثالث لان القيصرة ماتت وهو يطببها

الاَّ ان ايفان الرهيب على ما اشتهر بهِ من القسوة كان من محبي المعارف ومثيري النهضة الادبية في روسيا وهو الذي ادخل الطباعة اليها وفي عهدهِ طبع ستلافتس وفيودورف

اعمال الرمل والسواعي ولكنهما اضطرا ان يغادرا البلاد لانهما اتُّهما بالكفر

وكان لسقوط القسطنطينية في يد الاتراك شأنٌ كبير في عمران روسيا كما كان لهُ شأن كبير في عمران اوربا كلها لان كثيرين من صنَّاع الروم هربوا الى بلاد الروس وهرب اليها تلامذتهم الايطاليون فبنوا فيها المباني الفاخرة من الكنائس والقصور حتى بلغ عدد كنائس موسكو الفاً وستمائة كنيسة وكلها بالقباب المذهبة والمفضضة

وكانت موسكو مبنية من الخشب ولذلك شبَّت النار فيها مراراً واحرقتها من آخرها فلما جاءها البناؤون من الروم والطليان جعل القياصرة يبنون قصورها وكنائسها بالحجارة المنحوتة فبنوا الكرملين من حجارة بيضاء وجعلوا لسورهِ شرفات دقيقة كالاسنان واقاموا فيهِ ثمانية عشر برجاً لحمايتهِ وجعلوا لهُ خمسة ابواب كبيرة ابدعوا في تنوع اشكالها منها باب المخلص وقد بني سنة ١٤٩١ بناهُ بيترو سولاريو الميلاني . ومنهُ يدخل القياصرة حينما يأتون موسكو اول مرة . وباب القديس نيقولا وقد بني في ذلك الوقت وباب الثالوث بني سنة القرن السابع عشر

وفي الكرملين كثير من الكنائس والقصور والاديرة واشهر كنائسهِ كنيسة صعود السيدة التي يتوَّج فيها القيصر وقد بناها البرتو فيورافنتي الايطالي وهو الذي بنى المباني الفاخرة للزما ده مديشي ولفرنسيس الاول ملك فرنسا وجيان غليزو الميلاني والبابا سكستوس الرابع . وقد التقى بهِ سفير ايفان الثالث في البندقية واستدعاهُ الى روسيا فبنى هذه الكنيسة على اسلوب بديع جداً وغطى اعمدتها بالذهب الابريز

ومنها كنيسة ميخائيل رئيس الملائكة وقد بنيت سنة ١٥٠٥ وفيها قبر ايفان الرهيب وولديهِ . وكنيسة الصعود وفيها قبور القياصرة وبرج ايفان وقد بني سنة ١٦٠٠ وارتفاعهُ ٣٢٥ قدماً ولهُ قبة مذهبة وفيهِ ٣٤ جرساً

وابدع مباني موسكو كنيسة واسيلي المطوَّب بناها ايفان الرهيب سنة ١٥٥٤ تذكاراً لافتتاح قازان وبانيها مهندس ايطالي ويقال ان ايفان فقأ عينيهِ لئلا يبني كنيسة اخرى مثلها وهي المرسومة في الشكل المقابل والنظر اليها يغني عن وصفها ولا تقتصر غرابتها على التفنن في شكلها بل هي ملونة بالوان كثيرة زاهية كأنها طاووس او طائر من طيور الجنة .

وجرس موسكو المشهور صُبَّ في ذلك العهد وثقلهُ ٢٨٨ الف رطل اي ١٣١ طناً

ولم يكتفِ هؤُلاء الصنَّاع ببناء الكنائس وصب الاجراس بل بنوا الحصون وصبوا المدافع فاستعزَّت بهم روسيا الى ان استردت مقامها بين الدول الاوربية الكبرى كما سيجيء

تمثالا الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات

— رفع الستار عنهما —

الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة الواقع في ١١ ابريل كان ميعاد رفع الستار عن تمثالي المرحومين الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات . وما ازف الوقت المعين حتى كان منتدى المدرسة الكلية الكبير حافلاً بطلبة دوائر المدرسة العليا وفي مقدمتهم فريق من فضلاء الاجانب والوطنيين وجلس على منبر المنتدى الرئيس الشيخ الدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة واعضاء المؤتمر الطبي الثاني وهم نيف وثلاثون طبيباً من ابناء الكلية

ووضع التمثالان على الجهة اليمنى من المنبر تمثال الدكتور فانديك بجللة العلم الاميركاني وتمثال الدكتور ورتبات بجللة العلم الانكليزي ونشر على الارض الكبير العلم العثماني

وعند حلول الوقت انتصب الدكتور بورتر الرئيس العامل في غياب الرئيس بلس واشار الى الدكتور مور الذي كان جالساً بازاء التمثالين ان يرفع الستار عنهما وما كاد يسقط الستار حتى نهض جميع الحاضرين اجلالاً وصفقوا طويلاً لظهور التمثالين ثم جلسوا واستأنف الدكتور بورتر الكلام فقال

« كنا نود كثيراً لو تمكن جناب الدكتور يعقوب صرّوف ان يحضر بيننا بالذات بالنيابة عن متخرجي المدرسة الذين قدّموا لها هذين التمثالين على انهُ قد تكرّم فأرسل الينا خطاباً يشير الى ذلك ليتلى في هذه الحفلة وقد سألنا احد اعضاء المؤتمر الطبي المجتمعين معنا جناب الدكتور اسكندر مشاقه ان ينوب عن الدكتور صرّوف بتلاوته »

فوقف عندئذٍ الدكتور مشاقه وتلا خطاب الدكتور صرّوف وهذا هو : —

ايها الفضلاء

انتدبتني اللجنة التي اهتمت بعمل هذين التمثالين من ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري وسائر الاقطار لكي انوب عنها في تقديمها الى عمدة مدرستنا لتحتفظ بهما تذكاراً خالداً لاستاذينا المرحومين الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات اللذين علّما وعملا والّفا وصنّفا ووعظا وارشدا مدة تنيف على خمسين سنة كانا فيها مثال الفضيلة والتقوى ونبراس العلم والهدى وآية في نصرة الحق والقيام بالواجب

واني آسف جدّاً لانني لم اتمكن من الحضور بنفسي للقيام بهذا الفرض المقدّس ولذلك رأيت ان اعرب عن غرض اللجنة بهذه الكلمات والتمس منكم الصفح عمّا ترونهُ فيها من الاشارة

الى نفسي لان تلميذ الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات لا يستطيع في مثل هذا الموقف ان يتجنب الاشارة الى علاقته بهما لشدة ما كان لسيرتهما من التأثير في تلامذتهما

لما عُرض على ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري ان يختاروا تذكاراً لاستاذينا الكريمين قالوا ان الغرض من اقامة التذكار انما هو نفع الاحياء من تلامذتهما ومريديهما بعد اظهار شكرهم لهما على ما تلاه وتلته البلاد كلها منهما · واي شيء انفع لنا نحن الاحياء من ان نتذكر سيرتهما الفاضلة واي شيء انفع للذين يأتون بعدنا من ان يتذكروا اعمال الذين كانوا من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في بلاد المشرق · وهل مثل صورة الوجه لتذكر اعمال صاحبه – الوجه الذي هو مرآة النفس ومجلى الاخلاق · فاجمعوا على جعل التذكار تمثالين يمثلان وجهي الفقيدين

العمران ايها السادة والسيدات بناء فخم اشتغل بتشييده الوف والوف الوف منذ اخذ الناس يتطلبون لكنهم لم يتساووا في ما فعلوه بل كان منهم المجلّون الذين عمل الواحد منهم اكثر مما عمله الوف · هؤلاء هم قادة الافكار ونبراس الهدى والمعلمون الذين جمعوا ثمار الاختبار ولم يكتفوا بجمعها والتمتع بها بل بسطوها على موائد عصورهم وحثوا الناس على مشاركتهم في الانتفاع بها مثل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وكنفوشيوس وبطليموس وجالينوس والغزالي والرازي وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وفرنكلين وباستور ولستر ومئات غيرهم

ومن اول مقومات العمران واخص مميزاته حفظ الاختبار والبناء عليه وبذلك صارت معارف الناس كتاباً متصل الفصول يبتدئ التالي منها حيث انتهى الاول وسلسلة محكمة الحلقات من امسك بالحلقة الاخيرة منها كأنه امسك بها كلها

ومن اشرف خلال الانسان وادلها على شرف نفسه الاعتراف بفضل المحسنين اليه المتفضلين على ابناء نوعه · فتذكار المعارف والاعتراف بالعوارف دعامتا العمران وهما اللذان اقاما التماثيل للفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وقادة الجيوش ورسل السلام · فعسى ان تشيع بيننا هذه العادة الحميدة وان يحسن الاختيار فلا نجمع بين الغث والسمين فتضيع الفائدة المقصودة

وكتلميذ لاستاذينا الكريمين وصديق لهما حتى الممات اسمحوا لي ان اشير الى بعض مزاياهما التي يجب ان لا تبرح من اذهان ابناء المدرسة الكلية وكل محبيها والتي يراد ان يذكرنا هذان التمثالان بها

الدكتور فان ديك مثال العلم والتدقيق · واللطف والدعة · ومحبة الحق والمجاهرة به ·

وخوف الله وعمل الخير

مثال العلم والتدقيق — الطب وفروعهُ · الرياضيات وما يبنى عليها · الطبيعيات ومتعلقاتها · العربية وآدابها · واللغات الحية والميتة التي عرفها مع لغتهِ الانكليزية

وقع لي منذ مدة كتابان من كتبهِ احدهما كبير ضخم دقيق الحروف · قانون ابن سينا المطبوع في رومية العظمى منذ ٣٢٠ سنة فحسبت اني وقعت على كنز ثمين وجعلت اقلّبهُ واذا الدكتور فان ديك قد قلّبهُ بل درسهُ قبلي واتى فيهِ آثار علمهِ وتدقيقهِ بما ترجمهُ فيهِ من الكلمات الطبية بما يرادفها في اللاتينية او اليونانية · والكتاب الثاني صغير الحجم جداً كأنهُ صُنع ليوضع في الجيب تذكرة وهو دفتر بعضهُ بخطهِ وبعضهُ بخط اليازجي استاذهِ في العربية وكلهُ قصائد مشهورة ومقاطيع شعرية كتبها ليستظهرها

ولو تصفحنا كتبهُ الرياضية والطبيعية والدينية والادبية لوجدناها كلها على هذا النسق · واحر بمؤلف الباثولوجيا والتشخيص الطبيعي والعروض والقوافي والجبر والهندسة والكيمياء والفلك ومترجم التوراة وابن حور ان يكون اماماً في كل العلوم

مَن مِن اخواني الذين كانوا في هذه المدرسة لما كنت فيها تلميذاً ومدرساً لا يتذكر الدكتور فان ديك في مرصدهِ او في المستشفى وفي حلقة التدريس او دار الطباعة وفي مكتبتهِ او حديقتهِ وعلى منبر الوعظ او دكة الخطابة — حياة كلها همة ونشاط وعمل نافع وخير عميم

اما لطفهُ ودعتهُ فغني عن الوصف · مَن مِن كل معارف الدكتور فان ديك لا يتذكرُ ذلك اللطف وتلك البشاشة ذلك الانس وتلك المحاضرة · الامثال الفكاهية والاشعار الحكمية · لا اعرف خاطراً احضر من خاطرهِ · كأنَّ امثال العرب وفكاهات العامة عالقة كلها بذهنهِ ترد الى لسانهِ كما اقتضتها الحال · وليس امثال العرب فقط وجوامع كلمهم بل امثال الانكليز واليونان والرومان · لم ينطق بلساننا اجنبي افصح من الدكتور فان ديك ولا اعرف احداً كان اسرع منهُ خاطراً او اقوى ذاكرةً او ابش وجهاً او اكثر دعةً · اذا قابلتهُ بعد ان غبتَ عنهُ السنين الطوال قابلك باشاً وذاكرك في ما كان يذاكرك بهِ ويلذُّ لك سماعهُ كأنك كنت معهُ بالامس · يزورهُ الملوك والامراء والرؤساء كقضاء فرض وهو ينادي خادمهُ « يا اخي فلان » لا عن تعنٍّ بل عن دعة ولين عريكة لانهُ كان قوياً على الاقوياء لا يهاب احداً ولا يتزلف الى احد ولا يخاف في الحق لومة لائم

كان يحبُّ الحق ويجاهر بهِ واذا رأى احداً مرتدياً ثوب الرياء لم يخفِ عنهُ غيظهُ منهُ ولو كان من اكبر الكبراء

وكان خوف الله نصب عينيهِ والنظر الى عظمة الخالق دليلهُ في ارصادهِ الفلكية واشغالهِ الطبية ومواعظهِ الدينية

وعمل الخير يشهد لهُ بهِ الذين علّمهم على نفقتهِ والذين طبّبهم مجاناً والذين اعطاهم ثمن الدواء والغذاء والذين كانوا يعيشون من احسانهِ

ان رجلاً مثل الدكتور فان ديك لحقيق بان يكون قدوةً لكل احد في كل شيء · في العلم والتدقيق في اللطف والدعة في محبة الحق والمجاهرة بهِ في خوف الله وعمل الخير

واستاذنا الثاني الدكتور ورتبات تلميذ استاذنا الاول وشريكهُ وصديقهُ جاراهُ في كل شيء ونسج على منوالهِ ولم يختلف عنهُ الاَّ في ما يدعو اليهِ اختلاف المزاج · لم يبلغ مبلغهُ في العلوم الرياضية والطبيعية فلم يؤلف فيها ولا رصد الافلاك ولا حلَّل نور الشمس ولكنهُ جاراهُ في العلوم الطبية وفاقهُ في بعضها ولا تزال الاعضاء التي شرَّحها واظهر ادق عروقها واعصابها في معارض المدرسة الطبية دليلاً على تفوُّقهِ في علم التشريح · وابقى في العربية كتابين علميين جليلين كتاب التشريح وكتاب الفسيولوجيا عدا الكتب الصحية التي وضعها للجمهور

الدكتور فان ديك غربي استشرق والدكتور ورتبات شرقي استغرب · كما امتلك الاول ناصية العربية كأنها لغتهُ التي ولد فيها امتلك الثاني ناصية الانكليزية · رأيت الدكتور ورتبات اول مرة في مدرسة عيبه منذ ثمانٍ واربعين سنة فوعظ بالعربية بلغة فصحى ووعظ في ذلك اليوم عينهِ بالانكليزية بلغة لا تقلُّ عنها فصاحة كما قال ابناؤُها · وقد ابقى من الكتب في اللغتين ما يشهد لهُ بطول الباع فيهما

تراهُ باديء بدء فتظنهُ عبوساً شديد المراس ولكنك لا تلبث ان تكلمهُ حتى تراهُ من الطف الناس حديثاً والينهم عريكة كأن الانس والبشاشة تجسما فيهِ ولو لم يدلَّ وجههُ عليهما · اختار لسكناهُ بيتاً في بيروت لهُ حديقة واسعة ملأها بديع الازهار والرياحين وكان يعمل فيها بيديهِ ومهَّد فيها ساحة للالعاب الرياضية كنت تراهُ فيها يلاعب الشبان كأنهُ واحد منهم

كان الحق بغيتهُ ومعبودهُ ولكنهُ لم يكن شديد الوطأة على اهل الشر كما كان استاذهُ الدكتور فان ديك بل كان يلتمس لهم الاعذار · وقد سرَّتهُ الكلمة العامية « ليصطفلوا » فقال ان اصلها « لينفصلوا » وكان يقولها كلما رأى خللاً في قوم يتعذَّر عليهِ اصلاحهُ

وكان خوف الله نصب عينيهِ دائماً وطالما جعل موضوع مواعظهِ « ايها الشاب اذكر خالقك في ايام شبابك » · او « التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة »

اما عمل الخير فلم يفقهُ فيهِ احد · اخبرني رجل اثق بصدقهِ قال دعوتهُ لمعالجة زوجتي وكان

داؤها مزمناً فجعل يعودها مرةً كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة يوماً فيوماً . وثقل ذلك علي لضيق ذات يدي فقلت لهُ يوماً الا يمكن جعل الزيارة مرةً كل يومين فنظر اليَّ منكراً وقال لي ما عملك وكم راتبك فاخبرتهُ فجاءني في اليوم التالي ومعهُ كل النقود التي اخذها مني واوجب عليَّ استرجاعها وبقي يعود زوجتي ويعالجها ويجلب لها الدواء الى ان شفيت ولم يأخذ مني غرشاً

وكان يربأ بنفسهِ ان يرى نفعاً ولا يشرك غيره فيهِ فلم يطلع على مقالة مفيدة في اللغة الانكليزية الأود نقلها الى العربية وكثيراً ما كان يترجم المقالات بنفسهِ او يشير عليَّ بترجمتها ونشرها في المقتطف . ومن هذا القبيل الامثال العربية التي ترجمها الى الانكليزية والامثال الانكليزية التي ترجمها الى العربية وغرضهُ من ذلك نشر الفوائد ونفع الناس لا الفائدة لنفسهِ

وخلاصة القول انهُ والدكتور فان ديك صنوان متماثلان في العلم والتدقيق واللطف والدعة ومحبة الخلق وخوف الله وعمل الخير

فهذان التمثالان ايها السادة والسيدات يمثلان لكم ذينك الفاضلين اللذين اسسا مع رصيفهما استاذنا المرحوم الدكتور بوست القسم الطبي من هذه المدرسة وهو لا يقل عنهما علماً وتدقيقاً وقد يفوقهما همة واجتهاداً . ولها ولهُ الفضل الاكبر في هذه النهضة العلمية الادبية في بلادنا الشرقية . وعسى ان يكون النظر الى هذه التماثيل الثلاثة والى التمثال الرابع السابق لها تمثال رئيسنا الاول الدكتور بلس اكبر محرض لتلامذة المدرسة الكلية على الاقتداء باساتذتهم في كل ما هو صالح نافع يعقوب صرّوف

ثم وقف الدكتور بورتر وخاطب الحاضرين بالعربية فقال

« يجب عليَّ بالنيابة عن رئيس المدرسة الغائب وعن الصحة وعن دائرة الامناء في اميركا وعن سائر اصدقاء المدرسة الكلية ان اقبل هذين التمثالين اللذين يمثلان لنا وجهي ذينك الاستاذين الفاضلين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وان أقدم للدكتور صرّوف ولسائر رفقائهِ الذين اشتركوا باقامة هذا الاثر الجليل مزيد الشكر لاجل هذه التقدمة الجليلة التي تليق بذينك الرجلين العظيمين اللذين كانا من مؤسسي مدرستنا الطبية ومن اركان نجاحها مدة سنين عديدة

ويسرنا ما قالهُ الدكتور صرّوف في خطابهِ البليغ ان الغرض من تقديم هذه الهدية للمدرسة الكلية انما هو تخليد ذكر ذينك الاستاذين العظيمين ونفع الذين يأتون بعدها امثالنا لكي تكون رؤْية وجهيهما باعثاً لنا على اقتفاء آثارهما والنسج على منوالهما . هذا فضلاً عما في هذه الهدية من دلائل محبة المتخرجين واكرامهم لاساتذتهم وللمدرسة امهم "Alma Mater" التي ربتهم

وغذّت عقولهم بلبان العلم والمعرفة وجهزتهم للعمل والجهاد في هذه الحياة لمنفعة الناس

واسمحوا لي ايها السادة ان اقول كلمة شخصية في هذا المقام بالنظر لكوني مع رئيس المدرسة الأكرام الدكتور دانيال بلس آخر من تبقّى في هذه المدرسة من الاحياء ممن عاصروا واشتغلوا مع المرحومين صاحبي هذين التمثالين. جئت الى هذه المدرسة شابًّا من زهاء ثلاث واربعين سنة فكنت انظر الى ذينك الاستاذين كما ينظر الابن الى ابيهِ واطلب منهما النصح والارشاد كما يطلب التلميذ نصح معلمهِ وارشادهُ. ولذلك فاني استطيع ان اقدّر قدر الكلام الذي قالهُ فيهما الدكتور صرّوف وفي مزاياهما الشخصية فقد استفدت منهما فوائد عظيمة كما استفاد هو وسائر تلامذتهما. واني احسبهُ من مسرّات حياتي وبركاتها في هذه الدنيا أنّي وُفّقت ان تعرّفت بالمرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وكنت شريكاً لهما في خدمة هذه المدرسة فاكرّر الشكر والثناء على حضرات المتخرجين الذين ذكروا مدرستهم واساتذتهم بهذه الهدية الثمينة وفيها ما فيها من دلائل المحبة والاكرام

ثم تلى كلمة خاتمة الوفا بالنيابة عن عمدة المدرسة: يعلم المعض منكم الله لما استقال المرحوم الدكتور فان ديك من منصبهِ كاستاذ في المدرسة الكلية سنة ١٨٨٣ استاءَ لذلك عدد من تلامذتهِ وخصوصاً من صف المنتهين في الدائرة الطبية فخرجوا من المدرسة واكملوا دروسهم في غير الكلية ونالوا شهاداتهم من المكتب الطبي في الاستانة فبمناسبة هذا الاحتفال قررت العمدة ان تضم اسماء اولئك الطلبة الى اسماء رفقائهم متخرّجي سنة ١٨٨٣ بحيث يعتبرون من الآن فصاعداً في عداد متخرجي الدائرة الطبية في المدرسة الكلية. وهذه هي اسماؤهم مع حفظ الالقاب: — اسكندر بارودي. جرجي باز. سليم جريديني. باخوس الحكيم. ابرهيم صيلي. حبيب كحيل. ابرهيم مطر. انطون نوفل. فؤاد شهاب. ابرهيم ثابت »

ثم تكلم الدكتور بورتر بالانكليزية بملخص ما قالهُ لفائدة الذين لا يفهمون العربية

وقبل الختام نهض الدكتور سليم بك جلخ واثنى على فكرة العمدة وشكر لها قرارها بشأن المتخرجين الاطباء ورجا ان يكون قرارها هذا شاملاً ايضاً الصيادلة [1] الذين خرجوا في ذلك العهد للسبب نفسهِ ثم وقف الجميع وانشدوا نشيد الكلية وكان ذلك خاتمة الحفلة

وفي اليوم التالي نُقل التمثالان الى قاعة الاستقبال العمومية في بناية ضودج وسيبقيان هناك اثراً خالداً يمثل حاسّات من قدموها واحترامهم لذينك الاستاذين الكريمين اللذين خدما العلم والبلاد خدمة يندر مثالها

بولس الخولي

(١) علمنا بعد الحفلة ان قرار العمدة يشمل الصيدليين أنطونيوس متني وأسعد بطرس رزق الله

رصاصة في المخ

طالما نسمع ونقرأ عن غرائب سير الرصاص الذي يطلق من عيارات نارية في جسم الانسان واعضائهِ الحيوية وخروجها او بقائها فيهِ بدون ان تسبب ادنى ضرر او تأثير في الجسم . ومن هذا القبيل اذكر حادثة شاهدتها بنفسي اخيراً فانها لا تخلو من فائدة وفكاهة للقراء

منذ خمسة اشهر تقريباً حضر الشاب (٠٠٠) ماشياً مسافة نصف ساعة من منزلهِ الى اجزاخانة الهلال في الموسكي للمعالجة وهو يشكو من دوخان وألم في رأسهِ من دخول رصاصة في قفاهُ من مسدس اطلق عليهِ خطأً في الليلة السابقة . فبعد الكشف على الجرح وجدت اثر نزف دموي شديد على الرأس والجبهة وحيث لم اتمكن في الاجزاخانة من فحص الجرح مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد العفونة كما ينبغي اخبرتهُ ان يتوجه للعيادة وعند حضورهِ فحصت محل الاصابة وتحققت بالمجس وجود جرح ثقبي عمقهُ نحو ٣ سنتي خارقاً فروة الرأس والجمجمة والاغشية والمخ وعند ادخال المجس حصل نزف شديد وكان المخ مكشوفاً في محل الجرح والاغشية ترتفع وتنخفض مع ضربات القلب وحصل لهُ اغماء قليل فاكتفيت حينئذٍ بتطهير الجرح جيداً وربطهِ بدون ان اقف على حقيقة الحالة وعلى محل وجود الرصاصة .
وبما ان المريض لم يقبل نصيحتي بوجوب دخولهِ الى احد المستشفيات ليكون تحت المراقبة ولاجراء عملية جراحية لرفع العظم الضاغط على المخ واستخراج الرصاصة عند ظهور علامات اذا امكن عالجتهُ مدة يومين او ثلاثة في منزلهِ الى ان تمكنت من ايقاف النزف ثم فضلت اخذ رسم الجمجمة باشعة رونتجين على ادخال المجس ثانية للاستدلال على محل الرصاصة .
وبعد اخذ الصورة وجدت ان الرصاصة قد انكسرت عند دخولها الى قسمين القسم الواحد وهو الاصغر بقي عند فم الجرح والقسم الثاني وهو الاكبر خرق عظم الرأس والمخ وبقي داخلهُ كما يظهر جليًا من الرسمين المقابلين. فاستخرجت القطعة التي عند فم الجرح مع قطعة عظم منفصلة من الجمجمة بواسطة تكبير الجرح قليلاً وصحبها بالملقط فقط واما القسم الثاني من الرصاصة فلا يزال للآن داخلاً في مخ الشاب المذكور مع ان الجرح قد شفي تماماً. ومما يستحق الذكر ان في كل هذه المدة لم يظهر اقل علامة عصبية كتشنج او شلل وما اشبه وهو الآن يتعاطى اشغالهُ كالعادة بتمام الصحة والرصاصة داخل مخهِ . وهذا مما يثبت انهُ ليس في مقدم المخ وظيفة مهمة

الدكتور هلال فارحي

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

بحث لغوي في كلمة مَهْيَمْ

من المشهور ان اللغتين العبرية والعربية شقيقتان تتقاربان لفظاً ومعنىً وكما اننا نفسر كلمات عبرية من العربية كذلك الكلمات العربية التي لا نعرف اصلها نبحث عنها في العبرية

فاحدى هذه الكلمات هي كلمة « مَهْيَمْ » فقد اختلف اللغويون فيها وخلاصة اقوالهم هي : اولاً انها كلمة يمانية ثانياً انها كلمة مركبة ثالثاً ان اول من قالها هو ابرهيم الخليل اي انها عبرية ولقد صدقوا كما سنبين

اننا نجد انهُ لما كان الاسرائيليون في دارهم اذا ارادوا الاستفهام عن امر لم يكونوا ينتظرون وقوعهُ في تلك الاونة كانوا يستعملون جملة مركبة من ثلاث كلمات « ما هيوم مِيّامِيم » ترجمتها ما اليوم من الايام اي ما حدث اليوم خلافاً عن الايام قبل هذا (وفي رواية اخرى « ما يوم مِيُوماِيم » اي ما حدث اليوم خلافاً لليومين قبل هذا والمعنى واحد)

ومن المعلوم ان الاسرائيليين اليمانيين يلفظون الضمة المبسوطة (O) مثل الفتحة بامالة قليلاً على انها اقرب الى الفتحة منها الى الضمة فبناء عليهِ يكون لفظ هذه الجملة عندهم مَهْيَمْ او مَهْيَمْ مِيامِيم وهم يروونها بلفظ الرواية الاولى المذكورة . فسمعها العرب اليمانيون واقتبسوها وانما اقتصروا على مهيم واسقطوا كلمة ميامِيم ايجازاً وتخفيفاً . فمن راجع الاحاديث النبوية التي وردت فيها كلمة مهيم يرى انها استعملت في الظروف المناسبة لمعناها بالعبرية

ولاتمام الفائدة نقول انهُ اذا كانت الجملة الاستفهامية المذكورة تستعمل لامور تحدث نهاراً فقد نجد جملة مثلها مستعملة لحوادث الليالي وهي في سفر اشعيا ٢١ : ١١ : وحي دومة اليَّ هاتفٌ من سعير [يا] حارس ما من ليل ؟ [يا] حارس ما من ليل ؟ اي ما حدث الليلة خلافاً لسائر الليالي ؟

اسحق بنيامين يهودا I. B. Yahuda

باب الزراعة

البرتقال في كليفورنيا باميركا

بدأت زراعة البرتقال في كليفورنيا (وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية) في القرن الثامن عشر لما اتاها الرهبان الفرنسيسكان وانشأوا فيها مراكز لتعليم الهنود الاميركيين ونشر الديانة المسيحية بينهم . فاتى بعض هؤلاء الرهبان اتى بزر البرتقال من اسبانيا فزُرع في الحدائق حول الكنائس فنبت وجاد

وبقي البرتقال مدة طويلة لا يزرع الأ في الحدائق حتى رأى بعض الفلاحين ان يغرس بستاناً كبيراً منهُ في البقعة التي بنيت فيها مدينة لوس انجلس منذ نيف. ثم جاءت مصلحة الزراعة الاميركية بفسائل من نوع من البرتقال عثر عليهِ على ضفة نهر الامازون في اميركا الجنوبية فقطعت منهُ الاشجار الاخرى فاتت بثمار طيبة الطعم وكثرت زراعتهُ . ولما انشئت السكك الحديدية التي تصل غرب الولايات المتحدة بشرقها كثر الطلب على برتقال كليفورنيا واتسع نطاق زراعتهِ حتى اصبح دخل الولاية منهُ كل سنة نحو ستة ملايين من الجنيهات

الأ انهُ كثيراً ما تسطو الحشرات القشرية على البرتقال فتلصق بجذع الشجرة واوراقها وثمارها فتلحق بها ضرراً كبيراً . واكثر ما تصيبهُ هذه الضربة في ساحل البحر حيث تكثر الرطوبة في الهواء . ولاصحاب البساتين في معالجتها طريقتان تقوم احداهما برش الشجرة المضروبة بالمواد السامة والاخرى بتبخيرها بها والطريقة الثانية تفضل الاولى . وهي المستعملة الآن في القطر المصري

فاذا ارادوا تبخير شجرة عمدوا الى خيمة كبيرة فغطوا بها الشجرة ثم اتوا بسيانيد البوتاسيوم ومزجوهُ بالماء والحامض الكبريتيك في صحفة وتركوها تحت المظلة فتتصاعد من الصحفة ابخرة الحامض الهيدروسيانيك فتتخلل اوراق الشجرة واغصانها وتقتل الحشرات

واذا حان قطاف البرتقال اتى رجال يحسنون هذه المهنة فيأخذ كل منهم مقراضاً مخصوصاً وكيساً يعلقهُ بعنقهِ ثم يرقى الى الثمار على سلّم فيقطعها بقرض اعناقها التي تعلق بها ويجمعها في الكيس . ثم تجعل في صناديق يسع كل منها نحو ٥٠ رطلاً وتنقل في عربات

الى حيث تهيأ لارسالها الى الولايات الشرقية ويعتنى بنقلها كثيراً لئلا ترض لان البرتقال اذا لم يرضّ بقي مدة طويلة لا يدب فيهِ الفساد

وعند ما يصل الى المكان الذي يهيأ فيهِ للشحن يجعل في آلة ذات فرش ناعمة وتزيل البارحة الا ان معظمهُ يحتاج الى الغسل فيغطس قبل ذلك في الماء ويغسل ثم يمر على الفرش فتنظفهُ جيداً . ويعرض بعد ذلك لاشعة الشمس حتى ينشف ويقسم الى اصناف حسب حجمهِ وجودتهِ . ويستعينون على كل ذلك بآلات حديثة تعمل الآلة منها في اليوم ما يعملهُ خمسون رجلاً

وبعد ان يقسم كذلك يلف بالورق ويرتّب في الصناديق التي يشحن بها . ويقوم على لفهِ بنات تلف الواحدة منهنّ ما يملأ ثمانين او تسعين صندوقاً كل يوم . ويجعل في كل صندوق من ٦٤ برتقالة الى ٣٦٦ ثم يسمَّر غطاؤهُ باعتناء لكي لا يرضّ الثمر ولا يضغط عليهِ ويكتب على الصندوق عدد ما فيهِ من البرتقال وصنفهُ

وليس من البرتقال الا نوع واحد ينضج في الصيف وهو النوع المعروف بالملسي ويجنى من يونيو الى اكتوبر . اما باقي الانواع فيبدأ بقطفها في دسمبر ولا ينتهي منهُ الا في يونيو الا ان معظم موسمهِ يجنى من يناير الى مارس

وقد شاهدنا برتقال كليفورنيا في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فاذا هو من اجود انواع البرتقال شكلاً وطعماً

ومن الولايات الاميركية التي يجود فيها البرتقال ايضاً فلوريدا وقد قدّرت مساحة الارض التي تصلح لزراعتهِ فيها بعشرة آلاف ميل مربع او اكثر من ستة ملايين فدان . وبرتقالها لذيذ يفضل برتقال كليفورنيا طعماً الا ان برتقال هذه اكبر حجماً

وفي هذه الولاية بستان من اقدم بساتين البرتقال في اميركا فيهِ نحو ٥٠٠ شجرة اعتنى بهِ اولاً رجل انكليزي نزل الولاية سنة ١٨٣٧ فهذب اشجاراً برية من البرتقال وطعمها . ويقدَّر دخلهُ باكثر من ثلاثمئة جنيه كل سنة ومعدل حمل كل من اشجارهِ من الفي برتقالة الى خمسة آلاف

ولما بدأت عمارة فلوريدا كان فيها كثير من حراج البرتقال البري فظن اولاً انهُ اصلي فيها لكن ثبت بعد ذلك ان الاسبانيين حملوهُ اليها من اسبانيا قبل ذلك العهد . والفلاحون هناك يزرعون النارنج ويطعّمونهُ برتقالاً

وسنة ١٨٦٨ اتي الى فلوريدا بفسائل البرتقال الصيني فانتشرت منها الحشرة المعروفة

بالحشرة القشرية وعمت جميع اقسام الولاية وقد خفت وطأتها الآن بعد ان اكتشفت طريقة اماتتها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما تقدم

كيف بدأت زراعة الذرة

لتاريخ الذرة ونشوئها اهمية في نظر المؤرخ والفيلسوف لا تقل عن اهميتها في نظر علماء الزراعة والنبات وذلك لانها من الحبوب الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر وقد بحث العلماء عن اصلها اكثر مما بحثوا عن اصل غيرها من انواع النبات الزراعية

وطريق العالم في تحقيق اصل النبات هي ان يجمع ما يقدر على جمعهِ من الحقائق المعروفة فيوفق بينها و يبني عليها حكمهُ . واذا اعوزتهُ الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليهِ القضاة احياناً فينظر في قرائن الاحوال و يبني احكامهُ عليها . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوتهُ اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً

واذا بدا للعالم من القرائن ما لا يلتئم مع غيره وجه عنايتهُ اليهِ ووالى البحث عنهُ حتى يتبين لهُ سبب الاختلاف وكثيراً ما يكون حل المسألة النهائي منوطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

مثال ذلك جاء في اقاصيص اهل ايسلاندة وهي جزيرة الى الشمال من بلاد الانكليز ان جماعة من اهل الشمال اتوا شواطئ اميركا الشمالية حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية . ولم يعرف في اي قسم من اقسام اميركا نزلوا ولكنهم وصفوا السكان الذين رأوهم بانهم قصار القامة قباح الهيئة لهم عيون كبيرة وخدود عريضة و يركبون زوارق من الجلد . وهذا الوصف ينطبق على الاسكيمو . ولكن جاء في تلك الاقاصيص ايضاً انهم رأوا شجر المومسر وشاهدوا الحنطة نامية في التربة من نفسها وملأُوا قواربهم من كروش الخمر النامية في فصل الربيع . فقال البعض ان كروش الخمر التي ذكروها هي العنب والحنطة التي تنمو من نفسها هي الرز البري وشجر المومسر هو الحرشق . والتناقض في هذا الكلام ظاهر فان الخبيرين بعلم الانسان يؤكدون ان الاسكيمو لم يرحلوا قط جنوباً الى حيث تنمو الانواع المذكورة من النبات وعلماء النبات يقولون ان العنب والرز البري لا ينبتان في الشمال الشرقي من اميركا فضلاً عن ان العنب لا يثمر في الربيع

فذهب البعض ان تلك الاقاصيص ملفقة لا صحة لها وذهب آخرون ان الاسكيمو

رحلوا جنوباً الى ان دنوا من المكان الذي بنيت فيهِ مدينة بوسطن وقال غيرهم ان اولئك المكتشفين انما رأوا الهنود سكان اميركا الاصليين وان كان الوصف الذي اوردوه لاينطبق عليهم تماماً . لكن جاء بعد ذلك الاستاذ فرنلد فبيّن ان وصف اجناس النبات التي ورد ذكرها في تلك الاقاصيص ينطبق تماماً على اجناس تنمو الى الشمال من نهر سانت لورنس فزال بذلك الاشكال وظهر ان اقاصيص اهل الشمال تبين حقائق صحيحة يمكن الاخذ بها

اذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البري منهُ وبحث عن الاماكن التي ينمو فيها وقلما تخطئ طريقتهُ هذه . ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو برياً فيسدّ هذا الباب في وجههِ فيعمد عندئذٍ الى طريقة اخرى وهي ان يراقب النبات في نموهِ ونشوءِ اعضائهِ ويقابل بينهُ وبين غيرهِ لعلهُ يعثر على جنس يقرب منهُ ولو كان حبل القرابة طويلاً

ومن الابواب التي يطرقها ايضاً في البحث عن اصل جنس من النبات مقابلة بقاياهُ المتحجرة والنظر في ما يطلق عليهِ من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يُعرَف فيها من قبل ينقل اسمهُ ايضاً . ولا يعتدُّ بهذا الامر ولا يبنى عليهِ حكم الاَّ اذا امكن تأييدهُ بقرائن اخرى . وسنطرق هذه الابواب جميعها في بحثنا عن اصل الذرة وكيفية نشوئها

يرجح ان الذرة لا تنمو برية ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين المدققين لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة وهذا مما يجعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . ذهب كثيرون انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل اكتشاف اميركا مستندين في ذلك بالاكثر على بعض الادلة التاريخية . واسم الذرة الشائع بين سكان الولايات المتحدة مايز (Maize) مأخوذ عن اصل هندي اميركي الاَّ انهُ لم يشع الاَّ بعد سنة ١٥٧٠ . وتعرف في لغات اوربا باسماء تشعر بان اصلها من البلدان الشرقية فالانكليز يسمونها بالقمح الهندي (Indian corn) والفرنسويون بالقمح التركي (blé de Turquie) . وتعرف في مصر بالذرة الشامية لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية ولا تركية ولا شامية والنسبة الى البلدان لا تكون دائماً صحيحة فالديك الذي يسمَّى في مصر بالديك الرومي يسمَّى في سورية بالديك الحبشي وعند الانكليزي بالتركي وعند الفرنسويين بالهندي . وقد قال الفونس دي كندول ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والفوزج من فرنسا وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا من

ايطاليا و بالقمح الهندي في صقلية و بالقمح الاسباني في مقاطعة البرنه . والترك يسمونها الى مصر (مصر بوغدايي)

ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على اثر في النقوش والكتابات المصرية . وقد وجد احدهم سنبلة منها في قبر في طيبة ولكن لا شك في انها وصلت الى ذلك المكان في الازمان المتأخرة اذ لا يعقل ان يكون المصريون عرفوا هذا النبات وقاموا على زراعته ثم اغفلوه في نقوشهم التي لم يغفلوا فيها نوعاً من انواع النبات التي عرفوها . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ولكن البعض كانوا يظنون انهُ أتي بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك بوناقوس وقد كان اكبر من كتبوا في هذا الموضوع في بدء القرن التاسع عشر وتابعهُ بعد ذلك كثير غيرهُ . واكبر دليل اعتمدوا عليهِ في قولهم هذا وثيقة كتبت سنة ١٢٠٤ ورد فيها ذكر حبوب اتي بها من الاناضول وقدمت لمدينة اسيزا في ايطاليا وظن ان الحبوب المذكورة هي الذرة نفسها ولكن ظهر ان الوثيقة من اوضاع المتأخرين الملفقة

لم يبقَ عند ذلك القائلين بان الذرة من اصل شرقي دليل يعتمدون عليهِ الأ صورة في كتاب صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و١٥٩٧ وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في اسفلها اسم الذرة في الصينية . ولكن البرتوغاليين اتوا الصين سنة ١٥١٦ اي قبل كتابة الكتاب المذكور بنحو ستين سنة فلا يبعد ان يكونوا هم اوصلوا الذرة اليها . ومما يؤيد ذلك انهُ لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين التي لم يغفلوا فيها ذكر شيء

فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة دليل واضح على انها من اصل اميركي . وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف اميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق قبل ان يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ بكثير

وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا بكثرة عندما اكتشفها الاوربيون وقد كانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم . ويستدلُّ على قدمها واهميتها عندهم من ادخالها في اكثر شعائرهم الدينية . ووجد منها شيء كثير في قبور الهنود الاميركيين وفي هياكل المعبودات في المكسيك كما وجدت الحنطة والشعير في القبور المصرية ويجب ان لا يفهم من هذا ان الاميركيين بدأُوا بزراعتها لما بدأ المصريون بزراعة الحنطة والشعير فان عصر التمدن في المكسيك وبيرو متأخر كثيراً عن عصر التمدن المصري القديم الأ ان انتشار زراعتها في اقسام كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في

الزراعة تبحث على الظن انها عرفت من زمن طويل . وقد عثر داروين على حبوب منها ممتزجة مع الصدف على قسم من شاطئ بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن مساواة البحر

يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي اميركا ولكن اي اقسام اميركا هو ذلك الموطن نعرف من طبائع هذا النبات انهُ يجود في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنهُ في حالتهِ البرية في سهول الاقسام الحارة ونتتبعهُ في السهول لان النبات الذي لا يعمر الا سنة واحدة لا ينمو في المراج والغابات وقد كفانا علماء النبات عناء البحث الكثير اذ قد مضى عليهم نحو من ثلاثمئة سنة رادوا فيها السهول جميعها ولم يدعوا نباتاً الا وصفوهُ وشرحوا طبائعهُ . ولم يعثروا على نوع بري من الذرة الا انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا وهو النبات المعروف بالتيوزنت (teosinte) ولذلك نرجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول

والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر اكثر مما يختلف التيوزنت عن انواعها القريبة منهُ . وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن جنس الذرة وذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نشأا عن اصل واحد لا يختلف عن كل منهما الا قليلاً

واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيهِ عارية من الغلاف والاستغناء عن الغلاف درجة من درجات نشوئها . واذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض الانواع من ذوات الغلاف اتى النسل مغلف الحبوب قريباً من التيوزنت لا يفرق عنهُ الا في امور قليلة . ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قوياً منتجاً

واكبر فرق بين الذرة والتيوزنت هو ان ازهار الاولى تنبت ازواجاً على شماريخ ملتحمة بعضها ببعض اما زهور الثانية فتنبت ازواجاً على شماريخ ذات عقد وتكون منفصلة بعضها عن بعض . فلا يختلفان اذن الا في امرين مهمين فقط وهما تفرع الشماريخ وكثرة الحب

وقد تتفرع سنبلة الذرة الى فرعين او اكثر وربما كان ذلك رجوعاً الى الاصل الذي نشأت عنهُ وقد اظهر تلقيح الانواع بعضها من بعض ان تفرُّع السنبلة صفة وراثية في بعضها فقدتها الانواع الزراعية . اما كثرة الحب فلا تزال حتى يومنا هذا تزداد في الانواع التي يعتني بها المربون ليعرضوها في المعارض حتى عرضت سنابل فيها من ١٨ الى ٢٤ صفاً من الحبوب . ولم يكن شيء من ذلك في الذرة التي كان الاميركيون الاصليون يزرعونها

فليس بين الذرة والتيوزنت فرق كبير ويمكن تلقيح احدهما من الآخر . وهذا يثبت القرابة بينهما ويبعث على الظن انهما نوعان من جنس واحد او جنسان نشأا عن اصل واحد

ولا يجتمع البيض والالقاح في الزهرة الواحدة في الذرة بل يكونان في زهرات مختلفة من النبات الواحد وهذه الصفة واضحة في كثير من الفصيلة النجيلية (والذرة منها) والازهار التي تكون فيها البيوض تنبت على سواعد قصيرة تنمو في آباط الاوراق اما الازهار التي تحتوي على اللقاح فتنبت في رأس النبات بهيئة الشعر والسواعد التي تنبت في اطرافها السنابل اغصان قصيرة جداً حتى ان المسافات بين عقدها لا تزيد على ثمن العقدة طولاً . والاغلفة التي تكتنف الحب هي اوراق هذه الاغصان لكنها تكيفت واختلفت عن باقي الاوراق لكي تقوم بوقاية الحب . ويظن ان هذه الاغصان كانت في الانواع الاصلية من الذرة طويلة بحيث تصبح سنابل الحب النابتة عليها عادية الشعر

ولكن هل نقدر ان نثبت ان الذرة كانت في اول امرها مثل غيرها من الفصيلة النجيلية (اي الاعشاب القائمة على قصل) تجتمع في الزهرة الواحدة منها البيوض والالقاح . لم يحاول احد حتى الآن ان يجد نوعاً منها تظهر فيه هذه الصفة لكن اذا مررت بحقل خصب قد جادت فيه الذرة رأيت نباتات كثيرة قد نمت فيها الحبوب الصغيرة في الشعر وقد ترى ايضاً زهرات اللقاح نابتة بين الحبوب . وهذا يدل دلالة صريحة على ان الزهرة الواحدة كانت تجمع بين البيوض واللقاح في العصور السالفة

فاذا جمعنا هذه الحقائق وضممنا بعضها الى بعض امكننا الرجوع بافكارنا الوفاً من السنين الى الزمن الذي كانت الذرة البرية تنمو فيه في سهول المكسيك واميركا الوسطى . وكانت اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على ارتفاع اكثر الانواع من الفصيلة النجيلية وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها . ثم تكيفت ازهارها بمرور العصور فاصبح بعضها يحمل البيوض وبعضها يحمل اللقاح ثم ظهر نوع منها قصرت اغصانه كثيراً ونمت اوراقها وتكيفت حتى احاطت بالحب ووقته من الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا وثبت لهم نفعهُ فاعتنوا به ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة في انتخاب انواع الذرة اكثر مما اظهروا في تجارتهم بها مع الاوربيين الذين وطئوا بلادهم اولاً اذ كانوا يبيعونهم اكداساً منها مقابل ما لا قيمة لهُ من الخرز وقطع الزجاج .

انتهى من مقالة للاستاذ ادورد ايست من اساتذة جامعة هارورد باميركا

النيتروجين في الزراعة

تتألف انسجة النبات في الاكثر من مركبات الكربون والهيدروجين والاكسجين ويركّب النبات هذه المركبات لنفسهِ من اكسيد الكربون الثاني والماء وتساعدهُ حرارة الشمس على ذلك . لكن لا بد لهُ ايضاً من مواد اخرى تدخل في تركيبهِ واهمها النيتروجين والفصفور والبوتاسا وهو يتناولها كلها من الارض بجذوره ويذهب جانب كبير منها في الثمار والحبوب وسائر الحاصلات الزراعية فلا يعود الى الارض ثانية . ونتيجة ذلك تناقص هذه المواد الى ان تمسي غير كافية لنمو النبات فلا بد اذن من ايجاد طريقة تبقيها في الارض على النسبة الكافية

والنيتروجين اهم هذه المواد واهم مصادرهِ النيترانات الطبيعية التي توجد في بلاد شيلي و بيرو و بوليفيا في اميركا الجنوبية وكبريتات الامونيوم الذي يتولد عند عمل الكوك وغاز الاستصباح من الفحم . ويقدَّر ان النيترانات الطبيعية التي في اميركا الجنوبية ستنفد بعد مدة تتراوح بين ثلاثين سنة ومئة سنة ونفقات استخراجها آخذة بالازدياد في الوقت الحاضر . اما كبريتات الامونيا التي تتولد عند عمل الكوك والغاز فقليلة لا يمكن استعمالها لتسميد الارض بكميات كبيرة . ولا يحتاج الناس الى كميات كبيرة من الكوك والغاز لكي يصبح ما يتولد حين صنعها كافياً لذلك ولا الفحم رخيص ليستغنى عنهُ لاستخراج الامونيا

فاكثر النيتروجين المستعمل الآن يأتي من النيترانات التي تستخرج في اميركا الجنوبية ويبلغ ثمن الرطل منها في اميركا واوربا نحو قرش ونصف وهو ثمن غالٍ لا يمكن معهُ ان يتم استعمال الاسمدة النيتروجينية بالمقادير اللازمة . ولذلك اهتم بعض العلماء بايجاد طرق تمكن من الانتفاع بنيتروجين الهواء

ولا يقتصر البحث في الانتفاع بنيتروجين الهواء على الطرق الكيماوية فقد اشترك فيهِ علماء النبات ايضاً فثبت لهم ان بعض المكروبات التي تعيش على جذور النباتات القرنية كالفول مثلاً تولد من نيتروجين الهواء مركبات يستطيع النبات ان ينتفع بها

وقد علل خصب الارض اذا تناوبت عليها المزروعات اي تبدَّل نوعها من سنة الى اخرى بفعل هذه المكروبات . فاذا زُرعت حنطة قلت كمية المركبات النيتروجينية فيها ثم اذا زرعت فولاً بعد ذلك نمت هذه المكروبات على جذور الفول وعوضتها عما خسرتهُ من مركبات النيتروجين في السنة السابقة

ومن اوضح الادلة على ذلك ما جرى في جزيرة كراكاتوى من جزر ملقا . ففي هذه الجزيرة بركان ثار سنة ١٨٨٣ فيبّس كل نبات فيها وغطاها بطبقة عالية من الرماد . وليس في هذا الرماد شيء من مركبات النيتروجين التي يمكن للنبات ان يتغذى بها ولذلك ظن اولاً ان الجزيرة امست جدباء لا ينمو فيها نبات . ولكنها ما لبثت ان اكتست حلة خضراء ثبت لدى التحقيق ان القسم الاعظم منها من النباتات القرنية التي تتناول النيتروجين من الهواء بواسطة ميكروبات تعيش على جذورها

وهنا مجال واسع لعلماء النبات وعلماء الاحياء عموماً للبحث عن انواع المكروبات التي تفعل هذا الفعل وعن الانواع التي تنتفع المزروعات بها وربما ادى البحث الى معرفة بعض الانواع التي يمكن تربيتها في التربة فتجعلها جيدة صالحة للزراعة عموماً او لكل نوع من المزروعات على حدة

لكن بحث علماء النبات وعلماء الاحياء اذا لم يأت بالنتائج المطلوبة فبحث علماء الكيمياء قد اتى بها فانهم اكتشفوا طرقاً للقبض على نيتروجين الهواء وتوليد الحامض النيتريك ومركباتهِ منهُ وعلى هذه الكيفية يصنع الآن السماد الاسود المركب من النيتروجين والجير الذي يراد عملهُ بقوة انصباب الماء من شلال اصوان . وقد قلنا سابقاً ان الاسمدة النيتروجينية اما ان تكون قاعدتها الحامض النيتريك او الامونيا اي الغاز المركب من النيتروجين والهيدروجين . وكما تمكّن الكيماويون من تركيب الحامض النيتريك من نيتروجين الهواء واكسجينهِ تمكنوا الآن من تركيب الامونيا من نيتروجين الهواء وهيدروجين الماء على اسلوب تجاري اي على اسلوب قليل النفقات حتى تكون الامونيا رخيصة يمكن استعمالها سماداً وذلك بان يمزج النيتروجين النقي بالهيدروجين تحت ضغط شديد ويمر مزيجهما على حديد محمّى الى درجة ٥٠٠ — ٦٠٠ فتتولد الامونيا منهما وقد انشئ معمل في المانيا لعمل الامونيا على هذه الصورة

والخلاصة ان خصب الارض لم يعد من المسائل الغامضة ولا عمّا يتوقف على ما يمكن ان يتولد فيها من الميكروبات النافعة ولا على ما يتفق وجودهُ في بعض الاماكن من الاسمدة الطبيعية بل صار عملاً صناعياً متوقفاً على ما تصنعهُ المعامل

القطن ونقص محصول الفدان

ادّعى بعض الباحثين في الزراعة المصرية ان محصول الفدان من القطن آخذ في النقص المتوالي وخافوا ان يأتي زمن لا يعود محصول الفدان يفي بنفقات زرعهِ . ولا شبهة في انهُ وقع شيء من النقص ولكنهُ غير مطّرد ولا هو مما يدعو الى الخوف الشديد ولا هو مقصور

على القطن ولا على القطر المصري ولكن يظهر انهُ يشمل كل انواع الزراعة اذا اتسع نطاقها في بلاد من البلدان سريعاً كما حدث في اميركا فان مساحة الارض التي زرعت قطناً فيها سنة ١٩٠٩ زادت ٣٢ في المئة على مساحة الارض التي زرعت قطناً سنة ١٨٩٩ ولكن المحصول لم يزد ١٢ في المئة وكان متوسط محصول الفدان سنة ١٩٠٧ و٨ ١٩ و١٩١٠ و١٩١١ فيها اقل من متوسط محصول الفدان سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨ و٠ ١٩ و١٩٠١ مع شدَّة الاعتناء هناك بالزراعة

اما متوسط محصول الفدان في القطر المصري فكان في كل من السنوات العشر الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

السنة	مساحة الاطيان المزروعة قطناً	مقدار المحصول		متوسط محصول الفدان	
١٩٠٢	١٢٧٥٦٧٢	٥٨٣٨٧٩٠	قنطاراً	٤٫٥٨	قنطاراً
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠	٦٥٠٨٩٤٧	«	٤٫٨٨	«
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٩	٦٣١٣٣٧٠	«	٤٫٣٩	«
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠٣	٥٩٥٩٨٨٣	«	٣٫٨٠	«
١٩٠٦	١٥٠٦٣٩١	٦٩٤٩٣٨٣	«	٤٫٦١	«
١٩٠٧	١٦٠٢٢٢٤	٧٢٣٤٦٧٤	«	٤٫٥١	«
١٩٠٨	١٦٤٠٤١٥	٦٧٥١١٢٥	«	٤٫١٢	«
١٩٠٩	١٥٩٧٠٥٥	٥٠٠٠٧٣٧	«	٣٫١٣	«
١٩١٠	١٦٤٢٦١٠	٧٥٠٥٠٧٣	«	٤٫٥٧	«
١٩١١	١٧١١٢٤٠	٧٣٨٦٣٣٨	«	٤٫٣١	«

والذي نقص متوسطهُ حقيقة نقصاً يعتدُّ بهِ هو موسم سنة ١٩٠٩ وسبب نقصهِ معلوم وهو فتك دودة القطن حينئذٍ فتكاً ذريعاً فانها فتكت تلك السنة اشد مما فتكت في غيرها من السنين وكذلك سنة ١٩٠٥ فان فتك الدودة كان شديداً فيها . فاذا اعتبرنا ذلك ظهر لنا ان خصب الارض لم يقل جزءًا عما كان منذ عشر سنوات قلة يعتدُّ بها . وقد كان متوسط محصول الفدان ٥٫٦٠ سنة ١٨٩٦ و٥٫٨٠ سنة ١٨٩٧ ولكن لا دليل على ضبط المساحة حينئذٍ بل لا يبعد انها كانت اقل من الحقيقة بنحو مئة الف فدان لانها زادت فجأةً سنة ١٩٠٠ نحو ثمانين الف فدان لغير سبب معلوم يدعو الى هذه الزيادة . وعليهِ فمتوسط محصول الفدان من القطن في القطر المصري يكاد يكون واحداً منذ نحو ١٥ سنة الى الآن

❊ مغازل القطن ومتأخراته ❊

تقرير قلم احصاء اتحاد غزالي القطن
مرصود لاول مارس سنة ١٩١٣

	مقدار تقدير مغازل القطن	مغزولات في المعامل اميركي	هندي	مصري	مختلف	مجموع
انكلترا	٥٥٥٧٦١٨	٣٣٦٠٣٤	٨٥٣٧	١٣٦٣٩٩	٣٣٩٩٧	٤٩٤٣٦٧
المانيا	١ ٩٣٠٤٣٦	٢٦٤٨٨٣	٤٧١٥٣	٢٧٨٠٠	٢ ٤٤٦	٣٧٠٢٨٠
روسيا	٨٩٥٠٠٠٠	٦١١٣٦	٥٧٨١	١٦٣٣٣	٤١٥٤١	٤٩٨٦٥٩
فرنسا	٧٤٠٠٠٠٠	١٣٧٧٨٩	٣٥٤٩٧	٣٣٨٣٣	١٣٣٨٦	١٩٩٣٦٤
الهند	٦٤٠٠٠٠٠	٣٣٦٣	٢٧٤٣٣٧	٣٣٣	٥١٣١٠	٣٨٩٤
النمسا	٤٨٦٤٤٠٣	١٣٥٣٦٠	٩١١٠٠	٨٣٦١	٩٣٧٣	١٧٤٠٩٤
ايطاليا	٤٥٨٠٠٠٠	٩٩٣٣٤	٣٤١١٧	٤٧٩١	٧٥٧٩	١٣٥٨٣١
اسبانيا	٢٣٠٠٠٠٠	٤٨٤٥٣	١١٤٧٣	٣٩٨٥	١١٨٣٤	٧٤٧٤٤
اليابان	٢٣٥٠٠٠٠	٨٥٨٤٠	١٤٠٥٩٤	٤٨٨٨	٣٥٥٣٥	٢٦٦٧٥٧
سويسرا	١٣٩٨ ٦٢	١٥ ٣٩	١٣٩٣	١٣ ٣٢	٧٣٧	٣٩١٠١
بلجيكا	١٤٦٨٨٣٨	٤٧٠١	٣٣٠٥٣	٢٤١	١١٥٢	٨١٩٦٣
اسوج	٥٢٩٧٧٢	٢١١٠٨	٩١٥	٢٨	٢٦١	٢٢٥٦٤
البورتغال	٤٨٢٠٠٠	٣١٥٠	٥٠	٢٠	١٢٠	٣٦٠٠
هولندا	٤٧٠٩٥٦	٩٩٨٩	٢٦٦٣	١٤٩	٢٠٥٧	١٥٨٥٥
الدانمارك	٨٦٨٢٦	١٢١٢	—	—	٣٣٢	١٥٤٤
نروج	٧٤٥٦٤	٢١٦٧	٣٦٦	—	٣١	٢٥٦٤
الولايات المتحدة	٣٠٥٧٩٠٠٠	١٩٥٨٠٠٠	—	؟	-	١٩٥٨
كندا	٨٥٥٢٩٣	٤٧١٢٠	—	—	-	٤٧١٢٠
المكسيك والبرازيل	٢١٠٠٠	١٢١٩	—	٢٣١	٤٢١٨٨	٤٣٦٣٨
مجموع	١٤٣٠١٨٦٢	٣٢٦١٩٣٢	٦٠١٢٠١	٣٤٧٨٤١	٦٤٩٠٥٠	٤٧٦٩٠٥٠
اول مارس ١٩١٢	١٣٩٩٩٣٨٧٠	٣٨١٥٩٤٣	٥٢٤٥٤٢	٣١٠٦٥٠	٦٩٩٣٩٠	٤٣٠٠٤١٣
« « ١٩١١	١٣٥٥٩٦٧٢٤	٣٥٦٥٠٠	٧ ٧٧٦٧	٢ ٥٢٤٧	٥٨٢٣٣٦	٤٠٦٠٧٤

نقل البصير الجدول السابق عن اتحاد غزالي القطن وقد ذُكر فيه عدد المغازل العاملة للآن في معامل القطن في الدنيا ومقدار المخزون من اصناف القطن حتى آخر مارس الماضي

و يظهر منهُ ان عدد المنازل قد زاد كثيراً عمَّا كان في العام الماضي والذي قبلهُ وهذه الزيادة تدلُّ على زيادة المطبوعية · واذا لم يزد محصول القطن الاميركي والهندي هذه السنة زيادة كبيرة فلا بدَّ من ارتفاع سعر القطن ايضاً ولاسيما اذا عقد الصلح بين الحكومة العثمانية وحكومات البلقان وزال الخوف من نشوب حرب عمومية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صغر القدم وضيق الفك

قال احد الكتاب الاميركيين لو صرفنا قليلاً من العناية الى تقويم اولادنا من بعض الوجوه لقمنا لهم وللامة التي تتألف منهم بخدمة جليلة · فقد بيَّن بعض العلماء ان صغر الفك وعدم انتظام الاسنان ناشئان عن عدم تربية الاسنان على العمل الذي اوجدتها الطبيعة من اجله وهو مضغ الاطعمة التي يصعب مضغها · وقد امسى تركيب الاسنان الكماوي ناقصاً بسبب ذلك واختل انتظامها في الفم حتى قلَّ ان يتوسط انسان في السن وتبق اسنانهُ كاملة (٣٢ سنّاً) وحتى صار اطباء الاسنان يفرحون اذا عثروا على رجل في فيهِ ٣٢ سنّاً كأنهُ امر نادر · ويفرح مثل ذلك الطبيب المختص بمعالجة الاقدام اذا رأى انساناً مكتمل النمو ولم تزل قدمهُ على هيئتها الطبيعية

ولا يحاكي الفك في كثرة ما يجني عليهِ بتحويلهِ عن هيئتهِ الطبيعية الاَّ القدم · نغرس في عقول اولادنا احتقار اهل الصين لانهم يحبسون اقدام البنات لكي لا تنمو ثم نلبس بناتنا احذية ضيقة تضغط على القدم وتعلو على كعاب من النوعين المعروفين بالكعاب الفرنسوية والكعاب الكوبية · فنحن والصينيون سواء في ذلك وان كنا لم ندرك شأوهم

وربما كانت الاسباب التي تدعو الصينيين الى حبس اقدام البنات اوجه من الاسباب التي تدفع الغربيين الى ذلك · ففي الصين يصعب على المرأة الشريفة ان تتزوج رجلاً يليق بها اذا كان قدماها طبيعيتين كاقدام النساء اللواتي يتعاطين الاعمال اكثر مما يصعب على

بناتنا ان يتزوجن بمن يليق بهن اذا كانت خصورهن طبيعية · واذا خرجت المرأة الصينية التي من الطبقة الراقية احاطت بها جوار بها يسندنها من كل جهة ليظهر للناس انها لا تقدر على المشي وحدها · هذا هو السبب الذي من اجله حُسن قدماها وهو اكبر دليل على انها سيدة رفيعة الشان تليق ان تكون زوجة لرجل شريف

ولم يقصر الصينيون عن الصينيات في هذا المضمار فان العظير الشان منهم يطلق اظفار اصابعه حتى تبلغ من الطول ما يصعب علينا التصديق به ثم يقي كلاً منها بغمد ربما كان من العاج او الخشب الثمين لئلا تنقصف او تنكسر فتظهر اصابعهُ جداء كاصابع الذين يتعاطون الاعمال · اما الاميركيات فلا يهمهنّ ان يعرجن لمن يراهنّ انهنّ لا يقدرن على المشي كالصينيات ولكنهنّ حريصات على ان يظهرن بمظهر الرشاقة واللياقة ومجاراة الذوق العصري · ومع ذلك تُقفد اقدام البالغات منهنّ من الاشكال والهيئات غير الطبيعية ما لا يحصى

نشتري الاحذية اصغر من اقدامنا وننسى انهُ يلزم لاقدامنا فسحة لتفترش اذا ملنا بثقلنا عليها كما تفترش اقدام الحيوان عند ما يقوم عليها · ولا ادري كيف قام في عقول الناس ان اقدامنا يجب ان تكون اصغر مما هي بالنسبة الى اعضائنا الاخرى ولا اعرف احداً بيّن سبب ذلك · وقد تغنى الشعراء بمدح الاقدام الصغيرة كما تولع الخطباء بذكرها وحرص المصورون على تصويرها · اما الحقيقة فهي ان اقدام المتمدنين منا اصغر مما يجب ان تكون بالنسبة الى كبر اجسامهم وثقلها · وهذا الصغر ناشيء عن عدم ترويضها وحبسها في الاحذية الضيقة من يوم يكون الولد صغيراً الى ان يكبر · وليس هذا كل المصيبة فاننا نلبس في الغالب احذية ضيقة دقيقة الرأس تضغط على اصابع الرجل مما احشى معهُ ان نمسي اخيراً من الحيوانات ذوات الاصبع الواحدة لاننا نطلق ابهام الرجل ونضغط اصابعها الاخرى · ونتيجة هذا الضغط تقهقر الاصابع الصغرى ووقوف نموها او انتقالها وتراكبها بعضها على بعض حتى يصبح الانسان لا يقدر ان يقف على قدميهِ وقتاً طويلاً فضلاً عن انهُ لا يستطيع المشي لشدة الالم

ويحدث تراكب الاصابع اذا لبس الانسان الحذاء الضيق بعد ان تكبر اصابعهُ · وليس في اميركا ولا في الصين رجل او امرأة على جانب من الظرف والكياسة يقدر ان يترك اصابع رجليهِ تفترش على ما صنعت لها الطبيعة · ولكن لبس الاحذية الضيقة يبدأ غالباً حينما تكون القدمان طريتين فيقف نمو الاصابع ولا يبقى منها الا نتوات صغيرة · وقد كانت الاصبع الثانية في اقدام الناس قبل ان لبسوا الاحذية الضيقة اطول من الابهام والثالثة مثل الابهام

في طولها والرابعة والخامسة حاليتين من المسامير تنبسط على الارض ولتمكّن منها جيداً عند المشي • والاصبع الاخير مهم جداً ومن صالح القدم ان ينبسط على الارض عند ما يميل عليها في المشي كما تنبسط اصابع الحيوان

ويجب ان يكون في الحذاء مجال كافٍ للاصابع لكي تنبسط واذا ضيق عليها صعب المشي على الانسان • اما الكعاب العالية فتؤذي الظهر وتعسر المشي ولا تزيد منظر القدم جمالاً بل بالعكس من ذلك تشوه شكلها لأن فعلها في ذلك اقل من فعل التضييق على الاصابع • وعلينا ان نرفق باقدامنا فانها اكثر اعضاء اجسامنا خدمة لنا ايدينا

وارتخت اقدام كثيرين باهمال تدريبها فاخذ صانعو الاحذية يضعون فيها اقواساً من الحديد لتدعم اخمص القدم وتبقي حنيته على ما يجب ان تكون ومثلهم في ذلك مثل من اراد تقوية يد انسان فارتأى ان يحوطها بالقضبان ويحكم ربطها حتى تبقى مرفوعة لا تتحرك ولا يسع صانع الاحذية الآن يضحك من سخافة هذا الرأي ولكنه يفعل ذلك حينما يضع الاقواس الحديد تحت اخمص القدم في الحذاء ويدعي انه يقوي القدم فيحرمها من اتمام وظيفتها ويحرمها الرياضة التي تقويها • ويجب ان نمرّن اقدامنا وندرب قوتها قليلاً كما نعودها بثقله في المشي ويستحيل على من اعتاد ان يمشي مسافة طويلة ان يحتاج الى اقواس حديد تدعم قدميه • وهذه الاقواس مثل كل ما يستخدمه الانسان لتعويق وضع جسمه الطبيعي تسبب له الماً شديداً خصوصاً اذا اضطر ان يمشي مسافة طويلة واذا استغنى عن المشي او لم يمشِ الا قليلاً امكنه ان يعتمد على هذه الاقواس كما يعتمد على الكعاب العالية • فكأن اكثر احذيتنا لم تصنع للمشي بل لكي تحتذيها النساء او لكي يلبسها اصحابها عندما يركبون المركبات او يمتطون الجياد

عرفت تاجراً باع رجلاً حذائين ولم يلبث هذا ان عاد بعد ايام قليلة وقد تمزق حذاءاه فاظهر التاجر عجبه من سرعة تمزقهما فقال له انك مشيت فيهما وهما ليسا للمشي بل للركوب • وكلما مررت بامرأة تمشي بحذائين لا يسعان قدميها ولها كعبان عاليان تذكرت تلك القصة وقد نظرت الى امرأة عرفت من مشيتها هل حذاءاها يلائمان قدميها او لا فالمرأة التي لا تضغط على قدميها بحذائين ضيقين تمثل في مشيتها الرشاقة والخفة اللتين تميزان اجمل مخلوقات الله

وانا من المولعين بالمشي وقد رأيت بالاختبار انه يجب على الانسان ان يعمل على تقوية قدميه وان يسمح لها بالنمو اكثر مما يسمح لها الآن • وكل من الاصابع العشر التي في القدمين يحتاج الى ان يكمل نموه وان يتمكن من الارض ويحمل قسماً من الضغط الذي يصيب

القدم عند ما تمشي او تعدو او تثب

وقدم الطبيعية اشبه بحنية قائمة على العقب وصدر القدم القدين بصبات الارض ويجب ان يكون حذاء الطرفان على مستوى واحد فلا يجوز حمل كعب الحذاء اعلى من نعله باكثر من نصف عقدة . ويجب ان يكون الكعب عريضاً مثل النعل عند معظم عرضه وان يكون الحذاء اطول من القدم واوسع منها

وكما ان الفك يقصر نموه فيكون ذلك الوقوف سبباً لانسداد الخياشيم وتحول التنفس الى الفم وسوء الهضم وضعف قوته . تثقيل بما يترتب عليه من ضعف الاسنان وعدم انتظامها ومن قلة الاكسجين الداخل الى الجسم كذلك يضر بالاقدام اهمال ترويضها وعدم السماح لها بان تنمو النمو الطبيعي . ثم اننا لا نقتصر على ذلك بل نضيف اليه وضع الاقواس في الاحذية لتزيد اقدامنا ضعفاً وعلي الكعاب متوهمين ان علوها يحفظ هيئة القدم

واذا ارتخت القدم وانبسطت اقواسها كما تنبسط عند الماشي ولم تعد الى وضعها الاصلي وجب دعمها بالاقواس الى حين . ولكن يجب ان تبذل العناية في سبيل تقويتها بالعدو والمشي على اصابع الرجلين حفاة وذلك العضلات التي في مؤخر الرجل ومعالجتها وتقوية الجسم عموماً

وارتخاء قوس القدم دليل على ضعف الجسم عموماً ويجب ان لا يقتصر في معالجتها على اصلاح هيئة القدم وحده بل تجب العناية بتقوية الجسم كله

ولا يتحقق لنا ما نريد من التكمل في اولادنا الا اذا اطعنا نواميس الطبيعة وتركنا اقدامهم وافواههم تنمو على ما رسمت لها الطبيعة ان تنمو

ترياق السموم

(تابع ما قبله)

الحامض الكبريتيك . درهم واحد منه يميت ويستعمل له ما يستعمل للحامض النيتريك

اليود : يختلف فعله باختلاف الاحوال ولكن ثلاث قمحات منه تميت عادة وله طعم حامض وينتج عنه نصاب حول الحلق وقيء ويجب اهاجة القيء واعطاء المسموم مقادير كبيرة من الاروروط والنشا

الاثير . يدخل الصدر مع التنفس واعراضه تشبه الاعراض التي تنتج عن الكلوروفورم وينفع فيه صب الماء البارد واعادة التنفس صناعياً

الحامض البيروغلسيك : ثلاث قمحات منهُ تقتل الكلب واعراض التسمم بهِ كاعراض التسمم بالفصفور ولم يعرف لهُ ترياق خصوصي انما يجب اهاجة القيء حالاً

الحامض الكروميك والكرومانات والادهان التي يدخل الكروم في تركيبها ومركبات النحاس والانتيمون والزئبق والزنك : ينجع فيها استعمال البيض بكثرة واهاجة القيء بالخردل. اما اذا كان سبب التسمم الطرطير المقيء فلا ينفع الخردل

الحامض الهيدروسيانيك (البروسيك) واملاحهُ وسيانيد البوتاسا وسيانيد الزئبق والكبريتوسيانيد وزيت اللوز المر والنيتروبنزين : ينجع فيها صب الماء البارد على رأس المسموم او على ظهره فوق الحبل الشوكي ووضع ضمادات الخردل على اخمصي قدميهِ وفوق معدتهِ ويجب ان لا يترك المسموم لينام

الايثر والكلورال والبنزول وارواح الاثير والكحول : ينجع فيها اهاجة القيء بالخردل مع الماء السخن والحمام البارد والهواء النقي . ويجب ان لا ينام المسموم

مركبات الباريتا او الرصاص : يعطى المسموم خردلاً مع مقدار كبير من الماء السخن او مذوب الملح الانكليزي او ملح الطرطير

الزرنيخ والزنك والانتيمون والنحاس والزئبق والستركنين يعطى المسموم بها مذوب مئة جزء من كبريتات الحديد في ٨٠٠ جزء من الماء بعد ان يذاب فيهِ ٨٨ جزءا من المغنيسيا بجرعات كل منها كاس شرب عادية

ويقال بنوع عام ان على من رأى مسموماً ان يبادره اولاً بالقيء ثم يأتيهُ بالترياق الذي ينجع في ذلك السم الذي تناولهُ . ويجب ان لا يتغافل من حفظ قيء المسموم اذا اشتبه ان السم دُسَّ لهُ عمداً

واجبات النساء وحقوق الانتخاب

كتبت كونتة جرزي تعترض على اعطاء حق الانتخاب للنساء في بلاد الانكليز ومما قالتهُ في هذا الصدد ان النساء اذا قمن بما هو مفروض عليهن لم يستطعن ان يتفرغن للاهتمام بالامور السياسية تفرغاً يجيز لهن ان ينتخبن الاعضاء لمجلس النواب واذا اجيز الانتخاب لكل البالغات منهن زاد عدد المنتخبات مليوناً الى مليون ونصف عن عدد المنتخبين . واذا اعطي النساء حق الانتخاب وثبت بالامتحان ان ذلك غير صالح تعذَّر نزع هذا الحق منهن

الزوجة وضمانة الحياة

توفي بالامس رجل من موظفي الحكومة راتبهُ كبير يبلغ نحو الف جنيه في السنة وهو يعيش على مقدارهِ اي انهُ لا يقتصد منهُ غير ما تقطعهُ الحكومة لتعطيهُ اياهُ معاشاً . فما يكون حال زوجتهِ واولادهِ بعد وفاتهِ وليس لهم ما يعتمدون عليهِ غير المعاش القليل الذي تعطيهم اياهُ الحكومة . لقد كان على ذلك الرجل ان يحسب حساب الموت ويوفر جانباً من دخلهِ لكي لا تحل الفاقة بزوجتهِ واولادهِ لكنهُ لم يفعل فكانت العاقبة وخيمة عليهم الى ان شبَّ اولادهُ وتعاطوا اعمالاً تقوم بمعيشتهم

وقد اهتدى الناس الى وسيلة لا افضل منها لدفع الضيم عن عيال الذين يموتون باكراً وهي شركات ضمانة الحياة او سوكرتاه الحياة التي يدفع اليها كل احد من المشتركين فيها جانباً من دخلهِ فتتعهد لهُ بدفع مبلغ معلوم لزوجتهِ واولادهِ عند وفاتهِ فاذا عُمّر طويلاً حتى صار اولادهُ في غنىً عنهُ فالغالب ان المبالغ التي يكون قد دفعها الى الشركة تزيد عمَّا تدفعهُ الشركة الى ورثتهِ ولكن هذه الزيادة تذهب الى ورثة الذين يموتون باكراً لان الشركة تتعهد للمشترك فيها ان تدفع لورثتهِ المبلغ المتفق عليهِ سواء عُمّر طويلاً او مات في اليوم التالي لامضاء العقد

وكثيراً ما يكون الضمان لسنين محدودة فيدفع المرءُ في سني الشباب والكهولة ما يستردهُ في زمن الشيخوخة او يكون على اسلوب آخر . وكل الاساليب التي تجري عليها شركات ضمانة الحياة تأول الى اخذ بعض المال من الذين يعمّرون طويلاً واعطائهِ لورثة الذين يموتون باكراً وهي اذا كان مديروها من الرجال الامناء البارعين في تثمير الاموال خير ما استنبطهُ البشر لازالة المضار الناتجة عن الموت الباكر . وخير ما تفعلهُ كل زوجة ان تطلب من زوجها ان يسوكر حياتهُ عند اول اقترانهِ بها لانها اذا فعلت ذلك ووفّرت من نفقاتها اليومية ما يجب دفعهُ سنوياً لشركة الضمان امنت الفاقة اذا توفي زوجها واولادها صغارٌ وليس لها ولهم ما يقوم بنفقاتهم

طعام المريض

لطعام المريض اهمية لا تقل عن اهمية الدواء الذي يوصف لهُ . وكثيراً ما يعين الطبيب نوع الطعام ومقدارهُ واوقات تناولهِ . ويجب ان يعتنى كثيراً بتحضيرهِ فقد يقع

من القائم على امر الطعام اهمال قليل فيجر على المريض اوخم العواقب كما يحدث احياناً للمرضى بالحمى التيفوئيدية

ولا يجوز تحضير الطعام في غرفة المريض بل يجب ان يحضَّر في غرفة اخرى ان كان بسيطاً كتسخين اللبن مثلاً اما اذا كان يقتضي طبخاً وتمليلاً اكثر من ذلك فيجب اعداده في المطبخ . وقد يتفق ان لا يحسن الطباخ اعداد الاطعمة للمرضى فيجب على ربة البيت في مثل هذه الحال ان تقوم على ذلك بنفسها وهذا يستلزم معرفة سابقة يجب ان تتعلها البنت في بيت ابيها ولا شيء يحمل الخدم على اتقان ما يعملونهُ مثل معرفتهم بان مولاتهم تجيد العمل اكثر منهم . ويجب ان يحضَّر طعام المريض على طريقة تجعلهُ طيب الطعم يثير في من ينظر اليهِ شهوة الاكل

واللبن (الحليب) من افضل الاطعمة للمرضى ويستحسن ان يسخن بتغطيس الاناء الذي يكون فيهِ في الماء الغالي ثم يترك حتى يبرد وكثيراً ما تتلبك معدة المريض اذا تناول اللبن وحدهُ ويجتنب ذلك باضافة قليل من الصودا او من ماء الكلس الى اللبن قبل تناولهِ . ويؤْخذ اللبن بكميات قليلة لانهُ اذا كثر في المعدة تجبَّن ولكبا . ولا بأس باعطاء المنبهات اذا سمح بها الطبيب

ولا يجوز ان يترك اللبن مكشوفاً في غرفة المريض لانهُ يمتص الروائح مهما كان نوعها وان قدُم قليلاً او طرأ عليهِ اقل تغير لم يعد صالحاً للمريض واذا كان المرض ثقيلاً وجب كيل اللبن كما يكال الدواء . ويحسن بالمرضة ان تقتني مفكرة تدون فيها وصايا الطبيب ومقدار الطعام الذي تقدمهُ للمريض ووقت تقديمهِ وهذه المفكرة ضرورية اذا قام على العناية بالمريض ممرضتان تتناوبانها

وتنفع القشدة في كثير من الامراض المزمنة وهي من انواع الدهن القليلة التي يجوز للمرضى تناولها ويجب ان لا يحتوي طعام المريض على شيء من الدهن الا في احوال خصوصية . ومن انواع الدهن السهلة الهضم ايضاً زيت السمك وهضمهُ اسهل من هضم القشدة واذا اضيفت القشدة الى الشوربا الخفيفة كان من ذلك طعام خفيف اصلح من غيرهِ للذين يصيبهم سوء الهضم

والاطعمة التي تقدم لمن تثقل عليهِ وطأة المرض تختلف كثيراً عن الاطعمة التي تقدم لهُ في دور النقه . ففي الحالة الاولى يطعم الاطعمة المحتوية على خواص الدقيق كالاروروط واللبن وغيرهما وفي الحالة الثانية يطعم الاطعمة اللحمية كالسمك ولحم الطير مع بعض الاطعمة من

النوع الاول . ويجب ان يهتمّ بجعل الاطعمة شهية طيبة الطعم يهيج منظرها شهوة الاكل كما تقدم ويتم ذلك باجادة الطبخ والتدقيق في النظافة وتزيين الطعام بتقديمه في آنية نظيفة مرتبة ووضع الازهار الى جنب الصحون اذا كان المريض مولعاً بها ولا يُسأل المريض عما يريد اكلهُ من الاطعمة بل يجب ان يعدّ الطعام ويقدم لهُ من دون اعلامه بذلك . واكثار الطعام عليه مما يجعلهُ يعاف الاكل

ويفضل من الاطعمة الجامدة اذا اشار بها الطبيب السمك ولحم الطير ولحم الضأن الرخص . اما لحم البقر والحموم الدهنية فلا يجوز اطعامها للمريض . واذا اجيز للمريض اكل الخضر يطعم الهليون والقنبيط والسبانخ بعد ان تسلق . ولا بأس بقليل من الحلوى اذا كانت خفيفة

وان تعذّر الحصول على الثلج في الحمى يعطى المريض ملعقة صغيرة من الماء البارد ويرتاح الى ذلك كثيراً وفي شربهِ الجرعات الكبيرة من الماء البارد ضرر كبير . اما الجرعات المعتدلة من الماء العادي فمثل الثلج في انها لا تضر

باب التقريظ والانتقاد

الصحافة العربية

سفر جليل كثير الفوائد وضعهُ حضرة الفيكونت فيليب دي طرازي وقد صدر منهُ الآن الجزء الاول وفيهِ تاريخ الصحافة بنوع عام والصحافة العربية بنوع خاص ومما ذكرهُ في هذا الشأن ان اول من استعمل كلمة صحيفة هو الكونت رشيد الدحداح صاحب برجيس باريس واول من اختار كلمة جريدة هو مناظرهُ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب

وللمؤلف عناية خاصة بجمع الصحف العربية والاطلاع على ما فيها فقد قال ان عندهُ منها ١٢٠٠ من الجرائد والمجلات . والظاهر انهُ لم تصدر جريدة عربية الاوعندهُ نسخة منها وقد ذكر في هذا الجزء ترجمات كثيرين من منشئي الجرائد والمجلات والمحررين فيها ونشر رسومهم ولم يقتصر على ابناء العرب منهم بل ذكر الاوربيين الذين كان لهم شأن في الصحافة العربية كنبوليون الذي نشرت في عهده جريدة الحوادث اليومية باللغة العربية وكان يحررها اسمعيل بن سعد الخشاب وهي جدة الصحف العربية . والملك لويس فيليب ملك

فرنسا الذي انشئت في عهدهِ صحيفة المبشر سنة ١٨٤٧ باللغتين العربية والفرنسية لعموم ولاية الجزائر في المغرب الاوسط والدكتور عالي سمث الاميركي الذي انشأ باكورة المجلات العربية سنة ١٨٥٥ وهي مجموع فوائد

وقد رأينا في الصفحة ١٣٤ من هذا الجزء ان الجمعية السورية العلمية تجدَّدت باسم المجمع العلمي الشرقي نحو سنة ١٨٨٠ . والذي نعلمهُ اننا نحن انشأنا المجمع العلمي الشرقي ولم يخطر ببالنا قط تجديد الجمعية السورية العلمية وكان معنا الدكتور ولِيم قَن ديك والاميرالاي الدكتور سليم موصلي ثم ضممنا الينا غيرنا من الاعضاء وكان ذلك سنة ١٨٨٢

وفي هذا الجزء ٤٥١ صفحة كبيرة جامعة لاشتات الفوائد فنثني على همة المؤلف الفاضل ونتمنى لهُ النجاح في اتمام هذا السفر المفيد

تحسين الصرف في الوجه البحري

رسالة وضعها صاحب السعادة موسى غالب باشا احمد مهندسي الري سابقاً انتقد فيها المشروع الذي اشارت به نظارة الاشغال حديثاً لتحسين الصرف في الوجه البحري فقال ان النفقات السنوية اللازمة لآلات الصرف تبلغ نحو ٤٠٠ الف جنيه عدا المصاريف الاولية اللازمة لتنفيذ هذا المشروع من ثمن الآلات وتركيبها وتعميق المصارف وتوسيعها مما لا يقل عن سبعة ملايين من الجنيهات ويمكن الاستغناء عن هذا المشروع بمشروع آخر وهو اصلاح المصارف حتى تبقى المياه منخفضة فيها متراً عن ارض الزراعة ووضع الطلمبات على البحيرات التي تصب فيها المصارف الآن حتى ترفع المياه الزائدة منها وتصبها في البحر . وقال ان اسلوبهُ هذا يحمل اقتصاداً في النفقات اللازمة لاصلاح الصرف لا يقل عن خمسين في المئة وبهِ تنكشف مساحة عظيمة من الاراضي المغمورة الآن بمياه البحيرات حتى يمكن ان يعد منها للزراعة نحو مئة الف فدان الى مئة وخمسين الفاً بعد ان تزرع الاراضي البور التي في جهة البراري . وليس فيهِ خطر من تعطُّل احدى آلات الصرف ووقوفها عن العمل بضعة ايام كما يحدث لو كانت الآلات مركبة على المصارف نفسها لان تعطُّل هذه قد يتلف الاطيان المجاورة لها في اقل من ساعة . وسنعود الى هذه الرسالة البديعة ونفصّل ما فيها

نشوء الاجتماع

تأليف بنيامين كد وتعريب محمد زكي صالح

قرأنا هذا الكتاب في اصلهِ الانكليزي حينما صدر منذ بضع عشرة سنة والسنة التي

فرأيناها تقع في ٣٧٤ صفحة ولو ترجمت ترجمة يحتفظ فيها بكل معاني المؤلف لوقعت الترجمة في ستمئة صفحة من مثل صفحات الكتاب الذي امامنا الآن ولذلك فالمترجم اكتفى بالتلخيص وحبذا لو احتفظ بكل معاني المؤلف او لو اختار كتاباً اسهل ترجمة من هذا الكتاب وارفق منهُ بحاجة ابناء العربية

من امير الى سلطان

هو كتاب رفعهُ مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وقد ترجمهُ الى العربية صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية . والكتاب حافل بالنصائح والحكم كقوله نحن في مصر لا سؤدد فيه الأ لمن كبُر عقلهُ وكثر علمهُ . الحرية اول مربٍ للامم هي تخلق كل مربٍ عداها وما من مربٍ يسدُّ مسدها والامم المستبدة تختار الظلم لانهُ لا يفيدها وانما ترغب الامم في الظلم اذا كان لها من الحقوق ما وثقت منهُ وامنت عليهِ . الحق اولى ان يقال ما منعنا من ان نكون امة جديرة مثلهم (اي مثل النصارى) الأ طريقة حكمنا فيها يتاح للانسان ان يستقر الانسان لا يستثمر عقلهُ ولا يستعمل ارادتهُ . الى غير ذلك من جوامع الكلم التي لو اتصفت بها الحكومة العثمانية ما وصلت الى ما وصلت اليهِ

«كتاب في التربية والتعليم» وضعهُ حضرة محمد افندي امين وبحث فيهِ بحثاً انتقادياً في التربية البيتية وطرق التعليم المتبعة في مصر . ويرى ان التعليم يجب ان يكون عملياً اكثر مما هو في الوقت الحاضر ثم يندب حظ مصر لنقص التعليم العالي فيها ويجدر بمعلمي المدارس ومن يهمهم امر التربية والتعليم ان يطالعوا هذا الكتاب لما فيهِ من الفوائد

«فوائد في تغذية الاطفال» كراس في عشرين صفحة وضعهُ حضرة الدكتور جورج عرقتنجي فيه فوائد جمة في كيفية العناية بالاطفال وارضاعهم وتغذيتهم ووقايتهم من العلل التي تطرأ عليهم عادة في الصيف او في الشتاء وما يجب اتخاذهُ من الوسائل اذا أُصيبوا باحد هذه العلل

«مذكرات حي» سمَّاهُ حضرة واضعهِ الياس افندي منسى ما عنَّ لهُ من الخواطر في جملة مواضيع اكثرها اجتماعي او اخلاقي ومن مواضيعهِ «يا راعي» و«ايها الحب»

و « ايها العفاف » . واكثر بحثهِ انتقادي يبين فيهِ معايب الاجتماع والاخلاق ويقبّحها

« الاسعاف الاولي » لحضرة الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب يتضمن ارشادات كثيرة الى ما يجب اتخاذهُ من الوسائل في الحوادث التي تقع بغتةً وتستلزم بعض العناية قبل وصول الطبيب ككسر العظم والاغماء والغرق وهو مزين برسوم تسهل على القارئ فهم المراد

« الحال والمآل في سياسة ربات الجمال » كتاب لولتر جليكن في نحو ١٥٠ صفحة تدور ابحاثهُ على العيشة الزوجية وكيف يتمكن كل من الزوجين من اكتساب ثقة الآخر ورضاه . عرَّبهُ عن الانكليزية حضرة عطيه افندي حنا صاحب مجلة المنهل

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) التقميط

بيروت . ايوب افندي حنا طراد الصيدلاني . قرأت في مقتطف فبراير الماضي جوابًا عن سؤال وارد اليكم من المستر كوبلت الاميركي يختص بمسألة التقميط حسب الطريقة القديمة . وحيث اني توصلت الى اكتشاف هذه الطريقة بعد البحث الطويل وقد اختبرتها في اواسط سنة ١٨٩٣ بقميط ولهُ عمرهُ اربع سنوات وطرح في الشهر السابع ولم يزالا للآن عندي في بيروت بغاية الحفظ رغمًا عن تعرضهما للهواء والعوارض الجوية وقد رآهما بعض اطباء بيروت من اجانب ووطنيين وشكروا لي اكتشافي هذا وعطوني شهادات بذلك ولاسباب لم اتمكن من اظهار اكتشافي فارجو نشر كتابي هذا والافادة عن عنوان المستر كوبلت الاميركي لمخابرتهِ في هذا الشأن

ج . ان كوبلت هو اسم البلد الذي جاء

السؤال منهُ والسائل هو الخواجه الياس رغيب كما يظهر لكم من مراجعة المقتطف . والظاهر انهُ سوري من الذين هاجروا الى اميركا ولا بدَّ من ان يطلع على ما ذكرتموهُ هنا

(٢) الازوت والحياة

برازيل الخواجه خليل اسطفان . قال جيبر ان اول الاحياء كان في الماء وتركيبهُ من العناصر المركبة منها الاحياء الحاضرة اي من الكربون والهيدروجين والاكسجين والازوت خاصةً وكذلك الاستاذ هكسلي صرَّح بهذا حيث قال ان المويربجو في سائل تكوت فيهِ مركبات ثلاثية ورباعية من الكربون والاكسجين والهيدروجين والازوت وايضاً عُرف بالامتحان ان زلال البيضة مركب من كربون وازوت واكسجين وهيدروجين ومواد اخرى . فيقال للقارىء هنا ان الازوت من لوازم الحياة فكيف توفقون بين ما تقدم وبين ان الازوت سُمّي ازوتاً اي لا حياة لان لا حياة تقوم بهِ

ج . لما عُرف ان الهواء مؤلف من الاكسجين والنيتروجين عرف ايضاً ان احدهما وهو الاكسجين هو المفيد في التنفس وان الثاني لا يفيد اي ان الدم لا يتأكسد بهِ واذا نزع الاكسجين من الهواء وبقي فيهِ النيتروجين لم يعد صالحاً للتنفس فسمي النيتروجين ازوتاً لانهُ لا يصلح للحياة من هذا القبيل وهذا لا ينفي ان يكون النيتروجين عنصراً من العناصر التي يتركب منها جسم الحيوان ومن اهمها . والكربون ايضاً عنصر مهم من عناصر جسم الحيوان ولكن الحيوان لا يتنفسهُ لا صرفاً ولا مركباً ولا يتنقى دمهُ بتنفسهِ والذي اطلق على النيتروجين اسم الازوت نظر الى الخاصية الاولى وهي انهُ لا يصلح للتنفس

(٣) زوال مياه البحار

ومنهُ . يقولون ان مياه البحار والانهار آخذة في التناقص وستجف ارضنا يوماً ما كما جفَّ القمر فاين تذهب تلك المياه وعلى اي قياس يبنون احكامهم

ج . ان الذين يقولون ذلك يعتمدون في قولهم على انحباس المياه في الاجسام المتبلورة . وربما تذكرون ان النساء يسحقنَ الشبة البيضاء احياناً في شقفة من الخزف لكي يصنعنَ منها رشوشاً للعيون وان الشبة تذوب في النار اولاً وتغلي ثم تجمد ويصير سحقها هيناً ولا تعود متبلورة شفافة كما كانت قبلما وضعت على النار وذلك علة لانهُ كان فيها ماء فتبخَّر منها لما سخنت ويقال لهذا الماء ماء التبلور وهو موجود في اكثر المواد المتبلورة . ويظن العلماء ان صخور الارض ستغلُ مع الزمن ثم تتبلور فتحبس فيها مياه الارض كما هي محبوسة في الشبة البيضاء

(٤) تسمية البحر الاحمر

الاسكندرية . محمود افندي يوسف . لماذا يسمَّى بحر القلزم بالبحر الاحمر

ج لان فيهِ كثيراً من الحوارات المرجانية التي يغلب فيها اللون الاحمر فيظهر البحر بها احياناً كأنهُ احمر الماء او احمر القاع · او لان رمالهُ عند الشاطئ حمراء فيظهر ماؤُهُ بها احمر لان الصخور المجاورة لهُ حمراء فينعكس نورها عنهُ او لان البلاد المجاورة لهُ هي بلاد ادوم ومعنى ادوم احمر فكأنهُ قيل بحر ادوم او بحر الاحمر وقد كثرت مناقشات العلماء في سبب هذه التسمية وهذه خلاصة المذاهب التي ذهبوا اليها

(٥) تاريخ الاعلام

مصر · نعمان افندي نجار · ما تاريخ الاعلام وهل من دليل على ان قدماء مصر واشور وبابل كانوا يتخذونها شعاراً في حروبهم

ج · ان تاريخها متوغل في القدم لان الناس استعملوها من قديم الزمان لترشدهم الى عشائرهم او اماكنهم اذا ابتعدوا عنها وفي الآثار المصرية والاشورية والبابلية رسوم انواع مختلفة من الاعلام ويظهر من اشكال الاعلام المصرية وما كتبهُ الكتّاب عنها انهُ كان لكل فيلق من جيوشهم علم خاصٌّ بهِ وكانت اعلامهم تمثل احياناً صور معبوداتهم كأنها تماثيل يحملونها لحمايتهم او لنصرتهم · وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

(٦) الشيب من الخوف

ومنهُ · قابلت شاباً فعجبت لرؤيتي شعر رأسهِ وقد نبت فيهِ الشيب فلما استخبرتهُ عن السبب في ذلك قال انهُ ذعر لوقوعهِ بين سيارتين فما علاقة الذعر بشعر الرأس وما تأثيرهُ فيهِ

ج لم يذكر العلماء تعليلاً معقولاً حتى الآن في ما نعلم ولكن ثبت حديثاً ان الشيب يحدث من وجود انواع من الخلايا الحيوية التي تأكل المواد الملونة للشعر ولذلك رجح ان الخوف يدفع المادة الملونة من الشعر الى حيث تصل اليها الخلايا التي تأكلها كما يحدث في صوف بعض الحيوانات الذي يبيضُّ في الشتاء

(٧) عدد الاضراس

طنطا · اسكندر افندي ميخائيل · ان كثيرين من الناس يكتفون عند المضغ باثنين من القواطع (الاضراس) فما سبب ذلك وما هو العلاج الناجع حتى يمكن استعمال الاثنين الآخرين

ج لا نرى وجهاً لتفسيركم القواطع بالاضراس فان القواطع هي الاسنان الامامية اي الثنايا · وسؤالكم موجه الى الاضراس · وسبب عدم استعمال بعضها ان فك المتمدنين قد ضاق لقلة استعمالهِ · والاضراس ١٢ ستة في الفك الاعلى وستة في الاسفل ولضيق الفكين لم يبقَ المجال كافياً لنمو الاضراس الاربعة الاخيرة المعروفة باضراس الحكمة فاما انها لا تظهر او تظهر ولا تستعمل فتقع باكراً وقد يقل استعمال الاضراس الاربعة التي تليها والسبب الاكبر في ذلك

كثر اعتياد المتقدين المآكل السائلة والمطبوخة التي لا تحتاج الى مضغ كثير. وكل عضو لا يستعمل يستغنى عنهُ فيضعف ويزول ولا يمكن علاج ذلك الآن في الذين حدث فيهم لانهُ صار خلقيًّا ولكن يحسن بكل احد ان يمضغ طعامهُ جيدًا فلا تضعف استانهُ لقلة استعمالها ولا تفقد باكرًا

(٨) عدد اللغات

سبيريتو سانطو. الخواجه جيورجيورو. كم عدد اللغات في العالم

ج. نحو ٢٧٥ لغة

(٩) الحروف الافرنجية في العربية

ومنهُ. اي لغة من اللغات الافرنجية يستعمل كتاب العربية حينما يوردون بعض كلمات افرنجية في مقالاتهم

ج. الغالب انهم يستعملون اللغة التي ينقلون عنها او يترجمون منها ولكنهم يقتصرون على الحروف اللاتينية او اليونانية

باب الاخبار العلمية

تكريم شاعر

شهدنا في الرابع والعشرين من هذا الشهر (ابريل) احتفالاً نادر المثال في نادي الجامعة المصرية تبارى فيهِ الشعراء في تهنئة الشاعر النابغة خليل افندي مطران باكرام الجناب الخديوي لهُ اذ قلدهُ وسامًا من اوسمة الشرف. فافتتح الاحتفال دولة الامير محمد علي باشا بالخطبة التالية وهي

ايها السادة والسيدات

ايها السيدات اني ارجوكنَّ عدم المؤاخذة والسماح بتوجيه خطابي الرجال قبلكنَّ في حطبتي مع احترامي لمقامكنَّ اعترف اني شرقي واحب ان احافظ على عوائدنا وقوانيننا المحبوبة

ايها السادة

يسرني ان ارأس حفلة ادبية لتهنئة شاعر مجيد لهُ في مصر والشام اصدقاء كثيرون يقدرونهُ حق قدره

ولقد سمعت منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت وهو حضرة خليل افندي مطران فابتهجت بما وصل اليَّ من افكاره السديدة التي تنبئُ عما هو عليهِ من علو في الهمة وثبات في الرأي ووفور في العلم ولم يكن اعجابي بهِ لما اوتيهُ من المواهب الجليلة في دور العلم فقط بل لما تحلى بهِ ايضًا

من الاخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بينهُ وبين التقصير للغير حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار متأهباً لنيل المجد والفخار

ومن البديهي ان اتصافهُ بهذه الصفات الممدوحة لم يكن الأنتيجة تربية عالية . واني لأعجب كثيراً بالذين يضمنون اشعارهم وخطبهم وكتاباتهم روح الفضائل ويحضون فيها على التجمل بمكارم الاخلاق التي اخذ اربابها في الذهاب شيئاً فشيئاً واأسفاه

فيا حبذا لو حذا حذوهُ سائر الشعراء واهل الافكار وجميع الفضلاء واتبعوا خطتهُ فوجهوا عنايتهم الى بث روح الاخلاق الفاضلة . انهم بذلك يخدمون الفضيلة ويسيرون بافراد الامة في سبيل الرقي والفلاح ليبلغونهم ذرى المجد واوج الكمال . فيجدر بكل مجمع ادبي او محفل علمي ان يسعى في نشر الفضائل التي تدور على محورها السعادة بكل معانيها

فيا أيها الفضلاء اذا اردتم ان تكرموا امتكم فحببوها بمكارم الاخلاق واستعملوا مواهبكم وقوة بيانكم في اظهار خالصها الحسنة

واني ارجو من الله سبحانهُ وتعالى ان يوفقكم ويعينكم على احياء دولة الآداب بما تنشرونهُ من مصوغ دررها التي ستصادف بعون الله آذاناً صاغية وقلوباً واعية ليكون لها التأثير القوي المنتظر

ان حياتنا في هذه الدنيا هي حياة جد وعمل واننا جميعاً مديونون باداء واجبات مقدسة لخدمة الانسانية والله جل شأنهُ خص كل فرد بمواهب مخصوصة لذا نرى الاعمال متنوعة بحسب احتياجات الناس . وفي اعتقادي ان القائمين بها على اختلافهم محسنون للهيئة الاجتماعية

وقد وهب الله صديقنا مطران افندي ذكاء فطرياً فجادت قريحتهُ الوقادة بالاشعار الرقيقة والحكم البليغة الدقيقة فارتقى بذلك الى الدرجة التي نال بها الحظوة عند خديوينا المعظم فيجمل بي ان اشترك في الاحتفال تكريم ذلك الفاضل الاديب وان ارفع آيات الشكر والامتنان لسمو مليكنا لحسن التفاته لشاعرنا المحبوب

وبهذه المناسبة اهنىء ايضاً شاعرنا الكبير النابغ حافظ بك ابراهيم بما شملهُ الجناب العالي من تعطفاته الكريمة لأزيل ما نالني من الاسف لعدم حضوري الحفلة التي اقيمت لهُ في غيابي وان كنت حضرتها بقلبي وادعو الله ان يوفقهُ لاستخدام مداركه فيما يعود على الامة بجليل العوائد وجزيل الفوائد

ثم يحق لنا ان نشجع القائمين بالتهذيب والارشاد الناصحين سبل الحق والسداد فهؤلاء على حسن صنيعهم يشكرون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

اني لا اعتقد الشاعر مجيداً مهما كان يسحر القوم بلسانهِ ويخلبهم بقوة بيانهِ ما لم يسلك طريقاً مفيداً للامة فانهُ يستطيع بذلك ان يخدم امتهُ ويرقيها ببث روح الفضائل فيها فيسلك كل منا هذا المنهج القويم والله يهدينا جميعاً الى الصراط المستقيم

وللاسباب التي ابديتها اعدّ ذلك الشاعر المصري الذي نحتفل به من الطبقة الراقية الرفيعة ولهذا اترك لكم ايها الشعراء والخطباء العناية بايفائهِ حقهُ من التمجيد والتكريم والله يؤتي كل ذي فضل فضلهُ والله ذو الفضل العظيم . انتهى

ولقد كان لهذه الخطبة النفيسة وقع عظيم في النفوس لاسيما وان الامير بنى مدحهُ للمحتفل به على تجمله بمكارم الاخلاق

ثم تليت قصائد كبار الشعراء على هذا الترتيب قصيدة احمد بك شوقي فقصيدة اسمعيل باشا صبري فقصيدة شبلي بك ملاط فقصيدة نقولا افندي رزق الله فقصيدة احمد افندي نسيم فقصيدة احمد افندي داعر فقصيدة نعوم بك شقير فقصيدة حفني بك ناصف فقصيدة حافظ بك ابرهيم . وكل هذه القصائد من فيض الشعر ولو تفاوتت حسب طبقات اصحابها وكان الحضور يستعيدون الكثير من ابياتها ويصفقون لها . وتلا الدكتور ابرهيم شدودي قصيدة من الزجل باللغة المصرية العامية اطربت الحضور ودلّت بالفصيح بيان على ان « الركن كله على المعنى » كما قال الناظم والالفاظ قوالب المعاني . وكانت واسطة القصائد المنظومة قصيدة منثورة تلتها السيدة ماري زيادة كريمة الياس افندي زيادة صاحب جريدة المحروسة بعضها من انشاء جبران افندي خليل نزيل نيويورك وبعضها من انشائها . والفاظ ما تلتهُ وتراكيبهُ ومعانيهِ كل ذلك شعر بليغ لا ينقصهُ الا الوزن والقافية . ولقد ابدعت في الالقاء والاشارات حتى خيل للحضور انهم يرون الشعر بالعين كما يسمعونهُ بالاذن ويدركونهُ بالعقل

وخير اغراض هذه الحفلة بعد اكرام المحتفل به الدلالة على ارتباط القلوب بين الجارتين الشقيقتين مصر والشام . ولقد كان لصاحب السعادة اسمعيل باشا اباظه الشأن الاكبر في اقامتها ولسليم افندي سركيس صاحب مجلة سركيس اليد الطولى في تنظيمها كما كان لدولة البرنس محمد علي اكبر فضل في جلالها ووقارها . فلهم الشكر الجزيل من رجال العلم والادب ومن كل الذين يودون اتحاد الامة العربية في جميع الاقطار

العلماء في المناصب السياسية

اذا تجرَّدت السياسة عن الحيل والخداع فكل مناصبها تليق بالعلماء الذين قرنوا العلم بالعمل في ما يختارون لهُ ولذلك لم يكد

الاستاذ ولسن يترمع في رئاسة الجمهورية الاميركية حتى جعل يختار العلماء للمناصب واعطى وزارة الزراعة للدكتور هوستن الذي كان رئيساً لكلية تكساس الزراعية من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٥ ولجامعة تكساس من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٨ . وجعل مساعداً له المستر غالوي الذي كان رئيساً لقسم الباثولوجيا والفسيولوجيا الزراعيتين وكان قبل ذلك مساعداً في قسم زراعة البساتين في جامعة سوري وله كتب كثيرة في علم النبات وزراعة البساتين

اصل هنود اميركا

ان اكثر الباحثين في اصل هنود اميركا متفق على انهم لم ينشأوا في اميركا نفسها بل هاجروا اليها من شرق آسيا بعد العصر الجليدي . وقد ذهب الدكتور هردلكا الى سيبيريا ومنغوليا وبحث في طبائع اهلها وآثارها فوجد هناك من الادلة ما يثبت منهُ ان اهل هنود اميركا من شرق آسيا

الاستاذ سلابي

توفي الاستاذ سلابي في السادس من ابريل وهو مستنبط التلغراف اللاسلكي المستعمل في المانيا

الكتب المطبوعة والروايات

لقد يظن لاول وهلة ان اكثر الكتب التي تطبع في اوربا هي من نوع الروايات قياساً على ما يطبع عندنا لكن الامر على غير ذلك فان كتب الروايات لا تبلغ الأعشر ما يطبع من الكتب في اميركا وخمس ما يطبع من الكتب في انكلترا فقد طبع من الكتب الجديدة في اميركا ١٣٤٧٠ سنة ١٩١٠ و ١١١٢٣ سنة ١٩١١ و ١٠٩٠٣ سنة ١٩١٢ ومن الكتب التي طبعت سنة ١٩١ كانت الروايات ١٥٣٩ وكتب العلم والادب ٢٠٩١ والكتب الدينية واللاهوتية ٩٥٣ وسنة ١٩١١ قلَّ عدد كتب الروايات فبلغ نحو الف فقط وزاد عدد الكتب العلمية والادبية وكذا سنة ١٩١٢

زنوج اوربا

اتضح من البحث في آثار الانسان في اوربا ان الزنوج سكنوها قبل البيض والعلماء انهم رحلوا اليها من جهات الهند وان جيل الباسك في فرنسا هو البقية الباقية منهم

تكوّن المادة من نور النجوم

كتب الدكتور فري الفلكي مقالة في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ان الاثير يمتص الاشعة التي تبعثها النجوم فتتكون منهُ المادة واكثر ما يكون ذلك قريباً من المجاميع السديمية . فان قوة النور تؤثر في الاثير اذا امتصها فتجعلهُ يدور على نفسهِ في حلقات

صغيرة جداً تتكون منها الالكترونات ولا يبعد ان تكون هذه الحلقات نفسها هي الالكترونات السلبية والايجابية التي تتكون منها الجواهر الفردة . ثم تتكون دقائق المادة من هذه الجواهر وتبقى منتشرة في الفضاء الى ان تقربها النيازك فتضمها اليها . ولا تزال النيازك تفعل ذلك ويزيد حجمها حتى ينشأ منها جرم فلكي . وهو مذهب بديع في تولّد المادة اشار اليهِ الدكتور فري منذ احدى عشرة سنة وسنفصلهُ في جزء تالٍ

معونة الاساتذة

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي ارصد مبلغاً كبيراً من المال ليعطي ريعهُ معاشاً للاساتذة وارامهلم وايتامهم . وقد بلغ هذا المال في اواخر العام الماضي ١٤٠٠٠٠٠٠ ريال اي مليونين وثمانمئة الف جنيه مصري . وقد بلغ المال الذي اعطي من ريعهِ للاساتذة وارامهلم وايتامهم من حين ارصد سنة ١٩٠٦ الى اواخر العام الماضي ٢٣١٦٤٠٤ ريالات او ٤٦٣ الف جنيه

دخل المدارس الجامعة باميركا

بلغ دخل المدارس الجامعة في اميركا في العام الماضي من ريع املاكها وعطايا اعانتها والحكومة الاميركية والولايات ٣٥ مليون ريال ٥ ملايين ريال منها من ديوان المعارف و١٨ مليون ريال من الولايات والباقي وهو ١٢ مليون ريال من ريع الاملاك والهبات . وقد بلغ دخل جامعة الينويز ٢٣٦٣٧١١ ريالاً وجامعة منيسوتا ٢٦٨٢٤٩٩ ريالاً وجامعة وسكونسن ٢ ١٢٢ ٢٩٧ ريالاً . ودخل جامعة كورنل اكثر من اربعة ملايين ريال . وبذل ذلك تنجح المدارس الجامعة وتنجح البلاد التي هي فيها

النظارة الكبرى

يراد عمل نظارة عاكسة لمرصد جبل ولسن باميركا قطر مرآتها مئة عقدة انكليزية (بوصة) اي اكثر من مترين ونصف متر لتكون اكبر نظارة عاكسة صنعت حتى الآن . وقد صنعت هذه المرآة في فرنسا وارسلت الى كليفورنيا باميركا فوجدت غير وافية بالمراد وقد شرع المعمل الذي سبكها في سبك مرآة غيرها والمنتظر ان تكون المرآة الثانية على ما يرام فتصنع منها اكبر نظارة فلكية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في مدينة برمنهام من ١٠ الى ١٧ سبتمبر المقبل برئاسة السر اوليفر لدج . وقد عين رؤساء اقسامهِ وهم الدكتور باكر للرياضيات والاستاذ ورن للكيمياء والاستاذ عاروود للجيولوجيا والدكتور عادو للزولوجيا والاستاذ دكسن

للجغرافيا والفسر وكستيد للعلوم الاقتصادية والمهندس اسبتول للهندسة والسر رتشرد تمبل للانثروبولوجيا والاستاذ غولند هكسلي للفسيولوجيا والسيدة ايثل سارجنت لعلم النبات والرئيس هرفث لعلم التعليم والاستاذ ود للزراعة · فتعيين سيدة رئيسة لفرع من فروع هذا المجمع من الامور النادرة في تاريخ العلم

بركان اساما ياما في اليابان

في بلاد اليابان بركان يقال لهُ اساما ياما مضت عليهِ نحو ١٣٠ سنة لم يثر ثوراناً يذكر ولكنهُ عاد الى الثوران سنة ١٩٠٩ ومن ذلك الحين الى الآن ثار خمس مرات وفي ١٤ دسمبر سنة ١٩١٢ ثار ثوراناً هائلاً فارتجت الارض حولهُ في دائرة مساحتها ١٦٠٠٠ ميل مربع وبقي يقذف الرماد يومين فغطى بهِ ارضاً مساحتها ٧٥٠ ميل مربع

تذكار اللورد لستر

تألفت في بلاد الانكليز لجان لجمع المال لتقيم بهِ تذكاراً للورد لستر · وسينفق بعض هذا المال على نقش صورة اللورد لستر في الرخام ووضعها بين تماثيل رجال الانكليز العظام في دير وستمنستر وبعضهُ على اقامة تذكار آخر في بعض الاماكن العمومية في مدينة لندن وبعضهُ يجعل جوائز يكافأ بها الذين ينفعون الناس بابحاثهم واكتشافاتهم في الجراحة

وبر الجمال في المعامل

حملت سيور الآلات في معمل بمدينة ملتون في الولايات المتحدة الاميركية من وبر الجمال عوضاً من الجلد فبقيت عشر سنوات لم ينقطع سير منها ويقال ان وبر الجمال اصلح من الجلد لهذا الغرض في المدابغ والمعامل التي تكثر فيها الرطوبة والحوامض الكيماوية التي تنتشر في الهواء

التعليم وتقليل النسل

اثبتت السيدة الدرتن بالاحصاء ان عدد المواليد في بلاد الانكليز حمل يقل من حين صار التعليم العمومي الزامياً سنة ١٨٧٠ لان الوالدين الفقراء كانوا يستعينون على معيشتهم بتشغيل اولادهم وهم صغار السن فكان الاكثار من الاولاد ربحاً لهم فلما اضطروا ان يرسلوهم الى المدارس لم يبق لهم ربح منهم وصاروا عبئاً عليهم فاخذوا يهتمون لكي لا يكثر اولادهم

معهد كارنجي للبحث العلمي

بلغت نفقات معهد كارنجي في وشنطون على الابحاث العلمية في العام الماضي ١١٤٨٠٠٠ ريال او ٢٢٥٦٠٠ جنيه

اصل الحروف الهجائية

المذهب الشائع ان الفينيقيين هم اول من استنبط الحروف الهجائية وقد اختلف الباحثون في كيف اتصل الفينيقيون الى استنباطها ومن اي شيء اشتقوها فذهب المسيو ده روجه الى انهم اشتقوها من الكتابة المصرية المعروفة بالهيراتيك لكن مذهبهُ نُقض الآن وذهب الاستاذ دلتزخ البرليني الى انهم اشتقوها من الكتابة الاشورية المسمارية . وذهب الاستاذ سايس الى انها سامية اصلاً وفرعاً شأت في سورية وانتشرت منها في الاقطار . وذهب الاستاذ بتري في كتاب الفهُ حديثاً الى ان اصلها قديم جداً وا كثرها تولد من العلامات التي كان الخزافون يرسمونها على الآنية التي يصنعونها

ما استعمل من الغاز سنة ١٩١٢

قدِّر ما استعملهُ الناس من الغاز الصناعي سنة ١٩١٢ لاجل الاستصباح والطبخ والدفء بنحو ٦٢٠ الف مليون قدم مكعبة استخرجت من ٦ مليون طن من الفحم . واستخرج معها من هذا الفحم ٣٠ مليون طن من الكوك و٣ ملايين طن من القطران وا كثر الناس استعمالاً للغاز الصناعي اذا قسم ما تستعملهُ كل مدينة على عدد سكانها هم اهل لندن وبلغاريا اهل امستردام ثم برلين ثم

نيويورك ثم باريس

سفينة من الخرسانة

بنيت في مدينة تلتيمور في اميركا سفينة من الخرسانة المسلحة (reinforced concrete) طولها ١١٢ قدماً وعرضها ٢٩ قدماً وعمقها ١٠ اقدام . وثخن جدرانها على جانبيها ٤ عقد وفي مقدمها ومؤخرها وقعرها ٦ عقد . وحمولها ٥٠٠ طن وستستخدم في نقل الرمل والحصى

نبات زراعي جديد

وزعت مصلحة الزراعة الاميركية على الفلاحين بزور نبات يقال لهُ دشين Dasheen لهُ جذور متجمعة كجذور البطاطس طعمها يقرب من طعم الفحم ويحتوي على مقدار كبير من الغذاء . وهو ينمو في البلدان التي لا تشتد حرارتها كثيراً ويمكن استعمالهُ طعاماً كما يستعمل البطاطس

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في اميركا في ٢٣ مارس الماضي خربت ٥٠ ١٠ بيتاً و١١ كنيسة في مدينة اوماها وقتلت من اهالي اوماها وتيرسكا ١٥٠ نفساً . وتلت الزوبعة امطار غزيرة ففاضت الانهر هناك وغرقت بعض المدن التي على ضفافها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٦ جماد الثاني سنة ١٣٣١

تمثالا الدكتورين المتفضلين

الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات

نشرنا في صدر هذا الجزء صورتي التمثالين النصفيين اللذين صنعهما تلامذة الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات ومريدوهما واهدوهما الى المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت تذكاراً لهما وعلامة شكر لفضلهما عليهم· وقد كتب الينا ذوو الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات شاكرين ما ابداه مهدو هذين التمثالين من دلائل الحب لاستاذيهم والاعتراف بفضلهما عليهم لكي ننشر شكرهم هذا على صفحات المقتطف

وعسى ان يفي هذان التمثالان بالغاية العظمى المقصودة منهما وهي تذكير كل من يراهما بسيرتي صاحبيهما الفاضلين وسعيهما المتواصل في خدمة العلم والفضيلة. وان يشيع بين المشارقة عموماً اقامة التماثيل للفضلاء الذين امتازوا بافادة ابناء نوعهم فان ذلك من اقوى وسائل الحض على ما يعلي شان الوطن عدا ما فيه من اظهار اشرف مزايا الانسان وهي الشكر للمحسن على احسانه وان يؤذن في نصب هذه التماثيل في الاماكن العمومية حتى يراها الناس على اختلاف طبقاتهم

لورد كرومر عن الصين

[لا يزال لورد كرومر مهتمًّا بالمسائل الشرقية ولا يزال الاوربيون ينظرون اليهِ كاكبر ثقة فيها . وقد ظهر في العام الماضي كتاب عن حوادث الصين الاخيرة وحالتها السياسية لرجل اسمهُ بلند فطالعهُ لورد كرومر وبنى عليهِ مقالة في مجلة القرن التاسع عشر فرأيناها ورأينا فيها ما اعتدنا رؤيتهُ في اقوالهِ من الآراء الصائبة والاحكام المبنية على قواعد علم الاجتماع لكنهُ اميل فيها الى التشاؤُم منهُ الى التفاؤُل فاقتطفنا منها ما يأتي قال]

لقد انتشرت الآن في البلاد الشرقية اوراق الدستور فصارت او يخشى ان تصير معاثر في سبل الاصلاح فتراها مبثوثة في تركيا وايران والصين كأنها انتشرت بالعدوى ولا بدَّ من ان تسير سيرها الخاص بها كسائر الامراض المعدية

اذا أُعطي الدستور لبلاد قابلهُ الاهلون اولاً بالتهليل والابتهاج ونمى بمدحهِ عامتهم وخاصتهم وعلقوا عليهِ آمالاً كباراً . كذا حدث في ايطاليا زمن غاريبالدي وكذا حدث في تركيا وايران والصين . وقد قال مؤلف هذا الكتاب ان الناس تعاهدوا في الصين وهم يبكون فرحاً قائلين قد نلنا الحرية والمساواة والاخاء . ونحن الانكليز لا نبرأ من اللوم على ما نرى من تملق اليابانيين والفرس والصينيين عنان الآمال لان عندنا اناساً يعتقدون انهُ يجب على كل الامم ان تأخذ احذنا وتنسج على منوالنا وهم من هذا القبيل مثل رجل من اصدقائي مرَّ من اورث صعيد الى مصر فحكم ان المصريين لا يصلحون للزراعة لانهم لا يكومون الدرس في اطيانهم كما نعمل نحن في بلاد الانكليز . وقد حاولت ان ابين لهُ ان طريقتنا لا تصلح في القطر المصري فلم يقتنع . فان عندنا رجالاً يطوفون في البلدان ويقولون لاهلها ان مجالس النواب تصلح الامم وتغير اخلاقها واطوارها . وقد قال مؤلف هذا الكتاب ان تانغ زعيم الجمهوريين في الصين يعتقد ان الدستور عملاً سحريًّا في النفوس فينيل الامم الحكمة والقوة والمنعة . وما يقولهُ تانغ في الصين يقولهُ كثيرون في القسطنطينية والقاهرة وطهران

ومن رأي المؤلف ان العقبة الكؤُود في طريق الصين لا يمكن ازالتها بتغيير شكل الحكومة سواءٌ اعطيت مقاليدها لرجل جمهوري بحت مثل سن يات سن وساعدهُ جمهور من مقلدي الاجانب او لامرأة سفاكة للدماء انتهت في أُخريات ايامها الى اوربا لتتناول منها الاصلاح ظانة انهُ السبيل الوحيد لحفظ بلادها وحفظ الملك في بيتها

وداء بلاد الصين ليس سياسيا ولا يمكن ان يشفى بكل الاساليب السياسية والقوانين

الدستورية بل هو معاشيٌّ اجتماعي فان الضرار وعبة كثرة النسل الناجمة عن عبادة الاسلاف اكثرت السكان حتى ازدحمت بهم البلاد واكتظت اكتظاظاً ولذلك كثرت فيها المجاعات والثورات . وكل الذين نادوا بالاصلاح لم يتكلم احد منهم كلمة في هذا الشأن

وهذا الداء فاشٍ في بلاد الهند ايضاً ولا يمكن شفاؤُهُ بالاعمال الخيرية لان هذه الاعمال تقاوم الامراض وتقلل الوفيات فتزيد السكان ازدحاماً ولم يكن عدد السكان يزيد زيادة كبيرة في عهد ملوك الهند السابقين لان المجاعات والاوبئة كانت تفتك بهم والحروب الداخلية تلاشي كثيرين منهم فلا يبقى الأمن كان اصلح من غيره للبقاء . والآن مُنعت الحروب الداخلية وبادر اهل البر والاحسان الى معالجة المرضى حتى لا يموت احد يمكن ان يشفى بالعلاج والوقاية فزاد عدد السكان زيادة كبيرة وازدحمت بهم البلاد لا اقول ذلك للحط من كرامة اهل البر والاحسان كلا بل اني اعتقد ان الحكومة التي تقاوم عملهم او لا تأخذ بيدهم هي حكومة معطلة خالية من الشفقة والحنان ولكن هذا لا ينفي كون ازدياد السكان عقبة من اكبر العقبات التي تلاقيها كل حكومة في سبيلها

ويمكن اصلاح الحال في الصين بعض الاصلاح باغراء الناس بالمهاجرة حتى لا تبقى بلادهم مزدحمة بهم وحتى تصير خيراتها كافية للذين يبقون منهم فيها فلا تضيق عليهم موارد الرزق . ولكن مهاجرة الصينيين اصبحت الآن ضرباً من المحال لان الاوربيين والاميركيين اوصدوا ابوابهم في وجوههم خوفاً من ان يتغلبوا على عمالهم ويجيعوهم جوعاً لان العامل الصيني يكتفي باجرة لا تكفي لمعيشة العامل الاوربي او الاميركي وهذا هو الخطر الاصفر الحقيقي . ولا عجب اذا اغتاظ الصينيون من هذه المعاملة وحسبوها بعيدة عن الانصاف فان الصيني يقول مخاطباً الاوربيين والاميركيين انكم تطلبون مني ان افتح ابوابي لمرسليكم وادفع الاذى عنهم وانا لست في حاجة اليهم لان عندي في مذهب كنفوشيوس ما يغنيني عن كل مذهب آخر ومع ذلك اني طلبكم والعدل يقضي ان تعاملوني بالمثل وتبيحوا لابنائي وطني ان يدخلوا بلادكم و يرتزقوا فيها بعمل ايديهم والا فدعاؤكم الانصاف وحب البشر ادعاء فارغ تكذبهُ شواهد الامتحان . وليس للاوربيين والاميركيين الا جواب واحد وهو ان مصالحهم تقضي عليهم ان يمنعوا مناظرة الصينيين لهم وان الحق للقوة . وهذا الجواب يرضي رجال السياسة ولكنهُ لا يرضي رجال الآداب والفضائل

ولكن هب انهُ أبيح للصينيين ان يهاجروا الى البلدان الاوربية والاميركية فهذه المهاجرة لا تغنيهم ولا تزيل ما في بلادهم من الازدحام لانها لا يمكن ان تبلغ مبلغاً كبيراً .

واما الدواء الثاني لازدحام السكان فهو تسهيل انتقالهم من الاماكن المزدحمة الى الاماكن القليلة السكان في الصين نفسها فان فيها بلاداً واسعة لا سكان فيها او سكانها قليلون جداً والانتقال اليها ليس بالامر السهل والسبيل اليه ان تمد سكك الحديد في البلاد وتصلح اعمال الري فيها لكي يسهل استثمار خيراتها وهي كثيرة جداً باجماع الآراء . ولكن هذه الاعمال لا تعمل الا اذا تيسر المال الكافي لعملها والمال من اوربا والماليون الاوربيون لا يقدمون اموالهم الا اذا وثقوا انها تنفق في السبل النافعة حتى تبقى محفوظة وتأتيهم بالربح الكافي . فلا بد اذاً من اصلاح ادارة البلاد المالية قبل كل شيء حتى يكون للماليين ثقة بها . وهذه الثقة معدومة الآن من بلاد الصين فان رجال الحكومة الجمهورية فيها هم مثل رجال الحكومة الملكية السالفة لا يستطيعون ان يستلموا اموال الحكومة من غير ان يختلسوا جانباً منها

قال باحث خبير باحوال الشرق وهو المستر ستنلي لاين بول ان الشرقيين من اميل الناس الى اقتباس معايب الغربيين . وهذا ما حدث في الهند وتركيا ومصر وايران . ولم يجر اليابانيون هذا المجرى حتى الآن بل لا يزالون متمسكين بفضائل اسلافهم ولكن لا يبعد ان يتركوها ويقتبسوا رذائل الغربيين . وقال المستر بلند مؤلف هذا الكتاب ان الصين الفتاة تركت تعاليم كونفوشيوس التي تحث على الآداب ومحبة الوطن ولم تستطع ان تقتبس ما يقوم مقامها من الآداب الاوربية . ابدلت المصباح القديم بمصباح جديد ولكنها لم تجد الزيت لهذا المصباح لتنير الظلمة التي امست فيها . يتعلم الشاب الصيني في جامعة هرفرد او جامعة اكسفرد فيتشرب عقله مبادئ اجتماعية مناقضة للمبادئ المتبعة في بلاده ولكن المبادئ التي تشربها لا تجعله ينظر الى الحياة كما ينظر اليها الانجلوسكسون ولا توجد فيه الاخلاق التي هي نتائج قرون كثيرة مرّت علينا ونحن ننشئ عمراننا . فيتعلم الصيني اعلى العلوم الاوربية ولكنه يبقى صينياً بعيداً عن التخلق باخلاقنا العقلية والعملية ينظر الى الامور نظراً فلسفياً فيفتش عن الاسباب ولا تهمه النتائج . يتعلم في مدارس القضاء ويمارس المحاماة عشر سنوات في لندن او وشنطون ثم يرجع الى بلاده وفي نصف سنة يعود الى منهاج اسلافه في آدابه واخلاقه . وهذا الامر معروف شائع في الصين حتى ابطل الاوربيون تنبيه الاذهان اليه

اذا استلم رجال الحكومة الصينية الاموال الكثيرة اللازمة لاصلاح البلاد وتنميرها لايمكن ان تصلح بل يبقى دستورها حبراً على ورق لجهل منفذيها بالعفة والامانة . قال المؤلف ان الاوربيين القاطنين في الصين والمتجرين معها يعتقدون ان الصينيين الذين تعلموا في مدارس المرسلين ليسوا اكثر امانة من غيرهم من الصينيين

ولذلك لا يصحُّ ان تُقرِض الصين الاموال الاوربية ما لم يراقب الاوربيون انفاقها مراقبة دقيقة . والصينيون يكرهون هذه المراقبة ويأبونها لاسباب مختلفة بعضها شريف وبعضها غير شريف ولكن لا شبهة في ان جانباً كبيراً من الاموال يضيع ان لم يراقَب انفاقها المراقبة التي اشرت اليها . ولا تحلُّ مشكلة الصين بغير هذه المراقبة . ويظهر كيف يمحق الصينيون اموالهم من الحادثة التالية التي ذكرها المؤلف وهي ان شركة سكة الحديد المعروفة بسكة سرشوان استعدت لانشاء هذه السكة بتعيين مأموري المحطات اولاً وان رجال الحكومة الصينية ابتاعوا ١٤٠٠ مدفع من المدافع الالمانية المتعددة الطلقات بتسع مئة الف جنيه واخذوها في شنهاي ولم يستعملوها ولا دفعوا ثمنها

والذين اختبروا الادارة المالية في البلدان الشرقية يقولون ان مراقبة نفقات الحكومة لا تكفي بل لا بدَّ ايضاً من مراقبة اساليب دخلها فقد قال المستر بلند ان الذين يجبون الضرائب يجبون خمسة ريالات على الاقل لكل ريال يصل الى خزينة الحكومة . وهذا يذكرني بما كان جارياً في القطر المصري في عهد اسمعيل ولذلك يرجى من السياسيين والماليين الاوربيين ان ينظروا الى مصلحة الدائنين والى مصلحة الصينيين انفسهم ولا ينفكوا عن طلب المراقبة المالية الدقيقة كشرط اساسي لازم لقرض الاموال

اما كون الجمهورية ثابتة في الصين او غير ثابتة فالثقات الذين يحقُّ لهم ان يبدوا رأياً في هذا الموضوع مختلفون فيهِ تمام الاختلاف ولكن المستر بلند واثق ان تعاليم كنفوشيوس راسخة في نفوس الصينيين تمام الرسوخ ولا يمكن نزعها منهم وعليها بني نظام الصين السياسي والاجتماعي حتى الآن . وان الحكم النيابي قد يفلح في ولاية كنتون وولاية كوانغ لانهما اكثر الولايات الصينية ارتقاء واما في سائر الولايات فلا امل بان تصير الحكومة نيابية اي يصير مجلسها النيابي نائباً حقيقياً عن الشعب الصيني . ومن رأيهِ انهُ يمكن بقاء الجمهورية في الصين بعد نزع كل المزايا الجمهورية منها . وهذا قد احدث فيهِ الحكومة الحاضرة فصارت جمهورية بالاسم واستبدادية بالفعل بل صارت استبدادية غير مشروعة تنتقل من جماعة من الافاقين الى جماعة اخرى . وما ادعاه اصحابها النيابة عن الشعب الأ عامل من العوامل التي ستسبب زوالها

اما انا فلا اعرف من امور الصين ما يخولني اثبات ما قالهُ المستر بلند او نفيهُ ولكن يظهر ان ما قالهُ عن ماضي الصين مبني على بحث دقيق محقق وما قالهُ عن مستقبلها يميل الى تصديقهِ الذين درسوا اخلاق الشرقيين وعرفوا تاريخ الشرق

كرومر

غرائب العادات

في الموت والدفن والحداد

الاعتقاد الشائع عند الشعوب الهمجية ان المرض والموت تحدثهما الارواح ولا تفعل الروح ذلك الاَّ اذا دعاها لفعلهِ احد السحرة كما سيجيءُ

والغالب في جزائر سلمون ان يدفن الميت في التراب ولكنهم قد يلقونهُ في البحر او يفرقون بين ميت وميت فيدفنون الخاصة في التراب ويلقون العامة في البحر وفي بعض الاماكن يحتفظون ببعض عظام الميت ويحملها اقاربهُ للتبرُّك بها او يدفنون جمجمتهُ او احدى اسنانهِ او براجمهِ في مكان من اماكن العبادة · وبعضهم يدفن الميت في التراب حتى اذا بلي لحمهُ نبشوهُ واخذوا عظامهُ فردًا فردًا وكثيرًا ما يدفنون مع الميت حلاهُ وبعض امتعتهِ او يتلفونها او يضعونها الى جانب قبرهِ حتى تأتي روحهُ وتأخذ روحها

وقد تدفن القبيلة رئيسها وتبقي رأسهُ قرب سطح الارض وتضرم فوقهُ نارًا تحرق لحم الرأس وتجردهُ من عظمهِ ثم تنزع جمجمتهُ للتبرك بها · وفي بعض جزائر سلمون تحرق جثث الرؤساء وجثث اعضاء عيالهم ويحفظ رمادها وما لا يحترق من عظامها وقد توضع الجماجم في اطراف الجزيرة ويقام عليها رجمة كبيرة من الحجارة فتصير معبدًا

والغالب في الجانب الشرقي من جزائر سلمون ان تقام رجم كبيرة فوق قبور الرؤساء ويُنحت جذع شجرة في هيئة تمثال وينصب فوق الرجمة وتوضع عليهِ بعض آثار الميت وادواتهِ فيصير هذا القبر حرمًا او معبدًا

والمتوحشون من اهالي غينيا الجديدة يضعون جثث رؤسائهم واهل الوجاهة منهم على عرازيل من العيدان او على اغصان نبتة مقدسة ويتركونها هناك حتى تبلى

ولهم اساليب مختلفة للاحتفال بجنازة الميت أُهمل اقدمها الآن بعد الاتصال بالاوربيين · من ذلك ما حدث حينما توفي رئيس في شبه جزيرة الغزال من جزائر بسمارك فانهُ لما رأى ذووهُ ان وفاتهُ دنت قُرع الطبل الكبير واجتمع اقاربهُ ودنا منهُ الادنون منهم وجعلوا يلمسونهُ بانامِلهم وهم يعزونهُ وجلس الباقون حولهُ وهم يعضون الفوفل وانفصل النساء عنهم وجعلن يبكين · ولما اسلم الروح قُرع الطبل قرعًا شديدًا وطفق احد الجميع يبكون ويعولون ويأتوا يندبون ويطلقون الى الصباح · ثم نصبوا دكةً خارج الحلة ووضعوا عليها جثة الميت جالسًا كما ترى في الصورة المقابلة · ثم جمعوا امتعتهُ كلها ووضعوها حولهُ واتلفوا حقولهُ · و بعد

قليل خرج اناس من الغاب مرتدين اردية غريبة الشكل وجعلوا يطوفون حول جثته راقصين على قرع الطبل وجاء احد اقاربه ووضع عوداً من عودهم تحت قدميه ثم وزعها على الراقصين فاخذوها وانصرفوا وأتي بزورق ووضع الميت فيه ووضع مجذاف في يده وسير بالقارب الى القبر واشتد العويل حينئذٍ وحاول انسباء الميت ان يلقوا بانفسهم الى القبر ولم يصرفهم المشيعون عن ذلك الأ بعد عناء شديد واخيراً دفن الميت وقرع الطبل واستمرّ قرعه الى الصباح من غير انقطاع وغرضهم من ذلك تشييع الروح في ذهابها شرقاً. ويقولون انها تعود صباحاً عند شروق الشمس فيرقبون شروقها بفارغ الصبر وبعد سنة او اكثر ينبشون جمجمة الميت ويدهنونها بلون احمر وابيض ويزينونها بالريش ويضعونها على دكة خاصة

وكان اهالي جزائر بسمارك يدفنون مع الرئيس زوجة او زوجتين من زوجاته وعبداً او اثنين من عبيده وقد أبطلت هذه العادة الآن ولكنها لا تزال مرعية في جزيرة بوغنفيل من جزائر سليمن والغالب ان لا يدفن العبيد مع مولاهم احياء ولكنهم يقتلون لكي يتبعوه ويخدموه

واذا مات رجل في جزيرة سنكاژين كوخه ووضعت جثته فيه بعد تزيينها وأتلفت مزروعاته وذبحت خنازيره ووزع لحمها وكسرت الآلة الحربية واذا كان من الاغنياء قتلت زوجاته ثم يدفن في اليوم التالي قائماً ورأسه فوق الارض ويغطى رأسه باوراق الموز حتى لا يمسه التراب ويوضع حوله دارة من الحجارة وتوقد فيها نار وينام ذووه على مقربة منه الرجال في جهة والنساء في اخرى لكي يطردوا الروح عنه ولكنهم لا يذكرون الوقت الذي يفعلون فيه ذلك لكي لا تحاذرهم الروح فيستعدون لطردها ليلاً وحية وينهضون في الصباح باكراً وهم ينادون ويزعقون ويقرعون جدران بيوتهم ويركضون والمشاعل في ايديهم فتخاف الروح وتهرب منهم

ومتى بلي لحم الميت نبشوا عظامه ووضعوها في كيس من اوراق الاشجار وعلقوها في البيت ثم اولموا وليمة تذكاراً له. ويضع ابنه هذا الكيس على كتفه ويقسم لكل واحد من الحضور قسماً من الوليمة ثم يعيد العظام الى مكانها وتدوم الوليمة ثلاثة ايام يرقص فيها الرجال والنساء

واهالي جزيرة نيو ارلندا وجزيرة نيوهنوفر يضعون الميت على مصنع من الرماح ويحمله اقاربه ويطوفون به من بيت الى بيت وهم يبكون وينوحون رجالاً ونساء وينصبون له دكة في اليوم التالي خارج المحلة يضعونه عليها ويضعون تحتها حطباً يضرمون فيه النار ويصعد احد اقاربه اليه والرمح في يده يجسه به الى ان تضطره النيران الى النزول عن الدكة واخيراً تصل النار اليها وتقع الجثة في النار وتحترق كل ذلك والبكاء والنحيب متواصلان. وتولم حينئذٍ وليمة للحضور وتنصب خيمة فوق النار ثم يجمع رماد الميت بعد بضعة اسابيع ويمزج

بلبن جوز النارجيل وتدهن به اجسام اقارب الميت الحادين عليهِ ومتى تمت ايام الحداد اولمت لهم وليمة فكان بها الختام

وعاداتهم في الحداد على موتاهم ليست اقل غرابةً من عاداتهم في دفنهم فاذا مات رجل في غينيا الجديدة البريطانية حدَّ عليهِ كل اقاربهِ وامتنعوا عن الرقص والغناء واطلوا طلي اجسامهم بالاصباغ الحمراء ولم يُسمح للرجال ان يضعوا على ابدانهم شيئاً ملوناً وأبدل النساء الوزرة ذات الاهداب بشيء لا يغطي اوراكهنَّ . وفي بعض الاماكن لا يحدُّ الاقارب على الميت الاَّ بعد دفنهِ باسابيع واشهر ومتى ارادوا الشروع في الحداد طلوا ابدانهم بطلاء اسود وحلقوا شعور رؤُسهم اما النساء فيحلقنَ شعورهنَّ كلها واما الرجال فيبقون بعضاً منها فوق آذانهم . و يولمون وليمة و يلبسون كلهم ثياب الحداد وهي عقود واساور ومناطق من الحشيش المضفور . و يدوم الحداد اشهراً لا يجوز فيها للحادين ان يغتسلوا ولا ان يأكلوا الاَّ اطعمة خاصة و ينتهي الحداد بوليمة تولم لهم

وفي بعض جهات استراليا يقص نساء الميت شعورهنَّ و يطلين ابدانهنَّ بالطين و يجلسن لمن مر بهنَّ يجلسن محلةً بعيداً عن المحلة كما ترى في الصورة السابقة وفيها صورة امرأتين توفي زوجها فعصبتا بعض الاعصاب وجلستا تحتها وامتنعتا عن الكلام كل مدة الحداد وقد تكون اشهراً

ولاهالي جبال مفولو عادة لم تُرَ عند غيرهم وهي انهم يحمون امرأةً ترقب المحتضر ومتى رأت انهُ اسلم روحهُ ضربتهُ على رأسهِ ضربةً شديدةً حتى تجهز عليهِ اذا كان لا يزال فيهِ رمق او يفيق اذا كان قد اغمي عليهِ فقط واذا كان المريض رئيساً من رؤَسائهم اعطوا ساحراً الخرقة التي يتزر بها و بقايا الطعام الذي اكلهُ اخيراً فيضعهُ في الخرقة و يذهب بها الى الغاب و يلفها باوراق الاشجار و يغطيها بكومة من الحطب ثم يضرم النار في الحطب و بعد بضع دقائق يستخرج الخرقة من النار و يفتحها فاذا وجد الطعام فيها قد احترق او شاط استدلَّ من ذلك على أن الرئيس مائت لا محالة فامر بضربهِ على رأسهِ الضربة التي تجهز عليهِ والاَّ استدلَّ على انهُ سيشفى . وقد يتَّهم الساحر بانهُ هو الذي جعل الطعام يحترق بسحرهِ فتنشب الحرب بين ذوي الرئيس وذويهِ . وحالما يعلن موت احد يعلو صياح اهل قريتهِ ويبدل النساء نوحهنَّ بالندب ويواصلن الندب الى ان يدفن الميت فيطلي اقاربهُ ابدانهم بالطين و يأتي المعزّون من القرى المجاورة رجالاً ونساء ولكن لا يرى الميت الاَّ النساء وتقام الجنازة بعد اربع وعشرين ساعة فتلف جثة الميت باوراق الاشجار وتثنى ركبتاهُ حتى تصلا الى ذقنهِ ويحمل الى القبر والنساء يندبن ومتى دفن علا صياح الرجال لتخويف الروح وطردها

الوقاية من الامراض

جاء من اميركا في اواخر الشهر الماضي ان الاطباء في دار البحث الطبي التي انشأها المستر ركفلر اكتشفوا طعماً يقي من ذات الرئة . ومن يطلع على ما اكتشفوه حديثاً من هذا القبيل يجد انهم كادوا يقون الانسان من كل الادواء واليك البيان

لا يخفى ان الوقاية من الجدري تقوم بالتطعيم اي باستخراج المادة الجدرية من مجل مصاب بالجدري وادخالها في جسم الانسان وذلك بان يجرح ساعده او ساقه جرحاً صغيراً جداً وتمزج المادة الجدرية بدم الجرح فيصاب الانسان بشيء من الجدري الخفيف السليم يقيهِ من الاصابة بالجدري الشديد الخطر . وعلى هذا النمط يوقى الانسان الآن من امراض كثيرة بان يطعَّم بمادة تستخلص من حيوان مصاب بالمرض الذي تراد الوقاية منهُ . وقد تكون هذه المادة محتوية على ميكروب المرض ولكنهُ ضعيف لا يقوى على الجسم كما في ميكروب الزكام والدمامل او تكون محتوية على شيء الرزء ُ الميكروب فكان مميتاً لهُ كما في المصل الواقي من الدفتيريا والمصل الواقي من التتنوس

وميكروب الزكام والدمامل والبثور من النوع العنقودي Staphylococus سمي بذلك لانهُ نقط صغيرة مجتمعة كالحبوب في عنقود العنب وهو كثير في الهواء والغبار وكل مكان فلا يسلم انسان من شروره . واول من تولّى قيادهُ وربّاهُ وطعَّم الناس بهِ حتى كفاهم شرهُ السر امروث رَيْط Almroth wright فانهُ ربّاه هذا الميكروب في مرق لحم البقر المعقم حتى نما وتكاثر فيهِ وبلغ مئات الملايين عداً ثم اماتهُ بالحرارة والحامض الكربوليك وخففهُ بالماء حتى صار في خمس عشرة نقطة من هذا المرق المخفف مئة مليون ميكروب من الميكروبات العنقودية وتطعَّم بهِ وطعَّم غيرهُ فوجد انهُ اذا طُعِّم الانسان تحت جلدهِ بخمس مئة مليون من هذه الميكروبات الميتة ثم طُعِّم ثانية بعد عشرة ايام بالف مليون ميكروب وثالثة بعد عشرة ايام اخرى وُقي من البثور والدمامل والقروح وما اشبه واستمرت هذه الوقاية سنوات عديدة

وقد شاع التطعيم بهذه الميكروبات للوقاية من البثور والقروح والدمامل حتى جعل الجراحون يطعمون المرضى بها قبل العمليات الجراحية لكي لا تفسد ما يصيب جروحها من الميكروبات العنقودية

وقد استخرج السر امروث ريط ميكروب الحمى التيفويدية سنة ١٨٩٦ ورباهُ في المرق

النقي الى ان توالدت منهُ ملايين الملايين فقتلها وملأَ بها انابيب صغيرة من الزجاج وضع في كلٍّ منها خمس مئة مليون ميكروب ووزعها على اطباء الجيش الانكليزي في الهند وجنوب افريقية فطعموا بها الجنود فقلَّ عدد الذين اصيبوا بالحمَّى منهم وقلّت وفياتهم بها كا ابنّا مراراً. وقد ثبت ذلك لدى حكومة اميركا وحكومة اليابان حتى جعلتا التطعيم بهذه الميكروبات الوقاية من التيفو يد الزاميَّاً لجنود والبحَّارة وضباطهم وحتمت ان يعاد تطعيمهم كل ثلاث سنوات. ومنذ سنتين ارسلت الحكومة الاميركية عشرين الفاً من جنودها الى حدود المكسيك ولكنها طعمت كلاً منهم مرتين بالطعم الواقي من التيفو يد قبل ارسالهم وكان في كل طعم الف مليون ميكروب من ميكروبات التيفو يد فلم يصب احد منهم بهذا الداء. وذكر ذلك الرئيس تفت في بداءة العام الماضي كاغرب شيء حدث سنة ١٩١١

قال الدكتور هري شورز ان في احد المستشفيات ٩١ من الممرضات تطعم ٨٨ منهنَّ بالطعم الواقي من التيفو يد منذ سنتين لوقايتهن من هذا الداء واما الثلاث اللواتي لم يطعمن فاصيبت واحدة منهنَّ به وماتت . وطُعِم الممرضات كلهنَّ في مستشفى آخر ما عدا واحدة كانت غائبة فلما عادت الى المستشفى اصيبت بالتيفو يد. وطعم الممرضات كلهنَّ في مستشفى ثالث سنة ١٩١٠ ثم جاءهُ ثماني ممرضات اخريات سنة ١٩١١ ولم يطعمن فاصيب ثلاث منهنَّ بالتيفو يد. وكل الممرضات اللواتي طعمن في المستشفيات الثلاثة لم يصبن بالتيفو يد. وقد بلغ عدد الذين طعموا حتى الآن من جنود الولايات المتحدة وبحارتها نحو مئة الف و يقال ان كل اطباء مدينة بلتيمور وممرضاتها تطعموا لكي يقتدي بهم السكان

لما فاض نهر المسيسبي في الربيع الماضي امتزج ماء الشرب بمواد المراحيض في مدينة ممفس فانتشرت الحمى التيفو يدية فيها حالاً ولكن بادرت الحكومة بارسال طعم التيفو يد اليهم فتطعَّم منهم خمسة وعشرون الفاً في ايام قليلة فانقطع دابر الحمى في ستة اسابيع مع ان كثيرين طُعِّموا بعد ان دخل ميكروب الحمى ابدانهم بماء الشرب ولكن الطعم وقاهم من ظهور المرض فيهم او اضعف وطأَتهُ جداً

وحدث مثل ذلك في مدينة بيروت سنة ١٨٩٥ وكتب الدكتور ورتبات مقالة في هذا الموضوع بعث بها الى المقتطف ونشرت فيهِ في شهر ابريل سنة ١٨٩٦ قال فيها « في الرابع عشر من اكتوبر سنة ١٨٩٥ هطل مطر غزير في بيروت وجوارها دام نحو ساعتين بلا انقطاع فبلغ ما وقع منهُ اكثر من اربع عقد انكليزية و بعد ذلك بنحو اسبوعين اصابت الحمَّى كثيرين من السكان وعند ظهور العلامات المميزة عرف انها الحمَّى التيفو يدية

وكانت الاصابات في زمن واحد ناشئة من سبب واحد وربما لم يكن عددها اقل من اثنين وهو نحو اثنين في المئة من سكان بيروت . وظهر مما تلا من مراقبة الوافدة ان المادة المعدية كانت سامة جداً بدليل شدة الاعراض وطول المرض وكثرة عدد الوفيات وبطء النقاهة والميل الى الانتكاس وظهر ايضاً ان واسطة العدوى كانت كثيرة الانتشار ممتدة على مساحة واسعة » والمياه تأتي بيروت بقناة مفتوحة في اوائلها والظاهر ان السيول جرفت اليها مياهاً ملوثة بمفرزات محتوية على كثير من ميكروب التيفويد . فتلوث بعض الماء بها ووصل الى الذين شربوهُ في بيروت . وقد نفى ذلك مهندس شركة الماء زاعماً ان الذين يشربون من ماء القناة حيث هي مفتوحة لم يصابوا بالتيفويد وفاته ُ ان الماء الملوث انصب في القناة وجرى مع مائها في دقيقة من الزمان وقت وقوع المطر وغادرها نظيفة ولا يحتمل ان الناس استقوا من القناة والسيل منهمر

وحدث مثل ذلك في مدينة مدستون ببلاد الانكليز على اثر تلوث الماء الذي يشرب منهُ سكانها بميكروب التيفويد فأصيب به ١٩٠٠ منهم وعددهم لا يزيد على ٣٥٠٠٠ . وحدث مثلهُ ايضاً في مدينة بليموث باميركا وعدد سكانها ١٣٥٠٠ فاصيب منهم ١٢٠٠

وما قيل في فائدة طعم التيفويد يقال في فائدة طعم الطاعون الذي اكتشفهُ الدكتور هفكن وهو مرق لحم ربي فيهِ ميكروب الطاعون ثم اميت كما يربى ميكروب التيفويد ويمات . وكان هفكن يحقن الانسان مرة واحدة لكن الدكتور شيما الياباني والدكتور مكتشنيكوف والدكتور ربط وغيرهم جعلوا يكررون الحقن ثلاثاً وبين كل حقنة واخرى عشرة ايام فجاءت الوقاية تامة بل اتم من الوقاية من التيفويد

ومن الامراض الخبيثة التي تأتي بصورة وافدة المرض المعروف بالالتهاب السحائي Meningites ومن غريب امرهِ ان عدواهُ تنتقل بواسطة الاصحاء كما تنتقل بواسطة المرضى فقد يحمل الانسان ميكروبهُ ولا يُعدَى بهِ بل ينقل العدوى الى غيرهِ ولذلك يخشى شرهُ اكثر مما يخشى شر غيرهِ لان الانسان يجتنب المريض ولكنهُ لا يجتنب السليم . لكن الدكتور ابرهيم صوفيان والدكتور بلاك وجدا طعماً لهُ يشبه طعم الجدري واستعملهُ الدكتور صوفيان لما فشا هذا الداء في ولاية تكساس في اميركا وقد ثبتت فائدتهُ بوقايتهِ الذين طُعّموا بهِ فان الداء لم يصبهم بعد ذلك ولو عرضوا لهُ او اصابهم ولكن الاصابة كانت خفيفة جداً لان الوقاية لا تكون على درجة واحدة في جميع الناس - والذين يوقون بالتطعيم من هذا الداء لا يوقون من حمل ميكروباتهِ لغيرهم لانها قد تكمن في المخرين والحلق ولا بدَّ من البحث

عنها ومعالجتها ايضاً ان وحدث ولا يعلم حتى الآن كم تدوم الوقاية بواسطة التطعيم ولكن يرجح انها لا تدوم اقل من سنة

وقد اشار الدكتور هرشفلدر بطعم بقي من ذات الرئة فانهُ جمع كثيراً من ميكروبات هذا الداء واضاف اليها من عصارة المعدة والامعاء حتى انهضمت ثم رشحها برشح ستور ورباها في مرق لحم العجل وجعل ينقلها من مرق الى مرق حتى خف فعلها . وكان يجرب فعلها بالفيران والارانب الى ان ثبت لهُ انها صارت تقي الارنب ولا تميتها اي انهُ صار اذا طعم ارنباً بها ثم طعمها بالميكروب غير المخفف هي وارنب اخرى غير مواقاة ماتت الثانية ولم تمت الاولى . وتدرج في تطعيم القطط والكلاب والقرود الى تطعيم الناس . وآخر ما قرأناهُ عنهُ انهُ طعم عشرة بهذا الطعم فاصيب سبعة منهم باعراض خفيفة بعد اربع وعشرين ساعة واصيب الثلاثة الباقون باعراض مثلها بعد يومين ونصف ثم شفوا كلهم . والظاهر من الانباء البرقية ان الاطباء في معهد ركفلر تناولوا هذا الموضوع وحققوا فعل هذا الطعم او طعم آخر مثلهُ في الوقاية من ذات الرئة

الفقر والفقير

(تابع ما قبلهُ)

ومن بديع حكمة الله انهُ وضع للانسانية اصلاً من اصول نظامها في ضمير الانسان فترك لهُ ان يقترف ما شاء من الاثم ولكنهُ جعلهُ من الاحساس بطبيعة الخير والشر بحيث يكون لهُ من الذنب نفس العقاب على الذنب حتى ان شر المجرمين ليستعين على مقارفة جرمهِ بالتناع الضمير بدياً فيتذكر ما يبعث في دمهِ روح الغضب كالانتقام ونحوهِ او ما يثبت لضميرهِ انهُ يرحم نفسهُ بهذه الجناية كمدافعة الضرر وما اليهِ . وبالجملة فان اول همهِ ان يعتقد حقهُ عدلاً او شبيهاً بالعدل حتى لا يلتوي عليهِ امر نفسهِ اذا خذلهُ ضميرهُ فان اضطراب هذا الضمير يتصل بايدي المجرمين فاذا هو فيها شلل وبارجلهم فاذا هو زلل . وبنظام قوتهم فاذا هو خلل . وبعقولهم فاذا هو المسُّ والخَبَل واذا لم يُفلح الجاني في إقناع ضميرهِ او التلبيس عليهِ تخلص منهُ فصل بينهُ وبين العقل بالسكر وما هو في حكمهِ حتى لا يشهد شيئاً . افلا تجدون في تخدير اكثر المجرمين لضمائرهم ساعة الجناية دليلاً على ان الضمير الذي يشهد الذنب انما يتلقى منهُ العقاب عليهِ ؟

وماذا يكون بعد ان يضرب الشقيُّ تلك الحاسة الروحية التي نسميها الضمير بالشلل ؟ انهُ يهبط درجة واحدة ولكنها درجة الضمير التي لو جازها الحيوان لصار انساناً ولو نزل عنها الانسان لعاد حيواناً فلا يبقى فيهِ من ثمَّ الاَّ الفطرة الحيوانية التي تجعل عقل الحيوان مرة في القوة ومرة في الضعف فان احسَّ القوة على خصمهِ كان العقل في الظلم بكل ضروبهِ واشكالهِ وان هو احسَّ العجز والضعف ورأى ان لا قِبَل لهُ بخصمهِ فكفى باتقاء الظلم عقلاً ...

ان افقر الفقراء ليس هو الذي لا يجد غذاء بطنهِ ولكنهُ الذي لا يستطيع ان يجد غذاء شعورهِ فلا تحسبوا ان مع حنون الضمير ومرضهِ سعادة وراحة لان لذَّة المال لا تجاوز الحواس فهو يشتري لها كل شيء مما تشتهي ولكنهُ لا يستطيع ان ينيل القلب شيئاً الاَّ اذا اشترى لهُ الخير والفضيلة

والغنيُّ الذي يمنع الفقراء مالهُ يزيد فيهِ بمقدار ما يمنع بضعة دراهم او بضعة دنانير ولكنهُ يزيد ضميرهُ عذاباً بالقوة والغلظة ونسيان الفضيلة ولا يزال على ذلك حتى يمرَّ بهِ يوم يفقد فيهِ ضميرهُ كل شعور بالخير فيفقد معهُ كل شعور بلذة النفس التي هي المعنى الحقيقي للسعادة ويومئذٍ لو اشترى كل لذات الدنيا بمالهِ ما زادتهُ الاَّ الماً لانهُ فقد قوة من ضميرهِ تقابل القوة التي يفقدها المريض من معدتهِ . فلينظر الفقير الجائع وقد ترنَّح في عينهِ الجوع الى رجل ممعودٍ قد ابتاع مما تشتهيهِ معدة خيالهِ واسرف في ذلك حتى جمع منهُ الكثير الطيب ثم انقلب بهِ الى دارهِ ممعوداً من ذلك البئيس تكاد اشعتها تنضج الغذاء من حر نظراتها اليهِ . سلوا صاحبنا الفقير يقلْ لكم اي لذة يا قوم ليست في هذا ؟ وسلوا الممعودَ المسكين يقلْ لكم والله ما اجد في هذا كلهِ من لذة ولو اكلتهُ لكان الموت بعينهِ

اذن لا بد في كل شيء انساني من حقيقة باطنية في نفس الانسان تعطيهِ بصحتها او مرضها قوة اللذة او الألم فقيمة الغذاء عند الجوع والجوع نعمة من صحة المعدة وقيمة المال عند الفقر والفقر نعمة من صحة الضمير . ولو سألنا اغنى الناس عما هي لذة الغنى لرأيناهُ في حقيقة التعاسة النفسية كأفقر الناس اذا اجابنا عما هو ألم الفقر

وقد فُطر اكثر الخلق لطبيعة الخوف المتمكنة منهم على ان يتَّسعوا في فهم الآفات وحدها حتى صار هذا الوهم الخيالي اكبر الآفات الحقيقية فالفقير الذي لا يفهم حقيقة الفقر يتألم مادراكهِ ووهم وفلسفة اذ يقيس حاضرهُ على ماضيهِ وعلى ماضي غيرهِ من الفقراء ويقيس مستقبلهُ على حاضر الاغنياء فقط وبذا يكون الله عملاً عقلياً في شيء موهوم فما دام يتمنى اكثر مما يستحق فهو يتألم باكثر مما يستحق ولو تأمل الناس لرأوا انَّ نصف الفقر فقر كاذب .

فآه لو كان مع ضعف الفقر قوة الارادة اذن لوجد الحكماء في الارض شيئاً حقيقياً يسمونهُ الغنى

ايها السادة الفصل بين الغنى والفقر من الامور التي تتعلق بالضمير وحدهُ ورُبَّ غنى يزيد اهلهُ بالحرص والدناءة فقراً فانظروا فيهما بافكار الجبة لا تطلب الاَّ الفضيلة التي يمكن ان تكون بلا ثمن ولا يمكن ان يكون شيء ثمناً لها. انظروا الى بعض الاغنياء الذين تموت في قلوبهم كل المواعظ الانسانية فلا تثمر شيئاً من الخير حتى اذا ماتوا نبتت للناس من تراب قبورهم فاثمرت لنفوس الفقراء عزاء وسلوى وموعظة من زوال الدنيا انظروا بعين الحقيقة التي تعطي الطبيعة النظر فتعطيها محاسن الطبيعة الفكر

انظروا في باطن الانسان بالفضيلة التي هي من نور الله و بالحقيقة التي هي من نور الطبيعة فانكم لا ترون حقيقةَ الغنى تبتعد عن حقيقة الفقر الاَّ بمقدار شبر واحد هو ملء هذه المعدة

دموع الهرَم ودموع الصبا

من الشيخ الياس [illegible]

دجا الظلامُ فيا ليْلَى أما فينا ... روح ام الموت مثل الرزق جافينا

يأتي الصباح علينا لا يكفننا ... ويذهب الليل عنا لا يُوارينا

وتطلع الشمس تُحيينا وليس لنا ... زادُ الحياة فلِمْ يا ربِّ تحيينا

نور عالمَ سوء كلهُ ظلمٌ ... كالظل ضُمِّن منهُ النور تضمينا

الله كوَّنهُ تكوين مرحمةٍ ... وكوَّنهُ الناسُ بعد الله تكوينا

فأيهم ما اعتدى ظلماً وهل وجدوا ... من امةٍ لم تقل ظلماً ، اعادينا

يا ربِّ قد عاد صفراً عالياً ولقا ... ما كنت انشأتهُ من قبلها طينا

حبُّ الانام محاباة وقد قعدت ... عني المحبين فيهم والمحابينا

كأنني لستُ انساناً يشابههم ... ولا أعدُّ ولا بين المرائينا

يا نفس ويحك نرثي غير جائثة ... كانوا وكنا وما شاؤا ولا شئنا

وكلنا صائرٌ يوماً لمصرعهِ ... ان الذي هو سوَّانا يُساوينا

في الرذيلة نبلوهم فتضحكهم ... وفي الفضيلة نبلونا فتبكينا

وكل حسناء بين الناس ان شقيت ... فمن محاسنها لا من مساوينا

لا يخدعنَّك منا ظاهر حسَنٌ ... بالاجسام وعلَّتنا في خوافينا

وجهُ المنافق مرآةٌ منافقةٌ ... تحسِّنُ القبح للابصار تحسينا

فإن عييتَ بها فانظر شمائرنا ... فما شمائرنا الا مرائينا

ماذا لو اخترتُ من الدنيا لتحبيني ... وكيف تنثرُ بالدنيا امانينا

شيخ ضعيف تناهي السن طاح بهِ ... واليوم أحدق برجي الثمانينا

يرى الزمانُ لهُ من عطفهِ عناً ... ما انفكّ يُرعشهُ خطأً وتدنوبها

(جِلدٌ) يضم كتاباً حين أقرأهُ ... من الشقا دهرهُ سفرهُ مسكينا

حلتْ من نكدي ما إنْ ابصرهُ ... ليتركهُ الثقلا بلْها عجائبنا

ترمي الحوادث بي في كل بادرةٍ ... ولم ازل دائباً أبقى ويمضينا

كأن لي روح بركانٍ فما برحتْ ... حولي الحوادث يفجرنَ البراكينا

حتى الزمان فناني بعد معركةٍ ... كانت الشباب لنا فيها ميادينا

فكم لنا فتراتٌ في الزمان جرتْ ... سوابحُ الجِنّ فيها من نواحينا

وكم لنا طمحات في المنى سموا ... روح الجنان بها من زهر وادينا

وكم لنا ضحكات في الصبا ملأتْ ... أذنَ الشباب تطربها وتلهينا

انا لنفضي لدنْ يمضي الشباب ولا ... يعيش من بعدهِ الا اماسينا

فيا انا اليوم نضوٌ رازحٌ لصقٌ ... بالارض يا حشرات الارض واسينا

مُلقى نطايرُ حولي الناس لا وزرٌ ... منهم ولا ملجأٌ في الناس يؤوينا

يتخطون طريق السائلين ولا ... يرون في طرق الدنيا المساكينا

فلو رأوا موحشي في ارمسهم حجراً ... رأيتهم حرقوهُ غير ناسينا

يا من تنكبهُ الاقدام ان كُتبتْ ... لك الحياة فمن ايدي المحسنينا

ليلى وما انتِ الا دمعة جمعت ... حسناً وطهراً وآلاماً وتحزينا

ليلى أأنتِ أخرتِ البدر فابتسمت ... له الليالي وواحتنا لياليا

ليلى أحسنتكِ غاظ الزهر فاحتفلتْ ... به الصبابة تعطيراً وتلوينا

ليلى أأزريتِ بالاغصان فانتحبت ... لها الطبيعة ذي الأثواب تزيينا

ليلى ويا قلبي لو انت حليتها ... من لؤلؤ غير ما تفري مآقينا

ليلى ويا حزني انه لم تكن ملكاً ... الى يد الله لا ما بين ايدينا

الناس كالآل دون الدين قد صبأوا ... فويح من اشبهت في فقرها الدينا

ما يصنع الفضل والتقوى بفقرها ... وذي (فوائد) لا تنفي المرائينا

يا حسرتا حسرةً أمسي أجنُّ لها   من أنَّ سافلنا بالمالِ عالينا
الفقر حكمٌ في الدنيا شرائعها   والمال حكمٌ في الفقر القوانينا
كأنَّ هذا الذي يدعونهُ (ذهبا)   روح من النار ما تنفك تكوينا
ولاهُ في الناس قد صاروا ملائكةً   لكنهُ ملأ الدنيا شياطينا
قد استردَّنا لامر الله كيف قضى   مهوتي عنك يا ليلايَ تهوينا

اما الجميلة فارتاعت مدامعها   واستقرت من عيون القلب يجرينا
وحيدة ما لها كهفٌ تلوذ به   الأ الفضيلة حينا والمُنى حينا
أُودي ابوها واودت امها وطوى   عنها ترابهما حبَّ المحبينا
وجدُها كبقايا العمر قد طُرحت   على طريق الردى طرح المهينينا
فليس تعرف غير الحزن متصلًا   وليس تعهد في غير البكا لينا
تبكي ولا مسعدٌ يرثي لأدمعها   في الاكثرين ولا بين الاقلينا
دمعٌ يعم اذا عينُ الحزين رنت   قرابة الحزن في دمع المحزونا
يا ضيعة الحب امسى المال يعرضهُ   عرض المذلة في وجه الاذلينا
ندى الشباب بحر الحسن رفٌّ على   روض الهوى لا يرى فيه رياحينا

لا تعجبوا بعدها لله ينذرنا   من وزن اعمالنا في يوم يجزينا
حبٌّ الغني يجعل الدنيا (متاجرة)   فالعدل أن تنصب الاخرى (موازينا)

فالك لهُ وليحاج المسمع يغليها   وما نكاد نقيم اللفظ تبيينا
لا تأسَ يا أخي اني اصبتُ لنا   من عاديات الذي نخشاهُ تأمينا
اصبت قوما كراما اهل مرحمةٍ   يلقون اوجهنا غرًّا ميامينا
(عصابة) الله (الاحسان) بينهمُ   وبيننا فهمُ منَّا كأهلينا
ان شئتهم اخوةً لم يأنفوا واذا   اردتَ نصرتهم كانوا المحامينا
وان بغتك صروف الدهر قاتلةً   فزعزعتك تجد منهم اساطينا
وان دهتنا من الاسقام فادحة   رأيت منهم لنا خير المداوينا
قومٌ اذا ولجوا دار الفقير غدوا   لاسم الله في الوسمى عناوينا
الحمد لله ايدي الناس تهدمنا   لكنّ ايديهم تأتي فتبنينا

مصطفى صادق الرافعي

عبادة الدكاكير عند العرب

من اغرب العادات المعروفة والمنتشرة في وجه الارض: «اكرام بعض العروض او الاشياء المنحوتة والسجود لها والاعتقاد انها آلهة وهي في اغلب الاحيان تشبه بعض المخلوقات الارضية من نبات وحيوان» وهي غير الوثنية لان الوثنية هي عبادة الاصنام التي يعتقد عبّادها انها صور الآلهة او الآلهة قد تجلّت فيها

وقد سمّى علماء الافرنج هذه العادة الغريبة باسم «فتشيسْم Fétichisme» وعرّبه بعض كتاب هذا العصر باسم «الفتيشية» والكلمة من فتيش fétiche وهي برتغالية الاصل. الا ان اهل العلم لم يتفقوا على تعيين اللفظة الاصلية التي اخذت منها. فمنهم من قال انها من fatum ومعناها القدر كما اشتقوا من هذه اللفظة كلمة fée وبالايطالية fata ومعناها الجنية. غير ان هذا الرأي ضعيف

ومنهم من قال انها من fetisso اي مسحور ومحضور. ومحصّل المعنى: عبادة العروض او الاشياء المسحورة او المحضورة لظن عبدتها ان الارواح او الجن تسكنها او تحضرها او تختلف اليها. وهذا الرأي افضل من المذهب السابق. ومنهم من اثبت ان اللفظة من feitiço المحرفة عن اللاتينية Factitius ومعناها «المصنوع او المعمول باليد» ثم نقل معناها الى «مكرَّم ومسحور ومحضور» وهذا الرأي اصحّ من القولين الاولين

وعليه يكون البرتغاليون هم اول من ادخل هذا الحرف في السنة ديار اوربا في منتصف القرن السابع عشر للميلاد. وقد اطلقوها على هذه الاشياء التي يكرمها السودان الذين رأوهم للمرة الاولى في ساحل افريقية الغربي. وهؤلاء السود يسمونها في لغتهم «غري غري او موجو». وبعضهم انكر ذلك وقال: انهم لم يسموها بهذين الاسمين الا نقلاً عمّن خالطهم من الافرنج والا فلهم غير هذه الالفاظ خاصة بهم وبلغتهم مثل: انكايري وموكسو الى غيرها

واول من كتب من الافرنج كتاباً في هذه الديانة هو شارل دبروس Charles DeBrosses وضعهُ «بحث في الآلهة الفتيشية Dissertation sur les dieux fetiches» الفهُ سنة ١٧٦٠ وهو اول من استعمل في الفرنسوية لفظة فتيش وفتيشية. الا ان العرب كانوا قد سبقوا الافرنج الى معرفة هذه الديانة وملاحظتها في اهل المغرب وسمّوا هذه المعبودات

عبادة الدكاكير » وممن ذكرها عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاندلسي في كتابه المسالك والممالك . وقد توفي سنة ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م فيكون العرب سبقوا الافرنج في هذا الموضوع سبعمائة سنة . والدكاكير جمع دُكُّور بفتح الاول وضم الثاني المشدد على وزن عبُّود . وقد تقصر فيقال دَكُّر بفتح الدال المهملة وضم الكاف المشددة واما العرب الاقدمون فسموها الدِكَّر بكسر الدال المهملة واسكان الكاف . قال في تعريفها صاحب لسان العرب هي : « لعبة يلعب بها الزنج والحبش » والمراد باللعبة هنا ما يتخذه الاولاد من التماثيل ويلبسونه البسة كما يفعلونه الى يومنا هذا وهي المسماة عند الافرنج Joujou . واغلب عباد هذه الدكاكير الزنج والحبش ولهذا قال يلعب بها الزنج والحبش . وقال : « يلعب » لان هؤلاء اللغويين لم يستطيعوا ان يتصوروا ان بعض الزنج والحبش يعبدون هذه التماثيل فظنوا انهم يلعبون بها لصغر عقلهم واعتبروهم اطفالاً ولو كانوا بقامة الرجال

وقد ثبت اليوم ان عبادة الدكاكير معروفة ومنتشرة في غير الزنج والحبش فانها معروفة عند متوحشي اميركا ويسمونها هناك « مانيتو Manitou » « واوكي Ocki » وعند جميع سيبيرية ويسمونها « پُرخان Pourkhan » وكذلك تُرى في اوقيانية واواسط آسيا باسماء مختلفة . ولو كانت الدكاكيرية معروفة ايضاً في ديار الافرنج قبل انتشار النصرانية فيها فان الصقالبة كانوا يعبدون الحصان والغاليون (وهم اجداد الفرنساويين) يعبدون الاشجار والجبال كما يعبد اليوم الاشانتي وهم من اقوام افريقية النسر والنهر المسمى « تندو »

واشد الناس تمسكاً بهذه العبادة العربية اهل افريقية ولكل قبيلة او قوم من اقوامها عبادة لمخلوق من المخلوقات . فالويدة تعبد نوعاً من الحية والبساغو تعبد الديك والكلبار القرش (وهو من اسماك البحر) واهل داهومي يعبدون النمر . وسكان اودني يسجدون لنهر ادراي وهلم جرّاً . وسودان بلاد بنين يؤلهون (ما عدا ملكهم) الدويبة المعروفة باسم « ابي بُرَيص » ويعتقدون ان ظلهم هو ايضاً من قبيل الدكاكير وفي افريقية قومٌ متوحشون غاية التوحش اسمهم العالّو (بتشديد اللام) يعبدون الاشجار والاحجار والقمر وبعض الكواكب . وهذه الدكاكير آلهة عامة بين الاقوام وهناك دكاكير خاصة بكل فرد من افرادهم لمذكورهم اول شيء يقع تحت حسهم فمنهم من يعبد الوَدَع المستدير ومنهم الحمار وغيرهم عروق الاشجار وآخر سنّه التي تسقط من فمه او من فم غيره الى مثل هذه الاشياء من منكرة او غير منكرة . وحالما يراها المتوحش يخرّ لها ساجداً الى الذقن ثم يوجه اليها صلواته وادعيته فان نجح في ما عناه احلها محلاً رفيعاً والا كسرها واتخذ له الهاً آخر يستجيب دعاءه

وظن قوم من المحدثين ومتفلسفي هذا العصر ان عبادة الدكاكير في بدء كل دين وجد على وجه الارض فانهُ ينشأ طولاً مميزاً على هذه الصورة ثم يأخذ بالترقي والنمو حتى يستقل بذاته و يمتاز عن نده او ضده . وهذا وهم . واما الدكاكيرية في فساد في الدين وفي عقل صاحبها على حد ما نرى اناساً كانوا عقلاء ثم اصابهم مرض في داخلهم فاصد عقلهم فاخذوا يهذون ويهذرون . افيقال عن مثل هؤلاء : ان هذيانهم هذا من كاليات عقلهم وارتقاءهم في سلم النشوء والارتقاء ام يقال فيه العكس

ووجود الدكاكيرية في بعض الناس مع انحطاط عقولهم يدلنا على هذا الامر وهو : ان القول بوجود إله خفي عن الابصار من الحقائق التي لا تفنى في الانسان مها اصاب عقلهُ من الهوي والتسفُّل لان ذلك اصبح فيهِ من قبيل الوجدان ليس الأ

ومما يجب ان يلاحظهُ الباحث في عُبَّاد الدكاكير شعائرهم الدينية التي يقومون بها عند الاحتفال باكرامها . فانها بوجه عام قبيحة منكرة وغريبة يضحك منها . و يقال فيها انها لا تخلو من دمج الانسان لها تقرُّباً وتزلفاً منها . وكهنة هذه الديانة يشبهون السحرة واهل الرقى ويسمونهم « عربوط » في لسان بعض اهل افريقية و « جكلر » (اي مخرفين) عند بعض قبائل اهل اميركا . و « شاهان » عند اهل سيبيرية الى غير هذه الاسماء

واما العرب فانهم هم ايضاً كانوا يعبدون الدكاكير في عهد الجاهلية وتشمل دكاكيرهم ما تشمل دكاكير غيرهم اي الجماد والنبات والحيوان ونحن نذكر هنا ما عثرنا عليها

١ : (الصنم من حيس) . والحيس تمر يخلط بسمن واقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندر منهُ نواهُ وربما جعل فيهِ سويق . فيكون حينئذٍ بقوام العجين فتتخذ منهُ صور وتماثيل تسمى الواحدة منها جمجرة تلعب بها الاولاد ويعرّ لها سجّداً عباد الاصنام) وكان بنو حنيفة (باليمامة) قبل مسيلمة (الكذاب) اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيس فعبدوهُ دهراً . ثم اصابتهم مجاعة فاكلوهُ . فقال رجل من بني تميم

اكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن اعواز

وقال آخر : اكلت حنيفة ربهـا زمن التقحم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعه

(عن الآثار الباقية للبيروني ص ٢١٠ . ومحيط المحيط وتاج العروس مادة ت ب ع)

٢ : (ذات الانوار) قال صاحب التاج في مادة غ ر ب : الغرابي : حصن باليمن في جبل عالٍ في وسط البحر وكانت فيها شجرة تسمى « ذات الانوار » تعبد في الجاهلية . اهـ

٣ : (ذات أنواط) قال في كتاب اخبار مكة لصاحبه ابي الوليد محمد الازرقي ص ٨٢ كان لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها : « ذات انواط » يأتونها كل سنة فيعلقون عليها اسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يوماً . وكان من حج منهم وضع رداءه عندها (وفي الاصل المطبوع : « وضع زده عندها » ونحن نظن ذلك خطأ سقط من الناظر في طبع الكتاب والاصح رداءه والشجرة لم تسم بذات انواط الا لتعليق الاسلحة والأزر والاردية عليها) ويدخل بغير رداء (وفي الاصل المطبوع بغيرزاد) تعظيماً لها » اهـ

٤ : (نخلة نجران) كان اهل نجران يعبدون نخلة لهم وذلك قبل ان يتنصَّروا . وقد روى العرب في هلاك هذه النخلة وتنصير اهل نجران رواية نقلها ياقوت وقال فيها ما نصهُ

« وكان اهل نجران يومئذٍ على دين العرب يعبدون نخلة لهم عظيمة بين اظهرهم ، لها عيدٌ في كل سنة فاذا كان ذلك العيد ، علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحليّ النساء » ثم ذكر كيف تنصَّروا

٥ : (مناة) وكانت صخرة . قال الازرقي : ان عمرو بن لحيّ نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قُدَيداً وهي التي كانت للأزد وغسان[1] يحجونها ويعظمونها فاذا طافوا بالبيت وافاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلقوا الا عند مناة . وكانوا يهلّون لها ومن اهلّ لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما « نهيك مجاود الريح ومطعم الطير » . وكان هذا الحيّ من الانصار يهلّون بمناة . وكانوا اذا اهلّوا بحج او عمرة لم يظلّ احداً منهم سقف بيت حتى يفرغ من حجه او عمرته وكان الرجل اذا أحرم لم يدخل بيتهُ . وان كانت لهُ فيهِ حاجة تسوَّر من ظهر بيتهِ . لان لا يجنّ رتاج الباب رأسهُ فلما جاء الله بالاسلام وهدم امر الجاهلية انزل الله تعالى في ذلك : « وليس البرّ بان تأتوا البيوت من ظهورها . ولكن البرّ من اتقى . » قال . وكانت مناة للاوس والخزرج وغسان من الازد ومن دان بدينهم من اهل يثرب واهل الشام . وكانت على ساحل البحر من ناحية المُشلَّل بقُدَيد . وحدثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : اخبرني محمد بن السائب الكلبيّ قال : كانت مناة صخرة لهذيل وكانت بقُدَيد

٦ : (اللات) قال ابن الكلبيّ : ان رجلاً ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع

(١) كانت غسان قبل ان تحلّ ديار الشام تعبد الاصنام وكان فيهم قومٌ قد تهوَّدوا وقوم قد تنصروا ولم يكونوا كلهم نصارى كما زعم بعضهم وكلٌّ من حلول النبات عند الزرع تنبت عيال القرى

السمن من الحاج اذا مرّوا ، فيثبت سويقهم وكان دائماً فسميت « صخرة اللات » فمات ، ففقده الناس فقال لهم عمرو : « ان ربكم كان اللات فدخل في جوف الصخرة » انتهى كلامهُ .

بيدَ ان العلماء والباحثين اثبتوا ان اللات تصغير الإلاهة ويراد بها الشمس ، فلعلّ قدماء العرب اتخذوا تلك الصخرة للشمس واوقفوها لعبادتها ، ثم اختلق الخلف تلك الحكاية لمناسبة بين اللفظ والاشتقاق ، وقد فعل العرب مثل ذلك كثيراً

٧ : (العزّى) ، قال ابن الكلبي : وكانت العزّى ثلاث شجرات سمُرات بنخلة وكان اول مَن دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو : إنّ ربكم يتصيَّف باللات لبرد الطائف ويشتّي بالعزّى لحرّ تهامة ، وكان في كل واحدة شيطان يُعبَد . انتهى . وكلام ابن الكلبي على العزى طويل لا محلّ لايراده هنا

٨ : (سَعْد) صنم كان بساحل جدة وهو صخرة طويلة

٩ : (الانصاب) جمع نُصْب بضم فسكون ، وهي حجارة كانوا ينصبونها يذبحون عليها للاصنام ، وكان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذهُ ربّاً وجعل الثلاثة الباقية اثافي لقدره ، واذا ارتحل تركهُ ، فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ، فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها

١٠ : (ذو الخلصة) قال ابو المنذر ومن اصنام العرب « ذو الخلصة » وكانت مَرْوَةً بيضاء (اي حجراً ابيض من جنس الحجارة الرقيقة البرّاقة) منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة ، وكان سدنتها بني امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب ومن هوازن . اهـ

على ان بعض العرب عبدوا الجبال او شيئاً منتصباً في الجبل ومن ذلك

١١ : (الفلس) وقد اختلف في ضبطهِ فمنهم من ضبطهُ بفتح وسكون كـفلس ، ومنهم من صحّحهُ وقال بضمتين كعُنق . قال ابن حبيب : الفُلُس (وزان عنق) اسم صنم كان بنجد تعبدهُ طيء وكان قريباً من فَيْد وكان سدنتهُ بني بولان . وقيل : الفُلُس : أنفٌ احمر في وسط أجإ (اسم جبل) واجأ اسود . اهـ

ولو اردنا ان نأتي على ذكر كل ما عبدوهُ من موجودات الكون من جماد ونبات فهذا يطول وانما اجتزأنا بما اوردناهُ اطلاعاً للقراء ان العرب في عهد جاهليتهم عبدوا هذه

المخلوقات وكانت آلهة كثيرة معروفة عندهم وكل من كتب عن اديان العرب من القدماء ومحدثين لم يتعرضوا بنوعٍ خاص لهذا الباب او لم يعطوهُ الا عرضاً فاحببت ان ارصد لهُ هذه النبذة قياماً بالواجب وسوف نبين في فرصة اخرى انهم عبدوا بعض الحيوانات ايضاً دحضاً لمن انكر ذلك من كتّاب هذا العصر ولمن قال بالخلاف من اهل العصور السابقة والله ولي التيسير والتوفيق

امكح

امارات الوحشية

في حيواناتنا الداجنة

اهتدى الانسان منذ ازمان بعيدة الى ادجان بعض الحيوانات وهو يستخدمها الآن لاغراض شتى: للحمل والجر وللمطعم والملبس. فنحن نستخدم الفرس والحمار للحمل ونستخدم الثور في جر المحراث او غيره من الاثقال ونأكل لحمهُ ولحوم الخراف والمعز ونستعمل اصوافها في ملابسنا

واذا نحن نظرنا الى هذه الحيوانات من الوجهة البيولوجية وجدنا في اخلاقها وفي خلقتها دلائل الوحشية القديمة كما نعرف ايضاً الاسباب التي جعلت الانسان يختارها ويدجنها دون غيرها من الحيوانات

فاول ما يلحظهُ الانسان في هذه الحيوانات انها كلها اجتماعية — اي انها تعيش مجتمعة اسراباً. فالخيل والحمير والثيران والخراف والمعز والفيلة والكلاب كانت تعيش عيشة اجتماعية وهذا ما يسَّر للانسان تذليلها وسهَّل عليها عشرتهُ لان الحيوان الاجتماعي يختلف عن الحيوان الانفرادي مثل الاسد والضبع بمقدرته على التفاهم مع اخوانه وادراكه لحقوق الغير والطاعة لرئيسهِ عند اللزوم والنظر الى مصلحة السرب او القطيع العامة. وهذا ليس في الحيوان الانفرادي كالنمر والاسد والضبع فانها لانفرادها في معيشتها لا تعرف كيف تعامل افراد نوعها. فاذا تقابل اسدان اعتركا في الحال وقتل احدهما الآخر

والانسان لم يدجن الاسد والضبع والنمر ونحوها من الحيوانات الانفرادية اي التي تعيش منفردة او لم يستطع ادجانها لانها لا تدرك معنى الاجتماع وطرق المعاملة وحقوق الغير

كما يعبر كما الحيوان الاجتماعي كالفرس . فالفرس ينظر الى الانسان مثلما ينظر الى فرس آخر فهو يعرف من حياتهِ الاجتماعية القديمة انهُ لا يحسن به عض اخوانهِ او رفسها او الاعتداء على طعامها او عصيان امر رئيسهِ والانسان يستفيد من هذه الاخلاق فيذللهُ ويركبهُ

والفرس حيوان سهول ويظهر انهُ نشأ في جزيرة العرب او في ارض تماثلها في قلة خصبها وانبساط ارضها . لانهُ اذا اكل احتف ما امامهُ احتفافاً كأنهُ معتاد رعي النباتات والجذور الضئيلة ولا يخرج لسانهُ ويجز العشب جزاً كما تفعل البقرة لان البقر كانت تعيش قديماً في الغابات فكانت تلتقط غذاءها بلسانها من اوراق الاشجار الكثيفة . ولذلك نجد فلاحينا يربط الخيول والحمير وراء البقر والجواميس . فاذا رعت البقرة حزناً من المرعى ربط فيهِ الفرس فيحتف ما بقي فيهِ

ولا شك في ان سرعة الخيل كانت سلاحها الاكبر امام اعدائها. ولو كان الفرس حيوان غابات لما اعتاد هذه السرعة في الجري وهذا يدل على انهُ كان يعيش في السهول . ولا شك ايضاً في ان الذئاب كانت العامل الاكبر في ايجاد هذه المزية فيهِ لانها تكاد تكون العدو الوحيد لهُ في مواطنهِ . فكانت دائماً تطاردهُ وتفترس كل بطيء يتأخر عن اللحاق بالقطيع فلا يبقى ويتوالد الا السريع . فالذئب سبب سرعة الخيل

ثم ان ضرع الفرس صغير مع ان ولدها يحتاج الى كمية من اللبن توازي الكمية التي يرضعها العجل من امهِ او اكثر منها . والسبب في ذلك ان المهر لا يرضع الا قليلا في مواعيد متقاربة وذلك اولاً لانهُ يلازم امهُ دائماً ولا يفارقها وثانياً لكي لا يملأ بطنهُ فيبقى خفيفاً قادراً على اللحاق بامهِ وقت هجوم العدو عليها . والحال على عكس ذلك في البقرة فانها تخفي ولدها في خميلة او دغل بعد ان تشبعهُ وتسرح النهار كلهُ بعيداً عنهُ وعند رجوعها يكون قد اشتد عليهِ الجوع فيحتاج الى لبن كثير . وهذا كان السبب في كبر ضرع البقرة الذي استفاد منهُ الانسان

واذا قارنت بين حوافر الفرس واظلاف الثور وجدت ان اظلاف الثور مشقوقة . والسبب في ذلك ان الثور كان يعيش في الغابات حيث الوحل والتراب الندي . فبقيت قدمهُ مشقوقة لكي تتسع حينما يقف عليها ثم تضيق حينما يرفعها فيسهل عليهِ نزعها من الوحل . ولو كانت مثل حافر الفرس لالتصقت بالوحل وعاقتهُ عن الجري . فحافر الفرس مصنوع للرمال الجافة واظلاف الثور للتراب الرطب او الوحل الذي يكون عادة في الغابات

والحمار يماثل الفرس في تركيبهِ وهما قريبان بيولوجياً ولهذا يمكن المزاوجة بينهما غير ان نسلهما يكون في الغالب عقراً. واهم ما يستغربهُ الانسان في الحمير كراهتها للسير في الماء وقد فسر احدهم ذلك بان الحمير نشأت في البلاد التي يكثر التمساح في انهارها. فكراهة الحمار للماء آتية اليهِ من هذه الذكرى فهو ابداً يرى بغريزته شبح عدوه في الماء

وسلاح الثور قرناهُ وقوتهما في النطاح. وقد استغل الانسان هذه الخاصية واستعملهُ للحراثة والجر والسلاح من قبيل واحد. والثور وهو حامل نير الحراثة يعمل ما يعملهُ مع اعدائهِ عند العراك ولهذا السبب نظن ان الفلاح مخطئ في وضع النير في رقبتهِ وكان الاولى ان تقرنهُ برأسهِ كما يعمل الفلاحون الالمان فان قوة الثور في رأسهِ عند قرنيهِ وجميع عضلات رقبتهِ معدة لتقوية رأسهِ

ومما يلاحظ ان الثور يكره اللون الاحمر ويهتاج عند رؤيتهِ. والسبب في ذلك على ما يرجح الباحثون هو توهمهُ وجود الدم. فانهُ من الملاحظ ان الجواميس الوحشية اذا رأت جاموساً مجروحاً بينها تُعمِلهُ نطاحاً حتى تقتلهُ او تبعدهُ عنها. وقد يظهر من هذا العمل انهُ قسوة ولكن يرجح ان الغرض منهُ هو ابعاد الثور المجروح لكي لا يلحق الوحش الذي جرحهُ مقتفياً اثر دمهِ الى القطيع فالقطيع يطاردهُ ويبعدهُ عنه لكي يبعد عنهُ الوحش الذي يقتفي اثرهُ. كأن الجواميس تقول للوحش «خذهُ واتركنا» اي ان الانتخاب الطبيعي قد جعل هذه الحيوانات تطرد الجريح منها لفائدة المجموع

والكلب من الحيوانات التي ادجنها الانسان قديماً — وهو ذئب عُنقهِ وخُلقهِ ولذلك تنجح المزاوجة بينهما دائماً ولا يكون نسلهما عقراً كالبغل. ومعنى ذلك ان قرابة الذئب والكلب اشد من قرابة الفرس والحمار. واذا نظرت الى الكلاب وهي تتعارك او تتهارش رأيت ان الكلب يعامل اعوانهُ الكلاب مثلما يعامل الانسان افراد القطع الاجتماعية. لأن الكلاب كانت تعيش قطعاناً — هي نفس النواميس التي يراعيها الكلب عند معاملتهِ لصاحبهِ. فانهُ ينظر اليهِ كأنهُ كلب كبير شديد الحيلة يمشي على رجليهِ وينظر الى اهل البيت الذي يسكنهُ كأنهم افراد قطيع واحد ولذلك يدافع عن اصحابهِ ويدفع اعداءهم كأنهم اعداؤهُ ويقاتلهم الى حد الموت

ولغة الكلب من ابين لغات الحيوانات. فهو يعوي عند الخوف ويضغو عند الجوع ويهرّ عند ابتداء القتال وينبح اذا اراد ان ينادي اخوانهُ. ولا شك ان هذه الاصوات

كانت تفيدهُ قديماً لانهُ لضعفهِ كانت لا يعيد الأذيّة . فهذه الاصوات تدل سائر القطيع على مراد الكلب المصوّت

وللكلب حركات لا تقل عن الاصوات في الدلالة على ما في نفسهِ . فهو اذا اذعن واقر بذنبهِ واستعطف استلقى على ظهرهِ وارخى ساقيهِ وصمت . يفعل ذلك امام صاحبهِ اذا لوّح امامهُ بالعصا كما يفعلهُ امام كلب كبير اذا رأى الشر في عينيهِ . وذنب الكلب آلة تفاهم بينهُ وبين اخوانهِ . فهو يبصبص بهِ عند التذلل والطلب ويرفعهُ عند الغضب . واذا جرى جذبهُ الى ما بين ساقيهِ . قيل والغرض من ذلك ان لا يمسكهُ بهِ عدو يقتفيهِ . فهذه الاصوات والحركات تدل دلالة واضحة على ان الكلب كان اجتماعياً لانهُ لا فائدة منها لحيوان انفرادي لا يحتاج الى اخوانهِ ولا يحتاجون اليهِ

والحيوان الانفرادي الوحيد الذي يعيش مع الانسان هو القط . ولا يخفى ان القط ليس حيواناً اليفاً . وغاية ما يفعل انهُ يأوي الى بيوتنا كما تأوي اليها الفيران والعصافير . ويمتاز عنها بقلة خوفهِ . فهو لا يصاحب احداً واذا انتقل سكان البيت الذي يسكنهُ لم يذهب معهم بل بقي فيهِ واذا رأى صاحبهُ يتشاجر مع غيره بقي هادئاً لا يتحرك لمساعدتهِ . واذا رأى قطيعاً يدار كانت تركهما . وذلك لانهُ انفرادي بطبعهِ لا يفهم اصطلاحات الاجتماع وآدابهُ كالكلب . وقد رأينا في الملاعب من علّم الخيل والحمير والكلاب والمعز العاباً شتى ولكننا لم نرَ احداً افلح في تعليم قط لعبة ما وذلك لان القط لا يفهم اصول المعاملة من طاعة وجزاء ومكافأة واشتراك وغير ذلك مما تفهمهُ الحيوانات الاجتماعية . لان ذلك من مقتضيات الاجتماع والتعليم

ولون القط يدل على انهُ كان حيوان غابات لانهُ يماثل ظل اوراق الاشجار على الارض . فكان يختفي وهو وحش بهذه الالوان ويختفي بواسطتها عن اعين اعدائهِ وفرائسهِ . ويظهر لنا ان الالوان الزاهية او البيضاء او السوداء البهية التي ترى في القطط احياناً حديثة العهد اي انها حدثت فيها بعد اقامتها في البيوت بين الناس وعدم احتياجها الى الاختفاء بالالوان

ومما يلاحظ ان صغار القطط وهي في وكناتها تفحّ كالثعبان واكثر صغار الطيور تفعل ذلك ايضاً وهي في عشاشها . وغرضها من ذلك في ما يظن هو طرد العدو بايهامهِ ان في الوكنة او العش ثعباناً ساماً لان الثعابين اعداء الداء لاكثر الطيور والحيوانات الملونة ولذلك فان هذه تخافها طبعاً غريزةً من غير تعلّم . وتقليد فراخ الطيور والقطط للثعابين يعتبر من العوامل البقائية المهمة في حياتها

والخروف آنس الحيوانات ولو باد الانسان من الارض فجأة لما عاشت الخراف بعده اسبوعين . لان الخروف اصبح اعزل لا يحسن شيئاً من اصول القتال ومباديه . فاذا ارتفعت عنه حماية الانسان ورعايته لم تبقِ عليهِ الحيوانات المفترسة ولم يستطع مقاومتها . وقد يمكن ان يعود الفرس والكلب والثور والقط الى الوحشية التامة وتكافح الوحوش الضارية ولكننا لا نظن انهُ يمكن للخروف ان يفعل ذلك

الخروف حيوان اجتماعي محض . ومما يلاحظ فيهِ انهُ في عدوهِ يقتفي اثر سابقهِ بالضبط ولا يحيد قيد شبر عنهُ . مثال ذلك انهُ قد يقفز خروف فوق قناة فترى ان بقية خرفان القطيع تفعل فعلهُ بالضبط من غير روية او تمهّل . وهذا ليس بالامر الهين كما يظهر لاول وهلة فاذا اجتمع مئة رجل وارادوا ان يقفزوا فوق قناة لم يستطيعوا ذلك الا بعد ان يفكر كلٌّ منهم ويقيس بعقلهِ المسافة التي يجب ان تقفز ودرجة القفز الذي يجب ان يبدأ قبل القفز . ولكن الخراف تقفز بداهةً بغير روية . والسبب في ذلك على ما نظن هو حاجتها قديماً الى تقدير الاشياء التي من هذا القبيل بداهةً وسريعاً لان الخروف حيوان جبلي بدليل وجود ابناء اعمامهِ المتوحشة الآن في الجبال — فهو محتاج في جريهِ الى تتبع قائدهِ بسرعة وخفة حتى لا يدركه العدو المطارد

والخنزير من الحيوانات التي اصبحت في يد الانسان آلة ميكانيكية او معملاً كيماوياً لتحويل المادة النباتية الى مادة حيوانية فانهُ سرعان ما تصل الاعشاب الى كرشهِ حتى تتحول شحماً ولحماً

والسبب في ذلك ان الخنزير كان يسكن قديماً الاقاليم الباردة حيث يتجرد وجه الارض من النباتات وقت الشتاء . ودليل ذلك ان الدب — ابن عم الخنزير — من سكان تلك الاقاليم الى الآن فكان الخنزير ينزوي وقت الشتاء فيقضي نحو خمسة اشهر او ستة بغير طعام . ولهذا السبب نشأت فيهِ تلك الشراهة الخارقة التي تبعثهُ دائماً التنبيش والتنقيب عن الطعام لانهُ كان يضطر الى اختزان كمية كبيرة من الشحم في جسمهِ ليتغذى بها وقت الشتاء على نحو ما يفعل النحل من اختزان العسل . والعسل والشحم مادة واحدة اذا اعتبرناهما كيماوياً او يكادان يكونان كذلك . والفرق بينهما ان النحل يخزن عسلهُ في بيوت معدَّة لذلك حتى اذا جاء الشتاء اكلهُ اما الخنزير فيخزن شحمهُ في جسمهِ

ومن الحيوانات التي ذلَّلها الانسان واستولدها للذبح المعز . واهم ما نلاحظهُ فيها خفتها في الحركة وقدرتها العجيبة على المشي على الحافات الضيقة او المستدقة . فانك قد ترى احياناً

عنزتين تروحان وتغدوان تمرحان وتتواثبان على حائط عالٍ لا يزيد سمكهُ على ربع متر او اقل. قيل والسبب في ذلك ان المعز كانت تعيش قديماً على قمم الجبال وتحتاج الى الوثوب والالتجاء الى القمم المستدقة لامتناعها على الحيوانات المفترسة . ومصداق ذلك ان الوعل والايل يفعلان ذلك الآن وهما من جنس المعز ويمثلان الآن عيشتها الوحشية القديمة . وكثيرون من اصحاب الملاعب يستفيدون من هذه الخاصية في الماعز ويدربونهُ على المشي على الحافات الدقيقة مما يدهش لمرأتهِ المشاهدون

والجمل من الحيوانات التي يظهر في خلقها وخلقها تأثير الوسط الذي عاشت فيهِ قديماً . فهو حيوان صحارى ورمال قليلة المراعي والمياه . يمشي على خف لا يليق لغير الرمال الجافة . ومن ينظر الى جمل يمشي في شوارعنا الموحلة او المرشوشة يشعر ان الخف صنع للرمال . والجمل مشهور بصبره على العطش وقدرته على اختزان ما يكفيهِ من المياه مدة طويلة وهو صبور على الجوع ايضاً لان في سنامهِ كمية وافرة من الغذاء يتقوَّت بها عند قلة الطعام فهو من هذه الوجهة مثل الخنزير غير انهُ لا يفرّق شحمهُ مثلهُ على جميع اعضائهِ بل يجمعهُ في اعلى ظهرهِ . وهذه كلها خصائص توافق الصحارى التي كان يعيش فيها

ومن اراد ان يلمح لمحة من حياة الجمل الوحشية فلينظر اليهِ وهو يأكل الحسك والاشواك فان شغفهُ الشديد بها يدل على تأصل ذوقهِ لهذه النباتات الصحراوية . فان الصحارى لا تنبت لمحل ارضها وقلة الغيث فيها غير هذه الاشواك . وقد كانت الجمال قديماً تفتش عنها وتغتذي بها . وما زال فلاحنا للآن اذا شعر بضعف شهوة الجمل في اكل البرسيم او الفول — وهما من الاطايب لمثل هذا الاعرابي الجلف — يأخذهُ الى حيث يجد هذه الاشواك فيرد اليهِ شهوة الاكل بها

والفيل اكبر الحيوانات التي ذللها الانسان ولو لم يكن اجتماعياً في حياتهِ الوحشية لما استطعنا تذليلهُ . فان الاسد اضعف منهُ قوة ولكننا لم نتمكن من تذليلهِ وذلك لانهُ لا يعرف طرق المعاملة مثل الحيوانات الاجتماعية ولا يعرف معنى العقاب والطاعة والمكافأة ويشعر اذا قربنا منهُ بالعداء وشهوة الافتراس اما الفيل فينظر الينا كما ينظر الى اخوانهِ الفيلة فيعرف ما لهُ وما عليهِ ويميز بين العقاب الخفيف عند الخطإِ الطفيف والعقاب الشديد عند الخطإِ الكبير

والقرد من الحيوانات الاجتماعية وقد آلفهُ الانسان ولكنهُ لم يستخدمهُ لضعفهِ . وقد جعل الاميركيون يستخدمون الاورانج الآن في رعاية الغنم

سلامه موسى

مضادات الفساد في الاطعمة

لا يخفى ان بعض الاطعمة لا يبقى سليماً من يوم الى آخر او من سنة الى اخرى ما لم يعالج بمادة تقيهِ من الفساد . وقد اطلعنا على خطبة في هذا الموضوع للدكتور لوبع القاها في مجمع الكيميين العام الذي عقد في مدينة وشنطون في شهر سبتمبر الماضي فاقتطفنا منها ما يلي

من المواد ما يمنع فساد الاطعمة او يمنع الميكروبات وجراثيم الاختمار من النمو فيها ومنها ما يستعمل لحفظ مزية مخصوصة في مواد الطعام ككبريتات النحاس (الشب الازرق) الذي يستعمل لحفظ الخضر خضراء

وقد حكم على بعض المواد انها غير صالحة لحفظ الاطعمة لان استعمالها حيلة صناعية وهذا السبب لا يكفي للحكم بابطال شيء ولا يعتدّ به اهل العلم اما الحكم على جواز استعمال مادة من هذه المواد او عدم جوازهِ فيجب ان يبنى على ما لها من التأثير في الجسم . وهاك شرحاً موجزاً عن اهم المواد المستعملة لحفظ الاطعمة

بنزوات الصودا

لقد بحث العلماء بحثاً دقيقاً في فعل بنزوات الصودا ومركبات الحامض البنزويك نفسهِ ثم فاجازوا اعطاء الجرعات الكبيرة من البنزوات في بعض الامراض . وعرفوا فائدة البنزوات في السل الرئوي والروماتزم والدفتيريا منذ ثلاثين سنة واثبت بعض الاطباء انهُ يمكن ان يعطى المريض من ٥ غرامات الى ٢٥ غراماً منها كل يوم . ومن ذلك يتضح ان قوة التسميم في البنزوات ضعيفة جدًّا وانها لا تضر اكثر مما يضر ملح الطعام

ولما كان بنزوات الصودا يعدّ من الادوية الكثيرة النفع لم تكن مسألة استعماله لوقاية الطعام من الفساد قد عُرضت على بساط البحث وكان البحث متجهاً الى تحقيق مقدار البنزوات الذي يمكن للانسان ان يتناولهُ بدون ضرر . وتعيين هذا المقدار هو المسألة التي تنوقش حتى الآن

عُرف من اول الامر انهُ اذا كان الحامض البنزويك بكميات لا يترتب عليها ضرر اتحد مع الغليسين الذي في الجسم وتكوَّن منهما الحامض الهيبوريك وسنة ١٨٩٨ اثبت وينر بتجاربهِ ان الجرعات التي تعطى للارنب بنسبة ١٫٧ الغرام لكل كيلو غرام من ثقلها تحيلها عادة اما الجرعات التي دون ذلك فتتحد مع غيرها من المواد ولا تضر بها وكان يظن ان اكبر كمية من الحامض الهيبوريك يقدر الجسم ان يكوّنها هي غرام واحد لكل كيلو غرام

من وزنهِ اي ان الجسم لا يحتمل من الحامض البنزويك الأ ما يكفي لتركيب غرام واحد من الحامض الهيبوريك مقابل كل كيلو غرام من وزنهِ واستنتج من ذلك ان الحامض البنزويك يجب ان لا يزيد على ٧٨٢١ر٠ الى ٨٣٤٥ر٠ من الغرام مقابل كل كيلو غرام من ثقل الجسم اي ان في كل كيلو غرام من جسم الحيوان من ٣٤٩٦ر٠ الى ٣٢٧٦ر٠ من الغرام من الغليسين . وظهر لهُ انهُ اذا زاد الحامض البنزويك الذي يتناولهُ الحيوان على هذا القدر ظهر في البول اي انهُ لم يتحد مع غيرهِ في الجسم . فالانسان الذي ثقلهُ ثمانون كيلو غراماً يستطيع ان يتناول نحو ستة غرامات من الحامض البنزويك من غير ضرر

وتمت هذه الابحاث كلها لما كان الغليسين يحسب من اهم المواد التي يتحول اليها البروتين عند هضمهِ وقبل ان يعرف شيء مهم عن مقدار الحوامض الامونية في دقائق البروتين . وظهر بعد ذلك ان الغليسين في المواد البروتينية التي يأكلها الانسان لا يقل عن ٤ في المئة من وزنها وان ما يتكون في الجسم من الحامض الهيبوريك يقتضي اكثر من ذلك . فظُن اولاً ان الجسم يخزن شيئاً من الغليسين الى حين الحاجة الأ ان هذا القول لم يلبث ان بطل . ثم تبين انهُ اذا زاد الحامض البنزويك الداخل الى جسم الحيوان زاد تحوُّل البروتين فيهِ وكثر خروج هذا الحامض في البول من دون ان يتحد مع غيرهِ ويتحول الى حامض هيبوريك

وجرب لوسكي فعل المقادير الكبيرة من الحامض البنزويك في جسم الانسان . من ذلك انهُ اعطى رجلاً ثقلهُ ٥٩ كيلو غراماً ١٢ غراماً في ١٢ ساعة فخرجت كلها في مفرزاتهِ مركبة مع غيرها ولم يظهر تغير في المواد التي يتألف منها بولهُ . واذا قسم هذا المقدار من الحامض على ثقل الجسم اصاب كل كيلو غرام منهُ ⅕ الغرام من الحامض وهذا اقل مما جُرب فعلهُ في الحيوان في كثير من التجارب ويقتضي لهُ ٣٨ر٧ الغرام من الغليسين ليتحد معهُ اي يلزم لهُ الغليسين الذي يكون في ٢٠٠ غرام من المواد البروتينية المختلفة . ويحتمل ان لا يكون ذلك الرجل تناول هذا المقدار من البروتين او انهُ تناولهُ ولم يهضمهُ كلهُ

واطعم رجلاً آخر ثقلهُ ٦٧ كيلو غراماً ٢٠ غراماً من الحامض البنزويك في ١٢ ساعة فكانت النتيجة مثل نتيجة التجربة الاولى . وبعد ذلك بمدة تناول هذا الرجل ٢٥ غراماً فلم تتحد كلها مع غيرها اذ استخلص منها ١٫٦٥ الغرام من بولهِ . ولما زاد ما تناولهُ الى ٤٠ غراماً زاد ما ظهر في بولهِ من الحامض واصيب بغثيان ووجع في رأسهِ . وكانت عوارض الغثيان ووجع الرأس اخف عندما كان يأكل اطعمة فيها بروتين كثير . وعليهِ فاذا زاد

البروتين في الطعام امكن زيادة الحامض البنزويك ايضاً من دون ان ينشأ عن ذلك ضرر. وقد تناول رجل ٥٠ غراماً ولم يصبه الاذى منه ظهر في بوله ٨ غرامات من الحامض البنزويك

فهذه التجارب كلها تدل على ان جسم الانسان والحيوان يركب الحامض البنزويك مع مواد اخرى فيبطل ضرره وان المقدار الذي يمكنه ان يتصرف به على هذه الطريقة يقتضي من الغليسين اكثر مما تحتوي عليه المواد البروتينية التي يتناولها عادة

اما الكمية التي يحتمل دخولها الى الجسم يومياً من كل الاطعمة المعالجة ببنزوات الصودا والتي يتناولها بحثنا فاقل من نصف غرام في الاطعمة الجامدة العادية واقل من غرام واحد اذا تناول بعض المشروبات التي تعالج بالبنزوات وقد نكون مبالغين في تقديرنا هذا لان اكثر انواع الاطعمة لا يدخلها البنزوات او يدخلها بمقادير صغيرة جداً . فلننظر اذن في ما يدخل الجسم عادة من الحامض البنزويك ونبحث عن تأثيره الفسيولوجي

اهم الامور التي يوجه النظر اليها واعتبارها لحل المسألة ثلاثة الاول ما يجري للحامض البنزويك في الجسم والثاني تأثيره في عصارة الهضم والثالث تأثيره في الصحة عموماً وفي تحول المواد في الجسم

اما الامر الاول فذكرنا من الحقائق ما يجلوه فالمقادير الكبيرة من الحامض البنزويك تتحد تماماً بالغليسين ويقتضي لكل ٥٠ مليغرام من الحامض البنزويك ٥٫٧ ٣ المليغرام من الغليسين وهذا المقدار يتولد في الجسم من المواد البروتينية بل يتولد اكثر منه . اما الاطفال والضعفاء فيبعد ان يتناولوا مثل هذا المقدار من البنزوات ولا شك ان في اجسامهم من الغليسين ما يكفي للاتحاد به

واذا لم يدخل الجسم حامض بنزويك تأكسد اكثر الغليسين وتكوّن منه بول ومواد اخرى واذا دخله الحامض البنزويك اتحد الغليسين به وتكوّن من اتحادهما الحامض الهيبوريك. وقد خاف كثيرون من اجهاد الكليتين في تركيب الحامض الهيبوريك ولا وجه لهذا الخوف والذين يقولون به ينسون ان الجسم يركب هذا الحامض دائماً

نأتي الآن الى الامر الثاني اي تأثير الحامض البنزويك في عصائر الهضم . لقد دقق في البحث عن تأثير هذا الحامض في الدياستاس (وهو الخمير الذي يحول النشا الى سكر) والبتكرياتين والببسين والرنين (خمير الجبن) والتربسين (نوع من الخمير في عصير البنكرياس) وجريت انا تجارب عديدة دلت كلها على ان ما يتناوله الانسان عادة من الحامض البنزويك مع طعامه لا يؤثر في عمل الهضم او يؤثر فيه تأثيراً خفيفاً لا يعتد به اما اذا زاد مقداره او

كان من النوع القوي فلا شك في انهُ يعيق عمل الهضم · والمقادير العادية منهُ تزيد هضم النشا زيادة بينة

وكثيراً ما يضيف الاطباء بنزوات الصودا الى اللبن الذي يطعمونهُ للاطفال · ويرى امرخ وليفنهارت ان ٢ في المئة من بنزوات الصودا لا يؤثر في عمل الپپسين

اما الامر الثالث اي تأثير الحامض البنزويك في الصحة عموماً وفي تحول المواد في الجسم فاهم امر في كلامنا · وقد لوحظ عند ما كان هذا الحامض كثير الاستعمال في الادوية (اي من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٨٠) ان كثرتهُ تسبب زيادة في خروج النيتروجين وظن ان ذلك نتيجة انحلال البروتين في الجسم · واستنتج سلكوسكي من تجاربهِ في الكلاب ان كثرتهُ تلحق بجسم الانسان خسارة كبيرة · الاَّ ان مقادير البنزوات التي اطعمها الكلاب كانت تبلغ ١ الغرام لكل كيلو غرام من وزنها ولو تناولهُ الانسان على هذه النسبة لبلغ ما يتناولهُ الرجل الذي يزن ٥٠ كيلو غراماً ١٧ غراماً وما يتناولهُ الذي يزن ٧٥ كيلو غراماً ٢٥ غراماً · وقد توصل غيرهُ من الفسيولوجيين الى ما يقرب من هذه النتيجة الاَّ ان الاطباء لم يروا اثراً لهذه الخسارة التي اشار اليها · ولا حاجة بي الى الاتيان على كل ما قيل في هذا الموضوع

الاَّ ان تلك الاقوال القديمة ابقت في العقول تأثيراً لم يزُل منها حتى الآن ولا يزال البعض يعتقدون ان بنزوات الصودا يسبب انحلال المواد البروتينية في الجسم وانهُ قد يحل انسجة الجسم نفسها وفي ذلك ضرر كبير كما لا يخفى · ويعتقدون ايضاً انهُ يفعل ذلك سواء كثرت كميتهُ او قلت · وقد ثبت لي بتجارب عديدة ان ما يدخل الجسم من البنزوات في الطعام عادة لا يزيد تحول البروتين فلا ضرر منهُ من هذا القبيل

املاح النحاس

قام في عقول الناس منذ زمن بعيد ان املاح النحاس سامة · وفي كتابات الاطباء شيء كثير من التسمم بالزنجار ومركبات النحاس الاخرى وقد اظهرت الابحاث الحديثة ان ما ينسبونهُ الى هذه المواد من التسميم والمضار مبالغ فيهِ كثيراً · ومما يزيد البحث اهمية ان كبريتات النحاس وبعض املاحهِ الاخرى شاع استعمالها كثيراً في تخضير الثمار التي توضع في العلب لانها تكسبها لوناً اخضر ثابتاً · واول ما بدأ ذلك في فرنسا · وهذه الاملاح تكسب الثمار اخضراراً اذ يتركب من نحاسها ومن بعض المواد التي تتولد من الكلوروفل مادة خضراء ثابتة اللون

واثارت هذه المسألة مباحثات ومجادلات كثيرة في فرنسا والمانيا وبلجيكا فكان البعض يقولون بضرر هذه المواد والبعض يخالفونهم . ونددت الحكومة الفرنسوية بضع لجان للبحث فيها فذهبت بعض اللجان الى ان مركبات النحاس مضرة في الطعام لكن الرأي الغالب الآن هو انها لا تضر اذا كانت فيه بمقادير صغيرة واكثر حكومات اوربا لا تعارض في معالجة الاطعمة بمقادير صغيرة منها

وما من احد يشك في ضرر الكميات الكبيرة من املاح النحاس اذ ترافق تناولها اعراض التسمم فينشأ عنها غثيان وقيء واسهال واذا امتص الجسم شيئاً منها اصابهُ آفات في الكبد والطحال والكليتين وغيرها من اعضاء الجسم . ولكن ذلك لا يدخل في بحثنا الآن فليس من شأننا ان نبحث الآ في فعل المقادير التي من ١٥ مليغراماً الى ٢٠ فاكثر قليلاً اذ لا يحتمل ان يتناول الانسان في طعامهِ اكثر من ذلك يومياً وما يستعمل من الكبريتات في تلوين البازلا والوبياء فلا يزيد على غرام واحد لكل كيلوغرام وهذا الغرام لا يعلق بالبازلا او اللوبياء كلهُ فلا يبقى منهُ في الكيلوغرام منها الأ من ٢٥ مليغراماً الى ١٥٠

واكثر التجارب في هذا الباب كانت في فعل كبريتات النحاس وبعض املاحهِ الاخرى التي تذوب في الماء الأ ان ذلك لا يكشف عن الحقيقة تماماً لان اكثر النحاس في البازلا مثلاً يتحد عادة من الكلوروفل كما تقدم فينشأ منهما مادة تختلف عن الاملاح العادية في ذوبانها وعدم قابليتها للانحلال

وقد ثبت لي بتجارب كثيرة في هذه المادة المركبة من النحاس . بعض متولدات الكلوروفل انها لا تأتي بتأثير فسيولوجي ما دام مقدارها اقل من ١٢ الى ١٥ مليغراماً كل يوم وقلَّ ان يأكل الانسان من الطعام ما يحتوي على هذا القدر منها ولا يظهر مع هذا المقدار تأثير في ثقل الجسم وانحلال النيتروجين وتركبه مع المواد الاخرى ولا يتغير شيء في الدم ولا تختل نسبة اجزائهِ بعضها الى بعض ولا يصحبهُ غثيان غير انهُ اذا تناولهُ الانسان في الشاي او القهوة او اللبن او البيرة نشأ عنهُ غثيان واختلال في الهضم وبعض الاحيان تغير قليل في المركبات النيتروجينية وبعض اجزاء الدم

وفي الخضر الخضراء التي تحتوي على مقدار كبير من الكلوروفل يتحد كبريتات النحاس بالكلوروفل فينشأ منها مركب يصعب حلهُ فلا تؤثر فيهِ عصائر الهضم كثيراً ولذلك يقل ما يمتصهُ الجسم من نحاسهِ واكثر الكلوروفل في البازلا الخضراء يكون في قشرها فتتكون اكثر المركبات النحاسية فيهِ . ولكن الهضم قلما يعمل بهذا القشر فيفرزهُ الجسم ومركبات

النحاس باقية فيه - وكبريتيدا الهيدروجين والاموتيوم لا يحلان هذا المركب الأ ببطء

اما اذا بلغت الخضر وعست فيقل الكلوروفل فيها ولذلك لا يتركب فيها المركب الذي تقدم ذكره فيتحد النحاس بالمواد البروتينية اتحاداً سهل الانحلال فيكون تأثيره حينئذٍ مثل تأثيره اذا كان في املاح النحاس العادية . وقد ثبت لي بالتجربة انهُ يمكن اضافة ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليغرام من النحاس الى كل كيلوغرام من البازلا الخضراء البالغة ويرى غيري انهُ يمكن اضافة اكثر من ذلك

واثبت البعض ان لبعض مركبات النحاس الاخرى تأثيراً كبيراً فقد يتصل النحاس منها او من الخضر التي لم يتمّ جيداً تحضيرها الى الكبد واعضاء الجسم الاخرى فينشأ عنهُ اضرار جمة . وقد اظهر تشندن حدوث هذا الامتصاص بالتجربة. واذ يستحيل ان يُحصر استعمال النحاس في الخضر الرخصة فقط فيحسن منع استعماله في الاطعمة بتاتاً

الحامض الكبريتوس

يستعمل الحامض الكبريتوس في تحضير الاطعمة على وجهين الاول باستعمال اكسيدو والثاني باستعمال احد املاحهِ مثل كبريتيت الصودا او بيكبريتيتهِ . وكان استعمالهُ اولاً لوقاية عصير العنب قبل ان يختمر ولوقاية الخمر عند نقلها من دن الى آخر او عند تعبئتها في الزجاج . وقد كثر استعمالهُ الآن لاغراض اخرى كما في تصفية عصير القصب قبل غليهِ لاستخراج السكر ولتقديد بعض الثمار التي تيبّس بتعريضها لحر الشمس . وبدئ حديثاً باستعمال كبريتيت الصودا في تحضير بعض الثمار والاطعمة اللحمية التي تحفظ في العلب

ولا بد من قسمة المواد التي تعالج بالحامض الكبريتوس الى قسمين فالقسم الاول منها هو الذي يكثر فيهِ الكربوهيدرات كالسكر والخمر والثمار . فاذا أُضيف الحامض الكبريتوس الى هذه المواد اتحد اكثره بسكرها فتنشأ من هذا الاتحاد المركبات الالدهيدية التي يتأكسد منها الكبريتيت تدريجاً ويتحد قليل منهُ مع ما فيها من الاملاح الآلية بعد ان يطرد منها بعض حوامضها . والقسم الثاني هو المواد البروتينية والدهنية في اللحوم وكبريتيت الصودا لا يتحد بهما ما لم يؤثر فيهما مؤثر خارجي فيبقى على حالهِ فضلاً عن ان الدهن يقيهِ من التأكسد السريع . واكثر الباحثين يفرقون بين نوعي الاطعمة ومعظم بحثهم عن جواز استعمال الحامض الكبريتوس او عدمهِ يدور على المواد التي يبقى فيها كبريتيتاً لا التي يتحول فيها الى مركبات كربوهيدرالية

ولا شك في ان كثرتهُ سواء كانت من النوع الواحد او من النوع الآخر مضرة تسم

الجسم . ولكن اطعم لمان كلاباً وقططاً من ٣٧ الى ٦٢ مليغراماً من الاكسيد الكبريتوس (تعادل ١٥٠ الى ٢٥ مليغراماً من الكبريتيت) يومياً وبقي عمل ذلك ٢٠٠ يوم فلم تصب بضرر وهو يعتقد ان هذه المقادير كبيرة جداً بالنسبة الى الكلاب والقطط

وألفت الحكومة الفرنسوية لجاناً لبحث عن تأثير الحامض الكبريتوس اذا كان في الخمر ومنذ نحو سنة اعلنت انهُ يجوز ان يكون في كل لتر من الخمر ٤٥٠ مليغراماً من الاكسيد الكبريتوس وكانت قبل ذلك لا تسمح بزيادته عن ٣٥٠ مليغراماً . الأ انها اشترطت ان لا يزيد ما لا يتركب منهُ مع المواد الاخرى على ١٠٠ مليغرام في اللتر الواحد . وقد سنت هذا القانون مستندة الى تجارب لمان التي اتمها لهذا الغرض كما تقدم

اصول التعليم الحديث

الدور العلمي

تقدم القول ان الدور الطبيعي كان فاتحة حياة جديدة ومبادئ جديدة في اوربا فلم تكد تعاليم روسو تشيع حتى قام العلماء من كل صوب يمحصون آراءهُ ويزيدون عليها ويحذفون منها ما لا ينطبق على ما يقتضيه زمانهم فنتج عن ذلك تقدم علم الطبيعيات والبيولوجيا . وبديهي ان هذين العلمين كشفا القناع عن كثير من المبادئ العلمية ونقضا كثيراً من المبادئ الفاسدة التي تمخضت بها العقول في القرون المتقدمة مما لم يكن راسخاً على مبدإ صحيح . ولا بد لنا من القول ايضاً ان الدور السيكولوجي (وعلى الاخص تعاليم بستالوتسي) لم يقصّر في هذا الشأن فانهُ هو ايضاً بث في اوربا حياة جديدة واظهر نور العلم الساطع فطرد منها ظلام القرون الوسطى وخرافات الامم السالفة

ولقد كان لهذا الدور العلمي وجهتان الاولى اعطاء الاهمية للدروس الطبيعية وعلاقتها بالحوادث الطبيعية والثانية ترقي اساليب التعليم . على ان مبادئ هذا الدور ايضاً لم تُقرَّر الأ بعد مجادلات وابحاث كثيرة قامت بين محلليه ولا بدَّ لادراك ذلك ونحوهِ من مراجعة تلك الابحاث والمجادلات

ابتدأت حركة هذا الدور في النصف الاول من القرن التاسع عشر في انكلترا وكان رافع علمها جورج كومب (١٧٨٨ — ١٨٥٨) وتبعهُ كثيرون من المصلحين غير ان الذين

قاموا بها لم يكونوا من العلماء المشهورين كالذين اتوا بعدهم كسبنسر وهكسلي ولا من الذين كان لهم المام اساسي بامر التعليم . فهؤلاء اقاموا الحجة على اصحاب مبدإ التعليم السائد في ذلك الوقت من وجهين الاول انهُ يجب ان يُفرق بين المعرفة الآلية والمعرفة الحقيقية الصحيحة او بين الوسائل والمقاصد فقالوا ان الاولى هي التي تجهز عقل التلميذ لادراك العلوم العالية والثانية هي التي تكسب التلميذ المعرفة الثابتة . فمعرفة اللغة والصرف والنحو والكتابة وكثير من قواعد الحساب والجبر مما يدخل تحت القسم الاول ان هي الاَّ وسيلة يدرك بها الانسان معرفة الطبيعيات والعقليات والادبيات وعلم الاجتماع والسياسة الخ مما يختص بمباحث القسم الثاني . فحجة هؤلاء كانت ان المبدأ السائد حينئذٍ لا يمكّن الانسان من الوصول الى المعرفة اللازمة للنجاح والمنفعة التي يسعى اليها. والوجه الثاني انهُ لا يكفي للانسان ان يتعاطى اعمالهُ بعقل بل عليهِ ان يهذب قواهُ العقلية ايضاً . فاهم اغراض التعليم تهذيب هذه القوى . و بهذه الابحاث اختلف التعليم كثيراً عما كان عليهِ في السنين السابقة فنشأت ادبيات جديدة وعلوم جديدة ووجَّه العلماء انظارهم الى العلوم الطبيعية لانهم وجدوا انها هي العلوم التي كشفت وستكشف ما كان مجهولاً واماطت اللثام عن كثير من قوات الطبيعة المستورة ومهدت السبل الى الاكتشافات والاختراعات التي يحار بها العقل فعلَّق بها الانسان في الجو يقاوم قوة الهواء وقطعت كلامهُ الفيافي والقفار باسرع من لمح البصر وقبض على زمام الطبيعة وذلّلها لخدمتهِ ومنفعتهِ

التعليم هو التعليم الشامل الذي يؤهل الانسان تأهيلاً تاماً لعملهِ وحياتهِ كعضو عامل نافع بين اعضاء المجتمع ويجعلهُ انساناً ذا مدارك واسعة . فالانسان العارف بالعلوم الاساسية يصير حرًّا بمقدار ما يحصل منها

اما الاستعداد للمعيشة الكاملة فيحتوي اولاً على تحصيل احسن معرفة تؤهل الفرد لان يعيش في هذا المجتمع عضواً حقيقياً اجتماعياً عارفاً ما عليهِ من الحقوق والواجبات . ثانياً على ترقية القوى التي تستعمل بها هذه المعرفة وقد رتب سبنسر اهمية الدروس على هذا النسق. اولاً العلوم التي تمكن الانسان ان يحفظ نفسهُ بالذات كعلم الفسيولوجيا وعلم الصحة والطبيعيات والكيمياء . ثانياً العلوم التي تمكن الانسان ان يحفظ نفسهُ بالواسطة — اي بواسطة شيء آخر — كالعلوم التي تبحث في امر الطعام واللباس والمأوى . ثالثاً العلوم التي يمكننا بها ان ننظر في امر تربية صغارنا . رابعاً العلوم التي تؤهلنا لمعرفة حقوق الجماعات الوطنية والسياسية لكي يصير الانسان وطنياً حرًّا . خامساً العلوم التي نستعملها في نزهة هذه

الحياة كالفنون الجميلة والانشاء والشعر · فيظهر من هذا النسق ان العلوم الطبيعية فُضِّلت على العلوم الاجتماعية والادبية

ولقد قامت اعتراضات كثيرة على ما جاء به سبنسر حتى انهم قالوا انهُ حطَّ الآداب وهي العلوم الراقية القائدة الى الفضيلة والدالة على كل خير لما هو دونها فتح بذلك سبيلاً لانتشار الرذيلة بين الناس وطمس معالم الفضيلة على ان سبنسر جعل اهمية عظيمة للادبيات بطريقة تخالف الطرق المألوفة بين الجمهور ولذلك جاء في بعض اقواله « ان العلوم الادبية يجب ان نعطي حقها وعلى كل فرد ان يتحلَّى بها » فقطع بهذا أَلسنة المعترضين · ولا يُعقل ان رجلاً عظيماً كسبنسر يحطُّ من شأن الادبيات ليزيد في قوة الرذيلة · ولكن العلوم الطبيعية لم تكن بعدُ قد بلغت شأواً عظيماً بين الجمهور ولم تكن قد اعطيت ذلك المقام السامي قبل سبنسر فقام العامة في وجهه شأنهم في كل زمان ومكان ووجدوا من بعض العلماء لهم معيناً ومساعداً فاخذوا يعترضون عليهِ و يفنّدون اقوالهُ و يحطون من كرامتهِ · ولم يفطنوا الى ان سبنسر فتح باقوالهِ باباً واسعاً وطريقاً رحباً ليسلك فيه الناس وجعل للكبير والصغير حظاً من العلم فيقتطف كل واحد من ثمار العلوم على قدر طاقتهِ بعكس ما كانت الحال عليهِ قبل ذلك الوقت فانهُ لم يعطَ الاَّ القليل منهم الحظ الوافر من الآداب ولم يتح لغير البعض محل مهمٌّ في الهيئة الاجتماعية وتُرك السواد الاعظم هائمين في ضلالاتهم كالحيوانات السائمة، والتمدن لا يتم الاَّ متى عم جميع طبقات الامة على السواء غير جاعل فرقاً بين صعلوك وامير

نعم ان سبنسر غالى في قيمة العلوم الطبيعية كل المغالاة ولكن لا بدع في ذلك لان هذا هو شأن الميل العلمي الاَّ انهُ اعطى العلم مقاماً اعظم من المقام الذي كان لهُ قبل زمانهِ واشرك العامة فيهِ وازال الفواصل القائمة سدًّا منيعاً بين الخاصة والعامة فكان قطب الفلاسفة في زمانهِ والرجل الذي قلما يجود الزمان بمثلهِ والمهذب الذي يجب ان يخضع العقل لاقوالهِ وحكمهِ

وممن لهم فضل كبير في هذا الدور الاستاذ هكسلي (١٨٢٥ - ١٨٩٥) · فاق هكسلي غيرهُ من علماء الانكليز في نشر العلوم الطبيعية وجعل لها المقام الاسمى بين الدروس التي تدرَّس في المدارس وكتب كتابات كثيرة في التعليم الاَّ انهُ لم يزد شيئاً على ما جاء بهِ باكون وسبنسر وغيرهما و يمكنا ان نبين اراء هكسلي كلها في ما يلي من اقوالهِ

« دعنا ننظر نظرة المتأمل في ماجريات الاحوال الحاضرة العجيبة ·· لا بد من ان يأتي وقت يجد فيهِ الانكليزي جهالة اسلافهِ عبرةً لهُ · فان اهم تجارنا واعظم المكتشفين

والمستعمرين ينتمون الى الطبقة الوسطى . ان كان ثمت قوم جعلوا لهم تاريخاً مهماً في مدة الثلاث مئة سنة التي عبرت — تاريخاً لو كان لليونان والرومان لكنا درسناه بلذة لا توصف ونظرنا اليه بما يستحق من الاهمية والاعتبار — فهم الانكليز. ان كان ثمت شعب نجح في الاديان نجاحاً باهراً فذلك الشعب هو شعبنا. ان كان ثمت امة يتوقف نجاحها على ما تملكه من قوات الطبيعة ومن مداركه شعبها وعلى طاعتها القوانين والشرائع وعلى تقسيمها الثروة وعلى وضع حدود وثيقة العرى لبقاء هذه الميزة فهي هذه الامة . ومع ذلك فان الانكليز يقولون لاولادهم « انما ننفق على الواحد منكم الف جنيه الى الفين من اموالنا التي نحصلها بالكد والجد ونمضي من حياتكم الثمينة اثنتي عشرة سنة في المدرسة حيث تتلقنون العلوم كما تقال ولا تتعلمون هناك شيئاً واحداً مما تحتاجون اليه في بحر هذه الحياة المضطرب بعد خروجكم منها. قد تتعاطون التجارة ولكنكم لا تعرفون من اين او كيف تأتي البضائع المختلفة ولا تعرفون الفرق بين الصادرات والواردات ولا معنى كلمة « رأس مال » وقد تسكنون احدى المستعمرات ولكن لا تعرفون هل تسمانيا هي قسم من سوث ويلس الجديدة او سوث ويلس قسم منها. وقد تنتخبون لمجلس الامة وتأخذون على عواتقكم سن الشرائع التي قد تكون بركة او لعنة للالايين من الناس ولكنكم لا تسمعون في المدرسة كلمة واحدة مما يتعلق بترتيب الاحزاب السياسية في البلاد وقد لا تفهمون ما هو وجه الخلاف بين المحافظين والاحرار بل ربما لا تطرق هذه الكلمات مسامعكم قط

وزد على ذلك انكم لا تعرفون هل توجد قوانين تسمى قوانين الاقتصاد. القوى العقلية التي هي المرشد لكم في اشغالكم اليومية هي القوى التي تنظر الى الاشياء بدون ان تنظر الى السلطة الحاكمة او معرفة النتائج من الحقائق . ولكنكم في المدرسة تتعلمون ان لا حق الا للسلطة الحاكمة فلا تمرنون قواكم المفكرة الا على ما يمكنكم ان تستنتجوه مما وضعته لكم تلك السلطة. قد ينهك العمل قواكم فتأكلون خبزكم بمرارة وممزوجاً بدموع الشقاء ومع ذلك فانكم لا تذهبون الى عالم المتون ملجأ النفس وراحة بني البشر من دون ان يخالطكم شيء من التعب والضيق » . . . ألم اقل بحق اننا شعب عظيم . انا اسلم في ان كل الاوقات التي تقضى في تعلم هذه المواضيع المهملة لا تعود على التلميذ بالفائدة المطلوبة ولكن هل اهمالها يؤدي الى التعليم الكامل ؟ . كلا . وهل نبالغ في القول اذا قلنا ان التعليم الذي يحتوي على هذه المواضيع وليس على غيرها هو تعليم حقيقي ولو كان ناقصاً . ان التعليم الذي يهملها ليس بتعليم وما هو الا مرض للعقل وليس منه فائدة تذكر »

ولقد اصاب الذين احتجوا عليهِ بان التعليم العام العملي لم يأتِ بفائدة اذ لم يزل الفقر والجنايات وشقا البشرية الخاصة سائدةً في الكون ان سبب ذلك كان مبدأ التعليم القديم غير انهُ لم يأتِ بطريقة لحل هذا الاشكال . اما التعليم الكامل فقد اوضحهُ بما يأتي

« الرجل الذي ينال التعليم الكامل هو الذي يمرن في الصغر حتى يكون جسمهُ عبداً مطيعاً لفكرهِ ويعمل اعمالهُ كما يعملها الميكانيكي من دون عناء او خلل . وهو الذي يكون ذا فهم جلي ومنطقيًّا في وقت معاً ولا يجد في فهمهِ الامور صعوبة ومشقة . وهو الذي يكون مستعدًّا كالآلة البخارية ليشتغل في اية وظيفة اسندت اليهِ . وهو الذي يقدر ان ينتقل من عمل السهم الى عمل المرساة . وهو الذي يكون عقلهُ عارفاً لمعرفة حقائق الطبيعة العظيمة والقوانين التي تسير بموجبها هو الذي لا يكون كالناسك بل يكون ممتلئاً حماسة وحرارة ونشاطاً . وهو الذي تُمرن عواطفهُ لتسير بموجب ارادتهِ تماماً و يكون عبداً لعواطف حساسة وضمير حي . هو الذي تعلّم ان يحب الجمال طبيعيًّا كان او اصطناعيًّا و يبغض الرذيلة ويحترم الآخرين كنفسهِ . هذا هو الرجل الذي يتعلم التعليم الكامل العائش باتفاق تام مع الطبيعة بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلاً »

ومن الغريب ان المدارس والجامعات لم تعضد العلوم الطبيعية في اول الامر بل كان بعضها يقاومها . ولعل السبب في ذلك تمسك العلماء بالعلوم القديمة والانسان خلق الوفا يصعب عليهِ ان يترك اطار الاجيال ويعتاض عنها اثواباً جديدة ولو كان عقلهُ مستنيراً بنور المعرفة . ولعل لذلك سبباً آخر وهو ان الحقائق العلمية لم تثبت كحقائق عامة الا بعد ان مرّت عليها سنون كثيرة واجتازت امتحانات وتجارب مختلفة وقطعت اودية وفيافي من الاعتراضات فكان يصعب على اساتذة المدارس والجامعات ان يشغلوا عقول تلامذتهم بما لم تتحقق صحتهُ . ولهذا فان اكثرها لم تعضد العلوم الطبيعية الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وان كان بعض جامعات المانيا قد فتح لهذه العلوم مجالاً واسعاً قبل ذلك الوقت

اما الاكاديميات فقد عضدت العلوم في كل مكان وفتحت ابوابها للمحادلات والمناقشات ورفعت شأن العلماء وكانت النشيط والسابق منهم عاليها يرجع الفضل الاكبر في تحقيق الحقائق وازهاق الاباطيل ورفع منار العلم

ولم تقتصر اوربا واميركا على ادخال العلوم في الكليات والجامعات بل ادخلتها ايضاً في المدارس الابتدائية وكانت المانيا السابقة في هذا المضمار فانها ادخلت الجغرافيا والطبيعيات والهندسة والنبات والحيوان في اوائل القرن التاسع عشر وخصصت ساعتين في الاسبوع لها

في اول الامر اما اليوم فقد خصصت لها اربع ساعات في الاسبوع وجميع مدارسها سائرة على هذا النسق فلا تستطيع واحدة منها ان تحيد عنهُ ابداً. واما في انكلترا فان العلوم الطبيعية لم تدخل مدارسها الأ بعد سنة ١٨٧٠ وقد سبقتها الولايات المتحدة فان العلوم الطبيعية اخذت تدخل مدارسها منذ سنة ١٨٣٢ وكانت اكثر المدارس قبل ذلك الوقت مقتصرة على العلوم الرياضية والنحوية على نحو ما هي عليهِ مدارسنا في الوقت الحاضر بولس شحاده

مستقبل البلاد العثمانية

ما من موضوع يهم العثمانيين الآن في مشارق الارض ومغاربها اكثر من هذا الموضوع ولاسيما بعد ان فقدوا ولاياتهم في افريقية واوربا ولم يبقَ لهم الأولاياتهم في اسيا وعاصمتهم الاستانة وضواحيها

وقد اطلعنا الآن على مقالتين في هذا الموضوع الاولى لكاتب انكليزي مشهور نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية والثانية مبنية على كُتيّب نشرهُ المرشال فون در غولتز باشا الالماني فرأينا ان نلخص بعض ما جاء فيهما لانهُ مطابق لما يقول بهِ اكثر المفكّرين ولاننا نودّ ان يطلّع رجال الحكومة العثمانية على ما يقولهُ فيهم غيرهم ولاسيما ابناء الامة الانكليزية والامة الالمانية. قال الكاتب الاول

يقول البعض ان الاتراك غير اهل لسياسة البلدان لانهم لم يخلحوا في افريقية ولا سيما اوربا. ولكن هذا القول منقوض بدليل انهُ مضى عليهم بضعة قرون وفي يدهم سياسة ممالك كثيرة مختلفة الاجناس والاديان والعادات والتقاليد. ولقد قال احد سفرائنا منذ اربع مئة سنة وكان في الاستانة ان السلطنة العثمانية مشرفة على الانحلال. وكرّر هذا القول غيرهُ في ازمنة مختلفة ولكن السلطنة العثمانية قاومت عوادي الدهر ولم يبتدئ فيها الانحلال الاَّ حينما اخذت تصلح شؤُونها في زمن السلطان محمود فحينئذٍ استقلّت عنها بلاد اليونان وتقدمت روسيا الى الدنيوب الاسفل واستولى محمد علي على مصر واحتلَّ الفرنسويون بلاد الجزائر. وزاد هذا الانحلال في عهد عبد الحميد فاخذ اليونان تساليا واخذت روسيا شرق الاناضول مع باطوم والقارس وامتلكت فرنسا تونس واستقلت رومانيا وسربيا وبلغاريا والجبل الاسود واحتلّت النمسا البوسنة والهرسك وانكلترا مصر وقبرص. وخُتم هذا الفصل باخذ ايطاليا لطرابلس الغرب وحكومات البلقان لولايات الروملي. ومن غرائب الزمان ان

هذا الانحلال ابتدأ في عهد السلطان المصلح و بلغ حدَّهُ في عهد الحكومة الدستورية ولا مثيل لهُ في سرعتهِ في تاريخ دولة من دول الارض ولو اصاب بلاداً غير البلاد العثمانية لقضى عليها

ولكن ما بقي للعثمانيين من البلاد لا يزال واسعاً جدًّا كثير الخيرات فان ولاياتهم في اسيا تزيد مساحتها على مساحة البلاد الانكليزية خمسة اضعاف وبلاد العرب وحدها لا تقلُّ مساحتها عن بلاد الهند ولا نبالغ اذا قلنا انهُ لو اهتمَّ الاتراك بولاياتهم في اسيا عشر اهتمامهم بولاياتهم في اوربا لكان عندهم الآن مملكة من اقوى الممالك واغناها ولكنهم اخطأوا في محاولتهم البقاء في اوربا فجنوا نتيجة خطإهم

انبثَّ في الشرق روح جديدة حينما اثبتت اليابان ان ممالك اوربا ليست ممَّا يستحيل التغلُّب عليهِ . ثمَّ انتشرت هذه الروح شمالاً وجنوباً وغرباً فاستيقظت الصين من سبات العصور الغابرة ونبهت الهند الى مطالب كثيرة واحيت في ايران ذكرى ملوكها السالفين واقامت المصريين واقعدتهم واغرت الاتراك فطوَّحوا بملكهم

والآن لم يبقَ للاتراك الأَّ ان يتلافوا خطأهم ويعودوا الى الاهتمام بولاياتهم التي طال اهمالهم لها في بر الاناضول و بلاد العرب . وسياسة هذه الولايات ليست بالامر السهل لان سكانها ليسوا امَّة واحدة ولاهم شديدو الولاء للاتراك . ويقدَّر عددهم سبعة عشر مليوناً ففي بر الاناضول ٤٠٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٥٠٠٠٠٠ من المسيحيين ونصف مليون من اليهود . وفي ارمينية وكردستان ١٦٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٩٠٠٠٠٠ من المسيحيين وفي سورية والعراق ٣٥٠٠٠٠٠ من المسلمين و ١٢٠٠٠٠٠ من المسيحيين واليهود وفي بلاد العرب الخاضعة فعلاً للدولة العثمانية ١١٠٠٠٠٠ وكلهم مسلمون

وحقيقة هذا الاحصاء لا تُعلَم بالضبط ولا هو يدلُّ على اختلاف اولئك الاقوام جنساً ومذهباً . فالعرب والارمن والشراكسة والاكراد والتركمان واليونان واليهود مختلطون ممتزجون في تلك الولايات كاختلاط امم البلقان ولكن يفرق بينهم و بين البلقانيين ان لكل امَّة من امم البلقان جاذباً يجذبها اليهِ البلغار للبلغار والسرب للسرب والالبان للالبان واليونان لليونان اما امم اسيا فليس لها جواذب حولها تجذبها اليها وتبث فيها النعرة القومية و بعض الاتراك غير العرب فان لهم بلاداً تنسب اليهم وشعباً ينتمون اليهِ . و يدَّعي الارمن ايضاً ان لهم بلاداً ينتسبون اليها ولكن الامر ليس كذلك بل قد امسوا كاليهود فان بلاد اسلافهم اجتاحها الغزاة مراراً فتجزأت بينهم وصارت حدودها القديمة في روسيا وتركيا وايران بل

قد سمي اسم الارمن في بر الاناضول لان الاتراك سموا استعماله وصار الارمن يسمون انفسهم هايك وبلادهم هايستان · وكردستان اسم لبلاد غير محدودة ولا شيء مما يبث القوة في نفوس الاكراد

والولايات الباقية للاتراك ممتدة من بحر الروم غرباً الى خليج فارس شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الاحمر جنوباً وهي تشتمل على بر الاناضول الكثير السكان والخيرات · والعراق المشهور في التاريخ بسهوله ونهريه الفرات ودجلة وبلاد الشام على ساحل بحر الروم من جبل طورس الى شبه جزيرة سينا · والحجاز واليمن من بلاد العرب وفي الحجاز مكة قبلة المسلمين والمدينة مدفن نبيهم

ووطن الاتراك الآن بلاد الاناضول هناك تزام ولا يصعب عليك ان تفرق بينهم وبين الارمن واليونان والاكراد والشراكسة والتركمان · هناك الاتراك اهل زراعة ولا تزال فيهم افضل المزايا الجنسية · ما من احد اخترق تلك البلاد الا ورأى من انسهم وحسن ضيافتهم ما اطلق لسانه بمدحهم والاعجاب بهم · وانقطاعهم للزراعة لم يفقدهم صفاتهم الحربية التي جعلتهم من الغزاة الفاتحين · اليهم كان السلاطين يلتفتون دائماً في ساعة الخطر فلا يرون منهم الا النهضة وتلبية الطلب ولو استغرقت الحروب دماء رجالهم · وهم كبار الاجسام كبار الرؤوس مستديرو الوجوه اقوياء عقلاً وجسلاً رزينون لا تستفزهم الطفائف ولا تزعجهم الطوارئ · حتى لقد تظنهم خاملين وما هم بخاملين لا يحسبون لاحد حساباً ولا يعتقدون ان احداً يفوقهم في شيء · ولقد فعلت سكك الحديد العجائب في بلادهم وزادت مصادر ثروتها

اذا خرجت من الاناضول خرجت من بلاد الاتراك لانها بلادهم بالفعل والبقعة التي رسخت فيها قدمهم وتغلبت عليها اطوارهم وان كانوا فيها اقل من غيرهم عدداً

والعراق لا يختص بشعب دون آخر يضرب البدو في بواديه يغزون وينهبون او يعملون ما هو اقل ربحاً لهم من الغزو والنهب اي رعاية الجمال وتربية المواشي · وفي مدن العراق مزيج من الارمن والاكراد والشركس واليهود والكلدان واليونان والعرب · وعند خليج فارس امارات صغيرة عربية خاضعة لآل عثمان ولو بالاسم ولا يتعذر على العراق ان يعود الى سالف عهده الخصب بلدان المسكونة · اذكر اسم بغداد وبابل ونينوى فتتراءى لك العظمة والقوة والحضارة والسطوة ومنابع الثروة

مررتُ من عهد غير بعيد من خليج فارس الى الاستانة متتبعاً الطريق الذي يراد انشاء سكة بغداد فيه فدهشت كما دهش غيري مما شاهدته من خيرات الارض وما يمكن ان يستثمر

منها وما خبيَّ للالمان من الغنى الوافر . فما اخصب تلك البلاد وما اغزر انهارها . افرغت من سكانها بعد ان كانت جنة لا مثيل لها كيفما اتجهت رأيت في انقاض المدن آثار المصانع واعمال الري العظيمة من ترع وجسور وكلها قد تولاها الفناء . ودجلة والفرات لا يماثلها الا النيل في خصب مائهِ ونهر اورودي في ذهاب هذا الماء هدراً . كرّت عليها القرون وهما يسلبان الارض خيراتها ويطرحانها في البحر . وقد ضعف الفرات من طول الاسراف واما دجلة فلا يزال يفيض ويملأُ المستنقعات ولكنهما كليهما لا يزالان قادرين على النفع الكثير اذا تمكن السمر ولم ولككس من لجمهما فتحول القفار التي حولها الى مصر ثانية

وسكة بغداد وري العراق من اربح الاعمال الهندسية ولكن ما حل بتركيا حديثاً لا بدَّ من ان يؤثر فيها لان الحصول على المال لعمل مثل هذه الاعمال لم يكن بالامر السهل من قبل فكيف وقد حلَّ بالبلاد ما حلَّ . كنت اباحث احد الصدور العظام في امر سكة بغداد فقال لي « اني احتاج الى مركبة وجوادين ولكن لديَّ امور اهم ». اما الالمان فلا يتعذر عليهم وجود المال لانهم يعلمون انهم ينفقون ديناراً ليكسبوا دنانير وان في التسويف خطراً اكيداً لان الاتراك متى انحصروا في اسيا وانقطعت صلتهم باوربا رأوا ان هذه السكة لازمة لهم وان لها قيمة تفوق قيمة حديدها وعطاتها . ولذلك لا يخشى من اهمال سكة بغداد ولكن اعمال الري في العراق لا بدَّ من اهمالها الى ان تنفرج الخزينة العثمانية . وهنا مجال واسع لاموال الانكليز اذا رضيت تركيا ورضيت المانيا

اما سوريا فلا داعي لوصف خيراتها وما فيها من مصادر الثروة . و بلاد العرب قلما يُعلَم شيء من غِناها والسكة التي مدَّت الى حجازها ليست تجارية بل حربية دينية لتعزيز سلطة السلطان

يظهر من هذا الشرح الوجيز ان المجال واسع لدى الاتراك ليستعيضوا عما خسروه من الولايات التي كانت دائماً سبباً لضعفهم فهل هم اهل لذلك . فقد قيل انهم نزلوا البلاد التي فتحوها كجنود على اهبة الارتحال فلم يستدعوا منها ولم يغيروا الا القليل منها . اما وقد تغلَّب عليهم رعاياهم في اوربا فهل تشتد عزائمهم في غيرها وتعقد لهم اعلام النصر . قد يتم لهم ذلك ولكن دونهُ اهوال

ولا يفلح الاتراك في اسيا الا اذا تغلبوا على ثلاثة موانع

لما كانت الحرب ناشبة في البلقان لم نسمع كثيراً عما كان يجري في ولايات اسيا و بلاد العرب ولكن ذلك لا يدلُّ على ان احوال البلاد كانت فيها غارة سارَّة فقد كتب مكاتب التيمس من الاستانة في الشهر الماضي يقول « ان الاحوال في كردستان صائرة من رديء الى

اردنا فان روساء الأكراد في تليس وديار بكر خرجوا على الحكومة فعجزت عن صدهم لقلة ما لديها من الجنود . ونهض الأكراد في ولاية وان ويقال ان عبد الرزاق بدرخان الذي اشترك في الواقعة التي انتهت بقتل رضوان باشا وسقوط اسرة بدرخان قام الآن على جمعية الاتحاد والترقي وعضده الشيخ طه والتف حوله جماعة كبيرة من أكراد الفرس . وطلبت الحكومة من عبد القادر افندي الكردي وهو من اعضاء مجلس الاعيان ان يذهب الى كردستان لتسكين الأكراد فاعتذر عن ذلك بانه ذاهب لقضاء فريضة الحج »

وقد شاع انه عاد الاعتداء على الارمن وان النار الخبوءة تحت الرماد في بلاد اليمن لم تنطفئ ومتى علم في الاصقاع البلاد ان الحكومة عادت بالفشل التام في حرب البلقان فلا يبعد ان يكثر اعداؤها في ولاياتها الاسيوية . وسيكون أكثر متاعبها من الأكراد والعرب اما الأكراد فاكثرهم اقوام رحل وكلهم اهل حرب وجلاد شأنهم الغزو والنهب وقد حاول عبد الحميد تسكينهم واستخدامهم لاغراضه في المذابح الارمنية فزاد ضررهم حتى صار اول هم الحكومة الدستورية مطاردة زعيمهم ابرهيم باشا لتخليص البلاد من شرهم وستفرق منهم الارمن حالما توجه عنايتها لاصلاح الولايات الاسيوية

والعرب اصعب مراساً من الأكراد لا لانهم يكرهون الانقياد لرجال الحكومة بل لانهم يختلفون عن الاتراك جنساً وطبعاً ولغة واخلاقاً . والعربي دستوري شوروي بالطبع واما التركي فيحب السلطة والاستبداد

طالما حاول الاتراك ان يستولوا على العرب و بلاد العرب فلم يفلحوا . والولايات الخاضعتان لم الآن الحجاز واليمن اخضعهما محمد علي صاحب مصر وحتى الآن لا يمكن حسبان اليمن من ولايات الدولة . واهل الحجاز يأخذون منها أكثر مما يعطونها وليس لها في بلاد العرب الا الحاميات في مكة والمدينة والطائف وصنعاء وجدة والحديدة

اما الارمن فلا خوف منهم اذا عاملهم الاتراك بالحسنى متعظين بما حل بهم في الروملي . ثم ان الروم والعرب والترك اجتاحوا بلاد الارمن في ازمنة مختلفة واضطهدوهم حتى اضطروا ان يتفرقوا في الاقطار المسكونة كاليهود ولم يبق منهم الآن عدد كثير الا في ولايات ارضروم ووان وسواس وخربوط وبتليس وديار بكر وجانب من ولاية حلب وفي الزيتون وساسون ولكنهم حفظوا جنسيتهم ويجب على الاتراك ان يعرفوا ذلك ولا يغضوا الطرف عنه كما فعلوا في البلقان والا اضطروا روسيا الى الانتصار للارمن يوماً ما كما اضطروا البلغار والسرب واليونان الى الانتصار لاخوانهم في البلقان

وامام الاتراك عقبة اخرى اشد من عقبة الاجناس مراساً وهي عقبة الاديان · والدين في الشرق كناية عن الجنس والامة · وان خطر لهم ان يعززوا مركزهم بالدين كما فعل عبد الحميد اصابهم ما اصابه لان الاعتراف بالخلافة لسلطانهم ليس بالامر المجمع عليهِ فالشيعة لا توافق السنة واهل السنة ليسوا على تمام الاتفاق في افريقية وتركيا · ولما كانت دولة الاتراك عزيزة الجانب في اسيا واوربا ايضاً لم يكن من الصعب ان يسلم اكثر المسلمين بالخلافة لآل عثمان ان لم يسلم بها كلهم اما الآن وقد أُخذت منهم ولايات اوربا فلا يبعد ان ينازعهم العرب الخلافة ويقولوا انها في قريش

ثم ان نجاح الاتراك في اسيا لا يتوقف على كون سلطانهم خليفة بل على حسن ادارتهم لبلادهم ومراعاتهم لاحوال الزمان والمكان

ولا شبهة ان الاسلام تغلب عند اول ظهورهِ على دولتين عظيمتين دولة الروم ودولة الفرس وانهُ رفع لواء الحضارة قروناً كثيرة وتناول علماؤُهُ مصباح العلم والحكمة من اليونان وانارو بهِ البلدان التي استولى العرب عليها وعلَّم القرآن ابناء العرب الاميين فصاروا علماء وفلاسفة شغلوا الفلسفة والطب والفلك والجغرافيا واستنبطوا واكتشفوا في العلوم والفنون · قالوا ان الارض كرة لما كان المسيحيون يحرقون من يقول انها ليست مسطحة وترجموا كتب ارسطوطاليس واقليدس وجالينوس وابقراط وانشأُوا المدارس الجامعة في قرطبة واشبيلية وطليطلة فقصدها الطلبة من اقطار اوربا وحينما كانت الفوضى ضاربة اطنابها في ربوع الغرب والديانة المسيحية في حالة الاحتضار كان العقل العربي يشتغل ويعلم وينظم ويهذّب الاخلاق

وربَّ قائل يقول ان كان الامر كذلك وان تمَّ للعرب واهل الاسلام عموماً ما ذكر في القرون الوسطى فلماذا نراهم الآن متخلفين عن غيرهم · اسأل العرب فيقولوا لك ان مصباح المعرفة بقي في يدهم الى ان جاء المغول واطفأوهُ · ولكن ليس اللوم على المغول وحدهم بل على كل الذين لا يراعون احوال الزمان والمكان ولا يسيرون مع الدهر بل يجمدون ويحاولون الوقوف على حالة واحدة او يدَّعون التدين وهم براء من الدين

واقول في الختام اني شاهدت الاتراك منذ اربع سنوات حاملين على الاستانة ليخلصوا البلاد من عبد الحميد ومعهم رجال متطوعون من البلغار والصرب واليونان والجبل الاسود · وفي شهر نوفمبر الماضي رأَيت من آكام شطلجه اولئك البلغار بين انفسهم يحاولون الوصول الى الاستانة ثانية · وقد جرَّب رجال تركيا الفتاة ان يحكموا البلاد بالمركزية وان

يتركوا سكانها بجاءت التجربة بالويل عليهم وعليها فليجربوا الآن اسلوباً آخر وهو ان يحكموا البلاد باللامركزية اي ان يعطوا الاستقلال الاداري لبعض الولايات في اسيا وبلاد العرب . وليتجنبوا قبل كل شيء الاقتداء بعبد الحميد الذي اقام فريقاً من شعبهِ على فريق آخر . والحكمة تقضي عليهم ان لا يتجاهلوا وجود الدول الاوربية وان روسيا واحدة من تلك الدول وليس من مصلحتها ان تكون دولة الترك على تخومها

وقال الكاتب الثاني — وضع المرشال فون در غولتز (باشا) كتاباً صغيراً بحث فيه في اسباب فشل تركيا الفتاة واحتمال نهوضها من كبوتها ولما كان المؤلف من اخبر الاوربيين باخلاق الاتراك واطوارهم واعلمهم بمواضع الضعف فيهم فلا غرو اذا ازاح كتابهُ الستار عن الاسباب التي اوصلت الدولة العلية الى حالتها الحاضرة

كان البارون فون در غولتز منذ ثلاثين سنة يعدُّ من اذكى الضباط في الجيش البروسي وادرام بالفنون الحربية وبلغت شهرتهُ مسامع عبد الحميد السلطان السابق فعينهُ مفتشاً للمدارس الحربية في السلطنة العثمانية ثم عهد اليهِ في وظيفة مساعد رئيس اركان الحرب . وظل متقلداً هاتين الوظيفتين اثنتي عشرة سنة اي الى سنة ١٨٩٥ . فاستقال من الجيش العثماني وعاد الى الجيش البروسي فبلغ اعلى المراتب فيهِ

بدأ عملهُ في الجيش العثماني بان اعد مشروعاً لرسم السلطنة رسماً طوبوغرافياً ومشروعاً آخر لتنظيم الجيش العثماني فنُفذ الاول منهما اما الثاني فبقي في عهد عبد الحميد حبراً على ورق

وخطر لهُ مرة ان يمثل حرباً ناشبة بين العثمانيين والبلغاريين ليرسم فيها لضباط اركان الحرب مواطن الضعف والقوة في الجيش المحارب وكيفية ادارتهِ . وفرض ان عبد الله باشا كان قائداً بقيادة العثمانيين وناظم باشا بقيادة البلغاريين . وبعد ما اوضح ذلك للضباط بالرسوم رغب اليهم في ان يزوروا الاماكن التي وقعت فيها هذه الحرب الوهمية لتتجلى لهم تفاصيلها وترسخ في اذهانهم ولكن الحكومة قبضت على هؤلاء الضباط وهم يشهدون مواقع الحرب الخيالية بحجة انهم كانوا يعدون مكيدة للسلطان . ولقي المارشال فون درغولتز صعوبة عظيمة في اقناع عبد الحميد بان الضباط كانوا يقومون بواجباتهم العسكرية لا بتدبير مكيدة لهُ وبعد اللتيا والتي تمكن من ان يستصدر ارادة سنية بالافراج عنهم ولكن السلطان حظر على جميع قواد الجيش وضباطهِ ان يقوموا بعمل ما من هذا القبيل الا بامر يصدرهُ هو اليهم . ولما كان عبد الحميد يوجس شراً من عواقب هذه الاعمال ويعدها من الاسباب التي تسهل تدبير

المكايد لهُ لم يصدر في مدة حكمهِ كلها امراً بالقيام بواحد منها وهكذا اغفل تدريب اركان الحرب في الجيش العثماني على فنون القتال

وكان لا يسمح في تلك الايام لجندي عثماني ان يطلق النار من بندقيتهِ ولو كان الطلق خرطوشة غير محشوة ولا يؤْذن لضابط ان يتعرف بالجنود الذين يقودهم . ولم يكن احد من القواد يجرأ ان يأتي عملاً آخر غير السير من بيتهِ الى مكتبهِ ومن مكتبهِ الى بيتهِ . وحدث مرة ان ناظر الحربية غيَّر الطريق الذي كان يسير فيهِ عادة من بيتهِ الى مكتبهِ فدعاهُ عبد الحميد الى قصرهِ وسألهُ عن السبب الذي حدا بهِ الى فعل ذلك

ولما نشبت الحرب البلقانية في شهر اكتوبر كان قد مضى على ترك المرشال فون در غولتز منصبهِ في الجيش العثماني سبعة عشر عاماً . مع انهُ كان يكتب كثيراً في اثناء هذه المدة الطويلة عن الشرق الادنى حبًّا في ايقاف مواطنيهِ على احوالهِ واسداء النصيحة الى رفقائهِ العثمانيين وتشجيعهم على اصلاح جيشهم ولكن ولاءهُ للدولة التي خدمها اكثر من اثنتي عشرة سنة واخلاصهُ لها منعاهُ من التشهير بها بكشف عورات الاساليب التي كانت متبعة في العهد الحميدي

وقام الضباط الاحداث بانقلاب سنة ١٩٠٨ ولما قبضوا على مقاليد الامور في السنة التالية ارادوا ان يستعينوا بالمرشال فون در غولتز على تنظيم الجيش واصلاحهِ فأبى ان يترك منصبهُ السامي في الجيش الالماني ولكنهُ قال انهُ يسر بزيارة بلادهم من حين الى آخر ومدهم بالارشادات اللازمة. وشهد سنة ١٩١٠ المناورات التي اجريت في جوار ادرنه ولما عاد الى بلادهِ كتب فصلاً مسهباً عما اطرى فيهِ ما رآهُ من حركات الجيش العثماني وحسن نظامهِ قاصداً ان يشجع بذلك قوادهُ على مواصلة الاصلاح الذي بدأوا بهِ بدلاً من ان يشهر مواطن الخلل فيهِ التي لا بدَّ من ان يكون قد نبههم اليها ورُبما كان هذا الاطراء سبباً من الاسباب التي حملت الذين لا يعرفون اخلاقهُ على القاء جانب من تبعة فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية على عاتقهِ وعاتق سائر الضباط الالمانيين الملحقين بهِ . والظاهر انهُ استاء جدًّا من ذلك فوضع كتابهُ هذا ليميط اللثام عن سر هذا الفشل وبين الاسباب التي تؤَدي الى نهوض الدولة العلية من عثرتها

سبقنا فذكرنا ان الذين قاموا بانقلاب سنة ١٩٠٨ واخمدوا فتنة سنة ١٩٠٩ كانوا من الضباط الاحداث ولا نغالي اذا قلنا ان معظمهم كان دون سن الثلاثين . فلما انتظمت لهم الامور واستوثقوا من الحكم صرفوا همهم الى احداث نهضة وطنية وكانوا راغبين في ذلك

اشد رغبة الأ ان معارفهم ولاسيما معارفهم الحربية كانت قاصرة جداً وخيالية اكثر مما في عملية . فقد كانوا يشتغلون في عهد عبد الحميد ولكنهم لم يكونوا يقرنون العلم بالعمل . و يظهر ايضاً ان النجاح الذي صادفوه في الثورة التي نادوا بها اضاع رشدهم وصرفهم عن رؤية ما ينقصهم فعزلوا كثيرين من كبار الضباط والجنود المجربين الذين انتهت مدة خدمتهم لنقضوا بذلك نظام الجيش وازالوا ما كان يكنه الجنود لرؤسائهم والذين اقدم منهم في سلك الجندية من الاحترام وواجب الطاعة . ثم عمدوا الى تأليف الجيش من الذين وقعت عليهم القرعة ولما شرعوا في تدريبهم شبت نار الثورة في اليمن وتلتها ثورة الالبانيا فاضطروا ان يرسلوهم لاخمادها مع ما هم عليه من عدم التدرب على فنون القتال

وتربع مختار باشا في دست الصدارة قبل اعلان الحرب وغالت وزارته في التقتير والاقتصاد حتى انها صرفت جيش الرديف الذي جمعه محمود شوكت باشا في الاناضول واعده لطوارق الحدثان

ولما عقدت المحالفة بين ممالك البلقان وشهرت الحرب كان جل الجيش العثماني ان لم يكن كله مؤلفاً من جنود غير مدربين وكان ضباطهم قد فترت همتهم وثبطت عزائمهم من جراء ما لاقوه في العهد الحميدي من الضغط على الافكار فماتت المكارم المولدة وذبلت قرائحهم المبتكرة . وزد على ذلك ان خطة الدفاع امام تشورلو أبدلت في الساعة الاخيرة — لاسباب غير معقولة ولا تزال مجهولة الى الآن — بخطة هجوم كانت سابقة لاوانها ولم يكن الجيش كفوءًا للقيام بها

هذا من حيث فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية اما من حيث مستقبل السلطنة فمن رأي المارشال فون در غولتزان في وسعها ان تستعيد مجدها وتسترجع عزها وسؤددها اذا اطرح الاتراك المتنورون منازعاتهم الداخلية ونسوا ما في صدورهم من الاحقاد والضغائن صارفين همهم الى ولاياتهم الاسيوية وهو ينصح لهم ان يحولوا الاستانة الى ترسانة كبيرة ويجعلوها مصيفاً لجلالة السلطان وان ينقلوا كرسي الخلافة الى حلب او بالاولى الى دمشق الشام التي هي الحد الفاصل بين الجزء التركي والجزء العربي من السلطنة . واهم واجب عليهم بعد ذلك ان يصطلحوا مع العنصر العربي ويتفقوا معهُ وان لا يعودوا يعدون سلطنتهم دولة اوربية بل ان ينظروا اليها كدولة اسيوية فقط . انتهى

مملكة الروس

القيصر ميخائيل رومانوف

وصلنا في الكلام على قياصرة الروس الى ميخائيل الاول الذي ابتدأت بهِ دولة رومانوف الحاضرة . وقد رقي هذا الشاب الى سرير الملك لا بالارث ولا بالفتح ولا بالدسائس بل باجماع نوّاب الشعب على اختيارهِ فانهم اجتمعوا في مدينة موسكو سنة ١٦١٣ كهنتهم واشرافهم وتجارهم ورؤساء جنودهم واقروا اولاً على ان لا يختاروا لملك عليهم اجنبيًّا ثم اختلفوا في مَن يختارونهُ من الروس واخيراً ذُكر اسم ميخائيل هذا فاجمعوا على اختيارهِ لا لفضل فيهِ لانهُ كان حدثًا في الخامسة عشرة بل لفضل ابيهِ رئيس اساقفة موسكو وكان حينئذٍ سجينًا في مرجبرج ولفضل اسلافهِ آل رومانوف . وكانَ اجماع الشعب على اختيارهِ بث فيهم روح الالفة والنشاط ومن ثمَّ ابتدأ تاريخ روسيا الحديث

ولكن آثار الحكم السابق لم تزل بزوالهِ لاسيما وان البولنديين لم يرضوا من الغنيمة بالاياب بل حاولوا ابقاء السلطة في يدهم واسترجاع ما اضاعوهُ منها . وهذا اهالي اسوج حذوهم في الشمال الغربي من البلاد . وكانت المدن قد خربت وتولَّى السكان الشقاء . وواضح ممَّا تقدم ان الاشراف كانوا قد اعتادوا الصلف والعتو فعسر عليهم الخضوع والولاء . وكان ميخائيل حدثًا كما تقدم فلم يستطع ان يرغمهم على طاعتهِ كما فعل القيصر ايفان . فانتقض حبل الامن وجعل الغرباء الذين في روسيا يتحسرون على ايام ايفان مع ما تخللها من القسوة . كتب واحد منهم وهو هولندي يقول « اللهمَّ افتح عيني هذا القيصر كما فتحت عيني ايفان والاَّ خربت موسكو » لكن الشعب الروسي كان موالياً لقيصرهِ راغباً في الطاعة والسهر في سُبل الفلاح فلما حان يوم لتويجهِ نهض المتطوعون وطلبوا رواتبهم التي لم تكن قد دفعت اليهم فبعث القيصر كتاباً الى اهل المدن الروسية يستنهض همتهم وغيرتهم الوطنية لدفع تلك الرواتب ولكي يساعدوهُ بالمال والرجال في طرد العدو من البلاد وردهِ عنها فصدعوا وتمَّ لهُ الفوز على خصومهِ بعد حروب كثيرة و بتوسط انكلترا وهولندا

وقد ذكر اهل التاريخ كيف طلب القيصر وساطة انكلترا ومساعدتها فقالوا انهُ بعث الكسى زسون سفيراً الى مدينة لندن ليقول لملك جمس « ان البولنديين قبضوا على تجارك الانكليز بعد خراب موسكو واخذوا بضائعهم وزجوهم في غياهب السجن ثم ذبحوهم » وقال

الرسول انهُ اذا اتفق لملك الانكليز ان عرف ان الذين قتلوا رجالهُ هم القزاق لا البولنديون فعليهِ ان يستنبط لهُ اعذاراً اخرى. وطلب من ملك الانكليز ان يرسل اليهِ نقوداً وميرة من البارود والرصاص والكبريت وما اشبه الى ما يساوي مئة الف روبل واذا لم يشأ ان يرسل كل ذلك فليرسل ما يساوي سبعين الف روبل او على الاقل خمسين الف روبل. والروبل يساوي الآن عشرة غروش مصرية وعليهِ فقد كان قيصر الروس يتوسل الى ملك الانكليز منذ ثلثمئة سنة ليقرضهُ ما يساوي عشرة آلاف جنيه فاقل الى خمسة آلاف جنيه. وهب ان قيمة النقود كانت حينئذٍ اغلى من قيمتها الآن عشرة اضعاف فلا يزيد هذا المال على مئة الف جنيه الى خمسين الفاً وهو الآن يطلب عشرة ملايين من الجنيهات فيتهافت الماليون على تقديمها في ساعة من الزمان

ويقال ان الملك جمس رحب بالسفير وحاشيتهِ وقال لهم انهُ عالم بما ارتكبهُ الاسوجيون والبولنديون في روسيا وطلب منهم ثلاثاً ان يضعوا برانيطهم على رؤُوسهم (وذلك من دلائل التكريم لهم) فاعتذروا وقالوا « انا جئنا نرى حبك الابوي وصداقتك الخالصة لمليكنا ونسمع كلامك الملكي في تمجيد ملكنا وننظر الى عينيك امام عيوننا ونحن عبيد اذلاء تعجز ايدينا عن رفع برانيطنا ووضعها على رؤُوسنا »

وفي السنة التالية جاء موسكو جون مرك سفيراً من قبل الملك جمس الاول وطلب من البرنس ايفان كوراكين ان يسمح لتجار الانكليز ان يتجروا مع الهند بطريق نهر الفلغا ومع بلاد ايران بطريق الفلغا واسترخان فقال لهُ البرنس ان الطريق غير امين فاسترخان لم تستقر الاحوال فيها بعد وقطاع الطرق يملأون الفلغا ومتى استتب الامن طرحت هذه المسأَلة على بساط البحث لدى الملك جمس. ثم انتقلوا الى مسأَلة الوساطة فقال جون مرك ان ملك الانكليز جمع البارلمنت ليبحث في اصلح الطرق لمساعدة القيصر وحتى الآن لم يقرَّ على شيءٍ. فقال البرنس كوراكين أَلاَ يمكنك ان تضمن لنا ان ملكك يرسل الينا في الربيع المقبل ما طلبناهُ منهُ فقال مرك كيف اضمن ذلك والشقة طويلة ولا طريق لنا الاَّ في بلاد اسوج

ثم تلا ذلك توسُّط انكلترا لدى ملك اسوج حتى رضي ان يترك بلاد الروس ويأخذ عشرين الف روبل غرامة. فتفرغت روسيا لمناوأَة الد خصومها وهو ملك بولندا ففازت عليهِ بعد جهاد طويل ودخلت في مصاف الدول الاوربية بعد ان اقصيت منهُ زماناً طويلاً وجعل ملوك اوربا يخطبون ودها وفي مقدمتهم غستافيوس ادلفس ملك اسوج فان البروتستانت خافوا ان يقضي عليهم الكاثوليك فقالوا لروسيا ان تغلَّب الكاثوليك علينا سهل عليهم التغلُّب

على الارثوذكسي ايضاً بعدنا وقد قال المثل اذا رأيت بيت جارك يحترق فاملا دلوك وساعده في اطفائهِ لئلا تمتد النار الى بيتك

وكان ملك الانكليز قد قرض القيصر عشرين الف روبل ثم طلب منهُ ان يفتح الطريق لتجاره الى الهند وايران فاستشار القيصر تجار موسكو في ذلك فقالوا ان فتح طرق التجارة للانكليز في بلادنا يعود علينا بالخراب لانهم اغنى منا ولكن ان كانوا يدفعون مكوساً لحكومتنا وكانت الحكومة محتاجة اليها حتماً فنحن نضحي مصالحنا لمصلحة الحكومة . فابى الانكليز ان يدفعوا المكوس فردَّ لهم تجار موسكو عشرين الف الجنيه التي اقرضوها للقيصر

ثم ارسل الملك لويس الثالث عشر ملك فرنسا يطلب من القيصر ما اباهُ على ملك الانكليز وهو طريق الى ايران . وهاك ترجمة ما قالهُ سفير فرنسا في هذا الصدد لترى كيف كان رجال السياسة يخاطبون حينئذٍ قال « ان جلالة القيصر هو رأس البلدان الشرقية ورأس المذهب الارثوذكسي . والملك لويس هو رأس البلدان الجنوبية فاذا عقد القيصر محالفة معهُ تقوّى بهِ على اعدائهِ وكما ان الامبراطور (الروماني) محالف لملك بولندا يجب على القيصر ان يحالف ملك فرنسا . وهذان الملكان يجلان في كل مكان ولا مثيل لها في القوة والسطوة ورعاياهما يطيعونهما طاعة عمياء بينا رعايا ملك الانكليز وملك هولندا يطيعونهما ولكنا يريدون . والهولنديون يشترون البضائع من اسبانيا و يبيعونها من الروسيين باثمان فاحشة واما الفرنسويون فيقدمون لهم كل ما يطلبون باثمان معتدلة »

هذه اول معاهدة بين فرنسا وروسيا ولكنها كانت عقيمة لان تجار الروس ابوا فتح طريق ايران للفرنسويين قائلين انهُ اذا رغب الفرنسويون في البضائع الفارسية فليشتروها منا

وارسل السلطان عثمان الثاني الى القيصر يقول لهُ انهُ اعلن الحرب على ملك بولندا وطلب مساعدتهُ فجمع القيصر مجلس شوريهِ واستشارهم في الامر فوافقوا على مساعدة السلطان ولكن وردت الاخبار حينئذٍ ان البولنديين فازوا على العثمانيين ووضعت الحرب اوزارها . و بقي القيصر محافظاً على ولاء السلطان حتى لما فتح القزاق مدينة ازوف وسلموها لهُ ردها الى العثمانيين . وسعدت روسيا في عهدهِ فجاءها المهاجرون من ممالك اوربا وانشأ فيها رجل هولندي مسبكاً للمدافع والقنابل ورجل الماني ثلاثة مسابك اخرى واجيز لكثيرين من الصناع ان يجيئوا في البلاد و ينشئوا فيها المعامل على شرط ان لا يكتموا شيئاً من اسرار صناعتهم عن اهل البلاد . ومنعت الحكومة ادخال التبغ الى روسيا وعاقبت مستعملي السعوط بجدع الانف

واستدعى العلماء من اوربا فدعي ادم اوليريوس هولستين الفلكي الجغرافي الى موسكو وترجم كتاب في الفلك والجغرافية من اللاتينية الى الروسية وانشأ بطريرك موسكو مدرسة عالية فيها لتعليم اليونانية واللاتينية

وتوفي القيصر ميخائيل سنة ١٦٤٥ وخلفهُ ابنهُ الكسي وكان رجلاً صالحاً سهل المراس مثل ابيهِ. قال الكتّاب الذين عاصروهُ انهُ كان معها اشتدَّ حنقهُ من احد لم يتجاوز الى عير رفسهِ او صفعهِ وكان اسرع خاطراً من ابيهِ ولكنهُ كان سريع الانقياد الى مشيريهِ فتسلط عليهِ معلمهُ موروزوف وبقي معهُ ثلاثين سنة لم يفارقهُ فيها. وكان موروزوف هذا على سعة علمهِ وذكاء عقلهِ متكبراً طماعاً ولما اراد القيصر ان يقترن بماريا ميلوسلافسكي لم يعارضهُ في ذلك ولا خشي تقرُّب ذويها منهُ بل عزم على ان يستخدمهم لاغراضهِ فاقترن باختها بعد اقتران القيصر بعشرة ايام فصار نسيباً لهُ وزاد مقامهُ تمكناً. ولكن حماهُ ميلوسلافسكي كان شديد الطمع فاستغل موارد الحكومة لاقاربهِ فثار الشعب ونهبوا بيت موروزوف وبيوت كثيرين من الاغنياء واضطرمت النار في مسكو وجاهر الشعب بالعصيان فيها وفي غيرها من المدن ونهبوا تجار الالمان الذين فيها ولم تخمد الثورة الأ بعد عناء شديد فعوقب مثيروها عقاباً شديداً بالقتل والنفي والتعذيب. ولما كانت هذه الثورة صارمة اطنابها في روسيا كانت في بولندا ثورة اشد منها فغالبا احمد الروس ثورتهم عادوا الى مناوأة البولنديين واخذوا منهم جانباً من بلاد او كرين المعروفة بروسيا الصغيرة وسكانها من القزاق

واشتدَّت الروابط بين القيصر وملوك اوربا تمكناً فجارت الحكومة الروسية شعبها في النسج على منوال الممالك الاوربية الى ان توفي القيصر الكسي وخلفهُ ابنهُ ثيودور الثالث سنة ١٦٧٦ وتوفي بلا عقب بعد ما ملك ست سنوات ولم يحدث مدة ملكهِ شيء يستحق الذكر وكان اخوهُ الذي يليهِ في السن واسمهُ ايفان ابله فلم يملك ونودي باخيهِ الاصغر بطرس قيصراً وهو من ام اخرى وكان لايفان اخت من امهِ عالية الهمة اسمها صوفيا فاثارت الجنود غير المنظمة على القيصر بطرس فنادوا باخيها قيصراً وبها وصية عليهِ وعلى اخيهِ في صغرهما فتولت هذا المنصب وحكمت سبع سنوات. ولما رأت ان اخاها بطرس بلغ سن الرشد ورغب في ان يقبض على ازمة الملك بيدهِ حاولت القبض عليهِ عدى بدسيستها وقبض عليها بواسطة الحزب المخالف لها وبعث بها الى احد الاديرة ووضع امهُ في مكانها وهو بطرس الاكبر وسيجيء الكلام عليهِ في الجزء التالي

فعل المحيط بالانسان

يختلف الناس بعضهم عن بعض في اللون والقد والاخلاق والعادات وطرق المعيشة الى غير ذلك من الفروق التي تميز امة عن اخرى وشخصاً عن آخر . و يعزى نشوء هذه الاختلافات الى المؤثرات الخارجية والعوامل الطبيعية التي ما برحت تؤثر في الانسان من يوم وجد على وجه البسيطة

وليس من غرضنا الآن البحث عن الفروق الشخصية وما يجعل كل فرد من الناس مختلفاً عن كل فرد آخر بل بيان بعض الاحوال الطبيعية العمومية التي اثرت في بعض الامم فاكسبتها صفات مخصوصة تميزها عن غيرها

وعلماء الانسان يقسمون امم الارض الى اجناس محدودة كالجنس السامي والجنس التوتوني مثلاً وهذه الاجناس تختلف بعضها عن بعض في صفات ومميزات خاصة كاستدارة القحف وشكل الوجه و بروز الخدين وهلم جرًّا . وقد نشأت هذه الاختلافات بتأثير المحيط الذي نشأ فيه كل من هذه الاجناس ولاجل ايضاح ذلك نورد الفقرة التالية من مقالة للاستاذ باتن احد اساتذة جامعة بنسلفانيا قال فيها « اذا سكنت امة في الجبال العالية واخرى في السهول الواطئة نشأ بينهما اختلافات بينة لاختلاف محيط كل منهما عن محيط الاخرى . فالذين يسكنون في الجبال ذات الهواء الجاف التي المنشط لا تحتاج رئاتهم الى العمل الكثير ولكن البرد وصيد الحيوانات ورعاية المواشي تجعلهم اقوياء قادرين على احتمال المشاق . و يكون طعامهم في الغالب صلباً جافاً يقتضي المضغ الكثير وهذا مما يقوي الاقسام السفلى من وجوههم ويقوي عضلاتها و يترتب على ذلك صغر معدهم وجودة هضمهم ونقاوة دمهم . ونتيجة هذه العوامل كلها ان سكان تلك الجبال يصيرون طوال القامة ضامري البطون مختلفين تمام الاختلاف عن الذين يعيشون في السهول الواطئة الذين يصيرون قصار القامة عريضي الاكتاف . و يصحب هذه التغيرات تغيرات اخرى لا تظهر في جميع افراد الامة ولكنها تظهر في كثير منهم وكثرة ظهورها دليل على انها تنشأ عن اسباب مخصوصة تعمل في الكل »

وقال بعد ذلك في فعل المحيط بالاخلاق « والعفة والاقتصاد والاعتدال في المآكل والمشرب قد تنقلب الى اضدادها في الانسان الواحد اذا انتقل من محيط الى محيط آخر او اذا تغير المحيط حوله . وقد تظهر هذه الصفات في افراد العائلة الواحدة حتى يخيَّل لنا انها

وراثية بينهم يتوارثها الاولاد من الآباء لكن اذا نقلت احدهم الى محيط جديد تبيَّن لك فساد هذا الاعتقاد . ومدنية كل امة وعاداتها لا يبقيها على مرور الايام الأَ بقاء المحيط الاجتماعي والمادي الذي ينشأ فيهِ ابناؤُها . وفي محيط كل امة قوًى تضطر كل ناشيء جديد ان يسير في اثر اسلافهِ الاقربين ويعمل اعمالهم ويفتكر افكارهم قبل ان يصل الى درجة ارقى من الدرجة التي وصلوا اليها فاذا ضعفت هذه القوى ظهر الانحطاط في الامة »

وقد كان للمحيط شأن كبير في تكييف المدنية في كل امة قامت وكان لها نصيب منها . بل ان المدنية نفسها نتيجة احوال طبيعية خارجية فانها نشأت في اودية الفرات والنيل والكنج واليانتسكيانغ حيث السهول الخصبة التي يجد فيها الانسان ما يحتاج اليهِ من القوت . فلما توفَّر لهُ في هذه الاودية ما هو محتاج اليهِ استوطنها وعدل عن التجول والترحال . وما اتقن حراثة الارض حتى صارت تنتج اكثر مما يحتاج اليهِ صرف بعض قوتهِ الى بعض الفنون ومقتضيات الحضارة كبناء البيوت الفاخرة وتزيينها

اما القبائل التي سكنت البراري القليلة النبات فقامت على تربية المواشي فكان لا بد لها من اتباع المراعي والتنقل بالقطعان من ارض الى اخرى فاختلفت طباعها عن طباع الامم المتحضرة وارتفع شان الفروسية والشجاعة فيها وذلك لحاجتها اليهما في الدفاع عن انعامها

والامم التي سكنت البلدان الحارة لم تقم على حراثة الارض ولا على رعاية المواشي لان الارض هناك تنبت كثيراً من الاشجار المثمرة ولان الحيوانات تكثر فيها ويسهل صيدها . زد على ذلك ان الانسان فيها لا يفتقر الى اللباس لحرارة الهواء فلم يعن سكانها بالصنائع كما عني غيرهم

وللمحيط تأثير كبير في نشوء الصناعة والتجارة والفنون وسيرها في طرق مخصوصة فمن عرف موقع فينيقية بين بحر كثير السمك والصدف وجبال تغطيها الحراج والاشجار رأى ان لا بد لسكانها من ان يبنوا السفن ويركبوا البحار ويتجروا مع الامم الاخرى ولاسيما بعد ان ضاقت عليهم بلادهم

وقد كانت مدينة البندقية في ايطاليا ام البحار في القرون الوسطى فكانت مركز التجارة بين الشرق والغرب تروح سفنها وتجيء في البحر المتوسط والبحر الاسود وغربي اوربا وشماليها حتى استولى الترك على الشرق الادنى كلهِ فقطعوا عنها تجارة البلدان الشرقية التي كانت القوافل تأتي بحاصلاتها الى مواني البحر المتوسط والبحر الاسود ففقدت البندقية اهميتها التجارية

واخطّ شأنها . واهتم الغربيون باكتشاف طرق اخرى توصلهم الى الهند من غير ان يروا بلاد الترك فاكتشفوا اميركا وطريق رأس الرجاء الصالح وتحول معظم التجارة الى يد البرتغاليين لان موقع بلادهم يلائم ذلك. وما لبث الهولنديون ان غلبوا البرتغاليين على التجارة وكانت كثرة مسالكهم البحر في طغيانه على بلادهم الواطئة سبباً في تهويس ركوبه عليهم وتذليلهم له

والصنائع علاقة كبيرة بطبيعة البلاد وما تخرجه من الحاصلات فوجود دود القز في الصين رفعت شأن صناعة الحرير فيها . وكثرة الصوف في بلاد العجم دعت الاهلين الى حياكة البسط والسجاجيد والتأنق في صنعها حتى اصبحت على ما هي عليه من الجودة والشهرة . ووجود الحجارة الكريمة في بلاد الهند جعل الهنود يبرعون في قطعها وصقلها . ولولا وجود الرخام في بلاد اليونان لما برعت تلك الامة في البناء والنقش وعمل التماثيل

والصناعة في عصرنا تقتضي قوة كبيرة لادارة الآلات ولذلك كثرت المعامل في البلدان التي يكثر فيها الفحم الحجري والشلالات التي يمكن استخدام قوتها كما في بلاد الانكليز واميركا

ثم ان الاحوال الطبيعية تؤثر في حياة الامة فاما ان تقيها من الفاتحين فتصون عاداتها واخلاقها واما ان تجعلها عرضة لهم فتتكيف اخلاقها في كل عصر على ما يقتضيه المحيط . ومن الامثلة على الامم التي كانت بلادها سبباً في منعتها وحفظ عاداتها الهند فان البحر يحيط بها من ثلاث جهات وجبال حملايا في شماليها سور منيع يصعب اختراقه ولذلك قل تمكن فاتح منها . ومن الامثلة على النوع الثاني سورية التي ما برحت تخضع للفاتحين منذ اول عصر التاريخ حتى الان ولذلك لم تقم فيها امة واحدة . ومما اضر بسورية الامم القوية الفاتحة التي نشأت حولها فقد استولى عليها البابليون والاشوريون والمصريون والحثيون واليونان والعرب وغيرهم من الامم فكانت في كل عصر تقتبس شيئاً من الامة الغالبة

الأ ان مثل هذه الحواجز الطبيعية قد قل فعلها في العصر الحاضر اذ ذلل الانسان البحار وخرق الجبال كما فعل في نفق سمبلون وسان غوتار في سويسرة ووصل البحار والانهار بعضها ببعض . واذا تم له تذليل الهواء تساوى لديه البحر واليابسة والجبال والاودية وقلت الفروق بين اجناس الناس الى ان تزول على مرور الزمن

المكتبة الاسرائيلية في القاهرة

في الرابع عشر من شهر مايو احتفل على الطائفة الاسرائيلية في القاهرة بافتتاح المكتبة التي انشأها حديثاً وجمع فيها الكتب والاوراق القديمة · ولما انتظم عقد المدعوين لحضور الاحتفال نهض حضرة رئيسو موسى باشا قطاوي فالق خطبة بليغة بيّن فيها الغرض من انشاء هذه المكتبة واوضح المبادىء الاساسية التي روعيت في انشائها وتنظيمها

ونهض بعده المسيو جاك موصيري منظم المكتبة وسكرتيرها فقال

لا بد لي قبل تقديم هذه المخطوطات والاوراق الى الطائفة الاسرائيلية من اسداء الشكر لحضرات الذين عضدوا فكرة جمعها وترتيبها وبذلوا من الاعانة ما جعل ابراز هذه الفكرة الى حيز العمل ممكناً

وبعد ان بيّن المصاعب التي يلاقيها من يتولى البحث في الاوراق والكتب القديمة ليمحّصها ويفرز منها ما له قيمة عمّا لا قيمة له ويجمع اجزاء الورقة الواحدة بعد ان تكون قد تمزقت وباعت قال

وعمل مثل هذا لا يقوم به الاّ من اوتي مقدرة المسيو شابيرا وجلده على معاناة الابحاث العلمية مع سعة معارفه بالآثار العبرانية والعربية · ومها بالغنا في شكره لا نوفيه حقه على ما بذله لجعل هذه الآثار نافعة

وكان لا بد من موازرة مثلكم ايها السادة لتحقيق الامنية الاخرى وهي انشاء مكتبة كبيرة يجمع فيها كل ما يهم الطائفة الاسرائيلية في القاهرة والاسرائيليين في القطر المصري عموماً من الآثار التاريخية · وقد انتظمت هذه المكتبة اليوم وما فيها من الكتب والاوراق يبيّن تتفاً من تاريخ الاسرائيليين في مصر والشرق عموماً ويمكن استخراج تاريخ الطائفة في القرون الوسطى منها · وهي تتضمن حقائق كثيرة عن حياة الطائفة الداخلية واحوالها الاجتماعية · اما استخلاص تاريخ تلك العصور منها فلم يتم بعد وله تعلق شديد الاهمية بتاريخ الاسرائيليين العام وتاريخ مصر وتقدم المعارف والاحوال الاجتماعية عموماً · فموسى ابن ميمون مثلاً الذي نشأ في مصر وقد عثرنا على بعض كتاباته حري بان يشمع له على بين كتبة العالم · وسوف تنقطع لخدمة هذا العمل وتبذل في ذلك طاقتنا · واملنا كبير ان هذه المكتبة التي ترحب باهل العلم والمطالعين ستعوم بالنفع الذي ينتظر منها فتكون

عوناً على الابحاث العلمية ومنتسماً لنشأن الادباء الذين يحبون المطالعة يجتمعون فيه اجتماع الاخوان بالاخوان

وهذه هي مجموعتنا النفيسة ذات النفائس العلمية والتاريخية اضعها بين ايديكم

وختم بالشكر لسعادة موسى باشا قطاوي والذين اشتركوا في جمع هذه المكتبة وتنسيقها

وتلاه المسيو رمون فل فقال: —

يسرني كثيراً ايها السادة انني معكم في هذا الوقت ارى اكمال عمل هو فخر الطائفة الاسرائيلية في القاهرة. عمل علي لم يتم الا بالهمة والمواظبة ولم اكن من جملة القائمين به لان لي اشغالاً اخرى في هذا القطر اهتم بها ولكني كنت ارقب نجاحه من حين بدئه. تعلمون ايها السادة ما لهذه النفائس التي ترونها من القيمة وتعلمون تاريخ اكتشافها وتعلمون ايضاً ان اول من وجه الانظار الى ما في جنازة (جمع جنازة كلمة عبرانية يراد بها مدفن الكتب) كنس القاهرة ومقابرها من الآثار الثمينة هم بعض العلماء الاجانب اما الطائفة فلم تفطن لامر هذه الآثار الا بعد ان امتدت اليها الايدي وسلبت منها اشياء كثيرة كان حقها ان تحفظ فلم يجد منها الا قسماً صغيراً جداً بعد الذي تسرب منها الى الخارج. وما وصل الى متاحف اوربا منها يزيد على مئة الف اثر كتابي تقدر قيمتها بملايين الفرنكات. ولكن ما مضى مضى فلا يجدينا الندم والتأسف انما يجب ان يبقى ذلك عبرة لنا. ومما يعزينا ان عبث الايدي بهذه الكنوز كان الباعث الاكبر على الاحتفاظ بما بقي منها ووضعه في هذه المكتبة التي نقدم اليوم للطائفة

في اواخر سنة ١٩٠٩ اخذت ابحث بالاشتراك مع المسيو موصيري في الاوراق التي كانت في جنازة كنيس مصر القديمة ومقبرة البساتين لكي نرى رأينا فيها ونقدم مخطوطاتنا عنها للمسيو اسرائيل لفي. اما البحث الحقيقي فلم يبدأ الا سنة ١٩١٠ و ١٩١١. وفي اواخر سنة ١٩١١ اتى العالم المشهور المسيو برنار شابيرا فبدأ بالعمل في مصر القديمة وفي البساتين وها قد اكمله الآن بعد مرور ثمانية عشر شهراً من حين الابتداء به

ولا اطيل الكلام على ما لهذه الاوراق والكتب التي انتشلت من ايدي الضياع من الاهمية للطائفة الاسرائيلية في القاهرة وللاسرائيليين والعلم عموماً فسيبين ذلك المسيو شابيرا ويطلعكم على ما تحتويه هذه الاوراق والرقوق التي اشتغل باستطلاع ما فيها وتمحيصها وترتيبها وترون البعض منها يزين جدران هذه الغرفة

وبينا كان المسيو شابيرا يشتغل بعمله هذا نشأت فكرة انشاء مكتبة توضع فيها هذه

الآثار بعد ان تجمع من جنائز القاهرة المتعددة كما بيَّن المسيو موصيري تحفظ من التفرق والضياع . واضيفت اليها بعد ذلك كتابات اخرى كانت في دائرة الربانية الكبرى ثم الحجج القديمة التي يرجع عهدها الى زمن قديم جدًّا وهي اضافة ثمينة

هذا ما تم حتى الآن وعوذا الذين قاموا على العمل يقدمون لكم ما في هذه المكتبة من الحجج والمخطوطات والاوراق والكتب الثمينة التي عثروا عليها

ومجموعة الكتب المخطوطة نفيسة جدًّا واقدم كتاب فيها كُتب في القرن الثاني عشر . وهي تحتوي على نسخ من المزامير والتوراة وشروح للاسفار الخمسة . ومنها نسخة من التوراة كتبها رجل اسمهُ داود بن شلومو من جيرون سنة ١١٨٩ (للميلاد) وتظهر عليها آثار ما بذلهُ من العناية والجلد في كتابتها . ومنها ايضاً نسخة اخرى اثمن من الاولى وان لم تحاكها في منظرها وهي نسخة من التوراة خطت في القرن الخامس عشر (للميلاد) ويزينها ٤٥ صورة متقنة التصوير تظهر كأن عليها مسحة من الحياة ولا ينقصها شيءٌ من الكماليات الدقيقة . ونسخ التوراة المزينة بالصور من ذلك العهد نادرة جدًّا فلهذه المجموعة امتياز على غيرها في احتوائها على هذه النسخة الفريدة

ولكثير من هذه المخطوطات التي اتى بها من دائرة الربانية قيمة وفائدة خصوصاً اجوبة الربان الاكبر ابرهام موصيري الذي كان بالحاخام القاهرة في القرن الثامن عشر واجوبة الربان سيّاح وهو من رجال القرن الثامن عشر وشرح جميل للاسفار الخمسة يرجع تاريخهُ الى القرن السادس عشر

اما الحجج والعقود فمنها نحو ٤٠٠ من انواع مختلفة وتمثل تاريخ الطائفة بما فيها من عقود ومستندات وتقارير واحكام الى غير ذلك . ويرجع تاريخ اقدمها الى القرن الرابع عشر وتتدرج في تاريخ كتابتها من ذلك الحين حتى القرن التاسع عشر بلا انقطاع . ويتعلق اكثرها بمقبرة البساتين ومصر القديمة (او الفسطاط كما كانت تدعى في القرون الوسطى) حيث كان معظم الطائفة يقيم حتى القرن التاسع عشر . واجل هذه الاوراق ما يتعلق بكنُس مصر القديمة ومنها الحجة التي تخول الاسرائيليين الحق تجديد بناء كنيسين يدعيان فيها بكنيس الشاميين وكنيس العراقيين . ولهذه الحجة اهمية كبيرة في اظهار شكل المدينة القديمة وتعيين المواقع المهمة فيها ومعرفة موقعي هذين الكنيسين الدارسين

اما الاوراق والكتب العبرانية العربية فلا اتعرض للكلام عليها وسيتمون وصفها من صاحب الاختصاص . انما اريد ان ارفع في هذا المقام واجب الشكر للمسيو الي غرين الذي عضد

القائمين بهذا العمل وللمسيو جاك موصيري على ثباته ومواظبته وللمسيو برنار شابيرا العالم الذي قام على امر هذه الاوراق منذ البداية ورتب لها فهرساً سينشر قريباً . واتمنى لهذا العمل الذي قد أكمل الآن وسيبقى مدى الادهار ان يظل مطرد النجاح . وفي القاهرة كثير من الكتابات القديمة التي يجب البحث عنها وجمعها ومجال البحث والتحقيق العلمي لا يزال واسعاً ولنا من حمية الطائفة ورئيسها المفضال ما يكفل لنا اتمام ذلك . و يسرني كثيراً ان اشكر ايضاً سعادة قطاوي باشا لعضده هذا المشروع وضمانه له النجاح

واسمحوا لي ان اطرح سؤالاً اعرف انه يخالج صدور كثيرين منكم وهو ألا يجمل بطائفة مهمة غنية مثلكم تبذل ما تبذله من المال في سبيل الاعمال الدينية والخيرية والعلمية ان تخصص قسماً للبحث التاريخي عن مآثر الشعب الاسرائيلي وماضيه فان ذلك خير مكمل للتهذيب العلمي والادبي اما جواب سؤالي هذا فمنوط بما تراه انت يا حضرة الرئيس فليس احد سواك يقدر عليه

ونهض بعده المسيو شابيرا وتكلم على القسم العبراني العربي من المكتبة فقال :—

يحتوي القسم العبراني العربي الذي سأصفه لكم على ٤٠٠٠ من الاوراق ونحو الالف منها فصول من التوراة وكتب الصلاة فلم ينظم مع غيره في هذه المكتبة . اما الباقي فقد رتب اكثره وبلغ ما رتب منه نحو الفين

ومن القسم الذي رتب عقود ورسائل وفصول من التوراة وشروح وفصول من التلمود ومدراشيم واجوبة وكتب في الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والتاريخ واللغة والشرع الموسوي ودواوين شعر ديني وغير ديني واكثر ذلك باللغة العربية

ومن هذا يتضح لكم ان المجموعة تحتوي على كتابات في جميع الابواب التي طرقها الكتبة الاسرائيليون وتبين ما اشتغلت به الافكار الاسرائيلية في قرون كثيرة . و يمتد تاريخها من القرن التاسع حتى القرن التاسع عشر لكن أكثرها كتب من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر

ولم يتم تنظيم الكتابات الحديثة العهد فيها وهي اهمها بكم انتم اسرائيليي القاهرة اذ تجدون فيها كتابات اسلافكم وانسبائكم ويمكنكم بواسطتها ان تعرفوا انسابكم . وربما تمكن البعض منكم من ارجاع نسبه الى بعض الربانيين المشهورين . ويسرنا كثيراً ان نكون قد حفظنا لبعض منكم اسباب الشرف التي يباهى بها فضلاً عن اننا اقمنا مودعاً للكتب التاريخية يمكن لاسرائيليي مصر ان يستقوا من معينه في المستقبل

اما الاوراق الاخرى فيعرف قيمتها من كان واقفاً على كتابات الاسرائيليين الحديثة في التاريخ والادب . وقد وجدت كتابات كثيرة كانت مفقودة واكتشفت كتباً اخرى لم تعرف من قبلُ وهي تطلعنا على حقائق كثيرة عن العصور السالفة وبعض من قام فيها من الكتّاب . وسنتمكن بواسطة هذا الكنز الثمين الذي كان محوطاً في كنيس مصر القديمة من اصلاح اغلاط كثيرة في التاريخ واضافة حقائق جديدة اليهِ

قد سمعتم باكتشاف شختر النسخة العبرانية الاصلية من ابن سيراخ وبعض الكتابات الاخرى واز يدكم انهُ اكتشف غير هذه كثيراً من الكتب والرسائل المهمة التي تبيّن حقائق كثيرة من تاريخ الاسرائيليين

بقي الآن ان نرى ما زادتهُ هذه الاكتشافات الجديدة من الحقائق الى تاريخ الاسرائيليين وكتاباتهم الادبية

لا تبلغ مجموعتنا مبلغ مجموعة اكسفورد او المتحف البريطاني في غناها بالاوراق الاسرائيلية ولكن مع ذلك فيها شيء من الكتب النادرة ويمكنكم ان تحققوا ذلك بمحص عنوياتها

من المؤلفات المشهورة التي كانت مفقودة وعثرنا عليها قسم من سفر هناوي (الكشّاف) تأليف سعيد ابن يوسف الفيومي وهو مكتوب على رق ولا يزال سليماً مضبوطاً بالشكل وجانب من كتاب عبراني قديم يشبه ابن سيراخ لم نقف لهُ على اثر من قبل ولكنهُ عريق . واربع صفحات من مقدمة التلمود للغاوون (الرئيس) صموئيل بن حفني دقيق الخط جداً وشيء من سفر همصوت (الشرائع) لحافظ ابن يصليح بخطهِ وقصائد لم تنشر قبلاً لصموئيل هاحيد وسليمان بن جبيرول ويوسف بن ابي طور واسحق بن جيات وابرهام بن عزرا

ومنها قطعة من الرق عليها كتابات في الصدوقيين وقد نشرها المسيو اسرائيل لي في مجلة الابحاث اليهودية « Revue des Etudes Juives » وقد رأينا فيها اموراً تاريخية مهمة عن الصدوقيين وتمكنت بواسطتها من معرفة التاريخ الذي كتب فيهِ الكتاب الذي اكتشفهُ شختر المشار اليهِ آنفاً

واكتشفت لنا حقائق كثيرة عن العصر الذي قام فيهِ المعلمون المعروفون بالغاوونيم وكان هذا العصر لا يزال محتجباً وللغاوونيم اهمية كبيرة في تاريخ الاسرائيليين وقد اطلعتنا هذه الاكتشافات الجديدة على كثير من احوالهم وتعاليم مدرستيهم البابلية والفلسطينية

فيها رسائل لنحميا غاوون ودوسه بن سعديا وشريرا غاوون وابنهِ هاي غاوون وغيرهم من غاوونيم فلسطين الى رباني الفسطاط تتعلق بالمدارس البابلية والفلسطينية ومنها

ايضاً اجوبة من الغاوونيم تبين لنا العلاقات بين مصر و بابل وشمال افريقية وفلسطين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر

ولهذه المكاتبات شأن كبير في استخلاص تاريخ الاسرائيليين في مصر من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر ولم يكن يعرف شيء من تاريخ هذا العصر من قبل ولم يعرف من الرجال الذين قاموا فيهِ الاَّ ابن سعيد وابن ميمون. ولايقوم رجل مثل ابن سعيد الاَّ في محيط يهودي راقٍ ووسط اناس على جانب من العلم والتهذيب بحيث يفهمون كتاباتهِ وآراءهُ. ولم يقم من قبلُ دليل واحد على ان اليهود كانوا كذلك في ذلك العصر . ومثل هذا يقال في ابن ميمون اذ لا يعقل انهُ يتخذ مصر موطناً ينشر فيهِ تعاليمهُ و يعد فيهِ آراءهُ اذا لم يجد فيها طائفة راقية واناساً يدركون تعاليمهُ و يقبلون عليها . اما الآن فقد اثبتت المخطوطات المكتشفة ذلك وستنشر ويستخلص منها تاريخ يهود مصر في القرون الوسطى . و يمكنكم ان تعلموا ما لذلك من الاهمية اذا عرفتم ان مصر كانت في ذلك العهد ملجأ اليهود الذين كانوا يضطهدون في بلاد المغرب بشمال افريقية و يضطرون الى التظاهر بغير دينهم فيفرون الى مصر حيث يلجأون الى اخوانهم الآمنين و يتمتعون بالحرية الدينية والسياسية

والمكاتيب الكثيرة الباقية من ذلك العصر تبين لنا سير بعض الاشخاص واحوال اليهود الدينية واعمالهم التجارية في الشرق . اما العقود فتعد بالمئات واكثرها مؤرخ وفيها اسماء كثيرين و يمكن للمؤرخ ان يستعين بها في ابحاثهِ

والمخطوطات التي تتعلق بالشعائر الدينية كثيرة و يمكن مقابلة بعضها ببعض لتصحيح النسخ التي طبعت ناقصة او تطرق اليها الغلط

وفي هذه المجموعة شروح التوراة والتلمود واوراق من كتب جدلية ولاهوتية وفلسفية وتاريخية وتحف قديمة جداً من معاجم التوراة والتلمود ومؤلفات في اللغة ومجادلات دينية ونصوص طبية وعلمية . وفيها ايضاً مخطوطات نادرة من خطوط الغاوونيم وخطوط الشعراء المشهورين كنثانائيل البابلي وابن ميمون وغيرهما والربانيين الذين قاموا في مصر من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر كداود بن ابي زمرا واسحق لوريه وابن سيد و يعقوب بيراب وابرهام موسوس وغيرهم ممن اشتهرت مؤلفاتهم واجوبتهم . فترون من ذلك ان ربانيي مصر بقوا يتابعون اعمالهم ويتمون واجباتهم حتى القرن التاسع عشر بدون انقطاع . وعسى ان تبقى مصر تخرج من الربانيين مشاهير مثل الذين اخرجتهم في عشرة قرون كانوا يتوالون فيها كأنهم حلقات متصلة الحلقات

ويمكنكم ان تتصوروا ما تحملتُ من المشاق في قراءة هذه الكتابات والفصل بين ما لهُ قيمة منها وما ليس لهُ قيمة ثم تنظيمها اذا تأملتموها قليلاً وفكرتم في الصعوبات التي تقوم في وجه عمل كهذا . وقد اعانني في هذا العمل المسيو جاك موصيري المعروف بشغفهِ وانصبابهِ على الابحاث العلمية المتعلقة باليهود فانهُ كان اول من عرف فائدة هذه التحف في القطر المصري اذا جمعت وجعلت بحيث يعم نفعها . فعسى ان تصبح هذه المكتبة مبعث نور يقبل عليهِ شبان الاسرائيليين للاطلاع على ماضيهم المجيد والسير في خطط اسلافهم

ونهض عند ذلك الرئيس فشكر الذين نظروا المكتبة على خطبهم التي تلوها و بينوا فيها كيفية قيامهم بالعمل وما تحويهِ المكتبة من النفائس

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطوّلة

ذكاء الحيوان الاعجم

ذكاء الجرذ

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

قرأت ما كتبتموهُ في ذكاء الحيوان الاعجم فتذكرت حكاية في ذكاء الجرذ فالها صديق لي موثوق بهِ وهي انهُ رأى منذ عشرين سنة تقريباً في مولد طنطا رجلاً معهُ خمسة من الجرذان لكل جرذ منها كيس صغير مملوء من التبن ومعهُ ايضاً شبه سفينة صغيرة فكان اذا قال « النفر بقرش تعريفه يا مسافرين » يحمل كل جرذ كيسهُ ويقفز نازلاً في السفينة وعند ما يقول « النفر بقرش صاغ » يحمل كلٌّ منهم كيسهُ على ظهرهِ ويقفز خارجاً من السفينة فكتبت لكم ذلك الآن لتروا رأيكم فيهِ

ذكاء العصفور

ورأيت مرةً عصفوراً لا يزال فرخاً سقط من عشهِ ولم يمكنهُ الرجوع اليهِ فجاءهُ عصفوران معهما عود من قش الارز ماسكين من طرفيهِ بمنقاريهما فتعلَّق الفرخ بهِ بمنقارهِ وطارا بهِ الى العش

حامد السيد الطنطاوي

[المقتطف] رأينا في الحادثة الاولى ان الرجل علَّم الجردان حمل الكيس والنزول الى السفينة والخروج منها وهي تفهم ما يريدهُ منها بالاشارة وبعض الاعمال التي يعملها لا يفهمها كلامهُ ولكنهُ يستعمل الكلام الفصيح . ويسهل تعليم الجرذ لانهُ حيوان اجتماعي اصلاً كما ترون في الكلام على الحيوانات الاجتماعية في هذا الجزء والحادثة الثانية اغرب من الاولى وقد رويت حوادث تشبهها من اعمال الطيور . ولا شبهة ان الطيور ارق الحيوانات ولو اضطرتنا احوال المعيشة الى جمع اخبارها لرأينا منها فوق ما رأهُ الآن من الاعمال الغريبة

الفقر والفقير

سيديَّ الفاضلين

قرأت في مقتطف هذا الشهر مقالاً تحت هذا العنوان هو قسم من خطابة القاها مصطفى افندي صادق الرافعي ملأ ثماني صفحات ولما انتهيت من قراءتهِ استعرضت امام عقلي افكار الخطيب . ولكنني لم ارَ في الثماني الصفحات المذكورة فكرة واحدة او رأياً واحداً علق بذاكرتي لفخامتهِ او لصوابيتهِ

واني اتصوَّر الآن السامعين خطبتهِ في طنطا حينما كانوا خارجين من قاعة الاجتماع يسأل بعضهم بعضاً عما قال الخطيب فلا يحير احدهم جواباً على هذا السؤال

والحق انكم اذا سئلتم الآن عن غرض الخطيب هل يمكن ان تقدموا للسائل جواباً شافياً . واذا لم تستطيعوا ذلك فلماذا ادرجتم هذه المقالة في المقتطف ؟

اني اعرف ان مهمة المقتطف هي تعويد قرائهِ على مبادىء المدنية الاوروبية . اي تعليمهم على النظر الاوربي الحديث واشرابهم المبادىء الحديثة في العلم والادب والمعاملة والاخلاق . فهل تخدمون بمثل هذه المقالة هذه الاغراض ؟

وقد لاحظت ان الخطيب يسب المرابين على اني اعرف — كما تعرفون طبعاً — ان الربا دعامة كبرى من اهم دعائم المدنية الحديثة . وهو مؤسس على مبدإ عادل لا يشوبهُ ادنى

حيف على المعاملين بهِ . ودليل ذلك ان الرافعي افندي اذا احتاج الآن الى مئة جنيه ووجد من يقرضهُ اياها هذا الشهر وآخر يقرضهُ اياها في مثل هذا الشهر في العام الآتي فضَّل الاول . فالربا هو ثمن هذا التفضيل . والنقود بضاعة من البضائع التي تباع وتشترى . وكما اني ادفع في الحذاء الجيد ثمناً اعلى مما ادفع في الحذاء الردي . فكذلك ادفع عن المال الذي يأتيني اليوم ثمناً اعلى مما ادفع عن هذا المال اذا اتاني بعد عام

وعليهِ فالرافعي افندي مخطئ في ذم الربا وسب المرابين ويجب ان يدرس شيئاً من علم الاقتصاد قبل ان يتكلم في هذه المواضيع سلامه موسى

[المقتطف] لا شبهة في ان سبق رافعي افندي في الانشاء على بلاغتهِ ليس مما يسهل فهمهُ على غير المتضلعين من العربية ومع ذلك لو انتظر حضرة المنتقد حتى قرأ تتمة الخطبة لاتضح لهُ مراد الخطيب . ولا يخفى ان الادلة الخطابية لا تعتمد على البديهيات والاوليات والقواعد المقررة كالادلة الرياضية بل على المسلَّمات والنكات الادبية وقد يكون الاستشهاد ببيت من الشعر اوقع في النفوس لدى سامعي الخطيب من كل الادلة الرياضية والطبيعية

اما الموضوع الذي اشار اليهِ المنتقد وهو الربا اي بيع النقود بثمن مؤَجَّل مع شيء من الربح فموضوع جليل وكذلك نسبة اغنياء الامة الى فقرائها وحقيقة الفقر وحقيقة الغنى وما اشبه من المواضيع التي لا بدَّ من البحث المستفيض فيها لايضاح حقيقتها

نشوء الاجتماع

حضرة الاستاذ العالم منشي المقتطف الاغر

ذكرتم في مقتطف شهر مايو الماضي تقدمتكم لكتاب نشوء الاجتماع التي اكتفيت بتلخيصهِ وتمنيتم ان تكون الترجمة تامة او اترجم كتاباً اسهل واوفق بحاجة ابناء العربية

ثم ان ترجمة هذا الكتاب ليست من السهولة بحيث يتصور البعض ومع ذلك فاني نقلت هذا الكتاب الى العربية بامانة تامة ولم الخصهُ كما ذهب اليهِ المقتطف لاني اعتقد اعتقاداً صلباً ان تلخيص الكتب هو في الحقيقة تشويه لمحاسنها واظن ان السبب فيما ذكرهُ المقتطف الاغر هو انهُ لم يدرِ مقدماً اننا نصدر الترجمة اجزاء وان ما اهديته الى المقتطف هو الجزء الاول فقط وسنشرع في طبع باقي الكتاب ونصدرهُ جملة واحدة قريباً ان شاء الله وحبذا لو يلقى هذا الكتاب من المقتطف عناية فيراجع بعض فصولهِ وان شاء قابل بين

الاصل والترجمة حتى اذا كان هناك خطأ او استعمال على غير وجهه به على ذلك والمقتطف ومكانهُ في العلم حري بذلك

اما عن الشطر الثاني من نقد المقتطف الاغر وهو ترجمة كتاب بني بجابة ابناء العربية فلعمري ان في كتاب نشوء الاجتماع لمنبراً لمن فكر وليلاً لمن نظر اذ فصَّل مؤلفهُ حفظهُ الله اسباب الارتقاء وبيَّن انها تجري على ناموس الانتخاب الطبيعي واي نفع لنا نحن الشرقيين اغلى ممن يقول لنا اننا اذا لم ننزع اغشية الموت وننافس غيرنا في البقاء فلا مناص من فنائنا واي ذكرى انفع او موعظة ابلغ ممن يقول لنا

« ونشاهد منظراً يروق لنا النظر فيهِ والاعتبار بهِ وهو اجتياز الانجلو سكسونيين حدود بلادهم وضربهم في مناكب الارض وامتلاكهم البلدان والممالك ونشر سطوتهم عليها وبسط نفوذهم فيها ويجرون في ذلك على منهاج اسلم من الذي انتهجهُ الفاتحون قديماً وذلك لان التعاليم الادبية التي تأسست عليها المدنية الحديثة نالت من اقتدتهم واثرت في مشاعرهم حتى جنح السكسوني الى اسعاد البشرية والرفق بها لم يسلك سبيل من تقدمهُ من الفاتحين من ارهاق الامم المغلوبة على امرها ونحن وان اخذنا عليهم بعض ما اجترحوهُ من الآثام والمنكرات فاننا لا نظن انهم خليقون بما ينعتهم بهِ المسترلكي حيث عد اعمالهم حروباً صليبية لا تعلي من قدر صاحبها ولا ترفع من ذكره

« اجل ان الجنس السكسوني اباد مزاحميهِ من الشعوب المنحطة ولاشاهم في منهاج الجد مدة وجدة مما لو كان التنازع واقعاً بين هذه الشعوب وبين جنس غير الجنس السكسوني بيد ان هذا الفناء لم يكن بالحروب والقتال بل جرى على سنن الطبيعة الحادثة وتمشى على نواميسها المتبعة ولو رغب السكسونيون وعملوا لتغيير هذه النتائج المقدَّرة لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً حيث ان من المقدر ان الشعوب الضعيفة تفنى في مجاهدة الشعوب القوية واعتبر ذلك في حال الاستراليين والتسمانيين واهل زيلندا الجديدة وسود امريكا »[1] الى ان قال « ونحن ننسب فناء الشعوب المنحطة الى رذائلنا وتأثيرها فيهم كأننا لو رغبنا في ايقاف هذا الفناء وعملنا لذلك يتوقف سيره المطرد او يتريث وكأن آثامنا التي صببناها عليهم هي السبب في سرعة تلاشيهم مع ان طبائع مدنيتنا الغربية التي فطرنا عليها واخلاقها التي نشأنا عليها وفضائلها التي نزهو بها ليست بامضى في قتالهم ولا اذهب في ملاشاتهم من آثامنا التي نجأر بالشكوى منها »

(١) راجع صفحة ٦٣ – ٦٤ – ٦٥ وما بعدها من الترجمة العربية

ثم فصّل بعد ذلك كيف ان العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء واظهر اخفاق الفلسفة الادبية في تبرير خلق المجتمع واسهب في بيان طبيعة الدين وكيف انها اجلى طبيعة في التاريخ الانساني ثم تطرق الى بيان وظيفة الدين في نشوء المجتمع حتى ذهب الى ان الغريزة المتأصلة فينا والتي تدعونا الى الايمان بالدين ليست من الخطإ ولا من البعد عن الصواب بالمكان الذي يذهب اليه جماعة كبيرة

وقد كان لابحاث المؤلف في الدين صدى بين العلماء ومعظمهم بني على اصوله[1] والبعض الآخر لا يزال مجداً في تأييدها وتشييدها ابتغاء الحق وخوفاً من نشوء الالحاد وكثرة الملاحدة وما في ذلك من الضرر على المجتمع[2]

الى هنا ينتهي ما عرّبته وهو القسم الاول من الكتاب اما القسم الثاني فهو بحث مستفيض في المدنية الغربية والاسس التي بنيت عليها والعوامل الاجتماعية التي تعمل فيها والظواهر المتفشية فيها وتحليل كل ذلك تحليلاً علمياً اساسه مذهب النشوء والارتقاء ثم افاض في ضرورة تحسين النوع لمن يريد البقاء من الامم والشعوب وقد اصبح ذلك الآن علماً قائماً بنفسه وهو اليوجنية[3]

ولولا ان للمقتطف عندي منزلة سامية ومكانة عالية لما طلبت منه ان ينهض في نقد الكتاب واني اعتقد ان اكبر خدمة يقوم بها — وهو ابو النهضة العلمية — بعد جهادهِ الطويل وعملهِ الجليل ان يعنى بنقد الكتب المعربة وخاصة العلمية منها وحسناً لو كان فاتحة لعصر نشوء الاجتماع الذي كان حديث العالم برهة من الدهر

المعرب
طنطا محمد زكي صالح

[المقتطف] انا نشكر حضرة المترجم على هذا البيان المسهب ولكننا نخالفهُ في امر جوهري وهو انهُ اذا عرض كتاباً على منتقد ليبدي رأيهُ فيهِ فليس لهُ ان يجادلهُ في رأيهِ ولو حسبهُ خطأً . وان لم يراعِ كتّابنا هذه القاعدة فلا يمكن ان يشيع عندنا انتقاد الكتب وتمحيصها لاظهار غثها من سمينها . هذا من حيث قولنا حبذا لو اختار المترجم كتاباً اسهل من هذا الكتاب ترجمة واوفى منهُ بحاجة ابناء العربية » . اما قولنا ان المترجم اكثر

(1) Vide : From Combe to Benjamin Kidd. The Appeal to Biology or Evolution for human guidance, by Mackintosh.

(2) راجع مجلة القرن التاسع عشر عددي فبراير وابريل من هذه السنة

(3) Eugenics

بالتلخيص والاشارة الى انهُ لم يحتفظ بكل معاني المؤلف فقد دلنا على الامر الاول منهما جرم الكتاب الانكليزي وجرم الجزء الذي نشر من الترجمة فان هذا الجزء واقع في ١٢٤ صفحة يقابلها في الاصل الذي عندنا ١٢٦ صفحة وترجمة كل صفحة منها تملأ غير صفحة ونصف صفحة من صفحات الكتاب المترجم اذا احتفظ المترجم بكل معاني المؤلف

ودلنا على الامر الثاني اننا قرأنا الصفحة الاولى من الفصل الاول فلم نرَ الدقة التي عنارها في الترجمة . وموضوع الفصل The outlook وقد ترجمهُ المترجم بكلمة « الحاضر » وأولى ان يترجم بكلمة المستقبل او دلائله او تباشيره

ثم قرأنا الصفحة الاولى من الفصل الخامس وهو الاخير في هذا الجزء فرأينا فيها كلمة جوهرية وهي كلمة Social organism وقد ترجمها « بالاجتماع الالي » والصواب الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي كما لا يخفى على دارسي البيولوجيا . وعسى ان يكون لنشر هذه الترجمة الفائدة التي يقدرها المترجم لها

باب الزراعة

معامل غزل القطن

لما كان السر تشارلس مكارا في هذا القطر منذ بضعة اشهر جرى لنا حديث معهُ عمَّا قيل ونشرناهُ في المقتطف من ان معامل الغزل في بلاد الانكليز لا تستعمل الآلات الحديثة التي يستعملها الاميركيون واليابانيون الآن ولذلك تقل مقطوعية معاملهم على كثرة مغازلها. فقال لنا اني اطلعت على ما قيل في هذا الموضوع وهو صحيح ولكن مغازلنا تغزل الخيوط الدقيقة ولهذا تقلُّ مقطوعيتها من الاثمان وزناً عمَّا تغزلهُ المغازل الاميركية ولكنها لا تقلُّ عن غيرها اذا اعتبرنا طول الخيوط التي تغزلها وثمنها. ووعدنا بان يكتب هو او غيرهُ في هذا الموضوع ما يجلو الحقيقة

وقد اطلعنا الان على مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها الحقائق التالية لعلاقتها بالقطن المصري ومستقبله

(١) مقطوعية معامل الغزل

الجدول التالي يدل على مقدار ما غزل من بالات القطن في سنة نهايتها ٣١ اغسطس سنة ١٩١٢ وعلى مقدار البالات التي غزلها كل الف مغزل في تلك السنة

البلاد	عدد البالات التي غزلت	البالات لكل الف مغزل
الولايات المتحدة الاميركية	٥ ٣٦٨ ٠٠٠	١٧٢ بالة
بريطانيا العظمى	٣ ٧٦٥ ٤٦٢	٦٧ »
روسيا	٢ ٠٣٥ ٠٧٩	٢٧٠ »
المانيا	١ ٧٧٠ ٢٨٦	١٦٨ »
الهند	١ ٦٠٦ ٥٥١	٣٦٤ »
اليابان	١ ٣٤١ ٨٣٩	٦٦٣ »
فرنسا	٠ ٩٨٧ ٨٤٣	١٢٣ »
النمسا	٠ ٨٦٤ ٠٩٦	١٨٠ »
ايطاليا	٠ ٨١٢ ٧٦	٢٢٤ »
اسبانيا	٠ ٣٣٣ ٧٥٠	١٧٠ »
بلجيكا	٠ ٣٣٤ ٣٨٢	١٦٩ »
سويسرا	٠ ٠٩٠ ٨٣١	٠٧١ »
هولندا	٠ ٠٨٤ ٨١٧	١٨٧ »
اسوج	٠ ٠٧٨ ٧٢٧	٢٠٨ »
البرتغال	٠ ٠٦٧ ٩٤٠	١٦٦ »
الدنمارك	٠ ٠٢٤ ١٢٥	٣٠٠ »
نروج	٠ ٠١٠ ٧٨٥	١٤٧ »

وقد بيَّن الكاتب ان قلة ما تغزلهُ المغازل الانكليزية ليس ناتجاً من ضعفها بل من انها تختار القطن الجيد وتغزل الخيوط الدقيقة ولا يغرقها في ذلك الأ مغازل سويسرا . اما كثرة القطن الذي يغزلهُ المغزل من مغازل اليابان فسببهُ ثخن الخيوط من جهة وكثرة ساعات العمل من جهة اخرى . ولو غزلت مغازل الولايات المتحدة خيوطاً دقيقة كالمغازل الانكليزية لما استطاعت ان تغزل اكثر من ٢ ٣٣٤ ٠٠٠ بالة اي اقل من نصف ما تغزلهُ الآن

وهاك جدولاً اخرى يظهر فيهِ عدد المغازل في كل من انكلترا والولايات المتحدة واليابان وسويسرا وما يغزلهُ كلٌّ منها من القطن المصري الغالي الثمن ومن القطن غير المصري

	عدد المغازل	ما يغزل منها القطن المصري	ما يغزل القطن غير المصري
انكلترا	٤٨ ٧٢٤ ٠٠٠	١٣ ٢٥٧ ٠٠٠	٣٥ ٤٧٧ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٣٠ ٣١٣ ٠٠٠	٠٠ ٦٩٠ ٠٠٠	٣٠ ٣١٣ ٠٠٠
اليابان	٠٠ ٢٧٩ ٠٠٠	٠٠ ٨٥٠ ٠٠٠	٠١ ٧٤٨ ٠٠٠
سويسرا	٠١ ٢٨٥ ٠٠٠	٠٠ ٨٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٤٣٥ ٠٠٠

واكثر مغازل سويسرا يغزل القطن المصري وسبب ذلك ان التطريز من اهم صنائع سويسرا فتغزل لهُ الغزل الدقيق من القطن المصري

فاكثر مغازل انكلترا وسويسرا من النوع الانكليزي الذي يغزل الخيوط الدقيقة واكثر مغازل الولايات المتحدة واليابان من النوع الاميركي الذي يغزل الخيوط الثخينة. وليس في اليابان سوى ٤٠٠٠٠ مغزل من النوع الانكليزي وقد غزلت في العام الماضي ٣٣٢ مليون رطل من القطن الهندي الرخيص الثمن و ١٣٨ مليون رطل من القطن الاميركي و ١٠٧ ملايين رطل من القطن الصيني ولم تغزل من القطن المصري سوى ١٣ مليون رطل

(٢) مكاسب معامل القطن

حسب الكاتب المشار اليهِ آنفاً مكاسب الانكليز من غزل القطن ونسجهِ منذ سنة ١٨٦٠ الى الآن فكان ثمن المغزولات والمنسوجات سنة ١٨٦٠ نحو ٥٩ مليون جنيه يخرج منها ثمن القطن وهو ٣٤ مليون جنيه فيبقى ربح واجرة عمال ٢٥ مليون جنيه ثم زاد مقدار المغزولات والمنسوجات رويداً رويداً وزاد الربح منها فبلغت قيمتها ٩٥ مليون جنيه سنة ١٨٨٤ وكان ثمن قطنها ٤١ مليون جنيه والربح والمصانعة ٥٤ مليون جنيه وبلغت قيمتها ١٥٠ مليون جنيه سنة ١٩١١ وكان ثمن قطنها حينئذٍ ٦٠ مليون جنيه والربح والمصانعة ٩٠ مليون جنيه اي ان ربح هذه الصناعة زاد من ٢٥ مليون جنيه الى ٩٠ مليون جنيه في خمسين سنة. وقد بينت ادارة الاحصاء في بلاد الانكليز ان قيمة المغزولات والمنسوجات القطنية بلغت ١٧٧ مليون جنيه سنة ١٩١١ ولكن هذا المبلغ يشمل ايضاً نفقات القصر والصبغ والطبع. وقيمة المغزولات والمنسوجات الاميركية حسب احصائها سنة ١٩٠٩ كان ١٢٥ مليون جنيه فقط. اما ربح اصحاب المعامل انفسهم بعد طرح اجرة العمال فليس

بالشيء الكثير لان عدد العمال في المعامل الانكليزية نحو ٦٠٠٠٠٠٠ ومتوسط اجرة الواحد منهم في الاسبوع نحو ٤٠ شلناً او اكثر قليلاً فالاجرة في السنة ١١٧ جنيهاً واجرة العمال كلهم نحو ٧٠ مليوناً من الجنيهات فيبقى لاصحاب المعامل مقابل عملهم ورأس مالهم عشرون مليوناً من الجنيهات في السنة

غلة الحبوب في العام الماضي

	القمح	الشعير	الاوت	الذرة
الولايات المتحدة الاميركية	١٣٥٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠	٢١٧٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠٠
روسيا في اوربا	١١٧٠٠٠٠٠٠	٨٣٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٦٣٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠	٥٧٠٠٠٠٠٠	
كندا	٣٩٠٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠٠	٦٣٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
المجر	٣٤٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣١٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠
اسبانيا	٢١٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠٠
سيبيريا	١٩٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠٠	
رومانيا	١٦٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠
النمسا	١٣٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
البلغار	١٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
بريطانيا	١٧٥٠٠٠٠٠	١٠٥٠٠٠٠٠	٣١٠٠٠٠٠٠	
الجزائر	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠
اليابان	٤٥٠٠٠٠			
بلجيكا	٣٠٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	
سويسرا	٨٥٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	

حسبنا الغلة بالاردب المصري وحذفنا منها الاعداد الصغيرة . وعليه فقد كانت غلة الولايات المتحدة من القمح في العام الماضي نحو ١٣٥ مليون اردب ومن الشعير ٤٠ مليون اردب ومن الاوت او الزمير ٢١٧ مليون اردب ومن الذرة ٥٥ مليون اردب فهي اكثر من

غلة اية بلاد اخرى من الحبوب ولا تدانيها الأوروسيا في اوربا وقد بلغت غلتها في العام الماضي ١١٧ مليون اردب من القمح و ٨٢ مليون اردب من الشعير و ١٠٠ اردب من الاوت و ١٤ مليون اردب من الذرة ويبق نوع آخر من الحبوب وهو الراي الشبيه بالقمح واكثر ما يزرع في روسيا وقد بلغت غلتهُ فيها في العام الماضي ١٧٢ مليون اردب وفي النمسا وقد بلغت غلتهُ فيها في العام الماضي ٢١ مليون اردب وفي المجر وقد بلغت غلتهُ فيها ١٠ ملايين اردب

موسم الحرير في الدنيا

بلغ موسم الحرير او الصادر منهُ في سنة ١٩١١ نحو ٢٤ مليون كيلوغرام كما ترى في هذا الجدول

في فرنسا	٤٠٢٠٠٠	كيلوغرام
« ايطاليا	٣٤٩٠٠٠٠	«
« اسبانيا	٠٠٨٨٠٠٠	«
« النمسا والمجر	٠٣٥٥٠٠٠	«
« تركيا اسيا	١١٦٠٠٠٠	«
« « اوربا	٠٣٦٥٠٠٠	«
« ولايات البلقان	٠١٩٥٠٠٠	«
« اليونان وكريت	٠٦٥٠٠٠	«
« القوقاس	٤٨٠٠٠٠	«
الصادر من ايران وتركستان	٥٥٠٠٠٠	«
الصادر من شنغاي بالصين	٥٥٠٠٠٠٠	«
« « كنتون «	١٦٩٠٠٠٠	«
« « يوكوهاما باليابان	٩٢٠٠٠٠٠	«
« « الهند	٠٢١٥٠٠٠	«
والجملة	٢٣٨٠٥٠٠٠	«

اما ما صدر من الهند والصين واليابان فلا يدل الأ على جزء من موسم الحرير فيها فالحرير الخام الذي صدر من اليابان مثلاً ثمنهُ ١٣ مليوناً من الجنيهات وصدر منها ايضاً منسوجات حريرية ثمنها مليونان واما ما نسج واستعمل في البلاد نفسها فلا سبيل لنا الآن الى معرفته

متوسط اسعار بعض الحاصلات

اختلفت اسعار الحاصلات الزراعية في القطر المصري في السنوات الماضية حسب الخصب والمحل في هذا القطر وفي الخارج ايضاً · وقد ارتفعت في الغالب على مرّ السنين بزيادة كثرة الذهب ورخصهِ كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ ثمن القطن بالقنطار وثمن سائر الاصناف بالاردب والثمن كلهُ بالقرش المصري

السنة	القطن	البزرة	القمح	الفول	الذرة	العدس	الشعير	الحلبة	الحمص
١٨٩٨	١٥٧	٤٦	٩٩	٨١	٧١	٨٥	٥٤	٨٤	١٦٠
١٨٩٩	١٩٣	٥٧	٩١	٧٥	٦٥	٨٣	٥٠	٨٦	١٠٩
١٩٠٠	٢٦٦	٦٦	١٠٢	٨٠	٧١	٨٨	٥٥	٨٠	١٣٦
١٩٠١	٢١٥	٦٥	١٠٤	٨٤	٧٠	٩٤	٥٣	٨٣	١٣١
١٩٠٢	٢٣٣	٦٦	١٠٣	٨٦	٦٢	٨٧	٥٧	٧٩	١٢٠
١٩٠٣	٣١٢	٦١	٩٤	٨٤	٦٤	٨٧	٥٣	٨٦	١٢٥
١٩٠٤	٣١٤	٥٨	٩٣	٧٣	٦٤	٧٨	٥٣	٨٢	١٠٠
١٩٠٥	٢٦٩	٥٥	١٠٦	٧٨	٧٥	١١٧	٥٧	٨٨	١٧٥
١٩٠٦	٣٤٠	٦٥	١١٠	١٠٦	٨٩	١٠٨	٧٣	١٠٥	١٨٩
١٩٠٧	٣٨٣	٧٢	١٠٥	١٠٥	٨٠	١١٩	٧٢	١٣٩	٢٢١
١٩٠٨	٢٩٩	٧٣	١٣٣	١١٠	٨٩	١٣٠	٧٢	١٣٥	١٩٠
١٩٠٩	٣٤٣	٨٢	١٢٨	١٢٠	١٠٤	١٣٠	٧٦	٩٦	١٨٩
١٩١٠	٤٤٨	٩٠	١١٠	٩٣	٧٤	١١٠	٧٦	١٥٣	١٩٨
١٩١١	٣٦٨	٩٠	١١٧	٩٣	٨٠	١٢٤	٧٥	١٤٩	١٧٠
١٩١٢	٣٣١	٨٣	١٣٣	٩٨	٨٥	١٣٠	٨٠	١١٩	١٦٦

وواضح من هذا الجدول ان التغير الاكبر في الاسعار وقع في القطن فان ثمن القنطار منهُ يزيد او ينقص مئة غرش او مئتي غرش · وحيث ان محصولهُ عندنا يبلغ ستة قناطير الى سبعة او سبعة ونصف فيكون الفرق في ثمنهِ ستة ملايين من الجنيهات الى اثني عشر مليوناً او اكثر · وهذا الفرق كبير جداً على بلاد تبلغ قيمة صادراتها كلها نحو ثلاثين مليوناً

من الجنيهات وقيمة كل حاصلاتها الزراعية نحو ستين او سبعين مليوناً من الجنيهات وهذا تختلف حالها من سنة الى اخرى في اليسر والعسر حسب مقدار موسم القطن وحسب سعره

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطعام القليل مع المضغ الجيد

يتخذ بعض الناس الاكثار من الطعام دليلاً على جودة الصحة وهم على حق في ذلك اذا اعتبرنا ما يبذلهُ الجسم من القوة في هضم الطعام الزائد والتخلص منهُ . الاَّ انهم يخطئون اذ يحسبون ان كل ما يأكلهُ الانسان يتحول الى لحم وعظم وعصب او ينتفع بهِ الجسم بطرق اخرى

لا يقوم الجسم بدون غذاء غير ان مقدار الغذاء ونوعهُ يتوقفان في الاكثر على نوع العمل الذي يعملهُ الانسان . وما زاد عن المقدار اللازم يكون عبئاً على الجسم يضطر الى هضمهِ والتخلص منهُ فيضيع بذلك قسم كبير من القوة كان الاولى ان يحتفظ بهِ

وقد ظهر من بعض التجارب ان مقدار الطعام اللازم للانسان اقل مما يأكلهُ عادة اكثر الناس . وجرَّب كثيرون ان يعوّدوا انفسهم على اكل القليل من الطعام البسيط فزادوا عافية وقدرة على القيام بالاعمال الشاقة

وعني البعض بالبحث عن مقدار اللحم الذي يلزم الجسم يومياً فرأوا ان الاقلال منهُ يجعل الانسان اقدر على القيام بالاعمال الشاقة واقوى على معاناة المصاعب

وقد يعترض البعض على ذلك بقولهم انهُ وان كانت للاقلال من الطعام نتائج حسنة تظهر في التجريب العاجل الاَّ انهُ لا بد وان ينجم اضطراب في الجسم اذا استمر عليهِ الانسان بضع سنوات . واعتراضهم هذا حري بالاعتبار الاَّ انهُ قام من اهل التجريب من جربوا الطعام القليل واعتادوا عليهِ فبقيت فيهم صحتهم بل ازدادت قوتهم ازدياداً بيناً

ومن اشتهروا بذلك رجل اميركي يقال لهُ المستر فلتشر وقد امتحنهُ بعض الاساتذة في

جامعة يابل بأميركا بعد ان مضت عليهِ تسع سنين وهو لا يأكل من اللحم يومياً الأ ستين غراماً . ومع انهُ كان جاوز الستين من العمر فاق الشبان الذين يروضون انفسهم يومياً في جميع الحركات التي تستدعي قوة عضلية . ويقول فلتشر ان قوتهُ وصحتهُ نتيجة اقلالهِ من الطعام واعتيادهِ المضغ الجيد وهو لا يقوم برياضة بدنية مخصوصة ولا يأكل الاَّ اذا احس بالجوع

الناس في مرض خوفاً من المرض

قالت الفلاسفة الناس في فقر خوفاً من الفقر ونحن نقول الناس في مرض خوفاً من المرض . واي مرض يتعب المرء اكثر من ان يحسب انهُ مصاب بالحمى دواماً فلا يفارق مقياس الحرارة جيبهُ او انهُ مصاب بسوء الهضم فلا يأكل طعاماً الاَّ كثر جشاؤُهُ وقوائهُ وقيئهُ او مصاب بالارق فلا تغمض لهُ جفن من كثرة ما يفكر في هذا الموضوع

وقد يقال ان للامراض اسباباً معلومة لا يأتي الفكر بها ولا يدفعها فالحمى ميكروب والطاعون ميكروب والجدري ميكروب والدفتيريا ميكروب ولا يقع مرض ميكروبي بانسان الاَّ اذا دخل جسمهُ ميكروب ذلك المرض وفعل بهِ فعلهُ الخاص . ولا يزول منهُ الاَّ اذا زال ذلك الميكروب بالعلاج او تغلب الجسم عليهِ . فنعم ولكن اكثر هذه الميكروبات موجود في كل مكان وقلما يخلو منها فم الانسان والهواء الذي يتنفسهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ ولكنها لا تفعل بهِ دائماً لان جسمهُ يقاومها و يتغلب عليها ولكنها تفعل بهِ اذا عجز عن مقاومتها اما لكثرتها او لان اعصابهُ تكون ضعيفة ولا شيء يضعف الاعصاب مثل الهم والخوف من المرض

من المحقق ان اعصابنا على نوعين نوع آلي يقوم باعمالهِ من غير نظر ولا روية ونوع عقلي يعتمد على النظر والروية وتقديم المقدمات واقامة الادلة والاقيسة . فاذا مشى الانسان على حائط ضيق تحتهُ هوَّة عميقة ولم ينتبه الى وجود الهوة او كان النور ضئيلاً حتى لا يراها مشى بسهولة وهو لا يخاف السقوط ولكنهُ اذا رأى الهوَّة تحتهُ وحاول تحكيم قدميهِ بعقلهِ حتى لا يسقط ارتجفت رجلاهُ واصطكت ركبتاهُ وعجز عن السير او وقع في الهوة . فاعصاب رجليهِ الآلية تعمل عملها في الحالة الاولى من غير روية فيكون متقناً لا عيب فيهِ واما في الحالة الثانية فتتعرض لها اعصاب دماغهِ وقواهُ العاقلة وتحاول تحكيم رجليهِ فتوقعها في الارتباك . وهذا شأن الموسيقي فان اصابعهُ تحرك الاوتار او المفاتيح على ما اعتادت فاذا حاول

اشراك عقلهِ معها عجزت عن عملها · بل هذا شأن الكاتب والخطيب فان كلاً منهما يكتب او يخطب بالبداهة ويجيد اكثر مما لو حاول الاستعانة بفكرهِ وقس على ذلك سائر الاعصاب الآلية التي اعتادت ما يسمّى بالعمل المنعكس فان تعرَّض العقل لها يوقعها في الارتباك لذلك يصاب بسوء الهضم من يكثر اهتمامهُ بهضمه ويصاب بالارق من يكثر اهتمامهُ بارقهِ · وتضعف عن مقاومة الادواء اعصاب من يكثر تفكيرهُ بها

وهذا القول لا ينفي وجوب الابتعاد عن اسباب الامراض ولا يجيز التعرُّض لها عفواً فاذا علمت بوجود ميكروب التيفويد في ماء فمن الجهل والحماقة ان تشرب ذلك الماء لان مقدار الميكروبات فيهِ قد يكون اكثر من ان يستطيع جسمك مقاومتهُ ولان مجرَّد معرفتك بوجود هذه الميكروبات فيهِ يخيف اعصابك ويعجزها عن المقاومة ولكن اذا لم تعلم بوجودها فيهِ فلا تقلقنَّ مخافة ان تكون موجودة ولا يشغلنَّ بالك لان اشتغالهُ يضرُّ بك سواء وُجدت فيهِ او لم توجد

وقد يكون الانسان عصبيًّا اي ان اعصابهُ شديدة الحس فيقلق لاقل سبب · ولا لوم عليهِ ولا تثريب لان العصبيين اقدر الناس على الاعمال واكثرهم مضاء فيها ومنهم العلماء والادباء والشعراء والمخترعون والمستنبطون ولكنهم اذا اكثروا من القلق على صحتهم اتلفوها ولم يستفيدوا شيئاً واذا توكلوا وتركوا المقادير تجري في اعنتها لم ينلهم من توكلهم ادنى فوق ما ينالهم اذا اكثروا الحذر والتوقي واشتغال البال

الطعام الكثير ضرر وخسارة

يحكى عن ديوجنس الفيلسوف اليوناني انهُ رأى مرةً شابًّا ذاهباً الى وليمة فقبض عليهِ وعاد بهِ الى ذويهِ مسرعاً · ولما سئل في ذلك قال اني رأيتهُ ذاهباً ليلقي نفسهُ في تهلكة فامسكتهُ واتيتكم بهِ

ولقد اصاب هذا الفيلسوف في ما فعل لان الاكثار من الوان الطعام في الولائم يغري الشاب بالاكثار من الاكل فيسوء هضمهُ وتنحرف صحتهُ

لم يكن الناس في عصر من العصور يهتمون بامر الطعام والصحة كما هم يهتمون بهما الآن · نعم انهُ قام في العصور الغابرة اناس بحثوا في الطعام والهضم والصحة بحثاً مستفيضاً ووضعوا للاكل قواعد صحيحة مبنية على الاختبار فقال الشيخ الرئيس ابن سينا

احصل طعامك كل يوم مرةً   واحذر طعاماً قبل هضم طعامِ

وقال غيره لا تجلس على الطعام الأ وانت جائع وقم وانت بما دون الشبع قائم . وقال الآخر ان أكثر الاوصاب من الطعام والشراب . ولكن هذه الاقوال قالها بعض الخاصة ولما كان الجمهور يعمل بها اوكان العامة يعرفون عنها شيئاً حتى شاع عند خاصة الرومان الاكثار من الاكل لمجرَّد ما يشعر بهِ الآكل من اللذة وقتما يأكل ثم كانوا يتقيأون ما اكلوهُ لكي يستطيعوا ان يأكلوا غيرهُ

وغني عن البيان ان الامراض كانت اشد فتكاً في العصور الغابرة منها الآن بدليل قلة ازدياد الناس من سنة الى اخرى ومن قرن الى آخر فان الناس الذين انتشرت عندهم العلوم الصحية الآن يتضاعفون كل نحو خمسين سنة ما عدا الذين قصدوا تقليل نسلهم بالفعل كاهالي فرنسا. ولقد كان عدد سكان اوربا منذ خمس مئة سنة نحو مئة مليون من النفوس فلو تضاعفوا مرة كل خمسين سنة لبلغوا الآن ٥١ الف مليون نفس اي اكثر من عدد سكان الارض كلها ٣٢ ضعفاً بل لو تضاعف عددهم كل مئة سنة لبلغوا ١٦٠٠ مليون نفس اي قدر سكان الارض كلها وهم لا يزيدون الآن على اربع مئة مليون نفس وهذا دليل قاطع على قلة زيادة السكان في القرون الماضية مع كثرة المواليد فيها وعلى ان الوفيات كانت تعادل المواليد تقريباً لكثرة الامراض وشدة فتكها

فما من عصر عرف فيهِ المتمدنون خاصتهم وعامتهم كيف يتقون الامراض مثل هذا العصر . وما من عصر اهتمت فيهِ حكومات الامم المتمدنة بصحة الاهلين مثل هذا العصر

ولا يراد بالاهتمام القلق واشتغال البال بل الاعتدال في المأكل والمشرب واجتناب ما فيهِ ضرر ولاسيما في اطعام الاطفال والاعتناء بصحتهم عموماً والمبادرة الى معالجة امراضهم

وهناك مسألة اخرى تتعلق بالطعام وكيفية الحصول عليهِ وهي ثمةُ سبب جنب الشقاء الذي فيهِ . فان الفريق الاكبر من الناس يعملون نهارهم كلهُ لاجل الحصول على الطعام واللباس ولا يكادون يحصلون على غير القوت الضروري الذي يتبلغون بهِ تبلغاً ومن هذا القبيل كل الفلاحين والصناع والعمال . فاذا كان الرغيف الواحد يقيت الانسان ويكفيهِ في يومهِ وجب ان لا يأكل رغيفين لئلاً يخسر ثمن الرغيف الثاني ويتعب معدتهُ ويتلف صحتهُ وقس على ذلك سائر الاطعمة التي لا فائدة من اكلها او ليس فيها فائدة توازي ثمنها او من اكلها ضرراً أكيداً إما لانها فضلة زائدة عما يحتاج اليهِ الجسم او لانها ضارَّة لذاتها

ومن حسن الحظ ان فطرة الانسان ترشدهُ غالباً الى اختيار الطعام المناسب والى المقدار الكافي منهُ . فذوقهُ يمنعهُ من اكل ما هو فاسد او ما ليس صالحاً . وقابليتهُ تقف عند حد

الشبع ولا تجاوزه الا مكرهة . فاذا اعتمد على ذوقهِ وعلى قابليتهِ ولم يجبر نفسهُ اجباراً على الأكل الكثير بل اكتفى بما هو عند حد الشبع او بما هو دونهُ استفاد صحة ولم يخسر مالهُ هدراً والاَّ ابهظ صحتهُ واضطر ان يزيد تعباً لكي يبتاع ما لا حاجة بهِ اليهِ من الطعام

من اين المعلمات

كان عدد السكان في القطر المصري في العام الماضي ١٢ مليوناً من النفوس . ومعلوم ان الزيادة السنوية في عدد السكان هي نحو واحد ونصف في المئة فستكون زيادة السكان هذه السنة ١٨٠ الفاً من النفوس نصفهم اناث ونصفهم ذكور اي ان البنات اللواتي كنَّ في العام الماضي في السن الذي يدخلن فيهِ المدارس قد زاد عددهن هذه السنة نحو تسعين الف بنت فاذا فرضنا ان عند نظارة المعارف ومجالس المديريات معلمات كافيات لتعليم كل البنات اللواتي كنَّ في سن التعلم فالزيادة التي حصلت هذه السنة تقتضي وحدها الفي معلمة جديدة على الاقل اذا فرضنا ان كل معلمة تستطيع ان تعلم ٤٥ بنتاً

ولسنا نقول ذلك تثبيطاً لعزائم المعتنين بتعليم البنات بل حثّاً لهم لكي يرغّبوا كل المتعلمات في التعليم بأية واسطة كانت حتى يكثر المتعلمات والمعلمات على قدر الامكان. لاسيما واننا سنضطر يوماً ما الى جعل المعلمات يعلمن الاحداث كلهم من البنين والبنات

كلية البنات الاميركية بمصر

احتفلت كلية البنات الاميركية بمصر باعطاء شهاداتها للتلميذات اللواتي اتممن فيها دروسها العلية ولثمانٍ اتممنَ دروسهن الاستعدادية وخطب في الاحتفال سعادة نجيب باشا غالي وكيل نظارة الخارجية الخطبة التالية

بمزيد المسرة والارتياح اجبت دعوة حضرة رئيسة المدرسة المحترمة لحضور هذه الحفلة. فراقني وراق الحاضرين طبعاً ما شهدناهُ من حسن النظام والتقدم الباهر حتى وددت لو أرى مثيلاً لهُ في كلية البنات القبطية التي يراد انشاؤها في شهر يونيو القادم

ومما لا شك فيهِ ايها السادة ان من اهم اسباب تقدم الامم و بلوغها اوج الرفعة والمجد تعليم البنات وتربيتهن تربية فاضلة تكفل اعداد كل فتاة لان تكون زوجة قادرة على تدبير شؤُون بيتها او مملكتها الصغيرة وعلى خدمة امتها خدمة صالحة بترقية مدارك ولدها الذي

يشب في حجرها تربية تبدو آثارها على صحيفة اعماله . فتنشئهُ رجلاً عاقلاً عاملاً على سعادة امتهِ وعضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية لان ما يرسخ في ذهنهِ في دور طفوليتهِ او مدرستهِ الاولى من المبادىء القويمة والاخلاق الفاضلة تظهر آثارهُ في رجوليتهِ . فتلك المبادىء الصحيحة تصحبهُ في حياتهِ ولا يقوى الزمان على محوها عملاً بالمبدإِ القائل من شبَّ على خلق شاب عليهِ

فللفتاة في هذه الحياة وظيفتان ساميتان وظيفة الزوجية التي تنحصر اجمالاً في ان تكون معواناً لزوجها على توفير اسباب المعيشة بحسن تدبيرها وشريكة لهُ تقاسمهُ السراء والضراء فتسر بسرورهِ وتخفف عنهُ اعباء همومهِ . ووظيفة الام أم رجال المستقبل الذين يسعدون ويشقون سعادة وشقاء هي نتيجة ما تبثهُ فيهم وتذكيهِ في نفوسهم من المبادىء التي تبلغهم السعادة في الحال الاولى وتوردهم موارد الشقاء في الحال الثانية

لهذا كان من اقدس الواجبات على من يعهد اليهِ في تربية امهات الغد ورجال الغد ان يعلمن ما عليهنَّ من الواجبات لاولادهنَّ كتمرينهنَّ التحلي بالفضائل والتخلي عن كل ما ينافي قواعد الدين الذي يدينون بهِ وبث الميل فيهنَّ الى معونة البشر ولاسيما مواطنيهم والتفاني في حب الوطن وفي خدمة مصالحهِ جهد الطاقة والامكان . وليقرن ذلك كلهُ باحترام النفس والاعتماد عليها والصدق في القول والثبات في العمل

هذا واني لعلى يقين ان حضرة رئيسة هذه المدرسة الفاضلة عاملة على جعل تلميذاتها اهلاً لتلك الغاية الشريفة التي هي اعداد امهات رجال المستقبل لخدمة امتهنَّ باحسانهنَّ تربية اطفالهنَّ . وفقنا الله جميعنا الى ما فيهِ سعادة الحال والمآل والتدرج في مراقي الكمال

وخطب حضرة حفني افندي ناصف مفتش اللغة العربية في نظارة المعارف الخطبة التالية

سلام على هذه الدار المباركة — سلام على هذه الحدائق الغنَّاء التي انبتت تلك الثمار الشهية . وتلك الازهار النضرة — سلام على هذه الدار التي اطلعت سماؤُها تلك النجوم الزواهر . وتلك البدور السواطع

لا تحيي هذه الدار لمجرد كونها معهداً من معاهد العلم وان كان كل معهد علمي مستحقاً للاعظام والاكبار عظيماً كان او حقيراً وانما نحييها لكونها جمعت الى تثقيف العقول

بالعلوم والمعارف تهذيبَ النفوس بالاخلاق الجيدة والخصال الفاضلة . العلم اذا لم يقرن بالتربية القويمة يكون قليل الفائدة او عديمها بل ربما كان مضرًّا

مثلُ العلم كمصباح وهّاج يرشد صاحبهُ الى الطريق التي يريدها سواء كانت طريق خير ام شر . فصاحب المصباح يمكنهُ ان يهتدي بهِ في الليلة الظلماء الى معبد الصلاة او الى اغاثة ملهوف كما يمكنهُ ان يهتدي بهِ الى تسلق الجدران وسرقة الجيران . لا تفهموا من هذا انهُ يجب مقاومة العلم حتى لا يؤدّي الى الشر لاننا اذا جنحنا الى هذا القياس يلزمنا ان نفقأ عيون المبصرين حتى لا يستعملوا ابصارهم في السرقة والتزوير . وانما يجب ان يقرن تعليم العلوم بتربية الاخلاق حتى يكون اثر العلم خيراً محضاً

تربية الاخلاق تحدّد نطاق العلم وتحصر آثارهُ فبدلاً من ان يكون الشخص نافعاً لنفسهِ فقط مضرًّا غيرهُ يكون نافعاً لنفسهِ ولغيرهِ راضياً مرضيًّا

سعادة الامة موقوفة على امرين معاً العلم وتهذيب الاخلاق . وهنالك امر ثالث هو في الحقيقة اول . وهو سلامة العقل الفطري من الضعف فاذا لم يكن العقل الفطري سليماً متيناً كان تعليم العلوم وتربية الاخلاق كزرع في ارض غير خصيبة . وهذا سرّ ما نجدهُ من التفاوت بين المتعلمين في معهد واحد بطريقة واحدة

ولا يكفي في سعادة الامة تعليم العلم والتربية البنين فقط . بل لا بد من تعليم البنات وتربيتهن مع البنين او قبلهم . فمهما تعلم الرجل وتربى ففائدتهُ في الغالب قاصرة عليهِ وقلما يكون مفيداً لغيرهِ الّا اذا احترف حرفة التعليم والارشاد . اما المرأة فهي من طبعها معلمة . خلقت المرأة معلمة بالطبع . فهي مع رفيقاتها معلمة . وفي منزلها معلمة لاولادها وخدمها وعشيرتها . فهي كل يوم تعطي دروساً وفي كل وقت تلقي مسائل وتطبيقات لا نهاية لها فاليوم السعيد هو اليوم الذي نرى فيهِ المصريات جميعهن متعلمات حتى تكون المعيشة هنيئة والاسرة في نعيم مقيم ومرافق الامة آخذ بعضها بحجز بعض

واني وان كنت مسروراً مما شاهدتهُ هذا اليوم من آثار التعليم والتهذيب اوصي حضرة رئيسة المدرسة ان تجعل العناية بكل علم بمقدار ما لهُ من الفائدة . ولا ارى اكثر فائدة من اللغة العربية . العلوم والفنون كنقود وجواهر كريمة محفوظة في صندوق من حديد ومفتاح هذا الصندوق هو اللغات

نحن في مصر التي تحوي من النفوس اثني عشر الف الف و يتاخمها من غربيها الغربُ الادنى والاقصى ومن جنوبيها السودان والصحراء الكبرى وما اليها من البلاد العربية ومن

الشرق الشام والعراق والحجاز واليمن وما يصاقبها من البلاد العربية . هؤلاء الالوف والملايين لهم لغة مشتركة يتفاهم بها الجميع وهي اللغة العربية الصحيحة وان كان لكل صقع منهم لغة عامية خاصة . فالذي يعرف اللغة العربية يملك مفتاح هذا الصندوق ويمكنهُ ان ينتفع بما فيهِ جميع هذه البلاد قريبها وبعيدها بخلاف من لا يحسن هذه اللغة فان فائدتهُ لا تتجاوز نفسهُ

وقد عرف قيمة هذا المفتاح كثير من المستشرقين في اوربا فاستخرجوا الكثير من الكنوز وتقبوا عن الكتب العربية المفيدة وطبعوها ونشروها وافادوا بما استخرجوهُ منها من النفائس النفيسة وغيرهم

ويكفي في الحصول على مفاتيح هذه الكنوز قوة العزائم . لا اريد بالعزائم الكنايات التي يقرأها المشعوذون وانما اريد بها علو الهمم في الحصول على ذلك المفتاح الثمين الذي يمكّن حاملهُ من تمتع اكثر البلاد الشرقية بالكنوز الواصلة الينا من البلاد الغربية . ويمكنهُ ايضاً من استخراج الكنوز الشرقية المدفونة في بطون الكتب العربية من منذ اكثر من الف سنة

واحسن شيء ان استخراج هذه النفائس لا يحتاج الى الحصول على رخصة من مصلحة الآثار القديمة ويأمن مستخرجها من مقاسمة الحكومات لهُ في ثمرات اتعابهِ

وانما حدا بي الى هذه الوصية ما رأيتهُ في كثير من المعاهد الاهلية من جعل اللغة العربية كقدح الراكب يعلق في آخرة الرحل . فآمل ان يكون حظ اللغة العربية في هذا المعهد في العام القابل اوفر من حظها في هذا العام وان كان حظها في هذا العام حسناً في الجملة

حفني ناصف

ثم تلا حضرة احمد افندي داعر محسنا شاعراً قصيدة لهذه الحفلة فاقتطفنا منهُ ما يلي.
قال بعد ما استهل بوصف الليل والصباح واستطرد الى عيد كلية البنات هنا

وبه شمت الشهم الخطير أرحبُ وعلى صدارته ثنائي يُطرب
وبشكرهِ يحلو النشيد ويعذب وعليَّ يمليهِ المزار فاكتب
والتقليب يعيدُ ذلك منشدا

فيهِ مدارس مصر طابت منجما وزكت لطلاب المعارف مرتعا
فاسأل واديها الخصيب المرعا عجبات علم بات فيها مترعا
وبين مصر شباب مصر تجددوا

لله كم فيها لاحمد مأثره   تروي بعجز سعي حشمت خيره
غررٌ على وجه الزمان منوّره   بفعاله وله الثناء مسطره
وعليه تتلوه ثناه وموحدا

اهلاً بكم أذوي الحصافة والنهى   وبكنّ ربّات اللطافة والبها
بقدومكم وقدومكنّ المشتهى   دار العلوم زهت وطاولت السهى
وتسربلت عزًّا ونالت سؤددا

أرباضها أنست بكم واستبشرت   ورياضها اخضلّت بكنّ وأزهرت
وسماؤها بشموسكنّ تنوّرت   وجيوبها بشذاكنّ تعطّرت
وجبينها بسناكنّ تورّدا

هي جنّة الآداب بل هي دارها   وجميع من في المنتدى زوّارها
جيئوا اليها اليوم اذ أزهارها   طلعت وفاح عبيرها وثمارها
ينعت ومدّ القاطفون لها يدا

وهي ارتقاء بنات مصر موطئه   ولهنّ اسباب النجاح مهيّئه
حلّ من ربون بهـا لكلٍّ منبئة   بحصولهنّ على العلوم المبرئة
من داء جهل كم يقود الى الردى

يا عيد مدرسة رأتها القاهره   في افقها على الشموس الباهره
فادوك مطلعة النجوم الزاهره   وبدوك مرضعة المبادي الطاهره
فاستأهلوا شكراً يدوم عقّدا

والله أسأل حفظ هذي المدرسة   ابداً على صخر النجاح مؤسسه
وبقاءها مثل الصلاح ومغرسه   ودوامها حرم العفاف ومقدسه
وحمى التقى والطهر بل علم الهدى

اسعد داغر

القارب الطيار

يحاول رجل فرنسوي الاصل من القيمين في مدينة شيكاغو باميركا عمل قارب طيار ذي جناحين ليعبر بهِ الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا في ٣١ ساعة فقط · وثقل هذا القارب وجناحيهِ وذنبهِ ٥٠٠٠ ليبرة وجناحاهُ كبيران جدًّا فيستطيع ان يرفع بهما ما ثقلهُ ١٦٠٠٠ ليبرة اي ما يوازي ثقل ستة رجال وامتعتهم وما يلزم لآلتي القارب من الوقود

والآلتان بخاريتان من نوع التربين قوة كلٍّ منهما ١٥٠ حصانًا وثقلها ٢٥٠ ليبرة ويوقد فيها غاز الكوك المضغوط · وكل آلة تحرك مروحتين واحدة في المقدم وواحدة في المؤخر · وطول الجناحين من طرف الى طرف ١٠٠ قدم وطول القارب ٣٥ قدمًا وعرضهُ ست اقدام ونصف قدم وجناحاهُ وذنبهُ من معدن الالومنيوم

مواسير الورق

يصنع الفرنسويون الآن مواسير الماء من الورق اما بسبك رب الورق في القوالب كما تسبك مواسير الحديد واما بتشبيع الورق المتين من الزفت ولفها على اسطوانة من الحديد طبقات بعضها فوق بعض حتى يصير من ذلك انبوب بجدرانهِ الثخن المطلوب

اسلوب جديد لرفع الماء

اريد رفع الماء من نهر في بلاد الانكليز الى خزان يسع ثلاثة آلاف مليون جالون لكي تستقي منهُ مدينة لندن · فوُضع عليهِ خمس طلبات كبيرة واحدة منها ترفع كل دقيقة عشرين الف جالون والاربع الباقيات ترفع كلٌّ منها اربعين الف جالون في الدقيقة

وهذه الطلبات الخمس لا ترفع الماء بقوة البخار مثل الطلبات البخارية بل بقوة انفجار الغاز والهواء فوق الماء فليس هناك بستون ولا فراش · وكل ما فيها غرفتان وانبوب متصل

بهما وبالنهر وبالخزان فيُدفع الغاز والهواء الى احدى الغرفتين حيث يحترق بشرارة كهربائية كما يحترق في الاوتوموبيل ويدفع الماء التيه تحتهُ فيجري الى الغرفة الاخرى ومنها الى الانبوب المتصل بالخزان

وهذه الطلمبا بسيطة جداً في تركيبها قوية في فعلها وقد اخترعها رجل انكليزي . فعسى ان تنتبه لها نظارة الاشغال العمومية حينما تريد تركيب الآلات الرافعة على المصارف لعلَّ نفقاتها اقل من نفقات الآلات البخارية العادية

اكبر السفن البخارية

بنيت الآن سفينة بخارية في بلاد الانكليز اسمها اكويتانيا طولها من الاقدام الانكليزية ٩٠٢ وعرضها ٩٧ وعمقها ٦٤ وتعريفها ٤٩٤٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية التي تسيرها ٦٠٠٠٠ حصان وهي تسع من البحارة والركاب ٤٢٣٠ وفيها من الغرف المحكمة التي لا يدخلها الماء اذا انفلت ٤١ غرفة في قاعها المزدوج و٤٤ غرفة في جرم السفينة فوق قاعها المزدوج . وهي مصنوعة حتى لا تغرق ولو دخل ماء البحر الغرف الخمس الاولى من مقدمها او الغرف الست من موْخرها او الغرف الخمس من وسطها بل تبقى ثابتة جارية على حالها . وقد انزلت هذه السفينة الى البحر في ٢١ ابريل الماضي

واكبر من هذه الباخرة وترلند الالمانية التي انزلت الى البحر في ٣ ابريل في همبرج فان طولها ٩٥٠ قدماً وعرضها ١٠٠ قدم وثقل دفتها ٩٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠٠ حصان وفيها مصابيح كهربائية متحركة لانارة ما امامها وحولها قوة نور كل منها ثمانون الف شمعة ويرى نورها على ثلاثين ميلاً ويمكن ان تنار بها الاجسام البعيدة عن الباخرة سبعة اميال . وفي الباخرة ٨٤ قارباً من قوارب النجاة

اللحم الصناعي

صنع كيادي البجيكي مادة تشبه اللحم طعماً وهي اكثر منهُ غذاء وذلك بنقع حبوب الحنطة وغسلها مراراً حتى يزول النشا منها ثم معالجتها بالحامض الكبريتيك والجير وترشيحها وتجفيفها فيصير منها مادة كالعصيدة طعمها مثل طعم اللحم تماماً

باب التقريظ والانتقاد

شرح القانون المدني

ان من حسنات الدهر ان يتولى شرح القانون المدني المصري رجل خدم القضاء زماناً طويلاً واشتهر بدقة البحث واصالة الرأي مثل سعادة العالم العامل احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية . فقد تناول هذا القانون وفصّله تفصيلاً وبيّن غرض الشارع من كل مادة من مواده واصلح ما فيه من الخطإ والقصور في التعبير عن المراد . وذكر المبادئ الاساسية التي بني عليها كل فرع من فروعه وايضاحاً لذلك ننقل ههنا صفحة من مباحثه وهو مدة الاجارة صفحة ٢٧١

« الاصل ان المتعاقدين احرار في تقدير مدة الاجارة فلهم ان يتفقوا على ان تكون مائة سنة او اكثر من ذلك

« الا انهُ يجب على كل حال تحديد مدة

« ويستثنى من القاعدة المذكورة حالتان :

« الحالة الاولى : اذا كانت الاجارة حاصلة من صاحب حق الانتفاع من دون رضا مالك الرقبة فلا تزيد مدتها من مدة حق الانتفاع (مادة ٣٦٤) لان انقضاء حق الانتفاع يوجب رجوع العين الى مالكها خالية من كل حق ترتب عليها بفعل المنتفع

« مثال ذلك : لزيد حق الانتفاع بفدان مملوك لبكر مدة عشر سنين او مدة حياة بكر . اجر زيد هذا الفدان لخالد مدة خمس عشرة سنة او مدة انتفاعه . ففي الحالة الاولى تنقص المدة الى عشر لتكون مساوية لمدة الانتفاع . وفي الحالة الثانية اذا توفي زيد ولو بعد سنة واحدة من تاريخ التأجير تكون مدة الاجارة سنة واحدة واذا توفي بعد عشرين سنة فالمدة عشرون سنة وهذا كلهُ اذا حصل التأجير بدون رضا مالك الرقبة سواء كان يعلم بالتأجير وابى الموافقة عليهِ او لم يطلب احد رضاهُ اصلاً

« الحالة الثانية : اذا كان الشيء المؤجر مملوكاً لقاصر لا يجوز ان تكون مدة الاجارة اكثر من ثلاث سنين سواء كان ذلك الشيء عقاراً او منقولاً . وعلة ذلك خوف التلف

على اموال القصر لان المستأجر قلما يعتني بالشيء المؤجر عنايتهُ بمال نفسهِ فاذا كانت المدة طويلة كان الخوف اكبر

« ومع ذلك يجوز ان تكون المدة اكثر من ثلاث سنين اذا صدَّق المجلس الحسبيّ على ذلك (مادة ٣٦٤) (١)

« وهنالك حالة ثالثة لم يذكرها القانون وهي اجارة الوقف لا يجوز ان تكون مدتها اكثر من ثلاث سنين عملاً بنص الشرع »

وقد الحق هذا الشرح بثلاثة فهارس كبيرة وبعض الفهارس الصغيرة تسهيلاً للمراجعة تشغل كلها اكثر من مئة صفحة منهُ وهي من المزايا الكبرى التي يمتاز بها . فالفهرس الاول وضعت فيهِ اقسام الشرح وفصولهُ ومباحثهُ حسب ترتيبها فيهِ والثاني رُتّب على حروف المعجم ليستدلّ بهِ على محل كل موضوع من مواضيع القوانين في الشرح فتجد فيهِ مثلاً تحت كلمة ارتفاق الاشارة الى كل الصفحات التي ذكر فيها شيء من الارتفاق . وتحت كلمة انتفاع الاشارة الى كل الصفحات التي ذكر فيها شيء من الانتفاع . وتحت كلمة تسجيل الرهن الاشارة الى كل الاماكن التي ذكر فيها شيء من هذا الموضوع وهلمّ جرًّا . والفهرس الثالث في مواد القانون المدني مادة مادة ومكان ورود الكلام عليها في هذا الشرح . ويليهِ فهرس مواد قانون الشفعة وقانون التجارة وقانون المرافعات الاهلي وقانون العقوبات الاهلي وقانون تحقيق الجنايات ولائحة ترتيب المحاكم الشرعية وسائر القوانين التي عرض ذكرها في هذا الشرح والاماكن التي ذكرت فيها . ولا شبهة ان هذا الشرح من انفع الكتب للمشتغلين بالقضاء والمحاماة ولكل الذين لهم اشغال واعمال في هذا القطر

تاريخ الحرب البلقانية

ووصف وقائعها الشهيرة مجموعة عن اوثق المصادر

ألّف هذا الكتاب حضرة توفيق افندي حلبوني من محرري جريدة البصير . بدأهُ بمقدمة قال فيها ان الحق للمدنية لا للقوة وقد ظلم الشرق بظلم حكامهِ وساد الغرب بارتقاء

---

(١) اسم المجلس الحسبي غير وارد في النص وسببهُ ان لائحة المجالس الحسبية متأخرة عن القانون والمجلس الحسبي هو الآن المحكمة التي من خصائصها الحكم في مسائل الاوصياء كما ورد في المادة (٥) من اللائحة الصادرة في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦

احكامهِ واضاف اليهِ صوراً كثيرة تمثل بعض الوقائع والحوادث الشهيرة في هذه الحرب. وحبذا لو طبع هذه الصور على ورق خاص مما تطبع عليهِ الصور عادة لكي تظهر جلية وحبذا ايضاً لو اضاف اليهِ خرائط تبين اماكن الوقائع ومعالم الاماكن المذكورة فيهِ

الفنون

مجلة ادبية شهرية تصدر في نيو يورك لمنشئها نسيم افندي عريضه ونظمي افندي نسيم

انتقل السوريون الى اميركا فنقلوا لغتهم معهم ولكنهم اضافوا الى آدابها آداب اللغة الانكليزية وصورها وتخيلاتها. واليك مثالاً من ذلك من المقالة الاولى التي صدّرت بها هذه المجلة وهي بقلم جبران افندي خليل جبران

« يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين . يا ليل الاشباح والارواح والاخيلة . يا ليل الشوق والصبابة والتذكار

« ايها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر. المتقلد سيف الرهبة. المتوّج بالقمر. المتشح بثوب السكوت . الناظر بالف عين الى اعماق الحياة . المصغي بالف اذن الى انة الموت والعدم

« انت ظلامٌ يرينا انوار السماء . والنهار نور يغمرنا بظلمة الارض

« انت املٌ يفتح بصائرنا امام هيبة اللانهاية . والنهار غرورٌ يوقفنا كالعميان في عالم المقاييس والكمية

« انت هدوء يبيح بصمتهِ خفايا الارواح المستيقظة السائرة في الفضاء العلوي . والنهار ضجيج يثير بعواملهِ نفوس المنطرحين بين سنابك المقاصد والرغائب

« انت عادل يجمع بين جفني الكرى احلام الضعفاء باماني الاقوياء . وانت شفوق يغمض باصابعهِ الخفية اجفان التعساء ويحمل القلوب الى عالم اقل قساوة من هذا العالم

« بين طيات اثوابك الزرقاء يسكب المحبون انفاسهم . وعلى قدميك المغلفتين بقطر الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم . وفي راحتيك المعطرتين بطيب الاودية يضع الغرباء تنهدات شوقهم وحنينهم . فانت نديم المحبين وانيس المستوحدين ورفيق الغرباء والمستوحشين

« في ظلالك تدب عواطف الشعراء وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء . و بين ثنايا

خفائرك ترتعش فراغ المفكرين . فانت ملقن الشعراء والموحي الى الانبياء والموعز الى المفكرين والمتأملين »

والمقالة كلها على هذا النسق معاني شعرية رقيقة بل فلسفية رائقة ولكنَّ في ثوبها العربي رقعاً صغيرة تنبو العيون عنها وتودُّ النفوس لو خلت هذه الحلة منها

ويلي هذا الشعر المنثور شعر موزون لكاتب اكتفى بامضاء اليف قال بعد ان ود ان يكون طائراً او نسمةً او موجةً او شعاعة او صخرة

« ليتني كنت في العواصف برقاً شق جسم السماء كالقرضاب
ضاحكاً حينها السحابة تبكي راقصاً كالفؤاد رهن العذاب
مبصراً كل ما يصير من الناس — نذيراً لهم بسوء العقاب
طائراً في السماء دون مقرّ في فضاء الصحراء فوق السحاب
ان في الجو فسحة للاماني ومجالاً لخاطر كالشهاب »

ثم شعر منثور لامين افندي ريحاني ابدع فيه ما شاء وشاءت قريحتهُ واسلوبهُ معروف عند قراء المقتطف

ويلي ذلك قصص وفصول مترجمة لبعض مشاهير الكتاب. فعسى ان يفلح المهاجرون السوريون في اقتدائهم بعلماء اميركا واعيانها كما افلحوا في اقتدائهم بادبائها وشعرائها

تقويم البلدان

الفهُ حضرة محمود افندي مراد خريج القسم العالي بمدرسة المعلمين الخديوية وحلاَّهُ بنحو ٦٠ شكلاً وخريطة مثبتاً فيه شهرة المدن المهمة وعني بضبط الاعلام بالشكل على ما في اوثق المصادر ووعد بان يوجه شطراً كبيراً من العناية لرسم الانهار وتوضيحها في الطبعة الثانية

مقياس الروضة

Nile Gauge at Roda.

رسالة نفيسة الفها بالانكليزية حضرة محمد افندي قاسم مفتش ادارة الارصاد الجوية بمصر. ومما جاء فيها ان مقياس الروضة الحالي ينسب الى الامير عثمان بن زيد التنوخي اقامهُ في سنتي ٩٦ و٩٧ للهجرة (٧١٥ للميلاد) في خلافة الوليد واخيهِ سليمان ابني عبد الملك بن معاوية

وكان في حلوان مقياس ينسب الى الامير عبد العزيز بن مروان الذي ولاهُ ابوهُ مصر في غرة رجب سنة ٦٥ وامرهُ في شعبان سنة ٦٩ ان يقيم ذلك المقياس . وقد خرب مقياس حلوان سنة ٩٦ كما ذكرهُ المؤرخ القبطي جرجس بن العميد . وأصلح مقياس الروضة اولاً سنة ١٩٩ اصلحهُ الخليفة المأمون ثم اصلحهُ الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧ وامر احمد بن محمد الحاسب ان يختار ايات من القرآن واشارات الى النجوم والرياح والامطار والري والغلال والملاحة وينقشها على جدران المقياس الاربع . واعيد ترميم المقياس مراراً بعد ذلك في عهد الخليفة المستنصر وعهد السلطان سليم الاول والسلطان سليم الثاني والسلطان سليمان والسلطان مصطفى الثالث وحمزه باشا والامير علي بك الكبير

ويلي ذلك جداول مقاييس النيل اليومية من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٩١ ورسوم تبين ذلك ورسم المقياس في حالهِ الحاضرة ومكانهُ من جزيرة الروضة

الجامعة المصرية

تقرير مجلس ادارتها عن السنة المدرسية الماضية

يظهر من هذا التقرير ان دخل الجامعة بلغ في السنة الماضية ١٠٢١٨ جنيهاً مصرياً وكان في السنة التي قبلها ٩٥٨٨ جنيهاً وان نفقاتها بلغت ٩٠٦٩ جنيهاً وكانت في السنة التي قبلها ١٠٠٨٢ جنيهاً وان ما تمتلكهُ الجامعة الآن يساوي ٥٧٩٠٤ جنيهاً واكبر دخلها من ديوان الاوقاف فانهُ يعطيها ٥٠٠٠ جنيه كل سنة ومن الحكومة فانها تعطيها ٢٠٠٠ جنيه كل سنة ولها دخل من تشغيل نقودها وايجار اطيانها يبلغ نحو الفي جنيه . وكل ذلك ليس مما يذكر في جنب دخل الجامعات الاوربية والاميركية التي يقدر دخل الواحدة منها بمئات الالوف من الجنيهات

والعلوم التي تدرَّس في الجامعة المصرية الآن ثمانية وهي هذه مع اسماء اساتذتها

العلم	الاستاذ
(١) آداب اللغة العربية	الشيخ محمد المهدي
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية	المسيو غشون فييت
(٣) تاريخ الامم الاسلامية	الشيخ محمد الخضري
(٤) تقويم البلدان ووصف الشعوب	اسمعيل بك رأفت

(٥) الفلسفة العربية وعلم الاخلاق	الشيخ طنطاوي جوهري
(٦) تاريخ المذاهب الفلسفية	المسيو لويس ماسينيون
(٧) تاريخ آداب اللغة الانكليزية	المستر بري هوَيْت
(٨) تاريخ اداب اللغة الفرنسوية	المسيو لويس كليان

وعدد الطلبة الآن ٧٥ وقد اوقف الفرع النسائي وربما توفق الجامعة الى وضع الخطة التي تتبعها في القاء الدروس والخطب عليهن حتى تكون موافقة لحاجاتهن"

وقد الحق بهذا التقرير جدولان ذكرت في اولها جنسية الطلبة وفي الثاني اديانهم

الجدول الاول

	رجال	نساء	الجملة
مصريون	٣٦	٠	٣٦
فرنسويون	١	٦	٠٧
المانيون	٤	٠	٤
نمساويون	١	٠	١
ايطاليون	٤	٧	١١
يونانيون	٤	٠	٤
عثمانيون	٤	٠	٤
اسبانيون	١	٠	١
روس	١	٠	١
تتر	٢	٠	٢
جراكسة	٣	٠	٣
فرس	١	٠	١
الجملة	٦١	١٤	٧٥

فالمصريون اقل من النصف ويليهم الايطاليون فالفرنسويون فالعثمانيون واليونان والالمان

الجدول الثاني

مسلمون	مسيحيون	اسرائيليون	الجملة
٤٠	٢٩	٦	٧٥

اصل الفيلبيين الملقيين

Origin of the Malayan Filipinos by Dr. Najeeb M. Saleeby.

ذهب الدكتور نجيب الصليبي السوري الى جزائر فيلبين طبيباً من قبل الحكومة الاميركية فلم يكتفِ بالقيام بما نُدب لهُ بل بحث بحثاً علمياً في لغات الاهلين واديانهم ووضع في ذلك كتاباً كبيراً اشرنا اليهِ في حينهِ والآن بعث الينا بخطبة تلاها في اكادمية فيلبين العلمية في اصل الفيلبيين الملقيين . و يظهر من هذه الخطبة ان الآثار القديمة قليلة جدًّا في جزائر فيلبين وكل نقوش السكان القديمة منقوشة على القنا الهندي ولكن ليس فيها شيء تاريخي ولا يعلم شيء من تاريخ السكان قبل القرن الخامس عشر لكن الدكتور صليبي لم ييأس من البحث عن تاريخهم في اخلاقهم ودياناتهم ولغاتهم وهذا ما فعلهُ في هذه الخطبة فاستدل على ان سكان الجبال منهم ملقيو الاصل ودياناتهم هندية اصلاً ولغتهم فرع من السنسكريت وانهم جاؤُوا من الهند اصلاً مثل كل الملقيين

كتاب دليل لبنان وسوريا

مؤلفهُ حضرة برلس افندي مسعد وقد صدر منهُ الجزء الاول في نحو ٤٥٠ صفحة وستليهِ ثلاثة اجزاء اخرى . وفي هذا الجزء فوائد كثيرة في جغرافية البلاد السورية واقسامها السياسية وحوادثها التاريخية وتجارتها ومصنوعاتها وعادات اهلها واديانهم . وقد ورد في صفحة ١٦ منهُ اسم عدليب بدل ادلب وهو اسم قرية في ولاية حلب وفي صفحة ٢٣ عربد بدل اربد وهي قرية بحوران . وجاء فيهِ ايضاً ان تلوزا احدى قرى نابلس هي شكيم القديمة والذين بحثوا في ذلك يقولون ان مدينة نابلس نفسها هي شكيم . وهذه الاغلاط الطفيفة لا تحط من قدر هذا الكتاب النفيس ومنفعتهِ

كتاب العرب والطوارق

وضعهُ حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي واسمهُ يدل على ابحاثهِ وقد صدر الجزء الاول منهُ وهو حافل باخبار العرب في الجاهلية وفيهِ كلام مفصل عن قبائلهم ودولهم وما كان لهم من الحضارة وما امتازوا بهِ من مكارم الاخلاق كالشجاعة والكرم والوفاء وبيان عاداتهم . ومما يزين هذا الكتاب ويزيد منفعتهُ ذكر الاشعار التي يدعم بها المؤلف آراءهُ

مرشد المترجم الصغير

كتاب لتعليم الترجمة من الانكليزية الى العربية ومن العربية الى الانكليزية وضعهُ مؤلفاهُ حضرة محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وحضرة عوض ابراهيم بك وكيل المدرسة السعيدية لطلبة شهادة الدراسة الابتدائية وراجعهُ جناب المستر احتيلنز استاذ اللغة الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . ويقع في ١٤٠ صفحة

باب الاخبار العلمية

عدد رجال العلم في اوربا

صدر كتاب دليل العلماء لسنة ١٩١٣ في لندن وقد عدَّ العلماء الذين ذكرت اسماؤهم فيه فكانوا ١٦٧٨ من الاميركيين و١٤٧٢ من الانكليز و١٢٨٠ من الالمان و٤٢٣ من الفرنسويين و٣٤٨ من النمسويين و ٢١٥ من الايطاليان و ٢١٤ من السويسريين و ١٥٥ من الهولنديين و ١٤٦ من اهل كندا باميركا الشمالية و١٠٩ من الاسوجيين و ٩٧ من الروس و ٩٣ من الدمار كيين و ٩٠ من البلجيكيين و ٨٨ من النروجيين . و يمكن الاخذ بهذه الارقام في مقابلة عدد المتصرفين للاشتغال بالعلم في كل من البلدان المذكورة الأ في بلاد الانكليز والولايات المتحدة الاميركية اذ لا بد وان يكون المؤلف قد ذكر من العلماء فيهما من لم يذكر امثالهم في سائر البلدان وذلك لكثرة اطلاعهِ على اخبار ابناء لغتهِ وكتاباتهم العلمية

حديقة الطيور

في ولاية ميشيغان باميركا حديقة للطيور تبلغ مساحتها نحو ٨ افدنة ويحيط بها وتغطيها الشباك حتى لا تقدر الطيور ان تفلت منها . وفيها نحو ٥٠٠ طائر من انواع مختلفة وقد حمل اليها اخيراً ٦٠٠ طائر جديدة من الطيور الانكليزية المغردة

توهم رؤية الارواح

حدث من مدة ان احد مأموري الصحة في مدينة بوستن بالولايات المتحدة الاميركية دعي للتحقيق في امر بيت شاع ان الارواح تتردد اليهِ لان الاولاد والخدم في الطبقتين الثالثة والرابعة منهُ كانوا يرون احلاماً غريبة

ويستيقظون مذعورين ويسمعون اصواتاً يقولون انها اصوات الارواح. ولدى التحقيق ثبت له ان سبب ذلك اختلال في موقد البيت كثرت معه تولُّد الغازات السامة وانتشارها في الطبقتين المذكورتين. ولعل لتلك الغازات باجسام اهل البيت وتأثيرها في اعصابهم جعلاهم يرون الاشباح والارواح

العناية بنظافة المطاعم

رأت مصلحة الصحة في مدينة جكسونفيل بأميركا ان توكل احد رجالها بتفتيش المطاعم. فجعل هذا يتردد اليها ويتفقد امور النظافة فيها ثم ينشر في الجرائد في آخر كل شهر بياناً يرتب فيه اسماءها ويردف كلاً منها بعلامة تدل على مبلغ نظافته. فاشتدت عند ذلك المنافسة بين اصحاب المطاعم خوف كل منهم ان يعرض عنه زبائنه اذا ظهر ان مطعم غيره انظف من مطعمه وزادت العناية بنظافة المطاعم كلها

مراكز التلغراف اللاسلكي

في العالم ٣٧٥ مركزاً عمومياً للتلغراف اللاسلكي مما اقيم على الشواطئ منها ١٤٢ في الولايات المتحدة الاميركية و ٣٣ في كندا و ٤٣ في بريطانيا العظمى و ٢٢ في المانيا ومستعمراتها و ١٩ في ايطاليا و ١٩ في روسيا و ١٧ في فرنسا و ١٠ في اسبانيا و ٩ في الدنمارك. وفي المستعمرات الانكليزية والفرنسوية بضعة مراكز ايضاً

اما في السفن الحربية فللولايات المتحدة ٢٤٧ وللانكليز ٢١٣ ولفرنسا ١٤١ ولالمانيا ١١٢ ولايطاليا ٧٧ ولليابان ٧٠ ولروسيا ٧٠ وفي السفن التجارية للانكليز ٤٥٥ وللولايات المتحدة الاميركية ٢٥٣ ولالمانيا ٢٠٦ ولفرنسا ٦٨ ولايطاليا ٤٧

بقايا الاميركيين الاصليين

يبلغ عدد الاميركيين الاصليين في كندا وهي من الاملاك الانكليزية في اميركا الشمالية ١٠٣٦٦١ نفساً قدر دخلهم سنة ١٩١٠ بما يأتي من الجنيهات ٢٩١٩٩٢ من الزراعة و ١٣٨٣٢٥ من صيد السمك و ١٦٣٨٨٤ من صيد الحيوان و ٤٧٣٥٠ من تربية البقر و ٤٧٨٥٩٢ من الاعمال الاخرى

ومنهم في الولايات المتحدة ما عدا الاسكا ٣٢٣٤٠٣ يملكون من العقارات ما ثمنه ١٣٥٧١٣٢٥٠ جنيهاً واهم الاعمال التي يتعاطونها تربية المواشي ثم الزراعة ويبلغ ثمن مواشيهم ٦٠٥٠٩٢٠٢ جنيهات. ويتعاطون من الاعمال ما عدا ذلك حبك السلال وحياكة الملاءات وشغل الخرج وعمل الخزف وصيد السمك وقطع الخشب من الحراج وصنع اشياء اخرى من الخرز

آثار الشعراء

بيعت بالامس آثار الشاعر براوننغ الانكليزي وآثار زوجتهِ وهي من نوابغ الشواعر فبلغ ثمنها ٢٧٩٣٤ جنيهاً ومن ذلك سلطان غروبان المكاتيب الحبية التي تراسلا بها فبلغ ثمنها في المزايدة ٦٥٥٠ جنيهاً . ونسخة الشعر المعروف باغاني البرتغالي و بلغ ثمنهُ ١١٣٠ جنيهاً والشعر المعروف بالاورورا لاي و بلغ ثمنهُ ٩٣٠ جنيهاً وكلاهما من نظم مسز براوننغ ونسخة الشعر المعروف بالاسوكندو وهو من نظم براوننغ نفسهِ بلغ ثمنها ٩٩٠ جنيهاً والشعر المعروف « بكلمة اخرى » وهو ست صفحات بلغ ثمنها ١٧٦ جنيهاً . ولكن بيعت صورهُ وصور زوجتهِ وتماثيلها من الرخام والبرنز باثمان بخسة جداً

الوفيات بالسرطان

ظهر من احصاء الوفيات في ولاية مستشوستس باميركا ان عدد الوفيات بالسرطان سنة ١٩١٠ زاد ٦٦ في المئة على عدد الوفيات بهِ سنة ١٨٨٠ . ومن سنة ١٩٠٠ حتى الآن زاد ٣١ في المئة

رصاص مخدّر

اخترع احدهم نوعاً من الخرطوش الذي تحشى بهِ البنادق يجعل تحت غلاف رصاصتهِ قليل من المورفين ويقال ان المصاب بهِ سواء كان انساناً او حيواناً يتخدّر فلا يحس بالالم . وقد استلفت هذا الاختراع انظار بعض الاطباء والضباط العسكريين والمولعين بالصيد فعينوا لجاناً لترى هل يمكن الانتفاع بهِ

زهرة بنغازي

لم يكد الايطاليون يحتلون بنغازي حتى جعل العلماء يهتمون بآثارها القديمة فوجد احد العرب تمثالاً يونانياً بديعاً من الرخام من تماثيل الزهرة الهة الجمال يمثلها واقفة وهي تقص بيديها جديلتين من شعرها وقد لبست سواراً بمعصمها الايسر وجدهُ في مكان يسمى السلمانية في ضواحي بنغازي و باعهُ من احد الفرنسويين ووصل اخيراً الى رومية . ويظن العالمون الايطاليون انهُ من صنع بركسيتلس النحات اليوناني الذي نشأ في القرن الرابع قبل المسيح

الاميبا والدوسنطاريا

نشر الكبتن وارز من الهند فصلاً في علاقة الاميبا (الزحرج) بالدوسنطاريا جاء فيهِ ان انواع الاميبا التي تسبب الدوسنطاريا لا تعيش اكثر من ساعتين بعد خروجها من الجسم اما الانواع الاخرى من الاميبا التي لا تضر فتعيش اكثر من ذلك و يمكن تربيتها

البحث الزراعي

لا يخفى ان الولايات المتحدة الاميركية فاقت البلدان كلها في اتقان الزراعة وكثرة نتاجها حتى يقدر ثمن حاصلاتها الزراعية في السنة باكثر من الف مليون جنيه ومع ذلك يقال ان المستر فنسنت استور المثري الاميركي عازم ان يوقف ثروته كلها على الابحاث الزراعية لتقدم الزراعة في الولايات المتحدة كما فعل ركفلر بتخصيص مبلغ كبير من المال للابحاث الطبية حتى تصير الاعمال الزراعية كلها مبنية على العلم ومنتجة اكبر النتائج

قرصان اوربا

كثر القرصان في اوربا في القرن الخامس عشر والسادس عشر حتى قال والي جزيرة زنتي البندقي ان كل بحارة الانكليز قرصان . وسبب ذلك ان حكومات اوربا كانت تتغاضى عن انصاف التجار الانكليز ان سلب قرصانها بضائعهم فاضطرت الحكومة الانكليزية ان تجيز لتجارها وبحارتها استرداد اموالهم بكل واسطة ممكنة وكانت تعطيهم اوامر مكتتبة بذلك فصاروا يتناقلونها ويعملون بها فكثر سلب بضائع التجار في البحار حتى اضطرت انكلترا ان تعامل القرصان بالشدة وتحكم على كثيرين منهم بالقتل فقلّت القرصنة رويداً رويداً الى ان زالت

قيمة الآثار القديمة

الف الدكتور جورج بارتن كتاباً موضوعه قيمة الاحاديث القديمة ذكر فيه ان بين الآثار البابلية كتابة قديمة ذكر فيها اسم ابرهيم وهذه ترجمتها « ثور مدرَّب على الحرث يمص ابن من بن من امتراني استأجره ابراما (ابرهيم) بن اول اشتار لمدة شهر بثاقل من الفضة بواسطة كشتي نبيوم وقد قبض كشتي نبيوم نصف الاجرة » وهذا يدلّ على ان ابرهيم اسم رجل لا اسم قبيلة او شعب كما ادعى بعض المنتقدين

سبب الحمى

لقد ثبت بالامتحان ان سبب الحمى اي سخونة الجسم في بعض الامراض هو هضم المواد البروتينية في الدم والانسجة . وان البكتيريا (الميكروبات) هي مواد بروتينية حية فانها تدخل الجسم وتتكاثر فيه وتحوّل موادهُ البروتينية الى بروتينات بكتيرية وحينما تتم مدة حضانتها تفرز خلايا الجسم مادة خميرية تهضم البكتيريا وتهلكها . وهذا العمل يولّد حرارة وهي الحمّى . فالحمى علامة صالحة لانها تدلّ على ان الجسم آخذ سبيله قتل الميكروبات التي فيه ولكن اذا زادت الحمّى كثيراً حتى فاقت الدرجة ١٠٥ بميزان فارنهيت (او نحو ٤٠ ونصف بميزان سنتغراد) صار منها خطر على الحياة

فائدة التطعيم في التيفويد

ظهرت فائدة التطعيم للوقاية من التيفويد في الجنود الاميركية التي كانت في ولاية تكساس سنة ١٩١١ فان عددها كان ١٢٨٠٠ ومع ذلك لم يصب بالتيفويد منها الا رجل واحد . وكان سنة ١٨٩٨ في فلوريدا باميركا ١٠٧٥٩ من الجنود في احوال مشابهة تماماً للاحوال التي كان فيها الجنود في تكساس فاصيب منهم ٢٦٩٣ بالتيفويد والفرق بين جنود فلوريدا وجنود تكساس ان جنود فلوريدا لم يطعموا للوقاية من التيفويد وجنود تكساس طعموا . ويقال ان الجنود الفرنسوية التي طعمت للوقاية من التيفويد وذهبت الى مراكش لم يصب احد منها بالتيفويد مع ان الوسائل الصحية هناك على اردإ ما يكون

اكثر الشعوب الاميركية عمراناً

قدم المستر السورث هنتنتن مقالة الى الجمعية الفلسفية الاميركية بيَّن فيها ان شعب المايا الاميركي كان ارقى الشعوب الاميركية الاصلية عمراناً بدليل ما ابقاهُ من المباني والنقوش وبدليل انهُ انفصل من تلقاء نفسهِ الى نوع من الكتابة الصورية . والبلاد التي توجد اكثر آثارهِ فيها الآن وخمة الهواء لا تصلح للحضارة ولكن يظهر انها كانت مرتفعة جافة في قديم عهدها ثم انخفضت بفعل بركاني فصارت كثيرة الرطوبة فاسدة الهواء

اختلاط الاجناس في اميركا

ظهر من الاحصاء الاخير في اميركا ان في ولاية نيو يورك ٣٢٣٠٣٢٥ او ٤ و٣٥ في المئة من البيض الذين آباؤُهم من سكان اميركا و ٣٠٠٧٢٤٨ او ٣٣ في المئة من البيض الذين ولدوا في اميركا ولكن آباؤُهم غير اميركيين كلهم او احد الوالدين اميركي والآخر غير اميركي . و ٢٧٢٩٢٧٢ او نحو ٣٠ في المئة من البيض الذين ولدوا في غير اميركا و ١٣٤١٩١ او نحو واحد ونصف في المئة من السود . وعليهِ فثلاثة وسبعون في المئة من سكان ولاية نيو يورك اما انهم ولدوا في غير اميركا او ولدوا فيها ووالداكل واحد منهم غير اميركيين او احدهما اميركي والآخر غير اميركي ومع ذلك تعترف اميركا بهم كلهم انهم صاروا من الاميركيين لهم ما للاميركيين وعليهم ما على الاميركيين وبذلك ارتقت تلك الولايات وصار عدد سكانها الآن نحو مئة مليون من النفوس

اما الذين ولدوا في غير اميركا من سكان ولاية نيو يورك فعشرون ونصف في المئة منهم ولدوا في روسيا و١٧ وثلث في ايطاليا و١٦ في المانيا و٤ ونصف في كندا و٣ ونصف في المجر و٢ في اسوج و٨ ونصف في سائر البلدان

نبات القطن الحريري

من النبات البري نوع له لوز كلوز القطن فيه مادة حريرية كزغب الشوك لكنها لا تشتبك بعضها ببعض لتغزل وتنسج كشعر القطن فتستعمل لحشو الوسائد ونحوها. وهذا النبات كثير في براري السودان على ما يظهر وحكومة السودان تسعى الآن الى اصدار زغبهِ والمتاجرة بهِ . ومما يحسن ان تنتبه له هو ان الدكتور بيش كتب في جرنال جمعية الصناعة الكيماوي ان لبن هذا النبات يجمد ويصير كالصمغ الهندي ولكن صمغهُ غير جيد. والياله حريرية متينة مثل الياف الكتان او امتن منها وفي بزوره زيت مثل زيت بزر الكتان ويمكن استعمالهُ في الدهان مثلهُ. ويمكن عمل الورق الجيد من اغصانهِ اذا عولجت بذوب الصودا تحت ضغط شديد . فاذا اعتني بزرع هذا النبات في صحاري السودان كان منهُ ربح غير قليل من اليافهِ وزغب جوزهِ وزيت بزرهِ

زرع العين في الظهر

استخرج العالم اعلنهث عين عظاية وغرسها في ظهر عظاية اخرى حيثما كانت صغيرة جداً فبلت خلايا هذه العين تضمر وتضعف ثم عادت الى النمو بعد بضعة اسابيع ونمت اعصابها وامتدت في الانسجة المجاورة لها ووصلت الى عقد العمود الفقري ولعلها عادت عيناً مبصرة ولو كانت في ظهر العظاية

الذهب المستخرج من الكلونديك

تقدر قيمة الذهب الذي استخرج حتى الآن من مناجم كلونديك في الاسكا باميركا الشمالية بثلاثين مليون جنيه

هبة اميركية

آل ١٣٠ الف جنيه الى جامعة يال الاميركية بموت المستر يوسف ليمن وكان اخوهُ الذي توفي سنة ١٩١٠ قد اوصى بهذا المال لتلك الجامعة بعد موتهِ

الحكومة الاميركية والجامعات

اقرَّت الحكومة الاميركية على منح جامعة وشنطون ١٠٠٤٧٠٠ ريال او اكثر من مئتي الف جنيه . والبحث جار الآن لتجديد مباني تلك الجامعة

وطن الخيل الاصلي

الف المستر لدكر كتاباً في الخيل والحيوانات التي تقاربها ابان فيهِ ان ليس للخيل وطنان احدهما في اسيا والآخر في اميركا كما ادَّعى البعض بل وطن واحد في الجهة الشرقية الشمالية من اسيا او في الاسكا ومنهُ انتشرت اسلاف الخيل في اسيا واميركا في العصور الثابرة

فهرس الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين

فهرس المجلد الثاني والاربعين

المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٣١

دولة الروس

بطرس الاكبر

كان بطرس الاكبر في حداثتهِ مغرماً بالآلات الحربية كالسيوف والبنادق فكان يتمرَّن على استعمالها دواماً . وتعلَّم القراءة والكتابة وطالع تاريخ ابيهِ وتاريخ القيصر ايفان الرهيب وكانا مكتوبين على اسلوب يظهر بهِ دائك القيصران اعدل الملوك واشدَّهم بالاعداء واصبرهم على الشدائد وارأفهم بالرعايا وكرَّر قراءة التاريخين حتى رسخت حوادثهما في ذهنهِ وشبَّ مغرماً بطلب المعالي والسعي الى ما يرفع شأنهُ وشأن بلادهِ . وتعلَّم ايضاً اللاتينية والالمانية والهولندية وطالع كتباً كثيرة . وكان يشكو بعد ذلك من انهُ لم يدرس درساً قانونياً ولعلَّ عدم تقيُّدهِ بالدروس القانونية هو الذي حرَّر ذهنهُ وجعلهُ يعتمد على نفسهِ

وعاشر كل طبقات الناس ولاسيما اهل الطبقة السمحاء التي لا تتعصَّب للقديم، وتعرَّف بالذين قصدوا روسيا من سويسرا وانكلترا والمانيا فحوَّلوا نظرهُ الى حسنات التمدُّن الاوربي والتفَّ عليهِ كثيرون من اهل التصوف الذين يميلون الى الازياء الاوربية فنظم منهم جيشاً صغيراً على نمط الجيوش الاوربية . وكان هذا الجيش النواة التي تألف منها الجيش الاممي الثابت بعد ذلك . وتعلَّم مبادئ الهندسة وانشاء الحصون وانشأ حصوناً صغيرة وكان يحميها ويهاجمها بجنودهِ وكثيراً ما كانت تنشب بينهم حروب كالحروب الحقيقية فيجرح فيها بعضهم او يقتلون وكان يصيبهُ ما يصيب جنودهُ لانهُ لم يكن اقل تعرُّضاً للمخاطر منهم

وهذه الاعمال وامثالها علَّقت قلوب الناس بهِ حتى لما ارادت اختهُ ان تمتلك التخت الجأ حولهُ ونصروهُ عليها وقبضوا على اعوانها وقتلوهم شر قتلة بعد ان اذاقوهم مرَّ العذاب . وكان الروس في تعذيب بعضهم بعضاً وحوشاً كاسرة بل شراً من الوحوش فيخلعون مفاصل

من يريدون تعذيبهُ و يقطعون يديهِ ورجليهِ ثم يقطعون رأسهُ او يسلخون جلدهُ وهو حي او يخوزقونهُ او يحرقونهُ وهلمَّ جرًّا من انواع العذاب

ورأى ذات يوم قاربًا من القوارب التي جلبها عمهُ من انكلترا فاعجب بهِ وقال لهُ تمرمن (وهو رجل الماني من حاشيتهِ) انَّ هذا القارب انكليزي واذا وضع لهُ قلع سار مع الريح وضدها على حدٍّ سوى . فجعل يبحث عن رجل يعلّمهُ كيف يقلع بهِ فاتاهُ تمرمن برجل هولندي صنع لهُ قاربًا مثلهُ وعلّمهُ كيف يستعملهُ ولكن بلاد الروس لم تكن تتاخم البحر حينئذٍ الَّا من الجهة الشمالية فقام سنة ١٦٩٣ باكثر من مئة رجل من حاشيتهِ وقصد مدينة اركنجل وهي فرضة بحرية على البحر الابيض المتفرع من الاوقيانوس الشمالي حتى اذا بلغها خالط التجار الذين رآهم فيها وآكلهم وكان الفصل فصل الصيف حينما يذوب الجليد من ذلك البحر وتقصدهُ سفن التجار . وانشأ هناك حوضًا لبناء السفن و بنى فيهِ اول سفينة روسية بنيت في بلاد الروس . وركب ذات يوم سفينة وسار فيها في عرض البحر خمسة ايام . وعاد الى اركنجل في الصيف التالي وركب سفينة هولندية ليعبر بها البحر الابيض الى دير سلوفتسكي المقابل لاركنجل من الجهة الغربية وكان البحر هائجًا جدًّا فاشرفت السفينة على الغرق ولما قطع الامل من النجاة اعترف وتناول استعدادًا للموت . كل ذلك والدفة في يدهِ لا يتركها حتى اذا يئس الربان من سفينتهِ دفعهُ جانبًا واستلم الدفة منهُ وهو يقول لهُ هذا شغلي لا شغلك . وجرى بالسفينة الى مرفإٍ امين فاعتنقهُ القيصر حينئذٍ وخلع عليهِ ثيابهُ وقطع لهُ معاشًا مدى حياتهِ لكنهُ لم يعتبر بذلك بل استلم الدفة وهو راجع واوصل السفينة سالمة

الَّا ان البحر الابيض الشمالي يجمد في الشتاء كما تقدم فلا سبيل لروسيا لتصل باوربا بحرًا الَّا اذا وصلت الى البلطيك او الى البحر الاسود . والاول في يد اهالي اسوج والثاني في يد الاتراك . فرأى ان الاستيلاء على البحر الاسود اولى بهِ لاسيما وانهُ يوصل الى القسطنطينية وهي غرض قياصرة الروس الذين يدَّعون انهم خلفاء قياصرة الروم . فعزم ان يستولي على مدينة ازوف لان بحر ازوف جزء من البحر الاسود وكان القزاق قد استولوا عليها في عهد جدهِ القيصر ميخائيل كما تقدم ثم ردها جدهُ الى الاتراك فجيَّش مئة الف مقاتل واقام عليهم ثلاثة من القواد وذهب هو مع الجيش كجندي بسيط في الفرقة التي نظمها من نخبة الرجال وكان عددها قد بلغ ١٢ الفًا واكثرهم من الاجانب . لكنهُ لم يفلح في فتح مدينة ازوف بل ارتدَّ عنها خائبًا لانهُ لم يكن عندهُ سفن ليناز لها بحرًا او ليقطع عنها المدد . فعاد الى موسكو واستدعى الضباط والمهندسين من ممالك اوربا من هولندا و بروسيا والبندقية وجعل يقطع

الاشجار ويبقى السفن مبني ٢٢ سفينة كبيرة و١٧٠٠ سفينة صغيرة عدا الارماث استخدم ٢٦ الفاً في بنائها. ولما تمّ بناء هذه السفن نزل بها في نهر الدون الواصل الى ازوف. وكتب من هناك الى اخته نتاليا يقول اني طاعةً لامرك لا اذهب لقاء القنابل ولكنها هي تأتي للقائي فربما ان اسطعت بالعدول من ذلك . وحصر مدينة ازوف برّاً وبحراً وردم الخندق الذي يحيط باسوارها من جهة البر واعلى التراب فيه حتى علا فوق الاسوار وجعل ينهال على المدينة . وما زال يشدد الحصار عليها ويبازلها برّاً وبحراً الى ان فتحها عنوةً وكان لفتحها دوي في كل اوربا

واراد ان يتوسل بفوزه هذا الى انشاء اسطول بحري عظيم فقرَّر بجلسةٌ ان يرسل الى مدينة ازوف ثلاثة آلاف بيت تقيم فيها واربع مئة من الخلوق وحامية من حامية موسكو وحصَّن المدينة بالابراج وبنى على الضفة المقابلة لها من نهر الدون قلعة منيعة وضرب على الاديرة ورؤساء الدين ضريبة حسب عدد ما عندهم من المزارعين حتى يبني كل ثمانية آلاف منهم سفينة حربية . والزم البطريرك ادريان وبعض الامراء الاغنياء ان يبنوا عشرين قرالطة كبيرة في كلٍّ منها خمسون مدفعاً. وهو نفسهُ بنى تسع سفن كبيرة على نفقتهِ الخاصة تحمل كلٌّ منها ستين مدفعاً . وبنى التجار سبع سفن في كلٍّ منها ١٤ او ١٨ مدفعاً واربع حرّاقات فيها ثمانية مدافع. وارسل خمسين شاباً من اولاد الاشراف الى البندقية وانكلترا وهولندا ليتعلموا سلك البحر وبناء السفن. ولكنهُ رأى ان كل جهدهم لا يأتي بالفائدة المطلوبة ما لم يذهب هو بنفسهِ في مقدمة الذاهبين الى مدن اوربا لتعلّم الصنائع التي تحتاج اليها بلادهُ. فعزم على الرحلة اليها والتعلم في مصانعها وقبل ان يتيسَّر لهُ ذلك كثرت الشكوى في بلادهِ من جراء هذا التغيير الفجائي فشكا الجنود من انهُ يفضل الاجانب عليهم ويجبرهم على التدرّب والتمرن في الفنون الحربية . وشكا الاشراف من انهُ اخذ اولادهم وارسلهم الى ممالك الغرب ليتعلموا صناعتين زريتين صناعة بناء السفن وصناعة سبك المدافع. وشكا الكهنة والملاك من انهُ فرض عليهم ان يبنوا ٦٤ سفينة حربية في ثلاث سنوات . فتواطأ الشاكون على خلعهِ وارجاع الحكومة الى ما كانت عليهِ وكان محور هذه المكيدة اختهُ الملكة صوفيا لكي تخرج من الدير وتسترجع الملك

وحدث ذات يوم انهُ كان في بيت لفورت في جمع حافل من الرجال والنساء (في ٢ فبراير سنة ١٦٩٧) وكانوا عازمين ان يجلسوا للعشاء فاتى واحد واسرَّ في اذنهِ شيئاً فنهض واستأذن الحضور في الانصراف وركب مزلقة وسار بها الى ان وصل الى بيت الكسي سكوفتين فوجد فيه جماعة كبيرة من رؤساء المكيدة فجلس معهم للعشاء كأنهُ لا يعلم شيئاً مما دبروه

لهُ وهو ان يحرقوا بيت لفورت الذي كان فيهِ ويقتلوهُ وهو مشغول باطفائهِ . ف[illegible] بهم
الى ان جاءهُ رئيس حرسهِ ومعهُ عدد كاف من الجنود فاحاطوا بالمتآمرين وكبلوهم بالحديد .
وعاد هو من فورهِ الى بيت لفورت وجعل يباسط الحضور ويمازحهم كأنهُ لم يحدث شيءٌ مما
حدث . وعذَّب الذين قبض عليهم عذاباً شديداً فاعترفوا بجريمتهم ودلوا على شركائهم
فيها والقوا اللوم كلهُ على الاحزاب الذين في موسكو لكي يتخلصوا منهم لكنهُ ادرك غرضهم
من ذلك وامر بان تقطع اوصال رؤَسائهم ثم قطعت رؤُوسهم ووزعت في انحاء المدينة
حيث يراها كل احد عبرة لغيرهم

ولما اطمأنَّ بالهُ من قبيل هذه المؤامرة قام في الشهر التالي مع الاميرال لفورت والجنرال
غولوفن والجنرال فوزنتزوف ومئتين وسبعين من اولاد الاشراف والجنود والتجار
والتراجمة وسموا انفسهم سفراء القيصر وسار هو معهم متخفياً باسم بطرس ميخائيلوف كأنهُ
واحد من خدمتهم لكي [illegible] الحدث الحال مذاكرة سياسية [illegible] قيصر الروس بكل
جبروتهِ . ولما وصل هؤُلاء السفراء الى مدينة كونغسبرج من مدن بروسيا دخلوها بموكب
حافل جداً وهو [illegible] خلفهم واختص [illegible] وكان [illegible] البروسياني هناك فاعطى
القيصر شهادة رسمية بانهُ استاذ في صناعة اطلاق المدافع . وقوبل السفراء بمزيد الاحتفاء
في قصور كورلند وهنوفر وبراندبرج . واضافتهم الاميرة صوفيا ارملة صاحب هنوفر هي وابنتها
صوفيا شارلوط التي صارت بعدئذٍ ملكة بروسيا وكتبت هذه الاميرة صوفيا حينئذٍ تقول ان
بعض اخلاقهِ [illegible] جداً و[illegible] بلادهِ ولو هُذِّب التهذيب الكافي
لكان من [illegible] لان فيهِ كثيراً من الصفات الحسنة فوق ما فيهِ من الذكاء الطبيعي

وتوجه [illegible] الى امستردام [illegible] ساندام ونزل في بيت
حدَّاد من [illegible] الذين [illegible] وغيَّر ثيابهُ ولبس ثياب بحارة المراكب وجعل يعمل معهم
والفاس في يدهِ [illegible] صناع السكاكين والحبال يساعدهم في عملهم ودخل معملاً من معامل
الورق وعمل الورق فيهِ لكن اهالي ساندام عرفوهُ فاشترى مركباً منهم وعاد الى امستردام
[illegible] من همتهِ وغيرتهِ
فحضر [illegible] التشريحية وحضر اصعب العمليات الجراحية وزار السفن التي كانت
خارجة للاصطياد [illegible] وبحث [illegible] كل ما له [illegible] بالصيد وزار كل الصناعات والمعاهد
الدينية واستخدم كثيرين من الصناع والعمال والضباط والمهندسين والجراحين . واشترى كثيراً
من امثلة السفن وكتباً كثيرة في القوانين والمعاهدات ودخل بيوت السكان وصادق

اهاليها ودخل مخازنهم وتفحص ما فيها ولقي منهم كل مودة واكرام . ثم جاءت الاخبار الى هولندا ان السفراء آتون اليها والقيصر معهم فقامت البلاد لقائهم واستقبلهم رجال الدولة باحتفال باهر على حدود البلاد واعدوا لهم المركبات الفاخرة فركب لفورت ومنشيكوف في المركبة الاولى مركبة الشرف واما القيصر فركب في آخر مركبة مع بعض اعوانه غير حافل بما لوقي به لانهُ كان يسعى الى غرض آخر . وكتب حينئذٍ الى البطريرك ادريان يقول « اننا اتينا الى هنا لنتعلم صناعة بناء السفن وركوب البحر حتى اذا تعلمناها عدنا الى بلادنا وحررنا ابناء ديننا وهذا ما لا انفك عن طلبهِ ما دمتُ حيًّا » . فاقام في امستردام كاحد العمال ولم يدع احداً يخدمهُ بل كان يشعل نارهُ ويطبخ طعامهُ بيده . ومتى لبس ثياب العمل صار اسمهُ النجار بطرس او المعلم بطرس فلا يجيب من يناديه بغير اسم من هذين الاسمين واذا قال لهُ احد جلالتكم اعرض عنهُ مغتاظاً واقام مع رجالهِ شهرين في امستردام وانتقلوا منها الى الهاج فتفحص كل شيء رآهُ في الطريق مما لم يرهُ قبلاً كالمطاحن والمعامل وآلات الري . واعدَّت لهُ غرفة فاخرة لينام فيها في الهاج فرفض النوم فيها وجال اكثر الليل حتى اذا غلبهُ النعاس رأى خادماً من خدمهِ نائماً على جلد دب فايقظهُ ونام مكانهُ . وقابل الملك وليم الثالث ووزراءهُ مراراً وكان يلبس وقت مقابلتهم ثياباً كثياب الاشراف

وذهب من الهاج الى مدينة ليدن ودرس علم الميكروسكوب على العلامة الطبيعي ليونهوك الشهير. ثم عاد الى امستردام وساعد في بناء سفينة كانت المدينة تبنيها لتهديها اليهِ . وسافرت هذه السفينة الى اركنجل في السنة التالية موسوقة بما اشتراهُ من هناك . لكنهُ رأى انهُ يستحيل عليهِ ان يتعلم صناعة بناء السفن في امستردام لان ليس للصناع فيها قاعدة يجرون عليها واخبرهُ احد الربانين ان اهالي انكلترا امهر من اهالي هولندا في بناء السفن ولهم قواعد ومبادئ يجرون عليها فذهب اليها مع منشيكوف وخمسة عشر من اتباعهِ في اسطول مؤلف من ثلاث سفن حربية وبخت وكان ملك هولندا قد وضع هذا الاسطول تحت امرهِ . واقام ثلاثة اشهر في مدينة لندن والمدن المجاورة لها واجرى الانكليز مثال واقعة بحرية امامهُ فسرَّ بها جدًّا واخذ من انكلترا كثيرين من الصناع والبنائين والمدفعيين والفلكيين والرياضيين وعاد الى هولندا ولما غادرها اهدى اليهِ ملكها قرقاطة فاخرة فيها ٢٤ مدفعاً اعدها لهُ خاصةً

وغادر هولندا في شهر يونيو ومرَّ في طريقهِ على ليبسك الى ان وصل الى فينا فدرس فيها العلوم الحربية وكان عازماً ان يذهب الى البندقية ولكن جاءتهُ الاخبار ان فتنة نشبت في بلادهِ فكرَّ اليها راجعاً

سيأتي البقية

العالم في ربع قرن

للورد نورث كليف صاحب جريدة الدلي مايل وغيرها من الجرائد والمجلات جريدة اسبوعية اسمها الاجوبة "Answers" وهي اول جريدة انشأها وقد صار عمرها الآن ٢٥ سنة فطلب من جماعة من المشاهير ان يكتب له كلٌّ منهم مقالة صغيرة في الشيء الذي يشتغل هو فيه تدل على تقدم ذلك الشيء منذ خمس وعشرين سنة الى الآن. وكتب هو المقالة الاولى وجعل موضوعها بداءة فكر عظيم بيَّن فيها ان الحاجة كانت ماسَّة الى جريدة اسبوعية ينشئها جماعة من نخبة الكتَّاب في مواضيع عمومية مفيدة وتكون رخيصة الثمن . ولم يكن الزحام شديداً على هذا المورد حينئذٍ ولذلك نجحت جريدتهُ نجاحاً عظيماً يوجب عليهِ شكر الذين عاونوهُ والذين وثقوا بهِ . . وهاك خلاصة المقالات العلمية العمومية التي كتبها غيرهُ من الكتاب

الاوتوموبيل

كتب لورد مونتاغي بوليو يقول

ان خمساً وعشرين سنة ليست شيئاً يذكر في تاريخ نوع الانسان ولكن قد تحدث فيها امور هامة تغيّر احوال الناس

واهم امر حدث في السنوات الخمس والعشرين الماضية هو نجاح الاوتوموبيل والاعتماد عليهِ . ففي سنة ١٨٨٨ كانت مركباتنا كلها تجرها الخيل والآن صار نصفها من مركبات الاوتوموبيل وستستغني عن الخيل تماماً . ولم يكن العلماء منذ خمس وعشرين سنة يعبأُون بالآلة التي تتولد فيها القوة بالاحتراق الداخلي وهي التي يسير بها الاوتوموبيل الآن بل كانت تلك الآلة تحسب من احلام طلاَّب الاماني

في تلك السنة مالــــ عنلب ديملر النابغة في العلوم الآلية امتيازاً بآلة يحترق غازها فيها ووضعها في دراجة سارت بها . وفي السنة التالية نال المهندس لفاسور الفرنسوي امتيازاً لصنع آلة مثل هذه في فرنسا فسبقت فرنسا انكلترا في استعمال هذه الآلة لان انكلترا كانت تحظر سير المركبات اكثر من اربعة اميال في الساعة

والسنوات الخمس والعشرون الماضية كانت سنوات خسائر كبيرة وتعب شاق وفشل مضنٍ ولكنها تكلّلت بالظفر اخيراً

التلغراف اللاسلكي

وكتب السنيور مركوني مستنبط التلغراف اللاسلكي وهو المعروف ايضاً بتلغراف مركوني يقول :—

ان التلفون استنبط قبل الخمسة والعشرين سنة الماضية ولكن أتقن فيها وهو عندي اغرب المخترعات الحديثة وانفعها . ومن الاكتشافات العظيمة في هذه المدة اكتشاف اشعة رنتجن وهو من الاكتشافات المفيدة ايضاً ولاسيما في الجراحة

وآتي الآن الى عملي الخاص في التلغراف اللاسلكي . فاقول ولا فخر انهُ من اعجب المكتشفات لا من حيث التخاطب بالكهربائية من مكان الى آخر من غير سلك معدني بل من حيث التخاطب بذلك على ابعاد شاسعة جدًا . وقد جربتُ اول تجربة في ايطاليا سنة ١٨٩٧ فاثبتُّ انهُ يمكن التخاطب من غير سلك على مسافة ميلين . وسنة ١٨٩٧ اثبتُّ انهُ يمكن التخاطب على مسافة تسعة اميال وسنة ١٨٩٩ امكن التخاطب بين انكلترا وفرنسا وكان يُظنّ ان كروية الارض تحول دون التخاطب على ابعاد شاسعة . ولكنني تمكنت بعد سهاد طويل واتعاب شاقة من ارسال الاشارات الكهربائية بين اوربا واميركا وكان ذلك في ١٢ و١٣ دسمبر سنة ١٩٠١ ثم جعلنا نخاطب السفن في عرض البحر . ونشرت جريدة التيمس رسالة جاءتها من اميركا بالتلغراف اللاسلكي في ربيع سنة ١٩٠٣ فيها ٢٦٧ كلمة . واطول مسافة امكن التخاطب فيها حتى الآن بالتلغراف اللاسلكي ٢٢٣٨ ميلاً البر منها ١٥٩٩ ميلاً والباقي بحر

ويمكن استخدام نقل الكهربائية من غير سلك لاطلاق المدافع ونسف الالغام وتسيير الغواصات تحت الماء ولكنني مرتاب في امكان العمل بذلك . ومن المحتمل اننا نهتدي الى نقل القوة في المستقبل بالكهربائية من غير موصل كما نقلنا اشاراتها

ركوب الهواء

وكتب المستر كلود غرام هوايت ما خلاصتهُ :—

يتطوي النجاح في ركوب الهواء على ثلاثة امور الاول بناء طيارة ذات سطوح كاجنحة الطيور يمكنها ان تحمل نفسها وما فيها وهي سابحة في الهواء . والثاني ايجاد طريقة لحفظ هذه الآلة من الانقلاب ولتدريبها في سيرها بعد ما ترتفع في الهواء والثالث اختراع آلة محركة تكون قوتها كافية لتسيير الطيارة وتكون خفيفة حتى لا تعيقها في طيرانها . واول طيارة وفت بهذه الشروط صنعها ولبور ريط واخوهُ اورفل وطارا بها في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ بعد ان

جربّا الطيران على اسلوب لِينثل وتمرّنا على ادارة الطيارة وهي في الهواء . وتمكنا سنة ١٩٠٥ من قطع ٢٤ ميلاً في الهواء دفعة واحدة . ثم قام سنتوس ديمونت سنة ١٩٠٦ وحول انظار الناس نحوهُ الى فرنسا وتبعهُ هنري فارمن سنة ١٩٠٧ وصنع بيوبلانًا يثب في الهواء كالطائر بعد ان يسير على عجلاتٍ . وعاد ولبور ريط واخوهُ فادهشا العالم سنة ١٩٠٨ بالطيران اكثر من ساعتين متواليتين

وسنة ١٩٠٩ قطع بلريو من فرنسا الى انكلترا بالمونوبلان ونال جائزة الديلي مايل وهي الف جنيه . وسنة ١٩١١ نال بومون جائزة الديلي مايل الكبيرة وهي عشرة آلاف جنيه لانهُ طار ١٠١٠ اميال في مدة ٢٢ ساعة و٢٨ دقيقة و١٨ ثانية وقد اعلنت تلك الجريدة الآن عن جائزة اخرى وهي عشرة آلاف جنيه تعطيها لمن يطير بين انكلترا واميركا بقارب طيار او طيارة بحرية

المكتشفات الجغرافية

وكتب السر ارنست شكلتون يقول

ان اهم الاكتشافات التي تمت في السنوات الخمس والعشرين الماضية هي اكتشاف القطب الشمالي والقطب الجنوبي او الوصول اليهما فعلاً . فالقطب الشمالي كان قبلة المكتشفين منذ ثلثمئة سنة الى ان رفع بيري العلم الاميركي عليهِ في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ مع ان نانسن كاد يبلغهُ منذ ٢٥ سنة . والقطب الجنوبي قصدهُ المكتشفون منذ عهد غير بعيد كالقطب الشمالي واول بعثة قصدتهُ فعلاً هي البعثة البلجيكية وكان ذلك سنة ١٨٩٨ ثم تلتها ست بعثات احداها البعثة الانكليزية التي كنتُ فيها مع الكبتن سكوت وكان هو رئيسها ولا ازال اتذكر ذلك اليوم السعيد الذي سرت فيهِ معهُ في مرافقة في اول يوم من سنة ١٩٠٣ فبلغنا الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ . ثم قصدت القطب الجنوبي ثانية سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٩ فبلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٥ اي اني بقيت بعيداً عن القطب ٩٧ ميلاً فقط وبقي شرف الوصول اليهِ اولاً للرحالة امندسن الذي بلغهُ في ١٤ دسمبر سنة ١٩١١ وبلغهُ بعدهُ الكبتن سكوت في ١٧ يناير سنة ١٩١٢ ولكنهُ لم يعد [illegible] جوعاً هو ورجالهُ وابقى الاسف والحسرات للالايين الذين يندبونهُ الآن

ولم تقتصر المكتشفات الجغرافية على القطبين بل تناولت بلداناً واسعة في قلب اسيا وفي الدهناء من بلاد العرب وفي بيرو من اميركا

يسر البلدان وعسرها

البلدان كالسكان تمر بها ايام يسر يكثر الذهب فيها وتروج المتاجر وايام عسر يقل الذهب فيها وتكسد البضائع . فالسنوات الاربع سنة ١٨٨٨ و١٨٨٩ و١٨٩٠ و١٨٩١ كانت سنوات يسر زادت فيها الثقة المالية وراجت الاسواق وعلت الاسعار وعلت الاجور . والسنوات الاربع التالية سنة ١٨٩٣ و١٨٩٤ و١٨٩٥ و١٨٩٦ كانت سنوات عسر هبطت فيها الاسعار وكسدت الاسواق وقلت الاجور . والسنوات الاربع الاخيرة سنة ١٩٠٩ و١٩١٠ و١٩١١ و١٩١٢ سنوات يسر كالسنوات الاربع الاولى في نتائجها . واذا حسبنا متوسط اسعار الحاجيات ١٠٠ ومتوسط اجور العمال ١٠٠ فنسبة المدد الماضية بعضها الى بعض من حيث اليسر والعسر والغلاء والرخص كما ترى في هذا الجدول

		اسعار الحاجيات	معدل الاجور
سنوات يسر	١٨٨٨	١٠٢٫٧	٨٤٫٧
	١٨٨٩	١٠٤٫٠	٨٧٫٥
	١٨٩٠	١٠٤٫٠	٩٠٫٣
	١٨٩١	١٠٧٫٠	٩١٫٥
متوسط السنوات الاربع		١٠٤٫٥	٨٨٫٥
سنوات عسر	١٨٩٣	١٠٠٫٠	٩٠٫١
	١٨٩٤	٠٩٤٫٣	٨٩٫٥
	١٨٩٥	٠٩١٫٠	٨٩٫١
	١٨٩٦	٠٨٨٫٢	٨٩٫٩
متوسط السنوات الاربع		٠٩٣٫٣	٨٩٫٦
	١٩٠٩	١٠٤٫٠	١٠٠٫٠
	١٩١٠	١٠٨٫٧	١٠٠٫٢
	١٩١١	١٠٩٫٣	١٠٠٫٣
	١٩١٢	١١٤٫٠	١٠٣٫٠
متوسط اربع سنوات		١٠٩	١٠٠٫٩

والبلدان الآن على نوعين دائن ومديون فانكلترا وفرنسا من البلدان الدائنة اي التي جمع شعبها اموالاً كثيرة بسعيهم واقتصادهم وهم يدينونها لغيرهم وروسيا وايطاليا من البلدان المديونة لانها استدانت اموالاً كثيرة من غيرها. فاذا كثر الذهب في بنوك البلدان الدائنة قلت النقود بين ايدي سكانها وخيَّم العسر عليهم. واذا قلَّ الذهب في البنوك فذلك دليل على كثرة التعامل به فيعم اليسر وتروج الاعمال

ففي اواسط سنة ١٨٩٢ كان مقدار الذهب في بنك انكلترا ٢٧٨٠٠٠٠٠ جنيه فلم تأتِ اواسط سنة ١٨٩٦ حتى تراكم الذهب فيهِ وبلغ ٤٩٢٠٠٠٠٠ جنيه اي انهُ زاد في اربع سنوات ٢١٤٠٠٠٠٠ جنيه. وحدث مثل ذلك في بنك فرنسا فكان مقدار الذهب فيهِ ٦٣٥٠٠٠٠٠ جنيه في اواسط سنة ١٨٩٢ فبلغ ٨١٨٠٠٠٠٠ جنيه في اواسط سنة ١٨٩٦ اي انهُ زاد في اربع سنوات ١٨٣٠٠٠٠٠ جنيه. ولقد زاد الذهب في البنكين بين سنة ١٩٠٨ و ١٩١٢ ولكن زيادتهُ كانت قليلة جدًّا نحو ستة ملايين من الجنيهات لا غير وهي ليست شيئًا اذا اعتبرنا زيادة الذهب المستخرج من الارض في السنوات الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

سنوات عسر			سنوات يسر		
١٨٩٣	الذهب المستخرج فيها	٢٣٦٠٠٠٠٠ جنيه	١٩٠٩	الذهب المستخرج فيها	٩٢٤٠٠٠٠٠ جنيه
١٨٩٤	« « «	٣٧٢٠٠٠٠٠ «	١٩١٠	« « «	٩٦٢٠٠٠٠٠ «
١٨٩٥	« « «	٤٠٨٠٠٠٠٠ «	١٩١١	« « «	٩٧٣٠٠٠٠٠ «
١٨٩٦	« « «	٤١٥٠٠٠٠٠ «	١٩١٢	« « «	[illegible] «
مجموع السنوات الاربع		١٥٢١٠٠٠٠٠ «	مجموع السنوات الاربع		٣٨٦٩٠٠٠٠٠ «

ففي السنوات الاربع الاولى كان مجموع الذهب المستخرج من معادن الارض ١٥٢ مليون جنيه وقد زاد المجتمع منهُ في انكلترا وفرنسا نحو ٤٠ مليون جنيه واما في السنوات الاربع الاخيرة فكان المستخرج منهُ من معادن الارض ٣٨٧ مليون جنيه ومع ذلك لم يجتمع منهُ في بنكي انكلترا وفرنسا سوى ٦ ملايين جنيه

اما البلدان التي تستدين من غيرها او لا تدين احدًا فلم يكن في بنوكها شيءٌ من الذهب في آخر سني العسر واما في آخر السنة الماضية بعد ان مرَّت عليها سنوات اليسر فتراكم الذهب في بنوكها كما ترى في هذا الجدول

	في يونيو سنة ١٨٩٦	في يونيو سنة ١٩١٢	الزيادة
خزينة الولايات المتحدة	٢٩ ٥٧٣ ٠٠٠	٢٤٧ ٦٥٢ ٠٠٠	٢١٨ ٠٧٩ ٠٠٠
بنك روسيا	٨ ٤٠ ٠	١٥٤ ٧٨٢ ٠٠٠	٠٧ ١٣٨٢ ٠٠٠
الارجنتين ادارة التحويل	...	٠٤٢ ٧٦٧ ٠٠٠	٠٤٢ ٧٦٧ ٠٠٠
بنك ايطاليا	١٣ ١١٦ ٠٠٠	٠٤٠ ٩٧٦ ٠٠٠	٢٨ ٨٦٠ ٠٠٠
بنك النمسا والمجر	٢٢ ٨٨٠ ٠٠٠	٥١ ٥٨٦ ٠٠٠	٢٨ ٧٠٦ ٠٠٠
في كندا	٠٣ ٤١٥ ٠٠٠	٢٨ ٠١٢ ٠٠٠	٢٤ ٥٩٧ ٠٠٠
« برازيل	...	٢٢ ٩٥٠ ٠٠٠	٢٢ ٩٥٠ ٠٠٠
« الهند	...	٢٢ ٢٥٣ ٠٠٠	٢٢ ٢٥٣ ٠٠٠
« اليابان	٩ ٠٩٣ ٠٠٠	٢٣ ١٢٨ ٠٠٠	١٤ ٠٣٥ ٠٠٠
المجموع	١٥٧ ٤٧٢ ٠٠٠	٦٣١ ١٠٦ ٠٠٠	٤٧٣ ٦٢٩ ٠٠٠

اي بلغت زيادة الذهب في بنوك هذه الممالك من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩١٢ اكثر من كل الذهب الذي استخرج من مناجم الارض . ومعلوم ان الذهب في بنوك انكلترا وفرنسا والمانيا زاد سنة ١٩١٢ عما كان سنة ١٨٩٦ نحو ستين مليون جنيه وعليهِ فالذهب الذي تجمَّع في البنوك الكبيرة من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩١٢ يزيد على مقدار الذهب المستخرج من الارض نحو مئة مليون جنيه . ولولا تعامل الناس بالاوراق المالية والثقة المالية (الكريديتو) لاستحكم الضيق استحكاماً لا مثيل لهُ

وتعدُّ الولايات المتحدة من البلدان المستدينة لانها تستدين الاموال من اوربا وتدينها في المكسيك وبرازيل وغيرها من البلدان الاميركية ولان الاوربيين ولاسيما الانكليز يستثمرون فيها كثيراً من اموالهم باشتياعهم الكثير من اسهم الشركات الاميركية

وقد بلغت الاموال التي اكتتب بها في السنة الماضية في لندن وباريس وبرلين ونيويورك لاجل المشروعات والقروض الخارجية ١٠٥٦ مليون جنيه وكان ٩١٦ مليون جنيه سنة ١٩١١ كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا فيه الاموال التي اكتُتب بها في هذه العواصم

	١٩١١	١٩١٢
في لندن	١٩٦ ٣١٦ ٠٠٠ جنيه	٢١١ ٦٣٧ ٠٠٠ جنيه
« باريس	« ١٨٧ ٨٤٠ ٠٠٠	« ٢٠٣ ٦٨٠ ٠٠٠
« برلين	« ١٧٣ ٣٠٠ ٠٠٠	« ١٧٦ ٠٠٠ ٠٠٠
« نيويورك	« ٣٥٨ ٧٦٩ ٠٠٠	« ٤٦٤ ٨٠٢ ٠٠٠

وابتدأت السنة وحكومة الصين تطلب ستين مليون جنيه واعطيت في الشهر الماضي ٢٥ مليوناً منها . والماليون المقيمون في هذه العواصم يرسلون اموالهم الى الاقطار المسكونة فتعود عليهم بالربح الكثير ويجهزون الجنود والبوارج لحماية مصالحهم . ولا نبالغ اذا قلنا ان مئتي مليون من الرجال يعملون الآن ويكدحون في اوربا واسيا وافريقية واميركا لنحو مئة الف من اغنياء اوربا واميركا . ولكن ميزان المعاملات في يد هؤلاء الاغنياء فباموالهم بُنيت السفن التجارية وانشئت السكك الحديدية والمعامل الصناعية وارتقت العلوم الطبية والطبيعية وقلت المشاق والمظالم والمغارم . والدول التي يكثر اغنياؤها وتكثر اموالهم هي التي تستعمر وتحمي جانبها وتخشى بأسها وترهب غيرها

التعليم في اميركا

انشأت هذه المقالة لافادة القراء واخص منهم الاحداث واطلاعهم على احوال المدارس التي عرفتها اثناء اقامتي في الولايات الاميركية المتحدة . تركت الديار السورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ قاصداً احدى المدارس في العالم الجديد . وبعد وصولي الى بوسطن بشهر دخلت احدى المدارس العالية (High School) في ولاية ماين حيث قضيت سنتين في الاستعداد لدخول مدرسة كلية . وكانت دروسي هناك آداب اللغة الانكليزية والجبر والهندسة والطبيعيات والافرنسية والالمانية مع قليل من اللاتينية . وفي سنة ١٩٠٨ دخلت جامعة « كلارك » (Clark University) وهي جامعة صغيرة مختصة بعلم السيكولوجيا ورئيسها الدكتور ستانلي هول (Dr. Stanley Hall) وهو من اشهر المتضلعين في علم النفس واسمهُ معروف في جامعات المانيا كما في جامعات اميركا . وكان على كل تلميذ في جامعة « كلارك » ان يقضي خمس ساعات في درس اللغة الانكليزية وخمساً اخرى في درس

احد العلوم كالطبيعيات والرياضيات والكيميا وعلم الحيوان والنبات وما اشبه وعشر ساعات في درس لغتين اجنبيتين وهي اما اليونانية مع اللاتينية او الفرنسية مع الالمانية . وتقبل الايطالية مع الاسبانية لكي تتمكن العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والجمهوريات اللاتينية كالبرازيل والارجنتين . وللتلميذ حرية تامة في اختيار دروسه عدا هذه الثلاثة—اي الانكليزية واحد العلوم المحضة مع لغتين اجنبيتين . واما انا فاخذت الدروس الآتية

(١) الطبيعيات

(٢) البيولوجيا

(٣) الكيميا

(٤) والسيكولوجيا . وهذا يشمل علم التهذيب (Education) ودرس الاطفال (Child Study) والظواهر غير الاعتيادية كالتنويم والمستيريا والاختلال العقلي

(٥) الاقتصاد مع قليل من الاحصاءات (Statistics)

(٦) المنطق

(٧) آداب اللغة الانكليزية مع عناية خصوصية بدرس الشعر في القرن التاسع عشر

(٨) تاريخ الولايات المتحدة والقرون الوسطى . والتاريخ الجاري (Current History) وشرائع الامم (International Law) مع التفات خصوصي الى اعمال مؤتمر السلام في الهاي

(٩) الفرنسية

(١٠) الالمانية [1]

وبعد هذا خصصت سنة لعلم التهذيب وتدبير شؤون المدرسة في « قسم المعلمين » (Teachers' College) في جامعة كولمبيا في نيو يورك

يقضي التلامذة هنا اربع سنوات في الكلية غير ان جامعة كلارك مع قليل من الكليات تسهّل انهاء دروسها في ثلاث سنوات تُقضى في الجد وسهر الليالي

والشبان هنا يفتخرون بالعمل . وكثيرون منهم يحصلون كل نفقاتهم اثناء درسهم . والبعض يساعدون اهلهم فوق ذلك . اما انا فلاني فقير مثل اكثرهم دفعني العوز الى الجدّ ومجاراة رفاقي في اعمالهم . فخدمت على الموائد وجرفت الثلوج في الاسواق واشتغلت في المعامل

(١) لا يتعلمون اللغات الاجنبية كما نتعلمها بل يقتصرون على درسها للقراءة لا للاستعمال . فندر من يتكلم الفرنسية الا من قد درس في فرنسا

وحدمت في المخازن والمكاتب وكنست غرفها وغسلت شبابيكها الى غير ذلك · غير انني توفقت في الثلث السنوات الاخيرة الى وكالة بيع ادوات الطبخ لشركة عظيمة (The Aluminum Cooking Utensil Co.) استخدمت اثناء الصيف الماضي الفاً وتسع مئة تلميذ من جامعات الولايات المتحدة وكندا · وهي لا تدفع اجرة معينة للتلاميذ بل تعطي كلاً منهم خمساً واربعين في المئة من ثمن ما يبيعونهُ · واما طريقة بيع هذه الادوات فهي هكذا : يخرج التلاميذ في اول تموز (يوليو) ببضعة مساطر كاباريق القهوة والحلل الصغيرة وما شاكل ويرونها لربات البيوت · ثم ترسل الطلبات الى الشركة وفي خلال شهر توزعها على بيوت المشترين · اشتغلت ثلث صيفيات مع هذه الشركة وكنت اكسب من خمسين جنيهاً الى مئة جنيه كل صيفية · وليست هذه الشركة الوحيدة التي تفعل ذلك بل عندهم شركات غيرها تبيع الكتب والخرائط والصور وما شاكل · ولولا هذه الوسائط لصعب على مثلي التخرج في جامعات اميركا بدون اقتراض الاموال الكثيرة · وهكذا فت بكل نفقاتي من بيع آنية الالومنيوم في عطلة الصيف والخدمة على الموائد وقت المدرسة · ويعطى كل خادم مائدة اكلهُ مقابل خدمتهِ ويبلغ ذلك نحو جنيه في الاسبوع.

النفقات

تتوقف نفقات التلميذ على مقدار ثروتهِ وحالتهِ · غير انهُ يلزم للطالب المقتصد نحو مئة وعشرون جنيهاً في السنة يدفع منها ثلاثين جنيهاً للتعلم والبقية ينفقها على طعامهِ وكتبهِ ولباسهِ (هذا معدَّل نفقات الجامعات التي في الولايات الشرقية · اما الغربية والجنوبية فهي ارخص) ومما يساعد الطلبة فضلاً عن عملهم ريع اموال يوقفها اغنياء البلاد ومحبو العلم لاعانة الذكي الذي لا مال لهُ وتسمى هذه المساعدات « تلميذيات » (Scholarships) والغالب ان تكون التلميذية مئة وخمسين ريالاً اي رسم التعلم · وقد يكون في الجامعة اموال يستدينها التلميذ برباً خمسة او ستة في المئة ويوفيها بعد انتهاء دروسهِ · اما احسن المساعدات فما يسمى (Fellowships) والمساعَد يسمى (Fellow) وهي تعطى لانجب التلاميذ اقراراً بنجابتهم · وهذه الجائزة تكفي نائلها سنة كاملة يقضيها في جامعة شهيرة اما في اميركا او اوربا او اسيا

منازل الطلبة

طلبة الكليات التي ليست في المدن يسكنون في ابنية معدة لهم يقال لها منادم (Dormitories) فيها ينامون ويأكلون ويلهون · ولكل واحد غرفة جميلة مزينة بالصور

والرسوم المضحكة واعلام عدة جامعات وكليات ومدارس . والتلميذ حر بتة تامة فلا يكبحهُ عن الموبقات الأ ناموسهُ وشرفهُ وتربيتهُ وكبر نفسه . فيناه ويقوم ويأكل ويدرس ويلعب حيثما يشاء وحينما يريد . هذا في الكليات التي في القرى حيث يضطر الجميع ان ينزلوا في المنازل . اما في المدن فكثيرون يحضرون الدروس فقط ثم يدبرون بقية شؤونهم في الاكل والشرب والنوم . فتكون عيشتهم على طرز القسم الطبي في كلية بيروت وعرفت البعض منهم يُعد طعامهُ بيده اذ لا دراهم لهُ لدفع ثمن الطعام

وحكي عن شاب في جامعة هارفرد (Harvard) كان يكتفي بريال واحد في الاسبوع لاكله وهو ربع ما يكفي التلميذ عادة

روح مدارس اميركا ومحيطها

لا مشابهة بين المدارس الاميركية ومدارسنا الشرقية . هناك تعزز النفوس وهنا تُذل . معلمو المدارس الاميركية يربّون رجالاً احراراً ذوي عقول مولدة مستقلة يركن اليها في كل زمان ومكان ولا يقبلون قول احد بلا فحص وتدقيق . وذكاؤهم على الاجمال لا يفوق ذكاء الشرقي غير ان محيطهم يخالف وللمحيط تأثير عظيم في نفوس البشر ولاسيما الصغار . محيطهم اسمى وارقى وارق . والانسان يكوّن محيطهُ على نوع ما فهو ليس عبداً لهُ . مدرسو اميركا يدربون صغارهم على التفكر والتعقل . واما نحن فاكثر معلمينا يدربوننا على استظهار الايات والقواعد والاقوال وتقاليد غير معقولة تعدم الحياة العقلية وتقتل كل جراثيم الفكر . يتعلم الاميركي الاستقلال واختراع الطرق والاساليب الجديدة في حداثته . يحل عملية الحساب او الجبر او الهندسة بطريقة غير التي في كتابه . الاستقلال مبدأهم — الاستقلال في الفكر والقول والعمل — فلا يهاب التلميذ معلماً ولا الخادم سيداً وقد تطرف بعضهم في الاستقلال حتى انتقدهم مهذبو اوربا . روح اميركا ديموقراطية محضة ولو دب الفساد في بعض قصور الاغنياء . فهم يعملون ولسان حالهم ينشد

ان الفتى من يقول ها انذا ليس الفتى من يقول كان ابي

وما اكره على شبيبة اميركا ان يذكر الانسان اصلاهُ . لا قيمة للتكبر عندهم . فمن شمخ وابدى الكبرياء احتقرهُ الجمهور ولو كان غنياً . وكثيراً ما يسبق اولاد الفلاحين والفقراء ابناء ذوي الثروة والجاه . فترى التلميذ الذي يدفعهُ فقرهُ الى الخدمة على المائدة زعيم لعبة الفت بول (Captain.) وهي اسمى رتبة ينالها طلبة تلك البلاد

استقلالهم في شؤونهم

ما اكثر تداخل المعلمين عندنا في شؤون تلامذتهم وما اندره عندهم . يتدرب الاولاد في العالم الجديد على تولي امور انفسهم وعلى التمرن على العمل حسب المبادىء الدستورية . يبدأون ذلك في ارض الفت بول (كرة القدم) وفي منتدياتهم المختلفة ثم ينتخبون قادتهم ومديريهم فيطيعون ويعملون كأنهم رجال محنكون . وان خالف احدهم القوانين المسنونة عارضهُ الجميع . وعندنا يستأذن التلميذ معلمهُ لعمل ازهد شيء ويشتكي الى معلمهِ على اقل تعدٍّ من رفاقهِ اما هناك فيتجنب الشكوى الى معلمهِ مهما اساء التلامذة اليهِ

اشتهر الاميركي اشتهار اخيهِ الانكليزي بحب الالعاب الجسدية . يقضي طلبة باريز وبرلين معظم اوقات فراغهم في الشرب والبراز والملاهي اما الطلبة الاميركيون فيقضون وقت الفراغ في لعب الكرة والمصارعة والوثب والسباق وهلم جرا . فتراهم نشيطين ذوي قابلية شديدة وطبع لطيف واخلاق ومشة ديموقراطية . فللالعاب عندهم شأن كبير يكاد يفوق الشؤون العلمية . فللاعب النشيط القوي الجسم اعتبار يفوق الاعتبار الذي ينالهُ السابق في الدروس فيصبح بطلاً يشار اليهِ بالبنان . قيل عن بعض الكليات انها كانت تدفع كل نفقات اللاعب الماهر لترغبهُ بالمجيء اليها وتغلب على مناظريها في الالعاب

طلبة الاجانب عندهم

الهيئة الاجتماعية في اميركا مؤلفة من طبقات متفاوتة في اتساع معارفها وحسن تهذيبها وسمو غاياتها . فمنها طبقة ذات ادراك عجيب ومهارة غريبة في جمع الاموال ولكنها سافلة لا تهمها الا الامور المادية فهي ترسل صبيانها الى المدارس لا لتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم بل لاعدادهم للاشغال ولسلب الاموال . وتبقى بناتها في القصور لا عمل لهن غير الالتهاء بالاوبرا والرقص والتكلم عن هذه وتلك وعن الازياء الباريسية . اولئك لا تهمهم تربية الاخلاق وتهذيب النفوس . المهم الذهب ومعبودهم الملاهي . اما الطبقة الوسطى فعليها يتوقف مستقبل اميركا — وذلك يصدق على الطبقة الوسطى في كل انحاء العالم — هي طبقة راقية متقدمة متهذبة . لا يقال عنها انها غنية بل مكتفية . ودخل الواحد منها يزيد قليلاً على نفقاتهِ . واعضاء هذه الطبقة يسكنون البيوت البسيطة المرتبة . واولادهم هم الذين يملأون الكليات والجامعات وعليهم محور كلامنا . وهم العاملون بحسب المبدإ (Noblesse oblige) . معاشرتهم طيبة تشرح الخاطر وتطيب القلب

بقي ان نأتي الى الطبقة الثالثة وهي تشمل العمال وهم الذين يملأون المعامل والطرق

حيث لا تزيد اجرة الواحد منهم على اثني عشر ريالاً في الاسبوع واغلب اعضاء هذا القسم من المهاجرين الفقراء الاغبياء . عدوهم الطبقة التي بعرق جبينها يحصل الغنى وتجمع الثروة . اما تلاميذ الكليات من هذه الطبقة فقليلون لا لخمولها بل لقلة وسائطها لان الوالدين يشغلون الاولاد قياماً بالمعيشة

مقام كل فرد في اميركا عالياً يتوقف على نفسهِ . وهذا يشمل الاجنبي ايضاً . والمقام يختلف فمنهُ العقلي ومنهُ الاجتماعي ومنهُ المالي . اما المقام العقلي فالاجنبي في اعلى درجاتهِ وهذا لا يعني ان ابناء الاجانب يفوقون ابناء الاميركيين كلاً ولكن طلبة الاجانب هم نخبة بلادهم واما الطلبة الاميركيون فغير منتقين . وكثيرون من الغرباء يدخلون مدارس الولايات المتحدة وهم يجهلون طباع الاميركيين وعاداتهم ومنهم من لا يهتم كثيراً بمعرفتها . فعلى الاجنبي ان يدرس طباع رفاقهِ ويقتبس احسن اعمالهم ويغرم بالعابهم ويتقن لغتهم ويراعي ذوقهم فان فعل ذلك عدوهُ واحداً منهم ونسوا انهُ اجنبي . واما من لا يخالطهم فيبقى عندهم اجنبياً كل ايامهِ

معاهد تلك البلاد ملأى من الصينيين واليابانيين . وعدد تلامذة اميركا الجنوبية والهند واوربا آخذ في الازدياد واما السوريون فلا يزداد عدد تلامذتهم بازديادهم في اميركا حتى ان الارمن صاروا اكثر من السوريين في كلياتها . لم يكن في جامعة كولمبيا في نيو يورك اثناء العام الماضي سوى سوريين مع انهُ كان فيها خمسة واربعون صينياً واكثر من عشرة من الارمن

الشرق محتاج الى مدنية اميركا اكثر مما هو محتاج الى مدنية اوربا . ولقد احسنت الحكومة العثمانية بارسال خمسة شبان (٤ اتراك ويونانياً) على نفقتها الى جامعة كولمبيا . ويا حبذا لو كثر عدد الذين يذهبون الى ذلك المعهد لكي يتلقوا العلوم ثم يرجعوا الى وطنهم لاعانة اخوانهم في طلب العلى والتمدن الحقيقي

روح اميركا افضل لنا لانها ديموقراطية عملية ترفع شأن كل واحد من غير نظر الى نسبهِ وحسبهِ ومالهِ . كل احد هناك يعتمد على نفسهِ وهذه الروح تميت الكسل وتحيي النشاط والعمل وما احلى النشاط السوري لو نفخت فيهِ الروح الاميركية الحقيقية . ليت بنينا وبناتنا يذهبون الى اميركا لكسب العلم لا لكسب المال . وليت متهذبي شباننا وشاباتنا يرجعون الينا ليعينونا على الفتك بجيوش الجهل والخمول

خليل طوطح

نشوء ذوات الفقار

مذهب النشوء من اهم المذاهب التي اشتغل بها العلماء . وقد كان اشتغالهم بحل مسائله على معظمه في القرن الماضي بعد ان قام داروين وعلل تولد انواع الحيوان بعضها من بعض بالانتخاب الطبيعي . ولا يزال في سبيل هذا المذهب عقبات يعمل على تذليلها بعض العلماء الذين انقطعوا للاشتغال بالعلوم الطبيعية . ومنهم الاستاذ باتن من كلية دارتموث في اميركا . وقد قام اخيراً بابحاث جليلة توفق بها الى تذليل اصعب عقبة في سبيل هذا المذهب وهي نشوء ذوات الفقار من الحيوانات التي لا فقار لها لاتساع البعد بينها وبين اقرب الحيوانات اليها من غير ذوات الفقار . وقد وقفنا الآن على فصل لهُ بيّن فيهِ كيفية توصله الى ذلك فرأينا ان نقتطف منهُ ما يأتي قال

لما اصبح مذهب النشوء مذهباً ثابتاً يقول بهِ جمهور المشتغلين بالعلوم الطبيعية رأى العلماء ان يرتبوا الحيوانات في سلسلة تبين نشوء بعضها من بعض اي ان يبينوا الطرق التي تمشى فيها نشوء انواع الحيوان . منذ اول ظهورهِ حتى العصر الحاضر او من ابسط انواعهِ التي يتألف جسمها من خلية واحدة الى الانسان

ولترتيب الحيوان في هذه السلسلة اهمية كبيرة لانها تتخذ حجة للحكم إما بصحة مذهب النشوء او بفسادهِ ولان لها علاقة كبيرة بعلم الحيوان اذ لا بد لحل مسائلهِ من معرفة اصل كل نوع من انواعهِ . واذا تمت هذه السلسلة كانت مثل مشهد من الصور المتحركة يبين الحلقات التي مرَّ عليها الحيوان في نشوئهِ من اول عهدهِ حتى الآن ويُظهر ما للعوامل والمؤثرات الخارجية من الفعل في تكييفهِ

واكبر نقص في هذه السلسلة في نظر العامة عدم وجود حلقة تصل بين الانسان والقرود التي هي ارقى انواع الحيوان بعدهُ . اما العلماء فيرون في هذه السلسلة نقصاً آخر اكبر من هذا وهو عدم وجود الحلقات التي تصل بين الحيوانات العديمة الفقار والحيوانات الفقارية

وقد عملت عوامل النشوء في الحيوانات الفقارية ملايين من السنين اي منذ اول ظهورها حتى العصر الحاضر الا ان تركيب اجسامها العمومي لم يتغير ولا يزال التشابه بين انواعها شديداً . فاذا اخذت منها نوعين يبعدان الواحد عن الآخر كثيراً كالسمكة والانسان مثلاً رأيت ان الفرق بينهما قائم في الكم لا في الكيف اي في مقدار الارتقاء لا في نوعهِ . ويظهر هذا الفرق في الامور الكمالية في بناء الجسم ومواقع الاعضاء منهُ وحجمها من

حيث نسبة بعضها الى بعض وتناسب اجزائها وما يقوم به كل جزء منها من الوظائف. ولكن لا فرق بينها في ترتيب اعضاء الجهاز الواحد او تركيبها او طريقة نموها. فان المشابهة تامة بين الانسان والسمكة في اجهزة الهضم والافراز والتناسل وفي اجزاء الجمجمة والانف والاذن والقلب والدماغ ولا يصعب على العالم بتركيب جسم الحيوان ان يرى هذه المشابهة

وعلى هذا التشابه في الامور الاساسية في بناء الحيوان مع التغير التدريجي في الامور الكمالية في اعضائه وظهور درجات هذا التغير مرتبة في آثار الحيوان القديمة المتحجرة يتوقف الحكم على القرابة بين انواعه وتسلسلها بعضها من بعض وتسلسل الكل من اصل واحد

اول ما ظهر على وجه الارض من الحيوانات الفقارية السمك ولا تزال آثاره المتحجرة في الصخور تدل دلالة واضحة على ان تركيبه لم يكن يختلف عن تركيب بعض انواعه اليوم في شيء . الا انه لم يعثر حتى الآن على آثار حيوانات فقارية عاشت قبل السمك ولا يعرف سبب يعلل به عدم ظهور آثار مثل هذه لان طبقات العصر الذي عاشت فيه باقية الى الآن وفيها شيء كثير من متحجرات الحيوانات العديمة الفقار على انواعها. فلماذا تخلو ذوات الفقار في ذلك العصر ومن اين اتت ومن اي نوع من عديمات الفقار نشأت وكيف تم هذا التغير في بناء الحيوان حتى اكتسب بعض انواعه المميزات التي تظهر في ذوات الفقار ? هذه مسائل مهمة جدًّا لم يقدر احد على حلها هنا فرجة كبيرة في سلسلة الحيوانات لا بد من سدها فبين ذوات الفقار وعديمتها حلقات مفقودة لا حلقة واحدة وربما كانت هذه الحلقات تمثل ثلثي انواع الحيوان التي عاشت على الارض . ولابد ان تكون آثارها قد فقدت والاَّ فان كانت باقية فلم يعثر عليها بعدُ او عُثر عليها ولم تعرف ولا عيّن موقعها من درجات الحيوان . واذ ليس من حيوان عديم الفقار يشبه في بنائه الحيوانات الفقارية فلم يبقَ سبيل الى معرفة الصلة بين الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا والى معرفة الطريق الذي تمشى فيه النشوء

هذا نقص كبير في العلوم التي تبحث في الحياة واذا لم يتلافَ هذا النقص لم يسعنا الاَّ الاقرار بان ذوات الفقار وهي ارقى انواع الحيوانات لا تزال منفصلة عن غيرها من الانواع لا يربطها بها رابط رغمًا عن اجتهادنا في ترتيب انواع الحيوان حسب الاصول التي نشأت منها . ولا بد لنا ايضًا من التسليم باننا لا نعرف شيئًا عن العصر الذي تم فيه نشوء الحيوانات الفقارية وباننا نجهل الطريقة التي نشأت عليها المميزات المهمة في بناء الانسان وان ليس لدينا ما نعتمد عليه في تعليل الاطوار التي نطور بها في الحالة الجنينية ولا ما يدل عن السبب الذي

دعا الى نشوء بعض اعضائهِ كالفم والعظام والرئتين والفكين والقلب والغدة التيموسية والغدة الدرقية والغدة الصنوبرية والدماغ واعضاء الحس

و بعد ان نشر دارون كتابهُ اصل الانواع حاول العلماء ان يبيّنوا كيفية نشوء الحيوانات الفقارية من الحيوانات العديمة الفقار وكان لهم في ذلك مذاهب متعددة . الاَّ انهم اضطروا ان يفرضوا انواعاً خيالية من الحيوان تصل بين ذوات الفقار وعديمتها ولكنهم لم يتمكنوا من حل هذه المسألة ولا من تقريب حلها وقد بطلت الآن كل مذاهبهم وآرائهم من هذا القبيل . غير ان بعض ما كانوا يفرضونهُ ويجيزونهُ من باب التوسُّع قد التبس بالحقائق في اذهان البعض فلا يزالون يعتقدون صحتهُ حتى يومنا هذا

ولما اخفقت مساعيهم من هذا الوجه عدلوا عن البحث في اشكال الاعضاء وتركيبها ومقابلة بعضها ببعض لمعرفة كيفية نشوئها لاسيما وانهُ كان قد قام في نفوسهم ان الحيوان الذي نشأت منهُ ذوات الفقار الاولى كان صغيراً رخو القوام لا يحتمل ان يترك اثراً متحجراً . فوجهوا همهم الى البحث في الخلايا الحيوانية واجراء التجارب التي من شأنها ان تحدث تغيراً في النوع الواحد من الحيوان

الاَّ انهم اهملوا امر الحيوانات المفصلية (وهي الحشرات والحيوانات القشرية والعناكب) في ابحاثهم هذه ولم يوفوها حقها من البحث والنظر فيها مع انها ارقى الحيوانات العديمة الفقار . ومن الغريب ان يتفق جميع الباحثين في اخراجها من دائرة البحث مع عدم ظهور ما يوجب ذلك . ولعل سبب اخراجها اعتقادهم ان ارتقاء الحيوانات المفصلية سار في جهة لا توصل الى نشوء ذوات الفقار منها او انها بلغت من الارتقاء مبلغاً لا يمكن بعدهُ ان ينشأ منها نوع جديد

وقد صار يصعب على مَن يبحث بحثاً جديداً في نشوء ذوات الفقار من عديمتها ان يجد مَن يُعنَى بقولهِ وذلك لتحوُّل انظار العلماء عن هذه المسألة بعد الذي رأوا من حبوط مساعي الباحثين فيها ولنفور العقول من كل جديد لم تعتدهُ من قبل

وسنة [illegible] اكب [illegible] في [illegible] الحيوانات المفصلية فرأت ان بعضها يكون اولاً في ظاهر الرأس ثم يعود الى الدماغ والحيوان في الطور الجنيني فانتبهت عند ذلك الى شدة الشبه بين ما يحدث لهذه العيون وتكوُّن العين الاثرية التي تعرف بالعين الصنوبرية في دماغ ذوات الفقار فاستنتجت ان بين النوعين قرابة في الاصل

ثم اخذت ابحث في تركيب اعضاء انواع مختلفة من العناكب وكيفية نموها لاجل تحقيق

ذلك ثبت لي وللباحثين معي ان دماغها يشبه دماغ الحيوانات الفقارية في شكله واقسامه لى الحسام والوظائف التي تقوم بها كل قسم منهُ والاعضاء الخاصة بتمام هذه الوظائف واعصابها وعقدها العصبية . وتحققنا ايضاً ان للعناكب ما يقابل اغطاء الجلدية والحجب وحواشيه التنفس والحبل الغضروفي الذي يتحول الى السلسلة الفقارية في ذوات الفقار ورأينا ان نمو اجنتها يتفق مع نمو اجنة ذوات الفقار في امور كثيرة ويجلو اموراً عديدة كانت غامضة

واتضح عند ذلك ان الحيوانات العنكبوتية اقرب الحيوانات العديمة الفقار الى الحيوانات الفقارية وان اوجه الشبه بين الاثنين كثيرة بحيث يتعذر تعليلها بمجرد الاتفاق والعرض او بنموها في الاثنين متشابهة لتشابه الاعراض التي وجدت من اجلها او بفعل المحيط الواحد او اي سبب آخر غير اتفاقهما في الاصل الذي نشأا عنهُ الأ اننا [illegible] كثيرين [illegible] ذوات الفقار نشأت من حيوانات مثل انواع العناكب كما نراها اليوم ولا شك في ان ذوات الفقار الدنيا نشأت من حيوانات بحرية شبيهة بالحيوانات العنكبوتية

ومعلوم ان العناكب التي تعيش على اليابسة الآن نشأت من عناكب مائية كانت تعرف بعقارب البحر وعاشت قبل ظهور الحيوانات الفقارية عصور طويلة جداً وبقيت حتى ظهور ذوات الفقار الاولى ولما كانت عقارب البحر آخذة بالتلاشي وذوات الفقار آخذة بالازدياد ظهرت انواع من الحيوان تعرف بالاوستراكودرم اي ذوات الجلد الصدفي كما ترى في الشكل الاول . ولم يعرف شيء كثير عن الاوستراكودرم فكانت بعض انواعها تعد في ذوات الفقار وبعضها تعد في عديمتها وكان البعض منها ايضاً يشبه عقارب البحر في الظاهر . واخيراً اثبت مكلي ولانكستر وغيرهما من العلماء انها جنس من السمك . فنسي عند ذلك امرها حتى ان كثيرين من علماء الحيوان امسوا وهم يجهلون وجودها جملة

ومن الغريب ان لا يفطن احد الى ان الاوستراكودرم يمكن ان تكون من ذوات الفقار التي ظهرت اولاً او ان ذوات الفقار الاولى نشأت منها لانها تختلف عن السمك وعهد ظهورها قديم جداً . والسبب الاكبر لعدول العلماء عن هذا الامر ما كانوا يعتقدون به من ان ذوات الفقار الاولى [illegible] ذات هيكل قوي من العظام [illegible] القرش (كلب البحر) اما الاوستراكودرم فكان لها درع قشري [illegible] اما ان يكون علماء ذلك العصر وهموا في بعض الحقائق التي بنوا حكمهم هذا عليها او انهم غلطوا في استنتاج الحكم مما عرفوهُ . وهنا نتساءل ألا يمكن ان تكون الاوستراكودرم نوعاً من الحيوان متوسطاً بين السمك وبين عقرب البحر فيها شبه الاثنين وكان ظهورها في العهد الذي نشأت فيه ذوات

الفقار من عديمتها . وان كانت من الانواع التي تدرَّج فيها الحيوان حتى اصبح ذا فقار امكن تعليل الشبه بين السمك كما في اليوم و بين الحيوانات الفقارية بنشوء الاثنين عن اصل واحد

فهذا حلٌّ جديد لهذه المسألة التي هي اهم ما بحث فيه العلماء منذ ايام دارون الى الآن واذا ثبت ترتب عليه تغيير كثير في ترتيب انواع الحيوان حسب قرابتها بعضها من بعض وربما كان هذا التغيير اكثر تغيير من نوعه حدث بعد قيام كوفيه ولامارك . ويمكن ايراد هذا الحل في كلمات قليلة كما يلي — نشأت الاوسترا كودرم اولاً من عقارب البحر ثم نشأ من الاوسترا كودرم السمك او الحيوانات الفقارية الاولى . وهذا حلٌّ جديد للمسألة يتفق مع كل الحقائق التشريحية والجنينية والباليونتولوجية المعروفة ولم يقم ما يناقضهُ

ويمكننا ان نضع هذا الحل في قالب آخر وهو ان السمك تشابه ذوات الفقار التي نشأت اولاً مشابهة شديدة . وان اسلافها كانت تعيش في الماء وكانت ارقى انواع الحيوان في عهدها . ثم ظهرت الاوسترا كودرم بعدها فاصبحت هي ارقى انواع الحيوان وكانت تشبه الحيوانات العنكبوتية التي نشأت منها وتشبه السمك الذي ظهر بعدها ايضاً . ومن هذا يتضح ان الحيوانات العنكبوتية البحرية والاوسترا كودرم والسمك درجات ثلاث متتابعة في ارتقاء الحيوان قديماً كما ان السمك والحيوانات التي تعيش في الماء وفي اليابسة (كالضفدع) والحيوانات اللبونة درجات ثلاث ايضاً في ارتقاء ذوات الفقار . واذا صح هذا سهل البحث في نشوء الحيوانات الفقارية كثيراً لان بقايا الحيوانات العنكبوتية المتحجرة كثيرة ويمكن تتبع نشوئها درجة درجة بمقابلة هذه المتحجرات بانواعها الحية الكثيرة التي نراها اليوم

وكان لا بد لاثبات ذلك من التدقيق في البحث خصوصاً وان للمسألة من الاهمية ما لها. واذ لم يكن لدينا من متحجرات الاسترا كودرم ما يمكّن من ذلك رأينا ان نبحث في تركيب اعضاء السمك والحيوانات الفقارية الدنيا وكيفية نموها في الحالة الجنينية . وكنا كلما تعمقنا في البحث زاد تأكدنا لصحة الحل الذي قدمناه اذ كانت تظهر لنا شواهد كثيرة تدل على ان الفرق بين هذين النوعين من الحيوان لا يتجاوز الظاهر ويمكن تعليله تعليلاً معقولاً وان بينهما تشابهاً جوهرياً في امور كثيرة . وكنا نرى التشابه حيث لم نكن نتوقعهُ في الاعضاء وطريقة نموها وجميع الاطوار التي تتطور بها . واتضح عند ذلك انهُ ليس في عديمات الفقار نوع يقرب من الحيوانات الفقارية بقدر ما تقرب منها السمك . ولم يبدُ من احد اعتراض على الحقائق التي بني عليها الحكم بوجود الشبه بين هذين النوعين . ومن ذلك ترى اننا بيناً ان الحيوانات الفقارية نشأت في الراجح من الحيوانات العنكبوتية البحرية

الاَّ ان بين الحيوانات السكيوتية والحيوانات الفقارية فرجة كبيرة لا بد من سدها ولا يسدها الاَّ حيوان متوسط بين الاثنين في بنائهِ يكون قد ظهر في العصر الذي حدث فيهِ نشوء الثانية من الاولى · ولا نعرف حيوانًا يتوفر فيهِ هذان الشرطان غير الاوستراكودرم ولذلك توجهت الانظار الى البحث عن آثارهِ لانهُ انقرض منذ عهد بعيد

وكانت اول فرصة سنحت لي للشروع لهذا البحث اجازة ستة اشهر نلتها من كليتي يقع بعضها في سنة ١٩٠٠ وبعضها في سنة ١٩٠١ الاَّ اني كنت ارى امامي صعوبات كثيرة خصوصًا واني كنت لم اعتد من قبل البحث عن الآثار الجيولوجية وبقايا الحيوان لاني كنت منقطعًا للبحث في اطوار اجنة الحيوان وشكل اعضائهِ وبنائها · ورأيت اولاً ان ازور المتحف البريطاني وبعض المتاحف الاخرى المهمة لادقق في فحص ما فيها من المتحجرات لعلي اعثر على تفاصيل جديدة يمكن ان يكون قد غفل عنها العلماء الكبار مثل هكسلي ولانكستر وترا كوابر وودورد وغيرهم الذين دققوا في فحصها قبلي · ومما شجعني على ذلك اني كنت اسير في نور حقائق جديدة لم يسيروا هم فيهِ · ورأيت انا وجماعة غيري ان نقوم بهذا البحث اولاً حتى اذا اخفقت مساعينا فيهِ انتقلنا الى البحث في الطبقات الجيولوجية لعلنا نأتي على متحجرات توضح لنا بناء تلك الحيوانات اكثر من المتحجرات التي كانت قد اكتشفت حتى ذلك الحين

فزرنا اولاً المتاحف الكبيرة في انكلترا واسكوتلندا والاماكن التي اخرج منها هوج ملر الجيولوجي اول متحجرات عرفها العلم لهذه الحيوانات · فلم نعثر على ما يجلو لنا الامور المهمة التي كنا نحري استجلاءها في بناء هذه الحيوانات الاَّ اننا استفدنا منها بعض تفاصيل تتعلق بالموضوع زادتنا رغبة في متابعة البحث

فصممنا على الذهاب الى جزيرة اوزل في بحر البلطيك لنفحص ما فيها من متحجرات الاوستراكودرم ثم الى متحف بطرسبرج وموسكو حيث وضعت اكثر المتحجرات التي عثر عليها في تلك الجزيرة · والاوستراكودرم التي رأينا متحجراتها هناك لا يزيد طولها على ثلاث عقد الاَّ ان بعضها ظاهر جليًّا لتتضح فيهِ بعض الاعضاء جيدًا فاملنا ان نستفيد منها حقائق جديدة مهمة · ورأينا للاوستراكودرم في هذه المتحجرات اطرافًا ذات مفاصل وعيونًا تشبه الزنود مغطاة بصلافات صدفية · وكانت هذه الاكتشافات حقائق جديدة زادتنا تأكداً ان الشرط الاول متحقق في الاوستراكودرم

الاَّ ان ما اكتشفناهُ من الحقائق الجديدة في هذه الرحلة العلمية لم يكن كافيًا اذ لم نعلم شيئًا عن الاعضاء التي تحيط بفم الحيوان ومواقع الاجزاء المهمة في احشائهِ · ولم يكن لنا

بد من معرفة هذه الامور خصوصاً واننا كنا قد زدنا تأكداً ان هذا الحيوان لا يمكن عدّه في دوات القفر ولا في عديمتها

فرأينا عند ذلك ان نبحث في متحجرات وادي شالور في كندا لان بينها متحجرات من احد انواع الاوستراكودره التي نشأت اولاً . فقضينا هناك اربع عطلات من عطلات الصيف ننقب عن متحجرات يظهر فيها تناه الحيوان جيداً . فكنا نلتقطها عن الشاطئ عند جزر الماء بعد مدّه او نكسر الحجارة التي تحتوي عليها فنجدها فيها . الاّ ان كل المتحجرات التي وجدناها على هذه الصورة كانت مشوهة من اصلها او بفعل العوامل الطبيعية بها بعد ان تحجرت . فوجهنا انظارنا عندئذ الى صخور الشاطئ آملين ان نجد طلبتنا فيها

وبعد التنقيب والعناء اتينا على صخر يحتوي على كثير من المتحجرات التي كنا نطلبها . فتأملناهُ قليلاً فتأكدنا انهُ لم يُحمل الى المكان الذي وجدناهُ فيهِ بقوة الامواج او بجبال الجليد اذ كان مظهرهُ يدل على انهُ لم يكن قد مضى عليهِ زمن طويل بعد انفصالهِ من الصخور العالية التي فوقهُ . فحفرنا لنا طريقاً في تلك الصخور القائمة عند الشاطئ كالجدار الى ان اتينا الى المكان الذي انفصل منهُ واخذنا نكشف عن الطبقة التي تحتوي على المتحجرات بنسف ما فوقها من الصخور بالديناميت واقتلاعها بالاعتال . الاّ اننا كنا في خطر من تساقط الحجارة علينا وبلغ الخطر منا مرتين ان سقط علينا حجران وزن كل منها نحو ٥٠ رطلاً فاطارا الادوات التي كنا نعمل بها من ايدينا . وسقطت صخور اخرى اكبر من هذه كثيراً فزاد موقفنا حرجاً اذ كان لا بد لنا من الاحتياط من الخطر الذي كان يتهددنا فضلاً عن شدة حرصنا على استخراج ما تحت اقدامنا من الكنوز

ولم يكن المكان الذي يحتوي على المتحجرات كبيراً ولكن كان فيه شيء كثير منها في حالة تمكّن من التعمق في فحص ذلك الحيوان اكثر من كل المتحجرات التي كانت معروفة حتى ذلك الحين . وظهر لنا ان المكان الذي هي فيه كان قبل ملايين السنين بركة صغيرة عند شاطئ البحر ينمو فيها نبات بحري يشبه السرخس (الخنشار) وتصل اليها الحيوانات عند ارتفاع الماء ومدّه فتبقى فيها بعد جزره والمحار والمتحجرات التي فيها من الاوستراكودر والسمك

ثم تحجر الطين في قعر هذه البركة فصار صخراً من النوع الكلسي الرملي ذي الحب الدقيق وبقيت فيهِ متحجرات هذه الحيوانات سليمة على وضعها الاول عند موتها وانقطاعها عن الحركة ومن هذه الحيوانات واحد حملهُ المد الى هنا حتى غاص في الطين فارتكز فيهِ ومات على هذه الصورة رأسهُ في الطين ومؤخرهُ ظاهر فوقهُ . وظهر كثير منها في صف

اطفال يتعلمون حسب الطريقة المونتسورية — مقابل ٤٣ صفحة ٤٤

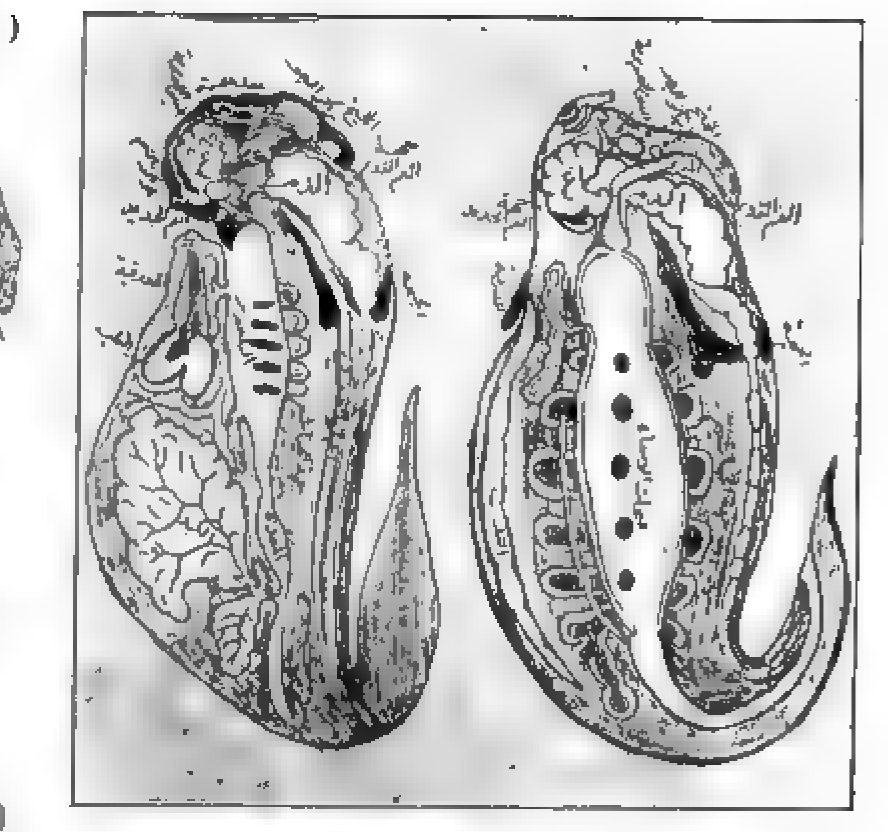

(ش ٣) قطع حيوان عنكبوتي قديم

قطع حيوان فقاري قديم

(ش ٣) رأس جنين الضفدع تظهر فيه الأفكاك الستة من ا الى

(ش ٤) (ا) رأس جنين الانسان عمره شهراً (ب) رأسه وعمره

شهران ونصف ج البالغ وتظهر فيه آثار تركيبه من ستة مشافر

لا يمكن تعليل وجودها على ما في عليه الأ بعدّها درجة من درجات هذا التغيير الاول

ولا يزال اثر هذه التغيرات يظهر في اطوار ذوات الفقار حتى يومنا هذا اذ يمكننا ان نرى انطباق الفم القديم داخل الدماغ وانتقال ثلاثة ازواج على الاقل من الفكوك من الجانب الواحد الى الجانب الثاني من الرأس واجتماعها واتصالها حول الفم الجديد. ففي جنين الضفدع مثلاً نرى جلياً ثلاثة ازواج من الفكوك بعد انتقالها الى الجانب المقابل للجانب الذي فيه الدماغ وتجمعها حول الفم الجديد (شكل ٣)٠ ولا يلبث الزوجان الاولان ان يندغما ويتحدا سوية فيصيرا فكاً واحداً هو الفك الاعلى من الضفدع ويصير الزوج الثالث الفك الاسفل

وتظهر هذه الازواج الثلاثة من الفكوك في جنين الانسان ايضاً وتكون منهُ في المكان الذي تكون فيه من الضفدع ثم تتحد سوية على ما تقدم ٠ ولهذه الفكوك وطريقة نموها تأثير كبير في تكييف هيئة الوجه البشري ٠ وقد يحدث ان لا تتحد بعضها مع بعض جيداً فتبقى شفة الانسان مشقوقة كشفة الارنب او يبقى الحلق شقتين غير متحدتين (شكل ٤) او تظل القناة الانفية مفتوحة ٠ حتى وفي الاوجه التي لا تخرج من المألوف في شيء تكون الشفتان احياناً متضخمتين على الجانبين ويمكن عدّ ذلك اثراً لتلك الفكوك الستة كما ترى في الشكل الرابع ٠ ومما تقدم يتضح ان العوامل التي كانت تعمل في تركيب وجه الحيوانات العنكبوتية القديمة التي نشأت عنها الحيوانات الفقارية لا تزال تعمل في نمو وجه الانسان اليوم

وفي الانسان اعضاء اخرى كثيرة ورثها من الحيوانات العنكبوتية القديمة ومنها الغدة النخامية والغدة التيموسية والغدة الدرقية والعين الصنوبرية ولا سبيل الى معرفة معنى هذه الاعضاء والمرض الذي وحدث لهُ الأ اذا بحثنا عنها في هذه الحيوانات

فاذا وصلنا انواع الحيوان الدنيا بانواعهِ العليا سلسلة تمشي مع نشوئهِ كما تقدم رأينا في جميع الانواع التي تتألف منها هذه السلسلة رابطاً عمومياً وتشابهاً شديداً في طريقة نموها وبناء اعضائها المهمة ٠ وعندي ان النشوء الذي سار سيرهُ المنتظم في طريقهِ المحدودة مدة ملايين السنين وتحت تأثير عوامل يكثر اختلافها بعضها عن بعض لم يكن نتيجة توارث صفات كان توارثها عرضاً واتفاقاً ولا نتيجة فعل المحيط الخارجي ولا فعل الاستعمال والاهمال ولا فعل الانتخاب الطبيعي ولا يمكن ان تكون هذه العوامل قد اثرت الأ تأثيراً ثانوياً ٠ واري ان العوامل الكبرى التي تم بها ذلك ولا تزال تعمل في الحيوان والنبات هي قوة نمو وارتقاء عامة لا تنقطع عن عملها ويتقيد عملها بطبيعة ما تعمل بهِ من المواد المعدة لان تصير آلية وبالاحوال الداخلية التي تتولد تدريجاً في الارتقاء

اختلال التوازن الدولي

يقول رجال السياسة ان الدول الاوربية منقسمة انقساماً متوازناً متعادلاً وهذا التوازن هو الذي يمنعها من ان تثير الحروب بعضها على بعض ولولا ذلك لتسلط القوي منها على غيره واصبحت الممالك كلها دولة واحدة . ولا ينكر ان في انقسام الدول الكبرى الحاضر شيئاً من التوازن ومن المحتمل ان له يداً في منعها من اثارة الحرب بعضها على بعض ولكننا نرجح ان الموجب الاكبر لمنعها من اثارة الحروب هو كثرة مضار الحروب سواء خرجت الدول منها مغلوبة او غالبة وشدة ما تلاقيه من معارضة الذين لا مصلحة لهم في اثارتها . ومع ذلك يحسن بالقارىء الشرقي ان يقف على ما يقوله الاوربيون في التوازن الدولي وما اصابه من الاختلال بخروج الدولة العثمانية من اوربا . وقد وقفنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع لكاتب شهير من الكتاب الذين اتخذوا البحث في المواضيع السياسية العمومية ولهم فيها كتب عدة وهو المستر باركر نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يأتي

قال ان السياسة التي ترمي الى توازن الدول قديمة جداً ابتدأت بابتداء العمران والغرض منها ان لا تزيد قوة دولة من الدول حتى تسود على سائر دول الارض . وقد قال الملك فردرك الكبير ملك بروسيا «ان السبب الاكبر في حفظ السلم الاوربي هو توازن قوات الدول الذي يمنع الدولة القوية من اجتياح غيرها لان الدول الضعيفة تتفق عليها وتمنع ضررها . فاذا تلاشى هذا التوازن خيف من حدوث ثورة عامة وقيام دولة قوية منيعة على انقاض الدول التي ليس في كلٍّ منها من المنعة ما يكفيها لمقاومة الدولة القوية ولا فيها كلها من الحزم ما يجعلها تتحد معاً على مقاومة خصمها . فلو اتحدت مصر وسورية ومكدونية في زمن دولة الرومان لما استطاعت تلك الدولة ان تتغلب عليهنَّ . ثم لو اتحدن على اسلوب معقول وقاومن خصمهنَّ لنجون من قيود الاستعباد التي رسفن بها بعد تسلط الرومان عليهنَّ »

ولقد نشبت الحروب الكبرى في اوربا من طمع بعض ملوكها وطموح انظارهم الى السيادة على غيرهم مثل كارلُس الاول وفيلبوس الثاني ولويس الرابع عشر ونابليون الاول

ووقع هذا التوازن في اوربا حديثاً لما تحالفت المانيا والنمسا وايطاليا من جهة وفرنسا وروسيا من اخرى فان المحالفة الثنائية كانت موازنة للمحالفة الثلاثية وبقيت انكلترا على الحياد

لان ليس لها مصلحة كبيرة في قارة اوربا تخشى عليها من اختلال التوازن . ولكنَّ المانيا سعت الى معاضبة انكلترا فاحرجتها واضطرتها الى ترك الحياد والانضمام الى المحالفة الثنائية ولو في سبيل الاتفاق وكانت فاتحة اعمالها هذه ارسالها التلغراف الى كروجر سنة ١٨٩٦ في بداءة حرب الترنسفال ثم جعلت تزيد قوتها البحرية قاصدة ان تلحق بانكلترا وتناظرها فقالت في اللائحة البحرية التي قدمتها سنة ١٩٠٠ الى مجلس نوابها طالبة بها مبالغ كبيرة لانشاء البوارج « ان المانيا تحتاج الى عمارة قوية حتى اذا حاربت اقوى الدول البحرية عرّضت تفوّق تلك الدولة للخطر » . ومن ثمَّ اخذت المانيا تزيد الاموال التي تنفقها على انشاء السفن الحربية سنة بعد سنة كما ترى في الجدول التالي وقد ذكر فيه ما انفقتهُ انكلترا على انشاء سفنها الحربية وما انفقتهُ المانيا وذلك من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٢

	بريطانيا	المانيا
١٩٠٠	٩ ٧٨٨ ١٤٦ جنيه	٣ ٤٠١ ٩٠٧ جنيه
١٩٠١	١٠ ٤٣٠ ٢٥٦ «	٤ ٩٢١ ٠٣٦ «
١٩٠٢	١٠ ٤٣٦ ٥٢٠ «	٥ ٠٣٩ ٧٢٥ «
١٩٠٣	١١ ٤٧٣ ٠٣٠ «	٤ ٢٨٨ ٧٤٨ «
١٩٠٤	١٣ ٥٠٨ ١٧٦ «	٤ ٢٧٥ ٤٨٩ «
١٩٠٥	١١ ٣٩١ ٠٠٣ «	٤ ٧٢٠ ٢٠٦ «
١٩٠٦	١٠ ٨٥٩ ٥٠٠ «	٥ ١٦٧ ٣١٩ «
١٩٠٧	٩ ٢٣٢ ٠٠٠ «	٥ ٩١٠ ٩٥٩ «
١٩٠٨	٨ ٦٦٦ ٢٠٣ «	٧ ٧٩٥ ٤٩٩ «
١٩٠٩	١١ ٢٢٢ ١٩٤ «	١٠ ١٧٧ ٠٦٢ «
١٩١٠	١٣ ٢٧٩ ٨٣٠ «	١١ ٣٩٢ ٨٥٦
١٩١١	١٥ ٠٦٣ ٨٧٧ «	١٢ ٢٥٠ ٢٦٩ «
[illegible]	[illegible]	[illegible]

اي ان ما انفقتهُ المانيا على انشاء سفنها الحربية كان نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات سنة ١٩٠٠ فصار اثني عشر مليوناً سنة ١٩١٢ فزاد اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات واما ما انفقتهُ انكلترا فلم يزد الاَّ نحو اربعة ملايين . والاول زاد ٢٤٧ في المئة واما الثاني فزاد ٤٣ فقط في المئة

فاهتمام المانيا هذا ومناصبتها لانكلترا من وقت الى آخر اضطرَّ انكلترا الى موافقة المحالفة الثنائية ولاسيما بعدما دارت الدائرة على روسيا في حرب اليابان فامست المحالفة الثنائية اضعف من المحالفة الثلاثية ولو بحراً فتم الاتفاق بين انكلترا والمحالفة الثنائية سنة ١٩٠٧ وعاد التوازن الدولي الى مقامهِ الاول

الاَّ ان التحالف الثلاثي لم يكن ثلاثياً فقط بل كان رباعياً او خماسياً لان المانيا كانت تعتمد على صداقة تركيا ورومانيا وهي واثقة انهما تنصران الاتحاد الثلاثي اذا نشبت حرب اوربية فساعدت تركيا بالمال والرجال والاسلحة لهذه الغاية وارسلت هي والنمسا وايطاليا اقدر رجالهن الى عاصمة رومانيا سفراء ليحفظوا الالفة بينها وبين المحالفة الثلاثية . ولما كان امبراطور الالمان في دمشق سنة ١٨٩٩ قال في الوليمة التي اولمت له هناك انهُ هو «الصديق الدائم لسلطان آل عثمان ولكل الذين يعترفون بخلافتهِ عليهم» . وكانت المانيا تهتم بتقوية تركيا لكي تستعين بها على مقاومة انكلترا وبها وبرومانيا على مقاومة روسيا . ولقد قال الجنرال فون برنهاردي وهو من امهر قواد الالمان في الامور الحربية واقدرهم في الكتابات المتعلقة بها في كتابهِ الذي الفهُ حديثاً «ان علاقة المانيا بتركيا ورومانيا لازمة لها جداً لانهما قادرتان على مقاومة روسيا وفضلاً عن ذلك فان تركيا هي الدولة الوحيدة القادرة على الاضرار بانكلترا لانها تستطيع ان تصل الى ترعة السويس وهي العرق الحساس والنقطة الحيوية في جسم بريطانيا» . وقال في كتاب آخر «ان تركيا لازمة جداً لالمانيا وكان الواجب على المانيا ان تدخلها في التحالف الثلاثي وتمنع الحرب الايطالية لانها هي الدولة الوحيدة التي يمكنها ان تهدد مركز الانكليز في مصر وطريقهم المختصرة الى الهند لذلك يجب علينا ان لا ندخر وسعاً في ضم تركيا الى المحالفة الثلاثية استعداداً لمحاربة انكلترا او روسيا»

وقد انشأت المانيا سكة بغداد وغرضها الاكبر منها الاستعانة بتركيا على حرب انكلترا . قال الدكتور روهرباخ الرحالة الكبير في كتابه الذي نشرهُ سنة ١٩١١ «ان فوز المانيا على انكلترا في الحرب لا يكون بالهجوم عليها من البحر الشمالي بل باخذ مصر منها . فانها اذا فقدت مصر فقدت سلطتها على ترعة السويس وطريقها الى الهند والشرق الاقصى ومن المرجح ايضاً ان فقدها لمصر يجعلها في خطر من ان تفقد املاكها في اواسط افريقية وشرقيها . وتسلُّط الدولة العثمانية على مصر يحث سلطة انكلترا على ستين مليوناً من رعاياها المسلمين في الهند ويجعل موقفها حرجاً في ايران وافغانستان . ولذلك يجب ان يقوَّى الجيش العثماني

ويزاد وان تساعد تركيا بالمال فانها اذا زادت قوة زاد الخوف منها على انكلترا واذا وعدنا تركيا باسترجاع مصر سهلت علينا محالفتنا على انكلترا »

وكثيرون من مشاهير الكتّاب الالمان جروا هذا المجرى في ما كتبوه عن تركيا ولزومها لالمانيا ولكن الساسة الالمان تركوا ايطاليا تعتدي على املاك تركيا فكانت نتيجة اعتدائها ان ثارت الخواطر في تركيا ووقع الاضطراب في سياستها فنهضت حكومات البلقان وشهرت الحرب عليها . وقد وقفت المانيا والنمسا وقوف المتفرج لانهما اعتقدتا ان الفوز سيكون للجيوش العثمانية حتماً فتخرج تركيا ظافرة من هذه الحرب و يقوى مركزها ومركز رومانيا و يكون الفوز للمحالفة الثلاثية . ولكن جاء الامر على غير ما قدَّرتا فخسرت تركيا املاكها في اوربا واستعمرت الدول الصغيرة التي تقول بكلمة روسيا وتظهر العداء لرومانيا والنمسا لاسيما وان في النمسا ٢٥ مليوناً من السلاف وخمسة ملايين ونصف مليون منهم صربيون مجاورون لاخوانهم اهالي الصرب

فلا شبهة اذاً ان ما حلَّ بتركيا اضعف المحالفة الثلاثية من وجهين فانهُ منع مساعدتها لالمانيا في مساواة انكلترا وجعل دول البلقان بمأمن من تركيا فصارت هذه الدول تستطيع ان تمد روسيا بمليون من الجنود اذا اقتضت الحال بل ان صربيا وحدها تستطيع ان تعبئ نصف مليون من الجنود . اذا نشبت الحرب بين روسيا والنمسا فالجنود الصربية توقع بالنمسا ضرراً لا يقدر وتهدد عاصمتها

ثم ان فوز حكومات البلقان في هذه الحرب غيَّر موقف رومانيا والمرجح انها ستضطر بعد الآن ان تعتمد على روسيا لا على النمسا لاسيما وان في بلاد النمسا ثلاثة ملايين ونصف مليون من الشعب الروماني وهم يشكون مرّ الشكوى من معاملة النمسو يين لهم و يودون الانضمام الى رومانيا . واهالي رومانيا يشددون عزائمهم على ذلك

وعليه فقد اضاعت المحالفة الثلاثية صداقة تركيا ورومانيا واكتسبت عداوة دول البلقان ولاسيما محالفة النمسا مع صرب والجبل الاسود . وقد صرَّحت بذلك الجريدة « جرمانيا » لسان حال حزب الوسط الالماني حيث قالت « لقد قلنا تكراراً ان ظفر حكومات البلقان هو ظفر لروسيا فاذا نشبت الحرب الاوربية قام الاتفاق الثلاثي على المحالفة الثلاثية وانضمت اليه حكومات البلقان ولقد كنا حتى وقت قريب نحسب انهُ يجب علينا ان نتأهب لمحاربة انكلترا اما الآن فتغيرت الحال في الشهور الاخيرة وصار علينا ان نتأهب لمحاربة روسيا

وتطوّرت المسألة الشرقية في طور آخر فصارت عبارة عن مضاربة بين الشعب الالماني والشعب السلافي »

وحاولت المانيا اخيراً ان تضم اسبانيا الى المحالفة الثلاثية وكل الدلائل تدل على انها ستفشل في ذلك وتنضم اسبانيا الى الاتفاق الثلاثي

وقد اتيح لي منذ مدة من الزمان ان اكتب في هذه المجلة عن السياسة التي اتبعتها المانيا بعد بسمارك اذ اهملت قوتها البرية واهتمت بقوتها البحرية لكي تناظر انكلترا فاضطرت انكلترا الى تركها والانحياز الى فرنسا وروسيا واضعفت الاتحاد الثلاثي لانه ما من دولة تستطيع ان تتوسع في قوتها البحرية الا اذا كانت آمنة براً كأن تكون في جزيرة مثل بريطانيا واليابان او تكون في بلادها بعيدة عن كل عدو مزاحم كالولايات المتحدة الاميركية . اما المانيا فلها ثلاث جارات قوية اثنتان منهن فرنسا وروسيا ليستا من صديقاتها ولا تستطيع ان تعتمد على مساعدة الجارة الثالثة في الحماية . وقد نبهها بسمارك الى ذلك في مذكراته وحذرها منهُ . وعليهِ فالمانيا في اشد الحاجة الى حماية نفسها براً لا الى التوسع بحراً ومصلحتها الكبرى في البر لا في البحر . اما هي فاهملت النفقات الطائلة على عمارتها وضيقت على جيوشها البرية . والنظام الالماني يقضي بحمل السلاح على كل بالغ وقد كان عدد سكان المانيا ٥٦٣٦٧١٧٨ سنة ١٩٠٠ فصاروا ٦٤٨٩٦٨٨١ سنة ١٩١٠ اي انهم زادوا نحو ٨٥٠٠٠٠٠ والقاعدة المتبعة في المانيا ان يتألف جيشها وقت السلم من واحد وعشر في المئة من السكان وقد زاد السكان في عشر سنوات ٨٥٠٠٠٠٠ كما تقدم فكان الواجب ان يزيد عدد الجيش الالماني ٩٣٠٠٠٠ ولكنهُ لم يزد سوى ١٨٠٠٠٠ او نحو خمس الزيادة اللازمة

وقد فطنت المانيا الى ذلك الآن واهتمت بزيادة جيشها البري زيادة كبيرة تتكلفها في السنوات الخمس التالية مئة مليون جنيه ولما طلبت ذلك قدمت لهُ مقدمة قالت فيها « ان حوادث البلقان غيرت التوازن الدولي واذا نشبت حرب اوربية فقد تضطر المانيا الى مناوأة دول كثيرة لاتساع تخومها ولان هذه التخوم ليست مما يحميها طبعاً ولذلك فخطر ان نقوي جيشنا على ما يسمح به تعداد شعبنا لان قوة الجيش لم تزد على نسبة زيادة السكان واهمل كثيرون من الرجال التمرن على حمل السلاح » . ومرادها الآن ان تزيد عدد جيشها ٦٣٠٠٠٠ كل سنة فتبلغ الزيادة نحو مليون نفس لانها تستدعي للحرب عشرين او عشرة منه

وقوة الدول الآن تتوقف على عدد جنودها المدربين على الحرب وعدد هؤلاء يتوقف على عدد شعبها ولذلك فالشعب الالماني لا يكفي لاعادة المانيا الى المقام الذي كانت فيه بين

الدول العربية لانهُ ليس اكثر من ٦٧ مليوناً وزيادتهُ السنوية ليست اكثر من ٨٠٠ الف نفس وعدد شعب ايطاليا ٣٥ مليوناً وزيادتهُ السنوية ٢٠٠ الف ومجموع شعوب المحالفة الثلاثية ١٥٢ مليوناً وزيادتهم السنوية ١٤٠٠٠٠٠ نفس. ولكن روسيا وحدها فيها ١٧٠ مليوناً من النفوس وزيادتهم السنوية تبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ فاذا بني تجنيد الجنود وتدريبهم للحرب على عدد السكان وزيادتهم السنوية فموقف فرنسا وروسيا اصلح من موقف المحالفة الثلاثية. واذا نظرنا الى حالة الجيش الروسي والجيش الفرنسوي الآن وجدنا انهما مساويان لجيوش المحالفة الثلاثية. واهتمام المانيا بتعزيز جيشها سيقابلهُ اهتمام فرنسا وروسيا بتعزيز جيشيهما وتبقى انكلترا لترجيح كفة الميزان في جهة المحالفة الثنائية. واذا اضيفت اليها دول البلقان رجحت كفتها رجحاناً كبيراً. قام بسمارك فجعل المحالفة الثلاثية اعز من جبهة الاسد وجاء الذين بعدهُ فنقضوا عملهُ واعطوا هذه المنزلة للمحالفة الثنائية لانهم دفعوا انكلترا اليها واضعفوا تركيا وقووا حكومات البلقان

الى هنا تكلم الكاتب على ماضي هذه الدول وحاضرها ثم استطرد الى مستقبلها فاستنتج نتائج كبيرة الشأن لها مساس كبير بالبلدان الشرقية فقال ان الدول تنقسم الآن الى قسمين كبيرين قسم لهُ من البلدان ما يكفيهِ ويزيد عليهِ وقسم بلادهُ ضيقة لا تسعهُ ولا تكفي لمعيشتهِ. ومساحة المسكونة ٥٠٢٥٠٠٠٠٠ ميل مربع و ٤٨٥٠٠٠٠٠ ميل منها للقسم الاول اي لدول اوربا واميركا والباقي وهو ١٧٥٠٠٠٠ للقسم الثاني اي الصين واليابان ومفاد ذلك ان ٦٠٠ مليون من البشر يستولون الآن على ٩٧ في المئة من المسكونة و ٥٠٠ مليون وهم سكان الصين واليابان لا يستولون الا على ثلاثة اجزاء في المئة من المسكونة. فيبعد عن الظن ان يكونوا راضين بهذه القسمة الضيزى او ان يظلوا راضين بها زمناً طويلاً والشعوب البيضاء تمنعهم حتى من استيطان البلدان القليلة السكان كاستراليا وشمال اميركا

والشعب الانكليزي المستولي الآن على احسن المعمورة لا تودهُ الشعوب الاخرى وهو مهدد دائماً من دول اوربا ومن سكان البلدان الخاضعة لهُ في الشرق الاقصى. والمتسلط مكروه على كل حال. والانكليز واخوانهم في الولايات المتحدة يزيدون الآن زيادة مطردة ولكن ستمر سنون كثيرة قبلما يصير عددهم مناسباً للبلدان التي يتملكونها فتمتلئ بهم وتصير قادرة على حماية نفسها من الشعوب الاوربية والاسيوية ولهم الآن ثلث المعمور واخصبهُ فلا يتيسر لهم الاحتفاظ بهِ الا اذا اتحدوا فان عددهم مئة وخمسون مليوناً وهو قليل في جنب عدد سكان اوربا والصين واليابان لانهُ ٩٥٠ مليوناً ولكن في الاتحاد قوة. ويسهل اتحاد

الشعب الانكليزي والشعب الاميركي لان لغتهما واحدة وتقاليدهما واحدة وعمرانهما واحد وكل منهما ضروري للآخر واذا اتحدا وانضما الى المحالفة الثنائية وقيا املاكهما من اعتداء الشعوب الاسيوية واضطرت المحالفة الثلاثية ان تذعن لمشيئتهما ونجيبهما الى تقليل المعدات الحربية وحفظ السلام في العالم . انتهى

اصول التعليم الحديث

الدور الاجتماعي

ذكرنا في الدور السيكولوجي ان القائمين بهِ اخذوا على عاتقهم ترقية الافراد غير ناظرين الى الجماعات . واما الدور الاجتماعي فاخذ يهتم بترقية الافراد كاعضاء من المجتمع لان ترقية الفرد وحدهُ لا تفيد المجموع الفائدة المطلوبة معاشيًا واجتماعيًا وسياسيًا . وبديهي ان من الافراد يتكون المجتمع فمتى تهذب كل فرد تهذب المجتمع ولذلك جعلت المدارس اهمية كبيرة لانتقاء المواضيع التي تدرس فيها بانية عليها كل تقدم ونجاح يمكن حصولهُ للافراد كاعضاء في المجتمع الانساني . وعليهِ فكل درس يلقى على التلامذة ولا يفيدهم في حياتهم ولا يوسع مداركهم لا فائدة منهُ البتة بل يعد خسارة كبيرة لا يمكن ان تعوض

من يتصفح كتب بستالوتسي وفروبل وهربرت يجد ان الوجهة الاجتماعية كانت ظاهرة فيها غير انهم صرفوا معظم قوام في ترقية اساليب التعليم وجعلها مفيدة للتلميذ ليتسنى لهُ افادة غيره . وهذا واضح من ان بستالوتسي خصص حياتهُ في تعليم الفقراء ليمكنهم ان ينهضوا ويكافحوا في ميدان العالم . وكذلك هربرت فانهُ نظر في تعاليمهِ الى امرين . الاول « الغاية » والثاني « الموضوع » . وعلاقة هذين الامرين في الهيئة الاجتماعية قائمة على الاخلاق الامر الذي ناضل عنهُ في كل كتبهِ لان الرجل اذا كان ذا اخلاق رضية وسجايا حميدة استطاع ان يكيف نفسهُ ويملك ارادتهُ ليسلك في الهيئة الاجتماعية السلوك المستقيم . وبدون ذلك لا يستطيع البقاء لان المحيط الذي يحيط به يفعل به ويديره حسب ارادته وكان قصد هربرت ان يظهر امام التلميذ مظاهر الحياة المختلفة ويبين لهُ ما حدث في الازمنة الماضية وما يمكن حدوثهُ في الازمنة المستقبلة ليقيس المستقبل على الماضي فيجتنب ما يراهُ ضارًا ويتقلد ما يجدهُ مفيدًا . ومتى ظهرت الحياة بتمامها فهم معنى الهيئة الاجتماعية حق الفهم فيكيف نفسهُ للسلوك فيها بحسب ما استفادهُ من المظاهر المختلفة التي تجلت امامهُ .

واما فروبل فقصد في تعاليمهِ ان يجعل المدرسة عالماً صغيراً او حياة مصغرة فيرى التلميذ ضمن دائرتها الضيقة ما يراهُ في ميدان العالم الواسع ويشاهد هناك من الاختبارات ما يشاهدهُ بعد خروجهِ منها ويمر عليهِ من التجاريب وهو بين جدرانها ما يمكن ان يمر عليهِ منها بعد ان يخالط الجمهور. غير ان ذلك يكون بصورة مصغرة حتى اذا خرج الى العالم لا يرى فيهِ شيئاً جديداً فلا توقفهُ اقل صدمة ولا يجزع عند ما تنتابهُ الحوادث ولا يضطرب لاقل مكروه

الوجه الاجتماعي في الدور العلمي

يتفق العلماء الطبيعيون مع الاجتماعيين في ان المواضيع التي تعلم في المدارس يجب ان تكون مفيدة للجمهور فهم يخالفون بذلك العلماء الذين يقولون بوجوب تمرين العقل على مواضيع صعبة يقصد منها شحذ القوى العقلية وتهذيبها فقط كدرس اللغة اللاتينية واليونانية والسنكريتية والدروس العالية في الرياضيات . فعلماء الطبيعة والاجتماع يقاومون ذلك لانهم لا يرون اقل فائدة يجتنيها التلميذ من درس امور لا تعود عليهِ بشيء من المنفعة بعد ان يخرج من المدرسة مع ان القصد من التعليم هو الفائدة العملية وهذه يجدها في الدروس الطبيعية التي تنزع من رأسهِ كل الاوهام والخزعبلات وتعودهُ الافتكار الصحيح والبحث عن العلل والاسباب وتبعدهُ عن كل ما لا يسلم بهِ العقل قط . وزد على ذلك ان سبنسر واعوانهُ قصدوا من التعليم افادة الجمهور لا الخاصة فقط

آراء السياسيين وقادة الرأي العام في التعليم

كانت الشعوب الجرمانية اول من انتبه لوجوب تعليم جميع طبقات الامة على السواء من حيث علاقتها بالحكومة فبينوا ان بين الحكومة والامة علاقات من حيث المعاش والسياسة والاجتماع وانهما يجب ان يسيرا جنباً الى جنب لاجتناء ثمرات المنفعة المشتركة بينها . فالامة وحدها لا تستطيع ذلك اذا لم تساعدها الحكومة ولا الحكومة اذا تخلى عنها الشعب . ولم يتنبه الناس لهذه العلاقات الا في اوائل القرن الثامن عشر ولذلك قال فردريك الكبير «يجب على الحكام ان يشتغلوا لفائدة الامة الحقيقية في جميع طبقاتها» اما في اميركا فقد كان التهذيب الديني المحور الذي دارت عليهِ الاراء التهذيبية في اول نشوئها والسبب في ذلك ان النازحين اليها كان جلهم من الطائفة البيوريتانية وهي الطائفة التي وقع عليها الاضطهاد في انكلترا بسبب آرائها الدينية وبقي هذا الميل شائعاً هناك حتى قام فرنكلين فنظر الى التعليم كما نظر غيرهُ من الفلاسفة قبلهُ فقال ان الفرد يجب ان يهتم بترقية ذاتهِ بذاتهِ من دون ان يهتم بغيرهِ . ولما قام وشنطون جاهر ان الامة كلها يجب ان تنال حظاً

وافراً من العلوم ولذلك قال في بعض رسائله التي بعث بها الى عقلاء الامة - « ان المعرفة في كل بلاد هي الاساس الثابت لسعادة الامة » ومن اقواله ايضاً « ان المدارس شموع تستنير بها الشعوب » وقال جفرسون مؤسس الحزب الجمهوري والرئيس الثالث للولايات المتحدة بعد وشنطون « ان التعليم هو الحامي الوحيد للجمهورية ولذلك فان من واجبات الحكومة ان تسعى اليه وتأخذ على عاتقها القيام به باذلة كل ما في وسعها لترقيته . وقال مديسون وهو الرئيس الرابع للولايات المتحدة « ان الحكومة الديموقراطية بدون مدارس عمومية هي مقدمة لرواية هزلية او لمأساة او لكليهما وكيان الحكومة يتوقف على المعرفة الشاملة لجميع طبقات الامة »

التعليم هو المعد للمدنية الصحيحة

كان الرأي القديم مبنياً على تقوية مدارك الانسان واصلاح عاداته وايجاد مبادئ جديدة فيه حتى يمكنهُ ان يجمع في ميدان العمل واما الرأي الحديث فقائم على ان المصلحة العامة والسعادة تتوقفان على العلاقات التي بين الواحد والآخر والجماعة الواحدة والاخرى فالتعليم هو الذي يوضح مبادئ هذه العلاقات ويمكّن الانسان من ان يكيّف نفسهُ تكييفاً صحيحاً ليعرف الحالات الاجتماعية التي هو فيها ولذلك فان من الضروري للمعلم ان يدرك هذه المبادئ ادراكاً تاماً وتكون فيه الارادة القوية لتكييف نفسهِ . وللوصول الى ذلك كان لابد للعلماء من ان يهدموا جانباً كبيراً من تعاليم روسو السائدة في ذلك الوقت والمناقضة لروح الاجتماع من هذه الجهة . وكانت نتيجة هذا الرأي الحديث ان صارت الحكومات مسيطرة على المدارس ومسؤولة امام الشعب عنها فخصصت لها الاموال من الامة لتعلم بها ابناءها على السواء غير جاعلة فرقاً ولا تمييزاً بين اولادها

مقام التعليم في الامور الاجتماعية

قال لستر ورد ان العواطف تجهز القوة الدافعة واما القوة العاقلة فهي المرشد لكي لا تضل القوة الدافعة . فالبخار في القطار الحديدي هو الذي يدفع القطار الى الامام والخطوط الحديدية هي المرشد لكي لا يضل القطار في طريقهِ وعلى الهيئة الاجتماعية ان تجهز كل عضو بتعليم كافٍ حتى تعمل عواطفهُ كل ما يكون فيه الخير لهيئته الاجتماعية . كانت الحكومة هي الرادع الاول للانسان عن السلوك في سبيل الشر فالسارق مثلاً يمتنع عن السرقة لانهُ يخاف من ان يقع في قبضة الهيئة الحاكمة . ثم جاءت الديانة بشعائرها ورسومها ووعدها ووعيدها فصار السارق يخاف من نار جهنم . ثم جاءت المدرسة فقام المعلم مقام الشرطي وخادم الدين واظهر للتلميذ ان السرقة تعود عليهِ وعلى الهيئة الاجتماعية بالويل والثبور فيجب

ان يبتعد عنها لا خوفاً من عقاب الحكومة ولا من تلرجهم بل لان السرقة تحط من مقامهِ كانسان في الهيئة ولا يخفى ما في ذلك من طرق الاقتصاد والتوفير

التعليم هو المبقي المحيي — من واجبات التعليم ان يبقي ويحيي زبدة الاختبارات التي حصلها السلف بالجد والسعي ويهديها الى التلميذ منقحة ممحصة ليستطيع ان يكيّف نفسهُ في ذلك المحيط المتغير ويهب لمن يأتي بعدهُ نتيجة اختباراته ايضاً وعلى هذا يتوقف بقاء الحياة كما هي. فنهر النيل مثلاً يجلب معهُ في مياههِ كل سنة غذاء كافياً لتربة مصر غير ان هذا الغذاء لا يكفي اذا لم يجلب كل سنة غذاء جديداً يختلط مع القديم ليزيد في كمية الغذاء وهكذا الانسان فان ارشادات اسلافهِ الماضين ضرورية لهُ غير انهُ لا يكتفي بها بل يجب ان يزيد عليها ليفارقنا اذاً كما كان عليهِ اسلافنا هو عين الانحطاط والجمود واكبر مانع يمنع الانسان من التقدم

العلم هو اسمى درجة في نشوء الهيئة الاجتماعية — فكما ان الحيوان مقيد بنواميس طبيعية في الانتخاب الطبيعي وهذا الانتخاب يعدهُ للعيشة في محيطهِ هكذا التعليم في العالم الاجتماعي يضارع الانتخاب الطبيعي ويعد الانسان للعيشة في المحيط الاجتماعي. فالتعليم اذاً هو الذي يكيف الانسان تكييفاً اجتماعياً ويعدهُ للعيشة في الهيئة كانسان يفهم ما عليهِ وما لهُ من الحقوق والواجبات الاجتماعية

فضل الجمعيات على التعليم

لا ريب في ان الجمعيات الخيرية كانت اول من شاد المدارس وفتح ابوابها للطلبة ولكن لما ارتقت الحكومات عرفت ان هذا حق من حقوقها وواجب من واجباتها فوضعت ادارة المدارس في يدها وقامت بذلك حق القيام. ولقد كان فرانكا Francke في المانيا اول من وضع نظام المدارس المعروف «بنظام المدارس الحقيقية» (Real-Schule) وهي المدارس التي تعلّم فيها الدروس العملية كالطبيعيات والهندسة العملية والكيميا الخ. وقد ابتدأ بهذا النظام في مدرستهِ التي شادها في هلا Halle للايتام سنة ١٦٩٤ وتبعهُ في ذلك باسدو وقد تقدم ذكره

ومن الذين اشتغلوا بهذا النظام فلانبرج سنة ١٨٠٦ — ١٨٤٤ فانهُ رأى البون الشاسع بين الخاصة والعامة في العلم فقرّب بينهما بان علّم العامة العلوم العقلية والخاصة العلوم اليدوية — اي الصناعية — جاعلاً للعلوم اليدوية الاهمية الكبرى في التعليم وقائلاً ان لا حطة ولا مذلة لمن يشتغل بيديه

النظام المعروف « بنظام العرفاء » الذي استنبطهُ بل Bell ولنكستر سنة ١٧٧٨ - ١٨٣٨

استطاع لنكستر ان يدير الف تلميذ بواسطة العرفاء على نحو ما كانت عليهِ التعليم في بلادنا في اول امره وقد اضطر لنكستر الى ذلك لانهُ رأى قصوراً من جانب الامة والحكومة والكنيسة . وقد ساعد هذا النظام مساعدة كبيرة في ترقية شؤون المدارس في بداية امره غير انهُ كان سطحياً وتقليدياً فانتقدهُ الكثيرون ثم اهمل لعدم الاحتياج اليهِ

مدارس الاطفال وهي غير بساتين الاطفال (الكندركارتن)

منشئ هذه المدارس قسيس فرنساوي سنة ١٧٦٩ وهي اصل المدارس الابتدائية في اميركا التي انشئت سنة ١٨٢٤

الجميات التي قامت لنشر التعليم بين الجمهور

دخلت سنة ١٨٠٥ ولم يكن في اميركا مدارس مجانية سوى بعض المدارس الدينية فلما رأى رئيس بلدية نيويورك ذلك الّف لجنة لجمع اموال تنفق في تعليم الفقراء مجاناً وسنة ١٨٥٣ ابتدأت المدارس العمومية الحقيقية وانقضى عمل الجميات الخيرية واخذت الحكومة على عاتقها امر التعليم

نظامات الحكومة

ابتدأت هذه النظامات في البلاد التي كانت فيها الكنيسة والحكومة متفقتين معاً ولكن المانيا سبقت جميع حكومات اوربا في ذلك وكان اول من جعل التعليم الزامياً فردريك الكبير وهو الذي شاد مدارس المعلمين واعطى الحرية الدينية في التعليم . وفي سنة ١٧٩٤ سن قانوناً يقضي بان كل المدارس دينية كانت او مدنية يجب ان تكون تحت مراقبة الحكومة وقد قاوم الاكليروس هذا القانون بكل قوام . ولما كانت الحكومة هي التي تعين المعلمين صارت تحسبهم من موظفيها ولم يعد معلم يترك وظيفتهُ لمجرد اعتقادهِ الديني . وكانت النتيجة من كل ذلك ان جعلت التعليم الابتدائي مجانياً وحسنت اساليب التعليم ووضعت حداً لمداخلات الاكليريكية

وابتدأ التعليم العام في فرنسا بعد طرد اليسوعيين منها سنة ١٧٦٤ وظهر من الاحصاءات ان الاميين في زمن الثورة كانوا خمسين في المئة من الرجال وخمسة وسبعين في المئة من النساء وقد كان من مبادئ الثورة ان يكون التعليم عاماً والزامياً ومجانياً ولكن الفرنسويين لم يصلوا الى هذه البغية حينئذٍ لان الحكومة لم تكن راسخة على اساس ثابت

معين و بقيت كذلك الى سنة ١٨٣٣ حتى انتخب جيزو Guizot ناظراً للمعارف في فرنسا فاسس مدرسة مجانية ابتدائية للفقراء في كل بلدة وسنة ١٨٨٢ صار التعليم الزاميا وفي سنة ١٩٠١ صدر القانون القاضي بان كل المدارس الدينية يجب ان تأخذ رخصة من الحكومة . وفي سنة ١٩٠٣ اغلقت كل المدارس الدينية تقريباً

النظامات في انكلترا

ابتدأت المجادلات بين اعضاء البرلمنت من سنة ١٨٣٣ في « هل يجوز للحكومة ان تتدخل في امر التعليم » وبعد مناقشات عديدة قر الراي على انهُ يجب على الحكومة ان تمد يد المساعدة للمدارس . وفي سنة ١٨٨٠ سن القانون القاضي بالزام كل تلميذ بالبقاء في المدرسة حتى يبلغ العاشرة من عمره وسنة ١٩٠٠ صدر قانون يقضي عليهِ بان يبقى الى السنة الرابعة عشرة من عمره

النظامات في اميركا

ابتدأ نظام الحكومة في انكلترا الجديدة في القرن السابع عشر ولم يدخل القرن الثامن عشر حتى كان كاملاً وقد كان لهرسمان Horaceman فضل عظيم على التعليم العام في اميركا لانهُ هو اسس المدارس لتعليم المعلمين وزاد في ايام السنة المدرسية ووسع نطاق التعليم واخذت الجمعيات الخيرية تهب الحكومة كل ما تقدر عليهِ من الاموال لانفاقها في ترقية التعليم . وفي سنة ١٨٦٧ الغيت الرسوم في المدارس العمومية في نيو يورك . وتقسم المدارس العمومية في اميركا الى ثلاثة اقسام وهي الابتدائية والثانوية والعالية والحكومة تقوم بنفقات الجميع غير ان التعليم العالي في بعض الولايات الشرقية يكلف التلميذ نفقات كثيرة على ضد ما هو عليهِ في الولايات الغربية

النهضة الصناعية

كان اساس هذه النهضة التوسع في الحركات الحربية والبرهان على ذلك ان المدارس الاولى التي انشئت لهذه الغاية اقامتها النظارات الحربية وقد كانت النمسا السابقة في هذا الشان فاول مدرسة شيدت فيها كانت سنة ١٧٤٧ ثم تبعتها فرنسا سنة ١٧٤٩ والمانيا ١٧٦٤ واميركا سنة ١٨٠٢ ثم انكلترا فمن هذه المدارس خرجت الصنائع وفيها نمت وكانت الغاية التعليمية منها ان تجعل الفرد ينفع نفسهُ معاشيًّا وماديًّا و يتدرج الى منفعة غيره

ولقد كان في اول الامر درس التاريخ وقوانين الحكومة من اهم الدروس التي تجعل الانسان مدنيًّا اما اليوم فقد وضعوا معها علم الصناعة وذلك لان القوة القابضة على زمام

الاحكام وسير القوانين وترقي الشعوب في القوة الاقتصادية فلا حرب ولا تجارة ولا علم ولا فتوح اذا لم تكن مبنية على علم الاقتصاد وليست الحروب في ذاتها الاَّ حركة تجارية يقصد بها ترقي الصناعة وترويج البضاعة ونرى اليوم ان المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا سائرة على هذا النحو والمانيا هي قائدة الجميع باعداد رجال اختصاصيين لاعمال خصوصية . فيظهر من كل ما تقدم ان الدافع الاكبر لهذه الحركة هو الدافع السياسي الاقتصادي ولكن الضلع الاقتصادي هو الغالب كما تقدم بولس شحاده

تعليم الصغار

الطريقة المونتسورية

لاهل الغرب عناية شديدة بامر التربية خصوصاً تربية الصغار . فاذا توفق احد الى طريقة التربية تفوق غيرها اشتهر اسمهُ بينهم كما يشتهر اسم من يخترع اختراعاً نافعاً او يؤلف كتاباً نفيساً

ولقد قام فيهم امثال فروبل وبستالوتسي وكثير غيرهما من الذين خلد التاريخ اسماءهم لاشتهارهم في التعليم كما ترى في مقالة اخرى منشورة في هذا الجزء ومقالات مثلها في الاجزاء السابقة . ومنذ عهد قريب قامت في رومية سيدة ايطالية اشتهرت بطريقة خاصة بها لتعليم الاولاد وثبت نفع طريقتها بالتجربة فاسرعت بعض الامم الى اقتباسها لكي لا يفوت صغارهم شيء من اسباب التعليم والتهذيب . ورأينا ان نصف هذه الطريقة لعلَّ من يهمهم امر تربية الصغار يعيرونها الالتفات اللازم وينتفعون بها

واضعة هذه الطريقة ماريا مونتسوري سيدة ايطالية ولدت سنة ١٨٧٠ وتلقت دروسها العالية في جامعة رومية ونالت منها رتبة دكتور في الطب سنة ١٨٩٤ . ثم عينت في تلك الجامعة معاونة للطبيب الذي يعالج الامراض العقلية فاستدت رغبتها في ... وسنة ١٨٩٨ عقد في مدينة تورين مؤتمر ابحث في ما يتعلق بالتربية والتعليم فالقت فيه خطبة اعجب بها السنيور بارتشلي ناظر المعارف فسألها ان تلقي خطباً على المعلمين في مدينة رومية . وكانت نتيجة خطبها ان انشئت مدرسة خاصة للبله وجعلت هي رئيسة لها . فتكللت اعمالها بالنجاح وتمكنت من تعليم البله وتهذيبهم وحملها نجاحها هذا على الحكم ان في طرائق التعليم المتبعة

في المدارس التي يعلم فيها الصغار نفعاً بيناً . فكانت يؤتى اليها بالبله من البيمارستانات فتربيهم وتعلمهم فلا يلبثون ان يجاروا ذوي العقول السليمة الذين من سنهم ويجتازوا الامتحانات معهم جنباً الى جنب . وقد قالت مرة « بينما كان الناس يعجبون بنجاح البله الذين كنت اعتني بهم كنت انا اتساءل في نفسي عن الاسباب التي تمنع الاولاد ذوي العقول السليمة عن التفوق على البله » . وقام في نفسها ان السبب هو ان البله في مدرستها كانوا يُعلَّمون بطرائق تساعد عقولهم في نموها بينما كان ذوو العقول السليمة يُعلَّمون بطرائق تعيق نمو العقل وانه اذا استعملت طريقتها لتعليم ذوي العقول السليمة انت بنتائج احسن من النتائج التي تأتي بها في تعليم البله

فعقدت نيتها على البحث لتعلم منزلة رأيها من الصحة . وسنة ١٩٠٠ تركت مدرسة البله وصرفت همها الى تعليم ذوي العقول السليمة . فعادت الى جامعة رومية وانتظمت في سلك طلبة الفلسفة واهتمت بالابحاث العملية في علم النفس وكانت اثناء ذلك تختبر التعليم العملي في المدارس الابتدائية

وبعد اختبار التعليم ودرس طبائع الاولاد بضع سنوات ثبت لها ان طرائق التعليم يجب ان ترمي اولاً الى جعل الولد يتعلم ويكتشف الحقائق لذاته . وان نمو عقله يجب ان يسير في السبل التي يرشده اليها فهمه وامياله الطبيعية لا ان يكون في ذلك عبداً يتبع مشيئة معلمه . واجتهدت لتجد طريقة للتعليم يقوم فيها عقل الولد بتكييف الطرق التي يجب ان يسير فيها نموه من دون ان يجبره معلمه ما يجب عليه ان يعمله

وسنة ١٩٠٧ عرضت لها فرصة لاخراج فكرتها الى حيز العمل وذلك ان المضاربين اكثروا من البناء في احد احياء المدينة واخذوا يتبارون في تشييد البيوت الجميلة الكبيرة مؤملين ان ذوي اليسار يقبلون على السكن فيها ولكنهم ما لبثوا ان رأوا فساد ظنهم واضطروا ان يؤجروا مبانيهم للعمال والفقراء . ولم يمض وقت طويل حتى امسى ذلك الحي مجمع الاقذار والفقر والشقاء . فتألفت جمعية من اهل الفضل في مدينة رومية لتخفيف وطأة الفقر عن الساكنين فيه واصلاح حالهم وخصت هذه الجمعية احد فروعها بالاعتناء بتربية الصغار الذين بين الثالثة والسابعة من العمر . ورأى هذا الفرع ان ينشىء المدارس لهذا الغرض وسلم زمام ادارتها وتدبيرها للدكتورة مونتسوري فادخلت طريقتها الجديدة اليها وحتم على كل من معلمات هذه المدارس ان تسكن بالقرب من العائلات التي تعتني باولادها

والمبدأ الاساسي في الطريقة المونتسورية هو ان يحصّل الولد المعارف بنفسهِ كما تقدَّم لا ان يتلقنها من معلمٍ ولا تعيَّن فيها اوقات مخصوصة لالقاء الدروس ولا دروس مخصوصة يشتغلها الاولاد كل يوم ولا تتبع فيها الطرق المتبعة في المدارس لمجازاة المسيء والمهمل ومكافأة المجيد والمجتهد . وكل ما يعوَّل عليهِ فيها لاجل دفع التلميذ الى العمل وترغيبهِ فيهِ هو السرور الذي يخالج صدر من ينجح في اتمام عملهِ . وقد وصف بعضهم هذه الطريقة فقال ان « كل ولد يعمل ما يروقهُ . يدخل المدرسة فيرى الاولاد متفرقين جماعات جماعات وكل جماعة تلعب لعبة فينضم الى الجماعة التي تجتذب نظرهُ وتستميل عقلهُ وبعدأ عند ذلك تعلمهُ وتهذيبهُ . والالعاب التي يلعبها الاولاد كثيرة فكلما تعب الولد من لعبة تركها وعكف على غيرها والمعلمات يراقبنهُ ويساعدنهُ حيث لا بدَّ لهُ من المساعدة . وهو لا يمكث بلا عمل ابداً لانهُ يجد لذة وسروراً في كل ما يعمل »

« ويجعل في الغرف التي يكون فيها الاولاد كراسي صغيرة خفيفة يسهل عليهم حملها ونقلها من مكان الى آخر وتبسط في ارضها البسط لكي يجلسوا عليها متربعين او راكعين او متكئين حسبما يلوح لهم . ويؤتى اليهم بموائد واطئة خفيفة ويترك قسم من الغرف عاري الارض خالياً من الاثاث لكي يدوروا فيهِ احراراً لا يعيقهم شيء في متابعة العابهم »

وقد اخترعت الدكتورة مونتسوري ادوات لعب كثيرة وجعلتها مما ينشط عقول الاولاد ويوسع مداركهم . وهذه الادوات ركن مهم في الطريقة المونتسورية ويصعب وصفها بالكلام

واول ما توجهُ العناية اليهِ ترقية حواس اللمس والبصر والسمع ويتذرع الى ذلك بالعاب عديدة ثم باستمالة انتباه الولد الى ربط كل شيء باسمهِ وصورتهِ العقلية . فيعطى عند غسلهِ يديهِ مثلاً ماء بارداً ثم ماء سخناً وينبَّه الى التمييز بين الاثنين فيدرك الفرق بينهما . ويمرن على التمييز بين الخشونة والنعومة باعطائهِ انواعاً من الكرتون بعضها خشن وبعضها ناعم لكي يفرقها بعضها عن بعض . وكلما ادرك صفة من هذه الصفات علمتهُ المعلمة الكلمة التي تعرف بها مثل بارد وسخن وخشن وناعم الى غير ذلك . فيبدأ بتعلم اللغة قبل ان يبدأ بتعلم الكتابة والقراءة . ويعلَّم الاولاد الفرق بين الاشكال بقطع من الخشب تختلف شكلاً وحجماً فيأخذون كلاً منها ويضعونها في فراغ قد اعد لها لا يلتئم مع غيرها اذا وضع فيهِ . وكذلك يتعلمون الالوان بقطع الخشب الملونة وخرق من الحرير يرتبونها على طرق تجيء فيها الالوان متلائمة بعضها مع بعض بحيث ترتاح العين الى النظر اليها . وتمرن حاسة اللمس فيهم بلعب بعض

الالعاب وهم معصوبو العيون وحاسة السمع بالعب في الظلام كأن يوضع بين ايديهم حجارة مختلفة الوزن فيدحرجونها على الارض ويرتبون الاثقل فالاثقل لان الحجر الثقيل اذا تدحرج كان له صوت قوي اما الحجر الخفيف فلا يأتي الا بصوت خفيف . وتروّض ارجلهم وايديهم واصابعهم على اتمام ١٠ يطلب منها من الحركات بترتيب الاثاث والادوات التي تطلق لهم الحرية في استعمالها وترتيبها على ما يروقهم وبعض الالعاب كربط العقد وحلها وتكميل الازرار وفكها ولبس الثياب وخلعها وبقيام بعضهم على خدمة البعض الآخر عند تناول الطعام وعلى غسل انفسهم الى غير ذلك. فهذه الاعمال كلها تتقدم الكتابة والقراءة وتسهل الطريق اليها

وتُعلَّم الكتابة قبل القراءة انما يجب الاحتراس في فهم المراد بالقراءة في هذا المقام . فيلعب الاولاد بعض الالعاب بحروف من ورق السنبادج ملصوقة على الواح من الكرتون فيأخذ الواحد منهم الحرف ويمر اصبعهُ عليهِ من اولهِ الى آخرهِ فيكون قد قام بالحركة اللازمة لكتابة ذلك الحرف من دون ان يدري انهُ يتعلم الكتابة . وتعطى لهم حروف قد رسمت على الورق فيلونونها فترسخ صورها في اذهانهم . واذا تعلّم الولد اصوات الحروف واشكالها تدرَّج الى بناء الكلمات منها وقد قال المستر هولز مفتش المعارف بانكلترا ان الاستعداد للكتابة على هذه الطريقة لا يستغرق اكثر من شهر ونصف من وقت الاولاد الذين عمرهم اربع سنوات فاذا انقضت مدة الاستعداد بدأ الولد بكتابة الكلمات البسيطة التهجئة بالحبر ولا يأتي عليهِ ثلاثة اشهر وهو يتمرن على الكتابة الا ويصير خطهُ جميلاً

ويتدرَّج بعد ذلك الى القراءة فلا تكون قراءتهُ التلفظ بالكلمات التي يكتبها هو نفسهُ بل قراءة كلمات مطبوعة او مكتوبة بخط غيرهِ . واذا كانت اللغة من اللغات التي يتلفظ فيها بجميع الحروف التي تكتب بها الكلمة كاللغة الايطالية والعربية سهل الامر جدًّا ولم يبطئ الاولاد في تعلم القراءة . ويؤتون بكلمات مكتوبة على بطاقات فيتبارون في معرفة الاشياء التي تدل عليها تلك الكلمات ثم يتدرجون من المفردات الى الجمل كأن تكتب المعلمة على لوح اسود كبير اسئلة واوامر تتعلق بالالعاب

وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً غريباً حتى قيل عن ولد لا يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات ونصف سنة انهُ صار يكتب ويقرأ الكلمات بالانكليزية والايطالية من غير ان يشعر انهُ كان يعمل عملاً غير اللعب . وقد يقال ان هذا من الشذوذ التي لا يقاس عليها ولكن

المستر هوار الذي دقق البحث في تعليم الصغار على هذه الطريقة لا يرى اقل غرابة في ان يتعلم الاولاد الذين لا يزيد سنهم على سن هذا الولد الكتابة والقراءة بل لا يرى في ذلك من الغرابة اكثر مما يرى في تعليمهم المشي والحكي . اما تعليم الحساب فيبدأ به بالعاب لا بد فيها من العد واستعمال بعض الادوات المعدة لهذا الغرض

ولم تجرب هذه الطريقة المونتسورية الا في تعليم الاولاد الذين لم يخرجوا من طور الطفولة ولكن يؤمل لها نجاح كبير في تعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على ذلك . وقد بدأت الدكتورة مونتسوري تجربة ذلك اخيراً . وقد كانت همتها منصرفة الى اظهار ما لطريقتها من المزايا واقناع المعلمات باتباعها في تعليم الاطفال الذين ثبت نفعها في تعليمهم . ولما رأت نجاح طريقتها في تعليم الاطفال الذين بين الثالثة والسابعة من العمر قالت « قد مضى عصر المعلمات القديمات اللواتي يصرفن قوتهنَّ في حفظ النظام بين الاولاد وتسكين اضطرابهم ويتعبن انفسهن بالقاء الدروس بصوت عالٍ وكلام كثير فقد استعضنا عنهنَّ بالادوات التي يتعلم الولد بالالعاب بها والتي تدرّبهُ على اجتناب الغلط وتسهل عليهِ تعليم نفسهِ . فليس على المعلمة بعد الآن الا ان تتولى ادارة العمل الذي يعملهُ الاولاد انفسهم وتبقى ساكتة »

وقد قال المستر هوار بعد ان عني بامر هذه الطريقة « ان المعلمة تعمل في المدارس العادية على لجم ما في الاولاد من الميل الشديد الى الحركة وعلى ضبط قواهم التي لا يقدرون على ضبطها فيكون هذا الضبط باعثاً لهذه القوى على التحرك والظهور . اما في المدارس التي تعنى بتشغيل قوى الاولاد كل الوقت بما يشعرون معهُ بالسرور فلا تبقى حاجة الى الضبط والتأديب . وفي المدارس المونتسورية تطلق للولد الحرية ليأتي ما يشاء من الاعمال على شرط ان لا يضر بغيره ولا يقلقهُ وما دامت قواهُ مصروفة الى عمل بلاغتها بعد ان يجيء عملاً يضر بغيره او يعكر صفاءهُ او ان يصير مصدر تعب واقلاق للمدرسة كلها

« وفي المعلمين والمعلمات ثلاث عادات مستقبحة الاولى انهم يبادرون الى اخبار الولد بالكيفية التي يجب ان يجري عليها في كل عمل جديد لم يعملهُ من قبلُ . والثانية انهم يسرعون الى اعانته اذا رأوهُ قد وقف عند صعوبة في العمل الذي سمح لهُ بتجربته والثالثة انهم يعطون لهُ ملاحظة عوضاً عن ان يتركوهُ ليصلحها بنفسه . اما المعلمون الذين يتبعون الطريقة المونتسورية فلا يأتون هذه الامور الا اذا مست الحاجة اليها . واذا اخذ الولد يعالج مسألة

حديدة لم يبالها من قبل تُرك وحده يعمل في حل صعوباتها كل ما أوتي من القوى والحذق في تذليل الصعوبات »

والطريقة المونتسورية مبنية على مبادئ فروبل فقد حفظت الدكتورة مونتسوري المبدأ الرئيسي في طريقته واضافت اليه طرائق جديدة بنتها على الحقائق التي قررها علم النفس الحديث . واثبتت انهُ اذا عومل الولد كما يجب ان يعامل واستعملت معهُ الوسائل اللازمة تنبهت فيه قوة داخلية للنمو العقلي بسرعة فوق من يشك فيها . وقد ثبت نفع طريقتها الآن وبقي ان يعرف مقدار ما تقتضيه من الكفاءة في المعلم او المعلمة وكم من المعلمين والمعلمات ذوي الكفاءة يلزم للتعليم على هذه الطريقة وهل تقدر المدارس ان تحصل على العدد الكافي منهم . وزار المستر هومز خمساً من المدارس المونتسورية فوجد واحدة منها في حالة غير مرضية وثبت لهُ ان سبب ذلك هو جهل مديرة المدرسة بالطريقة المونتسورية التي لم تكن تعرف منها الا بعض تفاصيل من غير ان تفهمها تماماً او ان ترى فيها ما يميزها عن غيرها . وعجز عن اصلاح تلك المدرسة ولم يرَ طريقة يداوي بها نقائصها الا بتعطيلها واقفال بابها . فالمعلمون والمعلمات الذين يقدرون ان يتمموا هذه الطريقة في التعليم قليلون جداً على ما يظهر

والمدارس التي تتبعها تزيد نفقاتها على نفقات غيرها . ففي المدارس العادية يكفي لكل ولد ٩ اقدام مربعة من ارض غرفة الدرس اما في هذه فيقتضي لهُ على الاقل ١٥ قدماً مربعة ليكون لهُ فسحة يلعب فيها وتسع الادوات اللازمة لهُ . ويلزم لها عدا ذلك ادوات كثيرة وخزائن تحفظ فيها هذه الادوات بطريقة تمكن الاولاد من تناولها عند حاجتهم اليها . ويجب ان يكون المعلمون والمعلمات فيها اكثر مما يكونون عادة في غيرها وان يكون اكثرهم ذا كفاءة مدرباً على التعليم . وقلَّ ان تقدر معلمة ان تعتني باكثر من ٢ ولداً مهما كانت مقدرتها وكفاءتها . ولكنهُ لا يُرى مثل هذه الصعوبات في الجري على هذه الطريقة لتعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على سبع سنوات اذ يظن انهُ اذا تقدم الاولاد في السن زاد العدد الذي يمكن للمعلمة الواحدة ان تعتني به منهم

هذا وقد اثبتنا في صدر هذه المقالة صورة منقولة عن مجلة عمل العالم وهي صورة غرفة من غرف تدريس الاطفال حسب الطريقة المونتسورية

تقليل النسل

بحث اجتماعي علمي

تناسل الفضل يُبدي للأُلى عقلوا *** فضل التناسل عند البدوِ والحضرِ

قلنا هذا البيت من اعوام عديدة من قصيدة هنأنا بها احد اصدقائنا الافاضل يوم كنا نتغنى بقول شيخنا الاديب وشاعرنا العصري من ابيات آيات وحكم خالدات حيث قال

« فاذخر من صباك جمعاً معاق *** فالصبا والصفاء لا يخلدانِ

وتمتعْ بذات خدرٍ حليلٍ *** ناعماً بالرفاه والولدانِ

وحواليك من بنيك عيونٌ *** لا عيون المها ولا الغزلانِ

وخدودٌ اشهى واطرى واندى *** من دموع الصباح في نيسانِ

هذه لذة الحياة وهذي *** ايها الناس عصمة الانسانِ »

على انهُ مهما يكن من نتائج بحث الحياة العائلية نظرياً واختبارياً فلم يكن ليدور في خلدنا ان سيقوم من اهل هذا الاجتماع الحاضر من يدعو الى تقليل النسل وتعديل ذلك الناموس الفطري حتى يحسب ان استمرار انسان العصر الحديث على معدل سيره القديم من اكثار النسل مرهق لحياة الاجتماع مفضٍ الى هلاك سكان الارض شدةً وضيق عيش الى ان ينقلب ذلك العناء الى ضده من البؤس والشقاء . وبعدُ فقد كنا في هذه الايام نجيل الفكرة في السؤال لبعض علماء الاجتماع في هذا البحث الخطير . فلما قرأنا في احد اعداد المقتطف الاخيرة كلاماً في اخباره العلمية تتعلق بقلة المواليد بعثت منا العزيمة على مراجعة ما فكرنا فيه بما في الوسع والروية وبادرنا الى تلخيصه في هذه السطور

نظر بعض المفكرين في مصير هذا الاجتماع الى فيض النسل البشري فوق سطح المعمور المقفر بفضل التدابير الصحية وما نجم عنها من تناقص الوفيات ولا سيما في هذه العقود الاخيرة من السنين يحاذرون على المجتمع الحاضر والآتي سوء المغبة من تزاحم الخلق وضيق موارد العيش وجعلوا يصدعون بوجوب تقليل النسل مابين احكامهم في مبادئ علم الاقتصاد حتى قرأنا لبعضهم في شهيرة من مجلات العلم قولاً يصرح فيهِ « بان انحطاط متوسط المواليد قد انقذ المدنية الحديثة من تفاقمها والارتباك بأزمة اقتصادية » بل انهم لم يخشوا لومة لائم بان اطلقوا على هذا التقليل اسم « الانتحار الجنسي » وهم يقصدون بهذا الانتحار افتداء الكل بهلاك البعض

على انهُ لما كان تقليل النسل واقعاً بطبيعة الحال حدّاً في اتساع النطاق ولاسيما في ارقى الممالك حضارة واوسعها عمراناً كالولايات المتحدة وكانت طبقات الناس جارية عليهِ لا طوعاً لنظريات العلماء بل بمقتضى ناموسٍ طبيعيٍّ من نواميس هذا الاجتماع انقسم ارباب النظر في تعليل هذا التقليل فريقين الاول يعلّل سببهُ من الوجه الطبيعي (البيولوجي) والطبي ولا يرى فيهِ اثراً من قصد العقلاء والآخر يذهب في تعليلهِ الى الوجه الاقتصادي المبني على القصد والعمد وهاك خلاصة اقوال الفريقين مشفوعةً بما بدا لنا من التعقيب الاجتهادي

(١) ادلَّة البيولوجي

حصر البيولوجي ادلّتهُ في اربعة (١) انهُ مما تهيئهُ الحالة الاجتماعية الحاضرة من الحاجيات المقوّمة لصحة الابدان من الغذاء والكساء والايواء من باب التعويض عن القوى الزائلة في جهاد الحياة وان ما يستغرقهُ هذا الجهاد او يستهلكهُ من سائر القوى البدنية لا يبقي بعدهُ ما يقوى بهِ الجهاز المخصوص على الوفاء بوظيفتهِ لإخلاف النسل (٢) ان ما تقتضيهِ حالة الزحام الاجتماعي الحاضر من جهاد الدماغ الدائم وتناولهِ الدم الحيّ من سائر اقسام البدن وعيشهِ على نفقتها يسلب قواها ويتلف نسيجها حتى تعجز عن القيام بما وُجدت لهُ . ويدلون على هذا بان الناس في حالة بداوتهم الاولى لم يكونوا يستعملون قوة العين بمقدار ما يستعملها اهل هذه المدنية ساعات الليل والنهار بالاعمال العقلية والبدنية على ما هو معلوم من امر اجهادها هذه الازمان فضعفت قوة البصر عما كانت فيهِ لسالف عصور الانسان الاولى . قالوا وعلى ذلك يقاس ضعف القوى المولدة . (٣) ان جهاد الحالة الاجتماعية الحاليَّة اورث الجهاز غير الارادي ضعفاً يتطرق الى جهاز التوليد فقل بذلك النسل لما بين الجهازين من الارتباط الحيوي المتلازم بحيث اذا اعترى الاول اختلال ما حيويٌّ اتصل بالثاني — قالوا — ومعلوم ان الجهاز الاول مطرد العمل دقيق التوازن سريع التأثر وحالة هذا الاجتماع بما فيها من المجهودات المختلفة قد ارهقتهُ اجهاداً الى حدٍّ بعيد ووهنت ذلك الجهاز المخصوص . (٤) ان الحيوانات العليا اقلُّ نسلاً من الدنيا ولذلك فأرقى الناس اقلُّ نسلاً من ادناهم . وان الحيوانات الآبدة اذا صيدت ودُجنت قلّ نسلها ولذلك فالتغيرات الصناعية والاجتماعية لهذه الخمسين عاماً قد ادخلت على المجموع قلة النسل . (٥) ان الامراض الجنسية التي ترد في تقريرات الاطباء من دواعي هذه القلة ويدعي اهل هذا المذهب ان المهاجرة الحديثة وما يتأتى عنها من مفاسد الازدحام وكثرة الاختلاط مع وفرة الغنى عند اربابهِ وسعة العيش وفراغ الوقت عند فئة كبيرة من الناس كل ذلك من ناشرات الاختلال الادبي ومساعدات

الامراض النجسة ثم ان قلة اجور العاملات ازاء مطالبهن العصرية من ملبس وزينة قد تسوق تلميذات الادب الى مهاوي الابتذال فيقل الزواج وتكثر تلك الامراض فيقل النسل

(٢) رد الاقتصادي

مع تسليم الاقتصادي شيئاً بقوة هذه الادلة البيولوجية والطبية في شأن قلة النسل يرد على ما سبق (١) بانهُ اذا اراد البيولوجي ان الحالة الاجتماعية الحديثة من شأنها ان تضعف الصحة بحيث يتأتى عنها قلة النسل يورد عليهِ ان الامر على العكس بمقتضى ناموس النشوء العام . فان هذا الناموس يدل في موضوع البحث على ان بقاء قوة الايلاد من اقوى خصائص الجنس اللازمة لبقاء النوع وارتقائهِ ومن اشهر المبادئ المعلومة عند علماء هذا الزمان . والاَّ فاذا صح ان القوة الحيوية في النوع البشري آخذة بالانحطاط تقوض اقوى ركن من اركان النشوء الجسمي وارتقاء النوع البشري الثابت في تاريخ الانسان والمأمول بلوغهُ الحد المشتهى تدريجاً على تراخي العصور . (٢) اذا كان فرط اجهاد القوة البدنية يستأثر باكثر الغذاء حتى يوهن الجهاز المخصوص فعلامَ نشاهد وفرة النسل حيث الغذاء والكساء والايواء على اضعف حال بين الفقراء . ولقد قال ادم سمث الاقتصادي الشهير في جملة اقواله المأثورة ان المرأة — الهايلاندية — (تقابل الفلاحة او الجبلية في الشرق) تلد عشرين ولداً في احوال عديدة وان سكان اطراف البلاد من اهل الخشونة والشظف اكثر نسلاً من ذوي الرفة واخوان الصفاء وابناء النعيم واكثر ما نشاهد هذه الحال في بلادنا الشرقية حيث تضيق منازل الصعاليك وطبقة العمال بكثرة الاولاد كما تضيق بهِ الدنيا عن اسباب الرزق في ميدان الجهاد . (٣) لا يسلم ان فرط استعمال الدماغ واستئثاره باكثر الغذاء الضروري لسائر اقسام البدن يسبب قلة النسل وذلك (اولاً) لان استعمال العقل وما ينتجهُ من النشاط ادعى الى الانشراح والسرور . ولقد اثبت بعض اهل الاحصاء لعهد قريب « ان هذا القصر الجسمي لاسباب دماغية نادر الوقوع بل ليس لنا في ذلك ما يجوز ان يطلق عليهِ لفظ الدليل » . (ثانياً) من نتائج ما تم من الاحصاء في هذا الشأن ان المتزوجات من المدرسات المتعلمات و المستعلات والمعلمات لسن اقل نسلاً من غيرهن . ثم ان صح قول البيولوجي في ذلك فلمَ لا تنحصر قلة النسل في اهل هذه الطبقة من ذوي الاشغال العقلية بل هي شاملة لجميع طبقات الخلق من كل عمل وحال معاش وبالجملة فان إعمال الجهاز العصبي لا يوجب انطالهُ ولا يورث ضمور الاعضاء المخصوصة ونحوها في عدد يذكر من الناس

وهنا يضيف الاقتصادي بان حجج الاطباء في هذا المقام مشوشة مبهمة وليس فيها تقارير ثابتة بالارقام (٤) ان قياس التخيل الذي استند عليه البيولوجي من مقابلة الحيوانات العليا بالدنيا والمتوحشين بالمتمدنين قياس خادع بطبيعته فانهُ يؤخذ من المقابلة الصحيحة بين جرمانيا وفرنسا مثلاً وبين جرمانيا والهند وبين فرنسا ومستعمراتها في كندا او بين اقسام مختلفة من مملكة واحدة ان علة تلك القلة متأتية في غالب شأنها من جانب الارادة لا من تلك الاسباب البدنية والبيولوجية الثانوية في الرتبة والتأثير. فانهُ قد عرف ان تغيرات متوسط النسل في هذه المقابلات تابعة لتغيرات الاحوال الاقتصادية من نمو الخصب والجدب والنجاح التجاري او وقوف الاعمال مما يرد تعليلهُ الى الارادة المتعلقة بهذه الاحوال اكثر منهُ الى التغيرات الفسيولوجية. (٥) انهُ وان قرّر بعض الاطباء بان الامراض الجنسية سبب العقم في الجنسين الى حدّ بعيد هذا العقم الحاصل بعد ولادة الولد الاول الا ان هذا التعديل او التقليل محصورٌ في الدائرة الطبية فلا يشمل كامل الاحصاء المتعلق باسباب العقم العامة الشاملة فلا حجة فيهِ على المطلوب بل ان العقم الناتج عن علل طبية ليس بحديث العهد فلا يدخل في قلة النسل المستفيضة في هذا العصر. (٦) لا دليل ايضاً على ان عجز الجهاز المخصوص المسبب عن الامراض الجنسية قد ازداد انتشاراً من ذي قبل. وان الاحوال الحاضرة التي يدعى بانها تفسح المجال لهذه الامراض الجنسية لا تفوق الاحوال التي تزيد تبادل الثقة فتزيد اليسار والغنى. فان رقيّ المدنية الحاضرة اقتصادياً لا يلتئم مع زيادة الخيانة والتراخي في حفظ الآداب. (٧) لم يثبت ان الامراض الزهرية اكثر وجوداً في اماكن قلة النسل وان الفساد الجنسي في عموم حالاته بين الاكابر والاصاغر ليس بالامر الحديث. (٨) ان دواعي قلة الاجور لا تدل على زيادة الفجور بل ان الاستقلال الاقتصادي الذي طلبتهُ العاملات كان ادعى الى نماء روح العفاف وضبط الذات مما كان في سالف الايام

(٣) ادلة الاقتصادي الايجابية

على ان تقليل النسل واقعٌ بارادة الانسان

(اولاً) ان ازدياد النفقة على الحمل الضرورية لاعالة الولد الى زمن استقلاله المعاشي كافية للزهد بكثرة النسل ولما في تحمل هذا العبء الباهظ من ارهاق الابدان وارهاق النفوس حتى تسوق الكثيرين الى ارتكاب المحظورات من الانتحار وركوب الاخطار خصوصاً بعد ان طالت في هذا العصر اعوام اعداد الولد للاستقلال الذاتي الى حدّ بعيد

(ثانياً) ارتفاع نواصر المرأة على الزواج او حريتها المدنية باختيارها نصيبها المعاشي عما اتسع لها من مجال الاعمال والاستقلال الذاتي طلباً لمآرب مختلفة لا تأذن بها الحالة الزوجية مما يؤدي الى قلة النسل

(ثالثاً) ازدحام المدن وشدة تزاحم الخلق على ادراك الرزق قد زهّدا الجم الغفير برباط الزواج والإقدام على مشاق العائلة وتجرّع ما فيها من غصص الهموم مع ما ازداد الى اليوم من تعرّض الاعمال الى اخطار التأخر والتقصير والانحطاط

(رابعاً) نماء روح الجمهورية واتساع مجال الارتقاء لعامة طبقات الناس وانفتاح ابواب الآمال لادراك المعالي بالاقدام والجد والكدح مما يشمل المتأخرين عن التقيد بقيود العيال — (على ما يدعون)

(خامساً) تأخير زمن الزواج من جانب الرجال الى ان يفوت زمن النتاج النسائي والنساء في هذه الحال إما ان يضربن صفحاً و يعرضن اصلاً عن الزواج او يتزوّجن بعد انقضاء شطرٍ من اعوام النتاج ان لم يكن بعد فواته كلياً · وكلا الامرين مقلّلٌ النسل بلا اشكال وواقعٌ من جانب الارادة على كل حال

(سادساً) اتخاذ الوسائل المنعية لقلة النسل بعد الزواج وذلك يجري على عدة طرق (١) اسقاط الاجنة المقصود — مع عدم خلو الحال من قتل الاطفال — (٢) بالاسباب الطبية المعروفة بالمانعات · وذلك انهُ لما كان في امكان الطب ان يزيل الموانع العارضة للاعضاء غير الارادية كان بالاحرى اقدر على ادخال موانع النتاج · ودليلهُ كثرة قصّاد الاطباء في طلب هذه (المانعات) واشتمالها على اختلاف في ذكاء المستعملات فان بعضهنّ يستعملنها بلطيف الاسلوب والأخر على وجه خشن ضار

ومما يسهّل استعمال هذه العلاجات المنعية ازدياد معارف الآنسات الفسيولوجية في المدارس منذ نحو اربعين عاماً · فانَّ ابنة العشرين اليوم اعرف بالتشريح والفسيولوجيا والميجيين من جدتها وهي في هذا العمر · فالمتزوّجات من بنات العصر اعلم بوسائل تقليل النسل من اخواتهنّ منذ ٢٠ سنة · قال احد المؤلفين « ان هذه الرغبة المنعية آخذة بالازدياد حتى في جرمانيا فانهُ شاهد عدداً كبيراً من النشرات الطبية « المنعية » تباع جهاراً نهاراً في حوانيت باعة الكتب دون حرج من قبل الحكومة وقد لاتزيد ثمن النشرة عن ثلاثة غروش »

ومن مؤيدات مذهب الاقتصادي ايضاً ان قلة النسل نشاهد حيث تكون قلة الوفيات

اي انهُ كما ان العناية الصحية تقلل الوفيات (بالارادة) كذلك تكون قلة المواليد بسبق النظر والقصد بمعنى انهُ حيث تقلّ العناية الصحية بقلة الالتفات والاهتمام تكثر الوفيات والمواليد معاً

ومن الادلة على عمل الارادة في هذا الباب ما عُرِف من تاريخ اوائل النازلين في الولايات المتحدة فان من كانوا يحلون اطراف البلاد وهم على حال من الخشونة يدافعون بها السكان الاصليين كانوا اشد اقبالاً على الاكثار من العيال لما في الحالة العائلية من حياة التعاون حتى لقد كانت وفرة الاولاد لديهم من اعظم الآلاء واثمن ذخائر الاستقبال واقوى العدد على ايام الهرم والعجز ولكنهُ لما انقضت تلك الاحوال وزالت الدواعي واحدقت المدن تغص بالسكان جعل الناس يشعرون بثقل اعباء الزواج المعلومة الحال . ولما فُتحت ابواب الاستخدام في وجوه (العوانس) من الاوانس اخذن في تأخير زمن الزواج فقلت العيال وتناقصت المواليد حتى اصبح ايومنا هذا كل من اقدم على الزواج الباكر وهو ليس بذي يسار ولا من اهل الاقدام والازحام معدوداً من قصار النظر وعادمي البصيرة وضعاف الحزم والعزم وضبط النفس . و بات على عكسهِ كل راجح العقل و بصير بالعواقب لا يقدم على التقيد باغلال الزواج الاَّ بعد اتساع المطامع وادراك الرغائب في ميدان الزحام حيث لا يُرجى من زواجهِ خصب النتاج . قال في هذا البحث احد كبار الكتَّاب « لا ريب ان حب الرفاه في الاجتماع الحاضر وقلة المواليد امران متلازمان لان حبَّ الرفاه معتمدٌ على فعل الارادة ومتى استقلَّ الرفاه عن فعل الارادة كما هي حال البائسين والمحرمين ازداد متوسط المواليد . وعلى ذلك فليست قلة المواليد علة الرفاه كما يدعي بعضهم بل ان الرفاه هو علة قلة المواليد على العكس وكلاهما نتيجة لعلة واحدة وهي الارادة والبصيرة . وانهُ اذا زال الميل الى الرفاه عادت المواليد الى ما كانت عليهِ في العصور السالفة » وخلاصة ادلة الاقتصادي كما هي ان مذهبهُ في تعليل تقليل النسل موافق للحقائق الآتية

(١) ان اكثر الناس يتابعون في تقليل النسل الاحكام الفسيولوجية ولاسيما في هذا العصر

(٢) ان قلة النسل على نسبة مترابطة في كل مملكة راقية

(٣) ان النساء اليوم يؤخرن زمن الزواج عمداً في هذه الايام اكثر من سابق الازمان

(٤) ان عجز التوليد حاصلٌ من فعل الملاجات المتمية بدليل ان حديثات الزواج اذا قصدن تقليل النسل قلَّ عندهنَّ بالفعل او حرمونَ بتاتاً

(٥) ان حب الرفاه واطلاب الراحة وغلبة الجبن هي البواعث الكبرى على ذلك التقليل عند فريق من الناس غير قليل ان لم نقل عند الأكثرين

هذا والمفكر الحكيم بعد الوقوف على ما مرَّ في شأن هذا التقليل لا يرتضي منهُ بمجرد وقوعهِ وتحقيق تعليلهِ بل لا بدَّ ان يعرض لهُ فيهِ سؤَالان خطيران استيفاء للبحث واتماماً للفائدة وهما : (١) ما هو مبلغ تقليل النسل من صحة الداعي اجتماعياً واقتصادياً وادبياً . (٢) هل من وسيلة يا ترى عند اساطين الحكمة يتلافى بها وبال هذا الشر عند من يحسبونهُ شراً

مثري قندلفت

لورد افبري

وهو السر جون لبك

نعت المجلات العلمية والجرائد السياسية المالي الشهير والمصلح الكبير والعالم المحقق والسياسي المدقق لورد افبري المعروف باسم السر جون لبك توفي في الثامن والعشرين من شهر مايو الماضي عن ٧٩ سنة قضاها في خدمة العلم والعمران

الذين طالعوا المقتطف من اول نشأتهِ سنة ١٨٧٦ الى الآن رأوا فيهِ اسم السر جون لبك ثم لورد افبري مراراً كثيرة كخادم العلوم الطبيعية والادبية صادق الخدمة دقيق البحث كثير التآليف . ولعل لا يعلم كثيرون منهم انهُ لم يكن استاذاً من اساتذة العلم ولا كان البحث العلمي شغلهُ الذي انقطع لهُ بل كان مالياً مديراً لبنك كبير ورثهُ من ابيهِ ولهُ في الاشغال المالية شأن عظيم لا يقل عن شأنهِ في الاشغال العلمية ان لم يكن اعظم منهُ . وهو من رجال السياسة ايضاً خدم بلادهُ في مجلس النواب ثلاثين سنة ولهُ اليد الطولى في سن القوانين الآيلة الى راحة مستخدمي البنوك وكل العمال وفي اصلاح بعض الشؤُون المالية ولم يخرج من مجلس النواب الأحينما لُقّب بلورد افبري ونُظم في سلك الاشراف

كان ابوهُ السر جون ولم لبك رئيس بنك روبرتس ولبك وكان ايضاً من الكتاب الذين يشار اليهم في العلوم الرياضية والفلكية ولهُ كتاب في القمر وكتاب في اضطراب السيَّارات وكتاب في المد والجزر وكتاب في علم المرجَّحات ونحو ذلك من الكتب العلمية التي يستشهد بها حتى الآن ولذلك فالمترجم ورث العلم او الميل اليهِ وراثة

ولد في الثلاثين من ابريل سنة ١٨٣٤ . وتلقى المبادئ العلمية في مدرسة خصوصية

ثم أُرسل الى كلية اتن وعمره احدى عشرة سنة ولكنهُ لم يتركها فيها الاَّ ثلاث سنوات لان شريك ابيهِ مرض مرضاً شديداً فخاف ابوهُ ان يتوفى هو وشريكهُ قبل ان يتدرب ابنهُ على ادارة البنك فوضعهُ فيهِ ودرَّبهُ على ادارتهِ واشركهُ معهُ وعمرهُ ٢٢ سنة وذلك فما حصلهُ من العلم لم يحصلهُ في مدرسة جامعة بل في جمعيات لندن العلمية وحسب تلك الجمعيات مهماً علياً ان كان بين اعضائها امثال فاراداي واُون ولِيل ومرتشسن واري وهرشل وهوكر وتندل ومكسلي وسمسر وملس وورمزي وبوستونش وداروين وكلهم من العلماء الذين ألف قراء المقتطف اسماءهم

ولم يكد ينتظم بين ارباب البنوك حتى جعلوهُ سكرتيراً لجمعيتهم ثم رئيساً لها ورئيساً لغرفة التجارة ثم خلف لورد روزبري في رئاسة المجلس البلدي . واقام من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ نائباً عن مقاطعة مادستون في مجلس النواب . وانتخب غيرهُ للنيابة عنها سنة ١٨٨٠ فتألفت لجنة في مدينة لندن انتظم فيها داروين وهكسلي ولبك ومكس مار وتندل ورشحوهُ نائباً عن جامعة لندن فانتخب لها واقام نائباً عنها الى سنة ١٩٠٠ . وتمكن وهو في مجلس النواب من جعل المجلس يقرر ٢٩ قانوناً جديداً وهذا ما لم يستطعهُ احد قبلهُ وكان عضواً في لجنة تقدم المعارف ولجنة المدارس العمومية ولجنة سك النقود ولجنة التعليم ورئيس كلية العمال وجمعية توسيع التعليم بجامعة لندن وجمعية علم الحشرات وجمعية لينيوس والجمعية الاثنولوجية والجمعية الافريقية وجمعية علماء العاديات والجمعية الميكرسكوبية والجمعية الانثروبولوجية والجمعية الاحصائية ومجمع تقدم العلوم البريطاني

وقد ترجمنا خطبتهُ الاولى في مجمع تقدم العلوم البريطاني التي القاها فيهِ حينما رأسهُ في اواخر سنة ١٨٨١ ونشرناها في مقتطف فبراير ومارس وابريل سنة ١٨٨٢ وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة وعلقنا عليها حواشي كثيرة الفائدة وقد بدأها بتقدم علم البيولوجيا . وهاك بعض ما ذكرهُ في هذا الباب

البيولوجيا (١)

قال بعد المقدمة : كان الرأي العام منذ خمسين سنة ان الحيوانات والنباتات ظهرت الى الوجود في الصورة التي نراها فيها الآن . وكان الناس يرون جمالها ويعرفون شيئاً من طبائعها ولكنهم لم يفهموا منها اكثر من ذلك كما ان الناظر الى كتاب مكتوب بلغة لا يفهمها بحروف مذهبة ونقوش بديعة يسر برؤيتهِ ويعجب من بديع نقشهِ ولكنهُ لا يفهم شيئاً من معناهُ .

(١) علم ذوات الحياة بوجه عام

اما الآن فقد اخذت تباشير الحقائق تنير معنى كتاب الطبيعة وصرنا نعرف ان لكل اختلاف في هيئة الموجودات وحجمها ولونها ولكل عظمة وريشة وكل شعرة منها معنى من المعاني . وصرنا ندرك بعض هذه المعاني ايضاً وكلما حللنا قضية انجلت لنا قضايا اخرى والفضل الاكبر في حل القضية التي حللناها . ومن لهم اليد الطولى في هذا التعبير العظيم ابن وطننا الشهير دارون[٢] وان العلم ليذكر دائماً السنة التاسعة والخمسين بعد الالف والثمانمئة للميلاد التي خرج فيها كتابه المعنون «باصل الانواع» . وقبل ذلك بسنة كان دارون وولس[٣] قد نشر كل منهما مستقلاً عن الآخر رسائل صغيرة بيّنا فيها مبدأ الانتخاب الطبيعي[٤] . ولا عجب اذا كانت آراء دارون قد لاقت مقاومين اشدّاء عند اول ظهورها فانها قد صادفت مع ذلك انصاراً اقوياء في هذه البلاد مثل هوكر وهكسلي وهربرت سبنسر . اما مذهب دارون فينطوي على اربع قضايا

الاولى ان ليس في الدنيا حيوانان ولا نباتان متماثلين في كل شيء

الثانية ان الولد يميل ان يرث مزايا والديهِ

الثالثة ان قليلاً من الموجودات يبقى حيّاً حتى يبلغ الشدَّة

الرابعة ان الكائنات الحية الموافقة للاحوال التي هي فيها اكثر من غيرها هي الاولى باخلاف النسل

ولما شرع دارون في عمله اخذ يبحث عن اسباب الاختلاف بين الحيوانات ومقدارهِ وعن اصل التنابيات[٥] في الحيوانات الداجنة . وبيَّن عدم امكان التمييز بين التنابيات والانواع واظهر الفرق العظيم الذي احدثهُ الانسان في تنابيات نوع واحد كالفرق بين تنابيات الحمام وكلها من نوع واحد واطال الكلام في ما سماهُ الجهاد لاجل حفظ الوجود[٦] الذي ينجم عنهُ بقاء الاصلح للوجود وتأهيل كل جنس من الحيوانات للاحوال التي يقع فيها

ولم ينسب الى الانتخاب الطبيعي فعلاً يفعلهُ وحدهُ دون غيرهِ من الاسباب وان يكن قد بيّن ان لهُ فعلاً كبيراً جداً بل سلَّم ان هناك اسباباً اخرى تفعل معهُ مثل استعمال

---

(٢) هو تشارلس دارون ولد سنة ١٨٠٩ وهو الذي جعل مذهب تسلسل الحيوانات بعضها من بعض ولدَّم الادلة الكثيرة على اثباتهِ حتى صار ينسب اليهِ

(٣) عالم انكليزي شهير من علماء الطبيعة

(٤) يراد بهِ ان بعض الحيوانات والنباتات تناسبها الاحوال اكثر من غيرها فتخلف نسلاً اكثر منها

(٥) يراد بالتنابيات ما نسبتهُ الى النوع نسبة النوع الى الجنس كالكلب السلوقي بالنسبة الى نوع الكلب

(٦) يراد ان كل كائن حي يحاول ان يعيش بكل واسطة ممكنة لهُ ولو اضرَّت غيرهُ

الاعضاء واهمالها والانتخاب الجنسي [٧] . ولما التفت الى الصعوبات التي تحول دون اثبات مذهبهِ نسب عدم وجود التباينات المتوسطة بين الانواع الى عدم كفاءة المعارف الجيولوجية وهذا اكرر ما قلتهُ في مكان آخر وهو ان الاعتقاد على فقدان الحلقات بين الانواع لنقض مذهب دارون لاعتقاد فاسد لان الذين يعتقدون عليهِ اذا وجدوا الحلقات بين نوعين عدوهما نوعاً واحداً . مثال ذلك ان الكلب وابن آوى يحسبان الآن نوعين مختلفين ولكن اذا كشفت حلقات متوسطة بينهما يعدان نوعاً واحداً لا نوعين . فذلك لا يمكن ان توجد حلقات بين نوعين و يبقيان نوعين لانهُ حالما تكتشف الحلقات يتحد النوعان و يصيران نوعاً واحداً . والحق ان كل نوع مؤلف من حلقات متشابهة تشابهاً شديداً

والمبادئ المعتمد عليها في تقسيم الحيوانات آخذة بالاقتراب من مذهب التسلسل [٨] وصار البيولوجيون يحاولون ان يرتبوا الحيوانات على ما يسمى بالنظام الطبيعي فما من احد يضع الآن الحيتان بين الاسماك ولا الخفافيش بين الطيور ولو خالفوا بذلك المشابهة الظاهرة حتى قال دارون ان الطبيعيين يطلبون تعميم مذهب التسلسل وهم لا يشعرون والا فكيف نفسر تماثل العظام في يد الانسان وجناح الخفاش و يد الفرس وزعنفة الدرفيل واتفاق عدد الفقار في رقبة الزرافة والفيل

وقد جاء علم الامبريولوجيا [٩] بادلة قوية لاثبات مذهب التسلسل ومن هذه الادلة وجود الاعضاء الاثرية [١٠] مثل الاسنان التي تكون في فك العجل ولكنها لا تشق لثتهُ ولا تظهر ومثل الاجنحة العديمة الفائدة في بعض الخنافس والشرايين التي تكون في اجنة الانواع العالية من ذوات الفقرات مماثلة للشرايين التي تكون في الاسماك [١١] ومنها وجود الرقط في فراخ الشحرور والخطوط في اشبال الاسد ونحو ذلك مما يستدل منهُ على ان هذه الآثار هي آثار اسلاف الحيوان التي تظهر فيهِ

---

(٧) يراد بذلك اختيار الاناث بعض الذكور على البعض الآخر او اختيار الذكور لبعض الاناث

(٨) المراد بهِ تسلسل الحيوانات والنباتات من اصل واحد او من اصول قليلة بفعل العوامل الطبيعية بها

(٩) علم الاجنة

(١٠) آثار في بعض الحيوان والنبات تقابل بعض الاعضاء في حيوانات ونباتات اخرى فيظن انها كانت اعضاء ثم زالت بعدم استعمالها او بغير ذلك وبقي اثرها

(١١) هي الشرايين التي يتطهر فيها الدم في غياشيم السمك

ولم يزل كثيرون يسيئون فهم آراء دارون فيقولون انهُ ينتج منها امكان صيرورة الخروف ثوراً والحال ان دارون لا يذهب الى امكان استحالة الواحد الى الآخر مطلقاً بل الى ان لكليهما اصلاً واحداً

وما من احد يسعهُ ان ينكر مقدار الرغبة الشديدة في درس التاريخ الطبيعي التي كان دارون سببها وعدد الآراء التي فتح لها باباً فاننا كما نعرف منذ صغرنا ان النمر مرقط والبر مخطط والاسد مصفرٌ ولكن لم يخطر لنا ان نسأل عن سبب ذلك حينئذٍ ولو سألنا ما وجدنا مجيباً . واما الآن فصرنا نعلم ان خطوط البر تشير الى سكناهُ الآجام وصفرة الاسد الى قيامهِ في صحاري الرمال ورقط النمر الى جلوسهِ تحت الاشجار التي تخرقها اشعة الشمس فترقط افياءها رقطاً كلونهِ . وقد بيَّن ولس ان ذلك يصدق على الطيور ايضاً لان المفتوحة الاوكار منها قاتمة اللون لكي لا ترى . وبيَّن وَيسْمَن ان ذلك يصدق ايضاً على الديدان فانها تشبهُ ما تسكن فيهِ وبين بايتس انهُ يصدق ايضاً على الفراش . انتهى

وهذه الخطبة طويلة وكلها على هذا النسق من الانسجام ووضوح المعاني وقوة الادلة العلمية وهي خير مثال لاسلوب اللقيد في الانشاء وقد راعينا فيها الاصل الانكليزي على قدر الامكان . ويظهر منها ايضاً ان اللقيد كان من انصار دارون القائلين بقولهِ . ولقد كان دارون استاذهُ في البحث العلمي لانهُ اغراهُ بهِ وهو فتى صغير السن فشبَّ عليهِ وتعرَّف بكبار العلماء الذين ذكرناهم آنفاً فزادهُ تعرُّفهُ بهم رغبة في البحث والتحقيق والف الكتب العلمية المحتمة . ومن اشهرها كتاب العصور السابقة للتاريخ وكتاب اصل العمران وكتاب النمل والنحل والزنابير وكتاب اصل الحشرات وتحوّلها وكتاب مشاعر الحيوان وكتاب الازهار البرية وعلاقتها بالحشرات وكتاب النقود وكتاب مناظر سويسرا وكتاب مناظر انكلترا وهما جيولوجيان وفصول في التاريخ الطبيعي

هذه كتبهُ العلمية اما كتبهُ الادبية فمنها كتاب فائدة الحياة وكتاب جمال الطبيعة وكتاب مسرات الحياة وهو جزءان وغير ذلك من الكتب والرسائل العلمية والادبية والسياسية . وقد طبع بعضها مراراً كثيرة وترجم الى لغات شتى فكتابهُ مسرات الحياة طبع تسعين مرة وبيع من الجزء الاول منهُ اكثر من ٢٥٠ الف نسخة ومن الجزء الثاني اكثر من ٢٠٠ الف نسخة وكتابهُ اصل العمران طبع ست مرات متوالية وقد تمَّ الطبعة السادسة منهُ سنة ١٩١١

المشير شوكت باشا

لما تحولت الحكومة العثمانية من النوع الاستبدادي الى النوع الدستوري حمد العثمانيون مرامهم وأعجبت بهم دول الارض لان انقلاباً مثل هذا قلما يحدث من غير حرب عوان وسفك دماء كثيرة . ولكن ابى الدهر ان يدوم الصفاء للعثمانيين فرفعت الردَّة في الاستانة وحدثت مذابح اطنه وثارت حرب الروملي وفقدنا جانباً كبيراً من الولايات العثمانية والوفاً من الجيش العثماني وعدداً غير قليل من ضباطهِ وقوادهِ . وكانت ثالثة الاثافي ان اغتيل اثنان من حماة الدستور نيازي وشوكت . اما نيازي فسيرتهُ مبسوطة بالاسهاب في الكتاب الذي الّفهُ وترجم الى العربية وهو بين ايدي القراء . واما شوكت فقد وصفهُ كاتب انكليزي اسمهُ فرنسيس مكلا في الكتاب الذي شرح فيهِ سقوط عبد الحميد ولخصناهُ في العام الماضي . وقد رأينا ان نعيد الآن بعض ما جاء فيهِ عن شوكت باشا ونشفعهُ بأهم حوادث حياتهِ الى ان قُتل غيلةً في ١١ من شهر يونيو هذا

شبه المستر مكلا شوكت باشا بكرومول الذي قلب الحكومة الانكليزية منذ ٢٦٠ سنة وشكر جمعية الاتحاد والترقي لانها عرفت قيمة هذا القائد العظيم وقدرتهُ قدرهُ حينما كان اسمهُ غير معروف وقال ان كل رجال تركيا الفتاة يجمعون على انهُ لو لم يسرع بالفيلق الثالث الى الاستانة لاسترد عبد الحميد سلطتهُ الاولى . واورد قول ابي الضياء توفيق وهو انهُ لو تأخرت سلانيك مهد الحرية عن المبادرة قمع الفتنة لقضي على الحكومة الدستورية . ولم يكن اسم محمود شوكت باشا معروفاً ولكنهُ برهن على انهُ رجل فعّال وانهُ من اشهر قواد الجيش ولا يخشى من ان يتحمل كل مسؤولية . والذي انقذ الدستور من الالغاء هو سرعة اجتماع الجيش وزحفهِ على الاستانة وروح الغيرة والبسالة التي بثها القائد العام في صدور رجالهِ . وهذا رأي كل الثقات في علم الحرب من الاوربيين

ومن رأي المستر مكلا انهُ لو لم يزحف شوكت باشا بنفسهِ لانقاذ الاستانة والدستور بل ارسل بعض قوادهِ لوقعت المنافسة بينهم وعجزوا عن ادراك الغاية التي ساروا لاجلها وكذلك لو لم يأت هو بالسرعة التي اتى بها لاتفق كبار رجال الحكومة حول عبد الحميد وعادوا طوع بنانهِ كما كانوا قبل اعلان الدستور . ثم ذكر ترجمة شوكت باشا وهذه خلاصتها

ولد سنة ١٨٥٧ وابوهُ كتخدا زاده سليمان بك والي البصرة جاء الاستانة سنة ١٨٧٠ ودخل المدرسة الابتدائية في اثلامه طاش باسكدار ثم دخل المدرسة الحربية في قله لي

وانتقل منها سنة ١٨٧٨ الى المدرسة الحربية العليا واتمَّ دروسهُ فيها وخرج منها سنة ١٨٨٢ برتبة يوزباشي اركان حرب وكان الاول في صفهِ (فرقتهِ) وبعد قليل أُرسل الى كريت ليرافق الجيش الذي كان يراد ارسالهُ الى مصر لقمع الثورة العرابية وبقي سنة في كريت وعاد منها الى الاستانة حينما عدلت الدولة العلية عن ارسال جنودها الى مصر

وبعد قليل جُعل استاذاً في المدرسة الحربية العليا لتعليم علم الجبر والمقابلة ثم لتعليم علم اطلاق المدافع . وعُيّن باشارة الجنرال فون درغلتز من اللجنة الموكول اليها استلام ما ابتاعتهُ الحكومة من بنادق موزر بعد ان يراقب عملها في معامل المانيا . فذهب الى المانيا لهذه الغاية واقام فيها وفي فرنسا تسع سنوات قدم للحكومة العثمانية في خلالها اشغالاً كثيرة ناطتها بهِ تتعلق بابتياع المدافع والبنادق والبارود وعكف على درس المسائل الحربية من باب علمي . وعاد من المانيا سنة ١٨٩٦ لانحراف صحتهِ ورقي حينئذٍ الى رتبة امير لواء وكان الدرس الكثير قد اضعف اعصابهُ فمنعهُ الاطباء عن كل عمل يقتضي تشغيل العقل ولذلك لم يشترك في حرب اليونان

وسنة ١٩٠١ أُمر بمد سلك التلغراف بين مكة والمدينة فأُرسل الى الحجاز في السفينة العثمانية مرومة وكان فيها ستمئة من المغضوب عليهم وأُمر ان يودعهم في السجون الحصينة في بلاد العرب فأثر فيهِ منظر اولئك الرجال وحديثهم تأثيراً عميقاً وكان احترامهُ للسلطان قد ضعف بما شاهدهُ في فرنسا والمانيا ثم رأى من تعصب رجال الدين ومقاومة شريف مكة ووالي الحجاز ما منعهُ من مد السلك التلغرافي فعاد الى الاستانة وهو غير ناسٍ ما شاهد في السفينة وما لقي في الحجاز

وعين سنة ١٩٠٦ والياً لقوصوه وبقي في هذا المنصب حتى اغسطس سنة ١٩٠٨ وقيل عنهُ حينئذٍ انهُ شجاع ولكنهُ لا يصلح للولاية لانهُ حليم كأن الحلم والولاية لا يجتمعان. وكان يرى سوء ادارة البلاد ولكنهُ لا يرى علاجاً لهُ فتولاهُ اليأس . وكانت لذتهُ الكبرى في مقابلة الاوربيين ومحادثتهم في المواضيع التي كانت المحادثة فيها مباحة وهي العلوم والاداب والمسائل الحربية

ولما استدعي حلمي باشا من سلانيك ليتولى نظارة الداخلية جُعل شوكت باشا مفتشاً عاماً في مكدونية وبقي في منصبهِ في الجيش يتمرَّن على الادارة تمرُّناً يؤهلهُ للوزارة يوماً ما

وكان من رجال تركيا الفتاة فلما نشرت راية الحرية ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ كان اول من حيَّاها في اسكوب واقتدى بهِ كل وجهاء البلاد . وبلغ خبر اسكوب سلانيك فاقتدت

بها . واستدعته الحكومة الجديدة في اغسطس لقيادة الفيلق الثالث في سلانيك وبقي من ذلك الحين الى شهر ابريل وهمهُ الاكبر اصلاح شؤون ذلك الفيلق وبث الحمية والغيرة الوطنية في نفوس رجاله وضباطه وهذا الذي ساعدهُ على دخول الاستانة بعد ذلك وتخليص الحكومة الدستورية من الزوال

وقد حادث المؤلف شوكت باشا في كيفية زحفهِ على الاستانة فقال لهُ ما ترجمتهُ

« اني لم اسمع عن وقوع الفتنة في استانبول الا في ١٤ ابريل فارسلت تلغرافاً الى الاستانة احتجُّ به باسم الفيلق الثالث وارسلت التلغرافات اللازمة الى الاورط التي عزمت ان ازحف بها على العاصمة . وبلغني في المساء ان الضباط الذين تحت امري اجتمعوا في النادي العسكري فذهبت اليهِ لكي اخبرهم بما عوَّلت عليهِ ولكي انصحهم حتى يلزموا السكينة وقلت لهم ان التلغرافات التي وردت من الاستانة تدلُّ على ان الاستبداد قد عاد الى نصابهِ فاذا كان الامر كذلك فالحكومة لم تعد شرعية في نظري ولقد قلت لذوي الامر في العاصمة انهُ اذا صحت الاخبار التي بلغتني فالفيلق الثالث يزحف على الاستانة بكل قوتهِ حالاً لكي يزيل العار عن شرف العسكري الذي لطخته به فتنة ١٣ ابريل ولكي يعيد الدستور العثماني مصوناً كما كان . ولقد اعددت كل المعدات اللازمة للزحف وانا مستعد ان أسفك وأُسفَك في هذا السبيل واتوقع منكم الطاعة التامة لكي نفوز بالنجاح ولما قلت ذلك اقسم لي الضباط كلهم ان يطيعوني طاعة تامة . وبالحماس ساعة لا يزول ذكرها من نفوسنا »

فسألتهُ هل كان كلامهُ للضباط حينئذٍ اول كلام قيل في هذا الموضوع فقال نعم وطبع كلامي حالاً ونشر في البلاد كلها

وقد ذكرت الجرائد خطبة شوكت باشا هذه وقالت انها فريدة في بابها أثَّرت في السامعين تأثيراً عميقاً فصفقوا لها تصفيقاً حاداً ولا غرابة في ذلك لانها كانت بمثابة اعلان الحرب على عبد الحميد بل على مَن هو اضر بالبلاد من عبد الحميد اي على الذين يحاولون ان يقوّضوا اركان الدستور باسم الشريعة . وقد كان كلام شوكت باشا ورجاله صريحاً في هذا المعنى فقد قال الجنرال حسين حسني باشا قائد مقدمة الجيش المكدوني في المنشور الذي نشرهُ على اهل الاستانة « ان غرض الجيش الذي زحف على الاستانة هو ان يثبت لهم انهُ لا يعرف شريعة فوق الدستور ولا سيادة فوقهُ »

ولم يكد شوكت باشا يهدّد الاستانة بالزحف عليها حتى انتشر خبر تهديدهِ بواسطة التلغراف في السلطنة كلها ونشرت جريدة نيو حقيقت تلغرافهُ فوقع في الاستانة كالصاعقة

والحال جمل يعدُّ جيشهُ للزحف . وقالت جريدة التيمس حينئذٍ انهُ يتعذَّر عليهِ الزحف في اقل من ثلاثة اسابيع وانهُ اذا بلغ الاستانة ادهم باشا وناظم باشا لا يدعان جنود سلانيك تصل الى حدود الاستانة . ولكن شوكت باشا وصل في ثلاثة ايام بدل ثلاثة اسابيع ولما وصل لم يجسر ادهم باشا ولا ناظم باشا ان يصداهُ . ويتعذَّر وصف هذا العمل الخارق الذي عملهُ شوكت باشا الأ على كبار رجال الحرب الخبيرين بالحركات الحربية . والظاهر انهُ لم ينتظر الفرار رجالهِ على الزحف بل ارسل بعض الجنود امامهُ حالما بلغهُ خبر الفتنة

وقد قال المؤلف في هذا الصدد ما ترجمتهُ . « لما كنت على اهبة الزحف على الاستانة تقدَّم اليَّ عشرة آلاف من البلغار وثلاثة آلاف من اليونان متطوعين ولكني خفت ان استخدمهم كلهم يحدثوا في الاستانة حدثاً لانهم لم يألفوا التنظيم العسكري واكتفيت بثلاثة آلاف منهم فرقتهم بين الاورط العثمانية المختلفة »

قال المؤلف واذا ذكرنا فضل شوكت باشا في انقاذ الحكومة الدستورية لا ننسى اخوانهُ الضباط وكل اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وكل رجال الملكية في سلانيك الذين تطوعوا في الجيش لانقاذ البلاد ولاسيما نيازي الدستور انور وبازي اللذين كانا في طليعة رافعي راية العصيان على الحكومة الحميدية السابقة . انتهى كلام المستر مكلا باختصار كثير

ولما سقطت وزارة حلمي باشا في اول سنة ١٩١٠ واستلم الصدارة حقي باشا جعل شوكت باشا ناظراً للحربية . ثم لما سقطت وزارة حقي باشا في بداءة الحرب الطرابلسية اعطيت الصدارة العظمى لسعيد باشا فألف الوزارة في ٤ اكتوبر سنة ١٩١١ وبقي شوكت باشا ناظراً للحربية لكنهُ استعفى في ٩ يوليو الماضي (١٩١٢) وتبعهُ الصدر الاعظم بعد اسبوع واعطيت الصدارة لكامل باشا فاعطى نظارة الحربية لناظم باشا الذي قُتل غيلة في اوائل هذه السنة واضطر كامل باشا حينئذٍ ان يستعفي من منصبهِ واعطيت الصدارة لشوكت باشا فالف الوزارة في ٢٤ يناير الماضي واستلم هو نظارة الحربية مع الصدارة العظمى وبقي فيها الى ان اغتيل يوم الاربعاء من الحادي عشر من هذا الشهر فانهُ كان راكباً اوتوموبيلهُ وذاهباً الى الباب العالي ومعهُ ياورهُ البحري ابرهيم بك فدنا منهُ اوتوموبيل آخر ووثب منهُ رجال اطلقوا مسدساتهم عليهِ وعلى ياورهِ فقتل الياور في الحال واما هو فاصيب في مقتل وتوفي بعد اصابتهِ بنصف ساعة . وقبلما فاضت روحهُ صاح قائلاً واحسرتاه على الامة . ولقد خسرت تركيا باغتيالهِ خسارة لا تقدَّر لانهُ كان من اعظم قوادها المتفانين في خدمتها وسيظل اسمهُ بين اسماء شهداء الحرية

اصيلا

سألني سائل عن هذه المدينة التي ورد ذكرها في تلغراف روتر اذ قيل ان جنود الاسبانيين خرجوا منها لفك اسرام من المغارمة واراد معرفة اسمها العربي الصحيح الذي لا يزال مستعملاً عند اهل تلك البلاد الى اليوم. وداعٍ لهذا السؤال اختلاف الجرائد اختلافاً عظيماً في تسميتها وقال انه رآه في المؤيد «ارحيلة» وفي المقطم «ارزيلا» وفي الاهرام «ارسيلا» واما الجريدة فقالت انهُ «عرربلا» فاتيت بهذا البيان ليكون فيه تذكرة للجمهور فاقول

هي احدى مدائن المغرب الاقصى «مراكش» واسمها الصحيح «آصيلا» او «أصيلة» ذكرها الشريف الادريسي في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وياقوت الحموي في (معجم البلدان) والوزير ابو عبيد البكري في كتاب (المسالك والممالك) وغيرهم من العلماء الاسلاميين الذين سيرد ذكر بعضهم في هذا البيان. وخلاصة ما قالوهُ انها مدينة صغيرة جداً واقعة على رأس الخليج المسمى بالزقاق «المعروف الآن بوغاز جبل طارق» ويشرب اهلها من مياه الآبار وبخارجها آبار عذبة وهي في سهلة من الارض حولها روابٍ لطاف والبحر بغربيها وجنوبيها. واذا هاج بلغ موجه حائط جامعها. وعلى مقربة منها مدينة القصر المذكورة في تلغراف روتر وتمام اسمها قصر عبد الكريم. وبينهما نهر عذب تدخلهُ المراكب ثم يلتقي بنهر آخر فيتكون منهما نهر كبير هو المعروف الآن بنهر سبو (واسمهُ عند الافرنج قديماً لكوس Luccus) فيركب فيه الناس بالمراكب حتى يصلوا الى البحر اي المحيط الاطلانطي»

وكان على مدينة اصيلة سور وكان لها خمسة ابواب وكان لها سوق حافلة يوم الجمعة

وقد اشتهر من اهلها نفر من كبار العلماء المنسوبين اليها نذكر منهم

اولاً المميرة الكتامي وهو اصيلي «عن نفح الطيب»

ثانياً ابو عبد الله الاصيلي سمع منهُ ابن جبير الرحالة الاندلسي الشهير «عن نفح الطيب»

ثالثاً احمد بن عبد الله بن موسى المكناسي من اهل اصيلا يعرف بابن العجوز «ترجمهُ ابن بشكوال في كتاب الصلة»

رابعاً عبدالله بن ابراهيم بن محمد الاصيلي « ترجمهُ الفرضي في تاريخ علماء الاندلس » وكان حرج الصدر ضيق الخلق

خامساً محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن عبدالله الاصيلي من اهل قرطبة (ترجمهُ ابن الابار في كتاب التكلمة لكتاب الصلة)

سادساً عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاموي المعروف بالاصيلي من كبار اصحاب الحديث والفقه والرحلة وهو من اهل رواة البخاري . وكان ابوهُ يسمى ابراهيم زق الابرة لشكاسة كانت في خلقهِ وذكرهُ الضبي في بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس

وقد ذكر صاحب نزهة الحادي في اخبار القرن الحادي هذه المدينة باسم ثغر اصيلا وقال في جملة كلامهِ ان بني وطاس كانوا يقاتلون الافرنج فيها وسماها في مكان آخر « برباط اصيلا » لان فريقاً من المسلمين كانوا يرابطون بها لاقامة الدين وحفظ الثغر من هجمات المغيرين . ولكن الثورات الداخلية والفتن الاهلية التي حدثت بتلك البلاد انتهت بتسليمها الى ملك البرتغال دون سباستيان سلمها اليهِ مولاي محمد بن عبد الله في حدود سنة ٩٨٣ هجرية فكان ذلك من جملة الاسباب التي دعا عليهِ علماء المغرب الاقصى في رسالة طويلة اوردها محمد الصغير الوفراني في كتابهِ المذكور

ثم لما ثار الناصر بن الغالب بالله على عمهِ ابي العباس المنصور (صاحب المغرب الاقصى) واضطر الى الانهزام من وجههِ فرَّ الى اصيلا والتجأ الى اصحابها من الافرنج ومنها عبر البحر الى جزيرة الاندلس عند طاغيتها

ثم اجلاها الافرنج في سنة ٩٩٧ هجرية ولكنهم قبل ان يخرجوا منها حفروا تحت قصبتها « يعني قلعتها » حفيراً وملأوهُ باروداً واوقدوا فتيلة تبلغهُ عند مقدار دخول المسلمين فنجاهم الله من الوبال وكفى الله المؤمنين القتال وكان ذلك في ايام دولة اشهر مشاهير امراء المؤمنين بالمغرب الاقصى واعني بهِ السلطان ابا العباس احمد الملقب في التاريخ بالمنصور الذهبي . وقد مدحهُ ابو العباس احمد بن القاضي واشار الى مكيدة البارود فقال :

يا ايها المنصور ابشر بالعلا ... فالله بلغ في العدا المأمولا
اقضاكم سيفاً حتف عداتهِ ... وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمتمُ الشرك المبين بعزكم ... من غير سيف قد يرى مسلولا

وادبت اكاد الخبيث بهجة ونجتم دار المدى (آصيلا)
اكرم به من مالك بل صالح اضحى لناروود العداة حليلا
لا زال في افق العلا شمسا وفي عين المدى يشاكل التكحيلا

ثم تبدلت الاحوال وتقلبت الايام وتخاذل اهل البلاد فهجم عليها الاسبانيون فاخذوها ولا تزال في ايديهم الى الآن

ونعود الى الكلام على اسم هذه المدينة عند العرب فنقول: ان القوم ارادوا التخفيف فقالوا فيها: «ازيلا» و «اريلي» ولكن الاسم الصحيح هو كما ذكرنا «اصيلا» او «اصيلة» كما تدل عليه نسبة العلماء اليها. وقد قال الصبي في بغية الملتمس «اصيلة من بلاد العدوة بلد بقرب طنجة وهو اليوم خراب ويقال فيه اريلا بالزاي»

بقي علينا ان نعرف لماذا قال الاسبانيون ارزيلا Arzila حتى اوقعوا مترجمي جرائدنا بالامس في ما وقعوا فيه. ان الاسبانيين حينما نقلوا الاعلام الى لغاتهم ارادوا ان يقربوا ما امكنهم من اللفظ الذي كانوا يسمعونهُ من افواه العرب فلما صادفتهم الحروف العربية التي تستوجب الاطباق او التفخيم مثل الراء والصاد والضاد ونحوها وضعوا ما يقاربها من الحروف المفخمة في لغتهم واضافوا اليها حرفاً ثانياً يقاربها ليكون دليلاً على كيفية النطق العربي. مثال ذلك انهم قالوا في الرملة Arrambla (الرملة) وفي الحمراء حمراء غرناطة Alhambra الحمبرا وفي القاضي alcalde «الكالدي» اما «القائد» فيقولون فيه alcaide الكايدي. ذكرت ذلك لمنع الاشتباه الذي طالما يحصل للمترجمين عند ما يقع لهم هذا اللفظ الاخير فيترجمونهُ بالقاضي. وعلى هذا النحو قالوا في مدينة اصيلة «Arzila (ارزيلا)

هذا وقد ذكرت «الموسوعات الفرنسية الكبرى» " La Grande Encyclopedie Française ,, هذه المدينة فقالت ما تعريبهُ: اسمها العربي اصيلة Aszilah وهي فرضة صغيرة من بلاد مراكش واقعة على المحيط الاطلنطي فيما بين العرايش (Larache) وطنجة (Tanger) وعلى ٤٨ كيلو متراً من هذا البلد الثاني. كان لهذه المدينة الصغيرة شيء من الاهمية في الزمان القديم وقد اصبحت الآن قرية حقيرة قذرة يسكنها قوم من صيادي السمك لا يزيدون عن الالف نسمة وهي واقعة في مكان المدينة الرومانية القديمة التي كانت تسمى زيليا Zilia او زيليس Zilis

احمد زكي

مزار الامام علي الرضا في مشهد

تمكن ضابط انكليزي من جيش الهند يقال لهُ الكولونل هري ستاثلي ماسي من زيارة قبر الامام علي الرضا (بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب المتوفى سنة ٢٠٣ هـ = ٨١٨ ميلادية في خلافة المأمون) وهذا القبر في مدينة مشهد ببلاد العجم ويزورهُ كل سنة اكثر من مئة الف يأتون من جميع الاقطار. وقد نشر هذا الكولونل حكايتهُ في زيارة هذا القبر في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية واليك حديثهُ

نلت سنة ١٨٩٣ اجازة اثني عشر شهراً ورأيت ان اقضيها في التجول ببلاد العجم رغماً عن شدة شوقي الى وطني. وكان يصحبني الكولونل مدلي وضابطان آخران وخادم هندي فركبنا البحر الى خليج فارس ثم مررنا بمقاطعة بشقرد وكان اهلها في هرج ومرج خارجين على الشاه. الا اننا لم يتعرض لنا احد بسوء في كل طريقنا بل سرنا بامان الى ان اتينا طهران عاصمة البلاد حيث قضينا وقتاً حافلاً بالسرور. وواصلنا سيرنا الى بحر قزوين حيث غادرنا مدلي متوجهاً الى اوربا

ومن هناك سرت نحو مشهد فاتيت الى مدينة كوشان (اوكابوشان) فوجدتها قاعاً صفصفاً اذ كان الزلزال قد اخربها قبل وصولي اليها بعشرة ايام وقتل فيها ١٢ الف نفس. ولم أرَ فيها بناء شاخصاً الا مزاراً لولي من نسل الامام الرضا ويعرفونهُ باسم « زيارت امام زاده صاحب ». ولولا اني شاهدتهُ شاخصاً بعيني لما صدقت ان الزلزال الذي اخرب تلك المدينة ابقى على شيء من البناء فيها

وقمنا من كوشان عند شق الفجر واصطحبت معي مساوي شمس الدين وخادمي وهو هندي فتزييت بزي الافغان وامتطينا البغال عقتبين معنا ما لا غنى لنا عنهُ من الامتعة وادعيت اني ذاهب لصيد البط الى الجنوب من كوشان. وامرت المكاري الذي كان ينقل امتعتنا ان يذهب بها الى دار القنصلية الانكليزية في مشهد حيث يجدني في انتظاره

وكانت نفسي تتوق الى مشاهدة مزار الامام الرضا في مشهد وكنت قد عرفت ان الرحالة فامبري تمكن من الدخول اليهِ سنة ١٨٦٣ بزي درويش متسول منتشث الشعر يرتدي الاسمال البالية اما انا فرأيت ان اترفع عن ذلك واتزيى بزي رجل من اشراف الهند وقد سهّل عليَّ ذلك اعتيادي لبس الزي الهندي وكنت ارتاح الى لبسهِ كما ارتاح الى لبس

الزي الاوربي فادعيت اني سردار من حيدر اباد واني افغاني الاصل اضطرَّ والدي الى مغادرة وطنهِ قبل ذلك العهد بعشرين سنة . وكان لا بدَّ لي لقيام ادعائي هذا من معرفة الهندستانية والفارسية والافغانية وقد كان لي المام بهذه اللغات الثلاث . ولم يكن لي بد من اختلاق اسباب اوردها جوابًا لكل من يسألني عن سبب زيارتي للمزار ولفقت قصصاً اخرى جعلتها عدتي للتخلص من اسئلة الناس الفضولية التي كنت اخشى ان تكشف امرنا

وكان الناس يأنسون بنا في الطريق ويتقرَّبون منا ويطلعوننا على اخبار لو عرفوا اننا لا ندين بدينهم لما اطلعونا عليها كانوا كلهم يلقون باللائمة على اهل كوشان ويقولون انهم استحقوا ما حل بهم بارتكابهم الموبقات وانغماسهم في الشرور وقالوا لنا ان اميرها حسن خان لم يترك موبقة الأَّ ارتكبها ولا محرمًا الأَّ انتهكهُ حتى اهلكهُ الله هو وقومهُ . وبلغت منهُ الخلاعة انهُ مات وهو سكران. فلما حضرتهُ الوفاة دعا اليهِ متولي مزار امام زاده صاحب وبالغ في اكرامهِ ثم اخبرهُ انهُ يريد ان يدفن في قبر الولي فاشمأز المتولي لذلك وصاح بهِ ويلك أتأذن لي أن أنبش قبر ولي وأنزل فيهِ رجلاً مارقًا سكيرًا وتركهُ مغضبًا . فدعاهُ اليهِ في اليوم التالي ايضًا واعاد عليهِ طلبهُ وحاول اغراءهُ بالمال فلم يفلح . فلما خرج من عندهِ دعا اليهِ آلهُ واعوانهُ فلما مثلوا امامهُ استحلفهم وهو مرعٍ مزبد من شدة غيظهِ وسكرهِ على ان يدفنوهُ في المزار ان لم يكن بقوة المال فبالسيف

فلما مات اخذ اتباعهُ يهددون المتولي ويتوعدونهُ الى ان تواطأ معهم على ان ينقبوا نفقًا في الارض الى ان يصلوا الى قبر الولي فيودعوا رفات الامير فيهِ من غير ان يشعر الناس بذلك فلما كانوا على وشك اتمام عملهم هذا زلزلت الارض زلزالها واخربت المدينة وتركتها قاعًا صفصفًا . وقيل لي ان الولي ظهر لمتولي تلك الليلة فوبخهُ على عملهِ حتى اذا اتم كلامهُ بدأ الزلزال فاخرب المدينة كلها ما عدا المزار

وحدث لنا في الطريق ما كاد يفضح امرنا ويكشف سرنا وذلك اننا وصلنا الى مقصود اباد فعلمنا ان جماعة من الافغان نزلوا في الخان الذي تنزل فيهِ القوافل فخفنا عاقبة الامر ان نحن نزلنا معهم . فاتينا بيت رجل وسألناهُ ان يفسح لنا مكانًا لنبيت عندهُ فابى علينا ذلك فاخبرناهُ اننا حجاج وانهُ ان لم يفعل دعونا عليهِ عند قبر الامام واستنزلنا عليهِ اللعنات فعرتهُ الخشية وفسح لنا مكانًا للمبيت

ثم علمنا ان الافغان الذين في الخان هم اميران افغانيان اسم احدهما عبد المجيد خان

واسم الآخر عبد الحميد وهما اخوان ومعهما جمع من الخدم والحشم . واتفق ان صادفني شمس الدين مر باخان فالتقاه عبد الحميد فسأله عن اسمه وشأنه فاخبره انه خادم سردار من حيدر اباد وانه اتى الى بلاد العجم بمعيته فسأله عن اسم السردار فقال اسمه مظفرخان فقال له ومن اي قبيلة يكون فاجابه انه ابن عم نايب نور محمد خان من قندهار فسر عبد الحميد عند سماع ذلك وقال اذن هو قريبي وسآتي لاراه

فانقلب شمس الدين يهرول واخبرني بما وقع له وان عبد الحميد هذا آتٍ لزيارتي فاحلت احد خدمي لاستقباله واوجست خيفة من انكشاف امري . وما لبث عبد الحميد ان اقبل فكث معنا ساعة لا اعرف كيف انقضت عليّ من شدة ما استولى عليّ من الخوف ثم قام وانصرف وهو لا يشك انني قريبه . وشيعه شمس الدين الى الطريق فقال له ان رجال قبيلته سنيون فكيف يكون هذا شيعياً فقال له شمس الدين اني كنت يحب فتاة شيعية فتزوجها فلم يطب لها عيش معي لاني سني وما زالت بي حتى صرت شيعياً مثلها . فاطرق عبد الحميد هنيهة لدى سماع هذه القصة ثم رفع رأسه وقال لشمس الدين ليس سيدك رجلاً والا لما عمل ما يأنف منه كل افغاني

و بتنا ليلتنا في قلق عظيم لم تذق اجفاننا الكرى الا انه سري عنا في الصباح اذ رأينا الافغانيين قد شدوا الرحال وساروا . وسرنا نحن في جهة مشهد ذلك اليوم فوصلناها في اليوم التالي وهو الثلاثون من نوفمبر . ونزلنا احد خاناتها واخذ خادمي يعد لنا الطعام بينما كنت انا وشمس الدين نتهيأ لزيارة المقام فهندمت لحيتي حتى صارت بشكل نصف الدائرة وخضب شمس الدين اهداب عيني . ثم لبست سراويلاً من الكتان الابيض وجبة افغانية ولففت حول عنقي شالاً ملوناً بالاحمر والاصفر . ولبست على رأسي قلنسوة مخروطية الشكل كورت من حولها كوفية مزركشة الاطراف بالذهب . وجعلت في رجلي جوربين اسودين وخفين افغانيين يدقان ويطولان من الامام وينعقفان الى فوق وحملت في يدي سبحة ووضعت في جيبي منديلاً من الحرير الاحمر وقرصاً من الصلصال الذي يؤتى به من كربلاء لالقي عليه جبهتي عند الصلاة . وتختمت بخاتم من الفضة نقش على فصه كلمة مظفر وهو اسمي الذي انتحلته

وعند المساء خرجت انا وشمس الدين نحو المزار فدخلنا بابه الخارجي بعد ان لمسنا السلسلة التي تعترض الداخل فيه ومسحنا وجهينا بايدينا بعد لمسها تبركاً . ثم سرنا بين دكاكين

فيها كثير من الباعة والشارين والقصاصين ثم دخلنا في باب آخر فعرضة سلسلة غليظة ايضاً لمسناها كما لمسنا الاولى وافضينا الى صحن المزار

وقدرت طول هذه الدار من الشرق الى الغرب بثلاثمئة قدم وعرضها من الشمال الى الجنوب بمئتين وعشرة اقدام . وفي وسطها ماء يجري من الشرق الى الغرب في قناة من الحجارة الربداء . وفيها ايضاً كثير من الشواهد القبرية حتى كأن ارضها مفروشة بها وقد اخبرنا السيد الذي كان يطوف بنا ان تحت كل حجر منها اجساداً كثيرة وانهُ لا يوضع ميت فوق آخر في القبر الواحد الا بعد دفن الاول بثلاثين سنة . ولهذه الدار ثلاثة ابواب تفضي اليها من الشمال والشرق والجنوب والباب الرابع في جهة المزار الى الشرق . والابواب كلها مزدانة بالنقوش ويبلغ علو كلٍ منها ستين قدماً وهم يدعون كل باب مع بنائهِ ايواناً . ويبلغ ارتفاع الجدران بين هذه الابواب نحو ٤٠ قدماً وبها قناطر وشرفات ونقوش كثيرة . والى يسار الباب الغربي قنطرة قد سدت برخام عليهِ نقوش بديعة وافرغ ما بين نقوشهِ كما يرى في نقوش التاج في اغرا ببلاد الهند

وكان في الدار مئات من الحجاج وغيرهم يتطهرون او يصلون وهم ركوع وبالقرب من الايوان الذي عند القبر كثير من الرجال والنساء راكعون خاشعون يقرعون صدورهم ويبكون ذارفين الدموع السخينة يتضرعون الى الله والى الولي باسطين اذرعهم . ورأيت هناك كثيراً من باعة الفيروز والياقوت والبلور واليشب وقد اقبل الناس على شراء بضاعتهم حتى في تلك الساعة من المساء

فتقدمنا نحو الايوان الغربي وملنا الى يسارنا لندخل من القنطرة التي الى يمينهِ . فخلعنا احذيتنا ودفعناها الى رجل هناك يقوم على حفظ احذية الزوار فتفرس فينا قليلاً واخذها ووضعها بين الاحذية . ولما تركناهُ اقبل علينا سيد حديث السن على رأسهِ عمامة سوداء فعرض علينا ان يطوف بنا في المزار فيريا ما يجب ان يراهُ ويقرأ لنا الزيارتنامه . فاومأت الى شمس الدين فقال لهُ اغا زيد رجلاً اكبر منك سناً يطوف بنا . فتقدم عند ذلك سيد آخر يناهز الاربعين من العمر فاتخذناهُ دليلاً

لندخل بنا حجرة صغيرة وراء القنطرة ثم دار بنا الى اليسار فاتينا الى غرفة ضيقة طويلة ارضها مفروشة بالرخام الابيض وجدرانها مزدانة بنقوش الفسيفساء التي تمثل انواعاً من الازهار وتنيرها شموع في شماعدين معلقة بجدرانها . فلما دخلنا اليها وقف السيد وفتح كتابهُ ورفع سبابة يمناهُ وقرأ بعض الزيارتنامه بالعربية . ثم اتينا الى غرفة ثانية اكبر من هذه تزين

ارضها نقوش الفسيفساء ، وتغشي جدرانها الكتابات العربية المنزلة بالفسيفساء والذهب . وهذه الغرفة محاذية للقبر الى الجهة الشمالية منهُ . فاكمل السيد قراءة الزيارة تامة فيها على نحو ما تقدم ولما فرغ من ذلك درنا الى اليمين فدخلنا غرفة أُخرى الى شمال القبر ونقوش هذه الغرفة جميلة جداً والفسيفساء في ارضها مثل بساط عجمي بديع . ورأينا فيها مجاميد مفروشة وعليها نسخ من القرآن فاخذ السيد نسخة واشار الى كل ما يجدر حذوه فعملنا وقبل كل نسخة ورفعها الى جبهته . ثم سجدنا فترأ نحو صفحتين وهو يمسك بسبحة بيساي ثم اخرج من جيبه دفتراً صغيراً وسألني عن اسمي واسم قبيلتي ومحل اقامتي . وبعد ان دون ما اجبته به قال قد أُنزل اسمك واسم آبائك في سجل مقام الامام الرضا عليه السلام . وطلب مني مبلغاً من المال ليتلو سورتين من القرآن من اجلي في المقام كل سنة مداومة شمس الدين وارضاه بمبلغ دون ما طلب

ثم دخلنا الغرفة التي فيها القبر وساوبلنا على اعينها وكان دخولنا اليها من الباب الشمالي وهي الجهة التي فيها رأس الامام . والباب مصنوع من الذهب ويقابلهُ في الجهة الغربية باب آخر من الفضة . ولم اتمكن من رؤية الباب الشرقي جيداً لانهُ كان مغلقاً وحولهُ وفي السام اخرى من الغرفة حراس كلهم اعين تتفرّس في الحجاج فلم اشأ ان يقع نظري على نظرهم وخيل لي انني انا وحدي طالبتهم من بين الذين كانوا في الغرفة فكانت الدقائق التي لبثتها هناك احرج دقائق مرت عليّ في حياتي . اما الغرفة فيبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ٤٠ قدماً وعرضها نحو ٣٠ قدماً . وسقفها مقبب ويبلغ علوهُ نحو ٣٦ قدماً وهو مغشى بالذهب وتتدلى من وسطه ثريا توقد في سرجها الزيوت المطيبة . وجدرانها مزدانة بالفسيفساء التي تمتاز عن فسيفساء الغرف الاخرى بكثرة ما فيها من الذهب والجواهر . وعند اتصال القبة بالجدران مناطق زرقاء عليها كتابات عربية وعلى الجدران كثير من التحف والالواح المنطاة بالكتابة . وارضها مفروشة بالمرمر الاسود والابيض ونقوش الفسيفساء والقبر في وسط الغرفة ويحيط به درابزين يبلغ علوهُ سبعة اقدام بينهُ قطع فضة على اشكال جميلة . وقضبان الزوايا غليظة والى داخل الدرابزين ستائر مدورة تحجب القبر وقد علق عليهِ من الخارج الواح كثيرة من الذهب والفضة عليها كتابات بالحروف العربية وسعة القبر داخل الدرابزين تبلغ ٢٠ قدماً طولاً و١٢ قدماً عرضاً وله باب في الجهة الغربية لهُ قفل قديم من الفضة . وعلى الحاج ان يلمس هذا القفل ودرابزين الحديد . وكان في الغرفة ستون او سبعون حاجاً يطوفون حول القبر او يتشبثون بقضبان الدرابزين ويبلغ بهم الامر عند القفل وقضبان

الزوايا ان يدفع بعضهم بعضاً بالمناكب لان كلاً منهم يحاول ان يلمسها او يقبلها . ولا تسمع الاَّ اصوات البكاء والنحيب واستنزال اللعنات على المأمون والرشيد

اما الحجاج فمن جميع الطبقات منهم التجار بجبائهم الطويلة والفقراء بملابسهم البالية ولا فرق بين غني وفقير عند القبر . وعلى كل احد ان يطوف حوله ثلاثاً ففعلنا ذلك وكان السيد دليلنا يتقدمنا وكلَّما لمسنا القفل تلا علينا سورة وكلَّما اتينا الى مكان مخصوص اشترك معنا في استنزال اللعنات على المأمون والرشيد . ولما طفنا الطوفة الثالثة رميت على القبر بعض النقود بعد ان لففتها بورقة بيضاء وهي من النوافل التي لا يكلف بها كل حاج . ولما انتهينا خرجنا من الباب الغربي نمشي الى الوراء لكي لا نولي القبر ظهورنا فاتينا الى غرفة تكثر فيها النقوش والكتابات والتحف من جميع الانواع . وادوات الزينة في هذه الغرفة مثلها في سائر غرف المقام اي انها كثيرة القيمة غالية الثمن ولم يعن كثيراً بتنميق مظهرها لكي تجتذب الانظار وهذا مما يدل على غنى المقام

وخرجنا من هذه الغرفة الى قاعة كبيرة فيها كثيرون يصلون او يقرأون وهي عالية السقف ولم اميز كثيراً من نقوشها لانها لم تكن مضاءة جيداً . وعند دخولنا اليها درنا الى اليسار فاتينا على طبق كبير من الفضة مزين بالرسوم البارزة مثبت في الجدار على اربعة اقدام من الارض فقيل لنا انهُ الطبق الذي وضع عليهِ المأمون العنب ودس فيهِ السم وقدمهُ الى الامام فاكل منهُ ومات بعد ان قاسى آلاماً مبرحة . فقبلناهُ وتقدمنا الى حجر يبلغ طولهُ قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدمين وسمكهُ قدمين فقيل لنا انهُ لما اشتدت الآلام على الامام دنا من هذا الحجر الذي كان في مجدهِ فاحتك بهِ فلان الحجر عند ملامسة جسمهِ وذهب ما بهِ من التصاريس والحروف واصبح املس مقعراً فلم يجرحهُ ولا آلمهُ فابدينا احترامنا للحجر بتقبيلنا لهُ كالعادة . وخرجنا الى رواق فاتي بنا الى قنطرة فيها حجر اسود مستطيل طولهُ ١٢ قدماً وعرضهُ ست اقدام وسمكهُ ثلاثة اقدام ونصف قدم فدنونا منهُ مظهرين الخشوع اذ قيل لنا انهُ الحجر الذي غسل عليهِ الامام قبل دفنهِ فطفنا حولهُ ثلاثاً واضعين اكفنا عليهِ وقد اصبح وجههُ املس لامعاً لكثرة ما امتسحتهُ الأيدي

ثم اطللنا من هذا الرواق على جامع عليهِ نقوش جميلة . وكان بيننا وبينهُ دار في وسطها حوض قد اقبل عليهِ الحجاج الفقراء يشربون ويغسلون ايديهم وارجلهم ورأيت قريباً من هذا الحوض صخرة يحيط بها درابزين من الخشب فاخبرني الدليل انهُ كان هناك بيت لعجوز ابت ان تخلي عنهُ عند بناء الجامع

وعدنا الى حيث استودعنا احذيتنا فلبسناها واتينا الى صخرة كبيرة مجوفة في شكل حوض قد اقبل الناس عليها يشربون منها فقيل لنا انها سقطت من السماء وان الله ظهر لمتولي المقام في حلم واخبره ان لا يرفعها من مكانها بل يجعلها حوضاً يشرب الناس منهُ . فسألت احد الوقوف هناك فاعطاني طاساً من النحاس اغترفت به قليلاً من الماء وشربتهُ فاذا هو بارد منعش

ثم اجتزنا الدار التي فيها الماء الجاري على ما ذكرت آنفاً ومررنا بدكاكين واسواق صغيرة الى ان وصلنا الى دار اخرى يقال لها صحن نو او الدار الجديدة وفي احدى زواياها مقام يقال لهُ زيارت استاذ امام وهو في الدرجة الثانية من الاهمية بعد مزار الرضا . فاتيناهُ فاذا هو غرفة كبيرة مربعة في وسطها قبر مستطيل وتليت لنا الصلوات المعتادة

ولما فرغنا من ذلك سألنا الدليل ان نعود اليهِ في اليوم التالي لرؤية الاماكن الاخرى فابى الا ان نراها تلك الليلة لئلا تضيع علينا الفرصة . فما زلنا بهِ حتى سار بنا الى المقام الذي يقال لهُ زيارت قدم مبارك وهو غرفة مستديرة سقفها على شكل القبة فرأينا فيها قبالة الباب عند الجدار الغربي مائدة عليها سراج وثلاث شموع موقدة ووراء المائدة على ارتفاع ثلاث اقدام ونصف قدم من الارض حجر ابيض مربع يبلغ طولهُ ١٨ عقدة في مثلها عرضاً وفيهِ اثر قدم بشرية يقال انها اثر قدم الامام علي . فقبلنا هذا الاثر وجلسنا امام المائدة فتليت علينا بعض الآيات ثم طلب منا ان نرفع حجراً مقدساً بيضوي الشكل يبلغ طولهُ قدمين ونصفاً ومحيط دائرهِ ٢٠ عقدة وكان على دعامتين امام المائدة على ست عقد من الارض . وقيل لنا ان المؤمن لا يرى صعوبة في رفعهِ وان كان ضعيفاً اما غير المؤمن فيستحيل عليهِ ان يرفعهُ . فتركت امامهُ ومددت ذراعي تحتهُ الى المرفقين ورفعتهُ وتلاني شمس الدين ففعل مثلي

فلما انتهينا من مشاهدة ما اردنا ان نشاهدهُ خرجنا بعد ان ودعنا السيد الذي اتخذناهُ دليلاً فتصدى لنا كثير من المتسولين فتخلصنا من اول زمرة منهم بمعاونة السيد ولما وصلنا الى الثانية كان قد فارقنا فاحتلت عليهم بان رشقتهم بقبضة من النقود فاشتغلوا عنا بالتقاطها وانسللنا من بينهم ونحن نشكر الله على النجاة . وسرنا ونحن نلتفت وراءنا فاتينا الخان فخلعت ثيابي الافغانية ولبست ثياب السفر وامرت بتهيئة امتعتنا ثم اعملت المقراض لحيتي وتلثمت وخرجنا نطلب دار القنصلية الانكليزية

ومما اخبرنا بهِ الدليل وفاتني ذكره ان كل مجرم او مديون لجأ الى حرم الامام الرضا حُرِّم الاقتصاص منهُ او مطالبتهُ بالدين او القاء القبض عليهِ الا اذا اسلمهُ المتولي او اسلم هو نفسهُ . وللمتولي سلطة مطلقة داخل الحرم ولديهِ جماعة من الحراس يستعين بهم على حفظ النظام والسكينة بين الحجاج . انتهى

وقد وصف هذا المزار المستر ايستوك سنة ١٨٦٤ وكان قد قضى ثلاث سنوات في بلاد العجم قال « وحرم المزار مربع يبلغ كلٌّ من جوانبهِ الاربعة ١٥٠ خطوة . وفي وسطهِ قبة مغشاة بالذهب بناها نادر شاه وتحتها حوض ماء للوضوء . وعلى كل من جوانب هذا المربع الى الشمال والغرب والجنوب صف من القناطر كأنها محفورة في الجدران على ارتفاع ١٠ اقدام من الارض يجلس فيها الشيوخ بعمائمهم البيضاء . وعلى كل جانب باب كبير وقد زيد ارتفاع البناء فوق كل من هذه الابواب حتى صار اعلى من الجدران وبلغ ارتفاعهُ نحو مئة قدم . والقناطر التي يجلس تحتها الشيوخ بيضاء كأنها مكلسة او مبنية بالحجارة البيضاء . اما قناطر الابواب فزرقاء اللون وعليها كتابات كثيرة لونها ابيض وذهبي . وفوق قنطرة الباب الغربي شرفة بيضاء يقف فيها المؤذن عند الاذان وخارجهُ مأذنة كبيرة يبلغ ارتفاعها ١٢٠ قدماً وهي بديعة المنظر . وتاجها (اي الشرفة التي يقف عليها المؤذن) تغطيهِ النقوش الجميلة . وما فوق التاج من المأذنة الى ما تحتهُ بعشر اقدام مغشى بالذهب وقد بنى هذه المأذنة والقسم الذي تقدم وصفهُ من المزار الشاه عباس . ويدخل الى قبر الامام ببابين كبيرين في الجدار الشرقي والقبر نفسهُ من الرخام يحيط بهِ درابزين من الفضة عليهِ كرات من الذهب . ويرقى الى هذين البابين بسلم ووراءهما بابان اصغر منهما مرصعان بالجواهر وافضل جواهرها فصوص الياقوت اما المسجد الداخلي فيسع ثلاثة آلاف نفس وتعلوهُ قبة مغشاة بالذهب وعلى كل من جانبيها مأذنة مغشاة بالذهب ايضاً . والى يمين قبر الامام قبر عباس مرزا وحولهُ قبور امراء آخرين . ووراء القبة الذهبية قبة اخرى زرقاء زاهية اللون ومنظر هاتين القبتين الواحدة بازاء الاخرى جميل جداً »

المستشفيات الخيرية الوطنية[1]

سادتي

المعاهد الخيرية

حيا الله معاهد الخير وحيا اهلها وناصريها باجمل التحيات

حيا الله معاهد الخير في كل زمان ومكان وفي كل امة ولسان

لهي حبيبة البؤساء وعشيقة الفلاسفة والشعراء . هي ابتسامات الدهر العبوس . هي نفحات الازهار العطرة . هي رسل السلام و بلسم الجروح وطبيبة المرضى ومعزية الحزانى . هي مثال تلك الروح الهابطة من السماء التي تناجي وهي صامتة وتجالس اكابر الناس متاجيهم بأسرار الملائكة . هي روح العطف على الغير . بل هي الانسانية باعلى سماها وابهى سناها

امهات المصائب

ان امهات المصائب التي تتولد منها مصائب الدهر كانة ثلاث : « الفقر والمرض والموت » واشدها المرض لان المرض طريق الموت الاعم وقد طالما كان طريق الفقر والخراب . لذلك كان هَمّ رجال الخير منصرفاً بالاكثر الى محاربة المرض وتخفيف و يلاته بكل ما في الطاقة . واهم الوسائل التي اتخذوها لهذه الغاية « المستشفيات الخيرية »

تاريخ المستشفيات في النصرانية

اما المستشفيات على الشكل الذي نراه اليوم فلم تكن معروفة عند القدماء . بل كان المرضى يعالجون في منازلهم او في منازل اطبائهم وكان الطبيب اذا اشتهر بمعالجة مرض اصبح منزله مستشفى ذلك المرض على نحو ما نراه اليوم عند اهل البادية والحضر الذين لم تصل اليهم وسائل التمدن بعد

ويؤخذ من التاريخ العام ان المستشفيات على النمط المعروف اليوم لم تنتشر الا بانتشار النصرانية وتأسيس الابرشيات فكان كل مطران ينشئ مستشفى لمرضى ابرشيته حتى انه في عهد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ميلادية كانت المستشفيات معروفة في جميع البلاد النصرانية

---

(١) خطبة القاها عزتلو نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بحكومة السودان في الاحتفال بافتتاح المستشفى القبطي الخيري في شارع عباس بمصر في ١٢ يونيو سنة ١٩١٢

واول مستشفى اشتهر لهم مستشفى قيصرية (في كدوكية) اسسهُ الامبراطور فالنس في اواخر القرن الرابع (٣٧٠ — ٣٨٠ م) وفرشهُ بانفس الاثاث

واشتهر بعدهُ مستشفى كريستم في الاستانة . وانشئَ مستشفى اللقطاء في ميلان (٧٨٧ م) وعيجر في الاستانة في اواخر القرن الثامن

وفي القرن التاسع كان في رومية وحدها اربعة وعشرون مستشفى

واسس الكسيوس الاول مستشفى للايتام في الاستانة سنة (١٠٩٠)

وبعد هذا العهد اخذت المستشفيات تنتشر بزيادة مطردة حتى ملأَت اوربا واميركا وجميع البلاد المتمدنة . وهي الآن معدة لجميع انواع الامراض وجميع اجناس الناس وفيها المعدات والآلات الجراحية على احدث طراز

تاريخ المستشفيات في الاسلام

ويستدل من تاريخ التمدن الاسلامي للعلامة جورج بك زيدان ان العرب المسلمين اخذوا المستشفيات عن الفرس فاشتهر هؤُلاء مستشفى جنديسابور واول مستشفى اشتهر للعرب في الاسلام مستشفى دمشق انشأَهُ الوليد بن عبد الملك الاموي سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) واشتهر لهم مستشفى في بغداد اسسهُ الرشيد العباسي وولي رئاستهُ ليوحنا بن ماسويه من اشهر اطباء جنديسابور . واول مستشفى اشتهر في مصر مستشفى المعافر انشأَهُ الفتح بن خاقان وزير المتوكل . ثم مستشفى بن طولون سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢م) انفق عليهِ ٦٠٠٠٠ دينار . ثم المستشفى العتيق لصلاح الدين الايوبي في القاهرة. ثم المستشفى المنصوري للملك المنصور قلاوون من سلاطين المماليك اسسهُ سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . ثم المستشفى المؤيدي للملك المؤيد سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)

تاريخ المستشفيات في مصر

واول مستشفى اسس في مصر في هذا العهد مستشفى القصر العيني اسسهُ المصلح الكبير المغفور لهُ محمد علي باشا بمعونة الدكتور كلوت بك الفرنساوي الشهير ولا يزال قائماً الى اليوم تنبعث منهُ اشعة الخير الى كل جهات القطر

وما زالت الحكومة المصرية توالي السعي في تأسيس المستشفيات وتعميمها في القطر حتى بلغ عددها الآن خمسة وعشرين مستشفى خمسة في القاهرة وعشرون في الوجه

البحري والقبلي[1]

وللاجانب في القاهرة وحدها خمسة مستشفيات [2]

هذا ولما كان الرمد من اعظم الادواء التي منيت بها مصر اهتم المصريون بتأسيس مستشفيات خاصة لمقاومة الرمد

واول صوت ارتفع في هذا العهد لهذا المرض صوت الوطني الغيور الدكتور محمد علوي باشا في المؤتمر الدولي الذي عقد في هذه العاصمة سنة ١٩٠٢ لتحسين حالة العميان فاصاب ذلك الصوت الكريم هبة من المرارنست كاسل المالي الانكليزي الشهير بلغ ريعها السنوي الآن الفين وخمسمائة جنيه يضم الى ميزانية الصحة وينفق على مقاومة الرمد

وبعد هذه الهبة التي تدل على نبل صاحبها وكرم اخلاقه اهتمت الحكومة المصرية وكبار الاهلين ومجالس المديريات بتعضيد المشروع فاصبح في القطر الآن ثمانية مستشفيات ومدينة ثابتة وستة نقالة[3] يديرها الدكتور مكلين الرمدي الانكليزي الشهير ومعهُ نخبة من المفتشين الانكليز والاطباء الوطنيين

محاجر مصر

هذا وللحكومة المصرية محجر للحجاج في مدينة الطور بني على الطرز الجديد سنة ١٨٩٣ الف وثمانمئة وثلاث وتسعين وهو من اعظم محاجر الدنيا اتقاناً في هذا العهد . ومحجر في كل

---

(١) وهي مستشفى الامراض العصبية ومستشفى للمجاذيب في العباسية ومستشفى آخر للمجاذيب في الخانكه ومستشفى الحميات في العباسية . والمستشفى العباسي من بناء الاوقاف خاصة في ميدان عابدين وكلها في القاهرة وفي كل من المدن الآتية مستشفى في الاسكندرية ودمياط وبورسعيد والسويس وقليوب (و بانيه والقائم بنفقاته المحسن الكبير شعراوي باشا) وبنها والزقازيق وطنطا والمنصورة وشبين ودمنهور ومرسى مطروح (الوجه البحري)

وفي الفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج وقنا واسنا واسوان (الوجه القبلي)

(٢) وهي المستشفى الفرنساوي والمستشفى الايطالي وكلاهما في العباسية والمستشفى الالماني في شارع عباس . والمستشفى الانكليزي الاميركي في الجزيرة ومستشفى الدكتور ملتون الخاص

(٣) اما النقالة فهي اثنان من ريع هبة السر ارنست كاسل . واربعة من بناء مجالس المديريات اثنان في الغربية ومستشفى في اسيوط وآخر في الدقهلية

واما الثابتة فهي . مستشفى في طنطا من بناء الحكومة ومستشفى في اسيوط من بناء الحكومة والاهالي . ومستشفى في المنصورة من مال بدراوي باشا . ومستشفى في بني سويف من بناء الاهالي ومستشفى في الزقازيق من بناء مجالس المديريات وسيحتفل بافتتاحه في ١٥ نوفمبر سنة ٩١٢ ومستشفى في سوهاج والبناء جارٍ فيه الآن من مال الاهالي

من مدن السويس وعيون موسى و بور سعيد ودمياط ورشيد والاسكندرية

المستشفى القبطي الخيري

على ان جميع هذه المستشفيات والمحاجر في القطر المصري اما اميرية او اجنبية او اهلية تتعهدها الحكومة او الاجانب

اما « المستشفى القبطي الخيري » هذا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم فانهُ يمتاز عن سائر مستشفيات القطر بانهُ وطني محض وانهُ مؤسس بمال الوطنيين وقائم بمالهم ورجالهم وليس للاجانب او الحكومة يد فيه

فضل المستشفيات

ولا حاجة الى الاسهاب في فضل المستشفيات ومنافعها سواء كانت وطنية او اجنبية خيرية او تجارية . ثابتة او متنقلة . معدة لمرض خاص او لجميع الامراض فكلكم عالم ان المستشفيات تتوفر فيها الاطباء الاختصاصيون وفيها الادوية والادوات الجراحية على احدث طرز . وفيها الممرضات المتمرنات على التمريض علماً وعملاً مما يتعذر بل يستحيل توفرهُ في البيوت وعلى الخصوص في بيوت الفقراء

ثم ان المريض في منزلهِ يجد من اهلهِ واحسائهِ اشد الصابة واصدقها فهم يخدمونهُ بعيونهم وافئدتهم وكل جوارحهم ولكن المسألة الهامة هي هل يعرفون كيف يخدمونهُ بالطرق التي وصل اليها العلم في هذه الايام كما في المستشفيات ؟ كلا . بل الكثير من المرضى يذهب ضحية جهل اهلهم اصول التمريض فان التمريض اهمية لا تقل عن اهمية التطبيب . ومع ذلك ترى جمهور المصريين ينفر من المستشفيات . وقد سألت بعض الاطباء الخبيرين في ذلك فقال :

« انهُ في اوائل عهد المستشفيات في مصر لم يكن علم المكروبات (وما يتطلبهُ من النظافة والتطهير والتعقيم) معروفاً عند الجراحين فكان يدخل المصاب المستشفى بجرح بسيط فلا تراعى في معالجتهِ شروط النظافة فكثيراً ما كان يتعفن الجرح ويسمّ الدم ويذهب المصاب ضحية الجهل فنفر جمهور المصريين بحق من المستشفيات » . وما زال هذا النفور مستحكماً في النفوس الى اليوم مع انهُ لم يعد لهذا النفور موجب بعد الذي صارت اليهِ المستشفيات في الثلاثين سنة الاخيرة من النظافة والاتقان حتى اصبح الكثير من اهل اليسار والرقي وفي مقدمتهم الاطباء يفضلون المعالجة في المستشفيات عليها في منازلهم . فالمستشفيات الآن تعد للمرضى منتهى ما وصل اليهِ العلم من وسائل الراحة والمداراة والمعالجة . وبالتالي فهي المعهد

الاصلح لمعالجة المرضى وتخفيف الألم وتقليل الموت وكفى بذلك نفعاً . وهذا النفع انما يتمتع به الغني وحده في المستشفيات التجارية واما في المستشفيات الخيرية فيتمتع به الغني والفقير على السواء

فضل المستشفيات الخيرية

صادق · الشقاء في الناس كثير واشد الشقاء مرض يتقلب فيه الفقير البائس على فراشهِ يطلب الدواء فلا يجده والطبيب وما من مجيب والطعام والكساء والمأوى وهو معدم لا مال له ولا معين !! فما الذي يسد عوز هذا الشقي المسكين ويفرج كربته ويمسح دمعته ؟

— المستشفيات الخيرية — فسلام عام على المستشفيات عامة · وسلام خاص على المستشفيات الخيرية · وسلام اخص والف تحية على المستشفيات الخيرية الوطنية

فضل المستشفيات الخيرية الوطنية

صادق : اني اخص المستشفيات الوطنية بالسلام وجميل الذكر لان الاعمال الخيرية الوطنية في بلاد هي دليل الرقي الصحيح فيها اذ الاعمال الخيرية في قوم هي نتيجة شعور القوم انفسهم (لا حكومتهم ولا الاجانب الذين بينهم) بوجوب عطف بعضهم على بعض ومداواة بعضهم على البعض · وهذا الشعور وهذه المداواة لا يظهران الأ في اصحاب الرقي الذين كرمت نفوسهم ورقت افئدتهم

ومن المشاهد المؤيد بالادلة التاريخية انهُ كما ارتقى قوم في المدنية رق شعورهم واشتد عطف بعضهم على بعض

انظروا الى الهمج السود آكلة اللحوم البشرية فانهم اذا مرض عجوز في قبيلة دعوه الى قبيلة اخرى لتذبحهُ وهو حي وتأكلهُ ديناً عليها حتى اذا ما مرض عجوز من هذه القبيلة اخذتهُ القبيلة صاحبة الدين واكلتهُ سداداً لدينها

كم ينبغي ان يمر من العصور لتنقلب قسوة هؤلاء الهمج السود الى ضدها ويعطف بعضهم على بعض خصوصاً في ايام المرض والعجز

الانسان بمآثره ومبراتهِ

صادق : الناس في الشرع شرع متساوون في الحق والواجب فما يسود انسان على انسان الأ بعقلهِ ولا يفضل عنهُ الأ بمآثره ومبراتهِ

جد ما شئت في اعمالك ونوعها واحكمها فانك لا تجد بينها عملاً اروع من عمل الخير

انهو يسطع كالنجم ويتضوع كالمسك ويبعث السرور الى القلب ويكسب العامل محبة الخلق ورضى الخالق

كم لمؤسس جمعية الاسعاف من الآثار الجليلة في القطر ولكن الخير الذي يتدفق من تلك الجمعية على سكان القاهرة كل يوم قد غطى تلك الآثار واحاط اسم ذلك الوجيه المفضال بحر زاخر من العز والفخار

كم للفقيد العظيم الذي فاجأتهُ المنية امس من المآثر والمبرات ولكن سيبقى مستشفاهُ في قلوب درة في تاج مآثره الحسان ونجماً ساطعاً في سماء مبراته على مر الزمان

ثم اي عمل احرم عليه الشعب المصري الكريم اروع واجل من تبرعهم للهلال الاحمر وانقاذهم آلاف الابطال من آلام الجراح والجوع وويلات الحروب

فضل الجمعيات الخيرية

سادتي ، الناس في الوطن الواحد متضامنون في الخير والشر فاذا كثر عمال الخير فيهم صلح حالهم وبالعكس اذا كثر شرارهم

ولا بد لعامل الخير من صفتين راقيتين وهما « روح العطف على الغير وعادة الكف » ولا شيء ينمي هاتين الخلتين في امة مثل انتشار الجمعيات الخيرية فيها فان الجمعيات الخيرية تقوي فعل الخير في من ضعفت فيهم هاتان الخلتان معاً او ضعفت فيهم واحدة منها وتعودهم على الخير تدريجاً فان الخير عادة كما ان الشر عادة

والجمعية الخيرية القبطية تقوم بهذا الواجب الشريف نحو قومها فهي لهم المثل الصالح المحبب الى الخير والباعث الى جليل الاعمال والآن بانشائها هذا المستشفى قد صارت المثل الصالح للجمعيات الخيرية الطائفية في القطر كافة وحق لها بذلك الفخر وحق لها منا المنة وجميل الشكر

المرحوم بطرس باشا غالي

ومعلوم ان هذه الجمعية هي غرس ذلك الوطني الكبير والداهية الشهير صاحب المآثر الغراء على القطر المغفور لهُ بطرس باشا غالي وهذا المستشفى هو ثمرة ذلك الغرس الكريم فحبذا هذا الغرس وتغمد الله الغارس برحمته ورضوانه

والنفس ان كرمت وعز مرامها بلغت من العلياء كل مكان
وتشربت سر الخلود واثمرت مناً تخلدها على الازمان

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوّلة

الجسم الاجتماعي

الى المقتطف الاغر

اذا أُجزتم لي قلت ان ترجمة social organism « بالاجتماع الآلي » كما فعل مترجم نشوء الاجتماع لا تفيد معنىً مفهوماً لا ترجمةً ولا اصطلاحاً . وترجمتكم لها « بالحي الاجتماعي » او « الفرد الاجتماعي » وان كانت صحيحة معنىً لغوي لا تدل على المقصود منها دلالةً واضحة وربما صرفت المعنى من الكل الى جزئهِ وهو ليس المراد . والمراد هنا جسم الاجتماع لا اعضاؤهُ على نوعٍ خاص وان كانت اعضاؤهُ مثلهُ . — الا ترون ان ترجمتها بالجسم الاجتماعي كما فعلت انما تؤدي المعنى المقصود بالذات ؟

الجسم الاجتماعي في العلوم الاجتماعية يوافق المصطلح عليهِ في السياسة « بالهيئة الاجتماعية » وهي تعبير حسن جدًّا وكأني لم اسمع بها الأ من المقطم اولاً فهل انا واهم ؟

لفظة organism الانكليزية والفرنساوية مجردة في العلوم البيولوجية يعبَّر عنها بالعربية « بالجسم الحي » وفي الطب يعبَّر عنها « بالجسم مطلقاً » فاذ قلنا (L'organisme est épuisée) ترجمنا ذلك بقولنا « الجسم منهوك او مضنى » ويفهم بهِ جسم الانسان او الحيوان بدون نعتهِ بالحي فاذا اطلقناها على العلوم الاجتماعية ذكرناها معينة وقلنا بالافرنجية L'organisme sociale وبالعربية « الجسم الاجتماعي او جسم الاجتماع » ويفهم منها كما يفهم من « الجسم » في الطب اي ان الاجتماع جسمٌ حي ايضاً كما وصفهُ المقتطف من نحو ثلاثين سنة في تعليقهِ على بحث لي في الموضوع وصفاً حسناً بقولهِ عنهُ « حيوان هائل » يريد بذلك الاجتماع الطبيعي

واني استميح العفو منكم ومن مترجم النشوء على هذه الملاحظة الصغيرة ولا اختمها بقولي « والله اعلم » ما دمت فيها على يقين تام

الدكتور شميل

[المقتطف] نشكر صديقنا الدكتور الفاضل على ما نبه اليهِ بهذه السطور . ولو خطرت لنا كلمة الجسم الاجتماعي حينما عقبنا على رد مترجم نشوء الاجتماع لذكرناها كما ذكرنا كلمة الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي بل لقدمناها بالذكر عليها . وانما اكتفينا بما خطر لنا لانهُ لم يكن غرضنا حينئذٍ ذكر الكلمة التي يجب ان تكون مرادفة لكلمة social organism بل الدلالة على ان كلمة الاجتماع الآلي لا تصلح لذلك

وبعدُ فان اول من وضع هذه الكلمة في ما نعلم هو هربرت سبنسر في مقالة موضوعها The Social Organism نشرها في مجلة وستمنستر في شهر يناير سنة ١٨٦٠ والمقالة طويلة لو ترجمت الى العربية لملأَت اكثر من اربعين صفحة من صفحات المقتطف وقد اعدنا نظرنا عليها الآن فايدت ما هو راسخ في ذهننا وهو انهُ اراد بالجسم الاجتماعي او الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي العرب كامةٍ والفرنسويين كامةٍ والمصريين كامةٍ واليابانيين كامة والاوربيين كشعب والاسيويين كشعب وهلمَّ جرًّا وكل فريق من الناس يجتمع لهُ نظام يجمعهُ حتى اهل البيت الواحد فانهُ شبه كل جماعة مثل هذه بجسم حي مركَّب من اعضاء مختلفة . ولا حل الفرق بين هذا الجسم والجسم التشريحي والجسم البيولوجي نسبهُ الى الاجتماع . واذ قد اتضح المعنى المراد بقي على المترجم ان يختار كلمة تؤدي هذا المعنى وتصلح استعمالها في كل المواضع التي تقع فيها وتكون مماثلة الكلمة التي تستعمل في علم التشريح وعلم البيولوجيا ولا بدَّ من نسبتها الى الاجتماع في علم الاجتماع كما تنسب الى التشريح في علم التشريح والى البيولوجيا في علم البيولوجيا ويجب ان تدلَّ على جسم الاجتماع البشري كلهِ وعلى كل عضوٍ من اعضائهِ ايضاً اي الجماعات التي يتألف منها

تعريب الاسماء المنسوبة

حضرة منشئي المقتطف

اراكم تعربون الاسماء المنسوبة مبقين فيها حرف النسبة الافرنجي بدل حرف النسبة العربي فتقولون الحامض الكبريتيك بدل الحامض الكبريتي وتبقون الكلمة المنسوبة على لفظها وتضيفون اليها ياء النسبة ايضاً فتقولون الاوقيانوس الاتلنتيكي بدل الاتلنتي او الاطلسي .

فارجو ايضاح سبب ذلك ولكم الفضل مستفيد

[المقتطف] رأى الكيماويون انهُ يتولد مركب حامض من اتحاد الاكسجين بالكبريت فسموهُ ناسبين اياهُ الى الكبريت ولو لم يوجد الا حامض واحد من اتحاد الاكسجين به او بغيره لسموهُ بالحامض الكبريتيك ولترجمناهُ بالحامض الكبريتي ولكنهم رأوا انهُ تتولد حوامض اخرى من اتحاد الاكسجين بالكبريت تختلف باختلاف نسبة الاكسجين فيها الى الكبريت فاصطلحوا على ان ينسبوا احدها الى الكبريت بواسطة حرفي النسبة وس وقالوا حامض كبريتوس والاخر بواسطة حرفي النسبة يك وقالوا حامض كبريتيك. وجروا على ذلك في حوامض سائر المواد فقالوا حامض نتروس وحامض نتريك وحامض فصفوروس وحامض فصفوريك وكل حامض منهما هو غير الحامض الآخر بتركيبه وصفاته. ويتركب من كلٍ منهما ملح خاص يخالف الملح الذي يتركب من الحامض الآخر فسموا املاح الحوامض المنسوبة بيك بحرفي ات فقالوا كبريتات ونترات وفصفات. وسموا املاح الحوامض المنسوبة بوس بحرفي يت فقالوا كبريتيت الحديد وفصفيت الصوداء. فالذي يترجم كلمة الحامض الكبريتيك باسم الحامض الكبريتي والحامض الكربونيك باسم الحامض الفحمي اقل ما يقال عنهُ انهُ يجهل مبادئ علم الكيمياء. ثم ان العرب سموا البحر الذي بين اوربا واميركا بالبحر المحيط. ولكن البحر المحيط يطلق عليهِ وعلى غيرهِ وكان القدماء يعرفونهُ باسم الاتلنتك قبل قيام العرب بمئات من السنين كما يظهر من القصة التي رواها افلاطون عن صولون. ويحتمل ان يكون قد سمي بذلك نسبة الى جبال اطلس كما يحتمل ان يكون قد سمي بذلك نسبة الى الاتلنتس اي الجزائر او البلاد التي يقال انها كانت عامرة وغمرها هذا البحر. ومهما كان اصل الكلمة فالاوربيون يسمون هذا البحر الآن باسم الاتلنتك وجغرافيو العرب سموهُ بالبحر المحيط لا بالاوقيانوس الاطلسي في ما نعلم واذا عُرض علينا الآن اسمان احدهما شائع في كل اللغات الاوربية وقد استعملهُ كتّاب العربية منذ اكثر من ستين سنة كما ترى في جغرافية الدكتور فان ديك المطبوعة في بيروت سنة ١٨٥٢ والآخر غير معروف في اللغات الاوربية ولا هو شائع في الكتابات العربية فالحكمة تقضي باستعمال الاول لاسيما وان كل ما يسهّل التعامل والتفاهم بين الناس يأول الى الاقتصاد في القوى العقلية والمادية والى زيادة الارتقاء حتى لو صار الناس كلهم لغةً واحدة لكفينا مؤُونة الجهد الذي يُنفق الآن في تعلُّم اللغات المختلفة وفي ترجمة الكتب من لغة الى اخرى

اما زيادة ياء النسبة بعد كاف النسبة فاصطلاح سببهُ عدم الاشتباه الى ان الاسم

منسوب اصلاً ومثل ذلك الاسكندراني فان الالف والنون للنسبة ايضاً ومع ذلك ابقاها بعض الكتّاب المتقدمين والحقوا بها ياء النسبة العربية . قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء « قال المختار بن الحسن بن بطلان ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس ... اقول وكان هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة » . وتوفي ابن بطلان سنة ٤٤٤ للهجرة وتوفي ابن ابي اصيبعة سنة ٦٦٨ والاثنان من اشهر كتّابها ولم يريا غضاضة ان يلحقا بالاسم المنسوب باللاتينية ياء النسبة العربية

ونحن نتوخى في اختيار الالفاظ والتراكيب اتباع المألوف لانها غاية اللغة ووسيلة لا غاية فاذا خالفنا المألوف اوقعنا القارئ في حيرة او صعّبنا عليه ادراك المعنى المراد . ولكن اذا كان المألوف يفسد المعنى او يضل القارئ اضطررنا ان نعدل عنهُ الى ما يفيد المعنى الحقيقي . اي ان صحة المعنى هي ضالتنا التي ننشدها ونحن نتوخى الوصول اليها من اسهل الطرق حتى لا يزيد انفاق القوة العقلية على غير جدوى

ياة وعجائب الجراحة

حضرات منشئي المقتطف المحترمين

قرأنا مقالتكم عن عجائب الجراحة في مقتطف مايو وما فعلهُ الدكتور كارل من الغرائب حتى انهُ نزع المعدة وابقاها حية خارج الجسم تهضم الطعام وهي منفصلة عنهُ بعد ان يكون صاحبها قد مات فحياتها والحالة هذه ليست مستمدة من حياتهِ بل من الدم الذي تغتذي بهِ . واذا كان الامر كذلك في سائر اعضاء الجسد لم يبقَ وجه لفرض وجود النفس او الروح التي يقال انها تفارق الجسد فيموت لانهُ لا يموت فعلاً ولكن يتوقف عملهُ لقلة الغذاء او لسبب آخر من الاسباب فاذا زال هذا السبب عادت الحياة اليهِ فهل يمكن ان تزال اسباب الموت حتى يبقى الانسان حياً الى الابد

احمد امين

[المقتطف] لا تزال مسألة الحياة حيرة العلماء فان الجماد يبقى على حالهِ ملايين من السنين كما يظهر من البحث في طبقات الارض وموادها والنبات قد يبقى حياً الوفاً من السنين كما ترون في بعض الاشجار . واجزاء الحيوان تعمّر ايضاً الى ما شاء الله لان كل حيوان يتكوّن من بيضة وهي اجزاء حية من والديهِ ولكن هل في اعضاء الجسم الانساني ما يجيز بقاء الحياة فيها او ما يمنع بقاءها دواماً ذلك امر مجهول والعلماء مختلفون فيهِ . والمعروف حتى الآن ان الانسان لا يحيا بنفسهِ بل بنسلهِ وانهُ مهما عمّر يشيخ وتعجز اعضاؤُهُ اخيراً عن عمل الاعمال اللازمة للحياة

القطن الحريري

سيديَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

قرأت في الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين نبذة عن نبات القطن الحريري الذي ينبت في براري السودان وان الحكومة السودانية اذا اعتنت بهِ كان لها منهُ نفع كبير. وقد عرفتُ مدة اقامتي في سورية ان هذا الصنف ينبت في جهة غور بيسان وان اشجارهُ تنمو كثيراً وتشتبك بعضها مع بعض وتبقى من سنة الى اخرى وان العرب الذين هناك يستغلونهُ ويستعملون لحمتهُ لفرشهم ودثارهم ويسمونهُ القطن الحريري ايضاً لمشابهتهِ الحرير لوناً ونعومةً . وقد طلبت من غيري ومن بعض اصدقائي الذين يترددون على هاتيك النواحي ان يحضروا لي بعض البذور منهُ لنزرعها في القطر المصري على جوانب الترع والمصارف والاراضي الزراعية آملاً ان يكون لها نفس الحظ الذي نأملهُ في السودان

وقد سألت الذين شاهدوهُ في غور بيسان عن اصل زراعتهِ فاجابوا انهم لا يعلمون عنهُ شيئاً وهم يظنون انهُ من بقايا الدول الغابرة التي استعمرت تلك الجهات والتي لا تزال آثارها شاهدة على عمرانها العظيم . ومما هو حري بالذكر انهم اخبروني ان لوزتهُ تكبر الى قدر البرتقالة وان شجرتهُ تطول حتى يصير طولها طول الموزة وانهم رغماً عما يقطعونهُ منهُ ويحرقونهُ ينبت بكثرة فائقة حتى تضيق بهِ الطرق والمسالك الياس عازار الخوري

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاسنان

الاسنان من اهم مقوّمات الجمال فاذا طرأ عليها عيب تشوّه الوجه . وسلامتها شديدة الاهمية لحسن النطق وجودة الصوت وصحة الجسم عموماً ولذلك وجب الحرص عليها والمحافظة على صحتها . واذا ابيفت لم تعد تمضغ الطعام جيداً فيكون ذلك سبباً لاجهاد المعدة وتحميلها ما لا تطيق ومتى ضعفت المعدة ضعف الجسم كلهُ لانهُ يستمد غذاءهُ منها زد على ذلك

ان الانسان اذا ساءت صحتهُ ساء خلقهُ وانقلب نظرهُ في الامور حتى يمسي كأنهُ يراها من وراء زجاجة سوداء فلا يرى فيها الاّ ما يسوءُهُ

وليس نوع من الامراض يسير مع المدنية ويكثر كلما زادت اسبابها مثل امراض الاسنان فان انتشارها يزيد على انتشار اي نوع آخر من الامراض تحسب كثرتهُ الى الاحوال التي يعيش فيها الانسان في العصر الحاضر . ومن اسباب كثرتها اطعام الاطفال الاطعمة المستحضرة التي يبتلعها الولد من غير ان يمضغها فتضعف اسنانهُ لانها لا تتروض على العمل الذي وجدت لاجلهِ وتضعف معدتهُ لان الطعام يأتيها من غير ان يمتزج باللعاب الذي يهيئهُ للهضم في المعدة. واسنان الاسكيمو المتوحشين سكان الاصقاع الشمالية والهوتنتوت المتوحشين سكان جنوب افريقية سليمة فلا تقوى عليها الامراض والآفات لانهم يروّضونها بمضغ الاطعمة الصلبة

واذا اعتاد الولد مضغ الاطعمة الصلبة بين الثانية والسادسة من عمرهِ لم تأتِ اسنانهُ متراكبة غير منتظمة في فيهِ لان فكهُ يكبر بالاستعمال فيسعها كلها . واكثر امراض الاسنان تحدث في طور الطفولية او عند البلوغ فعلى الوالدين ان ينتبهوا لاسنان اولادهم عند ذلك اذ يكون الاولاد انفسهم قاصرين لا يهتمون لها . ويحسن عرض الطفل حينئذٍ على الطبيب لينظر في اسنانهِ سواءٌ شكا منها او لم يشكُ

اما القواعد العمومية للعناية بالاسنان فمنها تنظيفها بعد تناول الطعام وخصوصاً بعد تناول الحلويات في المساء وغسلها كل يوم جيداً بالماء والصابون او الملح الناعم او بعض مساحيق الاسنان غير المضرة . وقد يستغنى عن هذه المواد كلها ويكتفى بالماء والصابون . ويجب الاحتراس من اكل الطعام السخن بعد البارد او البارد بعد السخن بدون فترة بينهما فان هذا يضر بالاسنان كثيراً ومثلهُ الخروج الفجائي من غرفة دافئة الى الهواء البارد

الهم وسوء الهضم

ذكر الدكتور صليبي في كتابهِ المعنون « الهم مرض العصر » ان فتاة خُطبت ثم اضطربت احوال خطيبها وتعسّرت اموره فاضطرَّ ان يؤَخر زواجهُ . فقلقت لما اصابهُ واثَّر قلقها واشتغال بالها في صحتها فزالت البهجة من وجهها وتولاها الارق . ففي اول الامر صار نومها خفيفاً كما ظهر من كثرة احلامها لان الانسان اذا حلم حلماً طويلاً كثير

الحوادث وتذكر حوادثهُ بعد يقظتهِ فذلك دليل على ان نومهُ لم يكن تاماً مريحاً . ثم قلَّ نومها وطال ارقها وانتابها الكابوس الدال على سوء الهضم ثم لم تعد تنام مطلقاً . وصلحت احوال خطيبها بعد ذلك فتزوج بها وزال ما كان يدعو الى قلقها وارقها ولكن الارق لم يزُل بل استمرَّ كما كان مع زوال اسبابهِ العقلية . اي ان همها السابق بقي تأثيرهُ فيها وصارت سريعة الشعور بالتعب فلما خُطِبت كانت كثيرة المشي ولكن لما اصابها القلق المشار اليهِ صارت تتعب لاقل حركة وقد يُعلّل بعض ذلك بما اعتراها من سوء الهضم ولكن سوء الهضم لا يعلل انها كانت تشعر بالتعب حالما يخطر ببالها السبب الذي اقلقها واذا غفلت عنهُ لم يظهر التعب عليها لا جسداً ولا عقلاً

وكان هضمها قبل ذلك على غاية الانتظام فلما قلقت اصابتها تخمة شديدة لغير سبب ظاهر مصحوبة بنوب من الالم الشديد حتى اذا كانت ماشية واعترتها النوبة لم تعد رجلاها تحملانها . وقد مضى عليها الآن اربع سنوات وسوء الهضم لم يفارقها يوماً واحداً مع ان طعامها لم يتغير عمَّا كان عليهِ قبلما اصابها القلق وكل ظواهرهِ تدل على انهُ عصبي لا طبيعي اي انهُ حادث من تأثر اعصابها المتسلطة على اعضاء الهضم

وضعف جسمها جدًّا وقد يُعلّل ذلك بانهُ نتيجة سوء الهضم ولكن اصابها من نحافة الجسم ان ضعف شعرها وسقط اكثرهُ وهذا لا يعلل بسوء الهضم . ومعلوم ان الهم والقلق يضعفان الشعر اي يقللان تغذيتهُ فيسقط او يشيب باكراً . (وما احسن ما قالهُ المتنبي في هذا المعنى

والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

واذا حدث الصلع من الشيخوخة ابتدأ في مكان واحد واتسع نطاقهُ رويداً رويداً وبقي شعر القذال غالباً كما يرى في الشيوخ . ولكن اذا حدث الشيب والصلع من الهم والقلق اصابا شعر الرأس كلهِ في الغالب اي انتشر فيهِ الشيب انتشاراً . وقد سقط ثلثا شعر هذه المرأة وبقي ثلثهُ فلم يصبها الصلع في بقعة واحدة من رأسها بل قلَّ شعرها كلهُ بنوع عام بما سقط منهُ . وهذا شأن الذين يشيبون من الهم وهم شبان او كهول فان الشيب يقع في فروة الرأس كلها ثم يزداد رويداً رويداً او سريعاً حتى يبيض الشعر كلهُ او اكثرهُ

ويمتاز صلع الهم عن صلع الشيخوخة بان الاول لا يلزم ان يستمرَّ لانهُ حادث عن سبب مفارق وهو قلة التغذية الناتجة عن ضعف الاعصاب المتسلطة على توزيع الغذاء في الجسم فاذا زال سببهُ اي اذا زال الهم واسترت الاعصاب المغذية قوتها عاد الشعر الى نموهِ لان بصلاتهِ تكون باقية في الجلد حية ولا ينقصها شيء الاَّ الغذاء الكافي فمتى زال الهم اصلحت

تغذية الجسم كله وتغذية بصلات الشعر معهُ . وحدث ذلك في هذه المرأة فان شعرها نما ثانية وعاد الى اصلهِ

ولكن ما اصاب شعرها من العود الى اصلهِ لم يصب كل بدنها لان البدن الضعيف يؤثر في العقل كما ان العقل المتعب يؤثر في البدن . زال همها واشتغال بالها او ما سبَّب همها واشتغال بالها ولكن ما اصابها بسببهما من سوء الهضم لم يزُل بزوالها كما زال الصلع لان سوء الهضم الذي كان عند اول حدوثهِ مقتصراً على وظيفة اعضاء الهضم لضعف فعل الاعصاب ابتدأ بهِ اعضاء الهضم نفسها اي انهُ كان وظيفياً فصار عضويًا . وهذا امر عادي اي ان الاسباب العصبية اذا طالت صارت اسباباً عضوية او آلية . تكون اولاً ناتجة من ضعف فعل الاعصاب باعضاء الهضم فتصير ناتجة من ضعف اعضاء الهضم نفسها . واذا ضعفت المعدة وضعف الهضم فهناك البلية الكبرى لان العقل خاضع للمعدة . وكانت تلك المرأة اذا اكلت طعاماً سهل الهضم وهضمتهُ من غير تعب رأيتها مسرورة متهللة في احسن حالاتها البشر يتدفق من وجهها والسرور منتشر حولها . واذا ساء هضمها تولاها الهم والقلق ولو لم يكن لها سبب موجب فصارت تعظم اخف الاسباب واضعفها وتكبره ُ وتقلق لهُ كأنهُ من اعظم موجبات القلق . وهذا امر عادي ايضاً فترى من يتولاهُ سوء الهضم يقلق ويسخط اذا سمع طفلاً يبكي او اذا تأخر طعامهُ عن ميعادهِ بضع دقائق او اذا لبست زوجتهُ ثوباً لم يعجبهُ لونهُ . اي انهُ لا يقلق ويسخط لغير سبب ولكنهُ يعظم الاسباب الطفيفة . والعلة الحقيقية في جوفهِ وقد اثَّرت في اعصابهِ فموَّجت احكامهُ وكثرت همومهُ وقد يعلم اذا ثاب الى عقلهِ ان قلقهُ في غير محلهِ وسخطهُ لا موجب لهُ ولكن الانسان قلما يرشد بعقلهِ والمرشد الاكبر لهُ هو الاخلاق والعادات

البنت في البيت

احسن المعيف وأفضل مدارس البنات غير ما تعلمهُ البنت في بيت والديها ان تساعد امها في كل اعمالها مهما كانت درجتها . وقد يتفق ان لا تكون امها صناع اليدين ولا من المهتمات بامر بيوتهن الاَّ ان ذلك يجب ان لا يضعف همة البنت ولا يصرفها عن خدمة البيت . والغالب ان المرأة التي تعمل كل اعمال بيتها بنفسها تنشأ بناتها كارهات للعمل والتي لا تهتم الاهتمام الواجب بامور بيتها تنشأ بناتها محبات للعمل والاهتمام . فاذا كانت المرأة حريصة على بيتها وجب عليها ان تتعمَّد الاتكال على بناتها وترك اعمال البيت لهنَّ فتستريح

وتدربهنَّ على العمل . ومنْ لا يصرفنَ للاهتمام باعمال البيت الا اذا شعرنَ انهنَّ مسؤولات عن ذلك . واذا تيسَّر للمرأة ان تسافر من بلدها وتقضي بضعة ايام او اسابيع في زيارة بعض نسيباتها وتترك بيتها لبناتها ليقمن بخدمتهِ كلها فذلك اصلح لها ولهنَّ من بقائها في البيت وعمل اعمالها بيدها وترك بناتها بلا عمل

ثم ان البنات يملن الى قراءة القصص التي تهيج العواطف وقد يقوى هذا الميل فيهنَّ ومنْ في المدرسة فيجب على والديهنَّ ان يجتهدا لتقيهنَّ من قراءة هذه القصص كما يجتهد لتقيهنَّ من الجدري والطاعون لان قراءتها تضيع الوقت وتضعف العقل وتضني الجسم وليس منها اقل فائدة . وقراءة القصص التاريخية والعلمية اقل ضرراً وقد يكون منها شيء من الفائدة اذا تحرى منشؤها ذكر الحوادث الصحيحة ولم يمزجوها بما لا صحة لهُ ولكن هذا نادر والغالب ان يذكروا امراً صحيحاً و يمزجوهُ بامور غير صحيحة فيتعذر على القارئ ان يفرق بين الصحيح وغير الصحيح و بين الحقيقة والوهم . والخطأ اعلق بالذهن من الصواب

واذا وجدت البنت متسعاً من وقتها للمطالعة فلتطالع كتب التاريخ الصحيحة التي لا تكتفي بسرد الحوادث بل تبين دلالاتها وكتب الرحالات التي اشتهر اصحابها بصدق رواياتهم والمجلات العلمية. وليبقَ في ذهنها انها تتعلم بالعمل اكثر مما تتعلم بالمطالعة فاذا تيسر لها ان تزور معملاً او متحفاً او بستاناً من بساتين الحيوانات فانها تتعلم فيهِ اضعاف ما تتعلمهُ بمطالعة كتاب كُتب عن ذلك المعمل او المتحف او البستان

كيفية المطالعة

اذا اردت ان تعرف كيف يقتل الشبان والشابات اوقاتهم و يخفون سنين كثيرة من عمرهم فانظرهم يمسكون رواية ولا يطرحونها حتى يقرأوها من اولها الى آخرها و يضيعون نصف عمرهم في قراءة الروايات واذا سألتهم عن مفاد رواية قرأوها بالامس رأيتهم لا يتذكرون شيئاً منها

ما كذلك تقرأ الكتب ولا يجوز ان يقتل الوقت على هذه الصورة وهو اثمن ما يملكهُ الانسان

اذا اردت ان تقرأ وتستفيد مما تقرأهُ فاختر كتاباً لمؤلف من المؤلفين المشهود لهم بسمو المعاني وانسجام العبارات واقرأهُ فصلاً فصلاً . وكلما قرأت فصلاً منهُ اكتب خلاصتهُ في دفترك ثم كرر قراءتهُ من اولهِ الى آخرهِ فانك تستفيد من قراءته الثانية مضاعف ما استفدتهُ من قراءتهِ الاولى

القرش الابيض لليوم الاسود

من عاشر الانكليز ورأى فقراءهم والمتوسطي الحال منهم ينفقون كل دخلهم يعجب من عدم اهتمامهم للغد ولكنهُ اذا دقق النظر في احوالهم رأى ان الامة الانكليزية استعدت لنوائب الدهر استعداداً لا مثيل لهُ فاجتهدت واقتصدت منذ مئتي سنة الى الآن حتى جمعت ثروة وافرة وهي الآن تستثمرها في كثير من الاعمال العظيمة في الدنيا وتتمتع بريعها. وقد ضربت حكومتها الضرائب على اغنيائها لكي تساعد بها فقراءها فقطعت معاشاً لكل الشيوخ والعجزة والمرضى والزمنى اي انها جمعت القروش البيض للايام السود. وفعلنا نحن على ضد ما فعلت فانهُ لما لم يكن على القطر المصري دين يذكر وكان القطن عالي الثمن بسبب حرب اميركا جعلت الحكومة المصرية تستدين الاموال الاوربية بالربا الفاحش وحمّلت القطر حملاً ينوء تحتهُ الآن ولم يكتف اهلهُ بما استدانتهُ حكومتهم بل حمّلوا انفسهم وما يملكونهُ احمالاً ثقيلة من الدين حتى يتمتع اولادهم بعدم اكثر مما تمتعوا هم ولم يخطر لهم ان يبقوا القرش الابيض لليوم الاسود بل ابقوا لهُ الدين والفقر والهم والغم. والآن ينتقل الاوربيون من عيد الى عيد ونحن في هذا القطر لا همّ لنا الا طاعون المواشي ودودة القطن وشحة ماء الري وثقل الماوهات وتأخر طلق الشراقي. وكأن لا شغل لنا الا الجهاد في طلب لقمة الخبز وعبرُ الدهر تحاول خطفها من ايدينا

في البيت يجب ان يغرس الاجتهاد والاقتصاد حتى يكتسب الاولاد كل ما يمكنهم كسبهُ ويوفروا منهُ كل ما يمكن توفيرهُ. فمتى اوفوا ديونهم وديون حكومتهم وصار عندهم اموال تستثمر في المشروعات الصناعية في الدنيا امنوا نوائب الدهر. وما تجاهلنا الحالة التي نحن فيها الا من استحكام الداء وتعذُّر الشفاء

الوقاية من السرطان

وضع احد الاطباء القواعد التالية للوقاية من السرطان وهي

تجنَّب الاكثار من تدخين التبغ لانهُ قد يسبب سرطان الشفتين واللسان

اذا كان في فمك سن مكسورة فاصلحها او اقلعها لان الاستمرار على احتكاك لسانك بها قد يحدث فيهِ سرطاناً

لا تعتد اكل الاطعمة الشديدة المعطرة ولا شرب الاشربة الشديدة الحرارة لانها تهيج الحلق والقناة المضمية

تجنّب ادمان المسكرات لانها تهيج انسجة الجسم وكل تهيج مستمر في جزء من اجزاء البدن يعده لحدوث السرطان فيهِ

تلميع الاحذية بالغليسرين

ارش الحذاء حتى ينظف من الغبار ثم بلّ اسفنجة صغيرة او قطعة من الجوخ بقليل من الغليسرين وامسحهُ بها جيداً وامرشهُ بفرشاة ناعمة فيلمع جيداً ويعود لمعانهُ كلما رُش وتلين فرعتهُ ويسهل لبسهُ

زراعة الكتان في القطر المصري

اهم ما يجب ان نتجه اليهِ الانظار في القطر المصري زرع موسم آخر مع القطن تكون مقطوعيتهُ كبيرة ثابتة كمقطوعية القطن ويمكن اصدار غلتهِ بسهولة الى البلدان الاوربية والاميركية ويبلغ محصول الفدان منهُ ما يبلغهُ من القطن او يزيد عليهِ ولا خوف من بقائهِ من سنة الى سنة . لانهُ ليس من الحكمة ان يبقى اعتماد البلاد في صادراتها على موسم واحد اذا اصابتهُ آفة ما رزحت البلاد كلها تحت احمالها

والحاصلات التي تتوفر فيها هذه الشروط كلها قليلة جداً لا تخرج عن ثلاثة وهي الكتان والقصب والتبغ ولا بدَّ من البحث في كلٍّ منها على حدتهِ لعلنا نصل الى المسألة المنشودة

اما الكتان فاراضي القطر المصري تصلح لهُ ويبلغ ثمن محصول الفدان منهُ من ١٢ جنيهاً الى ٢٠ جنيهاً وهو زراعة شتوية لا تقتضي نفقة كبيرة اي انهُ كالقمح من هذا القبيل . وتزرع الارض بعدهُ زراعة نيلية بسهولة . ومقطوعيتهُ كبيرة في الدنيا فان روسيا تزرع منهُ اربعة ملايين فدان والنمسا نحو مئتي الف فدان وايطاليا مئة وعشرين الفاً وسائر ممالك اوربا نحو خمس مئة الف فدان اي يزرع منهُ في اوربا نحو خمسة ملايين فدان فاذا زادت الزراعة مليون فدان وكانت من الكتان الجيد اغنت عن مليون فدان من روسيا حيث الكتان غير جيد . والكتان كالقطن والحرير يمكن ابقاؤُهُ من سنة الى سنة فلا يضر بهِ السوس ولا العفن ولذلك فالشروط المتوفرة في القطن متوفرة كلها فيهِ

ولكن يبقى امر آخر لم نذكره آنفاً وهو ان القطن يخرج من لوزه ويحلج في هذا القطر فيصير معدًّا للتصدير واما الكتان فلا يعد للتصدير الا بعد عمل شاق اذا لم يحسن فلا سبيل لارساله الى اوربا فقد ارسلنا اليها من الكتان المعطن في مصر فقدّرت قيمة نيها من ارخص انواع الكتان ثم ارسلنا اليها كتاناً غير معطّن اي عيداناً فعطنت فيها فخرج كتانها كالحرير الابيض في لونه ودقته وهو انعم من الحرير في ملمسه وقيمتهُ مثل اجود انواع الكتان . ولكن الآلات التي عُطن بها واستخلص غير موجودة في هذا القطر ولا بدَّ من جلبها واستعمالها والتدرُّج في ذلك حسب التدرج في الزرع والتصدير والمقطوعية اي يجب ان يتوسَّع القطر المصري في زرع الكتان توسعاً متدرجاً كما توسع في زرع القطن ويجلب اليه الآلات التي يعطن بها او يصفى كما جلبت آلات حلج القطن وكبسهِ

والابتداء في زرع الكتان على هذه الصورة وجلب الآلات اللازمة لهُ لا يخلوان من المخاطرة . فقلما ينتظر ان يقدم عليهما احد من اهل الزراعة . ولولم يهتم محمد علي باشا بزرع القطن وتصديره لتعذر على اهل الزراعة وحدهم التوسع في زراعته في اول الامر. ولولم يهتم اسمعيل باشا بزرع قصب السكر وانشاء المعامل له لتعذر على اهل الزراعة ان يعملوا ذلك . وما حدث في امر القطن وامر قصب السكر يجب ان يحدث في امر الكتان حتى تتسع تجارتهُ ويعتاد التجار تصديرهُ وتعتاد معامل الغزل والنسج اخذهُ من القطر المصري وحينئذٍ يتوسع اهل الزراعة في زرعهِ من تلقاء انفسهم ويتبارون في ذلك كما يتبارون الآن في زرع القطن

والكتان الذي يزرع الآن في القطر المصري ليست فيهِ الجودة الكافية ولا بدَّ من جلب التقاوي من اوربا وقد جلبنا نحو الملاَّ منها من بلاد النمسا وهي التي ارسلنا كتانها الى بلاد الانكليز وكان غاية في الجودة كما تقدم

دود اللوز القرنفلي

يعلم ارباب الزراعة ان دود لوز القطن قد يضرُّ اكثر من الدود الذي يأكل ورق القطن ولاسيما اذا اكتفى هذا الدود الاخير بأكل الورق الكبير ولم يأكل الفروع اما دود اللوز فيتلف كل لوزة اصابها

ودود اللوز هذا نوعان نوع رمادي الشكل غليظ الرأس شائك البدن ونوع محمرٌ من

اعلاهُ ومصفر من اسفلهِ وهو اصغر من الاول وادق ورأسهُ دقيق جداً لا كرأس النوع الاول وضررهُ اقل من ضرر الاول لانهُ يكتفي باكل البزر

والسبيل للتخلص من هذين النوعين من الدود هو حرق كل الجوز الباقي في حطب القطن لان الدود يكون فيهِ فان كان احد من المزارعين لا يزال حافظاً حطب القطن في غيطهِ فهو حافظ ايضاً في الجوز الباقي فيهِ شرانق هذين النوعين من الدود لكي يخرج الفراش منها ويصيب لوز القطن الذي ظهر الآن فان كان عند احد حطب قطن وجب عليهِ ان يبادر الى حرقهِ حالاً

البطيخ والشمام

انشأ المستر برون مدير زراعة الجنائن في مصلحة الزراعة مقالة ضافية في البطيخ والشمام عدَّد فيها اصنافها وصفاتهما الخلية وقال في الكلام على زراعتها انها تختلف باختلاف اصنافها وبعض اصنافها يجود في بعض الاراضي ولا يجود في غيرها . فالجوُّور الوجه البحري يزرع في شهر فبراير واكثر الوارد منهُ الى القاهرة يزرع في مديرية الجيزة وهو يجود في الاراضي السوداء وفي الاراضي الرملية . والشمام قد يبكَّر في زرعهِ في الوجه البحري فيزرع في فبراير ولكن الغالب ان يزرع في مارس . واجود الاراضي لهُ اراضي الجزائر الرملية السوداء التي على ساحل النيل . ويزرع ايضاً في اراضي الحياض المتماسكة الطين . وقد يكرَّر زرعهُ في الارض الواحدة سنة بعد سنة وتزرع اللوبياء ويزرع الفجل بين خطوطهِ . ويزرع الشمام ايضاً في الاراضي الرملية التي على حدود الصحراء . واجود انواع الشمام السنطاوي يزرع في اراضي الخاير الخصوبة الى الشمال الغربي من القاهرة وهو يزرع من اواسط مارس الى اواسط مايو ويزرع البطيخ في الوجه القبلي في فبراير ومارس واذا كانت الارض مرتفعة امكن تأخير الزرع فيها الى اواخر يوليو

وتعدُّ الارض لزرع البطيخ النيلي في الوجه البحري والمديريات الوسطى هكذا : — تشق خطوط من الشرق الى الغرب سعة كل خط منها ٢٠ سنتمتراً او عرض الفاس ويكون البعد بين كل خطين متراً وعشرين سنتمتراً وتقسم الفسحة بين الخطين الى ترابيع عرض كل تربيعة سبعون سنتمتراً الى متر . ويكون عمق الخطوط ٢٠ سنتمتراً قرب حد الماء الى ٥٠ سنتمتراً في الاماكن العالية عن الماء ويوضع زبل الحمام في اسفل الخط ويحتاج الفدان من ثلاثة ارادب الى اربعة من زبل الحمام اذا كانت الارض عالية و ٦ ارادب اذا

كانت واطئة رملية . ويوضع طبقة من التراب فوق الزبل تلقى البزور عليها . ويلزم للفدان قدحان او ثلاثة من البزر (التقاوي) . وقد يضربون وتداً في الارض حتى تصير فيها حفرة عميقة ضيقة ويملأونها زبلاً وتراباً ويزرعون التقاوي فيها

ولا يزرع البزر جافاً بل ينقع في الماء ويوضع في كيس من القماش الرقيق ويوضع هذا الكيس في كيس آخر فيه برسيم او مادة اخرى تحفظ حرارتهُ فيفرخ وحينئذٍ يزرع ولا بدَّ من ابقائهِ في الماء الى ان يزرع لئلاَّ يجف . ويزرع في كل جورة اربع بزرات الى خمس ومتى نمت تخف حتى لا يبقى منها الاَّ نبتة واحدة . ولا بدَّ من شك عود من الذرة اونحوهِ الى جانب كل نبتة حتى تستند عليها فلا تقتلها الريح . والرطوبة التي في الارض تكفي لنمو النبات من غير ري ولكن لا بدَّ من عزقهِ لمنع نمو الحشائش ولبقاء الارض رطبة . ومتى كبر وظهر ثمرهُ ينزع عود الذرة (البوص) من الارض . والبعض يحفرون خطاً آخر الى جانب الخط الذي فيهِ النبات ويملأونهُ بالسباخ والتراب كما ملأوا الخط الاول حتى تمتد اليهِ جذور النبات وتتغذى منهُ . وكثيراً ما يزرع البصل بين خطوط البطيخ والشمام

واذا كانت الارض مما يروى يزرع البطيخ فيها كما يزرع الخيار وقد يوضع فيها قليل من السباخ في اسفل الخط تحت التراب الذي تزرع فيهِ التقاوي . وذلك جارٍ في زرع الشمام في الوجه البحري واما البحيرة فلا يسمد الاَّ بعدما ينبت ويصير طولهُ ١٥ سنتمتراً وحينئذٍ تحفر حفرة قرب الجذور وتملأ بالسباخ

والسباخ المستعمل لتسميد البطيخ والشمام هو زبل الحمام والسباخ البلدي ولكن زبل الحمام يفضل على غيره اذا امكن الحصول عليهِ . ومتى ظهر الثمر واخذ يكبر احتاج البطيخ والشمام الى ماء عزير حتى لقد تدعو الحال الى ريهِ يومياً والري الخفيف المتكرر خير من الري الثقيل البعيد المدات

وقد حسب عبد الحميد افندي رضوان الذي يزرع البطيخ في جزيرة الذهب ان نفقات زرع الفدان في الاراضي الملق الى حين بلوغ الثمر ثمانية جنيهات وهذا المبلغ يشمل ثمن ثلاثة اقداح من التقاوي ثمن القدح منها ١٢ غرشاً وستة ارادب من زبل الحمام ثمن الاردب منها ٥٠ غرشاً (يسمد بها مرتين) و ٣٠٠ حزمة من البوص ثمنها ٩٠ غرشاً . ويبلغ ايجار فدان الارض الصالحة لزرع البطيخ في جوار القاهرة تسعة جنيهات الى عشرة ويباع محصول الفدان بثلاثين جنيهاً الى اربعين

زراعة قصب السكر

قلنا في نبذة سابقة انهُ لا بدَّ من الاعتماد على زراعة اخرى مع القطن يمكن توسيع نطاقها جدًّا وتصدير محصولها ويكون منها ربح كالقطن ولا يتعذر بقاء محصولها من سنة الى اخرى وان المحصولات التي تتوفر فيها هذه الشروط هي الكتان والتبغ وقصب السكر. اما القصب فيزرع الآن في ٤٧٦٠٠ فدان من الوجه القبلي ونحو ٢٤٠٠ فدان من الوجه البحري والجملة ٥٠٠٠٠ فدان وقد بلغت زراعتهُ ٨٨ الف فدان منذ عشر سنوات وذلك اقصى ما بلغتهُ في الخمس عشرة السنة الاخيرة. وبلغ محصول القصب في العام الذي انتهى في ابريل الماضي ٩٦٥٠٠٠ طن وذلك اكثر من محصول السنة السابقة بنحو عشرة في المئة ومعدل السكر في القصب من ١٢ الى ١٣ في المئة فيكون وزن السكر الذي يمكن استخراجهُ من كل القصب الذي يزرع الآن في القطر المصري نحو ١٢٥ الف طن وهو اقل من ذلك كثيرًا لان جانبًا كبيرًا من القصب لا يعصر ابدًا ومن ذلك كل ما يزرع في الوجه البحري وبعض ما يزرع في الوجه القبلي. وجانب كبير من عصير القصب يغلى دبسًا ولا يتبلور سكرًا ولذلك لا يكون السكر حقيقةً الاَّ نحو نصف هذا المقدار. ومحصول سكر القصب في الدنيا الآن نحو عشرة ملايين طن كما ترى في الجدول التالي فيكون محصول القطر المصري جزءا من ١٦٠٠ جزء من محصول سائر البلدان فاذا زاد عشرة اضعاف فصارت مساحة الاطيان التي تزرع قصبًا نصف مليون فدان او اذا زاد عشرين ضعفًا فصارت مساحة الاطيان التي تزرع قصبًا مليون فدان لم تؤثّر زيادتها في حاصلات السكر تأثيرًا يذكر لان محصول سكر القصب يزيد وينقص من سنة الى اخرى اكثر من مليون طن فقد كان ١٠٧٨٧٥٠٠ طن سنة ١٩١٠ فهبط الى ٨٩٧٦٠٠٠ طن سنة ١٩١٢

ثم ان صافي غلة القصب لا تقلُّ عن صافي غلة القطن وآفاتهُ اقل من آفات القطن ويمكن تصدير السكر بسهولة ولا خوف عليهِ من السوس والعفونة. والبلاد صالحة لزراعتهِ وقد اعتادتها ولا يحتاج توسيع زراعتهِ الاَّ الى جاه العامل لعصرهِ واستخراج السكر منهُ ويجب ان يكون ذلك اما بالتوسع المستمر في زراعتهِ حيث يزرع الآن او بانشاء شركات مثل شركة كوم امبو يكون عندها رأس مال كاف لبناء معمل كبير وزرع الوف من الافدنة دفعة واحدة والصبر عليها الى ان يستخرج السكر منها ويباع فالتوسع في زراعتهِ في القطر المصري اسهل من التوسع في زراعة الكتان ولكن الكتان يفضلهُ في انهُ زراعة شتوية لا حاجة بها الى ماء الري الصيفي

وهاك الجدول الذي اشرنا اليه سابقاً اي محصول السكر سنة ١٩١٢

من الهند الانكليزية	٢ ٣٩٠ ٠٠٠ طن
« جزيرة كوبا	١ ٨٥٠ ٠٠٠ «
« جزيرة جاوى	١ ٣٩٥ ٠٠٠ «
« جزائر هواي	٠ ٥٣٥ ٠٠٠ «
« الولايات المتحدة	٠ ٣٢٤ ٠٠٠ «
« بورتو ريكو	٠ ٣٢٠ ٠٠٠ «
« برازيل	٠ ٢٣٥ ٠٠٠ «
« الارجنتين	١٨٠ ٠٠٠ «
« اليابان وفرموسا	١٧٩ ٠٠٠ «
« استراليا	١٧٣ ٠٠٠ «
« جزائر مور يشيوس	١٧٠ ٠٠٠ «
« « فيلبين	١٦٠ ٠٠٠ «
« المكسيك	١٥٥ ٠٠٠ «
« بيرو	١٤٠ ٠٠٠ «
« سنتو دومنجو وهايتي	١٠ ٠٠٠ «
« سائر البلدان	٥٧٠ ٠٠ «
الجملة	٨٨٧٦ ٠٠٠

فاذا اتسعت زراعة قصب السكر مدنا عشرين ضعفاً حتى بلغت مليون فدان لا يكون محصول السكر قد زاد عما يستخرج من جزيرة جاوى ولا عما يزيد او ينقص من محصول السكر السنوي

القنب في بلاد الانكليز

وجهت الحكومة الانكليزية احد رجال العلم الى بلدان اوربا التي يزرع فيها القنب ليبحث في زراعته والطرق المستعملة لاستخلاص اليافه فقدم تقريراً عن ابحاثه جاء فيه ان بلاد الانكليز تصلح لزراعته. وقد اخذت بعض الجمعيات تجرب زراعته واستخلاص الالياف منه لان اثمانه الآن اصبحت ضعفي ما كانت منذ عشر سنوات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكررهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ظهور الانبياء والرسل في الشرق

سواكن . عبد العزيز افندي صالح . لماذا ظهر الانبياء والرسل في الشرق دون الغرب

ج اذا طلبتم منا ان نخبركم عن السبب الديني اجبناكم باننا لا نعلم لماذا خصَّ الله الشرق بما حرم منهُ الغرب ولا نظن ان احداً يعلم ذلك . واذا طلبتم ان نخبركم عن السبب العلمي الطبيعي فالباحثون في علم الاديان بحثاً علمياً محضاً لا يرون في حقائق هذا العلم المعروفة ما يثبت رسالة الانبياء والرسل او يميز انبياء الشرق ورسلهُ على انبياء الغرب ورسلهِ الاَّ في ان الاولين نجحوا اكثر من الآخرين في دعوة الناس اليهم . ولا يبعد ان يكتشف العلماء حقائق اخرى تحلُّ هذه المسألة وامثالها حلاً علمياً كما هي عادلة حلاً دينياً . ولا يحرج من بالكم ان العلوم الطبيعية لا تزال قاصرة عن حل كثير من المسائل بل هي قاصرة عن حل كل المسائل اذا اريد الرجوع فيها الى مبدإها الاول وغايتها القصوى فالعلم الطبيعي يعلم مثلاً انهُ اذا حضنت الدجاجة بيضة ملقحة تولَّد منها فرخ و يعرف ايضاً كل الدرجات التي يمرُّ فيها هذا الفرخ من حين تحول بيضتهُ من جرثومة صغيرة جدًّا الى ان يصير ديكاً صياحاً والى ان يذبح و يؤْكل و يصير لحماً وعظماً في بدن آكلهِ ولكنهُ لا يعلم كيف تولَّدت الجرثومة الاولى ولا كيف نمت ولا لماذا صارت ديكاً لا دجاجةً ولا ماهية الحياة في الديك او الدجاجة ولا الى اين تذهب بعد ذبحها بل لا يعلم كيف تتلون كل ريشة من ريش الديك اي انهُ لا يعرف ذلك معرفة تمكنهُ من عملهِ كما يعرف ان يعمل الماء من الاكسجين والهيدروجين والملح من الكلور والصوديوم . وكل ما نعلمهُ حتى الآن ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة الى ما لا نعلمهُ . وسبيل اكبر العلماء ان يقول كما قال الفيلسوف اسحق نيوتن اني اراني طفلاً يلعب على شاطىء بحر الحقائق فتارة يلتقط منهُ حصاة وتارة صدفة منقطة اكثر من غيرها قليلاً

(٢) اختراع لعب الورق

مصر . نعمان افندي نجار . من اخترع لعب الورق وفي اي سنة كان ذلك

ج . لعب الورق مثل كل الالعاب القديمة لا يعلم بالتحقيق اسم مخترعه ولا زمانهُ لان ايامهُ كثيرة تدعيه . واقدم ما يعرف من امره ما جاء في القاموس الصيني الذي وضع سنة ١٦٧٨ وهو ان لعب الورق استنبط في زمن الملك شيون هو (نحو سنة ١١٢٠ للميلاد) لتسلية سراريه ويقول الهنود ان لعب الورق قديم جدًّا عندهم استنبطهُ البراهمة وقال البعض ان المصريين القدماء كانوا يعرفون لعب الورق وان لهُ معنىً دينيًّا عندهم وقال غيرهم ان العرب استنبطوا لعب الورق . وذهب السر وليم جونس ان لعب الورق مستقط من لعب الشطرنج

ومنهُ . من اخترع لعب الشطرنج

ج . ان الباحثين في تاريخ الشطرنج مختلفون في نسبتهِ الى اليونان والرومان والبابليين والمصريين واليهود والفرس والصينيين والهنود والعرب والاروكانيين والشطليين والارلنديين وغيرهم . وقد عيَّن البعض اسم مخترعهِ فقالوا انهُ يافث اوسام او الملك سليمان او زوجة روان ملك سيلان او الفيلسوف زركيس او الرئيس بلاميدس اليوناني او هرمس او ارسطوطاليس او سميراميس ملكة بابل او زنوبيا ملكة تدمر او هنسنج الصيني او سيالك البرهمي . والمرجح عند الباحثين في هذا الموضوع ان الشطرنج من اوضاع الهند واقدم من كتب عنهُ المسعودي وذلك سنة ٩٥٠ للميلاد وسنأتي على خلاصة ابحاثهم في فرصة اخرى

(٣) علم الحقوق

اسيوط . الخواجه سندخله الايوتيجي . لي صديق حصل على شهادة البكلوريا هذا العام (قسم آداب) وهو يفضل درس علم الحقوق خارج القطر فهل هو مصيب في رأيهِ . وما هي احسن مدرسة يتلقى فيها هذا العلم

ج . رأينا انهُ غير مصيب وخير لهُ ان يدرس علم الحقوق في مدرسة الحقوق المصرية او الفرنسوية اذا كان عارفًا باللغة الفرنسوية واذا اختار الدرس خارج القطر فمدارس فرنسا كلها صالحة لذلك كمدرسة ديجون ومدرسة اكس ومدرسة باريس

(٤) حشرات التفاح

طرابلس الشام . يوجد عندنا في حديقة اشجار تفاح وقد تسلط عليها حيوان صغير بدنهُ احمر برتقالي وعليهِ شيء ابيض كالقطن المندوف . يتصل بورق الشجرة فتجف وتيبس فما هي الطريقة لوقاية الاشجار منهُ

ج . يجب ان تمنع الحكومة صيد العصافير

لانها تأكل الكثير منهُ وقد تستأصلهُ · اما العلاجات التي تقتل هذه الحشرات فكثيرة اشهرها واسهلها استعمالاً في قطرنا مذوب زرنيخات الرصاص وهو يصنع هكذا يذاب ١١ جزءا وزناً من خلات الرصاص واربعة اجزاء من زرنيخات الصودا في ٢٠٠٠٠ جزء من الماء ويضاف اليها ثمانية اجزاء من الدبس فيتكون من خلات الرصاص وزرنيخات الصودا زرنيخات الرصاص وخلات الصودا ويبلغ ثمن الرطل من زرنيخات الرصاص الذي يتكون من ذلك الربعة غروش · وهذا السائل يميت كل الحشرات فاذا رشت به الاشجار بخفة قتل ما عليها من الحشرات ولم يضر الورق وهو رخيص جداً . ولا بدَّ من استعمال المضخات (الطلمبات) القوية التي يندفع بها الماء الى اعالي الاشجار

(٥) عدد المهاجرين الى القطر المصري

الزقازيق · فهيم افندي علي · كم عدد المهاجرين الى القطر المصري ومن اي امة هم وكم يهاجر اليهِ سنوياً

ج · لا يعلم عدد المهاجرين الى القطر المصري سنوياً ولكن يعلم عدد الواردين اليهِ والمسافرين منهُ وقد كان عدد الذين دخلوا والذين خرجوا سنة ١٩١١ كما ترى في هذا الجدول

	الداخلون	الخارجون
مينا الاسكندرية	٩٤٩١١	٨٣١٤٧
بورت سعيد	٣٤١١١	٣٤٩٣٢
السويس	٢١١١٩	٠٩٧٦٩
شاطئ السويس	٠١٧٠٨	٠٢٨٤٧
الطور والقصير	٠٦٠١	٠٥٧٠
الجملة	١٥٣٢٥٠	١٢٧٢٦٥

فعدد الذين دخلوا القطر المصري تلك السنة يزيد على عدد الذين خرجوا منهُ ٢٥٩٨٥ نفساً اما سنة ١٩١٠ فكان عدد الذين دخلوا القطر ١٤٤٣٣٨ وعدد الذين خرجوا منهُ ١٤٠١٩٨ ولا نعلم اجناسهم ولكن نعلم المواني التي اتوا منها او ذهبوا اليها وهاك اهم الاماكن التي اتى منها الداخلون الى موانئ القطر المصري حينئذٍ وعدد الذين اتوا من كل مينا فيها

مصر	١٠٥٦٢
الجزائر البريطانية	٠٧١٠٠
المستعمرات الانكليزية	٩٠٥٨
المانيا	٣٤٩٧
اميركا	٣٦٠٧
ايطاليا	٦٠٥٠
تركيا	٥٧٨٥٥
روسيا	٨٨٩٢
رومانيا	٥٠١٦
فرنسا	١٣٨١٨
النمسا	٠٦٩٤١
اليونان	٨٣٣٩

وهاك ام الوابورات التي ذهب بها الذاهبون من القطر المصري وعدد الذين ذهبوا فيها

انكليزية	٥٢٢٥٢
المانية	٠٩٤١٠
ايطالية	١٤٢٢٣
بلجيكية	٠٤٠٨٣
روسية	١٠٧٥٦
رومانية	٠٤٤٥٠
عثمانية	٥٨٣٠
فرنسوية	١٥٤٧٤
نمسوية	١٤٤٢٢
يونانية	١٤١١٨

ولا يعلم من هذه الجداول اجناس الداخلين الى القطر المصري والخارجين منهُ

(٦) كتاب في التربية

ومنهُ . ما اشهر المؤلفات الحديثة العربية والانكليزية في فن التربية

ج . اشهرها في الانكليزية كتاب مونرو P. Monroe's Text-Book in the History of Education (1905)

ولا نتذكر اننا رأينا في العربية كتاباً في التربية او التعليم غير ترجمة كتاب هربرت سبنسر

(٧) الواحات الخارجة

احمد افندي امين قاضي محكمة الواحات. الى اي عهد يرجع عمران الواحات الخارجة والداخلة وما هي الامم التي تعاقبت عليها

ج . عمرانها قديم من زمن الفراعنة الاولين والهيكل الذي يرى في الواحات الخارجة الآن من زمن داريوس المادي والآثار التي في الواحة الداخلة اكثرها من زمن الرومان وترون خلاصة تاريخهما في الجزء التالي من المجلد ٣٢ من المقتطف وصور بعض غرائبهما

(٨) لغة اهالي الواحات

ومنهُ . ليس في الواحات الخارجة ولا الداخلة غير مسلم ولا غير متكلم بالعربية فما سبب ذلك مع ان العرب لم يتولوا حكم مصر الا نحو قرنين وتغلب الاتراك عليها من زمن احمد بن طولون وهل يستطيع فاتحون غيرهم ان يحولوا كل اهلها الى لغتهم ودينهم من غير اكراه كما فعل العرب

ج . لما حكم الاتراك مصر كانت العربية قد شاعت فيها وكان الاتراك اولاً يجعلون العربية حالما يدينون بالاسلام . واذا اردتم ان تعرفوا كيف انقرض المسيحيون من الواحات وقلّ عددهم جداً في القطر المصري فاقرأوا تاريخ الامام علّامة الانام تقي الدين احمد بن علي المقريزي المطبوع في مصر بمطبعة النيل من صفحة ٣٩٢ من المجلد الرابع الى آخر الكتاب

(٩) الديدان في المعدة

مصر . جونسون افندي حبشي . ما الذي يسبب وجود الديدان في المعدة وكيف تزال

ج · تكون بزور الديدان في ما يأكلهُ الانسان من الاطعمة غير المطبوخة فتدخل معدتهُ واذا لم تهضم هناك ظهرت الديدان منها وخرجت مع المبرزات وخرجت بزورها معها وهي كثيرة جدًّا فمتى جفت المبرزات طارت هذه البزور في الهواء ووقعت على الاطعمة والاشربة · وقد حسبوا في جوف الدودة البيضاء الدقيقة المعروفة بالاكسيورس نحو ١٢٠٠٠ بزرة · وقد تأتي الانسان من اكل لحم الحيوان · ولكل نوع منها دواء او ادوية خاصة راجعوا ما كتبناهُ عنها في المجلد الثالث من المقتطف

(١٠) كثرة اللعاب

ومنهُ · ما سبب افراز اللعاب بكثرة وكيف يزال

ج · الغالب ان يكون سببهُ استعمال الزئبق دواء او استعمال غيره من الادوية مثل يوديد البوتاسيوم او التهاب الغدة النكفية او يكون لغير سبب معلوم · ويزول بنزع السبب

باب الاخبار العلمية

المغالاة بالتحف القديمة

عرض بالامس ابريق فضة أُهدي سنة ١٧٧٤ الى زوجة الوزير بُرْك الانكليزي لما انتُخب عضواً في مجلس النواب فتزايد المشترون فيهِ حتى بلغ ثمنهُ ١٤٥٠ جنيهًا وكان قد بيع بالمزاد منذ ثلاثين سنة فبلغ ثمنهُ حينئذٍ ١٥٠ جنيهًا · وبيعت صورة قديمة مطبوعة طبعًا فبلغ ثمنها ٦٠٠ جنيه · واربعة بسط مما يعلق على الجدران عليها صور تمثل الملكة ازابلا الاولى ابنة الملك يوحنا الثاني الاسباني ملك قشطيلة فبلغ ثمنها ١٤٠٠٠ جنيه · وعرضت صورة منهوكة للبيع فبلغ ثمنها ٢٩٠٠ جنيه وكان صاحبها قد اشتراها منذ عهد قريب بثمن بخس جدًّا

وكان فرنكلين العالم الكهربائي قد كتب رسالة في « الاضطرار والاختيار » سنة ١٧٢٥ وطبع منها مئة نسخة فقط فصادرتها الحكومة ولم يبقَ منها الأَّ نسخة واحدة في ما يظن فاشتراها كتبي في لندن بنحو ١٢ قرشًا منذ خمسين سنة وعرضها على المتحف البريطاني طالبًا ثمنها جنيهًا فاستغلاها المتحف ولم يشترها بهذا الثمن ثم بيعت بالمزاد فبلغ ثمنها ١٩ جنيهًا وبيعت ثانية سنة ١٨٧٢ فبلغ ثمنها ٢٢ جنيهًا وقد بيعت الآن بالمزاد ايضًا فبلغ ثمنها ١٠٠٥ جنيهات

الميكروبات في الوحل

رأى احد الباحثين في علم الميكروبات ابنهُ يلعب بالوحل ويصنع منهُ اقراصاً فاخذ قرصاً منها وفحصهُ بالميكروسكوب فوجد فيهِ ما يأتي من الميكروبات المرضية

من ميكروبات التتنوس ٣٦٠٠٠٠٠
« « الحصبة ٢٤٥٠٠٠٠
« « الدفتيريا ١٨٠٠٠٠٠
« « الجدري ٠٩٠٠٠٠٠
« « الدوسنطاريا ٠٩٠٠٠٠٠
« « السل ٠٦٢٠٠٠٠
« « ذات الرئة ٠٥٠٠٠٠٠

السبيرتو بدل البترول

لما غلا البترول اهتم بعض العلماء باستعمال السبيرتو بدلاً منهُ في الآلات الجارية فوجدوا بعد البحث المدقق ان الآلة الجارية التي قوتها ٨ احصنة يقتضي الحصان منها ٣٤٠ غراماً من البترول او ½ ٣٧٣ غرام من السبيرتو اي ان قوة السبيرتو لتوليد الحرارة في الآلات الجارية مثل قوة البترول تقريباً . ولكن السبيرتو يفرق عن البترول في ان مقدارهُ غير محدود ولا هو مقيد بامتياز الشركات فيمكن عمل مقادير كبيرة جداً منهُ فيصير ثمنهُ ارخص من ثمن البترول

الصابون من كستنا الحصان

كستنا الحصان لا يؤكل كالكستنا العادية (شاه بلوط او ابو فروة) ولكن فيهِ مادة صابونية تنظف كالصابون وقد حاول كثيرون استعمالها لهذه الغاية من سنة ١٧٥٧ وقد نجح بعضهم الآن في ذلك فيعالج جوز هذه الكستنا ويستخرج منهُ اولاً مادة لدبغ الجلود ثم زيت وحامض اسكوليك وهو المادة الصابونية التي ترغي وتنظف ويبقى منهُ مادة كالنشا يمكن استعمالها في الطعام

المغالاة بالصور في حياة المصورين

المغالاة بالصور القديمة شائعة جداً حتى لا يندر ان تباع الصورة منها بعشرات الالوف من الجنيهات مع ان المصور الذي صورها يكون قد باعها بثمن بخس جداً كصورة العذراء التي صورها رفائيل واخذ اجرتها خمسين جنيهاً ثم بيعت من عهد غير بعيد بخمسة وسبعين الف جنيه . ولكن قد تباع الصورة بثمن فاحش امام عيني مصورها او في حياته مثال ذلك ان المصور دنا الفرنسوي صوَّر صورة باعها بعشرين جنيهاً ثم بيعت بالمزاد امام عينيهِ فبلغ ثمنها ١٩١٠٠ جنيه ولا يزال هذا المصور حياً يرزق . وصورة سوق الزواج البابلي التي صورها المصور لونغ الانكليزي باعها بخمس مئة جنيه

ثم بيعت امامهُ بالمزاد فبلغ ثمنها ٦٣٠٠ جنيه . والسر جون ملز رأى صورة من صوره وتباع فبلغ ثمنها ٥٠٠٠ جنيه وعزم ان يأخذ ثمنها لا منها اكثر من ٥٠٠ جنيه . والمصور منيو ماري الفرنسوي صنع صورة في صباه وباعها بثمانية وعشرين جنيهاً ثم بيعت امامهُ بالمزاد فبلغ ثمنها ٣٠٠٠ جنيه . واخوهُ جوزف ماري وهو مصور ايضاً صنع صورة سنة ١٨٧٢ وبيعت بالامس بالمزاد فبلغ ثمنها ٦٦٠٠ جنيه

وصوَّر مطوروفسكي المصور الروسي صورة بديعة عُرضت في معارض كثيرة فربح من عرضها ٦٠٠٠٠ جنيه ثم باعها بمبلغ ٨٢٠٠ جنيه والذي اشتراها منهُ باعها بضاعف هذا الثمن لرجل اميركي عرضها في اميركا وكسب من عرضها مئتي الف جنيه

ابتياع البلدان

يقال ان الولايات المتحدة الاميركية عازمة على ابتياع جانب من بلاد المكسيك مساحتهُ ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع بسبعة ملايين من الجنيهات . وقد ابتاعت منذ مئة سنة من نابليون الاول حتى فرنسا بولاية لويزيانا وولاية اركنساس بمبلغ ستة ملايين من الجنيهات ثم ابتاعت الاسكا من روسيا سنة ١٨٦٧ بمليون واربع مئة الف جنيه وابتاعت منذ عهد قريب منطقة ضيقة من جمهورية بناما على جانبي ترعة بناما بمليوني جنيه

القطن عند هنود اميركا

نشر احد العلماء الاميركيين كراساً في القطن قال فيهِ ان كثيرين من الاسبانيين الذين وطئوا الديار الاميركية قبل غيرهم ذكروا ان الاميركيين الاصليين كانوا يستعملون القطن . فلا شك اذاً في انهم كانوا يزرعونهُ . وللقطن دخل كبير في الشعائر الدينية عند قبيلة الموبي في اريزونا اذ يعتقدون ان كل خيط او رباط تربط بهِ التقادم والهدايا الدينية يجب ان يكون من القطن الذي ينمو في ديارهم . الا انهم صاروا الآن يتساهلون بعض الاحيان في استعمال القطن الذي يأتيهم من الخارج لسهولة تناولهِ عليهم . ولا يزالون يزرعون القطن في بعض قراهم ولكن زراعتهُ قلَّت كثيراً وقد عنيت مصلحة الزراعة الاميركية بالبحث في نوع القطن الذي يزرعونهُ وهو يسمَّى قطن الموبي نسبة اليهم فوجدت انهُ يسرع في نموهِ اكثر من غيرهِ ويزهر قبل غيرهِ وقد ازهر وحمل جوزاً ونضج جوزهُ في بعض التجارب بعد زرع بزرهِ باربعة وثمانين يوماً فقط

بعثة لدفع اخطار الجليد في الاوقيانوس

عزمت الحكومة الانكليزية بالاشتراك مع شركات البواخر الكبيرة بتنفقة سفينة ترسل الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في هذا الربيع فتظل بالقرب من شواطىء اميركا الشمالية

الى الشمال من ممر البواخر في الاوقيانوس لترصد حركات جبال الجليد وتنبئ البواخر بها . وقد خصص لهذا الغرض السفينة سكوتشيا وفيها جهاز التلغراف اللاسلكي يمكنها ان تخاطب بهِ مع المراكز البعيدة وسيكون فيها ثلاثة من العلماء ليقوموا بالاعمال الفنية كمراقبة حركات الجليد ومجاري الماء وغير ذلك

آثار فولتا

قالت جريدة الالكتريكال وورلد ان رجلاً انكليزياً عثر في ايطاليا على ادوات كان يستعملها العالم الشهير فولتا في ابحاثهِ في الكهربائية . والرجل الذي وجدت عندهُ صاحب دكان كان عمهُ طباخاً لفولتا ثلاثين سنة وقد انتقلت اليهِ هذه الادوات من عمهِ . ومن هذه الادوات بعض الكتب والمكاتيب والصور التي كانت لذلك العالم

حرق الموتى

لم تشع عادة حرق الموتى في اوربا كما كان ينتظر فلم يحرق في بلاد الانكليز في العام الماضي سوى ١١٣٤ جثة وفي العام الذي قبلهُ سوى ١٠٢٣ جثة . ومن الرجال المشهورين الذين حرقت جثثهم في العام الماضي مطران ترورو والقس تشارلس فريمي

ترجمات التوراة

ترجمت التوراة حتى الآن الى ٥٠٠ لغةوقد بلغ عدد ما طبعتهُ جمعية انتشار التوراة حتى الآن ٦٣٤٦ ٩٣٦ نسخة كاملة و ٩١٩ ١٢٦٦٦ نسخة من الاناجيل و ٢٩٧ ٦٩٦ ٥ نسخة من اجزاء منها

تطهير الماء بكلوريد الجير

جرب تطهير مياه الشرب في مدينة بتسبورج بامبركا الشمالية باستعمال كلوريد الجير (مسحوق القصارة) فكانت النتيجة ان عدد المكروبات في السنتيمتر المكعب منها قل نحو ٩٠ في المئة عما هو في الماء غير المطهر وكانت خلائق منهُ بعض الانواع المضرة . وقلت الاصابات بحمى التيفوئيد في المدينة ٣١ في المئة عما كانت قبل تطهير الماء

الاميركيون الاصليون في بيرو

نشر الكبتن هوبفن الرحالة الانكليزي فصلاً عن قبائل الاميركيين الاصليين الذين بجوار نهر ابساجابارا في بيرو . وقد نفى فيهِ ما كان عالقاً بالاذهان من انهم كانوا في ما مضى ذوي مدنية راقية اضاعوها في العصر الحاضر وقال ان مدنيتهم تقابل عصر الظران (اي العصر الذي كان الانسان يعتمد فيهِ على الادوات الحجرية قبل

ان يمكن من صنعها من المعادن) من مدنية العالم القديم . وان القبائل التي الى الشمال منهم تدخن التبغ بالسيكار والقبائل التي الى الجنوب منهم تدخنهُ بالحجر (الغليون) اما م فيستخرجون من التبغ مادة يمضغونها في اجتماعاتهم العمومية اذا اجتمعوا وهم على ولاء او اذا ارادوا تثبيت عقد بينهم . واذا ولد لهم توأمان استبقوا اولها وقتلوا ثانيها خصوصاً اذا كان انثى . واذا ولد لامرأة مولود ضعيف البنية او فيهِ عاهة طرحتهُ في النهر . ومنهم قبيلة تعرف بالبورو يحبس فيها الرجل اذا ولدت زوجتهُ . ويقتلون اسراهم ويأكلونهم ويعتقدون ان روح الميت تبقى ترفُّ حول كوخهِ مدة بعد موتهِ

الاكسجين في الهواء

نشر معهد كارنجي للبحث العلمي في وشنطن بامريكا نتيجة ابحاث وتحاليل لمعرفة مقدار الاكسجين واكسيد الكربون الثاني في الهواء . ويستدل من نتيجة هذه الابحاث التي دامت من ابريل سنة ١٩١١ حتى يناير سنة ١٩١٢ ان مقدار الاكسجين في الهواء لا يتغير تغيراً محسوساً بفعل النبات الذي يكثر في فصل الربيع او بتنفس الحيوان او اي سبب آخر . فنسبة المواد التي يتألف منها الهواء بعضها الى بعض ثابتة لا تتغير ما دام الهواء مطلقاً

العقل والدماغ

القى الدكتور موط خطبة بحث فيها عن علاقة العقل بالدماغ وافاض في بيان تأثير التلافيف الدماغية في زيادة سطح الدماغ الذي تنتشر فيه المادة السنجابية ثم في اشكال هذه التلافيف واوضاعها التي تكون متشابهة في اعضاء العائلة الواحدة . ومما قالهُ ايضاً ان بين وقوف النمو في المادة السنجابية وضعف العقل وبين الجنون وتلف المادة السنجابية تلازماً يحمل على القول بان عقل المرء وطبائعهُ نتيجة نمو الجسدي

كيف تقوم المدارس

بلغ ما وهبتهُ الشركات التجارية الكبرى في مدينة لندن للمعهد العلمي المعروف بمعهد لندن منذ ٣٨ سنة حتى الآن ١٣٩ ٨٨٩ جنيهاً اي ان متوسط ما وهبتها اياهُ في السنة نحو ٢٦١٥١ جنيهاً وبلغ ما وهبتها اياهُ كل من شركات الصاغة والجواخين وتجار الاسماك اكثر من ١٢٠٠٠٠ جنيه . والشركات التي وهبتها اكثر من ٢٠٠٠٠ جنيه ثمانٍ والتي وهبتها اكثر من ١٠٠٠٠ جنيه خمس

ضربة الموز في جامايكا

اصاب الموز في جزيرة جامايكا مرض سببهُ نباتات فطرية وقد جربت لتطهيره مواد كيماوية كثيرة فلم تنجح . ويؤملون ان يتغلبوا عليهِ بغمر الارض بالماء مدة لان

الرطوبة تضر بهذا النوع من القطريات او يزرع الانواع التي لا تجري عليها كوز الكوتفو

حلية مصرية قديمة

وجد الاستاذ بيتري الاثري المشهور في قبر بجرزة على اربعين ميلاً الى الجنوب من القاهرة تحفاً ذهبية قديمة منها حلية ذهبية مما كانت يلبس على الصدر وتشبه الحلى التي وجدت في دهشور ويرجح انها كلها من صنع صائغ واحد. وعثر ايضاً في القبر الذي وجدها فيه على رفات رجل يظهر انهُ دخل القبر ليسرقها فسقط عليهِ السقف

الراديوم في الارض

حسب بعضهم انهُ اذا كان ما تحتويهِ طبقات الارض السفلى من الراديوم يعادل ما تحتوي بهِ قشرتها وجب ان تكون حرارتها ارفع مما هي ولذلك يرى ان مقدار الراديوم عند قلب الارض اقل مما هو في طبقاتها الوسطى كما انهُ في طبقاتها الوسطى اقل مما هو في قشرتها

التلغرافون

اخترع الدكتور بولسن من كوبنهاغن آلة مؤلفة من سلك معدني يمر بسرعة بين قطبين كهربائيين في آلة السمع من التلفون فيتمغنط ويتأثر بفعل هذين القطبين بهِ عند مرور الكهربائية عليهما اثناء التكلم بالتلفون فينطبع تأثير الصوت عليهِ. فاذا جرَّ بعد ذلك بين القطبين الكهربائيين في آلة السمع من التلفون والكهربائية تجري فيهما اثَّر في المجرى الكهربائي بتموجهِ واضاف فيهِ تأثيراً يعيد الصوت الاول لكن هذا الصوت يكون ضعيفاً ولا بد من تقويتهِ

توليد الكهربائية من الغبار

القى المستر ردج خطبة امام الجمعية الفلسفية في كمبردج بيَّن فيها ان الغبار يكون دائماً مشبعاً كهربائية سواء اثارتهُ الريح او نشأ من سبب آخر . اما نوع الكهربائية اي كونها ايجابية او سلبية فيتوقف على نوع الغبار. وقال ايضاً انهُ يمكن توليد الكهربائية بامرار الهواء الذي يحمل غبار الدقيق او الكبريت او برادة الحديد او الغبار الذي يتصاعد من الطرق في انبوب غير موصل

امتصاص الحنطة للنيتروجين

قال المسيو شرشالك في خطبة لهُ في اكادمية العلوم بباريس ان نبات الحنطة الصغير يمتص المواد النيتروجينية سواء كانت آلية ام غير آلية بواسطة مواد تكون في جذوره

موتمر الطب البيطري

سيلتئم موتمر الطب البيطري العام في مدينة لندن وتدوم جلساتهُ من ٣ الى ٨ اغسطس سنة ١٩١٤ . وقد اذاعت اللجنة المركزية دعوة الى من يعنيهم ذلك من جميع الامم ليؤلفوا لجاناً تبث فكرة المؤتمر وترسل مندوبين ليشهدوهُ ويشتركوا في اعمالهِ

فهرس الجزء الاول من المجلد الثالث والاربعين

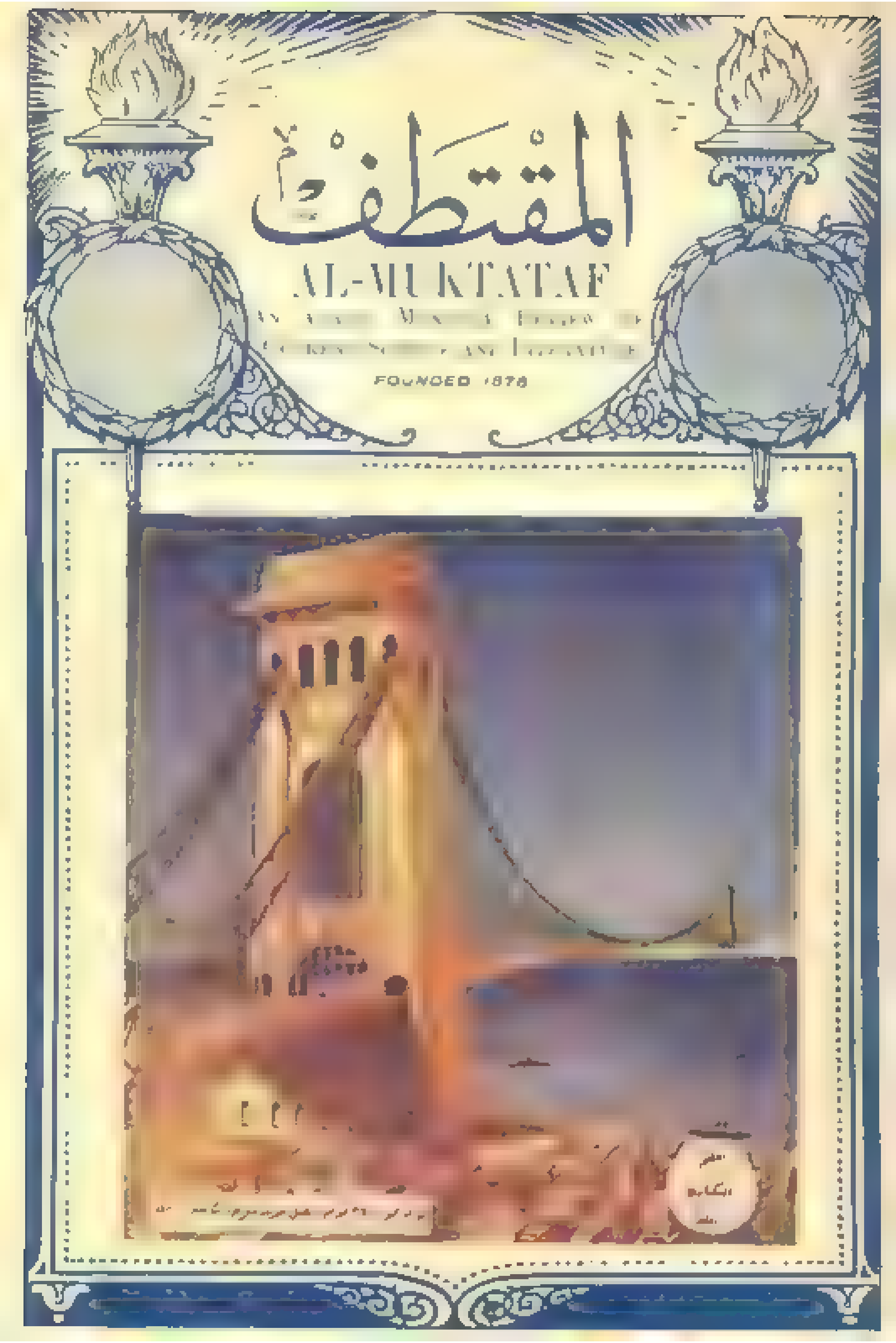

المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٨ شعبان سنة ١٣٣١

الحرب في الهواء

كانت كلمة « الحرب في الهواء » استعارة بمعنى الوهم وما لا حقيقة لهُ اما الآن فصارت حقيقة لا ريب فيها بل صارت حروب الهواء ارهب الحروب كلها ولو لم تنشب حرب منها حتى الآن . وقد اخذت الدول تعدُّ لها عدتها وتنفق في سبيلها النفقات الطائلة . ولو تيسَّرت لها المعامل لتصنع من آلات الطيران اضعاف ما تصنعهُ الآن ولو تيسَّر لها الجنود المتمرنون على الطيران لضاعفت نفقاتها في هذا السبيل . فقد انفقت الحكومة الفرنسوية على آلات الطيران ٢٤٨٠٠٠ جنيه سنة ١٩١١ و ٨٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٢ وستنفق هذه السنة ١٧٠٠٠٠٠ جنيه . وستنفق الحكومة الالمانية هذه السنة ١٨٠٠٠٠٠ جنيه من خزينتها و٣٥٠٠٠٠ من اشتراكات تبرع بها الالمان والجملة ٢١٥٠٠٠٠ . ولا تمضي سنوات كثيرة حتى تصير نفقات المراكب الهوائية كنفقات البوارج البحرية

والمراكب الهوائية التي جُرّبت حتى الآن تدخل تحت خمسة اشكال وهي بلونات مسيرة ذات اضلاع صلبة حتى لا تلتوي وبلونات مسيرة ليس لها اضلاع . واروبلانات ذات سطح واحد واروبلانات ذات سطحين واروبلانات ذات طوّافات تطفو بها على وجه الماء ثم ترتفع في الهواء

وقد اهتمت المانيا في اول الامر بالبلونات المسيَّرة من نوع بلونات زبلن الذي صورناهُ وشرحناهُ في مقتطف ابريل الماضي وهو كيس كبير مستطيل يملأ بالغاز وتعلَّق به مركبة فيها محرك يدير مروحة بسرعة فائقة فيندفع بها البلون ويسير في الهواء وقد بلغت سرعتهُ خمسين ميلاً في الساعة . وتصنع الحكومة الالمانية الآن بلوناً كبيراً ينتظر ان تبلغ سرعتهُ خمسة وخمسين ميلاً في الساعة اي انهُ يسير مثل اسرع القطرات البخارية ومضاعف سرعة البوارج الحربية . وقد صنعت قبلهُ بلوناً مدرعاً سرعتهُ خمسون ميلاً في الساعة وهي تنتظر

ان تصل الى ما سرعتهُ ستون ميلاً في الساعة - ومتى بلغت سرعة البلون هذا الحد لم يعد يخشى مقاومة العواصف لهُ مهما اشتدت سرعتها فيسير حيثما شاء مهما كانت احوال الجو

وتوضع المدافع في مركبات هذه البلونات كما توضع في السفن الحربية فتطلق منها قنابل الرصاص الرشاش وقنابل الديناميت وقنابل الغازات المدخنة التي تحجبها عن الانظار . والرصاصة من رصاص القنابل الاولى ثقلها سبعون درهماً وهي تخرق درع الفولاذ ولو اطلقت عليهِ من بعد شاسع وكان ثخنهُ عقدة (برصة) . ويمكن تسديد هذه المدافع بسهولة فتصيب الغرض وان لم تصبهُ في الطلق الاول اصابتهُ في الثاني او الثالث لان الذي يطلقها يرى الغرض اجلى مما يراهُ لو كان واقفاً على الارض. وعندهُ آلة اسمها ستاتوسكوب يعرف بها ارتفاعهُ عن سطح البحر بالدقة التامة فيرتفع بالبلون او ينخفض حسب دواعي الحال

الاَّ ان المانيا صرفت همها الآن الى عمل الطيَّارات من نوع الاروبلان بعد ان كان اعتمادها كلهُ على البلونات المسيرة وعرضها ان تناظر فرنسا في هذا السبيل اما فرنسا فكان اهتمامها مصروفاً الى عمل الاروبلان لكنها عادت الآن فاهتمت بعمل البلونات المسيرة . والظاهر ان انكلترا تميل الى عمل الطيارات المائية اكثر مما تميل الى عمل البلون او الاروبلان . وينتظر ان يصير عندها هذه السنة ٧٥ طيارة مائية وهي تحسب انهُ اذا كان مع اساطيلها العدد الكافي من الطيارات المائية بحيث حولها تحميها من الاوربلانات والبلونات فاذا رأت شيئاً منها آتياً ليوقع بالاساطيل طارت اليهِ حالاً واوقعت بهِ . ويقصد الانكليز ان يجعلوا من الطيارات المائية منطقة حول بلادهم كالحصون ترقب حركات الاعداء لانهم خائفون ان تهاجمهم دولة باساطيلها الهوائية على غرة فتوقع ببوارجهم وتخرب مدنهم . وجرائدهم تبالغ في الخطر وقد اقلقت افكار الشعب باخبارها وبالصور التي تنشرها . ومن رأيها ان الاعتماد على الاروبلان اولى من الاعتماد على البلون المسيَّر لان نفقة عمل البلون الواحد تزيد على النفقة اللازمة لعمل ٣٥ اوربلاناً ولان عمل الاروبلان سهل ويمكن ان تصنع منهُ الوف في وقت قصير واما البلون المسير فعملهُ صعب ويقتضي وقتاً طويلاً ولا بد لإيوائهِ من بناء واسع جداً وزد على ذلك فان البلون سريع التلف اذا خرقتهُ رصاصة اتلفتهُ او حرقتهُ واما جناحا الاروبلان فيخرقها الرصاص خرقاً ولا يتلفها

ويسهل وضع النور الكهربائي في الاوربلان حتى اذا طار ليلاً رأى ما تحتهُ فيرى مكاناً يصلح لنزولهِ فيهِ فينزل اليهِ واما البلون المسيَّر فلا يمكنهُ ان ينزل الاَّ في المكان المعد لنزولهِ حيث يجد اناساً مستعدين ليمسكوا بزمامهِ ويربطوهُ واذا اضطرَّ ان ينزل في مكان آخر فقد تقضي عليهِ

ثم ان البلون المسير المعد للحرب يستطيع ان يحمل خمسة اطنان من الديناميت ولكن الخمسة والثلاثين اروبلانا تستطيع ايضاً ان تحمل هذا المقدار من الديناميت اذا وزع عليها او تحمل اكثر من ذلك

ويستطيع الاروبلان ان يطير مسافة ٦٠٠ ميل من غير توقف فيدخل بلاد العدو ويوغل فيها ويعود منها من غير ان يضطر النزول الى الارض. وقد يدري به العدو ويطلق المدافع عليه ويتلفهُ ولكن يرجح انهُ يتلف بلوناً وبلونين قبلما يستطيع ان يتلف عشرين اروبلاناً والبلون الواحد يساوي ٣٥ اروبلاناً كما تقدم. وقد استعمل الاروبلان في حرب طرابلس الغرب وفي حروب البلقان ولكن لم يجسر احد من المحاربين على استعمال البلون

والآن صار امر البلونات والاروبلانات الشغل الشاغل لفرنسا والمانيا فان فرنسا انشأت على تخومها من جهة المانيا خمس محطات اروبلانية في تول وفردين وشالون سيرمين وبارلوديك وايبنال وبنت بيوتاً في اماكن كثيرة للبلونات ومعامل لتوليد غاز الهيدروجين ومعملاً نقالاً لتوليد هذا الغاز وبيوتاً نقالة لايواء البلونات

والالمان فاقوا الفرنسويين في الاستعداد لحروب الهواء فعندهم اربعة بلونات كبيرة من نوع زبلن مدرعة ومسلحة تسبح في الهواء دواماً كأن الحرب على الابواب والغرض منها تمرين رجالها على حرب الهواء. اثنان منها مرابطان على التخوم الفرنسوية واثنان في جهة البحر الشمالي مقابل تخوم روسيا وكلٌّ منها مستعد ليوغل في البلاد التي هو على حدودها عند اول اشارة. والحكومة الالمانية مهتمة الآن بانشاء تسعة بلونات اخرى والمرجح انها تنشئ مضاعف ذلك في السنة التالية

وقد اخترع الفرنسويون مدفعاً كثير الطلقات اطلقوا رصاصهُ على اروبلان ارتفاعهُ ٥٥٠٠ قدم فمزّقهُ تمزيقاً وكان الاروبلان متصلاً بزورق بخاري سائر بسرعة عشرين ميلاً في الساعة وهو سائر معهُ بهذه السرعة ومع ذلك استطاع الذي يطلق المدفع ان يسدده اليه ويصيبهُ ويمزقهُ ولكن لو كان الاروبلان سائراً بسرعة مئة ميل في الساعة لتعذَّر تسديد المدفع اليه. والسير بسرعة مئة ميل ليس بالامر البعيد لان بعض الاروبلانات يسير الآن بسرعة تسعين ميلاً

ثم انهُ قد جرب البلون الحربي لتعلم مقدرة من فيه على اصابة الغرض بالمدافع فوُضع طوف من الخشب في بحيرة جينيا ووقف بلون الماني في الجو على ثلاثة اميال ونصف ميل منهُ وهو مرتفع فوق الارض ثلاثة آلاف قدم وجعل يطلق القنابل عليه فلم يصبهُ بالقنبلة

الاولى ولا بالثانية ولكنهُ اصابهُ بالثالثة ومن ثمَّ صار يصيبهُ بكل طلق. والظاهر ان عصف الرياح لا يمنع تسديد المدافع الى الغرض واصابتهُ

والبلون ربلن الثالث اطلق القنابل على غرض وهو على ٦٠٠ قدم فوق الارض وكان الغرض مرسوم قرية كبيرة فمزقهُ تمزيقاً في سبع عشرة دقيقة. ولقد ثبت ان الرصاص المطلق منهُ يخرق دروع الفولاذ التي تدرَّع بها الطرادات عادة. وكان البلون سائراً بسرعة حتى يتعذر على مدافع الطراد ان تصيبهُ

وشاع الآن طرح قنابل الديناميت من البلونات والاروبلانات. ويسهل على مَن يطرحها ان يتحكم في طرحها حتى تصيب الغرض الذي يقصدهُ. وقد صنع معمل كروب قنابل اذا رميت القنبلة منها اشتعلت وانارت فتشعل ما تصل اليهِ وتنير ما حولها فيرى مَن يرميها فعلها ويتحكم في ما يلقيهِ بعدها ولو في حالك الظلام. ويعلق بالبلون مصباح كهربائي من النوع الذي ينعكس كل نوره الى الاسفل ويجعل بعيداً عن البلون نحو ٥٠ قدم فيكون هادياً للذين في البلون يريهم ما تحتهم ومضللاً للذين على الارض لانهم يظنون البلون حيث المصباح تماماً. واذا كانوا يعلمون ان البلون بعيد عنهُ زادت حيرتهم لانهم لا يستطيعون ان يستدلوا بهِ على مكانهِ

وصنع الالمان ايضاً قنابل تنفجر في الهواء بعد ما تلقى من البلون ويخرج منها دخان كثيف يسد منافس الفضاء ويحجب البلون عن انظار الذين على الارض الى ان يبعد عن موقع الخطر فاذا مرَّ فوق مكان ورأى الجنود فيهِ مستعدين لاطلاق مدافعهم عليهِ رمى قنبلة من قنابلهِ المدخنة واختفى بدخانها فهو كالاخطبوط الذي اذا شعر ان عدوًّا يطاردهُ نفث الحبر حولهُ فاسودَّ بهِ الماء وحجبهُ عن انظار طالبيهِ

ولكن هذه الوسائل كلها ليست شيئاً في جنب اختراع آخر كان كتَّاب الروايات يفرضون اختراعهُ فرضاً وهو قنابل محشوة بالغازات السامة فاذا أُطلقت انفجرت وخرج الغاز منها وانتشر في المكان الذي تقع فيهِ وقتل كل حيٍّ في بقعة قطرها مئة متر او اكثر. ووضع كلب في سلة بمدينة طوكيو وعلقت السلة ببالون صغير واطلقت قنبلة من هذه القنابل حتى انفجرت على نحو ٣ قدم من ذلك الكلب فقتلهُ غازها ولما شُرّح جسمهُ وجدت رئتاهُ مشبعتين بالغاز السام الاَّ ان المدفع الذي يمكن ان تطلق منهُ هذه القنبلة لا يزيد مداهُ على الفي قدم

وجرب الالمان رمي القنابل من بلون كبير من بلوناتهم في احد معسكراتهم واصابة الغرض بها فوجدوا انها تصيب الغرض دائماً ولو كان ارتفاع البلون من ٤٠٠٠ قدم الى ٥٠ قدم. ولم تكن هذه القنابل محشوة شيئاً فلم يكن منها خوف ولكن الجنود الذين كانوا

على الارض لرب الاغراض التي رميت عليها لم يستطيعوا ان يروا البلونات التي كانت ترميها
والبلون فكتوريا لويس الذي وصفناهُ في مقتطف ابريل الماضي طار مرة حتى بلغ ارتفاعهُ ٧٠٠٠ قدم فوق سطح الارض ثم نزل بغتةً على زاوية حادةٍ حتى كاد يبلغ الارض ثم وقف فوق الباخرة الالمانية المسماة اميركا من شركة لويد لكي يثبت انهُ يستطيع ان يقف في عرض البحر اذا اعوزهُ الوقود ويتناول ما يحتاج اليهِ من السفن التجارية ولا يضطر ان يعود الى الارض لاجل اخذ المؤونة منها
ولما صُنع البلون المسمّى هنسا وطار بهِ زبلن عبر البحر الشمالي الى كوبنهاغن وعلا واسوج وقطع ٣٧٥ ميلاً في اثني عشرة ساعة طربت المانيا كلها وقالت جرائدها ان ذلك البلون يستطيع ان يطير فوق لندن واية مدينة ارادها من مدن الانكليز من غير ان يعترضهُ احد
ولا شبهة ان المانيا اتقنت البلون الحربي ولكنها لم تهمل الاروبلان . ويهتم الكونت زبلن الآن بالحاق كل بلون من بلوناتهِ باروبلان ليطير الاروبلان متنقلاً كما يشاء ويعود اليهِ كأنهُ زورق تجاري متصل بسفينة حربية ويكون في الاروبلان مدفع طويل المدى حتى اذا هجم مهاجم على البلون في الهواء ابعد الاروبلان عنهُ وصب عليهِ وابلاً من القنابل بمدفعهِ واذا عاد العدو عليهِ ليسرّت اتجاه البلون
وبلون زبلن يحمل ثلاثة مدافع على الاقل ويمكنهُ تسديد مدافعهِ على اية زاوية ارادها وفيهِ مدفع يطلق القنابل التي يخرج منها الدخان . والمدافع وابراجها ومركبة البلون مصفحة كلها بنوع متين جدًّا من الفولاد حفظت الحكومة الالمانية تركيبهُ سرًّا وهو رقيق جدًّا ولكن الرصاص العادي لا يخرقهُ بل ينفرش عليهِ كأنهُ شمع . واذا كان طولهُ خمس مئة قدم وحلّق في الجو لم يظهر للواقف على سطح الارض الا مثل قلم عادي من اقلام الرصاص ولذلك يتعذر ان يصاب بشيء يطلق عليهِ من الارض لاسيما وانهُ لا يبقى لحظة في مكان واحد
ولا يقتصر ضرر البلون الحربي على اطلاق القنابل ولكنهُ يستطيع ان يجر وراءهُ مشعلاً من نار فيحرق بهِ الحقول والقرى والمدن . واذا حاول السكان اطفاء النار منعهم من ذلك بصب الرصاص عليهم من مدفعهِ الرشاش
ويستطيع ايضاً ان يجرّ وراءهُ اسلاكاً معدنية في رؤوسها كلاليب فيخرب بها المباني الخشبية على خطوط سكك الحديد ويضرم النار فيها بمشعلهِ فتمحى الخطوط وتلتوي ولا تعود صالحة لسير القطارات عليها ويمكنهُ ان ينسف بمشعلهِ مخازن البارود ومراجل الغاز ويحرق محطات سكك الحديد

الدوار وسببهُ وعلاجهُ

ليس بين الآفات المرّضة لها جسم الانسان ما هو اشدُّ كرباً واكره حدوثاً من الدوار البحري . يصيبك فتتألم وتتمرمر وتودُّ ان تفارق الحياة حتى تتحرر منهُ والناس حولك اما مثلك فتشاركهم ويشاركونك ولا يخفف احدكم عن الآخر بل يزيده كرباً . يسكن غثيانك لحظة ثم تسمع واحداً منهم يتهيأ للقيء فيعاودك ما تكره ويزيد عليهِ . واما الذين لا يفعل بهم الدوار فيضحكون عليك او يهربون منك لا من يرثي لبلواك ولا من يخفف الملك الى ان ينتهي السفر او يسكن البحر وتهدأ السفينة . وقد لا ينحصر فعل الدوار بالغثيان والقيء والكرب وضيق النفس بل تكون لهُ عواقب وخيمة جدًّا فيقتل بعض الذين يوصف لهم سفر البحر للخلاص من داء السل ويتلف معد المصابين بسوء الهضم ويورث البعض آفات لا تزول مدى العمر ولذلك اهتمَّ الاطباء وغيرهم باكتشاف علاج لهُ فكثرت العلاجات وتنوعت ولكننا لم نجد منها علاجاً ناجعاً عند اشتداد الانواء . ولو لم تكن عواقب الدوار سليمة في الغالب لترك الناس سفر البحر خوفاً منهُ ان لم يكن كرهاً لهُ

وهناك امرٌ آخر وهو ان الانواء غير مطردة وغير دائمة ولو في فصل الشتاء فقد يصادف السفينة نوءٌ وقد لا يصادفها واذا لازمها اليوم فقد يفارقها غداً فتبقى الآمال معلقة بحبال الرجاء وهذا مما ييسر للناس ركوب البحر اليوم ولو اصابهم منهُ ما اصابهم بالامس

وقد دخل الصيف بحرهِ وهجيرهِ وهرع كثيرون من سكان هذا القطر الى الهرب منهُ والالتجاء الى ربى لبنان او مصايف اوربا لان ليس فيهِ جبال باردة الهواء فلا بد لهم من ركوب البحر في الحالين ذهاباً واياباً واذا كانوا من الذين يفعل بهم الدوار فقد يخسرون في يوم ما كسبوهُ في شهر وما من احد منهم ومن غيرهم الاَّ ويود ان يعرف سبب الدوار وعلاجهُ اذا كان لهُ علاج وهذا ما نريد بيانهُ في هذه المقالة

اما سببهُ فقد ذكرناهُ بالايجاز في المجلد السادس والثلاثين من المقتطف صفحة ٥٥٢ حيث اوردنا كلام الاستاذ هل فيهِ وهو

« ومن امثلة هذه الاعمال المنعكسة دوار البحر فان العصب الذي يحفظ موازنة الجسم جزءٌ من العصب السمعي المتصل بالقنوات الهلالية في الاذن الباطنة فاذا اختلجت السفينة تنوع تغيرت الموازنة في هذه القنوات واتصل تأثيرها بالمادة السنجابية في المخيخ فتنبهها تنبهاً شديداً واثر ذلك في العصب العاشر الذي يتصل بالمعدة فان بعض خيوطهِ متصل ايضاً بالمخيخ حيث

مركز موازنة الجسم فيحدث القيء اي يحدث فيها فعل مثل الفعل الذي يسبب العطاس في الانف فتحاول دفعهُ فتدفع ما بها من الطعام . وفي بدء الدوار لا يكون التنبّه شديداً فتجيش النفس فقط ويزداد افراز العصير المعدي الى ان يحدث القيء . ومما يزيد فعل الدوار اضطراب النظر ايضاً لان العصب البصري متصل بالمركز الذي يتصل بهِ العصب المعدي لكن السبب الاصلي تهيج المادة السنجابية في المخيخ بهذه المسببات كلها »

وقد وقفنا الآن على شرح سبب فيهِ العالم نورمن بارنت فرأينا ان نثبت خلاصتهُ لما فيهِ من زيادة التفصيل قال

ان هيجان البحر ليس بالسبب الوحيد للدوار بل هناك اسباب اخرى في جسم الانسان الذي يصاب بهِ اي لا بدَّ من استعداد فيهِ لهُ والاَّ لم يصبهُ مهما كان البحر هائجاً

والاسباب المعدَّة للدوار كثيرة بعضها يتعلق بالمعدة وبعضها بالكبد وبعضها بالاعصاب وبعضها بالسفينة نفسها . فاذا كان الانسان مصاباً بآفة معدية او اذا دخل السفينة ومعدتهُ مملوءة بالطعام وحدث النوء وجعلت السفينة تنود بهِ اصابهُ الدوار اكثر مما يصيبهُ لو كانت معدتهُ سليمة او غير مثقلة بالطعام الكثير . فضعف المعدة وشحنها بالطعام لا يسببان الدوار بل يعدان الجسم لهُ وقس على ذلك ضعف الكبد فانها اذا كانت بطيئة في عملها لم تقاوم نودان السفينة بل زادت تأثراً بهِ ولكنها لا تكون سبباً للدوار

اما الاعصاب فامرها اهم من امر المعدة والكبد . فالخوف من الدوار (وهو فعل عصبي محض) يسبب غثيان النفس ولو لم يكن الانسان في البحر حتى قد يصاب البعض بالدوار اذا رأوا السفن في المرفإِ والناس يصعدون اليها . ويصاب غيرهم بالدوار خوفاً من الدوار . وكل المصابين بالضعف العصبي معرضون لدوار البحر وكذلك المصابون بآفة في الدماغ والمعرضون للصرع والصداع . وبعبارة اخرى ان كل المصابين بآفة عصبية معرضون للدوار اكثر من غيرهم

ثم ان السفينة نفسها قد تكون حركاتها مما يوجب الدوار وقد لا تكون فالسفن التي ترتجف ارتجافاً بفعل الامواج يصيب الدوار ركابها اكثر مما لو كانت حركاتها صعوداً ونزولاً متواليين . واذا اشتدَّ النوء وعلت الامواج وخيف من غرق السفينة فالخوف يسبب الدوار في بعض الذين لا يصيبهم الدوار عادة . ومهما كانت الاسباب المهيئة للدوار فالسبب المباشر هو حركة السفينة وقت النوء فان هذه الحركة تنتقل الى الدماغ ومنهُ الى المعدة . ولكن حركات السفن مختلفة وفعلها مختلف ايضاً فالحركة الجانبية تؤثر اكثر من الحركة من مقدم

السفينة الى موءخرها والحركة القصيرة المدة في السفن الصغيرة الماخرة في البحار الضيقة توءثر اكثر من الحركة الطويلة في السفن الكبيرة الماخرة في عرض الاوقيانوس . والذي يستلقي على ظهره حالما يبتدئ النوء قد يخبو من الدوار . والنوء الذي يتدرج تدرجاً في شدتهِ يحتملهُ الناس اكثر من النوء الذي يثور بغتةً

والآراء مختلفة في سبب الدوار فالبعض يقولون ان سببهُ المعدة حاسبين ان حركة السفينة تسبب اضطراباً فيها فيعالجونهُ بادوية تفعل بها والبعض يقولون ان سببهُ الكبد وانها هي التي توءثر في المعدة . والبعض يقولون ان سببهُ الرئة لا غير فاذا عزم الانسان ان لا يصاب بالدوار لم يصبهُ دوار . والبعض يقولون ان سببهُ انيميا الدماغ اي قلة ورود الدم اليهِ وان ذلك يحدث من حركة السفينة وان القيء فعل طبيعي لتحريك الدورة الدموية لكي يكثر ورود الدم الى الدماغ . والبعض يقولون ان سبب الدوار في حركة المقلة وتغير صور المرئيات في العين فيعالجونهُ بالاتروبين او باغماض العينين

ولا شبهة ان السبب الخارجي للدوار هو حركة السفينة بسبب هيجان البحر فان هذه الحركة تتصل الى الدماغ ومنهُ الى المعدة . وهنا فصَّل الكاتب ما ذكرناهُ آنفاً من امر القنوات الهلالية التي في الاذن الباطنة وبيَّن ان السبب الحقيقي للدوار هو تهيج الالياف الاخيرة من العصب السمعي المنتشرة في التيه الغشائي من الاذن الباطنة فيتصل هذا التهيج الى العصب الرئوي المعدي ومنهُ الى جدران المعدة ومن المحتمل انهُ يتصل ايضاً الى العصب السمباثوي . فهو اذاً تهيج في اعصاب المخ مسبب عن حركة السفينة في بحر هائج . وكل حركة تغير الوضع المألوف للسائل الذي في القنوات الهلالية توءثر في الاعصاب تأثيراً يصل الى المعدة كتأثير الدوار . فان السائل الذي في هذه القنوات كالسائل الذي في الاذن تعرف بهِ موازنة الجسم فاذا تغير وضعهُ فجأة أثَّر في الاعصاب التي تبطن تلك القنوات ووصل هذا التأثير الى المعدة فتشعر كأن مادة غريبة دخلتها ولا بدَّ من دفعها منها وهو خطأ في حكمها ولكنهُ خطأ مشهور يتعذَّر عليها اصلاحهُ . ويحسن بالقارئ ان يطالع المقالة المشار اليها آنفاً في المجلد السادس والثلاثين فانها توضح هذا الامر وامثالهُ

اذا كان الدوار فعلاً عصبياً كما تقدَّم فما يسكّن الاعصاب يزيلهُ او يخففهُ ولذلك فبروميد البوتاسيوم من انفع العقاقير الدوائية لهُ وكذلك النوم والمنوّمات على انواعها . وقد رأينا بالاختبار ان رائحة السفن الخاصة بها مما يثير الدوار او يزيدهُ كأنها تفعل بعصب الشم فعلاً يصل الى العصب الرئوي المعدي او الى العصب السمباثوي فيهيج المعدة لدفع ما فيها

تكريم العلم

اجتمع نفر من رجال العلم والفضل في اوائل الشهر الماضي (يونيو) واجمعوا على اقامة حفلة لتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية على اثر نشر كتابهِ الحديث في شرح القانون المدني تتلى فيها الخطب ويهدى اليهِ فيها نسخة من الكتب التي الَّفها او ترجها مجلدة تجليداً مذهباً ورقيم شكر يوقعهُ الحاضرون. واقيمت الحفلة في دار الجامعة المصرية الساعة السادسة من السابع والعشرين من الشهر الماضي فامَّها رجال العلم والقضاء وارباب القلم وكبار رجال الحكومة ولما انتظم عقد الجمع تليت الخطب التالية على ترتيبها

خطبة المستشار شكري باشا

ايها السادة الفضلاء

لجنة الاحتفال بتكريم صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول تهديكم تحيتها وتسديكم جزيل شكرها وتبث اليكم خالص ثنائها اذ تفضلتم فاجبتم دعوتها واجتمعتم اليوم في هذا المكان تشاركوها في ابداء عواطفها وتكرموا معها العلم والنبوغ في شخص سعادة الهمام فتحي باشا

يسرني ايها السادة كما يسركم ان تمام هذه الحفلة لهذا الفرض وهي على ما اعلم اول حفلة أُقيمت من نوعها(نعم قد أُقيمت حفلتان من عهد قريب لتكريم الشعر والادب في شخص شاعرنا الكبير حافظ بك ابراهيم والشاعر الحكيم خليل افندي مطران) قلت انها اول حفلة علمية بيد اني اتمنى ان تتلوها حفلات كثيرة من نوعها كلما نبغ في الامة المصرية واحد من ابنائها وخدمها بالعلم الصحيح كما فعل فتحي باشا

فكَّر ايها السادة جمعٌ من انصار النهضة العلمية في اقامة حفلة تكون شعاراً لم ولمن يرغب في الانضمام اليهم على ما تكنهُ ضمائرهم وتشتمل عليهِ افئدتهم وينطوي تحت جوانحهم من عواطف الاكبار وشعائر الاجلال والاعجاب بهمة رجل قد افاد امتهُ كثيراً من الجهة العلمية بما أُوتي من المواهب فاخرج لها في بضع سنين ضخمة من الكتب الاجتماعية النافعة ولقد اجاد كثيراً في اختيارها وتعريبها ولا اخال كل من اطلع على هذه الكتب وانعم النظر في مقدار المجهودات العقلية والجسمانية التي بذلها فتحي باشا في تعريبها الاَّ موافقنا على ان فتحي باشا يستحق اكرام امتهِ واحتفاءها

كتابهُ الاخير ايها السادة الذي وضعهُ في شرح القانون المدني قد حرك هذه الفكرة

في صدر اولئك الانصار لم يلبثوا حتى اخرجوها من حيز الفكر الى حيز القول ثم الى حيز الفعل ذلك لانهم آنسوا من الكثيرين الذين كاشفوهم بها واطلعوهم على برنامج مشروعهم كل اقبال وارتياح . ولقد اخذ فريق منهم على نفسهِ من ذلك الحين تنفيذ المشروع واعداد ما يلزم لنظام الحفلة وترتيبها . لا يسعني في هذا المقام ايها السادة الا ان اقدم واجب الشكر لاولئك الذين فكروا في اقامة هذه الحفلة واني اضاعف شكري لحضرات الاساتذة الاجلاء محمود بك ابو النصر وعزيز بك خانكي وعبد العزيز بك فهمي واحمد بك لطفي السيد اولئك الذين اخذوا على انفسهم تنفيذ المشروع وترتيب نظام الحفلة

فتحي باشا ايها السادة ولا ازيدكم به علماً رجل جد وعمل رجل همة ونشاط اذا ذكر اولو العزم ورجال الفضل والعلم كان فتحي باشا حامل لوائهم ورافع منارهم . ما توجهت فكرتهُ الى اي مشروع علمي نافع لامتهِ الا قام بتنفيذهِ على اكمل وجه بهمة لا تعرف الملل . رجل لم تمنعهُ اعمال وظيفتهِ وهي كثيرة كما تعلمون من ان يعمل كل اوقات فراغهِ وراحتهِ وهي قليلة كما تعهدون وقفاً على مراجعة الكتب الفرنساوية النافعة واختيار اكثرها نفعاً لابناء وطنهِ لينقلها الى اللغة العربية صارة فصيحة بليغة واسلوب عربي مبين بحيث يخال القارئ انها اصل لا تعريب

ليس في مصر ايها السادة من ينكر على فتحي باشا تفوقهُ في القانون ونبوغهُ في فهم اسرار اللغتين العربية والفرنسية لذلك كانت كتبهُ التي وضعها والتي نقلها الى العربية من احسن ما كتب وما عُرّب واني لارجو ان تنتفع الناشئة بما كتب وما عرّب

المحتفلون ايها السادة انما ارادوا باقامة هذه الحفلة ان يضعوا الحجر الاول لبناء التضامن العلمي وذلك التضامن الذي لا بد منهُ لنعلي قيمة رجال الفضل ونبوغ اهل العلم

لقد سرني كثيراً ايها السادة ان فكرتهم وهي في غاية السداد والصواب قد قوبلت من جميع العلماء والفضلاء بمزيد الارتياح والاستحسان ولا ادلّ على ذلك من ان ارى اليوم اجتماع عدد كبير من انصار العلم وذوي العقول الراجحة في هذا المكان مؤيدين لفكرتهم ومشاركين لهم في شعورهم ووجدانهم يحق لنا الآن ايها السادة ان نهنيء النفس بان روح التضامن والتكافل العلمي قد انبثت في نفوس الكثيرين واني لارجو ان تدوم هذه الروح الشريفة ليستزيد رجال النهضة العلمية من غيرتهم ويضاعفوا من هممهم في سبيل رقي البلاد بالعلم الصحيح والتربية الحقة ونشر الكتب المفيدة

سيلقي على مسامعكم الآن ايها السادة حضرة الاستاذ الفاضل عبد العزيز بك فهمي كلمة

في بيان فوائد كتاب شرح القانون المدني ومزاياه ومن هذا البيان تعلمون مقدار المجهودات التي بذلها فتحي باشا والتكاليف التي تجشمها في وضع هذا الكتاب المستطاب لفائدة المشتغلين بالقانون

الآن وقد بينت لحضراتكم ايها السادة غرض المحتفلين في هذه الكلمة الوجيزة لا ارى مندوحة في الختام من انتهاز هذه الفرصة لتهنئة صديقي فتحي باشا في هذه الحفلة بما آتاه الله من المواهب وما احرزه من السبق في ميدان الحياة العلمية والله يؤتي الحكمة من يشاء والله ذو الفضل العظيم

خطبة الاستاذ عبد العزيز بك فهمي المحامي

ايها السادة

ان خير الناس انفعهم للناس وهذه حقيقة مسلَّمة . اما خير وجوه النفع فهو ما سدَّ حاجة علية ذلكم بان في الفطرة ميلاً مستمراً للاستزادة مما يكمل الحياة ويجملها فالانسان بغريزته يتطلب الرقي ويبعث اليه ابداً ولا يقف في سبيله عند حد معين ومهما حدث مما يقضي بكتمان هذا الانبعاث الطبيعي فان صوته لا يخفت بل يرتفع عالياً يتوجع تارة على مصير الامور التي انتهت بصاحبه الى مهواة العجز وفقدان الحيلة ويؤنبه تارة اخرى على قعوده عن السعي في سبيل الاخذ بالاسباب والناس من حوله قيام في هذا السبيل ناهضون وليس منا الا من يقوم له من نفسه الدليل على صدق هذا النظر

وانه لا وسيلة لتبليغ المرء امله من اشباع هذا الميل الفطري للرقي سوى العلم . فالعلم ان وجب له التقديس من جهة ان الحقائق التي يكشفها تجة بذاتها على الكافة غير مفتقرة في وجودها للغير فان تقديسه على بني الانسان اوجب من جهة انه وسيلتهم الوحيدة لاعز مطلوب لهم وهو الحياة الكاملة وعلى هذا الاعتبار كان خير وجوه النفع خدمة العلم وكانت اليد التي تضع حجراً في بناء العلم خير الايدي واندادها

ايها السادة اجتمعنا اليوم لتمجيد العلم وتعظيم شأنه ولنظهر اغتباطنا برجل منا سمت به همته للاحسان في خدمة العلم ولننتهزها ساعة ندخل عليه السرور فيها بما اجهد نفسه وقلل من راحته ليزيد في راحتنا

ألا آن لنا كل الاغتباط بعالمنا العامل فان ذلكم الكتاب الذي وضعه اخيراً في شرح

القانون المدني هو على اختصاره من خير ما اخرج للناس في بلدنا بلغتنا العربية كتاب افاد لغة القانون وعلم القانون معاً

اما لغة القانون فان فيها كثيراً من الكلمات الاصطلاحية التي لم يؤدّها المترجمون تمام التأدية عند نقلهم العلم من الفرنساوية للعربية فوَلفها الجليل سد لنا جزءا كبيراً من هذا النقص بما تخيَّر لهذه الاصطلاحات من الالفاظ العربية التي اخذ بعضها من كتب الشرع الاسلامي وبعضها وضعهُ هو بما اوتيهُ من واسع الاطلاع على مفردات اللغة العربية وحسن الذوق في الاختيار

ولقد عمدت في كتابهِ الى الكلمات الدالة على امهات الاصطلاحات فعددت منها شيئاً كثيراً ، وهاكم منها بعضاً من كل

كلمة Patrimoine يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية فتارة يستعمل لها الفاظ « مجموع املاك الانسان » وان اختصر استعمل لها لفظ « مالية » ولكن المؤلف اختار لها لفظ الثروة وهو لفظ مفرد دال على المعنى تمام الدلالة

وكلتا Choses fongibles & ch. non fongibles. استعمل لها لفظ الاشياء المثالية والاشياء القيمية كالاصطلاح الشرعي وهو وضع صحيح ولغة القانون محتاجة اليهِ

وكلتا Servitude d'aqueduc & serv. d'écoulement des eaux. استعمل لها الفاظ حق الشرب وحق المسيل رجوعاً للاصطلاح الشرعي

وكلمة Possession هذه مصطلح عليها الآن بعبارة « وضع اليد » وقد وجد المؤلف ان هذا التعبير لا دقة فيهِ وان القانون استعملهُ ايضاً ترجمة لكلمة Occupation فصار اللفظ مشتركاً محتاجاً في تخصيص معناهُ الى القرينة فعدل هو عنهُ الى لفظ مفرد ادل على المعنى وهو لفظ « اليد » ولقد احسن اختيار هذا اللفظ خصوصاً وانهُ هو المعبر بهِ في الاصطلاح الشرعي عن هذا المعنى

اما كلمة Occupation او Appropriation فانهُ ترجم لها بلفظ « الاستيلاء » ولا شك ان هذا الاختيار من اجود ما يكون فان هذا اللفظ في الدلالة على معناهُ القانوني تنبعث منهُ نفس القوة والحياة التي تنبعث من الكلمتين الفرنساويتين

وكلمة Accession ترجمها القانون بعبارة « اضافة الملحقات للملك » وفضلاً عما في هذه الترجمة من كثرة الالفاظ فانها تعبر عن السبب بالمسبب اذ الاضافة للملك هي حكم القانون بسبب الالتحاق فهي ترجمة معيبة نبذها المؤلف واستبدل بها لفظاً مفرداً هو « الالتصاق »

وهو لفظ وضعهُ اللغوي يؤدي المعنى القانوني تمام التأدية

وكلمة Presc. extinctive, Prescription acquisitive عبر عنها « بمضي المدة الموجب ومضي المدة السالب او المسقط » والمشتغل بالقانون كثيراً ما يحتاج للتعبير عن هذين المعنيين فلا يجد الفاظاً متفقاً عليها لتأدية بهما. وهذان اللفظان « الموجب والسالب » لا بأس بهما ومتى صقلهما الاستعمال قبلها الذوق بلا كلفة

وكلمة Interruption Civile عبر عنها « بالانقطاع الحكمي » وعندنا ان هذا التعبير العربي ادق من الاصطلاح الفرنساوي فان اليد لا تزول فعلاً في هذا النوع من الانقطاع بل تكون في حكم المزالة بما يتخذهُ صاحب العين من الاجراءات التي بيَّنها القانون من اجل ذلك كان لفظ « حكمي » ادل على المعنى من لفظ Civile المعبر به في الاصل الفرنساوي

ومن عيوب الرضا ما يعدمهُ فيعدم العقد ومنها ما لا يعدمهُ تماماً و يعبر عن ذلك بالفرنساوي بعبارة Vices exclusifs du consentement et Vices non-exclusifs فالمؤلف وضع لذلك الفاظ « العيوب المانعة والعيوب المفسدة » وهو اختيار جيد ودقيق

وكلمة Obligation Aléatoires ترجمها « بالتعهدات الاحتمالية » وكثيراً ما كان يتردد المشتغل بالقانون في ايجاد لفظ يعبر بهِ عن هذا المعنى

وكلمة Obligations facultatives ترجمها « بالتعهدات البدلية » وكأني بالمؤلف تردد كثيراً عند وضع هذا اللفظ اذ ينقصهُ معنى الاختيار الذي هو من مخصصات هذا النوع من التعهدات ولكن المدقق المنصف يرى ان هذا اللفظ اولى ما يمكن التعبير بهِ لما انهُ انفى للبس. فان ما قد يجول بالخاطر هو تسمية هذا النوع بالتعهدات الاختيارية ولكنها تسمية توجب الخلط بين مدلولها ومدلول نوعين آخرين هما التعهدات التخييرية Alternatives والتعهدات الادارية potestatives

من اجل ذلك كان ما اختارهُ المؤلف اولى ويكفي ان يكون مستنداً في التسمية الى بعض مخصصات هذا النوع وهو اعطاء شيء بدلاً من الموضوع الاصلي للتعهد

وكلمات Condition pendante, Cond. accomplie, Cond. défaillie عبر عنها بالشرط المعلق والشرط المحقق والشرط المتخلف وكلها الفاظ دالة على المعنى تمام الدلالة

وكلمة Gestion d'affaires كثيراً ما يحار المشتغل بالقانون في التعبير عنها بالعربية وكل ما يستطيع ان يترجمها بهِ هو عبارة « ادارة اعمال الغير » ولكن المؤلف وضع لها عبارة « اعمال الفضولي » كالاصطلاح الشرعي وهو اصطلاح منطبق تماماً على المعنى بل هو ادق

بكثير من الاصطلاح الفرنساوي الذي يصدق بحسب معناه اللغوي على كل ادارة عمل سواء كانت من اصيل او من نائب شرعي او اختياري او من فضولي

ومن اسباب الغاء العقود اضرارها بمصلحة الدائن فهذا النوع من الالغاء سماه الاسترجاع واصر لفظ الالغاء على غيره من الصور وذلك لسهولة التمييز بين النوعين بحيث اصبحا مع هذا اللفظ المفرد في غنى عن استعمال عبارة « الدعوى البولسية Action paulienne » او عبارة « الالغاء للاضرار بمصلحة الدائن »

وكلمة Eviction المستعملة في باب البيع للدلالة على استحقاق الشيء المبيع للغير عبَّر عن الضمان المستحق بسببها « بضمان درك المبيع » والدرك هو التبعة الناشئة من الحاق الشيء بالغير واستحقاقه له وهو تعبير جيد ومستعمل في كتب الشرع الاسلامي

وسمي Louage d'industrie الاستصناع كالاصطلاح الشرعي وسمي Bail à colonat partiaire « المزارعة » كالاصطلاح الشرعي ايضاً وسمي Bail à cheptel وهو اجارة الماشية « الاجارة بالفائدة » اخذاً من حكمها

واطلق على Dépositaire لفظ « وديع » وكان من العادة التعبير عن هذا المعنى بلفظين هما « المودع لديه »

وترجم Dépôt irrégulier « بالوديعة الناقصة »

وترجم Dépôt d'hotellerie « بالوديعة الجارية » وفي هذا اللفظ معنى التكرر وعدم الاستيثاق فلا بأس به للدلالة على هذا النوع المبرهنة في الفرنساوية باكثر صوره حدوثاً

واستعمل عبارة « رهن الحيازة » باضافة كلمة الحيازة للدلالة على معنى Gage ولعدم اللبس في العربية بين هذا النوع من الرهن وبين الرهن العقاري

ومن مختاراته انهُ سمى الاملاك الموقوفة بالاموال ذات « الشبهين » لما انها تشبه الاملاك العمومية من جهة كونها غير مملوكة لاحد ومن جهة عدم جواز التصرف فيها وتشبه الملك الخاص من جهة امكان تملكها بمضي المدة وحجزها وبيعها لمن كان لهُ حق عيني ثابت عليها من قبل الوقف

الى غير ذلك من الالفاظ الاصطلاحية التي نحن في حاجة كبرى لوضعها

ولقد يخيل لمن يأخذ الامور على ظاهرها ان انتقاء مثل هذه الاصطلاحات من الهينات ولكن المارس للعلم يعرف مقدار ما يبذل من الجهود في هذا السبيل ويقدره قدره هذا من جهة الاصطلاحات

واما من جهة العلم فالمطلع يرى اولاً ان له انتقادات صحيحة على كثير من مواد القانون وثانياً ان له كثيراً من الآراء الشخصية والمناقشة في رأيي الغير

فاما الانتقاد على مواد القانون فان مجلة السيال تناول هذه المواد فاظهر ما فيها من خطإ الترجمة او الحشو او النقص الموجبين للابهام والتعقيد والحيرة في تعرُّف المراد

فمن خطإ الترجمة مثلاً ان المادة ٦٥ الخاصة بالغراس او البناء في ملك الغير ورد في اصلها الفرنساوي ما يفيد انهُ في صورة ما اذا كان الباني او الغارس سيء النية واختار صاحب الارض ابقاء ما استحدث بها يكون مخيراً بين دفع قيمة الغراس او البناء en état de démolition فالنص العربي ترجم هذه العبارة بقوله « مستحق القلع » وهو خطأ فالمؤلف لاحظ على ذلك ووضع الترجمة الصحيحة وهي « مقلوعاً »

ومن ذلك ان المادة ٨٨ الخاصة بصور زوال الملكية بدون اختيار صاحبها ورد نص الصورة الاولى منها هكذا : « اذا كانت الملكية قد انتقلت لغيره بسبب من الاسباب الموضحة آنفاً » ولما ان تلك الاسباب منها ما هو اختياري ومنها ما ليس اختيارياً فهذا النص عام متعارض مع صدر المادة وبينهما تنافر شديد . هذا التنافر لم يحدث الا من عيب الترجمة فان الاصل الفرنساوي هكذا Dans le cas ou il vient d'être expliqué qu'elle est acquise à un tiers.

وترجمته « اذا كانت الملكية قد اكتسبت لغيره في الحالة الموضحة آنفاً »

وهذه الحالة هي حالة الاكتساب بمضي المدة وهو اكتساب لا اختيار للمالك الاصلي فيه فالمؤلف لاحظ ذلك وصحح الترجمة بما يزيل التعقيد

ومنهُ ان نص المادة ١٠٧ ورد في الاصل الفرنساوي على شكل تعريف لتضامن الدائنين اما النص العربي فاتى على شكل حكم لهذا التضامن وهذا من العيوب التي تفسد مراد الشارع فالمؤلف ترجم النص على اصله

ومن الحشو في الترجمة ما ورد بالمادة « ١٥٨ » الخاصة باسباب انقضاء التعهدات والالتزامات فان الاصل الفرنساوي اورد السببين الاولين هكذا L'execution و La resolution ولكن النص العربي لم يكتف بكلمة « الوفاء » وبكلمة « فسخ العقد » بل اضاف للاولى كلمة بالمتعهد به بحيث صار هذا الحشو موهماً ان كل ما لم يحصل التعهد به اختياراً خارج من كل احكام الوفاء — ثم اضاف لكلمة الثانية التعهد فصارت « فسخ عقد التعهد » وهذا الحشو ايضاً صار موهماً ان هناك عقداً غير عقد التعهد فضلاً عن استهجان الوصف في ذاته فالمؤلف لاحظ ذلك ورد النص لاصل بساطته التي شوهها التزايد

ومن امثلة الحشو والتعقيد او القصور ما ورد بجملة مواد في باب استبدال الدين بغيره وفي باب المقاصة وباب انواع الدائنين وغير ذلك • وقد اورد المؤلف وجه انتقاده على عبارة القانون في ذلك ورد في بيانه الحقيقة القانونية لاصل جوهرها كما هي مرادة للشارع غير متعلق بظاهر الالفاظ عربية او فرنساوية ولا يسع المقام تفصيل ما اورده في ذلك وعن خشية الاملال نكتفي بذكر بعض المواد الاخرى التي تناولها بالنقد للاسباب المذكورة كلها او بعضها وها هي

٦ في باب انواع الاموال

٩٢ و١٠٣ و١١٣ و١١٨ في التعهدات على العموم

١٦٠ و١٦١ في فصل الوفاء

١٨٠ في فصل الابراء من الدين

١٨٦ و١٨٧ و١٨٩ في استبدال الدين بغيره

١٩٢ و١٩٤ و١٩٦ في فصل المقاصة

٢٢٦ في باب اثبات الديون وهي المادة الخاصة بقوة المحررات الرسمية

٣٠٢ في باب البيع

٥٥٤ و٥٥٥ و٥٥٦ في كتاب حقوق الدائنين

٢٤٥ مرافعات في الكشف على الاعيان الثابتة

ومن ادق ما يكون انتقاده على عنوان الفصل السابع من باب البيع وهو « الحوالة بالديون وبيع مجرد الحقوق بالنسبة لغير المتعاقدين » وقد اعتاض هو عن هذا العنوان بعنوان آخر هو « في بيع الدين والمزام وفي التخارج » ولا يسعنا في بيان وجه انتقاده سوى ايراد عبارته بنصها :

« عنون القانون هذا القسم من البيع هكذا (في الحوالة بالدين وبيع مجرد الحقوق »
« بالنسبة لغير المتعاقدين) وهي عبارة ممسوخة من اصل فرنساوي هو (في حوالة الديون »
« وغيرها من الحقوق المعنوية) والعبارة الفرنساوية منتقدة عندهم لكونها تؤذن بأن من »
« الحقوق ما هو مادي وذلك محال ومع ذلك نقل القانون المصري العبارة الفرنساوية كما »
« هي واضاف عليها قوله (بالنسبة لغير المتعاقدين) بعد ان ترجم الحقوق المعنوية بقوله »
« (مجرد الحقوق) فجاء كلامه خليطاً غير مفهوم والفصل معقود لبيع الديون والتخارج »
« والحقوق المشكوك فيها وعلى الاخص المتنازع فيها ولذلك اخذنا العنوان الجديد والبحث »

« فيه يدور حول المتعاقدين وغيرهم خلافاً لمدلول النص وان كان اهتمامهُ بالحال عليهِ وهو »
« غير المتعاقدين اكثر »

واما آراؤُهُ الشخصية في المسائل الخلافية فمنها

اولاً ان العرض الحقيقي في الشفعة غير لازم وانهُ يكفي عرض الاستعداد لدفع الثمن مع ملحقاتهِ القانونية

ثانياً يرى ان حق الاسترداد الوارد بالمادة ٤٦٢ مدني هو غير حق الشفعة

ثالثاً لهُ رأي خاص في تفسير المادتين ١١٣ و٢٠١ المتعلقتين بالمقاصة عند التضامن فان الاولى منهما لا تجعل للدين المتضامن حق التمسك بالمقاصة الحاصلة بين احد شركائهِ في الدين وبين الدائنين والثانية تجعل لهُ هذا الحق بقدر حصة شريكهِ فبين النصين تخالف تام. وقد وجد المؤلف ان حضرة العلامة المسيو دوهلس حاول التوفيق بين النصين وخرج بعد بيان مطول الى ان النص الاول عام والثاني خاص مقيد لهُ اي ان المدين لا يمكنهُ الدفع بالمقاصة في كل الدين متى كانت حاصلة فيهِ كلهِ بل لهُ الدفع بسقوط ما يساوي حصة شريكهِ الحاصلة معهُ المقاصة فقط — ولكن المؤلف رد على المسيو دوهلس وبين ان نص المادة ١١٣ هو بحسب وضعهِ مطلق يمنع الاحتجاج بالمقاصة بتاتاً سواء في كل الدين او في حصة الشريك الحاصلة معهُ المقاصة ولا يحتمل التقييد ولا التوفيق بينهُ و بين نص المادة ٢٠١ ثم رأى هو قطعياً ان نص المادة ٢٠١ هو وحدهُ المعوّل عليهِ وانهُ ناسخ لعبارة المادة ١١٣ وقد قام الدليل المقنع على صحة نظرهِ

رابعاً لهُ رأي خاص في المواد ١٥٤ وما بعدها الخاصة بنفقات الاقارب والازواج وظاهر عبارتهِ ان يجعلها جميعاً من اختصاص المحاكم الاهلية لا يستثني من ذلك الاَّ صورة النفقات بين الازواج في حالة ما اذا كان لمن تجب عليهِ النفقة وجه شرعي في عدم ادائها ففي هذه الحالة يجعلها من اختصاص المحكمة الشرعية تطبيقاً للمادة ١٦ من لائحة ترتيب المحاكم

خامساً يرى ان المادتين ٢٩٧ و ٢٩٨ المقررتين ان هلاك المبيع او تلفهُ قبل التسليم يقع على البائع ليستا مقررتين لحكم عام كما هو المتبادر منهما بل خاصتان ببيع غير المعين كالمقدرات من موزونات ومكيلات ومعدودات ومقيسات ذلك البيع الذي لا تنتقل الملكية فيهِ بمجرد الايجاب والقبول بل لا بد لانتقالها من التعيين اللاحق الذي يحصل بالوزن او الكيل او العدد او القياس فعلاً. واما بيع الاعيان المعينة الموصوفة التي تنتقل ملكيتها بمجرد الايجاب والقبول فخارج عن حكم هاتين المادتين وقد دل على ذلك بما لا غاية بعدهُ لمزيد

سادساً في باب القسمة خالف رأي العلامة الموسيو دوهلي القائل بان قسمة التركات من اختصاص المحاكم الشرعية الاهلية كما خالف رأيهُ القائل بأنهُ في قسمة الشركات تكون محكمة محل العقار هي المختصة دون محكمة مركز الشركة وقد اورد الدليل على احقيته في هذه المخالفة

ايها السادة

ذكرتُ بعض من كل من آثار تلك الملكة الفائقة وليس ما قدمتهُ من نماذج آثارها هو وحدهُ الذي يبهر المطلع على الكتاب بل ان هناك اموراً ثلاثة لم يسبقهُ احد في بلادنا اليها :— جمع شتات ما يندرج في موضوعات القانون المدني ثم ترتيب التأليف ترتيباً معقولاً ثم متانة اسلوب التعبير

فاما الامر الاول فان المؤلف وجد ان قانوننا المدني أبتدأ تكلم على الاموال وعلاقتها بالاشخاص وترك الاشخاص انفسهم فلم يتكلم عليهم . وجد ذلك فوضع في اول الكتاب جزءاً عظيماً تكلم فيهِ عن الاشخاص وقد تتبع احوال الانسان من مولدهِ الى وفاتهِ فبين كيفية اثبات الميلاد والوفاة وشرح قانون ١١ اغسطس سنة ١٩١٢ الخاص بذلك وبين كيفية اثبات الزواج والطلاق والوراثة وبيَّن الموطن وانواعهُ والصورة التي يكون للانسان فيها مواطن متعددة لصحِ مقاضاتهُ في كل منها وتكلم على الاهلية وانواعها وعلى الولايتين الشرعية والحسبية و بيَّن اختصاص المجالس الحسبية وتكلم على المفقود واحكامهِ وقد رجع في كل ما دونهُ الى الشريعة الاسلامية والقوانين واللوائح النظامية المعمول بها — وبعد ان اتم كلامهُ على الشخص الحقيقي وهو الانسان تكلم على الشخص الاعتباري و كيف يوجد

هذا الجزء الذي ابتكرهُ في كتابهِ مما يسهل الامر على المشتغلين بالقانون اذ هم يحتاجون في كثير من الظروف لمراجعة بعض مسائل الاحوال الشخصية فيجدونها مشتتة في كتب متفرقة يضيع وقتهم في البحث عنها والالمام بها بالسهولة فلا شك اذاً انهُ من افيد الاعمال

واما الامر الثاني وهو ما أتى بهِ من حسن الترتيب فانهُ نظر الى كتاب التعهدات مثلاً فوجد القانون قسمهُ اربعة ابواب التعهدات على العموم والتعهدات المرتبة على توافق المتعاقدين والتعهدات المترتبة على الافعال والالتزامات التي يوجبها القانون . ثم وجد ان الباب الاول لا يشمل كل القواعد العامة للتعهدات كما يفهم من عنوانهِ بل بعض هذه القواعد منتثر في الباب الثاني . فخالف هو ترتيب القانون وقسم الموضوع ثلاثة اقسام التعهدات والالتزامات التي يوجبها القانون والالتزامات التي تترتب على الافعال قاصراً لفظ التعهدات

على ما يترتب على توافق المتعاقدين والقفط قسمةً تقيد مادتهُ وصيغتهُ معنى الاختيار الذي هو روح التوافق واما لفظ الالتزامات فجعلهُ للقسمين الاخرين ثم قدم ما يوجبهُ القانون على ما يترتب على الافعال لان الاول اجباري يقابل التعهد الاختياري واما الثاني فمشترك بين الامرين ولا شك ان هذا التقسيم والترتيب اكثر من طريقة القانون موافقة للمعقول

كذلك نظر في «العقود المعينة» التي اوردها القانون تحت هذا العنوان وعددها احد عشر فوجد منها ثلاثة وهي الكفالة والرهن والتاروفة انما هي عقود تبعية تحصل تأميناً لعقود أخرى اصلية فاتخذ عنوان «العقود المعينة والتأمينات» بدل عنوان القانون ثم قسمهُ فجعل عنوان (العقود المعينة) شاملاً للثمانية العقود الاولى فقط واما الثلاثة الاخرى فجعلها تحت عنوان (التأمينات) الذي يشملها هي وغيرها من انواع التأمينات القانونية

على انهُ خالف ترتيب القانون ايضاً في الكلام على الثمانية العقود المعينة فوضع كلاً منها في موضعهِ المناسب لهُ لاسباب معقولة بيّنها

وكذلك وجد ان القانون شتت الاول فذكر قسماً منها ضمن كتاب التعهدات تحت عنوان (اثبات الديون واثبات التخلص منها) بالمواد ٢١٤ الى ٢٣٤ وذكر قسماً آخر في كتاب حقوق الدائنين تحت عنوان «اثبات الحقوق العينية» بالمواد ٦٠٦ الى ٦٢١ واردف هذا القسم بباب خاص بدفاتر التسجيل

وجد المؤلف هذا التشتت فجمع كل الادلة في قسم على حدتهِ هو القسم الاخير من كتابهِ ورتبها ابواباً وفصولاً ومباحث بحسب اللزوم العقلي شأنهُ في كل قسم من باقي اقسام الكتاب

وبعد تمام الكتاب وضع لهُ فهارس مستوفاة على الطريقة الافرنجية الاول فهرست لاقسام الكتاب حوى جميع رؤُوس مطالبهِ على حسب اصل الوضع بالتسلسل من البداية للنهاية بحيث ان من يطلع عليهِ يمكنهُ ان يعلم كافة المباحث الجزئية التي تكلم عليها المؤلف في كل موضوع كلي

والثاني فهرست هجائي يشمل كافة المفردات الاصطلاحية المستعملة في الكتاب مرتبة على حروف الهجاء ومذكوراً ازاء كل منها جميع المواضع التي حصل فيها الكلام عليها مع بيان الصحف الوارد فيها هذا الكلام ولا يخفى ان مثل هذا الفهرست من اشق الاعمال وانفعها معاً — والثالث فهرست يشمل مواد القانون المدني مادة مادة بالتتابع مع بيان الصحائف التي حصل الكلام فيها على كل مادة منها — ويتلوهُ فهارس صغيرة اخرى بعضها يشمل على

الطريقة المذكورة ما حصل الكلام عليهِ في الكتاب من مواد القوانين الاهلية الاخرى المرافعات والتجارة والعقوبات وتحقيق الجنايات وكذلك لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ويتبع ذلك فهرست شامل لما عدا القوانين الاهلية من القوانين واللوائح المختلفة التي ورد ذكرها في الكتاب مع بيان الصحف المتكلم عليها فيها

بهذه الفهارس يتيسر لكل مستطلع ان يعثر على موطن طلبتهِ في الكتاب بغاية السهولة

اما الامر الثالث وهو اسلوب التعبير فانهُ من النوع الجزل المتين وقد سبق ان تلوت منهُ نموذجاً وها كم نموذجين آخرين تعرفون منهما مكانة هذا الاسلوب من الرقي

عند كلامهِ على الادلة قدم جملة ملحوظات قال في الرابعة منها بصحيفة ٣٨٩ ما نصهُ حرفياً

« القاضي حكم عدل بين الطرفين يزن حجة كل منهما ويفصل في الخصومة بترجيح »
« احدى الحجتين وليس لهُ ان يحكم بعلمهِ الخاص لانهُ ليس شاهداً في الخصومة. بهذا المبدإ »
« أمن الناس تطرف القضاة في احكامهم وحيدتهم عن الحق سهواً او عمداً وتساوى »
« الخصمان امام القضاء فالدعوى مجال بينهما يحج الواحد منهما خريمهُ بما يسر لهُ القانون »
« من وسائل الاثبات وطرق الاقناع والقضاء ميزان ترجح احدى كفتيهِ على الاخرى بما »
« يثقلها من ادلة احدهما »

وعند كلامهِ في صحيفة ٢٢٣ على العقود المعينة بيَّن انها لا يلزم ان يكون عددها محصوراً لا يزيد بل كلما ادت حركة رقي المعاملات الى الف نوع جديد منها فالشارع يتناولهُ ويضع لهُ قواعد مطابقة لما درج عليهِ القوم وصار امراً معروفاً ثم قال بالحرف الواحد :

« لولا هذا التدبير لاضطرت الامة الى الوقوف في معاملاتها عند الحد المرسوم في »
« قانون وضعهُ قوم باعتبار احوالهم وما كان جارياً في زمانهم وزلت قدمها عن التقدم الى »
« الامام وانطفأ فيها نور الافكار فلا ترى المستقبل الاَّ بمرآة الماضي واذا جاءها نبأ شيء »
« جديد من دواعي التقدم وادركت فوائدهُ اهتزت مكانها الجمود يقعدها عن الحركة »
« والحقيقة الجديدة تجذبها وهكذا يضيع زمانها في التردد بينما تكون الامم الاخرى قد »
« سبقتها فاستفادت من الامر الجديد قوة في نظاماتها واحكاماً في منافعها وعبرة تجري »
« بها الى غيرها فتعتز وتسود »

« من هذا الباب المفتوح دخل الشخص الاعتباري الذي اظهر مكنونات الثروة وفجر »
« ينابيع الاموال وافاضها على الامم في مشارق الارض ومغاربها وتبعهُ التأمين على »
« الانفس والاموال وشركات المساهمة والملكية المعنوية وعقود النقابات وجمعيات التعاون »

« وكلها عقود جدت بجد الامم الخالصة من القيود في طلب منافعها وقد الحقت هذه »
« الاوضاع الجديدة بالقوانين المشروعة فصارت كالبيع والاجارة والقرض والوديعة ونحن »
« لا نزال في ضيق الاجارتين والاختناق بين الجدار والجدك والتطلع الى ملك الخلو »
« وارض الله واسعة »

ايها السادة

ذلك ما يسع الوقت بيانهُ من مزايا مؤلف فتحي باشا زغلول ولست ادعي انهُ يشفي علة كل صادٍ فان المؤلف نفسهُ بريءٌ من هذه الدعوى وانما الذي ادعيه بحق ان هذا الكتاب بوصف كونهِ شرحاً عربياً مختصراً القانون المدني هو فريد في نوعهِ بل ان اي مختصر في حجمهِ من الشروح الفرنسوية لا يجمع بين دفتيهِ ما جمع هو من القواعد والآراء وحسن التأليف والترتيب

اذا كان النظر لموضوع الكتاب في ذاتهِ يدل على قدرة المؤلف وعلو مكانتهِ فان النظر للظروف التي وقع فيها التأليف يدل على التفوق العجيب · رجل لهُ وظيفة رسمية تشغلهُ اعباؤها معظم النهار وقد تسهدهُ طرفاً من الليل وليس هو ممن يحسدون على الصحة فان اصاب بعض الفراغ من عملهِ فنفسهُ اولى بهِ لراحة جسمهِ المكدود · كيف يجد الرجل الوقت لهذا العمل الاضافي ؟ وكيف يجد القوة الصبر على مضضهِ ؟ هذا ما يتساءل عنهُ كل من يعرفهُ · والجواب عندي انها قوة ارادة وتوقد ذكاء خصهُ الله بهما فكان من شأنهِ انهُ متى اتجه فكرهُ لعمل نهض اليهِ فقطع مراحلهُ باسرع ما يكون لا يثنيهِ ضعف الصحة ولا يقعدهُ ضيق الوقت وهذا ما يجعل فتحي باشا بيننا من الاعلام المتفوقين

يا سعادة الباشا ان كان من حق العلم على الناس وجوب الخضوع لهُ والتسليم فانت خادمهُ الحسن المتفوق ومن حقك على الامة المصرية كمال الاحترام والتكريم

خطبة الدكتور صروف محرر هذه المجلة

ايها السادة

ان اللجنة التي تألفت لهذا الاحتفال اولتني شرفاً عظيماً بانتدابها اياي للانضمام اليها وللاعراب عما تكنهُ ضمائرنا كلنا من الاحترام للمحتفل بهِ ولاسيما من حيث كونهُ كاتباً اجتماعياً افاد بلادهُ بما الفهُ وترجمهُ في علم الاجتماع فوق ما الفهُ وترجمهُ في علم القانون

على ان هذا الاحتفال الذي اقمناهُ اليوم واخناً عنهُ منذ اسبوعين او ثلاثة كان يجب

ان تعلن عنهُ منذ شهرين او بضعة اشهر ولو فعلنا لجاءَتنا الوفود من الشام والعراق وتونس والجزائر ومن كل مكان تقرأ فيهِ العربية وشاركتنا في اسداء الشكر الى المحتفل بهِ · ورأيتم في مجتمعنا هذا ما يثير العواطف ويثبت لفخري باشا ان قد صار بين قراء العربية تضامن اكثر مما على منذ اربع عشرة سنة يوم كتب مقدمة سر تقدم الانكليز · وصار بينهم اشتراك في العواطف اكثر مما قدر ورغبة في مطالعة الاقوال المفيدة والمواضيع الهامة اشد مما كان حينئذٍ · اقول ذلك لا رجماً بالغيب ولا استدراجاً الى مدح المحتفل بهِ بل المؤلف تقريراً للواقع لان عندي بحساً لبعض القراء اعلم منهُ مقدار النهضة الادبية التي جعلت تتزايد على نسبة هندسية حتى صرنا نخشى ان تنقطع الى طلب الادبيات ونهمل المادبات مع ان طلب هذه مقدم على طلب تلك كما قدّم علم الابدان على علم الاديان

وكان يجب ان نقيم هذا الاحتفال منذ اربع عشرة سنة اي حينما اخرج لنا الناشة الذي نحتفل الآن بذكر بهِ كتاب سر تقدم الانكليز · ولو فعلنا حينئذٍ لاشركنا فيهِ ذلك النابغة الآخر الذي تتطلع علينا نفسهُ الآن من العالم الباقي — لاشركنا فيهِ صاحب كتاب تحرير المرأة الذي فاتنا ان نحتفل بهِ حيًّا فاحتفلنا بهِ ميتاً

بل كان يجب ان نقيم هذا الاحتفال منذ عشرين سنة حينما اخرج لنا فتنا كتاب اصول الشرائع لبنتام وارى ابناء العربية ان عند الاوربيين كنوزاً ثمينة يجب الاطلاع عليها وان الامم متضامنة تستفيد كل امة من عقل غيرها واختبارهِ · كذا فعل اليونان لما طلبوا العلم في مصر والشام والعراق وكذا فعل العرب لما ترجموا كتب اليونان وشرحوها ونسجوا على منوالها وكذا فعل الاوربيون لما ترجموا كتب العرب الطبية والفلسفية واعتمدوا عليها في مدارسهم

اما كتاب اصول الشرائع هذا وسائر كتب المؤلف القانونية ولاسيما كتابة الاخير شرح القانون المدني فقد تكلم عليها ابن بجدتها رجل من كبار رجال القانون وانا منتدب للكلام على كتاباته المتعلقة بعلم الاجتماع كأن الذين ندبوني لذلك حسبوا اني لطول عهدي في خدمة العلوم الطبيعية والاجتماعية يسهل عليَّ ان اقدر المحتفل بهِ قدرهُ من هذا القبيل

سادتي ان تكريم المؤلفين والمترجمين على اسلوب علني عمومي مثل هذا حديث العهد في هذا القطر لم نمنَّ بهِ الا منذ تسع سنوات حينما احتفلنا بترجم الالياذة · واما قبل ذلك فكنا نكل التكريم الى الحاكم حتى يجيز المؤلف بجائزة مالية او وسام شرف كما كنا نفعل في كل امورنا من الاعتماد فيها كلها على الحاكم والحكومة وقد اشار المحتفل بهِ الى هذا الاعتماد

اشارة بليغة في المقدمة التي قدمها لكتاب سر تقدم الانكليز حيث قال - « ضمنا حتى اصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا وخصب ارضنا وترويج تجارتنا وتحسين صناعتنا . هي التي نطلب منها ان تربي الابناء وتطعم الفقراء وترزق العجزة وتقي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق وتلم شعث العائلات وتجمع اشتات القلوب . هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا وتقويم ما اعوج من سيرنا وسيرتنا ورد هجمات المزاحمين عنا بالسهر على مصالح كل واحد منا . واذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الاثرة والقينا عليها تبعة خمولنا كلها »

هذا ما قاله نابغتنا منذ اربع عشرة سنة ولا بدّ من ان يُسَرّ الآن اذا رأى ان الامة قد عرفت ما يطلب منها واعتمدت على نفسها ولو في هذا الامر واظهرت اكرامها لمن تريد اكرامهُ مباشرة من غير واسطة الحكومة . ولا يبعد ان يكون عملها هذا ثمرة من ثمار تنديدهِ الذي اشرت اليهِ ولو لم يخطر ببالهِ حينما كتبهُ ان ثمارهُ تينع بهذه السرعة ويكون هو اول من يقتطفها

هذا وبالعود الى سر تقدم الانكليز يخال لي ان كل الذين طالعوا هذا الكتاب يوافقوني على انهُ من انفس الكتب التي ترجمت الى العربية في علم الاجتماع العلمي . وهو لرجل فرنسوي اعجب باخلاق الانكليز وارتقائهم والفهُ لكي يغري قومهُ الفرنسويين بالتشبه بهم والنسج على منوالهم وكأن المحتفل بهِ قال في نفسهِ حينما قرأ هذا الكتاب إنهُ ان كانت الامة الفرنسوية على علو كعبها وتفوقها في العلوم والفنون والزراعة والصناعة والتجارة لا تزال محتاجة الى التشبه بالامة الانكليزية فاحر بنا نحن المشارقة ان نتحرّى بهذا التشبه ونحث عليهِ بكل واسطة . وشعار فتحي باشا كما يعلم عارفوهُ العمل على اثر القول اخذاً بقول الشاعر

ان قلتَ ويحك فاعمل ايها الرجلُ لا يصدق القول حتى يشهد العملُ

فترجم الكتاب الى العربية كما فعل غيرهُ من الفضلاء الذين ترجموهُ الى لغاتهم فاحرز عندنا منزلة قلّما نالها كتاب ادبي اجتماعي قبلهُ لانهُ طُبع ثلاثاً حتى الآن

يظهر لي ان عقل النابغة الذي يحتفل باكرامهِ الآن يشتغل دائماً بامور الاجتماع لان اشغال منصبهِ تدعوهُ الى الاهتمام بمصالح الناس الاجتماعية فيرى انهُ يمكن ارجاعها الى مبادئ اساسية وقواعد عمومية لو جمعت وبوبت ونُشرت لافادت افادة كبيرة وبينما هو يفكر في ذلك يقع لهُ كتاب نفيس يبحث في هذا الموضوع فيرى بنفسهِ ان يستأثر بفائدتهِ او ان ينتحلهُ او ان يؤلف كتاباً على منوالهِ ويهمل اسم مؤلفهِ انكاراً لفضلهِ . ولا يرى

حطة من شأنهِ ان يترجم الكتاب ترجمة ويعترف بفضل مؤلفهِ اعترافاً صريحاً . ولكن المعاني التي تكون قد جالت في خاطرهِ تساورهُ ليل نهار فلا يستطيع الآن يفرغها في قوالب الالفاظ فتأتي مقدمة الترجمة . وكم من مقدمة له جمعت فأوعت واوجزت فاعجزت حتى انقد تفضل على الكتاب نفسهِ

عرّف بعضهم المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب . ولعل كثيرين منكم يميلون الى هذا التعريف . اما المقدمات التي جئنا المحتفل بهِ فقد تكون ابلغ من الكتاب الذي يترجمهُ وقد تزيد عليهِ بما يضمنها من آرائهِ السديدة وجوامع كلمهِ . اليكم شذوراً من المقدمة التي قدمها لهذا الكتاب قال « غرضي من ترجمة هذا الكتاب تنبيه الافكار الى حالتنا التي نحن فيها ومقارنتها بحالة الامة الفرنساوية لنوقن بعد تمثلنا بما هي عليهِ من التقدم والعمران وبما بلغتهُ من الدرجات الرفيعة في العلم والحضارة والعرفان انها اذا احتاجت وهي على تلك الاحوال الى اصلاح شؤونها لتضارع غيرها من الامم فنحن احوج منها الى التعليم واشد افتقاراً الى التربية واحوج الناس الى الاشتغال بما ينفعنا في هذه الحياة . كما اقصد لفت الاذهان الى ان الزمان يمر بالاقوال والامة لا تغني الاّ بصالح الاعمال واننا اولى الامم بالجد في تحصيل سعادتنا . فبقدر التأخر ينبغي شد العزائم وتقوية الهمم وادامة السهر في العمل حتى نفوز بحظنا من هذه الدنيا

« اريد ان تميل الافكار الى اطالة النظر في احوال الامة الانكليزية التي تحتلّ البلاد والى ان عمّال الاحتلال هم قوم من ذلك الجنس الذي أُلِّف هذا الكتاب لبيان السر في تقدمهِ وسيادتهِ في الوجود . وهم ما داموا في بلادنا يجب علينا ان نقارن بين احوالهم واحوالنا وعاداتهم وعاداتنا ومعارفهم ومعارفنا وهمتهم وهمتنا وحركتهم وحركتنا واقتدارهم واقتدارنا وكفاءتهم وكفاءتنا وحزمهم وحزمنا وثروتهم وثروتنا . يجب علينا ان نقارن بين هذا كلهِ وبين ذلك كلهِ لاننا مضطرون الى معاشرتهم ومعاملتهم والاحتكاك معهم في جميع امورنا حتى اذا صح نظرنا وعرفنا الامر على حقيقتهِ وتشبّعت نفوسنا بما هو واقع لا بما تتخيلهُ من غير تبصر وروية اهتدينا الى واجبنا القومي وعلمنا إنْ كان مجرد القول يجدينا نفعاً وهل الاجدر بنا دوام الاسترسال مع الاماني التي لا مرجع لها من عملنا وكدّنا ام اطالة التفكير في الحوادث التي تجري علينا لنميز الصالح لنا من الضار بنا ولنقصد باب النجاة فندخل منهُ ولا نبتغي عنهُ من ذلك الخيال بديلاً

« غرضي من ترجمة هذا الكتاب ان يكون مرآة يرى القراء فيها امتين عظيمتين ودولتين

شخصين تتنازعان اقسام الوجود قد سبقت احداهما الاخرى فلما رأت هذه تأخرها جعلت تفكر في اسباب تلك الافضلية وقام العقلاء فيها وارباب الاقلام يخبرونها باسباب ضعفها ويرشدونها الى سبل الاصلاح فلم تنفر من هذا النداء بل اجابت الدعوة شاكرة مرشديها وثارت مذعورة في طلب الكمال والتشبه بجارتها . واحلق بنا ان نحط باعظم منا ونقلل بين بيننا وبينه في العلم والتهذيب والقوة والسلطان والهمة والاقدام ما بين الارض والسماء . ثم نأسف على زمن قضيناه في التمني وننفض عنا غبار الاوهام ونلتمس اصلاح شؤوننا بانفسنا ولا نحجم عن سلوك طريق الكد والعمل فهو الذي فيه الحياة ودونه الموت الصحيح »

وكتاب سر تقدم الانكليز على ما وصف المحتفل به فقد خدم قراء العربية بنقله اليها وبهذه المقدمة التي قدمها له خدمة لا بد وان يكون لها اثر صالح فينا وفي اولادنا . وكتبه الاخرى ترمي كلها الى هذا الغرض النبيل ألا وهو انهاض هم الشرقيين واغرائهم بمباراة اعظم الامم واغناها واقواها . واننا باحتفالنا به انما نعرب عن شكرنا له لما اسداه الينا من المعروف

رب قائل يقول انك مبالغ في ما تنسبهُ الى الكتب من الفضل او من التأثير في احوال الناس . لا يا سادتي لست مبالغاً فكم من كتاب غيّر احوال اناس كثيرين او امم عديدة او غيّر احوال المسكونة كلها . روى احد الثقات قال . — كنت مسافراً في الولايات المتحدة الاميركية فمررت بقرية صغيرة ودخلت خاناً فيها على قارعة الطريق لاستريح فرأيت فيه امرأة مكبة على كتاب تنسخهُ . فتطلعت فاذا الكتاب مطبوع وهو المعروف (بالنهوض والارتقاء) فاستغربت اعتناءها بنسخه وسألتها في ذلك فقالت انها تنسخهُ لانها فقيرة لا تستطيع ابتياعه . واتفق انهُ كان معي نسخة منهُ فاهديتها اليها فقبلتها مني شاكرة . وبعد سنين كثيرة مررت بتلك القرية ولما وصلت الى ذلك الخان تذكرت المرأة التي اعطيتها الكتاب وسألت عنها فارشدني الذي سألتهُ الى بيت كبير مبني على اكمة تظهر عليه امارات النعمة وقال ان ذلك البيت بيتها وهي التي بنتهُ . فدهشت من ذلك وقصدتها وذكّرتها بنفسي فاقبلت عليّ وكلها ألسنة شكر وقالت ان ذلك الكتاب هو سبب نعمتها

وعلى ذكر الولايات المتحدة اقول انها انقسمت منذ خمسين سنة الى قسمين اشتبكا في حرب طاحنة لاجل تحرير العبيد . وربما لم يبلغ الكثيرين منكم ان سبب تلك الحرب وتحرير العبيد او السبب الاكبر لها قصة وضعتها امرأة ووصفت فيها ما يعانيه العبيد من ضروب العذاب في البلاد الاميركية . وصفت حوادث حقيقية وصفاً يثير العواطف ويحرك الجماد

فاقامت البلاد واقعدتها . وكان اكثر العبيد في الولايات الجنوبية حيث يستخدمون في الاعمال الزراعية فثار اهالي الولايات الشمالية وطلبوا من اهالي الولايات الجنوبية ان يحرروا عبيدهم ولما لم يجيبوهم الى طلبهم نشبت بين الفريقين حرب عوان انتهت بتغلّب الشمال على الجنوب وتحرير العبيد والفضل الاكبر في تحريرهم لتلك القصة

من لا يعرف اسم الاسكندر المكدوني الذي استولى على آسيا الصغرى ومصر والشام والعراق وفارس والهند وبخارى وسمرقند وغلّب الغرب على الشرق اول مرة في تاريخ الانسان . من لا يعرف اسم ذلك الفاتح العظيم اسكندر ذي القرنين . ولكن قد لا يخطر على بالكم ان الذي بثَّ في نفسهِ البسالة وطلب المعالي هو الياذة هوميروس . فانها كانت سميره' وسجيره' في نهاره وليلهِ يطالعها دوامًا و يعجب ببسالة ابطالها ويضمها الى جانب وسادتهِ حينما ينام هي وسيفه' . و يوليوس قيصر اشهر قواد الرومان واكبر قياصرتهم كانت قدوته' التي تحذاها سيرة الاسكندر المكدوني . والسلطان سليم العثماني الذي تغلب على الفرس واستولى على مصر والشام وضمها الى المالك العثمانية كان يقرأ سيرة يوليوس قيصر ويعجب بافعالهِ ويتحداها . فالياذة هوميروس وسيرة الاسكندر وسيرة قيصر اوجدت ثلاثة من اكبر الفاتحين واعظم الرجال الذين غيروا احوال البشر

فلا يحسبن مؤلفو الكتب النفيسة ومترجموها انها تذهب صرخة في واد اذا لم يروا الاقبال كثيرًا عليها ولا ييأسوا اذا لم تروج بضاعتها او اذا لم يروا منها نفعًا عاجلاً . وقد لا ينال اصحاب هذه الكتب فائدة مادية منها ولكنهم ينالون ما هو اثمن من ذلك عند اهل الحقيقة ينالون الاسم الطيب والشهرة الواسعة

قلت ان الاسكندر المكدوني كان اعظم القواد الذين نبغوا في العصور الغابرة ولكن لا يذكر اسمه' الآن مرة حتى يذكر اسم معلمهِ ارسطوطاليس صاحب كتاب المنطق عشر مرات وهو لم يستفد مالاً من كتابهِ . وبطليموس صاحب مصر كان من اعظم قواد الاسكندر وانشأ دولة عظيمة في هذا القطر فاخرت دول الارض ولكن لا يذكر اسمه' مرة حتى يذكر اسم بطليموس صاحب كتاب المجسطي في الفلك عشرين مرة وهو ايضًا لم يستفد شيئًا ماديًا من كتابهِ . وقيسوا على ذلك اقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة وابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب واسحق نيوتن صاحب كتاب المبادئ في التعاليم وداروين صاحب كتاب اصل الانواع فان كان واحد من هؤلاء حي خالد بكتبهِ ولو لم يستفد منها مالاً

واني لارجو انهُ متى فُتح كتاب الشهرة الذي تدوَّن فيهِ العصور اسماء الذين افادوا

ابناء نوعهم بكتبهم يرى في اعلى صفحة من صفحاته اسم مؤلف كتاب المحاماة وكتاب شرح القانون المدني ومترجم كتاب دبولان وكتب غستاف لوبون ويرى امام اسمه وصف الثمار التي جناها ابناء العربية من سهر لياليه وبنات افكاره

خطبة الاستاذ محمود بك ابو النصر

سعادة الباشا

هذه اعمالك الباقيات

تبدو صغيرة الحجم فاذا ما تمثلها الناظرون رأوها وقد انطوت فيها سعادة العالمين

هذه كتبك القيمة شواهد صدق على انك انت والنيل حليفا وفاء . هو يفيض النماء والخصب على ارجاء مصر وانت تدر الخير وتبعث النور ساطعاً الى عقول بنيها ذلك بما غرسته لم من آثار بيانك وما هي الا عصارة عمر مبارك فيه لم تجسمت متاعبه التي احتملتها في سبيل اخراجها للناس فكانت جبلاً يشمخ بقمته العالية الى ملامسة الخلود

بارك الله لك في وقتك فلم تضيعه سدى . بل عرفت كيف تصرفه في نفع امتك وخدمة بلادك عرفت كيف تجمعه تحت سلطان ارادتك القوية حبيسة بين جدران مكتبك وفي حجرة نومك لا تنطلق الساعة منه الا كما ينطلق حمام البطاقة من ابراجه . ينطلق وهو يحمل رسالة فيها هدى وشفاء للناس

لم يثن عزمك ما يطرأ عليك احياناً من انحراف الصحة ولم تلهك اعمالك الرسمية عن متابعة التأليف والتصنيف فحق علينا ان نحتفل بتكريمك وانما نحتفل بتكريم العلم والفضيلة والجد تلك المزايا التي تمثلت في شخصك الكريم وفي حركاتك النافعة

ولا غرو فتلك سنة السلف الصالح اردنا ان نحييها باجتماعنا هذا اذ لا شيء ادعى الى نمو الفضيلة من اعلان الفضل لذويه

***

كان قدماء اليونان اذا نبغ فيهم صانع او شاعر او خطيب اقاموا له الاعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا له تاج غار مصنوعاً من اغصان الشجر المسمى بشجر الغار (Laurier) الذي كانوا يعتبرونه من الاشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولاسيما (Appolon) اله الشعر والفنون الجميلة . وقد ذكر مسيو سالمون رناخ في كتابه Etude sur la Grece antique

ان القوم كانوا يهرعون الى تلك الحفلات من كل جانب ويتسلون اليها من كل حدب فيذهبون من برقة ومن صقليا ومن ايطاليا الى اثينا للاشتراك في تكريم نوابغهم

∴

وكذلك كان الرومان . لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات الفكرية مقصورة على الفرسان ويقدمون فيها للمحتفل به المكافآت المقتبسات على خلاف سنة اليونان وعلى نحو ما يفعلهُ الانكليز الآن

∴

على ان هذه كانت ايضاً من عادات العرب قبل الاسلام — قال ابو الحسن بن رشيق القيرواني في كتابهِ العمدة صحيفة ٢٧ جزء اول ... كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانهُ حماية لاعراضهم وذود عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ

اما في عهد الاسلام وخصوصاً في عصر الدولة العباسية فكلكم يعلم الى اي مكانة رفع الخلفاء والامراء قدر العلماء والشعراء وكيف كانوا يجزلون لهم العطاء ويهبونهم الاقطاعات ومما يروى عن المأمون انهُ كان يعطي زنة الكتاب المترجم ذهباً

فاذا ما قمنا باحياء تلك السنة سنة تكريم العلم وتبجيل العلماء فلا بدع ولا اختراع . ثم فيها . ولا نتكلف في احيائها سوى شهادة الحق واعلاء شأن الفضل لا مال ولا نوال

(لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال)

يا سعادة الباشا

اني اقدم اليك عني وعن اخواني الاجلاء هذه المجموعة لابسة من نفائس الصناعة اجمل اهاب ولو اردنا من ظاهرها ان يحاكي ما اشتملت عليهِ لاغلينا الدر على طلابهِ ورددنا كرم البحار بخلاً

وجهنا الفكر واجلنا النظر فيما يحيط بنا من نفائس الصناعة و بدائع الموجودات لنتخير منها مثلاً اسمى نقدمهُ اليك تذكاراً لهذا الاحتفال فلم نجد شيئاً اجل واسمى من هذه المجموعة فلذلك اخترناها

اخترناها فكانت الهدية منك واليك

كالبحر يمطرهُ السحاب وما لهُ من عليهِ لانهُ من مائهِ

ايها السادة

اظن اني لا ازيدكم شيئاً على ما تعلمون اذا استعرضت لديكم عبر اسهاب محتويات هذه المجموعة الشائقة ولكنني انما استفيد وافيد حلاوة التكرار

لم يبرح اذهانكم ان كتاب بنتام كان اول كتاب اتحف به مصري صميم امته في شرح اصول الشرائع وقد كان المشرعون ورجال القضاء والمستطلعون اليوم عن يحو الحقوق وطلبتها لذلك العهد في ظماٍ الى مثل ذلك المورد العذب

من هنا ترون ان ظهور ذلك الكتاب في وقته كان حادثاً وطنياً عظيماً لا من جهة انهُ افاد قراء العربية فقط بل من وجهة انهُ جاء مبدأً لعهد جديد هو عهد تسابق الاقلام في سبيل كشف النقاب عن غوامض القوانين واسرار وضعها وحكمة تنوعها وترقيها في الامم ٠ اخرجهُ الينا سنة ١٩٠٣ احمد افندي فتحي زغلول رئيس النيابة العمومية لدى محكمة اسكندرية الاهلية وقدمهُ الى المرحوم خديوينا السابق فنال منهُ احسن القبول

⁂

وفي غضون سنة ١٣٠٥ ظهر لنفس المعرب كتاب (خواطر وسوانح في الاسلام) تأليف الكونت هنري دي كستري وحسبي ان اتلو عليكم سطرين من مقدمة الترجمة لتتبينوا اهمية العمل وسمو غرض المترجم قال

« وان لومي لعلى علم تام من ان مقصد مثلي حسن وغرضي انما هو التنبيه على انهُ قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد الوقائع التاريخية الصادقة فسله رأي قومهِ فينا وابان لهم وجهي الخطإ والصواب ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا وما دفع به الناقمون وليتهم كانوا منا ٠ وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل الخ »

⁂

لم يمض على تعريب هذا الكتاب ما اناف على السنتين حتى هز العالم العربي نبأ كتاب جديد هو سر تقدم الانجليز السكسونيين للفيلسوف الاجتماعي الكبير ادمون ديمولان ٠ ظهر تعريب هذا الكتاب بعد ما عرف كلٌ مقدرة المترجم في كتبهِ الاولى وكان اخذ الناس اهتزازاً لذلك الصنع هم اهل التفكير من المصريين ٠ اولاً لان المعرب مصري تفرح الامة فرحاً خاصاً لكل بادرة من بوادر نبوغهِ ٠ وثانياً لان القراء ادركوا الغرض البعيد والمقصد الاسمى من تعريبهِ

اجل ٠ ادركوهُ اذ تبينوا ان ذلك الرجل القانوني الذي افتتح شهرتهُ في القطر بتعريب

مصر قانوني لم يخرج بمثة عن خطته الاولى ليتحول الى سياسي مستتر بل بقي خادماً للقانون كاصدق ما يخدم القانون بتعريبهِ سر تقدم الانكليز السكسونيين . وكيف ذلك ؟ علم علم اليقين ان ما كانت عليهِ الامة الآفتة قليلة منها من عوج الاخلاق وانحراف الضمائر وانحلال الافكار كان يفسد نتائج القانون في ذلك الوقت ويمنع من ترقيهِ لان القوانين لا تكون صالحة الأ في الامم الصالحة ولان كل شعب في اخلاقهِ على تكون في قوانينهِ حتماً نفس تلك المثل . لهذا عرب للامة ذلك الكتاب لترى منهُ اسباب تقدم تلك الدولة العظمى ورقيها ولتعلم ان الاخلاق هي ملاك تلك الاسباب . فاذا اعتبرت الامة المصرية واقتبست منهُ ما يلائمها فقد تهيأت لديها معدات الرقي وتوفرت عندها اسباب السعادة واكتملت فيها القوانين تدريجاً حتى تبلغ درجة اصلح القوانين الوضعية في العالم المتمدن . وحسبي ان اذكر لحضراتكم لمعة من فصل مستفيض نشرتهُ في مجلة الموسوعات في ١٦ يناير سنة ١٩٠٠ وانا يومئذٍ مديرها ومحررها رددت في ذلك الفصل على باحث فاضل انكر على المترجم عملهُ وعلى الكتاب نفسهُ بحجة ان ترجمتهُ قد تفضي الى الخروج بالتربية الدينية الاهلية عن جادتها المثلى وانا في غنى عنهُ بالقرآن المجيد والاحاديث الشريفة فقلت ما نصهُ :

« ضرب الله الامثال في القرآن الشريف وذكرنا بسير الامم الغابرة واحوال الممالك الماضية لنا عظة واعتباراً فهل اعتبرنا كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين من هذا القبيل واتخذنا ترجمتهُ مرآة صقيلة تمثل في اعيننا صورة امة اضحت تطاول السماء عزًّا ومنعة بازاء امة اخرى لم تبلغ شأوها وان عظمت قدراً وعلت جاهاً وانما هو الكتاب يظهر لنا ما خفي ويعرفنا من هم الانجليز الذين احتلوا الديار واخذوا فيها باعنة الامور صغيرها وكبيرها . يعرفنا بهم سواء في نظام مدارسهم او في معيشتهم الخصوصية او حياتهم الاجتماعية . يعرفنا بحقيقة معنى الوطنية لديهم وقوة التضامن فيما بينهم وتمام الاستقلال عندهم الى الحد الذي جعل افراد الامة كالجسم الواحد وجعل الفرد الواحد كامة برأسها ..... يعرفنا ذلك كلهُ مقارناً بينهُ وبين الامة الفرنساوية التي تنازعها الفوز في الوجود وتسابقها في مضمار الحياة مع دقة البحث في اسباب تفوق احداهما على الاخرى تلك الاسباب التي تسعد بها الامم وتشقى تبعاً لنواميس عامة وقوانين طبيعية تكاد لا تختلف في امة عنها لدى الاخرى الخ »

هذه فقرة من مقالتي عن الكتاب المذكور منذ ثلاث عشرة سنة وللمترجم مقدمة غراء آسف على اني لا اجد في الوقت متسعاً لا تلو عليكم بعض شذراتها فتتبينوا انها آيات الحكم البالغة في تشخيص الداء وتخصيص الدواء لحالتنا الاجتماعية

أعقب هذا الكتاب بمدة لم تطل كتاب المحاماة ولما ظهر هذا السفر الجليل كانت شهرة مؤلفهِ قد طبقت الآفاق فزاد ذلك في اقبال الناس عليهِ . يقف القارئ منهُ على تاريخ السياسة والادارة والقضاء بمصر في عصر محمد علي وما يليهِ الى ان وضع القانون الاساسي ويتبين حالة الوكلاء والمحامين قبل تأسيس المحاكم الاهلية . استخرج المؤلف موادهُ من بطون الدفاتر ومطوى السجلات ومدفونات الاوراق المحفوظة بالدفترخانة المصرية وغيرها حتى جاءنا في خمسمائة صحيفة ذيلت بمائتين واحدى عشرة صحيفة اخرى تضمنت واحداً وعشرين ملحقاً

ولقد صدق فيهِ قولي في عدد ١٢ يوليو سنة ١٩٠٠ من مجلة الموسوعات

« ما عالم الآثار يستلين الصخور ويستنطق الاحجار ولا واضع الاصول القانونية ومدوّن النظرات العملية بأكثر عملاً واكبر نفعاً واجزل فضلاً من صاحب كتاب المحاماة في تدوين كتابهِ على النسق الذي دونهُ عليهِ . عودتنا مكارم صاحب اليد الطولى العالم الهام احمد فتحي بك زغلول ان نرى كل عام كتاباً جديداً من نفثات اقلامهِ وفيض افكارهِ ما بين تأليف وتعريب وبحث وتنقيب فلا ينتهي القراء من سفر هم بهِ معجبون الا وقد اتحفهم بسفر آخر وهكذا تتواصل عواطف اعمالهِ الجليلة سوابقها حتى يعلم الملأ ان في الدو يداً ورجالاً وان في كنانة الله جهابذة يحق للوطن ان يباهي بهم الخ »

بذور طيبة التي بها سعادتهُ في منابت الافكار فاخصبت وها نحن معشر المحامين قد جنينا ثمارها في السنة الماضية حيث تأسست للمحاماة نقابة واصبحت لها هيئة رسمية بفضل تدرجها في معارج الرقي من عهد انشاء ذلك الكتاب

⁂

وفي سنة ١٣٢٧ ظهر لهُ معرب كتاب روح الاجتماع العالم الاجتماعي الشهير الاستاذ جوستاف لوبون بين فيهِ كما قال المترجم احوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من تغيير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمهِ فيما يحيط بهِ وكفى بهذا بياناً لمقدار عظيم نفعهِ

⁂

لم يبقَ من مشتغلات هذه المجموعة الا كتب ثلاثة اصدرها سعادة المحتفل بهِ في هذا العام عام ١٣٣١ فزادتنا بهِ اعجاباً وهي (١) ترجمة كتاب سر تطور الامم لجوستاف لوبون نفسهِ وهو صنو كتابهِ السابق (٢) شرح القانون المدني (٣) خطاب المغفور لهُ مصطفى باشا فاضل الذي ارسلهُ الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وفيهِ من العظات

البالغات والحكم الثاليات ما صاغهُ سعادة المترجم بلسان عربي مبين تنظر اليهِ فترى النور ينبعث من جواهر كلمهِ الى اعماق القلوب وترى اشرف العواطف واكرم الشيم الوطنية تتسرب من تضيد عقده الى نفوس الافراد والجماعات

اما شرح القانون المدني فهو ذلك الكتاب الذي وفاهُ حضرة صديقي عبد العزيز بك فهمي حقهُ من البيان ورأيهُ فيهِ هو الرأي فلا ازيد عليهِ شيئاً

***

يا سعادة الباشا

كل هذه اعمالك المنشورة الآن وهي هي التي جمعناها بين دفتي هذه المجموعة وكفى بها موجباً للشكر على الامة المصرية الكريمة تلك الامة التي خدمتها هذه الخدم الجلائل

نقول كفى بها . وانما نقصد التعظيم لا الاكتفاء . لانا نرى حقاً علينا بعد ما عرفنا لك ذلك التفوق وقدرنا فيك تلك العزيمة ولمسنا باليد عواطف حبك لبلادك ورأينا تفانيك في خدمة العلم واللغة بأبعد ما يمكن ان يخدم بهِ مصري قدير . نرى حقاً علينا بعد هذا كلهِ ان نستزيدك منها ما لا نستزيدهُ سواك اذا كان مبلغ عملهِ وفضلهِ وان نسأل الله في سبيل الشرق وتقدمهِ وفي سبيل مصر وسعادتها ان يمد في اجلك وان يتيح لنا سلسلة لا تنقطع من نتائج ذكائك وعلمك وعملك آمين

وكان الوقت قد ازف فاقترح حضرة احمد بك لطفي السيد الاقتصار على ما تقدم وان تنشر بقية الخطب في الجرائد اليومية فوافق الحضور على اقتراحهِ ونهض حينئذٍ المحتفل بتكريمهِ والقى الخطبة التالية قال

سادتي

رجعت الى المعاجم التمس منها كلمات تسمو معانيها الى سماء فضلكم او صيغة حمد تفي بقليل من واجب شكركم فما راقني لفظ ولا شاقني معنى ورغبت عن التنقيب والاستفادة الى الاقرار والشهادة

انا عاجز نعم انا عاجز عن ايفائكم حق الثناء لقاء صنيعكم لكنني لن اعجز عن الاحتفاظ بعهودكم والبقاء على الدوام متأثراً بجميلكم

شرفتم هذا المكان لتكريم خادم ظننتم بهِ خيراً وما خيرهُ الأ منكم واردتم ان توفوا لهُ فضلاً والفضل انتم مواليهِ . ولا ارى في اجتماعكم هذا الأ حركة ثنية من حركات الامة

تقطع دور السكون وتعلن بيقظتها وشخوصها نحو الرقي بعد ان اختمرت الافكار وتمكن اليقين بان لا حياة الا بالحضارة ولا حضارة الا بالعلم وما انا الا ذريعة اتخذتموها للقيام بهذه الحركة المباركة

هذا مظهر خلق جديد كمن حتى اكتمل وسكن حتى عم وتم — خلق لا تقوم امة بدونه وهو عماد كل رقي هو محبة الكل خير الكل في كل فرد من الافراد وظهور هذا الخلق دليل على ما للامة من الصفات الكريمة الاولية ومن الاخلاق الفطرية الاجتماعية مما اذا عولج صفا واعلى مكانتها ووصل بها الى الدرجة التي تستحقها

من يخبر حال هذه الامة و يقف على كنه خلقها و يعرف جيداً حقيقة خصالها و يدرك الصحيح من آمالها و يتم النظر في اعمالها يقتنع بان التربة زكية لا يفسد زرعها الا شيء من البذور الرديئة وبان الخلق كريم ينشأ متنا من عدم العلم التام بالواقع و بان الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك واوهام تطوح بنا يوماً ذات اليمين و يوماً ذات الشمال . اما اعمالنا فمرة هذا وذاك متاجج والسكون واجب ولهو وكل التحجج في العمل وما كان شيء من كل هذا يكون لولا خطاء في تقدير حقيقة حالنا وعدم الالتفات الى حركة البيئة التي نحن فيها ونسيان لشيء كثير من الماضي ولهو من الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال ان تدوم هذه الحال فلا بد لنا من اعداد العدة اللازمة لذلك التحول وما هي الا العلم

العلم هو سلم الامم الى حضارتها هو كاشف ظلمات الجهل ومسدد الآراء ومنجح كل مجهود هو الذي اخترق الارض فاخرج منها مكنوناتها وحكم في المادة فاستلب منها كنوزها وتسلط على البحار فسادها ورنا الى الجو فخلق في القبة الزرقاء طالباً للناس علواً وكمالاً وقرّب الابعاد فاضاف الى الوقت اوقاتاً وضم الى حياة الانسان حياة وحياة . بهذا انار البصائر وشد العزائم وقوى الهمم فانهض الامم واعلى كلمة الامة التي كان حظها منه وفيراً

ارجو ان يكون في مظهركم هذا دليل على اننا قطعنا دور التنافر والتفرق وعرفنا الصواب بعد ان حجبته عنا الاوهام زمناً طويلاً ودخلنا من باب العمل الصحيح النافع واقتنعنا بان الضعف وما الضعف الا الجهل يطمس على القلوب ويجعل القوم يرون حسناً ما ليس بالحسن يظنون ان التأخر آت من عارض خارجي وانهم اذا قعدوا عن التماس وسائل التقدم تقدم بجريهم الى الوراء لكنهم متى علموا عرفوا ان العلة ذاتية وان الدواء في اليد وان قتل الوقت في الفتنة والاتهام مضيعة لما يفيد وداع جديد من دواعي الضعف والتأخر

ارجو ان يكون في اجتماعكم هذا دليل على السآمة من هذه الحال بل على الفزع من

اخطارها الاجتماعية الكبرى وعلى ان العلم الذي يثبت فينا اخذ ينقي الصمائر ويجمع شمل المتفرقين ويطهر السرائر ويوحد كلمة المتنافرين وينير البصائر فيهدينا الى ان التآزر شرط النجاح وان يد الله مع الجماعة وان التباغض مجلبة الشر والتنابذ يمهد سبل الذل وان في التضاغن تهلكة الناس

لعل رجائي محقق باقبالكم على هذا المكان ملتفين حول راية واحدة مع اختلاف العناصر والمعتقدات ومنبعثين من روح واحدة ألف بين قلوبكم جميعاً فتعارفتم وحنتم اخواناً وحيون بوجه بامم يحيي موجد هذه الروح وباعث ذلك الشعور — العلم

ما خيم الجهل في امة الأ اذلها وما انبلج ضوء العلم بين قوم الاَّ عزوا . ايها العلماء ايها العظماء ايها الشعراء والادباء قادة الافكار ودعاة الامة ارأبوا بها فالسبيل واضح . علموا الامة . علموا الامة

وجهة التعليم العصري

اسهبنا القول في تاريخ اصول التعليم وقد رأينا ان مذهب النشوء والارتقاء تناول حياة الانسان الفكرية كما تناول حياته الجسدية . وقد رأينا ايضاً ان زمن التعليم يمكن ان يقسم الى ثلاثة ادوار رئيسية . الدور الاول وهو مقدمة التعليم ينطوي تحته التعليم الشرقي والتعليم اليوناني والتعليم الروماني والتعليم في العصور الوسطى . وهذا الدور تمخضت به الاجيال طويلاً ولكن قلما تجد للتجربة فيه مكاناً وقد كان ابن الصدفة فلهذا لا ترى الوحدة فيه

اما الدور الثاني فشمل زمن الاصلاح زمن الافاقة من سبات العصور الوسطى . زمن هدم القديم ومحاولة البناء على اسس فلسفية فكان هذا الدور دور المحاربة والهدم

اما الدور الثالث فهو دور البناء . دور التقدم على اسس علمية متينة وهو وان لم يسر بنا بعيداً الى الامام في بادىء الامر الاَّ ان لهُ التقدم والتفوق على غيره في انهُ لم يرجعنا الى الوراء . ففي هذا الدور نرى ان التجربة كانت العامل الاكبر لاكتشاف الحقائق لان الفلاسفة لم يبنوا آراءهم على خيالات فلسفية بل على حقائق علمية راهنة[1] على انهُ في تنقل

(١) اني في تقسيم ادوار التعليم الى ثلاثة اقسام كبيرة خالفت الرأي الاكثر الشائع بين علماء التعليم ظناً مني ان ذلك يكون اقرب تناولاً . واتبعت المبدأ الذي يوافق رأي كونت في ترقي الحياة الفكرية في الانسان (Comte's Positive philosophy)

مبادىء التعليم من دور الى آخر يجب ان لا يظن ان كل دور منفصل عن الآخر بل ان النتائج والمسببات التي كان لها التأثير الاكبر في ابراز دور من الادوار الى حيز الوجود بقيت سائرة الى الادوار التي اتت بعدها بزيادات في تغييرها و بناء عليها

فتاريخ التعليم هو تاريخ العقل الانساني في تقلبه وتنقله من حالة بسيطة الى ما هو ارقى منها . لان ترقي الانسان ليس الأ ترقي العقل واخذه على عاتقه تنظيم الهيئة الاجتماعية لتكون ملائمة لحياة الانسان فيعيش الفرد فيها حرًّا في افكاره مستقلاً بشؤونه بحسب النظامات الصحيحة العادلة التي تسنها هذه الهيئة[1] وقد ذكر ديفدسون Davidson ان العلوم الطبيعية التي هي مفتاح التهذيب — هي التي تقود الانسان الى هذا النظام وذلك اذا سارت جنباً الى جنب مع الادبيات . وقد توسع في معنى هذا النظام حتى سماه بالعقل[2]

ففي الدور الاول وهو الحالة الثيولوجية البسيطة كان عقل الانسان يفسر الطبيعة بقوانين الهية في طبيعتها — اي انهُ كان ينسب الى الاله جميع ما يجري حولهُ من الامور التي فوق ادراكه . اما في الدور الثاني وهو دور العبور ويسمى بالمتافيسيكي اي ما وراء الطبيعة فقد حلت الفلسفة محل اللاهوت غير ان البحث في الاسباب الاولية والنتائج التي تنجم عنها كان لا يزال على حاله

ولكن عندما وصلنا الى الدور الثالث وهو الدور العلمي المحدود صرنا نكتفي بدرس مظاهر الطبيعة وحالاتها البسيطة التي تقع تحت نظرنا كل يوم ونجتهد في جمع هذه تحت قوانين ليست شاملة كما في الادوار السابقة بل محدودة وقابلة التغيير كل يوم

التعليم الاختياري — فلذلك نرى ان وجهة التعليم المصري اليوم هي من هذا القبيل . والدور اليوم علمي محدود وهو اختياري اكثر منهُ حتمي وغايتهُ ان يوفق بين آراء الادوار الماضية و يأخذ منها ما يوافق الزمن الحاضر و يترك ما يراه عقلاً بالمدنية وواقفاً سداً منيعاً بين التقدم والارتقاء . فعمل المدارس الحاضرة اذاً ان تجمع كل النظريات العلمية السابقة وتجعلها عملية لافادة الجمهور . والغاية التي يسعى اليها المدرسون او علماء التهذيب ان يأخذوا كل التقاليد والتجارب والاختبارات الماضية ويكيفوها ليجعلوها موافقة للزمن الحاضر . لان بعض ما كان مفيداً ولازماً في الازمنة الماضية قد يكون مضرًّا في زماننا هذا . وتلك

(1) Comte's Law for the succession of the three states.
(2) Davidson Philosophy of Education.

التقاليد والتجاريب التي عادت على الاسلاف بالنفع والخير قد تكون لنا سبباً للويل والشر . فكما ان لكل زمان دولة ورجالاً كذلك لكل زمان علوم واختبارات وتقاليد

ولا يعزب عن الذهن ان الدور الحاضر مركب من اجزاء الدور السيكولوجي والعلمي والاجتماعي . فالدور السيكولوجي قدم الاسلوب والعلمي اعطى الموضوع او المادة والاجتماعي وسع نطاق التعليم وجعل له غاية اعظم تشمل الانسانية على العموم وليان ذلك نقول انهُ مرت ادوار كان القصد منها في التعليم تعلم المسائل الدينية والاشتغال بالمجادلات والمماحكات الكلامية كما كانت عليهِ الحال في القرون الوسطى ومجادلات المدرسيين كما مر . ثم جاء دور كان الغرض فيهِ درس النظامات الحربية كما حدث في زمن الاقطاع . اما اليوم فان نظام التعليم اوسع جداً مما كان عليهِ قبلاً ولما كان هذا الدور مركباً من الادوار السابقة يلزم لنا لايضاح ذلك ان نذكر ما قدمهُ كل دور

اخذ هذا الدور عن روسو « ان التعليم هو الحياة وان مركزهُ يجب ان يكون في الولد » وعن بستالوتسي « ان التعليم الفعال يتوقف على معرفة الولد الحقيقية والشعور معهُ بآلامهِ وافراحهِ واحزانهِ وانهُ هو النمو الداخلي المؤثر في المحيط الخارجي ولذلك فالتعليم الاساسي يجب ان يتوقف على الحقائق وليس على الرموز والامثال وعلى الادراك وليس على الذاكرة » وقدم هربرت « الاسلوب العلمي في التعليم وفي ترتيب لائحة الدروس وان الاخلاق الحميدة هي الغاية من التعليم وان لائحة الدروس العلمية يجب ان توصل التلميذ الى هذه الغاية » . وقدم فروبل مبدأ الفكر الصحيح من جهة طبيعة الولد . ولما كان الولد يرغب من حيث طبيعتهُ في الالعاب والحركات الرياضية وجب ان ينشأ التعليم من ذلك الاساس . وان المدرسة يجب ان تكون عالماً مصغراً امام التلميذ . وجاء من الدور العلمي مبدأ التعريض على تحديد معنى التعليم الكامل . وقد جاء الدور الاجتماعي دعامة لهذا المعنى وذلك حينما وضع في جدول المدارس باب الصنائع والعمليات والميكانيكيات . فنتج من كل ذلك ما ندعوهُ « بالرجل المدني الحر الكامل النمو العارف معنى المدنية الحقة » . وجاء من الدور الاجتماعي ان التعليم هو نمو الهيئة الاجتماعية وان غايتهُ اعداد مدنيين حقيقيين وان هذا يتم بالنمو الكامل في شخصية الفرد وان نمو هذه الشخصية يجب ان يلائم الفرد لهذه المدنية ويعدهُ للاشتراك في الاعمال الاجتماعية ويؤهلهُ لادراك هذه الحقيقة الناصعة وهي ان منفعتهُ الذاتية تتوقف على ما يقدمهُ للآخرين من المنافع

النهضة التعليمية الحالية

مما يلاحظهُ المطلع في هذه الاثناء سرعة تغيير جدول الدروس المتتابع ليكون ملائماً لحالة الحاضرة فيعبر عما يتطلبها من الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والادبية · وعلماء التعليم يحاولون اليوم ان يجعلوا الاسلوب التعليمي عمليًّا عامًّا واضحًا . فمن ثمَّ نجد في التعليم اتحاد الادوار السيكولوجية والعلمية والاجتماعية معاً · ثم ان تغير الاحوال الاقتصادية ولد الاختصاص والمركزية في التعليم · وهذه المركزية تشابه في اكثر الوجوه المركزية السياسية اي وضع ادارة التعليم في مركز واحد ترجع اليهِ كل المدن والقرى في شؤونها التعليمية · ومثال المركزية فرنسا ومثال اللامركزية انكلترا · اما المانيا فهي بين المركزية واللامركزية واميركا سائرة في طريق المركزية مع شدة المعارضين لها · وقد نتج عن المركزية جعل صناعة التعليم مهنة رسمية كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها وفي العالم المتمدن نهضة يقصد بها تجريد المدارس من التعاليم الدينية وجعل التعليم فيها مدنيا عالميًّا علميًّا محضاً · فترى ان المواد الدينية التي كانت الشغل الشاغل للمدارس في القرون السابقة اصبحت المدارس اليوم تجتهد ان تنبذها من جدول دروسها ولكن في ذلك صعوبة لا تخفى ولا ندري هل تقوى الحكومات كلها على تذليلها كما فعلت فرنسا واميركا واليابان · ومن الغريب ان اليابان جعلت الفضائل مقاماً كمقام الجغرافيا والحساب فوضعتها في جدول دروسها وخصصت لدرسها وقتاً معيناً في النهار · فالتلامذة يدرسون الامانة والصدق والاستقامة كما يدرسون مبادئ الطبيعيات والهندسة · فالذي تطلبهُ مدارس الوقت الحاضر هو معرفة الانسان كيف يجب ان يعيش والآداب اللازمة لحياة نافعة في مدنية عصرية « معقدة » اضطرت الى ترك البساطة في احوالها · فمجال التعليم اذاً يجب ان يكون اوسع مما كان عليهِ قبلاً والتعليم المدرسي يجب ان يكون عمليًّا ذا نفع للتلميذ وقائداً الى السلوك الحسن · ونرى اليوم ايضاً ان الحكومات والاغنياء يصرفون الاموال الكثيرة في ترقي العلم والتعليم وهذه النفقات تزداد كل يوم والاغنياء يتسابقون الى تقديمها

اتفاق اللذة والعمل في التعليم

المدارس الحالية هي الموفقة بين اللذة والعمل وذلك بعكس ما كانت عليهِ المدارس قبلاً فانها كانت تشغل عقل التلميذ مثلاً بدرس آداب اللغة بقصد التمرين العقلي لا بقصد المنفعة واللذة · فكانت في عملها هذا كالرجل الذي يقصد تغذية جسمهِ وتقوية عضلاتهِ بطعام لا لذة فيهِ ولا طعم · فاللذة وحدها لا تكفي وكذلك العمل ولكن اذا اتحدا معاً حصلت

منهما الفائدة المطلوبة واتحادهما يقوم بجعل الدروس المدرسية تطابق حياة الولد الحقيقية وهذا يتمّ بان يضع المعلم امامهُ ما يقع تحت حواسهِ في حياتهِ الخارجية والداخلية من الامور التي يرتاح اليها عقلهُ ويسرُّ بها فؤادهُ وتقرُّ لها عينهُ . فمعنى التعليم الحالي هو توازن الحقوق الشخصية والواجبات الاجتماعية لكي لا تغلب احداها على الاخرى فلا الفرد يتعدى حقوقهُ ولا الجماعة واجباتها . ولا يضرُّ النفع الخاص بالنفع العام

جدول الدروس

المدنية الحالية لا تعتبر جدول الدروس فرضاً مقدساً خالياً من كل عيب بل هو الجدول الذي يضع امام التلميذ ما عملهُ اسلافهُ ويريهِ ما حولهُ من الشؤُون . وجدول مثل هذا يتغير بتغير الاحوال والازمنة والامكنة . فما كان نافعاً للقرن التاسع عشر قد لا ينفع القرن العشرين . وما الجدول الاَّ الدليل الذي يعرّف التلميذ بالحياة لانهُ لما كان التلميذ جاهلاً الحياة التي يمر فيها وجب ان يكون لهُ مرشد يقودهُ لكي لا يعثر وهو سائر في بحر العالم المضطرب ومثلهُ في ذلك مثل السائح الذي يصحب معهُ ترجماناً يدلهُ على المواضع التي لم تطأها قدمهُ قبلاً لكي يكون على بصيرة في ذهابهِ وايابهِ

الاسلوب

معرفة ما تقدم ذكرهُ تتوقف على الاسلوب والقاء الدروس . فالاسلوب هو ارشاد التلميذ لاستعمال قواهُ حتى يمكنهُ ان يرى في نفسهِ الاختبارات التي جمعها من المعلم عن اسلافهِ . واسلوب المعلم يتوقف على معرفتهِ طبائع التلميذ . فعليهِ ان يعرف الاشياء التي يلتذ بها الولد ويقف على مداركهِ واستعدادهِ ونشاطهِ . وعليهِ قبل ذلك ان يعرف موضوعهُ الذي يعلمهُ حق المعرفة وكيفية القائهِ في ذهن السامع

صعوبتنا الحاضرة

فمهمة التعليم الحالية قائمة باعطاء كل جيل اختبارات الاجيال السابقة وذلك بان ينتقي المعلم منها ما هو مفيد ونافع ويجنب ما يراهُ ضاراً ثم يمحص تلك الاختبارات ويكيفها ليجعلها ملائمة للجيل الحاضر . هذا ما يتعلق بالمعلم اما ما يتعلق بالهيئة الاجتماعية فهو ان لا تضن على المعلم بما تراهُ ضرورياً ولازماً لحياتهِ بل تدعمهُ وتشرف مقامهُ وتزيل كل الصعوبات التي تراها في طريقهِ لكي يهذب الاحداث والناشئة التي اودعت في يدهِ تهذيباً حقيقياً لا يتخللهُ نقص ولا خطاء الى غاية ما يجد اليهِ السبيل

بولس شحاده

الخطر الاصفر

لا تذكر هذه الكلمة «الخطر الاصفر» التي يراد بها نهوض اهالي الصين واليابان ومزاحمتهم للشعوب البيضاء الأ ارتعدت لها فرائص الفريق الاكبر من الاوربيين والاميركيين رغماً عمّا يرونهُ من ازدياد قوتهم الحربية وتفوقهم في العلوم والفنون على كل امم الارض ورغماً عمّا يجيئهُ بعض كتابهم من الادلَّة على ان الخطر الاصفر وَهْمٌ لا حقيقة لهُ . وقد نشرنا في مقتطف يونيو الماضي مقالة للورد كروس لخّص بها كتاباً وضعهُ احد كتّاب الانكليز الباحثين في امور الصين وبيّن فيهِ ان ما يروى من انتظام الامور في تلك البلاد بعيد عن الصحة وان الرشوة والضيعة متأصلتان فيها وانهُ اذا أُحسنت ادارتها وانتشرت سكك الحديد فيها رأى الصينيون في بلادهم متسعاً لهم فلا يضطرون ان يهاجروا الى غيرها ولا يبقى سبيل للخوف من مزاحمتهم لغيرهم لان الولايات القليلة السكان من الصين اوسع من الولايات المزدحمة بسكانها الى غير ذلك مما تراهُ في مقالة لورد كروس المشار اليها

لكن كثيرين من الخبيرين بامور الصين يذهبون الى ضد ذلك ويقولون ان الصينيين ناهضون الآن نهضة حقة وان اليابانيين آخذون بيدهم رغماً عما بين الامتين من المنافسة ومتى رأوهم قد صاروا بحيث يصحّ الاعتماد عليهم حالفوهم ونقضوا عهدهم مع الانكليز ووقفت الامتان معاً في وجه الدول الاوربية والجمهوريات الاميركية . وقد رأينا ان نثبت هنا ادلة هذا الفريق كما اثبتنا ادلة الفريق الاول

بلاد الصين في بقعة من اطيب بقاع الارض ممتدة من المنطقة الحارَّة الى الباردة لكن اكثرها في المنطقة المعتدلة لا تتطرَّف الى الشديدة الحر ولا الى الشديدة البرد فانها بين الدرجة العشرين والدرجة الخمسين من العرض الشمالي واذا اضفنا اليها كوريا واليابان وسيام بلغ اتساعها من الدرجة العاشرة من العرض الشمالي الى الدرجة الخمسين . وفي الصين وحدها اكثر من ٤٠٠ مليون من النفوس والشعب الاصفر كلهُ اكثر من خمس مئة مليون فهو اكثر من الشعوب البيضاء عدداً

ولا شبهة في ان الصين استيقظت الآن من سبات العصور الغابرة ولاستيقاظها اسباب اولها قهر دول اوربا لها في حروبهم معها . فان اسلابها نبّهها من رقادها وجعلها تكره الاوربيين وتحقد عليهم وتلا ذلك ابتزاز الامتيازات منها بالقوة وتهديدها بالتقسيم ثم فوز اليابان على الروس وهو اول فوز للشعوب الصفراء على الشعوب البيضاء وقد كان لهُ دوي عظيم لدى

الشعوب الصفراء كلها وفي الشعوب السمراء سكان الهند ايضاً. فكأن اوربا علّمت الصينيين ان الحق للقوة وان القوي ينال ما يشاء من الضعيف فصرفوا هممهم الى اصلاح حربيتهم وبحريتهم واتوا بالضباط الالمانيين لتدريب جنودهم وابدلوا مدافعهم القديمة بمدافع جديدة من طراز كروب وانشأوا محطات التلغراف اللاسلكي والتلغراف العادي وجعلوا يتعلمون ركوب الهواء وانشأوا ثلاثة معامل كبيرة لسبك المدافع وعمل البنادق وسائر الاسلحة وانشأوا مجلساً للبحرية وشرعوا في انشاء السفن الحربية

واذا جروا في تجنيد رجالهم على قاعدة الالمان بلغ جيشهم ثلاثين مليوناً اي اكثر من الجيوش الاوربية كلها . وقد شهد القواد الكبار مثل غوردن ومكي هربوت انهُ ما من جندي في الدنيا يفوق الجندي الصيني في بسالته . وشهد آخرون ان مهارتهم من الطبقة الاولى بين مهارة الامم . والجندي الصيني يكتفي بما لا يكتفي به الجندي الاوربي من المأكل والمشرب . وقد اخذ الحماس من الجنود الصينية كل مأخذ في هذه الايام كما يظهر من نشيدهم الذي ينشدونهُ وهذا تعريبهُ

كم يهزأ القوم بنا ويقصدم قسمتنا
كأننا بطينة لا عزوةً لا وطنا

من الملايين اذا ما أحصيت جموعنا
اربع مئة قيل من امة تروعنا

الاتحاد قوةٌ يحيي النفوس الخامده
يغيرو الشعوب شتّى كالخراف الشارده

دليلنا الهند رآها بقيود راسفه
وجزرُ اليابان من حوض المعالي راشفه

ولم يكتفوا بتعليم الجنود وانشاء المعامل لعمل الاسلحة بل تراهم يرسلون البعثة بعد البعثة الى اوربا واميركا واليابان من الفتيان والفتيات للتعلم والتفقه . وقد بلغ عدد الفتيان الصينيين الذين كانوا يطلبون العلم في بلاد اليابان سنة ١٩٠٧ ثمانية آلاف وعدد الفتيات مئتين وهنَّ من صميم الاسر الصينية الشريفة

ولم يكد الصينيون يقلبون الحكومة الملكية وينادون بالجمهورية حتى انشأوا كثيراً من

الجرائد اليومية واقتبسوا نظام اتحاد الصناع واخذوا يطلبون القرار وتصير اقدام النساء وقطعوا الذوائب التي كانت دليلاً على خضوعهم للمغول وانتظم نساؤهم في سلك الجندية ولبسن لبس الرجال وطلبن ان يساوين بالرجال في حقوق الانتخاب واخترعوا خمسين حرفاً يكتبوا بها لغتهم بدل مشهور الصين . واقروا على جعل اللغة الانكليزية لغة تعليم العلوم والفنون في كل البلاد وجعلوا تعلُّمها الزامياً لكل طالب علم او صناعة حتى لا يفوتهم الوقت بترجمة الكتب الاوربية الى لغتهم وطبعها فيها

ولا شبهة بوجود الرجال في الصين فلا ينقصها الاَّ الآلات والادوات . وعندها لها معادن غنية جداً فتألفت فيها شركات كبيرة لاستخراج معادنها وقد قال بيت من اشهر بيوت الهندسة الانكليزية انهُ ما من بلاد اغنى من الصين بالفحم الحجري . وترى الآن معامل الحديد والقطن والحرير والزجاج والبارود وما اشبه تنشأُ في كل مكان على ضفاف الانهر وسترى اوربا منها مناظرة صناعية وتجارية عنيفة جداً . وقد ظهرت نتيجة هذه النهضة في زيادة صادرات البلاد ووارداتها فانها زادت نحو سبعة اضعاف منذ سنة ١٨٦٧ الى الآن

وقد رأت جمهورية الصين انها لا تستطيع ان تصلح بلادها ما لم تربطها بسكك الحديد والتلغراف والتلفون فقررت ان تنشئ في العشر السنوات التالية سبعين الف ميل من سكك الحديد تتصل بالخط الرئيسي الذي مدة من بكين الى كنتون . وستصير عواصم ولاياتها مراكز لسكك الحديد و يتفرع منها خطوط اخرى حتى تتصل كل عاصمة بمائة خطوط او تسعة ويتيسر لها نقل بضائعها وجنودها على اسهل سبيل . وكانت قد اعطت نصف الخط من هنكو الى كنتون لشركة اميركية فاسترددتهُ منها واعطتهُ لشركة صينية . اما التلغراف العادي فربط كل الولايات بعضها ببعض وكذلك التلغراف اللاسلكي

وترى الصينيين يدأبون الآن على تنظيم جنودهم وتعليم اولادهم وتوسيع معاملهم ومتاجرهم يعملون بلا ملل نهاراً وليلاً . ومتى تمَّ لهم ما يفرونهُ طردوا البيض من بلادهم لا بالقوة الفعلية بل بالمناظرة الصناعية والمزاحمة التجارية فتبقى ابواب البلاد مفتوحة للاجانب كما هي اليوم ولكن الاجانب لا يجدون فيها رزقاً يناولونهُ فيضطرون الى تركها لاهلها . ولا بدَّ من ان يطلب الصينيون ان يباح لهم الدخول الى اوربا واميركا واستراليا كما يباح لغيرهم لانهم جعلوا شعارهم من الآن المساواة

ومن المحتمل ان تضطرهم الدول الاوربية الى الحرب قبلما يتم تنظيم جيشهم فان الولايات المتحدة الاميركية تناظبهم في امر المقيمين منهم في بلادها والفرنسويين يناظبونهم

في امر الرسالات الدينية الكاثوليكية والانكليز في امر بلاد تبت والروس في امر منشوريا . والذين يعرفون اخلاق الصينيين يقولون انهم سيتذرعون بالصبر ولا يستفزهم امر الى محاربة دولة اوربية قبلما تتم معداتهم الحربية

فالخطر الاصفر لا يقوم بان تجيش الصين جيوشها لغزو اوربا بل بارسالها الالوف والملايين من شعبها الى سائر البلدان ليزاحموا اهلها في العالم . فان الصيني يقتات في يومه بقرش واحد ويعمل مثل اربع عامل . ولذلك منعت بعض البلدان دخول العمال الصينيين بلادها خوفاً من مناظرتهم اهلها ولكن متى صار وراء هؤلاء العمال ثلاثون مليون رجل شاكي السلاح لم يبق سبيل لهذا المنع لاسيما وان اليابان ترى ان مستقبلها قائم بمحالفة الصين وعندها الآن ثمانئة الف من الجنود المدربين وخمسون الفاً من البحارة الذين خاضوا المعارك ولا يبعد ان تبني هي والصين اسطولاً من اقوى الاساطيل البحرية وتفتتحا استراليا وجزائر فيلبين

فهل تُترك الجمهورية الصينية حتى تقوى ويشتد ساعدها او يحسّن لها اهل المطامع من الاوربيين والاميركيين سلوك سبل الاسراف ويدسون لها الدسائس حتى تعم الشحناء بين رجالها ويقتتل بعضهم بعضاً كما فعل المتاليون . وهل آداب الصينيين كافية لان تقيهم من الوقوع في اشراك الهوى وتعصمهم في مواقع الزلل او نخر سوس الفساد عظامهم وسوف تعبث بهم عواصف الدهر وتمزقهم شياطيط ذلك ستبينهُ الايام بعد عهد غير بعيد

هذا وقد نشرنا مع هذه المقالة بعض الصور الفوتوغرافية الاصل لتظهر منها بعض احوال الصين الحاضرة ففي اسفل الصورة الاولى رسم يوان شه كاي رئيس جمهورية الصين مع كاتم اسراره ورسمهُ وحدهُ . وهو شيخ مسن وقائد محنك قبض على الجمهورية بيدين من الحديد لكي يمنع الثورات الداخلية . وفي اعلاها من الجهة اليمنى صورة تسيان شيه باو الوزير الصيني المقيم في لاسا عاصمة تبت ومن الجهة اليسرى صورة تانغ شاو يي رئيس وزراء الصين وبينهما صورة الدكتور تان جن ثون وزير الحقانية

وفي اعلا الصورة الثانية رسم الدوق زمو لره من وجوه منشوريا والوالي شن من ولاتها وقد اوفدهما الاهالي الى عاصمة الصين لكي تحميهم الجمهورية من الروس . وتحتها صورة ضابط من ضباط الجيش الجديد وصورة رجل من الفرسان . وترى في صورة رئيس النظار وصورة الضابط والوالي والدوق المنشوري ان الصينيين البسوا الملابس الاوربية تماماً ورئيس الجمهورية الذي تراهُ هنا بالباس الصيني القديم انما يلبسهُ متفضلاً اذا اراد الراحة في مكتبه واما في الديوان والمقابلات الرسمية فيلبس لبس قواد الجيش مثل القواد الاوربيين

الرحلة القطبية

قضى على سكوت الرحالة الانكليزي ودفنت رفاتهُ ورفات رفاقهِ حيث تبرّد ثرام الثلوج الدائمة على مر الايام والاعوام ولكن ما كتبهُ عن رحلتهِ وصل سالمًا ووصلت معهُ صورهُ وصور رفاقهِ في حلهم وترحالهم . « تفنى الحقائق والرسوم تقيم » . ولقد جعلت الدنيا السينماتوغراف تعرضها في القطار المسكونة حتى كأن تلك الرحلة كانت لاجل تلك الصور . رأيناها في هذه العاصمة وفيها من المدهشات ما يستوقف النظر ولاسيما حيث ترى الحيوانات البحرية تزحف على الثلج وتخوض في المياه وتسرح وتمرح « وربان الصبا يستفزُّها وتأرن احيانًا كما يأرن المهر » ولكن في الرحلة اموراً اغرب ومخاطر مهما بالغ واضعو القصص في الاختراع لم يأتوا باعجب منها

قال المستر ليونرد هكسلي ابن المرحوم الاستاذ هكسلي الشهير ان سكوت لم يقصد من رحلتهِ ان يبلغ القطب الجنوبي قبل غيرهِ مع انهُ كان يتمنى ان يكون لهُ السبق اليهِ او كان واثقًا انهُ سيكون السابق ولكن المعدات التي اعدَّها لرحلتهِ كان يقصد منها اكتشاف كل ما يمكن اكتشافهُ من الامور العلمية التي توسّع معارف الناس سواءٌ تمكّن من الوصول الى القطب او لم يتمكّن . فكان يقصد ان يعرف ماهية الجبال التي في تلك الاصقاع وتاريخها الجيولوجي وما يتعلّق بالبراكين التي هناك والعصر الجليدي في حاضرهِ وماضيهِ وكل ما يمكن ان يعلم من اختلاف الحر والبرد وضغط الهواء ومجاريهِ والكهربائية الجوية والمغنطيسية وتكوُّن الجليد وحركاتهِ وطبائع الحيوانات التي تعيش هناك والطحلبيات التي تعيش عليها . ولذلك تألفت بعثةٌ من العلماء واخذت معها كل ما يلزم لها من الآلات والادوات الرياضية والفلكية والبيولوجية واستعانت لنقل امتعتها على الجليد بالكلاب والخيول الصغيرة القد والمزالق الموطرية [1] ونحو ذلك مما يطول شرحهُ

لكن هذه الرحلة كانت محفوفة بالمتاعب والمخاطر من اولها فلم تكد السفينة واسمها ترّا نوفا تقلع بمن فيها في اول دسمبر سنة ١٩١٠ حتى ثارت العواصف واشتدت الانواء وعلت الامواج وانصبّت على ظهر السفينة وعبثت بما هناك من صناديق البترول واكياس الفحم وحزم العلف وكلها من الزم اللوازم . فعانى الرجال اشد المشاق في تخليصها ونقلها الى اماكن امينة واعملوا

---

(١) لا نرى لنا مناصًا من تعريب كلمة موطر Motor او Moteur كما عربنا كلمة ميكروب وهي لهن المصطلحة على الاوزان العربية ويسهل استعمالها اسمًا ووصلاً ومعناها الآلة التي تحرك بمحرك داخل فيها

المضخات لرفع المياه من السفينة لكن المضخات غصّت ووقفت عن العمل فدخلت المياه الى بيت الآلة البخارية واحاطت بالمرجل فسخنت وصار يعسر لمسها واضطرّ الرجال ان يستعملوا الادلي وصاروا كمن يحاول تفريغ البحر بالصدفة ولكن الصبر والجلد يغلبان كل المصاعب فواظب بعضهم على نزح المياه بالدلاء واحتال البعض الآخر على الطليا الكبيرة حتى وصلوا اليها واصلحوها وتمكّنوا بعد العنا والتي من نزح المياه كلها وتخليص السفينة من الغرق . كل ذلك ولم تفارقهم بهجتهم ولا خامرهم شيء من اليأس ولم يخسروا في هذا النوء الا فرسين وكلباً و٦٥ جالوناً من البترول وصندوقاً من السبيرتو

وتكررت الانواء والعواصف الى ان بلغت السفينة بحراً متجمداً ودخل عام ١٩١١ بيوم من ابدع الايام يوم يستطيع فيه الانسان ان يقف في الشمس الساعة الحادية عشرة ليلاً(٢) . وفي اليوم التالي شاهد سكوت ورفاقه بركان ارببوس على مئة وخمسين ميلاً منهم والنار تتأجج فيه وهو قائم في جزيرة كبيرة مثلثة الشكل طول كل جانب من جوانبها الثلاثة ٤٠ الى ٥٠ ميلاً فنزلوا عند رأس من رؤوسها وهو رأس إيفانس واقاموا هناك كوخاً كبيراً نقلوا اليه كل ما معهم من الامتعة والادوات والاقوات لكن الجليد الذي كان يغطي البحر بين السفينة والرأس لم يلبث ان تشقق ووقع موطر من مواطرهم في شق منه وغاص في البحر

واجتمعت الحيتان حول السفينة وهي من النوع المعروف بالقتّال (انظروا وصفه في الصفحة ٤٦٠ من المجلد ٣٨ من المقتطف) من كبيرة وصغيرة وكان سبب اجتماعها انها رأت الكلاب على الثلج المتصل بالسفينة فارادت افتراسها والمبل المصور الشمسي بآلته ليصورها واذا بالجليد قد تكسّر تحت قدميه وجعلت تلك الحيتان تخرج رؤوسها من كسره وهي التي كسّرته بسباحتها تحته وضربها اياه بظهورها مع ان سمكه كان قدمين ونصف قدم ولحسن الحظ بقيت الكلاب على قطعة كبيرة من الجليد فلم تسقط في الماء ورؤوس هذه الحيتان كبيرة وعيونها صغيرة واشداقها واسعة وفيها اسنان كالخناجر لا اكبر منها بين اسنان الوحوش . والظاهر انه أسقط في يدها لما رأت انها لم تنل من الكلاب ولا من المصور مأرباً فعادت ادراجها . وأُخذ المصور والكلاب وصناديق البترول التي كانت قد انزلت ووضعت على الجليد

(٢) لان الشمس تدور حول الافق هناك ولا تغيب او تغيب وقتاً قصيراً ثم تشرق

ومضت الاشهر الخريف الثلاثة من اواخر يناير الى اواسط ابريل ورجال سكوت يقيمون المستودعات للزاد في طريقهم واول مستودع منها عند رأس ارميتاج على الطرف المقابل لرأس ايفانس . وكان لا بدَّ من الوصول اليهِ على الجليد الطافي على وجه الماء لان ساحل الجزيرة هناك عالٍ جداً يتعذر الصعود عليهِ والجليد الذي يغطي البحر عرضة للانكسار في كل لحظة وبعدهُ نهر من الجليد منحدر من جبل اربيوس وطاعن في البحر ولا بدَّ من الوصول اليهِ لانهُ مرقاة يرقى بها الى ما فوقهُ فوصلوا ونقلوا ما معهم من الزاد والمتاع والخيل والكلاب الى الحاجز وهو سهل مرتفع جداً يغطيهِ الجليد على مدار السنة و يمتد الى القطب . وكان الرجال اثني عشر والخيول ثمانية والكلاب ٢٦ ومعهم من الزاد والامتعة ما ثقلهُ ثمانية اطنان . فاختاروا بقعة تبعد اربعة عشر ميلاً من موقف السفينة واقاموا فيها مستودعاً كبيراً وسموهُ مستودع الامان وهو المخيم الثالث بعد السفينة ونقلوا اليهِ امتعتهم وزادهم وكان النقل بزالق تجرها الخيل والكلاب . ويظهر من الصور المتحركة التي عرضت بالسينماتوغراف ان اختيار الكلاب والخيل للنقل لم يكن من الحكمة في شيء . وانها اتعبت سواقها تعباً غير قليل . اما سكوت فيقول في تحريره انها كانت تجرُّ الاثقال على ما يرام ولم يشذَّ الأ القليل منها . لكنهُ ذكر مرة بعد اخرى ما كان يعتريها من الجزع فتجفل وتشرد لاقل سبب لا تلوي على احد ولعلَّ المصور كان ينتبه لها حينئذٍ و يصورها وهي تتجاذب وتزمع

قال سكوت « وكان اثنان من الكلاب قد ربيا على ان ينبحا كلَّ غريب و يهجما عليهِ فلا يأنسان الأ بالذي يسوقها و ينبحان كل احد غيرهُ . واتفق اني اشرت مرة الى سائقها ليقف فهجم احدهما عليَّ وعقرني في ساقي ولو لم يكن السائق هناك لتبعتهُ الكلاب كلها واولعت بي لان الجوع كافر ولاسيما في الكلاب ولا اشرس من الكلب الجائع »

وكانت تلك الكلاب تسير بانتظام وهي مقرونة الى المزالق لكنها تتخاصم وتتهارش لاقل سبب والطمع غلاَّب . واتفق مرة ان فرساً من الافراس زلق وكان متعباً فسقط على الارض ولما رأتهُ هجمت عليهِ وجعلت تنهشهُ وهو يعضها و يرفسها واسرع الرجال اليها بعصيهم فكسروها عليها قبلما ابعدوها عنهُ

واستمروا يقيمون المستودعات في طريقهم وينقلون اليها بعض زادهم ثم يعودون و ينقلون غيرهُ الى ما امامهُ . وكان الجليد في طريقهم صلباً في بعض الاماكن ورخواً متخلخلاً في غيرها فيسهل عليهم السير تارةً و يعسر اخرى وكانوا يرون كل يوم من العقبات ما ليس في الحسبان لتقلب احوال الجو وصادفهم في الطريق نوء ثلج من اشد الانواء واخيراً وصلوا

الى آخر مستودع ووضعوا فيهِ ما يكفي اربعة رجال وخيلهم وكلابهم سبعة اسابيع

وكانوا يسيرون ليلاً وينامون نهاراً لان الجليد يزيد صلابة في الليل فيسهل السير عليهِ والبرد يشتد حينئذٍ فيدفأُون بالحركة واما في النهار فيقل البرد يوماً فلا يخافون ان يبردوا اذا ناموا وقد وصف سكوت حلهم وارتحالهم قال ما خلاصتهُ : —

كنا نخرج من الاكياس التي ننام فيها الساعة التاسعة بعد الظهر وبعد ساعتين ونصف ساعة نكون قد تهيأنا للسفر فرزمنا امتعتنا وقرنّا الخيل والكلاب الى مزالقها واخذنا في سيرنا من غير توقف الاَّ اذا زلق احد الخيول وسقط فنقف لنقيمهُ . ونستريح ساعة في منتصف المرحلة ثم نعود الى السير الى ان ننتهي فنقف ونضع اثقالنا وننصب خيامنا ونطبخ طعامنا ونقيم سوراً حولنا من الثلج يقيها من عصف الرياح

ولما وصلوا الى احد مستودع ووضعوا فيهِ زادهم عادوا ادراجهم ليجلبوا زاد الطريق ورأوا ان يفترقوا فيذهب المسرعون وحدهم والمبطئون وحدهم لان خيلهم وكلابهم لم تكن على درجة واحدة من السرعة . وكان سكوت وثلاثة من رفاقهِ من المسرعين وقبلما وصلوا الى مستودع الامان بليلة كثر الضباب وقلَّ النور رويداً رويداً حتى تعذرت عليهم رؤْية طريقهم . قال سكوت وبينما نحن سائرون مسرعين صرخ ولس (احد رجالهِ) قائلاً امسكوا المزلقة فاسرعت اليها ولم ارَ شيئاً وكان يجرها ١١ كلباً ولم يكن الاَّ خمس دقائق حتى سقطت الكلاب في هوَّة فان الثلج انفذ تحتها الى هوَّة عميقة جدًّا وكان الكلب المقدم كبيراً قويًّا فامسك بالثلج بيديهِ ورجليهِ ولم يسقط معها وبقيت المزلقة على الثلج على حافة الهوة . واتضح لنا حينئذٍ اننا كنا سائرين على شفا جرف هارٍ ولولا قليل لسقطنا كلنا في تلك الهوة فابعدنا المزلقة عن الحافة واوثقناها برماة والتفتنا لنرى ما حدث للكلاب فرأيناها معلقة في الهواء بالسيور التي كانت مربوطة بها وقد انفك اثنان من سيورهما ووقعا على جرف آخر في قاع الهوَّة واما الكلاب الباقية فكانت لا تزال معلقة بسيورها في الهواء وهي ترعى وتحاول الافلات وكان معنا حبل معقد وهو المعروف بسلم جبال الالب وكنت قد سألت عنهُ قبلما اخذنا في السير فطلبتهُ حينئذٍ وفككنا المزلقة وابعدناها عن موقع الخطر هي واكياس النوم والخيمة والموقد . وكانت الهوَّة شقًّا في الجليد غير واسع فوضعت عودي الخيمة على حافتيها من جانب الى جانب وكان الحبل قد حزَّ في الجليد والصق الكلب المقدَّم بما تحتهُ حتى كاد يقتلهُ فتمكنا من رفعهِ قليلاً وفككنا الكلب واطلقناهُ . ثم ربطنا الحبل بالسلَّم الالبي وجعلنا نحاول انتشال بقية الكلاب فانتشلنا كلباً واحداً وتعذَّر علينا

الاثقال الباقية فبسطنا المزلقة فوق الهوة وامسك واحد منا بمرساتها لكي لا تفلت وربطنا السلّم الآلي بالحبل الذي كانت الكلاب معلقة بهِ وجعلنا ننتشلها اثنين اثنين ونفكها من رباطها وكاد يتعذر علينا انتشال الكلاب الاخيرة لانها كانت قد اندفعت الى تحت حافة الجليد فانقذنا احد عشر كلباً وبقي الاثنان اللذان افلتا من سيورهما وكان طول السلم تسعين قدماً فادليناه الى ان وصل الى الجرف الاسفل واذا عمقهُ تحتنا ٦٥ قدماً فربطت انشوطة في الحبل وامسكت بها وجعلت الرجال يدلونني الى ان وصلت الى الجرف الاسفل فامسكت الكلبين وربطتهما فانتشلهما الرجال واحداً بعد الآخر . وكانت الكلاب التي انتشلت قد افلتت وعادت الى المزلقة الثانية وجعلت تتهارش هي وكلابها فاضطر الرجال ان يتركوني ويسرعوا اليها ليفصلوا بينها لكنهم عادوا اليَّ مسرعين وانتشلوني وانا لا اصدق بالنجاة . وقد اقتضى تخليص الكلاب على هذه الصورة نحو ساعتين

وتحوَّل سكوت ورفاقهُ عن ذلك الطريق لاتساع الشقوق فيهِ وعادوا الى الطريق الذي ذهبوا فيهِ اولاً لان شقوق الجليد فيهِ اضيق ووصلوا مخيم الامان في ٢٢ فبراير فوجدوا اجانس ورجالهُ قد سبقوهم اليهِ ومعهم فرس واحد واما الفرسان الآخران فكانا قد ماتا من شدَّة البرد وعصف الثلج

وعاد احد رفاقهم حينئذٍ واخبرهم انهُ رأَى امندسن في خليج الحيتان وهو اقرب الى القطب من آخر محطة وصل سكوت اليها بمئة وستة وعشرين ميلاً ومعهُ كلاب كثيرة وهو على اهبة الاسراع الى القطب وسيسير اليهِ قبلما تصير خيولهم قادرة على السير . قال المستر هكسلي ولو كان سكوت ورجالهُ من صغار الاحلام لتركوا ما هم فيهِ من البحث العلمي واخذوا كلابهم واسرعوا الى القطب حتى لا يدعوا امندسن يسبقهم اليهِ اما هم فكان لهم اغراض اسمى ولذلك لم يبالوا بما سمعوا . واشتدَّ البرد حينئذٍ وخيف ان يودي ببقية الخيل فرأى سكوت ورجالهُ ان لا بدَّ لهم من العودة الى المكان المسمَّى هت بوينت عند الطرف الشمالي الشرقي من الحاجز والوصول اليهِ شديد المشقة فاذا مشوا على الحاجز فالبرد فيهِ فوق الطاقة واذا ساروا على الجليد الذي يغطي البحر ففيهِ شقوق كثيرة يخشى السقوط فيها . وكان بين طرف الحاجز وهت بوينت خمسة اميال فلما وصلوا اليها وجدوها مغطاة بكسر الجليد وكان بعض رفاقهم قد سبقوهم بالخيل والكلاب فلم يقفوا لهم على اثر فداروا ليسيروا فوق جليد الحاجز واذا الشقوق قد بدأَت بينهم وبينهُ فابعدوا عنها . وكان رفاقهم الذين تقدموهم قد ساروا امامهم فوق الجليد الذي يغطي البحر فظهرت الشقوق في طريقهم وكانوا يعبرون فوقها بمشقة عظيمة

الى ان وصلوا الى شق كبير واذا بالجليد الذي امامهم قد انفصل وجعل يسير فنادوا ادراجهم ولكنهم رأوا ان الجليد الذي كانوا عليه قد اخذ يسير بهم ايضاً فاسرعوا الى الشق الذي يفصل بينهُ وبين ما يليهِ قبلما يتسع ووثبوا فوقهُ هم والخيل والمزالق فنجوا ولكن بعد مشقة عظيمة وكان التعب قد انهكهم فنصبوا خيمتهم وانطرحوا فيها كالقتلى وغلب عليهم النعاس فناموا وبينما هم نيام سمعوا صوتاً شديداً ايقظهم فان الجليد الذي كانوا نائمين عليهِ انقدَّ ايضاً حيث نصبوا خيمتهم وغار فرس من خيلهم في الشق واحاط بهم الماء من كل ناحية فنهضوا حالاً وجمعوا امتعتهم وجعلوا يثبون من قطعة جليد الى قطعة اخرى هم وخيولهم واحمالهم وظلوا كذلك خمس ساعات اشرفوا فيها على الهلاك مراراً وهم يعلمون انهم لو تخطوا كل قطع الجليد ووصلوا الى الحاجز لتعذر عليهم تسلقهُ لارتفاع جداره على ساحل البحر. وكانت الحيتان القتَّالة تخوض البحر حولهم تحاول افتراسهم ومع ذلك كلهِ لم تخر عزائمهم لانهم كانوا يعلمون ان نجاح البعثة في عملها متوقف عليهم فاذا فشلوا عادت بالفشل . واخيراً تبرَّع واحد منهم ان يخاطر بنفسهِ ويثب الى الحاجز ويفتش عن رفاقهم ليأتوا لمعونتهم فجعل يثب من قطعة جليد الى اخرى الى ان وصل الى قطعة التصقت حينئذٍ بالحاجز فوثب اليها وتسلق الحاجز ووصل الى سكوت ورفاقهِ واخبرهم بما حلَّ برفيقيهِ فاسرعوا لاغاثتهما ومعهم السلم الآلي فنجوهما وانقذوا فرساً من الافراس الثلاثة ولكن بعد تعب يفوق الوصف مدة ثلاثة ايام

فهذه المشاق بل هذه الارزاء تثبط العزائم ولذلك صدق سكوت في ما كتبهُ في يوميتهِ حيث قال ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة فاولاً فقدنا دواب الحمل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررت ان أؤخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا وثانياً اشتدَّ البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣ . وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قللت مؤونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعددنا لمثل هذه الطوارىء . ثم شرح هذه المصيبة كما ترى في ما كتبناهُ عنهُ في صدر مقتطف مارس الماضي

العقل الباطن

رجل ابيض الوجه اشقر الشعر كبير الرأس مستديرهُ عالي الجبين بارزهُ تحسبهُ من كبار الفلاسفة ثم تكلمهُ في امور الدنيا فتجدهُ ابله لا يدرك شيئاً وكيف لا يكون كذلك وعملهُ الوحيد الذي يعيش بهِ حمل جرتين من الماء من العين الى المدرسة كأنهُ دابة من دواب الحمل . عرفناهُ في صبانا ونحن نطلب العلم في مدرسة عيه يأتي بجرار الماء ساعة بعد اخرى ومتى انتهى التلامذة من طعامهم دخل المطبخ واكل من فضلاتهم

قد يقول القارئ ان رجلاً مثل هذا لا يستحق ان تفتتح بهِ مقالة فلسفية . لكن اسألهُ في اي يوم من الاسبوع وقع اليوم الثامن عشر من شهر يوليو سنة ١٨٥٢ مثلاً فيقول لك يوم الاحد على الفور . واسألهُ في اي يوم من الاسبوع وقع اليوم الثامن من شهر دسمبر سنة ١٨٣٠ فيقول لك يوم الاربعاء . تأخذ القلم تحسب فيتعذر عليك الحساب ولكنك ترجع الى التقاويم والازياج فتجد ان ذلك الدفَّاء الابله مصيب في كل ما قالــ ولقد عمل عقلهُ الباطن عملية حسابية عويصة جدًّا واتمها في بضع ثوانٍ واحذق نيوتن لا يستطيع ان يتمها في بضع دقائق ولو استعان بالقلم والقرطاس وجداول اللوغرثمات

قد تقول ما هو هذا العقل الباطن واين مقرهُ وما هي خواصهُ ومزاياهُ وهل هو شيء موجود حقيقة ولماذا لا نراهُ في كل الناس

الموضوع جليل والبحث فيهِ حديث والقول بهذا العقل اهم ما قال بهِ الفلاسفة في هذه الايام . وقد دعوهُ بالسبْلِمنال Subliminal ومعناهُ الذي تحت العتبة اي تحت عتبة الوجدان او وراء الوجدان لان الوجدان لا يصل اليهِ . والاستعارة غريبة ولكن الالفة تزيل الغرابة ونرى ان ترجمة ذلك بالعقل الباطن تنطبق على المراد . فان حلَّ الرجل المشار اليهِ آنفاً للمسائل الحسابية من غير قلم ومن غير ان يعلم قواعد الحساب او يجري عليها ومن غير ان يدرك ما هو فاعل يدلُّ دلالة قاطعة على ان فيهِ عقلاً يحسب على اسلوب لا نعلمهُ وبسرعة لم نعتدها ويصل الى النتيجة المطلوبة كأنهُ يرى السنين مكتوبة امامهُ في جدول وامام كل يوم من كل شهر اسم اليوم من الاسبوع الذي يقع فيهِ . يرى ذلك وبعلة بين هذا العقل وهو امي لا يعرف الكتابة ولا القراءة

وقد يظن لاول وهلة اننا مبالغون في ما نرويهِ عن هذا الرجل وقد يكون فيهِ شيء من المبالغة اذ قد مضى عليهِ الآن نحو نصف قرن ونحن نروي معتمدين على الذاكرة وهي قد تخدع

صاحبها ولكن غيرنا شاهد اناساً مثل هذا الرجل وكتب ما شاهده حال مشاهدته . ومن هذا القبيل ما يروى عن بعض الحسّاب الذين يضربون بضعة ارقام ببضعة ارقام اخرى في ذهنهم و يستخرجون حاصل الضرب باسرع مما يستخرجه امهر الحسّاب بقلمه وقد رأينا واحداً منهم في باريس منذ سنتين وظاهر الامر انهُ غير خادع . ولماذا نبعد ونفتش عن الشواذ وهذا النوع من العقل الباطن او الشعور الباطن موجود في كل احد . فالخطيب الذي يرتجل خطبة طويلة مفعمة بالادلة والشواهد . والشاعر الذي تجود قريحتهُ في بعض الاحيان لينظم البيت بعد البيت من غير توقف و يستحضر ذهنهُ المعاني والقوافي . والمجادل الذي تخرجه فيسرد لك الدليل بعد الدليل من غير توقف . والمحرر الذي يدعى بغتةً لانشاء مقالة كبيرة في دقائق قليلة فيسبق فكره قلمهُ وهو لو حاول انشاءها في وقت آخر لتعذَّر عليه ان يأتي بربعها في ذلك الوقت . كل هؤلاء يعتمدون على عقلهم الباطن وهم لا يدرون فهو شيطانهم الذي يوحي اليهم او قريحتهم التي تنتبه فتستيقظ وتجود

كتب بعضهم في مجلة المعرفة الانكليزية يقول اذا وقعت على يدك ذبابة صغيرة فقد لا تشعر بها مطلقاً . اي ان الشعور بها صفر او لا شيء ولكن اذا وقع على يدك ست ذبابات مثلها فانك تشعر بها حالاً مع ان مجموع ستة اصفار صفر اذ انهُ لا يتكون شيء من لا شيء . وهذا يدل ان الشعور الظاهر بالمؤثرات حدًّا لا يتجاوزهُ فاذا ضعف المؤثر عن ذلك الحد لم نعد نشعر به . ولكن عدم شعورنا به لا ينفي وجودهُ ولا ينفي انهُ اثَّر فينا وان فينا قوة باطنة قد تشعر به . والادلة على ذلك كثيرة . قال الدكتور ملن برامول انهُ نوَّم بعض الناس تنويماً مغنطيسياً وامرهم ان يفعلوا بعض الافعال بعد ما يستيقظون . ولما استيقظوا لم يكن عقلهم الظاهر يدري شيئاً مما أُمروا به واما عقلهم الباطن فكان مدركاً ما أُمروا به وعمل به في الميعاد المعين . مثال ذلك انهُ امر امرأة ان ترسم رسماً معلوماً على ورقة بعد ٢٤ ساعة و ٢٨٨٠ دقيقة وقد امرها بذلك في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين بعد الظهر من اليوم الثامن عشر من شهر دسمبر. فرسمت ذلك الرسم في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين بعد الظهر من اليوم الحادي والعشرين من شهر دسمبر اي في الدقيقة المعينة تماماً . وعيَّن لها اوقاتاً اخرى وكلها بالوف الدقائق ففعلت ما امرها به وهي لا تدري ان عقلها الباطن يحوّل الدقائق الى ساعات وايام ويجعلها تفعل ما أُمرت به وهي نائمة ولو شاءت ان تحوّل تلك الدقائق الى ساعات وايام في يقظتها لتعذر عليها تحويلها من غير قلم وقرطاس كما يتعذر على غيرها . فعقلها الباطن كان يدرك ويحسب وهو امهر من عقلها الظاهر .

ومن المحتمل ان الدين يضعف فيهم العقل الظاهر يقوى فيهم العقل الباطن كما تقدم في امر السقاء الذي ذكرناهُ آنفاً وفي كثيرين من المختلي الشعور

ومما لا شبهة فيهِ ان ذاكرة العقل الباطن احفظ من ذاكرة العقل الظاهر فكم من امر ننساهُ ثم نتذكرهُ ونحن نيام او اذا أصبنا بحمّى او أعطينا البنج . كأن ما يضعف سلطة العقل الظاهر يفتح باب العقل الباطن . ويعلم المؤلفون والمصنفون انهم يخترعون اكثر معاني ما يكتبونهُ وهم بين النوم واليقظة او وهم سكارى او تحت فعل المخدرات كالحشيش والافيون . واذا صحوا لم يستطيعوا شيئاً . هؤلاء النوابغ يذهل الواحد منهم فيتدفق كالسيل في ما ينظمهُ او يصنفهُ حتى اذا استيقظ من ذهولهِ يحدث قريحتهُ وعصت اوامرهُ بل هي تكره الامر ولا تقبل الأعذارة

واننا نعرف اكثر من شاعر وناثر بين الاحياء والاموات لا يجيدون النظم والنثر الاَّ اذا شربوا مسكراً او تخدر دماغهم بخدر ما . ونعرف شاعراً كبيراً كان يملأ معدتهُ بالقهوة ودماغهُ بدخان التبغ قبلما يُفتح عليهِ لينظم ما يريد نظمهُ من الشعر . وكاتباً آخر كان يتعاطى الحشيش فيصير وهو تحت فعلهِ من ابلغ المحدثين وارباب الجدل يسرد اقوال رسو وشو بنهور مع انهُ عربي ومعرفتهُ بالفرنسوية المام الاَّ انهُ طالع كثيراً فيها واذا زال فعل الحشيش صار كأنهُ من عامة الناس . وعامياً كان يتعاطى الافيون فاذا كان تحت فعلهِ صار فصيح اللسان قوي العارضة بالغ الحجة حتى اذا انقضى فعلهُ عاد من اضعف الناس واخملهم . وطبيباً كانت تعتريهِ السوداء فيظل مطرقاً كاسف البال لا يتكلم الاَّ بما هو فيهِ من المرض والبؤس ثم تزول النوبة فلا يشق لهُ غبار في البداهة وخفة الروح وحسن المحاضرة

كل هؤلاء يمكن تفسير ما يعتريهم بتنبه عقلهم الباطن حينما يتولى الضعف عقلهم الظاهر وبان في خزائن العقل الباطن محفوظات كثيرة كما في خزائن العقل الظاهر او اكثر

من الحوادث التي تجري هذا المجرى ان ولتر سكوت الكاتب الانكليزي المشهور املى روايتهُ المعنونة بعروس لرمور وهو مريض جسداً وعقلاً ثم لما شفي وقرئت لهُ استغربها ولم يصدق انهُ هو الذي املاها . وقال الكاتب ستفنصن مؤلف رواية جزيرة الكنز انهُ كتب خمسة عشر فصلاً منها في خمسة عشر يوماً وفرغ جرابهُ . قال « ووقفت هناك كأن لم يبقَ في ذهني كلمة اكتبها » . ثم علا المدُّ بعد هذا الجزر وجرت القريحة وجعل ينشئ فصلاً كل يوم الى ان اتمَّ الرواية . وقال انهُ كان يحلم بوقائع هذه القصة ثم ينهض ويكتبها

وما يقال عن الشعراء والكتاب عموماً يقال عن المصورين والموسيقيين وكل اهل

الفرائع فانهم كلهم يستنبطون ويخترعون كأنهُ يوحى اليهم ولا يدركون كيف يفعلون ذلك واذا سُئلوا عجزوا عن المجيء بمثل ما يجيئون بهِ على البداهة

والظاهر ان لهذا العقل الباطن قوى مختلفة كما للعقل الظاهر فيشعر ويدرك ويحفظ ويتخيل ويستنبط واعمالهُ تفوق اعمال العقل الظاهر . وترى الفلاسفة يبحثون اليوم في ما كنا نعدهُ بالامس من اوهام اهل التصوُّف او اهل الباطن ويحثهم فيهِ جديد ابتدأ بهِ ميرس منذ خمس وعشرين سنة وقال فيهِ الاستاذ وليم جمس انهُ « اعظم ما نالتهُ الفلسفة العقلية حديثًا وكل يوم نرى لهُ دعامة جديدة تدعمهُ »

ومن رأي بعض الباحثين ان هذا العقل الباطن جوهر عام يشترك فيهِ جميع الناس اي انهُ كالاثير الذي يتخلل الاجسام الارضية . وهو رأي في غاية الغرابة ولكن تفسَّر بهِ امور كثيرة عمَّا يعسر تفسيرهُ بغيرهِ واذا اثبتتهُ المباحث التالية اثباتًا ينفي الريب ثبت معهُ ان الناس كلهم عائلة واحدة او اعضاء جسم واحد مشتركون في نفس واحدة . واذا رسخ هذا الاعتقاد في جميع الناس صارت الارض سماء وانتفت منها الشرور والمظالم والمطامع ولكن هيهات ثم هيهات . واذا تحققت هذه الامنية فلا يكون تحققها في ايامنا ولا في ايام اولادنا وقد لا يخلو القرن العشرين الآ من مثل حروب البلقان وثوران البركان

الطيران فوق الالب

لقد كان عبور جبال الالب الشاهقة التي سعى اليها كبار الفاتحين مثل هنيبال ونابوليون وتجشموا في سبيلها اشد المشاق . اما وقد تيسَّر ركوب الهواء فلم يشأ الطيارون ان تقف تلك الجبال في سبيلهم فقطع فوقها اول طيار منذ سنتين لكنهُ لم يصل الى الارض سالمًا وهو المسيو جورج شافه فقام احد ابناء بلاده واخذ بثاره فطار من بريغ Brigue الى دومودُسولا Domo d'Ossola فوق الطريق الذي يمر فيهِ سرب سمبلون في ٢٦ دقيقة لا غير وقد وصف كيفية طيرانهِ قال :—

لقد منَّيت نفسي منذ زمن بالطيران فوق جبال الالب . وكانت امور كثيرة تدعوني الى هذا العمل المحفوف بالمخاطر اخصها ان ابيِّن ان ما كان يعدُّ ضربًا من المحال سنة ١٩١٠ صار امرًا ميسورًا الآن بعد ان اتقنت آلات الطيران ذات السطح الواحد وصار الخطر في ركوبها اقل عمَّا كان قبلاً . ثم اني كنت اود ان آخذ بثار ابن وطني جورج شافه الذي طار فوق تلك الجبال منذ اكثر من سنتين ولكنهُ وقع الى الارض وهو يحاول النزول فقضى عليهِ

ويكفيني الآن ان اقول ان الطيران فوق جبال الالب او فوق اية سلسلة كانت من الجبال ليس اشد خطراً من الطيران فوق السهول على شرط ان تكون الطيارة من اجود الانواع وان يكون الطيّار عارفاً بالجبال التي يريد الطيران فوقها معرفة نظرية وعملية وعارفاً كيف يستفيد من احوال الجو. والشرط الاهم ان يكون الطيّار نفسهُ راغباً في عملهِ مهتماً بهِ

اما الطيارة فيجب ان تكون قادرة على الصعود بسرعة اي يجب ان تكون متينة لا تتكسّر اذا اسرعت وتكون آلتها قوية . وقد يقال ان اجتماع هذين الشرطين ضرب من المحال لان الطيارة المتينة يجب ان تكون ثقيلة والطيارة الثقيلة تقتضي آلة ثقيلة لكي تكون قوية فيتعذر ارتفاعها بسرعة

ولكن هذا خطأ فان الطيارة التي طرت بها لم تكن احسن الطيارات الموجودة ومع ذلك بلغت بها ارتفاع عشرة آلاف قدم في اربع عشرة دقيقة من الزمن وهي من النوع العادي الذي تستعملهُ الجنود الآن وفيها آلة قوتها ٢٤ حصاناً فقط وثقل الطيارة والآلة وما فيها عشرة قناطير (مصرية) ومساحة سطحها ١٥ يرداً مربعاً اي انها كانت ثقيلة بالنسبة الى قوة آلتها المحركة

فالطيارة كانت متينة ومن النوع الثابت الذي يعسر انقلابهُ وكنت قد الفت الطيران بها مراراً وفي اوقات يشتد فيها عصف العواصف فكنت واثقاً بها

وقد اخترت ان يبتدئ طيراني من بريغ Brigue كما اختار سلفي شافه . وصلتها في ٦ يناير فانتقد كثيرون عليَّ اختياري فصل الشتاء والزمهرير لهذا الطيران اما انا فاخترت ذلك الوقت عمداً لاني عارف بجبال الالب ولاسيما تلك الجهة منها وعارف ان رياحاً حارةً تهبُّ من ايطاليا في كل شهور السنة الاَّ في دسمبر ويناير وفبراير . وزد على ذلك ان الجبال والاودية التي بينها تغطى بالثلج في فصل الشتاء على حدٍ سوى فتكون حرارة الهواء فوقها متعادلة واما في الصيف فتغطى الاودية بالخضرة وتنكشف الجبال لحرارة الشمس وتشعها الى الهواء . ثم ان حرارة الشمس الواصلة الى الارض تكون في الشتاء اقل منها في الصيف والارض المغطاة بالثلج لا تحفظ الحرارة ولذلك فالاروبلان الذي يطير فوق جبل شاهق ثم فوق وادٍ عميق ثم ينتقل الى ما فوق جبل ثم الى ما فوق وادٍ لا تصادفهُ الزوابع في الشتاء كما تصادفهُ في الصيف لانها تتكوَّن من اختلاف درجات الحر والبرد باختلاف الاماكن

وقد كانت النتيجة كما تعرَّفتُ تماماً وفي اول الامر صادفتني ريح شمالية باردة جداً ولكنها لم تتعبني كثيراً ولم تصادفني الزوابع التي اودت بصديقي شافه في شهر سبتمبر سنة ١٩١٠

قلت اني وصلت في السادس من يناير . وفي الحادي عشر منهُ جرّبت الطيران فانبعثت الآلة جدًّا وكسرت ضلعًا من اضلاع الطيارة لما نزلت ثم وقع الثلج وقوعًا مستمرًّا . وفي الرابع والعشرين من الشهر اتيت بالعمال فجرفوا ٥٥٠ يردًا مكعبًا من الثلج من بقعة طولها ١٠٩ يردات وعرضها ٣٨ يردًا وكنت قد اخترتها لاطير منها وفي اليوم التالي وهو الخامس والعشرون من يناير طرت نصف النهار من بريغ وكان الجو مطبقًا بغيوم كثيفة تعلو ١١٥٠٠ قدم والمكان هناك يعلو ٢٦٢٩ قدمًا فوق سطح البحر

فارتفعت اولاً في شكل حلزوني وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة بلغت ارتفاع ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وحدث حينئذٍ شيءٌ من الاضطراب في الآلة فوقفت في موقف حرج جدًّا ولكن الآلة اصطلحت حالاً وبعد خمس دقائق اخرى صرت فوق كول ده سمبلون وبلغ ارتفاعي ٨٥٠٠ قدم وبلغ قلقي حينئذٍ اشدّهُ ثم فُرّج عني لما صرت فوق قرية سمبلون وكان ارتفاعي حينئذٍ ٩١٨٠ قدمًا لاني دخلت منطقة من الهواء الساكن سكونًا تامًّا ومن ثم صرت في الطريق الذي سار فيه شافه ولكنني علوت الى ١٠٥٠٠ قدم وهذا اعلى ما بلغتهُ

وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثانية والعشرين اوقفت آلتي عن الحركة ونزلت بالطيارة على سطح مائل اربع دقائق فبلغت الارض على خمسة امتار من التذكار الذي اقيم لشافه وكان واحد من اصدقائي في انتظاري هناك فرآني من بعد والحال اجتمع الناس حولهُ حتى لم اجد مكانًا انزل فيه لشدة ازدحامهم الأ الفسحة التي اعدت لنزولي قرب التذكار فنزلت فيها وقابلني الجمع بالهتاف والتصفيق

وكنت وانا طائر لا التفت الى ما حولي من المناظر البديعة بل كان همي كلهُ موجهًا الى آلتي ولاسيما في القسم الاول من الطريق الى ان صرت فوق قرية سمبلون لاشتداد الريح الشمالية فيه واما باقي الطريق فكنت فيه اقل قلقًا وكنت ارى جبال الالب تحتي كبحر واسع تغطيه الامواج ويعلو فوقها الزبد وهي الغيوم الطافية فوقهُ

ولم ابرد قط في طريقي لان درجة الحرارة لم تهبط في اعلى مكان وصلت اليهِ عن الدرجة ٤١ بميزان فارنهيت . اهـ

ويظهر لنا انهُ اذا اضيف الى الطيارات المختلفة جهاز كالدوّامة يمنع انقلابها صار السفر فيها امينًا كالسفر في المراكب الشراعية او كالسفر في السفن الجارية . ولقد آلى المخترعون والمستنبطون ان لا يكفوا حتى يصلوا الى هذه الغاية وحينئذٍ يقال انهم تمكنوا من ركوب الهواء كما تمكنوا من ركوب الماء

مرض الجماد وتلقيحهُ ونموهُ

جرت العادة من قديم الزمان ان نقسم الاجسام الارضية الى حيوان ونبات وجماد. ومميزات كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة واضحة جدًّا الأَّ عند الحد الذي يدنو فيهِ القسم الواحد من الآخر فان انواع الحيوان الدنيا تلتبس بانواع النبات العليا وانواع النبات الدنيا تلتبس بانواع الجماد العليا حتى لقد يتعذر عد بعض الموجودات من الحيوان او من النبات ومن النبات او من الجماد

وزد على ذلك ان بعض الانواع العليا من الحيوان تظهر فيها خواص النبات كما ترى في تشعُّب المرجان والاسفنج وكثير غيرها من الحيوانات البحرية التي تماثل النبات في نموها وتشعبها وكما ترى في الاشكال التي تتشكل بها بعض انواع الفراش والديدان حتى تماثل الازهار والاوراق والاغصان وكما ترى في النبات الحساس والنبات المفترس اللذين يتمثلان بالحيوان

وقد يظن لاول وهلة ان الجماد لا يماثل الحيوان والنبات في شيء ولكن هذا غير الواقع فان بعضهُ يتبلور باشكال تشبه اشكال النبات واغرب من ذلك ان بعضهُ يمرض او تظهر فيهِ ظواهر مثل ظواهر المرض في الحيوان وبعضهُ يتغير من حال الى اخرى اذا تلقَّح وبعضهُ ينمو نموًّا محسوسًا واليك بيان ذلك

مرض الجماد

ذكر ارسطوطاليس ان القصدير الذي يؤْتى بهِ من بلاد السلت اسهل ذوبانًا من الرصاص العادي بدليل انهُ يذوب في الماء ويذوب ايضًا اذا اشتدَّ البرد وجلدت الارض. وقد ابان الاستاذ كوهن حديثًا انهُ اشتدَّ البرد مرة في مدينة من مدن المانيا الشمالية وكان في كنيستها ارغن انابيبهُ من القصدير فتحرقت من نفسها وصار قصديرها فصعًا حول الخروق تفركهُ بيدك فيتحول الى مسحوق تام . وقيل ان البرد اشتدَّ مرة في بطرسبرج وكان في دار جمرك بها قطع كبيرة من القصدير فتفتت من نفسها

واذا اشتدَّ البرد على القصدير ظهرت على وجههِ كُلَف كالحبوب والثآليل ثم جعلت تنتشر حتى تغطي وجههُ كلهُ ولذلك سميت بمرض القصدير او بوباء القصدير. ويستحيل القصدير بعد ذلك الى مسحوق وهذا المسحوق قصدير صرف اي انهُ ليس مثل صدإ الحديد وزنجار النحاس

مركبًا من المعدن وعنصر آخر بل هو قصدير صرف والفرق بين القصدير المعدني الابيض اللامع وهذا القصدير الرمادي المسحوق ان ثقل الاول النوعي ٧٫٢٨ وثقل الثاني النوعي ٥٫٧٩ ويستحيل الواحد الى الآخر عند الدرجة ١٨ بميزان الحرارة وذلك ليس شرطًا لازمًا لان القصدير المعدني قد يبرد الى هذه الدرجة او ما تحتها ولا يمرض ولا ينسحق . ولكن اذا ظهر فيهِ المرض ولو في بقعة صغيرة جدًّا امتدَّ حالاً وشغلهُ كلهُ فهو كالمرض الذي يصيب الحيوان والنبات

تلقيح الجماد

المعروف ان الماء اذا برد الى درجة الصفر بميزان سنتغراد او ٣٢ بميزان فارنهيت جمد واستحال جليدًا . ولكن يحدث كثيرًا ان الماء يبرد الى الدرجة الرابعة او الخامسة تحت الصفر ولا يجمد وقد يمكن تبريدهُ الى الدرجة العاشرة او العشرين تحت الصفر ولا يجمد بل يبقى سائلاً وذلك اذا كان موضوعًا في اناء زجاجي نظيف وكان سطحهُ مغطى بقليل من الزيت حتى لا يصل اليهِ الغبار من الهواء . ولكن اذا طرحت فيهِ حينئذٍ قطعة صغيرة من الجليد جمد كلهُ حالاً كأن تلك القطعة تلقحهُ كما يلقح اللقاح البيضة في الحيوان والثمرة في النبات . ويحدث مثل ذلك في كثير من الجمادات كالفصفور والحامض الكربوليك والثيمول والبنزول . فاذا برد الثيمول الى الدرجة التي يجمد فيها ولم يحرَّك اناؤهُ ولا وقع فيهِ غبار بقي سائلاً واذا طرح فيهِ حينئذٍ بلورة صغيرة من الثيمول الجامد جمد كلهُ حالاً وتبلور . وكذلك خلات الصوديوم يبرَّد الى ما تحت الدرجة التي يتبلور عندها فلا يتبلور ثم تطرح فيهِ بلورة صغيرة من خلات الصوديوم فيتبلور كلهُ حالاً . اي ان القطعة الصغيرة التي تطرح في السائل المبرد تفعل فعل اللقاح في الحيوان والنبات

واغرب من ذلك ان تلقيح بيضة الحيوان قد يتم بفعل كيماوي مثل هذا كما ثبت حديثًا في بيوض بعض الحيوانات البحرية

ثم ان خلات الصوديوم الذي يُبرَّد كثيرًا ولم يتبلور يتبلور حالاً اذا وضع في غرفة سُحق فيها شيء قليل من بلوراتهِ بهاون كأنَّ الذرات الدقيقة التي تطير في الغرفة من خلات الصوديوم حين سحقهِ تكفي لتلقيح السائل المبرَّد كما ان لقاح السمك الذي يكون منتشرًا في ماء البحر يكفي احيانًا لتلقيح بيضهِ . واللقاح الذي تحملهُ الرياح اللواقح يكفي احيانًا كثيرة لتلقيح النخل والصنوبر

وكما ان القليل من لقاح الحيوان والنبات يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ كذلك القليل جدًّا من لقاح الجماد يكفي لتلقيح ما كان من نوعهِ . فاذا لمست بلورةً من بلورات التيمول بشعرة من شعر رأسك ثم لمست بتلك الشعرة سائلاً مبرَّداً من التيمول كفت لتلقيحهِ وبلّورتهِ مهما كان ما علق بها قليلاً

نمو الجماد

اما النمو فشامل لكل الاجسام التي تتبلور . ولكل نوع من البلورات درجة خاصة من النمو وشكل خاص . اذب ملح الطعام في قليل من الماء حتى يشبع منهُ ثم صبَّ من الماء على لوح من الزجاج وانظر اليهِ بعدسية مكبرة فتراهُ يتبلور بلورات مربعة تامة الزوايا مجوفة في وسطها كأنها مركبة من طبقات متراكزة وتراها تنمو وتكبر امام عينيك . وقد حسبوا ان بلورات الصفور تنمو بسرعة مئتي قدم في الدقيقة وبلورات الجليد عند الدرجة ٢ تحت الصفر تنمو بسرعة ثماني عقد في الدقيقة . والغالب ان يكون نمو البلورات في الطبيعة بطيئاً جدًّا مثل نمو الحيوان بل ابطأ منهُ

وقد يتغير شكل البلورات من وقت الى آخر مثال ذلك ان بلورات الكبريت المصهور اذا برد رويداً رويداً تكون في اول الامر ابرية لامعة ثم يزول لمعانها وتستحيل الى اشكال معينة مما يدل على ان الجماد يتغير احياناً كما يتغير النبات والحيوان

فالشبه شديد بين الجماد والنبات والحيوان في امور كثيرة واذا كان الامر كذلك فهل هي كلها من اصل واحد تولدت منهُ انواعها واشكالها توالداً . وهل نستطيع ان نولدها بعضها من بعض . والجواب عن القسم الاول ان العلوم الحديثة تميل الى القول بانها كلها من اصل واحد وهو مذهب فلسفي لا يصل العلم الطبيعي الى اثباتهِ او نفيهِ . وعن القسم الثاني مثل الجواب عن استحالة انواع الحيوان وانواع النبات بعضها الى بعض او تولد بعضها من بعض . اي ان ما اقتضى حدوثهُ ملايين كثيرة من السنين لا ينتظر انا نحدثهُ في سنة او بضع سنوات او ان يحدث الآن في وقت قصير يقدَّر بالعشرات او بالمئات من السنين ولكن ظهور الصفات المتماثلة في الحيوان والنبات والجماد يشير الى ان الموجودات كلها تمشي على اسلوب واحد وانها كلها خاضعة لنواميس واحدة

القديس اوغستينوس

وناموس النشوء والتحوّل

القديس اوغستينوس من اعظم احبار القرون الاولى المسيحية ومن اعظم اقطاب الكنيسة اللاتينية واسع المعرفة كثير التبحر في اللاهوت والعلوم الدينية ولهُ فيها مصنفات كثيرة يرجع اليها علماء الدين في التعليم والاستشهاد واهمها كتابهُ في تفسير سفر التكوين الذي بسط فيهِ آراءهُ الفلسفية وطبقها على التعاليم الدينية وسماهُ « سفر التكوين بالمعنى الحرفي [1] » ومن يطالعهُ يخيَّل لهُ انهُ يطالع مصنفاً لعلماء هذا العصر

عاش هذا الحبر في اواخر الرابع واوائل الخامس (٣٥٤—٤٣٠) وكان اسقفاً على هيبون (من سنة ٣٩٥ الى ٤٣٠) من اعمال الجزائر وآراؤهُ الفلسفية التي يقول بها علماء هذه الايام دُفنت في خزائن رجال الدين ورجال الدين انفسهم يجهلونها بدليل انهُ كلما ظهرت حقيقة علمية وكان ظاهرها يخالف الدين بمعناهُ الحرفي رموا مكتشفها وناشرها بسهام التقريع واتهموهُ بالمروق من الدين وهذا شأنهم مع كل علماء الطبيعة ولو رجعوا الى ذلك الحبر النابغة وهو حجتهم في التعاليم الدينية لعرفوا خطاءهم ورجعوا الى الصواب واجتهدوا اجتهادهُ في تطبيق العلم على الدين

واني لا ادعي الشرف باكتشاف هذه الكنوز من مصنفاتهِ ولكنني اطلعت على شذرات منها في مجلة الاخبار الطبية للدكتور كابانس وهو حجة في التاريخ ينقب عن كنوزه المدفونة في خبايا الازمنة وقد طالع تلك المصنفات على كثرتها واستخرج منها كنوزاً نشرها في مؤلف خاص ونشر نتفاً منها في مجلتهِ ننقلها عنهُ لتكون نوراً للمفكرين وعبرةً للمكابرين

مهما تقلبت الآراء في نشوء المادة فانها لا تخرج عن احد امرين لا ثالث لهما اي ان المادة اما ان تكون ازلية او لا و بعبارة اخرى ان النشوء اما ان يكون لهُ بداية او لا

فالفلاسفة الاقدمون يزعمون ان المادة ازلية الاَّ ان النشوء فيها حادث ولذلك قالوا بوجود سبب واجب الوجود لذاتهِ ومشترك في الازلية مع المادة وهو وان يكن مستقلاً عنها فقد ايقظها من سباتها الازلي واكسبها قوة الحركة . وفي هذا من التكلّف والإشكال ما

---

(١) التكوين بالمعنى الحرفي الكتاب ١٢ من مجلد ٤ من مجموعة القديس اوغستينوس ترجمة سيفولو الفرنساوية بادارة رول و باراندوك وغارنيه وشركائهم طبعة ١٨٦٦

يوجب عدم التسليم بهِ لانهُ لا يعقل وجود كائنين مشتركين في الازلية ويكونان مستقلين احدهما من الآخر . والمتأخرون ومنهم الماديون يخطئونهم ولا يسلمون بازلية المادة وحدوث النشوء فيها لانهم لا يفصلون المادة من خواصها النشوئية ويوجبون بوجودها وجود قوة فيها حملت على نشوئها منذ الازل اي ان النشوء ازلي في مادة ازلية

اما الرأي الثاني اي ان المادة حادثة ونشوءها حادث فيقضي بوجود سبب اولي خارج عن المادة اي سبب خالق لها وللقوات التي تنميها وهو لا ينافي حقائق النشوء . واذا سلمنا بهِ بقي تاريخ النشوء واحداً . والظاهر ان احبار الكنيسة في القرون الاولى لم يروا فيهِ ما ينافي الايمان وان القديس اوغسطينوس كان من اكبر مؤيديهِ

ذهب القديس اوغسطينوس الى ان الله خلق المادة اولاً ووضع فيها قوة تنمو وجعل لها نظاماً للارتقاء فظهرت بعد مرور القرون على صورها الحاضرة فاتفق بذلك مع داروين صاحب مذهب النشوء الحديث

وذهب ايضاً الى ان الكائنات الحية بعد ان بلغت حدها من النمو تسلحت بوسائل الدفاع للمحافظة على كيانها وقامت حياة القوي منها على نفقة الضعيف وكان ذلك داعياً لقرنها بنظام عجيب بعضها الى البعض الآخر فاثبت بذلك ناموس الانتخاب الطبيعي

وذهب ايضاً الى ان المادة هي اصل لكل الموجودات الآلية وغير الآلية وانها لا تنفصل من القوة المودعة فيها فتسير بالنظام الموضوع لها سيراً قانونياً ومطرداً بحيث ان كل ما في الكون من التركيب والتنويع هو نتيجة تلك القوة فاتفق بذلك مع الماديين

وقد توسَّع في هذا البحث وطرقهُ من كل ابوابهِ ولم يستثنِ الانسان والنفس من هذا الناموس وكل ذلك بعبارات واضحة وجلية كما سنرى

قال بختر ان « القوة خاصة لازمة للمادة وان المادة لا تنفصل عن القوة » وهذه الحقيقة يعتبرها العلماء ويعدونها من اعظم الاكتشافات العصرية وقد شرحها بختر في كتابهِ « القوة والمادة » شرحاً وافياً واستشهد باقوال كثير من العلماء اتخذها قاعدة لبحثهِ وقال « انها حقيقة من ابسط الحقائق ولكن ما اقل الذين يعرفونها وما اكثر الذين يجهلونها فلا مادة بدون قوة ولا قوة بدون مادة » . ويدعي الماديون ان هذه الحقيقة هي منهم ولهم وان لا تعليم غير تعليمهم يتفق معها . ولو اطلع بختر على كتابات القديس اوغسطينوس لجعلها في راس الشواهد التي استشهد بها لاسيما وانها سبقت اقوال الماديين بقرون عديدة

قال القديس اوغسطينوس في شرح الآية الاولى الواردة في سفر التكوين « في البدء خلق الله السماء والارض » « ان معنى ذلك هو خلق المادة الاولى والنواميس التي تعمل بها وان ما حصل بعد ذلك فبطول الزمن وبالطريقة الطبيعية بدون ان يكون لاي شيء آخر خلق مباشر »

واما عن ارتباط المادة بالقوة فقال

« ان مبادئ النواميس التي تحدث فعل العناصر توجد في العناصر نفسها وقد خلقت معها ولكل من العناصر خصائص تولّد النتائج التي يمكن ان تصدر من تلك العناصر وهي لا تفعل ابداً خارجاً عنها[١] »

فالخلق الاول بحسب القديس اوغسطينوس كان مضمراً وكل ما جاء في الازمنة كان نتيجة سنّة سنّها الله منذ البدء ويتضح ذلك مما يأتي قال

« ان الخليقة في البدء كانت كجرثومة وضعت في العالم لكي تكون مبدأ لكل الخلائق المعدة للظهور كلٌّ في حينه وفي ما يلي من القرون[٢] »

« خلق الله السماء والارض كمادة قابلة التغيّر[٣] »

« يراد بالارض الخاوية الخالية وبالظلام المادة غير الكاملة المعدة لتكوين المواد المختلفة في مستقبل الازمنة[٤] »

« انما في اصل الازمنة خلق العالم وفي الوقت نفسه اودعت فيه الجراثيم التي يجب ان تخرج منها النباتات والحيوانات المختلفة في الازمنة الآتية[٥] »

« وبالنتيجة ان ما تجري به الخلائق الآن من الحركة لتقضي وظائفها المعينة لها هو نتيجة للمبادئ الاولى وحالة لنمو الجراثيم التي بثها الله فيها حينما خلق الكون[٦] »

« فالنظام الالهي اذاً يقوم بنمو بساطة يخلق الاصل الذي منهُ تولدت النباتات والاشجار وبعبارة اخرى خلق السبب الذي يكسب الارض مبدأ الخصب · وفي هذا المبدإ واريد ان اقول

(١) القديس اوغسطينوس تفسير سفر التكوين كتاب ٩ فصل ٧ فقر ٣٢ وجه ٢٦٩
(٢) كتاب ٦ فصل ٥ فقرة ٧ وجه ٢١٥
(٣) » » » » » ١٦ » ٢٠٣
(٤) » ١ » ٩ » ١٥ » ١٤٩
(٥) » ٦ » ١ » ٣ » ٢١٣
(٦) » ٤ » ٢٣ » ٥١ » ١٤٧

في هذه الاصول قد ترك لعمل الزمان كل ما يتلو ذلك [١] »

وهو يعتبر التاريخ الموسوي كبيان لتغيرات المادة على توالي القرون ويعتبر ان الاعمال المتعاقبة التي تمت في ستة ايام ليست نتيجة عمل مباشر قد تمَّ في ستة اوقات كل وقت منها ٢٤ ساعة بل في سلسلة « معقولة من السبب الى النتيجة [٢] » . ويذهب في تفسير سفر التكوين الى ان الكتاب لا يقول بالخلق من العدم بل يعد كل تصور به لان الآية الدالة على ذلك واضحة العبارة حيث تقول « لتنبت الارض نباتاً . . ولتفض المياه زحافات » وتقسيم ُ لايام الخليقة الستة يجيز اعتبارها ادواراً متعاقبة وهي في احوال النمو قال

« ان الاقرب احتمالاً هو ان السبعة الايام الاولى رغماً عن مشابهة الاسم والعدد تدل على تغيير يختلف في الوقت عن التغيير الحالي وتفسَّر بتغيير داخلي في الكائنات تدل فيه كلمات مساء وصباح وظلام ونور وليل ونهار على تعاقب يختلف عن التعاقب المحدود بدورة الشمس [٣] »

فهذا هو المبدأ الطبيعي وهو نفس ما يقول به علماء الطبيعة وقد سبقهم اليه القديس اوغسطينوس بقرون كثيرة ويظهر انهُ كان راسخاً في ذهنهِ لانهُ يرد كثيراً في كتاباتهِ قال

« ان النهار والليل لم يستعملا هنا الا لكي يعين احدهما المادة بصفاتها الخصوصية (المادة في حال النمو) ولكي يعين الثاني المادة العديمة الهيئة (المادة بغير حال النمو) . اي ان الليل يدل على المادة العديمة الهيئة التي يجب ان تصدر منها الكائنات . والمساء والصباح لا يدلان على توقيت محدود بتوالي بذهاب واياب بل على حدٍّ يقف فيه نمو مادة ويبتدئ نمو اخرى [٤] . . . اذا وجهنا نظرنا الى الظروف الاولى للاعمال التي استراح الله منها في اليوم السابع لا يجب ان ننظر الى حركة الشمس اليومية بل الى الكائنات التي كونها الله لتحديد سير الوقت والى تكوينهِ كل شيء دفعة واحدة ووضعهِ في الوقت نفسهِ نظاماً عاماً ليس باقسام من الوقت بل بارتباط النتائج بالاسباب　فالمادة العديمة الصورة اذاً لم تخلق بسلسلة من الاوقات بل بنظام معقول خلقت فيهِ اولاً وجعلت قابلة لاتخاذ الصور المختلفة [٥] »

(١)	كتاب	٥	فصل	٤	فقرة ٣		وجه	٢٠٢
(٢)	«	٥	«	٢٣	«	٤٦	«	٢١٣
(٣)	«	٤	«	١٨	«	٣٣	«	١٩
(٤)	«	[illegible]	«	١٨	«	٣٣	«	١٩
(٥)	«	٥	«	٥	«	١٢ و١٣	«	٢٠٢

اذا كان ارتباط القوة بالمادة هو الفاعل في نموها وارتقائها وظهور انواعها المتباينة وجب ان يكون الانسان ايضاً خاضعاً لهذا الناموس لانهُ يشمل كل الكائنات ولم يستثنهِ القديس اوغسطينوس بل قال بتدرجهِ في النمو والارتقاء ومما قالهُ في هذا الصدد

« هل ان الله عند ما خلق كل شيء صنع الانسان بالمبدإ كما صنع النبات والارض قبل ان يظهرا ؟ فاذا كان كذلك فيكون قد صنع الانسان كجرثومة في قلب الطبيعة فاخذ بمرور الزمن هذه الهيئات التي يقضي بها اليوم حياتهُ بعمل الخير او الشر على نفس الطريقة التي صنع بها النبات قبل ان ينبت من الارض فنما مع الزمن[1] »

وقال ايضاً وهو يخشى ان لا يفهمهُ الناس حق الفهم

« اذا قلت ان الانسان لم يكن في الخلق الاولي المشترك نامياً نمو البالغ وكان اقل من طفل مولود حديثاً واقل من جنين في جوف امهِ واقل من الجرثومة المنظورة التي يولد منها . يتوهمون ان ذلك تخيُّل عما فوق الطبيعة ولكني اقول ذلك بصرف النظر عن كل تخيل طبيعي لاني اجرد البزور من قشورها فالانسان لم يكن حتى ولا ذرية[2] »

وقال ايضاً « في الخلق الاولي والمشترك صُنع الانسان ككائن ممكن اي كبدإ يجب ان يخرج منهُ ولم يُصنَع على الحالة التي ظهر عليها اخيراً فتكوينهُ هو نتيجة الاسباب التي كانت كامنةً فيها فعند ما يُقال خُلق الانسان نفهم من ذلك ان الله خلق السبب الذي يجب ان يخرج الانسان منهُ في زمن معين[3] »

ولم يقف القديس اوغسطينوس عند هذا الحد من الايضاح والوضوح بل توسَّع الى ما وراء ذلك وذهب الى ان الحياة والقوى العاقلة هي ايضاً خاضعة لهذا الناموس وصارت فيهِ سيراً تدريجياً متشابهاً فقد ورد في سفر التكوين ان روح الله كان يرف على وجه المياه ففسر هذه العبارة بما يأتي قال

« تدل هذه العبارة على ان الله عنى بالماء الخاصة الطبيعية والمبدأ المولّد للاشياء التي نرى انواعها الآن او يقصد بها الاستدلال على نوع ما على تموجات الحياة العقلية قبل ان ترتبط بنايتها[4] »

(1)	كتاب	٦	فصل	١	فقرة	١	وجه	٤١٤
(2)	«	٦	«	١٦	«	١ و١٢	«	٤١٥ و٤١٦
(3)	«	٦	«	١٥	«	٢٦	«	٤٢٠
(4)	«	١	«	٥			«	١٤٧ و١٤٨

ان ترجمة هذه الآية لا تفيد المقصود من اصلها لان الترجمة العربية تقول ان روح الله كان يرف على وجه المياه والترجمة الفرنساوية تقول ان روح الله كان محمولاً على وجه المياه واما الاصل العبراني فيفيد معنى التسخين او الحضانة كانهُ يقول ان روح الله كان يسخن او يدفئ وجه المياه ولهذا يقول القديس اوغسطينوس ان هذه العبارة « تدل على نوع من الحضانة التي يجوز ان نشبهها بحضانة الطيور لبيوضها [1] » الا ان كلمة البيض هنا ليست الا التشبيه والقديس اوغسطينوس يذهب الى ان « مبادئ الحياة كانت مختلطة بالمادة وان الماء كان يحتوي على الجراثيم قبل ان يحتوي على البيوض [2] »

واما النفس فيذهب الى خلقها من سببها وانها لم تظهر بمظهرها الا بعد ظهور الانسان قال « قبل ان تكون المادة الحية التي تفسدها الرذيلة وتجملها الفضيلة يحتمل كثيراً ان النفس كان لها مبدأ هو قوة روحية ولكنها ليست النفس ذاتها كما ان الهيكل الذي يجب ان يكون لحمهُ كان مادة قبل ان يصير لحماً بالفعل [3] »

« هل كانت القوة المولدة للنفس معلقة باحدى المواد التي خلقها الله في الخلق المشترك؟ وما هي تلك المادة [4] »

« لا ينكر مطلقاً ان الله يستطيع ان يعمل دفعة واحدة ما يظن انهُ يعمل تدريجاً فاذا كانت المادة هي مبدأ النفس الخالية من العقل فلا عبرة بكيفية الانتقال ووجب ان نعتقد ان المادة هي العنصر الاولي للنفس البشرية على انهُ ما من احد على ما اعلم تجاسر ان يرتأي هذا الرأي الا اذا كان يعتبر النفس تركباً من المادة [5] . اما كون مادة تتحول الى اخرى فقد قيل به مراراً كثيرة واما ان مادة في السماء او على الارض تحول الى نفس وتصبح مادة خالدة فلم يقل احد بذلك على ما اعلم والايمان لا يساعد على القول به [6] »

اذا كانت النفس نتيجة نمو مادي وجب ضرورة ان يكون لها في سير نموها دور من الحياة خالٍ من التعقل فتال في ذلك

(١)	كتاب	١	فصل	١٨	فقرة	٣٦	وجه	١٥٥
(٢)	«	٤	«	٣٣	«	٥٢	«	١٤٧
(٣)	«	٧	«	٦	«	٩	«	٢٢٨
(٤)	«	٧	«	٢٢	«	٣٢	«	٢٣٤
(٥)	«	٧	«	٩	«	١٢	«	٢٢٦
(٦)	«	٧	«	١٢	«	١٩	«	٣٢

« هل كانت النفس مدركة بالقوة وليس بالفعل ؟ ولمَ لا نسلّم بأن المادة التي تكونت منها النفس كان العقل كامناً فيها ككونه في نفس الطفل مع كونها فيه نفساً بشرية[1] ؟ »

لو كانت هذه الاقوال لاحد المعاصرين لقلنا انهُ من تلامذة داروين وسبنسر واذا فحصنا آراء داروين وقابلناها بآراء القديس اوغسطينوس رأينا بينهما اتفاقاً مدهشاً رغم ما بينهما من بعد الزمن

فالتحول بحسب مذهب داروين يحصل بالانتخاب الطبيعي الذي ينتج من تنازع البقاء لان في كل تنازع تكون الغلبة دائماً للاصلح اي لمن كان في احوال وجوده اكثر تكوناً واقوى سلاحاً ويهلك بهِ الضعيف ومَن كان جهاز الدفاع فيهِ اقل منعة . وقد يطرأ على الكائنات الحية بعض التغييرات في احوال معلومة فتنتقل احياناً كثيرة الى النسل وتزيد على التمادي وضوحاً وثبوتاً في الذرية فينشأ ضرورة من ذلك انسال جديدة وهذا هو النشوء الذي يفسرهُ علماء الطبيعة بالانتخاب الطبيعي الذي تجريهِ الطبيعة بدون قصد وتعقل ويحصل كما يحصل بالانتخاب الصناعي بواسطة التربية والتلقيح وعليهِ فكل الكائنات الموجودة الآن مما يحيا ويزحف ويسبح ويطير هو اصلح البقاء من كل ما امكن ان يتكون طبقاً لنواميس الطبيعة

والقديس اوغسطينوس في هذا المعنى فصل في كتابهِ المشار اليهِ آنفاً « سفر التكوين بالمعنى الحرفي » بعنوان لماذا الاجناس الحيوانية هي اعداء بعضها لبعض قال فيهِ

« ان الحيوانات من الفيل الى احقر دودة تبذل كل ما لها من وسائل الدفاع وكل ما عندها من طرق الدهاء لكي تحافظ على كيانها الذي يعين موضعها في النظام الذي خلقت فيهِ . وهذا الجهاد لا يظهر الاَّ عند الضرورة اي حينما تسعى لتنمي اعضاءها على نفقة مادة الحيوانات الاخرى وهذه تدافع عن نفسها للمحافظة على حياتها او تهرب او تختبئ في المخابئ . والحس الطبيعي في كل الكائنات هو مصدر قوة عجيبة منتشرة في الجسم باتحاد مستتر فيجعلهُ مجموعاً حياً ويحافظ على وحدتهِ ويتغلب على الجمود بنوع ان كل كائن لا ينظر الى ما يسري الى جسمهِ من الانحراف او الانحلال الاَّ ويشعر بحركة باطنية للمقاومة

« ورب معترض يقول لماذا تتقاتل الحيوانات وليس لها ذنوب لتكفر عنها ولا فضائل تكملها في المحن ؟ فاجيب اذ ذلك حق الاَّ ان الانواع يعيش بعضها على نفقة البعض

(1) كتاب ٧ فصل ٧ فقرة ١٠ وجه ٢٢٨

الآخر ولا يحق لنا ان نتهم ناموساً يسمح للحيوانات ان تعيش بدون ان يأكل بعضها بعضاً لان الكائنات ما دامت موجودة لا بد ان يكون لوجودها نسبة وتناسب ونظام في المجموع وهو نظام بديع قائم لانهُ ناموس الموازنة والنمو ومن خاصتهِ تجديد الحيوانات وتحويلها بعضها الى بعض الا ان الجهال يجهلونهُ وهو لا ينكشف الا بالتبحر في العلم ليصبح واضحاً للعلماء [1] »

هل اتى العلماء المعاصرون باجلى واوضح مما اتى بهِ القديس اوغسطينوس في القرن الرابع من التاريخ المسيحي ؟ فاذا حذفنا من الاصل عبارة « ان الحيوانات ليس لها ذنوب لتكفر عنها ولا فضائل لتكللها في المحن » صح ان يكون لكتابهِ « سفر التكوين بالمعنى الحرفي » الفضل على بين المصنفات الحديثة وصح ان يكون هو واضع مذهب النشوء وان ينسب لهُ وليس لسواهُ. واذا وجد بينهُ وبين داروين بعض الاختلاف فهو كالاختلاف بين داروين وبعض اتباعهِ على بعض المسائل لان هذا العلم حديث الوضع ولا يزال كثير من مسائلهِ موضوع البحث والخلاف بين طائفتهِ. الا ان ما يستلفت النظر ويستحق الاعتبار هو ان القديس اوغسطينوس يطلق الفكر العنان ويجيز لهُ التحري في البحث عن اصل الاشياء بكل حرية وجسارة على شرط ان لا يمس التعليم بالخلق الالهي حيث يقول تعقيباً على ما سبق من التفاسير

« اذا سبق ووجد شيء مادي وروحي قابل النمو فذلك الشيء هو عمل الله الذي عمل كل شيء [2] »

وهذا لا يناقضهُ الماديون لانهُ سواء عندهم خلَقَ المادة خالق او وجدت لذاتها اذ يقتصر بحثهم على القوة المرتبطة بالمادة وعلى النواميس الطبيعية التي تعمل بها

ولغير القديس اوغسطينوس من اباء الكنيسة الاولين ما يتفق معهُ في كثير من نظرياتهِ الا اني اقتصرت على النقل عنهُ لما في اقوالهِ من الجلاء والوضوح ولما لهُ من المنزلة في الكنيسة الكاثوليكية ومن الشهرة الواسعة في العالم المسيحي

الدكتور

امين ابو خاطر

---

(١) كتاب ٢ فصل ١٦ فقرة ٣٥ وجه ١٧٦
(٢) » ٧ » ٢٧ » ٣٩ » ٣٣٦

بطرس الاكبر واصلاح روسيا

لم يذكر في تواريخ البشر ان ملكاً عانى في اصلاح بلادهِ وتمدينها ما عاناهُ بطرس الاكبر . فقد شرحنا في الجزء الماضي كيف انهُ طاف في مدن اوربا ودخل مصانعها وعمل فيها كاحد العمَّال واختار الصنَّاع منها وعاد بهم لكي يعلّموا شعبهُ الصنائع المختلفة . لكن الشعب ثار عليهِ فعصت الجنود وقال الكهنة انهُ هو الدجال الذي يظهر في آخر الزمن وزعموا ان امهُ لم تكن زوجة شرعية لابيهِ فصدق عليهِ ما قيل عن الدجال واستدلوا على شرهِ بحلقهِ اللحى ولبسهِ لباس الالمان . وقالوا مَن رأى قيصر موسكو يغادر روسيا المقدَّسة ويتيه في بلدان الاجانب ويتعرَّض للمخاطر في بلدان الترك والالمان وفي اطراف المسكونة . وزعموا انهُ تزيَّا بزي تاجر وذهب الى بلاد الدنمارك فدرت بهِ الملكة وقبضت عليهِ وطرحتهُ في السجن ثم سلمتهُ الى اعدائهِ فارادوا ان يضعوهُ في برميل مبطن بالمسامير الحادة ويطرحوهُ في البحر لكن واحداً من الجند الروسي وضع نفسهُ بدلاً منهُ فانقذهُ . وبقوا الى سنة ١٧٠٥ يعتقدون انهُ لا يزل مسجوناً في بلاد الدنمارك وان الذي يحكم البلاد باسمهِ رجل آخر

وعصت الجنود القديمة مراراً وشاركهم بعض وجوه المملكة حتى اضطر ان يقبض عليهم ويعذبهم ويقتلهم وذبح مرةً بيدهِ اربعة وثمانين منهم . ولكن كل الثورات الداخلية لم تكن شيئاً مذكوراً في جنب ما فعلهُ ملك اسوج كارلس الثاني عشر فانهُ كاد يفعل بروسيا ما فعلهُ الاسكندر المكدوني ببلاد الفرس . وكان كارلس هذا بطلاً مغواراً لا يصطلى لهُ بنار خلف اباهُ كارلس الحادي عشر وعمرهُ ١٥ سنة لا غير وللحال اتفق عليهِ ملك الدنمارك وملك بولندا مع بطرس الاكبر لكي يسلبوهُ بعض بلادهِ فحارب الدنمارك واضطرها الى طلب الصلح على ما اراد وعاد الى الروس وكانوا تحت اسوار نارفا بخمسين الف محارب فهاجمهم بثمانية آلاف من رجالهِ وهزمهم واضطرهم الى الهزيمة بعد ان اثخن فيهم . ثم خلع ملك بولندا ونصب عليها غيرهُ . فهابتهُ اوربا كلها وارتجفت منهُ فرائص ملوكها . ولم يكتفِ بما نالهُ من النصر المبين بل جمع ٤٣٠٠٠ من الجنود وزحف بهم على روسيا فهرب القيصر من وجههِ بعد ان كاد يقع اسيراً في يدهِ ولجأ الى غربي البلاد لكي لا يجد فيها طعاماً ولا ارواء كما فعل القيصر اسكندر الاول لما غزاها نبوليون . واما هو فلم يعبأ بذلك بل واصل السير الى ان التقى بالجنود الروسية في سمولنسك وشتت شملهم ومن ثم انفتحت لهُ الطريق الى موسكو ولكنهُ دار جنوباً منتظراً ان يقابلهُ رئيس القزاق بثلاثين الفاً من رجالهِ كما وعدهُ .

واتفق ان الشتاء تلك السنة كان شديد الزمهرير جداً ورجالهُ غير مستعدين لهُ فبرأهم البرد واعوزهم الطعام وماتت دوابهم فاضطروا ان يتركوا مدافعهم في الطريق. وحال بطرس الاكبر بينهم وبين بلادهم فلم تأتهم النجدات منها ولا انجدهم القزاق ووصل كارلس الى مدينة بلتاوى بثلاثة وعشرين الفاً من رجالهِ لا غير فوقف هناك لانهُ كان ينتظر نجدة من الاتراك والبولنديين وخطر لهُ ان يشاغل المدينة ويهاجمها بدلاً من الانتظار وحاول قوادهُ ان يصرفوهُ عن ذلك لقلة ما لديهم من الميرة فلم ينصرف بل قال اني لا ادع ما انا فيهِ ما لم يأتني ملاك من السماء باوامر من الله. وكان القيصر يخشى صولتهُ لاسيما وان روسيا كانت مضطربة في داخلها وقد طلب منهُ ان يعود الى بلادهِ وانهُ هو (اي القيصر) يكتفي بعرش واحد على البطليك فقال لهُ كارلس انني لا اتفق معك الاّ في موسكو نفسها وكان جواب القيصر لهُ حينئذٍ «ان كان اخي كارلس يحسب نفسهُ الاسكندر فليعلم اني لست داريوس»

ووصل القيصر الى بلتاوى في الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٧٠٩ بستين الف مقاتل فنزل بهم امام جيش كارلس وحفر خندقاً حولهم في ليلة واحدة وكان معهُ ٧٢ مدفعاً ولم يكن مع كارلس سوى ٢٣ الفاً من الجنود واربعة مدافع وكان جنودهُ خائري القوى من الجوع والعري ومشقة السفر. واتفق انهُ كان خارجاً ذات ليلة بنفر من رجالهِ ليقلق الروس فاصيب بجرح في عقب رجلهِ اضطرهُ الى عملية جراحية وتعذر عليهِ ركوب جوادهِ حتى اذا حدثت المعركة الفاصلة في الثامن من يوليو حملهُ رجالهُ حملاً

وكان القيصر يخشى ان تدور الدائرة عليهِ فيقضى على روسيا فخاطب رجالهُ قبل المعركة قائلاً «جاءت الساعة ومستقبل روسيا في يدكم لا تقولوا اننا نحارب لاجل بطرس كلاّ بل انكم تحاربون لاجل بلادكم نعم اننا نحارب لاجل بلادنا ومذهبنا الارثوذكسي ولاجل كنيسة الله اما انا فاني مستعد ان اضحي حياتي لاجل خير روسيا ومستقبلها المجيد»

واتخذ الاسوجيون خطة الهجوم لانهم اذا هجموا لم يكن احد يقف في وجههم فهزموا فرسان الروس. وحاول القيصر ان يجمع شملهم فلم يفلح واصابتهُ رصاصة في قبعتهِ. لكن الكثرة تغلب الشجاعة فان القائد منشيكوف الروسي دار برجالهِ من وراء الاسوجيين وكانت المدافع الروسية لا تنفك عن اطلاق قنابلها فقتلت الخيول التي كانت تجر مركبة كارلس حتى اضطرَّ رجالهُ ان يحملوهُ بين ايديهم وكانوا اربعة وعشرين فقتل منهم واحد وعشرون. وتراجعت فرسان الروس وتبعهم المشاة وهجموا على الاسوجيين فخرقوا صفوفهم واوقعوهم بين نارين حاميتين القيصر برجالهِ من امامهم والجنرال منشيكوف برجالهِ من ورائهم فاختلَّ نظامهم

واركنوا الى الفرار واركبوا كارلس على جواد رغماً عنهُ واخذوهُ معهم . وقتل من الاسوجيين في هذه المعركة عشرة آلاف وأُخذ منهم ثلاثة آلاف اسير والباقون واصلوا السير وراء ملكهم لكن منشيكوف ادركهم واضطرهم الى التسليم . وفي المساء استقبل القيصر قواد الاسوجيين الذين اسرهم وكانوا اشهر القواد الاوربيين في ذلك العصر فاكرمهم ودعاهم الى الشاء معهُ م والوزير غراف بيبر ورد " قائد رنسكولد سيفهُ وشرب نخب الملك كارلس قائلاً اني اشرب نخب استاذي في صناعة الحرب

اما كارلس فسار بشرذمة من رجالهِ الى ان وصل الى مدينة بندر وكانت في املاك الدولة العلية . وحمل الدولة على محاربة روسيا كما سيجيء . ثم تمكن من العودة الى بلادهِ ومواصلة الحروب الى ان قُتل سنة ١٧١٨ وعمرهُ ٣٦ سنة فقط

وكان لفوز بطرس الاكبر على كارلس الثاني عشر اكبر شأن في مستقبل روسيا وبهِ صارت من الدول الاوربية العظمى كما ان اسوج انحطت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة

هذا ولنعد الى الاصلاح الذي ادخلهُ بطرس الاكبر في روسيا فقد حاول ان يجعل الروس يقتدون بالالمان والانكليز والفرنسويين في كل شيء في المأكل والمشرب والملبس والعادات وكانوا الى ذلك الحين مثل سائر الامم الشرقية في كل ذلك فالزمهم ان يحلقوا لحاهم ويخلعوا الجبة والقفطان ويلبسوا السترة والبنطلون حاسباً ان ما يمكن ان يتم في مئة سنة يجب ان يتم في بضع سنوات والله ما من معرّة عليهِ ولا على رجالهِ اذا تشبهوا بالامم التي سبقتهم في ميدان الحضارة بل العار كل العار اذا تشبثوا بعاداتهم ولم يغيروها الا رويداً رويداً بحكم الزمن

واتى بالرجال من ممالك اوربا ليستعين بهم في ما هم متفوقون بهِ وفتش عن النوابغ في بلادهِ وعلّاهم ورقاهم سواء كان اصلهم وضيعاً او رفيعاً فاسكندر منشيكوف كان خادماً عند حلواني فاكتشفهُ وعلّمهُ وصيرهُ اميراً ومشيراً واميرالاً وميخائيل غالتسوين الذي صار مرشالاً كان من نسل الامراء وقس عليهما كثيرين من الرجال الذين اشتهروا في عصرهِ وحازوا الشهرة الواسعة عن استحقاق

واقتدى بالانكليز في حصر ميراث الكبراء بالبكر من اولادهم او بالوارث الاكبر لكي لا تتوزع ثروة الاغنياء ولا يعيش اولادهم بالاسراف والتبذير بل يضطرون الى السعي والكدح . ومنع اولاد الاشراف من التزوج والانتظام في خدمة الحكومة ما لم يتعلموا وينالوا درجة عالية من العلم

وكان نساء الروس يحتجبن مثل سائر النساء الشرقيات فابطل الحجاب والزم الوالدين ان يعدوا بقسم ان لا يزوجوا بناتهم على غير ارادتهن · والزم الخطيبة ان تجالس خطيبها وتعاشره قبل الزواج فاذا توافقت طباعهما تزوجا والاَّ بطلت الخطبة · واقام الاحتفالات العمومية ودعا اليها الرجال والنساء فاتوها بثيابهم الاوربية واختلطوا بعضهم ببعض ورقصوا معاً كما يفعل الالمان والفرنسويون والاسوجيون · ومنع رجاله من السجود له كما كانوا يسجدون لاسلافهِ

وانشأ مجلساً للحكومة من كبار رجاله واعطاهُ سلطة تماثل سلطته وانشأ نظارات تتولى شؤُون البلاد كالخارجية والحربية والبحرية والمالية والعدلية والمعامل والمعادن والتجارة · وقد اتبع في ذلك مشورة الفيلسوف ليبنتز · ووضع في كل نظارة رجلاً اجنبياً ليديرها ويعلّم الروس كيفية ادارتها · واستخدم الاسرى الاسوجيين في ادارة بلادهِ واستدعى السلاف من بوهيميا وسليسيا ومورافيا لانهم اقدر من غيرهم على تعلم اللسان الروسي وارسل اربعين شاباً الى كونستبرج لكي يتعلموا الادارة المالية واباح للنظارات المختلفة ان تنتخب روَساءها

وقسم البلاد الى ولايات ومراكز ووضع لادارتها نظاماً محكماً وعاقب العمال المرتشين عقاباً صارماً لكنهُ عاقب ايضاً المتهمين بالسحر والتجديف فكان يحرق من يتهم بالسحر ويسلت لسان من يتهم بالتجديف ويعذبهُ الى ان يموت · ولكثرة ما ارهق الناس بالضرائب زاد دخل الحكومة من ثلاثة ملايين روبل سنة ١٧١٠ الى عشرة ملايين روبل سنة ١٧٢٥ لكن الجنود الذين صرفهم والرجال الذين ضاقت في وجوههم ابواب المعيشة اعتمدوا على الغزو والنهب والّفوا عصابات تسلحت بالبنادق والمدافع وجعلت تغزو البلاد وتنهب كل ما تجدهُ واستمرت هذا العيش لانها لم تجد من يقاومها كسبها فاضطرَّ ان يحاربها حتى تمكن من كفّ شرها عن البلاد

واهتمَّ اهتماماً شديداً بامر التعليم لانهُ قال ان الامة لا تقدر الاصلاح قدرهُ ولا تحتفظ بهِ ما لم تتعلم فاذا تعلمت رضيت عنهُ وعما ابتدعهُ · واوجب تعليم اولاد الاعيان وخدمة الدين وامر ان كل من لا يحسن القراءة والكتابة ولغة اجنبية من اولاد الاعيان يحرم من ميراث والديهِ · وانشأ مدارس عمومية في كل الولايات واوجب على اولاد الموظفين ان يدخلوها كلهم بين السنة العاشرة والخامسة عشرة وجعل التعليم في هذه المدارس محصوراً في ما تدعو الحاجة اليهِ · وانشأ مدرسة للملاحة ومدرسة للهندسة ومدرسة لمسك الدفاتر وامر بترجمة الكتب من اللغات الاوربية علمية كانت او ادبية لكي تذيع الافكار الاوربية

والمعارف الادبية بين شعبهِ فترجمت كتب التاريخ والجغرافيا والحقوق والاقتصاد السياسي وسلك الابحر والعلوم الحربية والزراعية وعلم اللغات . وكان هو يقابل المترجمين ويوصيهم كيف يترجمون قال لزوتوف ذات يوم « لا تترجم حرفياً من غير ان تفهم معنى المؤلف بل تصفح ما تريد ترجمتهُ وانعم نظرك فيهِ حتى تدرك معناهُ جيداً ومتى رأيت انك صرت قادراً ان تعبر عنهُ بالسان الروسي فترجمهُ » . وامر المترجمين ان يتركوا الشروح المطولة والتدقيقات التي لا طائل تحتها مما يملأ الالمان كتبهم بهِ ويقتصروا على ايراد الجوهر لكي لا يملّ القارىء . ولما اراد احد المترجمين ان يحذف كلاماً يوصف بهِ الروس كبرابرة منعهُ من ذلك قائلاً يجب ان نعرف حقيقة انفسنا وما يقولهُ الناس فينا لان من لا يعرف داءهُ لا يعرف دواءهُ . واستنبط حروفاً جديدة للسان الروسي من الابجدية اليونانية واصلح آلات الطباعة التي جلبها من هولندا ووضع مطبعتين في موسكو وار بعاً في بطرسبرج ومطابع اخرى غيرها وانشأ جريدة في بطرس برج وهي اول جريدة بالسان الروسي

وانشأ المستشفيات والمتاحف وبعث رسالة علمية الى كمشتكا اجابة لطلب الفيلسوف ليبنتز لترى هل اسيا متصلة باميركا . وانشأ مدرسة لعمل الخرائط واصلاحها . وامر بجمع السجلات القديمة ونسخها لكي يحفظ تاريخ روسيا والف واحد تاريخاً لروسيا في القرن السادس عشر فاعطاهُ متتي روبل . وكان عضواً مراسلاً لاكادمية باريس فانشأ اكادمية بطرس برج سنة ١٧٢٤ على مثالها ووهبها مئتي الف روبل ودخلاً سنوياً لقدره ٢٤٩١٢ روبلاً تأخذهُ من جمارك نارفا ودوربات وبرنفا وجعل غرضها الاول ترجمة الكتب الى اللسان الروسي وتعليم اللغات والعلوم العملية . ولم يكن من الروسيين حينئذٍ من يؤهلهُ علمهُ لينتظم عضواً في تلك الاكادمية فكان كل اعضائها من الاجانب مثل ولف وهرمن الالمانيين ودانيال برنولي وجوزف دليل الفرنسويين . وقد خدم اعضاء هذه الاكادمية العلوم اجل الخدم بما اكتشفوهُ وحققوهُ كما لا يخفى

ومن اعظم اعمالهِ بناء مدينة بطرس برج عاصمة روسيا الجديدة بناها عند مصب نهر نافا ولهذا النهر هناك فروع كثيرة تقسم بها الارض الى تسع عشرة جزيرة وكلها مواطئ تغمرها المياه في بعض الاحيان ولا مزية لها الا انها واقعة على رأس خليج كبير يصلح ان يكون مرفأ امينا ولكنهُ لم يحفر حتى يصل اليها الا منذ خمس وعشرين سنة فصارت بهِ مرفأ بحرياً كبيراً . وقد نمت هذه المدينة بسرعة فائقة حتى صارت من اعظم العواصم الاوربية وزاد عدد سكانها سنة بعد سنة ولاسيما في السنين الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

السنة	عدد السكان
١٨٥٢	٥٣٢٢٠٠
١٨٦٩	٦٦٧٢٠٠
١٨٨٠	٨٦١٣٠٠
١٨٩٠	٩٥٤٤٠٠
١٨٩٧	١١٣٢٦٧٧
١٩٠٥	١٤٢٩٠٠٠
١٩١١	١٩٦٢٤٠٠

وهي من اشهر العواصم في كثرة قصورها جمال مبانيها وفخامتها وكثرة اهل الجاه والثروة المقيمين فيها فانها مدينة اغنياء الروس

اما حربهُ مع الدولة العثمانية المشار اليها آنفاً فكانت المحرك لها كارلس ملك اسوج ووكلاؤهُ وسفير فرنسا وخان التتار وغيرهم فانهم كلهم رغَّبوا الباب العالي في محاربة الروس وكان السلطان احمد الثالث راغباً في هذه الحرب ليسترد ازوف فاستردها وسيجيء تفصيل ذلك في الجزء التالي

ذهولي

الى المقتطف الاغر

لفظة الهيئة الاجتماعية اقدم من ان تختص بالمقتطم خلافاً لما ذكرت بدليل ورودها في مقدمتي الاولى لبختر المطبوعة سنة ١٨٨٤ صفحة ٥٨ من فلسفة النشوء ولا بدَّ اني اخذتها من سواي ممن لا اذكر دلالةً على انها كانت مستفيضة في الشيوع . والذي اوقعني في هذا الخطإ انصراف فكري من الجزء الى الكل . فقد اعجبني من المقطم يوم صدرت مقدمتهُ استعمالهُ الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة . فبقي اثر الاستحسان في نفسي وذهب عنها الشيء المستحسن . فلما جالت بي الذاكرة تولاَّني شيء من الذهول . فذهب عني المبيَّن الاخص

وارتسم امامي الأمر ولم أُطِل الروية . قال كنت قد عرفت اليوم خطائي واعترفت بهِ

فاني لا أخشى ان تطول إقامتي وأمسي لا أستطيعُ ان أعرف الخطا
فيطربهم مني الهمول عساي ان أحاربهم فيهِ وان زلَّتْ الخُطَى

الدكتور شبلي شميل

مجلة لغة العرب

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اقراراً من جمهور ادباء هذه الاصقاع بفضل حضرة العالم الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي ومزية مجلتهِ الموسومة « بلغة العرب » استأذنكم في نشر السطور الآتية في مجلتكم الزهراء وذلك ابذاناً بسمو منزلتهِ في عالم العلم والادب ووفاء بلهجتهِ الصادقة نحو مقتطفكم الانور والفضل لوليّهِ

اذا حقَّ للقطر العراقي ان يدوّن بين الواح مجلاتهِ مجلة أرصدت لهتك الستار عمَّا في مناكبهِ من البقاع والبطاح المترامية الاكناف والكشف عن مخبآت ربوعهِ وآثارهِ الداثرة ومحجبات انقاضهِ وصروحهِ الغابرة لِما توفّر لها من ذرائع التحقيق والتدقيق . بل اذا استتب للقابضين على ازمّة الادب ان يترنموا بصحيفة من صحف هذه الارجاء لتنكّبها عن التراكيب الركيكة واللفظ المبتذل وتغذيها الاساليب الفصيحة التي لا غبار عليها حتى ادركت اللغة بها حياةً جديدة بعدما اوشكت ان تلفظ آخر انفاسها بين عامة طبقات الامة عندنا . لا بل اذا تسنَّى لارباب النظر والنقد ان يردّدوا في محافلهم ذكر ديوانٍ عراقيٍّ يستشف من تضاعيف سطورهِ تدرّجٌ حثيثٌ في سلّم الصحافة الحقّة جرياً على ناموس النشوء والارتقاء فاحرِ بمجلة « لغة العرب » التي تصدر في مدينة بغداد ان تكون ما منزلتها تلك لانهُ لو لم يكن لها سوى هذه المزايا لكفى . الاَّ انها والحالة هذه قد اضافت الى ذلك عدم التفاني عن الطريقة المثلى التي رسمتها لنفسها الا وهي التجافي من سبل المماحكات والمشاحنات في تنوّع اغراضها وتشعّب ابحاثها لاسيما فيما عنّ لها في بعض التآليف العصرية من مواضع النظر والنقد عن حياض الادب دون ان يعترضها في ذلك الرّة او يجذب اعنّتها الميل مع الهوى . فصفت مواردها عن النزعات والنزغات وطهرت من شوائب التعسف والتهجمات فحقّ لها ان تقطع السامين من شوطها وهي اليوم في فاتحة عامها الثالث تسير فيهِ إثرهاتيك المعالم والآثار وتجد في وجهتها تلك الى الامام على ما جاء في مقدمة الجزء الاول من سنتها الثالثة . ولا

بدع في ذلك مع ما اشتهر لمديرها وتابع بردها حضرة العالم الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي من الاجتهاد في احياء كثير من دقائق المسائل وغوامضها التي خاض عبابها في صفحات مجلات وجرائد القطرين الشامي والمصري زهاء ٢٠ عاماً وسبر غورها بادلته القاطعة المنتزعة من اوثق المصادر الحلية واللغوية والتاريخية واكبابه آخراً على توسيع نطاق محيط المحيط المضمّ اليه حتى الآن ما يربو على الخمسة آلاف مادة وهي خدمة لغة تنطق بفضلها ما نطق عربيٌّ بالضاد والله المسؤول ان يأخذ بيدهِ للبلوغ الى ما ارصد لهُ نفسهُ من احياء رسوم السلف لما يترتب عليها من النفع لعمران الخلف ومأمولنا في مواطنينا الفضلاء ان يقبلوا على المجلة المشار اليها بما يزيد في رواجها ويكفل بثباتها وان يرصدوا بعض اوقاتهم لمن وقف عليهم جلّ اوقاته فانّ المجلة بقرّائها لا بمحرريها وان جودتها بجودة استيعابها لا بجودة ترصيفها وان لطراً قد تودّى ادباؤهُ بارديه التمدن المقبول لخليق بان تكون البضاعة المحلية افضل ما تزدّت به تلك العقول

بغداد يوسف يعقوب مسكوني

القومسيون الدولي للتعليم الرياضي

International Commission on the teaching of Mathematics

انشئ هذا القومسيون بطلب مؤتمر الرياضيين الدولي الرابع الذي عقد بمدينة رومية سنة ١٩٠٨ وقد كلفهُ المؤتمر بالبحث عن تقدم العلوم الرياضية في مدارس كل البلدان على اختلاف انواعها وعن طرق التعليم المتبعة الآن وما يلزم ادخالهُ فيها لتحسينها

وهو مؤلف من مندوبين ينوبون عن البلاد التي اشتركت في مؤتمر الرياضيين الدولي مرتين على الاقل و يعين البعض منهم حكومة بلادهم والبعض الآخر لجنة القومسيون المركزية وهذه اللجنة مكلفة بتأليف القومسيون وتنظيمهِ واعطاء الاستعلامات اللازمة لاعضائهِ ووكلائهِ في ما يختص بتقاريرهم عن تعليم العلوم الرياضية في بلادهم

ولدى القومسيون كثير من المجموعات المفيدة وهي تحتوي على اكثر من ٢٨٠ تقريراً وبحث في تعليم الرياضيات وانتشارها في انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وروسيا وبلجكا واسبانيا وسويسرا واسوج ونروج والنمسا وهولندا والدانمارك ورومانيا وتقع في ١٦٠ مجلداً وفيها فوائد جمة تعود على الرياضيين والاساتذة بالنفع الكبير . وهناك تقارير اخرى عن بلدان اخرى والعمل جارٍ في تحريرها وطبعها

وبديهي ان اشغال هذا القومسيون تفيد اساتذة الرياضيات فيعرفون منها ما هو جارٍ خارج بلادهم فوق ما هو جارٍ في بلادهم نفسها . ولا شبهة ان المقارنة بين بلادهم وغيرها والنظر في الاساليب التي يجري عليها معلمو الرياضيات تساعد كثيراً في ترقية هذه العلوم

وقد مضى على هذا القومسيون اكثر من خمس سنوات وهو قائم باعمالهِ بنجاح باهر وتأتيهِ المساعدات المالية والادبية من كثير من الحكومات والمعاهد العلمية لنشر اعمالهِ . ونظراً الى اهمية هذه الاعمال قرر مؤتمر الرياضيين الدولي الخامس الذي عقد في مدينة كمبردج في شهر اغسطس الماضي توسيع نطاقهِ حتى يشمل بلداناً اخرى الى ان يعقد المؤتمر التالي في مدينة استكهلم سنة ١٩١٦ فتمَّ لهُ ما اراد من اشتراك البلدان التي لم تكن مشتركة فيهِ الاَّ القطر المصري فان نظارة المعارف المصرية لم تقبل الاشتراك فيهِ حتى الآن مع ان هذا القطر منشأ العلوم الرياضية

ولما كنت من المشتغلين بالعلوم الرياضية وكنت مشتركاً في مؤتمر كمبردج المذكور آنفاً وفي المؤتمرين اللذين عقدا في مدينة ليل سنة ١٩٠٩ وفي مدينة تولوز سنة ١٩١ وقد نشرت كثيراً من المباحث الرياضية في بعض المجلات منذ عشر سنوات الى الآن وقدمت مقالات رياضية للمؤتمرات قررت اللجنة المشار اليها آنفاً تعييني رسميًّا عضواً عاملاً من قبلها في هذا القومسيون وكلفتني بان اقدم لها تقريراً عن سير العلوم الرياضية في القطر المصري منذ عهد محمد علي باشا الى الآن . فارجو من اخواني الذين لديهم معلومات في هذا الباب ان يوافوني بها فاذكرها تحت اسمائهم ولهم الفضل

فريد بولاد
مهندس بقلم كباري مصلحة السكة الحديد

مستقبل مصر والدفاع عنها

سيدي محرر المقتطف

قرأتُ في صحيفة المؤيد جملة مقالات في موضوع « الدفاع الوطني » عن مصر اختلف كاتبوها في وجوب التفكير الآن في هذا الموضوع وعدمهِ وتناقش بعضهم في اصلية المطالبة والسعي في جعل مصر على الحياد مثل سويسرا يدل بقائها على حالتها السياسية الحاضرة الى اجل غير معلوم وبدل استقلالها بصورة تضطرها الى تكوين جيش عظيم والى بناء اسطول للدفاع عن نفسها . كما تناقشوا في ايهما الاصلح تقوية الجيش ام بناء

الاسطول ام كلاهما . ولا حاجة لان اعيد لكم هنا اجمال ما كتب في هذا الموضوع الذي لا تزال جريدة المؤيد تخوض فيه فلا ريب انكم قد اطلعتم على ما كتب في هذا الباب كما انهُ من السهل ان تحصلوا على اعداد المؤيد التي نشرت وتنشر فيها تلك المقالات لمراجعتها عند الحاجة. ولست المقصد هنا ان اعتقد رأياً من تلك الآراء لان هذا ليس من شأن مجلة المقتطف ان تُعنى بهِ . وانما كل غرضي هو رجاؤكم ان تتفضلوا بنشر خلاصة تاريخية لما كتب في مستقبل المسألة المصرية خصوصاً باقلام كبار ساسة الانكليز وما قيل في البرلمان الانكليزي قديماً وحديثاً في هذا الموضوع . كذلك ان تذكروا الظروف الطبيعية المعقولة التي تدعو امة مثل مصر للتفكير في الدفاع الوطني عن نفسها وان تقدّروا باستشارة الفنيين ما يمكن ان تحتاج اليهِ من القوة ونوعها . وما يجرهُ هذا على البلاد من الفائدة والخسارة . وان لا تقتصروا على ابداء رأي واحد بل اكثر من ذلك مع بيان حجج كل رأي حتى يكون الباحثين في هذا الموضوع الخطير من افاداتكم مادة يعتمدون عليها ويختارون منها ما يرونهُ الاصوب وحتى يتنور الرأي العام بتلك المعلومات ولا يُغَشّ بكلام اجمالي يقال جزافاً في الصحف السيارة لانهُ لا يخفى عليكم انَّ تفصيل تاريخ مصر الحديث يكاد يكون مفقوداً في اللغة العربية كما انَّ المعلومات الحربية عن الدفاع الوطني ولوازمهِ ونسبة ذلك لكل امة لا أثر لها في المطبوعات العربية وليس كل القراء عندنا بالعارفين باللغات الاوربية . وعلى هذا اعتقد انهُ ليس من المروءة ترك الرأي العام يتخبط في هذا الموضوع بلا حقائق واضحة امامهُ ليبنى عليها . ولاعتقادي انَّ مجلة المقتطف تضارع اعظم مجلة اوربية من نوعها وانَّ لدى قلم تحريرها البيانات الكافية في كل موضوع خطير . قدمت لكم هذا الرجاء واثقاً باني لا اطالبكم بشيءٍ يخالف مبادئ مجلتكم بل كل ما اطلبهُ منكم ان تضعوا امام القارئ مختلف آراء الثقات في هذا الموضوع حتى يكون على هدًى في فهم ما تكتبهُ الصحف اليومية ويختار من تلك الآراء ما يراهُ اقرب للحقيقة . وكيفما كان الحال فالسكوت عن ارشاد الرأي العام في موضوع خطير كهذا لا يحمد اثرهُ

George's Hospital Hyde Park Corner
London, S. W

قارئ

[المقتطف] لم نقرأ المقالات التي اشرتم اليها ولا رأيناها ولا يهمنا امرها . وقد يظهر لاول وهلة ان اقتراحكم غاية في الاهمية لدى الامة المصرية ولكن الذين يجولون في بنادر القطر المصري وكفورهِ بل الذين يجولون في البلدان الاوربية والاميركية حتى اكثرها اهتماماً بامر الدفاع الوطني كفرنسا وانكلترا والمانيا لا يجدون لهذا الاهتمام شأناً يذكر لدى

جمهور الشعب وقلّ من يُعنى بهِ غير المستفيدين منهُ مالاً او جاهاً او كليهما كاصحاب المعامل التي تصنع البنادق والمدافع والسفن الحربية وكالضباط والقواد واصحاب الجرائد السيارة ومورّدي الميرة للجيش والذين يقرضون الاموال للدول لكي تستعين بها على اثارة الحروب . اترى هؤُلاء كلهم من الدنيا بطاعون جارف او بركبة نارية تحملهم الى السماء كما حملت ايليا على ما في التوراة فتزول الحروب ويبطل اعتداء الدول بعضها على بعض ولا يبقى داعٍ للهجوم ولا للدفاع . وقد جاهرنا بهذا الرأي منذ اعوام كثيرة ونرى كل يوم من الدلائل ما يؤيدهُ . والخلاصة ان الرأي العام المصري لا يهتم بالدفاع الوطني ويجب ان لا يهتم بهِ وليس في القطر اصحاب مصالح مالية كبيرة ينتفعون من بناء الحصون وسبك المدافع حتى يخوّفوا الناس من قرب الاعداء ويلجئوا الحكومة الى اعداد عدتها . ولا نقول ان مصر بمأمن من كل غارة تشن عليها ولكننا نرتاب جداً في ان دولة تطمع بها لذاتها لان الفقر فلاح في ايطاليا لا يقبل ان يعمل عمل الفلاح المصري ويعيش على خبز الذرة ويعمل من شروق الشمس الى غروبها بقرشين او ثلاثة . والبلاد قد ضاقت بسكانها وموارد الرزق فيها قليلة فلا تزيد قيمة ما يستغل منها في السنة على سبعين مليوناً من الجنيهات فيبلغ متوسط دخل النفس من السكان ستة جنيهات في السنة على الاكثر ودخل النفس في ممالك اوربا من عشرين جنيهاً الى اربعين او اكثر . وهي مديونة لاوربا باكثر من مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات ولولم يلجئ اصحاب هذه الديون الحكومة الانكليزية الى احتلالها حفظاً لديونهم لما اهتمت باحتلالها . ولولا ترعة السويس وكونها طريق الهند لما رغبت في البقاء فيها . نعم لو كان سكان القطر المصري مليونين او ثلاثة فقط لطمعت فيهِ بعض الدول التي تطلب متسعاً للذين يزيدون من شعبها اما وهو مكتظ بسكانهِ فلا رزق فيهِ الاَّ لآحاد قلائل من غيرهم وهؤُلاء لا يبقى لهم رزق فيهِ بعد ما يتعلَّم سكانهُ ويتقنوا الصناعة والتجارة والادارة وقد تحاول دولة اخرى اجتياحهُ لكي تخرج طريق الهند من يد الانكليز فينتقل من كنف دولة الى كنف دولة اخرى والمرجح عندنا ان الحكومة الانكليزية ستهتم بحمايتهِ دفعاً لذلك واذا استمالت بجزيتهِ في هذا السبيل فلا جناح عليها لانهُ استفاد منها فوائد مالية وادبية لا تنكر . وهي تعمل ما يحسن في عينيها ولا يحتمل انها تستشير السكان فيما تريد عملهُ . فعلى مَ نحملهم على البحث في موضوع لا رأي لهم فيهِ وعلى مطالعة آراء لا تجديهم معرفتها نفعاً اللهم الاَّ اذا اريد تفكيههم بما يقولهُ فلان الوزير وفلان السياسي . وهذه اذا جاءتنا ممن لم نزود مالنا لب انما ننشرها اذا كانت مختصرة محكمة . اما نحن فلا نرى لنا متسعاً من الوقت لجمع هذه الآراء سواء كانت لكبار

سياسة الانكليز او لغيرهم ولا تميل الى اقلاق السكان وحملهم على التفكير في الدفاع عن وطنهم مخافة ان تجتاحهُ دولة اجنبية فقد كان لهذا القطر من العدو والعدد في الفل الكبير ما لا يأمل ان يكون لهُ اكثر منهُ الآن ومع ذلك لم يستطع الوقوف امام خصمهِ . وقد صرَّح الانكليز الآن انهم لا ينوون الخروج منهُ وما داموا فيهِ فهم مكلفون بالدفاع عنهُ . هذا ما نراهُ الآن والمستقبل مجهول

الشمام والبطيخ

كتب المستر براون في مجلة مصلحة الزراعة فصلاً ضافياً يتعلق بزراعة الشمام والبطيخ وتفضل المقتطف بتعريب شيءٍ منهُ في عدده الماضي . وقد قرأت كل ذلك قراءة رغبتني في ان اثبت ما عرفتهُ في زراعة هذين النوعين بمنطقتنا تتميماً للفائدة لان الانواع التي ذكرت في هذا الفصل وفي غيره من الفصول مخالفة لما لدينا فاذا تفضل حضرات المزارعين وشاركونا في الانتفاع بتلك الانواع فانهم يحصلون منها على شيء جيد جديد وان كان مخالفاً لما عندهم في طريقة الزرع وفي كل شيء

الانواع التي تزرع هنا قديمة جداً وحافظة لخصائصها الاصلية مع تحسّن في بعض الصفات وذلك راجع الى تنبه المزارعين لاختيار البذور فكل زارع يحفظ لب (بزر) البطيخة او الشمامة التي يجد ان مذاقها حلو وانها تمتاز عن نوعها بصفات اخرى مرغوب فيها وهم كذلك شديدو الاعتناء بزراعة تلك الانواع لاختصاصهم بها من اجيال يتوارثها الخلف عن السلف فضلاً عما هي عليهِ من البساطة مع مساعدة الطبيعة لهم

ولبيع هذه الانواع سوق كبيرة في بلدة كفر البطيخ يأتي اليها الكثير من التجار لشرائها وتصديرها بمقادير كبيرة جداً

وحيث انهُ لا فرق هنا في الزراعة بين البطيخ والشمام فأتكلم عنهما معاً بكلام واحد

تقع منطقة زراعتهما في الشمال من مديرية الغربية يحدها البحر الابيض المتوسط من جهتيها الشمالية والغربية وتبلغ مساحتها نحو ٣٢ الف فدان وكلها ارض رملية مجتمة صفاتها الكيماوية والحيوية رديئة جداً ولكن بعض صفاتها الطبيعية موافقة للنبات مثل درجة

الحرارة وسهولة احتراق المواد والجذور لها وعدم تشبعها بالماء ووظيفتها المهمة حفظ النبات عليها لانها بدون ما يضاف اليها من السماد والماء لا تنبت الأ بعض الاعشاب وتقربها من البحر الابيض وسهولة احتراق الماء لها تشبعت جزئياتها بماء الملح الذي يبعد منسوبهُ بها عن سطح الارض في المتوسط نحو مترنصفهِ الاعلى خالٍ بالمرة من الماء ومجرد من كل الصفات اللازمة للارض الزراعية ولذلك فانهم عند تهيئة الارض للزراعة يحفرون عن منسوب الماء ثم يتركون فوقهُ طبقة سمكها نصف متر بالضبط وذلك بحكوم الجزء الزائد على جانبي مساحة عرضها نحو مترين وتختلف في الطول باختلاف المساحة المراد زرعها وهذه الاكوام تأخذ شكلاً مائلاً بنسبة ٢ : ١ فيكون الشكل كلهُ كشبه منحرف وهذه العملية يعملونها كل سنة او سنتين لان الارض التي تزرع سنة او سنتين على الاكثر لا تزرع الأ بعد زمن لا يقل عن عشر سنين فهم بذلك في تنقل مستمر مبنهُ فقدان الارض خاصية التماسك بعد الزرع لان الارض قبل زراعتها تضغط عليها مياه الامطار عند نزولها فتقترب جزئياتها بعضها من بعض وتقلل نوعاً من سعة المسام وكذلك تساعد بعض الاعشاب على النمو فتقوم بنفس الوظيفة التي يزول تأثيرها بعد زرع الارض مرة او مرتين وهذا هو سر تنقلهم

وتجري هذه العملية قبل زمن الفيضان حتى اذا جاء النيل اطلقوا ماءهُ العذب على هذه الحفر التي يجعلون سمك قاعدتها في هذا الوقت عشرين سنتيمتراً فيضغط على ماء الارض المالح فيغوص في الطبقات السفلى ويرتفع في القطع المجاورة لهذه البقاع المحفورة ويتأكدون عذوبة الارض بحفر حفر صغيرة بجانبها ينبع منها الماء فيذوقونهُ فاذا جاء وفق ارادتهم تجبروا عنها ماء النيل واضافوا طبقة من الرمل سمكها ٣٠ سنتمتراً ليكون الفرق بين منسوب الماء وسطح الارض نصف متر ثم يأخذون في العمل للزرع بحفر حفر عمقها ٢٥ سنتمتراً وعرضها ١٥ وموضع هذه الحفر عند تقابل ضلعي شبه المنحرف بقاعدتهِ وبُعد كل واحدة عن الاخرى نحو متر يضعون في قاعها مخلوطاً من زرق الحمام والطين يبلغ ارتفاعهُ بها نحو عشرة سنتيمترات وللذك مقدر بثمن كيلة واضافة الطين للسماد نافعة لتخفيف مفعولهِ لان هذا النوع من السماد غني جداً بعناصر الغذائية التي تسبب استمرار النبات في النمو وتكوين فريعات واوراق ولا تعطي غير الثمر الضعيف لو اضيف بمثل هذه المقادير الكبيرة تحت جذور النباتات مباشرة وفي بعض الاحايين تميت الحرارة الناشئة من اختلاطهِ جذور النباتات لقوتها وهذا الامر معروف عند المزارعين لانهم يعيرونهُ جانب الالتفات. وبعد وضع السماد يرجعون الرمل الى الحفر

وقت الزرع وكيفيتهُ ومقدار التقاوي

تزرع البذور في النصف الاخير من امشير والاول من برمهات (مارس) وذلك بوضع الحب (البزر) بعد تنطيعهِ بالماء مدة اثنتي عشرة ساعة ثم يصفى الماء ويغسل بماء دافيء لازالة ما عليهِ من المواد اللزجة ويوضع على ارض مستوية ويغطى بقليل من البرسيم او الرمل الرطب حتى يبتدىء الجذر في الخروج فيوضع في كل حفرة من ٦ — ١٠ لبات تغطى بنحو سنتمتر او اثنين من الرمل

والمقدار اللازم للفدان من تقاوي البطيخ يختلف من نصف كيلة الى كيلة وذلك باختلاف نوع البطيخ لان لبهُ متفاوت في الحجم

اما الشمام فلقلة تقاويهِ وارتفاع ثمنهِ لا يوضع في الحفرة الا لبتان او ثلاث لبات يضاف اليها خمس لبات من لب البطيخ حتى اذا عاق نبات الشمام عائق عن النمو فلا تبقى الارض خالية غير مشغولة بشيء بل يحل البطيخ محلهُ وبعد ٤٠ يوماً من الزرع يضعون على بعد ٢٥ سنتمتراً من الحفر مخلوطاً من السماد والطين كما عملوا اولاً ولكن لا يكون في حفر بل تشق الارض شقوقاً بالفأس عمق الواحد منها ١٥ سنتمتراً ويوضع السماد داخلها ويغطى وذلك امر لا بد منهُ لتغذية النباتات ولانهُ بدونهِ لا يجود بل يقل طرحهُ كثيراً وحكمة عدم وضعهِ تحت الجذور او قريباً منها هو فقدان الارض لما فيها من قوة التماسك الضعيفة ولتعيير سير العصارة ونسبة المواد الغذائية بها تغييراً فجائياً بسبب ضعف النبات . وبعد الفراغ من هذا التسميد يخفون النباتات فلا يترك في كل بركة اكثر من نباتين احدهما يجيرونهُ على ضلع شبه المخرف والآخر على قاعدتهِ فيساعد ذلك النبات على النمو الجيد لانهُ يجد المسافة الكافية لنموهِ وكذلك يمنع الهواء من نقل رمل الضلع المائل لشبه المخرف الى قاعدتهِ فيميت الزرع او يضعفهُ ولا يروى الزرع مطلقاً لان الرمل يحفظ الرطوبة الخفيفة الموافقة لنمائهِ مدة حياتهِ وذلك بفضل ارتفاع منسوب الماء الملح لانهُ لولا ذلك لنافست المياه العذبة المضافة الى الطبقات السفلى التي لا يمكن للجذور الوصول اليها فتصير الارض جدباء لا تنبت الا نكدا

الجني — يجنى بعد ثلاثة شهور من زرعهِ ويستمر في الجني مدة تختلف من شهر الى شهرين وذلك بحسب النوع المزروع

انواع الشمام

المشوري — هذا النوع احلى الانواع مذاقاً في هذا الوقت وماؤهُ كثير وهو مستطيل كالباسوس غير انهُ اصغر منهُ في الحجم ولهُ الوان كثيرة ولكن الغالب فيهِ الاخضر الفاتح

ولحمهُ تام وجلدهُ املس غير مضلع

الشهابي — يقرب جداً في الحلاوة من المنسوري ولهُ رائحة ذكية شكلهُ اصفر غالباً وجلدهُ شبكي رفيع جداً ولحمهُ اخضر ووزنهُ ثقيل

الشهد — كالشهابي في كل شيء غير ان جلدهُ تام غير شبكي ولهُ الوان كثيرة احمر فاتح واصفر ومخطط بخطوط قصيرة سوداء ويختلف كثيراً في الحجم قطر الصغرى منهُ ١٥ سنتي والكبرى ٣٥ سنتي وهو اكثر الانواع وجوداً

القاوون السناني — سمي بالسناني نسبة الى البلدة التي يزرع فيها وهو اقدم الانواع واكبرها حجماً واقلها حلاوة كروي الشكل شبكي الجلد قليل اللحم بالنسبة الى حجمهِ لونهُ احمر فاتح ذو ضلوع غير غائرة

الصعيدي — حجمهُ كبير يقرب من القاوون السناني غير ان شكلهُ مستطيل وضلوعهُ بارزة ولونهُ احمر وجلدهُ سميك ولحمهُ كذلك

الازميرلي — او الافرنجي — هذا النوع فاخر لحلاوتهِ غير انهُ لا رائحة لهُ وهو يختلف كثيراً في الحجم واللون فبعضهُ قطرهُ يقرب من عشرة سنتمترات وبعضهُ عشرون سنتمتراً وحبهُ كروي الشكل مجعد الجلد ولونهُ اما ابيض او اخضر او احمر ولكن الاحمر اكثر شيوعاً وجلدهُ سميك وصلب ولذلك يقيم طويلاً (من ستة شهور الى سنة) يخزنهُ بعض الناس في منازلهم هذه المدة ولحمهُ ناصع البياض

انواع البطيخ

الكنفراوي — اكثر الانواع زراعة وسمي بذلك نسبة الى كفر البطيخ حجمهُ كبير بيضاوي الشكل لونهُ اخضر ولكن اذا حفظ يأخذ في التغير الى الابيض وذلك من علامات استوائهِ جلدهُ غليظ غير مضلع ومحل الضلوع خطوط سوداء لحمهُ احمر وردي كثير الماء غير صلب يتفق وجود عروق بيضاء فيهِ غير قابلة للضغ ولكن ذلك نادر ومذاقهُ حلو لذيذ ويمكن حفظهُ مدة ستة وليهُ كبير

والكنفراوي ثلاثة انواع

(الاول) الشهابي نسبة لاول من زرعهُ وهو اخضر غامق وطولهُ اقل من عرضهِ ولا يمكث طويلاً وهو اقل انواع الكنفراوي حلاوة

(الثاني) الرشاوي نسبة كذلك لمن زرعهُ بيضاوي الشكل لونهُ ابيض ومخطط بخطوط خضراء ويمكث طويلاً وهو احسن انواع الكنفراوي

(الثالث) غس — مستطيل الشكل اخضر غليظ الجلد حلو المذاق وردي اللحم

الزرده — كروي الشكل مخطط بخط ابيض وخط اخضر

الديبي — كالكفراوي في الحجم واللحم غير ان جلده دائماً ابيض وغليظ جداً ولذلك يعيش سنة او اكثر ولا يزرع الا نادراً لعدم طلبه لسماكة جلده ولحمه حلو كالكفراوي

ومن الانواع الجيدة التي أدخلت زراعتها في تلك الجهة من مدة طويلة ونجحت الانواع الآتية

اليافاوي — متوسط الحجم ذو ضلوع بارزة ولونه اخضر خفيف جداً مستدير الشكل جلده رقيق احمر ارجواني صلب كثير المادة السكرية وهو اكثر الانواع طلباً ويزرع هنا بمقادير كبيرة وفوق ذلك فالوارد منه الى دمياط كثير جداً يصدر غالبه للبلاد المجاورة

المكاوي — كبير الحجم لونه اخضر غامق مستدير الشكل لحمه احمر وردي صلب كثير المادة السكرية جلده رقيق لا يمكث طويلاً ولذلك قل الوارد منه لتلفه في الطريق

الحجازي — متوسط الحجم بعضه مستدير الشكل تقريباً وبعضه مستطيل ظاهره اخضر ولحمه اصفر فاتح متوسط الحلاوة وقليل الوجود

واتماماً للموضوع ابين مقدار ما يصرف على الفدان والناتج منه . يؤجر الفدان من الحكومة بمبلغ ٢٧٥ قرشاً ثم يصرف عليه خمسمائة قرش اجرة لحت و يضاف اليه نحو عشرة ارادب زبل تجلب من الوجه القبلي ثمن الاردب مائة وعشرون قرشاً فيكون المجموع في المتوسط عشرون جنيهاً ويحصل منه من ٢٠ الى ٤٠ جنيهاً

هذا ما عرفته في زرع هذين النوعين بعد ان شاهدت بنفسي الارض وسمعت من افواه المزارعين ما استخلصت منه هذه المعلومات التي اتمنى ان يكثر انتشارها بين جميع المزارعين

محمد مختار الجمال

احد خريجي مدرسة الزراعة المصرية

القطن وصناعته

للسر تشارلس مكارا من مقالة له نشرت في جريدة التيمس

ان العمل الذي قسم لي منذ عشرين سنة الى الآن دعاني الى البحث في المسائل المتعلقة بالصناعة التي لها اليد الطولى في كساء الناس ولذلك اجبت طلب جريدة التيمس عن طيب نفس لاكتب لها مقالة عن صناعة القطن حاسباً ان الناس عامة يستفيدون اذا عرفوا كيف

ارتقت الصناعات الكبيرة وكيف تحل المسائل الهامة التي يُطلب حلها من وقت الى آخر

ولانكلترا شأن خاص في صناعة القطن لان تجارتها بهِ اوسع من تجارة غيرها من البلدان مع ان القطن نفسهُ لا يزرع فيها ويغزل القطن وينسج في ٢١ بلاداً اخرى ولكن كل بلدان العالم تشتري من المنسوجات القطنية الانكليزية . وثلث صادرات البلاد الانكليزية من المنسوجات والمغزولات القطنية

تاريخهُ القديم

عُرف القطن في بلاد الهند قبل التاريخ المسيحي بقرون كثيرة وهناك ادلة تدلُّ على ان الهند لم تكن بالوطن الوحيد لهُ بل انهُ كان ينمو برياً في كثير من البلدان الحارة كالصين ومصر وغيرهما من البلدان الافريقية . وكان القدماء يعرفون استعمال القطن لنسج المنسوجات وكان الهنود يستعملونهُ ويصنعون الثياب منهُ قبل المسيح بخمسة قرون . واشتغلت بلاد الهند بغزل القطن ونسجهِ وصبغهِ قبلما عرفت اوربا ذلك بأكثر من الفي سنة

وكذلك زرع القطن وغزل ونسج في مصر منذ زمن قديم جداً ولما كنت في مصر منذ عهد قريب رأيت الاولاد يشبعون القطن بانوال مثل الانوال القديمة

وكان نبات القطن معروفاً في بلاد الصين قبل التاريخ المسيحي ولكن الصينيين لم يكثروا من استعمالهِ ولذلك ذكر في القرن الخامس المسيحي ان ملكاً من ملوك الصين لبس حلة قطنية وقت تتويجهِ

وجود القطن في اميركا

والادلة قاطعة على ان القطن كان ينمو برياً في اميركا فلما كشفها كولمبس سنة ١٤٩٢ ولما ذهب كورتس لفتح المكسيك سنة ١٥١٩ اهدى اليهِ اهلها في جملة هداياهم اثواباً من القطن . وكان اهل المكسيك يلبسون الثياب القطنية . وواضح من ذلك انهم كانوا يزرعون القطن ويستعملونهُ والمظنون انهُ دخل الولايات الجنوبية من المكسيك

ادخال صناعة القطن الى اوربا

ادَّعت بلدان مختلفة انها هي الاولى في ادخال صناعة غزل القطن ونسجهِ الى اوربا فقد قال السنيور كلفت الذي كان نائباً عن اسبانيا في لجنة القطن الدولية في مؤتمر برشيلونة منذ سنتين ان اسبانيا اول بلاد اوربية اشتغلت بغزل القطن ونسجهِ . والمرجح انها كانت مركز صناعة القطن في اوربا منذ ٣٠٠ سنة . ولما قابل ملك اسبانيا جمعية القطن الدولية في

لمصر قال انهُ يخشى ان لا تسترد اسبانيا الشأن الذي كان لها في صناعة القطن فاجبت جلالتهُ قائلاً ان تاريخ الصناعة كثير التقلب فيستحيل علينا ان تنبيء بما يكون من امرها في مستقبل الايام . وتدعي ايطاليا انها هي التي ادخلت صناعة غزل القطن ونسجه الى اوربا ولما استقبل الملك فكتور عمانوئيل لجنة القطن الدولية سنة ١٩٠٩ في قصر الكوربنال قال ان القطن كان يزرع بكثرة في البلاد التي حول رومية وفي جنوب ايطاليا . وكيفما كانت الحال فمن المعلوم ان غزل القطن ونسجهُ كانا في اوربا منذ قرون مضت وان الفضل في ادخالها اليها راجع الى المسلمين

ولا اطيل الكلام في هذه المباحث التاريخية مع ما فيها من الطلاوة بل انتقل الى العصور الحديثة وانما اقول انهُ لما كان عرب اوربا آخذاً في الانتقال من الحالة الاقطاعية الى الحالة الحاضرة كان بعض القطن ينسج باليد في بلدان مختلفة ولكن منسوجاته كانت غالية الثمن لا يستطيع ابتياعها الاَّ اهل السعة

الصناعة الحديثة

ابتدأت صناعة القطن في النصف الاخير من القرن الثامن عشر ونبغ فيها رجال اخترعوا المخترعات الكبيرة مثل كاي وار كريط وهارغريفس وكرمبتن (وكلهم من الانكليز) فرخصت بها المنسوجات القطنية وصارت افضل المنسوجات وارخصها

والبلاد التي اخترعت هذه المخترعات في تلك المدة الوجيزة استفادت منها طبعاً . والآلات التي صُنعت في انكلترا اولاً استُعملت في انكلترا اولاً وانتشرت مصنوعاتها في اسواق الدنيا وكثر الطلب عليها قبلما انتبهت سائر البلدان الى ما حدث في صناعة الغزل والنسج من التقدم العظيم . فان الاخبار لم تكن تنتشر سريعاً في القرن الثامن عشر وكانت بلدان اوربا في ذلك العصر مهتمة بقصف المدافع وصلصلة السيوف اكثر من اهتمامها باصوات الانوال وقد اخبرنا نائب سويسرا سنة ١٩١٠ ان بلاده كانت تناظر انكلترا في المصنوعات القطنية منذ مئة سنة

وكان القطن يرد الى انكلترا في اول الامر من جزائر الهند الغربية وحتى سنة ١٧٩٠ لم يصدر زارعو القطن في الولايات الاميركية الجنوبية سوى ٣٠٠ بالة وزن كل منها ٥٠٠ ليبرة وسنة ١٨٠٠ بلغ ما اصدروهُ ٣٦٠٠٠ بالة ومن ثم جعل القطن الصادر الى اوربا يزيد سنة بعد سنة وبقي السبق للانكليز في تناول هذا الصادر ولو حاول غيرهم مباراتهم في هذا المضمار

الموسم الاميركي

ويرى من الجدول التالي كيف زاد موسم القطن الاميركي منذ نحو مئة سنة الى الآن

الموسم	المقدار	
موسم سنة ١٨٢٦ — ١٨٢٧	٩٥٧٢٨١	بالة كل منها ٥٠٠ ليبرة
« « ١٨٥٠ — ١٨٥١	٢٤١٥٢٥٧	« « «
« « ١٨٦ — ١٨٦١	٣٨٢٦٠٨٦	« « «
« « ١٨٧٠ — ١٨٧١	٤٣٥٢٣١٧	« « «
« « ١٨٨٠ — ١٨٨١	٦٥٨٩٣٢٩	« « «
« « ١٨٩٠ — ١٨٩١	٨٦٥٥٠١٨	« « «
« « ١٩٠٠ — ١٩٠١	١٠٤٢٥١٤١	« « «
« « ١٩١٠ — ١٩١١	١٢١٣٢٠٠٠	« « «
« « ١٩١١ — ١٩١٢	١٦٠٤٣٠٠	« « «

وكان مقدار الموسم يختلف من سنة الى اخرى زيادة او نقصان ومن المواسم الناقصة الموسم الحاضر فانهُ سينقص عن الموسم الماضي مليون بالة وثلاثة ارباع المليون على ما يقدر الآن والموسم الماضي كان اكبر موسم جني من اميركا حتى الآن · ولكن اذا حسبنا المواسم عشر عشر سنوات رأينا الزيادة مضطردة فيها · وحدث تغير كبير في الاسعار ايضاً وكان لهذا التغير تأثير كبير في نجاح صناعة القطن فمنذ عهد غير بعيد انخفض ثمن الليبرة من القطن الاميركي الى ثلاثة بنسات وارتفع الى تسعة · وسعر القطن الاميركي متحكم في اسعار القطن في الدنيا لانهُ خمسة اثمان القطن الذي يستعمل من المسكونة كلها فاذا فرق السعر ربع غرش في الليبرة بلغ الفرق في ثمن القطن كلهِ عشرين مليون جنيه

ولا يصلح ان يعلو السعر كثيراً ولا ان يهبط كثيراً وشر الامور ان يعلو او يهبط فجأة بالمضاربة

الموسم المصري

ان الحرب الاهلية التي تأججت نارها في الولايات المتحدة منذ خمسين سنة كانت من اشد الضربات على المشتغلين بصناعة القطن فاشتدَّ بهم الضيق ولكن تلك البلية مثل كل البلايا التي يعقبها الفرج ويأتي منها النفع ومن منافعها انها دفعت المصريين الى الاكثار من زرع القطن بما رأوهُ من الارتفاع الفاحش في سعرهِ واستمروا فيهِ هذا المضمار من ذلك الحين ·

ويرى تزايد الموسم المصري من الجدول التالي

موسم سنة ١٨٦٦ — ١٨٦٧	١٦١١٢٨	بالة وزن كلٍّ منها ٧٠٠ ليبرة
« « ١٨٧٦ — ١٨٧٧	٣٦٢٥٧٥	« « « «
« « ١٨٨٦ — ١٨٨٧	٤١٨٨١٣	« « « «
« « ١٨٩٦ — ١٨٩٧	٨٣٩٩٦١	« « « «
« « ١٩٠٦ — ١٩٠٧	٩٢٦٠٠٠	« « « «
« « ١٩١٠ — ١٩١١	٩٨٤٠٠٠	« « « «

والتوسع السريع في زراعة القطن المصري كان من حسنات الدهر لصناعة القطن الانكليزية . فان الآلات التي اخترعها المخترعون الانكليز تحسنت كثيراً على توالي الايام واستنبط المحدثون اموراً لم تخطر على بال المتقدمين . والآن صار يمكن ان تغزل خيوط القطن دقيقة كخيوط الحرير والفضل في ذلك لدقة الياف القطن ولاسيما القطن المصري ولدقة الآلات واتقانها

لما ذهب نواب اتحاد اصحاب معامل القطن الى القطر المصري في الخريف الماضي ممّا سمعوهُ من المستر لورنس بولز العالم النباتي في الحكومة المصرية وهو « ان مصلحة الغزالين ان يخبروا النباتيين عن الصفات التي يطلبونها في القطن وعمل النباتيين ان يوجدوا تلك الصفات » . فالنباتي يوجد الصفات اللازمة والميكانيكي يصنع الآلة التي تنسج ادق الخيوط والغزال يغزل الخيوط التي يطلبها النساج دقيقة كانت او غليظة

ولانكلترا سهم كبير من المغزولات الدقيقة فان مغازلها تغزل نصف القطن المصري ويبقى النصف الآخر لمغازل سائر البلدان . والغزل الذي يغزل من القطن المصري لا يتم غزلهُ الاَّ بعد عمل كثير ولذلك تغزل مغازل انكلترا من القطن اقل مما تغزل غيرها فاذا اريد اعتبار المغازل بنسبة فائدتها وجب ان لا يبني الحكم على وزن ما تغزلهُ من القطن لئلاَّ يكون مثل من يقدّر قيمة المعمل الذي يصنع زنبلكات الساعات بنسبة وزنها الى وزن قضبان الحديد التي يصنعها معمل آخر

القطن الهندي

ويتلو القطن الاميركي في كبر موسمهِ القطن الهندي ويظهر من الجدول التالي مقدار هذا القطن وازديادهُ سنة بعد سنة

موسم سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧	٢٦٥٧٠٠٠	بالة وزن كل منها ٤٠٠ ليبرة
« « ١٨٩٦ — ١٨٩٧	٢٩٩٩٠٠٠	« « « «

موسم سنة ١٩٠٦ – ١٩٠٧ .... ١٩٧٠٠٠ بالة وزن كل منها ٤٠٠ ليبرة
" " ١٩٠٩ – ١٩١٠ .... ٣١٧٠٠٠ " " " " "

وينتظر ان يبلغ الموسم الحالي ٦ ملايين بالة والامل بازدياده في السنين القريبة اشد من الامل بازدياد موسم القطن في اية بلاد اخرى . والآن لا تستعمل بريطانيا الأجزاء صغيراً من القطن الهندي اقل من نصف ما تستعملهُ فرنسا منهُ واقل من خمس ما تستعملهُ المانيا منهُ . واذا صلح نوعهُ فمن المحتمل ان تتغير الحال كثيراً . ولكن كوننا لا نأخذ الا القليل من موسم الهند لا يدلُّ على انهُ غير مهم لنا لان البلدان التي تعتمد عليهِ مثل المانيا والنمسا وايطاليا وتنزل الغزل الثخين يقلُّ طلبها القطن الاميركي الذي نأخذ منهُ خمسة اسداس مقطوعية معاملنا

ان اكثر القطن ينتج من البلدان المذكورة آنفاً وينتج ما بقي من غيرها ولكنهُ قليل جدًّا . ثم ان جمعية زرع القطن الانكليزية مهتمة بزرعهِ في المستعمرات والبلدان التابعة للامبراطورية الانكليزية ومن جملة اعمالها انها حملت الحكومة تضمن ربا ثلاثة ملايين من الجنيهات تنفق في السودان لاجل زرع القطن فيهِ بعد ان ثبت انهُ من اصلح البلدان لذلك . وقد انتدت حكومات اخرى بالحكومة الانكليزية ولكن لا يزال العمل في بداءتهِ

موسم القطن في العالم

يقدر متوسط محصول القطن السنوي في العالم الآن بعشرين مليون بالة وزن البالة منها ٥٠٠ ليبرة (نحو خمسة قناطير مصرية) او ثلاثة اضعاف المحصول كما كان منذ اربعين سنة ولكنهُ لا يزال قليلاً تجاه ما يحتاج اليهِ الناس الآن وما سيحتاجون اليهِ بزيادة السكان واتساع نطاق العمران

واذا شاءت انكلترا ان تحفظ ما لها من السبق في صناعة القطن فلا بدَّ لها من ان تساعدها سن القوانين المعقولة التي تنشط هذه الصناعة ولا تضعفها وبتقوية اسباب التجارة على مبدإ الصداقة واشتراك المصالح والتوفيق بين العمال واصحاب الاموال وعمل الاعمال اللازمة لزيادة كمية القطن والتصرُّف في كل المسائل الضرورية لهذه الصناعة بشيرة وطنية . ويجب على العمال واصحاب الاعمال ان يقوموا بما يطلب منهم بالهمة والمهارة والاقتصاد في النفقات . وهذه الشروط ضرورية كلها لحفظ هذه الصناعة عندنا واتساعها لاننا نصدر ثلاثة ارباع مصنوعاتنا القطنية . والفرق بيننا وبين اميركا كبير جدًّا من هذا القبيل لان اميركا لا تصدر الأخمسة في المئة من كل مصنوعاتها القطنية

صناعة القطن في اميركا

ان الاحصاءات التالية منقولة عن تحقيقات الاتحاد الدولي لارباب معامل القطن ففي الجدول الاول ازدياد عدد المغازل في بلاد الانكليز منذ تسع سنوات الى الآن ولم تذكر فيه مغازل الثنية ولا مغازل النفاية لانها لا تغزل قطناً خاماً

سنة ١٩٠٥	٤٦ ٠٠٠ ٠٠٠ مغزل
« ١٩٠٦	٤٧ ٥٠٠ ٠٠٠ «
« ١٩٠٧	٥٠ ٦٧٠ ٦٤١ «
« ١٩٠٨	٥١ ٩٧٦ ٦٥٠ «
« ١٩٠٩	٥٣ ٣١١ ٦٣٠ «
« ١٩١٠	٥٣ ٧٢٩ ٩٨٣ «
« ١٩١١	٥٣ ٨٥٩ ٢٤٧ «
« ١٩١٢	٥٥ ١٦٤ ٧٩٤ «
« ١٩١٣	٥٥ ٥٧٦ ١٠٨ «

والثاني يتضمن عدد المغازل في البلدان المختلفة ومجموعها ١٤٢٠٠٠٠٠٠ وهي

بريطانيا	٥٥ ٥٧٦ ١٠٨
المانيا	١٠ ٩٢٠ ٤٢٦
روسيا	٨ ٩٥٠ ٠٠٠
فرنسا	٧ ٤٠٠ ٠٠٠
الهند	٦ ٤٠٠ ٠٠٠
النمسا	٤ ٨٦٤ ٤٥٣
ايطاليا	٤ ٥٨٠ ٠٠٠
اسبانيا	٢ ٢٠٠ ٠٠٠
اليابان	٢ ٢٥٠ ٠٠٠
سويسرا	١ ٣٩٨ ٠٦٢
بلجيكا	١ ٤٦٨ ٨٣٨
اسوج	٥٢٩ ٧٧٣
البرتغال	٤٨٢ ٠٠٠

هولندا	٤٧٠ ٩٥٦
الدنمارك	٨٦ ٨٣٦
نروج	٧٤ ٥٦٤
الولايات المتحدة	٣٠ ٥٧٩ ٠٠٠
كندا	٨٥٥ ٢٩٣
المكسيك وبرازيل وغيرها	٣ ١٠٠ ٠٠٠

وقد زاد النسج في بلاد الانكليز على نسبة زيادة الغزل مثلما زادت المغازل فزادت الانوال فكان عدد الانوال ٦٦٠٠٠٠ سنة ١٩٠٥ فبلغ ٧٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢

زراعة التبغ في القطر المصري

اينا في الجزء الماضي انهُ لا بدَّ للقطر المصري من الاعتماد على زراعات اخرى مع القطن يمكن اصدار محصولاتها بسهولة وتكون سوقها رائجة في الدنيا ويمكن زرع اطيان كثيرة منها وتكون قيمة محصول فدانها مساوية لمحصول فدان القطن · وان الحاصلات التي تتوفَّر فيها هذه الشروط قليلة وهي الكتان وقصب السكر والتبغ وقد تكلمنا على الكتان وقصب السكر في الجزء الماضي وبقي الكلام على التبغ

قدرت غلة التبغ في الدنيا سنة ١٩٠٥ بنحو ٢١٧٥ مليون ليبرة (رطل) وهي حاصلة من البلدان المختلفة كما ترى في هذا الجدول

اميركا الشمالية	٧٣١ ٤٩٢ ٠٠ ليبرة
اميركا الجنوبية	« ١٠٨ ٥٧٥ ٠٠٠
اوربا	« ٦٣٠ ١٣٣ ٠٠٠
اسيا	« ٦٩٠ ١٦١ ٠٠٠
افريقية	« ٠٢٣ ٣٤٦ ٠٠٠
استراليا وفيجي	« ٠٠١ ٤٨٦ ٠٠
والجملة	٢ ١٧٥ ١٩٣ ٠٠

وقدرت سنة ١٩١٠ بنحو ٢٧٥٦ مليون ليبرة هكذا

الولايات المتحدة الاميركية	١١١٣٤٠٠٠٠٠
الهند الانكليزية	٠٤٥٠٠٠٠٠٠٠
روسيا	٢٠٧٠٠٠٠٠
النمسا والمجر	١٨٤٨٠٠٠٠
املاك هولندا في الشرق	١٢٨٦٠٠٠٠٠
اليابان	٠٩٢٧٠٠٠٠٠
برازيل (الصادر منها)	٠٧٥٣٠٠٠٠٠
المانيا	٠٦٣٦٠٠٠٠٠
تركيا في اوربا	٠٤٩٢٠٠٠٠٠
كوبا	٠٤٦٠٠٠٠٠٠
سنت دومنو	٤٢٠٠٠٠٠
جزائر فيلبين (١٩٠٩)	٤٠٢٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٦٤٠٠٠٠٠
المكسيك	٣٤٧٠٠٠٠٠
بقية البلدان	١٩٨٤٠٠٠٠٠
والجملة	٢٧٥٦٠٠٠٠٠٠

والمرجح ان هذا الاحصاء اقل من الحقيقة اي ان التبغ الذي يستعمل في الدنيا سنوياً الآن يبلغ نحو ثلاثة آلاف مليون رطل مصري او اكثر . وقد كان المتوسط السنوي بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٠٩ نحو ٢٤٢٣ مليون رطل فالزيادة السنوية اكثر من مئة مليون رطل الى مئة وثلاثين مليوناً فاذا زادت زراعة هذا الصنف حتى زاد المحصول مئة مليون رطل لم تؤثر هذه الزيادة تأثيراً يذكر في المطلوبية ويمكن ان تستمر الزيادة اربع سنوات متوالية حتى تبلغ اربع مئة مليون رطل . واذا فرضنا ان متوسط غلة الفدان في القطر المصري الف رطل فالاربع مئة مليون رطل تقتضي اربع مئة الف فدان اي ان هذا الصنف من المزروعات يحتمل ان يزرع في القطر المصري حتى يبلغ زمام زراعته فيه اربع مئة الف فدان ولا يزيد على المطلوبية

واذا فرضنا ان التبغ زرع في هذا القطر حتى بلغت زراعته اربع مئة الف فدان وأصلح

حتى يغني عن التبغ التركي واليوناني الواردين الى هذا القطر وهما نحو عشرين مليون رطل في السنة باكثر من مليون جنيه توفّر القطر المصري اكثر من مليون جنيه يدفعها ثمن التبغ الوارد اليهِ وامكنهُ ان يبيع بقية محصولهِ نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات اذا فرضنا ثمن الرطل ثلاثة غروش فقط

والامر المهم في ذلك كلهِ ان يكون التبغ المصري جيداً كالتبغ التركي . وهذه مسألة يحلها علماء النبات بالبحث والامتحان لانهُ اذا جاء قليل الخواص اللازمة للتبغ الجيد كما كان قبل ان ابطلت زراعتهُ فلا يمكن تصديرهُ وبيعهُ . فعلى الحكومة ان تهتم بهذه المسألة اي بامتحان زراعة الانواع المختلفة من التبغ عساها ان تصل الى الغرض المطلوب

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد منزلية

اذا علّق اللحم في مجرى الهواء حتى جفّ فذلك اصلح لبقائهِ سليماً في زمن الحرّ من وضعهِ في صحن وماؤُهُ تحتهُ . وعلى كل حال لا يجوز وضعهُ في مكان فيهِ آثار لحم قديم منتن لئلا يتصل الفساد اليهِ حالاً ولاسيما في زمن الحر

العليات التي يوضع فيها اللحم لكي لا يصل اليهِ النمل يجب ان تنظف من آثار اللحم من وقت الى آخر لان الآثار التي تبقى فيها تفسد ويتصل الفساد منها الى اللحم الجديد حالاً

اذا اغليت اللحم المملح في الماء او اذا زدت الملح في مرق اللحم خطأً فضع فيهِ جزرتين او ثلاثاً الى ان يبرد فان الجزر يمتص الملح الزائد ويصير المرق صالحاً لان تصنع منهُ الشوربا

اذا صعد الدخان من قنديل البترول فالغالب ان يكون السبب ان فتيلتهُ قديمة وقد جف الزيت فيها فانزعها وابدلها بفتيلة جديدة او اغسلها بالماء السخن والصودا حتى تنظف من آثار الزيت فلا يعود الدخان يخرج من القنديل

الاحذية الجديدة تكون نعالها صقيلة يزلق من يمشي بها فاذا لبست حذاءً جديداً

فاترك نعله بالصنفرة (الورق الرملي) او بمبرد حتى يخشن ولا يزلق الطفل حينما يمشي به

اذا رسبت الرواسب في ابريق الشاي وكان من الفضة واردت تنظيفهُ فضع فيهِ قطعة من كربونات الصودا واملأهُ بالماء الغالي وضعهُ على قنديل السبيرتو واتركهُ يغلي قدر ساعة فينظف داخلهُ جيداً

غرائب هدايا العرس

لما تزوجت ابنة داربوس اغدن ملس المثري الاميركي بارل غرانارد اهديت اليها هدايا بلغت قيمتها مئة الف جنيه وفي جملتها بيت من جدها وعشرون الف جنيه . ولما تزوجت ابنة صاحب النوفي فرميا الجريدة الروسية المشهورة اهدى اليها ابوها دخل صفحة من صفحات جريدته مخصصة لنشر الاعلانات يبلغ ريعها السنوي ثلاثة آلاف جنيه . واهدى المستر هنري هوجسن الاميركي الى ابنتهِ الكبرى ولما تزوجت ثقلها ذهباً والى ابنتهِ الثانية ثقلها فضةً

وقد اخذ الناس الآن يستعفون من قبول هدايا العرس لانهم وجدوها عبئاً ثقيلاً على اصدقائهم وقال بعضهم ان الهدايا يجب ان تهدى من العريس والعروس الى اصدقائهما اظهاراً لفرحهم لا ان تهدى من الاصدقاء اليهما

وفيات الاطفال

مما يستوقف النظر في اخبار الحكومة المصرية كثرة الوفيات في اشهر الصيف فانها تزيد على المواليد فاذا بلغ عدد المواليد في القاهرة ٦٠٠ في الاسبوع بلغ عدد الوفيات سبعمئة او حواليها وهذا اسراف فاحش في حياة السكان وكان الواجب ان يقل عدد الوفيات عن عدد المواليد في كل شهر من شهور السنة واذا دققنا النظر وجدنا ان زيادة الوفيات حادثة من كثرة وفيات الاطفال في اشهر الصيف ولا يبعد ان يموت في العاصمة كل سنة عشرة آلاف طفل من الاطفال الذين لو اعتني بهم الاعتناء الواجب لعاشوا وطلبوا الخدم فهذه خسارة فادحة سببها الاكبر الجهل والفقر وسببها المباشر الاسهال الذي يصيب الاطفال .

ويحسن ان ننقل هنا ما ذكرهُ المرحوم الدكتور ورتبات في هذا الشأن في كتابهِ كفاية العوام قال

« يجب ان يخرج الطفل ثلاث مرات او اربعاً في اليوم وان يكون برازهُ ليناً اصفر اللون

خالياً من الرائحة النتنة والحامضة . واما الاسهال فيهم فاغلب اسبابهِ التسنين والمواد المخرّبة في الامعاء كالطعام غير المهضوم والدود. وكثيراً ما يصحبهُ القيء والريح والمغص الذي يستدل عليهِ من بكاء الطفل وقبض رجليهِ نحو بطنهِ عند حدوث الألم . ومتى كان البراز اصفر كان الاسهال بسيطاً . ومتى كان اخضر ورائحتهُ حامضة ومعهُ كتل بيضاء متجمدة من اللبن الذي لم يهضم او مخاط فذلك يدل على تهيج معوي . وان كان ابيض فتكون الكبد غير عاملة . ومتى كان هناك مخاط ودم فيكون الاسهال من النوع الدوسنطاري

« العلاج . القاعدة الغالبة عدم قطع الاسهال دفعة واحدة ولاسيما في مدة بروز الاسنان لانهُ يكون حينئذٍ مفيداً . فان كان الاسهال خفيفاً ولون البراز طبيعياً فالاولى تركهُ . وان كان شديداً فيعطى من نصف ملعقة صغيرة الى ملعقة من زيت الخروع لاجل تنظيف الامعاء من المواد المخرّبة . وان كانت رائحتهُ حامضة فيعطى مقادير صغيرة من المغنيسيا او ماء الكلس وان تعسر هضم الحليب بكثرة وكان الاسهال مفرطاً يُبدَل الحليب بمرق اللحم او الدجاج بعد نزع الدهن من سطحهِ . ومن انسب الادوية واسلمها عاقبة في جميع انواع الاسهال الحاد مسحوق غريغوري الانكليزي وهو مركب من الراوند والمغنيسيا والزنجبيل فيعطى منهُ من قمحتين الى ثلاث كل ساعتين او اربع ساعات الى ان يصير البراز طبيعياً . وان كانت اللثة وارمة فتشق . واذا طال الاسهال ووجب قطعهُ فمن الادوية البسيطة الفعالة كربونات البزموت يعطى منهُ من قمحتين الى خمس قمحات كل ثلاث ساعات »

Proceedings of the Fifth international Congress of Mathematicians.

اعمال مؤتمر الرياضيين الخامس

عقد هذا المؤتمر في مدينة كمبردج ببلاد الانكليز في شهر اغسطس الماضي برئاسة السر جورج داروين وقد نشرت لجنة تنظيمهِ ملخص جلساتهِ والمحاضرات التي القيت فيهِ في مجلدين كبيرين وفيهِ الخطبة الوجيزة التي افتتحهُ بها السر جورج داروين فابّن صديقهُ رياضي عصرهِ هنري بوانكاره ثم لحق بهِ بعد اشهر قليلة . ويلي ذلك محاضرات الاعضاء وهي

بلغات مختلفة اكثرها بالانكليزية ولكن بعضها بالفرنسوية والالمانية والايطالية وغيرها من لغات اوربا واكثرها في مواضيع رياضية عويصة جداً ولكن بعضها في مواضيع عمومية لا يصعب على غير الرياضيين فهمها مثل خطبة السر وليم هوبت التي موضوعها محل الرياضيات من الاعمال الهندسية . ومما رأيناهُ في هذين المجلدين محاضرة القاها حضرة المهندس الرياضي فريد بك بولاد في هذا المؤتمر وقد شرح فيها طريقة مبتكرة مبنية على المتطابقة الدوالية ويمكن ان تجرى بها عملية انفصال المتغيرات في المعادلات التي فيها اربعة متغيرات من اية رتبة كانت ويمكن بيانها بأباك او نوموغرام مزدوج الخطين . وبيّن تطبيق طريقته المذكورة على المعادلات ذات الرتبة السادسة والشكل الام المحتوي على قوانين كثيرة مما يقع في علم السائلات . وقد اشار فيها الى حساب سرعة جريان المياه في الترع المبين بأباك في الشكل الثالث من الاطلس المحتوي على اشكال المسيو وولف مدرس الرياضيات في مدرسة المهندسخانة سابقاً . كما رأينا لهُ مقالات شتى في بعض المجلات الرياضية وهي تدل على انهُ من النوابغ في العلوم الرياضية وتطبيقها على الامور العملية

قاموس عربي انكليزي

Arabic English Dictionary.

للمرحوم وليم ورتبات الذي كان استاذ الانكليزية في المدارس المصرية قاموس عربي وانكليزي مسهب عني بتنقيحه والدهُ المرحوم الدكتور يوحنا ورتبات والاستاذ هرفي بورتر وطبع اولاً في مطبعة المقتطف في مصر ولما نفدت نسخهُ اعيد طبعهُ في بيروت وقد نقّحهُ الاستاذ بورتر الآن وزاد فيهِ مئات من الكلمات والتعاريف الجديدة وطبعهُ طبعة ثالثة في بيروت فجاء غزير المادة محكم الوضع والطبع لا يستغني عنهُ الذين يريدون الترجمة من العربية الى الانكليزية

التقرير السنوي لدار العلم السمثسونية

Annual Report of the Smithsonian Institution 1911.

اهدي الينا هذا التقرير النفيس لسنة ١٩١١ وفيهِ مقالات كثيرة بأقلام مشاهير العلماء مثل مركوني ورمزي وجولي ومكنامارا واوديبون وملّك ولوجندر وغيرهم وهي في

المواضيع التي اختص بها اولئك العلماء فمقالة مركوني عن التلغراف اللاسلكي ومقالة رمزي عن آراء المتقدمين والمتأخرين في العناصر ومقالة جولي عن عمر الارض

ومما جاء في مقالة الاستاذ جولي ان مقدار الملح الموجود في ماء البحار كلها يمكن معرفته بالتقريب ويمكن ان يعرف ايضاً مقدار الماء الذي تصبهُ الانهار في البحار سنوياً وما فيهِ من الملح فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحار على مقدار الملح الذي يدخلها سنوياً مع مياه الانهر فالخارج يعادل عدد السنين من حين تكوَّنت بحار الارض الى الآن وقد وجد السر جون مري هذا العدد ٩٩ مليوناً واربع مئة الف سنة ثم اصلح الاستاذ جولي الحساب فوجد ان عمر البحار يقع بين ثمانين مليون سنة وتسعين مليون سنة · وبعد بحث طويل في هذا الموضوع وصل الاستاذ سولاس الى ان عمر البحار بين ثمانين مليون سنة و ١٥٠ مليون سنة

وطرق الاستاذ كلارك هذا الموضوع من جهة اخرى وهو مقدار ما تجرفهُ الانهر سنوياً من طبقات الارض وما في هذا المجروف من الصوديوم ثم قسم ما في ماء البحر من الصوديوم عليهِ فبلغ عدد السنين ثمانين مليوناً و ٧٢٦ الف سنة

مطبوعات اخرى

المسامرات الادبية — في اخلاق الامة وعللها الاجتماعية من انشاء ابرهيم افندي مصطفى الوابلي من معاوني الادارة طبع بمطبعة الشرق شارع الجامع الاحمر بمصر

اسباب هزيمة الجيش العثماني والارنؤوط — بقلم اليوزباشي احمد حمدي قائد البلوك الاول من الاي مدفعية الصحراء الحادي والعشرين التابع للفيلق العثماني السابع وقد ترجمها الى العربية حضرة محب الدين افندي الخطيب

نشوء فكرة الله — وهي خلاصة كتاب لجرانت الن الكاتب الانكليزي المشهور استخلصها سلامه افندي موسى مؤلف مقدمة السبرمان

رأينا كتاب جرانت الن حينما طبع فوجدنا فيهِ ما يمجهُ الذوق ولم يخطر ببالنا ان احداً يترجمهُ الى العربية او يلخصهُ بها · وجرانت الن كاتب مشهور ولكنهُ ليس من اهل التحقيق حتى يؤْخذ قولهُ واستنتاجهُ حجة ولاسيما اذا خالف كبار المحققين

عزة الامس وذلة اليوم — خطبة القاها حضرة الحاج ميرزا محمد رحيم من اهالي طلبه من توابع باكو في النجف الاشرف في محضر المجتهدين وعامة الاهلين باللغة الفارسية وترجمها حضرة الشيخ محمد ابن الشيخ مهدي الكاظمي وطبعت في مطبعة الولاية ببغداد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهر من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) لغة الاسفار الكروزية

بورت سعيد . مينا افندي راغب . ما قولكم في كتاب اللغة البستانية في الاسفار الكروزية ترجمة المعلم بطرس البستاني اذ شرعت اليوم في قراءته واريد ان ادفعهُ بعد تدبر الى ابنتي وهي في الثالثة عشرة من عمرها لتطالعهُ وهل ترون اسلوبهُ الانشائي العربي مما يحسن ان ينسج على منواله الطالبات

ج . قرأنا هذه الترجمة منذ نحو خمسين سنة ولم نرها بعد ذلك ولا نتذكر ان فيها شيئاً لا تليق بالبنات مطالعتهُ . وليس لدينا نسخة منها الآن لننظر في لغتها ولكننا نرجح ان لغتها حسنة لاننا لا نزال نتذكر بعض الاشعار التي قرأناها فيها وقلما يستشهد بالاشعار من ليس لهُ المام باللغة . ثم ان الكتب التي كانت تترجم وتطبع في ذلك العهد كانت تنقح غالباً قبل طبعها . ويظهر لنا من لغة سؤالكم انهُ لا يصعب عليكم الحكم في لغة الكتاب فان كان انشاؤهُ مثل انشائكم فهو مما يحسن ان ينسج البنات على منواله

(٢) نفقات المدارس الابتدائية

اسيوط . صموئيل افندي عبد الملك . صدر الامر الى مجالس المديريات بتخصيص ٣٠ في المئة من مال التعليم بقصد صرفها على المدارس الابتدائية وما فوقها . فما مقدار هذه القيمة وهل هي كافية لحاجة تلك المدارس وخصوصاً مدارس المعارف التي ستتولى امرها قريباً

ج . نرجح ان المبلغ الذي يخص المدارس الابتدائية وما فوقها لا يقل عن مئتين الف جنيه في السنة واذا جرت مجالس المديريات سيه انفاقها على ما تجري عليه فرنسا كفى هذا المبلغ لتعليم ٣٨٠٠ تلميذ وتلميذة لان نفقة تعليم التلميذ في مدارس فرنسا الابتدائية والعالية نحو ١٦ جنيهاً في السنة فقد كان عدد التلامذة في تلك المدارس منذ سنتين ١٠٢٠٦٣ والمال المقطوع لها ٤٤ مليون فرنك . ثم ان التعليم عندنا ليس مجانياً واكثر التلامذة يدفعون اجرة تعليمهم فاذا فرضنا ان النصف يدفعون

والنصف لا يدفعون وجب ان يكفي هذا المال لتعليم ٧٦٠٠ تلميذ اي لاقل من عشر التلامذة الذين يتعلمون الآن في المدارس الابتدائية في القطر المصري او نحو سبع التلامذة في المدارس المصرية الابتدائية ولذلك لا بدَّ لنظارة المعارف وديوان الاوقاف من ان يستمرا على الانفاق على المدارس الابتدائية

(٣) خسارة سك الذهب

ومنهُ . يقال ان انكلترا تخسر سنويا من ضربها العملة الذهبية كالجنيه الانكليزي المنتشر في معظم الممالك فكيف ذلك وما هي الفائدة الناتجة لها

ج . ليس من سك النقود الذهبية الانكليزية شيء من الخسارة بل منها شيء من الربح فان لكل احد حقًّا ان يعطي دار الضرب رطلاً من الذهب مثلاً ويأخذ بدلاً منهُ رطلاً من الجنيهات وكل ٢٢ رطلاً من الذهب يضرب منها ٢٤ رطلاً من الجنيهات اذ يضاف اليها رطلان من النحاس . ولكن دار الضرب تخسر من اعادة ضرب انصاف الجنيهات فان هذه تبرى بالاستعمال فيقل وزنها قليلاً والحكومة الانكليزية مضطرة ان تستردها بقيمتها الاصلية وتصهرها وتعيد ضربها وخسارتها من ذلك غير قليلة

(٤) عدد الاصوات المقطعية

مديات . كم عدد الاصوات المقطعية او الحروف المختلفة التي يلفظها البشر في لغاتهم

ج . لا نعلم ان احداً احصاها وليس احصاؤُها بالامر السهل ولو في اللغات المعروفة كالعربية والفرنسوية فان الحرف الواحد الذي نظن ان لهُ صوتًا واحداً كالالف والباء والتاء لهُ اصوات كثيرة حسب الحروف التي تتصل بهِ والحال كذلك في سائر اللغات حتى ان لسان الفونوغراف الذي يرسم اصوات الحروف فلا يرسم شكلاً واحداً لحرف الواحد في كلمات مختلفة . ثم ان لغات المتوحشين لم تكتب كلها حتى الآن ولا حصرت اصواتها كلها ولو بالتقريب

(٥) مؤسس ديار بكر

ومنهُ . هل يعرف بالتحقيق من هو مؤسس مدينة آمد او ديار بكر

ج . لا نعلم والقدم ما نعرفهُ انها جعلت كولونيا رومانية سنة ٢٣٠ للمسيح باسم آمدا والمع عليها اسقف مسيحي سنة ٣٢٥

(٦) اصل الابجر ملك الرها

ومنهُ . الى اية امة يحسب المؤرخون المحققون الملك الابجر ملك الرها

ج . لما ضعف شأن الملوك السلوقيين كثر العرب في بلاد الجزيرة (ما بين النهرين) وقد ظن فون غتشمت ان دولة الاباجرة نشأت هناك سنة ١٣٢ قبل المسيح في عهد

اطيوخس السابع وجعلوا الرها عاصمتهم وتوالى منهم فيها نحو ثلاثين ملكاً ومن اسمائهم الابجر ومعن وبكر وهي اسماء عربية ولذلك يظن انهم عرب ولكن ليس كلها كذلك . ولم نرَ لاحد من المحققين كلاماً مقنعاً على جنسهم

(٧) لا جديد تحت الشمس

قراشة . شيخ العرب ابو هاشم علي قريطم . الصحيح ما يقال انهُ لا جديد تحت الشمس

ج . في القول مبالغة ويراد بهِ ان اكثر ما نعلمهُ جديداً ليس بالجديد . ولكن لا شبهة في انهُ جدَّت اشياء كثيرة جداً لم تكن معروفة قبلاً . والمخترعات الجديدة منذ خمسين سنة الى الآن تفوق كل ما اخترعهُ البشر في كل العصور الغابرة

(٨) مدينة بلغار

ومنهُ . في اي جهة مدينة بلغار التي ذكرها ابن بطوطة في رحلتهِ وهل الليل فيها قصير كما ذكر وهل هي بلغاريا المعروفة اليوم

ج . لا نظن انها بلاد البلغار المعروفة الآن لانهُ سافر اليها من قرب مدينة ازاق او ازوف فوصلها في عشرة ايام فبعدها عنها نحو مئتي ميل فيحتمل انها مدينة بلغرد في روسيا وهي في عرض ٥١ درجة فيكون اقصر ليل فيها نحو ثماني ساعات

ومنهُ . ما هي ارض الظلمة التي ذكرها ابن بطوطة حيث ذكر بلاد البلغار

ج . لعلهُ اراد بها انحاء روسيا الشمالية ولكن قولهُ وبينهما اربعون يوماً لا يستفاد منهُ شيء محدود واذا فرضنا انهُ اراد اربعين مرحلة والمرحلة ٢٠ ميلاً فبعد البلاد التي ارادها عن مدينة بلغرد حينئذٍ ٨٠٠ ميل فهي الى الشمال من اركنجل ويصدق عليها ما قالهُ من طول الليل فيها

السبرتو بدل البترول

اذا امكن ايقاد السبرتو بدل البترول واكتشفت طريقة لاستخراجهِ تجعل ثمنهُ رخيصاً كثمن البترول قبلما علا انحلّ مشكل من اكبر المشاكل الصناعية والمنزلية لان السبرتو مادة كيماوية يمكن استخراجها من نفاية السكر والدقيق والبطاطس والخشب ومواد كثيرة وليست مقيدة بما قد يوجد في باطن الارض وقد لا يوجد كالبترول . ولاسيما بعد ما كثر استعمال البترول وقوداً في الآلات البخارية . فمنذ سبع سنوات كان

الوارد منهُ الى انكلترا ١٨ مليون جالون في السنة والآن يبلغ ٨٠ مليون جالون مع ان المستخرج منهُ في الدنيا كلها كان ٢٨ مليون طن منذ سبع سنوات فبلغ الآن ٥٠ مليون طن فقط . وكانت شركات البترول تنقيهِ جيداً حتى يصير خفيفاً ثقلهُ النوعي ٦٨ر٠ اما الآن فصارت تبقي فيهِ مواد ثقيلة حتى صار ثقلهُ النوعي ٧٢ر٠ ومن رأْي بعض الباحثين في هذا الموضوع ان البنزول سيقوم مقام البترول بعد ان يضاف اليهِ ١٠ في المئة من البترول

ميكروب الحديد

استخلص بعضهم ميكروباً يفعل بالمذوبات التي فيها حديد فيرسب الحديد منها في شكل عصيدة كما ترى احياناً في قاع البرك . وهذا الميكروب قصير طولهُ ميكرونان (اي جزءان من الف من المليمتر) ويعيش بسهولة على البطاطس فيكوّن عليهِ نقطاً سمراء عنصرية . وقد استخرجت منهُ مادة خميرية تفعل فعلهُ في ترسيب الحديد من مذوباتهِ ولا بدَّ لهُ ولخميرتهِ من وجود النيتروجين حتى يفصلاً الحديد من مذوب املاحهِ

الاشجار وقطرنة الشوارع

لما ضُربت الاشجار في شوارع القاهرة بالحشرات التي يبستها اتجهت الانظار الى قطرنة الشوارع كسبب مهيء لنمو الحشرات وتغلبها على الاشجار . وقد حدث مثل ذلك في فرنسا فاتفق ان يبست اشجار كثيرة على اثر قطرنة الشوارع فبحث المسيو جيراند سنة ١٩١١ في تأثير متصعدات القطران بالاشجار فوجد انها تسود اوراقها وتيبسها ومن ثم رسخ الاعتقاد ان قطرنة الشوارع تيبس اشجارها ولكن قام كثيرون من الباحثين الفرنسويين ونقضوا ذلك وبينوا ان شوارع مدينة بوردو قطرنت منذ سنوات كثيرة ولم يظهر لقطرنتها اقل ضرر في اشجارها . ويحتمل ان تضر القطرنة بالاشجار اذا منعت ماء المطر من الوصول الى جذورها اما في القاهرة فالاشجار لا تروى بماء المطر فلا تفعل القطرنة بها من هذا القبيل . وقد تناول الالمان هذا الموضوع وبحثوا فيهِ وسترى ما اوصلهم اليهِ البحث

تقليد اللؤْلؤ بالجلاتين

عُلم منذ زمان ان الجلاتين يمتصُّ بعض الاملاح فتدخل فيهِ وتمتزج بهِ وقد استخدم الدكتور ليستانج ذلك لعمل لؤْلؤ صناعي شبيه باللؤْلؤ الطبيعي وذلك بان يغمس الخرز العادي في مذوب سخن من الجلاتين ثم يوضع على لوح من الزجاج مدهون بالجلاتين وتدهن كل خرزة منهُ بمحلول فصفات فلوي او تدهن من الاول بمزيج من الفصفات

والجلاتين فيتفرق الصفات الجلاتين ويجعله براقاً كاللؤلؤ. ثم يعرَّض هذا الخرز لابخرة الفورم الدهيد فيتصلّب الجلاتين ولا يعود قابلاً للذوبان

اصل الفيروز

وُجد الفيروز في جبال برو ميومكسكو وهو فيها عروق صغيرة في الصخور النارية وقد ذهب احد العلماء الى انهُ تكوّن فيها من تأكسد كبريتيد النحاس وكبريتيد الحديد واختلاطها مع « الغدّام » (الباقي المركب من فصفات الجير وكلوريدور او فلوريدور) فيتولّد من ذلك الفيروز الذي هو مركب من النحاس والالومنيوم والفصفور

اشعاع البوتاسيوم والصوديوم

ثبت منذ مدة ان البوتاسيوم يشع اشعة كهربائية من نوع البيتا كالراديوم اي تطير منهُ دقائق فيها قوة الاشعاع. وقد تعذر وجود هذه الصفة في الصوديوم قبلاً مع انهُ يماثل البوتاسيوم في كثير من خواصهِ ولكن يرجح من بعض الاعتبارات الجيولوجية ان هذه الصفة موجودة فيه ايضاً ولو كانت اقل منها في البوتاسيوم

عمر الارض

ذكرنا في باب التقاريظ ان الاستاذ جولي حسب عمر الارض من حين ابتدأت البحار تتكون فيها الى الآن نحو ثمانين مليون سنة وذلك بقسمة مقدار الملح الذي في بحارها على المقدار الذي تحملهُ الانهر اليها سنوياً الآن ولكن ظهر من حساب آخر مبني على وجود الهليوم والاورانيوم في صخور الارض ان عمرها اكثر من اربع مئة مليون سنة ولذلك فمقدار الملح الذي كانت الانهار تحملهُ الى البحار في العصور الغابرة كان اقل من المقدار الذي تحملهُ اليها الآن

القسوة على الحيوانات

من الحماقات التي يصعب تعليلها اهتمام بعض الاوربيين بمنع التجارب العلمية في الحيوانات. فلدى مجلس النواب الانكليزي الآن قانون بمنع التجارب العلمية في الكلاب مهما كانت غايتها ولو بُنّجت الكلاب حتى فقدت الشعور تماماً قبل اجراء العملية فيها والذين يلحّون بسن هذا القانون لا يتأخرون لحظة عن درس الديدان والصراصير والنمل والذباب وكل انواع الحشرات. الرفق بالحيوان الاعجم حسن لذاتهِ ولا تطيق النفوس الكريمة تأليمهُ ولكن لا دليل على ان الحيوان الاعجم يتألم كما يتألم الانسان لان كونهُ حيواناً ذا اعصاب حاسة لا يستلزم كونهُ يتألم ويشعر بالالم لان الناس انفسهم لا يشعرون بالالم على السواء والشخص الواحد

لا يشعر بالالم دائماً ولا تشعر به اعضاؤهُ كلها على حدّ سوى . فبأي قياس يستنتج اصحاب هذا القانون ان الكلاب تتألم مثلهم . ترفع يدك بحجر لتضرب به كلباً فتظهر عليهِ علامات الالم كما لو ضربته حقيقةً . وتضربهُ فعلاً على غفلة منهُ حتى لا يراك فلا تظهر عليهِ علامات الالم كما ظهرت اولاً دليلاً على ان ما ظهر عليهِ اولاً انما كان من آثار الخوف . وهب ان الكلاب تتألم كالناس تماماً او اشد فالبنج يزيل الشعور بالالم منها كما يزيلهُ من الناس

الانوال المصرية واليونانية القديمة

بحث بعضهم عن الانوال المصرية واليونانية القديمة فوجد ان المصريين الاقدمين كانوا يحيكون على نوعين من الانوال الواحد مبسوط امامهم والآخر قائم . واما اليونان القدماء فكان عندهم نول واحد وهو القائم ولكنهُ يختلف عن النول المصري . والنولان المصريان اكثر اتقاناً من النول اليوناني

وقف السلم

كتب المستر كارنجي الى النظار الذين اقامهم على الوقف الذي وقفهُ لاجل ايجاد السلم في العالم ومنع الحروب منهُ يقول « لقد حوّلت الى اسمكم سندات قيمتها مليونا جنيه ريعها السنوي خمسة في المئة وهي مضمونة برهن اول لكي تنفقوا هذا الريع على ما يسرع توطيد السلم في العالم وابطال الحروب التي هي الجمع وصمة على عمراننا . نعم اننا لا نأكل اجساد نوعنا الآن كما كان اسلافنا يفعلون ولا نعذب اسرانا ولا ننهب المدن ونقتل سكانها ولكننا لا نزال نقتل بعضنا بعضاً في الحرب . ولا يعذر على ذلك الا الوحوش البرية في هذا القرن من التاريخ المسيحي . وجريمة الحرب لا تغتفر لان الحكم فيها للقوة دائماً لا للحق »

اعلى المباني

يبنى الآن بناء كبير في اميركا فيهِ ٥٥ طبقة وستبلغ نفقتهُ مليونين وسبع مئة الف جنيه هكذا : ثمن الارض التي يبنى فيها تسع مئة الف جنيه ونفقات حفر الاساس ودكها مئتا الف جنيه ونفقات البناء نفسهِ مليون وستمئة الف جنيه

بترول برازيل

لم يكد اصحاب مناجم البترول يرفعون اسعارهُ حتى اخذ كثيرون يبحثون عن مناجمهِ ويستنبطونهُ منها - ومن البلدان التي جرت في هذا المضمار بلاد المكسيك فقد استخرجت مليون برميل من البترول سنة ١٩٠٧ ونحو ثلاثة ملايين ونصف سنة ١٩٠٨ واربعة

عشر مليوناً سنة ١٩١١ وستة عشر مليوناً ونصف مليون سنة ١٩١٢

مشي النمل على الماء

كتب بعضهم الى جريدة تانشر من ريو ده جنايرو يقول — وضعت سكراً ذات يوم في كأس ووضعت الكأس في صحفة كبيرة فيها ماء فشم النمل رائحة السكر وقصده حتى وصل الى الماء فدار حوله ولما لم يجد له ممراً اليه مشى على سطح الماء وصعد الى السكر وحمل شيئاً منه وعاد الى قريته وكرر ذلك مراراً وهو كل مرة يمشي على سطح الماء

جنون المطالبات بالانتخاب

قام بعض النساء في بلاد الانكليز يطالبن بحق الانتخاب لمجلس النواب . والطلب عادل وقد يكون من تخويلهن حق الانتخاب نفع كبير ولكنهن لم يكتفين بالمطالبة بل توسلن اليها بوسائل الشناعة ومما فعلنه اخيراً انهن اضرمن النار في معمل البحث العلمي في الحيوانات والنباتات البحرية التابع لجامعة سنت اندروس فاتلفن مجموعات علمية كبيرة الفائدة

الدكتور شوغورو صوبوي

هو استاذ الانثروبولوجيا في جامعة طوكيو باليابان واكبر ثقة في علم الانثروبولوجيا في تلك البلاد وقد انشأ فيها جمعية انثروبولوجية سنة ١٨٨٤ . ذهب الى بطرسبرج لحضور مجمع الاساتذة الدولي فتوفي بها وعمره ٥١ سنة وكان عضواً في الجمعيات الانثروبولوجية في لندن وباريس وبرلين

العمى اللوني

يراد بالعمى اللوني عدم المقدرة على تمييز بعض الالوان وكنا نظن ان المصابين بهذه الآفة قليلون جداً لاننا لم نرَ الا اثنين من المصابين بها لكن ظهر من فحص ١٦٨٩ نفساً في بلاد الانكليز ان ١٠٥ منهم مصابون بها اي ان المصابين اكثر من ٦ في المئة

الهبة الاميركية الكبرى

نقلت الينا الانباء البرقية ان احد الاميركيين الكرماء اعطى عشرين مليوناً من الجنيهات لاجل البحث في امراض البلدان الحارة وهي اكبر هبة علمية على الاطلاق

هبات اميركية

نال جامعة يابل من تركة الدكتور فرنسيس باكون الذي توفي في العام الماضي ٩٥ الف جنيه ووهبت مسز ماري امري مدرسة جامعته الطبية ٢٥ الف جنيه . واعطى المستر كارنجي القسم العالي من جامعة فندربلت مئتي الف جنيه واعطى الاخوان ديوك كلية ترنتي ١٦٠ الف جنيه ووهبت مسز ماري بل جامعة كولمبيا ٢٠٠ الف جنيه

وكلية رتجرس ٢٠٠ الف جنيه . واعطت مسز رصل صاج عشرين الف جنيه لجامعة برنستن لتبني بها قاعة كبيرة للأكل

جامعة الهند

يظهر مما كتبهُ مهرجا دربهنجا ان المال الذي اكتتب بهِ لاقامة جامعة للهنود في الهند بلغ ٣٣٣ ٥٣٣ جنيهاً والمبلغ الذي جمع منهُ او لاشبهة في جمعهِ لا يقل عن اربع مئة الف جنيه . وقد لا تسمح حكومة الهند باقامة هذه الجامعة الأ بعد ان تقيدها بشروط كثيرة

سكر النخل

لا يخفى ان التمر من اكثر الاثمار حلاوة واذا كثر النخل في بلاد فمن استخراج السكر من ثمره ربح كبير فانهُ يستخرج من حمل النخلة الواحدة سكر يساوي سبعة اضعاف السكر الذي يستخرج من شجرة القيقب . واهالي بنغالا في الهند يستخرجون السكر من التمر ويراد الآن ان يزرع النخل التدمري عندهم لان ثمرهُ اكثر سكراً من غيره

النساء في جامعات المانيا

بلغ عدد النساء الطالبات في جامعات المانيا ٣٢١٣ واكثرهنَّ المانيات فان الالمانيات منهن ٢٩٠٠ والباقيات ثلثهنَّ روسيات وربعهن اميركيات وعدد النساء في هذه الجامعات كما يأتي

في جامعة برلين	٩٠٤
« بون	٣٨٩
« مونخ	٢٦٢
« غوتنجن	٢٣٧
« هيدلبرج	٢١٩
« فريبرج	١٨٩
« منستر	١٧٢
« برسلو	١٥٠
« ليبسك	١٢٩
« ماربرج	١٢٦
« كونجسبرج	١٠٧
« غريفسولد	٠٨٣
« هال	٨١
« يانا	٦٥
« ستراسبرج	٥٢
« كيل	٤٠
« توبنجن	٣٨
« جيسن	٢٤
« ارلنجن	٢١
« وردبرج	١٦
« روستوك	٠٦

وطالبات الطب منهنَّ ٧٠٢ والعلوم الطبيعية والرياضية ٥٧٩ والزراعة والعلوم الماشية ٩١ وطب الاسنان ١٧ والصيدلة ٨ والباقيات غير مختصات بعلم مخصوص

الخرسانة المسلحة

صنع بعضهم حوضاً كبيراً من الخرسانة المسلحة لاجل السباحة طوله ٣٥ متراً وعرضه ١٢ متراً ويسع ٥١٠ امتار مكعبة من الماء وهو قائم على اعمدة قصيرة - وصنعوا قنطرة فوق نهر طول الحنية الوسطى منها ٣٠ متراً وكل ذلك من الخرسانة وقضبان الحديد

كتاب ارسترخس في الفلك

وجدت نسخة من كتاب ارسترخس في الفلك وترجمت الى الانكليزية ويظهر منها ان ذلك الفيلسوف الرياضي الذي نشأ قبل المسيح بثلاثمئة سنة قال بدوران الارض حول الشمس ولم يكن علم حساب المثلثات معروفاً في عهده ولا كانت نسبة محيط الدائرة الى قطرها معروفة بالتقريب عند اليونان ومع ذلك استطاع ان يقيس الاضلاع والزوايا من غير معرفة الجيوب ونظائر الجيوب وقاس نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عنها لكنهُ اخطأ في النتيجة اذ جعل نسبة بعد الشمس الى بعد الارض كنسبة ١٩ الى ١

نيزك ياباني شوهد ساقطاً

شاهد احد الفلاحين اليابانيين نيزكاً ساقطاً من السماء في ٧ ابريل سنة ١٩٠٤ وكان ابيض من شدة حموهِ فاسرع الى المكان الذي رآهُ سقط فيهِ فوجدهُ هناك واذا هو قطعة كبيرة من الحديد وقد غار جانب منهُ في الارض ثمانين سنتمتراً ورآهُ معلم مدرسة ايضاً فالتقطاهُ وحللهُ اثنان من العلماء تحليلاً كيماوياً فوجداهُ مركباً من العناصر التالية ٨٥ و٩٤ من الحديد و٤٤ و٤ من النكل و٤٨ و٠ من الكوبلت و٢٣ و٠ من الفصفور واثر من النحاس . وهذا النيزك من النيازك النادرة التي رآها الناس ساقطة ثم وجدوها وهو يشبه في تركيبهِ كثيراً من النيازك المعدنية التي وجدت قبلهُ

التماثيل المصرية

نرى البلدان المرتقية تهتم باقامة التماثيل لعظمائها تنويهاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم ومعاً بالحث في التنقيب عن العظماء الذين نشأوا فيها يتعذر عليها ان تمتد في تاريخها الى ما يبلغهُ القطر المصري او ان تجد بين ملوكها من كان اعظم من ملوك مصر ولذلك نرى انهُ يحسن ان تنصب بعض التماثيل القديمة مثل تماثيل رعمسيس الثاني ونحوهِ في الساحات العمومية كساحة باب الحديد التي يراد توسيعها الآن بدلاً من وضعها في دار التحف المصري . وان كانت العواصم الكبيرة مثل القسطنطينية ورومية وباريس ولندن ونيويورك تباهي بجمعها المسلات المصرية في ساحاتها العمومية فاحرِ بعاصمة الديار المصرية ان يكون فيها اكثر من نصب من انصاب عظمائها الاقدمين

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والاربعين

صفحة

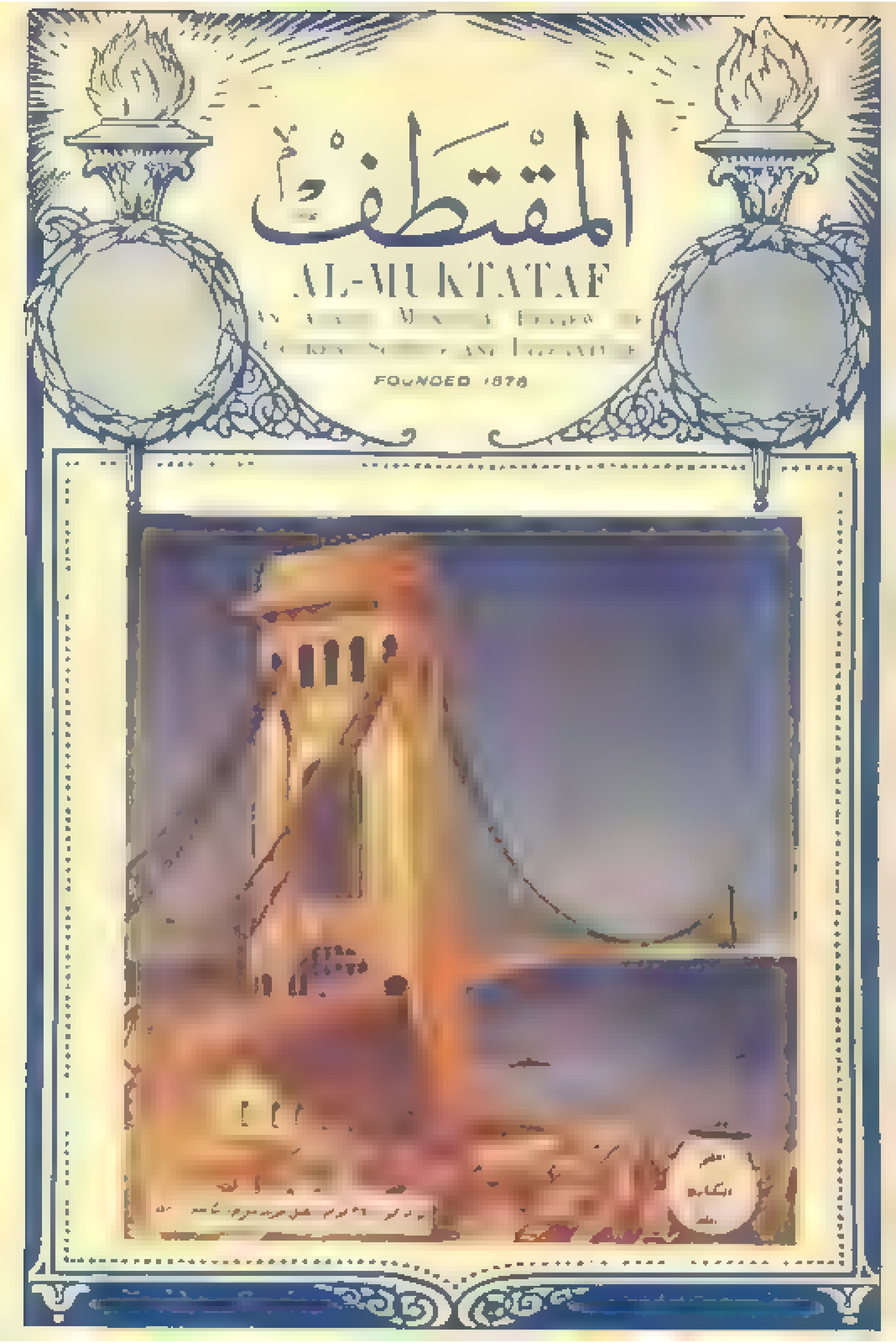

المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣٠ رمضان سنة ١٣٣١

المؤتمر الطبي

عقد المؤتمر الطبي السابع عشر في مدينة لندن في السادس من اغسطس ويقال ان اعضاءهُ بلغوا ٧٥٠٠ ورحبت بهِ الحكومة الانكليزية ترحيباً رسمياً وافتتحهُ البرنس ارثر اوف كنوت حاملاً اليهِ التحية من ملك الانكليز فقال

« لا حاجة بي الى الاعراب عما يخامرني من السرور اذ قد أُتيح لي ان اقوم بينكم وارحب باسم الملك بممثلي كل فروع العلوم الطبية الذين اتوا من اقطار المسكونة واجتمعوا الآن في هذا المكان . وقد سرَّ جلالتهُ ان امرني بالاعراب عن رجائهِ الوطيد ان يؤول هذا الاجتماع العام الى تقدُّم علم الطب الجليل ونفع نوع الانسان . لما كان جلالة المرحوم الملك ادورد ولياً للعهد افتتح هذا المؤتمر بلندن سنة ١٨٨١ وانهُ يسرني جداً ان اشرَّف بالاقتداء بهِ وافتتح هذا المؤتمر العظيم الآن . كان رئيس المؤتمر سنة ١٨٨١ السر جمس باجت وحضرهُ المسيو باستور الذي اصبح العالم كلهُ مديوناً لمكتشفاتهِ العجيبة . ولكن المكتشفات التي اكتشفت حديثاً مثل اشعة رنتجن والراديوم وهما من افضل الوسائل في ايدي الاطباء للتشخيص والعلاج لا يقلان عن مكتشفات باستور فائدة . ولا يخامرني ريب اني اطلق بلسان كل الحاضرين اذا قلت ان عندنا هنا خير خلف لخير سلف بالسر توماس بارلو رئيس هذا المؤتمر وبالنواب الذين يمثلون البلدان الاجنبية والاملاك البريطانية عبر البحر . واسمحوا لي ان اذكركم انهُ وان كان هذا المؤتمر مجتمعاً في لندن فهو ليس ضيفاً على لندن وحدها بل على كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية والهند لانها كلها لها نواب في لجان المؤتمر المختلفة اي ان الامبراطورية كلها مشتركة فيهِ وهو حلقة اخرى من الحلقات التي تربطها بعضها ببعض

واطلعني على شيء من الالمام بالمعارض العمومية وبما لها من النفع الجزيل في تقوية

العلاقات بين البلدان المختلفة وقال اني اثق ان النفع العام يكون اوفر جداً من مؤتمر عام مثل هذا لانهُ يسهل لاعضائهِ ان يفيدوا و يستفيدوا من تبادل الافكار ووقوف كل منهم على آراء غيرهِ ومكتشفاتهِ . مؤتمر يضم نحو ثمانية آلاف من الاعضاء هو غاية في العظم . ولا بد ما تحصل منهُ فوائد كثيرة عمومية ولو كان كثير من مباحثهِ خاصاً بالاطباء لاسيما وان المختارين للكلام فيهِ هم من نخبة علماء المسكونة . ولا أُطيل الكلام بذكر المسائل التي يطلب منكم البحث فيها فان ذلك سيوضحهُ السر توماس بارلو ولكنني اغتنم هذه الفرصة لتهنئة لجنة الاستقبال على نجاحها بعملها الذي نرى ادلتهُ امامنا اليوم ولا شك عندي انها تجد عند ختام المؤتمر ما يوليها حقها من الشكر

واقول في الختام اني مسرور اعظم سرور بالترحيب بكم الآن وقد طُلب مني ان اخبركم بان جلالة الملك يسرُّ بان تكونوا ضيوفهُ في قصر وندزر وارجو ان تشعروا بان البلاد بلادكم وان كانت بلاد البعض منكم بعيدة جداً من هذه البلاد . و يسرني الآن ان افتتح هذا المؤتمر باسم الملك

ثم طلب السر توماس بارلو من السر ادورد غراي وزير الخارجية ان يرحب بالنواب الاجانب فوقف وقال

ان ترحيبي بهذا المؤتمر بالنيابة عن الحكومة بعد ان قامهُ صاحب السمو الملكي لمن الواجبات التي اقوم بها عن طيب نفس واني غني عن القول ان ترحيبي هذا تشترك فيهِ كل جوانحي . ولقد عبَّر لورد مورلي عن عواطف الحكومة نحوكم بكلام كلهُ بلاغة وحسن بيان يتعذَّر عليَّ ان آتي بمثلهِ فانا أُشاركهُ في ما ابداهُ من الاحترام لكم والاعجاب بالاعمال التي يشترك فيها مؤتمركم وبالتقدم العظيم الذي تقدمهُ علم الطب في عصرنا . واننا لنحسب اجتماعهُ عندنا فخراً لنا لما يحويهِ من الرجال الذين يشار اليهم بالبنان . وفوق ذلك اننا نرحب بكم لانكم لا تخشون الى « مداخلتنا » (ضحك لان الاشارة الى المداخلات السياسية) . والعلم بمعناهُ الحقيقي حق مشاع لكل الامم يتناظر اربابهُ ولكن مناظراتهم ليست دولية فان الرجال الذين وصلوا الى درجة من المعرفة تحسن ان تسمى علماً لا يختلفون باختلاف شعوبهم ومناظراتهم معاً كان اشتراكهم في سياسة بلادهم وتحزبهم لها شديداً

ونحن العامة يهمنا امر الطب والجراحة اكثر مما يهمنا امر علم آخر من العلوم . اننا ننتظر من بعض العلوم ان تزيد مسرات الحياة وتزيل السامة منها واما علمكم فقد تعودنا على ان ننتظر منهُ اشياء اهم من ذلك لكل واحد منا فاننا ننتظر منهُ ان يزيل آلامنا ان ينقذنا مما

نعدهُ أكبر بليَّة علينا . وكما ننظر الى الطب والجراحة افراداً ننظر اليهما اجمالاً ايضاً ولا نفضل عليها علماً من العلوم . ومن رأيي ان علي الطب والجراحة لا يقصران عن غيرهما من العلوم في البحث عن سر الحياة او سر الكون . والناس ينظرون اليكم متوقعين منكم ان ترفعوا طرفاً آخر من اطراف الستار الذي يحجب الخفايا و يستر الغوامض

ويظهر لي ان علم الطب اصلح حالاً من غيره من حيث علاقتهُ بالجمهور فقد قلَّ استخفافهم بهِ وصاروا اميل الى الترحيب بالمكتشفات العلمية منهم الى مقاومتها بالاغاليط القديمة او على الاقل صاروا يرحبون بالمكتشفات المتعلقة بعلم الطب اما سائر العلوم فلا اجسر ان اقول عنها مثل ذلك بهذا التأكيد فاذا حسبنا السياسة علماً مثلاً ترددت كثيراً في الحكم على رأي الجمهور فيها لانهُ لا يرجى تعليم علم لمن يحسب ان كل الناس يعرفون ذلك العلم (ضحك) ٠ اما الطب والجراحة فاعتقد ان عقل الجمهور ميال الى تعلمها وراغب فيهِ وشاكر لمن يفيده شيئاً فيها ولذلك فالملك والحكومة والشعب يودون ان يرحبوا بكم اشد ترحيب قلبي وكلنا مسرور سروراً حقيقياً ، ان لندن تشرفت بصيرورتها مكاناً لمؤتمركم و بحضور هذا العدد العديد من اشهر رجال الارض الذين جاءوا من اماكن بعيدة لحضور هذا المؤتمر وللاشتراك في ما يزيد مذاكراتهِ علماً وقدراً

تقدم علم الطب في ثلاثين سنة

وهي خطبة رئيس المؤتمر السر توماس بارلو

انقضى جيل كامل منذ اجتمع هذا المؤتمر اجتماعهُ الاخير في مدينة لندن . ما اعظم تلك الحلقة من علماء الطب والجراحة التي احاطت حينئذٍ بولي العهد جدير بنا ان نعمل بقول الحكيم ونمدح العظماء والذين ولدونا . كان رئيسنا السر جمس باجت باثولوجياً عظيماً . كان عقلهُ مفعماً بكل ما كان يعرف من التشريح والامراض الجراحية والاستعداد المرضي . كان معلماً من الطبقة الاولى فصيح العبارة شديد الغيرة لا يفوقهُ احد من معاصريهِ . وكان معنا جنرو ولكس وغيردنر معلمو الطب العظام في الطب العلاجي . لا امل لنا ان نجد امثالهم الآن لانهم كانوا قبلما صار الاختصاء في الطب وفيهم انتهى تاريخ الاطباء العظام الذين كانوا يتقنون كل فروع الطب ولا ينقطعون لفرع واحد منها . وكان معنا جكسن الموضح لعلم الاعصاب الجديد الذي اثبت داود فريركثيراً من آرائهِ بالامتحان وكان معنا ايضاً يوناثان هتشنصن المسجل المدقق لتاريخ الامراض الطبيعي في جهات عديدة وهو المنظم لمؤتمر معرضنا الكلينيكي

والباثولوجي . وكان معنا روَّاد الجراحة الباطنية سبنسر ولس وتوماس كيث ولوسن تابت . وخطب فينا هكسلي اعظم موضحي العلوم الطبيعية في علاقة الطب بعلم البيولوجيا وكان بيننا ايضاً وليم بومن الذي ادت مباحثهُ الدقيقة في تشريح العين الى وضع علم طب العيون الجديد . واختم الكلام على رجالنا بلستر الذي كان حينئذٍ في اوج عمله العظيم . لقد فقدناه منذ عهد قريب شيخاً شبعان من الايام ونحن نتذكرهُ اليوم بوسام مؤتمرنا

واخواننا الذين اتونا من البلاد الاخرى لم يكونوا اقل اشتهاراً من رجالنا في الطب والجراحة . فرخو نسطور التشريح المرضي الذي يحبهُ اهل هذه البلاد ويكرمونهُ كما يحبهُ اهل بلاده ويكرمونهُ خطب خطبة نفيسة في فائدة التجارب الباثولوجية . وفلكمان تكلم عن تقدم الجراحة وكوخ انتقل بنا الى سبيل جديد اذ تكلم عن الميكروبات التي وجدها في كثير من الاحوال المرضية وابان اساليب نموها التي تمتاز بها . ولنجنبك واسمرخ تكلما على الجراحة الحربية . ودندرس وسنلن على طب العيون وبنلي ومرّي وتتليوني كانوا يمثلون الطب الايطالي . وجاء من الولايات المتحدة استن فلنت الطبيب الشهير ومعلم التشخيص الطبيعي وبلنس امير المكاتب الطبية وبنلو الجراح الشهير . وكانت المدرسة الفرنسوية العظيمة ممثلة ببروث سيكار وشاركو ولانسرو وبوشار وفرباي وكثيرين غيرهم ولكن كان بيننا فرنسوي آخر فاق كل معاصريهِ ولمكتشفاتهِ الاثر الاكبر في علم الطب ولو لم يكن طبيباً وهو لويس باستور . خطب في التطعيم وعلاقتهِ بكوليرا الدجاج والحمى الفحمية فعملهُ ادبهُ على تطبيق مكتشفاتهِ الحديثة بما فعلهُ ادوجنر بالجدري البقري . واذا اردت ان أتكلم عن كل اولئك العظام اعوزني الوقت . حقاً انهُ كان في الارض جبابرة في تلك الايام

ان المؤتمر الذي التأم سنة ١٨٨١ اثبت لنا ان الطب سار في سبيل جديد فان عصر الخرافات والتقاليد كان قد زال ولكن عصر البحث العلمي الدقيق لم يكن قد انقطع ولا انتهى بل كان قد نموي وتشعب الى شعب مثمرة بواسطة اساليب الامتحان الجديدة . ولولا اعمال باستور ولستر وكوخ التي كشفت لنا منذ ثلاثين سنة لكانما تبديهِ في مؤتمرنا هذا الآن حقيراً ضئيلاً

ان الرجال العظام الذين ذكرتهم الآن كانوا مثل قنن الجبال الشامخة فوق سهل جمهور الاطباء . وقد نسأل الآن اين القنن في عصرنا والسؤال ضئيل مضلّل لاننا صرنا من فضل رجالنا الذين طرقوا كل سبل الطب واشتغلوا بكل فرع من فروعهِ من غير ملل ولا ضجر في مستوى من الارض العالية لا جبال فيهِ ولا اودية بل هو سهل واسع فسيح عظيم الارتفاع من المعارف المحققة المنظمة . انظروا الى فروع هذا المؤتمر التي كانت ١٥ فرعاً سنة ١٨٨١

فصارت الآن ٢٣ فرعاً واضيف اليها ثلاثة فروع تحتها وقد اضطررنا الى زيادة هذا التفريع بما تولّد من زيادة البحث واتساع نطاقه . واضطرنا حب الاشتراك في العمل الى تنظيم اربعة عشر اجتماعاً تجتمع فيها الفروع المختلفة وتتذاكر في مواضيعها المختلفة

وان قيل ما هي السبل التي اتبعناها ووسعنا بها اعمال اسلافنا . قلت ان اول هذه السبل بلا جدال البكتيريولوجيا علماً وعملاً . فان اكتشاف كوخ العظيم لميكروب السل نُشر في السنة التي تلت مؤتمر لندن . وما اوسع المعارف التي عرفناها على اثر هذا الاكتشاف . ونحن آخذون الآن في التمييز بين الجوهري والعرضي من عوامل الامراض وملابساتها . ومعلوم ان الطبيعة تولّد من الميكروبات مواد تبطل فعلها وتولّد لها اعداء تهلكها كما يشاهد في الامراض الحادة التي تشفى لذاتها فاستخدم هذان الامران المعان في علاج الادواء اي العلاج بالمصل (سيروثرابيا) والعلاج بالتطعيم (فكسينثرابيا) . وما من حاجة بي لاطالة الكلام على باشلس كلبس لفلر وسبب الدفتيريا ولا على فائدة اهم انواع المصل الدوائي (المضاد للدفتيريا) ولا على المشابهة بين الاشياء الميكروبية التي توجد في النفث وبين الامراض التي تظهر في البحث العلاجي ولا على استطراد البحث الميكروبي في التيفويد الذي كان من ثمار اكتشاف الطعم الواقي منها . ولا نزال نجهل اموراً كثيرة من حيث الميكروبات التي تسبب الامراض الحادة النوعية . وقد عرفنا حديثاً ان المرض المعروف بشلل الاطفال هو من الامراض المعدية وعرفنا كثيراً من خواص ميكروبي الجذام والفضل في ذلك لنكسفر . وتقدم علم الحلميات (البروتوزوولوجيا) وعلم الديدان (الهلمنثولوجيا) وكل ما يتعلق بهذه الطفيليات تقدماً عظيماً

الامراض الاستوائية

كان لهذه المباحث شأن كبير في امراض البلدان الحارة مثل حمى مالطة والطاعون والملاريا ومرض النوم فقد كشفت غوامضها كلها او بعضها وفي بعضها كشفت درجات الداء كلها فعرفت الطريقة الشافية لعلاجه وفي بعضها كما في الملاريا ومرض النوم والحمى الصفراء عرف جانب فقط من سير المرض الطبيعي ولم يعرف كلهُ حتى الآن ولكن ما عرف كفى لاستعمال الوسائل الصحية التي تقي منه ولو كانت نفقاتها كثيرة . وحق علينا ان نقدم واجب الشكر لاخواننا الاميركيين لاجل عملهم الهيجيني البديع في كوبا و بناما وجزائر فيلبين وكوستاريكا ولما يبذلونهُ من الجهد لمكافحة الانكيلستوما Ankylostoma في الدنيا كلها وقد وسعت الباثولوجيا الكيماوية نطاق معارفنا وزادت وسائلنا وعرفت حقيقة المناعة على

نوع ما. والبحث الدقيق في بناء الاعضاء وصفات الدم الكيماوية وغيره من سوائل الجسم دعت الى تنقيح كتبنا الفسيولوجية وتوسيع معارفنا الباثولوجية فاصبح تشخيص كثير من الامراض وعلاجها. ومنذ ثلاثين سنة ابان اورد لهذا المؤتمر امثلة من المرض الذي سماهُ Myxoedema اي الانيميا المخاطية وقد اثبت هل بعد ذلك انهُ حالة يله في البالغين. وما عرف من امر الغدة الدرقية وعدم كفاءتها وما ينتج عنهُ من الاحوال المرضية انما عرف بالاستقراء العلمي فكان سبباً لدرس الافرازات الداخلية ولاستعمال الخلاصات الآلية التي آخرها واهمها خلاصة الغدة النخامية

وقد تم من درس الاختلافات الصغيرة في طعام البالغين والصغار والاطفال في درجات الهيئة الاجتماعية المختلفة وفي بلدان مختلفة فوائد جمة من حيث لا ينتظر. ولم يزل البحث جارياً في مسألة اللبن ولقد عرفنا خطأ احكامنا السابقة وصار النظافة في نقل اللبن من اول حلبه الى حين استعماله معنى اكثر مما كان لها قبلاً. واتضح ان المرض الغريب المعروف باسم بري بري الذي نظنهُ من قبيل الاسكربوط يحدث بين اكلة الارز من قشر الارز ونزع الغلاف الداخلي من بزوره. ونجم من التدقيق في درس اعمال الالكحول المزمنة ان فتح باب جديد لدرس الامراض العصبية. واهمل استعمال الالكحول في الامراض على طول زمان استعماله وصار لمعالجة الامراض التدرنية بالهواء المطلق تأثير كبير في معالجة امراض أخرى مزمنة وفي احوال الناس اليومية

ثم ان علاج العفن الذي يحدث في اللثة من جراء آفة في الاسنان كان لهُ فائدة كبيرة لانهُ ادى الى معرفة اسباب عسر الهضم لآفة تقع في الامعاء. وما استفدناهُ في تشخيص الامراض بواسطة اشعة رنتجن بمثابة حاسة سادسة. وما في هذه الاشعة واشعة الراديوم من القوة الشفائية فتحا باباً جديداً في العلاج. وقد تجاسرت وقلت سابقاً ان علم الطب دعا الى ان تعاد كتابة بعض الفصول في علم الفسيولوجيا واضيف الى ذلك الآن ان البحث في امراض القلب قد دعا الى تنقيح ما كتب عن بناء القلب وحركاتهِ المنتظمة وغير المنتظمة

فوز الجراحة

واذا اردت ان اتكلم على الفوز العظيم الذي حازتهُ الجراحة في هذا العصر لم اجدني قادراً على ايفاء الموضوع حقهُ فاكتفي بالاشارة الى المجال الواسع الذي فتح امام الجراحين بفضل الوقاية التي اشار بها لستر. وانا اتعجب من جسارة اخواننا الجراحين حينما بلغنا انهم يفتحون الجمجمة ويفرغون جيوبها ويستخرجون الخراجات الدماغية وينزعون الاورام الدماغية

ويبحثون في الجسم الثقبي ويزيلون التصاق البليورا بالتامور فيستريح القلب ويصلون الى اجزاء الامعاء ويزيلون الاحشاء الأوفقة . وقد اوصلنا اتفاق الجراحين والاطباء الى ما سماه موينيهام وغيره بالباثوجيا الحية ونحن نرحب بما جمعه الجراحون من الاعراض والعلامات والاحصاءات واضافوه الى خزانة المعارف الطبية فان فائدة ذلك واضحة في اننا صرنا ننقذ من الموت اكثر ممن كنا نتقدم في الجيل الماضي وفي اننا تجاسرنا على دخول حرم القبر ومعهد الامراض العقيمة وان الخطر من العمليات الكبيرة قد تقلص ظله وكاد يزول تماماً

الصحة العمومية

ويتعذر عليّ ان اعدد الاساليب المختلفة التي اشترك فيها علم الطب مع معايش الناس وشرائعهم ومنافعهم وما اشبه مما يعبَّر عنه بالصحة العمومية . فالمدارس والتلامذة ومساكن الفقراء والمناجم والمعامل والصنائع المضرة بالصحة كلها استفادت من العلوم الطبية ولا تزال تستفيد . واجسر واقول انه لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى كل اساليب الحياة وكل فروع الاعمال قد تقوت وتطهرت واستنارت بواسطة العلوم الطبية . لقد ابنت لكم في ما تقدم اننا ورثنا ميراثاً كبيراً وان هذا الميراث مثل سهل مرتفع من العلوم والمعارف وقد ملئت الثغور التي فيه ونحن لا نشتغل فيه الآن كآحاد مستقلين بل كل منا يشترك مع غيره في شغله ومواضيعنا متصلة متضمة وكل يوم تمتد الينا يد المساعدة من العلوم الاخرى ونرى ما يثبت لنا وحدة العلوم الطبية وشمولها

اخواني الذين اتونا من البلدان الاخرى نشكركم على معارفكم واختباراتكم التي جئتمونا بها الى هذا المؤتمر لكي نشترك كلنا في النفع العام واجسر واقول ان نتيجة اعمال المؤتمر في اسبوع اجتماعه المتضمة في ٢٣ علماً مختلفاً ستدهش العالم المتمدن بمزاياها ومنافعها واني ارحب بمجيئكم الى بلادنا العزيزة علينا الى هذا الوطن القديم الحرية . واتكلم بالنيابة عن الاطباء الذين من الجزائر البريطانية وعن اخوانهم الذين جاؤُوا من سائر الممالك البريطانية فانهم كلهم يشاركونني في الترحيب القلبي بكم فليزد هذا المؤتمر كنوز المعارف المفيدة والوفاق والوئام بين الناس وليهدم كل ما يفصل الامم والبلدان بعضها عن بعض في سعيها وراء تقدم علم الطب ونفع الامم به

جوامد كالنبات

ان من ينظر الى الصور المقابلة لا يسعهُ الاَّ ان يحكم انها اشكال من النبات بعضها من نوع الفطر المكبَّر وبعضها من نوع الفطر لانها تشبه النبات تماماً في شكلها وواذا رآها تنمو وتتفرع زاد اعتقادهُ انها من انواع النبات الحي لا انها مواد كيماوية اي جوامد لا حياة فيها . وقد اشرنا الى كيفية تولُّد هذه المواد في مقتطف يوليو سنة ١٩٠٩ حيث قلنا « ان الاستاذ لدوك الفرنسوي ادخل نقطة من مذوَّب السكر فيها شيءٌ قليل من فروسيانيد البوتاسيوم في مذوَّب كبريتات النحاس الخفيف فوجد ان نقطة مذوب السكر تغلف بغلاف رقيق من فروسيانيد النحاس وهذا الغلاف يدخلهُ الماء ولكن لا يدخلهُ السكر فهو مثل الحويصلة النباتية من هذا القبيل فيصل بحو وينشأُ منهُ فرع كبرعم النبات فيحيط بهِ غلاف من فروسيانيد النحاس يدخلهُ الماء ويميهِ فيطول ويتولد منهُ فرع آخر وهلمَّ جرًّا . وهذه الفروع تمتص السوائل التي حولها وتنمو بها . والغالب ان الفرع الذي ينمو كذلك يتولد في اعلاهُ انتفاخ كروي او مخروطي »

وقد تمكن الاستاذ لدوك حديثاً من تقليد مواد نامية مثل هذه بوضعهِ نقطة من مذوب كلسي في محلول الكربونات او الفصفات او السلكات فالملح الكلسي ينتشر في المحلول ويكون كربوناتاً او فصفاتاً او سلكاتاً من الكلسيوم غير قابل الذوبان فيصير منهُ غلاف هلامي حول الملح الكلسي الذي بقي ذائباً ويخترق الماء هذا الغلاف بسهولة ويمددهُ وينميهِ كما تنمو الخلية النباتية بدخول الغذاء اليها والصور المقابلة منقولة عمَّا ولَّدهُ

والظاهر ممَّا تقدم وممَّا فعلهُ الاستاذ باستيان واشرنا اليهِ مراراً ان العلماء سيتمكنون يوماً ما من توليد اجسام تنمو وتتوالد مثل ادنى الاحياء ان لم يكونوا قد اتصلوا الى ذلك فعلاً كما تمكن الكيماويون من تركيب الاجسام الآلية كاليوريا وسيانيد الامونيا من اجسام غير آلية ولكنهم اذا فعلوا ذلك لا يكونون قد حلُّوا مسألة الحياة العليا اي مسألة النفس والوجدان

ثم ان تركيب الكون يدلُّ على انهُ محكم احكاماً مبنيًّا على تدبير عقلي فالعقل الذي ركَّب الكون على هذه الصورة اوجد فيهِ القوى التي تتباين بها انواعهُ المختلفة وقد يحتمل اننا نكتشف القوى التي تتكون بها الاجسام الحية كما اكتشفنا القوى التي تتكوَّن بها الاجسام الكيماوية وقد يحتمل اننا لا نكتشفها ابداً ولكن ان اكتشفناها فيكون اكتشافنا لها بالقوة المودعة فينا من العقل الذي اوجدنا

الدكتور كارل

تجديد الاعضاء وحفظ الانسجة وتطعيمها ونقلها

المحاضرة التي القاها الدكتور كارل في عيادة الاستاذ بوزي في مستشفى بروكا في باريس

تمهيد

الدكتور الكيس كارل مدير معهد روكفلر في نيويورك هو محدث طريقة حفظ الانسجة الحيوية في آنية زجاجية مع حفظ حياتها على حالة البطء وادخارها للاستعمال عند الاقتضاء لتنقل الى الجسم للتعويض بها عن عضو او عن قسم منهُ مريض فترجع اليها الحياة النشيطة برجوع الدورة الدموية الى اوعيتها التي تنضم مع اوعية الجسم

اصبح هذا العالم علَماً في العالمين القديم والجديد وذكرتهُ مجلات اوربا واميركا وكان لهُ بعض النصيب في مجلاتنا الوطنية ولاسيما المقتطف الذي تكلم عليهِ اكثر من مرة . الق محاضرة على جمهور كبير من نخبة الاطباء والعلماء والادباء والاعيان فكان لها وقع عظيم ونقلتها مجلة العالم الطبي فرأيت ان اترجمها واقدمها الى المقتطف خادم العلم ليطلع عليها الجمهور الذي يتشوف الى الوقوف على اسرار الحياة . قال الخطيب

المحاضرة

ان التجارب التي سأشرحها لكم في هذه المحاضرة قد اجريت منذ خمس سنوات و يهمنا الآن ان نطلع على الفوائد التي حصلت منها

كانت الغاية من هذه التجارب ان نعوّض عن الاعضاء المريضة باخرى سليمة وللوصول الى ذلك وجب ان نبحث عن طريقة نتمكن بها من حفظ الدورة الدموية ثم تتدرج الى الطرق التي نتمكن بها من نقل الاعضاء بدون ان نتعرض لخطر . وقد وجدنا في اثناء هذه الابحاث مسائل كثيرة سأتكلم عليها الآن

المسألة الاولى هي وصل الاوعية وارجاع الدورة الدموية اليها بدون وقوع عوارض يخشى منها كتخثُّر الدم (ترمبوز) والنزف الدموي . وقد وصلنا الى هذا الغرض بساطة كلية بمراعاة المبادئ التي كنا نعرفها منذ مدة طويلة . نعرف ان الفازلين يمنع تخثُّر الدم ونعرف ايضاً ان الوخزات الصغيرة في جدران الاوعية لا تضر بها فاذا روعيت هذه المبادئ

البسيطة امكن بدون شك وصل اطراف الاوعية الدموية بعضها ببعض بدون حصول نزف ولا جلط دموية ولا تضيق

لا اطيل الشرح عن الطرق العملية التي اجريناها في الحيوانات والتي اجريت بعد ئذٍ في الانسان بنجاح باهر لان عندنا الآن كلاباً عملت فيها هذه العمليات منذ اربع سنوات او خمس ولا تزال الدورة الدموية فيها جارية مجراها الطبيعي . فهذه العمليات التي كانت تعتبر سابقاً غير ممكنة قد اجريت كثيراً في جراحة الانسان . وقد خاط الدكتور براون الشريان الاورطي بعد قطعهِ وبجح

بعد ان اصبح وصل الاوعية الدموية مستطاعاً توسعنا في ابحاثنا ونجحنا في عملية التعويض عنها في جامعة شيكاغو منذ سنة ١٩٠٥

فالاوعية الدموية تنقل الآن بسهولة من حيوان الى آخر وقد تمكنت في ذلك الوقت من قطع الاورطي البطني وعوضت عن القطع المفصولة بقطع من شريان آخر او من وريد. ثم قطعت الاورطي الصدري وعوضت عن القطعة المفصولة بقطعة من وعاء آخر ونجحت

كانت التجربة هي الغاية الاولى المقصودة من هذه العمليات فلما نجحت جرأتني الى اجرائها في معالجة الانورسم (تمدد الشرايين) وقد ظهر لنا في ذلك الحين ايضاً امر كبير الفائدة وهو اننا اذا عوضنا عن قطعة من شريان بقطعة من وريد فالجدار الوريدي الدقيق يكتسب سماكة الجدار الشرياني وبعد بضعة اسابيع يتخذ هيئة الشريان ويدوم عليها

وظهر لنا ايضاً اننا اذا وضعنا اي نسيج كان على الشريان وكان ذلك النسيج سليماً اخذ بسبب الضغط الشرياني هيئة الشريان المطلوب التعويض عنهُ. فبعد هذا اصبح من الواجب لحصول على الفائدة العملية ان نوالي البحث في هذه المسئلة اي مسألة قطع الاوعية لنشاهد باعيننا كيف تتجدد وظيفة العضو

فمن هذا القبيل علمنا اننا نستطيع ان نصلح اي نوع ما شرياناً بواسطة نسيج موصل وان نعوض عن شريان بوريد. ولهذا الاكتشاف اهمية كبرى لانهُ لا يتيسر دائماً الحصول على قطعة شريانية ننقلها الى الانسان اما الاوردة فتتيسر لاننا نستطيع مثلاً ان نأخذ قطعة من الوريد الصافن وننقلها الى الشريان الفخذي فترى بعد بضعة اسابيع ان الجدار الوريدي ثخن وشرع الوريد يعمل وظيفة الشريان

فالفوائد التي تحصل من نقل الاوعية قد تحققت نهائياً مهما كان نوع الوعاء المستعمل وسواء أُخذ من الشخص نفسهِ او من شخص آخر من جنسهِ او من شخص يختلف عنهُ في

الجنس لان التجدد يحصل عملياً باستعمال كل اصناف الاوعية . اما الاعضاء فيحصل فيها التجدد بعد نقلها كما يحصل بعد نقل الاوعية الاَّ ان الشخصية فيها اهمية كبرى توجّهنا اذ ذاك اهتمامنا لدرس مسألة تطعيم الاعضاء

المسألة هنا تختلف اختلافاً جوهرياً عن سابقتها اذ يجب ان ننظر فيها من الوجهة الجراحية والوجهة البيولوجية . اما من حيث الجراحة فيستطاع بسهولة نقل كلية او عضو كامل كالفخذ مثلاً . وقد حققنا ذلك منذ خمس سنوات او ست ويمكننا ان نحكم الآن بان عملية نقل الكلية او نقل الفخذ اصبحت مقررة تقريباً كعملية الزائدة الدودية . الاَّ ان ذلك لا يعني اننا نستطيع ادخال هذه العمليات في دائرة الاستعمال اليومي بل لا بدَّ من مواصلة البحث والمراقبة للوقوف على نتائجها بعد ثلاث سنوات

يستعمل لنقل الكلية طريقتان الاولى ان تنزع الكليتان وقطعة من الاورطي ومن الوريد الاجوف والحالبان وقسم من المثانة دفعة واحدة من حيوان وتنقل كلها الى التجويف البطني في حيوان ثانٍ يكون قد قطع اورطيهُ ووريدهُ الاجوف . ثم تخاط قطع الاورطي والوريد الاجوف بالاورطي والوريد الاجوف في الحيوان الثاني وقطعة المثانة بمثانته فالافراز البولي ينتظم سريعاً وبعد وقت قصير وغالباً بعد الظهر يعود الحيوان الى عادته ليمشي ويعوي ويأكل ويبول طبيعياً

والطريقة الثانية هي ان تنزع الكلية واوعيتها والحالب وتغسل جيداً بحيث لا يبقى دم داخل الاوعية يخشى من تخثره بعد انتظام الدورة ثم تطلى الاوعية بالفازلين وتوضع جانباً ريثما تحضر اوعية الحيوان الثاني ثم توضع الكلية او الكليتان في التجويف البطني وتخاط الاوعية فتنتظم الدورة ويظهر على الحيوان انهُ يتمتع بصحة جيدة جداً

ان النتائج الحاصلة مباشرةً حسنة دائماً وتبقى متشابهة في الطريقتين مدة ثمانية ايام اي لافرق بين ان تعاد للحيوان كليتهُ او كليتاهُ او تنقل اليهِ كلية او كليتان من حيوان آخر فانهُ يبقى بصحة جيدة جداً يأكل ويمشي ويفرز بولهُ بكمية تقرب من الطبيعة ويكون خالياً من الزلال . فالنتيجة الحاصلة اذاً هي بحسب الظاهر حسنة جداً ولكن بعد مرور تلك المدة اي بعد اليوم السابع او الثاني عشر او الخامس عشر تختلف النتيجة باختلاف نوع النقل اي بحسب كون الكلية قد اعيدت الى الحيوان الذي اخذت منهُ او نقلت اليهِ من حيوان آخر من جنسهِ

ففي الحالة الاولى اي عندما تنزع كلية او كليتان من كلب ثم تعاد اليهِ احداهما او كلتاهما فبالرغم من صدمة العملية ووصل الكلية وقطع الاوعية والاعصاب يبقى الحيوان عائشاً

وتتمتع بصحة جيدة الى ما شاء الله . وقد امكننا ان نراقب حيوانات اكثر من سنتين ومنها كلبة ولدت بعد العملية اثني عشر جرواً وماتت بمرض لا علاقة له بالعملية على الاطلاق وقد تحققت بالفحص التشريحي ان كليتها كانت في حالة صالحة جداً

فمسألة نقل عضو كالكلية قد حلّت من الوجهة الجراحية واما من الوجهة البيولوجية فلا لانه بعد نقل الكليتين من حيوان الى آخر يصير البول حالاً زلالياً وبعد ثلاثين يوماً يموت الحيوان بالتهاب كلوي منتشر . فالنقل اذاً على هذه الصورة يحدث خللاً مضرة بحياة الاعضاء . وقد شاهدنا الشرايين في هرّ نقلت اليه كليتا هرّ آخر قد دب فيها الحؤول ومات الهرّ بعد ثلاثين يوماً بتكلّس جهاز الشرياني . فيجب اذاً ان نبحث عن الاسباب التي تجعل جسماً ما نوعياً وان نفهم اهمية هذه النوعية بالنظر الى تغيرات الانسجة لنتمكن من معرفة القرابة بين الاشخاص ونستطيع الحكم بامكان تبادل الاعضاء . وقد جربنا الطرق المعروفة حالياً فيجب ان نفتش على طرق اخرى لان نقل الكلية قد يوصلنا الى نتائج اكثر اهمية من النتائج التي كنا نأمل الحصول عليها قبلاً ولا اعلم الآن كيف وباية طريقة نتوصل الى حل هذه القضية

قال الاستاذ بوزي في التقرير الذي قدمه الى الجمعية الطبية اني استطعت ان احفظ لانسجة خارج الجسم حفظاً دائماً وانها تسير سيرها الحيوي وهي في آنية الزجاج (اي خارج الجسم) . فهذه الانسجة الحويصلية اذا عاشت عدة اشهر خارج الجسم نمت بسرعة مطردة في وسط معين وسرعة نموها تختلف باختلاف الوسط الذي توضع فيه

مثال ذلك اذا اخذنا نسيجاً سبق لنا خارج الجسم بنشاط مدة اربعة اشهر وقسمناه الى قسمين وضعنا احدهما في مصل (بلاسما) دجاجة عمرها خمس سنوات ووضعنا الآخر في مصل فرخة عمرها خمسة اشهر فنرى ان كمية النسيج الذي يتكون في ٤٨ ساعة تكون اكبر في مصل الفرخة التي عمرها خمسة اشهر مما هو في مصل الدجاجة التي عمرها خمس سنوات

وعليه قد يمكننا ان نتوصل الى تعيين العمر او الصفات الاخرى في حيوان من النظر الى كيفية عمل الانسجة بعد وضعها في مصل ذلك الحيوان . ونستطيع بهذه الواسطة ان نكشف الفروق التي بين الافراد . فاذا جعلنا المصل على انواعه يعمل في انواع الحويصلات فربما استطعنا الوصول الى اكتشاف بعض خصائصه التي لا تزال مجهولة

تكلم بوزي في الشتاء الماضي في الجمعية الطبية عن الطريقة التي تساعد على حفظ اجهزة الاعضاء حية وهي مستقلة عن الجسم الذي فصلت عنه . فهذه الطريقة التي توصلت اليها من

التجارب الاولى التي عملتها في الاوعية الدموية ومن التجارب التي اجريتها في جراحة الاوعية ساعدتنا على نزع الاعضاء دفعة واحدة من حيوان بدون ان تفقد حياتها

اما النتيجة الراهنة لهذه العمليات فلا يمكن عرضها الأسد بضع سنوات لانها لا تزال حتى الآن في دور الترقي واما من حيث الاستعمال فيمكننا فقط ان نذكر العمليات التجربية التي عملت منذ عدة سنين

واريد ان اطلعكم الآن على تطبيق هذه العمليات على نوعين سهلي الاستعمال وهما حقن الدم وتطعيم الجلد

في السنة الماضية وفي مثل هذا الوقت تيسر لي ان اخاطبكم في عيادة الاستاذ بوزي عن حقن الدم بحسب طريقة كريل وختمت المحاضرة بقولي ان حقن الدم نشأ في فرنسا وان مهارة الجراحين الفرنسويين سهلت عملياتنا في اميركا وجعلت عملية نقل الدم بسيطة جداً بحيث يمكن اجراؤها في كل العالم وحصلت النتيجة المطلوبة باقل من سنة

لهذا النجاح يوجب علينا ان لا نتأخر عن اعلان النتائج التي عرفت انتظاراً للنتائج النهائية التي نأمل ان تأتي بها الابحاث في المستقبل بل ان نسرع باعلانها للجمهور ليتمكن العلماء والجراحون من ممارستها وزيادة التحسين فيها

في اثناء عمليات نقل الاوعية الدموية رأينا من الواجب ان نضع تحت طلب الجراحين الاشياء التي يمكن ان يحتاجوا اليها في عملياتهم لانه اذا طلب عضو او نسيج للتجارب الجراحية امكن اخذه من حيوان آخر واما في جراحة الانسان فهذا غير ممكن ولهذا يجب ان نجد وسيلة لجمع مجموعة من الانسجة كالجلد والعظام والغضاريف حتى والقرنية • ومن هذا القبيل لم اخترع شيئاً لاني استعملت الطرق المعروفة منذ زمن طويل

اننا نعرف التطعيم الذي كان يجريه بول برت في الجرذان وطريقته الرشيدة لحفظ بعض المسام من الاعضاء بواسطة التبريد

اذا جعلنا الانسجة في حالة حياة بطيئة فاننا لا نكسبها قوة على مقاومة الموت الى ما لا نهاية له بل نبقيها عدة اسابيع في حالة حيوية صالحة للاستعمال • ففي سنة ١٩٠٦ ابتدأت ان اطبق امتحانات بول برت على القواعد الجراحية فقطعت الشريانين السباتيين من كلب ووضعتها في مكان مبرد على درجة ٣ الى ٤ وتوصلت بنقلها الى حيوانات اخرى الى نتائج حسنة جداً

وعملت بعد ذلك امتحانات كثيرة في الجلد والقرنية والغدد • وسنة ١٩٠٧ و ١٩٠٨ عملت تجارب كثيرة توصلت بها الى معرفة الاوساط الاكثر موافقة لحفظ الانسجة على حالة

حياة بطيئة وهي منفصلة عن الجسم فوجدت من هذا القبيل ان الفازلين الاصفر (الفازلين الابيض المستعمل هنا لا يوازيهِ) هو افضل عامل لحفظ الانسجة كالاوعية الدموية والجلد

ان تطبيق هذه العمليات على الانسان صار معروفاً وقد عملت عمليات كثيرة من هذا النوع واذكر منها بنوع خصوصي تطعيم الدكتور توبيه بالانسجة المحفوظة في مبرّد وتعويض الدكتور ماجيتو عن القرنية المصابة بالكراتيت (تسمُّك القرنية) بقرنية محفوظة في مبرد الدكتور ماجيتو مدة عشرة ايام

وبعد هذه التجارب اهتممت ان اعرف كيف يمكن ان يحفظ الجلد في المبرّد لنستطيع بذلك ان نعطي منهُ الجراحين الذين يحتاجون اليهِ فبحثت في استخدام الاشياء التي تطرح من الموالد (مستشفيات التوليد) كالاسقاط الذين يكونون بحالة حسنة والاطفال الذين يموتون حال الولادة فوق بحثي بالعناية المطلوبة

تؤخذ الجثة الطرية وتغسل بالايثير ثم ينزع الجلد كلهُ بالبستوري او بالموسى فيفصل من ذلك على مطاعيم مختلفة المساحة كما توضع في انابيب واسعة وتوضع الانابيب في مبردات تكون درجة حرارتها دائماً ٣ . وفي الوقت نفسهِ تفحص المطاعيم بطريقة واسرمان فتحقق من عدم وجود آثار السيفلس في الام وتفحص ايضاً فحصاً بكتيريولوجيًّا

الجلد المحفوظ على هذا النسق يحفظ في حالة حسنة جدًّا لاني فحصت القطاعة بعد اكثر من اربعين يوماً فشاهدت الدم في الاوعية الصغيرة لا يزال سائلاً واحمر

وفي الوقت نفسهِ درست كيفية مؤاساة الجروح واتجه فكري الى المادة التي حضَّرها الدكتور بارث ساندفورد ولست اعرف تركيبها وظننت مما علمت من فعلها انها افضل علاج ممكن لتطعيم الجلد فاخذنا نفتش على مادة يكون لها قوام تلك وتوصلنا الى تركيب مزيج من البارافين القابل الذوبان على درجات مختلفة من الحرارة ومن شمع العسل وزيت الخروع فوجدناهُ افضل ما استعمل الى الآن لهذه الغاية لاننا اذا بسطناهُ بفرشاة واسعة على الجروح لصق واثبت المطاعيم على الحبيبات ولصقهُ ليس شديداً فلا تمنع بهِ المفرزات من التسرُّب بين طبقتهِ وسطح الجلد . وبعد درسهِ وتحقق فائدتهِ اجرينا التطعيم بالجلد المحفوظ في المبرّد على ما يأتي

توضع المطاعيم على سطح الجرح كما يوضع ورق البوسطة على ظروف المكاتيب وتغطى بطبقة مركبة من الشمع والبارافين وكل يوم تنزع الطبقة وتبدل باخرى فيساعد ذلك على مراقبة سير المطعوم مراقبة تامة . وقد وجدنا ان هذه المطاعيم من الجلد المحفوظ يمكن استعمالها بعد

حفظها بستة اسابيع او سبعة على الاقل وهو وقت كافٍ لامكان ارسالها الى الجراحين وعليهِ نكون حققنا اجمالاً مسألة محفوظات الجلد

اقتصرت الآن على تقديم بعض الامثلة لأُبيّن لكم ان الاقدام على العمليات يتولد من التجارب الاولية كتجارب بول برت التي لم يكن لها في وقتها من الفائدة ما يتخطى دائرة المعمل

الغاية من هذه التجارب هي ترقية الجراحة وتقدمها فيتعين علينا ان لا نقف عند حد من البحث او العمل وكلما بدت لنا حقيقة يجب ان نتجاوزها لنكشف ما بعدها لاننا اذا توغلنا في البحث وتوسعنا في طرق العمل زادت معارفنا واصبحت كما اصبحت معارفنا السابقة قاعدة لمداواة الانسان . انتهى

تذييل

الدكتور كارل طبيب فرنساوي لا يتجاوز الخمس والثلاثين سنة من العمر دُعي لادارة معمل روكفلر في نيو يورك فقام بعملهِ افضل قيام واقتطع البحث في المسائل التي وقفت عندها الافهام فكشف غوامضها وحل رموزها بسهولة وبساطة

يظهر من محاضرتهِ وبساطة عبارتهِ وسهولة تعبيرهِ انهُ وديع ولين الجانب لا اثر فيهِ للادعاء او ميل للظاهرة فهو يعتقد ان اكتشافاتهِ العجيبة والمدهشة هي من البساطة بمكان وفي استطاعة كل انسان ان يأتي بمثلها

وهو من نوابغ الفرنسويين ومن افراد العصر المعدودين يشرع في البحث في مسألة فتعرض لهُ مسائل يحلها الواحدة اثر الاخرى فترتبط ابحاثهُ بعضها ببعض وتظهر نتائجها متماسكة وآخذاً بعضها برقاب بعض

تدرَّج من وصل الاوعية بالخياطة الى التعويض عن المريض منها بالسليم الى التعويض عن الشريان بالوريد الى نقل الدم الى نقل الاعضاء الى ادخار الانسجة وحفظ حياتها في آنية من الزجاج لاستعمالها عند الطلب · وفي كل ذلك من الاهمية ما يرفعهُ الى اعلى منزلة من منازل العلماء · فهو لا يقف عند حد الاكتشاف العلمي بل يستطرق الى استنباط الطرق لتطبيق العلم على العمل كما يتضح من الاطلاع على محاضرتهِ وتتبع بياناتهِ المتسلسلة ومن امثلتها التعويض بالوريد عن الشريان ولولا ذلك لبقي الاكتشاف عقيماً لان الحصول على قطع شريانية سليمة يُعوَّض بها عن القطع المريضة غير متيسر واما الحصول على الاوردة فتيسر فاصبح اكتشافهُ ذا اهمية مضاعفة من حيث العلم والعمل

وقد وجه الانظار الى مسألة مهمة لم يحلها بعد وهي باقية تحت البحث واعني بها نوعية

الفرد او نوعية المصل (البلاسما) التي تتوقف عليها نوعية الفرد فقد ابان جليًّا في محاضرته ان العضو المنقول من فرد الى آخر من نوعهِ تلتئم حياتهُ في بادىء الامر بحياة ذلك الفرد ولكنهُ بعد مدة يفقد حيويتهُ ويكون سبباً لموت الفرد الذي نقل اليهِ. وهو ينسب ذلك الى نوعية المصل في كل فرد من افراد النوع ويظن ان كشف سر هذه النوعية يقود الى معرفة القرابة النوعية بين الافراد ومن ثم الى معرفة الفرد الذي يمكن ان تلتئم اعضاؤُهُ مع حياة الفرد الذي تنقل اليهِ. وهذا من الغرابة والغموض بمكان بحيث يظهر لاول وهلة انهُ بعيد الحل او مستحيلهُ. الا ان ما يبهد بكارل من الصبر والجلد والاستعداد والمثابرة على العمل يجعلنا نتأمل انهُ يحل هذه العقدة ويصل الى ابعد مما وصل اليهِ حتى الآن. وان الجراحة سوف ترتقي الى درجة سامية جدًّا لاسيما وان العلماء يجارونهُ في البحث ويقتدونهُ في العمل على نحو ما نقل توفيه وماجيتو الدكتور

امين ابو خاطر

التجارة والحرب والمال

اولم محافظ لندن وليمة فاخرة للمستر لويد جورج ناظر المالية الانكليزية ولاصحاب البنوك والتجار في دار المحافظة (منشن هوس) في ١١ يوليو الماضي وكان عدد الحضور في الوليمة ٤٠٠ وشرب المحافظ نخب ناظر المالية راجياً ان يبل اليسر حليفاً للخزينة والصحة حليفة للناظر واشار الى فداحة الضرائب الجديدة ولكنهُ قال هب ان الضرائب بقيت على حالها ولم تخفف او هب انها زيدت عمَّا هي عليهِ فالامة مستعدة لحملها اذا كان الغرض منها بقاء البلاد في المقام الذي هي فيهِ من القوة والمنعة ولكن اذا وجد ناظر للمالية يستطيع ان يخفف الضرائب ويعدل في توزيعها ويبقي البلاد قوتها ومنعتها استحق زيادة الشكر من الامة

فاجابهُ المستر لويد جورج بخطبة مسهبة قال فيها ما خلاصتهُ

اشكرك لانك شربت نخبي ويحق لناظر المالية ان يفتخر باجتماعهِ بتجار اعظم مدينة تجارية مالية في الدنيا واصحاب بنوكها ويسرني انا اذا شربنا نخب دوام اليسر للخزينة لا نشرب نخب شيء وهمي بل شيء حقيقي - ثم اشار الى ما قالهُ لورد غوشن في ذلك المكان لما كان ناظراً للمالية سنة ١٨٨٧ واستطرد الى حال التجارة الانكليزية فقال

تجارة انكلترا

ان لورد غوشن لما اشار الى ثقته بنجاح التجارة الانكليزية بعد سني الضيق التي توالت حينئذٍ لم يخطر له انها تبلغ ما بلغته الآن فقد كانت قيمة تجارة انكلترا كلها من صادر ووارد سنة ١٨٨٧ نحو ٥٦١ مليوناً من الجنيهات فبلغت في العام الماضي ١٢٣١ مليوناً. وكانت قيمة الشكات (الحاويل) التي تبودلت في دار تصفية حسابات بنوك لندن في تلك السنة ست مئة مليون جنيه فبلغت في العام الماضي ١٦٠٠ مليون . واذا ظلت الاحوال في النصف الثاني من هذا العام سائرة على نحو ما كانت سائرة عليهِ في النصف الاول منهُ بلغت قيمة هذه الشكات في آخر العام ١٧٠٠٠ مليون من الجنيهات ومفاد ذلك ان الاشغال المالية صارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ حين قام اللورد غوشن في هذا المكان واجاب على كلام الحافظ الذي طلب دوام اليسر للخزينة . ومما يسرُّ ذكرهُ ان هذا النجاح العظيم ليس لهُ طفرة يطول ظلها ثم يتقلص سريعاً بل هو وطيد الاركان حليف النمو والارتقاء . ولا اقول ان دخل الحكومة من الضرائب هو دائماً الدليل الاقوى على الحالة المالية ولكنهُ من جملة الادلة عليها. ومنذ تكلم لورد غوشن الى الآن زادت الارباح التي اطلع عليها جابو الضرائب ٧٥ في المئة . فثروتنا زادت زيادة حقيقية وكذلك ثروة المسكونة كلها التي نصيبنا منها يكاد يكون النصيب الاول

الاسواق الجديدة

وقد حدث ذلك لانهُ فتحت اسواق جديدة في العالم بمساعي اصحاب الاموال الذين مقر اعمالهم في الدائرة التي لا يزيد مسطحها عن ميل مربع حول هذه الدار وقد عملت هذه البقعة الصغيرة على ترقية تلك الاسواق وتقدمها اكثر من كل مكان آخر في العالم. فلا غرو اذا دعا ذلك اهل لندن الى المباهاة والافتخار بانهم زادوا موارد الثروة في العالم . فقد كان في تلك الاسواق الكبيرة — في الولايات المتحدة والبرازيل والجمهورية الفضية وكندا والهند واستراليا — ما طولهُ ١٧٥ الف ميل من سكك الحديد في سنة ١٨٨٧ فصار طول هذه السكك الآن بفضل الاموال الانكليزية ومساعي ماليي لندن ٤٠٠ الف ميل . واصبحت مئات الملايين من الافدنة التي كانت قفاراً في تلك البلدان تدر الخيرات والبركات . واتسع نطاق التعدين اتساعاً عظيماً جداً فبعد ما كانت قيمة المستخرج من الذهب في سنة ١٨٨٧ نحو ٢١ مليوناً ونصف مليون جنيه صارت الآن نحو مئة مليون جنيه ومدُّ السلم والاختراع يديهما لا ليخلقا ثروة جديدة بل ليكشفا كنوز العالم التي تصل اليها يد الانسان . ولذلك

زادت الثروة العمومية زيادة عظيمة اكيدة بسعي هذه المدينة العظيمة ولان لهذه البلاد نصيباً وافراً منها . و يسرني انهُ أُتيح لي ان أُقابل بين ما كانت عليهِ احوالنا المالية لما تكلم لورد غوشن في هذا المكان وما هي عليهِ الآن

الاموال المضمونة والتجارة والحرب

ولقد قلتم ان التجارة راجت هذا العام رواجاً لم يسبق لهُ مثيل فاشتد الطلب على المال فاحدث ذلك اضطراباً في الاسواق المالية أدى الى ضيق شديد والعامل الاكبر في الازمة المالية التي انتابت العالم هذا الاوان ناتج عن كثرة المقطوعية وزيادة الطلب على المنسوجات والمصنوعات والمواد غير المشغولة . وليس في العالم الآن دول او مصنع او ورشة الا ودولاب الاعمال دائر فيها على اعظم ما يكون . والمال للتجارة والصناعة كالوقود للآلة البخارية فكما ان الآلة البخارية لا تعمل عملها بلا وقود كذلك التجارة والصناعة لا تقوم لهما قائمة بلا مال

ثم ان التجارة استنزفت جانباً كبيراً من الاموال التي في اسواق العالم ولم تستغرقها كلها . ولكن هنالك عاملاً آخر زاد الضيق المالي الذي سببهُ رواج التجارة شدةً وهو حرب البلقان . ولم تكن هذه الحرب السبب الحقيقي في تحرّج الحالة المالية بل ملابساتها وما كان يخشى ان ينجم عنها من الاخطار

انتهت الحرب البلقانية الاولى وانقضت اهوالها و ربما عبر التقدم والفلاح يطلون النفس بان ممالك البلقان تنهج خطة الحكمة والسداد فتعمد الى اصلاح البلاد التي اطرتها الحرب وتعمل على تعميرها اذا بهن قد اخذن بعضهن بخناق بعض ودارت بينهن رحى حرب ضروس طاحنة

الدول والحرب

واسهب في الكلام عن الحرب البلقانية فقسمها الى قسمين الحرب الاولى التي نشبت بين الدولة العلية والتحالف البلقاني . والحرب الدائرة الآن بين الحلفاء انفسهم وقال عنهما ما خلاصتهُ :

خلصت اوربا من الحرب الاولى ونجت من عواقبها الوخيمة بتآزر الدول العظمى واشتراكها في العمل . وقد كان لحكومة جلالة الملك ولاسيما لصديقي وزميلي السر ادورد جراي فضل كبير في الوصول الى تلك النتيجة الحسنة

واذا كانت الدول قد تمكنت باتفاقها من تذليل الصعاب التي اعترضتها في الحرب الاولى ونجت من عواقبها بما بذلتهُ من المساعي المشتركة فلا ارى مانعاً يمنعها الآن من تذليل

مصاب الحرب الحاضرة بفضل ذلك الاتفاق والاشتراك وبفضل المساعي المجيدة التي تعود بالفائدة والخير على المحاربين انفسهم وبالسلام على العالم اجمع . وما دامت ممالك البلقان لا تعمل عملاً يمس قرارات الدول بسوء — كقرارها بشأن البانيا — فلا يحتمل ان تضطر دولة من هذه الدول الى الانفراد بعمل يؤدي الى وقوع الخلاف بين سائر الدول

والامل وطيد بان الدول التي شرعت ان تعمل معاً على احسن منوال والتي ترغب اشد رغبة في الاحتفاظ بالسلم ومنع اتساع نطاق الحرب تتمكن من اقرار الامن في بلدان البلقان التعيسة وتوطيد السلم فيها على دعائم ثابتة لا تتزعزع ولا تزول . ومتى تم ذلك زال اكبر سبب لاضطراب الاسواق المالية في العالم

الضرائب والتسلح

وهناك سبب ثالث للازمة المالية الحالية وهو زيادة الضرائب زيادة كبيرة من اجل التسلح فالدول صارفة همها الآن الى الاستزادة من معدات الحرب وآلات الهلاك والدمار ومندفعة الى ذلك بعامل المنافسة والمخاطرة اندفاعاً هو اقرب الى الجنون منهُ الى التعقل كما قلتم . وقد اثر ذلك في الاسواق المالية تأثيراً سيئاً فزاد حلقات الضيق فيها استحكاماً

وقررت بعض دول اوربا منذ بضعة اشهر ان تزيد جيوشها زيادة تستغرق اموالاً طائلة ونفقات باهظة وجاءت قرارتها في حين اخذ فيهِ الضيق المالي يشتد فزادت الطين بلة والضغة شدة

ولا مشاحة في ان كل واحد منا يود تقليل الضرائب ويرغب في تخفيفها من صميم فؤادهِ ولكن اذا لم نوفق الى ايجاد وسيلة تحول دون الاستزادة من التسلح في جميع البلدان معاً لا في بلاد واحدة فليس ثم سبيل الى تقليل الضرائب او تخفيفها فلا يخطرن ببالكم والحالة هذه ان يأتيكم ناظر مالية يخفف عنكم عبء الضرائب

ولقد زادت نفقات التسلح في العالم من سنة ١٨٨٧ الى الآن نحو اربعمائة مليون من الجنيهات في السنة وكنت اراجع نفقات اساطيل الدول قبل حضوري الى هذه المأدبة فرأيت ان نفقات عمارة انكلترا قد زادت وحدها عشرة ملايين على مجموع ما كنا ننفقهُ نحن والدول كلها على الاساطيل في سنة ١٨٨٧

وعبثاً نحاول ان نلقي تبعة هذه الحال المحزنة على عاتق دولة دون اخرى او نلوم الدول كلها عليها . ولا يجدينا البحث عن الدولة التي كانت سبباً في ذلك ولكن يجدر بنا ان نبحث عن الوسيلة التي توقف هذه الحال عند حد فلا تتعداهُ الى ما هو اعظم منهُ

هب ان دولة بدأت هذا العمل المشكور فتوقفت عن الاستزادة من التسلح والترحت على سائر الدول ان تحذو حذوها فلا يبعد ان تجيبها الدول « انت وشأنك اما نحن فلا توافق على ذلك على الاطلاق لانهُ خطر علينا » فتقول تلك الدولة « ما دام الامر كذلك فلا بد لي من زيادة الانفاق على التأهب والاستعداد والاستزادة من التسلح » وهكذا تشتد المنافسة بين دولة واخرى وبين الفريق الواحد من الدول والفريق الآخر وتكون النهاية شراً من البداية

واني بكوني ناظر المالية لا أكون قائماً بحق وظيفتي اذا لم اخبركم انتم ماليي هذه البلاد ان هذه المنافسة تزيد بين الدول شدة من يوم الى يوم ومن عام الى آخر وان مئات الملايين من الجنيهات تنفق في هذا السبيل الجهنمي

ويجدر بي في هذا المقام ان اقول ان مصالح اوربا المالية حالت دون نشوب حرب كبيرة منذ عامين وان لا شيء آخر في العالم غير هذه المصالح (المصالح المالية) يستطيع ان يحول دون التمادي في الاستزادة من المعدات الجهنمية تمادياً نهائياً . ومتى شعر ارباب المال في اوربا ان هذا التمادي يهدد مصالحهم اتحدوا يتلافي الامر كما فعلوا منذ عامين فمنعوا حرباً هائلة . متى فعلوا ذلك نالوا بغيتهم وهي توطيد دعائم السلم في العالم

ارتباط العالم من الوجهة المالية

وليس في الوجود شيء يربط بلدان العالم بعضها ببعض مثل الامور المالية . فاذا نزلت نكبة في بلاد تأثرت لها مالية البلاد المجاورة وهكذا على التوالي الى ان يعم التأثير سائر بلدان العالم كما يتأثر وجه الماء اذا سقط فيهِ حجر . واقرب شاهد على صحة هذا القول هو الحرب الحاضرة في البلقان فقد امتد تأثيرها الى البلدان المجاورة لها أولاً ثم الى سائر البلدان فاحدث اضطراباً في أسواقها المالية وأفلست من جرائهِ بنوك عديدة في بلدان اوربا حتى في الولايات المتحدة الاميركية . اما كون الشؤون المالية هي دولية اذا تأثرت منها دولة تأثرت لها سائر الدول ففيهِ فائدة كبيرة للعالم لانهُ يربط اجزاءهُ بعضها ببعض ربطاً محكماً فلا يعود في استطاعة بلاد ان تنفرد عن غيرها

علت أصوات الماليين العقلاء هذه الايام بالنصيحة لزملائهم بان يتروّوا في الامور ويقدروا لارجلهم مواضعها قبل ان يقدموا على أمر منها ولكن اصواتهم لم تتعدَّ النصيحة الى الانذار والارهاب . وقد استطلعت في الايام الاخيرة آراء كثيرين من الذين لهم علاقة بالصناعة والتجارة وسائر الاعمال في الحالة الحاضرة فابدوا ما سبقت فذكرتهُ آنفاً واخبروني

ان لا داعي يدفع الى الخوف وانهُ اذا انتابت العالم ازمة مالية فتوقُّع الناس لها يخفف شدتها كثيراً ويجردها من الغوائل العديدة التي تجرها باذيالها

والسبب الحقيقي في الضيق المالي الذي يشكو العالم منهُ الآن راجع الى القلق والاضطراب اللذين استحوذا على الاسواق في الاسابيع بل الشهور الماضية فاضطرا ارباب المال الى اعمال الروية والحذر فسحبوا اموالهم وقبضوا ايديهم استعداداً لما قد يطرأ عليهم من الطوارىء . ومثلهم في ذلك مثل من يحمل ثقـةً فوق طاقتها فينذره طبيبهُ بانـ يربأ بنفسهِ لئلا تنفد موارد قوتهِ فاذا اعتبر بهـذا الانذار واحتفظ ببعض الموارد من النفاد نجا وسلم . وهذا ما يفعلهُ الماليون الآن في اميركا والمانيا وروسيا وفرنسا فانهم يجمعون شملهم ويأخذون أُهبتهم لخطر الهام الذي انذرهم بهِ اطباء المال منذ اسابيع بل منذ اشهر وهو امارة حسنة تبشر بحسن المآل

غرائب الافلاك

قلَّ من لا ينظر الى قبة السماء في فصل الصيف ويراقب نجومها ويودُّ ان يعرف ما حققهُ العلماء من امرها ولاسيما في السنين الاخيرة

شرع الناس في رصد الافلاك منذ الوف من السنين لغايات مختلفة ووصلوا في سالف عهدهم الى امور يعسر على اكثر ابناء هذا العصر الوصول اليها من تلقاء انفسهم فقد ذكرنا في الجزء الماضي في باب الاخبار العلمية ان ارسترخس الفيلسوف اليوناني الذي نشأ منذ الفين ومئتي سنة وجد بالقياس انـ نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عنها كنسبة ١٩ الى ١ . ونحن نعلم الآن ان الشمس ابعد من ذلك كثيراً ولكن القاعدة التي بنى عليها ارسترخس حسابهُ صحيحة ولو استطاع ان يعرف الدقيقة التي يبلغ فيها القمر التربيع ويقيس الزوايا بالضبط لعرف نسبة بعد الشمس الى بعد القمر من غير خطإٍ . وطريقتهُ على بساطتها لدى علماء الفلك قلما يعرفها احد من عامة الناس بل من خاصتهم ايضاً

وتقلبت على علم الفلك ادوار كما تقلبت على كل العلوم الرياضية والطبيعية فكان يرتقي تارةً الى الاوج ويهبط اخرى الى الحضيض الى ان كانت سنة ١٦٠٦ حينما صنع غليليو الايطالي نظارة صغيرة واستعان بها على رصد الكواكب ثم اتقنها وكبرها حتى كشف بها اقمار المشتري ولكن كان لتكبيرها واتقانها حدٌّ لا تتجاوزهُ ولو قُصر الامر عليها لما تقدم علم

الافلاك لقدمه العظيم. لكن لم تظهر صنوف كثيرة حتى صُنعت النظارات الفلكية من البلورات المحدبة فقط ثم من البلورات المحدبة والمرايا المقعرة فامكن تكبيرها جداً وصنع هرشل نظارته التي طول انبوبها اربعون قدماً ورأى بها نجوماً لا يصل النور منها الينا الا في الوف وملايين من السنين لبعدها الشاسع عنا مع ان النور يسير نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان وكل نجم منها اكبر من ارضنا ومن شمسنا مراراً كثيرة

ورب قائل يقول كيف استطاع الفلكيون ان يقيسوا ابعاد هذه النجوم واجرامها وهي على هذا البعد الشاسع . والجواب انهم قاسوها على نفس المبدإ الذي نقيس به بعد جبل وطوله وارتفاعه من غير ان نصل اليه . وقد فعلوا ما هو اغرب من ذلك جداً وهو انهم قاسوا ايضاً سرعة حركتها وعرفوا العناصر التي تتألف منها كأنهم حللوها تحليلاً كيماوياً . واخترعوا آلات تريهم كل ذلك بالدقة التي ما وراءها دقة كما سيجيء

وقد ظهر من بحثهم ان النجوم التي نراها بالعين اكثرها شموس كبيرة جداً وهي مختلفة لوناً واشراقاً وبعضها مؤلف من نجمين او اكثر ولو رأيناه بالعين نجماً واحداً وقليل منها جامد واكثرها غازي او مؤلف من دقائق صغيرة منتشرة بعيد بعضها عن بعض . وفي هذا الكون الواسع شموس كثيرة مظلمة غير الشموس المنيرة ومواد وقوى منتشرة فيه تربط اجزاءه بعضها ببعض

في صورة فرساوس نجم سماه العرب بالغول كأنهم رأوه يغتور حتى يصدق عليه قول عنترة العبسي حيث قال

والغول بين يديّ يظهر تارةً ويكاد يخفى مثل ضوء المشعل

لانه يظهر احياناً مشرقاً متألقاً ثم يضؤل نوره حتى يكاد يختفي . وقد علم الآن سبب ذلك وهو ان لهذا النجم تابعاً مظلماً يدور حوله كما يدور القمر حول الارض فيحجب بعض نوره عنا من وقت الى آخر

ونجم القطب مؤلف من نجم قليل الاشراق وثلاثة نجوم كثيرة الاشراق . والنجم المسمّى بالعيوق له تابع ويدور كل منهما حول الآخر مرة كل مئة يوم . والشعرى العبور لها تابع يماثلها مرتين ويدوران مرة كل خمسين سنة. وقلب العقرب تابع اخضر اللون ورجل الجبار شمسان احداها بيضاء والاخرى زرقاء

ويعلم الآن ان النجوم المزدوجة او المؤلفة من اكثر من نجمين لا يقل عددها عن ١٠٠٠٠ نجم والمرجح ان ثلث نجوم السماء مزدوج . وهذه النجوم المزدوجة او المؤلفة من

اكثر من خمسين عوالم مثل عالمنا الشمسي ولكنها تخالف عالمنا في ان نجوم كل عالم منها متقاربة حجماً واكثرها تبايناً يزيد اكبرهُ على اصغره اربعة اضعاف اما شمسنا فانها اكبر من اكبر سياراتها المشتري ١٠٤٧ مرة واكبر من سياراتها كلها واقمارها ٧٤٦ مرة

ولقد غلب على الظن ان كل نجم من النجوم شمس مثل شمسنا تدور حولها سيارات مثل سياراتنا . اما كونها شموساً مثل شمسنا واكبر جدًّا فلا خلاف فيهِ واما كونها ذات سيارات تدور حولها فلا دليل عليهِ حتى الآن بل الادلة تنافيهِ كأَن شمسنا ممتازة على كل الشموس بجوانبها ومن هذا القبيل ارضنا فانها ممتازة بكبر قمرها على كل السيارات لان جرمهُ ثمن جرم الارض واقمار السيارات صغيرة جدًّا بالنسبة اليها . وتمتاز الارض ايضاً في انها السيار الوحيد الذي يصلح لسكن الانسان . اليس في امتيازها من هذا القبيل وفي كبر قمرها واتصالها بشمس تدفئها دليل على انها وجدت عن قصد لتكون داراً للاحياء

كتبنا منذ بضع عشرة سنة مقالة موضوعها عين العلماء وكواكب السماء ابنا فيها استخدام رجال الرصد لآلة التصوير الشمسي في رصد الاجرام السموية فانهم قلما يطلون الآن امام نظاراتهم يرقبون بها وجه السماء بل يوجهون اليهِ النظارات المتصلة بآلات التصوير وهي تصور ما يرى بالنظارات تصويراً تعجز العين عنهُ وتدور النظارة مع الجرم السموي المسدَّدة اليهِ وتدور آلة التصوير معها ساعة بعد ساعة الى ان تظهر صورة الجرم في لوح التصوير مهما كان الجرم بعيداً ونورهُ ضئيلاً

ولقد ابنا غير مرة ان عند العلماء آلة أُخرى اسمها السبكترسكوب يحللون بها نور الجسم المنير او المشتعل او الموضوع في اللهيب فيرون فيهِ خطوطاً تدل على مادة الجسم فان كان نحاساً ظهر لهُ خط اخضر وان كان زنكاً ظهر لهُ خط ازرق وخط اخضر ولكل عنصر خطوط خاصة بهِ يمتاز بها عن غيرهِ . وزد على ذلك ان السبكترسكوب يدل على قوام الجسم هل هو جامد او غاز وهل هو عارٍ او محيط بهِ قشرة غازية . والصور التي تظهر فيهِ ترتسم بآلة التصوير كما ترسم صور الاجرام السموية

وهناك شيء آخر وهو ان النور الآتي من الاجرام السموية يدلُّ على حركتها هل هي مقبلة او مدبرة وكم هي سرعتها كما ان صوت صفارة القطار يدل على كونهِ آخذاً في الاقتراب او في الابتعاد وعلى السرعة التي هو سائر فيها ومن ثمَّ على بعدهِ عنا وعن غيرهِ من النجوم

والرصد بالسبكتروسكوب ليس بالامر السهل لان لبعض العناصر خطوطاً كثيرة

تعد بالالوف كالحديد فتمييزها بعضها من بعض ليس ميسوراً دائماً ولا سيما اذا اختلطت ولكن دلالة هذه الخطوط لا شبهة فيها

وقد اتضح من السبكتروسكوب ان الشعرى تبتعد عنا بسرعة ٢٦ ميلاً في الثانية وبعد يوم ونصف تقترب منا بسرعة ٢٦ ميلاً في الثانية وهي على ملايين من الاميال منا . واتضح منهُ ايضاً ان الحلقة القربى من حلقات زحل لتسرع دوراناً حولهُ من الحلقة البعدى على ضد ما يقتضيهِ الراي السديمي حسب قول لابلاس

وقد صوّروا بالعين الفلكية خمسين مليوناً من النجوم وهي مقسومة الى مجاميع مختلفة تندرج تحت نوعين كبيرين يدل السبكتروسكوب على انهما جاريان في جهتين متقابلتين وان شمسنا وسياراتها سائرة ١٣ ميلاً في الثانية من الزمان في جهة السماك الرامح والسماك نفسهُ سائر نحونا الملاقاتنا . ومن النجوم السائرة معنا المراق والدب من بنات نعش الكبرى (وبعض نجوم الدب الاكبر مبتعدة عنا) والشعرى العبور واشرق نجوم الاكليل الشمالي ونجم من نجوم الاسد ونجم من صورة النهر ونجم من صورة ممسك الاعنّة والغول والسماك الرامح والنسر الواقع

وهذا الاكتشاف اعظم الاكتشافات العصرية في علم الفلك لان بهِ تفسّر امور كثيرة ممَّا تعذر تفسيرهُ قبلاً كما سيجيء . وقد قال بهِ اولاً الاستاذ كابتين سنة ١٩٠٤ واستصوبهُ كثيرون من علماء الفلك مثل مي وبكرنن وادنجتن وبلر وقد اشرنا اليهِ في مقتطف فبراير سنة ١٩١١ في مقالة موضوعها النجوم الجديدة وتعليلها نقلاً عن الاستاذ بكرنن حيث قلنا

«ولا يخفى ان النجوم منتشرة في الفضاء على ابعاد شاسعة فيندر جدًّا ان يلتقي نجم بآخر منها ولكن يظهر من اكتشاف كابتين ان اكثرها سائر في جهتين متقابلتين فاذا دنت شمس من أخرى في سيرها المتقابل جذبت احداها الاخرى فتتقاربان وتتصادمان ولولا التجاذب بين الشموس لسارت كلها في خطوط مستقيمة وهذا مخالف للواقع

وعدد الشموس نحو الف مليون وذلك لا يستحيل ان يقع شيء من الاصطدام بينها مهما كانت ابعادها شاسعة بعضها عن بعض واذا تجاذبت شمسان وتقاربتا زادت سرعتها فبلغت اربع مئة ميل في الثانية من الزمان على قول ارهنيوس فاذا كان الامر كذلك فالشمسان تتقابلان وتتفرقان في اقل من ساعة . فبالمماس سرعة وبالمماس حرارة تكون من هذا الاصطدام لينفصل جانب من الشمسين حيث تمر احداهما بجانب الاخرى ويصير شمساً ثالثة او نجماً ثالثاً ويشتعل من شدة الحرارة المتولدة فيهِ كما يشتعل الشرر من ضرب الصوان بالصوان »

منافع النمل ومضاره

تمهيد

لم يكد فراش دود القطن يبيض على ورق القطن في شهر يونيو الماضي في زراعة لنا قرب بنها حتى وافاه نوع من النمل الاحمر وسطا على البيض وامتص ما فيه وتركه خاوياً. وقد بلغنا انهُ حدث عند غيرنا ما حدث عندنا فكان لهذا النمل اليد الطولى في نجاة القطن من آفة الدود

وقد ذكرنا غير مرة ان الباحثين عن مصادر النيل الازرق في بلاد الحبشة وجدوا الارض هناك مغطاة بقرى النمل وهي تلال مخروطية الشكل من التراب المستخرج من جوف الارض تقع عليها الامطار فتغسلها وتجرفها الى مسايل النيل فتجري مع مياه الفيضان الى ربوع مصر حاملة النضار والنضار

هذا النمل يجلب الخصب الى ارض مصر وذاك يقي اثمن مزروعاتها من التلف. ولا نذكر اننا رأينا في هذا القطر نملاً يخشى اهل الزراعة شرَّهُ او يضيق الناس به ذرعاً الاَّ في المساكن حيث يكثر ولا يترك طعاماً الاَّ ويشارك اصحابهُ فيه

وليس النمل كذلك في كل البلدان ولاسيما الحارة منها بل قد يكون منهُ نفع وقد يكون منهُ ضرر والغالب انهُ ينفع من جهة ويضرُّ من اخرى وقد اطلعنا الآن على مقالة في اعمال النمل الجيولوجية الفائقة بما يحفرهُ في الارض من القرى وما يجمعهُ عليها من التلال وما يعرضهُ من اتربتها وحجارتها لفعل الحوامض والرياح والامطار تلاها العالم برنر في الجمعية الجيولوجية الاميركية وضمنها كثيراً من الاخبار والنوادر التي وقعت لهُ او لغيره من الباحثين في طبائع النمل وجعل مدار الكلام فيها على نمل بلاد برازيل وما اليها قال ما خلاصتهُ :—

ان النمل كثير في اميركا الجنوبية ولاسيما في بلاد برازيل حتى قال بيزو العالم الطبيعي منذ سنة ١٦٤٨ ان البرتغاليين لقبوهُ بملك البلاد. وقال طبيعي آخر ان برازيل كلها قرية كبيرة من قرى النمل. وقال آخر ان النمل اكبر ضربة من ضربات اميركا الاستوائية. وقال احد السياح عن ريو اغليا وبراغواي ان ارضها ملك النمل. وقال غيره ان وادي نهر الامازون ملك النمل لا للانسان الاحمر ولا الابيض

وهذه الاقوال لا تخلو من المبالغة ولكنها لا تخلو ايضاً من الدلالة على كثرة النمل في تلك البلاد وعلى انهُ شديد الوطأة فيها والعلماء الباحثون في طبائع الحيوان لم يبالغوا في ذلك

فقد قال الدكتور اغسطس فورل[1] ان انواع النمل المعروفة في الدنيا كلها ٢٠٠٠ نوع وقد وصف في برازيل وحدها ٤٤٠ نوعاً منها . وكثرة الانواع لا تقابل بكثرة افراد النوع الواحد فان النمل قد يكثر في برازيل ولو من نوع واحد حتى يملأ السهل والوعر . ذكر العالم بايتس انهُ رأى النمل الناري على ضفة الامازون وكان قد طار ووقع في الماء وقذفتهُ الامواج والرياح فاجتمع على الشاطىء سطراً واسعاً عرضهُ عقدتان وعلوهُ عقدتان وطولهُ اميال . وقيل لهُ ان ذلك يحدث كل سنة وان طول خطهِ قد يبلغ خمسة عشر ميلاً . وقال في مكان آخر انهُ رأى هذا النمل يغطي الارض حتى لم يرَ منها مساحة اصبع خالية منهُ . وقدَّر احد علماء الاسبان ان عدد نمل القرية الواحدة يختلف من ١٧٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠٠٠ نملة

ضرر النمل

اكثر ضرر النمل في برازيل زراعي فاذا انتاب مزرعة فقد يضطر اصحابها ان يتركوها لهُ . ويكثر نوع منهُ اسمهُ سوباس في مزارع البن حتى يضطر اصحابها ان يكافحوهُ مكافحة مستمرة . ولا يقتصر ضررهُ على مزارع البن بل هو يسطو على جنات الليمون والبرتقال ويقطع اوراقها ويفعل مثل ذلك بكل الخضر والبقول وقلما ينجو نبات من شرهِ . وتراهُ يسير في طرق يختطها ويطرقها حتى تصير كمسالك القطعان في المراعي . ويقال ان نفقات مكافحتهِ من النفقات الكبيرة التي يحسب حسابها زارعو البن في تلك البلاد . وقد قال العالم بايتس ان هذا النمل يكثر في بعض البلاد الزراعية حتى يضطر اهاليها ان يبطلوا زرعها ويهجروها

وسمي هذا النمل بالنمل الناري *Formiga de fogo* لان لسعهُ يحرق كالنار واذا كان كثيراً فلا قبَل للانسان بهِ ولا بدَّ لهُ من الهرب من وجههِ . وهو يسطو على الحيوانات كلها كما يسطو على الانسان والنبات . ذكر بايتس ان قرية اقفرت من سكانها بسببهِ ولم يعودوا اليها الاَّ بعد ما قلَّ فيها . دخلها اولاً وجعل يحفر تحت بيوتها حتى غدد الارض كلها وملأ البيوت واغتصب كل ما رآهُ فيها من الطعام واتلف ثياب السكان . ولما قلَّ منها وعادوا اليها جعلوا يضعون اطعمتهم في سلال ويعلقونها بحبال يدهنونها ببلسم الكوبيبا وهو المادة الوحيدة التي لا يقربها هذا النمل . وهو يسطو على الانسان لمجرد العداء لا لسبب آخر واذا وقفت في الشارع بضع دقائق ولو بعيداً عن قريبة من قراهُ هجم عليك واوسعك لسعاً . يعلق بالجلد بفكيهِ ويلسع بكل قوتهِ وكنا اذا اردنا الجلوس ندهن قوائم الكراسي بالبلسم ونضع اقدامنا على كرسي آخر دُهنت قوائمهُ بالبلسم حتى لا يصل النمل الينا

(1) Forel وهو من اكبر الثقات في معرفة طبائع النمل

تتمة

من النمل ما هو نافع كما ان منه ما هو ضار . والنافع يأكل دود القطن في برازيل كما يأكله ويأكل بيضه في القطر المصري . وله في برازيل نفع آخر لم تنتبه اليه في هذا القطر وهو انه يزور البيوت احيانا جيشاً جراراً يفتش عما فيها من الخنافس وبنات وردان ولا يترك منها شيئاً ثم يغادر البيوت كما جاءها فكأنه مسخر لتنقيتها من حشراتها ولكل شيء آفة من جنسه . قال الدكتور سبروس في هذا الصدد ما تعريبه

استيقظت ذات يوم عند طلوع الشمس فاذا الكوخ الذي انا فيه قد امتلأ بفئة بالنمل الاسود الكبير وكان هناك عنقود كبير من الموز فلم يبق عليه وجعل يفتش عن العناكب والخنافس وبنات وردان فلم يبق ولم يذر والذين لم يتعرضوا له سلموا من شروره واما انا فحاولت كنسه فهجم عليَّ واوسعني لسعاً اليماً

وقال ترما بلت في كتابه المعنون (طبيعي في نكاراغوى) ان هناك نملاً صغيراً كانت جيوشه تدخل بيتنا وتملأ الارض والجدران وتفتش عن العناكب والخنافس في كل ثقب وكلما وجدت واحداً منها اخرجته وقطعته اربا وحملته وسارت به . وما رأيته في البيت رأيته في الغاب فقد شاهدت فيه النمل يغطي الارض وهو يبحث في شقوقها وتحت كل ورقة ساقطة عن الجنادب والعناكب والخنافس وبعضها يطير خوفاً منه ولكنه لا يلبث ان يقع بين جنوده فتلتهمه

وكما يتبع النمل الجنادب والخنافس ليغتذي بها يتبعه نوع من الطير الصغير ويغتذي به . وكل مسخر لخدمة غيره . قال باتس في وصف النمل المسمى اسيتون اذا مشيت في ارض تكثر فيها طوائف هذا النمل رأيت فوقها عصائب طائر صغير وسمعته يزقزق ويتنقل من غصن الى آخر قلقاً كأنه يقول لك احذر ما انت فيه . فاذا عصيت الطرف عنه ومشيت بضع خطوات أخرى وقعت في ورطة لانك لا تشعر الا والنمل قد علا رجليك وغرز مشافره في لحمك ولا بد لك حينئذ من ان تعود ادراجك هارباً الى ان تصل الى محل الامان وكل نملة تحاول نزعها تنقطع رقبتها ويبقى رأسها عالقاً بجلدك

وكان هنود اميركا يفعلون بالنمل كما يفعل بهم كانوا يجمعونه ويأكلونه وبعضهم يستعمله كالتوابل والبهارات الا انهم اقلعوا الآن عن هذه العادة او قللوا من استعمالها

قرى النمل

يراد بقرى النمل الاوجار التي يحفرها في الارض وما فيها من السراديب والمخادع لصغاره

وطعامهِ ويراد بها ايضاً مسان عالية يبنيها فوق الارض داخل تلال من الطين والتراب وهذه التلال لا تقام في وقت واحد ولا في جيل واحد بل تبتدئ صغيرة جداً ثم تكبر رويداً رويداً جيلاً بعد آخر بما يضاف اليها من التراب الذي يحفر من باطن الارض فان النمل لا يحلو لهُ التزاوج الا في الهواء فتنبت لهُ اجنحة يطير بها ويتزاوج ثم تقع الاناث حيثما اتفق وتقطع كل انثى جناحيها حالما تقع على الارض لئلا يعوقاها عن العمل وتفتش عن قرية تدخلها او مكان تحفر حفرة فيهِ وتبيض بيضها فاذا وجدت قرية من قرى نوعها دخلتها وباضت فيها وصارت من اهلها والا فاذا وجدت مكاناً صالحاً ابتدأت بانشاء قرية جديدة فيهِ او هلكت. ولهذا لا توجد قرى النمل الا في الاماكن التي تصلح لها ولا يسلم منها الا القليل ولولا ذلك لملأ النمل الدنيا. فقد رأيت مرة اناث النمل سقطت في بقعة كبيرة جداً مساحتها مئات من الافدنة ولم يكن متر من الارض خالياً منها فلو عاشت كلها وانشأت القرى لملأت البلاد. واذا اتفق ان وقعت على قرية من قرى النمل فإما ان يحبناها غلها ويشركنها معهن وإما ان يقتلنها وإما ان تموت. واذا وقعت في مكان لا قرية فيهِ حفرت حفرة صغيرة في الارض والقت ترابها عند بابها من غير انتظام. قال الدكتور هوبر في وصف نمل بارا ببرازيل انهُ راقب نملة انثى نزلت الى الارض وحفرت حفرة صغيرة وضعت فيها بيضها فطرحت العمّال منهُ بعد اربعين يوماً وجعلن يخرجن التراب ويلقينهُ على باب القرية الى ان صار حولهُ اكمة عزوطية مجوفة وهذا التراب يقع المطر عليهِ فيبله ثم تشرق عليهِ الشمس فتجففهُ ويصير صلباً كالآجر

وما دام الاناث يدخلن القرية ويبضن فيها ويخرج اولادهن ويحفرن التراب منها ويلقينهُ على التلة التي على بابها فالتلة تزيد سنة بعد سنة ما دام التراب قابلاً للالتصاق بعضهُ ببعض وليس في الارض سيول تجرفهُ

واكبر تلال النمل رأيتها في ولاية باهيا من بلاد برازيل وهي كثيرة في بعض الاماكن حتى تغطي نصف الارض او اكثر من نصفها ويبلغ ارتفاع التلة منها احياناً خمسة امتار وقطر قاعدتها ١٥ متراً الى ١٦ وتنمو الاشجار في هذه التلال وتكبر كثيراً. وقد تدنو التلال بعضها من بعض حتى تتماس قواعدها. اخترت بقعة قُطعت الاشجار منها طولها مئة متر وعرضها مئة متر فوجدت فيها ٥٣ تلة يختلف ارتفاعها من اربعة امتار ونصف متر الى متر وخمس متر وقطر قاعدتها من ١٥ متراً الى ٣ امتار ووجدت بالقياس ان مساحة الارض التي تغطيها هذه التلال ٢٠٦٥ متراً مربعاً ومساحة ترابها ٢٢٢٥ متراً مكعباً واكبرها علوه

اربعة امتار ونصف متر وقطر قاعدته ١٥ متراً ومساحتها ١٧٧ متراً مربعاً ومساحة تراب التلة ٢٦٥ متراً مكعباً. ورأيت في مكان آخر تلالاً علو الواحدة منها خمسة امتار وقطر قاعدتها ١٧ متراً . ويقال ان التلال الكبيرة تدل على قدم القرية حتى ان التلة التي علوها متران لا يقل عمرها عن مئة سنة

وقد اطلعت تلة صغيرة والقرية التي تحتها فظهر مقطوعها كما ترى في الشكل المقابل . ففي الأكمة ثقب واسع ينزل منهُ الى مخدع كبير متصل باربعة مخادع على مستواه وبثلاث مخادع تحتهُ. واعمق ما رأيت المخادع واصلة اليه متران ونصف متر ولكن الثقات في البحث عن النمل اكدوا ان عمق القرية الكبيرة يبلغ عشرة امتار اما الاسراب فتمتد الى ابعاد شاسعة فقد كنت ادخل الدخان فيها فاراهُ يخرج من مكان آخر بعده عن الاول ٣٠٠ متر . وقد حفر النمل سرباً تحت نهر براهيبا من ضفة الى اخرى وهو من الانهر الكبيرة وحفر سرباً في سد خزان كبير فاتلفهُ . وذكر الفرس وود ان نمل السوباس اتلف منجماً من مناجم الذهب لانهُ حفر سرباً اليهِ طولهُ ٨٠ متراً فاتصل بنبع غزير وجرى به الماء اليهِ وملأَهُ

نسبة النمل الى التربة

ويستدلُّ من انتشار قرى النمل في مكان على نوع تربتهِ فاذا كانت التربة غير صالحة لحفر الاسراب فالاناث التي تقع فيها تموت حالاً من غير ان تتمكن من حفر مكان تبيض فيهِ . فالارض الندية دائماً والتي تغمرها المياه من وقت الى آخر لا تصلح وكذلك الارض الشديدة الصلابة والصخرية والرملية . ولذلك فاختيار المكان متوقف على صلاحية التربة لا على ارادة النمل . والظاهر ان التربة الطفالية اصلح من غيرها

النمل الابيض

النمل الابيض ليس نملاً حقيقياً بل هو الارضة نفسها ولكنهُ يشبه النمل شكلاً فيطلق عليهِ اسمهُ وقد ذُكر هنا لان عملهُ الجيولوجي بالارض يشبه عمل النمل ومن طبائعهِ انهُ يكره النور ويعمل عملهُ في الظلام حتى اذا اضطرَّ ان يسير فوق وجه الارض بنى لنفسهِ ازجاً يسير فيهِ . والغالب انهُ يبني بيوتهُ ملاصقة للاشجار او الصخور ولكنهُ قد يبنيها على وجه الارض غير مسنودة الى شيءٍ. وكثيراً ما تكون كبيرة مثل تلال النمل العادي او اكبر منها وهي مختلفة الاشكال

وضرر النمل الابيض في الجهات الاستوائية من اميركا الجنوبية اقل من ضرر النمل العادي ولذلك لا ينتبه لهُ كثيراً كما ينتبه للنمل العادي لكن بيوتهُ حيث يوجد كثيرة جداً

اكثر من بيوت النمل العادي ويقال ان الانثى الواحدة من نوع منهُ تبيض ٦٠ بيضة في الدقيقة فيبلغ بيضها ٨٠٠٠٠ في اليوم ومن ثم تعلم كثرتهُ

وليس لهذا النمل سلاح يتقي بهِ اعداءهُ ولذلك يكثر في اميركا الجنوبية نوع من الحيوان يتغذى بهِ وهو آكل النمل المعروف ويقال ان طعامهُ كلهُ من النمل الابيض وهو كبير الجسم طول رأسهِ ١٦ عقدة وطول بدنهِ ٤ اقدام وطول ذنبهِ ٤ اقدام اخرى وارتفاعهُ قدمان فيماثل الكلب الكبير جرماً ولهُ خرطوم طويل متين يحفر بهِ الارض ويخترق بيوت النمل ولسان طولهُ متر يلتقط بهِ النمل عن بعد

وهنالك حيوان آخر يتغذى بالنمل الابيض وهو الارمديل فانهُ يسطو على بيوتهِ ويحفرها بيديهِ ويلتقط ما فيها . والنعامة الاميركية تأكل النمل الابيض ايضاً وكذلك طيور أُخر وكثير من الزحافات كالضفادع والافاعي والعظايات . والنمل العادي من اكبر اعداء النمل الابيض وهو يتغذى بهِ كما يتغذى بالجنادب والخنافس . وفي بيوت النمل الابيض جنود تحارب حروبهُ ولكنها لا تحارب النمل العادي وجهد ما تفعلهُ انها تخرب الاسراب التي يحفرها ليصل بها الى بيوت النمل الابيض فهي للدفاع لا للهجوم ولذلك لا يكثر هذان النملان في مكان واحد . ولكثرة اعدائهِ اضطرَّ ان يقي نفسهُ بالاختفاء وقلة الظهور فلا يسير على الارض الاَّ في ازج يخفيهِ ويجعل ظاهر الازج وظاهر بيوتهِ مثل ما حولها من الارض حتى يعسر تمييزها من غيرها ولا يظهر عليها اثر الحياة

وبيوتهُ أكوام عالية مخروطية كالصخور لا باب لها من الخارج . اذا كانت جديدة لم يكن ترابها شديد التماسك فيسهل حفرهُ بالعصا ولكنها اذا قدمت صارت صلبة كاللبن الجاف في الشمس . وسمك جدارها الظاهر نصف قدم الى قدم وهي مقسومة من الداخل الى مخادع كثيرة جدرانها رقيقة جداً كالورق

ويبني هذا النمل بيوتهُ من الاتربة وقطع الخشب مما يأكلهُ ويفرزهُ او يحملهُ بلعابهِ ويمضغها بما يجمعهُ مما حولهُ اذ قد يكون فيها قطع صغيرة من الصوان مما لا يحتمل ان يكون النمل قد اكلهُ ومهما كان اصل مواد البناء فهو يلصقها بعضها ببعض ببرازهِ ومفرزاتهِ والغالب انهُ يمضغ ورق النبات وقطع الخشب حتى يصنع منها مادة لزجة تتماسك بها اجزاء التراب

والغالب ان يكون البيت مخروطاً مدبباً علوهُ مضاعف عرضهِ وقد يكون طويلاً دقيقاً كجزع النخلة وقد رأيت بيوتاً علو البيت منها ستة امتار ومحيطهُ ثمانية امتار ولكن البيوت التي تبلغ هذا الحد من الكبر قليلة نادرة والغالب ان يكون علو البيت مترين او ثلاثة

وقد ثبت لي ان كبر البيت دليل على عمره واقدم البيوت التي رأيتها لا يزيد عمرها على خمسين سنة . ولكل بيت اسراب ومخادع تحت الارض لها جدران من التراب ومن مادة صفراء نباتية مضغها النمل وجبل بها التراب او الصقهُ بها . وابعد ما رأيت هذه الاسراب غائرة اليهِ متر تحت وجه الارض ولكن الدكتور يواكيم لوستوزا وجد انها تغور في الارض الى عمق ثلاثة امتار

ولا يتوقف وجود النمل الابيض على نوع التربة كما يتوقف وجود النمل العادي لانهُ يلصق الاتربة بعضها ببعض بالطلاء الذي يصنعهُ مهما كان نوعها . وكثيراً ما يوجد في الارض الندية التي لا يقيم فيها النمل العادي ولعلهُ يختارها لقلة ما يلاقيهِ من الاعداء فيها

ويكثر النمل الابيض في الحراج والغابات وهو ينخر الاشجار اليابسة ولكنهُ لا ينخر الاشجار النامية وقد يبني بيتهُ بين اغصان الشجرة والمواد التي يبنيهِ بها حينئذٍ تكون خشبية كلها لا تراب فيها الاَّ اذا كانت قريبة من الارض فتكون مواد البناء حينئذٍ مزيجاً من الخشب والتراب

فعل النمل الجيولوجي

لقد حسب داروِن ان الخراطين (دود الارض الاحمر) في بعض جهات انكلترا تخرج من جوف الارض الى ظاهرها كل سنة ١٠٥١٦ كيلوغراماً من التراب لكل فدان من الارض . فاذا قدَّرنا ان عمر التلة الكبيرة من تلال النمل العادي مئة سنة في المتوسط امكننا ان نقابل بين فعلهِ وفعل الخراطين في اخراج التراب من باطن الارض الى ظاهرها في مئة سنة في كل هكتار من الارض (وهو نحو فدانين ونصف فدان) و يبين من هذه المقابلة ان الخراطين تخرج في انكلترا ٢٥٩٨٥٠٠ كيلوغراماً من التراب في السنة لكل هكتار والنمل في برازيل يخرج ٣٢٢٦٢٥٠ كيلوغراماً في السنة لكل هكتار اي ان النمل اكثر فعلاً في تخصيب الارض واكبر فائدة للزراعة من الخراطين

وليس لديَّ حساب مدقق عما يفعلهُ النمل الابيض من هذا القبيل ولكن مساحة البيت من بيوتهِ الكبيرة لا تقل عن ٣٠ متراً مكعباً ومن بيوتهِ الصغيرة قد تبلغ ١٥ متراً مكعباً ولا يعلم مقدار البيوت في الفدان ومقدار انتشارها في البلاد غير ان تراب بيوت النمل الابيض ممضوغ وبعضهُ مهضوم وقد عملت بهِ الفواعل الكيماوية ولعلهُ اصلح للزراعة من تراب النمل العادي

والنمل العادي يدخل الى قراهُ مواد نباتية وحيوانية تتكوَّن منها حوامض تؤثر في

الاتربة والحجارة التي تتصل بها وكذلك المواد النباتية التي يدخلها النمل الابيض الى بيوته تتولد منها حوامض آلية وتفعل بالاتربة والحجارة فعلاً كيماوياً . واسراب النمل العادي يدخلها الهواء ويجري فيها المياه احياناً فتساعد على تحليل الاتربة والحجارة ولو لم يبحث احد حتى الآن من مقدار هذا الفعل

الخلاصة

اولاً ان النمل العادي والنمل الابيض اكثر في الاقاليم الاميركية الاستوائية منهما في الاقاليم المعتدلة

ثانياً انهما يفضلان الارض الطينية على الارض الرملية

ثالثاً انهما يؤثران في التربة بما يحفرانه فيها من الاسراب التي يجري فيها الهواء والغازات وباخراجهما كثيراً من التراب من باطن الارض الى ظاهرها وبادخالهما الى باطن الارض كثيراً من المواد الآلية التي تتولد منها حوامض وغازات تؤثر في تراب الارض وحجارتها فنهما فوائد جزيلة للزراعة اكثر من فائدة الحراطين

عدوى السرطان

المذهب الشائع عند الاطباء كالمجمع عليه ان السرطان لا يعدي لكن قام الآن احد علماء الالمان وقال انهُ من الامراض المعدية . وتناول هذا الموضوع الدكتور بشفورد الانكليزي وكتب فيه فصلاً في مجلة نانشر قال

من المقرَّر انهُ لم يوجد حتى الآن الى تماثل بين السرطان وغيره من الامراض المعدية لكن لا يزال البعض يقولون بعدواهُ من غير دليل وهم من علماء الباحثين في موضوعهِ والذين يقصدون التحذير منهُ . وقد تليت بالامس خطبة تدل على ما قد يكون لهذا الرأي من التأثير في الجمهور بنوع عام ولو قال الخطيب « انهُ ما من خطر من ان تحدث العدوى مباشرة ولكن الاسلم تجنب الاتصال بالمريض بالتقبيل وباستعمال صحافهِ على المائدة ويلبس ثيابهِ والنوم في فراشهِ» فاني ارتاب في جواز المجاهرة بهذه الاقوال امام اناس يتعذر عليهم تمحيص الاقوال ومعرفة الراجح منها من المرجوح

والخطيب الدكتور كورني الجراح الشهير قد تلا هذه الخطبة في الاورانيا ببرلين وبيَّن فيها الاسباب التي تدعوهُ الى التمسك بان السرطان مرض معدٍ وذلك بعد ما مارس

الجراحة اربعين سنة . وعنده ان عدواه لا تصل مباشرة من المصاب الى السليم بل بواسطة وحالما تصل العدوى تثير الخلايا السليمة وتميت صاحبها باحداثها الخلل في الوظائف الضرورية لحياته وبأخذها الغذاء اللازم له وافرازها مواد سامة تضرّ به . اي انها تفعل فعل الميكروبات المرضية . وأيد رأيهُ بأدلة من حيث كثرة الماء وقلتهُ في البلدان المختلفة وفي جهات مختلفة من البلاد الواحدة وما يقال عن حدوثهِ احياناً كوافدة منتشرة وحدوثهُ في اجفان المواشي وفي الفيران المحفوظة في الاقفاص . ولكنهُ لم يبين اغلاط المؤلفين الذين استشهد بهم في الاحصاء وفي تشخيص المرض ولا اهتمّ بما قالهُ المؤلفون الذين نظروا الى هذه المسائل بالتروي واظهروا ما بين الراقعات التي ذكرها من الفروق . وكل ما يلزم من التدقيق والحذر في احصاء حوادث السرطان الذي يصيب الانسان يلزم اضعافهُ في احصاء حوادث السرطان الذي يصيب الحيوان لانهُ يمكن الحكم فيها . ولا يمكن ان يبنى حكم على ما يروى عن حوادث السرطان ما لم يستوفِ البحث فيها حقهُ من التمحيص

والاشياء التي ذكرت كوسائط لنقل « ميكروب السرطان الموجود في كل مكان »[1] هي البق والقمل والقراد والدود والخنافس والبلهارتسيا والملاريا وما اشبه . وهذا الميكروب إما انهُ من نوع البروتست (اي الاحياء التي لم يثبت كونها حيوانًا او نباتًا) او من الاحياء التي لا ترى بالميكروسكوب لصغرها وهو الارجح . قال ومن اعمالها انها تفرز دائمًا مادة كيماوية مهيجة فاذا تصور المرء ان هذه الميكروبات تصيب خلايا الجسم ثم تنتشر مع مصل الدم في البدن كلهِ اتضح لهُ كيف يتصل السرطان بالانسان . ومن المحتمل انهُ يوجد اكثر من نوع واحد من الميكروبات التي تنتج هذه المواد المهيجة ولذلك لا يكون للسرطان سبب واحد »

وهذا « الميكروب الموجود في كل مكان » يجد لهُ سبيلاً الى الجسم في منافذ القروح التي تسببها اشعة رنتجن . وفي الالتهابات المزمنة من كل الانواع مثل التهاب الثدي وتقرُّح اللسان الناتج عن فركهِ بسن مكسورة وزكام المعدة الناتج من فعل المسكرات والتبغ وقرحة المعدة وقرحة المعى الغليظ او زكامهِ الناتجين من القبض

ولم يذكر الدكتور كرفي دليلاً على صحة هذه الاقوال ولكنهُ قال ان كثيرين من علماء الباثولوجيا ابطلوا البحث عن ميكروب السرطان بسبب ما وقع في هذا البحث من الخطا

---

(1) وضع هذه العبارة بين علامات الاقتباس ليدل على انها من قول الكاتب اي ان الدكتور كرفي يعتقد ان ميكروب السرطان موجود في كل مكان

سابقاً واكتفوا برأي محكم يرضي الباحث علمياً ولكنهُ لا يفيد عملياً · غير ان القول بان السرطان معدٍ لم يفد عملياً ايضاً ولو بنيت عليهِ احصاءات غير صحيحة · اما ما اثبتهُ الاختبار من تأثير التهيج المستمر في احداث السرطان فقد بني عليهِ حُكم بمنع تشغيل العمال في ما يعرّض بعض اعضائهم للتهيج المستمر لئلاً تصاب تلك الاعضاء بالسرطان

والتفت الدكتور كرِفي الى الوسائل التي استُعملت حديثاً للتأثير في الاورام السرطانية كاشعة الراديوم واشعة رنتجن والقواعل الكيماوية وانواع المصل وذكرها كلها متفائلاً بها خيراً· ولكن اختبارهُ الطويل كجرّاح واسع الشهرة مدة اربعين سنة يجعل لقولهِ التالي اهمية كبرى وهو « ان مبادئ السرطان خدّاعة جداً لسوء الحظ تخفى حتى على المصاب نفسهِ ولذلك لا يلجأ الى الطبيب الاّ بعد ما ينبههُ اليهِ التقرّح والورم الكبير او الالم الذي هو حارس الصحة الامين والاضطراب المستمر في الهضم والنحول والذبول · وافضل وسيلة لاعادة الصحة والتخلص من العواقب الوخيمة انما هو المبادرة الى تشخيص الداء قبل تمكنهِ وازالة العلة ما دامت موضعية ولذلك يفتش الجراح عن الاورام في كل اعضاء الجسم حتى في الدماغ والحبل الشوكي ويزيلها مستعيناً بالمبنجات ومضادات العفونة · واذا عسر الوصول الى مركز السرطان تأخر نزعهُ حتماً · فسرطان الجلد يشفى منهُ بالجراحة ٨٠ الى ٩٠ في المئة وسرطان الثدي يشفى منهُ ٤٠ في المئة شفاء تاماً وسرطان المعدة والامعاء يشفى منهُ ٢٠ الى ٣٠ في المئة وبديهي ان حوادث الشفاء من سرطان الدماغ والحبل الشوكي نادرة»

لم يكد ما قيل عن شفاء السرطان الذي ينقل الى الفيران بالوسائل الكيماوية يشتهر حتى نشر كثيرون في الجرائد المحلية انهم اكتشفوا علاجات مثل هذا العلاج مع ان ما قيل عنهُ كان مبهماً غير جلي · ومن رأيي انهُ كان الاولى بالذين نشروا ما نشروهُ في الجرائد ان لا ينشروا شيئاً فان النتائج التي نشروها لم يكن اكثرها من الشفاء في شيء بل كان سببها خطأ في معرفة حقيقة الورم او جهل في معرفة طبائع الاورام المنقولة بنوع عام والاورام التي حصلوا عليها واستعملوها بنوع خاص ولا بدّ من التلمس في الظلام الى ان نعرف حقيقة السرطان ونعرف العالهُ الكيماوية والحيوية ويعلم حقيقةً هل هو معدٍ او غير معدٍ ولكن ان كان ما ينشر من وقت الى آخر عن شفاء السرطان الذي تعدى بهِ الحيوانات يزيد عدد الذين يرفضون رأي الاطباء ويفضلون التداوي بالعلاجات التي تذاع الآن قبل ان يثبت فعلها فيكون ذلك من الامور الكبيرة الضرر الداعية الى الاسف

الثروة المعدنية

الثروة الزراعية اوسع ابواب الثروة بلا ريب وهي ثروة حقيقية لانها مبنية على ما يناوله الانسان من الارض ويتلوها الثروة المعدنية ان لم يكن في مقدارها ففي انها مبنية على ما يستخرج من الارض ايضاً . وقد وقفنا الآن على احصاء الثروة المعدنية في الولايات المتحدة الاميركية و بلاد كندا المجاورة لها وذلك سنة ١٩١١ فاذا مقدار ما استخرج من الارض في الولايات المتحدة الاميركية تلك السنة بلغ ثمنهُ ١٩١٨٣٢٦٢٥٣ ريالاً او نحو ٣٨٤ مليون جنيه فيخص كل نفس من سكانها اكثر من ٢١ ريالاً او اكثر من اربعة جنيهات . وثمن ما استخرج في بلاد كندا ١٠٣٢٢٠٩٩٤ ريالاً او نحو ٢١ مليون جنيه فيخص كل نفس من سكانها نحو ١٤ ريالاً ونصف ريال او نحو ثلاثة جنيهات

والمواد المعدنية منها ما هو معدني صرف كالذهب والفضة والنحاس والحديد ومنها ما هو غير معدني كالفحم الحجري والبترول والجبس والسمنت والملح وحجارة البناء وما اشبه . وهاك قيمة ما استخرج من كلٍ من هذه المواد

الحديد	١٢ ٣٠٧ ١٢٥	٣٢٢ ٣٣٤ ٦٣٤
الفضة	١٧ ٣٥٥ ٢٧٢	٠٣٢ ٦١٥ ٧٠٠
الذهب	٠٩ ٧٨١ ٠٧٧	٠٩٦ ٨٩٠ ٠٠٠
النحاس	٠٦ ٨٨٦ ٩٩٨	١٣٧ ١٥٤ ٠٩٢
الرصاص	٠٠ ٨٢٧ ٧١٧	٠٣٦ ٥٥٣ ٣٢٠
الزنك (التوتيا)	٠٠ ١٠١ ٠٧٢	٠٣٠ ٩٦٤ ٧٩٤
النكل	١٠ ٢٢٩ ٦٢٣	٠٠٠ ١٢٧ ٠٠٠
الفحم الحجري	٢٦ ٤٦٧ ٦٤٦	٦٢٧ ٣٦٦ ٨٧٦
الغاز الطبيعي	٠١ ٩١٧ ٦٧٨	٠٧٤ ١٢٧ ٥٣٤
البترول	٠٠ ٣٥٧ ٠٧٣	١٣٤ ٠٤٤ ٧٥٢
البيت	٠ ٠ ٣ ٨١٧	٠٠٠ ٢٧٢ ١١٤
الطفال	٠٨ ٣٥٩ ٩٣٣	١٦٢ ٢٣٦ ١٨١
السمنت	٠٧ ٦٤٤ ٥٣٧	٠٦٦ ٧٠٥ ١٣٦

الجبس	٠٠ ٩٩٣ ٣٩٤	٠٠٦ ٤٩٢ ٠٣٥
الجير	٠١ ٥١٧ ٥٩٩	٠١٣ ٦٨٩ ٠٥٤
تراب الآجر	٠٠ ٤٤٢ ٤٢٧	٠٠٠ ٨٩٧ ٦٦٤
الراح الجير	٠٠ ٠٠٨ ٢٤٨	٠٠٥ ٧٢٨ ٠١٩
الحجارة	٠٤ ٤٢٨ ٧٥٧	٠٧٧ ١٠٨ ٥٦٧
السفاوج والكركند	٠٠ ١٦١ ٨٧٣	٠٠٠ ٠٠٦ ٧٧٨
حجر الجلخ	٠٠ ٠٥٢ ٩٤٣	٠٠٠ ٩٠٧ ٣١٦
الزنيخ	٠٠ ٠٧٦ ٢٣٧	٠٠٠ ٠٧٣ ٤٠٨
الفصفات	٠٠ ٠٠٥ ٢٠٦	٠١١ ٩٠٠ ٦٩٣
البيريت	٠٠ ٣٦٥ ٨٢٠	٠٠١ ١٦٤ ٨٧١
الاسبستس	٠٢ ٩٢٢ ٠٦٢	٠٠٠ ١١٩ ٩٣٥
الميكا	٠٠ ١٢٨ ٦٢٧	٠٠٠ ٣٥٥ ٧٠٤
المياه المعدنية	٠٠ ٢٢٣ ٧٥٨	٠٠٦ ٨٣٧ ٨٨٨
الجباجين	٠٠ ٠٦٩ ٥٧٦	٠٠٠ ٢٨٨ ٤٦٥
الملح	٠٠ ٤٤٣ ٠٠٤	٠٠٨ ٣٤٥ ٦٩٢
الطلق	٠٠ ٠٢٢ ١٠٠	٠٠١ ٦٤٦ ٠١٨

والظاهر ان ما يستخرج من كندا آخذ في الازدياد فقد زاد سنة ١٩١٢ عما كان عليه سنة ١٩١١ نحو ٣٠ مليون ريال كما ترى في هذا الجدول وقد رتبت فيه المواد المختلفة حسب قيمتها

الفحم الحجري	٣٦ ٣٤٩ ٢٩٩
الفضة	١٩ ٤٢٥ ٦٥٦
الحديد	١٤ ٥٥٠ ٩٩٩
النكل	١٣ ٤٥٢ ٤٦٣
النحاس	١٢ ٧٠٩ ٣١١
الذهب	١٢ ٥٥٩ ٤٤٣
الطفال	٠٩ ٣٤٣ ٣٢١
السمنت	٠٩ ٠٨٣ ٤١٦

الحجارة	٠٤ ٦٧٥ ٨٥١
الاسبستس الطبيعي	٠٢ ٩٧٩ ٣٨٤
التاز	٠٢ ٣١١ ١٣٦
الجير	٠١ ٧١٧ ٧٧١
الرصاص	٠١ ٥٩٧ ٥٥٤
الجبس	٠١ ٣٢٠ ٨٨٣

وكنا نودُّ ان نذكر قيمة الثروة المعدنية في القطر المصري وان تكون نسبتها الى السكان نسبة الثروة المعدنية في اميركا الى سكانها . والمعادن موجودة في هذا القطر ولكنها غير غنية فلا تفي بنفقات استخراجها الاَّ البترول فقد ثبت الآن انهُ كثير في جهات جبل الزيت غربي البحر الاحمر ومن استخراجهِ ربح كثير ولكن ليس للقطر فائدة منهُ على ما يظهر بل فائدتهُ خاصة بالشركات التي نالت امتيازهُ . والاَّ الذهب فان الظاهر من استمرار الذين نالوا امتياز مناجمهِ على استخراجهِ ان قيمة المستخرج منهُ تزيد على نفقات استخراجهِ . وفيهِ الفصفات وطين الخزف والرخام والمرمر والمستخرج منها كلها قليل لا يكفي لحاجة البلاد ولا نرى في جداول الجمارك اسماً لمعدن صادر من القطر الاَّ قليلاً من الذهب بلغت قيمتهُ في العام الماضي ٨٨ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ٦٨ الف جنيه . ولذلك يقال ان الثروة المعدنية في هذا القطر قليلة جدًّا حتى لا يعتمد عليها بوجه من الوجوه.

وللثروة المعدنية قيمة اضافية غير قيمتها الذاتية وهي انها مصدر الصناعة فلو كان في البلاد مناجم غنية من الحديد والفحم الحجري لصار من الاقطار الصناعية كما هو من الاقطار الزراعية ولاتسع باب الرزق فيهِ

الاَّ ان ما ينقص القطر المصري من هذا القبيل تفوق بهِ الولايات العثمانية فانها كثيرة المعادن غزيرة الثروة المعدنية

فمعدن الكروم لهُ ثلاثة مناجم قرب مرسين يصدر كرومها الى اوربا . وللفضة مناجم عديدة يستخرج من بعضها الآن ٢٦٠٠ كيلو غرام من الفضة و٤٠٠ طن من الرصاص المحتوي على الفضة . والزنك كثير في ولاية ايدين وفي كراسو على البحر الاسود . والمنغنيس في قونية وايدين والنحاس في ارمينية وقرب ديار بكر وهو هناك من اكبر مناجم النحاس في الدنيا واغناها والبورق قرب بحر مرمرا ويصدر منهُ نحو ٨٠٠٠ طن كل سنة . والسنباذج في ازمير وايدين وقونية واطنه والحمر في سورية ووادي الفرات والفحم الحجري في هرقلية على البحر

الاسود وفي ازمير . والبترول في وادي دجلة وغور الاردن وجهات مختلفة في بر الاناضول . والملح كثير في اماكن مختلفة ولاسيما في اليمن . وتوجد مناجم الذهب والفضة في سنجق ازمير . وتراب الخزف الصيني في رودس . والزرنيخ في ايدين . والحديد في حلب واعماله ولبنان . وحجارة الطبع الحجري قرب بروصه . وقد بلغت قيمة المعادن والمركبات المعدنية التي صدرت من ولايات الدولة العثمانية منذ سنتين نحو مليون ومئتي الف جنيه . وفيها قوى مائية لا حدَّ لها لكثرة جبالها واوديتها وغزارة المطر فيها . وهي فوق ذلك غنية بالزراعة واذا توطَّد الامن فيها كما يجب فلا نرى ما يمنع رجوع الذين هاجروا من اهلها بل لا نرى ايضاً ما يمنع جانباً كبيراً من سكان القطر المصري من المهاجرة اليها لانها كافية لاضعاف سكانها الحاليين

حقيقة التبنيج

اخبرنا من نثق به ان احد الاوربيين المستشرقين وجد في دار الكتب الخديوية كتاباً قديماً في طب العيون يقال فيه ان اطباء العرب كانوا يبنجون من يريدون ان يعملوا لهُ عملية في عينهِ كالقدح ونحوهِ فان كان الامر كذلك فقد سبقوا كل احد الى التبنيج

ولقد وقفنا الآن في مجلة العلم الاميركية على خطبة للاستاذ رلف لِلي في المبحثات الخ فيها بهذا الموضوع من كل جهاتهِ فاقتطفنا منها ما يأتي

يراد بالتبنيج معالجة المرء بدواءٍ كالكلوروفورم يخدر اعصابهُ ويبطل شعورهُ بالالم . وهو المعروف عند علماء الطب الآن بكلمة Anaesthesia اي زوال الشعور . ثم يعود الشعور بعد زوال فعل الدواء . وهذا التبنيج غير خاص بالانسان بل يشاركهُ فيهِ الحيوان والنبات اي ان الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان والخلايا التي يتركب منها جسم النبات تتبنج على اسلوب واحد فيتوقف تأثرها بالمؤثرات برهة طويلة او قصيرة الى ان يزول فعل البنج فتعود الى حالها الاولى . وفعل البنج بالحيوان اظهر من فعلهِ بالنبات الاَّ اذا كان النبات مما يظهر تأثرهُ بالمؤثرات الخارجية

فالتبنيج يوقف قوة التأثر بالمؤثرات عن عملها مدة من الزمن الى ان يزول فعلهُ فتعود هذه القوة كما كانت فاذا عُرِّضت عضلة لبخار الاثير بطل انقباضها بالمؤثرات وكذلك اذا عرض عصب لبخار الاثير بطل قبولهُ للتأثيرات واذا كان النبات حساساً كالسنط الحساس وعُرِّض لبخار الاثير بطلت حركتهُ . وقس على ذلك كل الحركات التي يقال انها ذاتية كالحركة

الاميبية والحركة الهدبية وجريان البروتوبلازم وانقسام الخلايا ونحوها كل هذه الحركات تؤثر فيها المبنجات وتوقفها . وقد ابان كلود برنارد منذ زمن طويل ان البزور تقف عن النمو اذا كان الهواء حولها مشبعاً بالاثير وتعود الى نموها حينما يزول الاثير منهُ وخلايا البيضة الملقحة تتوقف عن الانقسام اذا احيطت بمادة مبنجة مع انها تبقى حية وتعود الى النمو والانقسام حالما تزول المادة المبنجة

وهذا النوع من التخدر او النوم ليس مقصوراً على فعل المنبهات بل يحدث الناتو في حياة الاحياء وهو من جملة الافعال الفسيولوجية ومن هذا القبيل النوم الطبيعي كأن سببهُ مواد تتراكم في الدم والانسجة فيتوقف بها تأثر الاعضاء بالمؤثرات مدة. ومنهُ خمول الاعضاء مدة وحيرة على اثر انفعالها بالمؤثرات . ومنهُ ايضاً التعب فان العضو المتعب يقل تأثرهُ ولذلك فللتبنيج او التخدُّر درجات مختلفة

ويحسن بنا ان نبحث الآن عن العوامل الطبيعية التي تزيل تأثر الاحياء بالمؤثرات او تضعفهُ ومن هذه العوامل البرد فان الاحياء تبقى حية ضمن درجات محدودة من الحرارة فاذا قلّت الحرارة عن ذلك كثيراً او زادت بطلت الافعال الحيوية . واكثر الانسجة الحية يقل تأثرها بالمؤثرات اذا بلغت الحرارة درجة الصفر . واذا كان الحيوان من ذوات الدم البارد فعضلاتهُ واعصابهُ قد لا يقل تأثرها اذا زاد البرد زيادة معتدلة وقد يزيد بازدياد البرد ولكن معدل التأثر يقل حسبما تقل الافعال الكيماوية بقلة الحرارة حتى اذا بلغت درجة الصفر لم يعد الحيوان يتأثر الأ بالمؤثرات الشديدة وبعضهُ يزول تأثرهُ قبل الوصول الى تلك الدرجة ثم يعود التأثر اذا زادت الحرارة

ومنها قلة الاكسجين فان قلتهُ تضعف التأثر او توقفهُ فالخلايا العصبية في ذوات الفقار تنفعل جداً بزوال الاكسجين وكذلك انقسام الخلايا في البيوض الملقحة يقف اذا قل الاكسجين والاعضاء التي تنقبض يقل انقباضها او يتوقف اذا قلّ فيها الاكسجين . ولكن من الاحياء ما لا يتأثر كثيراً بفقد الاكسجين مع انها تتأثر جداً بالمنبجات وهذا يدل على ان فعل المبنجات ليس من قبيل ازالة الاكسجين مع ان التأكسد يقل وقت التبنيج ولكن قلتهُ نتيجة لا سبب

وهناك بعض الافعال الفسيولوجية التي تزيل التأثر من الخلايا ولو وقتياً فالصدمة الفجائية الشديدة قد تزيل الشعور ويحتمل ان يكون زوال الشعور حينئذٍ ناتجاً من الافراط الوقتي في استنزاف القوة وقتياً . ومثل ذلك فقد الشعور الناتج عن فعل الجاري الكهربائية الشديدة

فان المجاري الكهربائية قد تفعل في بعض الاحوال فعل المبنجات كما اذا مرَّ مجرى كهربائي ضعيف في نسيج قابل التهيج كالعضل والعصب فان الشعور يختلف حينئذٍ باختلاف القطبين الكهربائيين فيزيد عند القطب السلبي ويضعف عند القطب الايجابي حتى لقد ينقطع تأثر الاعصاب هناك تماماً. وقد استعملت هذه الكهربائية لازالة الم عرق النسا (الشيا تكا) ويمكن توليف قلب الضفدع من الحركة بواسطة الكهربائية

الأ ان المواد الكيماوية افعل من غيرها في التبنيج اي ابطال التأثر بالمؤثرات او تقليله. وهذه المواد مختلفة لا تشترك في صفاتها فقد تكون من الحوامض وقد تكون من القلويات وقد تكون من الغازات كاكسيد الكربون الثاني والاكسيد النيتروس. وقد تكون من السوائل كمحاليل املاح المغنيسيوم والكلسيوم والسترنتيوم فانها تبنج عضلات الضفدع ومثل ذلك مذوب السكر الذي فان التهيج في الانسجة متوقف على وجود مواد فيها ناتجة من الحل الكهربائي مثل املاح الصوديوم فاذا زال اعيد بوضع الانسجة في محلول هذه الاملاح ولكن اخص مزايا المبنجات المهمة هو انها تشترك في انها تذيب الادهان او تذوب فيها. وهذه المبنجات تشمل الاثير والكلوروفورم وكلوريد الاثيل والبيريدين وقد انتبه بيرا وهرلس الى الملازمة بين ذوبان الدهن والتبنيج منذ سنة ١٨٤٧ وهي تدلُّ على ان للمبنجات فعلاً خاصاً في مواد الخلايا ويظهر فعلها بالتأثير في المواد الدهنية او الشبيهة بالدهنية التي فيها وعلى ان درجة شعور هذه الخلايا تتوقف على المواد الدهنية التي فيها. وهذه المواد على اختلاف تراكيبها موجودة في كل الخلايا ومنها ما هو دهن فعلاً ومنها ما يشبه الدهن ولكنهُ ليس منهُ في شيء وكلها من المواد الاساسية في بناء الخلايا لا من الدهن الذي يخزن في بعض الاعضاء. والظاهر انها لازمة للتهيج واذا تغيرت حالتها تغير تهيج الخلايا التي هي فيها

وهنا فصَّل الخطيب تركيب الخلايا وقال ان المواد الدهنية كثيرة في اغشيتها وان المبنجات تفعل بهذه الاغشية فتنوع قابليتها للتأثر بالمؤثرات فتضعفها او توقفها تماماً واثبت كون قابلية التأثر بالمؤثرات هي في اغشية الخلايا من انفعالها بالكهربائية. وقال ان هذه الاغشية مسامية وتنفذ منها المواد دخولاً وخروجاً فتزيد قابليتها لذلك او تقل حسب فعل المبنجات بها وكذلك يزيد استقطابها الكهربائية او يقل. والظاهر ان المبنجات تقلل قابليتها لنفوذ الجواهر فيها دوائية كانت او كهربائية فلا تعود تنفذ وتؤثر في باطن الخلية اذا كانت مما يؤثر فيها عادةً. وسواء كان هذا هو التعليل الحقيقي او لم يكن فلا شبهة في ان المبنجات تفعل باغشية الخلايا فتقلل تأثرها بالمؤثرات او تزيله

وقد ذهب جمهور من كبار الفسيولوجيين الى ان اساس التبنج هو توقف فعل الأكسدة او زوالهُ لان الأكسدة تقل وقت فعل المنبجات ولكن ثبت الآن ان المبنجات تفعل بعض الاحيان فعلاً تاماً ويبقى التأكسد على حالهِ وهذا دليل على ان ليس بين الاثنين علاقة سببية وان المبنجات تفعل بالخلايا سواء كانت محتاجة الى الأكسجين او غير محتاجة اليهِ

بطرس الاكبر

والحرب بين العثمانيين والروس

وعدنا في الجزء الماضي ان نفصل ما جرى في هذه الحرب وانجازاً لذلك نقول

كان السلطان احمد الثالث يود استرجاع اروف (ازاق) من دولة الروس بجاه ترغيب كارلس الثاني عشر ملك اسوج لهُ موافقاً لرغبتهِ . فامر الصدر الاعظم (محمد باشا البلطه جي) بتعبئة الجيوش والاساطيل وذلك في شهر اغسطس سنة ١٧١٠ . وفي ٢١ نوفمبر من تلك السنة اعلن الحرب على روسيا والقى سفيرها تولستوي في سجن الابراج السبعة . وبلغ القيصر ان الصدر الاعظم جيَّش الجيوش في سهول ادرنه فامر البرنس ميخائيل غالتسوين ان يسير الى حدود البغدان بعشرة الايات من الفراغون لمراقبة حركات العثمانيين والتتار وامر غيرهُ من القواد باعداد الجيوش وفي الثامن من شهر مارس التالي أُعلنت الحرب وشمل الفرح بلاد الروس كلها . وفي السابع عشر منهُ سار بطرس الاكبر الى بولندا ومعهُ زوجتهُ كاترينا وكان قد اقترن بها سرًّا منذ سنة ١٧٠٧ واشهر الآن اقترانهُ بها . وزار اغسطس ملك بولندا واستعان بهِ على محاربة الاتراك فوعدهُ بان يمدَّهُ بثلاثين الفاً من رجالهِ . ثم اسرع الى دار الحرب معتمداً على مساعدة اميري الفلاخ والبغدان اكثر من اعتمادهِ على ملك بولندا لكنَّ اكثر اعيان البغدان لم يبايعوا اميرهم بل انحازوا الى الاتراك واخذوا معهم كل ما عندهم من المؤونة ولم يكن مع عساكر الروس زاد يكفيهم اكثر من اسبوع . واتبع القيصر مشورة الجنرال رون وعبر نهر الدنستر وسار في قفر لا نبات فيهِ ولا ماء سبعة ايام الى ان بلغ نهر بروث وكانت الجيوش العثمانية قد بلغت نهر الدانوب (الطونه) وعبرتهُ على جسرين اقامتها عليهِ وحاول الجنرال رون نزع الجسرين ففصلت الجيوش العثمانية بينهُ وبين سائر الجيش الرومي فامسى موقف القيصر محفوفاً بالخطر ولم يكن معهُ زاد ولا عليق لخيلهِ وكان الجراد قد التهم كل عشبة خضراء في تلك البلاد حتى الجذور

واتضح للقيصر حينئذٍ ان لا قِبَل لهُ بمحاربة الجيوش العثمانية فعزم على الفرار من وجههم . وكان عدد الجيش الذي عبر بهِ نهر الدنستر ٣٨ الفاً فعدهُ حينئذٍ فوجدهُ ٢٤ الفاً فقط فامرهم بالصعود الى اكمة فيها اصول اشجار مقطوعة ليحتموا بها منتظراً سبيلاً للفرج لكن خان التتار سبقهم الى الاكمة وهاجم ساقتهم في اليوم التالي . واتصلت حينئذٍ جيوش العثمانيين بجيوش التتار فبلغ عدد الفريقين اكثر من مئتي الف واجتمعت كلها في سهل فسيح هناك وكان مع الصدر الاعظم القائد سبار الاسوجي وهو من القواد المعدودين فاشار عليهِ ان يقيم حاجزاً من التراب وينصب عليهِ ما معهُ من المدافع وهي خمس مئة مدفع ويصلي الروس ناراً حامية . ولو فعل لما ابقى على احد منهم لكنهُ لم يفعل

ومرض القيصر مما اصابهُ من الهم ورأى ان الدائرة متدور عليهِ لا محالة فيفقد في لحظة واحدة ما انشأهُ في سنين كثيرة . ولم يجد وسيلة للهزيمة ولا الدفاع ولا البقاء من غير زاد الى ان تأتيهُ النجدات فكتب الى مجلس الامة يخبرهُ بالخطر المحدق بهِ وبانهُ يئس من النجاة ويوصيهِ ان يختار خليفة لهُ رجلاً من اقدر الرجال على ادارة شؤُون المملكة وامر قوادهُ ان يعقدوا مجلساً حربياً ويقرروا الخطة التي يجب ان يجروا عليها . فعُقد المجلس في خيمة شافيروف وحضرتهُ الامبراطورة كاترينا وقرَّ القرار على ان يرشوا الصدر الاعظم وكانوا يعلمون انهُ يحب المال فجمعوا المال مئتي الف ريال واضافت اليها الامبراطورة كل حلاها ثم عادت الى خيمة القيصر واخبرتهُ بما قرَّ عليهِ رأي قوادهِ فلم يوافق على قرارهم الأ مرغماً وكتب الى شافيروف ان يقبل شروط الصلح مهما كانت ويعطي العثمانيين البلاد التي يطلبونها . وان يخبرهُ دواماً بسير المذاكرة في امر الصلح حتى اذا لم تفلح يقوم برجالهِ ويحاول اختراق صفوف العثمانيين

اما الصدر الاعظم فلما رأى المال ابرقت اسرتهُ وصالح الروس على شروط اخف كثيراً مما قدَّروا فانهُ لم يطلب سوى استرجاع ازوف (ازاق) وهدم بعض الحصون والسماح للملك اسوج بالرجوع الى بلادهِ وعلى ذلك وضعت معاهدة هُش المشهورة . ولما عُلمت في روسيا شمل السرور البلاد كلها وكتب دوق ليون وكان مع الجيش الروسي يقول « لو اتانا احد في الصباح وقال لنا ان الصلح سيعقد على هذه الصورة لحسبناهُ مجنوناً او مصاباً بخبال في عقلهِ . ولما ارسل القائد العام كتاب الامان والكتاب الى قائد الجيوش العثمانية قال لنا ان الرجل الذي اتم جلالة القيصر بالدخول في هذه الحرب يجب ان يحسب من اشد الناس حمقاً ولكن ان كان الصدر الاعظم يقبل بعقد الصلح وهو يعلم المأزق الذي نحن فيهِ

فيكون اشد منهُ حنقاً وعسى الله ان يحمي بصيرتهُ بالمال فينجو رجالنا بعد ان صاروا في قبضة يدهِ »

وعقد الصلح وسلِم القيصر ورجالهُ ولكنهُ لم ينس بقية عمرهِ ما حلَّ بهِ من الخذلان

وعقد جودت باشا فصلاً في تاريخهِ لهذه الحرب قال فيهِ ما نصهُ

« وكان بطرس الكبير المشهور قيصر الروسية هجم على قلعة ازاق في القريم وانهزم شر هزيمة كما ذكرناهُ فاغتنم فرصة الحروب الواقعة منذ سنين عديدة بين الدولة العلية والبندقية ولهستان والنمسا فاعاد الهجوم على قلعة ازاق واستولى عليها ثم اغتنمها ايضاً في حرب اسوج والدانيمرك فاشهرها على اسوج وكان قارلوس الثاني عشر ملك اسوج المعروف بين اهل الاسلام (تيمورباش) على غاية من الحكمة والتدبير والشجاعة فتغلب على اخصامهِ مرات كثيرة واك يكن طمع في تنزيل بطرس عن تخت ملكهِ ولكن هذا لم يلحقهُ من ذلك الى ضعف بل ثابر على حربهِ في اطراف حدود لهستان المجاورة للدولة العلية فنال الغلبة وكاد ان يأخذ ملك اسوج اسيراً ففرَّ ملك اسوج الى بندر ملتجئاً لكهف الامان السلاطين والملوك وهي الدولة العلية فظهر حينئذٍ الاختلال في بلاد اسوج وضبطت روسيا قطعة عظيمة منها الواقعة في ساحل بحر البلطيق الى ممالكها

« وفي اثناء هذه الحرب تجاوز العسكر الروسي بعض الحدود السلطانية في حال تعقبهِ عسكر اسوج وكان تيموربلش (اي كارلس الثاني عشر) قبل ذلك انذر الدولة العلية بما يتوقعهُ من الدولة الروسية من الضرر والشر لما فاعلنت الدولة العلية الحرب عليها فشيد محمد باشا البلطه جي الصدر الاعظم والسردار الاكرم جسراً على نهر الطونه وقطع بصاكره ايالة (بسارابيا) من جهة يساقجي وكان الروس قطعوا قبل ذلك نهر بروث فنزلوا على ساحل الطونه في اراضي البغدان فلم يلتفت السردار اليهم بل استمر سائراً من الجانب الآخر وحاذاهم من غير ان يعبأ بهم بل بقي سائراً الى ان بلغ عبر فالجي وحاول عبور نهر بروث منهُ فعلم بذلك بطرس فارسل فرقة من الجند لمقاومة العبور اعتقاداً منهُ بان منعهُ للعساكر العثمانية من العبور في عبر فالجي يلجئهم الى اقامة جسر جديد يستغرق بناؤُهُ اياماً واعتقد ايضاً ان العثمانيين بعد مرورهم النهر لا بد ان يصرفوا بضعة ايام في ترتيب شؤُونهم فيكون هو قد انتهز الفرصة اللازمة في الاستعداد لمقابلتهم فاخطأت سهامهُ الغرض وذلك لان العساكر الاسلامية لم تنتظر تشييد جسر آخر بل تجشمت النهر وقطعتهُ واكرهت الروس على الفرار

وفي الليل شيدت ثلاثة جسور مشى عليها القسم الاكبر ممن بقي منها عند السحر فتعقبوا الروس وهزموهم شر هزيمة والمقدوم بمعسكرهم وفي الصباح عند مرور العساكر العثمانية جميعاً على تلك الجسور ومع كون المسافة التي بينهم وبين المعسكر الروسي كانت نحو ست ساعات قطعوها غير مبالين بالسهر ومشاق الطريق فبلغوا المعسكر الروسي بغتة عند العصر ولم يطلبوا الراحة من التعب بل فاجأوا الاعداء بالهجوم فلما رأى ذلك بطرس تحير وارتبك حيث انهُ كان يتوقع هذه الحال بعد خمسة او ستة ايام فانهزم بجنوده فعارضهُ النهر من جهة وكان خان القريم في الجهة الاخرى فقطع عليهِ خط الرجوع من البر فبات محصوراً واجبرهُ الحال على طلب الامان وهو في غاية الغلبة والقهر وقد ثبت بعد ذلك ان عسكر الروس في اثناء هذا الحصار اكلوا قشور الاشجار . ولذلك التمس الصلح والامان من السردار الاكرم معلناً لهُ انهُ يرضخ لجميع مطالبهِ مهما كانت فاجابهُ الى ذلك السردار الاكرم وربطهُ بشروط شاقة لا تستطيع دولة ما على قبولها منها عدم تداخلهِ في احوال الدولة وان يرد قلعة ازاق (ازوف) للدولة العلية وان يعطيها ما شيدهُ على الحدود من القلاع وان لا يكون لهُ سفير في الاستانة وان يقبل بتنازلهِ عن مقام سائر الملوك فالجأتهُ الضرورة الى قبول هذه الشروط المنيفة وانعقد الصلح واخذ منشور الوزير البلطه جي وسار الى مملكتهِ

« وكان السردار المشار اليهِ صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر في اعمالهِ وحركاتهِ حتى انهُ نال مسند الصدارة العظمى بما اجراهُ من الدسائس الكثيرة ثم لما وقف حضرة السلطان احمد خان على حقيقة حالهِ اعرض عنهُ وعزلهُ غير انهُ لما ظهرت اخيراً حوادث روسيا واصبح اتخاذ المصلحة توليتهُ مقام الصدارة مرة ثانية فاحسن فيها العمل وتغلب على ذلك الرجل الكثير الحيل وهو بطرس الاكبر وكان في امكانهِ محو عسكر الروس عن آخرهم ولكنهُ لم يرَ من الحكمة تتبع اثر الاعداء المأيوسين الذين قبلوا شروط هذا الصلح فرضي بالظفر الذي وقع لهُ وقنع قناعة مبنية على قاعدة الحزم والاحتياط وشعار المروءة فكان من ذلك ان بعض المؤرخين نسبهُ الى الغفلة وكان رجال السلطنة في الاستانة غير آمنين منهُ فسعوا في عزلهِ زاعمين ان الفرصة قد سنحت لهُ فكان ينبغي لهُ ان يمحق عسكر الروس عن آخرهم وادعوا عليهِ انهُ اخذ رشوة من الروسيا لذلك قبل بالصلح الاَّ ان حضرة السلطان احمد خان رد كلام الوشاة بقولهِ انهُ لا يرى من الصواب عزل مثل هذا الوزير الذي وجد في مثل هذه المزوات بل من الصواب ان يحسن اليهِ ويتلطف بهِ ولكن الافتراء في حقهِ كان قد بلغ مبلغاً لا يمر في خاطر وخيال فتمكنوا اخيراً من عزلهِ ونفيهِ قبل ان يصل الى الاستانة وهو وان كان

والخلاصة ان استعداد البلاد الحربي في الاحوال الحاضرة للاستقلال السياسي ضرب من المحال ولانرى دليلاً على انهُ يصير ممكناً بعد عشر سنوات او عشرين سنة

اما ما قالتهُ جريدة التيمس فلا تعني بهِ استعداد البلاد للاستقلال كلا بل هو من قبيل التمهيد لزيادة الضرائب اللازمة لبناء البوارج والحصون اي لمساعدة الحكومة الانكليزية في النفقات الحربية التي تراها لازمة لحماية القطر المصري

ولا بدَّ من ان يقول حضرة الكاتب الفاضل وغيرهُ من الوطنيين الالباء انا نحن طلاَّب استقلال فكيف ننالهُ . والجواب اننا جاهرنا بِرأْينا مراراً وهو انهُ يجب علينا اولاً ان نستقل في امورنا المالية اي يجب ان نزيد دخلنا ونقلل نفقاتنا حتى نتخلص من الديون الاجنبية على قدر الامكان

وثانياً ان نربي انفسنا واولادنا على حب العمل والصدق والامانة وكل الاخلاق التي ترفع شأن المرء في الهيئة الاجتماعية

وثالثاً ان نعلم كل الذين يستطيعون ان يتعلموا منا تعليماً عالياً حتى اذا خدموا بلادهم في مناصب الحكومة او غيرها من الاعمال العمومية لا يكونون دون احد من الاوربيين علماً واجتهاداً بل يكونون فوقهم بمراحل

اذا فعلنا ذلك كلهُ — وفعلهُ منوط بنا وحدنا لا بغيرنا وميسور لنا ولا يمنعنا منهُ احد — اضطر الانكليز وغيرهم من الاوربيين ان ينظروا الينا كما ينظر بعضهم الى بعض او كما ينظرون الى البوير فننال الاستقلال الشخصي ثم يليهُ الاستقلال الاداري . لانهُ سواءُ بقينا تابعين لتركيا او صرنا تابعين لانكلترا او غيرها يُنظر الينا حينئذٍ كاناس مستقلين فعلاً وننال الاستقلال الاداري التام واذا دعت احوال السياسة الى استقلالنا السياسي ايضاً فنكون اهلاً لهُ ويقل الخوف حينئذٍ من اجتياح دولة اجنبية بلادنا لان الاسباب التي تدعو الى استقلالنا السياسي تدعو الى حمايتنا السياسية

ولا بدَّ من ايضاح بعض الامور التي نراها محتاجة الى الايضاح فاولاً اننا نعني بالفلاحين جمهور السكان لا المشتغلين بحرفة الفلاحة وحدهم اي اننا نعني الفلاحين والمشايخ والعمد واكثر من تسعة وتسعين في المئة من السكان فهؤُلاء كلهم لا يهتمون بامر الدفاع مثقال ذرة وهذا شأن اكثر الناس في اكثر البلدان ولولا الفريق الذي يستفيد من الحرب مالاً او جاهاً او كليهما لتلاشت الحروب من الدنيا

وثانياً ان فائدة الانكليز من هذا القطر محصورة في المتقدمين منهم فيهِ اما الشعب

الانكليزي فيجرّ لاعتبائهِ مثل كل شعوب الارض وكل الاموال التي يأخذها الانكليز الآن اجوراً لموظفيهم لو حسبناها صدقة تأتيهم من القطر المصري عفواً من غير عمل بمعاونة فيهِ ما وازت عائدة الاموال التي انفقها الشعب الانكليزي في حرب السودان فانهُ انفق اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات وهي ممزّجة من دماء الشعب الانكليزي ولو بقيت في يدهِ لنال منها ربحاً سنويًّا لا يقل عن خمس مئة الف جنيه فهل تزيد اجور كل الموظفين الانكليز على هذا المبلغ

هذا ونعيد ما قلناهُ سابقاً وهو اننا لا نشير بالاستعداد الحربي للدفاع او للاستقلال لاننا نرى ان هذا الاستعداد ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة. وفوق ذلك فان جمهور الشعب في هذا القطر وفي كل الاقطار لا يهتم بالحرب والدفاع ولا يهتم بهما الا الذين ينتفعون منها من ارباب المال والجاه ولولاهم ما احتل الانكليز مصر ولا اهتموا بالدفاع عنها

العنكبوت الكاذب

سيدي الجليل منشئ المقتطف الزاهر

سلاماً واجلالاً . بديهي ان كل شيء لم يألفهُ النظر من الانواع الغريبة الدنيا من الحشرات ذوات الارجل العديدة والزغب المصمر يروع الانسان ويدهشهُ وان من غرائب هذه الحشرات نوعاً اظنهُ من جنس العنكبوت ذات عشرة ارجل ومنقارين يشابهان حمة العقرب وسرعتهُ متناهية في الجري (ها هي مرسولة لكم طيهُ لفحصها) وهذه الحشرة قد راعتني في صغرها لما هي عليهِ من الخشونة والشكل الغريب ولقد احتلت على قتلها بدون ان ايدها حبًّا في معرفة شيء عن طباعها وهل هي من النوع السام ام هي من جنس العنكبوت لا ضرر ولا خوف منها. اني لم ارَ في حياتي ولا رأى الذين سألتهم مثلها فاذا رأيتم عائدة في نشر شيء عنها ارجوكم المبادرة في ذلك لفائدة القراء والباحثين في طبائع الحشرات ولكم الشكر

سواكن عبد العزيز صالح

[المقتطف] وصلت الحشرة التي ارسلتموها وهي مثل اكبر انواع العناكب جرماً وقلما تفرق عن العناكب شكلاً حسب الظاهر وتعرف عند علماء الحشرات باسم العنكبوت الكاذب لانها من فرقة السليفوجي لا من فرقة الاراني واكبر مميز لها طول زبانيها فانهما اطول من ارجلها الستة القريبة منها وطول رجليها الخلفيتين ولها عقلبان في طرف كل رجل

يلبث كذلك أكثر من لحظة · وسجاياه الذكاء والتفكير والعظمة مع شيء من النعمة · وهو على بساطة لبسه وركوبه المركبات العادية لا تخفى عظمته على الناظر اليه »

ولم يحفل مدة اقامته في باريس بالرسميات الفارغة بل كان همه البحث في شؤون الحكومة والتجارة والعلوم والامور الحربية · لم يزر الامراء الذين من بيت الملك بل زار معامل المركبات وحوانيت الصاغة ومستشفيات مرضى الجنود وذاق طعامهم وعاملهم كما يعامل الجندي رفاقه · وأعجب برؤي انوال الغوبلين والمرصد الفلكي وبستان الملك ومجموعة رسوم الحصون والآلات التي يرفع بها الماء ويوصل الى فرساليا · وضرب له وسام في دار الضرب كتب عليه عبارة لاتينية لفرجيليوس الشاعر الروماني وهي Vires acquirit eundo ومعناها « بالاسفار احراز القوى » وحضر اجتماع اكادمية العلوم فانتخبته عضواً فيها وأرى خريطة لمملكته فاصلحها بيده ورأى تمثال رشليو في مدرسة السربون فاعتنقه · وزار مدام منتنون كأثر باقٍ من عهد لويس الرابع عشر وكانت طريحة الفراش فرفع سجف سريرها ونظر اليها ولم يفه بكلمة ولا هي قالت شيئاً

وكان غرضه ان يحالف فرنسا على جورج الاول ملك انكلترا ليرد الملك الى بيت ستورت كما تقدم فلم يفلح لان فرنسا كانت تعد محالفتها مع انكلترا اساس سياستها الخارجية · وقد ذكر ذلك سان سيمون مخطئاً فرنسا وقال انها ندمت بعدئذ على انحيازها الى انكلترا واحتقارها لروسيا ولات ساعة مندم

وأصيب في اخريات ايامه برزية عائلية فانه تزوج وعمره سبع عشرة سنة فتاة من اسرة قديمة تحب القديم وتكره الجديد فلم يوافق طبعها طبعه ورزق منها ولداً سماه الكسي ورثه على حب القديم وكراهة الجديد فاضطر ان يطلقها ويتزوج غيرها فزادت تكربه ابنه به · وأتى بالمعلمين الاكفاء لابنه فتعلم وتفقه رغماً عنه لانه كان يفضل معاشرة القسوس والرهبان على معاشرة العلماء ورجال السياسة ولا يقبل في مجلسه الا الناقمين على ابيه وعلى القوانين التي سنها والاصلاحات التي ادخلها الى البلاد . وحاول ابوه ان يصرفه عن ذلك بالنصح والارشاد على غير جدوى · ومما قاله له في هذا الشأن « ان خوفي من المستقبل ينغص عيشي ويزيل بهجة النجاح الذي فجحته في عملي لاني اراك تحتقر كل ما يجعلك اهلاً لملك بعدي واني لاحسب اهمالك هذا عصياناً عليّ لانك لا تستطيع ان تعتذر بضعف عقلك او نحافة جسمك . ونحن كنا عثنين فظهرنا بعد الجهاد الطويل بواسطة الحروب التي علمت الامم الاخرى ان تعرفنا وتحترمنا ومع ذلك اراك تكره ان تسمع اسم

الحرب . ولا بد ان اموت فلن اترك ما انشأتهُ . ان كنت لا تغير سلوكك اضطررت ان احرمك من ولاية عهدي . اني لم ابخل على بلادي بحياتي فهل تظن اني ابخل عليها بك . البعيد الصالح للحكم خير من القريب الذي لا يصلح لهُ » ثم ارسلهُ في كثير من مهام المملكة فقضاها مكرهاً وكان يقول ان صحتهُ ضعيفة وذاكرتهُ ضعيفة وانهُ يفضل ان يصير راهباً على ان يصير ملكاً فامهلهُ ستة اشهر لكي يتصرف على عزمهِ . واشار عليهِ احد خواصهِ ان يذهب الى الدير و يترهب ومتى مات ابوهُ يعود الى الملك لان القلنسوة لا تسمَّر براسهِ . ثم استمهل اباهُ وهرب مع خليلته الى المانيا وسار الى ڤينا ونزل على امبراطورها وطلب حمايتهُ من ابيهِ . فبحث ابوهُ واتى بهِ وحاكمهُ فوجد انهُ كان محور دسيسة كبيرة يراد بها قلب النظام الحاضر وارجاع النظام القديم . فاضطرهُ حينئذٍ ان يوقع عهداً بالتنازل عن حقهِ في الملك ثم اوقع العقاب الصارم بالذين ثبتت عليهم الخيانة . وقولنا العقاب الصارم لا يؤدي جزءا من المعنى المراد فان الجنرال غليوف مثلاً سُلخ جلدهُ وهو حي ورئيس الاساقفة كُسرت عظامهُ وغيرهما عُذب ثم قتل . وحُكم على الكسس بالقتل فجلد ٢٥ جلدة بسوط لا يعيش من يجلد بهِ ثلاثين جلدة وجلد في اليوم التالي ١٥ جلدة فمات ولم يظهر على ابيهِ انهُ حزن عليهِ او ندم على ما عمل وهي قساوة نادرة المثال

قلنا ان بطرس الاكبر تزوج بخليلتهِ كاترينا وهي فتاة أُسرت من مرينبرج سنة ١٧٠٢ فباعها المرشال شرميتيف للبرنس منشيكوف ورآها القيصر في بيتهِ فاحبها وتزوج بها سرًّا وكان اسمها مرتا فلما تعمدت في الكنيسة الارثوذكسية سميت كاترينا ومنحها لقب الملك سنة ١٧١٠ ثم لما طلق زوجتهُ الاولى اقترن بها علانية سنة ١٧١١ ومن ثم لم تعد تفارقهُ وكان ينسب اليها نجاتهُ من معركة بروث المذكورة آنفاً . ثم جعلها ولية لعهدهِ سنة ١٧٢٢ وفي ٧ مايو سنة ١٧٢٤ تُوّجت في كنيسة موسكو امبراطورة على روسيا ووضع على رأسها تاج فيهِ ٢٥٦٤ حجراً من الحجارة الكريمة وفي اعلاهُ ياقوتة قدر بيضة الحمامة وفوقهُ صليب من الماس

وتوفي بطرس الاكبر في ٢٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وهو كهل في الثالثة والخمسين من عمرهِ وكانت الامبراطورة كاترينا تمرضهُ و بقيت معهُ الى آخر ساعة من حياتهِ واغمضت عينيهِ بعد موتهِ . ولا شبهة في انهُ كان من اعظم الملوك وانهُ هو الذي رقى روسيا وجعلها من الممالك العظيمة و بذل في ترقيتها كل قوى جسدهِ وعقلهِ ولم يضن عليها بنفسهِ وولدهِ

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

يراد بالعمولة او السمسرة اجرة الوكيل او السمسار او الدلال وكل من يتوسط بين البائع والشاري والمالك والمستأجر والدائن والمستدين وما اشبه . وليس لها عند الانكليز قانون مسنون في البرلمنت ولكن عندهم احكام حكم بها القضاة او اقرّها العرف والاستعمال ومدار الاحكام فيها اثبات ما نواهُ السمسار ومن استخدمهُ حين استخدامه لهُ والعمل به

وقد تكون السمسرة جزءا كبيراً او صغيراً من المال المتعامل به ويرجع فيها الى الشرط او الاتفاق الذي تم بين السمسار ومن استعمله واذا لم يكن بينهما شرط فالرجوع فيها الى العرف فيجوز مثلاً ان يقول مالك لسمسار اعطيك خمسة جنيهات اذا وجدت لي مشترياً يشتري بيتي بالف جنيه او يقول لهُ اعطيك كل ما يزيد من الثمن عن الالف جنيه او اعطيك واحداً في المئة على الالف الاولى من ثمنهِ واثنين في المئة على كل ما يزيد من الثمن فوق الالف جنيه . واما اذا قال لهُ فتش لي عن مشترٍ يشتري بيتي بالف جنيه فاعطيك ما يقابل اتعابك فلا حق للسمسار الا بما يقابل اتعابهُ اذا وجد المشتري

والاتفاق بين السمسار ومستخدمهِ اما ان يكون شفاهاً او كتابةً . والاتفاق الكتابي يجب ان يحسب حاوياً كل شيء صريحاً فلا يجوز تأويلهُ ولا حسبانهُ ناقصاً

هذا ولما كان ذكر الاحكام ادلَّ على المراد من هذه القواعد المجردة نقتطف الاحكام التالية من كتاب ولسن في السمسرة

طلب تاجر من سمسار ان يستأجر لهُ سفينة بالفي جنيه ولم يشارطهُ على السمسرة ثم عرض عليهِ خمسين جنيهاً اي ٢½ في المئة فابي وطلب مئة جنيه اي ٥ في المئة ورفعت الدعوى الى القاضي المرس واجتمع المحلفون وسمعوا اقوال الخصمين واخيراً لخص القاضي وقائع الدعوى بالكلام الآتي

« المسألة ما هي الاجرة العادلة لسمسار استأجر سفينة لوسق البضاعة بالفي جنيه . دفع المستأجر لهُ ٢½ في المئة فقال المدعي ان السمسرة يجب ان تكون ٥ في المئة واتى بشهود كثيرين قالوا انهم يأخذون دائماً خمسة في المئة على استئجار السفن وقال المدعى عليهِ بل هي ٢½ في المئة واتى بشهود لتأييد قولهِ . وحبذا لو سُنَّ قانون صريح يعمل به دائماً الا حيث يتفق الفريقان اتفاقاً خاصاً . فاذا كان ما سمعتموهُ قد اقنعكم ان السمسرة يجب ان

تكون ٥ في المئة فاحكموا للمدعي بخمسين جنيهاً اخرى وان كان قد اقنعكم انها يجب ان تكون ٢½ في المئة فاحكموا للمدَّعى عليهِ بسقوط دعوى المدعي واذا وجدتم ان المسألة لا تدخل تحت العرف وان المدعي يستحق اكثر من ٢½ في المئة فاحكموا لهُ بالزيادة

ورفعت دعوى مثل هذه الى القاضي لورد الفبورو فحكم المحلفون ان السمسرة خمسة في المئة بناء على العرف

واذا وجد في الاتفاق شرط يخالف العرف وجب العمل بهِ مثال ذلك انهُ تم الاتفاق بين تاجر وعميلهِ على ان يعطيهُ التاجر خمسة في المئة على كل البضائع التي يبيعها لهُ وعلى كل « الطلبيات » التي يرضى بها التاجر ويوصلها . وادَّعى التاجر بعدئذٍ ان العرف يقضي بان لا تدفع العمولة اذا لم يدفع المشتري ثمن ما اشتراهُ . فصدر الحكم بوجوب اعطاء العمولة حسب نص الاتفاق سواءٌ دفع المشتري ثمن ما اشتراهُ او لم يدفعهُ

واذا كان في العرف شيءٌ غير جائز قانوناً لم يعمل بهِ مثال ذلك ان الذين يستوردون ما يشتري الجيش الانكليزي يزيدون الثمن ويأخذون الزيادة لانفسهم ويقال انها عادة متبعة دائماً . ورفعت دعوى من نوعها الى القضاء فقال القاضي انهُ يجب ابطال هذه العادة حالاً ولو كانت متبعة وحكم بان لا حق للدعي ان يزيد الثمن

اذا لم يفوض رجل الى سمسار ان يعمل لهُ العمل الذي عملهُ فلا حق للسمسار ان يطالب بالسمسرة . مثال ذلك ان سمساراً ادَّعى انهُ عرَّف زيداً بعمرو وكانت نتيجة هذا التعارف ان اشترى عمرو من زيد بيتاً فادَّعى السمسار بالسمسرة ولكنهُ لم يقدم بينة على ان زيداً كلفهُ بايجاد من يشتري بيتهُ فحكم لورد وطسن ان لا حق للسمسار بطلب السمسرة الاَّ اذا كان البائع قد اتفق معهُ على ان يعرفهُ بزيد لكي يبيعهُ البيت

اذا عمل سمسار عملاً من غير ان يكلف بهِ شفاهاً او كتابة ثم وافق على العمل من عُمل لهُ اعتبرت الموافقة كأنها اتفاق سابق مع السمسار . مثالهُ اذا عرف سمسار اني أُريد ان ابيع بيتي ووجد لي مشترياً يشتريهِ واتاني بهِ فرضيت بذلك وبعتهُ البيت حقت السمسرة للسمسار كأني انتدبتهُ لبيع بيتي

واذا انتدب واحد سمساراً لعمل ثم تمَّ العمل ولكن ليس كما صار الاتفاق عليهِ اولاً مع السمسار فذلك لا يبطل حقهُ . فاذا انتدب سمساراً ليجد لهُ مشترياً يشتري بيتاً لهُ بالفي جنيه ويعطيهِ ٢½ في المئة من الثمن فوجد المشتري ولكنهُ لم يشترِ البيت بالفي جنيه بل باقل من ذلك حقت لهُ السمسرة على الثمن الذي اشتراهُ بهِ بمعدل ٢½ في المئة ولكن اذا انتدب

ليبيع لهُ خمسة آلاف متر من ارضهِ فوجد لهُ مشترياً لالف متر فقط ولم يشأ المالك ان يبيعها وحدها فلا حق للسمسار بالسمسرة

وتستحق السمسرة حالما يتم عمل السمسار ما لم يكن الشرط بينهُ وبين من انتدبهُ مخالفاً لذلك او ما لم يكن العرف مخالفاً لذلك . فاذا حصل عميل على طلب بضاعة لتاجر من معمل وقبل صاحب المعمل الطلب حقت العمولة للعميل ولو اهمل صاحب المعمل ارسال البضاعة التي طُلبت منهُ

وكذلك تستحق السمسرة للسمسار اذا لم يتم العمل تعنتاً من الذي انتدبهُ او غلطٍ في ما انتدبهُ لهُ . مثال ذلك ان رجلاً كلف سمساراً ان يجد لهُ مَنْ يقرضهُ مبلغاً من المال ويرتهن ملكاً حرًّا لهُ ، فوجد لهُ رجلاً مستعداً ان يقرضهُ المبلغ المطلوب ولكن هذا الرجل وجد ان الملك غير حر فلم يقبل به رهناً وابى ان يقرض صاحبهُ وابى هذا دفع السمسرة ورفعت الدعوى الى القضاء فقال رئيس القضاة ان السمسار عمل كل ما يطلب منهُ هنا اذ قد طلب المالك منهُ ان يأتيهُ بمن يقرضهُ المال الذي طلبهُ على رهن مثل الرهن الذي وصفهُ لهُ ففعل فحقت لهُ الاجرة حسب الاتفاق والغلط من المالك لانهُ قال ان البيت حر

وحدثت حادثة اخرى شبيهة بهذه وهي كلف رجل سمساراً ان يجد لهُ من يقرضهُ ٢٠٠٠ جنيه ويرتهن بيتهُ واعطاهُ كتابة يقال فيها اذا وجدت لي الفي جنيه او اي مبلغ آخر ارضى به فاني ادفع لك على المبلغ الذي اقبضهُ ٢½ في المئة سمسرة . فاتاهُ السمسار بأناس عرضوا عليه ١٦٢٥ جنيهاً فقط فرضي بها ولكن الدائنين طلبوا منهُ ان يستخرج لهم صورة عقد المشترى فابى تخلصاً من دفع النفقات اللازمة لذلك فبطل الرهن وابى ان يدفع شيئاً للسمسار بناء على انهُ لم يقبض شيئاً . ورفعت الدعوى الى القضاء فقال القاضي برامول يحتمل ان غرض كاتبيَ الاتفاق ان المدَّعَى عليهِ لا يدفع للمدعي سمسرة الاَّ على النقود التي يستلمها فعلاً وانهُ حرٌّ ان يستلم النقود او لا يستلمها سواء كان عدم استلامهِ لها تعنتاً منهُ او لسبب صحيح ويحتمل ان يكون المعنى ان السمسار لا تحق لهُ السمسرة اذا ابى الدائن ان يدفع المال . او ان يكون معنى قولهِ « المبلغ الذي اقبضهُ » المبلغ الذي ارضى بهِ . ويظهر لي ان مراد المستدين هو اذا وجدتَ لي من يدينني الفي جنيه دفعت لك السمسرة . ويحتمل ان يكون طالب الدين قد وضع كلمة « اقبضهُ » لكي يدل على انهُ لا يدفع سمسرة الاَّ على المبلغ الذي يقبضهُ فعلاً . اما انا فارى الاحكام في هذه المسألة وامثالها متجهة الى

اعطاء السمسار حقهُ من السمسرة اذا عمل العمل الذي كُلّف بهِ ولا يحرم منها اذا لم يتم العمل فعلاً خطاءٍ من الذي انتدبهُ

ومن هذا القبيل ان مالكاً كلف سمساراً بان يجد مشترياً لارضهِ فوجد المشتري ولكن المالك طلب ان يكتب في عقد البيع عبارة لم يرضَ عنها المشتري ان تكتب فيهِ فبطل البيع وابى المالك ان يدفع سمسرة ورفعت الدعوى الى القضاء فحكم القاضي ان السمسرة غير واجبة لان البيع لم يتم ولكن يحق السمسار ان يأخذ اجرة عملهِ والاجرة هنا تساوي السمسرة

وطلب مالك من سمسار ان يجد مشترياً لبيتهِ فوجد لهُ المشتري المطلوب وتم الاتفاق على الثمن بينهُ وبين المالك في ١٦ يناير وطلب المشتري ان يستلم البيت في ١٥ مارس على الاحد فلم يقبل البائع ان يتعهد تسليمهِ لهُ الا بعد انتهاء الفصل في مدينة لندن فالغي البيع وطلب السمسار سمسرتهُ فابى المالك دفعها وحجتهُ ان البيع لم يتم وحجة السمسار ان المالك لبيت يجب ان يكون قادراً على تسليمهِ لمن يشتريهِ منهُ ولو بعد مدة كافية وحكم المطعون لهُ بالسمسرة بناء على ان المدة من ١٦ يناير الى ١٥ مارس كافية لتسليم البيت

ولا تحق السمسرة الا اذا عرض من يأتي بهِ السمسار مبلغاً قبلهُ الطالب او هو منطبق على الشروط التي اشترطها. قال لورد اشر في احد احكامهِ ان السمسار لا يستحق السمسرة الا اذا اتى بمشترٍ حقيقي مستعد ان يرتبط بالمشترى ثم اذا احضر مشترياً مثل هذا ولم يتم المشترى لخلل وجده في ملكية ما يراد مشتراهُ او لانهُ وجد البائع غير راضٍ بالبيع حقت لهُ السمسرة ولو لم يتم البيع اما في هذه القضية فالشروط التي اشترطها المشتري اولاً لاتمام المشترى من حيث دفع الثمن والنفقات لم يقبل بها البائع ولا تنازل عنها المشتري وطالت بينهما المخابرة ولكنهما لم يتفقا ولم يرتبط المشتري بمشترى البيت ولذلك فالسمسار قد عجز عن اثبات حقهِ

وطلب بعضهم من سمسار ان يجد لهم من يسلفهم ١٢٠٠٠٠ جنيه لانشاء سكة حديدية فعرض عليهم ثلاثة مشروعات للحصول على المال المطلوب فلم يقبلوها ثم اخذوا المال بواسطة اخرى فطلب منهم السمسرة مدعياً ان عدم نجاحهِ كان منهم فكان الحكم انهم غير مكلفين بدفع السمسرة لهُ لانهُ لم يقم بما ندبوهُ لهُ حسب الاتفاق بينهم وبينهُ

واذا وقف العمل عند المخابرة لم تجب السمسرة مثال ذلك ان شركة من شركات السوكرتاه طلبت من بعض السماسرة ان يجدوا لها من يسلفها مبلغاً من المال على رهن ترهنهُ لهُ واعطتهم كتابة تقول فيها انها تعطيهم السمسرة اذا تمت السلفة بواسطتهم مباشرة او بواسطة تعريفهم باصحاب المال فاحضروا لها اناساً يسلفون الاموال برهن ولكنهم ابوا ان

يسلفوا المال للشركة ثم حلّت تلك الشركة وطلب السماسرة سمسرتهم بناء على انهم فعلوا ما طُلب منهم. فقال القاضي شيتي في حكمهِ ان السماسرة لم يأخذوا من اصحاب المال سنداً او عقداً يربطهم باقتناء السلفة ثم ان الناس الذين احضروهم كانوا يريدون تسليف النقود وجرت المذاكرة بينهم وبين الشركة في الشروط المطلوبة ولكنهم لم يتفقوا عليها فبطل العمل واحضار شخص مستعد ومريد لعمل من الاعمال لا يكفي بل يجب ان يبقى على ذلك الاستعداد وتلك الارادة الى ان يتم العمل. فلو اتى السماسرة بتعهد مكتتب من اصحاب الاموال انهم مستعدون لتقديم المال المطلوب ثم ظهر خلل في امتلاك الشركة للملك الذي تريد رهنهُ فعدلوا عن تسليف المال بسبب ذلك فالشركة مسؤولة بالسمسرة. اذا كان لزيد فرس واستخدم عمراً ليجد لهُ مشترياً فاتى بحالهِ فرأى الفرس وابى ان يشتريهُ لسبب او لغير سبب لم تحق السمسرة لعمرو على زيد. ولا حق للسماسرة باقتضاء تقدير لهم عن جزء عملهِ من العمل لان هذا العمل واحد لا يتجزأ ولا يمكنهم ان يطالبوا بعطل وضرر بناء على ان الشركة اقامت العقبات في سبيل اتمام السلفة لان الشركة كانت تود اتمامها حتماً

ان العمل الذي يعملهُ السمسار يجب ان يكون مثل ما طلب منتدبهُ حتى يستحق السمسرة وان اختلف عنهُ يجب ان لا يكون الاختلاف جوهرياً. مثال ذلك ان مالكاً طلب من سمسار ان يجد لهُ من يشتري منهُ ارضاً تصلح للبناء بثلاثة آلاف جنيه فاحضر لهُ رجلاً اتفق معهُ على ان يبني في الارض ويدفع لهُ ايجاراً لها ١٥٠ جنيهاً في السنة كأن ثمنها ٣٠٠٠ جنيه كما طلب والربا خمسة في المئة وذلك على ٩٩٩ سنة ولهُ الحق ان يدفع الثمن كلّهُ قبل مضي عشرين سنة ويمتلك الارض. ولم يشأ المالك ان يدفع السمسرة بناء على ان السمسار لم يجد من اشترى الارض منهُ فعلاً لكن احد القضاة قال ان ما حدث هنا هو كالمشترى تماماً. وقال آخر اذا لم نحكم على المدّعى عليهِ في هذه الدعوى حدثت مشاكل كثيرة ولم تكد توجد حادثة واحدة يستحق السمسار فيها السمسرة وعندي ان السمسار وجد مشترياً او من هو في حكمهِ فعلى المالك ان يدفع السمسرة

اراد رجل ان يبيع ملكاً بخمسة واربعين الف جنيه وكلّف سمساراً ان يجد لهُ مشترياً بهذا الثمن فوجد مشترياً دفع ٤٠٠٠٠ جنيه فقط ثم زادها الى ٤١٠٠٠ جنيه فقبل بها المالك ولكنهُ ابى دفع السمسرة مدّعياً انهُ فوّض السمسار بالبيع بخمسة واربعين الف جنيه لا بواحد واربعين الفاً ورفعت الدعوى الى القضاء وحُكم فيها بوجوب دفع السمسرة. لكن كان يحق للمالك ان لا يبيع ملكهُ بواحد واربعين الفاً فلا يأخذ السمسار

حينئذٍ شيئاً . قال القاضي وطسن في حكم من احكامهِ « اذا اراد مالك ان يبيع ملكاً وطلب من سمسار ان يجد لهُ مشترياً وذكر لهُ الثمن الذي يرغب في البيع بهِ فقد استخدم ذلك السمسار بنوع عام حتى اذا باع الملك المشار اليهِ الى الشخص الذي احضرهُ لهُ حقت السمسرة ولو كان الثمن اقل مما عينهُ المالك حينما اتخذهُ لهذا العمل وتحديد الثمن انما يمنع السمسار من البيع باقل منهُ اذا لم يرضَ المالك بالثمن الاقل . ولكن اذا كان الثمن الذي حُدد هو اساس تبنى عليهِ المساومة فالثمن الاخير الذي يرضى بهِ المالك هو المراد . واذا طلب مالك من سمسار ان يؤجر لهُ بيتهُ فقال لهُ السمسار هل تبيع البيت اذا وجدتُ لك مشترياً فاجاب نعم ابيعهُ ولكن بعشرة آلاف جنيه ولا اقبل ثمناً اقل من ذلك ولو عرشاً واحداً . فهنا سمسار مفوض بالبيع بثمن محدود اذا لم يأتِ بهِ لم تحق لهُ سمسرة في رأيي »

ولا ندري ما يكون حكم لورد وطسن ان احضر السمسار مشترياً بتسعة آلاف جنيه ورضي المالك ان يبيعهُ البيت بهذا الثمن افلا تحق لهُ السمسرة

ومن الاحكام المفيدة الحكم التالي وذلك ان مالكاً طلب من سمسار ان يجد لهُ مشترياً ويعطيهِ سمسرة ٢½ في المئة حينما يتم المشترى فاحضر لهُ مشترياً اتفق معهُ على الثمن وهو ١٨٥٠٠ جنيه ودفع عربوناً ٩٢٥ جنيهاً ثم دفع ٣٠٠٠ ثم دفع مبلغاً آخر حتى صار كل ما دفعهُ نحو ٧٠٠٠ جنيه وعجز عن دفع بقية الثمن وبطل البيع . وطلب السمسار سمسرتهُ عن الثمن كلهِ او عن المبلغ المدفوع منهُ على الاقل وابى المالك ورفعت الدعوى الى المحكمة فقال لورد لندمي ان السمسار لا يستحق السمسرة الاَّ اذا اثبت ان البيع تمَّ فعلاً او انهُ لم يتم لسبب من البائع اما هنا فالبيع لم يتم لعلة من المشتري وقد اعترف المشتري انهُ لم يعد قادراً على دفع بقية الثمن فلا لوم على البائع بل هو قد سهَّل الدفع على المشتري بتقسيط الثمن . وقد قال السمسار انهُ يفهم من التفويض ضمناً انهُ يستحق السمسرة على ما دفع من الثمن ولكن حيث يوجد نص صريح لا يعمد الى التأويل

وطلب رجل من سمسار ان يشتري لهُ ارضاً واعطاهُ تفويضاً يقال فيهِ اعطيك مئة جنيه سمسرة اذا وافق محاميَّ على عقد المشترى وبعد المساومة في الثمن أُبطل الشراء فطالبهُ السمسار بالسمسرة فلم يحكم لهُ بها لانهُ لم يثبت انهُ قدَّم عقداً للمحامي لكي يوافق عليهِ وقيل في الحكم انهُ لو قدَّم عقداً للمحامي ورفض الموافقة عليهِ لسبب غير معقول لحقت لهُ السمسرة ايضاً

يزيد بن عبد الله التركي

جاءتنا نسخة من كتاب الولاة والقضاة الذين تولوا القطر المصري في الاربعة القرون الاولى وهو لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري المتوفى في اواسط القرن الرابع للهجرة وقد نقلنا عنهُ الفصل التالي وسنذكرهُ في باب التقاريظ

وليها يزيد بن عبد الله من قِبَل المنتصر وليّ عهد ابيهِ على صلاتها. قدمها يوم الاثنين لعشرٍ بقينَ من رجب سنة اثنتين واربعين ومائتين فجعل على شرطهِ ابنهُ خالداً وجعل خالد عليها عليّ بن اسحاق الموسيّ ثمَّ ولّى على الشُرطه يحيى بن احمد بن عبد الله بن دينار فامر يزيد بن عبد الله حين قدمها [باخراج[1]] المؤنثين من مصر وضربهم وطيّهم و (ان) يُطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيهِ وامر بالخنازير فجُعلوا في الكوَر وهو اوّل من جعلهم (فيها) وامر يزيد بضرب رجلٍ من الجُند في شيء وجب عليهِ فضربهُ عشرة فاستحلف يزيد بحقّ الحسن والحسين إلاَّ عفا عنهُ فزادهُ ثلاثين دِرّةً. ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكّل فورد كتاب المتوكّل على يزيد بضرب ذلك الجنديّ مائة سوط فضربها وحمل الجنديّ الى العراق لثمانٍ خلونَ من شوّال سنة ثلاث واربعين

وخرج يزيد بن عبد الله الى دمياط مرابطاً في المحرَّم سنة خمس واربعين ورجع الى الفُسطاط في ربيع الاول فلما كان بسها بلغهُ ان الروم نزلوا الفرَما فرجع في جيشهِ الى الفرَما فلم يلقهم

وامر يزيد في شوّال ببيع الخيل التي تُغنذ للسلطان وعطّل الرِهان فلم تجرِ الى سنة تسع واربعين. وتتبّع يزيد بن عبد الله الروافض فحملهم الى العراق وورد كتاب المتوكل باتخاذ[2] المقياس الهاشمي للنيل و بعزل النصارى عن قياسهِ فجعل يزيد عليها ابا الرَّداد المعلم واجرى عليهِ سُليمان ابن وهب صاحب الخراج سبعة دنانير وذلك في سنة سبع واربعين ومائتين

وظفر يزيد في شعبان سنة ثمان واربعين على رجل يقال لهُ محمد بن عليّ بن الحسين بن ابي طالب يُعرف بابي حدري[3] بُويع لهُ فبعث يزيد الى الموضع الذي كان فيهِ فاخذهُ فاقرّ واقرّ على جمعٍ من الناس بايعوهُ فاخذ بعضهم فضُربوا بالسياط ثمَّ أخرج بالعلويّ

---

(١) منه الزيادة عن الخطط (ج ١ ص ٣١٢) (٢) بالهامش بخط غير الناسخ : اي بالقيام بانخاذ من القرشان المأمون هو الذي اسسه ولم يتمه (٣) ما امكننا تحقيقه

هو وجمع من آل ابي طالب الى العراق في شهر رمضان سنة ثمان واربعين

وتوفي المتوكل ليلة الخميس لخمس خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وبويع محمد المنتصر وتوفي الفتح بن خاقان . واقرّ المنتصر يزيد بن عبد الله عليها ثمّ ورد كتاب المنتصر [بان لا يقبل علوي[1] ضيعة[2]] ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها وان يمنعوا من اتخاذ العبيد الاّ العبد الواحد وان كانت بينهُ و بين احد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمهِ فيهِ ولم يطالب ببينة وكتب المنتصر الى العمال بذلك

وتوفي المنتصر في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائتين

وبويع المستعين في ربيع الآخر وورد الكتاب الى مصر بذلك يوم السبت لست بقين من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وورد كتاب المستعين الى يزيد بن عبد الله يأمرهُ (ان) يستسقي الناس لقحط كان بالعراق وكتب بذلك الى الآفاق فخرج الناس معهُ يوم الاربعاء لسبع عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثمان واربعين فاستسقوا واستسقى اهل الآفاق في يوم واحد

واخرج يزيد ستةً رجال من الطالبيين الى العراق في شهر رمضان سنة خمسين ومائتين ثمّ اخرج بثمانية منهم في رجب سنة خمس وخمسين

وعزل المؤنسي عن الشرط في رجب سنة احدى وخمسين وولّي محمد بن إصبنديار[3] وخلع المستعين في المحرّم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وبويع المعتزّ لخمس خلون من المحرّم وكان بيعتهُ بمصر يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين

وخرج جابر بن الوليد المدلجي من بني المجيم بن عشوارة بن عمرو بن مُدْلج بارض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليهِ جمع كثير من بني مدلج الصلبية والموالي فبلغ ذلك والي الاسكندرية محمد ابن عبيد الله[4] بن يزيد بن مَزْيد الشيباني فبعث اليهِ برجل من اصحابهِ يقال لهُ نصر الطحاوي وعقد لهُ على ثلاثمائة رجل معزلـــ الكريون وسأل[5] من جابر واصحابهِ فأخبر بانهم بارض صا فزحف اليهم فقاتلهم فهزمهم

(١) في الاصل ثلاث كلمات لا تقرأ معهد بخط حرّصنا عنها الذي في الخطط (ج ٢ ص ٢٢٩)
(٢) في الاصل : صمعة . واتممنا الخطط :
(٣) في الاصل هنا : محمد بن اسبدباد . وورد هيا با في اسباباد واساباد فلمراجع اسبنديار
(٤) في الاصل هنا : عبد الله . وفي الموضع الآخر الذي ذكرفيهِ : عبيد الله كما في الخطط
(٥) في الاصل : مال

جابر ورجع نصر الى جنوبه[1] فنزلها واقام جابر اليها فغار بهم فهزمهم ايضاً وبعث نصر الى الاسكندرية يسأل المدد ففرض محمد بن عبد الله فروضاً وبعث عليهم برد بن عبد الله وابو العوا وهو مقيم بالبكرتين فذهبوا جميعاً الى وسوس[2] فاقام جابر فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم نصر وبرد وظفر جابر بعسكرهم وجميع ما فيه ورجع الفل الى الاسكندرية فتحصنوا بها وقوي امر جابر بن الوليد واتاه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يرى اليه شدة ونجدة فكان ممن اتاه عبد الله المريسي وكان رجلاً خبيثاً ولحق به جريج النصراني الحارس وكان من شرار النصارى ولحق به ابو حرملة النوبي[3] وكان رجلاً فاتكاً فعقد له جابر على سمنود وسخا وشرقيون وبنا فمضى ابو حرملة في جيش عظيم فضم هذه الاعمال واخرج منها العمال وجبى خراجها ولحق به عبد الله بن احمد بن محمد[4] بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب يقال له ابن الارقط[5] فقوده ابو حرملة وضم اليه كثيراً من الاعراب ووجوه اصحابه وضم اليه (ابن) عامة المغافر وولاه بنا وبوصير وسمنود وابو حرملة مقيم بشرقيون فبعث يزيد بن عبد الله بابي احمد محمد بن عبد الله الديراني في جمع كثير من الاتراك فنزل بدمسيس[6] في جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين ومائتين

وبعث رجلاً من الترك يقال له عُلبك ومعه محمد بن العباس بن مسلم بن السراج[7] فلقي عبد الله بن الارقط فيما بين بوصير[8] وبنا فقتل ابن الارقط من اصحاب عُلبك نحواً من عشرين رجلاً وثبت عُلبك ومحمد ريثما قاتلاه فهزماه سلخ جمادي الآخرة وقتل من اصحاب ابن الارقط مقتلة عظيمة واسر منهم كثير فبعث الديراني بالاسرى والرؤوس الى الفسطاط ومضى ابن الارقط الى شرقيون فلحق بابي حرملة ونزل الديراني مدينة بنا وترك عسكره فيما بين بنا وسمنود واقبل ابو حرملة ومعه ابن الارقط قاصداً من شرقيون الى بنا وبعث ابو حرملة بكمين له فيجمعوا على عسكر الديراني مع المغرب فحمل عليهم اصحاب

---

(1) في الاصل بلا نقط . وجنبويه بالبحيرة مذكورة في التحفة السنية

(2) في الاصل : سوليس وصححناه بالتحيين

(3) في الخطط (ج ٢ ص ٣٢٩) ابو حرملة فرج النوبي فلعله فرج الاسود الذي مر

(4) في الاصل : محمود . وقد ظهر من عمدة الطالب (ص ٢٤٣) ان الصواب محمد . كما روي في الخطط (ج ٢ ص ٣٢٩) (5) في الاصل : طباطبا . وهو غلط والارقط هو عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في قول (ابن خلدون ج ٤ ص ١١٤) (6) في الاصل : بدمسيس وصلحناه بالتحيين (7) هكذا في الاصل ولم نحققه فلعل صوابه السراج (8) في الاصل ابو صير وليس بصواب

الديراني فانهزم ابو حرملة ومن معهُ الى شرقيون ومضى الديراني فنزل صندفا وضربها بالنار ونهب اهلها وانهزم ابو حرملة فيمن معهُ وتشاغل اصحاب الديراني بالنهب فكرّ ابو حرملة فقتل ابا حامد الديراني ورجع اصحاب الديراني الى سندفا وبعث من العراق[1] بمزاحم بن خاقان معيناً ليزيد بن عبد الله فقدمها في جيش كثير يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين فبعث برُسُل من اصحابهِ الى جابر بن الوليد يأمرهُ بالرجوع الى طاعة السلطان فحبس رسله اياماً ثم اجازهم[2] بجوائز عظيمة وردهم وقدم واخذ[3] في كتابهِ ولم يجمع على امر واحد

ومضى الديراني في طلب ابي حرملة لمستهل شعبان فالتقى مع ابي حرملة بسنهور فانهزم ابو حرملة وعاد الى شرقيون ثم رجع الى صندفا واتاهُ الديراني بسندفا فواقعهُ فتفرّق عن ابي حرملة اكثر اصحابهِ ولحقوا بجابر بن الوليد وبعث ابن عسامة ابنهُ يطلب الامان فآمنهُ يزيد فقدم الفسطاط ولبس السواد وبعث الديراني برأس نصر بن حكيمة وبرأس اخيهِ وبرأس ابي هانئ وعاد الديراني الى محاربة ابي حرملة فأسر ابو حرملة ثم أدخل بهِ الفسطاط وبجمع كثير من الأسرى في شهر رمضان في سنة اثنتين وخمسين ومائتين ووالع سلتق التركي بمن في صا وشباس[4] من اصحاب جابر فقتلهم وقام من تلك البلاد ثم استأمن عبد الله بن احمد بن الارقط العلوي وأومن[5] في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ودخل الى مزاحم فبعث بهِ مزاحم الى عرق صاحب البريد فكان عندهُ ثم امر مزاحم باخراجهِ في جمع معهُ الى العراق فأخرج بهم لمستهل ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين مع اخي مزاحم فهرب عبد الله بن الارقط ورجع اخو مزاحم لسبع خلونَ من ربيع الاول ثم ظفر بهِ بعد ذلك فحبس ثم حمل بكتاب ورد على احمد بن طولون في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين وخرج (ابن) عزيز بالحوف فخرج اليهِ مزاحم بن خاقان لمستهل ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ثم ورد كتاب نصر[6] بصرف يزيد بن عبد الله عنها فكانت ولايتهُ عليها عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام وخرج يزيد عنها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين

---

(١) في الاصل : من العدوا (٢) في الاصل : اجازوهم (٣) لعله : وعدهم وأمر
(٤) في الاصل شط سهم وكذا في الخطط (ج ١ ص ٧٢) في الكور بعد كورة صا
(٥) في الاصل : وأوس (٦) لعل صوابه : المعتز

الغرض من الانذار الطبي

من الخطب النفيسة التي تليت في اليوم الاول من ايام المؤتمر الطبي الذي عقد في مدينة لندن خطبة للاستاذ شوفار الفرنسوي من اساتذة مدرسة باريس . ومما قالهُ في خطبتهِ ان المريض كان دائماً يسأل الطبيب سؤالين مهمين الاول هل اشفى من مرضي والثاني ما هو الدواء الذي يشفيني . ومنذ مئة سنة او نحوها جعل المرضى يهتمون بسؤال ثالث وهو ما هو الانذار في هذا المرض اي ما هي عواقبهُ التي يأول اليها . ويحق ان يكون لعصر ابقراط دائماً محل واسع في تاريخ الطب . ففي ذلك العصر لم يكن لدى الاطباء وسائط آلية للبحث والاستقصاء فكانوا يعتمدون على ما يرونهُ بعيونهم ويلمسونهُ بايديهم اي على المشاهدة والجس حتى قال ابقراط ان امهر الاطباء هو الذي يعرف ما يأول اليهِ حال المريض . وقولهُ هذا يصدق الآن كما كان يصدق في عصره بل هو اصدق اليوم لزيادة المعارف الطبية

ثم ذكر كيف تقدَّم الاستقصاء والانذار وعدَّد اسماء الاطباء الذين كان لهم شأن كبير في تقدمها الى ان وصل الى كلود برنار الذي صار الطب في ايامهِ نظراً في وظائف الاعضاء بعد ان ابطأت او انقلبت عن حالتها الطبيعية . قال ولقد علَّمنا كلود برنارد اننا لا نستطيع ان نعرف الحالة المرضية ونعتبر مجراها ونتائجها الاَّ اذا كنا عارفين بما سبقهُ من انحراف الوظائف . وما الآلات والاساليب التي وضعت في يد الطبيب لفحص المريض سوى طرق لفحص الافعال التي تجري في جسمهِ ومعرفة كونها صحية او مرضية ولقد نتج من ذلك ان صار الطبيب فسيولوجياً اي صار يبحث في وظائف الاعضاء بل صار بيولوجياً اي صار يبحث في وظائف اعضاء الجسم من حيث كونهُ جسماً حياً

هذا من حيث الانذار القريب اي ما يأول اليهِ المرض وحال المريض في المستقبل القريب . اما الانذار البعيد فمن الامور التي يهتم بها الاطباء الآن جزيل الاهتمام. ففي القرن الماضي كان الاطباء يعتقدون ان المرض عرض مفارق فاذا شفي انتهى امرهُ . ولكن هذا خطأ وكل يوم نرى ادلة على ان للمرض فعلاً بعيداً كما لهُ فعل قريب مثال ذلك الحمى الروماتزمية (المفصلية) وعلاقتها بمرض القلب واول من انتبه لذلك جمس جنسن سنة ١٨١٨ ولكن لم نعرف اهميتهُ تماماً الاَّ منذ عهد قريب . اذا اصيب ولد بالحمى الروماتزمية فالانذار القريب حسن لان الاولاد يشفون من هذه الحمَّى دائماً تقريباً ولكن ليس كذلك

الانذار البعيد واول شيء يهتم بهِ الطبيب الآن هو هل اثَّرت هذه الحمى في القلب لانها تؤثر فيهِ غالباً. والشفاء من الحمى نفسها مؤكد في الغالب ولكن الطبيب ينظر الى بعيد ويخشى من تأثيرها في القلب ويحاول منع هذا التأثير ويصير اهتمامهُ بالمستقبل اشد من اهتمامهِ بالحاضر

واذا انتقلنا من الامراض الحادَّة الى الامراض المزمنة صار الاهتمام بالانذار البعيد اعظم شأناً لكثرة العواقب الوخيمة الناتجة عنها حتى لقد صار الاطباء ينظرون الى بعض الآفات العادية كنتائج بعيدة من ادواء سابقة . وفي بعض الامراض مثل السل والسفلس قد يشفى المريض ولكن ما من طبيب يستطيع ان يؤكد ان المرض الذي شفاهُ منهُ لا تكون لهُ عواقب سيئة بعد سنة او سنين ولذلك فحياة الانسان من حيث الصحة والمرض غير مؤلفة من ايام صحة وايام مرض منفصلة بعضها عن بعض بل هي سلسلة واحدة متصلة وإن اختلفت حلقاتها وعلى الطبيب ان يتبيَّن هذا الاتصال ويعرف مواقع الخلل وعللهُ ويتتبعها ومن ثم يعرف ما سماهُ القدماء بالمزاج ويبنيهِ على اسس علمية

واستطرد الاستاذ شوفار الى تأثير امراض الانسان في نسلهِ وهو الانذار الابعد واثنى على السر فرنسيس غلتن الذي وضع علم اصلاح النسل واشار الى الذين يحملون ميكروبات الامراض ولا يُضَرُّون بها بل يضرون الذين يتصلون بهم وقال ان لا بد من ان تتخذ الوسائل الفعالة لوقاية الشعب منهم . فالانذار الطبي الذي يحاول الطبيب معرفتهُ من فحص المريض يتصل الى مستقبل المريض وعائلتهِ وشعبهِ والى العالم اجمع

ثم التفت الى امر آخر وهو تأثير علم الطب في الانذار اي تغيير مجرى الامراض وجعلها تنتهي بالشفاء بعد ان كانت نهايتها الموت دائماً او غالباً فابان ان علم الطب غيَّر الانذار في كل الامراض فقلل وفياتها وضعف نتائجها . ومما فعلهُ حديثاً من هذا القبيل اكتشافهُ دواء يشفي من مرض النوم الذي كان يحسب داء عقاماً لا شفاء لهُ وهذا الدواء هو الاتوكسيل (Otoxyl) الذي اكتشفهُ الدكتور لويس مارتن من اطباء باريس ودواء يشفي من الدوسنطاريا الاستوائية اكتشفهُ الدكتور ليونارد رجرس من اطباء كلكتا وهو الاميتين Emetine

ثم قال لكن الانذار الطبي لا يصير دائماً حسب ما يعلم عنهُ اي ان العمل لا يوافق النظر دائماً لان فيهِ امراً مجهولاً وهو تأثر اعصاب المريض بمسببات المرض فان هذا التأثر يختلف باختلاف الاشخاص ولا يمكن ان توضع لهُ قاعدة مضطردة

وجملة القول ان الانذار الطبي تقدم كثيراً بتقدم العلوم الطبية وبتقدم سائر العلوم والفنون المتعلقة بها وان مداهُ اتسع جدًّا ولكن الطبيب لا يستطيع ان يجزم بهِ جزماً تاماً

غرائب العادات

اديان الملانزيين وشعائرهم

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية طرفاً صالحاً من عادات هؤلاء الاقوام وقد بقي ان نذكر شيئاً من اديانهم فنقول

ثبت للذين اقاموا بينهم زماناً طويلاً وبحثوا في عاداتهم وشعائرهم انهم لا يعتقدون بوجود إله فرد صمد بل يعتقدون بوجود ارواح او قوى غير منظورة تفعل بالموجودات المنظورة خيراً كان او شراً ويعتقدون ايضاً ان للناس نفوساً تخرج منهم في نومهم وتعود اليهم في يقظتهم ثم تخرج منهم بتاتاً متى ماتوا وتبقى في الارض تؤثر في الاحياء

ويعتقدون ايضاً بوجود قوة فوق الطبيعة تظهر بالقوى الطبيعية او بما يفوق به بعض الناس غيرهم يسمونها مانا وبها يحدث كل ما يفوق طاقة الانسان العادية. وهذه القوة او المانا موجودة في الهواء وتتصل بالناس ولا ترى الاَّ بافعالها. وما من روح الاَّ وفيها شيء منها وقد توجد ايضاً في بعض النفوس

وعندهم انهُ اذا فاز انسان في الحرب ففوزهُ ليس ناتجاً من قوتهِ الطبيعية بل من ان مانا روح من الارواح او مانا احد الابطال الاموات ايَّدتهُ حتى فاز على خصومهِ وقد نال تأييدها بعوذة كانت حول عنقهِ او ضمة اوراق كانت في منطقتهِ او سن كانت معلقة في سية قوسهِ او بعبارة نطق بها. واذا مات رجل فيهِ هذه المانا بقيت في نفسهِ وزادت قوتها وسهلت عليها الحركة والانتقال من مكان الى آخر

الاَّ ان المانا لا تقتصر في الارواح والنفوس والاشخاص بل قد تكون في الحيوانات والنباتات والجمادات ايضاً فاذا رأى انسان حجراً غريب الشكل يخالف الحجارة التي رآها قبلاً قال ان فيهِ مانا فيدفنهُ في الارض التي يزرعها او يضعهُ عند جذور شجرة من الاشجار التي يرى مشابهة بين شكلهِ وشكل ثمرها فاذا اخصب زرعهُ او كثر جنى شجرتهِ ثبت لهُ انهُ كان مصيباً في ظنهِ اي ان ذلك الحجر فيهِ مانا. بل ان المانا توجد في بعض الكلمات ولذلك يكون لها قوة سحرية فعَّالة

ومصدر المانا الاصلي الارواح ولكن الارواح تُحِلّ عنها فتنتقل الى النفوس والاشخاص والحيوانات والنباتات والجمادات تنتقل من الواحد منها الى غيره . ومانا الانسان تنتقل اليهِ

من الروح او من نفس احد الابطال الذين ماتوا ومانا الحجر تنتقل منهُ الى حجر آخر

وليس المانا خاصة ذاتية بها ولكنها تعمل بواسطة ذاتية غيرها فمانا الحجر متصلة بالروح التي في الحجر ومانا عظم الانسان متصلة بنفسهِ المتصلة بالعظم ومانا الكلمة الملفوظة متصلة بالروح او النفس التي تستدعيها تلك الكلمة . وفلاح الانسان في اعمالهِ انما يكون بواسطة المانا التي فيهِ وسلطتهُ على قومهِ تقوم بتأثير مانتهُ فيهم فهي التي تسوّدهُ عليهم ولذلك تراهم يبذلون جهدهم للحصول على المانا . وكل ما يمارسونهُ من الشعائر الدينية بل كل اعمالهم الدينية انما الغرض منها الحصول على المانا او على ارشادها

وينقسم هؤلاء الاقوام من حيث اديانهم الى قسمين كبيرين الواحد تتجه عبادتهُ الى نفوس الاموات مع اعتقادهِ بالارواح والثاني تتجه عبادتهُ الى الارواح مع اعتقادهِ بوجود النفوس . اي ان الاول يهتم بالنفوس اكثر من الارواح والثاني بالارواح اكثر من النفوس . ويظهر الفرق بين الفريقين جلياً في ان الفريق الذي يقدم تقدماتهِ للنفوس يحرق بعضها ويأكل البعض الآخر واما الذي يقدم تقدماتهِ للارواح فلا يحرقها قبلما يأكلها

وكل هؤلاء الاقوام يطلبون من النفوس والارواح بعبارات يكررونها ولا يعرفها الاَّ كهنتهم او المعتازون منهم وعندهم ايضاً طلبات عامة يطلبونها وقت الاستغاثة . والضحايا التي يضحونها بعضها للافتداء كأن يضحوا حيواناً فدية عن صاحبهِ وبعضها للتوسل كأن يتوسلوا الى الروح او النفس لكي تصرف عنهم مكروهاً وبعضها للاستعانة كأن يستعينوا بها لنيل امر مرغوب فيهِ وبعضها لمجرد الاحترام

وليس عندهم كهنة مختصون باقامة شعائر الدين بل كل انسان يستطيع ان يعبد ما يراهُ اهلاً للعبادة وكل احد يعبد معبوداً ما هو كاهن لذلك المعبود يقدم لهُ المحرقات والقرابين . فرئيس القبيلة الذي يقوم بالفرائض الدينية لا يقوم بها لانهُ رئيس القبيلة بل لان قيامهُ بها جعلهُ رئيساً للقبيلة . والنساء والاولاد محرومون من القيام بالفرائض الدينية

وابسط ما تقوم بهِ عبادة النفوس ان يطرح للميت قليل من اليام (وهو جذر نبات يؤْكل كالبطاطا الحلوة) او غيرهِ من الطعام او يصبّ لهُ قليلٌ من شراب الكفا اذا كان الناس يشربونهُ حاسبين ان ما يطرحونهُ لهُ هو نصيبهُ من طعامهم فيترضونهُ بهِ وقد تفرّع من ذلك وضع الطعام في المقابر او امام تمثال الميت وهذا الطعام لا يحرق بل يترك مدة وجيزة ثم يؤْكل ولكن اهالي جزائر سليمان يحرقونهُ قليلاً ثم يأكلونهُ

واذا اريد ان تعمل القبيلة عملاً كبيراً كأن تشن الغارة على قبيلة اخرى او تشتبك

في حرب مع غيرها فالشعائر التي تقوم بها ليست على ما تقدم من البساطة مثاله ان اهالي جزيرة سان كرستوفال من جزائر سليمان اقدموا على امر مثل هذا فقرَّبوا ذبائحهم الى نفس رجل اسمهُ هروي توفي منذ عهد قديم ولا يتذكرهُ الاَّ بعض شيوخهم وهم يعتقدون ان نفسهُ جبَّارة في الحرب مع ان الذي يروونهُ عنهُ يدلُّ على انهُ كان كريمًا وفيهِ مانا ولكنهُ لم يكن من رجال الحرب

ومعبد هروي بيت صغير في القرية فيهِ آثارهُ فيجتمع فيهِ كل رجال القرية ويخنقون خنزيراً ويضعونهُ في قصعة لكي لا ينصب شيء من دمهِ على الارض ثم يقطعونهُ ويأتي القس الاكبر ويتناول قطعة من لحمهِ ويغرف بعض الدم بقشرة من جوز النارجيل ويدخل المعبد ويغسل يديهِ اولاً وينادي يا هروي رب القتال نضحي لك هذا الخنزير لكي تساعدنا على الايقاع باعدائنا . وكل ما نصيبهُ فهو لك ونحن نكون لك ايضاً . ثم يضع قطعة اللحم على جمر ويحرقها ويصب عليها الدم فتزيد النار اتقاداً ويمتلئ المعبد من رائحة الحرقة دلالة على ان نفس هروي سمعت الدعاء واستجابت ثم تؤكل بقية اللحم

هذا من حيث العبادة العمومية اما العبادة الخصوصية فيلجأ اليها كل من يريد ان يقتل خصمًا او يذهب الى الحرب فيستعين بنفس حجر او شجرة او نجم ويقدم لها شيئاً من الطعام الذي يحبهُ ويطلب عونها قبلما يُقدم على شيء

والتوسل الى النفوس لا يكون دائمًا بالضحايا والتقادم بل قد يكون بمجرد الدعاء كما اذا اراد احدهم ان يسرع بهِ قاربهُ او ان ينجو من الغرق او ان يشفى من مرض او ان يوفق في الصيد او ان يجود زرعهُ . واذا لبت النفس طلبهُ حمدها على ذلك بكل جوارحهِ

الاَّ ان النفوس التي تستدعى ويلتجأ اليها انما هي نفوس الناس الذين كان فيهم مانا اما الذين لم يكن فيهم مانا فهم لا شيء ويتلاشون حالما يموتون . والرجل صاحب المانا تصير نفسهُ بعد موتهِ اقوى مما كانت في حياتهِ

اما الارواح فلم تكن بشراً كالنفوس وليس لها معابد مبنية تعبد فيها ولا صور تمثّل بها ولكن معابدها طبيعية ويستدلُّ عليها بالحجارة ذات الاشكال النادرة . وبعض هذه الحجارة كُرّس لارواح مخصوصة منذ ازمان طويلة . والغالب ان طريقة التقرُّب من حجر من هذه الحجارة لا يعرفها الاَّ رجل واحد وهي موروثة من الاب الى ولدهِ وكل من يريد أن يستعين بتلك الروح او يسترضيها او يتقرَّب منها ويجب عليهِ ان يفعل ذلك بواسطة الرجل المختص بالتقرب منها فيهدي اليهِ هدية من الخنازير او الحصر او النقود الوطنية او

غو ذلك فيأخذها و يقدمها للروح اي يضعها على الحجر المقدس ويتوصل الى الروح ولكنهُ لا يعطي الروح كل ما اخذهُ بل يبقي النصيب الاكبر لنفسهِ

ولا صحة لما قيل من ان هؤلاء الاقوام يعبدون الاصنام فان الذين رأوهم اولاً من المبشرين والتجارة رأوا عندهم تماثيل ومنقوشات ورأوهم يقربون القرابين لها فحسبوا انها اصنام وانهم يعبدونها مع انهم يقربون قرابينهم ويقدمون ضحاياهم للنفوس والارواح لا غيروانما التماثيل والمنقوشات التي عندهم فلا شأن لها الأ من حيث انها تذكرهم بالنفس او الروح الحالَّة فيها او المتصلة بها

وسكان غينيا الجديدة يمتازون عن الاقوام المتقدم ذكرهم بان النفوس والارواح التي يعبدونها او يترضونها لدفع اذاها شريرة كلها او اكثرها ولكنهم لا يميزون نفوس الرجال العظام من غيرها

ويعتقد الكويتا بوجود ارواح شريرة في اماكن مخصوصة فعلها خاص بالاماكن التي هي فيها فاذا اصيب فريق منهم بالمرض او الموتان وهم نازلون في بقعة من الارض او اذا اصابتهم فيها الحشرات فآذتهم قالوا ان ما اصابهم انما اصابهم من روح شريرة في تلك البقعة وعدلوا عن النزول فيها في المستقبل . وكثيراً ما يعلقون الارواح بينابيع المياه فيقولون انها تسكن السراطين التي يجدونها فيها او بالادغال ويقولون انها تسكن الافاعي التي فيها واذا رأوا حية في بئر قالوا انها هي الروح التي تجعل الماء يخرج منها واذا قتلت نضب ماء البئر . وعلى مقربة من بورت مورسبي اكمة شكلها غريب فيقولون ان الارواح تسكنها ولا يدنون منها ويختارون تابيتهم ورماحهم مما ينبت قريباً منها معتقدين انها تكون اقوى من غيرها على ابتاه الاعداء . واذا اصطاد احدهم حيواناً قرب هذه التلة حذر لئلا ينصب شيءٌ من دمهِ على ترابها واذا انصبَّ لقف التراب الملوث بالدم ورماهُ في النهر والأ فكل من يأكل من ذلك الحيوان يصاب باذى . ويلفون ورقة شجر كبيرة في شكل قمع مخروطي يستقون بها ليشربوا فاذا كان في البئر روح خرقوا هذا القمع حتى يجب منهُ جانب من الماء قبلما يشربونهُ فتذهب الروح مع الماء المصبوب والأ دخلت جوفهم وقتلتهم وامالتهم

ويعتقدون ان الروح تختطف نفس الانسان احياناً فاذا أُصيب احدهم بحمّى وبرداء او اذا اغمي عليه قالوا ان الروح اختطفت نفسهُ وحاولوا استرجاعها وذلك بان يربطوا الى طرف قناة طويلة بعض الحلى الثمينة ويذهبوا بها الى المكان الذي أُغمي فيهِ على ذلك الرجل او أُصيب فيهِ بالحمى ولقد شعورهُ ومعهم القنا واناء فيهِ عيدان مشتعلة فيضعون الاناء على

الارض ويقفون حوله ومع كل واحد منهم حجر حتى اذا سمعوا صوت الميدان وهي تخترق رشقوها بالحجارة ثم يعودون بالقنا الى القرية والحلي معلقة فيه و يعلقونها فوق المريض وهم يعتقدون ان الروح التي اختطفت نفس الرجل تختار نفس الحلي بدلاً منها وترد نفس الرجل فتدخل الحلي حتى اذا علقت موقهُ عادت اليهِ فيشفى واذا لم يشف استدلوا على ان نفسهُ لم تُردّ. واذا نام احدهم فارقتهُ نفسهُ واذا استيقظ عادت اليهِ واذا عطس انسان قالوا ان نفسهُ كانت قد فارقتهُ فعادت اليهِ واذا مرَّت عليهِ ايام لم يعطس قالوا ان ذلك علامة رديئة . واذا مات انسان ذهبت نفسهُ الى جبل سكنت فيهِ كما كان الانسان ساكناً في قريتهِ . وللنفوس هناك بيوت وبساتين ونساء واذا لم تخرق وترة اذن رجل في حياتهِ وجب ان تخرق حالما يموت والاَّ اضطرت نفسهُ ان تضع في اذنها حيواناً كالافعى . وحالما تصل النفس الى وطنها الجبلي تعود ومعها نفوس اخرى لتنقل نفوس امتعتهِ التي يود ان تكون معهُ . ولا تؤذي نفسهُ نفس احد من اقاربهِ ما لم يكن ذلك القريب قد اذاهُ في حياتهِ او خالف عادة من عادات القبيلة . وتتردد النفوس على بيوت اصحابها بعد موتهم ولهذا يهجر بيت الميت . والاولاد الذين يلعبون قرب بيت مهجور يمرضون والطعام الموضوع في بيت مات فيهِ احد يمرض من يأكلهُ من غير اعضاء عائلة الميت

اما شعب الزورو والميكو فيحسبون الظل نفوس الموتى و يردون رجوعها الى ارام ويقولون انها اذا هجرت القرى تولاها الغضب فيتوسلون اليها لترجع ولكن هذه النفوس تعاقب من يغيظها

وسكان جبال المنزلو بغينيا الجديدة يعتقدون ان نفوس الشبان والكهول تبقى على الارض وهي الانوار التي ترى احياناً على الارض وفي الادغال الكثيفة التي تخترقها اشعة الشمس ولا يأكلون المطر على الاطلاق . وقد تعود هذه النفوس الى القرى ليلاً طلباً للطعام فيسد السكان كل خرق في بيوتهم خوفاً من دخول النفوس منها ولما رأوا المرسلين يامون غافقين كوى بيوتهم عجبوا من جراءتهم على ذلك. وعندهم ان كل مكان غير مألوف هو مسكن للنفوس وكذلك بعض الاشجار و لاسيما واشجر شات واذا وصلوا الى مكان مسكون بالنفوس وكانوا يشكون صمتوا كلهم الى ان يجتازوهُ ويستعد كل منهم لذلك بشيء من العشب يقطعهُ قبل ذلك و يربطهُ و يرميهِ هناك لكي تلتهي النفوس بهِ

وهذه العقائد كانت متمكنة من السكان قبلما تنصروا او قبلما دخل المرسلون بلادهم واختلطوا بالاوربيين . اما الآن فقلَّت كثيراً وكادت تزول من بعض الاماكن

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

مستقبل مصر والدفاع عنها

سيدي محرر المقتطف

مرَّني كثيراً الاطلاع في العدد الماضي على جوابكم في هذا الموضوع لأني بالرغم عن مخالفتي لكم في بعض ما ذكرتم أرى ان ردَّكم المتقن حكمة المني على اطلاع. وتفكير حريٌّ بفخر كل غيور على ترقية تحرير الصحافة العربية

واني اسأل حضرتكم التفضل بنشر ملاحظاتي الآتية والاجابة عليها خدمة للمصلحة العامة والوطنية المصرية التي عُرفت مجلتكم العظيمة بخدمتها من وجوه كثيرة

اعترفتم بان القطر المصري ليس بمأمن من كل غارة وانهُ من الجائز ان تحاول احدى الدول اجتياحهُ لكي تخرج طريق الهند من يد الانكليز وتكون النتيجة انتقالهُ من كنف دولة الى كنف دولة اخرى

وهذا يدعوني لسؤالكم عما اذا كان من الصواب ازاء هذا ان يجحد المصريون (وفيهم الوطني المتطرف والوطني المعتدل وكلاهما يطالب باستقلال بلاده وردّ دستور سنة ١٨٨٢ كما ان فيهم مَن اذا اعتبر الاحتلال الانكليزي مصيبة على مصر فهو في نظره اخف من غيره ومَن اذا اعتبرهُ نعمة كاملة وهو الفريق الجاهل قيمة الحرية الوطنية فهو لا يحب زوالها)

اقول أيحسن بالمصريين وهم على هذه الحالة ان يجمدوا عن التفكير في موضوع الدفاع من بلادهم في الوقت الذي تقول مثل صحيفة « التيمس » عند تعليقها على تقرير اللورد كتشنر انهُ آن للمصريين ان لا يتنصلوا من الدفاع عن بلادهم المهددة لمركزها الجغرافي اكثر من غيرها بالغارة الاجنبية اذا كانوا يريدون ان يحفظوا لهم مركزاً بين امم العالم

هذا التنبيه وحده من مثل جريدة « التيمس » كاف لتحريك البحث في هذا الموضوع. ولا أظن انهُ يوجد واحد بين من بحثوا فيه طالبَ الفلاح الغارق في جهله ودَينهِ وهموم معاشهِ ان يترك شؤونهُ الحيوية ويجول لنا رأيهُ فيهِ لان مثل هذا الطلب ظلم وارهاق لهُ. الفلاح الجاهل لا مسألةُ اكثر مما اذا كان يقدر على دفع ضريبة اكثر مما يدفعهُ الآن ام لا. وليس في المقدور ان يجيبنا أو يفهم كلمة عن دفاع وطني او اجنبي اذا كان هو غير قادر مع الاسف الوافر ان يفهم ما يُقال لهُ من النصائح الاصلاحية الحديثة في شؤون حرفتهِ ذاتها

وانما المسئول عن ضمان المصالح الوطنية في كل مشكلة سياسية وغير سياسية هو الفريق المتعلم في الامة وان كان اقلية صغرى وكون الفلاَّح المصري غير مهتم بهذا الموضوع كعدم اهتمامهِ بشؤون كثيرة لا يدفعنا لان نقول للاقلية المتعلمة — المسئولة عن سهرها على المصلحة الوطنية امام امة التمدن— قلّدوا هذا الفلاح الجاهل الذي لا تفترق اغلب احوالهِ عن احوال البهائم لانهُ ادرى منكم انتم المتعلمين الذين درستم التاريخ والسياسة والاقتصاد والفنون والعلوم بسلامة الوطن والمصلحة العامة ، وكون الامر في الدفاع عن مصر موكولاً لغيرنا لا يستلزم من رجال الصحافة المصرية وكل مَن يسمح لهُ وقتهُ من المتعلمين للاشتغال بالسياسة ان لا يبذلوا وسعهم نجحوا ام لم ينجحوا في اشراك الاهالي الوطنيين في البحث في الموضوع وليس مما يدعوهم لاغفال تنبيه الرأي العام المتنور الى مزايا الدفاع الوطني وتأثيرهِ على مستقبل المسألة المصرية والى مقدار استقرار الدفاع الاجنبي عن بلادنا . ويكون من الظلم انتقاد مَن يبحث في ذلك الآن بعد تنبيه « التيمس » لاننا اعتدنا ان تكون هذه التنبيهات مقدّمة لترويج مشروعات الانكليز السياسية فيليق باهل السياسة المصريين ان لا يتركوا الوقت يمرّ دون درس الموضوع والدفاع عن مصالحنا مقدماً اتقاء لمفاجأة بمشروع حربي لا يخدم بهِ مبدأ « مصر للمصريين » . وليس المهم ان ننجح في دفاعنا وانما المهم ان نعمل الواجب علينا نحو انفسنا وان لا نقبل الاذى بغير دفاع. على اني واثق من انَّ كل حركة وطنية في مصر معها اظهر العمال الانكليز عدم اكتراث بها لها تأثيرٌ غير قليل في صالح المسألة المصرية بشرط ان تكون تلك الحركة داخلة في دائرة القانون. ويظهر لي من كل ما قرأتهُ في « المؤيد » في موضوع الدفاع الوطني عن مصر انهُ غير مبني على اساس وطني بحت لان الخلاصة الاجمالية لما يقولونهُ هي انهُ اذا كانت انكلترا لا يمكنها ان تترك مصر ما دام قنال السويس غير مضمون لها واذا كان لا مفرّ في المستقبل القريب من مطالبتها المصريين بالمساعدة المالية لاجل الدفاع عن مصر والادلة على ذلك كثيرة فلماذا لا نطالب باتفاق ما سيُطلب منا انفاقهُ على

انشاء اسطول مصري تدريجياً وكذلك تربية الجيش المصري وزيادته وتحسين حالة الضباط المصريين فتربح مصر من وراء ذلك فائدتين : الفائدة الاولى انها تضع بذلك حجراً من اساس استقلالها بصورة دائمة وثانياً انها تقصّر اجل الاحتلال وذلك ان من رأي اولئك الكاتبين انهُ ينبغي ان يُعطى لانكلترا الضمانات الكافية من المصريين على صيانتهم لقنال السويس لها وان يحالفوا معها فتكفل انكلترا استقلال مصر وتكفل مصر المتنزة حينئذٍ بجيشها واسطولها صيانة المصالح الانكليزية والدفاع عن طريق الهند حباً لجسب مع الانكليز وعلى هذا لا يكون من صالح المسألة المصرية قولكم : « والمرجَّح عندنا ان الحكومة الانكليزية ستهتم بحمايتهِ — اي القطر المصري — وفقاً لذلك واذا استمادت بجزيتهِ من هذا السبيل فلا جناح عليها لانهُ استفاد منها فوائد مالية وادبية لا تنكر » وكان يحلق بمثلكم ان لا ينسى ايضاً ان الانكليز استفادوا من احتلالهم لمصر فوائد لا تحصى وان اصلاحهم الاقتصادي لمصر لم يحظَ بالضمانات التي تكفل للفلاح المصري التمتع اكثر من الشركات الاجنبية بمزايا ذلك الاصلاح . قلتم : « وقد صرَّح الانكليز الآن انهم لا ينوون الخروج منهُ وما داموا فيهِ فهم مكلفون بالدفاع عنهُ » وهو كلامٌ حق ولكن كان يحسن بكم ان تعدلوا لتزيدوا عليهِ انهُ ينبغي لهم على قاعدة المصلحة المشتركة ان ينفقوا من جيوبهم على ما يريدون زيادتهُ في قوة الدفاع ويكفينا ما تنفقهُ الآن من جيوبنا على جيش الاحتلال وعلى الجيش المصري في السودان التي لم يعطَ لنا منها غير النصف (لم صحَّ ذلك ايضاً) وما سننفقهُ على عمارة النسألفات في الاسكندرية او ان تروجوا آراء القائلين بالدفاع الوطني

ولقد اوحشني وانتم سيّد العارفين بقيمة الاستقلال الوطني (حتى ولو كانت الدولة المحتلة اعدل واصلح ام الارض) ان تذكروا كلاماً مشيِّعاً على الجود السوداني مُيشاً للراجين في يوم استقلالٍ غير بعيدٍ لهذه الامة التي كان لها في سابق الزمن شأنٌ يذكر من الحضارة والقوة . وليس من الصواب ان تقولوا (ولا تميل الى اقلاق السكان وحملهم على التفكير في الدفاع عن وطنهم مخافة ان تجتاحهُ دولة اجنبية فقد كان لهذا القطر من العدد والعُدد في التل الكبير ما لا يأمل ان يكون لهُ اكثر منهُ الآن ومع ذلك لم يستطع الوقوف امام خصمهِ) ولا يمكنني ان اتصور ان مثلكم يخفى عليهِ كيف وقعت واقعة التل الكبير او يقول غير مازح ان حالة الجيش المصري الآن في نظامهِ ومهماتهِ ليست احسن من قبل بكثير او انهُ ليس في الاستطاعة ان نؤلف في المستقبل القريب اذا دعت المصلحة جيشاً وطنياً مؤلفاً من نصف مليون جندي وقت السلم

هذه الملاحظات التي اذكرها لكم باختصار كلي وما كنت أعنى بذكرها لولا صورة ردكم السابق وحسن ظني بكم بقولها رجل يعتبره عنا كثيرون من زملائه المصريين من اهل الجمود السياسي لاني اعتقد (ولا اظن اني سأتحول في المستقبل عن اعتقادي) ان خير ما تخدم به الامة المصرية لاجل بلوغها درجة الحكم الذاتي التي يحن اليها كل مصري متنور انما هو تكوينها علمياً واجتماعياً واقتصادياً على اساس وطني مأمون . لذلك قلتُ ان الوطنية المصرية مدينة لمجلتكم بخدم كثيرة كما تدين لها بذلك بقية الامم العربية المنتشرة فيها مجلة المقتطف

لتعتقد يا سيدي الفاضل اني لست ممن يجهل ما كان عليه القطر المصري من السيئات والحسنات قبل الاحتلال كما اني لا اجهل ما ادخله الانكليز في مصر من الاصلاحات العديدة ، وليثق مني اني أُعجب بالعقل الانكليزي وبالحضارة والحرية الانكليزية بما لا يقل عن اعجابكم ، واني أؤكد كذلك من اني لست من اهل الاحزاب ولا ممن ينادون في الشوارع بقولهم «ليحيَ الدستور» ولكنني مصريٌّ متعلم لا يتسنى مهما قيل ان الاصلاح الاجتماعي هو أوّل بمعظم عنايتنا انهُ من الخطإ الفاحش اغفال الجهاد السياسي ، وارى انهُ واجب عليَّ بما لاحظتُ من العقبات الماثلة في سبيل استقلال بلادي ان ابذل ما في وسعي لتحقيق ذلك وان فشلتُ المرة بعد الاخرى ، ولا اظن مثلكم الذي عرفتُ عنهُ قبل الآن تفضيل استقلال وطنهِ الثاني (سوريا) مهما بلغ اضطراب الحكومة الوطنية على احتلالها برجال حكومة اجنبية صالحة — يرغب ان يربي ابناءنا على الارتماء في احضان الانكليز ونسيان فكرة تكوين امة مصرية متحلة متمكنة من الامر المالي قوية في كل ما يضمن لها الحياة قادرة على الحصول على استقلالها وصيانته

عذراً اذا كنت اطلت في رسالتي لانها آخر ما اكتبهُ لكم في موضوعها اللهم الاَّ اذا تلقَّيت منكم دعوة خاصة (وهو ما استبعدهُ) وعندي لذلك سببان : اولهما انهُ يوجد لديكم ما هو انفع واحق بالنشر من هذا الموضوع وان مجلتكم هي صحيفة علمية قبل كل شيء ، وثانيهما اني مهما حاققتكم واحققتُ فاني من يحترم آراءكم الاحترام الكلي ولا يمكنهُ الاستغناء عن محصَّل خبرتكم وواسع علمكم في كل موضوع ، ولعلَّ شعوري واستقلال رأيي وكرهي للتعصب الاعمى يشفع لي عندكم بالرد على كتابي هذا بما فيهِ المصلحة العامة وتنوير الاذهان

لوندرة قارئ

[المقتطف] اذا نظرنا الى مسائل القطر المصري بعين الغيرة الوطنية واعملنا النظر الى حال القطر الماشية والاجتماعية لم نجد ما تقدم بهِ حجة واحدة من حجج حضرة الكاتب

الفاضل صاحب الرسالة المتقدمة. ونحن لا نجهل ان الاستقلال السياسي خير نعمة من نعم الحياة وانهُ الاولى بالامة ان تكون مستقلة وهي فقيرة جاهلة من ان يكون قيادها في يد غيرها وهي غنية عالمة . وان ترك الامة لنفسها حتى تدبر خلاصها بيدها فتقع وتقوم وتقع وتقوم الى ان تنهض وتسير مع الناهضين لافضل لها من ان يحملها غيرها على ذراعيهِ او يضمها في اوبلان ويحلّق بها في طبقات الجو . ونحن نفضل ان تبقى سورية كما هي جزءا من البلاد العثمانية وان تترك تحك جلدها بظفرها على ان تصير تابعة لدولة اجنبية ولو كانت اعظم دول الارض . ونظن ان معنانا واضح من حيث الفرق بين ان تكون البلاد جزءا من مملكة مكملاً لها وبين ان تكون تابعة لمملكة . ثم لو خيرنا بين ان تكون سورية جزءا من البلاد الفرنسوية مثلاً او جزءا من البلاد العثمانية لفضلنا الاول على الثاني لاعتبارات شتى ولكن لو خيرنا بين ان تكون مستعمرة لفرنسا او جزءا من البلاد العثمانية لفضلنا الثاني على الاول حتماً

هذا ونعود الى القطر المصري فنقول ان اتصالهُ بالبلاد العثمانية صار اسميا لا غير . فهل يعود جزءا متمما للبلاد العثمانية او لا يعود هذه مسألة يصعب حلها او التكهن بها ولا عمل لنا هنا . بقي وجهان لا نرى لهما ثالثاً اما ان يستقل القطر المصري استقلالاً سياسيًا كاستقلال فرنسا وايطاليا وبلجكا او يبقى في الحالة التي هو فيها من حيث احتلال انكلترا لهُ وحمايتها لهُ . واذا استقل فاما ان يكون استقلالهُ بيدهِ او بغير يدهِ . والاول اي استقلالهُ بيدهِ لا نرى سبيلاً اليهِ الآن ونرجح انكم توافقوننا على ذلك فاتخاذ العدة لهُ ضرب من العبث ويظهر لنا انهُ ضرب من المحال لاننا لا نقدر ان نستقل بالقوة الحربية الا بجيش كبير كل ضباطهِ من الوطنيين او من غير الانكليز ونفقاتهُ السنوية لا تقل عن اربعة ملايين او خمسة ملايين من الجنيهات ومن اين لنا ذلك ونحن مديونون لاوربا ديناً تستغرق فوائدهُ والساطةُ كل ما يمكننا توفيرهُ من دخلنا بل تزيد عليهِ فتزيد ديوننا سنة بعد سنة . ولنفرض جدلاً ان عثر السكان على كنوز مدفونة او اهتدوا الى زراعات كثيرة الربح فصاروا يستطيعون ان ينفقوا على اقتناء الاسلحة والتمرُّن على استعمالها فاذا كانت انكلترا تكره ذلك فمن اسهل الامور عليها منع دخول الاسلحة الى القطر وهي ممنوعة الآن فعلاً . واكبر بلية على الانسان ان يبتاع بندقية من الخارج ويحاول ادخالها الى القطر المصري . ولا يؤْذن بجلب البارود الا لاناس مخصوصين وعليهم ان يبينوا في دفاترهم كل رطل جلبوهُ وكل رطل باعوهُ ولمن باعوهُ . والتشديد في منع حمل الاسلحة واقتنائها يزيد يوماً بعد يوم . ولا نظن انكم تطلبون من الوطنيين ان يجرؤوا على استعمال النبابيت ومقاومة البنادق والمدافع بها .

بريء الذمة من هذا الافتراء ففي صدارته الاولى ارتكب كثيراً من الدسائس على كثيرين فظهر به الآن سر قولهم الجزاء من جنس العمل »

وهاك صورة منشور الصدر الاعظم الذي اشار اليه جودت باشا منقولة عن تاريخه

« الباعث لتحرير الكتاب الصحيح النصاب هو انهُ بتوفيق الله الملك العلام اشتبت حرب عساكرنا المنصورة مع قيصر الموسكوف وعساكره في طرف نهر بروت وبعد التضييق عليه فلطفه تعالى الكريم ولمظهر الحميم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتي بيانهُ وهو ان قلعة ازاق مع اراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالاول للدولة العلية . والقلعة الجديدة الكائنة في اعالي طيفان وقامنكه وسائر المختصة بالقيصر تهدم بالكلية والمدافع والجبخانة الموجودة ضمن قامنكه يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية وفيما يأتي من الزمن لا يبقى في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع المهوبين والتابعين لهم وهم رابائش والبورغنال ولا مع القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتكر اي خان خان القريم بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن . وبعد اليوم لا يحق للقيصر ان يقيم سفيراً في استانبول من طرفه واما التجار الروسيون الذين يأتون برّاً لتلك المحروسة لاجل التجارة فانهم مأذونون في الاقامة فيها والاسرى من المسلمين الذين اسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر ان يسلمهم للدولة العلية محلا كان عددهم . وملك اسوج حيث انهُ التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكته بالامن والسلامة ولا يحصل لهُ التعرض والممانعة من طرفهم قطعياً واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضاء اتفاد فعليهم ان يجربا المصالحة وانا ارجو من كمال افضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والمهابة والعظمة ومن فيض مكارمه الملوكانية غض النظر من طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجة عن الادب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسوبين الى الممالك المحروسة وان لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعدي كما تحرر ذلك في الشروط والعهود . وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطي لطرف القيصر الى ان يعقد العهد والميثاق ان شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطى صورتهُ لهُ . وبعد ان يأخذ القيصر صك العهد فلا تكن حينئذ ممانعة ومداخلة في امر ذهاب عساكره الى بلاده في الطرقات المستقيمة لا من طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من افراد طوائف التاتار وجماعتهم . واما امين اسرار القيصر قدوة اعيان الملة المسيحية فبارون فاغلير بترو شافروف والجنرال

ميخائيل اولديورس حفيد شرمت ختمت عواقبها بالخير حيث انهما كانا حضرا من طرف القيصر للعسكر المنصور ليكونا رهناً فمن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر واتمام خدمتها يعطى لها الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادهما بلا تأخير ولبيان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جمادي الاخيرة سنة ثلاث وعشرين ومئة والف »

يورلدي صحراء
خوش كجدي

اما القيصر فعاد الى عاصمته وجهز مئتي سفينة حربية وغزا بها بلاد اسوج واجتاح ابو عاصمة فنلندا ونقل مكتبتها الكبيرة الى بطرس برج وعاد الى اسوج في السنة التالية وكاد يدخل عاصمتها ثم انقلب على شمالي المانيا وحاول ان يصطلح مع ملك اسوج ويستعين به على ملك انكلترا ويعيد آل ستورت الى الملك فيها وان يحالف ملك فرنسا لويس الخامس عشر ويزوجه بابنته ثم عزم على زيارة فرنسا ثانية فجاءها ولكن ليس كما جاءها اولاً لانهُ صار الآن بطل بلتاوى وهنكول وصاحب البلطيق وشمالي المانيا ومصلح بلاد الروس الكبيرة ومؤسس عاصمة من اكبر العواصم

ورآهُ سان سيمون ووصفهُ فقال « لقد ادهش هذا الملك باريس بسؤالهِ عن كل فرع من فروع الحكومة والتجارة والتعليم والبوليس فانهُ كان يسأل عن كل كبيرة وصغيرة ويستقصي كل شيء. وكل ما بدا منهُ يدل على بُعد نظرهِ وقوة استدلالهِ يظهر من سلوكهِ انهُ من اعاظم الرجال واشدهم انفة واعلاهم كبراً واقلهم ارتباكاً . وفيهِ شيء من طرف الناتج عن سلامة الطبع ولكنهُ لا يخلو من سذاجة البداوة ولذلك تراهُ لجوجاً بعيداً عن المجاملة لا تعلم اغراضهُ ولا يطيق ان يعارضهُ احد. اذا جلس للطعام لم يجرِ على آداب المائدة واذا شرب بدهُ الفرط في الشرب وخرج عن الاداب المألوفة . وقلما يخفي انهُ ملك مطلق الارادة . وغرامهُ بمشاهدة المناظر الجديدة وكراهتهُ للسير في موكب حيث يكون قلة الناظرين وحبهُ للحرية والتملص من كل قيد كل ذلك يحملهُ بفضل ركوب مركبة عادية مأجورة على الركوب في مركبة ملكية فيثب الى اول مركبة يصادفها في طريقهِ ويقول السائق ان يذهب بهِ في المدينة او خارج الاسوار . وهو طويل القامة مجدول العضل اميل الى النحافة منهُ الى السمن مستدير الوجه عالي الجبين مقوس الحاجبين قصير الانف غليظ الشفتين اسمر الجلد عيناه كبيرتان سوداوان برّاقتان طلعتهُ مهيبة ووجههُ يشوش اذا اراد ولكنهُ عابس في غالب الاحيان . وكثيراً ما تنقلب سحنتهُ بغتةً فتزول طلاقة وجههِ ويظهر مخيفاً شاحباً ولكنهُ لا

من ارجلها الست المؤخرة وفي بطنها عشرة مفاصل وليس فيها غدد للسم وشعراها كل منها مزدوج ومسنن وذكورها اصغر من اناثها واقوى

وهذه الحشرة موجودة في آسيا واوربا وافريقية واميركا . وهي ليلية ونهارية واكثرها سريع الجري واكثر طعامها الخنافس ونحوها من الحشرات وقد تهاجم العقرب وتفتك بها ولم يذكر انها سامة

عقدة التوحيد

حضرة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد السلام ارجو من حضرتكم ادراج ما يأتي ولكم مني الشكر سلفاً

قرأت في مقتطفكم الاغر مجلد ٤٢ سنة ١٩١٣ رد الاستاذ الفاضل محمد ابي الفضل شيخ علماء الاسكندرية على جوابكم في عقيدة التوحيد وما ضمنهُ حضرتهُ من الشروح المسهبة في ذلك الى ان وصلت الى قوله « والدليل على لزوم العلم الصحيح وعدم الانفكاك عنهُ ان من علم ان العالم متغير وان كل متغير ممكن اذا استحضر هاتين المقدمتين ولاحظ ترتيبهما استحال ان لا يعلم ان العالم ممكن ». فارجو من حضرة الشيخ الاستاذ الدليل على ان العالم متغير وما البرهان على ذلك مع ان معلوماتنا العلمية توضح لنا بان كل ما في الكون غير متغير اي ان مادتهُ واحدة والتغير هو في الصور

انطونيوس يانث

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسامرات طبية وفوائد اجتماعية

المسامرة الاولى

في الاسباب المرضية

كل ما في هذا الكون من قوى الطبيعة ونتاج الارض وبدائع الصناعة ومحاسن المدنية هو من العوامل النافعة للانسان التي يجب ان تعمل لتقوية بنيتهِ وتحسين صحتهِ واطالة حياتهِ .

وهي ايضاً من العوامل المضرة التي تضعف البنية وتفسد الصحة وتقصر العمر. وهذا التناقض في العاملها ينتج من سوء ادارة الانسان الذي لا يحسن استعمالها ولا يعرف كيف يستفيد منها فهو اشبه بمدير عمل كبير يعمل تحت ادارته عمال كثيرون فاذا كان عاقلاً حكيماً حدد ساعات العمل ووزع الاعمال على العمال فيقوم كل منهم بما يعطى له ولم يهمل ولتاً ما مراقبة الاعمال والاشراف على العمال واذا وجد واحداً لم يحسن العمل عزله واستبدله بآخر فحسن بذلك ادارتهُ ونجح عملهُ والاَّ فسدت الادارة وتشوش العمل وانتهى المحل بالافلاس. والانسان اذا لم يراعِ هذه الاحوال مع العوامل المحيطة بهِ انقلبت عليهِ وعملت على تقويض اركان بنائهِ

المغزى ظاهر ومع ذلك فيحسن ايراد بعض الامثلة تأييداً للمبدإ وزيادة للايضاح

١ المعدة يجتمع فيها الغذاء فتهيئهُ وتجعلهُ صالحاً لان يتحول الى دم ويغذي الاعضاء والانسجة على انواعها فالاحساس بالجوع ليس خاصاً بالمعدة بل هو في الجسم كلهِ وهو يدل على طلب الطبيعة قوة جديدة تعوض بها عن القوة التي خسرتها الاعضاء بقضاء وظائفها فتكلف المعدة بجلب ما يلزم لها من الخارج. فالمعدة اذاً رسول الطبيعة ولا تأخذ مما تحصلهُ الاَّ ما يصيبها منهُ بحسبة بقية الاعضاء. واذ انها مكلفة ايضاً باعداد ما تجلبهُ ليكون صالحاً لتغذية الاعضاء فلا يجوز ان نعطيها اكثر مما تطلبهُ الطبيعة او ان نحملها اكثر من استطاعتها والاَّ ناءت تحت الحمل وعجزت عن ايصال الامانة الى صاحبها ويظهر عجزها بالقيء والاسهال والحمى الخ

٢ الرئة عضو التنفس تستنشق الهواء من الخارج وتأخذ منهُ احد عناصره وهو الاكسجين لتطهر بهِ الدم وتصلح كرياتهِ التي ضعفت قوتها بدورانها في تيار الدم لتغذية اقسام الجسم المختلفة فاذا لم يكن هواء الاستنشاق نقياً ولم يحتوِ على ما يكفي من الاكسجين لاصلاح كريات الدم كهواء القهوات والمحلات التي يحتشد فيها خلق كثير فسدت وظيفة الرئة وفسدت تغذية الاعضاء فتتوانى عن قضاء وظائفها وتحصل عوارض متنوعة كفقر الدم والانزفة الخشوية

٣ يحتاج كل كائن حيّ الى درجة معينة من الحرارة ويقوم حسن كيانهِ بالمحافظة عليها فاذا زادت او نقصت وقع عيث على حياتهِ لان زيادة الحرارة المحيطة ونقصانها وتغيراتها الفجائية تحدث من العوارض ما يفسد الصحة ويفضي احياناً كثيرة الى الموت كالاحتقانات الدماغية وضربة الشمس وداء الجنب الخ

٤ً ان الطبيعة مجهزة بكل وسائل الدفاع لدفع المرض وحفظ الصحة . ومن هذه الوسائل الكائنات الصغرى الحية التي تعيش في سوائل الجسم وانسجتهِ واغشيتهِ ويطلق عليها اسم الميكروبات الصحية . فهي جنود قائمة على خفارة الاعضاء والمحافظة على سلامتها فاذا رأت عدوًّا مفاجئًا دافعت عن مواقعها دفاعًا حسنًا ومنعت العدو من الدخول والاستيلاء ولكن اذا ضعفت بسبب ما ولم يكن عندها من معدات الدفاع ما تقاوم بهِ العدو المفاجئ فانهُ يتغلب عليها ويحتل مواقعها ويفعل بها فعل الغزاة الظالمين . وهذا هو الغالب في حدوث الامراض الميكروبية كالسل والتيفويد وغيرهما لان اهم السبل المفتوحة للميكروب هي فقر الدم والعادات السيئة وكل الاسباب المهيئة لضعف البنية

فالاسباب المرضية اذاً كثيرة وما تقدم منها يكفي للدلالة عليها وعلى وجوب الاحتياط لها ويمكننا ان نحصرها في اربعة انواع

١ً الاسباب الطبيعية

لحياة الانسان علاقة قوية بالقوى الطبيعية التي تحيط بهِ كالحرارة والنور والكهربائية والهواء والضغط الجوي الخ فاذا اختلت تلك العلاقة بزيادة او نقصان اختلت وظيفة العضو او الاعضاء وانحرفت عن سيرها فيحصل المرض

٢ً الاسباب الكيماوية

يتناول الانسان من الخارج العناصر اللازمة لغذائهِ فاذا دخل جوفهُ منها ما من شأنهِ ان يحدث تغييراً كيماوياً في انسجتهِ حدثت فيها اضطرابات متنوعة وقد تتعطل وظيفتها ويكون ذلك سبباً للموت

٣ً الاسباب الميكروبية

يعيش الانسان في وسط مملوء بالكائنات غير المنظورة بعضها صديق ومسالم لهُ والبعض الآخر عدو من اشد الاعداء فتكاً واكثرها ضرراً فاذا دخل جسمهُ احد الاعداء عاش على نفقة عناصرهِ ونما في سوائلهِ نموًّا عظيمًا وتوالد وكثر حتى ينهك النسيج الذي يحتلهُ وينهك البنية ويكون غالباً سبباً للموت

٤ً الانفعالات النفسانية

الغضب والجزع والخوف والحزن وغيرها اسباب لامراض كثيرة ودواعٍ لاستفحال امراض سابقة ولا يبعد ان تكون موردًا للموت

وقد قدمنا آنفًا مثالاً لكل منها وقلنا ايضاً ان الجسم الضعيف تضعف فيهِ قوة الدفاع

يُغلّب على امره ويقع تحت سلطة المرض ولهذا كان الاطفال والاحداث اكثر تعرضاً لها من الشبان والكهول فيجب ان يعتنى بهم عناية شديدة الى ان يجوزوا طور الحياة الضعيف وتقوى فيهم وسائل الدفاع ليتقوا بها الطوارئ المرضية

واعلم ان اتقاء المرض خير من شفائه وقال المثل الانكليزي ان رطل منع خير من قنطار دواء. وتقوم الوقاية باجتناب الاسباب المرضية وذلك بالاعتناء التام بنظافة الجسم والاعتدال في الطعام والشراب واجتناب العادات السيئة لان الوسخ والشراهة والانغماس في السيئات اسباب لاكثر العلل التي تنتاب الانسان

اما الوقاية من الامراض الوبائية فهي من عمل الادارة الحاكمة فهي التي تعتني بتوزيع مياه الشرب النقية وتراقب الاغذية الجيدة وتشرف على الاماكن التي يجتمع فيها خلق كثير كالمدارس والمعامل والمراسح وهي التي ترشد الاهالي الى السبل القويمة التي يجب ان يتخذوها في تلك الاحوال وبذلك توقف سير الوباء وتمنع تفشيهُ الدكتور

امين ابو خاطر

النساء الغنيات

من الغريب ان اغنى الالمان امرأة واغنى الفرنسويين امرأة فالالمانية ابنة كروب صاحب معمل المدافع المشهور وتقدَّر ثروتها بنحو ١٦ مليون جنيه والفرنسوية مدام لابودي ام المسيو لابودي الذي لقب نفسهُ امبراطور الصحراء فان ثروتها تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات وهي عجوز ثقيل عليها مانها ساكنة في فرساليا في بيت حقير منتحلة اسماً مستعاراً وليس عندها الا خادمة واحدة ولكنها تتصدق بكل دخلها سرًّا ويقال انها تنفق على جريدة ملكية ١٦٠٠٠ جنيه كل سنة . اما الغنيات الاميركيات فاغنى من ذلك كثيراً فان ثروة مسز رسل ساج تبلغ الآن ٢٨ مليون جنيه

وصايا في الاستحمام

ذكر الدكتور تيمن في المجمع الطبي البريطاني الذي عقد في مدينة بريطن بعض الوصايا الصحية لاجل الاستحمام وهي

(١) افضل الاشهر للاستحمام في البحر يوليو واغسطس وسبتمبر

(٢) افضل الساعات للاستحمام بعد الفطور وقبل الغداء ولا بد من الخروج من الماء قبلما يبتدئ رد الفعل في الجسم

(٣) مدة البقاء في الماء من خمس دقائق الى ١٥ دقيقة ويكون الاستحمام مرة واحدة في اليوم

(٤) التباطوء في الاستحمام وفي لبس الثياب بعده مضران · ولا بد من فرك البدن بنشفة خشنة حال الخروج من الماء

(٥) لا تبق في الماء حتى يزول منك الشعور بالحر ويبتدئ الشعور بالبرد

(٦) لا يجوز لاحد ان يقدم على حمامات البحر قبلما يستشير طبيبهُ

(٧) يحسن بالمرء ان يستحم اولاً بماء البحر المسخن ثم يتدرج الى الاستحمام بالماء البارد

(٨) الاستحمام مفيد ولاسيما للناقهين والمنهوكين والمصابين بالسل

فوائد منزلية

لزق الزنجبيل مفيدة مثل لزق الخردل ولا تنفط الجلد مثلها وهي تصنع كما تصنع لزق الخردل

اذا اضيف قليل من السكر الى البازلاَّ وقتما تطبخ جاد طعمها واذا اضيف اليها قليل من كربونات الصودا لانت وبقي لونها الاخضر فيها

اذا وضع قليل من الدقيق او النشا الناعم على الجرح انقطع نزف الدم منهُ

اذا كثر عرق الكفوف في البلاد الحارَّة فاغسلها مراراً بماء حار اضيف اليهِ قليل من الشب الابيض او الخل فيقل العرق او يزول

اقراص النعنع تقلل الشعور بالجوع فاذا اضطرَّ احد ان يقيم بلا طعام مدة واكل قرصين او اكثر من اقراص النعنع زال شعورهُ بالجوع او خف · والسكر الذي فيها وكل انواع الملبس تغذي تغذية كافية لازالة الشعور بالجوع

الآنية المدهونة بالدهان الياباني لا يصلح ان تنظف بالماء السخن اذا اتسخت بل تدهن بقليل من الزيت ثم تفرك بخرقة ناعمة من الفلانلا

يخف الم الضرس بالوضعيات السخنة كصرَّة فيها ملح ناعم سخن او بطاطس مشوي او اي مادة اخرى سخنة جافة تحفظ حرارتها مدة طويلة

الغالب ان الغراء والصمغ العربي يتصلبان سريعاً والورق المغرى او المصمغ يلتوي ويتشقق ما عليهِ من الغراء او الصمغ ويمنع ذلك بان يضاف اليها قليل من الغليسرين

باب الزراعة

محصول القطن المصري

احصت مصلحة الزراعة بزرة القطن التي بيعت للزارعين بذاراً هذه السنة فبلغت ٣٣٩٨٩٦ اردباً وقدرت مساحة الاطيان التي زرعت قطناً هذا العام ١٧٥٠٠٠٠ فداناً واصناف القطن المزروعة كما ترى في هذا الجدول وهي فيه عن هذه السنة والسنة الماضية

	سنة ١٩١٢		سنة ١٩١٣	
	اردب	فدان	اردب	فدان
ميت عفيفي	١٠٠٦٢٦	٥٢٢٩٦٧	٩٨٠٧٢	٣٥٠٠٠٠
اصيل	١٦٥٠٣	٨٥٣٣٦	٣٦٥٥١	١٨٩٠٠٠
يانوفتش	٥٥٨٧٦	٢٩٠٣٨٤	٤٠٠٨١	٢٠٦٥٠٠
نوباري	٤٦٥٠٩	٢٤٢٧١٦	٤٨٦٦٧	٧٥٠٢٥٠
سكلاريدس	٣٣٤١٣	١٧٣٤٠٥	٦٠٤٠٥	٣١١٥٠٠
عباسي	٥٧٨٨	٣٠٣٧٩	٣٨١٧	١٩٢٥٠
فولدس وانواع اخرى	٦١٣٠	٣١٦٥٢	٩٨٠٥	٥٠٧٥٠
اشموني	٢٣٤٩١	٣٤٥٥٨٩	٧٣٤٩٨	٣٢٣٧٥٠
المجموع	٢٨٨٣٣٣	١٧٢١٨١٥	٣٣٩٨٩٦	١٧٥٠٠٠٠

وعليهِ فالمساحة التي زرعت قطناً هذه السنة زادت عن المساحة التي زرعت في العام الماضي نحو ٢٨ الف فدان كلها في الصعيد حيث يزرع القطن الاشموني . ومعلوم ان تقدير المساحات ليس بالامر السهل ولا معرفة التقاوي التي تباع بل الذي يملك ٥٠٠ فدان لا يعرف تماماً مساحة الاطيان التي يزرعها قطناً سنوياً فكيف تعرف المساحة من خمسة ملايين فدان لا سيما وان ميل المزارعين هو الى تقليل المساحة التي زرعوها اذا كانت زائدة عن ثلث اطيانهم خوفاً من مؤاخذتهم بمخالفة قانون الري الذي يحسبون انهُ يقضي بان لا تزيد الزراعة عن ثلث الاطيان . وكيفما كانت الحال فالمرجح ان المساحة المزروعة هذا العام مثل المساحة التي كانت مزروعة في العام الماضي ان لم تكن اكثر منها

اما المحصول الماضي فقد قدرتهُ مصلحة الزراعة بثمانية ملايين وربع مليون حينما لم يكن منظر القطن احسن من منظره هذا العام فجاء الموسم الماضي اقل من سبعة ملايين ونصف مليون . وقد يقال ان دودة القطن اضرَّت بالموسم الماضي وهو قول وجيه ولكن ضررها لم يكن عامًا ولا كثيرًا والذي اضرَّ اكثر منها هو دودة اللوز

اما الموسم الحاضر فلم يصب بدود القطن او كانت الاصابة قليلة وعلية ولكنهُ اصيب بشيء من الدودة العسلية ويقال ان العطش اضرَّ بهِ فاوقع بعض طرحهِ . ووقوع الطرح صحيح لا شبهة فيهِ ولكننا لا نظن ان سببهُ قلة الري لان عندنا قطنًا يروى بوابور من النيل وقد روي في مواعيد الري تمامًا ولم يعطش ومع ذلك سقط بعض طرحهِ وكان ييبس بعض لوزهِ وسقوطهُ اول شيء انتبهنا لهُ حينما رأيناهُ . فان كان وقوع الطرح عامًا فلا بد من تأثيرهِ في المحصول والغالب ان التأثير قليل لا يزيد عن خمسة في المئة الى عشرة في المئة.
ولا يزال القطن معرضًا لدودة اللوز الرمادية والدودة الحمراء فاذا سلم منهما ومن كل آفة اخرى فلا يبعد ان يبلغ المحصول ثمانية قناطير ولكن اذا لم يسلم منهما فالمرجح انهُ لا يزيد على سبعة قناطير وربع الى سبعة ونصف اي انهُ يكون مثل الموسم الحاضر

وقد سلم الموسم من دود ورق القطن لا بفضل الحكومة ولا بفضل احد بل بمرض ميكروبي اصاب دود القطن كما اصاب دود الحرير . هذا هو العامل الاكبر في نجاتهِ ومن المحتمل ان يكون النمل الذي يأكل البيض والدود الصغير يد في ذلك ايضًا

وقد جاء فيضان النيل هذه السنة من اوطإ الفيضانات المعروفة ولولا المياه التي كانت مخزونة في الخزان من الفيضان الماضي لما امكن ري القطن . ويقال انهُ مهما كان الفيضان واطئًا لا يمنع ملء الخزان للعام المقبل فلا خوف على الموسم التالي ولكن اذا بقي الفيضان منخفضًا كما هو الآن خيف من قلة المياه في الآبار الارتوازية وهي التي ساعدت مياه هذه السنة فتعجز عن مساعدتها في العام المقبل . وكيفما كانت الحال فضعف الفيضان هذه السنة سيوجب بقاء جانب من اراضي الحياض من غير ري فترتفع اسعار الحبوب ويكثر الناس من زرعها في الوجه البحري وقد يقلل مساحة الاطيان التي تزرع قطنًا في العام المقبل

والظاهر ان المشتغلين بالقطن يتوقعون ان يقلل الناس زراعة القطن في العام المقبل لاسيما وان الحكومة عازمة ان تشير على المزارعين لكي لا يزرعوا اكثر من ثلث اطيانهم قطنًا لان مصلحة الري لا تستطيع ان تعطيهم ماء صيفيًا لاكثر من ثلث الاطيان . ومعلوم ان كثيرين يزرعون الآن نصف اطيانهم قطنًا فاذا زرعوا ثلثها فقط فلا بدَّ من ان تقل المساحة

التي تزرع قطناً مئة الف فدان او مئتي الف فدان فيقل المحصول المقبل من قلة المزروع ان لم يقل من العطش. فاذا ثبت ذلك فلا بد من ارتفاع سعر القطن وبلوغهِ الحد الذي يجب ان يبلغهُ بالنسبة الى سعر القطن الاميركاني

الزراعة تحت الارض

من النباتات ما لا يجود الاَّ اذا زرع في مكان مظلم لا تصل اليهِ اشعة الشمس كالفطر والهليون والراوند فتحفر لزرعهِ الاسراب تحت الارض او يفتش عن الكهوف الكبيرة ويزرع فيها ومن هذا القبيل كهف في مكان بامبركا اسمهُ سبرنجفيلد عمقهُ ٧٥ قدماً تحت وجه الارض يزرع فيهِ الراوند والفطر اما الراوند فيزرع خارجاً حتى اذا نبت واشتدت جذورهُ نقل الى داخل الكهف فتكبر جذورهُ جدًّا والفطر يزرع في الكهف رأساً ويستغل رطلان منهُ في السنة من كلّ ما مساحتهُ قدم مربعة

ومن فوائد الكهوف للزراعة ان الحرارة فيها واحدة على مدار السنة فيجود الزرع فيها دائماً ولا تنقصهُ الاَّ الالوان التي يكتسبها بفعل نور الشمس

المواسم في الولايات المتحدة

اصدر قلم الاحصاء في نظارة زراعة الولايات المتحدة تقريراً عن حالة مواسم الحبوب في الولايات المتحدة في اول اغسطس الجاري هذه خلاصتهُ

الذرة — تقدر حالة الموسم بخمسة وسبعين وثمانية اعشار مقابل ٨٦٫٩ في شهر يوليو السابق و٨٠ في اول شهر اغسطس من العام الماضي و٦٫٩٩ في مثل هذا التاريخ من عام ١٩١١ و٢٫٨٢ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

الحنطة الشتوية — تدل الدلائل على ان المحصول من هذا الصنف سيبلغ ١٦ بشلاً ونصفاً الفدان او نحو ٥١١ مليون بشل في البلاد كلها مقابل ١٥ بشلاً وعشر البشل في الفدان في العام الماضي و٠٠٠ ٩١٩ ٣٩٩ بشل في البلاد كلها بموجب آخر تقدير قدر بهِ محصول العام الماضي . وتقدر رتبة المحصول في هذا العام بثمانية وتسعين وسبعة اعشار مقابل ٩٠٫٧ في العام الماضي . وقد كان متوسط محصول الفدان في السنوات العشر الاخيرة ١٤٫٦ البشل وكل خمسة ابشال وربع تعادل اردبًّا

الحنطة الربيعية — تقدر حالة موسم هذا الصنف الآن باربعة وسبعين وعشر مقابل ٧٣٫٨ في اول اغسطس من العام الماضي و٥٩٫٨ في مثل هذا التاريخ من عام ١٩١١ و٨٠٫٩ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

الشعير — تقدر حالة موسم الشعير باربعة وسبعين وتسعة اعشار مقابل ٧١٫٦ في الشهر السابق و٨٩٫١ في اول شهر اغسطس من العام الماضي و٦٦٫٢ في سنة ١٩١١ و٨٣ متوسط المحصول في السنوات العشر الاخيرة

وزيادة في الايضاح نذكر في الجدول التالي متوسط ما تقدر به غلة الفدان ومتوسط غلة البلاد كلها من كل صنف بالبشل

الحنطة الشتوية

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	١٦٫٥	١٠٫٦	١٠٫١
غلة البلاد	٥١١٠٠٠٠٠٠	٤٨٣٠٠٠٠٠٠	٣٩٩٩١٢٠٠٠

الحنطة الربيعية

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	١٢٫٥	١١٫٢	١٧٫٧
غلة البلاد	٢٣٣٠٠٠٠٠٠	٢١٨٠٠٠٠٠٠	٣٣٠٣٤٨٠٠٠

الشعير

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	٢٣٫١	٢٢٫٨	٢٩٫٢
غلة البلاد	١٦٨٠٠٠٠٠٠	١٦٥٠٠٠٠٠٠	٢٢٣٨٧٤٠٠٠

الذرة

	الآن	في الشهر السابق	في العام الماضي
غلة الفدان	٢٥	٢٧٫٨	٢٩٫٣
غلة البلاد	٢٦٧٢٠٠٠٠٠٠	٢٩٧١٠٠٠٠٠٠	٣١٢٤٧٤٦٠٠٠

محصول الحنطة في العالم

نشرت جريدة دورن بوش في ملحق أصدرته في ٧ اغسطس الماضي احصاء تمهيدياً لمحصول الحنطة في العالم واردفته بالمحصول الحقيقي لكل سنة من السنوات السبع الماضية والى القارىء تقدير المحصول عن السنة الحاضرة ومقابلة ذلك مع السنتين الماضيتين « بالكوارتر » او ربع الطن

اوربا	١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
فرنسا	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٤١ ٧٤٦ ٠٠٠	٣٨ ٠٦٠ ٠٠٠
روسيا باوربا	٩٨ ٩٠٠ ٠٠٠	٧٨ ٠٩٠ ٠٠٠	٥٥ ٩٦٤ ٠٠٠
روسيا باسيا	٢٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٣ ٢٥٠ ٠٠٠	١٤ ٥٧٧ ٠٠٠
المجر	١٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢١ ٢٥٠ ٠٠٠	٢١ ٩١٣ ٠٠٠
كرواشيا وصلفونيا	٠٠ ٥٠٠ ٠٠٠	٠١ ٨٥٨ ٠٠٠	٠١ ٩٠٤ ٠٠٠
النمسا	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٨ ٧١٧ ٠٠٠	٠٧ ٣٧٤ ٠٠٠
بوسنيا والهرسك	٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٧٤ ٠٠٠	٠٠ ٣٥٠ ٠٠٠
ايطاليا	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٤٢٥ ٠٠٠	٢٤ ٠٤٢ ٠٠٠
المانيا	١٨ ٥٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٥٨٩ ٠٠٠	١٨ ٦٧١ ٠٠٠
لكسمبرج	٠٠ ٩٠٠ ٠٠	٠٠ ٨٣٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٨٠ ٠٠٠
اسبانيا	١٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١٣ ٧٤٤ ٠٠٠	١٨ ٥٥٧ ٠٠٠
بورتغال	٠١ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٤٨٣ ٠٠٠
رومانيا	١٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١١ ١٩٤ ٠٠٠	١١ ٣٥٣ ٠٠٠
بلغاريا	٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٧ ٩٨١ ٠٠٠	٠٩ ٠١٤ ٠٠٠
سربيا	٠١ ٦٠٠ ٠٠٠	٠١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠١ ٩١٧ ٠٠٠
تركيا	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠
اليونان	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٧ ٥٠٠ ٠٠	٠٧ ١٧٥ ٠٠٠	٠٨ ٠٣٩ ٠٠٠
البلجيك	٠١ ٩٠ ٠٠٠	٠١ ٩٢١ ٠٠٠	٠١ ٨٣٠ ٠٠٠
هولندا	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٩٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٨١ ٠٠٠
سويسرا	٠٠ ٤٤٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٩٨ ٠٠٠	٠٠ ٤٤١ ٠٠٠
اسوج	٠٠ ٩٠٠ ٠٠	٠٠ ٩٥٠ ٠٠٠	٠١ ٠٣١ ٠٠٠
نروج	٠٠ ٠٣٥ ٠٠٠	٠٠ ٠٣٩ ٠٠٠	٠٠ ٠٣٣ ٠٠٠
الدانيمارك	٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٤٦٩ ٠٠٠	٠٠ ٥٣٧ ٠٠٠
قبرص ومالطة	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٢٠ ٠٠٠	٠٠ ٢٩٠ ٠٠٠
المجموع	٢٩١ ٣٦٥ ٠٠٠	٢٨٠ ٧٣٣ ٠٠٠	٢٥٨ ٨٩٩ ٠٠٠

اميركا			
الولايات المتحدة	٩١ ٠٠٠ ٠٠٠	٩١ ٢٨٧ ٠٠٠	٧٧ ٦٦٧ ٠٠٠
كندا	٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٤ ٩٠٥ ٠٠٠	٢٦ ٩٨١ ٠٠٠
المكسيك	٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	٠١ ٣٠٠ ٠٠٠	٠١ ٣٠٠ ٠٠٠
الارجنتين	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٤ ٩٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٨٠٦ ٠٠٠
شيلي	٠٢ ٢٠٠ ٠٠٠	٠٢ ٢٥٠ ٠٠٠	٠٢ ٢٨٢ ٠٠٠
ارغواي	٠١ ٢٠٠ ٠٠٠	٠١ ٢٥٠ ٠٠٠	٠ ٧٤٨ ٠٠
پيرو	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٦٥٠ ٠٠٠
المجموع	١٤٨ ٢٥٠ ٠٠٠	١٤٦ ٤٩٢ ٠٠	١٣٠ ٤٣٤ ٠٠٠
آسيا			
الهند	٤٤ ٧٨٥ ٠٠٠	٤٥ ٧٩٧ ٠٠٠	٤٧ ٠٦٤ ٠٠٠
ايران	٠١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٠١ ٧٠٠ ٠٠٠
اليابان	٠٣ ٤٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٧١١ ٠٠٠	٠٣ ١٠٦ ٠٠٠
الصين	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٠٠ ٠٠٠
المجموع	٥٠ ٦٨٥ ٠٠٠	٥١ ٧٠٨ ٠٠	٥٢ ٥٧٠ ٠٠٠
افريقية			
الجزائر	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٤٠٢ ٠٠٠	٠٤ ٥٨٢ ٠٠٠
تونس	٠ ٧٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٥٣٠ ٠٠٠	٠١ ٠١٠ ٠٠٠
مصر	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٨٦٩ ٠٠٠	٠٤ ٧٦٣ ٠٠٠
بلاد الرأس	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٣٠٠ ٠٠٠	٣٠٠ ٠٠٠
المجموع	٠٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٨ ١٠١ ٠٠٠	١٠ ٦٥٥ ٠٠
استراليا ونيوزيلند			
استراليا ونيوزيلند	١٤ ٩٠٠ ٠٠٠	١١ ٤٤٣ ٠٠٠	١٠ ٠٤٣ ٠٠٠
المجموع كله	٥١١ ٢٠٠٠ ٠	٤٩٨ ٤٧٦ ٠٠٠	٤٥٩ ٦٠١ ٠٠٠

اذا صح هذا التقدير كان محصول الحنطة في هذا العام اعظم محصول عرف الى الآن

موسم القطن وصادراتهُ

بلغ الوارد الى الاسكندرية من موسم هذه السنة حتى ٢٢ اغسطس ٧٤٦٠٢٩٣ قنطاراً وكان في العام الماضي حتى هذا التاريخ ٧٢٦٢٦٩٩ قنطاراً . ولا ينتظر ان يرد في الاسبوع الاخير من هذا الشهر الأخير الّا الفي قنطار او ثلاثة آلاف ولذلك ثبت الآن ان الموسم الاخير اقل من سبعة ملايين ونصف مليون قنطار

ومما يهمّ النظر فيهِ من امر الموسم الماضي ان اوربا واميركا اخذتا منهُ اكثر مما اخذتا من الموسم الذي قبلهُ ومن موسم سنة ١٩١٠ الذي كان اكبر من الموسم الحاضر كما ترى في هذا الجدول

	ما اخذتهُ اوربا	ما اخذتهُ اميركا	الجملة
موسم ١٩ ٢ — ١٩١٣	٣١٢٤٦٥٣	٩٦٣٠٠٠	٤٠٨٨٢٠٨
« ١٩١١ — ١٩١٢	٢٩٨٩٣٩٦	٩٣٢١٥٩	٣٩٢١٠٠٠
« ١٩١٠ - ١٩١١	٣٠٩٣٩٣٥	٩٧٧٢٠١	٤٠٧١١٣٦

فزيادة مقطوعية اوربا واميركا من القطن المصري تدلّ على انهما اتبعتا لزومهُ كما انتبهت لهُ انكلترا ولذلك ينتظر ان تزيد مقطوعيتهما منهُ سنة بعد سنة . اما انكلترا فقد نقص ما اخذتهُ من القطن المصري هذه السنة عما اخذتهُ في السنة الماضية ولكن لا ينتظر انها تقف عند هذا الحد ولاسيما اذا خافت من قلة الموسم المقبل والذي بعدهُ بسبب ضعف الفيضان الحاضر

بزرة القطن

وقد بلغ الوارد الى الاسكندرية من بزرة القطن المصري حتى ٢٢ اغسطس اكثر مما ورد من بزرة الموسم الماضي والذي قبلهُ . وبلغ الصادر منها اكثر مما صدر في العام الماضي والذي قبلهُ كما ترى في هذا الجدول

موسم سنة	الوارد الى الاسكندرية	الصادر منها
١٩١٢ — ١٩١٣	٤٦٣٧٧٠٠	٤١٦٦٢٣٣
١٩١١ — ١٩١٢	٤٣٨٠٢٢٢	٣٩٢٩٧٠٥
١٩١٠ — ١٩١١	٤٦٠٢٣٩٥	٤٠٠٨٦٧٢

فازدياد الطلب مستمر على البزرة كما هو على القطن . وحبذا لو بذلت الهمة لاستخدام البزرة في القطر نفسه كأن يعصر زيتها و يعمل منهُ الصابون او المرجرين و يطعم الكسب للمواشي حتى تعاد عناصرها الى الارض مع زبلها

طب الاشجار

كثيراً ما ينخر الدود الاشجار فتعالج بادخال سلك سيف النخر واماتة الدودة التي نخرتها وسد مكانها بشيء من الجبس او نحوه كما يسد نخر السن وقد يضرب خشب الشجرة مادة فطرية فيبلى و يصير هشاً حتى اذا عبثت بها الرياح قصفتها فاذا ظهر ان البلى اخذ في خشب شجرة فانزع الخشب البالي ونظف مكانهُ جيداً وادهنهُ بمحلول السليماني واملأهُ بالسمنت وابق السمنت في النقبة منخفضاً عن سطح القشر حتى يتيسر للقشر ان ينمو و يسد النقبة و يلتقي بعضهُ ببعض فتعود الشجرة سليمة متينة كما كانت قبل ان يلي خشبها

فائدة النمل الزراعية

نشرنا في هذا الجزء مقالة مسهبة موضحة بالصور الكثيرة في فائدة النمل الزراعية وقد عثرنا الآن على تحليل كيماوي لتلال النمل والتربة من السهل الذي فيه هذه التلال وهما كما ترى في هذا الجدول

	تراب السهل	تراب تلال النمل
حصى بغربال خروقهُ ٣ مليمترات	٨,٦٦	٠٠٠٠
رطوبة	٠١,٩٨	٠٣,٣٨
مواد تحترق	٤,١٤	١٣,٠٣
مواد لا تذوب (رمل وما اشبه)	٨٢,٨٦	٧٤,٠٩
اكسيد الحديد والومينا	٩,٨٩	٨,٧٩
كلس	٠,١٢	٠,٣٠
مغنيسيا	٠,١٨	٠,٤
بوتاسا	٠,٢٥	٠,٣٩
حامض فصفوريك	٠,٦	٠,٠٦

والعبرة بالمواد التي تحترق والمواد التي لا تذوب فالمواد التي تحترق هي مواد آلية تحتوي على النيتروجين وبها خصب الارض وهي كثيرة في تلال النمل تبلغ ١٣ في المئة وقليلة في بقية تراب السهل بالنسبة اليها . والمواد التي لا تذوب مثل الرمل ونحوهِ لا فائدة عنها لغذاء المزروعات وهي كثيرة في تراب السهل تبلغ نحو ٨٣ في المئة وقليلة في تراب تلال النمل بالنسبة اليها تبلغ نحو ٧٤ ونصف في المئة

ضرر المصارف

المصارف ضرورية لاصلاح الارض التي فيها املاح تضرُّ بالزراعة او متولدات آلية ضارَّة ولكن اذا كانت الارض خالية من الاملاح الضارة ومن المواد الآلية الضارة فالصرف يضرُّ بها لانهُ يذيب منها الاملاح النافعة وينزحها منها ولاسيما اذا كانت غير مزروعة . وقد وجد بالامتحان مدة عشرين سنة في حقول الامتحان في روثمستد ببلاد الانكليز ان المصارف تنزح من الفدان الواحد في السنة نحو ٣٤ رطلاً من النيتروجين وهي تعادل ٢١٦ رطلاً من نيترات الصودا . وفي حقول الامتحان في غرينيون قرب باريس تنزح ١٩٠ رطلاً من الفدان . اما الارض المزروعة فالذي تنزحهُ المصارف منها كان قليلاً جدًّا لا يزيد على رطلين وثلث

وتنزح المصارف من الارض مواد اخرى مختلفة ولكن ليس من نزحها خسارة الّا اذا كان في الارض سماد كثير فان المصارف تنزح جانباً كبيراً منهُ

والمرجح ان ربح المصارف للمواد النيتروجينية لا يكون منهُ ضرر كثير لانها تمدُّ الارض بنمو الميكروبات التي تأخذ النيتروجين من الهواء وتركب منهُ مركبات نيتروجية تذوب في الماء وتمتزج بالتربة فتضر من جهة وتفيد من اخرى

الاملاح الضارة بالارض

اكثر الاملاح وجوداً في الارض هو كلوريد الصوديوم اي ملح الطعام وكبريتات الصوديوم اي الملح الانكليزي وكربونات الصوديوم اي القلي والاخير اشدها ضرراً لان الاول اي ملح الطعام يذوب بالماء وينزح مع مياه الصرف والثاني يذوب ايضاً ويزول فلا يضر واما الثالث فيذوب بصعوبة ويضرُّ كثيراً ويزال ضررهُ باضافة الجبس الى الارض الّا ان الاشجار والنباتات المختلفة تحتمل هذه الاملاح في الارض على درجات مختلفة

كما نرى في الجدول التالي وقد ذكرت فيه اكبر كمية يمكن ان تحتملها الى عمق قدم

	ملح الطعام	كربنات الصودا	كربونات الصودا
العنب	٩٦٤٠	٤٠٨٠٠	٧٥٥٠
التين	٠٨٠٠	٢٤٤٨٠	١١٢٠
البرتقال	٣٣٦٠	١٨٠٠٠	٣٨٤٠
الكمثرى	١٣٦٠	١٧٨٠٠	١٧٦٠
التفاح	١٢٤٠	١٤٢٤٠	٠٦٤٠
الخوخ (المراقي)	١٠٠٠	٠٩٦٠٠	٦٨٠
المشمش	٠٩٦٠	٨٦٤٠	٤٨٠
الليمون	٨٠٠	٤٤٨٠	٤٨٠
التوت	٧٢٤٠	٣٣٦٠	١٦٠
اليوكالبتوس	٣٩٦٠	٣٤٧٢٠	٢٧٢٠
الجميز	٣٠٣٢٠	١٩٢٤٠	٣٣٠٠
النخيل	٠٠	٥٥٠٠	٢٨٠٠
الطرطير	١٢٥٢٠	١٢٥٦٤٠	١٨٥٦٠
البرسيم الحجازي الجديد	٧٦٠	١١١٤٣٠	—
« « القديم	٥٧٦٠	١٠٢٤٨٠	٢٣٦٠
عباد الشمس	٥٤٤٠	٥٢٦٤٠	١٧٦٠
البصل	٣٢٤٠	٥١٨٨٠	٨٧٢٠
الجزر	٢٣٦٠	٢٤٨٨٠	١٢٤٠
القمح	١١٦٠	١٥١٢	١٤٨٠
الشعير	٥١٠٠	١٢٠٢٠	١٢١٧٠
الترمس	٣٠٤٠	٥٤٤٠	٢٧٢٠

ووزن تراب الفدان الى عمق قدم ٤٠٠٠٠٠٠ فاكثر كمية من ملح الطعام في التربة يحتملها الكرم هي ٩٦٤٠ رطلاً من كل ٤٠٠٠٠٠٠ رطل او نحو واحد من ٤٠٠ او ٢½ في الالف وما جرًّا بقسمة العدد الموجود على اربعة ملايين · والطرطير يحتمل كربونات الصودا ولو كان ٢١ في المئة من التربة

باب التقريظ والانتقاد

ولاة مصر وقضاتها

تأليف ابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري

اهدى الينا الاوصياء الذين يطبعون الكتب العربية النفيسة على نفقة تذكار المرحوم المستر جب نسخة من هذا الكتاب منقولة عن نسخة كتبت للامير سعد الدين ابي عبد الله محمد بن الامير حسام الدين منقر . وقد نقلها وصححها المستر رفن غست وقدم لها مقدمة انكليزية ادمج فيها تاريخ القطر المصري من زمن الفتح الى زمن وفاة المؤلف وما تقلب عليه من الشؤون السياسية والدينية واتبعها بفصل في ترجمة المؤلف وبكلام مسهب على مؤلفاته واسانيده في الرواية والملحقات التي الحقت بهذا الكتاب والزمن الذي كتبت فيه النسخة التي نقل عنها وهو سنة ٦٢٤ للهجرة (١٢٢٧ للمسيح) والذي كتبت له وكان قائداً لجيوش الملك المعظم ابن الملك العادل الايوبي الذي حكم في دمشق من سنة ٦١٥ الى سنة ٦٢٤ للهجرة (١٢١٩ — ١٢٢٧ للمسيح) ثم نقلت الى مصر وكانت فيها سنة ٨٠٥ للهجرة

وطريقة المؤلف في ذكر اخبار الولاة والقضاة الذين كانوا في مصر من زمن الفتح الى اواخر المئة الثانية طريقة اهل الحديث في جمع الاخبار من افواه المحدثين وذلك مطلق في اخبار القرن الاول والنصف الاول من الثاني دلالة على انهُ لم يكن لديهِ تواريخ مكتتبة عن تلك المدة وهذا يؤيد ما قيل من انهُ لم يكن تدوين في الاسلام قبل القرن الثاني. وايضاحاً لذلك نذكر الفقرات التالية

« حدثنا محمد بن زبّان بن حبيب الحضرمي اخبرنا الحارث بن مسكين قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن العاص قدم مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم غافق ثم مُدَّ بالزبير بن العوّام في اثني عشر الفاً

حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بن بُكَير قال حدثني ابي عن الليث بن سعد قال اقام عمرو بن العاص محاصر الحصن الى ان فتحهُ سبعة اشهر

وحدثني يحيى بن ابي معاوية التميمي قال حدثني خلف بن ربيعة الحضرمي عن ابيهِ عن ابن لهيعة عن يزيد ابن ابي حبيب قال فتحت مصر في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين»

وسائر الكتاب الى اواسط القرن الثاني للهجرة على هذا النسق من النقل المتمن وبعد ذلك يصير الكلام مرسلاً كأنهُ منقول عن تواريخ المعاصرين كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ من هذا الكتاب

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً جدًّا وخوفاً من ان تضيع المزية التي يراها الباحثون في كتب الخط القديمة من حيث اصطلاحات الخطاطين طبعت فيهِ صفحات منقولة عن النسخة الخطية بالتصوير الشمسي

وقد اضيفت اليهِ فهارس مختلفة فجاء من خيرة الكتب طبعاً ووضعاً فللناشر بهِ ومنقحهِ الشكر الجزيل

كتاب العقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية

هذا الكتاب ايضاً طبع على نفقة تذكار جب وهو تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي وقد عُني بتصحيحهِ وتنقيحهِ الشيخ محمد بسيوني عسل مدرسة اللغة العربية في جامعة كمبردج . والدولة الرسولية من الدول التي ملكت بلاد اليمن من اواخر القرن السادس الهجري وكان اسلافها من قواد جيوش بني ايوب فقد جاء في هذا التاريخ ان الملك المسعود الايوبي جعل نور الدين الرسولي اتابك عسكرهِ بعد ان اعتقهُ . ثم تركهُ في اليمن وعاد الى الشام لان عمهُ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب توفي الى رحمتهِ تعالى فكتب اليهِ ولدهُ الملك الكامل السلطان يستدعيهِ اليهِ ليعطيهُ دمشق فطلب اتابكه نور الدين عمر بن علي بن رسول وقال لهُ قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبي في اليمن فان مت فانت اولى بملك اليمن من اخوتي لانك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد وكان ذلك سنة ٦٢٦

قال المؤلف وذكر ابو المظفر سبط بن الجوزي في كتابهِ مرآة الزمان ان الملك المسعود تجهز بجهاز عظيم لم يسبقهُ اليهِ ملك . من جملتهِ الف خصي وخمسمائة صندوق من فاخر الاقمشة والملبوس وثلثمائة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر واربعمائة سرية . ومن الجواهر واللآليء والاحجار النفيسة ما لا يحصر وسبعون الف ثوب صيني مطرز بالذهب ومن الصنائع مالا ينحصر عدده . حتى قيل ان المراكب التي اقلت هذا سبعون مركباً . وذلك انهُ صاح في البنادر من اراد السفر الى الديار المصرية فليسافر مع الملك المسعود قبل سفرهِ بمدة . فاقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارات والبضائع فاجتمع بهم في ثغر عدن وقال لهم

يبيعوني هذه البضائع التي صدكم لتسلموا من المشور فباعوا عليه فاخذها منهم وكتب لهم باثمانها الى اليمن واحال لهم بحوالات الى كل ناحية . فصاحوا بالويل والثبور . فلم يلتفت اليهم ولم يحصل لاكثرهم شيء»

وذكر ما يماثل ذلك من حيث كثرة البضائع في حوادث سنة ٧٠٤ قال

« وفي شهر شوال المعظم السلطان ابن بهرام مدينة ابين واعمالها . وتجهز ابن نور نحو الديار المصرية في اول شوال وقد اطعمه السلطان الهمة فسار في اوائل الشهر المذكور بانواع التحف السنية من الفضيات على اختلاف انواعها كالطشوت والاباريق والصلاحيات والجامس والاكر والقرابات وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العنبر ونوافج المسك وما عظم شأنه من غار الصيني واليشم من الصحون والزبادي ما لم يكن شرحه من الحسن . ومن الخدام الحبش والقنا الهندي والمراتب الصينية ومن المراتب المذهبة والشاشات الرفاع والسلقانيات ومن الثياب المذهبة الصينية ما عظم شأنها ومن الاواني والاطباق والصناديق مملوءة بالمسك المفرع والشاه صيني والكافور الكبار جملة أخرى . وما يتعلق بالحوائج خانة كالفلفل والقرنفل والزنجبيل والك والبقم أبهرة . ومن الوحوش كالفيل وحمار الوحش والزرافة كلها مكسوة بالحرير والاطلس المعلم بالذهب ومن الخيل المسومة العربية الاصائل اللائقة بحال المرسل اليه . نقل ذلك مركبان عظيمان . ومثل هذه الهدية لا تكاد تتأخر بين عاملين او ثلاثة طلباً للمودة والمحبة واستمرار على ما يعهد من الصحبة »

تاريخ جهانكشاي

الجزء الاول

وهو يتضمن تاريخ جنكيز خان واعقابه الفه بالفارسية علاء الدين الجويني سنة ٦٥٨ للهجرة وطبع على نفقة تذكار جب باهتمام مصححه حضرة محمد بن عبد الوهاب القزويني وقد قدم له الاستاذ ادورد برون مقدمة انكليزية قال فيها انه اصدق تاريخ للمدة التي يتناولها وهي من اهم مدد التاريخ لان فيها قام المغول واجتاحوا الممالك وانتشروا في الحل من اربعين سنة من بلاد الصين شرقاً الى سواحل بحر الروم غرباً ومن جنوب روسيا شمالاً الى خليج فارس وبحر عمان جنوباً وبلغت وطأتهم اشدها في بلاد فارس

والمقدمة مسهبة تقع في ٩٣ صفحة والذي صحح الكتاب اضاف اليه حواشي وتوضيحات كثيرة يشكر عليها جزيل الشكر وحبذا لو تُرجم الى العربية

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثالث

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية من دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ الى دخول الفرنسويين مصر سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ويدخل فيه ثمار القرائح والعقول في العصر العباسي الرابع والعصر المغولي والعصر العثماني. وهو في نحو ٣٥٠ صفحة حافلة بالفوائد التاريخية والآراء الفلسفية مما لو اريد اشباع الكلام عليه لملأ مجلدات كثيرة. وحسب المؤلف الفاضل جرجي بك زيدان فخراً انهُ جمع تاريخ الآداب العربية مدة ثمانمئة سنة في نحو ٣٠٠ صفحة يجد فيها الطالب بغيته. وحبذا لو اتبعهُ بالحواشي التي ترشد من يريد التوسع في مواضيعهِ الى المظان التي يجد فيها مرادهُ كما فعل في بعض الاجزاء السابقة. وهو في حالهِ الحاضرة خزانة جامعة لزبدة مئات من الكتب ولا شبهة في ان كثيراً من منقولاتهِ واحكامهِ يفتقر الى التحقيق والتمحيص ولكن ذلك يكون بعد هذا الجمع والتبويب. وقد لا يتاح لآداب اللغة العربية ان يشتغل بها احد اكثر مما اشتغل مؤلف هذا الكتاب فلهُ فضل كبير لا ينكر على ابناء العربية

تاريخ الصحافة العربية

صدر الجزء الثاني من هذا السفر الجليل وهو يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في العالم شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها والمحررين فيها وتراجم مشاهيرهم لحضرة واضعهِ الفيكونت فيليب دي طرازي

وهذا الجزء مفتتح بصورة السلطان عبد الحميد وفيهِ صور كثيرين من رجال الصحافة والذين لهم بعض الشأن فيها. وهو كالجزء الاول من حيث الجمع اي انهُ في الدور الاول من ادوار التأليف ومن ابى دور التحقيق والتمحيص والتنسيق فلا بد من حذف اسماء كثيرة من الذين لا شأن لهم في الصحافة وتبويب من بقي منهم حسب تاريخ صحفهم او اهميتها. اما الجمع فلا شبهة في انهُ اهم الادوار كلها واكثرها مشقة واوفرها نفقة ويظهر لنا ان حضرة المؤلف الفاضل قد اوفاهُ حقهُ ففي هذا الجزء مثلاً جدول عام يحتوي على اسماء كل الصحف العربية التي ظهرت في السلطنة العثمانية وبلاد اوربا من سنة ١٧٩٩ الى ١٨٩٢ وتاريخ ظهورها

واسماء منشئيها وهاك ما جاء فيهِ عن المجلات التي ظهرت في مدينة بيروت في هذه المدة

اسم المجلة	منشئوها	تاريخ اول صدورها
مجموع الفوائد	المرسلون الاميركيون	١ كانون الثاني ١٨٥٢
اعمال الجمعية السورية	الجمعية السورية	٦ » » ١٨٥٢
الشركة الشهرية	يوسف الشلفون	١ » » ١٨٦٦
اعمال شركة مار منصور	ميخائيل فرج الله	١ حزيران ١٨٦٧
مجموعة العلوم	الجمعية العلمية السورية	١٥ كانون الثاني ١٨٦٨
المجمع الفاتيكاني	الاباء اليسوعيون	١ » » ١٨٧
الجنان	بطرس البستاني	١ » » ١٨٧٠
الحلة	القس لويس صابونجي	١١ ايار ١٨٧٠
النجاح	» » ويوسف الشلفون	٩ كانون الثاني ١٨٧١
الطبيب	الدكتور جورج بوست	١ » » ١٨٧١
المقتطف	يعقوب صرّوف وفارس نمر	١ حزيران ١٨٧٦
المشكاة	خليل سركيس	١ نيسان ١٨٧٨
سلسلة الفكاهات	نخلة قلفاط	١ تشرين الثاني ١٨٨٤
ديوان الفكاهة	سليم شحاده وسليم طراد	١ كانون الثاني ١٨٨٥
الصفا	علي ناصر الدين	١ » » ١٨٨٦
الكنيسة الكاثوليكية	خليل البدوي	١ » » ١٨٨٨

ولا يخفى ان اكثر هذه المجلات كراريس دورية صدرت وقتاً قصيراً ثم غابت اما المقتطف فصدر اول جزء منهُ في اول ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ وتوقفنا شهراً لنرى عدد المشتركين واصدرنا الجزء الثاني في اول تموز (يوليو)

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

للورد افبري كتب ادبية كثيرة مثل مسرات الحياة ومعنى الحياة والسعادة والسلام وقد عرب بعضها غير واحد من ادبائنا ومنهم الكاتب المجيد وديع افندي بستاني وقد اتحفنا الآن بمعرب كتاب محاسن الحياة وهو مطبوع طبعاً متقناً جداً وثمنهُ ٦ غروش

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عمل الصابون

مصر . الدكتور يوسف زعرب . ان عملية الصابون عملية كياوية محضة ولكن انواعهُ مختلفة فهل يمكن لكم ان تكتبوا لنا مقالة مسهبة في طرق اصطناعهِ عمليًّا وعن المواد الاولية التي يصنع منها ومقدارها وتكاليف الطبخ وعدد الساعات او الايام اللازمة للطبخة الواحدة

ج . لقد كتبنا فصولاً كثيرة في عمل الصابون في بعض الاجزاء الماضية وسنكتب ايضاً في هذا الموضوع بالتفصيل

(٢) حمل الزيتون سنوياً

ومنهُ . هل من طريقة عملية لجعل شجر الزيتون يثمر كل سنة بدلاً من كل سنتين وهل السباخ يفيد ذلك

ج . اذا قسم حقل الزيتون الى قسمين ونزعت حبوب القسم الواحد حالما تظهر وهي زهر فانهُ يحمل في السنة التالية ويصير نصف الحقل يحمل هذه السنة والنصف الآخر في السنة التالية وهلمَّ جرًّا . وخير من ذلك ان تقلَّم طرابين (اغصان) الزيتون كل سنة ولا يترك منها الاَّ بعض الاغصان التي تحمل ثمراً فتحمل ثمراً معتدلاً ويطرد غيرها اغصاناً تحمل في السنة التالية فتصير الشجرة تحمل كل سنة حملاً معتدلاً ولا تحمل مرة واحدة كل سنتين كما هي الحال في سورية . والسباخ يفيد شجر الزيتون ولا بدَّ لهُ منهُ

(٣) عصر الزيت في ايطاليا

ومنهُ . ما هي الطريقة المستعملة في ايطاليا لعصر الزيتون واستخراج الزيت منهُ

ج . هي الطريقة الشائعة الآن في ساحل بيروت اي ان يسحق الزيتون بحجر اسطواني كبير يدور عليهِ او باسطوانات من الحديد ثم يوضع في قفف من الخيش ويضغط بالمضغط المائي فيعصر الزيت منهُ . ويسحق الجفت ويضاف اليهِ قليل من الماء ويضغط ثانية فلا يبقى فيهِ الاَّ شيء قليل جدًّا من الزيت

(٤) الكهربائية في الضعف العصبي

الاسكندرية . احد المشتركين . هل يضر استعمال الكهربائية علاجاً لمن أصيب

بالضعف العصبي

ج . كلا ولكن لا بدَّ من ان يكون الطبيب الكهربائي خبيراً باستعمالها والاَّ فقد يضر المريض اذا لم يحسن استعمال الحمة رفيقين

(٥) محلول عنبرخام

ومنهُ . اخبرني احدهم ان صديقاً لهُ استعمل محلول عنبرخام الهندي للدكتور زوكر فاتى بفائدة فهل ترون ان هذا الدواء مفيد حقيقة

لا يمكن الحكم في هذه الادوية الاَّ بعد معرفة المواد التي تتركب منها او بعد تجربتها في عدد كبير من المرضى ومراقبة فعلها بهم. وليس لدينا ما نعرف منهُ المواد التي يتركب منها هذا المحلول ولا احصاء مثبت عن الذين عولجوا بهِ ولذلك لا يمكننا الحكم بانهُ نافع او غير نافع

(٦) حبات الغذاء

ومنهُ . سمعت ان الاميركان اخترعوا ثلاث حبات كافية لغذاء الانسان فاين تباع هذه الحبوب وما اسمها وهل من ضرر او نفع اذا ابتلع الانسان اكثر من معدلها

ج . لا يستحيل ان تركَّب ثلاث حبات من الطعام وتكون كافية لغذاء الانسان ولكن يلزم ان تكون كل حبة منها كالبيضة الكبيرة على الاقل وتكون مؤلفة من الاطعمة النيتروجينية والهيدروكربونية او يكون تركيبها مثل تركيب الخبز او الفول على الاقل فان كلاً منهما يكفي لغذاء الانسان كما يغتذي المسجونون . ولكن يظهر من سوء الكم انكم تظنون انها حبوب صغيرة كحبوب الادوية العادية وزن كل حبة منها قمحة او قمحتان فان كان الامر كذلك فتركيب حبوب على هذه الصفة يكفي ثلاث منها لغذاء الانسان ضرب من المحال لان الانسان يحتاج الى نحو ٤٠٠ غرام من الطعام على الاقل كل يوم

(٧) عمل اقلام الرصاص

كفر الطوير . حامد افندي السيد الطنطاوي . كيف تصنع اقلام الرصاص

ج . يسحق البلمباجين جيداً ويضاف اليهِ كثير من الماء في حياض واسعة الواحد فوق الآخر حتى ترسب منهُ الاجزاء الكبيرة الثقيلة وتبقى الاجزاء الدقيقة الخفيفة محمولة بالماء ثم ترسب منهُ اخيراً في الحوض الاخير مسحوقاً ناعماً جداً . ويسحق التراب الجيد الخالي من الرمل والحديد ويعالج كما عولج البلمباجين حتى يرسب منهُ اخيراً راسب ناعم جداً . ويمزج راسب البلمباجين براسب التراب على نسب مختلفة حسب ما يراد من كون الاقلام شديدة السواد او قليلتهُ وشديدة الصلابة او قليلتها . ويطحن مزيجها معاً ويوضع في اكياس ويضغط بالضغط المائي حتى يصير من ذلك طين شديد القوام فيوضع هذا الطين في اسطوانة كبيرة مجوفة

من الحديد لها ثقوب مربعة او مستديرة ويضغط فيها فيخرج من الثقوب خيوطاً دقيقة فتقطع هذه الخيوط بالاطوال المطلوبة وتحمى بضع ساعات فتصير صالحة لان توضع في الخشب المعد لها

والخشب للاقلام الجيدة من الارز او الشربين وللاقلام العادية من الصنوبر وتُختار الالواح وسمك كل لوح منها نحو نصف قطر القلم وعرضهُ كقطر ستة اقلام وعندهم آلات تصقلهُ وتقطعهُ اقلاماً وتحفر فيها الحفرة التي يوضع فيها خيط البلمباجين فيوضع ويجمع بين نصفي القلم بالغراء ويدهن

والبلمباجين معدن طبيعي وهو نوع من الفحم او الكربون

(٨) حبر الختم

ومنهُ . مما يصنع حبر الختامة

ج . من حبر الانيلين الذائب الذي اضيف اليهِ قليل من الغليسرين

(٩) انكماش الصوف

ومنهُ . ما بال الثوب من الصوف البلدي اذا وقع عليهِ شيء من الماء يتقلص والصوف الافرنجي لا يحصل فيهِ شيء من ذلك بل يبقى على حالهِ بغير تغير

ج . لان الصوف الافرنجي يعالج على اسلوب يضغط اليافهُ ويزيل منها المادة الزيتية ويكسب فعلاً مهماً عن غسل الصوف وغزلهِ وصبغهِ ونسجهِ

(١٠) علة القلب

مصر . كامل افندي جرجس ما هي اسباب علة القلب وما الذي يقويهِ وما الذي يضعفهُ

ج علل القلب كثيرة كالتضخم والتمدد والضمور والتهاب بطانتهِ والتهاب نسيجهِ ونقصان صماماتهِ وتضيق فوهاتهِ وحؤولها والألم الفؤادي او نفرالجيا القلب والغالب انكم تريدون الاخير فاذا كان ناتجاً عن ضعف وجب ازالة السبب واستعمال المقويات مثل صبغة الحديد ويضعفهُ كل ما يضعف الجسم كفقر الدم والشبق وما اشبه

(١١) النوم في مجرى الهواء

ومنهُ . ينام شخص في غرفة ذات شباك يفتحهُ وقت النوم ليدخل منهُ الهواء ولها باب يقفلهُ فهل الاصلح ان ينام في الجهة المواجهة الشباك او في الجهة الاخرى وما هو التأثير الذي يحصل لهُ اذا نام في الجهة الاولى

ج اذا استغرق في النوم وهو امام شباك مفتوح يبرد الجانب المواجه منهُ الشباك اكثر من الجانب الآخر فتزول موازنة الحرارة في جسمهِ ويتقلص بعض اوعيتهِ الدموية ويتسع البعض الآخر فيصاب بزكام او تقلص في العضلات . واذا كان مستيقظاً قاوم ذلك بالحركة او بتغيير وضعهِ امام الشباك . ولذلك يفضل ان ينام حيث لا يصيبهُ الهواء البارد من جهة دون اخرى . واذا اصاب جسمهُ كلهُ

على حدٍ سوى لم يقصرٍ به

(١٢) التاريخ الهجري

بني سويف . زكي افندي يوسف غبريال . متى وضع التاريخ الهجري

ج يقال انهُ وضع في عهد الامام عمر بن الخطاب

(١٣) استعمال السنة القمرية

ومنهُ . هل كانت السنة القمرية مستعملة قبل الهجرة وان كان الامر كذلك فما هي اسماء الشهور في الجاهلية

ج . نعم كانت مستعملة عند اليونانيين والعبرانيين والعرب . واسماء الشهور في الجاهلية على ما في المخصص كما ترى

محرم	المؤتمر
صفر	ناجر
ربيع الاول	خوّان
ربيع الآخر	بُصان
جمادي الاولى	حنين وشيبان
جمادي الثانية	ربّى وملحان
رجب	الاصم
شعبان	عادل
رمضان	ناتق
شوال	وعل
ذو القعدة	ورنة
ذو الحجة	بُرَك

(١٤) التاريخ القمري

ومنهُ . لماذا اختصت دول الاسلام بالتاريخ القمري

ج . لان للشهور القمرية علاقة دينية ومع ذلك فقد كانت الحكومات الاسلامية في مصر تعتمد على السنة القبطية وهي شمسية وكانت دول الاسلام الاولى تعتمد على تاريخ الاسكندر وهو شمسي ثم استنبطت الحكومة العثمانية السنة المالية العثمانية وهي شمسية ايضاً

(١٥) قاموس الالفاظ الفنية

المغرب الشرقي . السيد محمود صاحب هل يوجد قاموس عربي في الالفاظ الفنية . والأ فهل شرع احد العلماء في تأليف قاموس مثل هذا

ج . لا يوجد وقد الفنا قاموساً مختصراً مثل هذا وطبعنا منهُ في المجلد الثامن والتاسع من المقتطف من حرف الالف الى آخر حرف الكاف والنون حينئذٍ اننا انتقلنا بالمقتطف الى مصر وفقدت الاوراق التي فيها بقيتهُ وحتى الآن لم نجد فرصة لاتمامهِ وهاكم مثالاً منهُ

الكبريتيد Sulphide مركب من الكبريت وعنصر آخر مثل كبريتيد الانتيمون اي الكحل الاسود وكبريتيد الزرنيخ اي سم الفار

الكلوروفورم Chloroform سائل طيب الرائحة استنشاقهُ يزيل الشعور بالالم وهو المستعمل للتنويم يحضر باستقطار الالكحول وكلوريد الكلس والماء

الكلومل Calomel هو الكلوريد الزيبقوس ويسمّى ايضاً تحت كلوريد الزيبق وبروتوكلوريد الزيبق . وهو مسحوق ابيض ثقيل لا يذوب في الماء كثير الاستعمال في الطب

واذا مكنتنا الصحة والفرصة سنعيد الكرة على هذا المعجم فنوسعهُ ونتممهُ لاننا نرى الحاجة ماسة اليهِ

(١٦) حاسة الشم

جونديابي بالبرازيل . الخواجه حبيب ابو خلف . يقولون ان حاسة الشم كانت في انسان العصور الاولى اقوى مما هي في انسان هذا العصر فهل ذلك صحيح واذا كان صحيحاً فما هو سبب ضعفها

ج . لم نقرأ ان احداً اثبت ذلك ولا نظنهُ صحيحاً بل المرجح عندنا انهُ غير صحيح وان حاسة الشم كانت قوية في الحيوانات السابقة للحيوانات اللبونة ثم ضعفت في الحيوانات اللبونة وقويت بدلاً منها حاسة البصر وهي التي قوَّت الجزء الجوهري من الدماغ . راجعوا ما نشرناهُ في هذا الموضوع من خطبة الاستاذ اليوت سمث في المجلد الحادي والاربعين من المقتطف

(١٧) معرفة جنس الجنين

ومنهُ . هل يمكن للاطباء ان يعرفوا كون الجنين ذكراً او انثى باشعة رنتجن وهل تضرُّ اشعة رنتجن في الجنين

ج . كلاَّ لا يمكن معرفة جنس الجنين واذا طال استعمال اشعة رنتجن ففيها ضرر للحامل ويبعد ان يتصل ضررها الى الجنين مباشرة

(١٨) انقراض الاحياء

ومنهُ . هل يأتي زمن لا يبقى فيهِ حي على وجه الارض

ج . نعم فانهُ لا يحتمل ان تبقى الارض صالحة لمعيشة الحيوانات الى ما لا نهاية لهُ من الزمن واذا لم يصدمها نجم ويكسرها فلا بدَّ من ان يزول الماء منها بعد ازمان طويلة كما زال من القمر

(١٩) الشيب من المشاق

ومنهُ . هل التعب والمشقات تعجل الشيب فقد ذكرتم في المجلد ٢٩ من المقتطف عن السر هنري ستنلي ما نصهُ « لكنهُ ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع شائبهُ لكثرة ما عاناهُ من المشاق وما اقتحمهُ من المخاطر

ج . نعم وقد رأيناهُ ولما رجع من افريقية وكان الشيب قد وخطهُ وكاد يبيض لهُ اما كيف يحدث الشيب على اثر التعب الشديد والهم والقلق فغير معروف تماماً ولكننا نظن ان الخلايا التي تأكل المادة الملونة من الشعر مقيدة بالفعل العصبي فاذا زال هذا القيد بضعف الاعصاب او بانتهاك القوى اطلق سبيلها فتأكل المادة الملونة من الشعر

(٢٠) فائدة الكتابة

ومنهُ . اي اختراع من هذين الاختراعين افاد الناس اكثر من الآخر هل الحروف

المجانية وما بني عليها او الدولاب (العجل) وما بني عليهِ

ج . اننا لا نرى اعتراضاً تقابل فائدتهُ بفائدة الكتابة بالحروف المجانية

(٣١) مرض شجر التوت

دير الجند . الخوري اغناطيوس خوري يطرأ على الاشجار عندنا من كل الاجناس وعلى الاخص شجر التوت داء يسمى في شمالي سورية حميرا وفي لبنان مالوش فتفقد الشجرة زهوتها السابقة وتظهر كأنها حزينة على نفسها وتذبل اوراقها قليلاً في اول الامر ثم تزيد ذبولاً مع الايام الى ان تيبس مكتسبة لوناً احمر فاتحاً وتكتسي جذورها وما فوقها مادة بيضاء تشبه الدقيق الناعم وهي حامية كالجير ويسرع الانحلال في الجذور وما حولها حتى يسهل قلع الشجرة بدون معول فما هو هذا الداء وهل من دواء لهُ وما هو

يظهر من وصفكم ان الداء فطر ينمو على جذور الاشجار فيمتص الغذاء منها ويميتها او نوع من الحشرات الصغيرة الضارة كالفيلكسرا ولا يمكن وصف العلاج الشافي الا بعد فحص الداء فحصاً علمياً مدققاً ولكننا نظن انهُ اذا حفرت حفرة قرب الشجرة وصب فيها قليل من بي كبرتيد الكربون انتشر غازهُ في التربة وامات الفطر والميكروبات الضارة . والجفاف التام في فصل الصيف قد يفيد بقتل الميكروبات ونحوها

(٣٢) اتباع الميل الطبيعي

اسيوط . عزيز افندي رزق . لي صديق والدهُ تاجر كبير يريد ان يستفتيكم هل الاحسن لهُ ان يدخل احدى المدارس المصرية ليحصل منها على شهادة تخولهُ الدخول في احدى مدارس الطب باوربا مع العلم بانهُ لا ينتهي منها قبل سنة ١٩٢١ او ان يفتح محلاً تجارياً من مال والدهِ ويأخذ ٢٥ في المئة من ربح محلهِ ومحل والدهِ وهي لا تقل عن ٩٠٠ جنيه في السنة وهو على المام بالتجارة

ج . ليتبع ميلهُ الطبيعي فاذا كان يميل الى التجارة فليتعاط التجارة واذا كان يميل الى العلم ولاسيما العلوم الطبية فليطلب العلم ومن العبث ان يجري المرء على خلاف ميلهِ الطبيعي لانهُ يتعب حينئذٍ كثيراً ويستفيد قليلاً

(٣٣) محل درس الهندسة

ومنهُ . هل الافضل للطالب المصري ان يدرس علم الهندسة المائية في مدرسة المهندسخانة المصرية او في اوربا

ج . الدرس في اوربا كثير النفقة جداً لا يستطيعهُ كل احد ولكن الذي يدرس في اوربا يبتدئ براتب اكبر من الراتب الذي يبتدئ بهِ من يدرس في مصر . اما النجاح في المستقبل فيتوقف على الرجل نفسهِ لا على المدرسة التي تعلَّم فيها

باب الاخبار العلمية

مؤتمر الطب الدولي العام

ذكرنا اجتماع هذا المؤتمر في صدر هذا الجزء من المقتطف والخطبة التي فتحت به وخطبة رئيسه السر توماس بارلو ومسترجم بعض الخطب التي لها فائدة خاصة ونشرها في بعض الاجزاء التالية . وقد وقفنا الآن على وصف لاعمال المؤتمر كتبهُ الدكتور صليبي السوري نزيل انكلترا لمجلة النشر الانكليزية فرأينا ان نترجمهُ هنا لانهُ جمع خلاصة اعمال المؤتمر قال

عاد المؤتمر الطبي العام الى مدينة لندن بعد ان فارقها اثنين وثلاثين عاماً فافتتحهُ البرنس ارثر اوف كنوت نيابة عن ملك الانكليز وقد كاد عدد اعضائهِ يبلغ ثمانية آلاف وكان عددهم في الاجتماع السابق في مدينة لندن ٣١٨٢ . وقبلما اجتمع الاعضاء قُدّم النواب الاجانب الى البرنس ارثر وقال كلٌّ منهم كلمات قليلة وكان اقل هذه الكلمات واوقعها في النفوس كلام الدكتور ويو نائب جمهورية الصين . وتكلم السر ادورد غراي مرحباً بالنواب الاجانب وخطب السر توماس بارلو رئيس المؤتمر خطبة جمعت زبدة ما تقدمتهُ العلوم الطبية منذ سنة ١٨٨١ . وذكر اسماء العظام مثل باستور ولستر وورخوف وهكسلي وكوخ وابان ان العمل الذي كانوا روادهُ قد تناولهُ كثيرون من ابناء عصرنا وهكذا علوه . ودافع عن الذين يجربون التجارب في الحيوانات الحية وبرأهم من تهمة القسوة التي يتهمهم بها البعض عن جهل او خبث . ثم تليت سائر الخطب في ايام الاجتماع المتوالية ومنها خطبة الاستاذ شوفار من اساتذة باريس في الانذار الطبي وخطبة الاستاذ هرفي كشنج من اساتذة جامعة هارفرد في العلاقة بين الجراحة والطب دافع فيها اشد الدفاع عن الذين يجربون التجارب العلمية في الحيوانات . وقد اقرَّ اعضاء المؤتمر في الساموِ المختلفة على قرار يوجب مواصلة التجارب في الحيوانات لانها لازمة جداً لعلم الطب ولا غنى عنها بوجه من الوجوه . وخطبة الاستاذ اهرلخ وهي اسماً في العلاج الكيماوي وفعلاً في اهم المواضيع العلاجية كلها واكثرها نفعاً . وخطبة الاستاذ باتسن في الوراثة وقد كان لها وقع عظيم في

المؤتمر وخطبة المستر برنز رئيس مجلس الصحة في الصحة العمومية . وهو من المقاومين لاجراء التجارب العلمية في الحيوانات الحية ولكن خطبتهُ كانت نفيسة وكان أكثر الاعضاء الاجانب لا يعلمون انهُ من المقاومين التجارب في الحيوانات

وقد قُدّم الى المؤتمر نحو ٦٠٠ خطبة ومقالة في مواضيع مختلفة وجرت فيهِ نحو مئة مذاكرة ولكن الخطبة التي كان لها الوقع الاعظم هي خطبة الاستاذ اهرلخ التي جعل موضوعها العلاج الكيماوي . والذين سمعوا خطبتهُ كانوا مستعدين للمذاكرة في ما يجب على الحكومة من حيث الاهتمام بمعالجة المصابين بالسفلس وجرت هذه المذاكرة في اجتماع حضرهُ الاطباء الذين يعالجون امراض الجلد والذين يعالجون السفلس والاطباء الشرعيون برئاسة السر ملكم موريس وكانت نتيجة المذاكرة ان اقرَّ الاطباء على الطلب من كل الحكومات التي لها اعضاء في المؤتمر لكي تمد المعدات اللازمة لتشخيص هذا الداء عند اول ظهورهِ ولمعالجة المصابين بهِ اذا لم يعالجوا ام

وجرت المناظرة في معالجة السفلس بالسلفرسان افتتحها الاستاذ اهرلخ وتلاهُ الاستاذ وسرمن الذي اكتشف طريقة تشخيص السفلس ثم الدكتور هاتا الياباني الذي ساعد الاستاذ اهرلخ حتى وصل الى السلفرسان وتكلم الملازم جبرد عن فعل السلفرسان في علاج المصابين في الجيش الانكليزي وتكلم كثيرون غيرهُ من كل انحاء المسكونة . والظاهر ان عدد الذين عولجوا بالسلفرسان وشفوا بلغ الآن عشرات الالوف . ومن سيئات الدهر ان شودين الذي اكتشف ميكروب السفلس منذ سبع سنوات فنبه اهرلخ الى اكتشاف علاجهِ توفي قبلما اكتشف اهرلخ هذا العلاج . والآن انحلت مشكلة هذا الداء الخبيث والفضل في ذلك لشودين واهرلخ ووسرمن . ولا يطلب من الاطباء الآن الا ان يعالجوا كل المصابين بهِ ويشفوهم فيمنعوا انتشارهُ

وجرت المذاكرة ايضاً في داء آخر من الادواء الاجتماعية وهو داء السكر وتأثيرهُ في انحطاط النسل ولكن كان البحث فيهِ من وجه واحد . وتناظر الجراحون في مواضيع جراحية مختلفة وتكلم الدكتور بشفورد عن السرطان وهو رئيس البحث فيهِ والدكتور فروند النمسوي الذي وجد في الخلايا الخبيثة مواد تسم الخلايا السليمة وفي الخلايا السليمة مواد تسم الخلايا الخبيثة واكتشافهُ هذا قد يفضي الى اكتشاف علاج السرطان

وخُتم المؤتمر يوم الاربعاء وقد فاق في عدد اعضائهِ وسعة معارفهِ وارتقاء مباحثهِ الى ما بلغهُ في اجتماعاتهِ الماضية ولكنهُ سيفوق ما بلغهُ الآن بعد زمن قصير وسيطل

اهتمام الناس بالصحة والمرض والقوة والضعف والحياة والموت فلا نخشى زيارة امرع هذه وما يرجى من فرعيتها الزيادة

قرارات موتمر الطب الدولي العام

القرار الاول. لما كان داء السفلس من الادواء الخبيثة الفتاكة بصحة الجمهور ولما كانت الوسائل المستعملة الآن غير كافية لتوقيف ضرره فالموتمر الطبي العام قرَّر ان يُطلَب من الحكومات التي لها نواب فيه اولاً ان تنشئ نظاماً لتبليغ احد موظفي ادارة الصحة بطريق سري من كل اصابة به اذا لم يكن هذا التبليغ موجوداً فيها الآن . وثانياً ان تعدّ المعدات اللازمة لتشخيص كل حادثة ومعالجتها اذا لم تكن هذه المعدات متخذة فيها الآن

القرار الثاني من رأي قسم الموتمر الذي بحث في مرض البري بري انهُ حادث من اكل الارز الذي ازيلت قشرتهُ وما تحتها حيث اكثر طعام السكان من الارز فهذا القسم يلح على كل اولياء الامر الذين تناط بهم صحة الاهلين لكي يمنعوا استعمال هذا الارز طعاماً للمساجين والعمال والجنود . واذ قد ثبت ان هذا المرض غير معدٍ وجب على اولياء الامر ان يرفعوا الحجر الصحي من كل المرافئ التي القاموه فيها منعاً لانتشاره

القرار الثالث ان الموتمر مقتنع ان التجارب في الحيوانات الحية افادت علم الطب فوائد عظيمة جداً في الماضي ولا غنى عنها لتقدمهِ في المستقبل ومن رأيهِ انهُ لا يحسن ان تقيَّد حرية الرجال الأكفاء في اجراء هذه التجارب لانها مفيدة لنوع الانسان ولانواع الحيوان ايضاً ولكنهُ يطلب ان لا يوَلَّم الحيوان وقت اجراء التجارب آلاماً يمكن منعها

التلفون اللاسلكي الياباني

استنبط توريكاتا الكهربائي الياباني تلفوناً أُسمِع الصوت بهِ جلياً على مئتين ميلاً من غير سلك وقد اوجبت حكومة اليابان استعمالهُ في كل سفن الشركات التجارية اليابانية ونال المخترع امتيازاً باختراعهِ في بلاد اليابان وفي انكلترا وفرنسا . وهو طالب الامتياز الآن في المانيا والولايات المتحدة ويقال ان استعمالهُ بسيط جداً مثل استعمال التلفون العادي

البركان اساما ياما الياباني

ثار البركان اساما ياما الياباني ثوراناً شديداً جداً في ١٧ يونيو الماضي يقال انهُ لم يذكر في تواريخ اليابان ثوران يضاهيهِ وجرى منهُ نهران من الحمم ثم ثار في ٢٠ يونيو و٢٦ منهُ وقذف بالرماد الكثير في ٢٠ يونيو فسقط على ثلاثين ميلاً منهُ وقد تشقق النصف الاعلى منهُ في اماكن كثيرة وتدل الدلائل على انهُ سيكون لهُ فوهة جديدة

الخشب المنير

كتب بعضهم الى مجلة ناتشر يقول كنت ماراً في ارض شجراء معشبة في ليلة حالكة الظلام فرأيت شيئاً يلمع عند قدميَّ كأنهُ قطعة من الفضة الصقيلة انعكس عنها نور القمر فدنوت بيدي ورفعت ما رأيت النور صادراً منهُ واذا هو قطعة من الخشب البالي زال لمعانها حالاً

وهذا النور فصفوري فانهُ ينمو على الخشب البالي انواع من الفطر المنير فاذا رفع من مكانهِ تغيرت الحال على الفطر فزال نورهُ

غينيا الجديدة

غينيا الجديدة جزيرة كبيرة الى الشمال من استراليا وهي من اكبر جزائر الاوقيانوس خصباً قصدها جماعة من اهل السياحة سنة ١٩٠٩ من قبل الجمعية الجغرافية الملكية وجمعية علماء الطيور وجالوا في الطرف الجنوبي منها التابع لهولندا وجمعوا منهُ كثيراً من الطيور والحيوانات اللبونة والزحافات والفراش والخنافس والنباتات ورأوا فيها جبلاً من الاقزام لم يكن معروفاً وجبالاً شاهقة يغطيها الثلج وانهاراً كبيرة

نقل الفاكهة

يظن البعض انهم اذا لفوا المشمش والتفاح والخوخ بالورق كما يلف البرتقال سهل نقلهُ من بلد الى آخر من غير ان يهترئ وهذا خطأ لان ما كان من الاثمار مثل المشمش والتفاح يتنفس بسرعة فتتولد منهُ غازات تتلفهُ اذا كان ملفوفاً بورق يحفظ هذه الغاز حولهُ وخير من ذلك ان لا يلف بالورق بل يوضع في سلال يتخللها الهواء بسهولة واذا وضع بينهُ شيء فليكن من ورق نبيل سليماً

آثار مروي

خطب الاستاذ غارستان في دار العلم الملكية بمدينة لندن عمَّا اكتشفهُ من آثار مروي بالسودان فبيَّن انها كانت عاصمة كبيرة وقد كُشف الآن سورها وبابهُ وكثير من مبانيها العمومية ومن اعظمها هيكل الشمس وفيهِ كثير من الاروقة والماشي المتدرجة الى ان تصل الى القدس على الدكة العليا في وسط الهيكل · واعظم منهُ هيكل امون وطولهُ ٤٣٠ قدماً ولا يزال مذبحهُ ومحرابهُ على حالهما · ومن المباني التي كشفت قصر فسيح جداً يظن انهُ من عهد الرومانيين وهيكلان صغيران احدهما لعبادة الاله الاسد والآخر لعبادة ايسس وكل هذه المباني خارج الحرم الداخلي الذي فيهِ قصر الملك · وما لم يكشف من مروي اكثر كثيراً مما كشف منها حتى الآن وقد انحصر البحث في الفصلين

الاخيرين في الحرم الملكي ووجد في قصر من قصوره كثير من الكنوز الذهبية والحلى وكشفت الحمامات الملكية وفيها تظهر صناعة مروي على اجلى بيان

اما تمثال رأس اغسطس قيصر الذي وجد هناك وهو الآن في دار التحف البريطانية فعلى مقربة من المكان الذي كان مدفوناً فيهِ هيكل روماني صغير ومن رأي الخطيب ان الجند الروماني اقام في مروي مدة بقيادة بترونيوس وكان يعبد في هذا الهيكل ووضع فيهِ تمثال القيصر اغسطس ثم اضطرَّ ان يرحل عن المدينة بغتةً بامر اغسطس فاخفى تمثاله في المكان الذي وجد فيهِ الآن . ويظهر من فقرة في تاريخ بلينيوس ان الجند الروماني وصل الى مروي وتجاوزها مسافة مئة ميل جنوباً تابعاً مجرى النيل

ويمكن الاستدلال من الآثار التي وجدت حتى الآن ان هذه المدينة مُصّرت في القرن السابع قبل المسيح في عهد الملك اسبلت والشأن فيها حينئذٍ للعمران المصري ثم وصل اليها العمران اليوناني في القرن الثالث قبل المسيح . وقد ذكر المؤرخ ديودورس ان العمران اليوناني دخلها حينئذٍ على يد ارغامس الذي درس في مدرسة الاسكندرية . واكثر مبانيها من ذلك العهد . ثم جاءها الرومان ولم يبقوا فيها آثاراً ذات شأن واجتاحها الغزاة من ارثريا في القرن الرابع المسيحي وتوالت غزواتهم بعد ذلك فانتقلت رويداً رويداً من العمران الى البربرية

الرياضيات الصينية واليابانية

الف يوشيو مبكامي كتاباً موضوعهُ نشوء العلوم الرياضية في الصين واليابان بيَّن فيهِ انهُ كان عند الصينيين شبكة يحسبون بها منذ عهد قديم جدًّا وانهم ميزوا الاعداد الايجابية من الاعداد السلبيَّة باللون فجعلوا لون الاعداد الايجابية احمر ولون الاعداد السلبية اسود وكانوا يعرفون قواعد الكسور الدارجة في القرن السادس المسيحي اي انهم سبقوا اوربا بالف سنة . وحسبوا نسبة محيط الدائرة الى قطرها كنسبة ٣٥٥ الى ١١٣ تقريباً وقالوا انهُ بين هذين العددين وهما ١٤١٥٩٢٧ ر٣ و١٤١٥٩٢٦ ر٣ وقالوا ان نسبة المحيط الى القطر تعادل الجذر المالي من ١٠ وكان ذلك قبل المسيح بمئة وتسع وثلاثين سنة

الفصفات في القطر المصري

ان فصفات الجير من اجود الاسمدة وقد وجدت كميات كبيرة منهُ على ساحل البحر الاحمر في ارض مساحتها اربعة عشر كيلومتراً مربعاً ومقدار الفصفات فيها من ٢٠ في المئة الى ٧٠ في المئة وكان ما استخرج منها ٧٠٠ طن سنة ١٩٠٨ فبلغ ٧٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وقد مدَّ خط حديدي بينها و بين البحر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والاربعين

صفحة

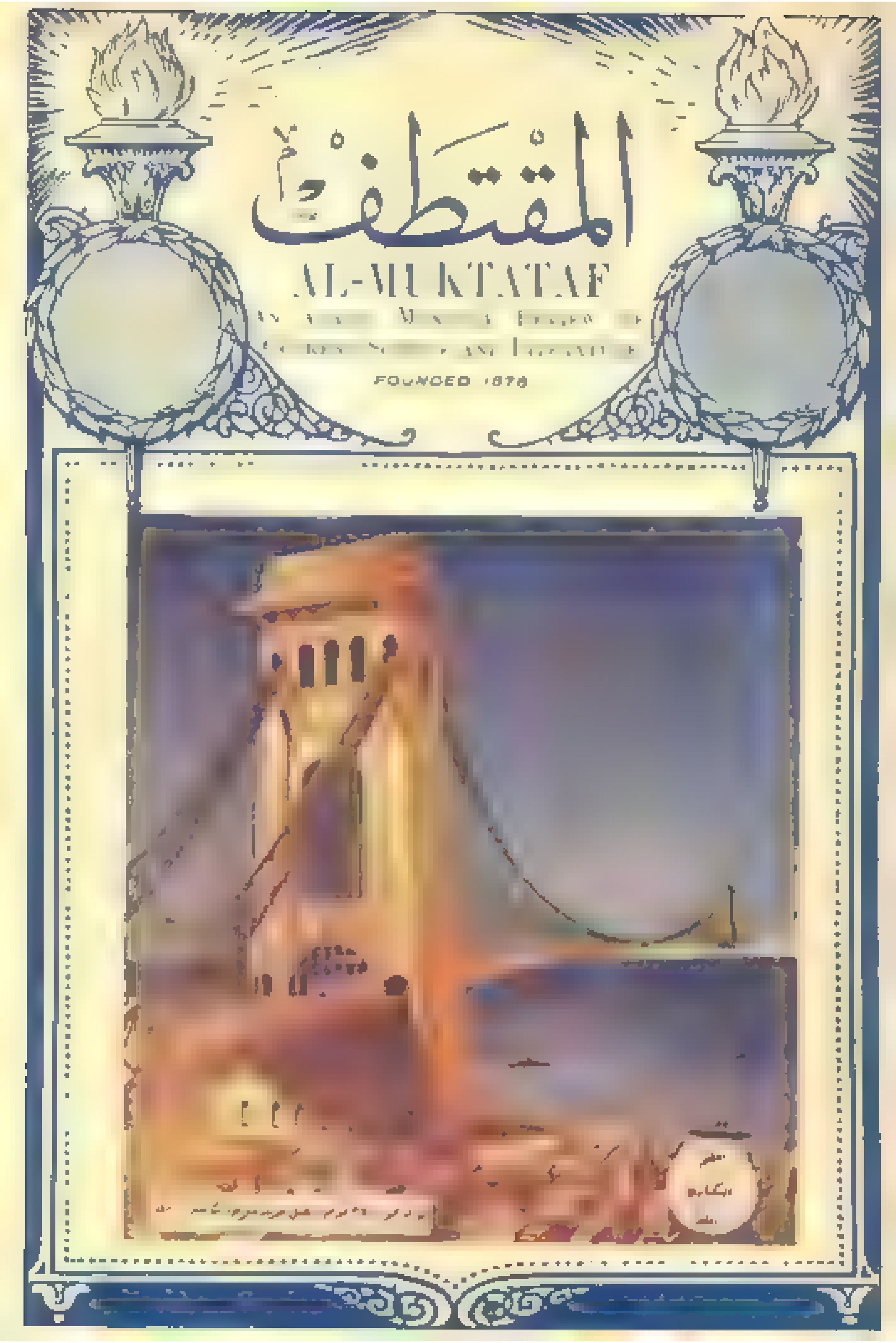

المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ١ ذي القعدة سنة ١٣٣١

مبدأ الاتصال

من خطبة الاستاذ السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي عقد في برمنهام في ١٠ سبتمبر الماضي

أبتدئُ بالاسف الشديد لوقوع الفاجعة التي جعلتني اتبوأ هذا المنبر الآن وهي وفاة السر وليم هوبت فانهُ كان صديقاً حميماً لكثيرين من الحضور هنا وكنت اود ان يتعرَّف بهِ اهالي برمنهام ويسمعوا من لسانهِ عن العمل العظيم الذي عملهُ منفذاً رغائب السلطنة في انشاء معدات الدفاع عنها [1]

ثم ان خطبة رئيس هذا المجمع ليست محلاً لتدوين الربح والخسارة ولكن لا يليق بنا ان نبتدئ سنة جديدة من سني مجمعنا من غير ان نشير الى ثلاث خسائر اخرى خسرناها في السنة الماضية الاولى ذلك الشهم الذي تعلَّق على العلوم الطبيعية تعلُّق غاو وقد رأس مجمعنا لما اجتمع في مدينة يورك منذ اثنتين وثلاثين سنة [2] وهو السر جون لبك الذي صار لورد افبري فانهُ خدم العلم خدمة نصوحاً من شغف بهِ كأنهُ فن من الفنون الجميلة . و بذل قواهُ العقلية ومقامهُ في الهيئة الاجتماعية في خدمة الذين لم يولدوا في نعمة مثلهُ

وخسر العالم بوفاة السر جورج داروين عالماً فلكياً رياضياً خلَّد ذكرهُ باشتغاله في حل

(١) [المقتطف] كان السر وليم هوبت منتخباً رئيساً للمجمع فتوفي منذ عهد قريب فانتخب السر اوليفر لدج رئيساً بدلاً منهُ

(٢) [المقتطف] تجد خطبة السر جون لبك حينئذٍ في المجلد السادس من المقتطف والصفحة ٥٣٠ وما بعدها وموضوعها تقدم المعارف في خمسين سنة اي منذ انشاء المجمع البريطاني الى ذلك الحين

مسائل المد والجزر ونحو ذلك من الاحداث الطبيعية . ولقد كان رئيساً لجمعنا حينما زرنا جنوب افريقية منذ عهد غير بعيد

والخسارة الثالثة الكبرى هنري بوانكره ذلك الرياضي النابغة من نوابغ جيراننا الذي غاص في اعوص مسائل الرياضيات فاستغل كنهها بعقله القلسي وضيق بلاغته في ايضاح النواميس الطبيعية وما رتّب عليها من التنوّع بتقدم المعارف قلة الذين يسهل عليهم فهم هذه المواضيع العويصة . ولا اقول انني اوافقهُ على كل ما كتبهُ او قالهُ في الطبيعيات ولكن ما من احد من المشتغلين بالعلوم الطبيعية الأ ومباحث بوانكره تستهويهِ وسأشير الى بعضها في ما يلي

ولا بدَّ لنا الآن من ان ننتهي من ذكر كثيرين غير هؤلاء ومن الاشارة الى اعمالهم ونحصر كلامنا في العلم نفسهِ فنسأل اولاً ما هي الميزة التي يمتاز بها عصرنا وماذا يبشر رغماً عما فيهِ من الاضطراب . يختلف الجواب عن هذا السؤال باختلاف الذين يجيبون عنهُ اما انا فاقول انهُ يبشر بتقدم سريع ممزوج بشك اساسي

فان التقدُّم السريع لم يكن من مميزات النصف الاخير من القرن التاسع عشر او على الاقل لم يكن من مميزاتهِ في الطبيعيات . وُضعت فيهِ اسس راسخة متينة بنيت عليها مباني المعارف محكمة متماسكة ولكن لم تفتح فيهِ ارض جديدة لتقام عليها مباني جديدة . « وظهر كأنّ حقائق الطبيعة عُرف كل ما هو جوهري منها وقلّ الامل باكتشاف حقيقة اخرى جديدة وانحصر عمل الباحثين في الفصل بين الآراء المتباينة والتفريق بين الفاضل والمفضول منها او في اكتشاف شيء عرضي يقوّي هذا الرأي او ذاك » كما قال شستر

لما ثبت سنة ١٨٨٨ وجود امواج الاثير التي قيل بها قبلاً واكتُشفت اشعة رنتجن سنة ١٨٩٥ والاشعاع الذاتي سنة ١٨٩٦ واستفرد الالكترون سنة ١٨٩٨ فوتحت الآمال باكتشافات مهمة فكثرت الامور الجديدة الخيالية كانت او نظرية اوحدسية منذ ابتدأ قرننا هذا ولذلك قلت ان التقدم سيكون سريعاً

وسيكون كلامي على هذا التقدم وجيزاً لانهُ لا يعلم في اي جهة يتجه واما الشك الاساسي فسأتكلم عنهُ بالتفصيل

ولا اعني بالشك هنا الشك الديني الذي كثر الكلام عليهِ والجدال فيهِ لان سَوْرة ذلك الجدال قد خمدت الآن والحصون التي لجأ الخصوم اليها لا تحتمل الهجوم . ودارت رحى الحرب بين رجال العلم انفسهم وشاركهم فيها رجال الفلسفة فوقف الخصم القديم وقفة المتربص

المعقز راجياً ان يستفيد من هذا الخصام . وهو يحسب ان بعض الخصوم حجر لغير سبب كافٍ ولا بدَّ من استرداده . واذا تركنا المجاز وعدنا الى الحقيقة الناصعة قلنا ان الخصم يحسب ان بعض ما انكرهُ لان ليس لهُ ادلة كافية قد يكون حقيقياً ولذلك قلَّت الكراهة اللاهوتية القديمة واشار اصحابها باستعمال اللين والمسالمة

ولو اردتُ ان اشرح كلَّ المسائل العلمية والفلسفية التي وقع الخلاف فيها لاضطررت ان اتلو من الخطب اكثر مما يتلى في هذا المجمع ولكني اشير الى اهم هذه المسائل بكلمة او كلمتين على كل مسألة منها

ففي الفسيولوجيا مدار الخلاف على مسألة الحياة وقد بسط شَافِر الكلام عليها في الاجتماع الماضي [1]

وفي الكيمياء على بناء الاجسام الجوهري وسلفهُ ادرى الناس بعقبات هذه المسألة[2]

وفي البيولوجيا على الوراثة والمرجح ان خلفي سيتناول هذا الموضوع ويبسطهُ احسن بسط هذا من حيث الخلاف في المواضيع الجوهرية الكبرى ويتلوهُ الخلاف في مواضيع اخرى كتحصول التعليم في علم التعليم وحقوق الملكية وكل المسائل الماشية في علم الاقتصاد والسياسة حتى حقوق النساء

واخيرًا مسألة الاتصال في العلوم الرياضية والطبيعية . وقلما يفهم المراد بهذه الكلمة ولذلك سأشرحها مفصلاً

وهناك امر اخر اهم من هذه المسائل كلها وموضوع جوهري اساسي وهو البحث الدقيق عن صحة الاسس العلمية والشك الفلسفي الذي نراهُ آخذاً في الازدياد ومن نتائجهِ الريب في صحة الاحكام العقلية والاعتراف بقصور المدارك العلمية . فان العلم من اشتغال العقل ويجب ان يُنظَر فيهِ الى الامور كلها بعين العقل والتمعُّن فليس لهُ ما يحبُّ وما يكره ولا له غرض يرمي اليهِ الاَّ الحق او كما قال برتران رسَل واجاد « ان عور البحث العلمي ان لا يلتفت المرء الى ما يحبهُ ويرضيهِ اذا اراد ان يدرك الحقائق »

وهذا القيد هو الذي يجعل للعلم شأناً وقوةً ولكنهُ اذا بولغ فيهِ حتى تجاوز حد النفع ووصل الى ربوع التحكُّم والسفسطة صار سبباً لضعف العلم لان طبيعة الانسان شيءٌ كبير وعقلهُ جزء صغير من طبيعتهِ والنقل حديث النشأة ولذلك يصيبهُ ما يصيب الاشياء الحديثة

(١) هو الاستاذ شفر وقد خطب خطبته في منتصف اكتوبر ونوفمبر ودسمبر من السنة الماضية وفبراير من هذه السنة (٢) هو السر وليم رمزي وقد خطبته في منتصف دسمبر سنة ١٩١١

ويجب عليه ان لا يحسب انهُ هو الانسان كلهُ ولعلهُ ليس افضل شيء في الانسان

ومن المحقق ان بعض الاشياء المهمة جداً لا محل لها في العلم بل محلها في الشعر والآداب ولذلك ساء ظن البعض بالعلم وكرهوهُ . العلم يستلزم القياس والنظام فاذا دخل مرتباً لا محل فيهِ للقياس فمدارهُ فيهِ قليل او كما قال المستر بلفور بالامس حينما فتح جناحاً في المعمل الطبيعي الوطني « ان مدار العلم القياس فالاشياء التي لا تقاس لا محل لها فيهِ او لا يلتفت اليها ولكن الحياة والجمال والسعادة امور لا تقع تحت القياس ولو وجد مقياس للسعادة لابتدأت السياسة تصير علماً »

والعواطف والبديهيات والسلائق اقدم من العلم جداً ولا يمكن اغضاء الطرف عنها اذا اردنا ان ندرك كل ما في الوجود . وقد يجوز للعلماء ان يغضوا الطرف عنها في مباحثهم العلمية ولكن هذا لا يجوز للفلاسفة . ولذلك اخذ الفلاسفة يرتابون في كليات العلم ويقولون اننا نطرفنا في تعميم النتائج العملية التي ثبتت في معاملنا مثل ناموس حفظ القوة فهل هو مضطرد دائماً أو لا يوجد ما يخالفهُ احياناً

ولقد جرى العلماء مجرى الفلاسفة في نقض القضايا العلمية القديمة واخذ الطبيعيون والرياضيون يرتابون في صحة قوانين الميكانيكيات وانطباقها دائماً في كل مكان . ومن المحتمل ان يبدلوا قوانين نيوتن بقوانين اخرى ادق منها

بل قد اشار بعضهم بقوانين للميكانيكيات غير قوانين نيوتن اساسها ما كُشف حديثاً من حدوث التغير في الاجسام اذا كانت متحركة بسرعة فائقة تماثل سرعة النور فقد ظهر ان شكل الاجسام وجرمها هما من ملابسات سرعتها فاذا زادت السرعة زاد الجرم وتغير الشكل ولكن ذلك قليل جداً في الاحوال العادية حتى لا يشعر بهِ

الى هنا لا ارى ما اعترض عليهِ اي اني لا اعترض على تقرير الواقع ولكنني لا اراهُ موجباً لتبخيط الميكانيكيات المبني على قواعد نيوتن . ولا تنتقض قاعدة نيوتن الثانية اذا كان جرم الجسم متغيراً فان جرم نقطة المطر يتغير في وقوعها وجرم الارض يتغير بسبب ما يقع عليها من الغبار النيزكي وجرم الشمس يتغير بالاشعاع وجرم القاطرة بخروج البخار وجرم الانسان دائم التغير واذا لم يوجد غير الفرق فكن بهِ مغيراً لجرم الجسم حتى لقد يجعلهُ من الاجسام الميكروسكوبية

فلا داعي لترك قوانين نيوتن ولا ما يمنع الاحتفاظ بها كلها على شرط ان نضيف اليها ما اوصلتنا اليهِ المباحث الجديدة

ولقد حاول البعض ترك هندسة اقليدس وقالوا انها تلتفت الى وجه واحد من وجوه البحث . وحاول غيرهم نفي حفظ المادة او بقاءها الذي كان عمدة الكيمياء في القرن التاسع عشر وفي وجود الاثير من الفضاء الذي كان مدار الطبيعيات في القرن التاسع عشر

ولقد اشار الاستاذ شستر الى ترحيب رجال العلم بكل مذهب جديد فقال

« ان مرونة الافكار العلمية في هذا العصر حتى توافق كل امر جديد ظاهرة من ان الآراء التي كان لها شأن كبير عند آبائنا تركناها الآن عن طيب نفس فقد كان اباؤنا يقولون ان عدم تغير جرم الاجسام امر لازم لا انفكاك عنهُ اما الآن فلا يجد التلامذة اقل صعوبة في قولهم ان الجرم يتغير بتغير السرعة ولو لم يدركوا نتائج هذا الامر »

وهذه السرعة في قبول الاقوال الجديدة في الطبيعيات قد تكون سبباً لزيادة الشك العلمي لاجل اعادة الموازنة

وهناك نوع آخر من الشك وهو اوسع نطاقاً . فقد قال البعض ان كل النواميس التي اثبتها علماء الطبيعة وشرحوها ليست من الحقائق في شيء وانما هي اصطلاحات لا غير والانسان لا يستطيع ان يعرف حقيقة الاشياء ولا ارتقى عقلهُ الى هذا الحد وكل ما نستطيعهُ انما هو التعبير عن الاشياء تعبيراً كافياً لاغراضنا ولتفسير المراد بها

وقد نفى البعض هذا التفسير وقالوا اننا لا نستطيع تفسير شيء وغاية ما نستطيعهُ هو وصف الاشياء والاعمال . قال غستاف كرشوف « ان غرض العلم وصف الظواهر الطبيعية لا تفسيرها فاذا عبَّرنا عن النسبة بين ظاهرتين طبيعيتين بمعادلة جبرية فقد عملنا كل ما نستطيع عملهُ واذا تجاوزنا ذلك دخلنا معرض الحدس والتخمين »

ولكن آراء الذين يرتابون في مقدرة الانسان على تفسير الظواهر الطبيعية لا تكفي للاقناع وقد انتقدهم الاستاذ شُستر بقولهِ

« ان الابهام الذي كنا نعدهُ اكبر اعداء العلم صار الآن الها يُعبَد . قد لا نصل ابداً الى معرفة تركيب الجوهر الفرد وحقيقة بناء الاثير ولذلك يقولون لنا لماذا تتعبون انفسكم في البحث عنهما أَفليس الاجدر بنا ان نتكلم كلاماً عامًّا عن تبدُّد القوة والخطوط المنيرة والاشارات المبهمة التي يعبَّر بها عن بعض الملابسات الطبيعية وما اساس هذا التعليم الجديد سوى الجبن والخوف من ظهور الخطإ . . . وعندي ان فيهِ خطراً اكيداً على تقدُّم العلم واذا سلّمنا انهُ يستحيل علينا ان نصل الى ابعد من الامور السطحية في الظواهر الطبيعية بقي الفرق بين الاسلوبين المشار اليهما ان الواحد يفتخر بجهلهِ والثاني يأسف عليهِ »

وتظهر الشكوك الحديثة باجلى بيان في قول بوانكاره حيث قال « ان المبادئ ليست سوى حدود ومصطلحات لكنها مستنتجة من قواعد مثبتة بالامتحان وقد جُعلت هذه القواعد مبادئ ينسب اليها العقل قيمة مجرَّدة . فاوليات اقليدس في الهندسة ليست سوى قضايا اصطلاحية اتفق الناس عليها ولا يجوز ان نسأل هل هي صحيحة او غير صحيحة كما لا يجوز ان نسأل هل المقياس المتري صحيح او غير صحيح ولكن هذه المصطلحات حسنة مناسبة

« وسواء كان الاثير موجوداً حقيقة او غير موجود ليس بالامر الجوهري والامر الجوهري ان كل الحوادث تحدث كأنَّ الاثير موجود وفرض وجوده صالح لتفسير الظواهر الطبيعية . وهل لدينا سبب آخر للاعتقاد بوجود الاجسام المادية . انما نفرض وجودها لمناسبته »

وهاكم اقتبس من السر جنس لاموركلاماً يعدُّ ترياقاً للكلام المتقدم قال « مالت الافكار حديثاً الى القول بان مباني العلم الطبيعي النظرية اكثرها وهمي وهي ليست سوى سراب بقيمة بعد ان كان يقال انها صورة حقيقية تبين نسبة الاشياء بعضها الى بعض . . وخير وسيلة لتقليل الشكوك ان يعرف الانسان حقيقة هذه التصورات وطرق تطبيقها فلا تخفى عليه مخالفتها اذا كانت مخيفة »

ومما يحقق الاذهان ان هذا النوع من الشك العلمي المشار اليه اتمهُ التدقيق العلمي وان النواميس البسيطة التي كنا نعتمد عليها كانت سطحية وسهلة الكشف لان عدم تدقيقنا في البحث عنها اخفى عنا ما في الطبيعة من النواميس المتصلة بها . فقوانين كبلر لا تخلو من الخطإ ولو عرف كل ما عرفهُ الآن عما يتعلق بها لما اكتشفها فالسيارات لا تسير في افلاك اهليجية بل في نوع من الميبوسيكلويد او ما يشبه الميبوسيكلويد ويقال مثل ذلك عن ناموس بويل (لانضغاط الغازات) وغيره من قوانين الكيمياء الطبيعية فانها لا تجري بالدقة التي ظهرت لها اولاً . والنواميس البسيطة صحيحة لذاتها ولكن تتصل بها بعض الملابسات فتغير مجراها . قال بوانكاره في هذا المعنى ما يأتي واني اوافقهُ على اكثره

« خذ مثلاً لذلك قواعد انكسار النور فان فرزنل وضع لها نظرية بسيطة اثبتها الامتحان ثم ظهر من البحث المدقق ان صحتها تقريبية وانها تختلف احياناً . ثم عرفت اسباب هذا الاختلاف فبقيت كل الامور الجوهرية في نظرية فرزنل على حالها . وقد قيل انهُ لو كان عند تيخو آلات فلكية ادق من آلاتهِ عشرة اضعاف لما وُجد كبلر ولا نيوتن ولا علم الفلك . ولا يحسن بعلم من العلوم ان يتأخر ظهورهُ الى ما بعد اتقان آلاتهِ وهذا شبه ما هو حادث

الآن في علم الكيمياء الطبيعية فان واضعيه يرون ما يليكم من دقة الارقام حيث تصل الى كثير من المنازل العشرية ولكنهم شديدو الامل بحسن الختام · ومتى زادت معارفنا بخواص المادة رأينا الاتصال متسلطاً على كل شيء · ويصعب علينا ان نثبت وجود الاتصال ببرهان قاطع ولكن اذا لم يكن الاتصال موجوداً فالعلوم كلها محال »

فهنا اشار بوانكاره الى موضوعي اي الاتصال لانهُ اذا اردنا ان نلخص مناظرات العلماء الطبيعيين في هذه الايام رأينا انها قائمة بين الذين يثبتون الاتصال و بين الذين ينكرونهُ و يثبتون الانفصال

وظاهر الامر ان الاجسام كلها منفصلة بعضها عن بعض ولكن الهواء يوصل بينها ثم نرى جواهر كل جسم منها منفصلة بعضها عن بعض فنفرض وجود الاثير ليوصل بينها · فالاجسام الارضية غير متصلة ولكن هل نقف عند هذا الحد وهل للاشياء حد او هي غير متناهية

العلوم متجهة الآن الى ان كل شيء مؤلف من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض فالمادة مؤلفة من الجواهر كما ان نوع الانسان مؤلف من افراد الناس اي من رجال ونساء واولاد يعدون عدًّا فرداً فرداً او نفساً نفساً . فالاتصال امرٌ وهمي نرى الماء جسماً واحداً فنحسب ان دقائقهُ متصلة متلاصقة ولكنهُ مركَّب في الحقيقة من دقائق منفصلة سابحة في الاثير الذي يوصل بينها لان الاثير متصل الاجزاء · ومن هذا القبيل رمل البحر وشعر الرأس وطوائف الناس فانها كلها مؤلفة من افراد لا تحصى لا لان احصاءها مستحيل بل لانهُ صعب · وهذا شأن دقائق قطرة الماء فان عددها يفوق عدد قطرات الماء في البحر المحيط ولكن عدَّها غير مستحيل كما ان عد حبوب الرمل غير مستحيل ولو كان صعباً · وكل ما يمكن عدهُ فهو مركب من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض . ولذلك يمكنك ان تعد النقود والايام والسنين والناس واذا اردت ان تعد شيئاً متصلاً وجب ان تجزئهُ قبلاً الى اجزاء و بغير ذلك لا يمكن اطلاق العدد عليهِ كحرارة البيت وسرعة الطائر وشد الحبل وقوة التيار ولكنك اذا جزأتهُ بقيت منهُ بقية صمَّاء لا تجزأ

وقد يقال كيف تطلق الانفصال على العدد فالاعداد الطبيعية ١ و٢ و٣ تظهر منفصلة ولكن توجد كسور تصل بينها فكيف نعلم انها غير متصلة حقيقة بواسطة هذه الكسور[1]

---

(١) اراد بالعدد العدد المطلق الذي يكون قسمة من غير باقٍ لا العدد الاصم الذي اذا قسم بقي منهُ باقٍ

وكل فصل وجد بين الاشياء اتسع بهِ نطاق المعارف فاكتشاف دلتن لوجود نسبة عددية بين عناصر المركبات الكيماوية كان لهُ اكبر شأن في علم الكيمياء ثم ابان بروت ان عدد الجواهر في كل عنصر هو عدد منطق فالجواهر مؤلفة من وحدات معدودة . ومن المحتمل ان القوة مؤلفة ايضاً من وحدات . وقد وجد فراداي ان الكهربائية تتحد بالمادة كشيء معدود شيء معدود اي ان كمية محدودة منها تتحد بكمية محدودة من المادة ومن ثم ثبت ان الكهربائية مؤلفة من دقائق محدودة معدودة اي ان لها جواهر فردة كما ظن فراداي ومكسول وهي التي سماها جنستن ستوني بالالكترونات ودرسها كروكس في الانابيب المفرغة ووزنها وقاسها هو والسر جوزف جون طمسن واعلن ذلك في هذا المجمع لما اجتمع في دوفر[1] سنة ١٨٩٩

والالكترون هو الجوهر الفرد من الكهربائية السلبية وقد لا يمضي وقت طويل حتى يكتشف الجوهر الفرد من الكهربائية الايجابية . والعلماء مختلفون الآن في جوهر الكهربائية الايجابية فيقول فريق منهم انهُ كرة مماثلة الاجزاء تدور فيها الالكترونات في مدارات منتظمة وحجم هذه الكرة يماثل حجم الجوهر الفرد من المادة . وقال غيرهم ان جوهر الكهربائية الايجابية مؤلف من نواة ايجابية تحيط بها الكترونات اكبر منها . وقال آخرون ان الجواهر السلبية والجواهر الايجابية هي مثل الشيء وصورتهِ التي تظهر في المرآة . ولا يعلم حتى الآن كيف تجتمع جواهر الكهربائية حتى تتكون منها جواهر المادة

والمظنون ان المغنطيسية مؤلفة من جواهر فردة وقد سمي كل جوهر منها مغنطوناً قبل ان يكتشف

والظاهر ان هذا التجزؤ الى جواهر او دقائق شامل للاجسام الحية ايضاً فان دقائقها هي الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان والنبات ولكل خلية اجزاء معلومة كالنواة والنوية والجدران وهي تشير الى وجود الانفصال . وقد ثبت الانفصال بناموس مندل في الوراثة وتنوُّع النسل بتنوع الخلايا التي تنتقل اليهِ

فما يقال من ان الطفرة في الطبيعة محال مردود والثابت نقيضهُ اي ان كل شيء يحدث بالطفرة والوثوب من شيء الى آخر ومن حالة الى اخرى لكن لا شبهة ايضاً بوجود الاتصال وهو اساس النشوء كما يقول كل علماء البيولوجيا فلا فاصل بين الانواع والتسلسل متصل من ادنى انواع الاميبا الى الانسان ستأتي البقية

---

(1) تجد خلاصة خطبتهِ في مقتطف نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٩٩

الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الاصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ . وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صلة لازمة للقومية وقوة مقوّمة لكيان المملكة وحفظ المجتمع وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان التي استولت كما استولى غيرها على الاذهان ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع اركان الوطنية وتبدد عناصر القومية وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة . ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في ما يلي انهُ حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان اشد تأثيراً فيه من العقل واذا اندسّ في اخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لا يتزحزح الا بعد جهد وعناء شديدين . واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شقّ على العقل والعلم نقضها واقناع الجمهور بفسادها لان الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة واشد منها تمكنا واستمساكاً بدليل ما نرى منها الى الآن في عادات ارقى الامم مدنية واعلاها علما وادبا . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيه الوهم على الحقيقة فيعطونها ما ليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لا تعتبر في نظر علماء الاجتماع الا حيلاً سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتعضيد القوة الحاكمة . وهي تظهر باشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستنكار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحوّل الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في اوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا . وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها . فاذا خلا الذهن من تلك الافكار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولها حد من النمو لا يمكن توقيفهُ او منعهُ كما انهُ لا يمكن توقيف المد والجزر او منع حرارة الشمس في ابان الحر . على ان من الضلال الفاضح ان يكون اساس الجنسية الاساس الذي وضعتهُ السلطات الحاكمة وتحاول ان ترجع

في الاذهان ان اقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيتهُ ويجعلهُ شريداً طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو اساس الجنسية ؟ وما هي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا الى الانثروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منهُ حل المسئلة لم نجد بهِ ما يفي بالغاية لان علماء الانثروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد اصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة اخرى وان ما بين الانسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لا يحل المسئلة حلاً شافياً عدا عن انهُ لا يخلو من النقد ولم يتفق عليهِ علماء الانثروبولوجيا . اما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود الجنسية وحسب لكل شعب صفات خاصة تميزهُ عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الاّ صفات خارجية لا تدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الابيض افراداً كباراً وصغاراً وشعراً اشقر واسود وعيوناً زرقاً وسوداً ومزاجاً بارداً وحاراً . واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية تقرب ان تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيتهُ كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة القحف والوجه

فهذه الصفات التي يتفقون عليها اهمية كبرى ليست بيولوجية تحدث تغييراً في ذاتية الانسان ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة . تدلنا على ذلك احوال الولد الذي ينقل طفلاً من قومهِ وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن اهلهِ فانهُ يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيهِ اثر من صفات قومهِ لان تلك الصفات اعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومهِ ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة تواقيعهم وكما ان الايوبيين وهم اكراد صاروا اشد نعرة للعرب من العرب انفسهم وكان منهم شعراء وعلماء واجازوا الشعراء ووقف منهم على ابوابهم ما لم يقف على ابواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق

الروح العربية من انفاسهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة المانيون من اصل فرنساوي تفخر بهم المانيا وقام المانيون في فرنسا وايطاليون في انكلترا وقس عليهِ فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهريًا لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى براندبورج اصبحوا من افضل الالمان والهولانديون في امستردام الجديدة صاروا اميركيين لا غبار على وطنيتهم . اي ان الحروب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبقَ فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية اقل اهمية لانهُ يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة اي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على مواطنيهم من الواجبات . فالانثروبولوجيا ليست اساساً للجنسية وكل ما يقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

ولقد حاولوا ان يجعلوا اساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا ان ما يجعل الناس اعضاء امة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح . الا ان ذلك نظرية سفسطية تصح قولاً ولا تثبت فعلاً لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونهِ بولونيًا مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة . والفيلاندي يعتبر جنسيتهُ غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعباً واحداً ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة ايضاً . لا ريب في ان الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعوراً بالتضامن الا انها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق اخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتيالي تضرب بهِ الحقيقة عرض الحائط . فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الا ما ندر والشرائع والنظامات لا تحدد الجنسية حدًّا صحيحاً فاصلاً بالرغم عمَّا لها من التأثير في الاخلاق بل ما يحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكرهُ وشعورهُ وبها يقتبس منهج الشعب الذي كوَّنها وانماها ووضع فيها اسرار عقلهِ ونفث فيها نسمات روحهِ وكساها بادق خصوصياتهِ العالية . وبها يصبح ابناً ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب وبها يشابه قومهُ فكراً وعملاً لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها . وهي بالحقيقة الانسان كلهُ لانها سلك الايصال للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي . فمن

بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومهِ فيكتب لم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنهُ ما اقتبسهُ لرجحنهِ الذكية ويتأثرون باللغة ما لا يتأثرونهُ باية آلة او واسطة اخرى · فاللغة هي اقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان الغريبين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان ابعد احدهما عن الآخر اكثر من غريبين يتعارفان ويتبادلان السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الاندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ بادر السنين تتقاذفهُ عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « يا اشقائي هنا ابناء وطني يتكلمون العربية وانا اموت حسرة في الاستانة » قلنا ومن اين الشيخ قال من بغداد قلنا واين سورية من بغداد قال تجمعنا اللغة

ولما بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ويشعران بانفسهما انهما ابناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولنديين وتفتتت اكبادهم رغماً عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ قرون · وفي حرب ١٨٧٠ تشيع اهل سويسرا وبلجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية · وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويمقتونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الأ ان هذا اللاشيء هو كل شيء

رقي اللغة عنوان رقي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تفقد اهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل اهميتها اذا كانت الامة معطلة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة باحكامها لان في مثل هذه الحال لا تحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد ايضاً لانهُ لا يحق لهم ان يفرغوا ما في قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الأ ما يلزم القرويين للتفاهم او الهذر والمزاح او التأوه والتحسر والشتم · وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيجب الظلام ويمنع النور ويسد سبل التهذيب ويقفل ابواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها · والشريف في الامة لا يرى ما يدعوهُ الى التعلم لان حقوقهُ يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون ان يفتح فماً او ان يغمس قلماً في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة الأ ان الاحوال تغيرت في

هذه الايام حتى في روسيا وتركيا واصبح لكل فرد من افراد الرعية حق الدفاع عن نفسهِ وان يعلو فوق الحد الذي وضعتهُ فيهِ احوال ولادتهِ . وفتحت ابواب التعليم وانتشرت الجرائد واعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورقت حواشيها وسمت آدابها وامس فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك انفسهم اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال — واصبح كل عقبة تقف في سبيل استعمال اللغة الخاصة بالامة اوكل ضغط يوجب استعمال لغة اجنبية عاراً وعنفاً لا يحتملان . ومن كانت جنسيتهُ الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغتهُ غير اللغة الرسمية وحُظر عليهِ استعمال لغتهِ وأُجبر على استعمال لغة اجنبية فانهُ يشعر بألم لا يعرفهُ الا من مرَّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانهُ يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى او كمجرم محكوم عليهِ بالنفي . وما من احد في الكون يرضى بحرمانهِ من اهم قوة في الحياة بها يبث شعائرهُ ويعبر عن افكارهِ . وما الحرمان من القاب الشرف شيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي بهِ تحبس قوى العقل سيف فنفس يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد سياسة الظلم . فنكران اللغة نكران للانانية لا يرضى بهِ الا من سفلت طباعهُ وتدنى الى ان يحني ويعفر وجههُ بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويعطي حقوقهُ ويدوس على اقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل او الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تعمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة ان تجعل لغتها اللغة الرسمية وان تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لا تستطيع ان تمنع حركة الافكار التي تنهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان اصبحت لا مسحة عليهِ من الانسانية بدلاً من ان يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامهِ

لا يمكن ان تقنع انساناً ذا عقل سليم بقطع رأسهِ ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حيَّة بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت فما هو العلاج الشافي لذلك . هذه مسئلة من اعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الا بالطرق الراجحة التي لا اشكال فيها ولا تمويه

افضل حل يرتأيهِ رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة . وهو حل مقبول يجب التسليم بهِ الى ان يظهر افضل منهُ لانهُ نظري اكثر مما هو عملي فاللامركزية قد يمكن

تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في البلجيكا ويعسر او يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على اكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع مندمج في جسم المملكة لان التساوي بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن اللجان البلدية الى المجالس النيابية عدا ما يوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك للروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغته يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم ابناء الوطن الواحد الى قسمين احدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لا ينال بالاتفاقات المرقعة والعقود المموجة وان عقدة الاشكال فيها لا تحل بالطرق التي ذكرناها حلاً يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنا منها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ما عداها لا يفيد الا لتهدئة ثائرة الخواطر الى اجل معلوم لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لا بد من ان يجري مجراه وينتهي بالهزيمة او بالموت او بالفوز ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي ان لا يقبل الوعود بالامتيازات وان يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي فاما لا شيء واما كل شيء

بدأ تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكمن في ما مضى من الزمان كما تكمن النار في الحطب وقد هب من سباته ليسترد القوة التي سلبت منهُ لان الجنسية المسلوبة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الا اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوةً ويستولي على اهلها ويستبد باحكامها الا انهُ اذا لم يكن لهُ قوة كافية يبرهن بها المغلوب ولم يمح لغتهُ بقي دائماً في خطر من القيام عليهِ واذا كان المغلوب اكثر منهُ عدداً قد يطردهُ من البلاد او ينزع السلطة منهُ ويرغمهُ على انكار جنسيتهِ واما في المهاجر فتتغلب القوة بطريقة لا تبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا

الوباء وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم والأ فاما ان يكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد او ان يرحلوا عنها و يطلبوا مهجراً يستقلون به ويحافظون فيه على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون افضل حلٍّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال وكلاهما لا يتمان الأ بالقوة والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات او بعدها بمدة وكانت الفترات بين الفصول طويلة الأ انها لا تطول الى الابد فقد ارخي الستار على المشهد الاخير ليحضّر بعده مشهد من اشد المشاهد هولاً تمثل فيه معارك منهمة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة

لا يوجد ناموس في الدنيا يحظر على الكائن الحيّ الاحتفاظ بشروط كيانه ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً تخلَّ عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعهُ الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوّلهُ افتراسهُ . على ان للخروف ايضاً حقًّا بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة او في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسهِ اي تجيز لهُ في بعض الظروف ان يدافع عن حقهِ بالقوة . والحرب ليست الأ دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب ان شيئاً يلزم لحياتهِ او لكمالياتهِ فيمد يدهُ الى ذلك الشيء ويكون حقهُ يومئذ حق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذهِ اي يستعمل القوة للدفاع عن حقهِ وليس للمغلوب منهما ان يشكو بل عليهِ ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضاً وحكم عليهِ بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليهِ الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الخروف لانهُ لا يستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تُسلَب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها بهِ . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها وبمنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لا يتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيهِ امة مخصوصة

اذ لا غرض لي بالسياسة ووجهي فيهِ الوجهة العلمية الاجتماعية فالمّ بالمسئلة من كل اطرافها واطلقهُ على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهيميا وعلى الدغاركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في پوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والطليان في الترانتين ولا استثني العرب في تركيا . فالخمس الملايين من المجر لهم الحق ان يحوّلوا الى مجر الاحد عشر مليوناً المغايرين لهم الذين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقرار الختم الذي بدأ سنة ٨٨٤. الاَّ ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضاً بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقُضي عليهم ان يرضخوا لما قُدّر لهم منذ اكثر من الف سنة . والتشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضاً بان يقاوموا بالقوة قوة اكبر وان يشهروا حرباً ثالثة لكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للتشك نهائياً انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرناً ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحنُّ اليهِ ونحافظ على وحدتهِ وكيانهِ فاقول . ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوساً ينخر في جسم المملكة وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما فجنسيات صغيرة ليس لاحداها او لمجموعها من القوة ما يخشى منهُ على نزع السيادة من الامة السائدة ويقدَّر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والاَّ كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلاً فآجلاً تلك سنة الكون لا تنقضها سياسة الرياء ولا تحوِّلها عن مجراها الوعود الكاذبة والعقود المرقعة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لا بد ان تختم بمشهد تشهده اوربا تمثل فيهِ المذابح والشرور والجرائم وبجانبها الشجاعة والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تحنُّ الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلاً فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيهِ الامم الصغيرة وتباد الفروع التي

ليس لها قوة كبرى من جنسها تنزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها وتثبت الامم الكبرى التي لا يقوى عليها مازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تجلي هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء كما تحكم على النقاعيات في الماء واذا هلكت منها امة فلأن ليس لها قوة تساعدها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

الدكتور
امين ابو خاطر

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي الدولي السابع عشر

ان اجتماعنا هذا في البلاد الانكليزية لغرض علمي حتى نشترك في عمل يعود بالنفع العميم على نوع الانسان يسرُّنا كلنا و يولينا شرفاً عظيماً لاننا مجتمعون في البلاد التي نبغ منها رجلان من اعظم الرجال في كل عصر ادورد جنر ولورد لستر فان العمل العظيم الذي عملهُ جنر فكسر بهِ شوكة الجدري ذلك الوباء الرهيب لا يزال جلالاً لأ ببهاه سنقطع النظير مع انهُ بدا في عصر كلهُ ظلمات . ولما اجتمعنا آخر مرة التفتنا حول لورد لستر معجبين بهِ لانهُ باستعمالهِ مزيلات العدوى حوَّل الجراحة من حال الى حال تحويلاً لا مثيل في تاريخ الطب . في البلاد التي أُنشئ فيها اول معهد للبحث عن امراض البلدان الاستوائية برئاسة السر فردرك منسن لجاء مثالاً لما انشئ على منوالهِ من المعاهد والتي نشأ فيها روس الذي تناول اكتشاف لافران لسبب الملاريا وعمل من الاعمال المهمة ما فتح سبلاً صحية جديدة لمقاومة الامراض التي تنتشر في البلدان الحارة والبلدان المجاورة لها وكلنا يعلم كيف اثبت كاستلياني ان سبب داء النوم نوع من الحلم المعروف باسم التريبانوسوم Trypanosoma وكيف بحث بروس في الامراض الحادثة من انواع التريبانوسوم وبحث لشمن في سبب المرض المعروف بالكلا ازار . ولقد ثبت فعل الاتوكسيل العلاجي في الامراض التريبانوسومية اولاً في معهد الامراض الاستوائية بلفربول اثبتهُ توماس وبريتل . وقال بلمر حديثاً بالطرطير المقيء كواسطة فعالة في معالجة الامراض المسببة عن الحلميات داخل الجسم

وكلنا يعلم ايضاً ما اشتغل بهِ السر المورث ريط مدة حياتهِ اي بحثهُ في الممدّات[1] وفي العلاج الواقي من التيفويد . وقد جرى العمل بهِ فافاد فائدة كبيرة جداً . وهذه الاسماء القليلة التي ذكرتها وفي طاقتي ان اذكر كثيراً غيرها ترينا المنزلة العليا التي حازتها ابكتريا في مقاومة الامراض المُعدية . ولقد كان شفاء هذه الامراض ومنع انتشارها اسمى الاغراض التي سعى اليها الاطباء في كل العصور ولكن السير في هذا السبيل على خطة قانونية منتظمة لم يصر ممكناً الأ منذ عهد قريب لاننا صرنا نعرف شيئاً عن حقيقة العدوى وسبب الامراض والوسائل التي تنتقل بها. والفضل في وصولنا الى هذه المعرفة عائد الى كل الذين اشتغلوا فيها من كل الامم المتمدنة . وبذلك تمكنا من ايصال الامراض الى الحيوانات واتقان العلاجات فيها على اسلوب علمي . ولقد كان العلاج الكيماوي معروفاً منذ نشأت صناعة الطب لان كل العلاجات التي نستعملها مواد كيماوية . ولكن لم تتهيأ الوسائل للتجارب العلمية في العلاجات الكيماوية الأ لما مُهِّد السبيل لها على ما تقدم ويبقى لنجاحها اربعة شروط وهي الصبر والحذق والسعد والمال ولعلَّ هذا الاخير اهمها

والآن يا سادتي اسمعوا لي ان ادخل بكم معملاً من معامل العلاج الكيماوي فاقول ان المبدأ الذي بني عليهِ هذا العلاج طبيعي بسيط جداً وهو ان بعض المواد الكيماوية تفعل بالميكروبات فتقتلها وقد لا تقتلها بل تبطل فعلها فُسميت كلها قاتلات الميكروبات توسعاً . مثال ذلك السلفرسان (العلاج ٦٠٦) او املاح الزيبق فانهُ لا يقصد بها قتل الميكروب مباشرة بل ابطال ... فعلهِ بجعلها الجسم يفرز مادة مضادة للميكروب . فاذا مزج السلفرسان الجديد بميكروبات مرضية مثل ميكروبات الداء الزهري بقيت هذه الميكروبات حيةً متحركة ولم تضعف حركتها لا لان السلفرسان لم يؤثر فيها بل لان تأثيره لا يظهر بقتلها. ولكن اذا مزجت هذه الميكروبات بمصل لا يضرُّ بها في انبوبين من انابيب الكشف واضيف الى احدهما شيءٌ قليل من السلفرسان ثم نزع المصل منها وغسلت جيداً وغسلت التي في الانبوب الآخر وحقن بكل منهما فارة فالفارة التي حقنت بالميكروب الذي كان معهُ السلفرسان تبقى صحيحة واما الفارة الثانية التي حقنت بالميكروب الذي لم يكن معهُ سلفرسان تصاب بالمرض الذي يسببهُ ذلك الميكروب . وهذا دليل قاطع على ان السلفرسان ابطل فعل الميكروب ولو لم يقتلهُ

---

[1] الممدات Opsonin كلمة وضعها السر المورث ريط لمواد تعد الميكروبات المرضية لتأثير العلاج فيها كما يعد الطبخ الطعام للهضم

فكيف فعل السلفرسان بالميكروب اي ما هي حقيقة هذا الفعل . بحثنا في ذلك بحثاً طويلاً قبل ان انجلت لنا الحقيقة لاننا لم نرَ من الصواب ان نكتفي بما ظهر لنا بل رأينا انهُ يجب ان نستقصي فعل العقاقير لنرى كيفية تأثيرها في الميكروبات والقاعدة التي تجري عليها فوجدنا ثلاثة انواع من العقاقير تصلح لتجاربنا

الاول المركبات الزرنيخية وهي الحامض الزرنيخوس (او سم الفار) والحامض الارسنيليك (او الاتوكسيل) والارسينوفينيلغليسين (او السلفرسان والنيوسلفرسان)

والثاني الاصباغ الازوية مثل التربان الاحمر والتربان الازرق

والثالث الاصباغ التي من نوع الفكسين وبنفسجي المثيل

فاذا اكتسب نوع من الميكروبات عدم التأثر من الفكسين لم يعد يتأثر من كل ما كان من نوع الفكسين من العقاقير ولكن هذا لا يمنع تأثرهُ من عقاقير النوعين الآخرين اي المركبات الزرنيخية والاصباغ الازوية ولذلك فالمناعة على انواع مختلفة مستقلة حسب العقاقير الكيماوية التي تسببها هي اداةُ فعل كيماوي . والبحث في التكسين والانتيتكسين ادَّى الى هذه النتيجة ايضاً فان التكسين اي المادة السامة تفعل فعلها بقبضها على النواتئ التي تنشأ من حواشي الخلايا وقد سميتها بالقوابل(1) وهذه القوابل هي المواد التي تعارض دقائق السم في فعلها وتكونها الخلية الحية بكثرة فتشبع السم وتزيد عليهِ فيكتسب الجسم بها المناعة . وقد ارتبت اولاً في حسبان فعل المواد الكيماوية من قبيل فعل القوابل المشار اليها ولكن مباحث لنظي ازالت هذا الريب من نفسي . والمرجح الآن ان القوابل الكيماوية مثل القوابل الفسيولوجية وان في الميكروبات ونحوها من الحلميات قوابل كيماوية مختلفة . فالقوابل الزرنيخية منها تؤثر في مركبات الزرنيخ والقوابل الخلية تؤثر في مركبات الحامض الخليك والقوابل الارثواميدوفنول تؤثر في السلفرسان وهلمَّ جرّاً . واذا عرفنا ما هي قوابل كل الميكروبات حق لنا ان نقول اننا عرفنا فسيولوجيتها الدوائية وهذا امر لازم للعلاج الكيماوي . ولا بدَّ لي من القول ان بعض القوابل الكيماوية غير خاص بنوع واحد من الميكروب بل يوجد في انواع مختلفة . ومعرفة ذلك ضرورية جداً لان الدواء الذي يفيد في الواحد يفيد في غيره ايضاً مما فيهِ تلك القوابل . وكلما كثرت القوابل وتنوعت زاد الامل بوجود دواء كيماوي لها

فاذا بحثنا عن الادوية النوعية لمرض من الامراض وجب ان نفتش عن العقاقير التي فيها ما يناسب قوابل ميكروبات ذلك المرض وهذا شرط ضروري ولكنهُ غير كافٍ وحدهُ

(1) انظر تفصيل ذلك في المجلد ٣٨ من المقتطف والصفحة ١٠٢ وما بعدها

لان المادة قد تلصق بالميكروب ولكنها لا تميتهُ فيجب ان تكون جامعة للشرطين ولو بتركيبها من مواد مختلفة فتصير مثل السهم المسموم فالتصاقها بقوابل الميكروب بمثابة نصل السهم الذي ينشب في البدن واماتتها للميكروب بمثابة السم الذي في النصل . وقد جمعت هاتان الخاصتان في السلفرسان فانهُ مركَّب من الاميدوفنول وهو بمثابة نصل السهم والزرنيخ وهو بمثابة سم السهم وفيهِ ايضاً شيء من البنزول وهو بمثابة صدر السهم اي الخشب الذي بين الريش والنصل وهو لدفع النصل في البدن

والسم الذي في نصل السهم المسموم مركَّب من مواد قلوية ونحوها تؤثر في بعض اعضاء البدن تأثيراً ضارًّا وكذلك المادة السامة التي في الدواء تسم خلايا الميكروب المرضي بما فيها من الالفة الكيماوية لتلك الخلايا . ومن المعلوم ان كل مركبات الزرنيخ التي فيها خمسة جواهر من الاكسجين تكون مشبعة منهُ فلا فائدة علاجية منها واما المركبات التي فيها ثلاثة جواهر من الاكسجين كالحامض الزرنيخوس ونحوهِ فلا تكون مشبعة من الاكسجين فتبقى لها الفة لغيرهِ وتكون منها فائدة علاجية اي يكون لها امل سهل قتل الميكروبات . ومن هذا القبيل امل اكسيد الكربون الاول واكسيدهِ الثاني فان الاول سام كثيراً لانهُ غير مشبع من الاكسجين واما الثاني فغير سام على نوع ما لانهُ مشبَع من الاكسجين . ومن هذا القبيل بعض الاصباغ فانها قلما يظهر لونها تكون مشبعة فلا تسم كما تسمُّ بعد ما يظهر لونها .
والخلاصة ان المركبات غير المشبعة يكون فيها عناصر غير مكتفية بما حولها فتفعل بما يتصل بها

من العادات المتبعة عند بعض المتوحشين انهم لا يكتفون بطلي نصال سهامهم بسم واحد بل يطلونها بسمين او ثلاثة من السموم المختلفة الانواع لكي لا تبقى شبهة في انها تصير قتالة وعلينا ان نجري مجراهم ونحضر ادويتنا القتالة للميكروبات من سموم مختلفة لكي لا تبقى شبهة في عملها . وهذا الذي يجب ان نفعلهُ في استحضار الادوية الكيماوية او السموم الدوائية التي تقتل الميكروبات . ولو اريد قتل الميكروبات خارج الجسم لما كان في الامر صعوبة ولكن اذا اريد قتلها داخل الجسم فهناك الصعوبة الكبرى فاذا اريد تطهير غرفة فارغة وقتل ما فيها من الميكروبات المرضية فالامر سهل الآن ولكن اذا كانت الغرفة مملوءة من الاثاث وكان اثاثها مما يتأثر جدًّا بفعل المطهرات كما تتأثر الخلايا الحية زادت الصعوبة جدًّا كما لا يخفى . وقد علم ان المواد التي تفعل بالميكروبات فعلاً شديداً جدًّا وهي ذائبة في الماء حتى ولو كانت مخففة جدًّا لا تفيد فائدة دوائية لانها تسم خلايا البدن كثيراً او قليلاً فهي تسمُّ الميكروبات وتسم الجسم ايضاً

ستأتي البقية

الرغبة سر النجاح

ما من احد ولاسيما اذا كان كهلاً او شيخاً الا وهو يعرف اناساً نجحوا في اعمالهم نجاحاً كبيراً واناساً نجحوا نجاحاً متوسطاً لا هو بالكبير ولا هو بالصغير واناساً فشلوا ولم يفلحوا فبقوا على حالة واحدة او كانوا في حالة اصلح من الحالة التي صاروا اليها

اذا التفت الى الذين عرفهم منذ ثلاثين سنة مثلاً وكانوا شباناً فصاروا كهولاً رأى بينهم اناساً كانوا من عامة الطلبة الذين لا يؤبه لهم او من صغار المستخدمين او صغار العمال او صغار التجار او صغار الملاك وهم الآن إِمَّا من نظار الحكومة او من كبار موظفيها او من اصحاب الاشغال الكبيرة او الاملاك الكثيرة او المتاجر الواسعة . ورأى ايضاً اناساً من اترابهم كانوا مثلهم او ارقى منهم وهم الآن على ما كانوا عليه او احط شأناً . واذا سألت الذين نجحوا عن اسباب نجاحهم والاساليب التي جروا عليها او بحثت عن هذه الاسباب بنفسك ودونتها في كتاب ولخصتها في قواعد كلية وسلمتها لمئة شاب ليعملوا بها فالغالب ان قليلين منهم يفلحون كما افلح الذين نقلتها عنهم والباقون يقرأون تلك القواعد وقد يحاولون العمل بها ولكن لتولاَّهم السآمة حالاً فلا يفلحون واذا بحثت ووفقت وجدت لذلك سبباً جوهرياً وهو ان نجاح الذين ينجحون لا يكفي فيه اتباع القواعد التي دونتها بل لا بدَّ لهُ من سبب آخر لا يدخل تحت قاعدة وقانون وهو الرغبة في العمل

من شروط النجاح في كل عمل معرفة قواعد ذلك العمل والجري عليها والمهارة في ادارة العمال والتدقيق في حساب الدخل والخرج والاحتفاظ باوقات العمل ومواعيده وترتيب كل ما يتعلق به ونحو ذلك مما يشمل كل الاعمال او يختلف باختلافها . ولكن القيام بهذه الشروط كلها يفضي الى نجاح عادي معتدل واما النجاح الكبير التي يتفوق به البعض على اقرانهم فيصيرون رؤَساء يشار اليهم بالبنان فلا بدَّ لهُ من شرط آخر كما تقدم وهو رغبة دائمة في العمل تملك صاحبها حتى تصير هوَساً فيه وقد تصرفهُ عن الاهتمام بسائر الشؤون

اذا كان القارئ من سكان هذه العاصمة وقد بلغ الثلاثين او الاربعين من عمرهِ وادار نظرهُ الى ما حولهُ رأى امثلة كثيرة تنطبق على ما تقدم رأى وزراء كانوا بالامس وكلاء نيابة والذين كانوا رؤَساءهم لم يتزحزحوا عن مراكزهم وتجاراً عندهم مئات الالوف من الجنيهات ولم يكن عندهم منذ ثلاثين سنة عشر معشار ذلك وغيرهم من جيرانهم لم يزالوا في

الحالة التي كانوا فيها وملاَّكاً اشتروا الوف الافدنة او بنوا عشرات البيوت ولم يكونوا شيئاً مذكوراً منذ ثلاثين سنة ومئات من معارفهم لم تزد ثروتهم شيئاً او قلت عما كانت عليهِ . واقلُّ بحث يريهِ ان كل واحد من هؤلاء الناجحين لم ينل ما نالهُ الاَّ بالتعب والنصب والجد والاجتهاد واغتنام الفرص وما منهم من جرى على الطريق المطروق الذي يجري عليهِ سائر الناس بل حاد عنهُ واختطَّ لنفسهِ طريقاً جديداً . فان كان الموظف العادي يأتي الى ديوانهِ في الميعاد المعين او بعدهُ ولا يتأخر لحظة عن الميعاد المحدَّد للانصراف بل يتوقعهُ بفروغ صبر وهو ينظر ساعتهُ دقيقة بعد اخرى حتى اذا حان الوقت رأيتهُ مسرعاً الى بيتهِ فيأكل وينام ويقضي بقية يومهِ في لهوٍ او ملعب ولا يحيد عن الخطة المحدودة لهُ لحظة . فالموظف غير العادي يباكر ديوانهُ ويعمل اعمالهُ واعمال غيرهِ ويأسف لضيق وقت العمل فلا يكتفي بما يعملهُ في الديوان بل يعمل اضعافهُ في بيتهِ ويغوص في عملهِ حتى يستجلي اسرارهُ ويذلل صعابهُ ويمتلك قيادهُ ويصير بحيث يتعذر الاستغناء عنهُ . ويشغل وهو في المركز الواحد مراكز اعلى منهُ حتى اذا فرغ مركز منها كان هو الكفوءُ المستعد لهُ . وقد يرتقي البعض الى المراكز العالية على غير هذا النمط ولكن ذلك نادر لا يقاس عليهِ

والتاجر الذي بلغ درجة عالية من النجاح لم يبلغها الاَّ لانهُ كان يلازم متجرهُ من الصباح الى المساء وينتبه لكل ما يروّج بضائعهُ ولا يترك فرصة تضيع سدًى . ويبث الغيرة والنخوة في نفوس مستخدميهِ فيعمل الواحد منهم اضعاف ما يعملهُ لو كان رئيسهم كسولاً مهملاً . واذا وجد مَن يعتمد على رأيهِ او حكمتهِ منهم قرَّبهُ اليهِ ورقاهُ واستعان بهِ على توسيع عملهِ

وقس على ذلك كل الذين نجحوا في الاشغال المختلفة من الحرف العادية الى ارقى مراتب العلم والفلسفة

يحكى عن لورد كلفن العلاَّمة الانكليزي المشهور انهُ كان شديد الرغبة في كل اشغالهِ مهما كان نوعها وفاق الثمانين وبقي على هذه الرغبة كأنهُ شاب في مقتبل العمر . اتاهُ ذات يوم رجل اميركي يستشيرهُ في امر ولما قرع الباب وطلب مقابلتهُ قال لهُ الخادم انهُ مشغول الآن جدًّا ويتعذَّر عليهِ ان يقابل احداً فقال للخادم قل لمولاك اني اتيت من اميركا لاستشيرهُ في امرٍ لهُ شأن كبير عندي فدخل الخادم واخبرهُ فقال لهُ ايتني بهِ

وكان هذا الرجل قد خطر لهُ خاطر في اصلاح السمنت وكاد يبلغ مبتغاهُ ولكن اعترضتهُ مشكلة تعذَّر عليهِ حلها فاستعان بارباب الفن من الكيماويين والطبيعيين وغيرهم وانفق في هذا السبيل النفقات الطائلة ولم يعد بطائل . وكثيراً ما كان يتعذَّر عليهِ فهم الذين استشارهم

لكثرة ما يستعملونهُ من المصطلحات العلمية اما لورد كلفن فكان اهتمَّ بالموضوع فسألهُ بعض المسائل بلغة بسيطة خالية من التعقيد ثم قال لهُ ان المادة التي تطلبها سائل موجود في المانيا وهو هناك الآن من النفايات التي لا قيمة لها بل هو عبءٌ ثقيل على الذين يخرج من معاملهم فيودُّون التخلص منه بايةِ وسيلة كانت. ثم اخبره اين يجد ذلك السائل فذهب الى المانيا وملأ منهُ صندوقاً من الصفيح وعاد بهِ الى لورد كلفن فقال لهُ الورد ضعهُ الليلة في اناء كبير من الماء وفي الصباح يصير الماء صالحاً للعمل. فذهب الرجل وثقب الصندوق ليصبَّ السائل منهُ فلم ينصب فعاد الى لورد كلفن يشكو اليهِ امرهُ فقال لهُ ان السائل قد تبلَّور الآن ولا بد من شق الصندوق حتى يُخرَج منهُ. ففعل وافرغ هذه البلورات في اناء كبير من الماء واتى بهِ في الصباح الى لورد كلفن والظاهر انهُ ماءٌ صرف لا شيء فيهِ فابان لهُ لورد كلفن ان المواد التي كانت ذائبة في الماء وتمنع تجمد السمنت قد رسبت منهُ الآن في قاع الاناء. وكان كما قال وصار الماء صالحاً للغرض الذي ارادهُ واثبت لهُ ذلك بالامتحان واستمرَّ يعاونهُ في الامتحان من الصباح الى ما بعد الظهر واخيراً فتح الاميركي ساعة فوجد انهُ مضى خمس ساعات مرَّت عليهِ كانها خمس دقائق لشدَّة رغبتهِ في العمل ولم يكن لورد كلفن اقل رغبة منهُ. ولما رأى هذا الرجل انهُ فاز بمرادهِ عرض على لورد كلفن مبلغاً طائلاً من المال جراء خدمتهِ لهُ فابى ان يأخذ منهُ شيئاً. ولولا الرغبة الشديدة في المباحث العلمية ما انقطع هذا العلامة وهو شيخ كبير السن للعمل خمس ساعات متواليات في موضوع ليس لهُ منهُ ادنى فائدة ومنهُ لغيرهِ فائدة تقدَّر بمئات الالوف من الجنيهات

لقد كانت رغبة الناس مصروفة في العصور الغابرة الى التفوُّق في العلوم والفنون والسياسة. فكان اقصى ما يتمناهُ الرجل لابنهِ ان يصير اميراً او وزيراً او قائد جيش او حبراً جليلاً او عالماً كبيراً ولم يكن للزراعة والصناعة والتجارة شأن كبير عندهم حتى يُرغب فيها اما الآن فصار لارباب هذه الاعمال الشأن الاكبر والقدح المعلَّى بل صار الملوك يتنافسون في اقتناء الضياع والاشتراك في المعامل اي صار المال قيمة لكل الاعمال وصار كسبهُ الغاية التي يسعى اليها كل احد. فاذا استطاع الاميران يقتني الخيول المطهمة ويبني القصور المشيدة ويجمع حولهُ الخدم والحشم فالتاجر الذي اثرى من تجارتهِ او العامل الذي اغتنى من عملهِ يستطيع ذلك واكثر منهُ. وكثيراً ما ترى ملوك اوربا الآن ووزراءها وقوادها في ضيافة رب تجارة او رب معمل ينظرون الى قصره مدهوشين من فاخر اثاثهِ ورياشهِ ويحسبون بختهِ ويودُّون ان يكون عندهم مثلهُ

وقد يظن لاول وهلة ان النجاح في العمل اساسهُ التوفيق والصدف وانهُ لا يقتضي مهارة فائقة في ادارة العمال ومعرفة طبائع الناس واخلاقهم لان كثيرين نجحوا وهم ليسوا على شيء من المهارة او لا يفوقون غيرهم في شيء وانما خدمهم السعد على حد ما قيل

يخيب الفتى من حيث يطلع غيرهُ ويعطي الفتى من حيث يحرم صاحبهُ

ويظن غيرهم ان هذا النوع من النجاح محصور في كسب المال وجمعهِ وان الاعمال كلها امست ولا شيء فيها مما يستحق ان توجه اليهِ همة الاماجد الاماثل او يرفع النفس عن حطام الدنيا فاين عبيد المال من الذي مدحهُ ابو تمام بقولهِ

لم يؤثر الذهب المربي بكثرتهِ على الحصا وبهِ فقرٌ الى الذهبِ
ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلبِ

ولكن مطالب الحياة كلها اصبحت في هذه الايام اشغالاً تدار كما تدار الاعمال الصناعية والتجارية حتى الامارة والامامة واصبح العلم والاختراع خادمين لها وهي محور العمران وعليها مدار المسائل الاجتماعية كالصحة العمومية ومساكن العمال واساليب النقل والانتقال ونشر العلوم والمعارف بل عليها يتوقف الاستقلال السياسي والدفاع الوطني . ولا ينجح في هذه الاعمال الأ من تملكتهُ الرغبة الشديدة فيها وقد يتقلب المرء في انواع مختلفة من الاعمال ولا ينجح فيها الى ان يصل الى العمل الذي لهُ رغبة فيه فيطمئن اليهِ ويجري فيهِ جري السوابق

يحكى انهُ اجتمع مرةً جماعة من ارباب الاشغال الكبيرة ليبحثوا فيما يتعلق باشغالهم وترقيتها واجتمع معهم شاب لهُ عمل صغير جداً لا يكفي لما فُطر عليهِ من حب التوسع في الاعمال فانصرف الى السياسة وجعل يخطب الخطب السياسية في الانتخابات العمومية انتصاراً لمن يودُّ نيابتهُ . وكان من المجتمعين رجل من اهل الاناتية مشهور باستبدادهِ في رأيهِ وايثارهِ نفسهُ على غيرها وكان قد اشتغل سنين كثيرة وكسب مكاسب طائلة وجعل يضرب في الاقطار ويعود الى معاملهِ آونة بعد اخرى باساليب جديدة يغيرها ويقلبها رأساً على عقب ولا يبالي بما يلاقيهِ العمال ومديروهم من العناء فلما اتمّت الجماعة حديثها وتمكنت منها السآمة واستولى عليها النعاس لان المتكلمين لم يتكلموا الأ كلاماً عادياً وصل الدور الى ذلك الشاب وكانت خطبهُ السياسية قد جعلتهُ طلق اللسان قوي الحجة فكه العبارة فاختلب لبهم بحديثهِ وما قصهُ عليهم من القصص وانتقل بهم من موضوع الى آخر وابان لهم علاقة اشغالهم بسياسة بلادهم وعزتها ومجدها ومستقبلها فاصغوا اليهِ معجبين بهِ ومؤمنين على كل ما قالهُ . وللحال خطر لذلك المثري المشهور بالاناتية ان يستخدمهُ مديراً لمعاملهِ وكان كذلك واعطاهُ

راتباً كبيراً جدًّا فوجدت رغبته في ادارة الاشغال قبلتها التي تود الاتجاه اليها والقطب الذي تدور حوله فاحسن ادارة المعامل وسياسة العمال وصار صاحبها طوع بنانهِ فانتظمت امورها وزادت ارباحها

وتختلف اميال الناس ورغباتهم اختلافاً كبيراً فبعضهم يرغب في ادارة الاعمال وتنظيمها فينشئ سكك الحديد ويرى بزكانته ما تصير اليهِ حال البلاد بعد عشرين سنة وما تقتضيهِ حينئذٍ من وسائل النقل وبعضهم تقتصر رغبتهُ على تنظيم دفاتر المحل وحساباتهِ. وبين هذين الطرفين درجات كثيرة ورجال مختلفون وكل منهم جلح في العمل الذي يتعاطاهُ برغبة. واما الذي لا رغبة لهُ فلا يفلح في شيءٍ وانما هو لسد الفراغ وتقاضي الراتب في آخر الشهر وكأنهُ آلة تعمل ما تدار لهُ ولا تعمل غيره. والفرق بينهُ وبين الآلة ان الآلة لا تتعب من عملها واما هو فيتعب من كل شيءٍ ويلتمس الراحة في كل لحظة ويكره المناظرة ويبعد عن المنافسة ولا يحيد قيد شبر عن الخطة التي خُطّت لهُ او خطها لنفسهِ

وممَّا يمتاز بهِ اهل الرغبة ميلهم الى الاستنباط فتراهم ينتبهون لكل امر فتقوى فيهم قوة الملاحظة وقد يقوى شمهم وسمعهم وبصرهم. يحكى عن رجل من مستقطري العطور في باريس ان حاسة شم الروائح الطيبة وتمييزها بعضها من بعض قويت فيهِ حتى لم يعد يشم الروائح الخبيثة. وعن صائغ من الصاغة الماهرين ان احدى عينيهِ تمرّنت على رؤية الاشياء الدقيقة حتى استغنى بها عن استعمال الزجاجة المكبرة

ثم ان الرغبة في العمل قد تكون خاملة وتحتاج الى من يوقظها وهنا تظهر مزية مديري الاعمال فان المدير الماهر الذي يحب عملهُ في يده هو الذي يستطيع ان يوقظ الرغبة في عمالهِ ويبث الحمية فيهم ويجعل سير العمل لذة لهم. والغالب ان ذلك يحصل عفواً من غير تعمل اي اذا كان المدير راغباً في عملهِ شديد الاهتمام بهِ شاركهُ العمال في هذه الرغبة وهذا الاهتمام ولو عن غير قصد منهم

والناس شتّى مختلفون في مطالبهم ومناحيهم وقوام العقلية فلا يساقون بقضيب واحد ولا يستمالون على طريقة واحدة. والمدير المذنب هو من يعرف هوى كل واحد من الذين يتولى ادارتهم ويغريهِ بما يفيدهُ ويزيد سعيهُ وينبذ الكسول المهمل الذي لا يرجى منهُ نفع لئلاَّ يعدي غيرهُ بكسلهِ كما يعدي السليم الاجرب

وزبدة القول ان الرغبة في العمل سرُّ النجاح فيهِ والمحور الذي تدور عليهِ الاعمال الكبيرة الناجحة ولا نجاح بدونها

غرائب العادات

في بولينيزيا

اذا غادر الانسان شبه جزيرة ملقا والجزائر المجاورة لها وضرب شرقاً وجد جزائر كثيرة منتشرة في الاوقيانوس الباسيفيكي مقسومة الى مجاميع مختلفة من اشهرها جزائر ساموى وتهيتي وهواي وزيلندا الجديدة

وقد اتصل الاوربيون بسكان هذه الجزائر منذ مئة سنة ونصَّروهم فاهملوا شعائرهم الدينية وابطلوا الكثير من عاداتهم القديمة الاَّ اذا اجتمعوا في حفلة واخذهم الهوس فان عواطفهم تتغلَّب حينئذٍ على عقولهم فيعودون الى بعض العادات التي ابطلوها

ومن اشهر عاداتهم القديمة واكثرها شيوعاً الوشم الذي كانوا يغطون ابدانهم به ويحسبونهُ من الكماليات ومن لوازم الرؤساء فانهم كانوا يتفننون في اشكالهِ وكان لهُ عندهم صنَّاع ماهرون في رسم رسومهِ . ولا يتم وشم بدن الانسان في اقل من بضعة اشهر ومتى اخذ الوشام يشم بدن انسان وقف البنات حولهُ ينشدون الاناشيد لكي يسهوِّ بنهُ ويخففن آلامهُ

وكان اهالي جزائر مرشال يشمون ابدانهم جماعات في وقت واحد ويقدّم التقادم حينئذٍ لآلهة الوشم وهي من ارفع الالهة مقاماً . ومتى وشم الرئيس من اهالي زيلندا الجديدة بدنهُ امتلأ نجاسة وحُرّم عليهِ ان يمس شيئاً حتى طعامهُ اذا مسهُ تنجس منهُ فلا يأكل بيدهِ ولا يشرب بل يطعمهُ رجل من اتباعهِ ويسقيهِ بقمع مزخرف يضعهُ في فيهِ ويصب فيهِ الماء .

وكان لوشم الرؤساء شان في ما جرى بينهم وبين الاوربيين حينما نزلوا بلادهم من الامور الرسمية فان الحجج التي كانت تكتب لابتياع الاراضي كان يوقعها الرئيس برسم شكل الوشم الذي على وجههِ كأنهُ العلامة المميزة لهُ فهو بمنزلة الختم والتوقيع (الفرما)

وكان سكان زيلندا الجديدة يعلقون باعناقهم تمثالاً صغيراً من اليشب Jade يمثل طفلاً قبيح المنظر يعتقدون انهُ صورة جدهم الاعلى ويتوارثونهُ خلفاً عن سلف كذخيرة مقدسة . ولم يزل عند بعضهم من هذه التماثيل وهم يغالون بها جداً وعندهم اقراط من حجر اليشب يشنفون بها آذانهم

ويبالغ سكان جزائر مرشال في لبس الاقراط ويثقبون شحمة الاذن ثقباً كبيراً يوسعونهُ رويداً رويداً حتى يمر رأس الانسان في ثقب اذنهِ ويلبس اهالي ساموى عقوداً من اسنان الحيتان ويشترك اهالي هذه الجزائر كلها في حب الازهار والتجمل بها ولاسيما اهالي جزائر

هواي فانهم يضفرون اكاليل من الازهار كل يوم يكللون بها روؤوسهم . واذا اراد واحد منهم السفر وخرجوا لوداعه غمروهُ بالازهار . وكانوا يضفرون الاكاليل من ريش الطيور المزوقة وينظمون العقود من الصدف ويتحلون بها . وافخر حلية عند اهالي جزائر غلبرت اسنان احد الاصلاف تنظم عقداً . وكان اكثر لباسهم مقاطع مضفورة ضفراً من لحاء الاشجار او محبوكة كالحصر . ولا يزالون يلبسون ثياباً مثل هذه اذا رقصوا اما الآن فثيابهم العادية من المنسوجات الاوربية . والظاهر ان لبس الثياب الاوربية اضرَّ بهم لانهم كانوا قبلاً لا يلبسون شيئاً من وسطهم فما فوق وكانوا يطلون ابدانهم بزيت النارجيل تخفيفاً لوطأة الحر فلما ابطلوا ذلك فشت فيهم النزلة الوافدة وذات الرئة

اما اهالي زيلندا الجديدة فكانوا ينسجون الكتان ويصنعون ثيابهم منهُ حينما دخل الاوربيون جزيرتهم وكان لباسهم فوطة تغطي العورة ورداء مزداناً بريش الطيور يلقى على الكتفين . وكان عندهم ستون نوعاً من الكتان وكانت صناعة الحياكة من الصنائع المقدسة يتعاطاها النساء وقلما يتعاطاها الرجال وتعليمها منوط بالكهنة وهم كلما علَّموا فرعاً منها تلوا الصلوات والتراتيل والعزائم . وسواء حاكوا ثيابهم من الكتان او ضفروها ضفراً من الخوص ونحوهِ تفننوا في نقشها وتوشيتها

والعادة عندهم انهُ اذا دنا وقت ولادة المرأة عادت الى بيت ابيها لتتنفس فيهِ ومدة النفاس قصيرة جداً فلا يمضي عليها بضع ساعات بعد ولادة طفلها حتى تنهض وتذهب بهِ الى البحر وتغتسل معهُ . واول شيء يطعمهُ الطفل عصار جوز الهند بعد مضغهِ ولا يطعم غيرهُ بضعة ايام حتى يصير لبن امهِ صالحاً لهُ على رأيهم وذلك بان يمزجوا شيئاً من لبنها بالماء ويرموا فيهِ حصاة محماة فاذا تخثر ولو قليلاً قالوا انهُ لا يزال غير صالح . وكانوا في الزمن القديم يئدون البنات ولاسيما في تهيتي حيث بلغ من حب بعض السكان للقصوف ان صاروا يكرهون تربية اولادهم فيقتلونهم حال ولادتهم ذكوراً كانوا او اناثاً . اما اهالي ساموى فيهتمون بتربية اطفالهم ويحتفلون بكل طور من اطوار نمو الطفل اي اذا ابتدأ يجلس واذا ابتدأ يدب واذا ابتدأ يقف واذا ابتدأ يمشي وهلمَّ جرًّا

وكان اولاد الرؤساء في زيلندا الجديدة يُعلَّمون في مدرسة كبيرة يعلمهم فيها احد الكهنة انسابهم واقاليم دياناتهم وتاريخ امتهم . ويعمل الصبيان مساعدة والديهم في الصيد والزرع ويعمل البنات مساعدة امهاتهنَّ في جمع المحار من ساحل البحر واستقاء الماء من الآبار ونسج المنسوجات وضفرها . ويتعلم الصبيان الطبخ في ساموى

وكلهم مولعون بالرقص ولهم فيهِ تفنن عجيب فيحركون ابدانهم كلها او يكتفون بحركات اياديهم وهم جلوس · ويدعو اهالي البلد الواحد اهالي بلد آخر للاجتماع والتنافس في الرقص وحينئذٍ تلبس ابنة الرئيس لمة كبيرة من الشعر على رأسها مزدانة بصدف اللؤلوء فوق جبينها كما ترى في الشكل المقابل ويجلس وراء الراقصات جماعة من المغنيات يوقعن الحانهنَّ بالنقر على عقد القنا الهندي · ويعلو رقص الخالسات رقص الواقفات فيمثّلن بهِ الاعمال المختلفة كصيد السمك وقنص الزلاحف وما اشبه

وحركات الراقصات غاية في اللباقة وقد تمتد شهرة البارعات منهنَّ في الاقطار · ويمسك الراقصات الزيلنديات ازراراً من الكتان معلقة بخيوط قصيرة يضربن بها اذرعهنَّ وسوقهنَّ لتقسيم الوقت وتوقيع الرقص · وعندهم رقصة يشترك فيها اربع بنات يجلسن في شكل مربع ومعهنَّ عصي يتهادينَ بها من الواحدة الى الاخرى على اشكال منتظمة وهنَّ يغنين . ويرقص البنات في هواي لابسات مآزر الاوراق واكاليل الازهار كما كنَّ يلبسن قبلما اتصل اللباس الاوربي الى تلك البلاد · اما رقص الرجال فمن الرقص الحربي تبدو فيهِ القوة مع المهارة والرشاقة

وعندهم العاب كثيرة غير الرقص كاطارة الطيارات وادارة الدوامات وطرح الاحاجي ورمي الاكر والكجات والترجح بالاراجيح والغالب ان تجلس فتاة في الارجوحة وبينما هي تترجح ذهاباً واياباً بسرعة فائقة يثب فتى ويتعلق بالارجوحة ويصعد معها حتى اذا عادت الارجوحة بهما الى قرب الارض تركها ووثب غيره مكانهُ

ومن اشهر العابهم واشدها خطراً سباق القوارب ووثبها فوق الحواجز فانهم ينصبون خشبتين قائمتين في النهر ويعارضونهما بخشبة ثالثة تعلو قدماً فوق الماء ويصنعون القوارب لهذا السباق طويلة قريبة القاع فيركب الشبان القارب ويسرعون بهِ وهم يجذفون بكل جهدهم الى ان يصلوا الى الحاجز فيتكئ واحد منهم على مؤخرهِ فيرتفع مقدمهُ فوق الحاجز ويشتد الباقون في التجذيف فيثب القارب من فوق الحاجز وقد ينقلب بهم او يعجز عن الوثوب · ويشترك الفتيات مع الفتيان في هذا السباق ميبارينهم فيهِ ولهم العاب اخرى بحرية يطول شرحها وتدلُّ كلها على انهم كانوا اهل ظرف وطرب يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب واغتنام فرص الزمان لا همَّ بدنيا يشغلهم ولا خوف من آخرة يقلقهم

ومن عاداتهم القديمة في الخطبة والزواج ولاسيما اذا كان الخطيبان من اولاد الرؤساء ان يذهب الخاطبون من قبل اهل الخطيب الى بيت الفتاة التي يريدون خطبتها لينقدوها فاذا

راقت في أعينهم عادوا واتى وفد آخر ومعهُ الهدايا فاذا قبلها ابو الفتاة ولم تبدِ الفتاة اقل ممانعة حسب ان الغاية قد تمت واستعد الفريقان لولائم العرس واذا رفض الوالد اخذ الهدايا ولكن الفتاة لم تظهر الاباء جاء وفد ثالث اعلى شأناً من الوفد الاول والثاني واتى معهُ الخطيب نفسهُ. فاذا اصرَّ ابو الفتاة على الرفض جاء ابو الخطيب باعوانهِ واتباعهِ وحينئذٍ يضطر ابو الفتاة ان يرضى بتزويج ابنتهِ . ويعد اقارب الخطيب الهدايا الكثيرة لاقارب الخطيبة ويهيئ اهل الخطيبة لها جهازاً فاخراً من الثياب ونحوها ويتبادل الفريقان الهدايا وتولم الولائم ويعود الخطيب الى اهلهِ وعروسهُ معهُ ويبنى لهُ بيت في مكان مرتفع مواجهٍ لبيت ابيهِ

والزواج في كل هذه الجزائر مدني محض لا اثر للشعائر الدينية فيهِ يقوم بالهدايا والولائم وبعض الرسوم . ففي جزائر كارولين يختار الفتى عروسهُ ويأتي بها الى بيت ابيهِ فتفرك امهُ ظهرها بزيت النارجيل وتضع اكليلاً على رأسها فيكون ذلك بمثابة عقد شرعي . واهالي جزائر غلبرت شديدو الغيرة على نسائهم حتى اذا كلَّم رجل امرأة فقد لا يسلم من يد زوجها ولذلك ترى كثيرين منهم وفي ابدانهم ندوب الجراح من خصام سببهُ الغيرة . واذا صعد رجل منهم الى رأس نخلة اضطر ان يغني وهو فيها باعلى صوتهِ ويقال ان سبب ذلك ان رئيساً من رؤَسائهم رأى رجلاً في رأس نخلة فظن انهُ صعد اليها ليشرف على نسائهِ ولكن يتغزَّلنَ فرماهُ وقتلهُ ومن ثم جرت العادة ان كل من يصعد الى رأس شجرة يغني باعلى صوتهِ حتى يسمعهُ نساء الرؤَساء ويحتجبنَ . والرجل الذي يتزوج هناك بامرأة يحق لهُ ان يتزوج بكل اخواتها اللواتي هنَّ اصغر منها اذا شاء وعلى كل حال لا يجوز لاحد ان يتزوج بواحدة منهنَّ الاَّ برضى من تزوج باختها الكبرى

والتقبيل غير معروف عندهم فاذا التقى اثنان اختان او اخوان او صديقان فرك احدهما انفهُ بانف الآخر وذلك بمثابة التقبيل عندنا

وكانوا يدفنون موتاهم دفناً قبل مجيء الاوربيين ويحفظون عظام الرؤَساء من اسلافهم ويضعونها في سلال متقنة الصنعة . والغالب ان تكون قبورهم منتظمة في قراهم وعلى كل قبر منها اكمة كبيرة او صغيرة حسب درجة الميت . وقد يضعون على القبر بعض امتعة الميت الثمينة فلا يمسها احد . ويعتقدون ان نفس الميت تبقى في الارض قريبة من بيتهِ ويخافون منها خوفاً شديداً ويقتني بعضهم الكلاب حتى تطرد نفوس الموتى بنباحها ليلاً ولكن اهالي بربن لا ينظرون الى نفوس موتاهم بعين الخوف بل يبنون اكواخاً فوق القبور ينامون فيها لكي تزورهم ليلاً في احلامهم

ولموت الرؤساء شأن كبير عندهم حتى لقد تتعطل مصالح الناس بموت رئيسهم · واذا اجتمع اقارب الرئيس واعوانهُ بعد موتهِ وخيف ان يتخاصموا على الخلافة جاءت اختهُ وحلت بينهم ومنعت الخصام لانهم يعتقدون ان لعنة الاخت اشد ضربة يمكن ان تقع على رأس احد · ويحدُّون على رؤساءهم حداداً عاماً وكانوا قبلاً يضربون رؤوسهم بالحجارة ويخدشون وجوههم بانياب كلاب البحر او يقطع الواحد منهم اصبعاً من اصابع يديهِ حداداً على قريب لهُ

واذا قُتل واحد من اهالي ساموى اجتمع اقاربهُ حول البقعة التي قتل فيها وبسطوا ملاءة بيضاء على الارض واول ذبابة او حشرة تقع فيها يقبضون عليها لاعتقادهم ان نفس القتيل فيها ثم يدفنونها معهُ في قبرهِ

وقد بطل الآن اعتقادهم بالهة البر والبحر والجو والحرب وربما كان اكثر شيوعاً عندهم من كل شيء آخر وهو الحرْم او التحريم فاذا حرموا شيئاً او قالوا انهُ محرَّم امتنع عنهُ كل احد واعتقد انهُ صار محرَّماً · ولهم في التحريم اساليب شتى بطل اكثرها الآن على انها كانت نافعة جداً لانها من قبيل اثبات الحق الشرعي ومنع الاعتداء

ومن العادات القديمة التي لم تستأصل حتى الآن بل لا تزال شائعة عندهم الاعتقاد بالسحر فيسحرون الانسان بخرقة من ثيابهِ او خصلة من شعرهِ او فضلة من طعامهِ · ومنها العرافة لاكتشاف الخفايا والسرقات وهي كالعرافة الشائعة عندنا في المندل وضرب الرمل

ومن المناصب المهمة في جزائر ساموى وظيفة التوبو اي مضيفة القرية · ويعطى هذا المنصب لابنة الرئيس الكبرى ما دامت عزباء ولها مقام رفيع بينهم حتى كأنها الآمرة الناهية بين قومها · فتربى على القيام بكل الواجبات الاهلية كاقامة الولائم وتدبير حفلات الرقص واستقبال الزوار وشرب القهوة · وتلبس على رأسها لمة من شعر الرجال وهي العلامة المميزة لها وتراقب سيرتها اشد المراقبة لانها يجب ان تكون حصينة رزينة لا لوم في سيرها وسيرتها

وقهوتهم شراب يستخرجونهُ من نبات كالزنجبيل وكانوا يصنعونها بمضغ جذر هذا النبات ومزجهِ بالماء اما الآن فصاروا يسحقونهُ سحقاً بالحجارة ويستخرجون عصارتهُ · ولشرب هذه العصارة رسوم كثيرة عندهم يضيق المقام عن وصفها

وكانت اسلحتهم الرمح والمقلاع والنبوت · اما القسي والسهام فكانوا يستعملونها لصيد الجرذان لا للحرب · وكانت سنان رماحهم من اسنان كلب البحر · وصنعوا الدروع من الياف النارجيل وغطوها بجلد القنفذ وصنعوا الخوذ من جلود السمك الكروي الشائك ومن تدرَّع منهم كذلك لم تفعل بهِ اسلحتهم

مسير ومصير

كل فرد لغاية هو غادي   لا يرى غيرها طريق سداد
غير أنّ الغايات مختلفات   فهي بين الاصلاح والافساد
والذي ينظر الخلائق في الدنيا بعيني بصيرة وانتقاد
لا يرى غير طامع يجمع الما   ل ويبقى وراغب في ازدياد
فكأنّ الانسان ما جاء الأ   لمعاشٍ ما بين ماء وزاد

***

قل لمن يجهل الحياة تفكرْ   في مصير الآباء والاجداد
كيف كانوا واين صاروا واين الرسل اين القرون من قبل عاد
اين اين الملوك اين الرعايا   اين اين القوّاد للاجناد
اين اين البناة اين المباني   اين من شيّدوا كذات العماد
اين اسكندر واين هرقلٌ   اين نمرود اين ذو الاوتاد
اين هارون اين فرعون موسى   اين كسرى وقيصر ذو الآد
اين من كتّبوا الكتائب للحر   ب وصالوا بالمرهفات الحداد
هذه دورهم تجيبك عنهم   لو يجيب الجماد صوت المنادي
صرعتهم كأس المنون ولمّا   يستفيقوا حتى ليوم التنادي
وغدوا يحملون من بعد عرش الـ   ـملك في موكبٍ على الاعواد
وغدا مالهم وما جمعوهُ   للاعادي إرثاً وللحسّاد
وثووا في القبور من بعد ما كا   نوا بعالي القصور كالاطواد
ورضوا بالتراب بعد فراشٍ   من حرير موثّرٍ ووساد
جمعتهم دار المنون جميعاً   وهم من قبائلٍ وبلاد
فغدا الضد يألف الضد طوعاً   وغريب تآلف الاضداد
ايها الغافل انتبه من رقادٍ   ان ذا العصر ليس عصر الرقاد

***

سعد إنّ الانسان اصلحهُ الله ظلوم من ساعة الميلاد
ذو نفاق وذو خداعٍ وذو مكرٍ وذو غيرةٍ وذو استبداد

ايها المرء ما خلقت لهذا الشر بل لم تجئ لتلك المبادي
ايها المرء انت اشرف مخلوقٍ على الارض ذو حجى وقاد
انما الفضل لو علمت هو العلم وبذل الندى وبيض الايادي
والوفا والمعروف والعطف والنصح وصنع الجميل بالاسعاد
شيم الانف عزّة النفس حسن الفكر حفظ العهود صدق الوداد
سعة الخلق عفة الجيب نفع الناس من كل حاضرٍ او باد

⁂

ليت شعري متى تلين قلوب من اناسٍ قست كصم الصلاد
فيواسي الغني منهم اخا الفقر ويعصي الشحيح صنع الايادي
ويعيش الفتى بارغد عيشٍ لا يرى عيش خسةٍ ونكاد
وتمر الايام طرًّا على النا س يعدونها من الاعياد
ويصير الغني منهم ثبيهًا عارفًا بالاصدار والايراد
ويعود الداعي الى كل شرٍّ حين يدعو كنافخٍ في رماد

⁂

ايها الحاكمون ظلمًا على النا س رويداً فالله بالمرصاد
لا تغضوا طرفًا لدى الحكم عن فردٍ ولا تنظروا الى افراد
اوردوهم حوض المساواة فالقو م جميعًا حرّى القلوب صوادي
عاملوهم بالرفق والعدل ادوم مالهم غير عدلكم من فادِ

⁂

لست ادري وليتني كنت ادري اي يوم تزول فيه العوادي
اي يومٍ يموت فيه غواة قد تمادوا في الغيّ اي تماد
كم اضلوا عن الهدى واستبدوا بالديانات ايما استبداد
كلما قام مصلح ثم يدعو هم اليه رموه بالالحاد
فمتى يا ترى يبدد شمل ذو اجتماع من دولة الاوغاد
ومتى تسترد بغداد مجدًا سالفًا دمعة على بغداد
يوم كانت في عصر هرون تزهو مثل زهو الربيع بالاوراد
والقدي ربة تجيء التراقي طائعات لامره بانقياد

وتمر المياه منها فتسقي   جنةً بعد جنةٍ في الوهاد

وتشد الرحال من كل فجٍ   نحو ربعها ومن كل واد

كل ركب قد سار يقفوهُ ركبٌ   أمّها من شواسع الاماد

فترام على اختلاف من الاجناس   فيها من عاكفٍ اوباد

فهي ملقى الامال مجمع الاماني   مجمع النـاس منهل الوراد

∴

«يا سواد العراق بيضك الجد   ب» فصرت البياض وسط السواد

يا سواد العراق فيك كنوز   يعلم الله ما لها من نفاد

يا سواد العراق اهملك القو   م ولقد كنت روضة المرتاد

يا سواد العراق تبكيك عين الشعر   ذا اليوم من سواد المداد

يا سواد العراق شلّت يمين   ذات اثمٍ دلت عليك الاعادي

∴

ليتني كنت في الزمان اماماً   شيعني شيعة الكريم الجواد

وهماماً تخشى لقاهُ اسود الحـرب   في يوم معركٍ وجلاد

فاذيق الطغاة طعم المنايا   واكيد العناد اهل العناد

وأصمّي أئمة الكفر والجور   بقايا قومَي ثمودٍ وعاد

وابيد الخمول والجهل والظلم   وجيش النفاق من بغداد

ثم أمسي في كل قطرٍ ومصرٍ   قاعداً للطغاة بالمرصـاد

وارى القتل والشهادة في دعواي   غاي المنى وكل المراد

∴

وبودّي اني أكون خطيباً   مثل سحبان وائل والايادي

لانادي بآية العلم جهراً   والوفا والمعروف في كل ناد

ثم ادعو الى الهدى والى الاصـلاح   والسلم والصفا والرشاد

والى الخير هادياً ودليلاً   ونصوحاً حتى لقومٍ اعادي

∴

ان خير القريض ما كان منهُ   يطرب السـامعين بالانشاد

والذي نظمهُ يقصّ على القا   رئ وعظاً يذيب قلب الجماد

فهو طوراً ما بين امرٍ ونهيٍ وهو طوراً ما بين حادٍ وهادِ
وهو حيناً بين المآتم ناحٍ واوانا بين العرائس شادِ
خالي الذكر من احاديث لبنى وسليمى وزينب وسعادِ
سلس اللفظ والعبارة جزل معجز ناهر كشعر زيادِ [1]
ان هذا يا سعد غاية سؤلي ان هذا يا سعد جل اعتقادي
هو مقصودي الذي طول عمري اقتناه من صميم فؤادي
ان اكن مخطئاً فمن سوء جدي او مصيباً فمن صحيح اجتهادي

بغداد كاظم الدجيلي

السلاحف وتربيتها

السلاحف حيوانات معروفة تمتاز على سائر انواع الحيوان بالترس العظمي الذي على ظهرها وتحت بطنها · وهي انواع بعضها بري وبعضها بحري او نهري وبعضها بري وبحري او نهري معاً · ومن اسمائها الحِبأة والترسة وتختص السلحفاة بالبرية والحِبأة بالبحرية والترسة بالنهرية · وقد وصفها بعضهم بقوله

لحا الله ذات فمٍ اخرس تطيل من السعي وسواسها
تكبُّ على ظهرها ترسها وتظهر من جلدها رأسها
اذا الحذر اقلق احشاءها وضيق بالخوف انفاسها
تضمُّ الى نحرها كفها وتدخل في جلدها رأسها

وليس مرادنا ذكر انواع السلاحف واوصافها وطبائعها بل ذكر ما هو اهمُّ من ذلك وهو تربيتها للاغتذاء بلحمها فقد شاع الآن اكل بيض السلاحف ولحمها والتنافس بطبخ الجثة والشوربا منهُ حتى صارت تربى لهذه الغاية

اتي بسلحفاة بحرية كبيرة جدًّا منذ نحو اربعين سنة الى معرض المدرسة الكلية في بيروت لكي يحفظ فيه جلدها وعظمها وترسها · وقطع لحمها فتخاطفهُ الاميركيون الذين كانوا في بيروت حينئذٍ لطبخ الشوربا واكلنا منهُ شواء فلم نستكرههُ ثم اكلنا من شورباها في اوربا

(1) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني

واستطابها اما الاوربيون فيغالون بها حدّاً حتى تباع الصحفة منها بنصف جنيه

واذا ربيت السلاحف في هذا القطر والقطر الشامي فلا يبعد ان تروج سوقها في اوربا لان ما يصاد منها الآن من البحر يباع في اوربا كلهُ . وقد رأينا سلاحف صيدت قرب بيروت لا يقل وزن السلحفاة منها عن عشرين قنطاراً مصرياً او نحو اربعة قناطير شامية

ويقول الذين يأكلون لحم السلاحف ان ليس كلهُ على درجة واحدة من حيث طيب الطعم فبعضهُ طيب وبعضهُ خبيث . ولكنهم غير متفقين في ذلك فاهالي اميركا الشمالية يفضلون السلحفاة الصغيرة التي يرى في ظهرها تقاطيع كتقطيع حجارة الماس واليابانيون يفضلون السلاحف الضاحة . والانكليز يفضلون السلاحف الخضراء التي يؤتى بها اليهم من جزائر الهند الغربية . وسكان ضفاف نهر الامازون يأكلون السلاحف الكبيرة التي تكون في ذلك النهر وهم يربونها لهذه الغاية

وكانت السلاحف البرية الصغيرة من المهملات في اوربا التي لا ثمن لها اما الآن فصارت تباع وتشترى بثمن فاحش ولاسيما ذات الظهر المقطع لكثرة طلب الفنادق والمطاعم لها فكثر اعتناء الناس بتربيتها في برك تقام لها على ساحل البحر حيث تبيض وتولد وتنقل من بركة الى اخرى حسب سنها لئلاً يأكل كبارها صغارها . وتتفاوت البرك سعة فالصغيرة منها للسلاحف الصغيرة حال خروجها من البيض والكبيرة للسلاحف الكبيرة . ويتفنن بعضهم في الاعشاب البحرية التي يزرعونها في هذه البرك او التي يطرحونها فيها طعاماً للسلاحف لان طعم لحمها يختلف باختلاف طعامها

وتبيض السلحفاة البحرية في بلاد الشام على شاطئ البحر فتحفر حفرة في الرمل وتلقي بيضها فيها وتطمرهُ وتتركهُ هناك فيتفقس من نفسهِ بحرارة الشمس . والبيض مستدير كالبرتقال الصغير او كاليوسف افندي وقشرتهُ جلدية صلبة وقد رأينا بعض البحارة يفتشون عنهُ في ساحل صيداء ويجمعونهُ من الحفر وقالوا انهم يقلونهُ ويأكلونهُ . واذا خرجت السلاحف الصغيرة من بيضها ودبت الى البحر فلا يسلم منها الأ القليل لان الطيور والسراطين تأكلها والسلاحف الكبيرة تأكل الصغيرة فلا بدَّ من وقايتها من اعدائها وهي بيض ثم بعد ما تخرج من البيض الى ان تبلغ اشدها اذا اريد تربيتها

وقد اهتمَّ اليابانيون بتربية السلاحف شأنهم بكل ما فيهِ ربح . ولرجل منهم اسمهُ هتوري حقول واسعة خارج مدينة طوكيو يربي فيها السلحفاة الضاحة وهي كبيرة عندهُ اكثر من السلاحف الضاحة العادية ويبيع منها لفنادق اليابان ستة عشر الف سلحفاة كل

سنة ويرسل الى بلاد الصين خمسة آلاف سلحفاة وهو يربيها في برك متوالية سعة البركة الكبيرة منها نحو نصف فدان فيضع السلاحف الكبيرة في بركة ويراقبها مرتين كل يوم ويرى ما باضتهُ على ضفة البركة ويضع فوق حفرة البيض شبكة من الاسلاك المعدنية حتى يمنع سلحفاة اخرى من حفر الحفرة ثانية وبعد نحو ستين يوماً او اقل حسب شدة الحر يفرخ البيض ويخرج الصغار منهُ . وتبيض السلحفاة نحو ستين بيضة او اكثر كل مرة ولا تبلغ اولادها اشدها في اقل من خمس سنوات

وتطعم السلاحف الصغيرة حين خروجها من البيض قطع اللحم والسمك ومتى كبرت قليلاً اطعمت لحم الانكليس ومتى جاء الشتاء واشتد البرد صامت عن الاكل وحفرت لها حفراً في الطين اختبأت فيها

ومتى بلغت السلحفاة اليابانية المفاضة اشدها اي متى صار عمرها خمس سنوات بلغ وزنها عشرين اقة الى ثلاثين

والتي تؤكل في بلاد الانكليز هي السلاحف الخضراء ويؤتى بها من جزائر الهند الغربية كما تقدم ولها تجارة واسعة فان الذي يأتي بها يجلب نحو اربعة آلاف سلحفاة كل سنة من جزيرة جاميكا ورجالهُ يصطادونها صيداً من البحر بالشباك ويضعونها داخل حواجز يقيمونها لها على شاطئ البحر الى ان يحين نقلها الى بلاد الانكليز ولكن لا يصل منها حياً الا اربعون او خمسون في المئة كأنها مخلوقة لتقيم في مكانها ولا تنتقل منهُ الا ببطء فاذا نقلت بسرعة كما في السفن البخارية فتكت السرعة عليها مع انها من اصبر الحيوانات وامسكها بالحياة حتى لقد يقطع رأسها وتبقى حيَّة ساعات كثيرة او تنزع احشاؤُها واكثر بدنها ويبقى رأسها حيًّا

ويؤكل لحم السلاحف يخنة وشوربا كما تقدم وشورباها معدودة افخر المآكل . وقد صار الاوربيون والاميركيون يسلقون لحم السلاحف حيث يربونها ويستخرجون مرقهُ ويضعونهُ في آنية من الصفيح ويرسلونهُ الى الفنادق والمطاعم لعمل الشوربا فيستغنى بهِ عن ارسال السلاحف نفسها

وهنود اميركا الجنوبية الساكنون على ضفاف نهر الامازون يربون السلاحف حول بيوتهم للذبح والاكل كما تربى الغنم والبقر ويجمعون بيضها ويستخرجون منهُ زيتاً للاضاءة . ومنذ عشر سنوات كانوا يستخرجون الزيت من نحو مئتي مليون بيضة كل سنة

المطالعة المفيدة

لا بدَّ من ان يظهر للمطّلع على هذا العنوان ان تقييدنا المطالعة بالمفيدة يدلّ على ان منها ما لا يفيد وهذا هو الواقع بل قد يكون من المطالعة ضرر كما ان المطالعة المفيدة لا حدّ لفائدتها حتى لقد تغني عن الدرس في المدارس في بعض الاحيان

كتب السرجون هرشل الفلكي المشهور يقول « اني اذا طلبت من الله ان يوجد فيَّ خلقاً يبقى معي مهما تغيرت احوال الزمان والمكان ويكون ينبوع سرور لي وسلوى مدى العمر وترساً اتقي به نوائب الدهر فذلك الميل هو حب المطالعة »

وقال ادورد غبن اشهر مؤرخي الانكليز « اني افضل رغبتي في المطالعة على كل كنوز الهند »

قد تكون المطالعة لمجرد التسلية فيجد فيها الانسان لذةً وفي التسلية شيء من الفائدة وقد يفرط فيها حينئذٍ حتى يبلد عقله ويصير قليل الحفظ لما يقرأه كمن يتخم من الاكل الكثير فلا تعود معدته تهضم ما يلزم لغذاء جسمه . او تصير القراءة مجلبة النوم كأنها نوع من المخدرات . وكل ذلك مطالعة قليلة الفائدة او لا فائدة منها بل فيها ضرر وهي ليست المطالعة المفيدة المقصودة بهذه السطور وانما المطالعة المقصودة هي التي يتوخاها المرء بقصد الفائدة العلمية والادبية

اساس هذه المطالعة الكتب المفيدة . وكتبنا المفيدة غير قليلة ولكن بعضها مشوب بالسخافات والاضاليل . تأخذ كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري وهو من اجل كتبنا العلمية القديمة فلا تكاد تقرأ سطرين وتثق بصحتهما حتى تقرأ سطراً او سطرين من السخافات . وتأخذ الكشكول فتجد فيه درراً ثمينة وبينها خرز وحجارة واقذار تنبو العين عنها . وعندنا من الكتب القديمة ما يعدّ من النفائس في كل لغة كمقدمة ابن خلدون وكتاب كليله ودمنه وتهذيب الاخلاق وخزانة الادب وغرر الوطواط ومحاضرات الاصفهاني والعقد الفريد وثمرات الاوراق وريحانة الالباب وكتاب الاقتضاب واسرار البلاغة وصبح الاعشى وحلبة الكميت والمثل السائر . وكتبنا الحديثة كثير منها غاية في الاجادة والفائدة موضوعة كانت كحضارة الاسلام او مترجمة ككسر الجماح ولذلك لا يتعذّر على طالب الفائدة ان يجد ضالته منها

ولقد كانت الكتب المفيدة ولا تزال غذاء النفوس كما قال المصريون الاقدمون وكما قال كثيرون من اساطين العلم والفلسفة

قيل ارسل بعض الخلفاء يطلب احد العلماء ليسامرهُ فلما جاءهُ الخادم وجدهُ جالساً وحواليهِ الكتب وهو يطالع فيها فقال لهُ ان امير المؤمنين يستدعيك فقال قل لهُ عندي قوم من الحكماء احادثهم فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة واخبرهُ بذلك قال لهُ ويحك مَن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندهُ قال والله يا امير المؤمنين ما كان عندهُ احد . قال فاحضرهُ الساعة كيف كان فلما حضر قال لهُ الخليفة مَن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فقال

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم الِبَّاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا
فان قلتَ امواتٌ فلم تعدُ امرهم وان قلت احياء فلست مفنَّدا

وقد تكون هذه القصة موضوعة لكنْ مغزاها صحيح وهي تدلُّ على اعتبار الاولين لكتب العلم والادب

وقال كارليل الكاتب الانكليزي الشهير « ان ما يصنعهُ الانسان في هذه الدنيا وابقاهُ واثمنهُ الكتب » وقال مكولي الكاتب السياسي الشهير « افضل ان اكون فقيراً في كوخ وعندي كثير من الكتب على ان اكون ملكاً لا يحب المطالعة » . والرجال من ابناء الانكليز الذين قلما انشأ عقل الانسان كتاباً الأ وهو في لغتهم او تُرجم اليها فقد ترجموا كتب فلاسفة اليونان والرومان وادبائهم وشعرائهم وكتب العرب والفرس والهنود والالمان والطليان والفرنسويين والمولنديين وكل الامم الاوربية القديمة والحديثة . وطبعوا كل كتاب منها مراراً على انواع مختلفة من القطع والورق حتى يتيسَّر اقتناؤُهُ لكل احد وكثرت مجلاتهم وجرائدهم وتنوعت حتى صارت بضاعة مزجاة بحسة الثمن ومع ذلك لا يزالون يمالون بها حتى نضلها مكولي على تاج الملك

قال الفيلسوف لكي Lecky في كتابهِ خريطة الحياة « ان اميال المرء التي تنفقه في قوة طبيعية تضعف بتقدمهِ في السن ولكن ميلهُ الى المطالعة يقوى واذا احكم مطالعتهُ بالعقل صارت افضل الوسائل لتقوية الاخلاق الفاضلة فيهِ وترقية افكارهِ وهي فكاهة لذاتها وتزيد بها فكاهة الحياة فان من اتسعت معارفهُ وعرف اقدار الامور وجد لذة فائقة في الحل والترحال وفي كل ما يراهُ من امور الكون . وخير ثمار التعليم تربية الميل الى المطالعة في سن الصبوة ويزيد نفع المطالعة متى صار الغرض منها زيادة المعرفة ولاسيما اذا رافقها حب البحث في موضوع خاص وتوجيه النظر اليهِ وقويت معها قوة الملاحظة »

المطالعة لا تغني دائماً عن التعليم ولا تقوم مقام المدارس فان القيام في المدرسة والاشتراك في المذاكرات والمناظرات وحضور الدروس والامتحان فيها وسماع اقوال الاساتذة وتفاسيرهم وتأثير التلامذة بعضهم في بعضهم ونحو ذلك من العوامل التي تكون في المدارس الراقية كل ذلك يفعل في التلميذ ما تعجز مطالعة الكتب عن فعله . مَن لم يدخل مدرسة راقية ولا أثرت فيهِ هذه العوامل الكثيرة فقد حُرِم من اهم دعائم العلم وما احسن ما قيل

ولست تنال العلم الأ بستة   سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبُلغة   وارشاد استاذ وطول زمان

فعلى المرء ان يكتسب ما يستطيع اكتسابهُ من المدرسة ويضيف اليهِ ما يستطيع اكتسابهُ بالمطالعة ومهما بلغ سن الانسان لا تقصر المدرسة عن فائدتهِ سواء كانت من المدارس العالية او الكلية او الجامعة . ولكن اذا مضى زمن الدرس في المدارس او تعذر على المرء الوصول اليها فلا ييأسن لانهُ يجد في المطالعة ما يكفيهِ . فان المطالعة الدقيقة في الكتب الحسنة علمية كانت او ادبية تعلّم المرء تعليماً يكفيهِ وان لم يكن مثل تعليم المدارس تعلمهُ ما يفيدهُ ويلذ لهُ وتنيلهُ ما لا يناله بمال الدنيا وتجعلهُ من الذين يُسَرُّ الناس بمعاشرتهم ويستفيدون من الحديث معهم بدلاً من ان يستثقلوهُ ويهربوا منهُ . وكم من رجل علّم نفسهُ على هذه الصورة فبرع في علم من العلوم او فن من الفنون وفاق فيهِ تلامذة المدارس واساتذتها ولو لم ينل دبلوما الدراسة الثانوية ولا الابتدائية . ومن سنحت لهُ فرص المطالعة واهملها كمن يجد كنزاً ويدوس عليهِ او يغمض عينيهِ عن رؤيتهِ

هذا اذا لم يتخرج المرء في مدرسة واما اذا تخرج فيكون الاساس قد وضع في عقلهِ لكي تزداد معارفهُ بالمطالعة لان المدارس مهما أتقنت لا تزيد على كونها تفتح باب المعرفة وتساعد التلميذ على الولوج فيهِ وتجعل الكتب مألوفة لديهِ ومواضيعها قريبة منهُ وهو انما يمرن عقلهُ ويرسخ المعارف في ذهنهِ بالمطالعة . وما ينالهُ غير المتعلم في سنة قد ينالهُ المتعلم في شهر فالتعب قليل والكسب كثير

اثنان يكرهان المطالعة مَن عقلهُ سخيف فلا يجد فيها لذة ومن عقلهُ كثير الاشتغال بامور تصرفهُ من المطالعة اما الاول فلا فائدة من حثهِ على المطالعة واما الثاني فيميل اليها متى وجد الكتب التي يستفيد منها وتلذ لهُ . الذكي الفؤاد الذي يكره المطالعة يكون مشغولاً بمطالب اخرى . اعطهِ كتاباً يبحث في المطالب التي يشتغل بها مهما كانت ولو كانت لعب الورق او صيد السمك فانهُ ينقطع لمطالعتهِ ويتحول منهُ الى غيرهِ . وان لم يفلح فيهِ فاعطهِ

رواية محكمة السبك كبعض روايات دوماس او دزرائيلي او كنن دويل او كالروايات التي وضعناها ونشرناها في المقتطف مثل فتاة مصر واميرلبنان او التي ترجمناها مثل قلب الاسد وكليوباطرة واميئة فانهُ يعكف على مطالعتها . اخبرنا غير واحد انهُ قرأ رواية قلب الاسد كلها في جلسة واحدة لشدة تعلقهِ بها وكتب الينا غير واحد ونحن ننشر رواية فتاة مصر يسألنا عن ثقة الحديث وهل مضى وقائعها حقيقي او موضوع

ويندر ان تتوفر اوقات المطالعة لذوي الاشغال ولكن لا يتعذر ان تعطى الزمن الكافي من فضلات الوقت . فاذا كانت عادة الانسان ان يستيقظ الساعة السادسة صباحاً لم يضرهُ اذا استيقظ ربع ساعة قبلها وشغلها بالمطالعة . واذا انتظر طعامهُ عشر دقائق فليشغلها بالمطالعة . ولا يتعذر على الراغب ان يجد ساعة كاملة للمطالعة كل يوم مهما كانت اشغالهُ كثيرة واما ايام العطلة فيحسن ان يقضى بعضها في المطالعة والبعض الآخر في النزهة ولا يحسن بالمرء ان يسافر او ينتقل من مكان الى آخر الأ وفي جيبهِ كتاب مفيد يطالع فيهِ كلما سنحت لهُ فرصة ولم تشغلهُ محادثة الناس او مشاهدة المناظر عن المطالعة لانهُ اذا خُيّر بين ان يجالس قوماً في حديثهم لفكاهة او فائدة وبين ان يطالع كتاباً فالحديث مفضَّل لان الانسان اقدر على التعلّم بأذنيهِ منهُ بعينيهِ

وليحذر المطالع من اجهاد نفسهِ في المطالعة واستطرادها الى حد التعب او ما بعدهُ فانها اذا بلغت هذا الحد لم يبقَ منها نفع بل صارت ضرراً . تلجئنا الضرورة احياناً الى الاستمرار على المطالعة الى هذا الحد فنشعر بتعب شديد ولا يبقى في ذهننا شيء مما نطالعهُ ونحن متعبون

فالشرط الاول اذاً للمطالعة ان تعطيها الزمن الكافي ولو من فضلات وقتك ولكن تقف عند حد التعب ولا تتجاوزهُ

والشرط الثاني ان لا تطالع الأ النفيس من الكتب والمجلات والجرائد لان مطالعة ما دونهُ اضاعة للوقت وتضليل للذهن . والحياة قصيرة لا يحسن ان تضاع في ما لا فائدة منهُ او في ما فائدتهُ قليلة

ولا بدَّ من ان يسأل سائل ما هي الكتب والمجلات التي تشيرون علينا بمطالعتها . وهنا نُحْصَر من الجواب . لو كانت المطالعة باللغة الانكليزية او الفرنسوية او الالمانية لسهل علينا ذكر مئات من الكتب والمجلات الحديثة والقديمة اما كتبنا العربية فما تفيد مطالعتهُ وليس فيهِ اوهام تعلق بالذهن وسماجات تفسد الاخلاق فقلما يسهل الوصول اليهِ على جمهور القراء وليس في البلاد مكاتب عمومية ودور للمطالعة تجمع الكتب النفيسة وتسهل على

الناس مطالعتها ولا كتبنا النفيسة مطبوعة بحجم صغير حتى يسهل وضعها في الجيب او الوصول اليها في كل مكان . ولكن الطالب الراغب لا يتعذر عليهِ ان يجد الكتاب الذي تفيدهُ مطالعتهُ او المجلة التي يجد فيها ضالتهُ ومتى وجد ما يريد مطالعتهُ وجب عليهِ ان يطالعهُ على الاسلوب الذي يفيدهُ اكبر فائدة

اذا اختار الانسان كتاباً مفيداً وجعل يطالعهُ فلا يستفيد منهُ الفائدة المطلوبة ما لم يعِ فوائدهُ في ذهنهِ او يكتبها في دفتر حتى يرجع اليها عند الحاجة وشأنهُ في ذلك شأن من يرى الطعام الشهي ولا يكتفي برؤْية لونهِ وشم رائحتهُ بل يأكلهُ ويغتذي بدنهُ بهِ . والكتب غذاء العقول . والذاكرة التي تعي حقائق كثيرة علمية وادبية واشعاراً حكمية وفكاهية تعي كنزاً لا يثمن لكنها لا تحتمل كل ما يريد صاحبها ان تعيهُ الا في ما ندر فليمرّنها وليقوّها ومتى رأى انها وصلت الى حد يصعب عليها ان تتعداهُ فليساعدها بالمذكرات يكتبها في دفتر يضعهُ في جيبهِ او في مكتبهِ يدوّن فيهِ كل فائدة يعثر عليها ويستصحبهُ في سفرهِ ليراجع ما فيهِ فيرى فوائد لا تقدر قيمتها . ولا نشير بكتابة المذكرات الا متى كلَّ عصب الدماغ وامتلأَت الذاكرة بمحفوظاتها وصار يصعب عليها استحضارها لان الاعتماد على المذكرات يضعف الذاكرة . ولا بدَّ من الاختصار في ما يكتب وذكر اسم الكتاب والصفحة

وهناك امر آخر اكبر فائدة من نقل بعض العبارات والمعاني وهو انتقاد ما قرأتهُ واظهار رأيك فيهِ من استحسان او استهجان فان انتقاد الكتب على هذه الصورة افضل شيء لترسيخ فوائدها في الذهن والتنكيب عن عيوبها . والكتاب الذي يحركك لانتقادهِ وتصويبهِ او تخطئتهِ هو الكتاب الذي تفيدك مطالعتهُ . واذا حقَّ للازهار التي نقطفها من حديقة جارك ان تحفظها فالازهار التي نقطفها من حديقة عقلك اولى بالحفظ فاكتب في مذكرتك ما ترتئيهِ في الكتب التي تطالعها . ولا تكتب في الصفحة الواحدة اكثر من موضوع واحد ولو لم يملأ ما تكتبهُ الا سطرين منها لكي يبقى فيها مجال لكتابة ما يبدو لك في ذلك الموضوع . ولا تخلط موضوعاً بموضوع في صفحة واحدة . وحينما تراجع ما كتبتهُ بعد ان تمرَّ عليهِ الايام والشهور ترى نفسك ميالاً الى التوسع فيهِ فافعل وذلك خير تمرين للعقل والذاكرة . وما دوّنتهُ وتدونهُ خير ذخر عقلي تستفيد منهُ

هذا وقد لخصنا جانباً كبيراً من هذه المقالة من خطبة للدكتور كلارك وهلر نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

السلم والحرب

لما احتفل بتدشين هيكل السلم في هاي منذ ايام معدودة انقسم الرأي العام في اوربا الى فريقين فريق حبّذ فكرة نشر لواء السلم العام وتآخي البشر وتآلفهم وفريق سفّه هذه الفكرة وهزأ بمؤيديها ودعاتها قائلاً انهم مغترون بسراب . ولكلٍ من الفريقين براهين يستند اليها في تأييد مذهبه ويحتج بحلى بها لافحام خصومه

اما الفريق الاول فيقول ان الناس كانوا متفرقين في اول امرهم افراداً ثم اجتمعوا عائلات فجماعات فاظافاً فبطوناً فقبائل فشعوباً وان من طبع الانسان الاجتماع لا التفرق فكما ان الناس تدرجوا في الاجتماع من الافراد الى امة متحدة في المصالح متفقة في الاغراض والاهواء كذلك لا يعسر على الامم ان تعيش متآخية متصافية بمقتضى قوانين يسرن عليها كما يسير افراد الامة الواحدة بمقتضى قوانين بلادهم . فاذا وقع خلاف بين اثنتين او اكثر على امر من الامور استأنفته الى محكمة دولية عليا يتفق على انشائها تحكم فيه مثلما تحكم المحاكم العادية في الخلاف الذي يقع بين الافراد فلا يعمدن الى السيف والمدفع لحسم ذلك الخلاف

ثم ان انتقال الناس من الحالة الفردية الى الحالة الاجتماعية وتأليهم امماً وشعوباً استغرق الوف السنين ولكن الاحوال في تلك العصور كانت غيرها هذه الايام فكانت اسباب المواصلة حينئذٍ صعبة جدًّا وكانت كل امة تعيش على حدتها منفصلة عن سائر الامم فلا تربطها بها رابطة الاَّ اذا كانت وقتية او عدائية ولم تكن هذه الربط طويلة الاجل . ولكن الشعوب في هذه الايام تعيش كأنها افراد عائلة واحدة فالبخار والكهرباء قرّبا الابعاد فصار ابن مصر يخاطب ابن اميركا باسرع مما كان يستغرقهُ سيرهُ من العتبة الخضراء الى العباسية وابن سورية يصل الى اقصى الولايات المتحدة باقل مما كان يقتضيه سفرهُ من القدس الى حلب وصار كل شعب يعتمد على الآخر في اسباب معايشهِ . فالانكليز يعتمدون الآن في معيشتهم على ما يرد الى بلادهم من الحنطة وسائر انواع الغذاء من الولايات المتحدة وروسيا والهند ورومانيا وكندا وبرازيل واستراليا وغيرها وفي متاجرهم على ما ترسلهُ اليهم الولايات المتحدة ومصر والهند من القطن واسوج من الورق وكندا واميركا والشرق الادنى من الخشب والهند والهند الصينية من الكتان والقنب . وصارت الصين لا تقدم على مشروع

كبير او عمل عظيم الآ ونعتمد في تحقيقه على الاموال الاوربية · وما يقال عن انكلترا والصين يصدق على كل الامم بالمثل فالمانيا وروسيا والنمسا وايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وكل امة على وجه هذا المعمور لا تستطيع ان تعيش الآن منفردة عن سائر الامم وبمعزل كما كانت تفعل في العصور الغابرة بل انها لا تستطيع البقاء على ذلك طويلاً

وهناك عوامل الحضارة وزيادة احتكاك الشعوب بعضها ببعض واتفاق المصالح واهم من ذلك كلهِ ارتباط العمال والصناع في بلدان العالم وتبادل العواطف بينهم فصار العالم بذلك سلسلة متصلة الحلقات اذا اصابت حلقة منها مصيبة تأثرت لها سائر الحلقات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة وما نجم عنها من الملابسات في مختلف البلدان

وقد كانت الحرب صناعة الناس في الزمن الماضي والغزو الحرفة التي يرتزقون بها حتى ان كثيرين منهم كانوا يؤجرون نفوسهم لكل غازٍ وفاتح · ولكن ليس في العالم المتمدن الآن من يميل الى الحرب او يشتهيها · وقد صارت الشعوب تحكم نفسها بنفسها ولم تعد مسخرة لارادة بضعة رجال يتحكمون فيها كما يشاؤُون · ولما كانت هذه الشعوب تكره الحرب لما تجرهُ من الويل والدمار والخسارة في الرجال والمال والكساد في التجارة وتوقف الصناعة باتت تنشد السلم وتبذل دون تأييدهِ كل نفيس وغالٍ · فهذه حرب البلقان الاخيرة اصدق شاهد على صحة ذلك فان مجال دخول الدول فيها كان متسعاً ولكنهنَّ احجمنَ عنهُ لعلمهنَّ بما تجرهُ عليهنَّ من المصائب والاحن · ولو حدث مثل هذه الحرب في الاعصر الغابرة لاشتبكت فيها دول اوربا كلها او بعضها وتطاحنت من غير روية او تبصر في عواقب اشتباكها وتطاحنها

وابلغ من ذلك كلهِ ان رجال الحرب انفسهم والواقفين حياتهم على خدمتها يذمونها ويحظرون على مضرمي نارها · فقد وصفها شرمان بالجحيم · وقال دوق ولنتون « ان النصر يعلو الانكسار في شدة هولهِ وفظاعتهِ » وقال الجنرال السر تشارلس نبير « من رأيي ان حياة الجندي تحاكي الراقص في غرفة طويلة كسيت جدرانها بالزجاج المكسّر فلا ينتهي الى آخرها حتى يجرح وجهه بالمرائي فينتبه لنفسهِ وتزول عن عينيهِ غشاوة الغرور والانخداع وهكذا يسير رجال الحرب في سبيلهم الدموي فرحين جذلين مخدوعين بلمعانهِ الكاذب الى ان يفيقوا من غفلتهم · اما انا فلا ارى هذا السبيل لامعاً ساطعاً بل اراهُ احمر قذراً »

ان تنازع البقاء وبقاء الاصلح امران بسيطان اذا نظر اليهما من حيث الانتخاب الطبيعي ولكن بساطتهما تزول اذا أضيفت اعمال الانسان الى افعال الطبيعة فتخلق على

الناس معرفة الاصلح وزمن عيشهِ فلا يعودون يدركون كيف يكون الاصلح أبالحرب ام بالحيلة ام بالسبق

كان الناس في اول عهدهم عزلاً من السلاح فدعاهم تنازع البقاء بينهم وبين الحيوانات الى استنباط الاسلحة فاخضعوا بها الحيوان ثم تنازعوا بها البقاء فباد ضعيفهم من أمام قويهم ولا يزال هذا التنازع دائرًا الى الآن على اساليب متنوعة وهو لازم للامم لزومهُ للافراد ولكن مما لا ريب فيهِ ان التنازع الطبيعي — اي ان يترك الامر للطبيعة لتبقي الصالح وتنفي غيرهُ — افضل من التنازع الاصطناعي . فقد وجد العلماء ان بعض المحار الاميركي تبيض الواحدة منهُ أكثر من خمسين مليون بيضة في حياتها ومع ذلك لا يسلم منها الاّ اثنتان في المتوسط . وهذا الاسراف كثير في كل انواع الحيوان والنبات والانسان لا يشذ عنها

وحجة مؤيدي الحرب ان الحروب من الاسباب التي تمنع زيادة النسل عمّا تقوم بهِ البلاد ولكن المؤكد ان العوامل الطبيعية اشد منها كثيراً في ذلك المنع فقد ثبت بالاحصاء ان نمو الشعوب يقل ابان السلم أكثر مما يقل ابان الحرب فبرلين مثلاً من احدث عواصم الممالك الكبيرة وأكثرها انتظاماً بل هي مثال ما يمكن ان تبلغهُ المدن في الانتظام المبني على الاصول العلمية ومع ذلك هبط عدد المواليد فيها أكثر مما هبط في لندن وباريس وذلك دليل على ان رفاه العيش يؤول الى قلة النسل

ولو كانت الحروب تثار لاسترداد حق مهضوم او لمساعدة الطبيعة على بقاء الاصلح لجاز لنا ان نسوغها ولكنها لا تثار لسوء الحظ الاّ ارضاء للاهواء مثل حب السيادة والطمع بالكسب ونيل المجد وهذه تدفع اولياء الامور وقواد الجيوش واصحاب المصالح الى انشاء البوارج وصب المدافع وصقل السيوف واعداد الميرة وسوق الجنود الى ميادين القتال

وزد على ذلك كلهِ ان الانسان غير مكلف ان يثير الحروب ليقتل من لا يستحق البقاء من نوع الانسان او من تقل وسائل المعيشة ببقائهِ لاسيما وان الذين يقتلون بها هم عادةً خيرة الامة وزهرة رجالها

يقول اهل الحرب ان الانسان ميال بطبيعتهِ الى الشر أكثر منهُ الى الخير وان الحرب امّ الوطنية ومنبع الفضائل فاذا ابطلت زالت الوطنية من قلوب الناس وتقلصت فيهم الفضائل . وقد فات هؤلاء الادعياء ان البراز كان عادة ممدوحة وشائعة في جميع انحاء العالم بطرق مختلفة فصار الآن عادة شائنة وممقوتة . وكان اباؤنا يلهون بمقاتلة الديكة ومناطحة الكباش فنسخ ذلك ايضاً . وكانت الحيوانات تسام من الشقاء والعذاب ما لا يطاق

فاشئت الآن الجميات لمنع القسوة على الحيوانات . وكان الفقراء والمعوزون والعجزة والمرضى والمقعدون والانطاء يتركون وشأنهم يقاسون مرارة العيش وألم الامراض والاوجاع بلا راحم ولا مغيث فانشئت لهم الآن دور الاحسان والمستشفيات والملاجئ لسد عوزهم وتنفيس كربهم وتخفيف آلامهم . فزوال هذه وغيرها من العادات الوحشية التي كان يستحسنها الناس قديماً وصاروا يستهجنونها الآن دليل ناصع وحجة دامغة على ان الانسان لم يطبع على الميل الى الشر اكثر منه الى الخير بل انه كلما تقدم في مضمار التمدن واخذ باسباب الرقي والحضارة زاد فيه الميل الى الخير وتغلبت عواطف الشفقة والرحمة فيه على عواطف القسوة والفظاظة

والوطنية او محبة الوطن لا تقوم باعتداء امة على جارتها ولا بتقحم قوم على قوم آمنين ولا بالاذعان لسورة الغضب والنزق واجابة داعي الاهواء والاغراض بل تكون بترقية الوطن وزيادة رفاهية اهله وتوفير اسباب اليسر والرخاء لهم و بنشر العلم واعلاء منار الاداب ورفع مستوى الاخلاق وتخفيف المصائب والويلات والاعتناء بالصحة العمومية وتحسين النسل الى غير ذلك من الامور التي تزيد سعادة البشر وتكمل لهم الهناء

والفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل . وروّاد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة و يعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون عمرهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال والعالم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال ناضياً ليله ونهاره في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل اماليه مرة وخيبة مساعيه اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذلك الاسكندر وارسطو ونابليون الاول وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

وقد تبدلت الحال اليوم عما كانت عليه منذ نصف قرن فان النساء اخذن يلجن ابواب

الاعمال التي لم يكن يطرقها الأ الرجال قديماً . وفي اوربا واميركا الآن نهضة نسائية يقصد بها اشتراكهن مع الرجال في الحكم

ويذهب القائلون بوجوب بقاء الحروب الى انهُ يستحيل على الامم ان تتفق على سن قانون دولي عام تمشي عليها كما يمشي قانون بلاد على اهلها لانها لم تتحد ذلك الى الآن . وهو رأي مردود بانهن اتفقن على سن قانون دولي عام للحرب وآخر للمنائح التي تغنم من الامم المحايدة في اثناء الحرب وغيرها من القوانين حتى انهن قيدن الحرب بقيود صار بعضها مرعياً بحكم العادة و بعضها مرعياً بحكم الواجب حفظاً للامن الدولي العام وتنفيذاً لقرارات المؤتمرات الدولية في هذا الشأن . فاذا كن قد اتفقن على ذلك فلا يستحيل عليهن الاتفاق على تخفيف شر الحروب تدريجاً

كانت الحروب في الزمن الغابر وحشية في غايتها وواسطتها وكان اساسها الحقد او الحسد والغرض منها التشفي والانتقام او الاذلال والامتهان وكان الاقدمون يذبحون اسراهم او يقتلونهم بهم القطع تمثيلا ويحاولون قتل من تيسر لهم قتلهُ من الاعداء مستحلين في سبيل ذلك كل المحرمات . اما الآن فقد اصبح دأب قادة الامم وعقلائها اجتناب الحروب او تخفيف ويلاتها قدر الامكان . ولما لم يكن بد من استعمال الشدة والقسوة في الحروب وضعوا لها حدًّا لا يتعدى القصد الحقيقي من الحرب فحرموا انواعاً من الاسلحة والمقذوفات والقنابل لاعتبارهم ان الحرب تصل الى غايتها من غير ان تستخدم فيها هذه الوسائل الفظيعة فصار الناس مدفوعين بذلك وبناموس الحضارة والارتقاء الى الرفق بالعدو ومعاملة اسراهُ وجرحاهُ بالمودة والعناية . ولكن قد يتفق ان يمتنع احد المتحاربين عن مراعاة هذه القوانين ويعمد الى الطرق المحرمة فيحمل عدوهُ على مقابلته بالمثل فتكثر الفظائع وتقترف المنكرات كما حدث في حرب البلقان الاخيرة فتقوم حينئذٍ قيامة العالم باسرهِ على المقترفين . وهذا دليل على ان الامم اصبحت بمثابة جسم واحد تجمعها الانسانية ويربطها بعضها ببعض حكم الوجود وناموس الاجتماع وانها صارت متكافلة متضامنة بحيث لو خالفت احداها سيرها المعتاد أضر ذلك في المجموع كلهِ . وليس هذا التكافل والتضامن الأ مقدمة لاجتماع الامم كلها تحت قانون واحد كما كان تكافل بعض القبائل والشعوب وتضامنها مقدمة لاجتماعها في امة واحدة يمشي عليها قانون واحد فتعيش متصافية بسلام واطمئنان

يقولون ان الاحقاد والضغائن من اكبر الاسباب المثيرة للحروب واهمها وانهُ لا امة في هذا الوجود الأ ولها ثأر على امة اخرى وما دام عامل الحقد وحب الاخذ بالثأر يقترنان في الصدور

فلا امل باستئصال الحرب واستتباب السلم بين الامم · ولكن هذا القول كان يصح اطلاقهُ في الماضي لما كانت كل امة خاضعة لارادة شخص واحد تأتمر بأوامرهِ وتنتهي بنواهيهِ اما الآن فالامم لا تعمل الأ بارادتها نعي تعلم ما توجبهُ عليها مصلحتها وكيانها فتحكم العقل على القلب وتخضع لحكمهِ · ولا نظن ان الحقد والعداوة بلغا بين امة واخرى ما بلغاهُ من الفرنسويين والانكليز · ولكن مصالح الامتين قضت عليهما بالتقرب فالتفاهم فالاتفاق على تسوية ما كان بينهما من الاختلافات فزال بذلك ما كان بينهما من الضغائن والاحقاد · ولا يبعد ان تفاجئنا الايام بزوال ما بين فرنسا والمانيا الآن من العداوة الشديدة لاسيما وان عقلاء الامتين اخذوا يسعون في التقرب بينهما كما سبق عقلاء الفرنسويين والانكليز فقربوا بين امتيهما · وما دامت المصالح قد صارت المحور الذي تدور عليهِ علاقات الدول وكانت هذه المصالح توجب الابتعاد عن الحروب لما تنزلهُ بها من التأثير السيء ونقضي بزيادة التقرب بين الامم فانها ستكون اكبر الاسباب في ازالة الحروب

ان العوامل التي تعمل على تأييد السلم بين الامم الآن كثيرة اهمها الاربعة التالية

اولاً — العوامل التي لا تعمل مباشرة في شد اواصر الود والصفاء بين الامم وفي مقدمتها العلوم الطبيعية وعلم الطب · فالعلماء رفقاء بل اخوان مهما تباينت اجناسهم ونأت بلدانهم · والغرض الاول من هذه العلوم ليس توطيد اركان السلم بل نفع البشرية ووقاية الناس من فتك الامراض والاوبئة وتسخير القوى الطبيعية لزيادة رخائهم وسعادتهم ولكن ليس من ينكر ان هذه الامور كلها من مؤيدات السلم ومعضداتهِ · فالصنائع والكهربائية والتعدين وسكك الحديد والملاحة وغيرها صار يبحث فيها الآن في مؤتمرات دولية يؤمها الناس من جميع انحاء المعمور وليس العهد بالمؤتمر الطبي الدولي الذي عقد في لندن في الشهر الماضي ببعيد

وكذلك المعارض العمومية التي تقام في البلدان المختلفة فانها من الاسباب التي تقرب الشعوب بعضها من بعض وتمكن الصداقة بينها حتى لقد قيل ان المعرض الابيض الذي اقامهُ الفرنسويون والانكليز في لندن منذ ثلاثة اعوام كان من اكبر الاسباب التي دعت الى توطيد الاتفاق الودي بين الامتين وترسيخهِ على قرار مكين

اما المعرض العام الذي عزمت حكومة الولايات المتحدة على اقامتهِ بعد عامين في سان فرنسيسكو عند الاحتفال بفتح قنال بناما فان حكومتين من اكبر حكومات العالم قررتا ان

لا تشترکا فيهِ دلالة على استيائهما من تفضيل تلك الحكومة شركات الملاحة التي في بلادها والتي تجتاز بواخرها ذلك القنال على شركات الملاحة في بلاديهما فساء ذلك الاميركيين وحكومتهم واخذت صحفهم تصب جام استيائها وغضبها على تينك الحكومتين فقام شعباها يطالبانها بتعديل قرار بهما ويشيران عليها بوجوب مشاركة الحكومة الاميركية مهما كانت الاعتبارات التي منعتها من الاشتراك في بادىء الامر لئلاً يعلق اثر سيء في اذهان الاميركيين من جراء ذلك

ثانياً — العوامل التي تعمل مباشرة على شد اواصر الصداقة والتآخي بين الامم وتبادل العواطف الطيبة بينها. واهم هذه العوامل التزاور الذي كثر هذه الايام بين الملوك ورؤساء الحكومات والهيئات البارلمنية والبلدية والتجارية فقد كان ذلك باعثاً على اتفاق الامتين الفرنسوية والانكليزية والامتين الروسية والانكليزية وسبباً في التقرب الحاصل بين الانكليز والالمان الآن

ولا تقتصر الفائدة الناجمة عن هذا التزاور على الهيئات الرسمية والتجارية فقط بل تشمل تزاور هيئات العمال بعضها لبعض ايضاً

وقد الفت جمعية دولية كبيرة انتظم في سلك عضويتها مئات الالوف من العمال من جميع البلدان غايتها السعي الى توحيد كلمة العمال في جميع انحاء العالم وجعل التآخي والسلم العام شعارهم وانشئت في الولايات المتحدة جمعية كبيرة لنشر تعاليم السلم بينهم وحثهم على عطف بعضهم على بعض بحيث لو رأى عمال بلادين ان حكومة من حكومتيهم شهرت الحرب على الاخرى ظلماً و بغياً اضربوا عن العمل في كلتا البلادين فشلوا بذلك يد الحكومة المعتدية والحكومة المعتدى عليها فلا تعودان تستطيعان الحرب

ثالثاً — العوامل التي تعمل على توطيد اركان السلم وذلك بترسيخ حب السلم في قلوب عامة الناس وحملهم على التمسك باهدابهِ . واعظم هذه العوامل جمعيات السلم المنتشرة في انحاء اوربا واميركا وهي تعد بالمئات . وقد عقدت هذه الجمعيات مؤتمر السلم الدولي الاول في لندن سنة ١٨٤٣ والمؤتمر الثاني في بروكسل في السنة التالية . وتلا ذلك اكثر من ثلث قرن احتدمت فيهِ نار الحرب بين بعض الامم فلم يكن في الامكان استئناف عقد هذه المؤتمرات الى سنة ١٨٧٨ لما عقد المؤتمر الثالث في باريس . وعقد المؤتمر الرابع في تلك المدينة ايضاً في اثناء المعرض الفرنسوي الذي أقيم سنة ١٨٨٩ ومن ثم انتظم انعقاد هذه المؤتمرات وعقد آخر مؤتمر منها هذا العام في بروكسل عاصمة البلجيك

وقد كان ذلك باعثاً على تأليف مؤتمرات وطنية في فرنسا وانكلترا لتمهيد المؤتمرات الدولية وشد ازرها . والمساعي مبذولة الآن لتأليف مؤتمرات وطنية مثلها في المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا واسبانيا وغيرها من ممالك اوربا

ولا يخفى ما لهذه المؤتمرات من الفوائد في تعميم فكرة وجوب فصل الخصومات بين الدول بالتحكيم ووضع حد للتسلح والى غير ذلك من المسائل التي تبحث فيها في اجتماعاتها

رابعاً — العوامل التي تعمل على ازالة اسباب التحرش والتحكك بين الامم وذلك بسن قوانين دولية جديدة والاكثار من التشريع الدولي الذي يوجبهُ اشتراك المصالح الدولية

واول هذه العوامل واعظمها كلها ندوة التشريع الدولي وهي مؤلفة من ستين عضواً وستين مساعداً ينتقون من عظماء المحامين في العالم ويشترط في الاعضاء ان يكونوا من الفضلاء الذين خدموا التشريع الدولي عملياً او نظرياً وفي المساعدين ان تكون معارفهم وسعة اطلاعهم مما يفيد الندوة وقد ألفت سنة ١٨٧٣ بمساعي المسيو رولن جكمين الفرنسوي

وتتلو هذه الندوة في الاهمية نقابة التشريع الدولي وقد ألفت سنة ١٨٧٣ ايضاً للغرض ذاتهِ فنقابة التشريع الدولي الاميركية التي أُلفت سنة ١٩٠٦ فجمعية التشريع الدولي السويسرية

وهناك الاتحاد البارلماني الدولي وهو مؤلف من جماعات من اعضاء بارلمانات الممالك المختلفة والغرض منهُ حمل ممالكهم على اتباع مبدإ التحكيم في حسم خصوماتها وغيرهِ من المسائل الدولية المهمة وذلك اما بالاقتراع عليها في المجالس النيابية او بوسائل اخرى يتخذونها لاقرار مبدإ التحكيم وجعلهِ مرعياً في بلدانهم المختلفة

وقد افادت الجائزة التي عينها الفرد نوبل مكتشف الديناميت لاعظم الساعين في خدمة السلم العام او اكبر الكتاب الذين ينشئون احسن مؤلف عن تآخي الامم وعما يعود بانقاص التسليح وتجييش الجيوش وبزيادة جمعيات السلم ومؤتمراتهِ في العالم

وفي اوربا الآن ثمانية ملايين من الاشتراكيين عدا بضعة ملايين غيرهم متفرقين في سائر انحاء المعمور ولما كان الغرض الذي ترمي اليهِ الاشتراكية هو التعاون الاجتماعي فهي من العوامل المديدة التي تؤيد السلم وتوطد اركانهُ (المقطم)

اوغسطبيل

نعى البرق في الثالث عشر من شهر اغسطس الماضي زعيم الاشتراكيين في المانيا اوغسطبيل الذي عزَّز مقام الاشتراكية فيها حتى جعل لها من الاعضاء في مجلس النواب الالماني ١١٠ وعدد منتخبيهم ٤٢٥٠٠٠٠ بعد ان كان عددهم منذ ثلاثين سنة اقل من عشر ذلك

ولد هذا الرجل في ٢٢ فبراير سنة ١٨٤٠ وابوهُ من صف الضباط في الجيش الالماني وامهُ ابنة خباز . وكان راتب ابيهِ زهيداً جداً لا يكفي لمعيشة عائلتهِ الا بالتقتير الشديد وكذا كان شأن غيرهِ من الضباط والجنود في ذلك الحين حتى قيل ان بروسيا نالت عظمتها بجوع جنودها وكثيراً ما كان ابوهُ يعود الى بيتهِ في المساء وهو يلعن الساعة التي انتظم فيها في الجندية ويوصي امرأتهُ ان لا ترسل ولديهِ الى دار الايتام اذا توفي لئلا يضطرا الى الانتظام في الجيش

وتوفي ابو بيل فتزوجت امهُ سلفها حاسبة انهُ يعتني بولديها لانهما ابنا اخيهِ وكان مجاناً فعامل الولدين كما يعامل المسجونين بالقسوة والصرامة لكن حياتهُ لم تطل لانهُ كان مصاباً بالسل فتوفي وعمر بيل ست سنوات

وأرسل بيل الى المدرسة فكان شأنهُ فيها الاستمرار لاترابهِ اذا اراد المعلم الاقتصاص منهم حتى لُقّب لذلك معناهُ " طالب العدل مهما كلفهُ "

ولما حدثت الثورة في بروسيا سنة ١٨٤٨ و١٨٤٩ كان عمرهُ نحو تسع سنوات وكانت العقول مختمرة حينئذٍ بالسياسة ووقع جدال بين التلامذة اترابهِ فانتصر هو وتلميذ آخر للملكية فاوسعهما معلمهما ضرباً . وقد اشار بيل الى ذلك بعد حين قائلاً « اذا قال خصومي ان الملكية والوطنية شيء واحد فيعلموا اني أضطهدت لاجل هذه الوطنية لما كان اسلافهم معادين لها » وتوفيت امهُ وعمرهُ ثلث عشرة سنة فانتقل الى بيت عمتهِ وفي السنة التالية خرج من المدرسة وود ان يتعلم الهندسة فقال لهُ عمهُ من اين تأتي بنفقات المدرسة فصرف هذا الخاطر من ذهنهِ وعزم ان يتعلم الخراطة عند خراط من معارف امهِ وكان نحيف الجسم لقلة ما كان يحصل عليهِ من الطعام حتى كان احب شيء اليهِ ان يشبع ولو مرة واحدة من الخبز والزبدة . ولما اتمَّ تعلم الخراطة استخدم عند خراط وكانت اجرتهُ عشرة غروش في الاسبوع وقامر مرة وخسر غرشين فآلى على نفسهِ ان لا يقامر ابداً فنجا من هذه الخلة . وذهب الى فريبرج وانضم الى مجمع العمال الكاثوليك فسرَّهُ الانضمام اليهم وتعلم منهم ومن

كهنتهم اشياء كثيرة وتمرّن في المناظرة والخطابة وانتقل الى ليبسك وكان قد صار في العشرين من عمره وجعل يجتمع مع العمال ويحثهم على طلب زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وكأنهُ حثهم على الاعتصاب قبل ان سمع هذه الكلمة

وسنة ١٨٦١ حضر اجتماعاً عقدهُ اساتذة جامعة ليبسك لانشاء جمعية لاصلاح شأن العمال فانتظم عضواً في هذه الجمعية وانتخب ليكون حافظاً لمكتبتها وادارة اعمالها. فوقف على احوال العمال وحاجاتهم ورغائبهم . وسنة ١٨٦٣ نشر لاسال زعيم الاشتراكيين منشورهُ الذي يُعدّ مبدأ للاشتراكية الالمانية فتغيرت جمعية العمال وسميت جمعية نشر المعارف بين العمال وانتخب بيل رئيساً لها ومن ثمَّ كثرت اشغالهُ وعلا مقامهُ بين العمال بسعيهِ المتواصل في مصلحتهم وقراراتهِ المحكمة وهو رئيس جمعيتهم وتوفيقهِ بين الاحزاب المعتدلة والمتطرفة منهم . وتعرف حينئذٍ بلكنخت الاشتراكي المشهور وكان قد اتى الى ليبسك ليخطب في العمال وبقيا صديقين الى ان ادركت ليكنخت الوفاة

ونصب بيل في مقاومة رجل اسمهُ فون شوتزر كان دأْبهُ القاء الشقاق في صفوف العمال مدعياً الدفاع عنهم فبيَّن بيل انهُ آلة في يد بسمارك لاحباط مساعيهم وتفريق كلمتهم . وسنة ١٨٦٧ انتخب عضواً في مجلس المانيا الشمالية عن مقاطعة سكسونيا فمضى الى برلين وادواه يخفق وجلس مع نواب المملكة وخطب اول خطبة في الدستور فانتقد سياسة بروسيا وقال ان توحيد المانيا الذي ارتآهُ بسمارك ليس في مصلحة المانيا كلها بل في مصلحة بروسيا والاسرة المالكة وان هذا التوحيد سيجعل المانيا ثكنة حربية لتعبئة الجيوش وينزع منها ما فيها من بقايا الحرية والحقوق العمومية . فأثرت هذه الخطبة تأثيراً شديداً في المجلس وخارجهِ حتى قالت احدى جرائد العصر انها كانت كصوت نداء بالثورة تردده جدران المجلس

ونشبت الحرب بين المانيا وفرنسا سنة ١٧٨٠ وقال بسمارك ان فرنسا هي المعتدية على المانيا وان المانيا مدافعة لا مهاجمة اما بيل فقال ان بسمارك هو الذي اغضب فرنسا ودعاها للحرب . فاشتد الخصام في مجلس النواب بين حزب الحرب وحزب الاشتراكيين واجتمع حزب الاشتراكيين واحتج على اثارة الحروب كلها الأ حرباً تثار لاجل الحرية والعمران واحتج ايضاً على كل حرب تثار لاجل اسرة مالكة لانها تودي بحياة الالوف ومصالح الملايين لسد مطامع اهل السلطة. وايد هذا الاجتماع عمل الاشتراكيين الفرنسويين ولاسيما العمال منهم الذين كانوا يسعون في ابطال الحرب وطلب من كل محبي الحكم الجمهوري في المانيا ومن كل العمال الالمانيين ان يرفعوا صوتهم ضد الحرب

وطلبت الحكومة من المجلس ان يقترع على عقد قرض لنفقات الحرب فابى بيل الموافقة على هذا الاقتراح . ولما نودي بالحكومة الجمهورية في فرنسا حياها هو وحزبهُ احسن تحية وودَّ ان المانيا تحذو حذوها يوماً ما . فعيل صبر الحكومة حينئذٍ وقبضت على كثيرين وزجتهم في السجن ومنعت الاجتماعات العمومية . وبعد شهرين طلبت عقد قرض آخر لنفقات الحرب مقدارهُ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فاعترض بيل عليهِ وعلى ضم الالزاس واللورين الى المانيا ويقال ان خطبتهُ التي اعترض بها على القرض الاول كان لها اعظم وقع في بلاد المانيا كلها لانهُ شهَّر فيها بالاغنياء وطمعهم وبخلهم

وقبضت الحكومة عليهِ وعلى صديقهِ ليكنخت في اواخر تلك السنة وزجتهما في السجن متهمة اياهما بالخيانة لكن حزبهُ انتخبهُ لمجلس النواب باكثرية كبيرة جداً فاضطرت الحكومة ان تخرجهُ من السجن لكي يحضر جلسات المجلس ثم جرت محاكمتهُ فلم تثبت الخيانة عليهِ ولا على صديقهِ لكن الحكومة سجنتهُ في احد الحصون سنتين باسم بسمارك فافادهُ السجن فائدة لا تقدَّر لانهُ كان قد اصيب بالسل واتلف ميكروب السل رئة من رئتيهِ لشدَّة ما قاساهُ من التعب والفاقة فلما استراح في السجن شفي من السل تماماً . ثم حُكم عليهِ ثانية بالسجن بدعوى انهُ اهان الامبراطور وجعلت مدة سجنهِ ٣١ شهراً فقضاها في درس التاريخ والاقتصاد السياسي وتوسيع معارفهِ العلمية

ولم يضعف سجنهُ شأن الاشتراكية بل زادها انتشاراً فقد كان عدد الناخبين من الاشتراكيين نحو ثمانين الفاً فقط فبلغوا ٢٣٦ الفاً سنة ١٨٧١ . ولما تمكن من طرد شوتزر صنيعة بسمارك اتحد الاشتراكيون كلهم وصاروا حزباً سياسيًّا باسم حزب العمال الاشتراكي . واشتدَّ حينئذٍ اضطهاد بسمارك لهم واتهام جرائدهم بالقذف والقبض على محرريها وسجنهم فقوي ساعدهم وكثر عددهم . ولا شيء مثل الاضطهاد لتقوية الاحزاب فقد كان عدد اعضاء هذا الحزب حينما انضم بيل اليهِ سنة ١٨٦٧ نحو ٢٥٠٠ نفس فنما وتقوى حتى بلغ عدد الناخبين منهُ ٣١٢٠٠٠ سنة ١٨٨١ و١٤٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ و٤٢٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وصار للعمال منهم ١١٠ اعضاء في مجلس النواب مع ان عدد اعضائهِ كلهم لا يزيد على ٣٩٧ ولقد كان فوز بيل هذا بعد تعب شديد وبذل النفس والنفيس في مصلحة العمال واصلاح امورهم وجمع كلمتهم فيذكر بهِ

ولما اعتزل بسمارك السياسة سنة ١٨٩٠ قلَّ اضطهاد الحكومة لحزب العمال الاشتراكي وقلت مقاضبة الحزب للحكومة لانهُ قام فيهِ اناس يرون ان النجاح منوط باصلاح الحكومة

لا بقلبها وان هذا الاصلاح يجب ان يتدرَّج تدرُّجاً ٠ وقد امتاز بيل على بسمارك بانهُ لم يتبع الخطة القاضية بارغام من يخالفهُ على طاعتهِ بل اتبع خطة المسالمة ووزن الامور بميزان العقل فكلما قام لهُ مخالف في حزبهِ ناقشهُ في رأيهِ فاذا وجدهُ صواباً اتبعهُ واذا وجدهُ خطاء اتهمهُ بخطائهِ ٠ وعندهُ ان آراء الانسان وتصرفاتهِ يجب ان تتغير حالما يثبت خطأها وقد كتب في ذلك ما ترجمتهُ

« لقد كان مبداي الذي جريت عليهِ دائماً ان اعدل عن كل رأي حالما يثبت لي خطأهُ واتبع الرأي الذي يثبت لي انهُ اصحّ منهُ وادافع عنهُ بكل جهدي ما دمت اراهُ صواباً ولا يثنيني عن ترك رأي اراهُ خطأ ان لي اصدقاء شركاء فيهِ وتركي لهُ يغضبهم ويعرّضهم عليّ لاني احسب ان الاغراض التي ارمي اليها اهم جدًّا من الاصدقاء والاقارب »

واتباعهُ هذا المبدأ ابقى جمهور الاشتراكيين ملتفًا حولهُ مع تغير احوالهم فانتخبوهُ لمجلس النواب عن غلوشوميران من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٦ وعن درسدن من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٣ وعن همبرج من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٣ وعن ستراسبرج الى سنة ١٨٩٨، وعن همبرج ثانية من سنة ١٨٩٨ الى حين وفاتهِ اي انهُ بقي في مجلس النواب اكثر من اربعين سنة ما عدا الخمس سنوات التي كان مسجونًا فيها لكنهُ انقطع من حضور جلسات المجلس في السنوات الاخيرة ملقيًا حملهُ فيهِ وفي ادارة حزبهِ على عواتق الشبان والكهول

وقد امتاز على غيرهِ من الزعماء بانهُ كان يسعى دائمًا الى تمكين عرى الاتحاد بين الاشتراكيين الالمان واشتراكيي غيرهم من الامم وبينهم وبين سائر العمال الذين يحتاجون الى مَن يساعدهم ويرقي شأنهم كان الغرض الذي يرمي اليهِ هو الاخاء العام في الدنيا كلها حتى يتآخى الناس كلهم ويعيشوا بالسلام والاطمئنان وتنتفي الحروب من الدنيا لان ويلاتها تقع على الجنود والعمال والفقراء عمومًا ٠ ولما خيف من نشوب الحرب بين المانيا وفرنسا في مسألة مراكش او بينها وبين انكلترا منذ سنتين عقد مؤتمر الاشتراكيين الالمانيين العام في يانا والقى خطبة ضد الحرب كان لها وقع عظيم في النفوس فاضطر الراغبون في الحرب ان يسمعوا صوتهُ لان وراءهُ اكثر من اربعة ملايين رجل يؤيدونهُ

والذين يعرفونهُ يقولون انهُ كان وديعًا انيس المعشر الاَّ اذا اهتم بمسألة عمومية فانهُ يصير حينئذٍ اسدًا غضنفرًا ٠ ومنذ بضع سنوات قطع لهُ احد الضباط المتقاعدين مالاً سنويًّا فاشترى بيتاً صغيرًا قرب زورك بسويسرا وصار يقيم فيهِ كلما اراد الراحة من عناء الاشغال ولم يكن في سعة مالية ولا كان من كبار الخطباء ولكنهُ كان قوي الحجة في المناظرة ماهرًا

في سرد الادلة والبراهين وكلما حضر في مجلس النواب شعر كل احد بوجوده فيه كأنهُ ملءُ المجلس . ولعلَّ العمال تعلقوا بهِ اكثر مما تعلقوا بغيره من زعماء الاشتراكية لانهُ كان منهم وكان عارفاً بكل ما يقاسونهُ من العناء فيكلمهم بلسانهم وبما ينطبق على عقولهم وتصادق عليهِ قلوبهم او كما قيل ان العمال كانوا ينظرون اليهِ كواحد منهم وافضل رجل فيهم ويقولون انهُ يمثل الحالة التي يصلون اليها حينما تصلح امورهم كانهُ موسى الكليم يقود بني اسرائيل الى ارض الموعد وكان فوق ذلك منصفاً بعيداً عن الدعوى كتب ترجمة حياتهِ ونسب كل ما اوليهِ من النجاح الى التوفيق والصدف ولكن التوفيق والصدف تعرض لكل احد ولا يغتنمها الاَّ الحازم الندب

قصر السلام

ما دام كثيرون من اهل الثروة والجاه يكتسبون من الحروب مالاً وجاهاً فهم يبذلون كل وسيلة لاثارتها حتى لا تزول موارد كسبهم ولا تقل

وهذا لا ينفي فائدة الوسائل التي استعان بها بعض الفضلاء على تهجين الحروب وترغيب الدول في فض خصوماتهم بالتحكيم . ومن هذه الوسائل اقامة قصر السلام في مدينة الهاي عاصمة هولندا وجعلهُ مجلساً لقضاة التحكيم ونادياً للمؤتمرات السلمية . ويقال انهُ خطر للمرحوم المستر ستد منشىء مجلة المجلات الانكليزية منذ عشرين سنة ان يتوسل بقيصر روسيا اسكندر الثالث ليسعى في تقليل التجنيد والتسليح حاسباً ان الملوك اقدر من غيرهم على ابطال الحروب مع ان الامر في يد وزرائهم وهم اقل حولاً وطولاً من حاملي السنادق ومقرضي الاموال للمالك وهؤلاء لا سبيل الى صرفهم عن عملهم بالكلام والتوسل وان لم يقم الجمهور عليهم ويغل ايديهم عنوةً فلا شيء يصرفهم عن نيل اغراضهم

وجمع المستر ستد في جمل كثيرين يرفعون عريضة بعث بها الى القيصر على يد نظارة الخارجية الانكليزية فاهتمَّ القيصر بالامر لانهُ كان راغباً فيهِ ولكن نشبت حرب الصين التي تألبت فيها اكبر الحكومات الاوربية والاميركية على تلك المملكة الشرقية ودخلت عاصمتها عنوةً . وتوفي القيصر بعد قليل فقام ابنهُ القيصر الحالي واراد ان يتمم العمل الذي شرع فيهِ والدهُ . وروسيا مملكة تستدين الاموال لا تدينها وهي ليست مثل البلدان التي فيها اغنياء كبار يهمهم من حمل المالك على اثارة الحروب واستدانة الاموال ومعامل لبناء

البوارج وسبك المدافع ولذلك لم يكد يعلن قيصر الروس رغبتهُ في عقد مؤتمر السلم حتى تهكمت عليهِ جريدة التيمس وغيرها من الجرائد الانكليزية والفرنسوية الكبرى لعلمها ان الحل والربط في هذه المسألة ليسا في يدهِ ولا يد احد من الذين يوافقونهُ على رأيهِ ومع ذلك رحب الناس بهذه الدعوة وعقد المؤتمر سنة ١٨٩٠ وقبل ان ينقطع صدى المادحين لهُ اعلنت روسيا الحرب على اليابان وكان من امرها ما كان مما دلَّ على ان المصالح تغلب الاميال

وفي بلاد الانكليز رجل هاجر الى اميركا عاملاً صغيراً ورجع منها غنياً كبيراً بعد ثروتهُ بعشرات الملايين من الجنيهات . وقد استخدم جانباً كبيراً من امواله في خير ما تستخدم لهُ الاموال التعليم والتهذيب والبحث عن الحقائق العلمية . وقد قام في نفسهِ ان ينشئ داراً كبيرة في عاصمة هولندا يلتئم فيها رجال السلم فاعطى حكومة هولندا سنة ١٩٠٣ ثلثمئة الف جنيه لبناء هذه الدار او هذا القصر لكي يكون مجلساً لمحكمة التحكيم التي انشئت سنة ١٨٩٩ وناديًا لاجتماع مؤتمرات السلم . فقبلت حكومة هولندا هذه الهبة بالشكر واشترت للبناء ارضاً دفعت ثمنها ٥٦ الف جنيه . وقد اقتضى تشييد البناء واقامتهُ عشر سنوات وقع فيها معظم المتاعب على المسيو كارنبيك وزير الداخلية في حكومة هولندا الذي كان نائب رئيس المؤتمر الاول

ووراء البناء آكام رملية تغطيها الاشجار الغضاء وحولهُ جنائن نضرة وهو مربع الشكل طولهُ ٢٥٢ قدماً وعرضهُ ٢٥٨ قدماً وفي وسطهِ حديقة كبيرة كأنهُ من القصور الشرقية في نظامهِ لكنهُ يخالفها بما فيهِ من التماثيل الكثيرة التي تزين ظاهرهُ وداخلهُ كتماثيل العلم والصناعة والزراعة والملاحة والتجارة والفصاحة والضمير والارادة والسلطة والدرس والحكمة والانسانية والثبات والعدل والشريعة والسلم وستوضع فيهِ تماثيل اخرى غير رمزية مثل تمثال هيغو غرتيوس الهولندي رائد الذين سنوا شرائع الدول وتمثال الملك ادورد السابع ملك الانكليز الذي يلقب بملك السلام وتمثال السر رندل كرمر منشئ اتحاد مجالس النواب وتمثال المستر ستد الذي كان لهُ اليد الطولى في عقد مؤتمر السلم

وزجاج بعض كواهُ ملون وفيهِ كثير من الصور الرمزية كصورة الهة السلام وقد القت اشعتها الذهبية على العلوم والفنون والبر والبحر والصناعة والتجارة. وصورة ابطال الحرب القدماء وما كانوا يجترحونهُ من الفعال البربرية فترى الدماء تقطر من سيوفهم ورماحهم والامهات يهربن منهم باطفالهنَّ واشلاء القتلى تملأُ الارض وفوقها تمثالا الرعب والموت

وفي القصر مجلس العدل وهو غرفة كبيرة طولها ٧٥ قدماً وعرضها ٤١ قدماً تسع ٤٠٠ نفس واذا وضع امام كل منهم مكتب يكتب عليهِ فتسع ٢٠٠ نفس ولا يحتمل ان يبلغ

عدد نواب الدول هذا المبلغ لان حكومات المسكونة كلها ٤٧ حكومة وقد حضر في المؤتمر الثاني نواب عن ٤٤ حكومة منها ٠ وفي احدى كوى هذه الغرفة صورة الحقيقة عارية ترى نفسها في مرآة وصورة الهة العدل وفي يدها سيف مسلول

وغرف الدار كثيرة رحبة وكلها مفروشة احسن فرش ومزدانة بالصور والتماثيل ولا شبهة في ان نفقات البناء وفرشهِ فاقت هبة كارنجي كثيراً ولكن جانباً كبيراً مما فيهِ هدايا اهديت اليهِ من البلدان المختلفة فالمرانيت الذي بنيت بهِ اسافل الجدران كلها هدية من مملكتي اسوج ونروج والسقية التي في وسط الحديقة الداخلية هدية من الدنمارك والرخام الكثير في مماشي البناء هدية من حكومة ايطاليا وسلم الرخام الاكبر هدية من مدينة الهاع والتماثيل التي عند قاعدتهِ هدية من جمهورية الارجنتين وارض البناء وزجاج الكوى الكبرى المزدانة بالصور اشار اليها آنفاً هدية من حكومة هولندا ٠ والكوى الزجاجية في مجلس القضاء الاكبر من بريطانيا ٠ واهدت فرنسا صورة كبيرة للمجلس الاكبر وبسطاً من النوبلين للمجلس الاصغر واهدت تركيا بساطاً كبيراً لغرفة انتظار واهدى قيصر روسيا كاساً كبيرة بديعة من اليشب والجرمنت كؤوس ثمينة والنمسا ست ثريات والولايات المتحدة تماثيل من الرخام والبرنز وبرازيل خشباً من النوع الوردي والاطلسي لتبطين بعض الغرف والصين اربع كؤوس كبيرة واليابان صوراً كبيرة من الحرير المطرَّز وسان سلفادور الخشب الخاص بها لغرفة مساعد السكرتير وعابتي اثاث تلك الغرفة ٠ ورومانيا اربعة بسط وسويسرا ساعة كبيرة وضعت في برج القصر وبلجكا غلق الباب الاكبر وهما من الحديد المزخرف والمانيا السور الذي امام مدخل البناء وابوابهُ الحديدية كأن ابواب السلم في يدها تفتحها متى شاءت وتقفلها متى شاءت

وفتح هذا القصر باحتفال عظيم في ٢٨ اغسطس الماضي فاقبلت ملكة هولندا اليهِ بموكبها ومعها امها وزوجها وجلست في صدر الغرفة الكبرى المعدة لجلوس قضاة التحكيم وتبعها المستر كارنجي وزوجتهُ وجلسا عن يمين ام الملكة ٠ ونهض حينئذٍ الوزير كارنبيك وتكلم بالفرنسوية فذكر خلاصة ما جرى في امر السلم والتحكيم وكيف دفع ذلك المستر كارنجي الى انشاء هذا القصر وقال لهُ بالانكليزية « ان هذا اليوم يوم مجيد لديك وانت واقف امام ملكة بلادي وفي حضرة ممثلي المسكونة كلها كرئيس لاول هيكل من هياكل السلم » ثم شكر الامم المختلفة على هداياها التي اهدتها الى هذا القصر وتناول اخيراً مفاتيح القصر وقدمها الى فان سوتندرن رئيس مجلس التحكيم الدائم فنهض هذا واستلم المفاتيح وتكلم قائلاً هل يقوم هذا القصر بما

الشيء لا اجابوتم اجاب عن هذا السؤال قائلاً كلا اذا توقعنا منهُ ان ينشر لواء السلم في العالم حالاً ولكن نعم اذا لم نطلب ما يستحيل على الناس تحقيقهُ فانهُ ما من خلاف بين دولة واخرى الأ ويمكن فضهُ اذا رضيت الدولتان في ذلك . وما من خلاف بين دولتين الأ وهو في درجة من الاهمية حتى يوجب امتشاق الحسام اذا ارادت احداها ذلك . ثم اشار الى المستر كارنجي فقال انهُ اشد الذين هناك سروراً لانهُ يمثل ثروة اكتسبت بالتعب والنصب ثم أوقفت على نفع البشر

خمارويه والي مصر (١)

﴿ ابو الجيش خمارويه ٢٧٠ — ٢٨٢ ﻫ (٨٨٤ — ٨٩٦ م) ﴾ — تولى إمارة مصر بعد احمد بن طولون ولدهُ خمارويه ، وهو في العشرين من عمره . اما اخوهُ العباس فكان لا يزال معتقلاً ، والرعية نافرة منهُ لانهُ عقَّ اباهُ ، وكفر بنعمتهِ . على ان اباهُ اوصى لهُ قبل وفاتهِ بولاية الشام تحت سيادة اخيهِ خمارويه ، ولكنهُ لم يتمتع بتلك الولاية ، لان اخاهُ امر بقتلهِ لتمنعهِ عن الاعتراف لهُ بالإمارة

ولم يستتب الامر لخمارويه في الشام بعد قتل اخيهِ ، وذلك ان ابن كنداج ، عامل الخليفة على الموصل ، وابن ابي ساج ، عاملهُ على الانبار ، وغيرهما من الولاة حاولوا نزع سورية وغيرها مما ملكتهُ مصر في آسية ، واعادتهُ الى حوزة الموفق . وكانت حجتهم في ذلك ان خمارويه مغتصب الإمارة ، بأخذها إرثاً عن ابيهِ دون ان يعينهُ فيها صاحب الخلافة . وقد وافقهم على ذلك جيوش دمشق . فعقد خمارويه لابي عبد الله احمد الواسطي على جيش الى الشام ، وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر ، وبعث بمراكب لتقيم في السواحل الشامية . فاستمال . أعداؤهُ قائدهُ أبا عبد الله الواسطي ، فواطأهم على مأربهم اذ كان يخاف ان يوقع بهِ خمارويه لانهُ كان هو المشير عليهِ بقتل اخيهِ العباس وانضم اليهم ايضاً ابن الموفق ابو العباس من بغداد ، وساروا فاتحين في البلاد حتى دخلوا دمشق . واتصل ذلك بخمارويه فخرج من مصر الى فلسطين بسبعين الف مقاتل ، والتقى بابن الموفق ، فاقتتلا في « الطواحين » ودارت الدوائر على جيش خمارويه ، ونجا هو بنفسهِ وبنفر من جنده الى الفسطاط

اما سعد الاعسر فظل موالياً لخمارويهِ وجمع ما تبقى من عساكرهِ ، وحارب ابن الموفق ، فكانت لهُ الغلبة ، واجلى الاعداء الى طرسوس . ثم عاد الى دمشق ففتحها وارسل

(١) من تاريخ مصر بقلم السيد عبد عزوز

بشائر النصر الى مصر . ولم يكد يفرح خمارويه بها حتى زلزلت ارض مصر زلزالاً هائلاً هدم بيوتاً كثيرة وأمات ١٠٠٠ نفس ، على انهُ ظلَّ متهمكاً في شؤونهِ الخاصة ، واغفل امر البلاد التي اعادها لهُ قائدهُ الباسل . ولما رأى سعدٌ الأعسر إعراضَ سيدهِ واهمالهُ ، كرهَ ان يظلَّ في خدمتهِ . فخرج من طاعتهِ ، واعلن استقلالهُ بولاية الشام ، فكان عملهُ هذا داعيةً لايقاظ خمارويهِ من حولهِ ، فزحف الى الشام وهزم سعداً وقتلهُ ، ودخل دمشق سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) . وواصل السير حتى التقى بابن كنداج ، صاحب الموصل ، فهزمهُ وتتبعهُ حتى مدينة سامرًا ثم اصطلحا . فاستقرَّ خمارويهِ بعد ذلك الامرُ في مصر والشام . وعقد الصلح مع الموفَّق . ووقَّع لهُ الخليفة وليُّ عهدهِ امراً بتثبيتهِ في إمارتهِ

ولما وثق من نفسهِ ، وقدر قوتهُ حقَّ قدرها ، رأى من الحكمة ان لا يأمن جانب حليفيهِ ابن ابي ساج ، حاكم الانبار ، وابن كنداج ، حاكم الموصل ، فانتهز فرصة خلاف بينهما فتدخل في شؤونهما ، فنشبت من جرّاء ذلك حربٌ في ما بين النهرين كانت عاقبتها شؤماً على المتقاتلين وصفقةً رابحةً لخمارويهِ ، فنشر سلطتهُ على تلك البلاد ، واعترف لهُ اهلوها بالسيادة عليهم . ثم خرج عليهِ ابن ابي ساج في سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٨ م) واجتاح البلادَ السورية . فمشى اليهِ خمارويه بجيشٍ قويٍّ ، وقاتلهُ في جوار دمشق ، فهزمهُ واجلاهُ من سورية . وما زال يطاردهُ حتى دجلة حيث بنى عرشاً فخماً عنواناً لفوزهِ وسلطانهِ . ثم شبَّت فتنٌ في تلك الاصقاع اضطرَّت خمارويه الى القيام بسفرٍ أخرى في إخمادها ، واظهرَ من الشدة والبطش ما انزل الرُّعبَ في نفوس اعدائهِ . حتى انَّ حاكم طرسوس الذي كان قد نبذ طاعةَ الطولونيّين منذ ٢٦٩ هـ (٨٨٣ م) عرض خضوعهُ على خمارويهِ ، واعترف لهُ بالسيادة ، واهدى اليهِ ثلاثين الف دينار ، والف ثوب ، وكمية كبرى من الاسلحة . ثم عاد فأردفَ هديتهُ هذه بخمسين الف دينار اخرى . وغزا خمارويهِ ما جاورهُ من الاملاك الرومانية فدوَّخها جميعها

ومات الموفق سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١ م) وعقبهُ موت ابن كنداج ، ثم موت الخليفة المعتمد . ولما آلت الخلافة الى المُعتَضِد سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ثبَّتَ خمارويهِ في مصر وخطبَ ابنتهُ قطرَ الندى وجعل مهرها مليون درهم ، وبعث اليها بهدايا نفيسة . ولما احتفل بزفافها الى الخليفة ، حملت على هودجٍ فاخر ، وحمل معها ما لم يُرَ مثلها ولم يسمع بهِ من قبل . وكان خمارويهِ قد بنى لها على كل رأس مرحلة تنزل بها ، بين مصر وبغداد ، قصراً فخماً ، وأخرج معها اخاهُ شيبانَ في جماعة كثيرة العدد ، فكانوا يسيرون بها سيرَ الطفل في المهد ،

فاذا بلغت مرحلةً من مراحل الطريق وجدت قصراً أُعدَّ لها ، فنزلتهُ على الرحب والسعة . فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد ، على بُعدِ الشقة كأنها في قصر ابيها تنتقل ، من علي الى مجلس ، بين الاطالس والحرير . وحمل خمارويه معها حلاها وجواهرها في عشرة صناديق كبيرة كان فيها ايضاً اربعة آلاف حزام مجوهر والف الهاون من الذهب الابريز أُودعت فيها الروائح الزكية وقد كان جملة ما انفقهُ خمارويه على زواج ابنتهِ مليون دينار . ولكنَّ الخليفة شاء ان يصيبهُ منها فاعادَ اليهِ السيادة من الفرات الى برقة ، واخفض الجزية السنوية التي كانت تدفعها مصر للخلافة الى ٣٠٠٫٠٠٠ دينار

ومما يؤثر عن خمارويه ان رواتب جيوشهِ في مصر كانت تبلغ ٩٠٠٫٠٠٠ دينار . وكان كثير البذخ والسرف ، فقيل انهُ كان ينفق ٢٣٫٠٠٠ دينار على مطبخ قصرهِ في كل شهر . وولع كأبيهِ بتشييد القصور ، فأكمل بناء قصر القطائع وزخرفهُ زخرفة جميلة ، وحلاهُ بالذهب ، وزانهُ بالصور والنقوش وانشأ في ساحتهِ بستاناً غرسهُ باشجار الفاكهة على اختلاف اصنافها ، وطعَّم المشمش باللوز ، وغيره بغيره . وزرع فيهِ كل انواع الرياحين والورد والزعفران على شكل سطور مكتوبة . وبنى في ذلك البستان برجاً حبس فيهِ كل طائر حسن الشكل والصوت وانشأ داراً للحيوانات المختلفة الاجناس . وكان لهُ اسد أزرق العينين يُقال لهُ « زُريق » الفهُ وانس بهِ فكان يطلقهُ في دارهِ فلا يؤذي احداً وكان اذا نُصبت المائدة في ساعة الاكل ربض زريق بين يدي خمارويه يلتهم ما يرميهِ اليهِ . واذا نام سيدهُ سهر على حراستهِ لا تغمض لهُ عين . ومما اعتنى بهِ خمارويه كثيراً احراز الخيول الجياد ، وقد خصص لسباقها اياماً قامت في البلاد مقام الاعياد

ولما كان خمارويه في دمشق سنة ٢٨٢ ﻫ (٨٩٦ م) قتلهُ بعض خدمهِ غيلةً في فراشهِ . فنقلت جثتهُ الى مصر ، ودفن في سفح المقطم ، الى جانب جثة ابيهِ احمد بن طولون . اما قتلتهُ فصلبوا على قوارع الطرق

وخلف خمارويه ابنهُ جيش ابو العساكر وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ ، ولا يدرك معنى الحكم ولا يفقه اهمية الولاية ، فانصرف عن الاهتمام بشؤون البلاد الى اللهو واللعب ، فاغتنم ابو طغج بن جف حاكم سورية هذه الفرصة للخروج عن طاعتهِ واقتدى بهِ غيرهُ من عمال الولايات التابعة لمصر فنبذوا حكم ذلك الصبي . وكان الاسراف الذي اقتضاهُ انغماسهُ في الملاهي افرغ خزينة البلاد ، فثار عليهِ الجند وخلعوهُ وتوفي في السجن على اثر خلعهِ وكان هو من قبل ذلك قد اوحش شراً من اعمامهِ واغتال ثلاثة منهم

باب الصناعة

نسج القطن في مصر

سيدي الفضال محرّر « المقتطف »

اتذكر اني اطلعتُ في احد اعداد « المقتطف » التي صدرت في هذه السنة على وعد منكم بالكلام التفصيلي على كيفية تنفيذ فكرة « نسج القطن في مصر » مبشرين القراء بانهُ غير مستحيل تحقيق الفكرة . وانَّ في تحقيقها خيراً عظيماً للقطر . هذا ما علق بذهني وأكاد أكون شبه متأكد من اطلاعي عليهِ في مجلتكم الغراء . ولولا ذلك لما بتُّ اترقب كل عدد من « المقتطف » بفارغ الصبر آملاً ان يكون فيهِ ما وعدتم بهِ . غير ان طول انتظاري جعل الملل يتسرَّب الى نفسي فاحببتُ ان اكتب لكم مذكّراً ومستفهماً . واستصوبتُ قبل ان ابدأ بالكتابة أن أراجع ما عندي من اعداد المقتطف وهي تربي على اثني عشر عدداً فادهشني اني لم اجد فيها اقل اثر لهذا الوعد الذي انسبهُ اليكم كما يشترك في نسبتهِ غيري من اصحابي الذين اطلعوا عليهِ في حينهِ

ولستُ ادري بعد هذا اذا كنتُ أنسب لكم ما لا أصل لهُ . او انَّ ذاكرتي تمثّل لها البعيدُ قريباً بمعنى انكم ذكرتم هذا الوعد منذ أكثر من سنة او سنتين وقمتم بوفائهِ في عدد لم اطلع عليهِ . وعلى كل حال أكون مديناً لكم اذا تفضلتم بارشادي الى الحقيقة . راجياً ان لا تخرج هذه الحقيقة عن احد شيئين وهما : اما انكم حقيقةً ذكرتم هذا الوعد وقد قمتم فعلاً بوفائهِ . واما انكم لم تنجزوهُ حتى الآن لكثرة مشاغلكم ولكنكم عازمون على ذلك قريباً

وكيفما كان الواقع فمثل مجلة « المقتطف » حرية بالمطالبة بطرق باب هذا البحث الاقتصادي العظيم . وبعدم اغفال امثالهِ من المباحث النافعة التي يمكن بواسطتها تنمية ثروة الامة واعدادها للاستقلال المالي سواء كانت تلك المباحث زراعية او صناعية او تجارية كما انها خليقة بان لا يعوزها البحث العملي أكثر من البحث النظري وان تكون القادة المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين في الامة . فلا تكتفي بتقديم الاقتراحات بل تعمل على شرحها شرحاً عمليًّا وافياً وتتوسع في ذلك كل التوسع حتى تقتل الهمم الضعيفة وتشجع الغيورين على

الاقدام على انفاذ المشروعات النافعة الكبيرة ما داموا يرون امامهم في « المقتطف » سوراً قوياً واساساً عملياً جديراً بالاعتماد عليهِ والثقة بقوتهِ وامانتهِ

والشيء بالشيء يذكر لعلكم سمعتم عن مشروع « الغرفة التجارية المصرية » واطلعتم على ما كتبتهُ بعض الصحف الاوربية بهذه المناسبة عن مستقبل مصر الاقتصادي . فلعلكم لا تحرمونا من كلام مستفيض في فوائد الغرف التجارية وان لا تبخلوا بشيء من نصائحكم السديدة في هذا الموضوع . وان تبينوا خلاصة احسن نظام وبرنامج للغرف التجارية الراقية لينتفع بذلك القائمون باصلاح حالة التجارة الوطنية المصرية كما ينتفع كثيرون من محبي الاستفادة

لا يخفى عليكم ان مجلتكم غير قاصرة على طبقة الخاصة وان طلبة العلم واهل الحرف الحرة من مشتركيكم يهمهم جداً ان يطلعوا على بياناتكم في كل موضوع جليل يدخل في دائرة مجلتكم لا بصورة تنبيه بل بصورة شرح وتفسير

هناك غير مشروع « الغرف التجارية » مشروع « النقابات الزراعية » ومشروع « النقابات الصناعية » على انواعها . ومشروع « مصرف وطني » وغير ذلك . وكلها تحتاج الى عناية كبرى منكم وبحث مستفيض حتى ينتفع الفرد العادي بالفائدة من كل ذلك . ولا أدل على تلك الفائدة من ان تبينوا تاريخ هذه الاعمال في الامم الراقية وما نشأ عنها من النعمة والثروة لها ببيانات وارقام مضبوطة . وان تعلقوا على ذلك آراءكم ونصائحكم . وغرضي من كل هذا ان تأخذ مجلة « المقتطف » وظيفة المعلم العملي بكل معنى الكلمة . (وهي ما لم توفها الحق الذي يليق بها للآن) بجانب وظيفة المعلم النظري التي لا شائبة من ان « المقتطف » قد وفاها اكثر من حقها

ثم اسمح لي يا سيدي ان ألاحظ ان القسم الزراعي والصناعي في مجلتكم ضئيل بالنسبة للقسم العلمي . واني لا انكر ان لكم اعذاراً وجيهة في ذلك ولكن ثقتي بالجدارة وتقديري للخدم العظيمة التي يقوم بها المقتطف يدفعني ان اقول انهُ آن لكم ان تحاولوا لاجل المصلحة العامة توسيع القسم الزراعي والصناعي وترقية تحريرهِ ولكم الحق الكامل بما للمقتطف من الايادي على الامة المصرية ان تطالبوا الحكومة علنياً بمساعدة مالية في سبيل ذلك . وان تطالبوا متعلمي الامة بفتح اكتتاب لهذا السبيل . ولا اقصد بهذا تبرعاً من الناس بلا مقابل (ولو حدث ذلك ما كان فيهِ مؤاخذة لان المقتطف اصبح اثراً تاريخياً في الامة ويجب صونهُ واجلالهُ . كما انهُ اصبح قوة من اعظم القوى الاصلاحية فيها ولذلك يجب العناية بتعهدها وتهذيبها وتنميتها) بل اقصد الاكتتاب على سبيل الاشتراك . والقيمة التي تدفع في المقتطف

لا تساوي عُشر فوائده ولذلك اعدّ من الخطل استعمالي لفظة « اكتتاب » في هذا المعنى

هذا موضوعٌ فرعي جنحتُ اليهِ رغبتي في ان يزداد نفع « المقتطف » وان يكون قوة فعَّالة في الامة . وحبذا لو عنيتم بذكر ما ترونهُ اصلح من الوسائل التي تؤدي الى تكبير حجمهِ وزيادة عدد مباحثهِ وتوسيع نطاق ابوابهِ الحالية . ليكون منهُ النفع المرغوب فيهِ . ثم اعود للموضوع الاصلي فارجو ان يجوز سوالي قبولكم . واذا لم ينل هذا القبول فلعمري لستُ ادري ايه صحيفة في مصر اقدر من « المقتطف » على درس علل الامة الاقتصادية . وشرح وسائل الاصلاح وقيادة الرأي العام المصري نحو الاستقلال المالي

لندن مصري

[المقتطف] نشكركم على حسن ظنكم بالمقتطف وقدرهِ هذا القدر واذا جرى كل اخوانكم طلبة العلم في اوربا مجراكم في الاهتمام بمصالح القطر المصري الحقيقية دون سواها لم تمر عليهِ عشر سنوات او عشرون سنة حتى ينال اكثر ما يبتغيهِ من الرقي الصحيح . ولو اطلعتم على الاثنين والاربعين مجلداً التي صدرت من المقتطف الى الآن لوجدتم اننا لم نترك باباً من الابواب التي اشرتم اليها الأوجناهُ غير مرة وتكلمنا فيهِ بالاسهاب تارةً بالحث والترغيب وطوراً بنشر الفصول المتوالية في كل ابواب الزراعة والصناعة حتى لقد التقط احد اصدقائنا من المقتطف كتاباً كبيراً في الصناعة طبعهُ ونشرهُ واكثر ما فيهِ منقول عن المجلدات العشر الاولى ولو جمعت الفصول الزراعية التي نشرناها لملأَت بضعة مجلدات وكثير منها ومن الفصول الصناعية عملي مبني على ما عملناهُ او جربناهُ بيدنا . وهاكم فصلاً مدارهُ الترغيب في الصناعة نشرناهُ منذ ٢٤ سنة

« افتتحنا السنة الثانية عشرة بمقالة موضوعها " مدارس الزراعة ومنافعها " شرحنا فيها احوال تلك المدارس في اوربا واميركا وما جناهُ الاوربيون والاميركيون من نفعها عسى ان نغري بعض القراء الكرام بالاقتداء بهم . وانَّا مستفتحون هذه السنة الرابعة عشرة بشرح وجيز لمصادر الصناعة ومواردها وتسابق الممالك في مضمارها عسى ان نغري اهل الوطن باقتفاء آثارهم فان التمثُّل بالكرام فلاحٌ . والحقائق حريةٌ بالذكر ولا بدَّ لها من نفع عاجلٍ او آجلٍ ولذلك لا نضنُّ على المقتطف بحقيقة نطلع عليها آملين ان نجد بين الالوف من قرَّائهِ من يصيخ اليها سمعاً فينتفع بها وينفع غيرهُ

« من يجل في اسواق المشرق ويتفحص البضائع التي فيها يجد اكثرها وارداً من اوربا واميركا . وما صنع منها في المشرق من مثل المراجل النحاسية والادوات الحديدية قد جلبت

موادهُ من أوربا ايضاً مسبوكةً مهيأةً . والحال الحاضرة طرأَت على البلاد من عهدٍ غير بعيد فقد عاش اجدادنا ولم يروا شيئاً من بضائع اوربا وعاش اجدادهم واسواق اوربا غاصةٌ بمصنوعاتهم والدهر في الناس قُلَّب

« ومن يلتفت الى اهتمام الاوربيين بالصناعة واناطة خدمتها برجال السياسة ورجال العلم وبذلهم النفس والنفيس في سبيل اتقانها وتوسيع نطاقها وترخيص ثمن المصنوعات وتسابقهم الى عرضها على تجار المشرق وامهالهم اياهم بالثمن اشهراً بل سنين واهتمام الدول نفسها بامر الصناعة والتجارة حتى كأنها لم توجد الا لترويج بضائع رعاياها ثم يلتفت الى اهمالنا نحن واحتقارنا للصناعة والصنّاع وابتعادنا عن كل ما يؤول الى اتقانها واتساع نطاقها وارتباطنا مع دول اوربا بمعاهدات دولية تقضي علينا بترويج بضائعهم وتكسيد بضائعنا — من يلتفت الى ذلك كلهِ يحكم انهُ قد قُضي علينا باهمال الصناعة ابد الدهر وانها لن تقوم لها قائمة عندنا ولكنَّ التسرُّع في الحكم اقرب الى الخطإِ منهُ الى الصواب فهلمَّ بنا ايها الباحث ننظر في تاريخ الصناعة الحديث عسانا ان نهتدي الى ما ينبئنا بمستقبلها في بلادنا

« قبل القرن التاسع عشر ومملكة فرنسا تازعة الدماء بإِزرة الصناعة وايطاليا والمانيا عاثرتا القوى مقطعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبهِ المتوالية وليس في اوربا كلها الاَّ بريطانيا العظمى ملكة البحار مستمرةٌ في جزائرها مستحميةٌ ببحارها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبَّارٍ لم تر مثلهُ العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة (اي من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٧٨) زاد الفحم الحجري المستخرج سنوياً من مناجمها من ١٠ ملايين طن الى ٣٨٠ مليون طن وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومُدَّ فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حدًّا لم تبلغهُ ثروة أُمةٍ أُخرى قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثني عشر مليونًا من الجنيهات . ولكنَّ ضعف فرنسا لم يكن لفيتها و بلادها من اخصب البلدان وشعبها من اشد الشعوب نشاطاً واكثرهم اقداماً فالتأمت جراحها حالاً وتقاطر عمالها الى معاملها فدبَّت صناعتها بعد سباتها وناظرت الانكليز في مصنوعات كثيرة . والآن تُقدَّر المصنوعات الصادرة من بلادها بقيمة نصف المصنوعات الصادرة من بلاد الانكليز . واقتفت المانيا خطواتها ولاسيما بعد الحرب الاخيرة وعززت الصناعة بالعلوم الطبيعية والكيماوية والهندسية وهي ممتازة بها على غيرها من الممالك فاستغنت عن مصنوعات الانكليز بل صارت مناظرةً لهم في اسواق المشرق لان معاملها ابتدأَت حيث انتهت معامل منشستر وليفربول بعد اختبار مئة عام . والآن دخلت روسيا في ميدان الصناعة

على جواد لا يعرف العثار وابتدأت في صناعتها حيث انتهت انكلترا والمانيا اي انها استخدمت احدث الآلات والادوات واكثرها اتقاناً . وفي عزمها ان تستغني عن بضائع انكلترا والمانيا وتكتفي بمصنوعات بلادها . واقتدت بها النمسا والمجر وايطاليا واسبانيا والهند والبرازيل والمكسيك . وكل هذه الممالك قد نهضت في هذه الايام ورحَّبت بالصناعة واحلتها على الكرام . وسبقتها الى ذلك الولايات المتحدة الاميركية فناظرت بمصنوعاتها ممالك اوربا كلها . وهاك تفصيل ذلك مبتدئين من مملكة الروس لانهُ كان يظن انها بلاد زراعية محضة لا يرتجى تقدم الصناعة فيها

« كان في بلاد روسيا الوسيعة وفي بولندا التابعة لها سنة ١٨٦١ نحو اربعة عشر الف معمل بين صغير وكبير وقيمة ما يصنع فيها في السنة ٢٩٦ مليون روبل فصار عدد المعامل بعد عشرين سنة ٣٥١٦٠ معملاً وقيمة ما تصنعهُ في السنة ١٣٠٥ ملايين روبل . ولم يزد عدد الصناع منذ سنة ١٨٧٩ الى الآن زيادة تذكر ولكنَّ مصنوعاتهم تضاعف مقدارها وهذا يدلُّك على اتقانهم الصناعة واستخدامهم احسن الآلات والاساليب الصناعية . هذا في المعامل الكبيرة واما المعامل الصغيرة المتعلقة بالزراعة فحدّث عنها ولا حرج لانها انتشرت في كل البلاد وصار عدد المشتغلين بها سبعة ملايين فاكثر وقيمة مصنوعاتهم في السنة اكثر من مئة وثمانين مليوناً من الجنيهات . وحول موسكو وحدها من المعامل الصغار ما يبلغ ثمن منسوجاتهم اربعة ملايين جنيه ونصف مليون في السنة . وحتى الآن لم تصر روسيا في غنى تام عن بضائع الانكليز والالمانيين ولكنَّ احتياجها اليهم يقلُّ سنة بعد أُخرى فقد كانت قيمة الوارد اليها من البضائع الانكليزية سنة ١٨٧٢ نحو ١٦ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات فهبطت سنة ١٨٨٤ الى ١٣ مليوناً ونصف مليون . والسبب الاكبر لتقدُّم الصناعة في روسيا انها وضعت مكوساً فاحشة على البضائع الاجنبية فاضطرَّ اصحاب المعامل الكبيرة من الانكليز والالمانيين ان يتركوا بلادهم ويأتوا بلادها ويجعلوا المعامل فيها تخلُّصاً من المكوس فتقدمت صناعة البلاد وقلَّ طلبها للبضائع الاجنبية . ويقال انهُ لو زالت الآن المكوس الفادحة واطلقت حرية التجارة ما كان ذلك ليضعف صناعة روسيا اذ قد رسخت قدمها في البلاد ومواردها كثيرة فيها وابواب الرزق واسعة والاجور رخيصة لانها بلاد زراعية ولا ترخص الاجور الا اذا كثر الطعام في البلاد ولا يشبع الفلاح الا من خير ارضهِ . ويقال انهُ اذا زاد المشتغلون بالصناعة ثلاثة اضعاف فالبقية كافية لزراعة البلاد

« وبلاد المانيا دخلت ميدان الصناعة منذ عهد حديث ولكنها تأهَّبت لهُ بالعلوم

والمعارف ففازت بالسبق في برهة وجيزة فانهُ لم يكن يرد الى بلادها منذ خمس وعشرين سنة سوى ٨٣٠ طن من القطن ولم يكن يصدر منها سوى ٨٣٠ طنًّا من النسج القطنية فبلغ الوارد اليها سنة ١٨٨٤ مئة وثمانين الف طن من القطن والصادر منها ٢٥ الف طن من النسج القطنية و ٢١ الف طن من النسج الصوفية . وكان عدد مغازل الكتان في اوربا سنة ١٨٨٤ مليونين وسبع مئة الف وفي المانيا وحدها ثلثمئة الف مغزل وفيها الآن ٨٧ الف نول لنسج الحرير وقيمة منسوجاتها الحريرية تسعة ملايين جنيه في السنة ولا يفوقها في هذه الصناعة الأ فرنسا . وقد انتشرت بضائع المانيا في الدنيا وناظرت بضائع انكلترا في كل الاسواق ولاسيما لانها ارخص من البضائع الانكليزية وناظرت بضائع فرنسا في اسواق فرنسا نفسها

« اما فرنسا فقد ملكت زمام تربية القز ونسج الحرير واشتهرت مدينة ليون بحل الحرير وصبغهِ ونسجهِ ثم ضُرب دونها بالضربة المعروفة فاضطرَّت ان تجلب الحرير المحلول من ايطاليا واسبانيا والنمسا وبر الاناضول وبر الشام وبلاد اليابان وكان الحرير الوارد اليها سنة ١٨٧٦ نحو احد عشر مليونًا من الارطال (المصرية) نسج كلهُ في مدينة ليون وما جاورها فاتقن الصناع نسجهُ ولكن لم تكن هذه الصناعة لتنحصر في ليون ولا في فرنسا فانشئت لها معامل كثيرة في المانيا وسويسرا وايطاليا وبعد ان كانت قيمة الصادر من منسوجات ليون ٤٦٠ مليونًا من الفرنكات صارت ٢٣٣ مليونًا . ويقال ان نصف المنسوجات الحريرية التي تستعمل الآن في فرنسا تجلب اليها من الخارج من ايطاليا وسويسرا ونحوها بل ان روسيا نفسها تكاد تستغني عن منسوجات فرنسا الحريرية لان معامل بلاد القوقاس تنسج حريرًا يفوق في رخصهِ حرير فرنسا وقد اشتدَّ الضيق على الحاكة في مدينة ليون سنة ١٨٨٤ حتى كادوا يموتون جوعًا لو لم تطعمهم الحامية من جرايتها

« وقد كانت قيمة واردات فرنسا سنة ١٨٨٦ نحو ٢٠٥ ملايين جنيه وقيمة صادراتها نحو ١٧٠ مليون جنيه وزيادة الوارد على الصادر دليل قاطع على انحطاط صناعة فرنسا عمَّا كانت عليهِ

« والصناعة في النمسا والمجر حديثة العهد ولكنها قد نجحت نجاحًا عظيمًا فبلغ مقدار مصنوعاتها سنويًّا مئة مليون جنيه وكل الآلات والادوات التي فيها من احدث ما اخترع واستنبط الى عهدنا هذا والمعامل مضاءة بالنور الكهربائي ومن ادلة تقدمها ان واردات البلاد بلغت منذ سنتين نحو ٥٤ مليون جنيه وصادراتها نحو ٩٧ مليون جنيه

« وايطاليا لم تحجم عن ميدان الصناعة بل ازجت جوادها بعزيمة الابطال — ومن اول اغراض رجالها ان تستقل بنفسها عن كل الممالك وتسترجع مجدها الاول . ومما يدل على تقدم الصناعة فيها في السنين الاخيرة انها استوردت من الفحم الحجري سنة ١٨٧١ اقل من ٧٨٠ الف طن وسنة ١٨٨٤ اكثر من مليونين وتسع مئة الف طن . وزادت المعادن المستخرجة من مناجمها في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف وصنعت من الفولاذ والآلات الحديدية ما ثمنهُ ثلاثة ملايين جنيه وكان الوارد اليها من القطن الشعر سنة ١٨٨ نحو ٢٩٠ الف قنطار فبلغ سنة ١٨٨٥ نحو ٦٠٠ الف قنطار وكان فيها مليون مغزل سنة ١٨٧٧ فبلغ عدد مغازلها سنة ١٨٨٥ مليونًا وثماني مئة الف

« وبرازيل البعيدة عن مركز التمدن كان المظنون عند علماء الاقتصاد انها ستبقى ابد الدهر مثل مصر تزرع القطن وتبعث بهِ الى اوربا وتجلب المنسوجات منها . ومنذ عشرين سنة كان فيها ثلاثة معامل صغيرة فيها ٣٨٥ مغزلاً اما الآن فقد صارت معاملها ٤٦ معملاً وفي خمسة من هذه المعامل اربعون الف مغزل . وينسج فيها كل سنة ثلاثة وثلاثون مليون يرد من المنسوجات القطنية

« ولندع بلاد المغرب عند هذا الحد لئلاَّ ندخل الولايات المتحدة بلاد الغرائب ولننتقل راجعين الى المشرق الى بلاد الهند التي كان الانكليز يعتمدون عليها في تجارتهم ولاسيما في بيع منسوجاتهم القطنية فانها كانت تبتاع منهم في السنة باكثر من عشرين مليون جنيه اما الآن فقد انشأت المعامل لنفسها ووسعتها فنسجت سنة ١٨٦٦ نحو ٢٣ مليون رطل من القطن الشعر ثم زاد ذلك رويدًا رويدًا حتى بلغ ما نسجتهُ سنة ١٨٨٦ مئة واربعة وثمانين مليون رطل وكان فيها اولاً نحو ٨٨٦ الف مغزل فصار فيها اكثر من مليونين وسبعة وثلاثين الف مغزل وكان فيها ٨٥٣٧ نولاً فصار فيها ٦١٥٩٦ نولاً . ولا مانع يمنعها عن مزاحمة كل ممالك اوربا في اسواق الدنيا الاَّ قلة راس المال فيها وقلة انتشار المعارف ولكن اغنياء الارض يرسلون اموالهم حيث تربح الارباح الطائلة والعلم لا وطن لهُ فينتشر في كل مكان تمدُّ لهُ فيهِ الوسائط واهل الهند من الحذق الطبيعي في الصناعة على جانب عظيم كما تشهد مصنوعاتهم كلها

« وسيرى ابناؤُنا مخازن العقود والبضائع الهندية منبثَّة في اسواق مصر والشام ان لم ينتبه القطران من غفلتها . نعم ان الزراعة قسمة القطر المصري ونعم القسمة ولولاها ما عاش فلاَّحهُ ولا استطاعت البلاد ان تقوم بحمل الدَّين الذي عليها ولكنَّ الصناعة يجب ان

لا تموت فيهِ لاسيما وان فروعاً كثيرة منها يمكن ان تنجح فيهِ وتغنيهُ عن غيرهِ . واما القطر السوري فالحديد والفحم الحجري كثيران فيهِ وهما عماد الصناعة وكذلك الحرير والزيت والعقاقير الطبية وفيهِ خلفاء الفينيقيين الذين عمت اسواق المسكونة بمصنوعاتهم واخترقت سفائنهم البحار الشاسعة وانهال المال عليهم انهيال السيل . ولو كان ام الارض في غفلة كما كانوا في العصور السالفة لهان علينا ان نسابق صناعهم وتجارهم اما وقد جعلوا اتقان الصناعة وتوسيع التجارة غرضهم الاول الذي يحشدون لهُ الجنود ويشنون لهُ البوارج فلن نجاريهم الاّ اذا جعلت الحكومة ذلك غرضها الاول وسعت اليهِ باسبابهِ وشأنها في ذلك شأن كل رجل حكيم يطلق منهُ ليربح الفاً

« هذا ويحق للمتطلع ان يقف وقفة من خير حال البلاد وعرف مطالبها مدة اربع عشرة سنة وقاسم صناعها البحث والتنقيب عن اساليب الصناعة ومكنوناتها ويشهد ان في البلاد عقولاً ذكية وهمماً علية وايادي لا تفتر عن عمل وصبراً لا يعرف الملل . ولكنّ الجواد يكبو حيث تكثر المعاثر والصارم ينبو عن دلاص المغافر . وقد علمت ان صناع اوربا واميركا وهم ارباب الصناعة وولاة امرها يستنجدون بحكوماتهم على تذليل الصعاب ورفع ما يحول دون ترويج بضائعهم من العقاب ولو بغزو الممالك واقتحام المهالك فلن نجاريهم بل لن نعيش في جوارهم ما لم تهبّ جميع عناصر الوطن وتواصل السهر بعين لا تعرف الوسن

وكيف تنام الطيرُ في وكناتها وقد نُصبت للفرقدين الحبائلُ

« وقد اخبرنا حضرة ناظر المعارف العمومية صاحب السعادة علي باشا مبارك انهُ اعدّ المعدات لمدرسة صناعية في مدينة المنصورة وفي نيتهِ ان يجعلها مقدمة لمدارس اخرى تنشأ على شاكلتها فحمدنا الخبر ورجونا عود الصناعة الى هذا القطر والعود احمد . ولكنّ ذلك لا يسدّ كل حاجة البلاد بل لا بدّ من تسهيل السبل ايضاً لاصحاب الاموال حتى ينشئوا المعامل كما أنشئ معمل تكرير السكّر في مصر ومعمل الورق في سورية فان المعمل من هذه المعامل يقوم بالوف من العملة العاملين فيهِ مباشرةً كالعاملين انفسهم او غير مباشرة كجالبي المواد الاصلية وناقلي المصنوعات وبائعيها . وانّا لعلى ثقة ان اولياء امورنا يأخذون بيد كل من يسعى في ادخال الصناعة الى البلاد فلا يحجمنّ احدٌ عن هذا المسعى المشكور ولا يتوقعنّ الاّ النجاح باذن الله وهو على كل شيء قدير » انتهى

هذا ما كتبناهُ منذ اربع وعشرين سنة . اما صناعة غزل القطن ونسجهِ فغير ممنوعة في القطر

المصري الآن ولكنها مقيدة اذا كانت في معامل كبيرة بدفع رسم يساوي رسم الجمرك على المغزولات والمنسوجات الواردة من الخارج لسبب سياسي لا محل للبحث فيهِ في المقتطف . ولكن لو زال هذا القيد أكنا نشير بانشاء المعامل الكبيرة لغزل القطن ونسجهِ : هذه مسألة فيها نظر . ونقول من باب تجاري انهُ لو رُفع هذا القيد وانشأ احد الوطنيين او غيرهم معملاً للغزل والنسج في مصر وجعل رأس مالهِ اسهماً وعرضها للبيع لم نشترِ سهماً منها لعلمنا ان الربح من رأس المال لا يساوي نصف عرش والمرجح انهُ لا يربح شيئاً. واسباب ذلك كثيرة بعضها كان معروفاً من قبلُ وبعضها لم يكن معروفاً. فمن الاسباب المعروفة اولاً ان القطن المصري عالي الثمن فلا تصنع منهُ الاَّ المصنوعات العالية وهذه لا سوق لها في القطر المصري ولا يحتمل انهُ يستعمل منها فيهِ في السنة ما ثمنهُ مئتا الف جنيه نصفها مصانعة ونصفها ثمن قطن فكل ما يستعمل فيها من القطن المصري عشرون الف قنطار وهي ليست شيئاً مذكوراً في بلاد يزيد موسمها او ينقص مليون قنطار في السنة الواحدة

ثانياً اذا كثرت المعامل وكثرت منسوجاتها يتعذر علينا ان نناظر منسوجات انكلترا في اسواق الهند مثلاً او في اسواق اوربا واميركا لان ليس عندنا سفن تجارية تنقل بضائعنا، ونقلها بالسفن الاوربية يكلفنا اكثر مما يكلف الانكليز نقل بضائعهم فتعود منسوجاتنا علينا بالخسارة

ثالثاً ان انشاء المعامل الكبيرة يقتضي رأس مال كبيراً ولا بدَّ من جلب رأس المال من اوربا واما ان نستدينهُ نحن ونستعملهُ او يقدمهُ الاوربيون ويبتاعون اسهم المعامل بهِ فاذا جاءت هذه المعامل بربح لا بخسارة ربحها الذين قدَّموا رأس المال

رابعاً ان اربح معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا لا يزيد ربحهُ لاصحاب رأس المال على ستة في المئة ونحن اذا استدنا المال لانشاء هذه المعامل وبلغ ربحها اعظم ما يبلغهُ في اوربا واميركا بعد دفع ضريبة الجمرك لم يزد على الربا الذي ندفعهُ للذين نستدين منهم المال هذا اذا ربحنا شيئاً

خامساً انهُ يستحيل ادارة المعامل من غير قوة مائية او بخارية والقوتان معدومتان في القطر المصري حيث يحتمل اقامة معامل الغزل والنسج وجلب الفحم الحجري من اوربا يذهب باكثر الربح

سادساً ان العمال الذين يعملون في المعامل لا يكتسبون منها الاَّ القوت الضروري والغالب ان اصحاب المعامل يقيمون لهم دكاكين الى جانب المعامل فيها مواد الطعام والشراب

والناس فالذي يأخذه العامل من المعمل اجرة يعطيه لاصحاب هذه الدكاكين فيعيش ليعمل ويعمل ليعيش من يده الى فيه . وعمال المعامل اسوأ الناس حالاً لان الواحد منهم لا يتقن الاَّ فرعاً واحداً من العمل فلا يستطيع ان يستقل به كالعامل الصغير الذي يعمل في بيته او دكانه

هذه الامور او العقبات كنا نعلها قبلاً فلا نشجع على انشاء معامل الغزل والنسج الا لترويج فرق الجمرك ثم ظهرت عقبة اخرى كؤود كان لها اليد الطولى في ابطال معمل الغزل والنسج الذي انشئ في القاهرة فوق ضريبة الجمرك وهي جفاف الهواء وتولد الكهربائية بكثرة بين الياف القطن فيدفع بعضها بعضاً لانها مكهربة من نوع واحد وتتطاير في المعمل فتثقل ايادي العمال وتسد انفاسهم فاضطر مديرو المعمل ان يطلقوا البخار فيه دواماً لترطيب هوائه وتقليل تولد الكهربائية فيه فلم يفلحوا على ما بلغنا واخيراً افلس المعمل وخسر المشتركون فيه اموالهم ونحن منهم

ولا نذكر اننا كتبنا شيئاً في المقتطف عن زوال القيد المشار اليه آنفاً ولا نحن من المستحسنين له ولا هو بالشيء الوحيد في روابط القطر المصري السياسية التي لا نستحسنها بل نود الغاءها عاجلاً او آجلاً

اما غزل القطن ونسجهُ في المعامل الصغيرة كما في المحلة الكبرى فلا لنا عليه وهو صناعة قديمة في القطر المصري ويجب ان تنشط بكل واسطة ممكنة هي ونسج الصوف والحرير وكل الصنائع البيتية او التي يعملها عمال مستقلون وتحتاج البلاد اليها وتغنيها عن المصنوعات الاجنبية واذا زاد منها شيء وارسل الى البلاد المجاورة كسورية والسودان فبها ونعمت . ويظهر لنا ان البلاد سائرة في هذا السبيل ولو ببطء

اما تكبير المقتطف حتى يسع كل ما يراد نشره من المواضيع الاقتصادية التي اشرتم اليها فنحن نفكر فيه الآن فاما ان نقدم عليه في السنة المقبلة او التي بعدها ولا يؤخرنا عنه الآن الاَّ قلة وجود الكتّاب الذين تفي كتاباتهم بالمراد . لان من اكبر العقبات عندنا ان الذين يحسنون الكتابة في المواضيع الاقتصادية قلما يحسنون الانشاء العربي او الكتابة التي لا تنبو عنها آذان المتعلمين . والذين يحسنون الانشاء قلما يستطيعون الكتابة في هذه المواضيع . ونرجو ان يقوم منكم ومن امثالكم من يتناول منا القلم الذي مرَّ عليه في يدنا اكثر من اربعين سنة قبل ان يحم الاجل فيسقط من نفسه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثانية

في السموم المرضية

السموم المرضية نوعان الاول ما يتولد داخل الجسم والثاني ما يأتيه من الخارج

فسموم النوع الاول هي الفضلات الغذائية التي يحول دون افرازها عن طريق الكليتين عائق في وظيفتهما فتجتمع في الدم وتسم البنية كما يحدث في التسمم البولي

والسموم التي تأتي من الخارج هي المواد الكيماوية البسيطة او المركبة المعدنية او الآلية من اصل حيواني او نباتي وهي كثيرة لا محل لتفصيلها هنا فنقتصر على السموم التي يتعرض لها الانسان كثيراً او يتعاطاها بكثرة وهو يجهل فعلها

لكل سم فعل خصوصي ولكل جسم استعداد خصوصي او قابلية خصوصية للتأثر يجب الانتباه لها لان اهميتها لا تقل عن اهمية فعل السم فمن الناس من لا يستطيع احتمال اقل جرعة من الكحول ومنهم من يشربهُ بكميات كبيرة . واعرف بعضاً لا يحتمل اقل جرعة من يودور البوتاسيوم ويُسَمّ بجرعة خمسة سنتغرامات منهُ واعرف ايضاً عائلة لا تحتمل اقل جرعة من الكينا وبعض السنتغرامات منها تسبب لافرادها ازفة دموية مختلفة . وبعض الاشخاص يتسمم من اكلة سمك او من اكل بعض الثمار او من اكل البيض . وهذا مما يوجب الانتباه لتعيين المسلك الذي يجب ان يسلكهُ صاحب الاستعداد الخصوصي

كل ما يدخل جوف الانسان يكون غذاء او دواء او سماً على درجة محدودة وظروف خصوصية اذا لم تراعَ تحولت في فعلها من الواحد الى الآخر لان تسميتها نسبية وفعلها ايضاً نسبي . فالغذاء لا يكون غذاء الا اذا أُخذ بالقدر اللازم لحاجة الطبيعة ليقوم بتعويض القوة التي فقدت بقضاء وظائف الاعضاء فاذا أُخذ بافراط او فاسداً او في غير الوقت المناسب اصبح سماً وكان داعياً للمرض . واذا قضت الظروف بتعيين غذاء خصوصي دون غيره من بقية الاغذية كاللبن في مرض البول الزلالي وخبز النخالة (السن) في البول السكري وكطعام

المرضى والناقهين من المرض اصبح التذاذه دواء . والعقار اذا اخذ بالجرعة القانونية وبالوقت الموافق كان دواء للشفاء واذا اعطي لاصلاح البنية كالحديد في فقر الدم وزيت السمك في الهزال اصبح غذاء واذا زادت جرعته عن الحد القانوني او استعمل في ظروف غير موافقة اصبح سماً ومثلها السم فهو سم وغذاء ودواء في ظروف شبيهة بما ذكر . وهذا ما يجب اعتباره والانتباه له لان السم ليس فقط ما يؤخذ بطريقة السهو او التعدي او الانتحار بل هو كل مادة من المواد التي يستعملها الانسان في غذائه وشرابه وكان استعماله لها لا يتفق مع الغاية الموضوعة لها

اذا راعينا هذا المبدأ وجدنا ان السموم التي يعرض لها الانسان كثيرة وهو يتسمم بها جهلاً او بعدم انتباه لان الشراهة في الطعام والاطعمة الفاسدة والمشروبات المغشوشة هي سموم مرضية واسباب لامراض كثيرة كان اجتنابها ممكناً لو روعيت فيها الظروف الصحية . ومثل ذلك يقال عن المشروبات الروحية والتدخين واستنشاق الهواء الفاسد في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام وعدم ترتيب المعيشة والعادات السيئة الخ

والسم يدخل الجسم من طريق المعدة او الرئتين او الجلد . اما في المعدة فيتنوع فعله بحسب كونها فارغة او ملآنة فاذا كانت فارغة امتصه غشاؤها الخاطي بسهولة واذا كانت ملآنة امتزج بالطعام الذي فيها فيقل فعل الامتصاص وربما يتغير تركيبه الكيماوي بامتزاجه بحامض المعدة فيضعف فعله السمي الا ان بعض السموم يزيد فعلها بهذا الامتزاج

اما الرئتان فتمتصان من السموم الغازات والابخرة السامة كاكسيد الكربون وهيدروكربونات الامونياك وغاز المراحيض الخ

واما الجلد فهو حاجز مانع للمواد غير الكاوية ولكن اذا سحجت البشرة ولامس السم نسيج الأدمة فانها تمتصه بسرعة تختلف بين كثرة وقلة

وفعل السم اما ان يكون حاداً وسريعاً فيميت في وقت قصير او بطيئاً ومزمناً فيحدث انحرافاً في الانسجة كالانحرافات العصبية والحشوية وتمتاز بعض السموم بالميل الى استمرار استعمالها واحتمال جرعات كبيرة منها بحيث تصبح كغذاء لازم للجسم لان قطعها فجأة يحدث عوارض ثقيلة ومميتة ومن امثلتها الكحول والمورفين فان مدمن الكحول يصاب بارتجاف الاطراف ويشعر به كل صباح ويزول موقتاً بعد ان يتناول كية من المشروب الذي اعتاد عليه وهذا ما تسميه العامة كسر الخمرة . ومدمن المورفين يصاب بدوار وقيء واسهال وتهيج عصبي يقرب من الجنون فتزول بعد اخذ الكمية المعتادة من المورفين

ويحصل التسمم غالباً من عدم الانتباه او الوهم او ضعف الارادة او الشراهة . مثل

الانسان ان يكون شديد الانتباه وقوي الارادة ومعتدلاً فيتقي بذلك شرًّا يدفعهُ الى الموت عاجلاً او آجلاً

لا محل هنا للكلام على انواع السموم وشرح اعراضها وكيفية علاجها لان ذلك من مباحث الكتب الطبية الخاصة . وغايتنا في هذه المسامرات التنبيه الى ما يجب على الانسان ان يسير عليهِ في اعمالهِ اليومية والاقتصار في الكلام على بعض السموم التي يتناولها كل يوم وهو لا ينتبه لها او كان لهُ منها بعض اللذة الوقتية وهي تقطع كل يوم وصلاً من اوصال حياتهِ كالمشروبات الروحية واستعمال الحشيش والافيون واستنشاق الهواء الفاسد

الدكتور أمين ابو خاطر

النظافة والفساد

رأينا بالامس ديكاً روميا ذبح ونظف وعلق في مجرى الهواء وترك الى اليوم التالي ليطبخ فيهِ ولما طبخ ظهر ان لحمهُ قد فسد ابتدأ الفساد في ساقيهِ فافسد كل لحمهِ الاحمر واما لحم صدرهِ الابيض فلم يكن الفساد قد تطرق اليهِ . وحار الطباخ في امرهِ وعرض المسألة علينا فقلنا لهُ لعلك علقتهُ بكلاب من حديد فقال نعم فقلنا والظاهر انك تعلق اللحم دائمًا بهذا الكلاب فقال نعم . فاجبنا لهُ ان اثر اللحم الذي يبقى لاصقاً بالكلاب يجتمع عليهِ ميكروب الفساد من الهواء وينمو فيهِ فيصير بؤرة للفساد حتى اذا علق لحم جديد بهِ اتصل ميكروب الفساد اليهِ حالاً وعاش فيهِ وافسدهُ وهذا سر ظهور الفساد في ساقي الديك وقلنا لهُ يجب ان تحمي هذا الكلاب بالنار قبلما تعلق بهِ لحمًا ففعل حسب وصيتنا ولم يفسد اللحم بعد من تعليقهِ بهِ لان احماء الحديد بالنار يميت كل ما يمكن ان يكون عالقاً بهِ من ميكروبات الفساد

هذا والهباء الذي يكون متطايرًا في الهواء قلما يكون خاليًا من ميكروبات الفساد ونحوها من الميكروبات الضارة او النافعة . ولا يخلو الهواء من الهباء ولو لم نرهُ فيهِ ولاسيما في المدن المزدحمة والاماكن الكثيرة الرياح والمواد الآلية الفاسدة . نظف لوحًا من الزجاج وابسطهُ امامك فلا تمر عشر دقائق حتى ترى سطحهُ قد تغطى بالهباء والغبار . ويسهل عليك ان ترى الهباء في هواء غرفتك اذا اقفلت بابها وشبابيكها وتركت فيها جزءًا مفتوحًا من الشباك المتجه الى الشمس حتى يدخل شعاع الشمس منهُ فانك ترى في حبل النور الداخل الى الغرفة ما لا يحصى من دقائق الهباء واذا صفقت كفًا على كف قرب حبل النور رأيت دقائق الهباء قد زادت فيهِ زيادة كبيرة جدًا بما تطاير اليهِ من كفيك

وذرات الهباء التي في الهواء مختلفة الانواع بعضها من المواد الجمادية كدقائق الرمل والملح والتراب وبعضها من المواد الآلية كبزور بعض النباتات وحثالة اوراقها واجزاء الحشرات والميكروبات ونحوها

واذا جمع مقدار من الغبار والهباء وحرق بالنار احترقت منهُ المواد الآلية واما المواد غير الآلية فلا تحترق . ويظهر بهذا الامتحان البسيط ان نصف الهباء مواد آلية والنصف الآخر مواد غير آلية وجانب كبير من المواد الآلية جراثيم او بزور تسبب الاختمار او المرض والموت

تترك اللبن مكشوفاً للهواء فلا يمضي عليهِ يوم او يومان حتى يختمر ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الاختمار والفساد من الهواء ولو اغليتهُ وعقمتهُ قبل ذلك . وتترك اللحم مكشوفاً فينتن ويفسد بما يقع عليهِ من جراثيم الفساد اي ميكروبات الفساد . وتترك الطعام المطبوخ يوماً او يومين فيحمض او ينتن ويفسد والسبب في ذلك ما يقع فيهِ من جراثيم الفساد . ولكن اذا اغليت اللبن ووضعتهُ في اناء زجاجي نظيف وسددتهُ سدّاً محكماً بسدادة نظيفة فانهُ لا يحمض ولا يفسد ولو مرَّت عليهِ الشهور والاعوام . وقس على ذلك اللحم والطعام المطبوخ وكل ما يمكن ان يفسد فانهُ لا يفسد اذا نُزعت منهُ جراثيم الفساد ثم مُنعت من الوصول اليهِ . وكذلك اذا وضع اللحم والطعام في الصحراء النقية الهواء الخالية من جراثيم الفساد فانهما يجفان ولا يفسدان ولو مرَّت عليهما الاعوام

وقد اعتاد الناس من قديم الزمان ان ينظفوا بيوتهم من الغبار والهباء بالكنس الا ان المكانس لا تزيل كل الغبار بل تثير بعضهُ في الهواء

ماريا ادجورث

هي كاتبة ارلندية كثيرة الروايات الادبية ولدت في بداءة سنة ١٧٦٧ وظهرت عليها مخايل النجابة في حداثتها فانتبه لها ابوها وكان من كبار الكتَّاب والعلماء وطلب منها وهي في المدرسة وعمرها ١٣ سنة ان تكتب لهُ قصة صغيرة موضوعها الكرم وترسلها اليهِ في اليوم التالي ليوم وصول كتابهِ اليها فكتبت القصة وارسلتها اليهِ فاستحسنها جدّاً . ثم طلب منها ان تترجم لهُ قصة مدام ده جنلي « ادل وثيودور » فترجمت مجلداً منها وقبل ان تترجم المجلد الثاني ظهرت ترجمة هلكرفت فاضطرت ان تعدل عن اتمامها

وتوفيت امها سنة ١٧٧٣ فتزوج ابوها باخرى تلك السنة فتوفيت سنة ١٧٨٠ فتزوج

باختها فتوفيت سنة ١٧٩٧ فتزوج رابعةً بفتاة اصغر من امتهِ وولد لهُ من نسائهِ ١٩ ولداً فاعتنى بتربيتهم على المبادىء العلمية وجعلها شغلهُ الشاغل ودرسهُ المتواصل . وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة تساعدهُ في ذلك وتكتب لهُ ما تراهُ من تأثير التربية في اخوتها واخواتها وكيفية ظهور الاخلاق المختلفة فيهم ودرجات نموها فألّف كتباً في هذا الموضوع شاركتهُ في تأليفها . ولما عزم على التزوج بامرأتهِ الاخيرة كتب الى الدكتور داروين يقول « لقد عزمتُ ان اقترن بفتاة قليلة المال كثيرة الكمال صغيرة السن (بالنسبة اليَّ لانها لم تناهز الثلاثين) كبيرة العقل على جانب من الجمال وقدر طائل من الرزانة احببتها انا ورضي بها اولادي فاذا استطعت ان اقول مثل هذا القول بعد ثلاث سنوات فيكون السعد قد خدمني ان لم اقل اني حكيم » ولقد كان حكيماً بعمل حسب ما يعلم فعاش مع هذه الزوجة بقية عمرهِ على تمام الوفاق ولما توفي عاشت مع ابنتهِ بقية عمرها

وكانت ابنتهُ صاحبة الترجمة قد اشتهرت بين ارباب الانشاء فانها الفت بالاشتراك معهُ كتاب التعليم العملي في مجلدين نشر سنة ١٧٩٨ والفت روايات كثيرة وحدها بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٨١٧ ووصفت في رواياتها احوال اهالي ارلندا كبارهم وصغارهم اغنيائهم وفقرائهم وصفاً بديعاً يضيق مسافة الخلف بينهم وبين اهالي انكلترا حتى قال السر ولتر سكوت المؤلف الشهير « ان هذه الروايات عرَّفت الانكليز باخلاق الارلنديين وارتهم ما في قلوبهم من الدعة وفي نفوسهم من مكارم الاخلاق حتى يصح لنا ان نقول انها ساعدت على اتحاد الامتين اكثر من كل القوانين والشرائع التي سنتها الحكومة لذلك . ولقد حاولتُ ان اقتدي بها واصف بلادي اسكتلندا كما وصفت هي بلادها ارلندا ولكن هيهات ان يدرك الظالع شأو الضليع لانني لا ادعي ان ابلغ مبلغها في ما وصفت رواياتها بهِ من حسن المعاشرة وشرف العواطف وسلامة الانشاء »

وقال ترجنيف المؤلف الروسي المشهور « اني تلميذ ماريا ادجورث في صناعة الانشاء ومن المحتمل بل المرجح انهُ لو لم تكتب هي عن اهالي ارلندا لما خطر لي ان اكتب مثلها عن اهالي روسيا »

وسنة ١٨٠٢ ساحت مع ابيها في اوربا وزارت بلجكا وفرنسا ولقيت مدام ركاميه ومدام ده جنلي وعادت من هذه السياحة وقد امتلأت جعبتها بنوادر الاخبار فكتبت الرواية بعد الرواية واقبل الناس على قراءة رواياتها ايَّ اقبال . ثم زارت لندن مع ابيها سنة ١٨١٣ ولقيهما لورد بيرون حينئذٍ فقال عن ابيها انهُ شيخ في السبعين ولكن لا يظهر عليهِ

انهُ ناهز الخمسين ولا الثاني والاربعين احمر الوجه كثير الحركة طويل الحديث عالي الصوت » وقال عن ابنته صاحبة الترجمة « انها صغيرة القد بعيدة عن الدعوى حديثها عادي » مثلها لا يظن سامعها انها تستطيع كتابة اسمها واما ابوها فيتكلم كمن يحسب انهُ ما من شيء يستحق الكتابة غير اسمهِ »

وتوفي ابوها سنة ١٨١٧ فلم تنقطع عن التأليف وزارت السر ولتر سكوت سنة ١٨٢٣ فردَّ لها الزيارة في ارلندا سنة ١٨٢٥ والّفت آخر رواية من رواياتها سنة ١٨٤٧ وعمرها ثمانون سنة ومرضت فجأة بعد سنتين وتوفيت بعد بضع ساعات

ورواياتها ترمي الى غرض واحد وهو تخفيف متاعب الحياة واصلاح طرق المعيشة وبث اسباب السرور والرضى في النفوس

الطبخ بالكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية تستعمل الآن لتدفئة البيوت بحرارتها ولتبريدها بادارة المراوح الكهربائية كما تستعمل لانارتها بنورها وقد استعملت ايضاً لطبخ الطعام كما استعملت للتدفئة. واول شيء يخطر على البال هو هل تكون نفقات الطبخ بها مثل نفقات الطبخ على نار الحطب ونار الفحم او اكثر او اقل

وقد قرأ الاستاذ مورس مقالة في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني موضوعها الطبخ بالكهربائية بيَّن فيها النفقات اللازمة لذلك فقال

اذا استعمل الفرن الكهربائي الذي اتقن حديثاً قلَّت النفقة جدًّا فاذا كان في بيت خمسة او ستة واريد اعداد الطعام لهم يومياً في فرن كهربائي بلغ متوسط ثمن الكهربائية التي تنفق كل يوم نحو غرشين (او ٤٨٧ بنساً كل مئة يوم) واذا استعمل هذا الفرن لتسخين المياه اللازمة للبيت وحمامهِ بلغت النفقة ثلاثة غروش وثلاثة ارباع الغرش في اليوم

ولكن هذا حيث الكهربائية رخيصة كما في بلاد الانكليز لانهُ حسب ثمن الكهربائية التي تستعمل للاضاءة في ذلك البيت غرشاً وثلث غرش في الاسبوع وهي عندنا في القاهرة لا تقل عن عشرين غرشاً الى خمسين غرشاً في الاسبوع ولا امل بترخيصها ما دامت شركات الكهربائية مستبدة في اسعارها فتأخذ ثمن المقدار الواحد من الكهربائية اكثر من عشرة اضعاف ثمنهِ في البلاد الاخرى

البيض المزدوج

البيض المزدوج اي ذو المحين نادر ولكن قلَّ من لم يرَ بيضة منهُ واذا استعمل للتفريخ فالغالب ان يخرج منهُ فرخ باربع ارجل او نحو ذلك . وسبب وجود محين في البيضة الواحدة ان مبيض الدجاجة يجي محين في وقت واحد لشدة تهيجهِ بكثرة الطعام او نحوهِ فيدفعها الى حيث تتكون القشرة عليها فيكون من ذلك بيضة ذات محين وهي تمتاز بطولها

بيضة داخل بيضة

يحدث احياناً ان توجد بيضة داخل بيضة ولكن لا يكون للبيضة الداخلية زلال وسبب تكونها انها تندفع من المبيض الى القناة التي يتكون فيها الزلال والقشرة . والقناة تتقلص عادة وراءها ولكن في هذه الحالة تتقلص امامها وتعيدها الى المبيض فيجتمع حولها مح بيضة اخرى وتخرج الاثنتان معاً الى القناة حيث يتكون حولها البياض والقشر . وتقلص القناة كذلك سببهُ كثرة طعام الدجاجة او وجود مواد حريفة في طعامها

البيض الصغير الخالي من المح

تبيض الدجاجة احياناً بيضة صغيرة كبيضة الحمامة او اصغر والغالب انها آخر بيضة من بيضها في فصل البيض . وهذه البيضة لا تتكون في المبيض لان ليس فيها مح بل في قناة المبيض حيث يتكون بياض البيض وقشرهُ

فوائد منزلية

زيت اليوكالبتوس يزيل لطخ زيت الزيتون عن الثياب

اذا رش قليل من روح التربنتينا في الصناديق والدروج التي فيها ثياب صوفية منع العث من الوصول اليها . ويشترط ان يكرر رشهُ كل ثلاثة اشهر

اذا جمع قشر البرتقال وجفف فهو شعلة من اجود انواع الوقود

زيت اللوز يفيد الشعر الجاف لانهُ يلينهُ ويغذي اصولهُ ويجملهُ لاسما جميل المنظر

خير دواء لتقليل السمن تقليل الاكل ولكن لابدَّ من التدرُّج في ذلك تدريجاً

باب الزراعة

التفريخ في مصر

لقد كان من رأينا دائماً ان الاساليب الزراعية الجارية في القطر المصري اذا اتقنها اصحابها فهي من خير الاساليب الزراعية فالقمح يبلغ محصول فدانه ثمانية ارادب الى عشرة . وقد قال الاستاذ وود رئيس قسم الزراعة في مجمع تقدم العلوم البريطاني بانهم انتقوا نوعاً من القمح واصلوه فبلغ محصول الفدان منه في بلاد الانكليز ار صين بشلاً او نحو سبعة ارادب وثلث اردب . ومحصول فدان الذرة يبلغ عندنا احياناً ٢٥ اردباً وهو مما جاد عندهم لا يبلغ ٢٠ اردباً وفدان القطن يبلغ محصوله ١٢ قنطاراً كبيراً وليس لذلك مثيل في بلاد اخرى . ولكن بينما تجد فلاحاً يتقن خدمة ارضه حتى تغل هذه الغلة تجد جاره يهملها او يسيء خدمتها فلا يزيد محصول الفدان منها على اردبين من القمح او اردبين من الذرة او قنطار من القطن . ولو شاعت الخدمة الجيدة في القطر كله من حيث الحرث والزرع والري والتسميد لتضاعفت المحصولات كلها

هذا وقد وقف المستر كدمن في مجمع تقدم العلوم البريطاني بالامس وشهد ان طريقة تفريخ البيض الجارية في القطر المصري منذ خمسة آلاف سنة هي افضل من الطريقة العلمية المتبعة في اوربا الآن والتي ارادت مصلحة الزراعة ان تدخلها الى القطر المصري . والطريقة المصرية معروفة وهي ان يوضع البيض في غرفة كبيرة على طبقة من التبن و يوقد حوله التبن والجلة حتى تزيد حرارة الغرفة زيادة كافية لنمو الفراخ داخل البيض . ويقلب البيض من وقت الى آخر الى ان تخرج الفراخ منه وقد وصف المستر كدمن هذه الطريقة المصرية فقال

« ان المصريين اشتهروا من قديم الزمان بتفريخ البيض ولا يزالون يفرخونه بمقادير كبيرة وهم يتوارثون هذه الصناعة خلفاً عن سلف ولذلك هي خاصة ببيوت مخصوصة واصحاب المفارخ لا يفشون معارفهم لغيرهم فيجهلها الجمهور ولذلك شاع عند الفلاحين ان الذين يفرخون البيض يخلعون ثيابهم و يرخمون عليه كالدجاجة الرقاد لينقف بحرارة ابدانهم . والظاهر ان هذه الطريقة قديمة وقد اشار اليها الامبراطور ادريانوس حيث قال « ان المصريين يفرخون البيض على طريقة اجمل من وصفها »

ثم وصف المستر كدمن المفارخ فقال « ان الوقود الذي يوقد لتدفئة البيض مصنوع من التبن وروث البهائم وان النساء يصنعنهُ اقراصاً ويجففنهُ في الشمس وهو يحترق ببطء ولا ينطفئ من نفسه ولا يلزم لكل فرن من الافران التي تحمي بها المفارخ الأ القليل من هذا الوقود · ويفرخ البيض في المفارخ مدة اربعة اشهر او خمسة من السنة في الشتاء والربيع وتحمى الافران قبل وضع البيض باسبوع او عشرة ايام ويكون في كل مفرخ نحو سبعة آلاف بيضة ليفرخ ثلثها او اكثر فهي افضل كل وسائل التفريخ من هذا القبيل · ويظهر من تعداد السكان سنة ١٩١١ انهُ كان في القطر المصري تلك السنة ١٢٠٥ مفرخاً فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يستعمل عشرة افران مدة اربعة اشهر فيكون عدد البيض الذي يستعمل للتفريخ في القطر المصري في السنة ١٨٥ مليون بيضة يفرخ منها ١٢٠ مليوناً ويندر جداً ان تجد في القطر المصري دجاجة رقناء كأن دجاج القطر المصري فقد سليقة حضن البيض بسبب الاعتماد على التفريخ الصناعي » · ثم قال ان مصلحة الزراعة استشارتهُ في العام الماضي في ادخال المحاضن الاوربية واستعمالها في القطر المصري كلهِ فاشار لهُ ان يبحث اصلية المحاضن المصرية على المحاضن الاوربية الأحيث يراد الامتحان لتأصيل انواع الفراخ · ومن رأيهِ ان اقتباس الاسلوب المصري للتفريخ في اوربا يأتي بربح كبير

موسم القطن الماضي

يحسب موسم القطن المصري انهُ يبتدئ في ١ سبتمبر وينتهي في ٣١ اغسطس من السنة التالية سواء ورد كلهُ الى الاسكندرية في هذه المدة او بقيت منهُ بقية وسواء صدر كلهُ من الاسكندرية او لم يصدر فما بقي في الارياف من الموسم الواحد بعد ٣١ اغسطس يحسب من الموسم التالي

والذي يرد الى الاسكندرية يومياً من الموسم الواحد لا يوزن وزناً مدققاً فلا يعلم مقدار الوارد تماماً الأ في آخر السنة حين يعلم مقدار الصادر بالضبط ومقدار الباقي وعليهِ

فقد كان الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي	٧٥٣٢٦٣	قنطاراً
والى بورت سعيد والاسمعيلية والسويس	٤٦	«
وورد الى الاسكندرية بحراً من بورت سودان وآسيا الصغرى	٢٤٤	«
وكان في الاسكندرية في ١ سبتمبر سنة ١٩١٢	٣٥٠٠٠٠	«
والجملة	٧٨٨٢٩٢٠	«

وصدر من الاسكندرية في غضون السنة	٧٣٦٧ ٥٩٦ قنطاراً
ومن بورت سودان	٤٦ «
واستعمل في معمل الغزل في الاسكندرية	١٧ ٧٧٨ «
واحترق فيها ثلاث حرائق	٦ ٥٠٠ «
وبقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس الماضي	٤٩١ ٠٠٠ «
والجملة	٨ ٨٨٢ ٩٢٠ «

وعليه فالوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي بلغ ٦٧٦ ٥٣٢ ٧ قنطاراً كما تقدم او اكثر من سبعة ملايين ونصف مليون قنطار

تعليل ضرر الضباب

وفعل الحر والبرد بالمزروعات

المشهور ان الضباب (الشابورة) الذي يتكوَّن في الصباح يضرُّ المزروعات ولعلَّ ذلك صحيح ويمكن تعليلهُ هكذا :—

يبرد الهواء كثيراً في الليل في القطر المصري ولا سيما في الجهات الجنوبية من القاهرة فصاعداً فتحتمل المزروعات هذا البرد لانهُ يحدث رويداً رويداً بعد غياب الشمس . وفي الصباح تشرق الشمس مخترقة الاشعة فتكون حرارتها قليلة وتزيد رويداً رويداً بارتفاعها في قبة السماء فيشتد الحر رويداً رويداً ولا تتأثر المزروعات بذلك لان اشتدادهُ لا يفاجئها مفاجأة . ولكن اذا اصبحنا فوجدنا الضباب يحجب الشمس وبقي حاجباً لها الى ان صارت الساعة الثامنة او التاسعة ثم انكشف عنها ظهرت عالية واشعتها تقرب من العمودية فيشتد الحر على المزروعات بغتةً فيضرُّ بها

وقد امتحن بعضهم ذلك في جنوب اوربة فوضع الترمومتر في الخلاء وغطاهُ حتى لم تقع عليهِ اشعة الشمس من الساعة ½ ٦ الى الساعة ½ ٩ صباحاً فصعد رويداً رويداً من الدرجة ٦ سنتغراد الى ان بلغ الدرجة ١٦ وذلك الساعة ½ ٩ ثم كشفهُ حينئذٍ لنور الشمس فصعد حالاً الى الدرجة ٢٨ وبلغ الدرجة ٣٧ عند الساعة ١١ صباحاً وكان هناك نبات معرَّض لاشعة الشمس فكانت حرارتهُ عند الدرجة ٦ الساعة ½ ٦ فصعدت الى الدرجة ١١ الساعة ½ ٧ والى الدرجة ١٦ الساعة ٨ والى الدرجة ٢١ الساعة ¾ ٨ والى الدرجة ½ ٢٥

الساعة ½ ٩ والى الدرجة ٢٨ الساعة ½ ٩ ومن ثم صعدت رويداً رويداً الى ان بلغت الدرجة ٣٧ الساعة ١١

اي ان النبات المعرض لاشعة الشمس منذ الصباح صعدت حرارتهُ رويداً رويداً لا كالذي يكون محجوباً ثم يكشف منه نحو الساعة التاسعة

ثم ان المزروعات تحتمل الحر الى درجة معلومة والبرد الى درجة معلومة فان زاد البرد او الحر فالغالب ان النبات ييبس . وقد وجد بالامتحان ان اوطأ درجة من الحرارة يحتملها النبات بسهولة هي الدرجة ٧ او ٨ فوق الصفر بميزان سنتغراد واعلى درجة يحتملها من ٣٩ الى ٤٣ فاذا نقص الحر عن الدرجة الاولى او زاد عن الثانية فالغالب ان النبات يضعف وييبس . وبين هذين الحدين درجة وسطى وهي الدرجة ٣٢ وتسمى بالدرجة الفضلى فنمو النبات يزيد بزيادة الحرارة الى ان تبلغ الدرجة الفضلى وتكون زيادتهُ بطيئة في الدرجات السفلى ثم تزيد رويداً رويداً الى ان تبلغ الحرارة الدرجة ٣٢ وبعد ذلك يقل النمو بزيادة الحرارة الى ان يبلغ اقلهُ متى بلغت الحرارة اشدها

وبهذا يعلل نمو المزروعات في البلدان الشمالية الباردة كما في اسوج ونروج ونضجها باكراً فان الحر يشتد في فصل الصيف الى ان يبلغ الدرجة الفضلى ولا يزيد عليها فيبقى النمو زائداً ولا ينقص كما لو زادت الحرارة على تلك الدرجة فينمو القمح هناك ويحصد في شهرين او ثلاثة . وبهِ يعلل ان القطن الذي يزرع في مديرية البحيرة مثلاً بعد ما يزرع في المديريات الوسطى بشهر او شهرين يكاد ينضج ويجمع منهُ في السنين التي لا يكثر فيها الضباب لان الحر الشديد في المديريات الوسطى يقلل النمو او يمنعهُ ساعات كثيرة كل يوم

تكبير البيض

ان من يجيء هذا القطر من القطر الشامي او من اوربا يعجب من صغر البيض فيهِ مع انهُ كثير الدجاج وسوق بيضهِ رائجة في اوربا اذ يصدر منهُ كل سنة ما ثمنهُ ١٨٠٠٠٠ جنيه واكثرهُ يستعمل في اوربا للصناعة لا للاكل لانهُ غير جيد . ولو اعتني بتربية الدجاج الاعتناء الواجب لكبر بيضهُ وجاد فانهُ لا يندر ان ترى بين البيض الصغير بيضاً كبيراً فاذا اختار الذين يربون الفراخ البيض الكبير للتفقيس بدلاً من البيض الصغير جاءت الفراخ منهُ كبيرة الجسم كبيرة البيض ايضاً . ويحسن بالذين يربون الفراخ ان يأتوا بالبيض الجديد الكبير من سورية ويفقسوهُ هنا فتأتي الدجاج منهُ كبيرة قداً وبيضاً . واول بيض الفرخة

يكون صغيراً ثم تصير تبيض بيضاً كبيراً متى صار عمرها ثلاث سنوات او اربع واذا اتفق ان كبرت بيضة من بيوضها حتى تعذَّر خروجها فتغطُّ ريشة بالزيت وتدخل في المبيض بامتناد وتدهن جوانب البيضة بالزيت فيسهل خروجها

انواع الزبل

الزبل او السباخ البلدي من اجود الاسمدة للارض ولكنهُ ليس كلهُ على درجة واحدة من القوة في تخصيب الارض بل يختلف باختلاف ما فيهِ من النيتروجين والبوتاس والحامض الفصفوريك كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	بوتاس	اكسيد الفصفور
زبل البقر	٠٫٢٠ في المئة	٠٫١٠ في المئة	٠٫١٧ في المئة
بول البقر	٠٫٥٨ «	٠٫٤٩ «	— «
زبل الخيل	٠٫٤٤ «	٠٫٣٥ «	٠٫١٧ «
بول الخيل	١٫٥٥ «	١٫٥٠ «	— «
زبل الغنم	٠٫٥٥ «	٠٫١٥ «	٠٫٣١ «
بول «	١٫٩٥ «	٢٫٢٦ «	٠٫٠١ «
زبل الخنازير	٠٫٦٠ «	٠٫١٣ «	٠٫٤١ «
بول «	٠٫٤٣ «	٠٫٨٣ «	٠٫٠٧ «
غائط الانسان	١٫٠٠ «	٠٫٢٥ «	١٫٠٩ «
بول «	٠٫٦٠ «	٠٫٢٠ «	٠٫١٧ «

ولكن هذه المواد تختلف باختلاف ما تأكلهُ هذه الحيوانات وباختلاف سنها و بكثرة الماء في زبلها وقلتهِ . اما البول فالفصفور قليل فيهِ او غير موجود ولكن النيتروجين والبوتاس فيهِ اكثر منها في الزبل

والردم الذي يوضع تحت البهائم يمتص البول ويختلط مع ما يقع عليهِ من فضلات العلف فتنحل وتزيد المواد الآلية المنحلة في السماد

وقد حسب الاميركيون ان وزن زبل الفرس في اليوم ٢٨ رطلاً وزبل الثور ٧٣ رطلاً وزبل الخروف نحو اربعة ارطال

ثمن الزبل

زبل الثور في السنة يساوي من ٢٥٠ غرشاً الى ٣ غرش وزبل الفرس يساوي ١٣٠ غرشاً الى ١٥٠ وزبل الخروف يساوي ٢٥ غرشاً الى ٣٠ غرشاً

ثمن السماد

يقدَّر ثمن السماد بما فيهِ من النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم . ويشترط ان تكون هذه العناصر فيهِ قابلة الذوبان في الماء فالنيتروجين يجب ان يكون امونيا او نيترات الصودا او ما اشبه والفصفور يجب ان يكون الفصفات الاعلى او فصفات الجير الهيدراتي الذي يسهل ذوبانهُ اذا وجد في الارض حامض

والقيمة التجارية تختلف ولكن متوسطها هو ان الواحد من الامونيا يساوي ٤٥ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب في الماء بنفسهِ ١٢ غرشاً ومن الفصفات الذي يذوب بواسطة حامض ٧ غروش ومن البوتاس ١٧ غرشاً فاذا وجد سماد في الطن منهُ ٥ من الامونيا و١٥ من الفصفات الذوّاب و٧ من الفصفات العسر الذوبان و٣ من البوتاس فثمنهُ هكذا

الامونيا	٥	× ٤٥	=	٢٢٥
الفصفات الذواب	١٥	× ١٢	=	١٨٠
« غير الذواب	٧	× ٧	=	٤٩
البوتاس	٣	× ١٧	=	٥١
والجملة				٥٠٥

اي ان الطن منهُ يساوي خمسة جنيهات وخمسة غروش

ما تأخذهُ المزروعات من الارض

تقسم المزروعات الى ثلاثة انواع

الاول المزروعات التي تزرع لاجل حبوبها وثمرها كالقمح والتفاح

والثاني المزروعات التي تزرع لاجل جذورها او ثآليلها كالجزر والبطاطس

والثالث المزروعات التي تزرع لاجل اغصانها واوراقها كالبرسيم

فالنوع الاول يشمل الحبوب على انواعها اي القمح والشعير والذرة والرز . والقطاني على

انواعها كالفول والعدس والحمص وفول الصويا والترمس واللوبياء ويدخل تحتها القطن والكتان والقنّب والسمسم. وبشمل ايضاً الاشجار المثمرة كالمشمش والتفاح والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون على انواعهِ والعنب والموز والبطيخ · وهاك كلاماً وجيزاً عن كل نوع من هذه المزروعات وما تأخذهُ من الارض

القمح

القمح كثير المواد النيتروجينية فانها فيهِ من ٨ الى ١٠ في المئة وتتوقف جودتهُ على كثرتها فيهِ · وهاك متوسط ما في القمح وتبنهِ من المواد الكيماوية

	القمح	التبن
رطوبة	١٠و٥	٩و٦
رماد	١و٨	٤و٢
الياف	١و٨	٣٨و١
كربوهيدرات (كالنشا)	٧١و٩	٤٣و٤
بروتين	١١و٩	٣و٤
دهن	٢و١	١و٣
والجملة	١٠٠و٠	١٠٠و٠

واهم هذه المواد الغذاء البروتين والدهن والكربوهيدات · وتبن القمح لا يخلو من الغذاء كما ترى من الجدول ويزيد غذاؤهُ اذا حصد القمح باكراً قبلما يزيد جفافهُ · ويقلُّ اذا تأخر حصد القمح الى ان يصعد اكثر الغذاء من التبن الى الحب . ولا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع فيها القمح ويجود صلبة نوعاً قليلة الرمل والقلقل ولذلك يجب تزحيف الارض ورصها بعد حرثها اذا زرعت قمحاً

الشعير

الارض الكثيرة السماد النيتروجيني لا تصلح لزرع الشعير · وتبن الشعير اسهل هضماً من تبن القمح · ودقيق الشعير اقل مادة صمغية (غلوتن) من دقيق القمح ولذلك يكون اقل حيلاً منهُ وهاك متوسط ما في الشعير وتبنهِ من المواد الكيماوية

	الشعير	تبنهُ
رطوبة	١٠,٩	١٤,٢
رماد	٢,٤	٥,٧
الياف	٢,٧	٣٦,٠
كربوهيدرات	٦٩,٨	٣٩,٠
بروتين	١٢,٤	٣,٦
دهن	١,٨	١,٥
والجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠

ويظهر من ذلك ان البروتين في الشعير اكثر منهُ في القمح فاذا هضمتهُ المعدة كما تهضم القمح فهو اكثر غذاء من القمح ولذلك يفضل الفلاحون خبز الشعير على خبز القمح ويقولون انهُ يقيم معهم اكثر ويقويهم اكثر مما يقويهم خبز القمح ويظهر لنا انهم مصيبون في ذلك ولهذا السبب تعلف الدواب شعيراً ولا تعلف قمحاً لا لان القمح اغلى من الشعير بل لان الشعير يغذيها اكثر من القمح

الارز

الارز طعام فريق كبير من الناس يعتمدون عليهِ كما نعتمد نحن على القمح . والمستعمل عندنا الرز المقشور وهاك جدول ما في الارز وقشرهِ من المواد

	الارز	قشرهُ
رطوبة	١٢,٤	٨,٢
رماد	٠٠,٤	١٣,٢
الياف	٠٠,٢	٣٥,٧
كربوهيدات	٧٩,٢	٣٨,٦
بروتين	٧,٤	٣,٦
دهن	٠,٤	٠,٧
والجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠

وعند قشر الارز يخرج منهُ ايضاً دقيق كدقيق القمح كثير المواد الهيدروكربونية والدهنية والبروتين وقشور محضوتة تسمى نخالة الارز وهي مثلهُ كثيرة المواد الهيدروكربونية

والدهنية والبروتين · وقد يمزج هذان الدقيقان معاً ويباعان باسم دقيق الارز · وقد وجد حديثاً ان الذين يعتمدون في طعامهم على الارز المقشور يصيبهم منهُ مرض عسر الشفاء لان في القشر مادة لا غنى لهم عنها

زرع الحبوب

خطب الاستاذ بولي الاميركي في هذا الموضوع امام قسم الزراعة في جامعة وسكونسن باميركا في ٢٠ يوليو الماضي وافتتح خطبتهُ بقول شودا العالم النباتي «ان الامة الغنية هي الامة التي تكثر من زرع الحبوب» · ثم قدم المقدمات التالية وهي

(١) ان الهواء والماء وخصب الارض هي كل ما يلزم لخصب المزروعات

(٢) انهُ اذا قلَّ محصول ارض فعلّة قلتهِ ليس في الارض بل في الزراعة نفسها اي انها تكون قد اصيبت بآفة من الآفات فيجب ان لا نقول ما علة الارض بل ما علة الزراعة

(٣) اذا كان الامر كذلك فقلّة خصب المزروعات ليس من قلّة المواد المغذية في الارض بل من مرض اصاب الزراعة · وما تعاقب المزروعات حينئذٍ الاَّ واسطة صحية لازالة الادواء التي اصابت الزراعة

(٤) القمح لا يجود في ارض تكثر فيها بقاياهُ لا لانهُ يسم الارض ولا لانهُ يقلل خصبها بنزعهِ ما يلزم لهُ من مواد الغذاء بل لان البقايا التي تبقى منهُ في الارض تكون فيها جراثيم المرض الذي امرضهُ وقلل خصبهُ وهو من الامراض الخاصة بهِ

(٥) الحرث والتسميد بالسماد الطبيعي والصناعي يفيدان في تقديم الغذاء للمزروعات ويفيدان ايضاً فائدة كبيرة من باب صحي الزراعة

والتفت الخطيب بعد هذا التمهيد الى علماء الزراعة والذين يؤلفون الكتب والكراريس فيها وقال ان علمهم نظري غير مقرون بالتجربة والامتحان وان الاسباب التي يقدمونها لا تقنع الفلاح فلا يتبعها لانها ليست الاسباب الاصلية ولكنها اسباب فرعية كقولهم ان تعاقب المزروعات افضل من الاستمرار على زراعة واحدة في الارض الواحدة لان هذا التعاقب يريح الارض او لانهُ يزيد خصبها · فان الواقع لا يؤيد ان التعاقب يريح الارض او يزيد خصبها · ولو عرفنا السبب الحقيقي لفائدة تعاقب المزروعات وهو تخليصها من الآفات التي تعتريها لرأى الفلاح صحتهُ وجرى على هذا التعاقب وكيفما كانت الحال فالامتحان خير مرشد واكبر مقنع ويجب ان يجري في غيطان الزراعة نفسها امام الفلاحين وبمساعدتهم · فان تحليل الارض

الكيماوي ومعرفة العناصر التي فيها لا يكفيان لمعرفة كونها خصيبة وانما درجة خصب الارض تعرف من مقدار الغلة التي تنتج منها اذا خدمت خدمة معلومة من حيث الحرث والري والصرف لا لان المواد الكيماوية غير لازمة لخصب الارض بل لانها وحدها لا تكفي للخصب فانها قد تكون في الارض ولا يخصب الزرع فيها ولا يأتي بغلة وافرة . فقد تكون الارض من الاراضي المعروفة بخصبها ومع ذلك لا يأتي القمح فيها بغلة وافرة بل ينقص محصولهُ سنة بعد سنة فما سبب ذلك

ثم ان الاراضي الجديدة اي الحراج التي تقطع اشجارها وتحرث وتزرع والاراضي البور التي تقلب وتقصَّب وتزرع تأتي بغلة وافرة في السنين الاولى ثم تقل غلتها رويداً رويداً مع ان موادها الكيماوية لا تتغير

ثم قال ان الشكوى من النقص في محصول القمح ومن قلة جودتهِ عامةٌ تسمع من كل مكان في اوربا واميركا وليس لها سبب كيماوي ظاهر لا من حيث تركيب الارض الكيماوي ولا من حيث خدمة الارض

واسهب الخطيب في هذا الموضوع جدًّا وايدهُ بادلة كثيرة واستنتج اخيراً ان السبب لقلة الخصب حيي لا كيماوي اي انهُ يعتري البذار والارض امراض تقلل غلة القمح وجودتهُ والى ذلك يجب انتباه الفلاحين والعلماء الباحثين . وان كل ما قيل عن الميكروبات ونحوها لا يشفي غليلاً ولا يبين السبب الحقيقي لضعف الارض وقلة المحصول

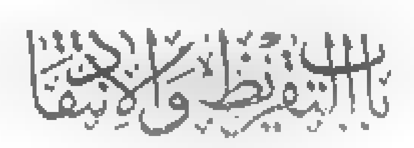

تاريخ مصر

الفت هذا الكتاب السيدة الفاضلة هند نمر كريمة الاصولي الكبير والكاتب الشهير اسكندر بك عمون وهو تاريخ مختصر للقطر المصري من اول ظهور العمران فيهِ الى الآن وقد وقع احسن وقع لدى نظارة المعارف واللجنة المعدة لاختيار الكتب المدرسية فقرَّرت تدريسهُ في مدارسها ولا غرابة في ذلك لانهُ من حيث الاختصار على امهات الحوادث من خيرة كتب التاريخ لهذا القطر وكذا من حيث بلاغة الانشاء كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ منهُ في هذا الجزء

وهو ثلثمئة صفحة نحو ثلثها لتاريخ مصر القديم من اول عهدها الى زمن الفتح ونحو نصفها للدول التي تولت مصر من زمن الفتح الى عهد محمد علي باشا رأس العائلة الخديوية وما بقي للعصر الحاضر من ايام محمد علي الى الآن - ولا يقتصر على ذكر تاريخ مصر بل يتناول امهات الحوادث التي حدثت في الشام والعراق وسائر البلدان التي لها علاقة بالقطر المصري فهو تاريخ مختصر الخلفاء والسلاطين كما هو لملوك مصر وولاتها

تهذيب الالفاظ العامية

الَّف هذا الكتاب حضرة الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الاميرية . وبسط فيهِ الكلام على ادواء اللغة العربية فقال انها بقيت الى زمن الفتح الاسلامي « لم يتسرَّب اليها دخيل . وبقيت على ريعان شبابها الى آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم يكن ليعزب عن فهم احد او دالك شيء من الكتاب او السنة يستوي في ذلك صغيرهم وكبيرهم الذكر منهم والانثى بل لم يكن ليغيب منهم شيء من غريب اللغة فضلاً عن مطروقها اللهمَّ الاَّ ما شذَّ او كان خاصاً بقوم دونهم »

ثم افاض في ذكر ادواء اللغة داء داء فقال ان اللحن اول هذه الادواء وقد ابتدأ في عهد عمر بن الخطاب بعد ان فتحت الروم وفارس ودواؤُهُ النحو - والثاني التحريف وهو ثاني داء بعد اللحن وتاريخهُ متأخر عنهُ لانهُ لا يقع الاَّ من الموالي او المولدين او الاعاجم الذين تعربوا بدخولهم في الاسلام او برحلتهم الى بلادهم . والداء الثالث الدخيل . والمقترح ان يؤَلف مجلس علمي لتهذيب اسماء المخترعات الاجنبية واختزالها على وجه يسوغ بهِ تعاطيها هذا اذا لم يوجد لها اشباه في العربية . وهو اقتراح في محلهِ واشار بعد ذلك بوسائل مختلفة لرد المحرف الى اصلهِ العربي ومنها الوسيلة التي اختارها وهي استقراء الالفاظ العامية وذكر ما تصير بهِ صحيحة او ما يراد فيها من الالفاظ الصحيحة فمن الاول مثل تِرْس بالكسر فان فصيحها تُرْس بالضم ومثل رِحْمة بالكسر فان فصيحها حُجْة ومثل خَرْطوم بالفتح بلت فصيحها خُرْطوم بالضم ومثل دِهن بالكسر فان فصيحها دُهن بالضم

ثم ذكر كثيراً من الالفاظ التي عرَّبها المتقدمون ليقتدي بهم المتأخرون في اساليب التعريب . وكثيراً من الكلمات العامية ومرادفاتها العربية واكثر ما ذكرهُ حسن وغالبهُ معروف مستعمل ولكنهُ ذكر كلمات لم يصب في ذكر مرادفاتها فقال مثلاً ان الدوسنطاريا عامية وعربيتها خلفة وان الروماتزم عامي وعربيتهُ نقرس والدفتيريا عامية وعربيتها ذبحة وان امينة

الخبز عامية عربيتها جعاصة كان الخيز هو الجص ودكتور عامية عربيتها حكيم وان بروجرام عامية وعربيتها برنامج . وحبذا لو وضع معجم مسهب للالفاظ العامية حقيقة وما يرادفها من الالفاظ العربية الفصيحة التي يحسن استعمالها كالمعجم الذي يقال ان المرحوم الشيخ خليل اليازجي الفهُ في هذا الموضوع

حقائق وعبر

تأليف حضرة اسكندر افندي الخوري البيتجالي « وهي عبارات عمّا نشره من المباحث الاجتماعية والحقائق الادبية وزنابق الحقل في كثير من مجلات مصر وسورية » .

الاولى منها رواية موضوعها فتاة سورية اخذها امير روسي الى روسيا حيث تربت وتعلمت وتهذبت فاحبها ابن ذلك الامير وود الاقتران بها فطلبت ان تزور بلادها اولاً وترى والديها فلما وصلت اليها حاولا ان يزوجاها بابن عمها ولما لم ترَ لها من ذلك مناصاً عزمت على الانتحار فجمعت حول سريرها كثيراً من الازهار الشديدة الرائحة واقفلت باب غرفتها وكواها ونامت ففعلت بها الرائحة فعل المخدر الى ان اعدمتها الحياة . وعبارة المؤلف شعرية والفراسة جيدة . وهاك شيئاً مما كتبهُ في موضوع سماهُ قاصمات الظهر

« دعاني الواجب ذات يومٍ الى عيادة مريض زمن اعيا داؤُهُ الاطباء . دخلت البيت فاذا بالقوم حواليهِ سكوت قد دعموا رؤُوسهم باصابعهم كما لو كانوا يشكون صداعاً . المريض شيخ جليل ناهز السبعين من عمرهِ . كلله الشيب فزادهُ هيبة وجلالاً . اخذت كرسياً وجلست بيدَ اني ما تمكنت ان اخرجت من جيبي منديلاً مسحت باطرافهِ دموعي . رأيت شيخاً يتململ على فراشهِ وهو يتلظى من حرّ النزع ونفسهُ تحشرج في صدرهِ . وكان كلما اختلس الموت الحياة من احدى مسامّ جسدهِ ينتفض كالعصفور بللهُ القطر . قلت : الموت يميل الى وضع يدهِ الثقيلة على الرؤُوس المكللة بالبياض فعلامَ هذا البكاء ؟

« ما كاد الشيخ يلفظ نفسهُ الاخير حتى لفظ معهُ هذه العبارة : « لكِ الله يا اميركا . اودعتك اولادي فلم تردّيهم . ودنا الموت مني فلم تستدعيهم ولولا تعلق برؤْيتهم للبثت ربي منذ حين . في فؤَادي نارٌ لا يطفئ سعيرها الاّ رؤْيتك « يا سليم » انا هامٌ اليوم فمن يطبق جفوني حين ينادوني باسمي فلا اجيب ؟ آه من يحمل نعشي عند ما أُدرج في كفني ؟ »

وما فرغ من قولهِ حتى فرغ من نفسهِ

« هذا هو سبب بكائي !

« عدتُ الى البيت وما كدت اخطو بضع خطوات حتى استوقفتني امرأة نزل بها على اثر فقدها زوجها الشاب في ارض المهجر عوزٌ وهزال كادا بفقدانها اسمى ما تحلى به المرأة من انفة وحياء. ولولا خيوط جمال ارتسمت على وجهها لغابت عني معرفتها . وقفت على استحياء . وقد اغرورقت عيناي بالدموع حينما لحت الى جانبها وليدتين تناديانها : — يا اماه ! متى يأتي ابونا من اميركا ؟

« غيضت من عبرتي واخفيت من حسرتي ولم اتمالك الوقوف فقالت وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة الله اعلم بما يشوبها من مضاضة الحياة وحضاضة العيش : خرجتُ استكتب الناس كتاباً لوليد وحيد غادرني منذ ثلاث سنين الى البرازيل وحلفني بعد ابيه هدفاً لمصيبات السنين وقد ابطأ خبره عني وانقطع ذكره من كتب المهاجرين . فأصبحت والارض في ناظري أضيق من كفة الحابل ونزلت بي الفاقة . واحتواني اليأس . وبلغ مني القنوط فهل لك ان تطفئ نيران اشواق ذكت في فؤادي هذا الغائب بكتاب تخطه لي . فقلت في لأمري ما بها غير ان جفاف الريق عقد لساني ولفرط ما اعتراني من الاكتئاب اومأت لها ايماء الايجاب

« غادرتها اسير الحياء كي لا اعود اعثر على اعظم من هذا الشقاء . وما هي الا لحظة حتى وامتْ في الذي منهُ تحوّمت : صوت بكاء ونحيب طرق طبل اذني . ورنة حزن كما ملت عنها اصماً . ملت اليها ميلاً . . فاذا بقدميَّ تهديانني الى نادٍ اكتظ بالجموع وازدحم بالجماهير فولجت لأسبر جلية النواح فقيل لي ان يدَ الموت القاسية اخترمت شاباً في ربيع العشرين كان قد قدم من اميركا منذ شهرين وبه الداء العياء . فما زال به حتى اورده موارد المتون . فقلت وا رزأه ! أتوهم الناس اميركا دار نعيم وهناء فطفروا اليها كما يطفر الطفل فاذا بهم لا يرحلون الا عن دار الشقاء فاين دار البقاء ؟ »

ولا شبهة ان للمهاجرة سيئات كما لها حسنات ولكن لولاها لعاش السوريون في فقر مدقع وانتابتهم الامراض والاوبئة . والمرجح عندنا انهُ لولا المهاجرة لكان عددهم الآن في بلادهم كما هو الآن او اكثر قليلاً لانهُ يظهر بالاستقراء ان البلدان المزدحمة بالسكان او التي لا تزيد خيراتها على ما يلزم لمعيشة سكانها يبقى عدد سكانها على حاله سواء هاجر منها كل من يزيد عمن تقوتهم اولم يهاجر منها احد . ولا تختلف سورية عن ذلك الا في ان خيراتها الطبيعية كثيرة كافية لاكثر من سكانها اذا لم يمنعوا من الانتفاع بها ولكن صاحب البستان كان يقطع اشجاره ليخلص من ثقل العشور وصاحب الحقل لم يكن يأمن على غلته من نهب

البدو او المتنزهين . وعليهِ لم تكن الخيرات التي يسهل الوصول اليها والانتفاع بها كافية لزيادة السكان

هداية المدرس

تأليف حضرة علي عُمَر بك مساعد مفتش بنظارة المعارف

الذين تعلموا او تربَّوا واستفادوا الفائدة الكبرى من التعليم والتربية لا يقعون تحت قياس يقاس عليهِ لان قوى الانسان العقلية والبدنية موروثة من ابويهِ واسلافهِ على درجات مختلفة لا ضابط لها حتى انك لا تجد اثنين يتساويان في كل شيء من هذا القبيل ولو كانا اخوين شقيقين . والذين علَّموا وربَّوا اختلف نجاحهم في صناعتهم اختلافاً كبيراً حسب استعدادهم الفطري لبث مبادئ العلوم والآداب في نفوس التلامذة او حسب تأهلهم لهذه الصناعة . ولكن الاستعداد الفطري لا يمكن التحكُّم فيهِ ولا هو حاصل الأَ لافراد قلائل لا يسدون حاجة البلاد الى المعلمين فبقي الاستعداد الاكتسابي وعليهِ المعوَّل . ويسرُّنا ان هذا الكتاب قد جمع القواعد العملية اللازمة لهذا الاستعداد الاكتسابي فقد احسن حضرة مؤلفهِ بوضعهِ ولا بدَّ من ان يأتي بفائدة كبيرة . وانا نشير على كل من اتخذ التعليم حرفةً ان يطالعهُ بامعان ويطبق اساليبهُ في التعليم عليهِ

والظاهر ان المؤلف يأخذ بقول الذين يقولون ان التهذيب افعل من الوراثة ولهذا اكثر من الاستشهاد بالامام الغزالي وغيرهِ من الذين لم يبحثوا بحثاً علمياً في قوى العقل ونواميس الوراثة . وحبذا لو كان الامر كذلك اذاً لصار اولادنا كالمعدن المصهور نفرغهُ في القوالب التي نختارها . ولكن وا اسفاه كم من ولد نتعب ونشقى في تربيتهِ فينشأ على ضد ما قصدت وغيرهُ لا يربي فيربي نفسهُ وينشأ كاملاً مكمَّلاً . وهذا لا ينفي وجوب التربية والتهذيب وفائدتهما ولو دلَّ على انهما لا يجزآن في بعض الاحيان بل تتغلب الوراثة عليهما

القراءة الرشدية

هي سلسلة كتب لتعليم القراءة على طريقة التدرُّج من البسيط الذي يسهل فهمهُ على صغار الطلبة الى ما هو اعلى منها انشاء واصعب فهماً وضعها حضرة عبد الفتاح صبري بك المدير العام للتعليم بمجلس مديرية الدقهلية وعلي عمر بك وكيل المدرسة الخديوية الثانوية وجريا فيها مجرى سلاسل القراءة الانكليزية اي اضافا الصور الى الدروس ليسهل على

التلميذ فهم ما يقرأهُ وتصوُّرهُ . والدروس كلها مضبوطة بالشكل الكامل ويبتدئ كل درس منها بذكر الكلمات التي يظن انها عربية على التلميذ . وفي الدروس فوائد كثيرة ادبية وعلمية يستفيد التلميذ كثيراً جعلها فوق الفائدة المقصودة بالذات وهي تعلم القراءة . فنشكر للمؤلفين الفاضلين هذه التحفة الثنيــة

المراقيات

كأن مدينة صيداء ارادت ان تستعيد شهرتها الصناعية القديمة فانشئت فيها مطبعة العرفان تناظر اعظم المطابع العربية في اتقان الطبع واختيار المؤلفات . وقد اتحفتنا الآن بالمراقيات وهي مختارات من اشعار عشرة من شعراء العراق وهم السيد محمد سعيد حبوبي النجفي والسيد ابرهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد سبيب والشيخ ملا كاظم الازري والشيخ عباس بن اعلا علي النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الباقي الفاروقي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي . وفيها قدر صالح من اشعار كلٍ منهم ولاسيما من اشعار الاول من قصائده وموشحاتهِ ومراثيهِ حتى لقد يود القارئ ان يطلع على كل ما نظمهُ هذا الشاعر ولاسيما اذا قرأ مرثاتهُ الدالية التي يقول في مطلعها

قضى اليوم فاضت بالندى مجمة النادي	لفقد المدى او قل لفقد ابي الهادي
ثوى واحد العصر الذي لفَّ بردهُ	قبائل لهم من جموع وآحاد
وكان النجار الفاطمي نجارهُ	فطاب وطيب المرء من طيب ميلاد
فاين عصا الرحل يا ابنق السرى	واين منال الري يا غلة الصادي
واين الحي مخضرة جنباتهُ	كأن عليها متدمسة ابراد
واين جماهير الرجال معدة	تروح اليه من ملوك واجناد

وقدم الجامع لما اختارهُ من كل شاعر مقدمة وجيزة وصف بها شعرهُ وصف خبير بفن القريض ومناحي الشعراء

تأثير المسيحية في العالم

تأليف الدكتور فربن رئيس كلية اربدال اللاهوتية ببرادفورد بانكلترا وتعريب فهيم افندي حلي تادرس مدرس اللغة الانكليزية بمدرسة عبد المسيح ملك موسى الخيرية بالزقازيق وهو محاضرات في الدين وفوائده بنوع عام والمسيحية بنوع خاص

مسامرات البنات

تأليف حضرة علي افندي فكري امين دار الكتب الخديوية

هو دروس بسيطة للبنات تشتمل على قصص وحكم ونوادر كالقصة التالية

« كان احد الموسرين يتصدق من مالهِ ، على الفقراء والمساكين ، فجمع في بيتهِ يوماً فقراء المدينة من بنين وبنات وقال لهم

« انظروا يا بنيَّ الى هذه « السلة » المملوءة خبزاً ، وليأخذ كل منكم رغيفاً ، واعلموا انكم ستعطون كل يوم مثل ذلك الى ان يغنيكم الله من فضلهِ

« فسارعوا الى السلة مسارعة الجياع ، الى الاطماع ، يتخاطفون ما فيها ، وكل يحرص على ان يأخذ الرغيف الاكبر

« ولما انصرفوا ، لم يخطر على بال احدهم ان يشكر لهذا المحسن الكريم على احسانهِ ، إلاَّ بنتاً صغيرة كانت يدعونها اسمها « راضية » تلوح عليها علامات الادب والقناعة ، اقتربت بعد انصراف الجميع ومدت يدها باستحياء ، واخذت الرغيف الصغير الباقي في السلة ، ثم اقبلت على المحسن وقبلت يدهُ وحمدتهُ على جميل عطائهِ ، وعادت الى والدتها فرحة ، مسرورة بما انعم الله عليها

« وفي الغد : جاء الاولاد بشرههم وتخاطفوا الارغفة كعادتهم ، وبقي لتلك البنت المسكينة الرغيف الاصغر ، فاخذتهُ راضية شاكرة ، ورجعت لوالدتها

« فلما فتحت والدتها الرغيف ، سقطت منهُ كية من الدراهم ، فدهشت المرأَة ، وتحيرت في امرها ، وقالت لابنتها

« ارجعي الى ذلك الغني وردّي اليهِ هذه النقود ، فانهُ لا شك وضعها في الرغيف سهواً فاطاعت البنت امر امها وذهبت في حينها الى المحسن ، واعطتهُ الدراهم فردها عليها قائلاً

« لم افعل ذلك سهواً ، بل قصداً وعمداً وضعت تلك الدراهم في اصغر الارغفة لأكافئك ايتها البنت المحبوبة على ادبك وقناعتك ، فكوني على الدوام راضية مرضية ، ذات نفس ابية ، فمن يقنع بالقليل تعففاً وكرامة ، يستحق الشكر والسلامة »

دروس مثل هذه كثيرة الفائدة للمتعلمات وتزيد فائدتها بما في الكتاب من الامثال والاشعار الحكمية التي لابدَّ وان يكلف التلميذات باستظهارها . وحبذا لو زاد المؤلف اعتناءه بوضع علامات الوقف وتنقيح لغة الكتاب حتى ترسخ اللغة الفصحى في نفوس المتعلمات من سن الصغر

آداب اللياقة

هذا الكتاب لمؤلف مشهور بين ارباب الاقلام وهو حضرة محمد افندي مسعود المحرر الفني بنظارة الداخلية . قال في مقدمته

« هذا كتيب ضمنتهُ قواعد في الآداب الاجتماعية واصولاً في قوانين المعاشرة استخلصتها مما اقرتهُ العادة واجمعت عليهِ الاذواق وتوافرت على الاخذ بهِ الطبقات المهذبة في الامم الراقية

« وكفى بيانًا لاهميتها انها المحور الذي تدور عليهِ الروابط الادبية والاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض في البلاد المتحضرة والميزان الذي تورن بهِ اخلاقهم وطباعهم فمن كان على ارثر منها او فازًا بالسهم الاجزل رمق بعين الاحترام وأُحلَّ محلَّ الاجلال والاعظام ومن كان عنها بجفاة عومل معاملة من لا خلاق لهم ونبذ نبذ النواة

« ولما كان مرماي من التأليف بين اجزاء هذا الكتيب هداية النشء الى اقوم الطرق . لضبط تصرفاتهم القولية والفعلية وان ينشأوا عارفين بالادب والاليق منها في ظروف الحياة المتباينة واطوارها المتناقضة فقد توخيت في وضعهِ ان يكون سهل العبارة قريب المأخذ على فهم بما اوردتهُ في غضون احكامهِ وقواعدهِ من الامثال والشواهد الناهضة شيء من خشونة الامر والنهي حتى اصبح على ما ارجو خليقًا بان يتداولهُ النشء وان يجعل منهم في المستقبل بما استظهروهُ من قواعدهِ وألفوا العمل بهِ من مبادئهِ طبقةً عارفةً بحقوقها وواجباتها الاجتماعية دالةً باخلاقها وطرائقها المحمودة في السير والسلوك وزعانها في آداب المعاشرة على كرم الامة التي هم ابناؤُها ورسوخ شرفها وتأثل مجدها

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

« هذا واني اردلف الى مقام سعادة ناظر المعارف العمومية بترديد آي الشكر لهُ إذ امدني من ينبوع علمهِ الغزير ودرايتهِ التامة بهذا الفن بكثير من قواعدهِ واهتديت بنورهِ في تهذيب ما اوردتهُ من عندي ابقاهُ الله عضداً للعلم وذخراً للفضل »

وقد وفَّى الموضوع حقهُ من حيث آداب اللياقة او الكياسة المتعارفة عند الاوربيين والتي يصطلح الجري عليها في بلادنا الشرقية ولم يكتفِ بذكر ما يليق او يجب اتباعهُ بل ذكر ايضاً ما يحسن او يلزم ابطالهُ من العادات الشائعة . فالكتاب كبير الفائدة على صغر حجمهِ وقد قررت نظارة المعارف تدريسهُ في المدارس الاميرية في السنة الرابعة الابتدائية

المطالعة الفصيحة

لامهات اليوم والغد

تأليف حضرة مهدي افندي احمد خليل

هذا الكتاب فصول ادبية تدور على مدح الاقتصاد وتهجين العادات القبيحة او الضارة وتبتدئ كل نبذة منهُ بشرح ما فيها من الكلام اللغوي او الذي يصعب فهمهُ وحبذا لو طبع هذا الشرح بحرف يميزهُ عن حرف المتن . ولغة الكتاب فصيحة كاسمهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكل الدم

مصر . طالب علم (١) هل يفيد الدم لتقوية البدن او هو مضر (٢) واي الطرق انفع صحياً ذبح الحيوان او خنقهُ (٣) وهل كشف مرض ينتج من اكل الدم

ج عن الاول انهُ لا ضرر من اكل الدم ولاسيما اذا طبخ مخافة ان يكون فيهِ شيء من الميكروبات المرضية . والذئاب التي تفترس الغنم قد تكتفي بمص دمها ولا يصيبها ضرر من ذلك وكل الضواري تأكل فرائسها لحمها ودمها وعظمها ولا تضر . واهالي اوربا يجمعون دم الحيوانات التي يذبحونها ويطبخونهُ ويأكلونهُ . وعن الثاني اننا لا نرى فرقاً من حيث الصحة ولكن الحيوان الذي يخنق خنقاً تلوَّن بعض لحمهِ بما ينتشر فيهِ من دمهِ فيقبح منظرهُ . والذين يستنكرون اكل الطائر مخنوقاً يأكلون السمك مخنوقاً ولا يسألون بل قد يقلونهُ او يشوونهُ وهو حي . وعن الثالث اننا لم نسمع ولا قرأنا انهُ كُشف مرض ينتج من اكل الدم خاصةً ولكن اذا كان الحيوان مصاباً بمرض ميكروبي معدٍ كمرض التريخينا الذي تصاب بهِ الخنازير وشرب احد دمهُ او اكل لحمهُ نيئاً فانهُ قد يعدى بذلك المرض . هذا من حيث معارفنا الحاضرة

(٢) شكل سطح الماء

طنطا . عجيب افندي توما هل المياه في المحيط تأخذ شكلاً كروياً تبعاً لكروية الارض . واذا كان ذلك كذلك فلماذا لا تنبسط ولا تأخذ سطحاً مستوياً كما هي خاصية الماء الطبيعية

ج . ان خاصية الماء الطبيعية ليس ان يأخذ شكلاً مستوياً بل ان يأخذ شكلاً مستديراً اذا كان مقداره قليلاً جداً وغلبت جاذبية الاتصال التي بين دقائقه على جاذبية ما حوله او على جاذبية الارض له ولكن اذا كان مقداره كبيراً تغلبت جاذبية الارض عليه وحينئذٍ ينبسط ويظهر سطحه مستوياً وهو في الحقيقة محدَّب بمقدار ما لو كان كرة قدر كرة الارض فاذا كان عندكم بركة كبيرة طولها ميلان وعرضها ميلان فالماء الذي في وسطها يكون سطحه اعلى من سطح الماء الذي في اطرافها نحو ثلثي قدم او ثماني بوصات وهو تحدُّب قليل جداً لا يشعر به في المساحات الضيقة

(٣) الدهن والزيت والعطر والروح

كفر الطويل . حامد افندي السيد العنتطاوي ما الفرق بين الدهن والزيت والعطر والروح

ج . لا فرق في التركيب الكيماوي بين الادهان والزيوت ولكن جرت العادة ان يطلق اسم الزيت على ما كان سائلاً منها كزيت الزيتون وزيت اللوز وزيت بزر الكتان . والدهن على ما كان شديد القوام نوعاً كدهن الغنم والبقر والسمن والزبدة . والعطر هو الزيت الطيار من المواد الطيبة الرائحة والروح الزيت الطيّار مطلقاً اي الذي يتبخر سواء كان وحده او ممزوجاً بالسبيرتو

(٤) زيت السمك

ومنه . باي كيفية يستخرج زيت السمك وما فائدته

ج . تستخرج اكباد السمك المعروف بالقُد وتنظف وتسخَّن بالبخار الى درجة فوق درجة غليان الماء فيخرج الزيت الذي منها وهو يستعمل غذاء لتقوية الجسم لانهُ سريع الامتصاص والتأكسد وعلى ذلك تتوقف فائدته الغذائية

(٥) سبب الفرق بين التوأمين

ام درمان . خليل افندي جرجس . توأمان ولدا في ساعة واحدة ورضعا من ثدي واحد وتربيا في بيت واحد وعاشا في وسط واحد ثم دخلا مدرسة واحدة في فرقة واحدة ولكن احدهما امتاز عن الآخر في حدة الذاكرة والفهم ففاز على اخيه فهل لذلك من تعليل

ج . نعم والتعليل انهما لم يرثا قواهما العقلية على درجة واحدة من والديهما فان الجرثومة والبيضة اللتين يتكوَّن منهما الجنين فيهما اصول من ابيه وامه والاصول الآتية من الاب فيها اصول من والديه واسلافهما

وكذا الاصول الآتية من الام فيها اصول من والديها واسلافهما . وقد ظهر للسر فرنسيس غالتون بالبحث والاستقراء ان الاصول التي تصل الى الجنين يكون نصفها من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهما اي الربع من اسلاف الاب والربع من اسلاف الام . ثم ان الاصول التي تكون في كل بيضة وكل جرثومة ليست متماثلة عدداً يحتمل ان يكون في البيضة الواحدة منة جوهر مثلاً من جواهر العقد الدماغية التي هي مركز الذاكرة ويكون في بيضة اخرى خمسون جوهراً او اقل او اكثر وقس على ذلك الجواهر التي في الجرثومة . ويحتمل ان يكون بعض هذه الجواهر بالغاً فيظهر في الشخص الاول الذي يتكون منها ويحتمل ان يكون غير بالغ فلا يظهر فيهِ بل في اولادهِ او احفادهِ . ومن المؤكد ان الجرثومة تخرق البيضة وتدخل اليها حينما تلقحها وقد يدخلها جراثيم كثيرة في وقت واحد وحينئذٍ يخرج منها شيء من مادتها يساوي مقدارهُ الجراثيم التي دخلت اليها فقد يكون مع المادة التي خرجت كثير من جواهر الفم والانف والشعر فيأتي الطفل وفمهُ وانفهُ وشعرهُ مثل ابيهِ لا مثل امهِ . راجعوا ما كتبناهُ عن الوراثة في المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف

(٦) الخطابة الارتجالية

ومنهُ . اي كتاب يفيد الانسان في القاء خطب ارتجالية او تحريرية في مواضيع اجتماعية مختلفة

ج . قيل ان وبستر الخطيب الاميركي المشهور خطب مرةً خطبة ارتجالية في موضوع عرض عرَضاً كان لها وقع عظيم فسألهُ سائل قائلاً كيف تسنى لك ان تخطب خطبة ارتجالية مثل هذه فقال لهُ وبستر الخطأت فان خطبتي ليست ارتجالية بل قد مضى علي اربعون سنة وانا استعد لها. اراد ان علم المرء ومطالعاتهِ الكثيرة وتمرنهُ على الخطابة هذه كلها لازمة لجعلهِ يخطب ارتجالاً . وما من كتاب واحد تفي مطالعتهُ بهذا الغرض ولعلَّ مجلدات المقتطف من افضل الكتب لذلك لكثرة ما فيها من المواضيع الاجتماعية

(٧) قصر البصر

مصر . ادوار افندي سمعان . لي صديق عرفتهُ منذ الصغر كان وقتئذٍ حاد البصر يستطيع القراءة في اي كتاب يُقدَّم لهُ على بُعد مترين او اكثر اما الآن وقد تجاوز الثامنة عشرة فضعف بصرهُ واصبح لا يستطيع القراءة على نصف البعد المذكور فما سبب ذلك وهل من دواء لاعادة بصرهِ كما كان

ج . يرجح لنا ان سبب حسرهِ او قصر بصرهِ كثرة المطالعة مطالعة لا يحلها جيداً او في كتب دقيقة الحروف او على نور ضئيل . ومهما كان السبب فان عدسية العين البلورية

تقدَّب او قطر العين من الامام الى الوراء يطول فتصير خطوط النور التي تكوّن صور الاشباح تتقاطع وتكوّن الصورة الواضحة قبلما تصل الى الشبكية التي تنتشر فيها فروع العصب البصري فلا تكون الصورة التي تصل اليها جليَّة . و يُصلَح هذا الخلل باستعمال النظارات المقعَّرة . ولا يعرف دواء لازالته ولكن اذا قلَّل الانسان استعمال عينيهِ قلَّ هذا الخلل رويداً رويداً والغالب انهُ يزول بتقدُّم الانسان في السن

سكنى السيارات

وضع الاستاذ موندر الفلكي رسالة في السيارات من حيث كونها صالحة لسكنى الاحياء او غير صالحة فبيَّن ان البعيدة منها اي اورانوس وزحل والمشتري غير صالحة وكذلك عطارد . اما المريخ الذي كثر البحث في كونهِ مسكونًا فالماء فيهِ جامد دائمًا ولا يسيل الأ صعدة في المنطقة الحارة وذلك ساعات قليلة كل يوم فان كان فيهِ احياء فهم في زمهرير مستمر وقد يكون فيهِ نبات مما يحتمل البرد الشديد . وما الترع التي تتراءى فيهِ سوى نقط واشباح يجمعها النظر عن بعد فيراها خطوطًا . ولا يبقى الأ الزهرة فهي تصلح لسكن الاحياء اذا كانت تدور على محورها كما تدور الارض واما اذا كانت تدور بدورانها حول الشمس اي اذا كان وجه من وجهيها متجهًا الى الشمس دائمًا فهو في حر مستمر كالاتون والوجه الآخر في برد دائم لا يعرف الدفء . وعليهِ ليس من السيارات ما يصلح حتى لسكن الاحياء التي عندنا غير ارضنا

السمك القدي

هو سمك طويل ضيق كالقدة يكون في قاع البحر في الاماكن العميقة وقد صيدت سمكة منهُ حديثًا طولها خمس الدام وثماني عقد ونصف عقدة وعرضها عشر عقد وثلاثة ارباع العقدة وقطر كل عين من عينيها ثلاث عقد

مؤتمر الفسيولوجيين الدولي

عقد مؤتمر الفسيولوجيين الدولي التاسع في مدينة غرونجن بهولندا من ٢ سبتمبر الى ٦ منهُ برئاسة الاستاذ همبرجر وحضرهُ ٤٠٠ من الاعضاء وبينهم اكبر علماء الفسيولوجيا

وتكلموا فيه عمَّا اكتشفوهُ وحققوهُ في المواضيع الفسيولوجية بعد اجتماعهم الاخير

الكلى الصناعية

عرض الدكتور ابل والدكتور روتري من اطباء بلطيمور في مؤتمر الفسيولوجيين العام الآلة التي صنعاها وسمياها كريات الكلية الصناعية glomerulus وهي انابيب من الكلوديون يحيط بها محلول حار تصل بين شريان حيوان ووريده فتفعل فعل الكلية اي انها تستقطر من الدم البول وكل المواد الذائبة فيهِ فتستعمل لاكتشاف ما في الدم من الاملاح ونحوها . ومن المحتمل ان يصير لها فائدة جراحية لان فعلها مثل فعل الكلية او يزيد

مبدأ الاجسام الآلية على الارض

ابان الدكتور بنيامين مور والدكتور وبستر في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ اذا مرَّ اكسيد الكربون الثاني في محلول غير آلي مثل اكسيد الحديد (الاكسيد الحديديك) المخفف كثيراً في مكان مكشوف لاشعة الشمس او لنور القوس الزئبقي تكوَّن منهُ فورم الدهيد وهو سائل آلي . ومن رأيهما ان المواد الآلية تكونت على سطح الارض اولاً من مواد غير آلية على هذه الصورة . وقد عرف قبلاً ان الشرارات الكهربائية تكوّن الفورم الدهيد اذا مرَّت في غاز الهيدروجين واكسيد الكربون الثاني

جمجمة بلتدون وقدم الانسان

من المسائل التي جرى البحث فيها في المؤتمر العلمي مسألة جمجمة بلتدون التي وجدت في بلاد الانكليز فان الدكتور سمث ودورد وضع اجزاءها بعضها مع بعض وقدَّر انها تحوي دماغاً لا يزيد جرمهُ على ١٠٧٠ سنتمتراً مكعباً فيكون متوسطاً بين دماغ ارقى انواع القرود وارق اجناس البشر وحسب انها من اوائل عصر البليستوسين وقد قدر الاستاذ روتوت ان عصر البليستوسين دام ١٥٠٠٠٠ سنة واما الاستاذ بنك وهو اكبر ثقة في تقدير الاعصر الجليدية فقدر مدتهُ من نصف مليون سنة الى مليون ونصف من السنين . الآن الاستاذ كيث حسب ان هذه الجمجمة تسع دماغاً جرمهُ ١٥٠٠ سنتمتر مكعب فهي فوق متوسط جماجم الناس في هذا العصر وعليهِ فنوع الانسان ارتقى حتى بلغ الدرجة التي هو فيها الآن في اواسط عصر البليستوسين الذي دام من ١٥٠ الف سنة الى مليون وخمس مئة الف سنة او كما قالت جريدة التيمس في ١١ اغسطس الماضي اننا اذا اردنا ان نصل الى فجر الزمن الذي ارتقى فيهِ نوع الانسان وجب ان نرتد الى الوراء نحو مليون سنة

البراكين والبرد

ظهر ان لثوران البراكين علاقة شديدة باشتداد برد الهواء فاذا ثار بركان كبير وانتشر الغبار منهُ في طبقات الجو امتص هذا الغبار جانباً كبيراً من حرارة الشمس فتقل الحرارة الواصلة منها الى الارض ويشتد البرد عليها وقد وجد بالحساب ان غبار البراكين قد يمتص خمس الحرارة التي تصل الى الارض من الشمس . ولما ثار بركان كراكاتوى سنة ١٨٨٣ اشتد البرد سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥ و ١٨٨٦ وقد ظهر ان هذا الامر مضطرد منذ سنة ١٧٥٠ الى الآن

حركات الجوع

ابان الدكتور كارلصن في مؤتمر الفسيولوجيين انهُ يسهل اظهار ما يحدث في جدران المعدة من الانقباض وقت الصوم وذلك بان يدخل اليها انبوب من الكاوتشوك في طرفهِ مبيار من الكاوتشوك الذي ينتفخ بسهولة وانبوب آخر يدخل فيهِ ماء ويكون الانبوب الاول متصلاً بآلة مقياس الضغط فيظهر بها ان جدران المعدة تتقلص وتتمدد والمظنون ان حركتها هذه هي التي تسبب الشعور بالجوع

اكرام العلماء

العلم عند الاوربيين غير العلم عندنا والعلماء عندهم غيرهم عندنا فهم يفهمون بالعلم متى اطلقوهُ العلوم الطبيعية وحدها على انواعها وبالعلماء المشتغلين بها

لما اجتمع الوف العلماء في مدينة برمنهام في شهر سبتمبر الماضي أُختير اعظمهم واشهرهم واكثرهم اكتشافات علمية ومنحوا رتبة شرف من جامعة برمنهام وخاطبهم جيفلفر رئيس الجامعة ذاكراً خلاصة اشغال كل منهم التي استحق لاجلها هذا الاكرام كما ترى في ما يلي قال

الدكتور ارهنيوس

مدير معهد نوبل في ستكهلم للطبيعيات والكيمياء عضو اكادمية العلوم الاسوجية وعضو الجمعية الملكية (الانكليزية) فان الطريقة التي استخدم بها نظرية الحل الكهربائي لدرس الافعال الكيماوية نوّعت مجرى علم الكيمياء في الثلاثين سنة الاخيرة ووسعت نطاق البحث الكيماوي ووفقت بين الحقائق التي تظهر متنافضة وغير متصلة وادخلت الظواهر الكيماوية المتزايدة في دائرة البحث الكمي الحسابي فهو من اعظم واضعي علم الكيمياء الحديث وقد زاد على ذلك بانهُ استخدم مبادئ الكيمياء لايضاح اغمض ظواهر الحياة الآلية وما كتبهُ حديثاً في علم الكون كان لهُ شأن كبير في كل مكان فكاشفتهُ الكهربائية

والاشفاق القطبية بمض اسرارها وآراؤُهُ في كيفية تكوُّن العوالم فائقة في اختلابها الالباب واتساع ولائها . رجل نابغة مؤسس من مؤسسي الكيمياء الطبيعية فالمقدَّم الى رتبة دكتور في الشرائع سافنت اغسطس ارهنيوس

مدام كوري

مكتشفة الراديوم ومديرة المعمل الطبيعي في السربون من اعضاء اكادمية كركو الامبراطورية . يعلم اهل الارض اجمع كيف جاءت مدام كوري من ورسو باسم ماري سكلودوسكا لتشتغل في باريس فاستهواها اكتشاف بكرل للفعل الاشعاعي فجعلت تقيس ما تجدهُ في المواد المعدنية من هذا الفعل ورأت منهُ في بقايا الاورانيوم اكثر مما يكون في الاورانيوم نفسهِ فاستخرجت اطناناً من هذه المادة بمهارة ومواظبة منقطعتي النظير (وقد اعطتها حكومة النمسا تلك الاطنان باشارة الاستاذ سوس) فشفَّتها وكانت تبقي على ما تجد الفعل الاشعاعي فيه شديداً وتطرح ما سواهُ الى ان تبيَّن لها وجود عنصر جديد سمتهُ بالبولونيوم نسبة وطنها بولونيا ثم بعد ان قضت شهوراً تشتغل وتتعب تمكنت من استخلاص قمحات قليلة من المادة التي حازت الشهرة الكبرى المادة التي تحتوي قوة طبيعية بصورة طبيعية جديدة والتي يحتمل ان تكون مزيلة لآلام البشر . ثم بينت ماذا يجب ان يكون الوزن الجوهري للعنصر المعدني الذي في هذه المادة (وهو الراديوم) ووجدت لهُ محلاً في سلسلة مندليف واكتشفت بمساعدة زوجها الذي كانت وفاتهُ الفجعة ضربة فادحة إلى العلم - كثيراً من خواص ذلك العنصر وبعض هذه الخواص امتلك عقول البشر بغرابتهِ . والذين اشتغلوا بعدها في العنصرين الذين اكتشفتهما البولونيوم والراديوم كانوا يعتمدون على مشورتها فيجدونها كنزاً لا يثمر . فلي الشرف الآن في تقديم اعظم امرأة من نساء العلم في كل العصور ماري سكلودوسكا كوري لتقلد رتبتنا الشرفية

الاستاذ الدكتور كيبل

استاذ التشريح في جامعة فريبرج هو اكبر ثقة في كيفية نمو الانسان وعلم الاجنة المتعلق بذوات الفقار . هو الذي وضع الاقيسة المعوَّل عليها لقياس ما يتعلق بالاجنة وهو الذي اصلح تعليم التشريح بمؤلفهِ في النمو الذي بثَّ في النفوس المبادئ المبنية على ذلك . فما اضافهُ الى علم التشريح واسلوبهِ سارت بذكره الركبان وعاد عليهِ بالشكر في كل مكان ولاسيما قسم التشريح في هذه الجامعة . هذا العالم الكبير الذي له منزلته العليا في نفوس رصفائهِ وفي يدهِ ادارة اعظم مدرسة لعلم التشريح في المانيا فرنز كارل يوليوس كيبل ادعي ليعطى رتبة شرف فاقدمهُ اليكم

الاستاذ لورنتز

حتى في انكلترا قام منا اكثر من قسطنا من الذين اشتغلوا بالطبيعيات الرياضية في القرن الماضي وهذا القرن ونرى في استاذ الطبيعيات في جامعة ليدن عالماً مثل اكبر علمائنا فانهُ توسع في اشغال كلارك مكسول وادخلها مع الالكترونات التي كُشفت حديثاً ووسع نظرية مكسول في القوى الكهربائية حتى شملت جواهر المادة . وهو ثقة في حركة الاجسام المادية اذا تحركت في اثير الفضاء وقد تحكم في كثير من القضايا التي نتجت من الجمع بين النور والكهربائية ونظمها معاً . واكتشف مواطنهُ زيمان ظاهرة بصرية مغنطيسية غريبة ففسرها لهُ تفسيراً بديعاً ثبتت صحتهُ حالاً وعرف بهِ بناء كثير من الجواهر العنصرية المختلفة وتناولهُ الفلكيون الاميركيون فاكتشفوا بهِ ان كلف الشمس زوابع كهربائية شديدة المغنطيسية . ومن المحتمل ان تفسيرهُ هذا يزيد معارفنا بحقيقة الشمس والنجوم . فاقدم لكم صديقي انطون لورنتز كثقة في مذهب الالكترونات وكن يذكر اسمهُ دائماً كلما ذكر الرأي الجديد القائل ان المادة [illegible] كهربائية

الاستاذ وود

استاذ الطبيعيات في جامعة جونس هبكنس ببلطيمور (باميركا) عالم كثير التجارب العلمية لهُ فضل كبير على العلم الحديث بتجاربهِ في البصريات الطبيعية عامةً تطلع الى مباني جواهر الاجسام ببعض خواص النور التي قلَّما كانت معروفة تعرف سرعة دقائقها بالضبط . واكتشف نوعاً جديداً من الطيف في تلألؤ الابخرة المعدنية . و يعوزني الوقت اذا اردت ان اشير الى كل ما اكتشفهُ من حيث امتصاص بخار الصوديوم واستخدام الفوتوغرافية ذات اللون الواحد لمعرفة جيولوجية القمر . واسمهُ مشهور في اميركا بتسييل الجليد من انابيب الماء بواسطة الكهربائية . ويحق لنا في هذه البلاد ان نغار من العلماء الاميركيين لكثرة ما ينالون من كرم اغنيائهم ومن سائر العلماء على ما تخصهم اياهُ حكوماتهم توسيعاً لنطاق العلم وتعزيز الاساليب العلمية التي يستعملون فيها كرم الكرماء وكرم الحكومة ونعجب بهِ فالمقدم الآن روبرت وليم وود لهذه الدرجة كعالم من اكبر العلماء الطبيعيين الذين قرنوا العلم بالامتحان

الاستاذ فمبيري

توفي المستشرق الكبير الاستاذ ارمينيوس فمبيري المجري في بودابست في ١٤ سبتمبر عن اثنتين وثمانين سنة وسنأتي على ترجمته في الجزء التالي

مرفأ بمباي

لما ثار بركان يزوف وطمر مدينة بمباي

قيل ان ثلاثة ارباع سكانها لجأوا الى المرفإ المجاور لها آملين ان تنقلهم السفن الرومانية من هناك سالمين فخاب املهم . وقد اهتم اهل النقب الآن بكشف آثار ذلك المرفإ فوجدوا طريقاً ممتداً من المدينة الى جهة البحر ولم تزل آثار عجل المركبات فيهِ ووجدوا مباني المرفإ القديم وعليهِ آثار امواج البحر وهذا المرفأ يبعد عن المدينة ٢١٠٠ قدم فقط ويبعد الآن عن شاطىء البحر ٩١٠٠ قدم كأَن الارض ارتفعت هناك فانحسر الماء عنها نحو ميلين . والمرفأ مغطى بطبقة من التراب والرماد والحمم ثخنها نحو ٢٣ قدماً وينتظر ان تكشف تحتها عظام السكان الذين هربوا الى هناك فادركهم الحمام ويكشف ايضاً ما اخذوهُ معهم من الذهب والفضة والجواهر

قصة جديدة للخلق

وُجد بين قطع الخزف الاشورية التي نقلت من انقاض نفر الى اميركا قطعة عليها كتابة اشورية عن خلق الانسان يقال فيها ان انيل خالق السماء والارض اراد ان يخلق الناس لسكنى العالم فقام الآلهة انكي الله الحكمة ورسم صورة انسان مثل صورة الآلهة وقامت الآلهة ننهرسغا وصنعتها من طين تجري اليها دم انيل واعطاها حياةً وعقلاً

انخفاض حرارة الشمس

يظهر من قياس الحرارة في مراصد كثيرة في العام الماضي ان الحرارة التي وصلت الى سطح الارض من الشمس من يونيو سنة ١٩١٢ الى اواسط يناير سنة ١٩١٣ كانت اقل من الحرارة التي تصل اليهِ عادة كأَن غيوم السماء كانت تحجبها عن الوصول الى الارض . فهل لذلك علاقة بقلة فيضان النيل هذه السنة لانهُ اذا قلت الحرارة الواصلة الى الاوقيانوس الهندي قل التبخر منهُ وقلت الامطار التي تكون من بخاره وتقع في بلاد الحبشة ونحوها حيث منابع النيل

اعرب النيازك

حدث في اميركا الشمالية في التاسع من شهر فبراير الماضي حادث غريب جداً رآهُ الناس كثيرون ووصفوهُ وصفاً اقرب الى الوهم منهُ الى الحقيقة . وقد جمع الاستاذ شانت من اساتذة جامعة تورنتو كثيراً من الروايات التي رويت عنهُ ونشر خلاصتها في مجلة الجمعية الفلكية الملكية بكندا ويظهر منها انهُ ظهر عشيةً في الجهة الغربية الشمالية من اميركا جسم ناري احمر او اصفر ذهبي لهُ ذنب طويل وقال بعض الذين رأوهُ ووصفوهُ انهُ كان جسماً واحداً وقال غيرهم انهُ كان بضعة اجسام متصلة ولكلٍ منها ذنب وهذا الجسم او المجموع سار الهوينا في خط افقي كأنهُ يمشي متثاقلاً متبصراً وظل يمشي الى ان بلغ اقصى الجنوب الشرقي وغاب

عن الانصار بابتعادهم ولم يكد يغيب حتى ظهر مجموع آخر اقتفى اثره وسار مسيره وكان مؤلفاً من اجسام مجموعة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولكل منها ذيل يجره وراءه ولكنه اقصر من ذيل الجسم الاول. وغاب هذا المجموع كما غاب الذي قبله وظهر مجموع ثالث اقتفى خطواته

وقد وصف بعضهم هذه المجاميع بما تعريبه كان عدد الاجرام ثلاثين او اثنين وثلاثين والغريب من امرها انها كانت تسير اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة الواحد وراء الآخر على تمام الانتظام كأنها مدرّبة على ذلك وقد جاءت لتُعرض للناظرين. ولما مرّ نحو نصفها ظهر جسم كبير جداً اكبر من اكبرها عشرة اضعاف. والمدة التي كان يظهر بها كل مجموع منها نحو عشرين ثانية الى خمس وعشرين ومدة ظهورها كلها نحو ثلاث دقائق. ولما غاب آخر مجموع منها سمعنا خمسة اصوات او ستة كاصوات الرعد آتية من جهة الشمال الغربي لا من جهة الجنوب الشرقي حيث غابت الاجرام. وانتهى هذا المعرض الساعة التاسعة والدقيقة ١٢ مساء

فائدة الجير في الزراعة

مررنا بالامس في ارض زراعية شديدة الخصب لكننا رأينا في حوض منها بقعة سوداء لا يزيد قطرها على بضعة امتار وليس فيها نبات مع ان القطن حولها نامٍ كثير الجوز ورأينا على مقربة من ذلك الحوض كومة من الجير (الكلس) الحي عجبنا كيف يغفل ناظر الزراعة اصلاح تلك البقعة والجير امام عينيه وهو افضل مصلح لها. وكان المظنون ان الجير يصلح التربة الفاسدة باتحاده مع الاملاح الحامضة التي فيها وتعديلها ولكن ظهر الآن من التجارب الحديثة ان له فعلاً آخر لا يقل عن الفعل الاول اهمية وهو انهُ يميت الحشرات الارضية التي تأكل الميكروبات النافعة ويميت ايضاً جانباً من الميكروبات ويحل المركبات الآلية النيتروجينية فتصير غذاء صالحاً للنبات وحينما يتحد بالحامض الكربونيك ويصير كربونات الجير تأخذ الميكروبات الصالحة للزراعة تنمو بكثرة وتزيد غذاء النبات. وقد لا تظهر فائدة الجير في الموسم الاول او يكون منهُ بعض الضرر ولكن تظهر فائدتهُ في الموسم الثاني وما بعدهُ

سمك يحمل اولادهُ على رأسهِ

وجد اهل السياحة في نهر من انهار غينيا الجديدة سمكاً يخرج للذكر منهُ مادة عظمية في أعلى رأسهِ تطول وتنعطف على نفسها فتصير حلقة مفرغة والبيض الذي تبيضهُ انثاهُ يعلق بهذه الحلقة باهداب تخرج منهُ وتلتف حول الحلقة فيعلق بها نحو مئة بيضة فتصير هذه البيوض في حرز حريز

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والاربعين

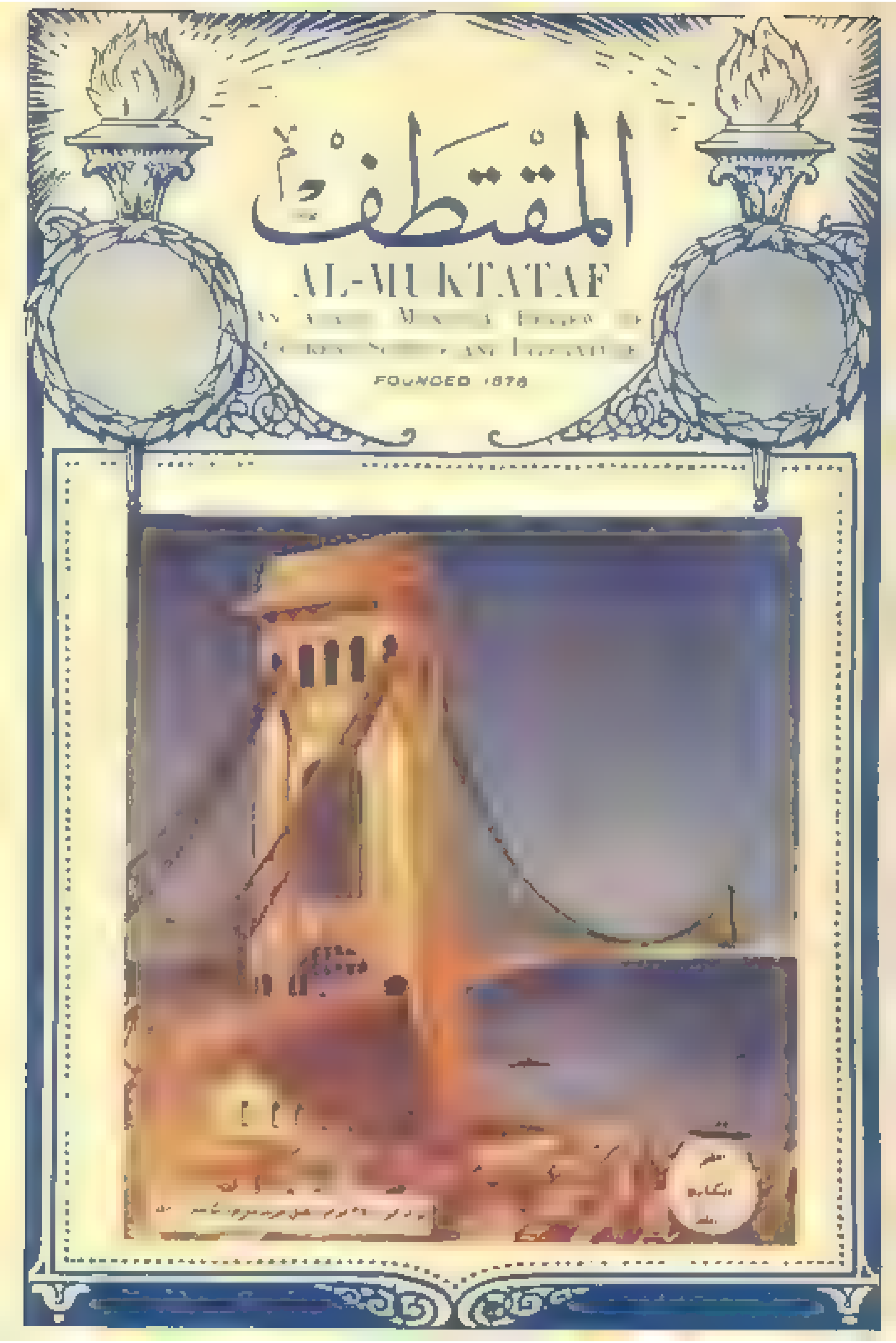
المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣١

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي

٢

يتوقف التداوي بالمواد السامة التي تميت الميكروبات على نسبة فعلها بها الى فعلها بالجسم. ففي التجربة المشهورة التي جرَّبها روبرت كوخ لم تفعل الجرعة الكبيرة من السليماني بعدوى الانثركس (الجمرة) فعلاً شافياً مع انها تفعل بالجسم فلا سبيل لاستعمال السليماني دواء في هذه الحال . وقد يزيد الدواء الشرَّ شرًّا لانهُ يقوي الميكروب المرضي على النمو

وقد اكتشف هاتا سبب ذلك وهو ان الجسم يمتصُّ المادة السامة كلها واما الميكروبات فلا تمتص الأجزاء صغيراً منها . ومن القواعد المشهورة في علم الاحياء ان المادة التي تميت الحي اذا كان مقدارها كثيراً تقويهِ في الغالب اذا كان مقدارها قليلاً وجرعاتها صغيرة ولذلك لا يستعمل في العلاج الا المواد التي نسبة فعلها بالجسم الى فعلها بالميكروبات المرضية لا تحول دون استعمالها علاجاً . ويمكن اظهار ذلك بالامتحان اي بان يقابل بين الجرعة السامة والجرعة التي يحتملها الجسم . والمواد التي لها فائدة دوائية هي المواد التي الجزء الصغير من جرعتها المحتملة كافٍ للفعل الدوائي او الشفائي

وتعليل فعل الادوية حسب رأيي لعلي ورأيي ان في خلايا الجسم واعضائهِ المختلفة قوابل كيماوية مختلفة كما فرضنا وجودها في الميكروبات . ويظهر هذا الاختلاف الكيماوي في الاعضاء باختلاف تلوُّنها بالاصباغ فان قمة الحجاب الحاجز تسودُّ وحدها بعد دخول البارانيلدبامين . والثيلامين يضرُّ الحلمات الكلوية فقط ويميتها في كل الحيوانات . وقد ابان هاتا وغلرمان ان شعر الفيران في بعض بقعها يتلوَّن اذا دخلهُ السيانوجين وتجمع المادة

الملونة بكثرة في النقد البينة . والمواد الملونة من نوع البيرونين تسبب استسقاء عاماً في الفيران من غير ان تضرّ بالكلى دلالة على انها فعلت بالنسيج الموصل تحت الجلد . وهذه الامور كلها تفسّر بان الاماكن التي تحدث فيها هذه الافعال توجد فيها اسباب لحدوث فعل كيماوي خاص وهذه الاسباب هي وجود قوابل كيماوية خصوصية

بناء على ذلك يمكن قسمة العقارات الى صفوف . وقد رأينا انهُ يحسن ان نرى كيف يتغير فعل الحامض الفنيل زرنيخيك الذي هو اساس مركبات الزرنيخ اذا اضيفت اليهِ مواد اخرى . ويمكن تركيب مركبات كثيرة على هذا النمط تبلغ الفاً وخمس مئة فبعضها مقدار الفعل السام فيهِ قليل جداً ٤٢ اقل مما هو في ملح الطعام والبعض الآخر الفعل السام فيهِ كثير جداً حتى ان الشيء الطفيف منها يميت ويختلف فعلها بالجسم باختلاف الاعضاء التي تفعل بها فقد تفعل بالقناة الهضمية فيموت الحيوان بالاسهال الشديد وقد تفعل بالكبد فيصاب الحيوان باليرقان ويموت وقد تذيب الكريات الحمراء من الدم فيموت الحيوان بالانيميا الشديدة . وكثيراً ما تفعل بالمجموع العصبي المركزي في الفيران تفعل بعصب دهليز الاذن الباطنة فتصير الفارة تدور على نفسها دوراناً مستمراً . وفي الناس يتأثر العصب البصري من كثير من مركبات الحامض الفنيل زرنيخيك ومن ثمَّ يصاب بعض الذين يأخذون جرعة كبيرة من الاتكسول والارسازتين ونحوها

وسبب اختلاف تأثر الاعضاء باختلاف انواع الدواء هو اختلاف ما فيها من القوابل الكيماوية كما تقدَّم فان هذه القوابل قد تجذب الدواء كما يجذب المغنطيسُ الحديدَ وهذا هو دليلنا في عمل السهام الدوائية السامَّة التي نعالج بها اي يجب ان نضيف الى الحامض الفنيل زرنيخيك او الفنيل ارسنوبنزول انواعاً من المواد تصلح لما نريد علاجهُ من اعضاء الجسم ولما فيهِ من قوابل الميكروبات

قلت سابقاً ان في الميكروبات انواعاً مختلفة من القوابل فاذا امكننا ان نكتشف فيها قوابل لا مثيل لها في الجسم امكننا ان نركّب دواء فيهِ مواسك تمسك هذه القوابل ولا تمسك قوابل الجسم فيفعل بها ولا يفعل بالجسم والدواء الذي فيهِ هذه المواسك لا ضرر منهُ لان الجسم لا يمسكهُ فيفعل بالميكروبات بكل قوتهِ ويكون من هذا القبيل مثل المواد الواقية التي اكتشفها بهرنغ الشبيهة بما يروى عن الرصاص المسحور الذي يقال في الخرافات انهُ كان يتبع الاعداء ويوقع بهم . ولا ارى ما يمنع من تركيب ادوية تفعل بميكروبات الامراض دون سواها فقد وجدتُ ان الجزء من خمسين الى الجزء من مئة من الجرعة المحتملة من السفرسان

تقي الدجاج من ميكروب السبيرُولس وتشفيها وهذا المقدار لا يضرّ بالدجاجة اقل ضرر لكننا لم نوفق حتى الآن الى اكتشاف ادوية أُخرى يفعل الجزء الصغير منها هذا الفعل . وحسبُنا لو وجدنا ادوية يفعل عشر جرعتها المحتملة او خمسها فعلاً دوائياً

هذه هي المبادئ التي ارتشدنا بها بالاكثر في تركيب الادوية الجديدة . وقد ساعدني في تركيب التراكيب المختلفة منها وامتحانها اطباء كثيرون مثل الدكتور بندا والدكتور برتهيم والدكتور كهن والدكتور فرد . وامتحنها بيولوجيًّا صديقي المحترم الدكتور هاتا ثم الدكتور كرتلي والدكتور هَنْدر موجدنا افضلها واقيها السلفرسان

ولكن بين المصل الكيماوي وطرقة المريض خطوة كبيرة وشقة واسعة لا تقطع الا بالاعتناء . وصعوبتها وخطرها قائمان في امرين الاول ان في الناس امزجة مختلفة اي فيهم استعداد للتأثر الشديد يختلف في الواحد عمّا هو في الآخر وهذا ليس موجوداً في الحيوانات . والثاني ان بعض الامراض تسبب في من تقع به ميلاً الى هذا التأثر الشديد

ومعالجة المرضى على هذه الكيفية امر صعب جدًّا وهي مثل حرب تثار على الميكروبات المرضية . واساليبها مختلفة اهمها ان يحقن الجسم مرةً او مرتين بمادة مخلصة من الميكروب دفعةً واحدة او من الحلمِ الذي فيه واذا خلصتهُ من ٩٥ في المئة من الميكروب فالخمسة الباقية يميتها ما يتولد حينئذٍ في الجسم من المادة المقاومة لها . ولكن ذلك قلما يحدث لان بعض الميكروبات او الحلميات التي تعبر من فعل الدواء تتغير وتكتسب الوقاية من المصل او الامتناع عليهِ فتنمو ثانية وتولد النكس ومن ثم يحصل النكس في بعض الامراض بعد شفائها . ولذلك تدعو الحال الى قتل كل الجراثيم المرضية دفعةً واحدة والا فاذا بقي واحد منها حيًّا نما وتكاثر من جديد . الا ان الحروب لا يحصل الفوز فيها كلها بمعركة واحدة فاصلة بل قد يكون امام الخصوم قلاع ومدينة حصينة لا بدَّ للتغلب عليها من الاستمرار على محاصرتها شهوراً . ويحدث مثل ذلك في الجسم المريض ويكون الغرض حينئذٍ اعداد الجسم للمعركة الفاصلة التي يتغلَّب فيها العلاج على الميكروب . وقد يكون الميكروب نفسهُ حصيناً لا يسهل التغلُّب عليهِ الا بالوسائل الكيماوية المختلفة وهذا هو غرض العلاج الكيماوي المركب

ويتضح مما تقدم ان العلاج المركب يستلزم استعمال فواعل كيماوية مختلفة تفعل بقوابل الميكروب المختلفة فلا يحسن ان نمزج فاعلاً بفاعل آخر مثله او من نوعه كمزج التربيين الازرق بالتربيين الاحمر لانهما يفعلان على حدٍّ سوى بالميكروب او بجهة واحدة منهُ بل يجب ان نختار العقاقير الاخرى وان نشتق منها انواعاً مختلفة تهاجم الميكروب من كل جهاتهِ

حسب قاعدة رجال الحرب الذين يقولون « اهجموا متفرقين وحاربوا مجتمعين »

ومتى عرفنا ماهية قوابل كل نوع من الميكروبات وافعال العقاقير بها تمهد امامنا السبيل لمزج الانواع اللازمة من العقاقير لقتلها

والآن ايها السادة اسمحوا لي ان اذكر لكم بعض النتائج العملية التي وصلنا اليها . تعلمون ان الدواء المجهز الذي يميت النوع الواحد من الميكروب كله قد افاد فائدة كبيرة في الامراض التي ميكروبها من نوع السبرلي (اللولبيات) فحقنة واحدة من السلفرسان تشفي من القوباء التولية (frambœsia) شفاء تاماً الا في ما ندر . وهو مرض شديد الوطأة في البلدان الحارة فقد كان عدد المرضى به في مستشفى سورينام لا يقل عن ٣٠٠ فلما استعمل هذا العلاج شفي كل المصابين الا اثنين وأقفل المستشفى لان كل مصاب كان يشفى تماماً بحقنة واحدة . ويرجى ان يستأصل هذا الداء تماماً بواسطة هذا العلاج

وحدث مثل ذلك في شفاء الحمّى الراجعة فان حقنة واحدة بالسلفرسان تشفي المصاب بها وكذلك الحال في الحمّى المتنكسة

والداء الزهري من قبيل القوبا التولية وقد شفي عدد كبير من المصابين به بحقنة واحدة اذا كان لا يزال في اوائله ولكن الشفاء التام اكثر تحققاً اذا كررت الحقن

وهذه المعالجة ممكنة في امراض غشاء الفم المخاطي وقد افاد استعمال السلفرسان فيها موضعياً . ونجح السلفرسان في الحمّى المثلثة وحبة حلب . هذا في البشر اما في الحيوانات فمرض ثدي الفرس يشفى بحقنة واحدة من السلفرسان وكذلك التهاب الغدد الغاوية ومرض السقاية الذي يصيب الخيل في افريقية

ومن اهم الامور ما وجده رحرس وهو ان الاماتين (الجوهر الفعال في عرق الذهب) دواء نوعي للدوسنطاريا الاميبية . وبلغني ان ازرق التربين يشفي من داء البروبلاسموسس الذي يصيب البقر والكلاب وان الفلاحين في بريتوريا صاروا يحقنون مواشيهم به فتشفى

وقد حاول غرفن لندن الوقاية من التدرّن بمركب من الصاس والسنين فظهرت فائدة لهذا العلاج وظهرت فائدة ايضاً من معالجة الجمرة الخبيثة والسقاية بالسلفرسان ومن المحتمل انهُ يفيد في الحمرة . والمجال واسع في هذا الباب للتجارب المختلفة لان العمل فيهِ لا يزال في بداءتهِ

هذا واذا القينا نظرة عامة على تاريخ علم الطب في الخمسين السنة الماضية ولاسيما في الحرب التي اتلوها على الامراض المعدية وجدنا انهُ تقدم في كل فروعهِ تقدماً مهماً ولاسيما ما يتعلق منهُ بالعلم بلستور وكوخ وبهرنغ فمن الجهة الواحدة تم لنا استفراد الميكروبات المرضية

بالطريقة التي اكتشفها كوخ واشترك فيها تلامذته ورصفاؤه ولاسيما لفلر وغفقي ونيفر ، ودرس الحلميات الذي ابتدأ باكتشاف لافران لجراثيم الملاريا واكتشاف لفلر وشودن وروس وتوكار للسموم التي تمر في المرشحات واكتشاف فعل الحشرات في قبولها جراثيم الامراض وايوائها الى ان تنقلها الى الانسان ومن الجهة الاخرى درسنا اساليب المناعة التي ابتدأت طلمة بدرها على يد متشنيكوف وبلغت اوجها باكتشاف بهرنغ للانتيتكسين ففتح امامنا مجال جديد لعلم الوقاية والبحث في انواع المصل اشتغل به نيفر وبوردت وفيدال ورسرمن وغيرهم وانا منهم . ومن اثمن الثمار التي جنيناها من باب عملي تشخيص الامراض والفائدة ذلك في علم العلاج لا تقدّر . وكان لهذه المكتشفات ولاسيما ما كان منها متعلقاً بانتشار الامراض المعدية فائدة كبيرة جداً في مقاومة الاوبئة والوقاية منها على حد قولهم ان الوقاية خير من الشفاء بل فاقت فائدتها كل ما قُدّر لها . وزد على ذلك ان الامراض التي وجد علاجها من قبلُ كمصل الدفتيريا استفاد علاجها ايضاً من هذه المكتشفات الجديدة

والآن قد عُرف كثير من مخاطر الامراض والاستعداد لها واتجه العلاج الكيماوي الى شفاء الامراض التي يعجز الجسم عن التغلب عليها سواء كانت واقدة او غير واقدة . واذ قد وضع اساس المعالجة الكيماوية على مبادئ علمية اتضحت السبل التي يجب السير فيها ولو لم يخلُ هذا السير من المصاعب . ففي الامراض التي تدخل فيها الحلميات واللولبيات نجحنا نجاحاً يفوق الانتظار ويبشر بنجاح اكبر في المستقبل . وعندنا الآن ادلة كثيرة على ظهور تباشير النجاح في امراض اخرى معدية كالجدري والقرمزية والتيفوس الطفحي والحمّى الصفراء وبنوع خاص في الامراض التي لا ترى جراثيمها بالميكروسكوب لصغرها . ولا تزال الامراض التي ميكروباتها كبيرة الحجم نوعاً وترى بسهولة كالتيفويد والدوسنطاريا والتدرّن محتاجة الى درس كثير ولكني انظر الى المستقبل بعين الثقة وارجو انهُ لا يمضي خمس سنوات حتى نكون قد وصلنا الى نتائج مهمة جداً في هذا السبيل ولو وجدت امامنا مسائل عويصة جداً لا تحلّ ما لم تنصرف اليها همم اناس كثيرين من الباحثين . واذا اعتبرنا كثرة المركبات الكيماوية التي تصلح لما نحن فيهِ من مقاومة الامراض رأينا ان العثور على افيدها في معالجة المرض او في كونهِ اساساً للعلاج انما يكون من باب التوفيق او الاتفاق ولكن الاتفاق يزيد وقوعاً اذا كثر عدد المشتغلين في الموضوع والحال ادعى الآن الى اجتماع القوى لان في الاتحاد قوة في هذا الباب كما في غيره وهذا المؤتمر الدولي الذي يجتمع فيهِ الوف من كل اقطار المسكونة ليثبتوا باجتماعهم ان عالم العلم عالمٌ لا فواصل فيهِ تفصل بين الامم المختلفة قد أسس لهذا الغرض

الاستاذ فمبيري

هودا اسم آخر من اسماء العصاميين الذين ارتقوا من اوطإ دركات الفقر والمسكنة الى اعلى مراتب الشهرة العلمية والادبية . ارمينيوس فمبيري اللغوي الرحالة . ولد في بلد صغير من بلاد المجر من ابوين يهوديين . ولم يكن يعلم سنة ولادته بالتحقيق فلما طلب منهُ ان يكتب اسمهُ في سجل ميلاد الملكة فكتوريا سنة ١٨٨٩ قال انهُ لا يعرف تاريخ ميلاده ولكن سُمح لهُ حينئذٍ ان يجعلهُ في ١٩ مارس سنة ١٨٣٢

كان ابوهُ من اليهود التلموديين يقضي وقتهُ في المطالعة وزوجتهُ تعمل لكسب ما يقوم بمعيشة بيتها . وتوفي ابوهُ وعمرهُ بضعة اشهر وحاولت امهُ ان تنجو من الفقر المدقع الذي كانت فيهِ بالتزوج برجل آخر ولكن هذا الزوج لم يعتنِ باولادها ولا باولاده فاضطر ارمينيوس ان يكدح لنفسهِ ودخل في خدمة خياطة تخيط الثياب للنساء وعمرهُ ١٢ سنة وكان قد تعلَّم في مدرسة بلده مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم البسيطة فترك الخياطة ودخل في خدمة صاحب خان لتعليم ابنهِ ومسح احذية عائلتهِ . واقتصد ممَّا اكتسبهُ من ذلك ثمانية فلورينات اي نحو ثمانين غرشاً فقام بها الى سنت جورجين حيث توجد مدرسة عالية ليتعلَّم فيها ولكنَّها مجانية والاَّ ما استطاع التعلم وكل ما يملكهُ ثمانون غرشاً

وكان فيهِ ميل طبيعي الى تعلُّم اللغات جرى على مقتضى ميلهِ ولم يبلغ السادسة عشرة حتى صار يحسن التكلم بكثير من لغات اوربا واسيا كالمجرية واللاتينية والفرنسوية والالمانية والانكليزية والروسية والسربية . ولما بلغ العشرين تعلَّم التركية وقام فيهِ ميل شديد الى زيارة البلدان الشرقية والاطلاع على ما فيها من عجائب الصناعة ومظاهر الابهة ومواصلة دروسهِ اللغوية فاعطاهُ احد المحسنين نفقات السفر الى البحر الاسود وسار من ثمَّ الى القسطنطينية وجعل يكتسب معيشتهُ بتلاوة الاشعار التركية والفارسية في قهوات اسطانبول وتعليم اللغات الاوربية لاولاد حسين باشا دايم وتعرَّف بكثيرين من اهل الوجاهة فصاروا يسمونهُ رشيد افندي وجُعل سكرتيراً لفؤاد باشا والَّف قاموسهُ بالتركية والالمانية وبلغ عدد اللغات التي اتقنها عشرين لغة

وكان اعرج من صباهُ لكن ذلك لم يقعدهُ عن طلب السياحة في اقصى البلدان رغماً عمَّا هو فيهِ من الفقر فقام قاصداً خيوى وبخارى وسمرقند لكي يتقن لغاتها وكان قد صار عضواً

مراسلاً في اكادمية العلوم المجرية. فاعطتهُ الاكادمية الف فلورين سنة ١٨٦١ لكي يذهب الى قلب اسيا ويبحث عن علاقة اللغة المجرية بلغات تلك البلاد ومضى في السنة التالية الى ايران مع قافلة من حجاج التتار راجعة من مكة وكان قد تزيا بزي درويش غير حاسب للمخاطر حساباً ولا متعظ بما اصاب غيره من السياح الذين جروا هذا المجرى فكشف امرهم ونعي عليهم. وغادر طهران في ٢٨ مارس سنة ١٨٦٣ فوصل الى خيوى في آخر مايو بعد ان كاد يموت عطشاً وهو سائر في الصحراء فاكرم خان خيوى مثواه وانزله عنده شهراً من الزمان ثم قام مع قافلة اخرى وقطع قفراً آخر فكاد يهلك عطشاً قبلما وصل الى بخارى

وزار سمرقند فرآه اميرها وارتاب فيهِ وجعل يباحثهُ حتى اقتنع بصدقهِ فاهدى اليهِ هدايا نفيسة ثم زار وهرات ومشهد وعاد الى بلاد المجر فلم يحفل بهِ اهل بلادهِ لفقرهِ وكونهِ يهودياً. فذهب الى البلاد الانكليزية ووصل مدينة لندن في شهر يونيو سنة ١٨٦٤ وتعرف بالسر هنري رولنصن ولورد ستراتفرد وهما من كبار المستشرقين العارفين باللغات الشرقية والباحثين عن الآثار الاسيوية وتعرف بغيرهما ايضاً من العلماء ورجال السياسة لانهُ كان يبحث في رحلاتهِ عن مقاصد روسيا في البلدان الشرقية وما تطمع اليهِ من التوسع فيها والوصول الى بلاد الهند ودعي الى الجمعية الجغرافية فتكلم عن رحلتهِ وما لقيهُ فيها وحاول ان يقنع رجال السياسة بترك بلادٍ حرماً بين الاملاك الروسية والاملاك الانكليزية في اسيا. والف كتاباً في رحلتهِ كان لهُ وقع عظيم في النفوس وترجم الى اربع عشرة لغة فانتقل بهِ بغتة من درويش خامل الذكر يضرب ماشياً في صحارى اسيا الى رحالة يشار اليهِ بالبنان في عاصمة انكلترا وسائر العواصم الاوربية

ولما عاد الى بلادهِ جُعل استاذاً للغات الشرقية في جامعة بودابست فعكف على الدرس والكتابة والف كتباً كثيرة في المواضيع اللغوية والمسائل الشرقية وكان يراسل معارفهُ من التتر والتركمان والعثمانيين والايرانيين والهنود والفرس بلغاتهم

وزار القسطنطينية مراراً واتصل بالسلطان عبد الحميد وصار من مشيريهِ والمدافعين عنهُ في الجرائد والمجلات الاوربية وقد ترجمنا مما كتبهُ فيهِ مقالة نشرناها في المجلد الرابع عشر الصادر سنة ١٨٩٠ ومما جاء فيها قولهُ « ان السلطنة العثمانية سابقة لسائر ممالك الاسلام والفضل في ذلك لجلالة سلطانها عبد الحميد وعظم اهتمامهِ . وانهُ ورث عن جدهِ السلطان محمود الغيرة والسعي والهمة وعن ابيهِ السلطان عبد المجيد دماثة الاخلاق ورقة القلب ولا ابالغ اذا قلت انهُ لم يقم في تاريخ الشرق سلطان شرقي امتاز بحب الشغل والهمة التي لا تكل

ولا تمل كالسلطان عبد الحميد فانهُ يقضي يومهُ من الصبح باكراً الى ان يتناهى المساء مهتماً بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة

« اما اوصافهُ الذاتية فقد الفيت فيهِ فوق ما سمعت من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق . وهو من المتمسكين بعقائد مذهبهِ والمحافظين على شعائر ديانتهِ المتصفين بالبر والتقوى ولذلك تراهُ محفوفاً باكابر الائمة والعلماء والصلاّح

« واما نظام البوليس الذي انهال القدم عليهِ سهولاً وما يقال عن اجواق العيون والارصاد التي بثها بين رعيتهِ وانفق عليها الاموال الطائلة تأميناً على حياتهِ وتسكيناً لشبهاتهِ فالحق يقال ان هذه الاجواق لا توجد الأ في مخيلة سكان بيرا وغلطه »

هذا ما كتبهُ منذ ٢٣ سنة لكن لما خلع عبد الحميد كتب ما يخالفهُ من وجوه كثيرة بل كتب كتابة منصف . ولم ينفك عن الكتابة في المواضيع الشرقية عموماً والمجارية خصوصاً الى ان ادركتهُ الوفاة فقد نشرت جريدة التيمس رسالة منهُ يوم وفاتهِ موضوعها مسلمو الهند والبلاد العثمانية

وتردَّد على البلاد الانكليزية والقى فيها وفي غيرها خطباً كثيرة وكان في خطبهِ ومقالاتهِ يرمي الى انتقاد السياسة الروسية واقناع الانكليز بان روسيا قاصدة ان تثير الهند عليهم او تنتزعها منهم . ولما زار لندن سنة ١٨٨٩ دعتهُ الملكة اليها وانزلتهُ في قصر وندزر . ونزل ضيفاً قبل ذلك على الملك ادورد لما كان ولي العهد وقال في احد كتبهِ انهُ لما زار وليُّ العهد بودابست ورأى ان كبراءها لا يحفلون بهِ كما يحفل بهِ الانكليز استدعاهُ اليهِ ووضع يدهُ في يدهِ ودخل غرفة الاستقبال على هذه الصورة امام كبراء المجر وعرَّفهم بهِ قائلاً هذا صديقي الاستاذ فمبيري . ومن ثم ارتفعت منزلتهُ عندهم

ولما بلغ السبعين من عمرهِ بعث اليهِ الملك ادورد تلغرافاً يهنئهُ بهِ ثم اهدى اليهِ نشان فكتوريا وقام الملك جورج وهو وليُّ العهد عزَّاها لحفيدهِ

ومن كتبهِ المشهورة رحلتهُ في اواسط اسيا . وترجمة حياتهِ . والهيام والترحال في ايران . ورسوم من قلب اسيا . وتاريخ بخارى . والاخلاق في البلاد الشرقية . وعمران الشعوب التركية التترية . واصل المجر والشعب التركي . والعمران الغربي في البلدان الشرقية

وقد توفي بغتة ليلة الخامس عشر من سبتمبر الماضي في بيتهِ ببودابست وهو في الثانية والثمانين من عمرهِ

مبدأ الاتصال

(تابع ما قبله)

ثم ان الاشعاع الذي يحسب متصلاً ابتدأت الدلائل تدل على انهُ مركب من دقائق فلم يمت مذهب نيوتن كما كنا نحسب في صبانا . ولا شبهة ان بعض الاشعاع مركب من دقائق منفصلة وان في الاشعاع الاثيري شيئاً من الانفصال اذ تظهر فيهِ نقط وربط كأن صدر تموجاتهِ مؤلف من نقط منفصلة او كما قال السر جوزف طمسن ان مقدَّم الامواج اشبه بنقط منيرة على ارض مظلمة منها سطح متساوي الانارة كأن الاثير مؤلف من الياف والامواج تجري في خطوط من القوة الكهربائية كما ارتأى فراداي . ويظهر لي ان نيوتن نفسهُ اشار الى شيء من ذلك حينما اضاف على دقائقهِ نبضات الاثير

وننتظر بحثاً مستفيضاً في الاشعاع يوم الجمعة في قسم الكيمياء والطبيعيات واننا نرحب بالاستاذ لورنتز والدكتور ارهينوس والاستاذ لنجفن والاستاذ برنجسهيم والاستاذ وود وغيرهم فان بعضهم دعوا خاصة لهذا الاجتماع بسبب مباحثهم المهمة في الاشعاع

لماذا هذا الاهتمام الكبير بالاشعاع . لانهُ الحلقة بين المادة والاثير التي دُرست كثيراً وعُرفت اكثر من غيرها . والمرجح انها الحلقة الوحيدة المعروفة عندما التي تؤثر في الاثير حينما يكون وحدهُ . فان الكهربائية والمغنطيسية مرتبطتان بما يسمّى بالالكترون والالكترون يهيج الاشعاع ثم يتركهُ في اثير الفضاء فيسير فيهِ بسرعة معلومة مستقلة تستمرّ على درجة واحدة ما دام الاثير حرّاً غير ممنوع بالمادة وغير مثقل بها ولذلك فالاشعاع يكشف لنا اموراً كثيرة ويمكن ان نتعلم اموراً كثيرة عن حقيقتهِ

الى اي حدّ يمكننا ان نستطرد ناموس الانفصال او التجزء اي كون الاجسام مؤلفة من جواهر او دقائق منفصلة معدودة . من العلماء من يقول ان هذا التجزء يمكن استطرادهُ الى حد بعيد جدّاً اما انا فاعتقد اننا نصل اخيراً الى الاتصال — وان الاثير يملأ الكون ويصل بين جواهرهِ

وتختلف آراء العلماء في الاثير باختلافهم ولكن اتضح مما تقدم انهُ هو الرابط الذي يربط الكون بعضهُ ببعض ويجعلهُ جسماً واحداً بدلاً من كونهِ اجزاء مفروقة مستقلة وهو الذي ينقل كل انواع القوة من الجاذبية العمومية الى جاذبية الالتصاق والالفة الكيماوية فهو مخزن القوة الكامنة في الكون

المادة تحرك ولكن الاثير يتغير شكلهُ لا غير

وما المرونة في المادة الأَ نتيجة تغير الشكل الناتج عن انتقال الدقائق ورجوعها الى وضعها فيقع شدها وضغطها على الاثير · والاثير لا يتحرك اي لا ينتقل من مكان الى آخر مع انهُ يرجح ان اجزاءهُ الصغرى مستمرة على الحركة الدورانية او الاضطرابية · وعدم الحركة هي سبب ما فيهِ من الصلابة الفائقة · فهو اثقل من كل انواع المواد يزيد ثقلهُ النوعي او كثافتهُ ملايين من المرات على ثقل الرصاص والبلاتين لكن المادة تتحرك فيهِ ولا تجد اقل معارضة لا من الفرك ولا من اللزوجة · ولا تناقض في ذلك لان اللزوجة ليست من لوازم الكثافة · اذا مرَّ جامد في سائل اكتسب شيئاً من السكون من السائل الذي شغل محلهُ اما من حيث المادة والاثير فاكثف المواد كثير المسام جداً بالنسبة الى الاثير وجواهرهُ بعيد بعضها عن بعض وفيها وبينها مسافات كبيرة بالنسبة اليها · فجواهر المادة لا تشغل محل دقائق الاثير كما يشغل الجامد محل السائل اذا مرَّ فيهِ بل ان الاثير يتنوع على نوع ما حتى يكوّن المادة · ولا شبهة ان جزءًا منهُ يتحرك حينئذٍ ولكن حركتهُ ليست مثل حركة جسم غريب بل مثل حركة جزء غير منفصل عن الكل · ولا يظهر ان في الاثير شيئاً من اللزوجة

والاشياء المادية المحسوسة التي عليها مدار العلوم الطبيعية هي المادة في حالة الحركة والاثير في حال الانضغاط · فالمادة في حال الحركة تمثل الحركة الفعلية والاثير في حالة الانضغاط يمثل الحركة المكتسبة (Potential اي الكامنة او التي في حيز الامكان) · وكل العالم الكوني المادي انما هي تغيرات من النوع الواحد الى الآخر · وكلما حدث تغيُّر مثل هذا في القوة حدث منهُ فعل او عمل ولكن القوة لا تقل في كميتها بل تنتقل من جسم الى آخر ودائماً من الاثير الى المادة ومن المادة الى الاثير (الاَّ في الاشعاع الذي يتخذ صورة المادة) ومن صورة الى اخرى

ويمكننا ان نقسم انواع القوة التي تفعل باجزاء المادة سواءٌ كانت تلك الاجزاء كبيرة كالنجوم والسيارات او صغيرة كالجواهر والالكترونات اما الى ما ينقل تلك الاجزاء من مكان الى آخر او ما يديرها او ما يهزها واما الى تشكُّل اثيري يظهر لنا مادةً في الاشكال التي ندركها بها بحواسنا

ويظهر لي ان كون الجواهر المادية منفصلة بعضها عن بعض وكونها في حالة الحركة السريعة جداً هما من الاسباب التي تدعو الى القول بان القوة مؤلفة من جواهر او دقائق · وعندي ان ما يظهر من التجزوء في الاشعاع سببهُ تجزء دقائق المادة وانفصالها بعضها عن بعض ·

فالاضطراب الذي يحدث داخل الجوهر يظهر انهُ متقطع ومتى حدث قذف جزءا من الجوهر بقوة شديدة . والظاهر ان هذا القذف لا يحدث الا اذا بلغت الحركة سرعة مخصوصة وحينئذٍ يتغير وضع اجزاء الجوهر وتنتظم انتظاماً جديداً ينتج عنهُ اشعاع اثيري مخصوص ولذلك يظهر الاشعاع متقطعاً كأنهُ يتدفق ابتدافاً او ينفجر انفجاراً بنوب متوالية شبيهة بظهور النجوم الجديدة في السماء

واذا تحرَّك عدد من الجواهر معاً وجب ان تتوزع القوة عليها كلها على السواء ولو بعد زمن طويل حسب درجات مجالها (اي المكان الذي تتحرك فيهِ) ولكن الواقع يخالف ذلك اذ يرى ان بعضها فقط يشترك في تلك القوة ولولاهُ لبُذِّرت القوة تبذيراً وعليهِ فالمجال الضيق لا يشترك في القوة لانهُ لا يمكن ان يتحرك فيهِ اقل من جوهر واحد

وافضّل ان اعبّر عن ذلك بقولي ان مراحمات الدقائق العادية لا توجب اهتزاز الجواهر او تهييج الاثير . ولا تهتز الجواهر اهتزازاً منيراً الا باصطدام شديد جداً وكما ان نسميهُ بالاصطدام الكيماوي . اما حركات الدقائق وصدماتها العادية التي لا تزيد على مليون صدمة في الثانية من الزمان فلا تأثير لها من هذا القبيل الا في المواد ذات النور الفصفوري او البرّاق ولولا ذلك لانتقلت القوة كلها من المادة الى الاثير . ولا غرابة في عجز الدقائق عن الاشعاع لانها بطيئة الحركة تكاد سرعة حركتها تقابل سرعة حركة الصوت وفيها صلابة شديدة ولولا ذلك لشاركت الجواهر في حركتها . والظاهر انها لا تهتز الا عند درجة معلومة من التهييج وهذا اساس نظرية الكم

(واسهب الخطيب في هذا الباب بكلام لا يفهمهُ غير الذين خاضوا في اعوص المباحث الطبيعية الحديثة الى ان قال) انهُ يصعب علينا جداً ان نجري الامتحان في الاثير لاننا لا ندركهُ بحواسنا وكل ما نعلمهُ من خواصهِ المادية هو السرعة التي ينتقل بها امواج النور ولذلك فهو واسطة طبيعية حقيقية ولو لم يكن ملموساً ولا منظوراً . واهم مكتشفات القرن العشرين الطبيعية هو المذهب القائل ان المادة اهتزاز كهربائي وهو الذي اشار اليهِ المستر بلفور في خطبة الرئاسة التي تلاها في كمبردج سنة ١٩٠٤ [1] . ولم يثبت هذا المذهب حتى الآن ثبوتاً ينفي كل ريب ولكنني اثق انهُ سيثبت على وجه من الوجوه [2] . وخلاصتهُ

---

(١) تجد خلاصتها في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٤

(٢) انظر خطبة السر اولفر لدج في هذا الموضوع وهي منشورة في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٣ وموضوعها المادة واحدث المذاهب فيها

(١) ان جواهر المادة مؤلفة من الالكترونات وهذه الالكترونات هي دقائق كهربائية سلبية وايجابية

(٢) ان الجواهر مرتبطة بعضها ببعض لتأليف الدقائق بالالفة الكيماوية التي هي جاذبية كهربائية تفعل على ابعاد صغيرة جداً

(٣) والدقائق مرتبطة بعضها ببعض بجاذبية الالتصاق التي اعتقد انها ما بقي من فعل الالفة الكيماوية بعد ما ينقص منها بالبعد بين الدقائق

(٤) ان المغنطيسية ناتجة من حركة الالكترونات ولا مغنطيسية من غير مجرى كهربائي ولا مجرى كهربائي من غير الكترون متحرك

(٥) يحدث الاشعاع من الكترون متحرك بسرعة متزايدة على نسبة مربع حركته

لا بدَّ من ان يكون لهذا المذهب نتائج غريبة فانهُ اذا ثبت فكل الاعمال المادية انما هي اعمال كهربائية اي اثيرية ونحن لا نشعر بحركتها لاننا نحن وآلاتنا وادواتنا متحركون معاً بسرعة واحدة . . وان الشعور بالحركة يقتضي وجود الاختلاف بين حركتي جسمين اذا كان الجسمان متحركين بسرعة واحدة في الاثير وفي جهة واحدة لم يشعر احدهما بحركة الآخر

والفضل في وضع هذا المذهب القائل ان المادة اهتزازات كهربائية للاستاذ لورنتز ضيفنا الكريم وهو مذهب ايجابي ولهُ نتائج ايجابية وبواسطته نستطيع ان نجرب تجارب توضح بها علاقة المادة باثير الفضاء وليس كذلك المذهب القائل ان وجود المواد شيء نسبي لانهُ مذهب سلبي ينفي وجود المادة

وانا كباحث في الطبيعيات احسب ان الاثير هو الموضوع المتعلق بنا البحث فيه بنوع خاص فان الكيماويين يشاركوننا في درس الدقائق وسائر العلماء في درس اشكال المادة واما درس اثير الفضاء فخاصٌ بعلماء الطبيعيات . وما انا فرد في الاعجاب بالاثير لان عجزنا عن ادراكه بحواسنا مع وجوده في كل مكان واكتنافه لكل الموجودات واتصافه بصفات محدودة مقررة كل ذلك يجعلهُ احرى الموجودات بالاعجاب كما انهُ اعظم ما يوجد في العالم المادي

قال السر جوزف طمسن في اجتماع وينبغ [1] « ان الاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجودهُ امر ضروري لا غنى عنهُ كالهواء الذي نتنفسهُ . فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة »

(١) تجد خطبتهُ في مقتطف [illegible] سنة ١٩٠٩ وموضوعها [illegible] وارتقاؤهُ

والاثير ليس مادة بالذات لكنهُ مادي فانهُ من العالم المادي ويُبحث عنهُ بالوسائل المادية ولكن قولنا هذا لا ينفي انهُ قد تكون لهُ خواص عقلية وروحية تستعمل في عالم آخر كما تستعمل المادة في عالمنا

وهو آلة الاتصال الكبرى . وقد يكون اكثر من ذلك لان بدونهِ لا يكون وجود للعالم المادي على الراجح . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومهِ للاتصال لانهُ يشغل كل المسافات التي بين دقائق المواد ويوصل بينها واذا كان في الامكان وجود المادة بدونهِ فتكون اجزاء متفرقة . وهو الصلة بين العوالم والدقائق ومع ذلك فقد ينكر الناس وجودهُ لانهم لا يشعرون بهِ بحاسةٍ من حواسهم الأ بالبصر ولا يشعرون بهِ حينئذٍ رأساً بل يشعرون باشعة النور

ولكن حولنا مواد كثيرة لا نشعر بها فقد قال السر جوزف طمسن في خطبتهِ المشار اليها آنفاً « ان اصغر جزء من عنصر الليون الذي يمكن ان نحقق وجودهُ جرمهُ جزء من مليون جزء من السنتيمتر المكعب وفي هذا الجزء عشرة ملايين مليون دقيقة من دقائق الليون واذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من الليون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف فاذا لم يكن لدينا دليل على وجود الناس اقوى من الدليل على وجود هذه الدقائق وجدنا الارض خالية من السكان » . اذا كان الامر كذلك فلا وجه للقول بان الفضاء خالٍ من الخلائق وانما يحق لنا ان نقول ان ليس عندنا واسطة لاثبات كونهِ مسكوناً بخلائق غير مادية او غير مسكون بها ولا يمكن ان نشعر بوجود هذه الخلائق اذا كانت موجودة ما لم يوجد اتصال بينها و بين المادة. ويحق لنا ان نعامل هذه الموجودات كأنها غير موجودة الى ان نكتشف رابطة تربطنا بها اي يحق لنا ان نرتاب من وجودها ولكن لا يحق لنا ان نثبت عدم وجودها

وعندي انهُ لا يحق للعلم ان ينفي شيئاً نفياً مطلقاً ولو كان من قبيل الاثير واذا حاول ذلك اخطأ . والنفي ليس من شؤُون العلم وانما شأنهُ الاثبات والامور المبنية على المجردات لا شأن لها في نفي ما ليس في دائرتها لانهُ قد يُعنى شيئاً فرع من العلم ويُعنى به فرع آخر. فالكيماويون يغفلون الاثير والرياضيون يغفلون المسائل التي لا تحل الأ بالتجربة . وعلماء الطبيعة يغفلون الاحياء . والبيولوجيون لا يدخلون في بحثهم العقل والقصد . والعقليون قد يغفلون منشأ الانسان ومصيرهُ . وعلماء الميكرسكوب لا يلتفتون الى الكواكب . ولكن هذه الاشياء يجب ان لا تنكر ولو لم يلتفت اليها. والانكار ليس اقرب الى الصواب من الاثبات.

وكثيراً ما يكون الشك لغير سبب موجب كالاثبات لغير سبب بل قد يصير الشك اثباتاً سلبياً يعتقد صاحبهُ صحتهُ كانهُ حقيقة مقررة فيجب على العلماء ان يجتنبوا هذا الشك اجتنابهم الاثبات الذي لا دليل عليهِ . وما احسن ما قيل ان الشك في كل شيء والتصديق بكل شيء حلاَّن يلجأُ اليها الذين لا يريدون ان يشغلوا عقولهم

والنفي القاطع اصعب من الاثبات لانهُ يقتضي علماً واسعاً شاملاً لكل شيء . والعلم لذاتهِ ناقص لانهُ مبني على التجريد اي على استخلاص القواعد الكلية بالاستقراء من الحوادث التي تنطبق عليها تلك القواعد وترك ما سواها . وانقطاع بعض علماء الطبيعيات لاشغالهم يجعلهم يعتقدون صحة نواميس الطبيعيات والكيمياء وكفاءتها لكل شيء فلا يحاولون ان فرص اسباب غير معروفة مع انهم يرون في الاحياء من الدربة والاختيار ما لا يسرُّ لان اشغالهم تقضي عليهم بتتبع نواميس المادة الطبيعية والقوة في كل تفرعاتها . وعندهم ان الاعمال الطبيعية والكيماوية العادية كافية لتعليل كل ظواهر الحياة الارضية وانهُ لا توجد نواميس جديدة للحي ونواميس قديمة للجماد بل النواميس واحدة للاثنين فاذا قال احد بغير ذلك فعليهِ تقديم البينة . فان ناموس حفظ القوة ونواميس التركيب الكيماوي ونواميس الجاري الكهربائية والاشعاع وكل نواميس الكيمياء والطبيعيات يمكن اطلاقها على الاحياء من غير تردُّد . وهل هي كافية او غير كافية هذه مسألة اخرى ولكن لا شبهة في انها لازمة للاحياء وعلى الفسيولوجي ان يبحث عن اعمالها في كل عمل حيوي . وقد صرَّح بذلك زعماؤُهم قال بردن سندرسن في تحديد الفسيولوجيا انها درس الصفات القابلة للتحقق التي من نوع كيماوي وطبيعي وقال في خطبتهِ امام فرع التشريح والفسيولوجيا في مدينة يورك سنة ١٨٨١ ما يأتي

« تعلمون ما هي حقيقة التقدُّم العظيم الذي حدث في اواسط هذا القرن اذا حدَّدتهُ بقولي انهُ العصر الذي مات فيهِ المذهب الحيوي . فقبل هذا العصر كان اكبر البيولوجيين مثل يوهنس ملَّر يقول ان معارف البيولوجيين للظواهر الحيوية والطبيعية كانت غير كافية لردها كلها الى نوع واحد ولذلك كانت الطريقة المتبعة درس اعمال الحياة النسبية ومن ذلك الوقت صار من الامور الاساسية في ... لا نحسب ... حيوياً انهُ مفهوم ما لم نردَّهُ الى اصولهِ الطبيعية وقد بُنيت الفسيولوجيا على هذا المبدإ وكان اكبر مساعد لذلك التقدُّم الذي تقدَّمهُ علم الكيمياء وعلم الطبيعيات ولاسيما المباحث التي اثبتت مبدأ حفظ القوة . والباحثون الذين يبحثون الآن بهمة ونشاط في كل المسكونة لاجل تقدم علم الفسيولوجيا امامهم غرض واضح محدود وهو ان يعرفوا الاعمال الكيماوية والطبيعية التي تقوم بها الحياة

الحيوانية والآلة التي تنتظم بها هذه الافعال لفائدة الجسم الحي . وكلما احكمنا توجيه بحثنا الى هذه الغايات اسرعنا الى الغرض الاسمى وهو استخدام معارفنا لزيادة سعادة الانسان »

والاستاذ غوتش الذي فندناهُ بالامس عبّر عن ذلك باكثر صراحة حيث قال « ان القول بان الظواهر الفسيولوجية ناتجة عن قوة حيوية ليس من العلم في شيء »

لقد قال بعض منتقديَّ اني من الحيويين وانا كذلك على نوع ما ولكنني لست من الحيويين اذا أُريد بالقوة الحيوية قوة غير محدودة مناقضة لنواميس الكيمياء والطبيعيات . فان هذه النواميس ثابتة مقررة ويمكن ان يزاد عليها لا ان ينقص منها . وغرض العلم استقصاء افعالها في كل مكان بالتدقيق . ولا لوم على من يشمئزّ من اسلوب اهالي العصور الوسطى الذين كانوا يزجّون الاسباب الروحية والمجهولة في علومهم الوهمية . ولا شأن للقضايا في العلم لانها تمنع البحث والامتحان كما اذا نسبنا كل شيء الى الله ووقفنا عند هذا الحد فاننا لا نفسر شيئاً حينئذٍ . نعم ان نسبة كل شيء الى الله كسبب بعيد صحيحة ولكن معرفة السبب البعيد لا تمنع معرفة الاسباب القريبة وهي الاسباب التي يجب على العلم ان يبحث عنها ويكشفها بالصبر والتأني كالبرق والزلازل وما اشبه فان العلم اكتشف اسبابها القريبة اما اكتشاف سببها البعيد فليس من موضوعهِ وانما موضوعهُ البحث عن الاسباب القريبة وقد وُضع لهذه الغاية وهي الغرض الذي يرمي اليه العلماء

اذا قلنا ان العصارة تصعد في النبات بفعل حيوي لم نفسر شيئاً لان لصعود العصارة سبباً طبيعياً يجري على ناموس طبيعي معلوم يمكن كشفهُ وقد كُشف

وتاريخ العلم يدلُّ على ان العلماء كانوا دائماً يغفلون الاسباب التي يجهلونها كأنها غير موجودة . لان الاسباب التي لها وجود حقيقي يجب ان يثبت وجودها بالبحث حتى يحق لنا ان نحسب اسبابها علمية

ولكن لا يخفى ان كثيرين من البيولوجيين يقولون انهُ لا بدَّ من فرض بعض الاسباب قبلما يتيسَّر تفسير كل افعال الاحياء فمنذ عهد ميَر J. R. Mayer ثبت رويداً رويداً ان الحي يجري على نواميس الطبيعيات مثل غيره من الاحياء وهو يعمل عملهُ ولكنهُ يبتدع اساليب لم يكن الجري عليها ممكناً بدونهِ وينتج نتائج لا تنتج الا منهُ وذلك من بناء عش الطائر الى قرص العسل ومن بناء الصندوق الصغير الى المركب الكبير . اذا رأينا بارجة تطلق المدافع امكننا تفسير اطلاقها لها بعلم القذائف ولكننا اذا رأيناها تسدد قنابلها على سفن الاعداء وتتجنب سفن الاصدقاء لم نرَ لذلك تفسيراً في علم من العلوم . وفي كل فعل من

افعال الاحياء كثير من الامور الطبيعية والكماوية والميكانيكية ولكن لكي يمكننا ان نفهمهُ كلهُ تماماً لا بدَّ لنا من شيء وراء هذه العلوم

ان مسير النيران وحركة الزوابع يمكن الانباء عنهما بآلات لابلاس بل يمكننا ان نعرف حركات دقائق الاجسام وسرعتها ونواميس تزايدها ولكن ما من احد من علماء الرياضيات يقدر ان يحسب النقطة التي تدور فيها الذبابة في البيت . اذا دخلت عنكبوتة مقياس الكهربائية رأى صاحبهُ في حركته ما لا يستطيع تفسيرهُ ولو اكتشف العنكبوتة فيه لانها تُدخِل اليه قوة تفوق القوى الطبيعية. واتجاسر واقول ان الحياة تُدخِل بين نواميس الطبيعة شيئاً عماده من القصد لا يمكن معرفتهُ بالحساب فهو شيء يضاف الى النواميس الطبيعية ويجري عليها ولا يناقضها . ونحن لا نرى الحياة ولكننا نرى نتائجها فان الاحياء تحوّل المواد غير الآلية الى مواد آلية ونحن نرى فعلها ونبحث فيهِ والظاهر ان الحياة لازمة لهذا التحويل وهو يحدث تحت ارشادها مع انهُ في ذاته فعل كيمادي

ثم ان الفساد والاختمار وتطهير الانهر ليست افعالاً كيماوية محضة نعم هي افعال كيماوية ولكنها تبتدىء وتجري بواسطة اجسام حيةٍ . ولا يجوز لعلماء البيولوجيا ان يتركوا عملهم للكيماويين والطبيعيين حينما نرى علم الطب قد صار بيولوجياً وجعل رجال السياسة يهتمون بعلم البيولوجيا لجعل الاقاليم الحارة صالحة لسكنى اهل الهمة والنشاط. البيولوجيا علم مستقل وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة من خدمه لا من اسياده

ورجال العلم اعداء الخرافات وحقهم ان يكونوا كذلك لان اكثر الخرافات الشائعة حريٌّ بالازدراء ولكن قد يطلق اسم الخرافة خطأً على اعمال لا يُعرف سببها فان بعض الاعمال التي يعملها علماء البيولوجيا يظهر للناظر غير المدقق انها من قبيل الخرافة . مثال ذلك ان السر رونلد رص لا يقيم مذبحاً لمقاومة الملاريا ولكنهُ يصبُّ لها الزيت في البرك كأنهُ يقرب القرابين لالهتها . واي شيء اغرب مما فعلتهُ حكومة الولايات المتحدة لمنع الامراض من باناما وهو انها امرت بخرق كل الصفائح التي تلقى على الارض (لكي لا يجتمع فيها ماء المطر فيتولد فيه البعوض الذي ينقل العدوى بالحمى الملاريةمن المصاب الى السليم) ومما اشار به علماء الزراعة الآن لتخصيب الارض وهو ان تضرم النار عليها او تعالج بالسموم القتالة كأن المراد حرقها او قتلها

ستأتي البقية

ديدرو DIDEROT

الذين طالعوا خطبة السر اوليفر لدج المنشورة في الصفحات السابقة وخاضوا معهُ عباب الاثير ورأوا حولهُ ملايين الجواهر وكلّ دماغهم من تصوّر الجرّدات يجدون شيئاً من الراحة في ترجمة ديدرو الكاتب الفرنسوي الشهير. رأينا فصلاً في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر فاعتمدنا عليهِ في كتابة الصفحات التالية راجين ان تنهض همم المتعلمين من ابنائنا لتأليف كتاب جامع لاشتات العلوم والفنون كالانسكلوبيذيا الفرنسوية التي الَّفها ديدرو

ولد ديدرو في ٥ اكتوبر سنة ١٧١٣ اي منذ مئتي سنة تماماً وهو من عائلة سكنت ولاية شمبانيا بفرنسا قبل ذلك بمئتي سنة تعمل السيوف والسكاكين وما اشبه . وكان بكر والديهِ فاختاراهُ للخدمة الدينية على جاري عادة تلك الايام فدرس في مدرسة الجزويت التي في بلدهِ ولكنهُ ابى ان ينتظم في سلك خدمة الدين فعرض عليهِ ابوهُ ان يجعلهُ الطب او الفقه فابى قائلاً انهُ لا يحب الطب لئلا يصير عملهُ قتل الناس ولا الفقه لئلا يصير شغلهُ قضى شأنَ كلهم وهو اولى منهُ بقضيها فقال لهُ ابوهُ اذاً ماذا تريد ان تفعل فاجاب « لا شيء اني مولع بالمطالعة وانا راضٍ بها ولا اطلب سواها » . فقطع عنهُ النفقة واضطرهُ الى السعي في طلب الرزق حاسباً انهُ يعود اليهِ نادماً كالابن الشاطر. لكنهُ لم يعد بل دخل بيت رجل من الاغنياء لتعليم اولادهِ ثم سئم هذا العمل وطلب الانصراف فقال لهُ صاحب البيت اطلب ما شئتَ من الاجرة وابقَ عندي معلماً لاولادي فقال لهُ ديدرو « انظر اليَّ فقد اصفرَّ وجهي اصفرار الليمون . انا احاول ان اجعل اولادك رجالاً وهم يحاولون ان يجعلوني ولداً . لست اشكو قلة الراتب ولا سوء المعاملة لان راتبي اكثر مما استحق ومعاملتكم لي على غاية الوداد ولا اريد ان اعيش احسن مما انا عائش هنا ولكنني اريد ان لا اموت »

لا شبهة في انهُ عرف ما في صناعة التعليم من مثبطات العزائم لمن كان حاد التصور عالي المطالب حتى فضَّل الجوع في مدود على التسمّم في مدرسة يعلّم فيها مبادىء الصرف والنحو والى القدود والجوع سار وجعل يكتب العظات للقسوس ويترجم الكتب للطباعين . وتزوج زيجة لم يوفَّق بها وجعل يطوف في شوارع باريس وثيابهُ اسمال وجواربهُ سوداء مرفوءة بخيوط بيضاء لمهارة زوجتهِ وحسن ذوقها وكانت فوق ذلك سليطة اللسان كثيرة الدعوى كثيرة التعبّد فلما دالت دولة الجمال ثقلت على طبعهِ فهجرها ولكنهُ بقي ينفق عليها على جاري

عادلهِ . وتعرَّف بفتاة ذكية العقل كبيرة النفس بجعل يتردد على مجلسها فعرَّفتهُ بكثيرين من نخبة رجال العصر

وبلغهُ ان كتبياً اسمهُ لبريتون عزم على ترجمة انسكلوبيذيا تشمبرس الانكليزية الى اللغة الفرنسوية لمرض نفسهُ لهذا العمل فاستدعاهُ لبريتون اليهِ وسمع حديثهُ فرأى منهُ رجلاً فوق ما قدَّر كثيراً لان ديدرو قال لهُ ان ترجمة الانسكلوبيذيا الانكليزية امرٌ حسن لذاتهِ وسهل جدًّا وانا قادر عليها ولكن لماذا لا يكون لفرنسا انسكلوبيذيا خاصَّة بها واذا كان لا بدَّ من تأليف كتاب مثل هذا فلنؤلف كتاباً جامعاً في مجلدات كثيرة يحوي كل ما تحتاج اليهِ البلاد وتود معرفتهُ الامة ولاسيما بعد ان كثرت المكتشفات العلمية وقد حان الزمان لجمعها ونبويبها وماذا يمنعك من هذا العمل الجليل وان كانت النفقة كثيرة لا تستطيع القيام بها وحدك فعل م لا تستدعي غيرك من طابعي الكتب للاشتراك معك »

ولم يخرج ديدرو حتى كانت الحمية قد دبت في نفس لبريتون وصار اشد غيرة منهُ . ولعلَّ ما دفع ديدرو لذلك لم يكن مجرَّد الغيرة على النفع العام بل كان لهُ غاية اخرى وهي ان يجد عملاً دائماً يحصل فيهِ ورباً) واسعاً للمعيشة ولكنهُ كان يحب العلم ايضاً ولو كانت علومهُ سطحية وكان يعلم ان الانسكلوبيذيا لا بدَّ من ان تحوي اشياء كثيرة عمَّا لا يعلمهُ هو وعمَّا يفوق طورهُ ومن المحتمل انهُ اغترَّ بنفسهِ حينئذٍ فحسب ان هذا الكتاب يغيِّر البلاد من حال الى حال . والواقع انهُ غيَّرها فعلاً وكانت لهُ اليد الطولى في الثورة الفرنسوية وما نتج عنها من شرٍّ قريب وخير بعيد لانهُ رمى الى غاية سامية وهي اظهار مضار الاوهام ومعايب الحكام . وكان ديدرو شديد الوطأة شديد العداء ولولا حكمة لبريتون وسياستهُ في حذف جانب كبير مما كان ديدرو يكتبهُ لما استطاع ان يتم عملهُ

وهذه السياسة لم ترضِ فولتير الذي كان من المساعدين لهُ في انشاء الانسكلوبيذيا لانهُ كان جسوراً ومن طبعهِ ان يوقع بخصمهِ ويمزق لحمهُ ويسحق عظامهُ اذا رأى في ذلك ما يشفي غيظهُ او يثير طبعهُ . ولا يهمهُ ان يدخل في الكتاب ما يرضيهِ ولو آل الى خراب طابعيهِ . فود ان يملأ الانسكلوبيذيا بالتهكم على رجال الدين والعقائد الدينية واتهم ديدرو بانهُ كان يحاول ابطال التعصب الديني لكي يحيي الرياء في نفوس الناس . لكن ديدرو بقي ملتزماً الحذر على قدر امكانهِ ولو كان رأيهُ مثل رأي فولتير . وطعن العقائد الدينية والفضائح السياسية طعنات مصميات ولكنهُ اراش سهامهُ بريش من الذهب ولم يستخف بقوة خصومهِ بل قال ان الغاية تبرر الواسطة فاستعمل الرياء حاسباً انهُ سواغ لا بدَّ منهُ

في تلك الحال والا تعوّض عمله من اصله او هو مثل الزيت للآلة لكنه كان بخيلاً بزيته فتناول لبريتون ابريق الزيت والمقراض وجعل يصب الزيت ويعمل المقراض و يزيد ويحذف حتى نقل شكوى القضاة وملتزمي الاعشار ومختصبي الحقوق ومحتقري العقول ما امكن . فعل ذلك خفية عن ديدرو فلما عرف ديدرو ما جرى قامت قيامته فسخط وغضب ولقب لبريتون اشنع الالقاب فقال انهُ حمار ووحش اتلف ما اشتغله عشرون رجلاً من اصدق الناس وافضلهم وعمل ما لم يرَ لهُ نظير في عالم التحرير الى ان قال لهُ « لقد انفقت في عملي راحتي وساعات اكلي ونومي وبكيت غيظاً امامك واسفاً وراءك خمساً وعشرين سنة وكنت تعباً بشغلهِ الخوف والخطر وكل نوع من المؤلمات فقام مجنون احمق واتلفهُ في ساعة يا للعار ويا لشماتة اعدائنا بنا ان كنت جباناً يخاف المراقب فلماذا اقدمت على هذا العمل واشركت غيرك في مخاطره . لو كان الامر في يد امرأتك لما فعلت ما فعلت »

لكنهُ لم يترك الانسكلوبيذيا بل بقي مصمماً على ان يتمها الى آخرها ويجعلها درة في تاج فرنسا وخزانة لفوائد لنوع الانسان . وطلبت منهُ الملكة كاترينا ملكة روسيا ان ينتقل بها الى بطرسبرج وطلب منهُ فولتير ان ينتقل بها الى لوزان بسويسرا فلم يسمع لهما . وخانهُ بوصيه وهجره دلمبر وكانا شريكين لهُ في التأليف اما هو فبقي على عزمهِ وواظب على عملهِ واتم الانسكلوبيذيا واثبت للارانهُ ابن بجدتها

وكان خصومهُ قد حاولوا صرفهُ عن هذا العمل فلما ظهر الجزء الثاني ادعوا انهُ مفسد للاخلاق مثير للشعب على الحكومة واستصدروا امراً بتوقيفهِ واخذ كل ما عندهُ من الاوراق والمسودات او يزج في السجن فاخذوها لا ليلغوا العمل بل ليتموهُ حسب مرامهم ولكن تعذر عليهم ان يقرأوا خطهُ ويفكوا رموزهُ ولما رأت الحكومة عجزهم اخذت الاوراق منهم وردتها الى ديدرو وطلبت منهُ ان يتم تأليف الانسكلوبيذيا ففعل ولم يبطرهُ انتصارهُ على خصومهِ لانهُ كان يعلم ان خوفهم لا يستخف بها فالتزم جانب الحذر وتجنب المشاكل على قدر الطاقة حاسباً ان اظهار الحق افضل شيء لنفي الاباطيل . واظهار الحق لا يقتضي حرباً ولا خصاماً بل يقوم ببث الحقائق العلمية المقررة فانها تفعل فعل النور في نفي الظلمة لكنهُ لم يكتفِ بارشاد عقلهِ بل كثيراً ما كان يطاوع اميالهُ ويحارب خصومهُ بسلاحهم فيستعمل التهكم تارة والمراوغة اخرى ويفرط في احترام الشيء لكي يميل بالقارىء الى ازدرائهِ

وجرى على هذه الخطة في اظهار معايب الحكومة فوصفها كما هي ولم ينتقدها ولا عرّض بها بل حسب ان التشهير وحدهُ كافٍ لحملها على اصلاح الخلل ومداواة العلل او تقوم الامة

عليها . واذا زاد على ذلك اشار بشيء من الاصلاح وذكرهُ على سبيل النصيحة ففهم اهل عصره غرضهُ تمام الفهم واقبلوا على الاشتراك في الاسكلوبيذيا وكان عدد المشتركين فيها الفين حينما صدر الجزء الاول منها فزادوا رويداً رويداً حتى بلغوا اربعة آلاف وصدر آخر جزء منها سنة ١٧٦٥ وآخر جزء من صورها سنة ١٧٧٢ . وكان راتب ديدرو السنوي نحو مئة وعشرين جنيهاً مع ان الملتزم من ملتزمي تقديم الميرة للجيش كان يكتسب في يومٍ ثمانمئة جنيه

وقد قال لورد مورلي في ترجمة ديدرو « ان من يقرأ الآن تلك الاسكلوبيذيا لا يجد فيها شيئاً يستوجب ما قام عليه من القيامة وما اتهم به من الالحاد بسببها اذ ليس فيها شيء من التعطيل ولا شيء من التهجم الصريح على اسرار الدين الاساسية ولا تشهير واضح بشيء من عيوب خدمته الرئيسية ولكن منهاج الكتاب ساء اهل السيادة حينئذٍ لانهم لم يكونوا قد اعتادوا سماع من ينتقدهم كأنهُ كفوء لهم ثم ان ديدرو حسب ان العدل يقضي بحرية الدين وحرية البحث الفلسفي وان عمل الحكومة انما هو الاهتمام بمصالح الرعية . والاسكلوبيذيا من اولها الى آخرها سلسلة متصلة في تعظيم شأن العلوم والصنائع وذلك كلهُ كان قذى في عيون اهل السيادة في فرنسا في ذلك الحين »

والَّف ديدرو كتباً كثيرة غير الاسكلوبيذيا وانشأ كثيراً من الرسائل في مواضيع شتى وقد جمعت كتبهُ وطبعت في عشرين مجلداً ضخماً ومع ذلك لم يكن في سعة من العيش . ولما كبرت ابنتهُ واراد تزويجها لم يكن عندهُ مهر لها وبلغ آذان الامبراطورة كاترينا ما هو فيهِ من الضيق فارسلت رسولاً الى باريس اشترى منهُ مكتبتهُ بالف جنيه وابقتها في باريس وابقتهُ حافظاً لها براتب سنوي . وسنة ١٧٧٣ ذهب الى بطرس برج ليرفع شكرهُ لها بنفسهِ فرحبت بهِ وجعلت تجالسهُ وتجادلهُ في مواضيع فلسفية مختلفة وكانا يتبذلان في الجدال على ما لم تجر بهِ العادة في قصور الملوك وقد اتفق الرواة على انهُ كان من اقدر الناس في الحديث وسرد الادلة وانهُ كان في الكلام امهر منهُ في الكتابة

ورجع من بطرس برج سنة ١٧٧٤ وعاد الى التحرير والتحبير الى ان وافتهُ المنية سنة ١٧٨٤ . وقد كتب لورد مورلي الفيلسوف الانكليزي ترجمة مسهبة لهُ طبعت سنة ١٨٧٨ وكتب اخيراً ترجمتهُ في الطبعة الاخيرة من الاسكلوبيذيا الانكليزية

الانتفاع بالميكروبات

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كلامهِ على حميات الوباء « انهُ يجب ان تبرَّد بيوت المصابين بها ويصلح هواؤُها . واصلاح الهواء يكون بعضهُ بحسب الاصحاء وبعضهُ بحسب الاصحاء والمرضى . اما الذي بحسب الاصحاء فيكون الغرض فيهِ ان يجفف الهواء ويطيّب وتمنع عفونتهُ باي شيء كان فيصلح لهُ العود الخام والعنبر والكندر والمسك والقسط الحلو والميعة والسندروس والحلتيت وعلك الرزمل والمصطكي وعلك البطم واللاذن والعسل والزعفران والسرو والعرعر والاشنة والقار والسعد والاذخر والابهل والجوز المر . وقد يتخذ من هذه مركبات ويرش البيت بالخل والحلتيت . واما بحسب الاصحاء والمرضى فالتبخير بالصندل والكافور وقشر الرمان والآس والتفاح والسفرجل والابنوس والساذج والطرفا والريباس . ويجب ان يكرر التبخير بذلك » . وقال في التحرز من الوباء « انهُ يجب ان يصلح الهواء بما ذكرنا ويمال الغذاء الى الحموضات »

ومفاد ذلك ان القدماء في عهد ابن سينا وما قبلهُ كانوا يعلمون ان الهواء يحوي احياناً اشياء ضارَّة تسبب الامراض وان اتقاءها او التحرُّز منها يكون باصلاح الهواء او بتطهيرهِ

وقال الدكتر وليم رمزي في مقالة كتبها حديثاً ان القدماء كانوا يعتقدون ان عدوى الحميات تنتقل بالهواء وكانوا يحذرون من لمس المحمومين وتنفس الهواء الذي يتنفسونهُ ويضرمون النيران في الازقة والشوارع لكي تحرق جراثيم الامراض واستشهد بالكاتب دفو الذي كان وقت تفشي الطاعون في مدينة لندن فانهُ قال عن رجل عملهُ نقل جثث الموتى انهُ كان يتقي العدوى بوضع الثوم والسذاب في فيهِ وان زوجتهُ نجت من الطاعون لانها كانت تغسل يديها دواماً وتصبُّ الخل على خمارها وكان الناس في ذلك العصر يشيرون بحرق الزفت والكبريت والبارود في البيوت تطهيراً لها من جراثيم الوباء

وذكر ابن سينا الطاعون واشكالهُ وطرق علاجهِ ولم يشر الى كيفية الوقاية منهُ كأنهُ حسب انهُ غير معدٍ

ولما فشت الكوليرا في القطر المصري في يوليو واغسطس سنة ١٨٣١ مات بها ٣٠٠٠ من الجنود المصرية و٨٠٠ من التجارة و٣ الى ٤ في المئة من السكان وكتب حينئذٍ المستر جون باركر الذي كان قنصلاً جنرالاً لانكلترا في القطر المصري الى اخيه ادورد وكان قنصلاً

لدولته في القاهرة يقول ان الاوربيين الساكنين في الاسكندرية والقاهرة لا يصابون بالجرب مع انهُ اشد الامراض المعدية عدوى وما ذلك الا لان اسلوب معيشتهم لا يعرضهم للعدوى لانهُ انما يعدي بالاتصال ومن رأي الدكتور كرستي ان الكوليرا تعدي بالاتصال ايضاً ولا تعدي بسواهُ . ثم كتب اليهِ بعد شهر من الزمان (في ١١ سبتمبر سنة ١٨٣١) يقول بلغ عدد الوفيات في القاهرة (بالكوليرا) ٤٩ في اليوم اما التقارير الرسمية لعدد الوفيات في ٨ و٩ و١٠ و١١ من هذا الشهر فهو ٤ و٥٦ و٣٨ و ٤ وانا مقتنع الآن ان الكوليرا تعدي بالاتصال وان الفصد دواؤها الفعال

وجاء في الكتاب الذي جمعت فيهِ مكاتيبهُ ان الطاعون ظهر بغتة في بيت مري قرب بيروت وذلك في ربيع سنة ١٨٣١ في دير التريا منها (الارض المقدسة) فمات بهِ الرهبان كلهم وهم ستة والمترجم وبلغ عبد الله باشا والي عكاء الخبر فحوط الدير بنطاق صحي من الجنود فلم ينتشر الوباء في البلاد فثبت بذلك ان الوباء معدٍ . ويقال ان سبب انتشار الوباء في ذلك الدير انهُ اتاهُ رئيس جديد من اوربا ورأى هناك صندوقاً قديماً فسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ لراهب توفي بالطاعون منذ ثماني عشرة سنة ووضعت ثيابهُ فيهِ لترسل الى ذويهِ . فامر الرئيس بفتح الصندوق وطهرت الثياب فانتشر الوباء منها واصاب الرهبان كلهم

ويذكر المتقدمون في السن من قرَّاء المقتطف ان الناس كانوا يعتقدون بعدوى الكوليرا والجدري ونحوها من الاوبئة وانهم كثيراً ما كانوا يضرمون النيران في الشوارع ويحرقون البخور والكبريت ونحوها من المواد ذات الرائحة الشديدة لتطهير الهواء من العدوى ولو لم يعرفوا حقيقتها . وقال لنا غير واحد من سكان هذا القطر انهم كانوا يأكلون الثوم ليقينهم انهُ دواء للكوليرا وخير واقٍ منها . ولكن الدواء الناجع الذي كانوا يلجأون اليهِ في هذا القطر وسائر الاقطار هو الهرب من الوباء مهما كان نوعهُ لان الاعتقاد كان راسخاً في نفوسهم ان الكوليرا داء معدٍ والهرب من المصابين خير واقٍ منهُ والظاهر انهم بنوا هذا الاعتقاد على سلامة الذين يهربون الى بلاد غير موبوءة

ومرت القرون والاطباء لا يعلمون اسباب العدوى لانها اخفى من ان تلمس باليد او ترى بالعين ولولا اختراع الميكرسكوب الذي تنوص بلورتهُ في السوائل حتى ترى بها الاشياء الدقيقة جداً لبقينا حتى الآن نجهل اسباب الامراض

عصر الناس الخمر وصنعوا الخل وخمروا الخبز من قديم الزمان وهم لا يعلمون سر ما يفعلون كما لا يعلمون سر الامراض الى ان قام باستور وبحث عن سبب الاختمار فاكتشفهُ ثم بحث

عن سبب الداء الذي يعتري دود القز ويميتهُ فاكتشفهُ ايضاً . وبحث عن سبب البثرة الخبيثة التي تميت المواشي والبشر فاكتشفهُ وبحث عن سبب كوليرا الدجاج فاكتشفهُ . وعرف ان اسباب ذلك كلهِ احياءٌ صغيرة مختلفة الانواع وهي التي سميناها بالميكروبات . نوع منها يسبب اختمار عصير العنب فيصيرهُ خمراً ونوع يقع في الخمر فيصيرها خلاً ونوع يفعل بالعجين فيخمرهُ ونوع يقع في اللبن فيحمضهُ ونوع يصيب دود القز فيمرضهُ ويميتهُ ونوع يدخل ابدان المواشي فتصاب بالبثرة الخبيثة ونوع يدخل ابدان الدجاج فتصاب بالكوليرا

وبينا هو يبحث في كوليرا الدجاج ترك الآنية التي فيها ميكروبها ونسيها حيث وضعها ثم لما انتبه لها واستعملها في تطعيم الفراخ السليمة وجد ان فعلها بها صار اضعف من فعل الميكروبات الجديدة فاستنتج ان تركها للمدة الطويلة اضعفها وانها قد تقي الفراخ التي تطعم بها من كوليرا الدجاج الشديدة كما يقي لقاح الجدري الانسان من الجدري الثقيل . فكان كما استنتج . وهذا الاكتشاف العرضي غيَّر منهاج الطب وهدى الاطباء الى التطعيم الواقي والشافي من الدفتيريا والكوليرا والتيفويد والطاعون والحمَّى الصفراء وشلل الاطفال وما اشبه ولا يزال امام الاطباء امراض كثيرة لم يكتشف ميكروبها او كُشف ولم تكتشف طريقة لاضعاف فعلهِ وجعلهِ لقاحاً واقياً ولكن العلماء الباحثين في هذا الموضوع لا يزالون يوالون البحث اما لكشف لقاح او لتركيب دواء

واكتشاف الميكروبات مهَّد السبيل لمعرفة ما يقع في الجراح من الفساد فثبت ان كل صديد سببهُ ميكروبات الفساد ولولاها ما فسد جرح ولا تكوَّن صديد ولا انتن لحم فاذا كانت الآلات الجراحية وايدي الجراحين نظيفة ووقيت الجروح من وصول ميكروبات الفساد اليها التأمت سريعاً من غير دغل فبلغت الجراحة بهذا الاكتشاف حدًّا لم يكن يخطر على البال وصار الجراحون يعملون العجائب كما يرى من وصف اعمالهم التي نشرحها في المقتطف من وقت الى آخر

والظاهر ان معالجة الامراض الميكروبية المعدية بالتطعيم او بميكروبات ضعيفة ترجع الى مواد كيماوية تولدها الميكروبات او يولدها الجسم حين مقاومتهِ لها وان الفعل الشفائي الحقيقي ليس للميكروبات نفسها بل لهذه المواد الكيماوية والميكروبات واسطة لها وهذا هو العلاج الكيماوي الذي شرحهُ الاستاذ ارلخ في خطبتهِ التي نشرنا جانباً منها في الجزء السابق وسننشر تتمتها في هذا الجزء

السلم والحرب

(تابع ما قبله)

وفكرة السلم قديمة جداً يرجع تاريخها الى الجاهلية في بلاد اليونان فقد عثر في اطلالها على آثار عديدة ثبت منها ان القبائل التي كانت تعبد الهاً واحداً كانت تتضامن وتتعاون على حماية هيكل معبودها ولا يسمح لاحداها بشن الغارة على الاخرى. ثم تدرجت من ذلك الى ان صارت تعقد مؤتمرات يحضرها مندوبوها فيقررون ما يصلح شأن قبائلهم ويعلي منارها ويوطد اركان الاتفاق بينها ويعزز قوتها حتى لا تجرأ القبائل الاخرى المتضامنة على الاعتداء عليها. وكانوا يسمون هذه المؤتمرات « الجامع الامفستونية » وكانت تحاكي في غاياتها ومراميها المؤتمرات التي تعقد الآن بين الدول الاوربية المتحالفة او المتفقة

وجاءت السلطنة الرومانية فربطت معظم اجزاء العالم بعضهُ ببعض بفضل الحكم المركزي الذي صارت عليهِ فعمَّ السلام فيهِ زمناً طويلاً

وقام على انقاضها النظام الاقطاعي وقد كان الغرض منهُ تضامن اصحاب الاقطاعيات الذين يدينون لملك واحد وتآزرهم في حالتي الدفاع والهجوم لا تأييد السلم مباشرة ومع ذلك فقد كان في تضامنهم شيء من الاتحاد الذي هو اقوى اركان السلم

وكان لنفوذ كنيسة رومية في ذلك الزمان عظيماً جداً فبذلتهُ في توثيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنت شريعة سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمتها « هدنة الله » في الارض

وكرت الايام وتعاقبت السنون الى ان ارتقى الملك هنري الرابع عرش فرنسا فرأى بدهائهِ وبعد نظرهِ انهُ لا بد من وقوع الحرب بين ممالك اوربا الكاثوليكية وممالكها البروتستانتية فخطر لهُ ان يوفق بينها ويحول دون وقوع الخطر الذي كان يتهددها فوضع مشروعاً لذلك سماهُ المؤرخون « المشروع العظيم » ولكن الاحوال لم تمكنهُ من تنفيذهِ فشبت الحرب بعد خمسة عشر عاماً وظلت سجالاً ثلاثين سنة وهي الحرب المعروفة « بحرب الثلاثين سنة »

واشرقت انوار التمدن في اوربا فتنبه اهلها من غفلتهم ورأى سكان البلدان التي كانت منقسمة الى امارات عديدة لا يجمع بينها سوى وحدة اللغة وتماثل العادات والاخلاق ان تفرقها لا يكسبها الا الخسران والامتهان فاجمعت على الاتحاد لتصير أمة واحدة حرة تدافع

عن كيانها وتذود عن مصالحها من اعتداء المتعدين وطمع الطامعين بدلاً من ان يتحكم فيها الغرباء ويستبدوا بافرادها ويستنزفوا اموالها . وكان الشعب السويسري في مقدمة الشعوب التي اتحدت فاستجمع قواهُ التي كانت منصرفة الى مناواة بعضهِ بعضاً وهب في وجه النمسا فنزع نيرها الثقيل عن عاتقهِ ثم عمد الى اصلاح شؤونهِ الداخلية وجرى على سنة الارتقاء حتى صار من اجل الشعوب كعباً في التمدن واشدها تمسكاً باهداب الحرية

وذاعت تعاليم جان جاك رسو وفولتير وغيرهما من دعاة الحرية ووصلت الى العالم الجديد فاستنارت بها اذهان اهلهِ واتفق ان سكان بعض الولايات التي كانت خاضعة لانكلترا في اميركا الشمالية استاؤوا من ضريبة ضربتها عليهم الحكومة الانكليزية فثاروا عليها واستقلوا عنها ووضعوا الاساس الذي شيدت عليهِ جمهورية الولايات المتحدة كما نعرفها الآن

واشتد ضغط الامم المجاورة لممالك الالمانية وامارتها المتفرقة عليها حتى كاد يخنقها ويقضي عليها فاتحدت كلها للذود عن كيانها فقهرت عدوتها الكبرى فرنسا ثم عكفت على اصلاح شؤونها وتعزيز قوتها فصارت في طليعة البلدان عزة ومنعة

وقد نتج من اتحاد البلدان التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكرهُ مثل ايطاليا ان عدد الممالك او الامارات او الولايات التي كان في طاقتها ان تشهر الحرب وتخوض غمارها نقص الآن كثيراً عما كان عليهِ منذ قرن ونصف . والا فلو ظلت الولايات الواقعة في البلاد التي نسميها الولايات المتحدة من غير ان تتحد كلها معاً تحت راية واحدة وسلطة عليا واحدة لكان منها الآن ٥١ ولاية كل منها تستطيع محاربة جاراتها . وقد كانت المانيا قبل الاتحاد الالماني تتألف من ست وعشرين مملكة وامارة وولاية ما عدا المدن الحرة وكانت الحرب بينها سجالاً وكذلك ايطاليا فانها كانت تتألف قبل اتحادها من ١٧ مملكة وامارة وجمهورية لا تجمعها الا جامعة العداوة . ولو حسبنا ما نقص في عدد المتحاربين في العالم بفضل اتحاد كل من هذه الامم الثلاث فقط لبلغ اكثر من ٨٦ بلاداً كانت كلها تستطيع شهر الحرب وخوض غمارها

ولم يقتصر هذا النقص على عدد البلدان المتحاربة فقط بل تعداهُ الى المساحة التي يمكن ان تقع فيها الحرب ايضاً . فقد اتفقت الدول صاحبة الكلمة المسموعة على عد بعض البلدان كسويسره والبلجيك ولكسمبرج ونروج في اوربا ووادي نهر الكونغو وقنال السويس في افريقية ومنطقة البحيرات في اميركا الشمالية محايدة فلا تشهر عليها حرب ولا يقع فيها قتال الا اذا كان داخلياً لاخماد ثورة او قمع فتنة او تسكين اضطراب

بقي التوازن الدولي وانقسام الدول هذه الايام الى محالفات واتفاقات من اجل ذلك .

وليس هذا التوازن في الحقيقة الأحفظ التكافوء بين الدول حتى لا تشتد شوكة احداها او بعضها و يستفحل امرها فتهدد سلامة سائر الدول كما حدث في القرون المتوسطة لما اشتدت المنافسة بين فرنسا واسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة وتعاظمت الى حد اضر بسائر البلدان الصغيرة المجاورة لهن ضرراً بالغاً كان يهدد كيانها

وقد عاد هذا التوازن بفوائد عديدة على العالم كاجماع كلمة دول اوربا على بعض الشؤون العظيمة واهمها كلها المسألة الشرقية واتفاقها على مسائل كثيرة عامة كمسألة سواحل غرب افريقية في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ ومسألة تحرير العبيد في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ومسألة المغرب الاقصى في مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ التي كادت تجر على اوربا حرباً ضروساً

والفضل في ايجاد هذا التوازن عائد بالاكثر الى نبوليون الاول فانهُ قضى على ما كان باقياً في ايامهِ من النظام الاقطاعي ورسم خريطة اوربا السياسية كما هي الآن ولفت عيون الدول الى وجوب التعاضد والتآزر منعاً لتفوّق احداها على الاخرى كما تفوقت فرنسا في عهده على سائر الدول وكانت توقع فيها الذعر والرعب وتهدد كيانها

وقد خدم هذا التوازن العالم في حربي البلقان الاولى والثانية خدمة جليلة فنجاه من شر مستطير كان منهُ قاب قوسين او ادنى

وكانت الدول الخمس العظمى في اوربا مستأثرة بالمؤتمرات الدولية في اول الامر ثم اشتركت فيها الدولة العلية سنة ١٨٥٦ فالولايات المتحدة سنة ١٨٧٨ فاليابان في الايام الاخيرة وصارت تدعو من حين الى آخر بعض الممالك الصغيرة الى ارسال مندوبين من قبلها لحضور بعض المؤتمرات التي تعقدها

فيرى من كل ما تقدم ان منزلة المؤتمرات من الدول منزلة الجمعيات الوطنية الكبرى التي تجمعها كل دولة حين حدوث امر خطير فيها (مثل الجمعية التي دعتها وزارة كامل باشا في الاستانة منذ اشهر لاستشارتها في مسألة تسليم ادرنه الى البلغاريين) وان منزلة الاتفاق الدولي من مجموع الدول منزلة مجلس نواب كل دولة من مجموع امتها

هذا هو اساس البرلمان او الندوة الدولية التي نشدها دعاة الاصلاح من عهد هنري الرابع ملك فرنسا الى يومنا هذا

وفي ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ اصدر نقولا الثاني قيصر الروس الحالي منشورهُ المشهور الذي دعا فيهِ دول الارض الى عقد مؤتمر يبحث في الوسائل التي توطد اركان السلم العام

وتنقذ العالم من ويلات الحروب وشرورها . وفي العام التالي عقد مؤتمر السلام الاول في مدينة الهاي عاصمة هولندا نحضره نواب من اسبانيا واسوج والمانيا وايطاليا والبرتوغال وبريطانيا العظمى وبلجيكا وتركيا والدنمارك وروسيا ورومانيا وسربيا وسيام وسويسرا والصين وفرنسا ولكسمبرج والنمسا وهولندا والولايات المتحدة واليابان واليونان

وبحث هذا المؤتمر في مسألة نزع السلاح او الوقوف فيهِ عند حد محدود برًّا وبحرًا . ومسألة ربط الامم المتحاربة بقيود تخفف ويلات الحرب وتقلل آلامها ومضارها . ومسألة انشاء مجلس دولي للفصل في خصومات الدول بالتحكيم . فنجح في وضع بعض القوانين لتخفيف ويلات الحروب ولاسيما في ما يتعلق بالجرحى والاسرى والمرضى وخدمة الدين لعرض على الدول المتحاربة ان تعاملهم احسن معاملة ووضع لذلك قيوداً كثيرة . ونجح ايضاً في انشاء مجلس يقضي بين الدول في الخصومات التي يتفق على رفعها اليهِ ليفصل بينهن فيها ولكنهُ فشل في الاقتراح الاول والاهم وهو نزع السلاح او توقيفهُ عند الحد الذي كان قد بلغهُ حينئذٍ فشلاً تامًّا

وعقد المؤتمر الثاني في الهاي ايضاً سنة ١٩٠٧ نحضره مندوبو اربع واربعين دولة فابدلوا القوانين التي كانت تراعيها الدول عرفاً وعقلاً كل دولة منها بما يلائم مصلحتها وبحسب ما لها من الحول والطول بقوانين مكتوبة تعين ما لكل دولة من الحقوق وما عليها من الواجبات لسائر الدول

واتفقت فرنسا وانكلترا في الفترة التي تخللت انعقاد ذينك المؤتمرين فابرمتا المعاهدة الاولى على فصل الخصومات التي تنشأ بينهما في المستقبل وحسمها كلها بالتحكيم الاَّ ما كان منها متعلقاً بالشرف الوطني او المصالح الحيوية

واخذت الدول من ذلك الوقت تحذو حذو فرنسا وانكلترا في عقد المعاهدات بعضهنَّ مع بعض لفصل خصوماتهن بالتحكيم مستثنيات من ذلك ما استثنتهُ فرنسا وانكلترا قبلهنَّ ولكنهنَّ جعلن استئناف خصوماتهن الى محكمة الهاي الدولية لتفصل فيها امراً محتماً عليهنَّ وفرضاً واجباً

ثم عقد المؤتمر البحري الدولي في لندن سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ فسن قانونا بحريًّا يسري على جميع الدول في اثناء الحرب ليعمل بهِ في محكمة الغنائم الدولية وكان مندوبو بعض الدول قد اقترحوا سن مثل هذا القانون في مؤتمر السلام الثاني

وهكذا بينما المدافع تسبك والبوارج تبنى والجيوش تزداد عدداً وعدة والصحف ترسم

خطط الحروب وتعبئة الجيوش والناس يتشاءمون من المستقبل ويتكهنون بوقوع الويلات فيهِ — بينما هذا يجري امام عيوننا من جهة نرى الدول من جهة اخرى تعمل مثابرة على وضع القوانين الدولية وانشاء محكمة دولية تفصل في خصوماتهن بمقتضى تلك القوانين لتقل اسباب الحروب ويتقي الخوف من وقوعها

وكان الامير كيوش في طليعة القائلين بان السلم هو الحالة الطبيعية للمجتمع الانساني لا الحرب وانهُ اذا انتفت اسباب الحرب فلا يبقى لها مسوغ. اما اسباب الحرب والاغراض التي تشهر لاجلها فعديدة اهمها اذا استثنينا منها الدفاع الذاتي الخمسة التالية

اولاً حب التوسع الذي يسببهُ ازدحام السكان وضيق البلاد عن نمو بنيهم فاذا عجزت دولة هذه حالتها عن الحصول على الاملاك اللازمة لمعاش رعاياها بالمفاوضة لم يبقَ لها الاَّ الحرب فتعمد اليها

ثانياً المطامع الوطنية او الرغبة في نحو عار كسرة كبيرة

ثالثاً ما يحاولهُ الملوك والرؤساء الطامعون من تحويل الرأي العام عن مجراهُ العادي الى مجرى آخر يكون موطداً لعروشهم ومثبتاً لكراسيهم

رابعاً الحسد الذي ينشأ بين الامم من السبق التجاري والتفوق المادي

خامساً سعي اصحاب الاموال ومصانع البوارج والسلاح في تثمير اموالهم في القروض وحمل الدول على ابتياع مصنوعاتهم

وقد انقضى زمن طويل على جمهوريات اميركا الجنوبية والوسطى وهي في حرب سجال استنفدت قواها وضعضعت احوالها واساءت سمعتها في عيون دول اوربا فاحجمت عن مدها بالاموال اللازمة لترقيها ونجاحها. واشفقت حكومة الولايات المتحدة ان تنادي تلك الجمهوريات في طيشها وغرورها فتسوء العاقبة عليهن وبتقهقرن مئات الاعوام فاوعزت الى سفرائها ومعتمديها ان يدعوهن الى مؤتمر يعقد في وشنطن للبحث في الوسائل التي تمنع وقوع الحرب بين الامم الاميركية. وعقد هذا المؤتمر سنة ١٨٨٢ فوضع مشروعاً يقضي على تلك الجمهوريات بفصل الخصومات التي تقع بينهن مهما كان منشأها بالتحكيم الاَّ في المسائل التي يرى احد الفريقين المتخاصمين انها مهددة لاستقلاله ومع ذلك فقد اوجب على الفريق الثاني الاذعان للتحكيم ولو لم يكن الفريق الاول مضطراً الى الاذعان له

وعقدت تلك الجمهوريات مؤتمراً ثانياً في مكسيكو سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ بحث في الامور التي بحث فيها المؤتمر الاول فقر قراره على تعديل المشروع الاول بحيث توافق عليهِ

جميع حكومات الام الاميركية واعداد مشروع لتقييد تلك الحكومات بمعاهدة عامة

وعقد مؤتمر ثالث في وشنطن ايضاً سنة ١٩٠٦ حضره مندوبو جميع حكومات الام الاميركية ما عدا حكومتي هايتي وفنزويلا لبحث في ماهية القوة التي تستخدم لتحصيل الاموال من الحكومات الاميركية التي تعصي مدفع ما عليها وطرق استخدامها والحد الذي يمكن ابلاغها اليه وفي ارجاء البت في مبدإ التحكيم الذي بحث فيه المؤتمران السابقان الى ما بعد مؤتمر الهاي الثاني الذي كان موعد انعقاده في العام التالي

ولقد زال بسبب هذه المؤتمرات الثلاثة كثير من اسباب الخلاف الذي استفحل امره بين حكومات تلك الجمهوريات وحسمت انكلترا خلافها مع فنزويلا بسبب غيانا الانكليزية وفرنسا مع البرازيل بسبب غيانا الفرنسوية وسوي الخلاف القديم الذي كان بين انكلترا وفرنسا على نيوفوندلند والخلاف الذي كان بين الولايات المتحدة وانكلترا بسبب كندا وتعاهدت جمهوريتا شيلي والارجنتين على فصل خصوماتهما كلها بالتحكيم . وخلاصة القول ان تلك المؤتمرات عادت باعظم الفوائد على اقرار السلم في القارتين الاميركيتين وكان ذلك من اعظم الاسباب التي اهابت بقيصر الروس الى اصدار منشوره المشار اليه آنفاً

سيأتي البقية

الادب الطبيعي

الطبيعة مدرسة جامعة تستخرج منها كنوز المعارف وتنبعث منها اشعة التعاليم الصحيحة وتخضع لاحكامها جميع الكائنات بحيث ان ما يجري في الكون من الاعمال المادية والحيوية والعقلية والادبية يسير طبقاً لنواميسها وما خالفها يتقهقر او يقف في سير نموه ويضعف ويموت . وهي تميل بنظامها الى اصلاح المخلوقات وتحسينها وبها تحولت خشونة الجدود الاقدمين الى اللطف والكياسة ووصل الانسان الى الحالة الاجتماعية الحاضرة . على ان هذا الرقي العظيم لم يبلغ درجة الكمال وليس هو الحد الذي يقف عنده الناموس الطبيعي الذي لا ينفك عن العمل ويقضي باطراد التحسين . فاذا تأدب الانسان بالادب الطبيعي وهو ما يعرف بالادب المشترك او العام فلامة بوانق التعاليم الصحيحة التي يتعلمها من مراقبة الحياة القانونية والانحرافات المرضية لان القانون الطبيعي المادي والقانون الطبيعي الادبي لا ينفصلان ولا يختلفان جوهريّاً واذا كنا قد بعدنا كثيراً عن الحدود الاولين وكنا لا نشاهد الآن

خشونتهم فاننا لا نزال نرى من المعاصرين مَن يرجع الى الوراء فيأتل اولئك الحدود او يعود الى الهيئة الحيوانية بإفساد الاقسام الممتازة من جهاز العصبي بالمشروبات الروحية او باي سم آخر يفسد البنية

فالادب الطبيعي اذاً هو ما وافق الطبيعة وجرى مجراها في احكامها ونواميسها حتى لقد جرى على الالسنة ان كل ادب يوافق الطبيعة يقال عنهُ طبيعي ويكون مستحسناً وكل ادب يخالفها يقال عنهُ غير طبيعي ويكون مستقبحاً. ولهذا لا يستغرب تسمية موضوع البحث في هذه المقالة بالادب الطبيعي وهو موضوع لم يطرق بعدُ في مجلاتنا العلمية على ما اعلم وسترى مما يأتي من البيان والشواهد ما يؤيدهُ ويعززهُ

تظهر الفائدة الجوهرية للحياة من النظر الى امور بسيطة ومعروفة لدى العموم ولكنها تزيد جلاء اذا نظرنا في نظامها الطبيعي

كل انسان رأى مولوداً حين ولادته وعرف سير حياتهِ في طفوليتهِ الاولى ولكن قلَّ من ينتبه الى فلسفة حياتهِ الاجتماعية ليعلم ان في تلك الحياة البسيطة ناموساً اجتماعياً عظيم الاهمية وكبير الفائدة. فالطفل في طورهِ الاول انسان صغير لا عمل لهُ سوى الغذاء والنوم فهو يشبه الانسان صورةً والحيوانات الوحشية عملاً ولا يستطيع ان يقوم بأقل خدمة مفيدة للمخلوقات الاخر بل يطلب العناية من كل ما يحيط بهِ ولو حرم منها لمات حتماً. فمن الطبيعي اذاً ان المولود حديثاً يكون انانياً اي محباً لذاتهِ الاّ ان هذه الانانية تقل تدريجاً كلما تقدم الولد في العمر تبعاً للسنَّة الطبيعية التي تتقدم فيها الكائنات في سير تكوينها وهذا ما يسميهِ العلم الحديث بالتحول

فاذا بلغ الطفل السنتين اصبح اقل انانية لانهُ يبتدئ بنفي قسماً منها لخدمة ذويهِ بدليل انهُ اذا وقع شيء من يد والدتهِ وطلبت منهُ ان يتناولهُ ويعيدهُ اليها فعل ذلك بطيب خاطر واذ تمنع ويجِنُّهُ. فهذا التغيير الذي حدث بتقدم العمر حدث طبقاً للطبيعة لان الانانية الضيقة في اوائل العمر تأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً لتجاريب الميل الراقي المطابق للطبيعة ايضاً الذي نشأ منهُ ما يسمونهُ بالتعاون والاصحاب والروح الاجتماعية ومحبة القريب

وهذا التقدم قانون سار على الكائنات بدون استثناء ونراهُ في المخلوقات التي تكونت قبل البشر لان الحمار التي تعيش مختبئة ومنفردة في الاصداف تُعدُّ انانية في حياتها وهي من الكائنات السافلة في السلَّم الحيواني والافرنج يمثلون بها كل ثقيل وقليل المعروف. واما القرود

وهي من الحيوانات العالية فاقل انانية لان فيها ميلاً الى التعاون فتفلي بعضها وتقتلع الاشواك التي تعلق بجلود بعضها حيث لا يقدر الواحد منها ان يصل اليها ليقتلعها

ثم ان هذا النمو التدريجي في الطفل يتنوع بالتدريج ايضاً نوع كيانهِ ونوع سلوكه بين الناس ليقتنع بذلك الحكم العام الذي يوجب على كل انسان ان يضحي قسماً من انانيتهِ الاصلية ليصبح الين معاشرةً واوفر احساناً واكثر حباً للقريب

ويمكن للولد ان يميز منذ حداثتهِ ان صاحب الانانية يكون احط منزلة من الانسان الحسن المعاشرة والسريع الى المعروف . وكثيراً ما يحدث ان يلتقي بولد آخر على الرصيف لا يخلي لهُ السبيل فيقول عنهُ انهُ قليل الادب وسيئ التربية لانهُ لم يسهل لهُ المرور على الرصيف الضيق

اللطف صفة من صفات محبة القريب ويقوم بان يكلف الانسان نفسهُ بعض الكلفة ليوفر ثقلة عن جارهِ . وهو كبير الفائدة للافراد والعموم لانهُ يقرب الناس بعضهم من بعض ويكون سبيلاً للسعادة وتوطيد اركان الحياة الاجتماعية . فاذا كان الانسان لا يستطيع ان يعيش الاَّ مجتمعاً وجب ان يكون اللطف صفة لازمة فيهِ لتقوم سعادتهُ في حياتهِ الاجتماعية . وقد عرف بعد الاختبار قروناً عديدة ان عيشة الاجتماع اسعد كثيراً من عيشة الانفراد بل عيشة الانفراد تعاسة كبرى حتى على ذوي الانانية ولو عوقبوا بها لادركوا قيمة التعاون في الحياة المشتركة . وقد اصبح هذا الميل راسخاً في الانسان واصبحت الانانية صفة مكروهة في عرف الادب الاجتماعي لاننا اذا رأينا ولداً يسير في طريق مزدحم ولا يراعي بقية السائرين فيهِ مخصاً من انانيتهِ واخلينا لهُ السبيل الاَّ اننا ننكر ذلك على الكهل اذ الصغير يعمل ببساطة وعدم معرفة والكبير يعمل بكبرياء وانانية لان الطبيعة علمتنا ان نصير بتقدم العمر اكثر مراعاة لنظرائنا ومعرفتنا بمحاسن الحياة الاجتماعية وحسناتها

على ان اللطف ليس الاَّ ظاهرة سطحية من ظواهر التقدم الاجتماعي الذي نظرنا فيهِ الى الامور الواضحة والكثيرة الوقوع في آداب المخالفة الاَّ انهُ كبير الشأن في الطفولية الاولى حيث ينظر فيهِ ليس الى الاشياء السطحية بل الى الاحوال الطبيعية التي تجري مجراها طبقاً لنواميس محدودة لا يدخل العقل والارادة في سيرها وتطبيقها . فمنذ الشهر الثاني او الثالث من الطفولية تزيد الام اعتناء بابنها وتهتم بهِ اهتماماً اكبر من اهتمامها بهِ في ايامهِ الاولى . وكأن الولد يشعر بهذه العناية واعترافاً بها يقدم لوالدتهِ الابتسامة الاولى التي تهتز لها عواطفها

ويرقص قلبها طرباً . ثم يأخذ مجامع لبها ويزيدها عطفاً عليه بحركات عينيه وشفتيه ويديه وصراخه التي تدل على ميله الى المعيشة المشتركة اي الى عيشة اقل ضيقاً واثانية من ايامه الاولى . فهذه هي مظاهر اللطف والكياسة التي حلَّت محل الخشونة التي كان عليها الطبع الاول للولد ويأخذ هذا الطبع الجديد بالنمو يوماً فيوماً تبعاً للناموس الطبيعي الذي تسير عليه المخلوقات باجمالها

اذا عرفنا هذا التقدم الذي يحصل في سلوك الاطفال عرفنا ان مسألة الرقي الاجتماعي هي اهم المسائل التي يجب ان يوجه النظر اليها في المدارس . وان يروّض عقل الاحداث بموضوعها المهم وتفاصيلها التي تخلب الالباب لانهُ لا شيء يعجب من التحول التدريجي لنوع الحيوان الصغير الذي هو الطفل المولود الى كائن اكثر انتباهاً لاقاربه واخوانه وجيرانه ومواطنيه والعائلة الكبيرة البشرية التي يشاطرها مستقبلاً غير منفصل ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ليس في طبقات الحيوان العليا عيشة منفردة ومستقلة والانسان لا يستطيع ان يعيش وحدهُ ثلاثة ايام بعد ولادته لانهُ يحتاج الى ام مرضع لكي ينتقل من الطفولية الاولى الى الثانية . ومهما كانت خيرات الارض كثيرة فانهُ يتعذر علينا ان نستفيد منها ان لم نقتبس ممن سبقونا معرفة استعمال العناصر الكثيرة التي تساعدنا على ان نعيش افضل من الحيوانات وبهذا نعرف قيمة التعاون الاجتماعي الذي نكتسبهُ غالباً بدون فكر وروية اي بدون ان نسأل لماذا تكون الانانية مكروهة . واذا كان الانسان لا يكره الانانية في شخصه فلأن لهُ منها فائدة خصوصية ولان في الايام الاول من حياته لا يستطيع ان يهتم الا لشخصه الا ان نظام الرقي الطبيعي يوجب عليه الاهتمام بامثاله ليستفيد من النجاح العجيب الذي حصل في الحياة العائلية

قلنا آنفاً ان الحب الذي ينمو في قلب الطفل ويشعر به نحو والديه يظهر بالابتسام وهو كل ما يمكن ان يقدمهُ لهما بدلاً عما يأخذهُ منهما كل يوم . ومتى تقدم في العمر زاد معرفة وزاد عطاه لجسم لها وخضوعهُ تضحية من انانيته تسهل عليها العمل بتربيته

الاخذ والعطاء هما ميزان الحياة الاجتماعية ونموها يسير طبقاً للسنَّة الطبيعية ومن كثر عطاؤهُ زادت سعادتهُ لان الطبيعة جوادة على الانسان والحياة المتمدنة ليست الا جمعية تعاون وتضامن . ومن امسك عن العطاء او قل عطاؤهُ عاش شقياً لانهُ يخرج من القوم الذين يجزلون عطاءهُ اذ يأخذ كثيراً من ابيه وامه واخوته ورفاقه واساتذته ومن الادباء والعلماء والمكتشفين الذين يكفونهُ مؤونة التفتيش الطويل والتعب الجزيل

لان الاكتشافات والاختراعات الاولى كتحضير الطعام واللباس والاثاث اعترضتها صعوبات كثيرة قبل ان اصبح الحصول عليها سهلاً والاجماع بها حرًّا وقد اكتسبت بعد مرور الزمن بالمبادلة والتعاون صفة ادبية مع انها لم يكن لها في مادي امرها سوى فائدة مادية لان الادب هو كل ما يساعد على اتحاد الناس واتفاق الامم وعدمهُ هو كل ما يعرض هذا الاتحاد الحسن المفيد

فنرى اذاً ان العطف وحب القريب والروح العائلية والروح الاجتماعية بالرغم من مظاهرها المختلفة لها علاقة بالحادث الطبيعي العامل الرقي اي الميل الى التعاون والتفاهم الذي يرفع الاطفال الى اعلى من انانيتهم الاولية فيجعلهم رفاقاً حسني السلوك واناساً متحلين بالاخلاق الفاضلة التي تكون وسيلة لسعادتهم في الحياة الاجتماعية والعائلية التي يسيرون اليها و يندفعون في تيارها. ومثلها الصفات الاخرى الادبية التي ظهرت في ادوار العصور السابقة كالشفقة والرحمة والحنو والحب والمجاملة والاسعاف والتضامن والوطنية والانسانية فهي تدل على قليل من كثير من الميل غير المحدود الذي يجري على نظام طبيعي في العالم الانساني

ورغم ما في تلك الصفات من الجمال وحسن المظاهر فهي ليست الحد الذي يقف عندهُ الرقي الادبي والناس لا يزالون بعيدين عن حدّ التعاون والوئام في كل العوالم وان كانوا يتفاهمون هذه الايام احسن كثيراً مما كانوا يتفاهمون في الزمن الماضي اذ يمكن للانسان الآن ان يخوض البحار آمناً من سطوة القرصان وان يجوب اكثر القارات مطمئناً من غدر السكان لزوال روح التفريق و بغض الاغراب الوحشي

فالرقي الطبيعي والادبي لا يتمكنان من المساعدة على تحسين ادب الجنس البشري بتسهيلها المبادلة بين الامم واكتساب كل منها معارف الاخرى والاستفادة من اختباراتها واكتشافاتها فمعرفة الكهربائية مثلاً ساعدت مساعدة كبرى على رقي الحالة الاجتماعية بين البشر وكانت عاملاً لاكتشاف عميم النفع وجزيل الفائدة واعني به التلغراف الذي امتدت اسلاكهُ فاحاطت المعمور واخذ ينبيء الملايين من الناس بما يحصل في الاماكن القاصية فاخذ بذلك ينقص بغض الاجانب واحتقارهم

لا يحدث حادث مهم في احد نصفي الكرة حسناً كان او قبيحاً الاَّ والتلغراف ينقلهُ حالاً الى كل الامم والشعوب . لما نكبت مسينا بالزلزال طيَّر التلغراف خبر النكبة الى كل جهات العالم فاسرع الناس القريبون والبعيدون الى اسعاف المصابين وتخفيف ويلات الفاجعة . وظهر في حرب البلقان ما يدل على اهمية هذا الميل وانتشاره بين الامم الراقية حيث تألفت

الوفود لاسعاف المصابين بالعلاج والغذاء بدون تمييز بين الجنسية والدين

ترتبط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ارتباطاً لا يقبل الفصل والتفكيك وتسير معاً على منهاج واحد من النجاح فاذا حسنت معرفة الناس بهذه الرابطة عدلوا عن الحسد الاعمى الذي يفرقهم بعضهم عن بعض. وقد كانت معرفة الاسلاف القاصرة سبباً لاعتبار الطبيعة عدواً لدوداً وكانت مظاهر قواتها في عرفهم مظاهر خشونة وعداء كالكهربائية التي لم يكونوا يعرفون من صفاتها وافعالها الأ الصاعقة وهي في هذه الايام من اكبر نعم الطبيعة على الانسان لانها لا تقتصر على نقل الاخبار والافكار الى الاماكن البعيدة بل اصبحت العامل المطيع لكل الاعمال الميكانيكية ولنقل القوة والنور الى الاودية والجبال و يؤمل منها ايجاد مراكز للقوة ترتبط بها الارض لكاملها

لا يستغرب اذا قلنا ان عمل الانسان في العمران يسير على نفس خطة الخالق الذي صدرت منهُ كل انواع الحركات التي نشاهدها في الطبيعة والتي اذا تبحرنا فيها عجبنا من الارتباط العام الذي ترتبط بهِ. واذا كان تاريخ العمران قد وصل الى قاعدة ادبية يسير عليها في سيرهِ ونموهِ فلأنهُ يرتبط ارتباطاً طبيعياً بتاريخ الخلق العام واذا نظرنا الى مصير الانسان والطبيعة رأيناهُ واحداً ومشتركاً فيها لان في كليهما ميلاً الى التعويض عن التراكيب القديمة بمستحدثات تظهر لنا اقل نقصاً من سابقتها وان لم تبلغ الكمال المطلق المحدود بعمل الخالق

على اننا اذا كنا تحققنا الرقي الذي حصل في المعادن والنباتات والحيوانات ومن ثم في الانسان الاجتماعي الذي هو الصورة الاقل نقصاً من الحيوانات المعروفة فاننا نجهل درجات ذلك الرقي الاولى والبعيدة الأ اننا لا نجهل ان بين الصورة الحالية والصورة الاولى الاصلية بوناً شاسعاً واذا امكننا ان نقدر ما يمكن الوصول اليهِ من الاستمرار على التغيير الذي يدنينا من الكمال فتقديرنا القائم على احسن برهان لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة الى التحسين البديع الذي يؤمل الحصول عليهِ في المستقبل وان لم يمكن تعيين شكلهِ وتحديد صفاتهِ لتوقع حصولهِ في المستقبل البعيد

مثال ذلك اننا نؤمل طبيعياً ان يأتي يوم يتفاهم فيهِ الناس احسن من الوقت الحاضر لان التاريخ يدلنا على ان القبائل والعشائر والشعوب القديمة كانت متفرقة ومتباعدة بعضها عن بعض اكثر منها الآن ونؤمل ايضاً انهُ يأتي زمن يستطيع فيهِ سكان الكواكب والارض ان يخاطبوا بعضهم بعضاً . واذا حصلت هذه العلاقة الجديدة الاجتماعية استطاع خلفاؤنا

ان يتوسعوا في المعارف الطبيعية وان يتبسطوا في الحياة الادبية . على ان هذا الامل وان يكن من الغرابة بمكان الا ان الحصول عليه ليس مستقبلاً قياساً على عمل الرقي في كافة الكائنات

فالناموس الطبيعي الذي يربط كياننا بالتكوين العام يسير على قاعدة واحدة تميل بالكائنات الى التحسين الذي ظهرت نتائجه العجيبة في الحياة العالمية وعلينا الآن ان نقنع بفوائدها وان لا يؤخرنا عن التمتع بها جهلنا ببداءة الحياة ونهايتها لان ذلك من رغائب الرجال الذين يقتحمون هذا الموضوع بكل جسارة لان القليل الذي نعرفه كثير الحسنات وجزيل الفوائد ويجدر بنا بل يجب علينا ان نثق بحكمة الطبيعة في معتقداتنا وان لا ننكر ناموساً ثابتاً لنحاول اثبات ناموس غامض وقليل الوضوح

على الانسان الذي ينتفع من النجاح العام والمتواصل ان يضحي قسماً من انانيته لفائدة العموم عملاً بالناموس الطبيعي ان لا يحق له ان ينتفع بمجهودات المجتمع بالاعمال والاصلاحات والاختراعات بدون ان يشاركه في العمل او ان يعطي شيئاً من مواهبه وصناعته او ان يكون شحيحاً بماله وماله وعالة على جماعته ومواطنيه . ولا ريب في ان انساناً كهذا يكون تعيساً في حياته وحقيراً في مماته لان حياته تخالف المألوف عند ذوي اللطف والمدنية اذ يتخذ في سلوكه شكلاً يخالف شكلهم فيكون خشناً وعبوساً ولذلك يكون مكروهاً ومرذولاً بخلاف ذي الظرف واللياقة فانه يكون انيساً وبشيشاً ولذلك يكون محبوباً وسعيداً لانه يسير على سنة الطبيعة التي حولت الجدود من الخشونة الى اللطف

ان رقي الفرد يدل بالاختصار على رقي النسل اي ان الشخصية تميل طبيعياً الى التنوع فتسير على نفس الخطة التي تسير عليها سلسلة المخلوقات ولذلك فالمحافظ المكابر الذي لا يريد ان يغير شيئاً من عاداته القديمة يدعى في علم الادب الحديث رجعياً لان الانسان الذي لا يشترك في الاصلاح الطبيعي لكل الكائنات يبقى متأخراً في نظر مواطنيه التشيطين

مهما اجهدنا القريحة في وصف محاسن هذه السنة التي تقوم بها عناصر الطبيعة نبقى مقصرين عن توفية الوصف حقه . واذا نظرنا اليها في مجاري الحياة اليومية عرفنا اهميتها وتأثيرها في معايشنا وآدابنا لان لا حركة نعمل من حركات الحياة الا ولها ميل الى التحسين دخل فيها فاذا اكلنا فلنكسب اجسامنا قوة واذا نمنا فلنعطيها راحة بعد التعب واذا روضنا فلنكسب اعضاءنا نمواً يمكنها من القيام باعمال اعظم واكبر واذا تعلمنا وتهذبنا فلنكتسب معرفة بالسعادة وعلماً بالواجبات المفروض علينا القيام بها بين الناس

والامل بالحصول على الافضل هو الذي يقود الانسان ويتسلط عليهِ حتى في المرض لان الامل بالشفاء هو الشغل الشاغل لبال المريض . والضعف الوقتي الناتج عن المرض حالة غير قانونية اي هو نوع من الحياة لا ينطبق على سير الرقي الطبيعي . وغاية ما يرغب فيهِ المريض هو ان يعود الى الحالة القانونية ويسير في طريق التقدم الذي رسمهُ لهُ اساتذتهُ في المدرسة وابواهُ في البيت فالمرض يرجع بالانسان الى الانانية الاولية لان المريض يصبح كالطفل لا يقدر ان يقوم بواجباتهِ الاجتماعية بحيث يجوز ان نقول ان المرض الذي هو شذوذ طبيعي هو ايضاً شذوذ ادبي لانهُ يكون سبباً عن عدم احتراس ومن مخالفة نصائح الطبيعة فتضعف بذلك البنية وتصير سريعة التأثر بالاسباب المرضية لان القانون الصحي يرشد الى القواعد الصحية التي تزيد الجسم قوة على مقاومة الامراض الكثيرة الشيوع وما الشعور بالالم الا انذار من الطبيعة لينبه الى الحذر من مخالفتها ووجوب اتباع طريقتها

ينتج مما تقدم ومما يقاس عليهِ ان عناصر الكون يتألف منها مجموع يعمل عملاً مشتركاً كما يعمل الجسم الذي يتألف من اعضاء واجهزة مختلفة بحيث ان كل قسم منها لا يستطيع ان يستقل بعملهِ عن مجموعها المنظم كما ان العضو لا يستطيع ان يقوم بوظيفتهِ اذا انفكت رابطتهُ من الجسم فكأنها بارتباطها تؤلف جمعية تضامن وتعاون ونظامها يميل الى التحسن خصوصاً في سير الاعصر . وهذا ما يحصل ويجب ان يكون قاعدة السلوك في الحياة الاجتماعية اذ لا فرد ولا نسل ولا جمعية دينية او وطنية يستطيع ان يطالب باستقلالهِ عن وظائف الكون العظيم . وروح التفريق وخيم العاقبة حتى على القائم بهِ لانهُ يخالف الطبيعة التي تقتص ممن يخالف نواميسها . ومن يسعى الى تأسيس اجتماع خصوصي يبرهن على جهل نسبي لانهُ يحاول حصر الفائدة في نطاق ضيق . وهذه الروح تشبه الانانية الطفولية وليس لها من القيمة الا بمقدار ما تنقل من الرقي الضيق بخلاف ما يحصل من اشتراك الاعضاء الرئيسية بالعمل في الحياة الاجتماعية ونعني بها العائلة بأوسع معاني الكلمة والمدنية والمقاطعة والبلاد والتحالف بين الامم الاكثر تمدناً واخيراً النوع البشري باجمالهِ

فهذا جزء من كل من التظريات التي تتلقى دروسها في مدرسة الطبيعة وقد رأينا ان الادب لا يكون راقياً الا اذا قام على اساس طبيعي وسيكون لتمثيل ادوار الرقي في المستقبل شأن عظيم في آداب الاجيال الآتية

الدكتور امين ابو خاطر

اقطاب الدولة الالمانية

في المانيا اثنا عشر رجلاً يحسبون اقطاب الدولة الالمانية ويعتمد عليهم امبراطور المانيا اكثر مما يعتمد على غيرهم من رجاله وهم الدكتور ثيوبلد فن هلفج بثمن وزير الامبراطورية والبرنس مكسمليان اغون زوفون فرستنبرج والبارون فن در غلتز باشا والاميرال فن ترپتز والهر فيليب فن بيجو والهر ارثر فن غنتر والبرت بالين والكونت زبلين واوغست ثيسن وكر...

والاصاف فاقتطفنا منه ما يأتي

الدكتور بثمن هلفج

تقلب على الامبراطورية الالمانية منذ انشائها سنة ١٨٧٠ الى الآن خمسة وزراء بسمارك وكبريفي وهوهنلوهي وبولو وبثمن هلفج . والاخير يدير دفتها منذ سنة ١٩٠٩ على اسلوب فلسفي لانهُ من الفلاسفة المعدودين ولذلك لم يعمل عملاً كبيراً يشار اليهِ بالبنان فلم يتمكن من اضعاف الحزب الاشتراكي مثلاً ولا صادق الحزب الكاثوليكي ومع ذلك خدم بلاده باخلاص وافادها فوائد جمة بحسن ادارتهِ وبُعد نظرهِ . ولما اختير للوزارة قال كل احد ان الامبراطور اختارهُ لانهُ من رجالهِ الذين يثق بهم تمام الثقة . وقد كان من اترابهِ في جامعة بون فارتبطا بربط الصداقة من ذلك الحين . ثم خدم الحكومة وترقى في مناصبها رويداً رويداً الى ان بلغ الوزارة وامتاز بشدة احتفاظهِ بمطالب المناصب التي شغلها . وخطبهُ في مجلس نواب بروسيا ومجلس الاعيان ومجلس الامبراطورية تدل على الاخلاص والاستقامة التامة والتضلع من المواضيع التي تكلم فيها . وهو اقل بلاغة من الوزير السابق ولكنهُ اقوى منهُ حجةً . كان الاول ظريفاً يملح كلامهُ بالفكاهات اما هذا فالاختصار دأبهُ ويكتفي بما قلَّ ودلَّ . تراهُ طويل القامة نحيف الجسم عالي الجبين يسود مجلس الامبراطورية لا بهيبتهِ وقوة عارضتهِ بل بصحة ادلتهِ وجلاء عبارتهِ . الا ان الرأي العام في المانيا ينسب اليهِ عالاة الذين يحاولون حرمان الامة الالمانية من الحكومة النيابية الحقيقية . ويقال ان تلك الامنية لا تنال الا بعد ما تجري الدماء في شوارع برلين انهاراً . وهو الآن في السابعة والخمسين من عمرهِ وامرأتهُ من تجار فرنكفورت الذين كان لهم شأن مالي كبير قبل ايام روشيلد

البرنس فورستنبرج

هو امير الماني نمسوي من اصحاب الملايين الكثيرة ويقال انهُ قوة وراء العرش الالماني. وليس لاحد من النفوذ في المانيا ما لهُ وقل من يماثلهُ في وثوق الامبراطور بهِ وهو الوحيد من رعايا الامبراطور الذي يعاملهُ الامبراطور كأنهُ من امثالهِ ورأيهُ مفضل على رأي الوزراء والوكلاء. وكثيراً ما حاول الامبراطور ان يجعلهُ وزيراً لهُ فابى مفضلاً اواصر الصداقة على مشاغل الوزارة

يدير مع امير آخر شركة رأس مالها مئة مليون جنيه وقد لُقبت رفابة (ترمت) الامراء فهو من اعرق اصحاب المعامل في الدنيا وقد اجتمعت فيهِ مفاخر القرون الوسطى ومساعي هذا العصر كأنهُ يتمثل بقول ابي فراس حيث قال

«أيشملكم وصف القديم ودونهُ مفاخر فيها شاغل ومآثرُ
لنا اول في المكرمات وآخرٌ وباطن مجد تغلبي وظاهرُ»

وقد رآهُ الامبراطور حسب قلبهِ لانهُ فارس وشاعر ومصور ومن ارباب الغناء والصيد والعاديات وزد على ذلك ان لهُ الرأي المثلى والثقة الكبرى في نفس الامبراطور فلا يخفي امراً كبيراً الأ بعد ما يستشيرهُ فيهِ ويتداول معهُ. وشعارهُ الذي لا يحيد عنهُ الصدق والاخلاص فيصدق الامبراطور ولا يكتمهُ النصيحة ولو بالتنديد

ولد هذا الامير سنة ١٨٦٣ من بيت قديم لهُ في المكرمات اصول راسخة يمتد نسبهُ الى القرن الثاني عشر اذ كان جدهُ الاعلى من خواص الامبراطور شارلمان. وتخرج في جامعة بون التي تخرج فيها الامبراطور. وقضى ايام شبابهِ في فينا وبراغ وولي اباعد اسرتهِ. وقد ورث حق القيام في مجالس الاعيان في النمسا وبروسيا وورتمبرج وبادن فاشتغل بالسياسة قبلما ناهز الثلاثين وانتقلت الرئاسة اليهِ بموت ابن عمهِ فصار رئيس بيت فورستنبرج ومالك املاكهِ الواسعة. واصبح من اغنى اغنياء اوربا وجعل يستقبل الضيوف في قصورهِ العديدة وبينهم الملوك والاباطرة وهو فوق ذلك راوية فكه الحديث جداً فيُسَر الامبراطور بمجالستهِ

البارون فن در غلتز باشا

تنفق المانيا الآن خمسين الف جنيه على تقوية جيشها استعداداً لذلك اليوم العصيب يوم يتنازع السلاف والالمان السيادة في اوربا. واذا وقع ذلك اليوم في القريب العاجل والتقت الجحافل الالمانية بالجحافل الروسية فتكون القيادة العامة حينئذٍ في المانيا للرشال البارون فن در غلتز باشا لان الالمان يعدونهُ اعظم قوادهم الاحياء ولا يخفى انهُ هو منظم الجيش العثماني وكان المفتش العام فيهِ

وهو الآن في السبعين من عمره وقد قضى اكثر من خمسين سنة وهو يؤلف وينظم ويحارب ولو اكتفى بما ألَّفهُ ولم يفعل شيئاً آخر لنقيت لهُ شهرة واسعة

ابتدأ صناعة التأليف بكتابة الروايات فكسب منها ما كفى لاعالة امهِ ثم ألف كتابهُ المعنون «لبون غمبتا وجنوده» فطارت شهرتهُ في الاقطار لكنهُ ذهب فيهِ الى وجوب انقاص الخدمة العسكرية الى سنتين فاتهم بممالأة المتطرفين من الاحرار وعوقب بالنقل من مكان الى آخر ولكن كتابهُ مهَّد السبيل للجري على الرأي الذي ابداهُ ولو بعد ست عشرة سنة

ومن اشهر كتبهِ الكتاب المعنون بالامة المسلحة الذي ظهر سنة ١٨٨٣ واوجب فيهِ التجنيد الاجباري. وكتاب حروب فردرك الكبير. وكتاب قيادة الجيوش وكتاب تاريخ المانيا الحربي في القرن التاسع عشر. وقد قال في الكتاب الاخير ان عظمة المانيا قائمة بجنودها واسلحتها

وسنة ١٨٨٣ دعاهُ السلطان عبد الحميد لتنظيم الجيش العثماني فاقام في خدمة تركيا الى سنة ١٨٩٥

والذين يعرفونهُ يقولون ان ظاهرهُ انس ودعة وفي باطنهِ قلب من الحديد وعزيمة لا تعرف الانقياد لغير الواجب. وديع للاصاغر عزيز على الاكابر يكره الظهور ويزدري المظاهر

الاميرال فون ترپتز

اذا كُتب تاريخ البحرية الالمانية وما نالتهُ من ارتفاع الشأن فلاسم الاميرال فون ترپتز المحل الاعلى فيهِ فان لهُ القدح المعلَّى والسهم الاوفر في ما حازهُ الاسطول الالماني من قصب السبق بين اساطيل الدول البحرية بل هو ابو هذا الاسطول وامهُ

ويلقب في برلين بترپتز الابدي لانهُ مرَّ عليهِ الآن خمس عشرة سنة ودفة البحرية في يده. لم يقم احد في الوزارة اكثر منهُ الأ بسمارك

ولد في بلد بعيد عن البحر وابوهُ من المحامين فلم يصل اليهِ حب البحرية لا من والده ولا من مولده. ولما بلغ السادسة عشرة دخل سفينة حربية من السفن الصغيرة المعروفة في ذلك الحين وارتقى رويداً رويداً في الرتب البحرية حتى بلغ رتبة نائب قومندان وعمرهُ ٢٥ سنة. وسنة ١٨٩١ وصل الى ادارة الاسطول المرابط في كيل فاظهر من البراعة والمهارة وحسن الابتكار ما وجَّه اليهِ الانظار والزم اولياء الامر العمل برأيهِ. وظل يرتقي الى ان بلغ وزارة البحرية حيث يقرن القول بالعمل

وهو من المعجبين بالانكليز وبحريتهم وبكل شيء انكليزي وقد علَّم اولادهُ في انكلترا. واليهِ ينسب القانون البحري الذي جرت عليهِ المانيا فانشأ المدرعات الكبيرة لكي تصير قوة

المانيا البحرية مثل ثلثي قوة انكلترا حتى تأمن شر انكلترا وفرنسا اذا اتفقتا عليها . ويحسب ان مدافع المانيا اقوى المدافع كلها فيكون الفوز لها اذا التقت البوارج بالبوارج ولكنهُ يجاهر ان ليس لالمانيا غرض ترمي اليه غير الدفاع

غتليب فن ييجو

كان هذا الرجل سفيراً لالمانيا في رومية فاستدعاهُ الامبراطور في اوائل هذا العام ليقلدهُ وزارة الخارجية حينما توفي كدرلن فنختر فلبى الدعوة مكرهاً لان هذا المنصب محفوف بالمكاره وقلما يؤْجر صاحبهُ او يشكر وقد توفي اثنان من رجالهِ في العقد الاخير بعد ما اصعبتهما المشاق وهو ايضاً من تلامذة جامعة بون ومن اتراب الامبراطور واصدقائهِ فيخاطبهُ الامبراطور من غير تكلّف كما يخاطب الرجل صاحبهُ بضمير المخاطب المفرد دلالة على رفع الكلفة بينهما . وهو صغير القد نحيف الجسم يهتم بالكبائر والصغائر ويرضي بمجالسهِ ويسرهُ . والذين يعرفونهُ يقدرون لهُ الفلاح التام في منصبهِ لانهُ مستجمع لكل ما تقتضيهِ مطالب السياسة ولو ظهر على الضد مما كان عليهِ بسمارك لانهُ لين العريكة محب للمسالمة . ولكن من يدري كيف تتغير الرجال فان سلفهُ كدرلن دخل الوزارة اسداً وخرج منها حملاً ولعل ييجو يكون على الضد منهُ

ارثور فن غفنر

في المانيا تسعة بنوك كبيرة وستة اصغر منها . واعظم بنوك المانيا بالاجماع الدتش بنك (البنك الالماني) فان منهُ تنتشر الاموال الالمانية في الدنيا . وسلطتهُ في المانيا لا تقلّ عن سلطة الحكومة . ويبلغ الاموال التي يتعامل بها سنوياً ٦٥٠٠ مليون جنيه ولا يستطيع الامبراطور ان يثير حرباً لم يصادق هذا البنك عليها ويؤيدهُ فيها

والبنك كلهُ في يد ارثور غفنر ولو انكر ذلك وكثيراً ما استدعاهُ الامبراطور ليقلدهُ وزارة المالية او نظارة الخزينة فاعتذر حاسباً انهُ يخدم بلادهُ بادارة بنكها اكثر مما يخدمها في دست الوزارة

انشأ البنك الالماني جورج سمنس وهو الذي نال الامتياز من تركيا بانشاء سكة الاناضول سنة ١٨٨٨ بجعل لالمانيا مصلحة كبيرة في البلاد العثمانية . وخلفهُ غفنر سنة ١٩٠١ ولم يمر عليهِ سنتان حتى نال الامتياز بسكة بغداد وصار رئيساً لشركة سكة الاناضول ولشركة سكة بغداد ورأس مال الاثنتين الآن ١٦ مليوناً من الجنيهات . وعندهُ ان ما تنفقهُ المانيا على حربيتها وبحريتها وهو نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات في السنة ليس مما يبهظها لان قيمة تجارتها الخارجية بين داخل وخارج نحو الف مليون من الجنيهات وتلك النفقة لازمة لحفظ هذه التجارة

نشأ هذا الرجل بين رجال المال فانهُ ولد في فرنكفورت سنة ١٨٥٦ لما كانت مركز

المعاملات المالية في اوربا وانتظم في خدمة الحكومة يجعل قنصلاً لها في مدريد واقترن سنة ١٨٨٥ بابنة فيلب سبير من كبار الماليين وبعد ثلاث سنوات انشأ بنكاً خصوصيًّا في برلين وبقي مديراً لهُ الى ان دعاهُ سمنس سنة ١٨٩٤ ليشاركهُ في ادارة البنك الالماني ثم تركت الادارة كلها لهُ فاستقل بها وهو من اشهر مديري البنوك الذين يقدمون على المشروعات الكبيرة

البرت بلين

قيل سأل سائل احد الرجال المختارين للجندية وهو يمتحنهُ في علم التاريخ قائلاً «من هو اعظم الالمانيين» فاجابهُ على الفور «بلين». وهذا ما يقولهُ الآن ملايين من سكان المانيا عن رئيس شركة وابورات همبرج اميركان

اراد الامبراطور مرةً ان يلقي مقاليد الوزارة الى بلين او يجعلهُ من اشراف المملكة فقال لهُ بلين تكرَّم عليَّ بصورة جلالتكم الفوتوغرافية وحسبي . فاعطاهُ الصورة وكتب تحتها «الى رائد تجارتنا الثاقب البعيد النظر»

لما دخل بلين شركة وابورات همبرج اميركان سنة ١٨٨٦ كان رأس مالها ٧٥٠ الف جنيه فصار الآن سبعة ملايين و ٥٠٠ الف جنيه اي زاد عشرة اضعاف. وكان دخلها السنوي ١٢٥ الف جنيه فصار الآن مليونين و ٨٢٥ الف جنيه وكانت سفنها الجارية ٢٦ سفينة فصارت الآن ١٨٠ وكان محمول سفنها ٦٠ الف طن فصار الآن مليون طن ونصف مليون اي انهُ زاد ٢٥ ضعفاً وقد بنت بالامس سفينة محمولها وحدها ٥٠ الف طن

سر نجاح هذا الرجل اهتمامهُ بالصغائر مهما كانت وحفظها في ذاكرتهِ . وقد جرى على ذلك من حين كان كاتباً صغيراً في بلاد الانكليز من عهد اجرة الى ان تبوأ اعظم مركز مالي صناعي تجاري . فان حفظهُ لهذه الدقائق سهَّل عليهِ بناء الاحكام الصائبة فلما انتظم بين مديري شركة همبرج اميركان وهو شاب جعل يقترح انشاء السفن على طرز جديد وكبار المديرين يقاومونهُ فيتغلب عليهم بالحجة والدليل وتأتي النتائج مؤيدة لرأيهِ حتى اضطروا ان يسلموا الادارة كلها لهُ سنة ١٩٠٠

وهو اسرائيلي صغير القد نحيل محب للعزلة مواظب على العمل متمسك بديانتهِ ولكنهُ غير متعصب فيها لا ولد لهُ فتبنَّى ابنة صغيرة من بنات احد المتقدمين. لا يأتي الامبراطور مدينة همبرج الا زار بيتهُ في ضواحي المدينة وابدى لهُ دلائل اكرامهِ واحترامهِ . ولما رأى كبراء الالمانيين ذلك فتحوا لهُ ابوابهم وصاروا يعدونهُ من خاصتهم ومن اعظم رجالهم

ستأتي البقية

المالك المؤاجر والفلاح المستأجر

محاورة في موضوع هام

في القطر المصري نحو ستة ملايين فدان من الاطيان الزراعية يساوي ريعها السنوي نحو ٧٢ مليوناً من الجنيهات فمتوسط ريع الفدان منها اثنا عشر جنيهاً . ويبلغ عدد ملاَّك هذه الاطيان ٢٥ ٤٤١ ١ نفساً او نحو مليون ونصف مليون (وهم ونساؤُهم واولادهم لا يقلون عن سبعة ملايين او ثمانية من النفوس) ومنهم من يملك ربع فدان او اقل ومنهم من يملك عشرين الف فدان او اكثر وبديهي ان الذي يملك اقل من فدان او فداناً او فدانين الى ثلاثة يتولى غالباً زراعة ما يملكهُ بيده من حرث وزرع وعزق وري وتسميد وجمع الى آخر الاعمال الزراعية والذي يملك اكثر من ذلك اما ان يتولى زرع اطيانهِ بنفسهِ فيستأجر لها العمال ويدير حركتهم واما ان يزرع اطيانهُ بالشركة واما ان يؤَاجرها الفلاحين بايجار محدود وهم يديرون حركتها الزراعية بيدهم او بواسطة فلاحين آخرين يستأجرونهم

وسواء كان المالك فلاحاً يدير زراعة اطيانهِ بيدهِ او تاجراً او موظفاً يديرها بواسطة الفلاحين فلهُ ريع من الاطيان من حيث هو مالك لها . وسواء كان الفلاح مالكاً لاطيانهِ او مستأجراً لها فلهُ ريع آخر مقابل عملهِ في الاطيان ومن ثم ينقسم ريع الاطيان الى قسمين قسم يخصُّ المالك كالك مقابل ثمن ما يملكهُ او مقابل امتلاكهِ لهُ وقسم يخصُّ الفلاح او المالك كعامل في الارض مقابل عمل يديهِ ومواشيهِ وآلاتهِ او مقابل ادارتهِ . ومدار هذه المحاورة على نصيب كلٍّ من المالك والفلاح من ريع الاطيان . وقد قلنا ان قيمة ريع الاطيان المصرية في السنة تبلغ نحو ٧٢ مليوناً من الجنيهات فكم منها يتناولهُ ملاَّك الاطيان كملاَّك لها وكم منها يتناولهُ العاملون في الزراعة سواء كانوا فلاحين او مديرين او نظاراً او كتَّاباً او خولاء او خفراء . اي كم هو نصيب رأس المال مجرَّداً من كل عمل وكم هو نصيب العمل من هذا الريع اذ قد قام في اذهان بعض الذين ينظرون الى الظواهر ولا يدققون في البحث ان الفلاح مغبون غبناً فاحشاً والمالك يكتسب فوق ما يحق لهُ اكتسابهُ او فوق ما يكتسب امثالهُ في سائر البلدان . وقد جعلنا هذه المحاورة بين وطني من كبار المالكين واجنبي من كبار المتقدين

قال الاجنبي — بلغني انكم تؤَاجرون الفدان من اطيانكم بعشرة جنيهات او اكثر فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فهذا الايجار باهظ جدًّا والفلاح المسكين مغبون فيهِ ولا مثيل

لهُ في بلاد اخرى من البلدان

الوطني — نعم نؤاجرهُ احياناً بعشرة جنيهات او اكثر ولي صديق يملك اطياناً على مقربة من القاهرة ايجار الفدان منها مئة عشر جنيهاً في السنة ولكن عندهُ اطيان اخرى في احدى المديريات لا يزيد متوسط ايجار الفدان منها على ثلاثة جنيهات في السنة

الاجنبي — اذا كان الامر كذلك فالفلاَّح الاول مظلوم والثاني مرحوم

الوطني — كلاَّ بل الفلاح الاول هو المرحوم وان كان احدهما مظلوماً يكون الثاني لا الاول . والحقيقة ان الاثنين مرحومان وصديقي المظلوم واليك بيان ذلك. ان الاطيان الاولى التي ايجار الفدان منها ١٦ جنيهاً في السنة مساحتها مئة فدان فقط ومال الفدان منها مئة وخمسون غرشاً ويلحقهُ مئة وخمسون غرشاً اخرى مصاريف ناظر وخفر وسكك زراعية ونفقات تطهير وما اشبه فيبقى لهُ من ايجار الفدان ١٣ جنيهاً ومن المئة الفدان ١٣٠٠ جنيه في السنة اذا جادت المحصولات ولم يصب القطن بآفة . والاطيان الاخرى مساحتها الف فدان ومتوسط ايجار الفدان منها ثلاثة جنيهات كما تقدم فايجارها كلها ٣٠٠٠ جنيه في السنة يذهب منها ٥٠٠ جنيه مال الحكومة بمعدل خمسين غرشاً الفدان ويذهب منها ايضاً ٥٠٠ جنيه مصاريف نظار وخفراء وتطهير مراوي ومصارف وتصليح سكك وما اشبه فيبقى لهُ منها ٢٠٠٠ جنيه وجملة الربح الذي يكسبهُ من الابعديتين في سني الاقبال ٣٣٠٠ جنيه من ١١٠٠ فدان فيكون متوسط ما يبقى لهُ من ربع الفدان منهما معاً ثلاثة جنيهات لا غير وهذا هو متوسط ربع كل الملاَّك في القطر المصري من الفدان من اطيانهم اي ان متوسط ايرادهم في سنة الاقبال من اطيانهم لا يزيد على ثلاثة جنيهات من الفدان . نعم ان منهم من لا يملك الاَّ اطياناً جيدة صافي ربع الفدان منها للمالك عشرة جنيهات او اكثر ولكن منهم من لا يبلغ صافي ربع الفدان من اطيانهِ جنيهاً واحداً او من ينفق على اطيانهِ من جيبهِ . ومعلوم ان مساحة الاطيان الزراعية الآن نحو ستة ملايين فدان فيكون دخل اصحابها منها من حيث هم اصحابها ١٨ مليوناً من الجنيهات . ثم ان مال الحكومة واموال التطهير والخفر تبلغ ستة ملايين من الجنيهات فمجموع ما ينال الملاَّك والحكومة ٢٤ مليوناً من الجنيهات . ويقدر ثمن كل المحصولات الزراعية في السنة بمبلغ ٧٢ مليون جنيه فيكون ثلثهُ للمالكين والحكومة والثلثان الباقيان او ٤٨ مليون جنيه للفلاح . واذا اصيبت المزروعات بآفة من الآفات فالفلاَّح لا يمسُّ نصيبهُ والحكومة لا يمس نصيبها ويقع الضيم كلهُ على المالك ولذلك تراهُ مستغرقاً في الدين

هذا من حيث نسبة الملاك الى الفلاحين بنوع عام · نأتي الآن الى الفلاح الذي يدفع ١٦ جنيهاً ايجار الفدان وطننتهُ مغبوناً والفلاح الذي يدفع ثلاثة جنيهات وطننتهُ مرحوماً فاقول لا يخفى ان الاطيان الزراعية مساحتها نحو ٦ ملايين فدان كما تقدم وبيوت الفلاحين نحو مليوني بيت فيصيب كل بيت منها ثلاثة افدنة اي ان الرجل وامرأتهُ واولادهُ يستطيعون ان يستأجروا ثلاثة افدنة ويقوموا بزراعتها · والثلاثة الافدنة الاولى التي ايجار الفدان منها ١٦ جنيهاً يبلغ محصولها في السنة ستة قناطير من القطن من فدان واحد منها واثني عشر اردباً من القمح وعشرة احمال من التبن من الفدانين الباقيين وعشرين اردباً من الذرة منهما · وثمن هذه المحصولات كلها نحو ٦٦ جنيهاً يخرج منها ايجار الثلاثة الافدنة وهو ٤٨ جنيهاً فيبقى للفلاح ١٨ جنيهاً في السنة وما يكفيهِ من حطب القطن والذرة لوقودهِ والحبوب لقراخهِ والبرسيم والتبن لماشيتهِ

والثلاثة الافدنة الثانية التي ايجار الفدان منها ثلاثة جنيهات فقط يبلغ محصولها في السنة قنطارين من القطن من فدان واحد وخمسة ارادب من الارز من فدان آخر واربعة ارادب من الذرة من الفدان الثاني وثمنها كلها ١٧ جنيهاً يخرج منها ٩ جنيهات الايجار فيبقى للفلاح ثمانية جنيهات لا غير ولكن يبقى لهُ ايضاً ما يكفي من البرسيم لعلف ماشيتهِ والحطب لوقودهِ ويأكل هو واولادهُ جانباً من الذرة · والفلاحان يضطران ان يخدما الارض ويسمداها على حدٍّ سوى ويقدما التقاوي اللازمة لها وخدمة الارز اصعب جدًّا من خدمة القمح · فترون من ذلك ان الفلاح الذي يدفع الايجار القليل ليس اسعد حالاً من الفلاح الذي يدفع الايجار الكثير بل الامر على الضد من ذلك

الاجنبي — احسنت في هذا البيان ولكن لا شبهة ان الثمانية الجنيهات والتسعة والعشرة لا تكفي لمعيشة رجل وزوجتهِ واولادهِ في السنة ولا بدَّ من تدبير ما لاضافة جانب آخر من ريع الاطيان الى الفلاحين

الوطني — لقد ابنت لك ان قيمة الحاصلات الزراعية كلها في سني الاقبال لا تزيد على ٧٢ مليون جنيه وان الحكومة تأخذ منها ستة ملايين والفلاحين ٤٨ مليوناً ولا يبقى للمالكين الاَّ ١٨ مليوناً او ربع الريع · وعلى الاطيان ديون لا يقل قسطها السنوي عن ٦ ملايين من الجنيهات فلا يبقى لاصحابها حقيقة الاَّ ١٢ مليوناً مقابل رأس مالهم واهتمامهم باطيانهم فاذا نزعنا منهم نصفها وهو ستة ملايين من الجنيهات واعطيناهُ الفلاحين لم يصب البيت من بيوت الفلاحين الاَّ ثلاثة جنيهات في السنة فنفقر المالك ولا نغني الفلاح اذ قد بيَّنت

لك ان دخل الفلاح الواحد يختلف من ٨ جنيهات الى ١٦ جنيهاً. واذا افتقر الملاك عجزوا عن ايفاء ديونهم فتباع اكثر اطيانهم لاصحاب البنوك او للاجانب ويتجرد الوطنيون منها. والذين يشترونها لا يحسنون ادارتها مثل ملاكها الحاليين فتكون النتيجة قلة الريع وزيادة الفقر

الاجنبي — بلغني ان بعض اولياء الامر يفكر الآن في تحديد ايجار الاطيان حتى لا يزيد عن مقدار معين بالنسبة الى مال الاطيان كخمسة اضعاف المال مثلاً

الوطني — قد سمعت هذا الخبر وقد ذكرته بعض الجرائد ولكن اولياء الامر كذبوه رسمياً على ما بلغني. وهو لا يخطر الا على بال من يجهل النظامات الاجتماعية ولا يفكر في العواقب. فقد اثبت لك ان المئة الفدان التي يمتلكها صديقي يبلغ ايجارها اكثر من عشرة اضعاف مالها وان الالف فدان يبلغ ايجارها ستة اضعاف مالها فقط وعنده اطيان اخرى يقل ايجارها عن مالها فاذا ارادت الحكومة ان تنقص ايجار الاطيان الاولى وتعطي الفرق للفلاحين الذين يستأجرونها الآن فمن اين تعوض على صديقي الفرق في ايجار الاطيان الثالثة وكل المالكين او اكثرهم مثله اي عندهم اطيان يزيد ايجارها على خمسة امثال مالها واطيان لا يزيد بل ينقص. ثم ان مال الحكومة ليس الشيء الوحيد الذي يقوم به المالك بل عليه اجور النظار والكتّاب والمعاونين والخولا وتطهير المراوي والمصارف والاهتمام بالري والصرف والتصليح وما اشبه وقد تستغرق هذه النفقات قيمة الايجار كلها او تزيد عليها. والواقع ان ايراد الاطيان للملاك لا يزيد على ثلاثة اضعاف مالها لانه ١٨ مليوناً من الجنيهات كما تقدم والمال ستة ملايين من الجنيهات. ثم اذا طرحنا من الريع فوائد الديون التي على الاطيان لم يبقَ منهُ الا ١٢ مليوناً اي ضعفا مال الحكومة واذا قسمنا الريع كلهُ ٢٤ قيراطاً فالفلاحون يأخذون منها ١٦ قيراطاً والحكومة قيراطين وبنوك الرهنيات قيراطين والملاك اربعة قراريط ويدفعون منها اجرة النظار والكتاب ونحوهم ولولا ان صغارهم يتولون زرع اطيانهم بيدهم وكبارهم يملكون اطياناً كثيرة لكان امتلاك الاطيان عملاً خاسراً

الاجنبي — اولئك لا نزد ولكنها لا تنفي ان دخل الفلاحين وهم تسعة اعشار السكان لا يكفيهم ليعيشوا بهِ في هذا العصر الذي كثرت فيهِ الحاجيات وغلت اسعارها جداً؟

الوطني — انا معك في ان دخل الفلاحين لا يكفيهم اذا حاولوا ان يعيشوا عيشة الفلاح الانكليزي فيفطروا على الخبز واللبن والشاي والزبدة ويأكلوا اللحم ولو مرة كل يوم ويلبسوا الجوخ والكتان ولكن ليس العبرة بدخل الانسان بل بما يبقى معهُ منهُ في آخر النهار وبما يستفيده جسمهُ من طعامهِ ولباسهِ. ففي القطر المصري نحو مليون و٣٠٠ الف بيت يملك

البيت منها اقل من خمسة افدنة. واكثر من ٧٦ الف بيت يملك البيت منها من خمسة افدنة الى عشرة و يملك هؤلاء واولئك نحو مليوني فدان اي ان نحو نصف سكان القطر المصري من صغار الملاك و يملكون ثلث اطيانه وهي الاطيان الاجود والاغلى لان اصحابها منصرفون الى خدمتها. وهؤلاء هم الذين يستأجرون اطيان غيرهم من كبار الملاك و يستعينون بالاجراء في زراعتها فاذا عاشوا بالاقتصاد الواجب فدخلهم كافٍ واذا كانت حالتهم سيئة فمن اسرافهم لا من قلة دخلهم. اما الذين يستأجرون اطياناً ولا اطيان لهم او يعملون عند غيرهم اجراء فلا اعلم عددهم ولكنهم ليسوا كثاراً. وسواء كانوا كثاراً او قلالاً وسواء كان سائر المستأجرين اغنياء او فقراء فكلهم يأكلون ما يشبعهم ويلبسون ما يدفئهم وحالهم من هذا القبيل احسن من حال الفلاحين والعمال في اوربا بل في انكلترا نفسها التي هي اغنى ممالك اوربا لان بعض اولئك يموت جوعاً كل سنة ولم يسمع عن فلاح مصري انهُ مات جوعاً. نعم انهم لو ارادوا ان يعيشوا عيشة الفلاح الانكليزي لقصر دخلهم عن ذلك كثيراً ولكن لا دليل على انهُ اذا زاد دخل الفلاح المصري حتى صار ثلاثة اضعاف ما هو الآن يزيد سرورهُ و يكثر نسلهُ والمرجح عندي ان الامر يكون على الضد من ذلك. ولا اظن ان ركفلر صاحب الملايين الكثيرة اسعد حالاً وانعم بالاً من اكثر الفلاحين الذين يستأجرون اطيان صديقي ولا يأكلون الا الخبز القفار واكثرهُ من الشعير والذرة واذا ادموهُ فبصلة او لقمة مش. ترى الرجل منهم قامتهُ كالرمح واسنانهُ كالثلج وذراعيهِ كالحديد والمرأة جرتها على رأسها واولادها بين شاب يحرث وطفل يرضع ستة او سبعة. وحالما يزيد دخل الواحد منهم على نفقاتهِ يبطل العمل بيديهِ ويكتفي بالامارة والادارة. واغنياء اوربا واميركا يشيخ الواحد منهم وتشيب امواله بالملايين والهم راكب عليهِ وقلما يطلب الراحة

ثم اننا اذا اردنا ان نزيد دخل فريق من الناس فلا يكون ذلك بسلب الفريق الآخر بل بتكثير موارد الرزق وترغيب الناس في الاقتصاد وصرفهم عن الاسراف وابعاد السالبين والمختالين عنهم و يظهر لي ان المهتمين بشؤُون المصريين الآن ساعون في هذه السبل ورامون الى هذا الغرض فاذا نجحوا في تعويدهم السعي والتوفير وابعدوا عنهم المرابين والمختالين وساعدوهم على ما يزيد ريع اطيانهم فذلك غاية ما يطلب منهم ويعود بالنفع الاوفر. ولا اعتراض على كل اسلوب من شأنهِ توزيع جانب من دخل الاغنياء على الفقراء لاسيما واكثر الاغنياء منا مأمورون ديناً بتزكية اموالهم. ولكن يشترط في هذا الاخذ ان يكون على طريقة لا توقع الاضطراب والضرر بمعايش السكان

عبد اللطيف البغدادي

كيف كانوا يعلمون و يتعلمون

احفل الكتب العربية القديمة ما ألّف في القرن الثالث الى السابع لان رجال ذلك العصر اشتغلوا بالعلم حق الاشتغال . وقد رأينا في سيرة عبد اللطيف البغدادي التي اوردها ابن ابي اصيبعة في كتابهِ طبقات الاطباء شرحاً مسهباً لكيفية التعلُّم والتعليم في ذلك العصر لا شبهة في انطباقهِ على الواقع لانهُ ليس منقولاً عن أَلسنة الرواة بل هو مما رآهُ المؤَلف بنفسهِ او نقلهُ مما كتبهُ عبد اللطيف بيدهِ في سيرتهِ فآثرنا نشرهُ بجملتهِ وعلقنا عليهِ بعض الحواشي لزيادة الايضاح . قال ابن ابي اصيبعة في ترجمتهِ[1]

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن ابي سعد ويعرف بابن اللباد موصلي الاصل بغدادي المولد . كان مشهوراً بالعلوم متحلياً بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها وكان يتردَّد اليهِ جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليهِ . وكان والدهُ قد اشغلهُ بسماع الحديث في صباهُ من جماعة منهم ابو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي وابو زرعة طاهر ابن محمد المقدسي وابو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم . وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات عيناً في المذهب والخلاف والاصوليين وكان متطرفاً من العلوم العقلية . وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً عيناً . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من اوقاتهِ من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدتهُ من خطهِ اشياء كثيرة جدًّا بحيث انهُ كتب من مصنفاتهِ نسخاً متعددة وكذلك ايضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء . وكان صديقاً لجدي وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لما كانا بها . وكان ابي وعمي يشتغلان عليهِ بعلم الادب واشتغل عليهِ عمي ايضاً بكتب ارسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها واتى الى دمشق من الديار المصرية واقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمهِ

---

(1) هو موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصيبعة ولد بدمشق ودرس الطب فيها وفي القاهرة واقام في صلخد قرب دمشق وتوفي بها سنة ٦٦٨ وكتابهُ عيون الانباء اشهر كتاب في تاريخ الاطباء

ورأيتهُ لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت محفوظاتهُ ابلغ من لفظهِ. وكان رحمهُ الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسهِ. وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانهِ وكثيراً من المتقدمين. وكان وقوعهُ كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائهِ

ونقلت من خطهِ في سيرتهِ التي الفها ما هذا مثالهُ قال: — اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب لا اعرف اللعب واللهو واكثر زماني مصروف في سماع الحديث واخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان. وكنت في اثناء ذلك أتعلم الخط واتحفظ القرآن والفصيح[1] والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو فلما ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري وكان يومئذٍ شيخ بغداد ولهُ بوالدي صحبة قديمة ايام التفقه بالنظامية[2] فقرأت عليهِ خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منهُ شيئاً لكن التلاميذ حولهُ يعجبون منهُ. ثم قال انا اجفو عن تعليم الصبيان احملهُ الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليهِ فاذا توسطت حالهُ قرأ علي. وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء وكان رجلاً اعمى من اهل الثروة والمروءة فاخذني بكلتي يديهِ وجعل يعلمني من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت احضر حلقتهُ بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر اقرأ درسي ويشرحني بشرحهِ ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق فاذا بلغنا منزلهُ اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسهِ احفظ معهُ ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسهُ ويشرح لهُ وانا اسمع. وتخرجت الى ان صرت اسبقهُ في الحفظ والفهم واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار

واقمنا على ذلك برهة كلما جاء حفظي كثر وجاد وفهمي قوي واستنار وذهني احتد واستقام وانا الازم الشيخ وشيخ الشيخ. واول ما ابتدأت حفظت اللمع[3] في ثمانية اشهر اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرأهُ غيري وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثمانيني وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما اجد من شروحها واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت

(1) كتاب ثعلب في اللغة (2) مدرسة ببغداد المشهورة بالنظامية نسبة الى نظام الملك الصوفي وزير السلطان الب ارسلان وولدهِ ملك شاه شرع في بنائها سنة ٤٥٧ هجرية

(3) لعلها اللمع في اصول الفقه للشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ

الكلم على كل باب كراريس ولا يبعد ما عندي . ثم حفظت ادب الكاتب(١) لابن قتيبه حفظاً متقناً اما النصف الاول في شهور واما تقويم اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانهُ كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن لهُ وغريب القرآن لهُ وكل ذلك في مدة يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح(٢) لابي علي الفارسي فحفظتهُ في شهور كثيرة ولازمت مطالعة شروحه وتتبعتهُ التتبع التام حتى تبحرت فيه وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة(٣) فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب(٤) للمبرد وكتاب ابن درستويه وفي اثناء ذلك لا اغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب وقال الشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد واتيت على اكثر تصانيفه سماعاً وقراءة وحفظاً وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق لهُ اتمامها وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه واكببت على المقتضب فاتقنتهُ وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحهِ للسيرافي . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول(٥) لابن السراج والنسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليه العروض والعروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري واما ابن الخشاب فسمعت بقراءته معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري(٦) وسمعت منهُ الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

وقال ايضاً ان من مشايخهِ الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة بن التلميذ(٧) وبالغ في وصفهِ وكثر وهذا فلكثرة تعصبهِ للمراقبين والا فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال انهُ ورد الى بغداد رجل مغربي طوال في زي التصوف لهُ ابهة ولكن مقبول

---

(١) كتاب مشهور لابن قتيبة النحوي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

(٢) كتاب في النحو للشيخ ابي علي الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٣) لابي علي الفارسي ايضاً الفها لعضد الدولة

(٤) المقتضب في النحو للمبرد النحوي ولعله اراد المقتضب في كلام العرب لابن جني الموصلي النحوي

(٥) كتاب مرجوع اليه في النحو لابن السراج النحوي المتوفى سنة ٣١٦ هـ

(٦) هي فخر النساء شهدة بنت ابي نصر الابري الكاتبة الدينورية الاصل البغدادية المولود والوفاة كانت من علماء زمانها وتوفيت سنة ٥٧٤ هـ

(٧) هو هبة الله بن صاعد الطبيب النصراني كان قسيساً ببغداد وتوفي سنة ٥٦٠ هـ

الصورة عليه صحة الدين وحيئة السياحة يتقل لصورته من رآه قبل ان يخبره يعرف بابن نائلي يزعم انهُ من اولاد الشتمة خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليهِ جماعة من الاكابر والاعيان وحضره الرضى القزويني وشيخ الشيوخ ابن سكينة وكنت واحداً ممن حضره فاقرأني مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ في النحو وكان لهُ طريق في التعليم عجيب ومن يحضره يظن انهُ متبحر وانما كان متطرفاً لكنهُ قد امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها واتى على كتب جابر(١) باسرها وعلى كتب ابن وحشية(٢) وكان يخلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فلا قلبي شوقاً الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبهُ ثم سافر. واقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات واكببت على كتب الغزالي المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر. ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيهِ وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر ابن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الا نقصاً

ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبقَ ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني ويحل ما يشكل عليَّ دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيداً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقلهُ ووقتهُ في حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ما عداها. واجتمع اليَّ جماعة كثيرة وعرضت عليَّ مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها واقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً وزعم اهل الموصل انهم لم يروا من احد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر. وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ويعتقدون انهُ قد فاق الاولين والآخرين وان تصانيفهُ فوق تصانيف القدماء فهممت لقصده ثم ادركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفهِ وكان ايضاً معتقداً فيها فوقفت على التلويحات واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الاحمق وفي اثناء كلامهِ يثبت حروفاً مقطعة يوهم بها امثالهُ انها اسرار الهية

(١) جابر ابن حيان الصوفي المتوفى سنة ١٦١ هـ صاحب كتاب اسرار الكيمياء

(٢) صاحب كتاب الفلاحة النبطية المتوفى سنة ٢٩١ هـ

ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي جمعاً كثيراً منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ ابي النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن هبيرة الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان معجباً بنفسهِ مؤذياً لجليسهِ وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليهِ في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبهُ لمكان يتأذى باهمالي لهُ اكثر مما يتأذى الناس منهُ

وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيهِ غريب ابي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت بهِ في الموصل وعملت لهُ مختصراً سميتهُ المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً وكتاب الالف واللام وكتاب رُبَّ وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسئلة الردَّ على الكندي

ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن نائل نازلاً بالمأذنة الغربية وقد عكف عليهِ جماعة وتحزب الناس فيهِ حزبين لهُ وعليهِ فكان الخطيب الدولعي عليهِ وكان من الاعيان لهُ منزلة وناموس . ثم خلط ابن نائل على نفسهِ فاعان عدوهُ عليهِ وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليهِ واجتمعت بهِ فصار يسألني عن اعمال اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني وكاشفتهُ فلم اجدهُ كما كان في نفسي مما يرِ علي ويطرقهِ ثم باحثتهُ في العلوم فوجدت عندهُ منها اطرافاً نزرة فقلت لهُ يوماً لو صرفت زمانك الذي ضيعتهُ في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية او العقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوماً طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبهُ[1] . ثم اعتبرت بحالهِ وازدجرت بسوء مآلهِ والسعيد من وُعظ بغيرهِ فانلمت ولكن لا كلَّ الانقلاع . ثم انهُ توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليهِ الدولعي وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات بهِ واخذ كتبهُ المعتمد شحنة دمشق وكان متهماً بالصنعة

ثم اني توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذٍ وكان قد اتصل بهِ شهرتي بالموصل فانبسط اليَّ واقبل عليَّ وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليهِ وخيمتهُ الى خيمة بهاء الدين فوجدتهُ يكتب كتاباً

(1) يراد بها الكيمياء الكاذبة او تحويل المعادن الى ذهب

الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليهِ فرأيت شيخًا ضئيلاً كلهُ رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجههُ وشفتاهُ تلعب الوان الحركات لقوة حرصهِ في اخراج الكلام وكأنهُ يكتب بجملة اعضائهِ وسألني القاضي الفاضل عن قولهِ سبحانهُ وتعالى « حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا واين جواب لو في قولهِ تعالى « ولو ان قرآنًا سيرت بهِ الجبال » ومن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء. وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيلهِ بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيلهُ وهو ابن سناء الملك وكان شيخًا جليل القدر نافذ الامر فانزلني دارًا قد ازيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى الى ارباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرّت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي واقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمهُ الله اقرئ الناس وكان قصدي في مصر ثلاثة انفس ياسين السيميائي. والرئيس موسى بن ميمون اليهودي[1]. وابو القاسم الشارعي. وكلهم جاءني اما ياسين فوجدتهُ محاليًا كذابًا مشعوذا يشهد الشاقاني بالكيمياء ويشهد لهُ الشاقاني

(١) قال ابن ابي اصيبعة في ترجمتهِ « هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي عالم بسنن اليهود ويعدُّ من احبارهم وفضلائهم وكان رئيسًا عليهم في الديار المصرية وهو اوحد زمانهِ في صناعة الطب وفي اعمالها متفنن في العلوم ولهُ معرفة جيدة بالفلسفة وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى لهُ ويستطبهُ وكذلك ولدهُ الملك الافضل علي. وقيل ان الرئيس موسى كان اسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم انهُ لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتدَّ » وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى

ارى طب جالينوس للجسم وحدهُ	وطب ابي عمران للعقل والجسم
فلو انهُ طبَّ الزمان بعلمهِ	لابرأهُ من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التمّ من يستطبهُ	لتم لهُ ما يدعيهِ من التم
وداواهُ يوم التم من كلف بهِ	وابرأهُ يوم السرور والسقم

وجاء في الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ ولد بقرطبة سنة ١١٣٥ م وكانت في اوج مجدها وسنة ١١٤٨ تغلب عليها الموحدون واضطهدوا من فيها من اليهود فانتقل هو ووالدهُ الى فاس في المغرب الاقصى فخرج منها على عهد العرب ابن موبشا الشاعر وانتقل منها الى مصر سنة ١١٦٥ واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ويقال ان ريكاردس ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد عرض عليهِ ان يدخل في خدمتهِ

بالسيمياء ويقول عنهُ انهُ يعمل اعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانهُ يحضر الذهب المضروب متى شاء وبأي مقدار شاء وباي سكة شاء وانهُ يعمل ماء النيل خيمة ويجلس فيهِ واصحابهُ تحتها وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدتهُ فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليهِ حب الرئاسة وخدمة ارباب الدنيا وعمل كتاباً في الطب جمعهُ من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب اخرى وشرط ان لا يغير فيهِ حرفاً الاَّ ان يكون واو عطف او فاء وصل وانما ينقل فصولاً يختارها وعمل كتاباً لليهود سماهُ كتاب الدلالة ولعن من يكتبهُ بغير القلم العبراني ووقفت عليهِ فوجدتهُ كتاب سوء يفسد اصول الشرائع والعقائد بما يظن انهُ يصلحها(١)

وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نيرّ الطلعة مقبول الصورة فهابهُ الجمع ورفعوهُ فوقهم واخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقتهُ وقلت اياك اطلب فاخذتهُ الى منزلي وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدتهُ كما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرتهُ سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورتهُ . قد رضي من الدنيا بيرض لا يتعلق منها بشيء يشغلهُ عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدتهُ ليجاً بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي(٢) ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبهُ واذا تفاوضنا الحديث أغلبهُ بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة وانا لا تلين قناتي الخزم ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفاري ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليهِ الندم رجلاً واؤخر اخرى

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليهِ فاخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً محبباً واصحابهُ يتشبهون بهِ يتسابقون الى المعروف كما قال

---

(١) اما ابن ابي اصيبعة فذكر لهُ كتباً كثيرة وهي اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس ومقالة في البواسير وعلاجها ومقالة في تدبير الصحة ومقالة في السموم والتحرز من الادوية القتالة وكتاب شرح العقار وكتاب كبير على مذهب اليهود

وفي الانسكلوبيذيا البريطانية ان لهُ كتباً كثيرة في الديانة اليهودية وكان لفلسفتهِ شأن كبير في اوربا

(٢) هو ابو النصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان من فاراب مدينة في بلاد الترك بارض خراسان كان ببغداد وانتقل الى الشام واقام فيهِ الى حين وفاته وهو من أكبر فلاسفة المشرق ان لم يكن أكبرهم ولهُ كتب كثيرة في الفلسفة ويعوّل عليهِ في فهم فلسفة ارسطوطاليس

تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل » واول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع وكان مهتماً ببناء سور القدس وحفر خندقهِ يتولى ذلك بنفسهِ وينقل الحجارة على عاتقهِ ويتأسى بهِ جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ويأتي دارهُ ويمد الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المشاعل ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق واطلق اولادهُ رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار[1]

ورجعت الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما امعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومن وضعها وتكذب بها وما كان قصدهُ في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعف شكري لله سبحانهُ على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودع الحاج ثم رجع فحُمّ فقصدهُ من لا خبرة عندهُ ففارقت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليهِ شبيهاً بما يجدونهُ على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموتهِ سواهُ لانهُ كان محبوباً يحبهُ البر والفاجر والمسلم والكافر . ثم تفرق اولادهُ واصحابهُ ايادي سبا ومزقوا في البلاد كل ممزق واكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها . واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاهُ بدمشق فلم ينل منهُ بغية ثم تأخر الى مرج الصفر للولنج عرض لهُ فخرجت اليهِ بعد خلاصة منهُ فاذن لي في الرحيل معهُ واجري عليَّ من بيت المال كفايتي وزيادة واقمت مع الشيخ ابي القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبهُ ولما اشتد مرضهُ وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسهِ واشرت عليهِ بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجر قد بلوتُ المر من ثمره

ثم سألتهُ عن الم فقال ما لجرح بميت ايلام

(1) غير متعين جنيهاً وهي تعادل اكثر من مئة جنيه بمعاملة هذه الايام باعتبار ما يشترى بها من الحاجيات

وكان سيرتي في هذه المدة اني اقرئ الناس بالجامع الازهر من اول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب [1] وغيره وآخر النهار ارجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم ازل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز وكان شاباً كريماً شجاعاً كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنهِ وفره شبابهِ كامل العفة . انتهى

ثم ان الشيخ موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ولهُ الرواتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثلهُ وألف في ذلك كتاباً ذكر فيهِ اشياء شاهدها او سمعها من عاينها تذهل العقل وسمي ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر .

ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيهِ الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليهِ بكثير من العلوم وصنف هنالك كتباً كثيرة ثم انهُ توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيهِ خلق كثير يشتغلون عليهِ ويقرأُون اصنافاً من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف بهِ واما قبل ذلك فانما كانت شهرتهُ بعلم النحو . واقام بدمشق مدة وانتفع الناس بهِ . ثم انهُ سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكيناً عندهُ عظيم المنزلة ولهُ منهُ الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة وصنف باسمهِ عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمتهِ الى ان استولى على ملكهِ صاحب ارزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر لهُ خبر

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كماخ وفي جمادى الاولى توجهت منها الى ديركي وفي رجب توجهت منها الى ملطية وفي آخر رمضان توجهت الى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ودخلنا حلب يوم الجمعة

(1) يظهر ان كل علوم ذلك العصر كانت تدرَّس في الازهر حتى علم الطب

تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وامنها بحسن سيرة اتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لعدلهِ في رعيتهِ »

قول واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليهِ وكثرت تصانيفهُ وكان لهُ من شهاب الدين طغريل الخادم اتابك حلب جار حسن وهو متقل لتدريس صناعة الطب وغيرها ويتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرئ العربية وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف . ولما اقام بحلب قصدت ان اتوجه اليهِ واجتمع بهِ فلم يتفق ذلك وكانت كتبهُ ابداً تصل الينا ويبعث اليَّ اشياء من تصانيفهِ من خطهِ وهذه نسخة كتاب كتبهُ اليهِ لما كان بحلب

المملوك يواصل بدعائهِ وثنائهِ وشكرهِ وانتمائهِ الى عبودية المجلس السامي المولوي السيدي السندي الاجلي الكبيري العالمي الفاضلي[1] موفق الدين سيد العلماء في الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة في العالمين ولي امير المؤمنين اوضح الله بهِ سبل الهداية وانار بمقالهِ طرق الدراية وحقق بحقائق الفاظهِ صحيح الرواية ولا زالت سعادتهُ دائمة البقاء وسيادتهُ سامية الارتقاء وتصانيفهُ في الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الادباء والحكماء . والمملوك يجدد الخدمة ويهدي من السلام اطيبهُ ومن الشكر والثناء أعذبهُ وينهي ما يكابدهُ من الم التطلع الى مشاهدة انوار شمسهِ المنيرة وما يعانيهِ من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرتهِ الاثيرة . وما تزايد من القلق وتعاظم عند سماعه قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

ولولا امل قفول الركاب العالي ووصول الجناب الموفقي الجلالي لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمتهِ وفاز بالنظر الى بهي طلعتهِ . فيا سعادة من فاز بالنظر اليهِ ويا بشرى مَن مثُل بين يديهِ ويا سرور من حظي بوجه اقبالهِ عليهِ ومن ورد بحار فضلهِ من غيرها واستضاء بشمس علمهِ فسرى في ضياء منيرها . مسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع بمنهِ وكرمهِ ان شاء الله تعالى

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انهُ بعث الى ابي في اول كتاب وهو يقول فيهِ عني « ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي

(1) يظهر ان الحاق الصفات بياء النسبة شاع في ذلك العهد للمبالغة فيها وجرى عليهِ الكتاب ولو كانوا من خاصة العلماء

وما زالت النجابة تتبين لي فيهِ من الصغر» . ووصف واثنى كثيراً وقال فيهِ «ولو امكنني ان آتي اليهِ بالقصد ليشتغل عليَّ لفعلت» . وبالجملة فانهُ كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقيم بها ثم خطر لهُ انهُ قبل ذلك يحج ويجعل طريقهُ على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفهِ ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك وتوفي رحمهُ الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية عند ابيهِ وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً خمساً واربعين سنة ثم ان الله تعالى ساقهُ اليها وقضى منيتهُ بها

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

٢

اذا اشترط السمسار على نفسهِ شرطاً لاخذ السمسرة ولم يقم بهِ سقط حقهُ بها . مثال ذلك ان جماعة من السماسرة اتفقوا مع شخص على ان يحضروا لهُ شريكاً يشاركهُ في عملهِ ويقدم مبلغاً معيناً من رأس المال . فاحضروا الشريك ولكنهُ ابى ان يدخل شريكاً بعد ان عرف حقيقة العمل لانهُ رأى ان ربحهُ غير كاف فطلب السماسرة سمسرتهم مدعين انهم احضروا الشريك ومعهُ المبلغ المطلوب من رأس المال . فحكم القاضي لورد كلردج ان الرجل الذي احضروهُ لم يصر شريكاً ولا دفع مالاً فلا تحق لهم السمسرة . ولكن لو طلب السماسرة تعويضاً عن العطل والضرر الناتج من ان صاحب العمل لم يقرر اولاً الحقيقة عن عملهِ ولو قرَّر الحقيقة لما اتعبوا انفسهم بالتفتيش عن شريك لهُ لحكم لهم بالعطل والضرر

النص يمنع التضمين . اتفق سماسرة مع بعض الماليين على ان يحملوا حكومة الصين تقترض منهم مبلغاً من المال لكن الماليين كتبوا في التفويض العبارة التالية وهي «اننا اذا لم نستطع ان نتم هذا القرض فلا حق لكم عندنا» وادَّعى السماسرة انهُ جرى كلام شفاهي كثير بينهم وبين الماليين والشروط المذكورة في التفويض هي بعض ما تمَّ الاتفاق عليهِ وقالوا ان الشروط المكتوبة تحتوي ضمناً شرطاً آخر وهو ان لا يفعل الماليون شيئاً من شأنهِ ابطال القرض . فحكم القاضي انهُ اذا كانت الشروط مكتوبة فلا يعمل بما ليس مكتوباً فيها اذا كان منافضاً لها وانهُ لا يجوز استنتاج شيء منها ضمناً الاَّ اذا اتفق الفريقان على استنتاجهِ

لا يجب البيع الاَّ اذا تمَّ الاَّ اذا انتقلت الملكية ودفع الثمن . كلَّف مالك سمساراً ان يبيع لهُ

ارضاً بالمزاد ورسا المزاد على المشتري ولكن البيع لم يتم فطلب السمسار سمسرتهُ ورفض المالك حاسباً ان البيع لم يتم ورضي بان يدفع اجرة المزاد ونفقاته لانهُ ذكر في التفويض انهُ اذا لم يتم البيع فالمالك يعطي السمسار ثلاثين جنيهاً اجرة المزاد وقيمة المصاريف التي صرفها . فحكم القاضي للمالك قائلاً انهُ لا يحسب البيع انهُ تم الا بعد انتقال المبيع من البائع الى الشاري واستؤنفت الدعوى فايّد الاستئناف الحكم الابتدائي

تحق السمسرة ولو بمجرَّد التعريف — كلف مالك سمساراً ان يبيع لهُ ارضاً يملكها وكان السمسار ولَّالاً فعرض الارض بالمزاد ولم تبع وجاءهُ حينئذٍ رجل وسألهُ عن صاحب الارض فدلهُ اليهِ وبعد ذلك سحب المالك التفويض من الدلاَّل وباع ارضهُ لذلك الرجل فطلب السمسار سمسرتهُ وحكم القاضي اول ان الدلاَّل يستحق السمسرة اذا باع الارض حسب شروط الاتفاق بينهُ وبين المالك وهو لم يبع الارض فعلاً مع انهُ عرضها للبيع ولكنهُ عرَّف بصاحبها رجلاً اشتراها منهُ وقد سحب المالك منهُ التفويض بعد ان عرف المشتري بهِ فكأن المشتري اشتراها منهُ لما عرضها للبيع . فان القاعدة المقررة انهُ اذا وجد بائع وشارٍ وتمَّ البيع بفعل فعلهُ الوسيط يحسب كأنهُ تمَّ على يده وتحق لهُ السمسرة

لكن اذا تمَّ البيع كنتيجة بعيدة نتجت من عمل السمسار لم تحق لهُ السمسرة . مثال ذلك ان سمساراً احضر رجلاً الى بنك ليستلف منهُ نقوداً فابى البنك ان يسلفهُ ثم سمع بعض الماليين من البنك ان ذلك الرجل يحتاج الى سلفة فسلفوهُ المال المطلوب فحكم القاضي ككبرن ان لا حق للسمسار بالسمسرة لان ما حدث لم يحدث بواسطتهِ مباشرة بل حدث عرضاً لانهُ لولم يتفق ان سمع اولئك الماليون من البنك ان فلاناً يحتاج الى سلفة لما تم التسليف وزد على ذلك فالاتفاق بين المستدين والسمسار يقضي بان السمسار هو الذي يجلب السلفة للمستدين ولكنهُ لم يفعل فحكم المجلس ان لا حق للسمسار بالسمسرة

ولكن اذا اتفق الاثنان على ان السمسرة تحق ولو حدثت النتيجة بغير واسطة السمسار مباشرة حقت السمسرة مثال ذلك ان رجلاً لهُ مركب اتفق مع سمسار على ان يبيع لهُ المركب وكتب في التفويض انهُ اذا تم البيع ولو كنتيجة عما يفعلهُ السمسار حقت لهُ السمسرة . فقال القاضي دغن ان كلمة كنتيجة in consequenc كلمة واسعة المعنى واراها تشمل النتائج المباشرة وغير المباشرة . وقال رئيس القضاة كولردج ان كلمة كنتيجة اذا نظرنا اليها بخلو الغرض رأيناها تشمل النتائج القريبة والبعيدة ولذلك فنص التفويض يدل على ان المتعاقدين ارادا النتائج البعيدة او غير المباشرة

اذا اختلف الخصمان في هل حصل ما حصل بعمل السمسار فمن الحسن ان يسأل الشخص الثالث عن ذلك . سأل القاضي دفن مشتريًا قائلاً لهُ « لو لم تأخذ ورقة التعريف من من السمسار الى البائع أ كنت اشتريت البيت» . فاجاب « لا اظن » . فحكم المحلفون للسمسار بالسمسرة . وطلب مالك من سمسار ان يبيع لهُ بيتهُ فرصةُ البيع ثلاثة اشهر ولم يفلح فرصةُ صاحبهُ البيع بالمزاد العلني فاشتراهُ رجل والسمسار هو الذي هداهُ الى البيت ولكن القاضي لم يحكم لهُ بالسمسرة اذ رجح انهُ لو لم يعرض البيت بالمزاد لما اشتراهُ المشتري . واذا حقت السمسرة لسمسار لزم المشتري دفع سمسرتين

ولا ينحصر التعريف بان يعرّف السمسار رجلاً بآخر لا يعرفهُ بل يطلق ايضاً على تعريفهِ برجل يعرفهُ اذ يراد بها ان يعرّف احدهما بالآخر كمن يريد البيع وكمن يريد الشراء . والتعريف بوكيل البائع او المشتري كالتعريف بالبائع او المشتري اذا كان وكيل البائع مفوضاً بالبيع ووكيل الشاري مفوضاً بالشراء

اذا فوض مالك الى سماسرة كثيرين بيع بيت لهُ او تأجيرهُ فالذي يبيعهُ منهم او يؤجرهُ يستحق السمسرة وحدهُ ولكن اذا انفق الآخرون نفقات في هذا السبيل كأن اعلنوا عنهُ في الجرائد او ما اشبه حق لهم شيء مقابل تعبهم تعويضاً . واذا تعذرت معرفة ايهم هو البائع الحقيقي او المؤجر الحقيقي فالذي كان الاول في ايصال الشاري الى البائع او المستأجر الى المالك احق من غيره ولكن ذلك قد لا يكون سبباً قاطعاً للاولوية . قال القاضي ارل لا شبهة ان القانون صريح ان السمسار الذي ارسل المشتري الى البائع يستحق السمسرة ولو تمّ الاتفاق بعد ذلك بين البائع والشاري مباشرة فاذا كان هناك سماسرة كثيرون معتنين بمخاطبة المشتري فالذي كان الاول في ايصالهِ الى الشاري هو احقهم بالسمسرة

الأ ان القاضي لوبز حكم بالسمسرة لسمسار الذي حدث البيع بسببهِ او بسبب تعريفهِ ولو لم يكن اول من ارسل المشتري الى البائع

وقد يدّعي السمسار ان لهُ سمسرة على كل ما ينتج من عملهِ ولكن لا يثبت لهُ هذا الحق الأ اذا ذُكر صريحاً في التفويض مثال ذلك ان بيتاً تجاريًا كتب الى عميل لهُ يقول ان كل الطلبات التي تأتيا بسببك وتقبلها ويدفع لنا اصحابها قيمتها نعطيك عليها ٢½ في المئة . وكان للعميل معارف كثيرون فعرّفهم بهذا المحل مدة تسع سنوات فانتعشت تجارة المحل

جداً ثم ان المحل صرف العميل ادعاءهُ فادعى المحل انهُ يستحيل عليهِ ان يقوم بهذا الشرط الى الابد او مدة حياة المدعي . فقال القاضي لوبس في حكمهِ ان المدعي مصيب في دعواهُ وحكم لهُ بالعمولة . وايد الاستئناف الحكم

وارسل محل آخر عميلاً الى استراليا ليجول فيها ووعدهُ بان يعطيهُ ٧½ في المئة على صافي النقود التي تدفع اليهِ من ثمن البضائع التي يطلبها العميل او التي تطلب بسبب تعريف طالبيها بالمحل سواء طلبوها عن يدهِ او طلبوها مباشرة . وسنة ١٨٩٥ اعلنهُ المحل بان يترك خدمتهُ بعد ثلاثة اشهر فطلب ان تبقى العمولة تدفع اليهِ عن كل الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل حسب الاتفاق . فقال القاضي متيو في حكمهِ ان مدة الاتفاق غير محددة فيبقى العميل مستحقاً لسبعة ونصف في المئة على كل الطلبات التي يطلبها الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل ولكن يحق للمحل ان لا يعامل مع هؤلاء الزبائن فتبطل هذه العمولة ثم وجدت مصاعب في تعيين الطلبات التي تحق لهُ العمولة عليها فحكم لهُ بمبلغ معلوم اعطيهُ مرة واحدة تعويضاً

ورفعت قضية اخرى مثل هذه الى القضاء سنة ١٨٩٩ حكم فيها القاضي متيو حكماً جلياً قال فيهِ « ان المدعي يطلب ان يحكم لهُ بالعمولة على كل ما يطلبهُ الزبائن الذين عرَّفهم بهذه الشركة كأنهُ يطلب منها ربحاً سنوياً دائماً وهذا ليس من الانصاف ثم ان الشركة ارتبطت مع المدعي بان تعطيهُ عمولة عن كل ما يبيعهُ الزبائن الذين عرَّفهم بها . وقد فصلتهُ الشركة عنها ولكنها لا تزال تعامل اولئك الزبائن الذين عرَّفهم بها لما كان وكيلاً لها وهي تقول انها لم تعد مكلفة ان تدفع اليهِ شيئاً بعد انفصالهِ عن خدمتها . والشركة غير مكلفة معاملة هؤلاء الزبائن واما اذا عاملتهم وجب عليها القيام بشروط الاتفاق ودفع العمولة للمدعي . وهذه البلاد حرة ويحق للشركة ان تفسخ العقد الذي ارتبطت بهِ مع المدعي اذا ارادت ولكنها انما تستطيع ذلك اذا اعطتهُ التعويض الكافي عن فسخ العقد . وتنحصر المسألة حينئذٍ في ما هو التعويض الكافي الذي يجب على الشركة ان تعطيهُ للمدعي مقابل فسخ العقد . ولمعرفة ذلك لا بدَّ من ان نعرف كم هو المبلغ الذي يمكن ان يربحهُ المدعي لو بقي في خدمة الشركة ولم يفسخ العقد . وهنا يجب ان نعتبر عدة امور مثل احتمال موت المدعي وتقلبات احوال التجارة واحتمال ابطال هؤلاء الزبائن التعامل مع الشركة وما اشبه . ثم حكم للمدعي بثلثمئة وخمسين جنيهاً تعويضاً

كاترينا الثانية امبراطورة الروس

ختمنا الكلام في مقتطف سبتمبر بوفاة القيصر بطرس الأكبر وكان قد اوصى بالملك بعدهُ لزوجتهِ كاترينا الاولى فخلفتهُ سنة ١٧٢٥ ولكن الحزب الذي لم يرضهِ ما ادخلهُ من الاصلاح في بلادهِ سعى جهدهُ حتى نصّب بطرس الثاني حفيد بطرس الأكبر وابن ابنهِ الكسيس. وتوفي بطرس الثاني هذا بعد ثلاث سنوات وخلفتهُ الاميرة حنة ابنة الامبراطور ايفان فحكمت عشر سنوات من سنة ١٧٣٠ الى ١٧٤٠ . وفي ايامها علت كلمة الالمان في بلاط روسيا وصارت بلاد الروس مغنماً لهم. وخلفها ايفان ابن اختها لكنهُ أُنزل عن العرش حالاً وخلفتهُ اليصابات ابنة بطرس الاول فجرت على ضد ما جرت عليهِ الامبراطورة حنة واقصت الالمان واعادت الى مجلس الشيوخ سلطتهُ التي خولهُ اياها بطرس الأكبر وصفّت نظام القرعة وزادت المكوس على الواردات. وخلفها بطرس الثالث زوج كاترينا الثانية وكان ضعيف العقل ضعيف الرأي لكن كان عندهُ وزير حكيم فانقاد اليهِ وعمل بمشورتهِ وكان اول اعمالهِ انهُ اعفى الاشراف من القيد الذي قيدهم بهِ بطرس الأكبر وهو خدمة الحكومة وقال في اعفائهم ان القانون الذي وضعهُ جدي بطرس الأكبر كان في محلهِ حينما وضعهُ لانهُ اجبرهم على ان يتعلموا و يتفقهوا حتى يستطيعوا خدمة الحكومة فنشأ منهم القوّاد العظام والسياسيون المحنكون . اما وقد تمّ الغرض المقصود فلم يبقَ داعٍ للتمسك بهذا القانون . فسرَّ الاشراف بذلك وعزموا على ان يقيموا لهُ تمثالاً من الذهب اظهاراً لشكرهم فابى وطلب منهم ان يستعملوا الذهب لغاية انفع وقال انهُ يرجو ان يقيم لنفسهِ في قلوب رعاياهُ تذكاراً ابقى من التمثال . والغى ديوان البوليس السري وكان آفة على البلاد من بعض الوجوه مثل ديوان التفتيش . واهتمَّ بامر المنشقين عن الكنيسة الروسية وكانوا قد اضطهدوا اضطهاداً شديداً حتى نقص عددهم من اربعين الفاً الى خمسة آلاف في ولاية نوفغورود وحدها وهرب الوف منهم الى التتار او هاجروا الى بلدان اخرى فامر بارجاعهم الى روسيا واعطاهم ارضاً في سيبيريا واخذ املاك الاديرة وقطع للرهبان مالاً يعيشون بهِ بدلاً منها وعفا عن الذين وقع بهم العقاب في الحكم السابق ونفوا

لكن سلوكهُ كان مخالفاً لاوامرهِ على خط مستقيم فسلب خدَمة الدين اموالهم واحتقر المذهب الارثوذكسي بعد ان اعتنقهُ لانهُ كان قد رُبي على مذهب لوثيروس . واهان الكهنة

واغاظ ضباط الجيش وابطل الحرس الملكي وادخل في البلاد عادات غريبة وسنناً جديدة جاعلاً بلاط بروسيا انموذجاً له وقاصداً الاقتداء به في كل امر · وكان مولعاً بشرب البيرة فيقيم الليل كلهُ بين الكاس والطاس الى الصباح حتى يسكر سكراً طافحاً

وجرى في سياستهِ الخارجية على اساليب وسَّع مسافة الخلف بينهُ وبين شعبهِ ولاسيما بعد ما رآهُ بياهي بتعطف ملك بروسيا عليهِ ويحلف باسمهِ بعد ان كانت روسيا قد اذلت بروسيا · واعاد الى بروسيا كل الاملاك التي اخذتها روسيا منها وحالف ملكها فردرك الكبير محالفة هجوم ودفاع واولم وليمة فاخرة وقت توقيع هذه المحالفة شرب فيها نخب ملك بروسيا وهو يقول « نشرب نخب رئيسنا الذي شرفني بائتمانهِ اياي على فرقة من جيشهِ وارجو ان لا يعزلني من هذا المنصب وأؤكد لكم اني اهجم على جهنم بجيشي اذا امرني بذلك » وكان فردرك الكبير قد اعطاهُ لقب قائد لفرقة من جيشهِ

وكان قد اقترن في صباهُ بابنة امير سكسوني اسمها صوفيا اوغسطا باشارة ملك بروسيا اتت بها امها الى روسيا وادخلتها المذهب الارثوذكسي وعمرها ١٥ سنة فسميت كاترينا فاقترن بها سنة ١٧٤٥ وعمرهُ سبع عشرة سنة فقط · وكانت جميلة المنظر ذكية العقل عالية المطالب فرأتهُ يقضي اوقاتهُ في تربية الكلاب والجرذان وتعليمها الحركات العسكرية ويتناطح كما نهتهُ عن ذلك او ابانت لهُ مخافة عملهِ ويتعشق نساء البلاط ويطلعها على فعالهِ فذلك وادمانهُ المسكرات ابعدا قلبها عنهُ لكن عزيمتها لم تضعف كأنها قصدت ان تتسلط على البلاد اذا عجز زوجها عن السلطة فتعلمت اللسان الروسي حتى برعت فيهِ ودرست تاريخ روسيا وعادات اهلها وقوانين حكومتها وعرفت كل ما يرضي الامة الروسية وما يغيظها ترسخ ذلك في نفسها حتى صارت روسية قلباً وقالباً وسهل عليها استمالة الشعب الروسي اليها · وتخرجت في العلوم والآداب العصرية فاتقنت اللغة الفرنسوية وقرأت كل ما كان ينشر فيها من كتب الادب والفلسفة وكانت كتب فولتير واضرابهِ تسليتها وجاهرت بانها من تلامذتهم في اصلاح شؤون البشر · وكانت تراسلهم دواماً · فبينما كان زوجها يقضي نهارهُ في اللهو واللعب وليلهُ في السكر والخلاعة كانت هي تثقف عقلها وتوسع معارفها وتزيد سطوتها على عقول كبار الامة · ولم يكن ذلك بالامر السهل في بلاط تشغلهُ المفاسد لكنها فازت اخيراً وصار اهل البلاط كلهم يحترمونها رجالاً ونساء · ولما استوى زوجها على عرش الملك سنة ١٧٦٢ جعل يستشيرها في اموره لانهُ كان يعترف لها بالتفوق العقلي والمقدرة الادارية مع انهُ كان يكرهها ويود التملص منها · واضطرها ذات يوم ان تلبس احدى خليلاتهِ وسام القديسة كاترينا فعزمت

من ذلك الحين على ان تتخلص منهُ قبلما يتخلص منها ولاسيما بعد ان بلغها انهُ امر بالقبض عليها ووضعها في احد الاديرة

وكان فريق كبير من ضباط الجيش واعيان الامة معها يرون ان لا بدَّ من خلع زوجها والمناداة بابنها بولس امبراطوراً وجعلها وصية عليهِ او المناداة بها امبراطورة فمسحها الكهنة وصية على ابنها ونادى بها الضباط امبراطورة وطافوا بها في الشوارع والشعب يحييها باسم امبراطورة روسيا. وكان زوجها خارج بطرسبرج بعض جنوده الالمانيين ولم يكد خبر زوجته يصل اليهِ حتى انصرف عنهُ كل اعوانهِ فتنازل عن عرش الملك في اليوم التالي وزار زوجتهُ وعليلتهُ معهُ فارسلتهُ الى مكان من اجمل اماكن روسيا ليقضي بقية ايامهِ فيهِ وارسلت معهُ اربعة من اودع الضباط لكن اولاد اورلوف تبعوهُ اليهِ وحاولوا قتلهُ سمًّا فتعذر عليهم فقتلوهُ خنقاً والامبراطورة لا تعلم ذلك على ما يظهر ولكن يقال ان احد اولئك الرجال كان خليلاً لها فكأنهُ عمل بما ظنَّ انهُ يرضيها. قال السفير الانكليزي الذي كان في ذلك الوقت بعثت اليَّ الوزارة الروسية برقعة تقول فيها «ان وزير الامبراطورية الروسية يرى من واجباتهِ ان يعلم وكلاء الدول الاجنبية ان الامبراطور السابق أُصيب بغتةً بمغص شديد كان مرضاً لهُ فتوفي امس»

وكتب فولتير في ما كتبهُ عن الامبراطورة كاترينا ما يأتي «لا يخفى انها تذكَّر باللوم على امور طفيفة من حيث علاقتها بزوجها. هذه مسائل عائلية لا اتعرض لها وغير لازم ان يكون فيهِ عيب يحاول اصلاحهُ لانهُ يضطر حينئذٍ ان يبذل وسعهُ لنيل احترام الناس لهُ واعجابهم بهِ». وقد فعلت كما قال لانها انست الروسيين ما مضى وجعلتهم يذكرونها دائمًا بالاعظام والاجلال

ولا يسعنا ذكر كل الاعمال السياسية والحربية التي قامت بها هذه الامبراطورة فنكتفي بما قلَّ ودلَّ فانهُ لم يكد الامر يستتب لها حتى وجهت عنايتها الى علاقات بلادها بالبلدان المجاورة فحرصت على خطة الذين سلفوها وهي توسيع بلادها من كل جهة ولاسيما من جهة البحر ففازت فوزاً كبيراً لم يفقها فيهِ احد. واول شيء فعلتهُ انها طردت صاحب كورلند واقامت عليها اميراً من قبلها ثم ما زالت تضايقها حتى انضمت الى الامبراطورية الروسية سنة ١٧٩٥ وهي امارة صغيرة على بحر بلطيق مساحتها نحو عشرة آلاف ميل مربع وعدد سكانها الآن نحو سبع مئة الف نفس. واظهرت العداء لفردريك الكبير ملك بروسيا ولكنها لما رأت انهُ لم يعاملها بمثل ما عاملتهُ بهِ ولا وجدت في ما دار بينهُ وبين زوجها من المراسلات شيئاً

يضبطها حالتهُ عاقلة هجوم ودفاع دامت الى آخر ايامهِ وغرضها الاكبر منها امتلاك بولندا او اقتسامها . وكان في بولندا حزبان حزب يؤيد الحرية الدينية وحزب يمنعها فايدت هي الحزب الاول وقاومت الحزب الثاني فتمزق شملهُ واضطر اعضاؤُهُ ان يهربوا الى بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية فاغتاظت الدولة من تقدم الروس في بولندا وشهرت الحرب على الامبراطورة كاترينا ويقال ان سفير فرنسا هو الذي حمل الباب العالي على محاربة روسيا . وكانت جنود الامبراطورة كاترينا في بولندا فلم تكن متأهبة لمحاربة الباب العالي لكنها كتبت الى قوادها تقول « ان الرومانيين لم يكونوا يسألون عن عدد خصمهم بل كانوا يكتفون بالسؤال اين هو » . وكان الصدر الاعظم قد حمل على تخوم روسيا بمئة الف محارب سنة ١٧٦٨ فامرت القائد اسكندر غالتسوين ان يتقدم لقتالهِ بثلاثين الفًا وامرت رومانتسوف ان يحتل اكرينا عناية من تتار القرم والتقى غالتسوين بالصدر الاعظم قرب خوتين وفاز عليهِ ونزل في الفلاخ والبغدان وذلك سنة ١٧٦٩ وفي السنة الثانية تغلب رومانتسوف على خان التتار وهاجم الصدر الاعظم في كهول فخدث ما ساعدهُ على الفوز عليهِ . وسنة ١٧٧١ اجتاح الروس كل بلاد القرم واستولت جنود الفلاخ على حصون الطونه واجتاحوا بسارابيا واخذوا مدينة بندر ودخلوا بلاد البلغار

وبعثت الامبراطورة بعمارة بحرية من بحر بلطيق دارت حول اوربا ودخلت بحر الروم ووصلت الى بلاد اليونان والتقت بالاسطول العثماني في ساقص وتغلبت عليهِ ويقال ان الاسطول العثماني انتصر على الاسطول الروسي اولاً وعاد بعد النصر الى ميناء جشمه فتبعهُ حراقتان من اسطول الروس فظن العثمانيون انهما فرتا من الاسطول الروسي واتيا للانضمام اليهم فلم يعارضوهما في الدخول الى المرفإ لكنهما لم تلبثا ان دخلتا حتى القتا النيران في الاسطول العثماني فاحترق كلهُ وذلك في ٦ يوليو سنة ١٧٧٠ فخاف الناس في الاستانة من وصول العمارة الروسية اليها ويقال انها لو فعلت صائرة حينئذٍ لما منعها شيء عن اخذ الاستانة ولكن اورلوف اميرها اضاع الفرصة بامتلاك الجزائر جزيرة جزيرة والحال قام البارون توت[1] وانهض همة الباب العالي الى تحصين الدردنيل وسبك لهُ المدافع الكبيرة حتى اذا جاءت الاسطول الروسي وجدهُ امنع من عقاب الجو . الا ان الروس استولوا على ازاق وكل بلاد القرم وسواحل البحر الاسود بين نهر الدانيبر والدنيستر اي على بسارابيا

(1) امير مجري جنس بالجنسية الفرنسوية وصار قنصلاً لفرنسا في بلاد القرم ثم دخل خدمة الدولة العلية باصلح الطبجية وحصن الدردنيل

والفلاخ والبغدان وجانب من البلقان وجزائر الارخبيل · ورأت النمسا ذلك فراعها دنو روسيا منها وعزمت ان تقتدي تركيا ببولندا فان ملك بروسيا ارسل اخاه الى بطرسبرج ليقنع الامبراطورة كاترينا ان تقدمها في بلاد الدولة العلية يغيظ النمسا وفرنسا فيساعدان الدولة العلية عليها وهو لا يستطيع مساعدتها لشدة ما قاسته بلاده في الحروب الماضية ولذلك فالسبيل الاصلح والآمن لها ان تأخذ جانباً من بولندا بدل ما شرعت اخذه من بلاد الدولة وتسمح بما بقي منها لبروسيا والنمسا

وكانت تود سلامة بولندا وتريد الاحتفاظ بها على شرط ان يكون لها فيها الكلمة العليا ولكنها رأت حينئذ ان لا قبل لها بمحاربة تركيا والنمسا وفرنسا فاضطرت ان تقبل ما عرضه عليها ملك بروسيا فاقتسمت مملكة بولندا مع بروسيا والنمسا (١)

وعقدت شروط الصلح مع الدولة العلية سنة ١٧٧٤ ومن مقتضاها استيلاء الروس على كثير من الحصون والمواقع المنيعة وان تدفع الدولة العلية اربعة ملايين وخمس مئة الف روبل (٦٧٥ الف جنيه) غرامة حربية وتفتح البوسفور والدردنيل للسفن الروسية التجارية ويكون لتجار الروس ما لتجار الفرنسويين من الحقوق في بلاد الدولة · وتعترف الدولة العلية باستقلال تتار القرم وركوبان والولايات المجاورة وتعطي روسيا ازاق وكربش وقلبرن وكل المواقع الحصينة في القرم وكل سواحل البحر الاسود الشمالية وتعترف بحماية روسيا للمسيحيين الذين في امارات الطونة· وتسمح لها ببناء كنيسة في الاستانة · وردت روسيا الفلاخ والبغدان الى الدولة العلية بعد ان احتلتها

لكن هذا الفوز الحربي تبعته رزية طبيعية من اشد الرزايا فان الطاعون انتشر في روسيا حتى بلغت الوفيات به في مدينة موسكو الفاً في اليوم في شهري يوليو واغسطس سنة ١٧٧١ وبلغ من هوس العوام ان قاموا على رئيس الاساقفة وقتلوه ونهبوا بيته لانه منعهم من تقديم القرابين الى صورة العذراء وكثر الشغب حتى اضطرت الحكومة ان تترك قتل المشاغبين

---

(١) هذا هو التقسيم الاول ثم التي وعادت بولندا الى استقلالها واصلحت شؤونها ولكنه اعيد على اسلوب آخر واخرجت النمسا منه واعيد ثالثة واخذت النمسا نحو ثمن نصيب روسيا بلاداً يسكنها مليون ومئتا الف نفس وبروسيا بلاداً يسكنها مليون نفس والنمسا بلاداً يسكنها مليونا نفس وذلك كله في عهد الامبراطورة كاترينا · وصحح هذا التقسيم بعد ذلك فوسع نصيب روسيا · والآن يبلغ عدد البولنديين في قسم روسيا ١٦ مليوناً وفي قسم بروسيا ثلاثة ملايين وفي قسم النمسا خمسة ملايين

بالسلاح · وتلت ذلك ثورة اميليان بوغتشف التي كادت تزعزع اركان الامبراطورية وبعد وقائع دموية كثيرة قُبض عليهِ واتي بهِ الى موسكو وقتل فيها

وارتأت روسيا ان يكون بينها وبين بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية مملكة مستقلة مؤلفة من الفلاخ والبغدان وبسارابيا ويكون لها ملك ارثوذكسي وتأخذ روسيا اوتشاكوف وساحل البحر بين البغ والدنيبر وجزيرة او جزيرتين من الارخبيل الرومي وتأخذ النمسا البوسنه والهرسك من املاك الدولة العلية ودلماتيا من املاك البندقية وتعطيها بدلاً منها بلاد المورة وكريت وقبرص · وتعاد امبراطورية الروم وينصب عليها امبراطور حفيدها الغراندوق قسطنطين الروسي وكانت قد علّمتهُ اللسان اليوناني لهذا الغرض · فحسن هذا الرأي لدى امبراطور النمسا ولم تضادهُ فرنسا ولكن انكلترا وبروسيا ضادتاهُ وانضمت اليها هولندا وانحازت هذه الدول الثلاث الى الدولة العلية انتقاماً من روسيا · وفي ٢٦ يوليو سنة ١٧٨٧ ارسل الباب العالي الى سفير روسيا بلاغاً يطلب فيهِ اخراج موروكرداتو حاكم البغدان من بلادها واسترجاع قناصلها في اساي وبخارست والاسكندرية ورفع حمايتها عن اراكلي الثاني قيصر جيورجيا ويطلب ايضاً ان يفتش مأمورو الباب العالي كل السفن الروسية المارة في البوسفور · ولما ابى السفير اجابة الباب العالي الى طلبهِ قُبض عليهِ وسجن في الابراج السبعة وشهرت الدولة الحرب على روسيا وكانت بروسيا محفزة على روسيا حينئذٍ وكذلك اسوج فوقعت الامبراطورة كاترينا بين ثلاث نيران الآن امبراطور النمسا حالفها وشهر الحرب على الدولة العلية وخرج لقتال جنودها بمئتي الف محارب فدارت الدائرة عليهِ ودخل الصدر الاعظم بلاد المجر والتقى بالامبراطور وهو بأربعين الف محارب وهزمهُ · ودامت هذه الحرب من اواسط سنة ١٧٨٧ الى اخر سنة ١٧٩١ وكثرت فيها المعارك براً وبحراً ولكنها كانت سجالاً عقد النصر فيها مراراً للعثمانيين ومراراً للروس · ومات امبراطور النمسا في غضون ذلك فعدل خلفهُ عن استئناف القتال ثم امضيت شروط الصلح في يناير سنة ١٧٩٢ وكانت الامبراطورة كاترينا قد قلقت بما حدث في فرنسا من الثورة فرحّبت بالصلح لاسيما وانها اخذت بهِ اوتشاكوف وساحل البحر الى الدنستر واعترفت الدولة بحمايتها لتفليس وكرتالينيا · وسيأتي الكلام على ادارة هذه الامبراطورة في بلادها وما ادخلتهُ فيها من وسائل العمران

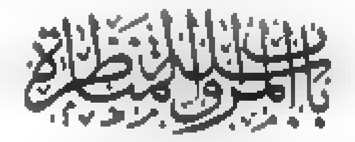

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الطريقة الحديثة للتعليم

طالعت ما جاء في المقتطف عن الطريقة المنسوبة في تعليم الاولاد الفقراء واطلعت على ما يماثلها في بعض المجلات الاوربية باختلاف جزئي بينهما فشكرت لكم اجتهادكم المتواصل في البحث والتنقيب عن كل فائدة علمية وادبية واجتماعية وسبقكم دائماً الى نشرها في المقتطف خزانة العلم وروضة الادب ورأيت ان من صدق الخدمة الوطنية ان نطبق هذه الطريقة على حالة الوطن الاجتماعية لانهُ لا يكفينا ان نطلع على ما يعمل في الخارج وان نقتصر على استحسانهِ بل يجب ان نستفيد منهُ وننسج على منوالهِ اذا كنا في حاجة اليهِ

لا يزال عدد الاميين في اسبانيا كبيراً جدًّا والجهل فيها فاشياً فقام بعض دعاة الاصلاح ورسل الانسانية لنشل هذه الفئة من وهدة الجهل على نحو ما ذكرتم في الطريقة المنسوبة فوفق عملهم بالغرض واتى بنتائج حسنة جدًّا. واول من قام بهذا العمل القس باس مولهون احد رهبان الجبل المقدس في غرناطة واستاذ في كليتها. والاهالي هناك من اشد الناس جهلاً واكثرهم نفوراً من العلم وعين لهُ المعلمين الفقراء بجمع الاولاد الفقراء والمتشردين واخذ يقدم لهم ما يلزمهم من الغذاء اليومي ويكسوهم مرتين في السنة ويقدم لباس الحداد للايتام ويكافئ الناجحين بالجوائز ومتى بلغوا الحد الذي يستطيعون بهِ العمل يساعدهم على الزواج وعلى ايجاد عمل يعيشون منهُ

اما طريقة التعليم فاعطاء الدروس في الفلاة والهواء المطلق وهي حسية وعملية بحيث يسهل تحصيلها بدون جهد وعناء فيرسم على الجدران الحروف والارقام والخرائط وعلامات الموسيقى ويرسم على الارض جداول الحساب والخرائط الجغرافية ويعلق على الاشجار

الكرات الارضية والفلكية واجدع العابًا يتعلم منها الاولاد الحساب والجغرافية ونظم اغاني يغنون بها في ذهابهم وايابهم ويتعلمون منها التاريخ بحيث اصبحت معرفة المتزوجين راسخة في اذهانهم ويستطيعون ان يجاوبوا على الاسئلة التي تلقى عليهم في الجغرافية والتاريخ والفلك افضل مما يجاوب عليها كثيرون من حاملي البكلوريا . واما البنات فيتعلمن الخياطة والتطريز وتدبير المنزل . ولكي لا يبقى محل للكسل او التضجر يعطي كل ولد قطعة ارض صغيرة ليحرثها ويزرعها قبل ميعاد الدرس ويعلمهُ ان يحترم حقوق جاره . وهو وامراتهُ افضل مثال لهذا المبدإ يعاملون الاولاد معاملة احترام ويغرسون في اذهانهم معرفة الواجبات الادبية ليسلحوهم بسلاح الدنيا والآخرة . ويقول ان الولد يستطيع ان يستفيد من كل شيء وفي كل وقت حتى في وقت اللعب

ان طبقة الشعب الواطئة في ضواحي غرناطة ادنى حالة من مثلها في مصر فقام هناك رجل في رأس عمل عظيم فاصلح الفاسد وقوم المختل ونحن في وطن وان فشا فيهِ الجهل ففيهِ كثير من ذوي الشيوخ والثراء والاحسان والاريحية ولا يعوزنا سوى الخطوة الاولى للعمل وارى من واجب الوطنية لفت النظر الى ذلك عسى ان يكون لهذا الصوت الضعيف صدى في الاندية العالية

لا ينكر ان السواد الاكبر من الشعب المصري لا يزال اميًّا وان الطبقة الواطئة منهُ لا تعرف للنظافة معنى ولا اخشى ان اقول انهُ يضرب المثل بقذارتها ومن الثابت ايضاً ان وفيات الاطفال كثيرة جدًّا بالنسبة الى ما هي عليهِ في الامم الاخرى ومثلها نسبة امراض العيون والحمى والكساح وغيرها من امراض البنية التي تسبب من سوء المعيشة والقذارة

وقد تألفت في القطر جمعيات خيرية لتلافي هذه المحظورات واولاها غاية جمعية رعاية الاطفال التي تقدم الامة خدمات جليلة على اني ارى انها لم تفِ بالغاية المطلوبة لان من يألف عادة يصعب عليهِ تركها فالام التي تأتي بابنها الى مركز الجمعية وتستفيد من ارشاداتها ترجع بعد قليل الى عادتها القديمة لان الجديدة لم ترسخ فيها بعد . فاذا وسعت الجمعية دائرة عملها او تألفت جمعيات اخرى تعضدها بتعليم اولاد الفلاحين على طريقة اندرياس مونيون وفي الوقت نفسهِ يحصل لعلم الصحة حصة في الدروس حصل من ذلك فائدتان الاولى تعليم الاولاد والثانية حفظ صحتهم

الجهل عاهة نفسية يجب مداواتها كما تداوى الاسقام في الاجسام حتى لا يتجاوز ضررها الى المجموع . ومن الحكم المأثورة ان العقل الصحيح في الجسم الصحيح فيجب ان يعتنى بالجسم

ليكون بصلاحه صلاح الاحوال العقلية والنفسية . والنظافة سور لصحة الاجسام وركن لصحة الاذهان وعندي ان من واجب كل امة ان تشيد بجانب هياكل العبادة هياكل لعبادة الهة النظافة ليرسخ في ذهن كل انسان ان الصحة والنظافة والنور والهواء التي هي من معبودات المنزل ويجب ان يكون لعلم الصحة نصيب في الدروس المدرسية وان يكون له الحصة الكبرى في كتاتيب البنادر والارياف

الشيء بالشيء يذكر فيحسن ان نذكر هنا عملاً مفيداً اقترحناه على شركات علب الكبريت الاميركية هي دارمشاد التي تهتم بمقاومة السل وعدم انتشاره بين الفلاحين وهو ان تكتب الشركات على وجهي العلبة التعليمات اللازمة للوقاية من السل لكي يحيط العموم علماً بها حتى في اقاصي البلاد

النشرات الروائية كثيرة والمتهافتون على مطالعتها كثيرون وهي لا فائدة منها سوى ضياع الوقت بمطالعة حوادث خيالية تضرب على نغم واحد عشق وخيانة ومكر وقتل . فلو تألفت جمعية لتأليف النشرات الصحية وتوزيعها على الفلاحين وروعيت فيها اذواق القوم البسيطة وكتبت فيها المقالات الصغيرة التي لا يمل من مطالعتها وتضمنت من الفوائد الصحية والمنزلية والعلمية ما يكون مسبوكاً بقالب من الفكاهة لجاءت من الفوائد بما لا تقدر قيمته في المستقبل القريب . وارى ان جمعية رعاية الاطفال تستطيع القيام بهذا العمل وهي اذا قامت به الى ان يتيسر لها توسيع نطاق عملها وتعميمه في البلاد فانها تخدم الانسانية والوطن خدمة تذكر فتشكر الدكتور امين ابو خاطر

كلمة لا بد منها

حضرات اصحاب المقتطف الفاضل

قدمت الى ساحة فضلكم الزاهر بضع مسائل ادبية اجتماعية فاجبتموني عن بعضها في عدد اكتوبر من سنتنا الحالية (١٩١٢) صفحة ٤٠٥

سألتكم عن فائدة الصلاة والصوم وقلت « ان الله سنَّ شرائع الطبيعة ونواميسها وهو لا يقدر ان يتعدى احداها لئلا يخرب نظام الكون » فاجبتم « ان ذلك تحكم لا دليل على صحته » فعجبت من قولكم هذا لما اعهده فيكم من سعة الاطلاع والوقوف على دقائق الحقائق ولعلكم ذهبتم ذلك خلاف ما اردت ولاجل زيادة البيان القي عليكم بعض اسئلة راجياً من حلمكم ان تتنازلوا وتجيبوني عنها على صفحات مجلتكم الزاهية ولكم مزيد الفضل . اما الاسئلة فهي

١ً ايستطيع المبدع الحكيم ان يوقف الارض بغتة عن سيرها السريع من دون ان تصبح بلقعاً خاوياً خالياً

٢ً افي وسعهِ ان يثبت القمر في كبد السماء مدة من الزمن بلا هياج في البحر وحصول مد يغرق الارض طرّاً

٣ً ايمكنهُ ان يفصل ارضنا عن الشمس بلا ضرر عظيم وخراب مستحكم

٤ً ايقدر ان يجعل الشمس تترك مقرها وتسير في طلب الارض من دون ان تتبعها الكواكب

٥ً افي طاقتهِ الغاء ناموس الجاذبية او الدفع العام

٦ً افي امكانهِ ارجاع الشيخ الهرم طفلاً رضيعاً

٧ً ايساعدهُ النواميس الطبيعية ان يقي من الموت من يلقي بنفسهِ من جبل شاهق الى الحضيض او من يطرح نفسهُ في اتون من النار و بحيرة من الكبريت

٨ً افي استطاعتهِ ان يجعل النبي الجاهل توّاً عالماً فاضلاً

ويمكنني ان آتي بمسائل غيرها ولكن ما تقدم كافٍ لاظهار ما نحن بصددهِ . ويليق بي دفعاً لشكوك البعض واعتراضاتهم ان اصرح على رؤُوس الملإِ قائلاً ان المسائل المار ذكرها لا تحط من قدرهِ تعالى وسلطتهِ المطلقة بل بالعكس تؤيد حكمتهُ السامية التي اوجدت المسكونة وسنت نواميسها الراهنة وفي الختام تكرموا بقبول فائق والسلام

بغداد ١٤ نوفمبر ١٩١٢ رزوق عيسى

جاءتنا هذه الرسالة منذ سنة وتعلقت بين اوراقنا فلم ننتبه لها الاَّ الآن . ونحن نرى ان كل حكم يحكم بهِ الانسان على شيء لا يعلمهُ فهو تحكُّم فقولنا ان خالق الكون لا يستطيع ان يفعل هذا الشيء او ذاك من قبل التحكُّم لان البشر لا يعلمون مبلغ قدرة الخالق . وكيف يمكننا الجزم في امور لا نعلمها ونحن لا نستطيع الجزم في الامور التي تقع تحت حواسنا

وقولنا ان الحكم على امكان المجهول او استحالتهِ تحكُّم لا يعني انهُ ممكن او مستحيل بل يعني قدرتنا على الجزم بانهُ كذا او كذا لان جزمنا بالشيء يجب ان يكون مبنيّاً على معرفة كنههِ وكل ملابساتهِ ولا سبيل الى هذه المعرفة

هذا وكلما تحكَّم متحكِّم في المسألة حكم فيها برأي نفسهِ من غير ان يبرز وجهاً للحكم . فقد يحتمل ان يكون الامر كما قلتم من حيث الصلاة ومن حيث عدم قدرة الخالق على توقيف الارض بغتة عن سيرها السريع من دون ان تصبح بلقعاً خاوياً خالياً كما قلتم الى

آخر ما ذكرتموه من هذا القبيل وقد يمكن ان لا يكون الامر كما قلتم ولكن لا يستطيع معرفة ذلك والجزم به الا من احاط علماً بقدرة الخالق ومثلنا في هذا الامر وامثاله مثل بعوضة تقول انه يتعذر على الانسان المقيم في اسيا ان يخاطب اهالي اميركا بل النسبة بيننا وبين الخالق ابعد جداً من النسبة بين البعوضة والانسان

العمال في القديم

يظهر ان الشعر لم يكن في كل العصور كما صار في بعض الازمنة صناعة الذين لا صناعة لهم غير التزلف للحكام واستنداء اكف اصحاب المال بمدحة اصحابهم وهم اذا انصفوا « يجيزونهم » بالنظم والجمل من هذا الكذب. ولا صناعة المتباكين لاستعطاف الحسان ومن يقابلنهم بالاعراض لانهن وان عطفن مرة على المتدلل فلا ينقدن الا الى الابي. ولا صناعة من اذهلهم الترف فظنوا الحياة خيالاً او خيالاً وما علموا ذلك لو عضهم الجوع عضة جامدة. ولا صناعة من اذا « ما خلا بارض طلب الحرب وحده والنزالا » فقام يفل الجيوش بقنابل الكلام وهو يحفر في الارض ليختبئ

بل كان صناعة رجال ونساء كالرجال ينظمون مفخرة ليقتدى بها. ويصورون مظلمة لينتبه اليها. ويضربون الباطل لينصروا حقيقة. ويدونون حكاية حال ليعول التاريخ عليها. — وامامي قصيدة مصرية قديمة منذ بضعة آلاف من السنين تصف حال العمال في ذلك العهد القديم اصدق وصف ما رضي التاريخ المكذوب امس واليوم قط ان يقص رواية اصدق وابسط منها. فانا اعرضها على شعرائنا المطبوعين لعلهم ينظمونها لنا او ينظمون ما هو نظيرها في عصرنا لان حالتنا وان اصطلحت في بعض الجامع ببعض الشيء فانها لا تزال تنضح بالمظالم. وعسام اذا فعلوا ان لا يعرجوا في سبيلهم على قصور المدح واكواخ القدح لئلا تعليهم السليقة فيركبوا متن المغالاة ويخطئوا الحقيقة بل ان يكون نظمهم من قبيل الشعر الوصفي التقريري البسيط ذات الباطة حينئذ تكون ادنى الى البلاغة والفائدة من التعمية والتعشية بكثير. ولكني اخشى عليهم حينئذ ان تخونهم الالفاظ اذا دخلوا الى دكان الصانع او جالوا في حقل الزارع لان اللغة العربية بفضل الجامدين — لم تخص للارضيات والاجتماعيات بل للاحلام والسماويات. ولعلهم اذا سمعوا لفظة المعول او الطين في بيت تغليهم « نكتة » العاجز فيقولون ما اشبه هذا الشعر « بالطين » ليقولوا انه ليس بشعر. كما لو وقع لكاتب المقتطف اشباه لفظة « المليم » او « الاتوموبيل » اعرض

منها وقال هذا ليس بعربي واستغنى عن الاسم ولو لم يستغنِ عن المسمى لئلا يشبهوا حينئذٍ ذلك الذي ادعى انهُ ألمَّ بلغة الفرنسيس وهو لا يدري الا القليل منها . فسألهُ احد الظرفاء عن اسم علة وسماها لهُ بالعربية ولم تكن من الالفاظ الشعرية ولا مما يرد في انشاء البلغاء ولكن العامة تفهمها جيداً . فقدح صاحبنا زناد فكره ولم يشأ ان يقر بجهله واجاب : هذه العلة لا توجد عند الفرنسيس ! . عسانا ان نعلم اننا كنا في عصر ونحن اليوم الى عصر كانت وستكون فيهِ اشباه لفظة المسول والطمي افضل من المرود والكحل وكانتا عن اليوم في فترة بينهما

اما القصيدة: موضوع كل هذه الطنطنة فهي : « لم ارَ حداداً سفيراً ولا صهاراً في رسالة بل رأيت الصانع في المعدن مكباً على عمله امام حلق كوره واصابعهُ خشنة كجلد التمساح ورائحتهُ نتنة كرائحة بيض السمك »

« الصانع الذي يشتغل بالمقص لا يتحرك قدر ما يتحرك العامل بالرفش . ولكن حقلهُ الخشب وعملهُ المعدن . فبينا ذاك حر في الليل هذا يشتغل بيديهِ في الليل على ضوء السراج لوق شغله في النهار »

« النحات الذي ينحت الحجارة الصلبة متى كسب شيئاً وكلَّت يداهُ استراح سحابة آخر النهار ولكن اذا رأوهُ عند طلوع الشمس جالساً شدوا ساقيهِ الى ظهره »

« الحلاق يشتغل من الصبح الى المساء ويأكل وهو راكض من حارة الى حارة يبحث عن عمل لهُ فاذا كان نشيطاً اشبعت يداهُ بطنهُ فهو اشبه شيء بالنحلة التي تأكل على قدر جناها »

« أأحدثك عن البناء وما يقاسيهِ من الشقاء ? هو معرَّض لكل الرياح . فبينا هو لا يجد على بدنهِ من الكساء سوى منطقة مشدودة على وسطهِ وبينا طاقة النيلوفر المعلقة على البيوت التي فرغ بناؤُها بعيدة عنهُ يشتغل العمل ذراعيهِ ومؤُونتهُ (اكله) مبعثرة هنا وهناك مع سائر القذارة . هو يأكل نفسهُ اذ ليس لهُ من الخبز الا خبز يديهِ حتى يهبط مرة واحدة . يشقى من شدة التعب لان امامهُ (على الدوام) حجراً يلزم ان ينقلهُ الى هذا البناء او ذاك والحجر عشر اذرع في ست . فاذا فرغ من العمل فان بقي معهُ خبز رجع الى البيت حيث يجد اولادهُ قد شبعوا من الضرب في غيابهِ »

« والحائك يقيم في البيت بحال هي شر من حال المرأة وهو مكبٌّ على ركبتيهِ وركبتاهُ في معدتهِ لا يستطيع ان يتنفس . فاذا ابطأ الحياكة في النهار رُبط كالنيلوفر في الحوض ومنع عنهُ النور الا اذا أعطى حراس الابواب خبزاً »

« الصباغ اصابعهُ نتنة ورائحتها كرائحة بيض السمك وعيناهُ مخمضتان من التعب ويدهُ لا تقف . وهو يشتغل على الدوام بقص الخرق القديمة وكذلك ترى اثوابهُ بحالة تغثي النفس »

« الاسكافي حالتهُ سيئة جداً . يشكو على الدوام وحصانهُ كقصة السمك الذي يبيض وهو يأكل الجلد باسنانهِ »

« الخباز يعجن ويخبز معاً ويبنا رأسهُ في الفرن يمسكهُ ابنهُ برجليهِ فاذا افلت منهُ سقط في النار » . انتهى

شبلي شميل

مساء السبت

في شوارع بورالقد أرلن

بقلم احمد الصافي

حبالُ الشمس مُدَّت في الفضاء لايقاعي باشراك الفناء

بسجن مظلم امسي نهاري والقي الليل في سجن الشقاء

ألاَ مَن يرفع الاغلال عنَّا ويمتنا سوى رب العلاء

ومن يمحو ظلام الجهل يوماً عن العالم غير الاذكياء

على انَّا رجال لا نبالي ولا نشكو الزمان على القضاء

(تعلمنا الصبر من فتن عوالٍ) على جسر المروءة والاباء

فان حبست بنا في الصبح شمس لنا ابتسمت مصابيحُ المساء

دنا الاحد المبارك في رفاق مساء السبت وافوا باللقاء

فجلنا في المدينة وهي تزهو كلؤلؤٍ بنور الكهرباء

فازرى حسنها بالافق لما تألقت الشوارع بالضياء

وزينت القصور بكل نورٍ فاشرق بالسنا وجه السماء

واقبلت الغواني من معان تسير مع السراة الاغنياء

يا لهُنَّ ما احلى عقوداً على لبَّات ربَّات البهاء

قدود كالغصون مهفهفات تهادى بين عطف وانثناء

اري هذي المناظر شائقات ولكن لا ارى فيها هنائي

ذروني انَّ عيني قد ارتني بها كفًّا تخضب بالدماء
هي الكف التي ابرت دماء تقي ذا النضار على رخاء
دعونا نبتغي صرف الحيا فبين كؤوسها سلوى البلاء

***

وميل عن السبيل بنا قليلاً فاشرفنا على روض وماء
وحانوت تصبُّ الراح فيهِ وتشدو الغيد فيهِ بالغناء
وندمان دنوا منا أماما ومدّوا نحونا ايدي السخاء
بكأس اذ اداروها اداروا بها رأسي كدولاب الهواء

***

افيقوا يا سكارى رُبَّ كأس تسوق المال منكم للفناء

بورتلند ٥٠ خ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثالثة

في التسمم بمركبات الفحم

الكربون او الفحم ليس مضرًّا لذاتهِ واما مركباتهُ فشديدة الخطر ولاسيما اكسيد الكربون وغاز النور والحامض الكربونيك

اكسيد الكربون

غاز يتولد من احتراق الفحم ويظهر بلهيب ازرق ويدخل الدم بطريق المسالك التنفسية ويتجه فعلهُ بنوع خصوصي الى كريات الدم الحمراء فيفسدها لانهُ يتحد بها اتحاداً قويًّا اقوى واثبت من اتحاد الاكسجين بها فيعزلهُ ويحل محلهُ. وهو سم ذريع لان جزءا منهُ في الف جزء من الهواء يقتل عصفوراً وجزئين او ثلاثة في الالف تقتل كلباً

والتسمم به اما سريع ويحدث عرضاً او للانتحار او علي . ويحدث عرضاً من استنشاق كية صغيرة منهُ تنتشر في هواء الغرفة من احتراق الفحم في المناقل او الكوانين المكشوفة التي تستعمل للتدفئة خصوصاً في البلاد الباردة

يظهر فعلهُ اولاً بألم شديد في الرأس وطنين في الاذنين وخدر في الاطراف وغثيان وهذا ما تسميهِ العامة بالتفحيم ويجب عند وقوعهِ ان يبادر الى فتح الشبابيك وتجديد هواء الغرفة ولتعريض المصاب للهواء وتنشيقهِ الخل

اذا طالت مدة الاستنشاق ظهرت اعراض ثقيلة وشديدة الخطر وهي الهذيان وضيق الصدر واضطراب التنفس وسرعة ضربات القلب وارتجاف الاطراف والترنح في المشي و يعقبها فقد الحس والاغماء والموت . وتداوى كما سبق و يدلك جسم المصاب وجلدهُ بنشفة مبلولة بالماء وتنشيقهِ غاز الاكسجين

فاستعمال الفحم للتدفئة لا يخلو من الضرر او الخطر فيجب منع استعمالهِ في المناقل او المواقد المكشوفة واذا كان لا بد منهُ وجب ان يوقد في وجاقات حتى يصعد الغاز في المداخن الى الهواء خارجاً عن البيت

غاز الانارة

سم قتال ينتشر غالباً من شقوق في المواسير التي يجري فيها او من عدم اقفال حنفية النور جيداً ولهُ رائحة خبيثة تشم اذا وجد في الهواء بنسبة ١ : ١٠٠٠ فتنبه لاجتنابهِ وظواهرهُ كظواهر اكسيد الكربون وعلاجهُ كذلك

الحامض الكربونيك

غاز لا لون لهُ ولا رائحة يتولد في التنفس الحيواني والنباتي وفي الاختمار الكحولي ومن احتراق المواد الكربونية و يوجد في الهواء بكميات صغيرة اي من ٤ — ٦ اعشار في الالف و يوجد بكثرة في المغاور والكهوف والبراكين الخامدة . يتجه فعلهُ بنوع خصوصي على الجهاز العصبي ويكون سماً اذا خالط هواء التنفس بكمية اكبر من معدلهِ الطبيعي

ويحصل بالتسمم بهِ صداع وطنين واضطراب البصر وضيق صدري شديد وان طالت مدة الاستنشاق فقدت الحساسة وحصل اغماء وموت و يداوى بالهواء النقي وبالضرب بنشفة مبلولة بالماء وتنشيق غاز الاكسجين

الهواء المحصور

يراد بهِ هواء المساكن وخصوصاً غرف النوم وهواء المحلات العمومية التي لا تراعى فيها

المهوية او تتعذر فيها لقلة المنافذ اللازمة تجديد الهواء فيفسد فيها ولا يعود صالحاً للتنفس وقد افردنا لهُ فصلاً بعد الكلام على الحامض الكربونيك لما بينهما من العلاقة وبين ظواهرهما من المشابهة ولان الانسان لا ينتبه لهُ ولا يعيره الاهمية الواجبة رغم تعرضهِ لهُ يومياً وتسممهِ بهِ تسمماً بطيئاً يظهر فعلهُ على توالي الايام

لا يخفى ان الاكسجين الموجود في الهواء الذي يتنفسهُ الانسان هو غذاء الكريات الدموية لانهُ يجدد حيويتها التي ضعفت اثناء دورتها في الاوعية وقد اظهر علم الصحة انهُ يلزم لكل شخص في الساعة عشرة امتار مكعبة من الهواء فاذا نقصت قلّت تغذية الكريات وضعفت تغذية الانسجة وانفتحت ابواب الامراض ومهد السبيل لقصر الحياة . فالتنفس الذي تتوقف عليهِ حياة الانسان يجب ان يكون غذاؤهُ نقياً وخالياً من كل شائبة . اما الهواء المحصور فليس نقياً صالحاً للتنفس ومجدداً لكريات الدم لانهُ يتغير تركيبهُ بما يضاف اليهِ من حاصلات التنفس وتحصل فيهِ التنوعات وهي

١ً تنقص كية الاكسجين وتزيد كية الحامض الكربونيك عن المعدل الطبيعي

٢ً تضاف اليهِ مواد طيارة حيوانية تصدر من المسالك التنفسية ومن التبخر عن سطح الجلد

٣ً تزيد فيهِ الرطوبة

ولكل من هذه التنوعات دخل في العوارض التي تحصل من استنشاق الهواء المحصور لان زيادة الحامض الكربونيك وحدها لا تكفي للتسمم وقد قلنا آنفاً انهُ يوجد طبيعياً في الهواء بنسبة ٤ الى ٦ اعشار في الالف وهو يوجد في غرف النوم وفي المدارس بنسبة ١ الى ١٠٠ بدون ضرر ولا يصبح ساماً الاَّ اذا كان بنسبة ٢٤ الى ١٠٠ على شرط بقاء كية الاكسجين واحدة فعدم صلاحية الهواء المحصور للتنفس لا تتوقف على زيادة الحامض الكربونيك عن معدلهِ الطبيعي بل على نقصان الاكسجين منهُ ومن ثم على وجود المواد الحيوانية الطيارة

تشبه ظواهر التسمم بهِ ظواهر التسمم بالحامض الكربونيك وشدتها تتوقف على مدة الاستنشاق وسعة المكان وعدد الاشخاص المحصورين فيهِ . وربما يتبادر الى الذهن ان في ما ذكر تهويلاً ومبالغة الاَّ ان الحوادث اثبتت ذلك فقد حبس ١٤٦ شخصاً في قلعة في كلكتا وحصروا في اوضة مربعة طولها سبعة امتار وعرضها سبعة لا ينفذها الهواء الاَّ من شباكين صغيرين يطلان على ممشى فلم تمر عشر دقائق حتى مات منهم ١٢٣ وحصر ٣٠٠ شخص بعد معركة اوسترليتز في قبو فمات منهم ٢٦٠ بعد وقت قصير . ومات نجاة في قاعة محكمة في

اكسفورد عدة قضاة ومتفرجين بعد ان استنشقوا الابخرة التي تصاعدت من اجسام السجناء الذين احضروهم من السجون الفاسدة الهواء

للهواء المحصور رائحة خصوصية هي رائحة الابخرة التي تنبعث من الرئتين والجلد يميزها كل انسان يدخل الى غرفة النوم قبل ان يجدد هواؤها او الى مكان يحتشد فيه خلق كثير كالقهوات التي تنتشر الرائحة منها الى الشوارع . وفي الاختلاف الى الاماكن الفاسدة الهواء تسميم للبنية لا يُرْبَهُ لهُ اولاً لخفته وبطوءِ فعلهِ واعتياد تدريجاً الاَّ ان كثرة التردد وطول مدة الجلوس يمرضان بفقر الدم وانتهاك الاعصاب وكلل الدماغ بحيث يتنبه الانسان حينئذٍ الى انهُ يعجز عن ان يعمل عملاً عقلياً كان سهلاً عليهِ في السابق

اذا ظهرت اعراض التسمم بهِ تعالج بالوسائط التي ذكرت في علاج التسمم بالغازات

الدكتور امين ابو خاطر

فوائد منزلية

عصير الطماطم يزيل دبوغ الاثمار عن الايدي

الصداع العصبي يزول غالباً بفنجان من الشاي الثقيل اعصر فيهِ قليل من الليمون الحامض

اذا اضيف قليل من عصير الليمون الحامض الى مطبوخ التفاح جاد طعمهُ ولم يتغيَّر لونهُ

اذا وقعت نقط الحبر على ظاهر دواة من الفضة فلطّختها اجبل قليلاً من كلورور الجير (الكلس) بالماء وامسح الدواة بهِ فتزول لطخ الحبر عنها وتظهر بيضاء لامعة

اذا اتسخت فرشاة الشعر واردت تنظيفها فلا تنظفها بالماء السخن والصابون لئلا يلين شعرها بل اذب قليلاً من كربونات الصودا في الماء البارد ونظفها بهِ ولا تجففها في الشمس ولا امام النار بل ضعها في الظل حتى تنشف

نفقات الغنيات وفائدة الاسراف

أُحصي ما تنفقهُ بعض النساء الغنيات في مدينة شيكاغو باميركا على ملابسهنَّ وزينتهنَّ فظهر ان كثيرات لا تقل نفقة الواحدة منهنَّ في السنة عن ١٥ الف جنيه وان مئة من النساء المعروفات تبلغ نفقة الواحدة منهنَّ عشرة آلاف جنيه في السنة . وعشرة آلاف

امرأة متوسط ما تنفقهُ كل واحدة منهنَّ الف جنيه في السنة اي انهنَّ ينفقنَ في السنة على اللباس والزينة عشرة ملايين من الجنيهات

وقد يظهر لاول وهلة ان انفاقهنَّ هذا اسراف مذموم وهو كذلك لو كنَّ فقيرات او لو كانت اموالهنَّ قليلة لا تؤْذِن بهذا الانفاق ولكنهنَّ لسنَ هكذا واذا لم ينفقن اموالهنَّ على اللبس انفقنها في وجوه اخرى قد لا تكون انفع لنوع الانسان من تشغيل الوف من النساء والبنات في عمل الملابس والوف من العمال في نسجها وبيعها. ولولا اسراف الاغنياء لقضت احوال الاجتماع الحاضرة بتراكم الاموال عندهم وتوقيف دولاب الصناعة وغل ايدي التجارة . نعم لو انفق الاغنياء اموالهم في انشاء الملاجيء للعجزة وتربية اولاد الفقراء وتقليل متاعب الحياة لكان ذلك انفع من انفاقها في اقتناء الملابس الفاخرة وما اشبه من انواع التصرف ولكن الانفع لا يمنع النافع والاحسن لا ينفي الحسن

حق النساء في الانتخاب

اعطي النساء حق الانتخاب في بلاد نروج كالرجال ولكل امرأة يبلغ دخلها ١٦ جنيهاً ونصفاً في الارياف او ٢٢ جنيهاً في المدن صوت في الانتخاب

نصائح صحية للنساء

كتبت احدى السيدات في مجلة من مجلاتهنَّ تقول ان من اهم ما تُعنَى بهِ المرأة صفاء لون وجهها وتشرّبهُ بالحمرة وخلوهُ من البثور والغضون . والحصول على ذلك كلهِ سهل المنال اذا راعت شروط النظافة باطناً وظاهراً اما النظافة الباطنة فتكون بالاكثار من شرب الماء النقي مع قليل من عصير الليمون من غير سكر صباحاً ومساء . ويحسن بالمرأة ان تشرب كأساً من الماء البارد او الحار في الصباح وكأساً اخرى في المساء وكؤوساً بين الطعام والطعام. ويضاف الى الاكثار من شرب الماء النقي لاجل النظافة الباطنة الاعتياد على الطعام البسيط المغذي الذي لا يتعب المعدة والامعاء ولا يحصل منهُ سوء هضم ولا هو بالكثير فوق الحاجة

اما النظافة الظاهرة فتقوم بالاغتسال بالماء والصابون. ويحسن غسل الوجه بالماء الفاتر بدل الماء البارد ولا بدَّ من تنظيفهِ جيداً من الصابون . ولا يكفي غسلهُ مرة واحدة في اليوم بل يجب غسلهُ جيداً في المساء قبل النوم حتى تتفتح مسامهُ كلها ثم يغسل في الصباح بماء فاتر ويحسن ان تضاف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين ويفرك بنشفة من اسفل الى اعلى

ولا بدَّ لمن تريد ان يبقى وجهها بشوشاً خالياً من الغضون والثور ان يكون طعامها بسيطاً قليلاً سهل الهضم وان تقيم في الهواء النقي ما امكن وتقلل السهر وتنام نوماً كافياً وتروض جسمها كثيراً . واكثر النساء يأكلن اكثر مما يلزم لهنَّ ويقللن من شرب الماء واستنشاق الهواء النقي

اذا لم يكن للمرأة عمل بدني تعمل به وجب عليها ان تمشي كل يوم نحو ساعة مشياً سريعاً ما امكن في مكان مطلق الهواء نقيهِ . ولا يصفو لون الوجه وتحمرّ وجنتاهُ ما لم تمتلئ الرئتان هواء نقياً ويسهل ملء الرئتين بالهواء النقي وغسلها بالهواء النقي وذلك بان تفتح المرأة شباك غرفتها وتتنفس الهواء الداخل منهُ كل صباح وكل مساء حتى تمتلئ رئتاها ويتسع صدرها وتكرّر ذلك مرتين او ثلاثاً ثم تزيد عدد المرات حتى تصير تكررهُ اثني عشرة مرة من غير تعب . وهذا النوع من التنفس ضروري لتنظيف الرئتين وتوسيع الصدر وتطهير الدم ويمكن ممارستهُ كلما كان الهواء نقياً

هدايا دوقة كنوت

بلغت قيمة الهدايا التي اهديت الى دوقة فيف عند اقترانها بالبرنس ارثر كنوت في ١٥ اكتوبر نحو مليون جنيه فقد اهدى اليها خالها ملك الانكليز والملكة زوجتهُ اكليلاً بديع الصنع مرصعاً باحسن حجارة الماس واهدت اليها الملكة الكسندرا عقداً غالي الثمن جداً من الدر النفيس . واهدى اليها كل اعضاء العائلة المالكة هدايا كثيرة من الحلى والنفائس . وقد أثمنت هذه الهدايا الآن بمليون جنيه

ولما تزوج الملك بلغت قيمة الهدايا التي اهديت اليهِ نصف مليون جنيه وقد اتفق اننا زرنا مدينة لندن لما عرضت تلك الهدايا في معرض سوث كنسنتون في صيف سنة ١٨٩٣ فرأيناها ووصفناها في ما كتبناهُ عن مشاهد اوربا في الجزء السادس من المجلد الثامن عشر من المقتطف حيث قلنا

« ومما هو حريٌّ بالذكر ان الهدايا التي أهديت الى دوق يورك نجل ولي عهد مملكة الانكليز والى زوجتهِ معروضة في هذا المتحف قرب المعرض الهندي وهي شاهد بما للعريس وزوجتهِ من الحب والمكانة في نفوس الامة الانكليزية وملوك الارض وامرائها . والهدايا المعروضة نحو الف وخمس مئة هدية وقد تكون الهدية منها مهداة من شخص واحد او من ولاية كبيرة وقد تكون شيئاً واحداً او اشياء كثيرة . ورأيت بينها الاكاليل والعقود والقلائد

والاساور والخواتم والمراوح والدبابيس والساعات وكلها مرصَّع باغلى الجواهر من الماس والياقوت والصفير والزمرُّد واللؤلؤ وما اشبه وآنية الطعام والشراب والموائد والكراسي والخزائن والمكاتب والكتب والصور والتماثيل والسروج والمركبات ونحو ذلك مما يطول شرحهُ ويتعذَّر عليَّ وصفهُ وهي من الذهب والفضة والعاج والخزف الصيني والبلور والخشب والحرير والجلد . وكل المعارض والمتاحف التي زرتها حتى الآن كنت ارى فيها الرجال كالنساء او اكثر منهن عدًّا اما معرض هذه الهدايا فاكثر زوَّاره من النساء فانني دخلتُ الغرفة الموصلة اليهِ حالما فتح بابها ولم يكن الا كلا حولٍ ولا حتى رايتها ازدحمت ببنات حواء وليس بينهن الا نفر قليل من الرجال فمشينا صراطًا امام هدايا الطوق واكثرها من الاثاث والرياش حتى اذا بلغنا الحلى والجواهر المهداة الى زوجتهِ بطؤ المسير جدًّا فنص الرواق وكدنا نختنق من الازدحام لان الماشيات امامنا ابين الا ان يمعنَّ تظرهنَّ في كل هدية ويعرفنَ اسم مهديها . ولا ادري ما تفعل العروس بكل هذه الهدايا ولاسيما ما كان منها من نوع واحد فالمراوح اثنتان وعشرون واكثرها مرصع بالماس . والخواتم والاساور والقلائد كثيرة ايضًا وهي من ابدع ما صنعهُ الصاغة واثمن ما رصّع بالحجارة الكريمة ومن ذلك اكليل من الماس اهدتهُ اليها ولاية سري واكليل وعقد وقرطان وعقدتان اهداها اليها ابوها وامها وهي مرصعة بالماس والفيروز . وعقد من الماس واللؤلؤ اهدتهُ اليها ٦٥٠ امرأة من نساء انكلترا . وسوار من الصفير والماس اهداهُ اليها قيصر الروس وزوجتهُ . والظاهر ان لا اعتبار عندهم لثمن الهدية فهدايا بعض الملوك بسيطة رخيصة الثمن وهدايا بعض الرعايا الذين لا لقب لهم ثمينة جدًّا . ومن الهدايا القليلة الثمن الكثيرة المعنى هدية من الملكة وولي عهدها وزوجتهِ وهي اناءان صغيران من الفضة مما كان السيَّاح يحملونهُ في سياحتهم دلالة على ان العروسين غريبان وسائحان في هذه الدنيا وتكثر الكتب الدينية بين الهدايا ولاسيما التوراة والانجيل والكتب الادبية ولاسيما دواوين الشعراء ومنها يظهر ميل الشعب الانكليزي الى التديُّن والى فنون الادب »

هذا ما ملناهُ حينئذٍ والظاهر ان الامر الذي انتبهنا لهُ وهو كثرة الهدايا من نوع واحد جعلت الملك والملكة وغيرهما من المهدين يتداولون في ما بينهم ويتفقوا على انواع الهدايا التي يهدونها حتى لا يكون الكثير منها من نوع واحد فجاءت هدايا هذا العرس مختلفة متنوعة

باب الزراعة

زرع القطن المصري في اميركا

اشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٤ الى التجارب التي جُرِّبت في اميركا لزرع القطن المصري فيها وخلاصتها ان القطن الاشموني بلغت غلة الفدان منهُ هناك نحو اربعة قناطير وثلاثة ارباع القنطار والميت عفيفي بلغت غلة الفدان منهُ اقل من ثلاثة قناطير ونصف وهذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري هناك الى ذلك التاريخ

وقد اطلعنا الآن في جريدة التيمس على خلاصة ما ذكرهُ المستر كارل شوفيلد في هذا الموضوع في مجمع باحثي القطن الذي التأم باميركا حديثًا وهو من موظفي مصلحة الزراعة في وشنطون قال :— ان مصلحة زراعة النبات جعلت تمتحن زرع القطن المصري منذ سنة ١٩٠٢ في الاراضي التي تروى ريًّا صناعيًّا في ولايتي اريزونا وكليفورنيا حتى اذا كانت سنة ١٩١١ وجدت ان التجارب التي جُرِّبت صارت تخوّلها ان تعطي التقاوي للفلاحين حتى يزرعوها في مساحات واسعة فوزعت في ربيع سنة ١٩١٢ التقاوي على ٧٥ من الفلاحين وهي كافية من القطن المصري فزرعها الفلاحون في ٣٥٠ فدانًا وقد جنوا من ٤٨٠ فدانًا منها ٣٧٥ بالة في كل بالة منها خمسة قناطير اي ١٨٧٥ قنطارًا فيكون متوسط غلة الفدان الواحد ثلاثة قناطير وتسعة اعشار القنطار . وكان هذا القطن طويل الشعر جدًّا يبلغ طول شعرتهِ من بوصة و $\frac{1}{16}$ الى بوصة و $\frac{1}{4}$ والمتوسط بوصة و $\frac{3}{16}$ وبلغ ثمن القنطار المحلوج ٢١ ريالًا

وقد حسب المستر شوفيلد ان ثمن التقاوي واجرة الزرع والعزق والري ١٥ ريالًا للفدان واجرة الجمع اذا بلغ محصولهُ نحو ستة قناطير ٣٦ ريالًا واجرة الحلج والحزم والوضع في البالات ١٠ ريالات

والذي يهمنا من ذلك كلهِ ان الاراضي التي تروى صيفًا بالصناعة في اميركا كما تروى اراضي القطر المصري يمكن زرع القطن المصري فيها ويبلغ محصول الفدان منها اربعة قناطير من القطن الشعر وان اجرة الحرث والزرع والخدمة وثمن التقاوي ١٥ ريالًا واجرة الجمع اذا كان المحصول ستة قناطير ٣٦ ريالًا فاذا كان اربعة قناطير ٢٤ ريالًا والجملة ٣٩ ريالًا او نحو ثمانية جنيهات فاذا بلغ المحصول اربعة قناطير وبيعت بستة عشر جنيهًا بقي

منها لثالث ثمانية جنيهات وهي ربح وافر جدًّا حيث الاطيان رخيصة الثمن وليس عليها ضريبة تذكر

ثم ان الولايات المتحدة الاميركية اخذت من القطن المصري من الموسم الماضي ٩٦٤٠٠٠ قنطاراً او نحو ثمن الموسم المصري وهي لو زرعت القطن المصري في بلادها وارادت ان تستغل منهُ نحو مليون قنطار لتستغني عن القطن المصري لزمها ان تزرعهُ في ٢٥٠ الف فدان كل سنة اي يجب ان يكون عندها ٧٥ الف فدان تروى ريًّا صناعيًّا صيفاً ولا تعتمد على المطر حتى تستطيع ان تزرع ٢٥٠ الف فدان وتستغني بمحصولها عمَّا تأخذهُ من القطن المصري. ومتى تمكنت من انشاء الري الصيفي لسبع مئة وخمسين الف فدان تكون المطروحية على القطن المصري قد زادت عشرين في المئة او اكثر من ذلك لاسيما وان الامم التي تكتفي الآن بالبضائع الخفيفة التي تصلح لها الانواع الدنيئة من القطن يزداد طلبها سنة بعد سنة للبضائع الدقيقة التي تحتاج الى القطن الجيد ولذلك لا نرى وجهاً للخوف من زرع اميركا للقطن المصري ومحاطرة هذا القطر بهِ

السماد الاخضر

يراد بالسماد الاخضر زرع الارض زراعة سريعة النمو ثم حرثها حتى تنقلب ويمتزج النبات الاخضر بترابها ويفعل فيهِ فيفيدهُ كسماد ويفيدهُ ايضاً كواسطة ميكانيكية بتسليكه وهو واسطة مفيدة حيث تكون المواد الآلية او النباتية قليلة في الارض. اما كون هذه الطريقة من قبيل التسميد للارض فسببهُ ان النبات يأخذ جانباً كبيراً من غذائهِ من الهواء فقلبنا لهُ في الارض بمثابة اخذ هذه المواد المغذية من الهواء واضافتها الى التراب

وافضل المزروعات التي تصلح لذلك الفول والبرسيم والترمس فانها كلها من النباتات التي تأخذ كثيراً من غذائها من الهواء ولا بدَّ من قلبها في الارض وهي صغيرة قبلما يتكون الحب فيها

اخبرنا احد كبار المزارعين انهُ يزرع الارض برسيماً حتى اذا بلغ ارتفاعهُ فيها نحو شبر بين حرثها ورواها فينحل البرسيم فيها. او جعل المواشي ترعاهُ رعية واحدة وتركهُ حتى ينمو ثانية ثم حرثها وبعدها لزرع القطن وعندهُ ان حرث الارض كذلك والبرسيم فيها يزيد غلة الفدان نحو قنطارين من القطن

التفاوت في انواع العلف

علف المواشي مثل طعام الناس يجب ان يحوي المواد التي يتكون منها جسم الحيوان اي

لحمهُ وعظمهُ ووجهتهُ واعصابهُ وشعرهُ وما اشبه وتتولد منها القوة التي تبديها المواشي في مشيها وحركاتها المختلفة وجرها للمحراث والنورج وما اشبه

ويكون في العلف ماء ومواد مغذية وهي البروتين او المواد التي يتكون اللحم منها . وكربوهيدرات او المواد التي تتولد منها القوة والحرارة . ودهن وهو المواد التي يتكون منها الدهن وبعض القوة . والالياف ومنها فائدة في تسهيل الهضم ولو لم يكن منها فائدة في التغذية لانها قلما تُهضم

وتختلف كميات هذه المواد باختلاف انواع العلف وتختلف فائدتها باختلاف ما يهضم منها كما ترى في هذا الجدول وهي الحيوانات المجترَّة كالبقر والغنم

	المواد الجامدة	بروتين	كربوهيدرات	دهن
نخالة القمح (ردة)	٨٨٫١	١٢٫٢	٣٩٫٢	٢٫٧
الشعير	٨٩٫١	٨٫٧	٦٥٫٦	١٫٦
بزرة القطن	٨٩٫٧	١٢٫٥	٣٠٫٠	١٧٫٣
كسب بزرة القطن	٩١٫٨	٣٧٫٢	١٦٫٩	٢٢٫٢
القصيل	٢١٫٠	١٫٩	١٠٫٢	٠٫٤
تبن القمح	٩٠٫٤	٠٫٤	٣٦٫٣	١٫٧
« الشعير	٨٥٫٤	٠٫٧	٤١٫٢	٠٫٦
البرسيم	١٩٫٠	٢٫٤	٩٫٠	٠٫٥
البرسيم الحجازي	٢٨٫٢	٣٫٩	١٢٫٧	٠٫٥
دريس البرسيم	٩٠٫٣	٨٫٤	٤٢٫٥	١٫٥
دريس البرسيم الحجازي	٩١٫٦	١١٫٠	٣٩٫٦	١٫٢

وهذا الجدول تقريبي لان مقدار الغذاء يختلف باختلاف صنف النبات وعمره اذا كان اخضر والمواشي تختلف كثيراً في قوة هضمها للعلف فالمجترات كالغنم والبقر اقدر على الهضم من الخيل والبغال

زراعة التبغ في القطر المصري

يظهر لنا ان الحكومة غير عازمة على اباحة زرع التبغ (الدخان) في القطر المصري . وان كانت قد امتحنت زراعتهُ فوجدت ان نوعهُ لا يأتي جيداً كالتبغ التركي حتى يغني عنهُ

ويتيسّر اصداره الى البلدان الاخرى فلا فائدة من اباحة زرعهِ بل منها ضرر على خزينة الحكومة وليس منها اقل فائدة للقطر لانهُ ما الفائدة من زرع تبغ لا يدخنهُ الناس ولا تأكلهُ المواشي ولا يصلح لشيءٍ آخر

لكننا نظن انهُ اذا أُتي بالبذار (التقاوي) من بلاد الترك او بلاد اليونان حيث يزرع التبغ الجيد الطيب الرائحة وزرع في القطر المصري في جهات يكثر الغيم فيها ولا يشتد الحر كالجهات البحرية من الدقهلية والغربية والبحيرة فلا يبعد ان يأتي التبغ جيداً كالتبغ التركي واذا لم تنجح التجارب بالتبغ التركي فليؤتَ بتقاوي من تبغ سومترا فانهُ جيد غالي الثمن وكان الاميركيون يجلبون منهُ كل سنة ما ثمنهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات فزرعوهُ في اودية فلوريدا فجاء مثل احسن تبغ سومترا وعُرِض في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فلم يظهر فرق بينهُ وبين تبغ سومترا الجيد ونال الامتياز الذي نالهُ التبغ التركي. مع ان التبغ التركي كان اجود منهُ رائحةً ولكنهُ امتاز على التبغ التركي بكبر ورقهِ الصالح للف السيكار ونفقات زرعهِ اقل من نفقات زرع التبغ التركي

السكك الزراعية

قلَّ اهتمام الحكومة المصرية بالسكك الزراعية مع انها من الزم اللوازم لنجاح الزراعة وتقليل نفقات النقل . والسكك التي انشأتها في السنين الماضية تحفّرت فترى غبارها يعمي الابصار ولا تسير العربات عليها الا بالتعب الشديد فان الدابة التي تستطيع ان تجر عربة عليها ما ثقلهُ عشرون قنطاراً اذا كانت الطريق ممهّدة مرصوصة وتجري بها بسرعة لا تستطيع جر عربة عليها عشرة قناطير الا ببطء وبشق النفس اذا كانت الطريق محفّرة . والخسارة التي تخسرها دواب الحمل والجرّ من قوّتها كل سنة والتي يخسرها اصحابها من وقتهم تزيد على ما يلزم لترميم السكك الزراعية كلها

ومن المقرر ان بعض المديريات تضرب ضريبة على الفدان ثلاثة غروش في السنة لاجل السكك الزراعية فاذا كانت هذه الضريبة شاملة للقطر كلهِ بلغت كل سنة نحو ١٨٠ الف جنيه واذا لزم ترميم السكك مرة كل خمس سنوات فهذا المبلغ كافٍ لترميم خُمس سكك القطر ولعمل سكك جديدة حيث لا سكك تستحق الذكر واذا اضافت اليه الحكومة مئة الف جنيه من ميزانيتها السنوية او مئتي الف جنيه فهي الرابحة لان اصلاح السكك رأس مال كبير الربح بما يتوفر بها من القوة والوقت

زرع القمح

ابتدأ زرع القمح في القطر المصري وزراعتهُ قديمة فيه كانت معروفة من زمن المصريين الاقدمين ولكن الزراع يختلفون في اتقانها حتى الآن اختلافاً كبيراً فتجد فلاحاً يستغل من الفدان ثمانية ارادب او اكثر وجارهُ لا يستغل منهُ الا ثلاثة ارادب او اربعة مع ان الارض واحدة . مع ان الارض التي فيها شيء من الملح لا تصلح لزرع القمح بل تصلح لزرع الشعير ولكن الارض الحلوة التي لا ملح فيها لا يأتي قمحها بمحصول وافر ما لم تحرث جيداً وتزحف وتسمد وتروى في اوقات الري اللازمة

والقمح الذي يزرع في القطر المصري صنفان بلدي وهندي والبلدي ابيض واحمر والهندي ابيض كلهُ ولكنهُ اختلط الآن بالقمح البلدي وقلما يوجد صرفاً

واذا زرع القمح في احياض الصعيد التي تروى وقت الفيضان فقط وهو القمح الاحمر او الصعيدي يبذر على الارض بعد انصراف الماء عنها من غير حرث او تترك الارض حتى تجف قليلاً ويبذر القمح فيها وتحرث حتى تتغطى البزور بالتراب ولا تروى بعد ذلك فتأتي بمحصول غير قليل

اما الاطيان التي تروى بالترع بالراحة او بواسطة الآلات فتحرث اولاً وتزحف ثم يبذر القمح فيها وتحرث ثانية وتزحف والطريقة الثانية افضل من الاولى ويحسن ان تروى قبل بذر القمح فيها او تروى بعد بذره

ومقدار التقاوي اللازمة للفدان ٦ كيلات الى ٨ فاذا كانت الارض بوراً كفاها ٦ كيلات واذا كانت مزروعة قطناً لزم لها ٨ كيلات

والقمح المزروع في الحياض لا سبيل الى ريه فينمو ويجود من غير ري واما المزروع في سائر اطيان القطر فيروى مرتين و كثرة الماء تزيد التبن لا الحب

وتسميد القمح يزيد المحصول . فاذا وجد السباخ البلدي سمد به القمح حين زرعه او الافضل ان يترك السباخ البلدي للقطن ويسمد القمح بالسباخ الكفري او بالسماد الكيماوي . ويحتاج الفدان الى ثلاثين حملاً من السباخ الكفري عند الرية الاولى اما السماد الكيماوي فالمستعمل منهُ نترات الصودا او نترات الجير . ويحتاج الفدان من ٥٠ الى مئة كيلو من النترات تذر على الارض عند الرية الاولى حينما يبلغ ارتفاع النبات عشرين سنتيمتراً . واذا كانت النترات ١٠٠ كيلو فالاحسن ان يسمد بنصفها عند الرية الاولى وبالنصف الثاني عند الرية الثانية

ولا بدَّ من دق النترات حتى تنعم جيداً وتمزج بضعافها من التراب الناعم مزجاً جيداً لكي يسهل توزيعها على الارض ولا يقع كثير منها في بقعة وقليل منها في بقعة اخرى ويذر السماد بذراً باليد كما يبذر القمح

وقد جربنا سياناميد الجير وهو مسحوق اسود ناعم جداً فافاد مثل نيترات الصودا ونحن نرجح انهُ افيد من نيترات الصودا في القطر المصري لان اطيانهُ مفتقرة الى الجير في الغالب . ولا حاجة الى دقهِ لانهُ ناعم جداً فيمزج بالتراب الناعم ويذر في يوم لا ريح فيهِ ومن المحتمل ان لونهُ الاسود يفيد الزراعة ايضاً لان الارض السوداء اللون اشد امتصاصاً لحرارة الشمس حتى لقد يفيد غبار الفحم في الارض مع انهُ لا ينحل ولا فائدة غذائية منهُ

وينضج القمح ويصير معدًّا للحصاد في نحو ستة اشهر ويستطيع الرجل الواحد ان يحصد (يقلع) خمس فدان في اليوم وافضل الاوقات لقلع القمح الليل والصباح . وتبلغ غلَّة الفدان في حياض الصعيد اربعة ارادب الى خمسة من الحب وثلاثة احمال من التبن . وفي الاطيان التي تروى بالترع نحو ستة ارادب من الحب وخمسة احمال او ستة من التبن واذا سمدت الارض جيداً فقد يبلغ محصولها ثمانية ارادب او تسعة

ويصاب القمح بمرض فطري فترى السنبلة قد اسودت وزالت مادة حبها وامتلأت دقيقاً اسود ناعماً جداً ولا يندر ان ترى عشر سنابل او اكثر في بقعة صغيرة وقد ضربت كلها واسودت على هذه الصورة . وهذا الدقيق الاسود بزور للمرض يلصق بعضها بالقمح السليم ثم يتكاثر حينما يزرع القمح وينمو ويسبل ويمكن تطهير القمح منهُ بوضعهِ قبل بذره في اكياس تغطس في ماء سخن حرارتهُ ١٣٣ درجة بميزان فارنهيت او ٥٦ درجة بميزان سنتغراد فتموت بزور المرض ويسلم القمح منهُ

ويحفظ القمح من السوس بتبييض المخازن بالجير وتبخير القمح ببخار بي كبريتيد الكربون Carbon disulphide وذلك بان توضع زجاجة كبريتيد الكربون هذا في اعلى عرمة القمح وتزال سدادتها وتغطى هي والعرمة بأكياس الخيش او نحوها فيتخلل بخار كبريتيد الكربون القمح ويميت السوس وبزورهُ ثم يكشف القمح للهواء فتزول منهُ رائحة الكبريتيد . واذا كان القمح موضوعاً في مخزن تسد كل كواهُ جيداً ويوضع كبريتيد الكربون في اناءٍ فيهِ ويغلق بابهُ وتسد كل خروقهِ . وبخار كبريتيد الكربون سريع الالتهاب فلا يجوز ان يقترب منهُ قنديل او شمعة مشتعلة او نحو ذلك على الاطلاق . واذا كان القمح للبذار فيكفي حفظهُ من السوس مزجهُ بالرماد او التراب الناعم . واكثر ما تقدم ملخص من كتاب الزراعة المصرية

باب التقريظ والانتقاد

الكتب التي تهدى

لا ادلّ على اذواق المؤلفين واحترامهم لما يقال عنهم في الجرائد والمجلات من الشكل الذي يهدون به كتبهم الى محرريها فقد رأينا الكتاب مجلداً مذهباً تشتهي ان تطالعهُ وتضعهُ في مكتبتك وقد رأينا علاوةً تجليداً سخيفاً كانهُ من سقط المتاع او كراريس محبوكة مقصوصة او غير مقصوصة . او كراريس لم يتنازل صاحبها او طابعها الى حبكها . وكثيراً ما نلقي كتاباً مثل هذا في سلة المهملات من غير ان نقرأهُ لان مَن يبخل على صاحب المجلة بخمسة قروش يدفعها اجرة تجليد كتابهِ لا يستحق ان نُعنى بهِ

والذين يرسلون الينا الكتب المجلدة تجليداً متقناً جدّاً هم الاوربيون وبعض الوطنيين الذين يحسبون ان كتبهم تستحق التجليد المتقن . ومما يؤسف عليهِ ان بعض الكتب التي يزدريها اصحابها هي من الكتب النفيسة فتؤخذ بجريرة ظاهرها . فعلى هؤلاء ان يزيدوا اعتناءهم بثمار عقولهم ونفثات اقلامهم ولا يعرضوها لانظار منتقديها الا بحلل تليق بها ومهما بلغت اجرة تجليد الكتاب فالاعلان عنهُ في المجلة يزيد عليها من باب تجاري

التراخوما[1]

واختلاطاتها في القطر المصري

تأليف الدكتور مكلان مدير مستشفيات الرمد المصرية

كتاب صغير الحجم كبير الفائدة يدلّ على علم واسع وبحث دقيق . قال المؤلف في مقدمتهِ ان عدد الذين عولجوا في مستشفيات الرمد المصرية في العام الماضي بلغ ٢٨٠٢٩ وانهُ عملت فيها واحد وعشرون الفاً وثلثمئة وخمس عشرة عملية وان ٦٠٠٠ مصاب بالشعرة صرفوا من غير ان تعمل لهم عملية لان الاطباء كانوا مشغولين دائماً لا وقت لهم لعملها

وقال في الفصل الاول انهُ يظهر من المروج المصرية القديمة التي اكتشفها ابرس وغيره

(1) Trachoma and its complications in Egypt, by Dr H. A. F. MacCallan director of ophthalmic Hospitals, Egypt. Cambridge University Press.

تاريخها الى ٣٥٠٠ سنة قبل المسيح ان الرمد الصديدي والتراخوما كانا معروفين في القطر المصري من ذلك العهد ومنتشرين فيه . واكتفى من الكلام على طب العيون عند اليونان بان ابقراط ذكر الشعرة والذين يطالعون المقالة المسهبة المنشورة في مقتطف شهر مارس الماضي يجدون فيها ان ابقراط ذكر نحو ثلاثين مرضاً من امراض العيون كالارماد واورام الغدد الميوبية والطراخ والظفرة والشترة الداخلة والشترة الخارجة وما اشبه وقسم امراض الملتحمة او الارماد الى جافة ورطبة ثم ذكر المؤلف سلس الطبيب الروماني الذي نشأ سنة ١٤ للميلاد وقال انهُ وصف الرمد الصلب . وقد جاء في المقتطف انهُ وصف الرمد الرطب والرمد الجاف والرمد الحبيبي والرمد البثري والرمد الصلب الذي يسبب الشعرة واتبع المعالجة البقراطية وذكر دمل القرنية وقال انهُ يسبب زرقة قذرة بحوفة مزمنة ويترك ندبة في العين و يولّد احياناً الجزور العنبي ووصف الجروح التي تصيب العين ووصف التهاب اطراف الاجفان وجربها والشعيرة والاكياس الدهنية والتصاق الاجفان الخ وهو اول من وصف جراحة العين وصفاً علمياً

ثم انتقل المؤلف الى طب العيون عند العرب وقال انهم وصفوا التراخوما وسموهُ جرب الملتحمة والمفضل كتاب كتبوهُ في طب العيون في مصر كتاب عمر الموصلي سنة ١٠٠٠ للميلاد واشار الشاذلي في القرن الثالث عشر الى كثرة امراض العيون في مصر واشار اليه ايضاً الربي مشولام بن مناحيم في القرن الخامس عشر واتجهت الانظار الى كثرة الرمد الصديدي في مصر في زمن الحملة الفرنسوية سنة ١٧٩٨ — ١٨٠٢ اذ أصيب بهِ كثيرون من الجنود الفرنسوية والانكليزية

وانتقل المؤلف من البحث التاريخي القديم الى الذين بحثوا في التراخوما والرمد الصديدي حديثاً مثل كوخ وملر ولكع وميرهوف والى بحثهِ هو وقد قسم التراخوما الى اربعة اقسام او درجات وتكلّم عن اختلاطاتها والميكروبات التي تسببها وطرق علاجها

وحبذا لو اعتني بترجمة هذا الكتاب الى العربية ليستفيد منهُ اطباء العيون الذين لا يعرفون الانكليزية

حساب المثلثات السنوية

تأليف محمد افندي خالد حسنين مساعد مفتش بنظارة المعارف

كما رأينا كتاباً علمياً في هذا القطر وددنا لو وُحّدت المصطلحات العلمية المتبعة في مصر والشام

في الرياضيات والطبيعيات كما هي موحدة في الصرف والنحو والبيان والبديع والعروض والعلوم الشرعية. فكلمة جيب التمام في الاصطلاح المصري تقابل نظير الجيب والعلامة جتا تقابل تج وكلمة ظل تقابل كلمة مماس وحبذا لو رجع الفريقان الى كتب العرب ومصطلحات العرب فانهم ترجموا كتب الهندسة والمثلثات المستوية والكروية وقطوع المخروط والفلك من اليونانية والفوا في هذه العلوم كتباً جمة ولا يزال بعضها بين ايدينا وطبع بعضها في اوربا طبعاً متقناً. فمصطلحاتهم اولى بالاتباع ولو من باب الاحتفاظ بميراث الاجداد. وما لا نجد له اصطلاحاً قديماً نتفق على ترجمة الاصطلاح الاوربي بما يقرب من معناه حتى تكون الكتب العلمية واحدة في مصطلحاتها في كل البلدان العربية تسهيلاً لطالبي العلم ومنعاً للبس باستعمال مصطلحات مختلفة ومن الغريب ان حضرة المؤلف وقع في ما تطلب الابتعاد عنه فقال في اول الكتاب في الكلام على الرموز المستعملة في الكتاب ان ظا رمز على الظل ثم سمّى الظل في باطن الكتاب مماساً حسب اصطلاح الكتب السورية كما ترى في الصفحة ٣٣

والكتاب جامع لقواعد المثلثات المستوية وفيه كثير من التمارين النظرية وبعض التمارين العملية وحبذا لو زيدت تمارينه العملية وطبقت على مساحة الاراضي لان اخص فائدة علم المثلثات في القطر المصري في استعماله لمساحة الاطيان

العلاج الجراحي

الجزء الثاني

تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد بك

طبيب مستشفى قليوب

الدكتور عبد الحميد بك مترجم هذا الكتاب حريّ بكل مدح واكرام لانهُ جعل دأبهُ التفتيش عن الكتب الطبية الحديثة وترجمتها الى العربية وطبعها ونشرها فيها موضحة بالرسوم وهذا الجزء كالجزء الاول في بسطهِ ووضوحهِ يبتدئ بالكلام على الامراض المعدية كالحمرة والتتانوس (الكزاز) فالكلب فالحمرة الخبيثة فالسيلان فالزهري فالتدرن فالسراجة فالجذام - ويتلوهُ الكلام على الاورام والاكياس والكلام على الجروح . والبحث في اوصاف هذه الامراض وعلاجها يصل الى احدث ما وصل اليهِ علم الطب في السنتين الاخيرتين . وحبذا لو ذكرت الامراض والعقاقير كلها باسمائها وحروفها الافرنجية مع ذكرها باسمائها وحروفها العربية

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

هذا الكتاب من مؤلفات لورد افبري وقد عربهُ حضرة وديع افندي البستاني كما عرَّب غيرهُ من كتب المؤلف وتوخَّى في جميعها الجري على منهاج المؤلف الشعري بافراغ الكلام في قوالب الاستعارات وصوغهِ موشَّى بشذور البديع

جزيرة الذهب

معربة عن الالمانية بقلم السيدة ماري ابرهيم نجار

قالت المترجمة الفاضلة في التمهيد الذي وضعتهُ لهذه الرواية انها اظهرت مطامع الناس بالمال وفتك الناس باخوانهم في بلاد الروس فان نفعت الناس بتوجيه افكارهم الى انسانية ارفع واعلى من التي نحن فيها ولقيت قبول القراء حمدت الله وشكرت . والرواية مطبوعة طبعاً حسناً في نيويورك على نفقة جريدة الهدى الغراء

جنة كارينيا

تأليف الفيلسوف تلستوي وتعريب مكين افندي عقيل البغدادي

يقول كاتبو حياة تلستوي ان رواية جنة كارينيا ابلغ رواياتهِ كلها . وعسى ان يكون المعرب قد احتفظ بمعاني المؤلف وجرى مجراهُ في التعبير عنها فالبسها مطارف العربية الفصحى . وحبذا لو طبعت على ورق اجود من الورق الذي طبعت عليهِ

الخلق

كتاب ادبي الفهُ حضرة حسين افندي فتوح جعل مباحثهُ في النفس والعقل والاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها وماهية الفضيلة وانواعها وحدودها والرذيلة ونشأتها واقسامها ووراثتها . واكثر فصول الكتاب بحث مجرَّد يعسر ادراكهُ ولكن فيهِ امثلة وشواهد واقتباسات كثيرة توضح المراد وقد احسن المؤلف في حسبانهِ الاخلاق الفاضلة اساس ارتقاء الامم والاخلاق السافلة اساس انحطاطها

ضحية الواجب

رواية ذات ستة فصول اخلاقية عائلية بقلم توفيق افندي سعيد الرافعي وقد قيل فيها ان حوادثها وقعت في اواخر سنة ١٩٠٥ واوائل سنة ١٩٠٦ في مدينة باريس ولا يزال

بعض الذين اصابتهم النكبة موجوداً حتى اليوم · والظاهر من مقدمة هذه الرواية ان ناقلها لم يترجمها ترجمة بل بناها على قصة اتصل خبرها به فان كان الامر كذلك فحبذا لو اختار لها اسماء مألوفة عندنا ولو كانت فرنسوية بدل فرجوس وموريتير وكوميز

مجلة العلوم الاجتماعية

تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع لحضرة منشئها توفيق افندي الناطور ومدير تحريرها محمد افندي منيب الناطور

في الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة مقدمة في بيان غرضها والمراد بالعلوم الاجتماعية ومقالات في تقسيم علم الحقوق · وتاريخ المحاماة · والملك اساس المعاملات · والجرائم · والاشتراكية والاشتراكيون · ونبذ مختلفة · ومما جاء في مقالة الاشتراكية ان عدد الحزب الاشتراكي كان سنة ١٩٠٧ في ممالك اوربا واميركا على ما ترى في الجدول التالي

	احصاء عن سنة	صوت		احصاء عن سنة	صوت
فرنسا	١٩٠٧	١١٠٦٤٧٠	نروج	١٩٠٧	٩٠٠٠٠
المانيا	«	١٠٤١٩٨٤	هولاندة	«	٨٢٠٠٠
انكلترا	«	٥٠٥٦٩٠	اسوج	«	٧٥٠٠٠
بلجيكا	«	٤٨٣٢٤٠	اسبانيا	«	٤٠٠٠٠
ايطاليا	«	٣٣٨٨٨٥	بلغاريا	«	١٣٣٦٠
فنلاندا	«	٣١٦٩٥١	سربيا	«	٣٠٥٦
سويسرا	«	١٠٠٠٠٠	الولايات المتحدة	«	٤٢٤٤٨٣
دانمارك	«	٩٨٠٠٠	الارجنتين	«	٥٠٠٠

وجاء في النبذ المنشورة فيها ان محصول الحرير في السنة الماضية كان في سورية ٥٠٠٠٠٠ كيلو غرام وفي الاناضول ٤٥٠٠٠٠ كيلو غرام وفي البلقان ٢٦٠٠٠٠ كيلوغرام وفي القوقاس وتركستان وايران نحو ٩٠٠٠٠٠ كيلو غرام · واشارت الى القرض الذي عقدته الحكومة العثمانية في باريس حديثاً وتمنت « ان ينفق هو وامثاله على الجماعات لا الافراد وفي سبيل الاصلاح الحقيقي لا الترقيع الاداري » · فعسى ان يجاب تمنيها وان تخدم الوطن خدمة جليلة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كلمة الامة والخروج منها

دمشق . عبد الفتاح افندي السكري الركابي . جرت مناقشة بيني وبين صديق لي في مسألة النظام الذي يحفظ كلمة الامة او الجمعيات وهو ما نسمونهُ (بالوحدة) ولا يخفى عليكم ان للوحدة قانوناً صارماً يعاقب كل من يخرق حرمتهُ اشد العقاب فوحدة المسلمين مثلاً كلمة التوحيد وكل من ينشق عنها يكون انشقاقهُ بمثابة خروجهِ عن تلك الوحدة التي هي السبب الوحيد في حفظ نظام الامة واتفاق كلمتها وتأليف قلوبها او كالقانون الموضوع في الجمعية الماسونية فان كل من دخل في سلكها ثم عنَّ لهُ الخروج منها لا بد لهُ من ملاقاة عقاب صارم لان خروجهُ يُعدّ خللاً بوحدتها واتحاد كلمتها او القانون الموضوع لمن ينشقُّ عن الوحدة الالمانية الذي الّف بين قلوب ابنائها . فهل ترون هذا القانون الموضوع لحفظ الوحدة منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية وهل هو ضروري لحفظ الامة من التفريق الذي يميت الامم او الجمعيات . وقد أكد لي بعضهم ان الجمعية الماسونية ما استقام امرها وطال عهدها الا بمراعاة قانون صارم يجازي كل من ينشق عنها فالرجو سرعة الجواب مفصلاً ليتوضح الصبح لذي عينين

ج . ينطوي سؤالكم على ثلاثة امور الاول قولكم ان من يخرج من الجمعية الماسونية بعد انتظامهِ فيها يعاقب عقاباً صارماً بموجب قانونها لان خروجهُ يعدُّ خللاً بوحدتها . وهذا غير صحيح ويستطيع كل عضو من اعضائها ان يتركها متى اراد من غير عقاب او حساب ونحن نعرف بعض الذين خرجوا منها وقذفوها ولم تعاقبهم ولا لامتهم وليس في قانونها ما يوجب معاقبة من يخرج منها . والامر الثاني كون القانون القاضي بعقاب من يخرج عن وحدة ما منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية او غير منافٍ لها . اما العقول فلا دخل لها في ذلك واما الاحوال الاجتماعية او نواميس الاجتماع فمفادها ان مصلحة الجامعة مقدمة على مصلحة الفرد والفرد يستفيد مجتمعاً مع غيره اكثر مما يستفيد

منفرداً فوجود قانون مثل هذا يكون في مصلحة الفرد بنوع عام فاذا وجد في جماعة افادها اكثر مما يضرُّ ببعض افرادها

والامر الثالث كون هذا القانون ضرورياً او غير ضروري . ويظهر لنا انهُ ليس من الضروريات لحفظ الامم من التفرق لان لحفظ الامم اسباباً اخرى طبيعية اقوى من القوانين الوضعية مثل الاشتراك في المصلحة ومثل العادة التي تجعل الانسان يميل مصحوباً الى جماعة ولو ثبت لهُ ان الخروج منها اصلح لهُ

اما ما اكدهُ لكم بعضهم عن الجمعية الماسونية فغير صحيح لانها لا تجازي احداً ينشقُّ عنها والانشقاق مستمر بين اعضائها وهي لم تثبت الى الآن مع ما اصابها من الاضطهاد الا لان غايتها حميدة ولان اعضاءها يعلمون ان كل ما تُرجَم بهِ زور وبهتان وصاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . ولولا ذلك ما رأينا اكثر اعضائها من الملوك والعلماء والادباء وكل المرتقين من طوائف الناس ولا يذمها الا الذين يجهلونها

(٢) استحضار الارواح

ومنهُ . ما تقولون في مسألة استحضار الارواح فقد وقفت على كثير من اقوال الغربيين الذين يثبتون قضية الاستحضار ويؤكد بعضهم ان هذا الاكتشاف العلمي قد عمل انقلاباً كبيراً في الافكار فعسى ان تجيبوني عن حقيقة هذا الاكتشاف وهل اتفقت على صحتهِ العلماء . واذا كان الامر كذلك هل يؤثر هذا الاكتشاف في الملحدين ويهدم براهينهم التي يتوكأُون عليها او ليس لهذا الاكتشاف علاقة بالذين ينكرون الاله

ج . الكلام كثير في هذا الموضوع ولكن كل الذين ادعوا استحضار الارواح اما انهم خادعون وقد ثبت خداعهم او انهم لم يستطيعوا ان يقنعوا اكثر ذوي العقول السليمة بصدق دعواهم . والذين اقتنعوا بها وهم معدودون من ذوي العقول السليمة مثل السر وليم كروكس والسر اوليفر لدج اطلعنا على الحوادث التي اقنعتهم فلم تقنعنا ولا اقنعت اكثر الذين اطلعوا عليها غيرنا . وقد حكمنا غير مرة بفساد اعمال الخنع بعض العلماء الذين رأوها بعينهم وقالوا انهم لم يجدوا فيها خداعاً ما . ثم ظهر صدق حكمنا وفساد حكمهم ولا سيما في امر اسابيا بلاديتو فقد قلنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٩ « ان كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ » . وبعد ان وصفنا اعمال اسابيا بلاديتو كما شاهدتها لجنة العلماء التي عينت لذلك ورجحنا انها كلها من قبيل الخداع ذهبت اسابيا الى اميركا وامتحنتها هناك لجنة من العلماء واحتالت عليها حتى كشفت خداعها . واذا ثبتت مناجاة الارواح ثبوتاً علمياً ينفي

كل ريب وأطلع الاموات الاحياء على ما شاهدوهُ في عالم الارواح لم يبقَ سبيل للشك في ما يطلعونهم عليهِ

(٣) كتب زراعية عربية

ومنهُ هل للمدرسة الزراعية العربية التي في القاهرة كتب زراعية عربية مفيدة بحيث تغني الطلاب من الكتب الافرنجية وارجوكم ان تطلعوني عن اسمائها ولكم الشكر

ج . نعم وقد الفت كتاباً بالانكليزية في مجلدين كبيرين وترجم الى العربية وهو في مبادىء الزراعة بنوع عام والزراعة المصرية بنوع خاص واسمهُ الزراعة المصرية

(٤) ضرر السهر

ومنهُ . هل من ضرر صحي على الذين يواظبون على السهر اكثر الليل وينامون في النهار وما هي ماهية الضرر الذي يصيبهم وهل من منفعة للذين يستيقظون دائماً قبل طلوع الشمس

ج . من الامور المقررة ان نور الشمس يميت الميكروبات المرضية بسرعة فاذا وقعت هذه الميكروبات على جسم انسان او على جروح في بدنهِ وكانت مختفية تختفي باحتجابهِ عن نور الشمس اكثر النهار او النهار كلهُ كان الخطر من نموها فيهِ وايقاعها الضرر بهِ اكثر مما لو كان معرَّضاً لنور الشمس . وللنور فعل كيماوي ايضاً وفعلهُ ظاهر في الوان الذين يتعرضون لنور الشمس والذين لا يتعرضون لهُ او يقلُّ تعرضهم لهُ . ولكن هل هذا الفعل مفيد للصحة او غير مفيد وما مقدار فائدتهِ ان كان مفيداً هذه امور لم تحقَّق حتى الآن ولا الذين يكثر نور الشمس في بلادهم ويكثر تعرضهم لهُ اجود صحةً او اطول عمراً او اشد نشاطاً من الذين لا يكثر نور الشمس في بلادهم او لا يكثر تعرضهم لهُ . ولا نعلم فائدة صحية للاستيقاظ الباكر قبل طلوع الشمس . ولكن لا شبهة في الفائدة المالية او المعاشية من النوم ليلاً والعمل نهاراً

(٥) المنسوجات السورية المطبوعة

بيروت . احد المشتركين باي وقت وباي بلد كانت الاقمشة تنسج وتطبع في سورية

ج . لقد اشار بلينيوس المؤرخ اشارة واضحة الى ان المصريين الاقدمين كانوا يطبعون النقوش المختلفة الالوان على المنسوجات . وقد وجدت في آثار مصر منسوجات مطبوعة بالوان مختلفة . وتدل مفردات اللغة العربية التي جمعت منذ الف سنة على ان العرب كانوا يلبسون ثياباً عليها نقوش مطبوعة كقولهم ثوب مبرَّج اي فيهِ صور البروج وثوب مدنَّر اي فيهِ كالدنانير وثوب مرحل فيهِ صور المراحل وذلك كلهُ مما يصعب الوصول اليهِ بالنسج . وكان الصينيون والهنود يطبعون المنسوجات من قديم الزمان بطوابع من الخشب . ويظهر من وصف منسوجات صور وصيداءَ في التوراة

ان منها ما كان مطبوعاً طبعاً ولذلك نستنتج ان صناعة طبع الاقمشة كانت معروفة في سورية منذ عهد قديم . وقد زار فولنه سورية منذ نحو مئة وثلاثين سنة كانت المنسوجات القطنية كثيرة فيها يتاجر بها فقد جاء في كلامهِ على تجارتها مع فرنسا ان فرنسا ترسل اليها الجوخ والقرمز والنيل والسكّر والبن الاميركي وتأخذ منها القطن الخام والمغزول والمنسوج والحرير الطرابلسي (وغيره كان ممنوعاً) والعفص والنحاس والصوف

وقال في كلامهِ على دمشق انهُ تصدر منها المنسوجات الحريرية والقطنية التي تنسج فيها بكثرة وهي متقنة الصنع جدًّا

وقال في كلامهِ على صيدا ان للفرنسويين فيها ستة بيوت تجارية وهي تصدر منها القطن الخام والمغزول وان صناعة اهالي صيدا نسج المنسوجات القطنية

ثم ان كلام فولنه لا يثبت منهُ ان المنسوجات القطنية التي كانت تصدر الى اوربا كانت مطبوعة ولكننا نتذكر جيداً اننا رأينا قوالب طبع المنسوجات في سورية منذ نحو خمسين سنة وكنا نرى المناديل والطرحات واوجه اللحف التي كانت تطبع بها . ولا يزال طبع المناديل جارياً في مصر حتى الآن ونحن نرى امامنا حين كتابة هذه السطور منديلاً رقيقاً مما يتبرقع بهِ النساء في سورية او يعطين رؤوسهن بهِ وعلى حواشيهِ الاربع نقوش بثلاثة الوان احمر واخضر واسود كل نقشة منها تمثل وردة مفتحة وثلاثة ازرار وعرقاً فيهِ ثلاث اوراق . والوردة ورؤوس الازرار حمراء والاوراق خضراء وحدود الاوراق واضلاعها سوداء وعلى جانبي النقوش دوائر صغيرة منظومة سوداء وفي كل دائرة منها نقطتان سوداوان . والمنديل كلهُ مصبوغ بلون وردي فاتح . وهذا المنديل مطبوع في القاهرة والظاهر ان الصباغ كانوا يصنعون مثلهُ في سورية وحلب

(٦) كيفية الطبع

ومنهُ . كيف كان يستعمل طبع الاقمشة وما هي القوالب التي كان يطبع بها

ج . المنديل المشار اليهِ آنفاً صنعت قوالبهُ من الخشب ووضعت الاصباغ في آنية كل صبغ في اناء على حدة بعد ان اذيب في الماء ويوضع على وجه الصبغ قماش رقيق ثم يوضع القالب عليهِ فيلصق بهِ شيء من الصبغ الذي يجذ من مسام القماش ويطبع النسيج الذي يراد طبعهُ بهذا القالب حيث يراد ظهور النقش عليهِ

(٧) معامل الطبع

ومنهُ . هل كان يوجد معامل كبيرة تصنع وتطبع فيها الاقمشة او كان يتم ذلك في بيوت الصناع

ج . لم نجد في كل الكتب التي لدينا ما

يدل على انهُ كانت توجد معامل كبيرة لنسج الاقمشة وطبعها

(٨) قوالب الطبع

ومنهُ . هل يوجد شيء من تلك القوالب واين توجد وهل توجد اقمشة مما كان يطبع حينئذٍ

ج . المنديل الذي ذكرناهُ آنفاً طبع في القاهرة في مكان بين السوريين بقوالب من الخشب ولا يزال طبع المناديل جارياً الآن هناك ولا ندري هل هذه الصناعة لا تزال جارية في سورية الآن والرجاء ممن يطلع على هذا السوأل وهو يعلم بوجودها ان يكتب الينا بذلك . ونظن ان مناديل اليزما واوجه الحصف الخشنة النسج والطبع التي ترى الآن في بعض البيوت في سورية هي مما كان ينسج ويطبع فيها

(٩) تاريخ الصناعة العربية

ومنهُ . هل يوجد كتاب يتضمن تاريخ الصناعة العربية السورية

ج . لا علم لنا بكتاب مثل هذا ولكننا نشرنا في مقتطف شهر مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ مقالة مسهبة في الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية فيها وصف لا بأس بهِ للصناعة السورية حينئذٍ . وترون في المجلد الخامس والثلاثين من المقتطف فصولاً كثيرة من الصناعة المصرية في زمن الحملة الفرنسوية ملخصة مما كتبهُ المسيو جرار حينئذٍ وفيهِ اشارة الى الصناعة السورية ايضاً والى ما كان يصدر من البلادين وما يستعمل فيهما

(١٠) كليات البنات في القاهرة

طنطا . ابرهيم افندي صبيحه . ما هي كليات البنات في القاهرة حيث يقيم التلميذات داخليات وما هي افضلها من حيث العلوم والآداب حتى اذا تخرجت البنت فيها ساوت اختها الغربية

ج . ليس في القاهرة من كليات البنات الداخلية في ما نعلم سوى اثنتين الكلية الاميركية والكلية الفرنسوية وقد سمعنا مدحهما كلتيهما من الذين يعلم بناتهم فيهما

(١١) طريق الكمال

سبريتو سانطودو بنيال بالبرازيل . الخواجه جبران صبيحة . هل يصل الناس الى الكمال الحقيقي حتى يعرف كل انسان ما لهُ وما عليهِ ويعمل بموجب القاعدة الذهبية القائلة « كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم بهم ايضاً »

ج . يرجح جمهور كبير من العلماء ان نوع الانسان سائر في هذا السبيل تبعاً لناموس بقاء الاصلح . فالاصلاح يبقون في الارض والاشرار يتأصلون منها على مرور الزمن . واذا تأخر ذلك الف سنة فهي ليست زمناً يذكر امام العصور المترامية التي مرّت على الانسان قبل ان وصل الى حالتهِ الحاضرة

(١٢) نمو الانسان

الزقازيق . بسطوروس افندي صمد .

في اي سنة من عمر الانسان يتم نمو جسمه

ج . بين السنة العشرين والثلاثين . والوقت الذي يتم فيهِ نمو الجسم يختلف باختلاف البلدان والاشخاص والاعضاء فسكان الاقاليم الحارَّة يتم نمو اجسامهم قبل سكان الاقاليم الباردة والنساء يتم نمو اجسامهنَّ قبل الرجال وبعض الناس من البيت الواحد يتم نمو اجسامهم قبل البعض الآخر . ومتى بلغ الانسان الثلاثين من عمرهِ يكون قد تم بناء جسمهِ بنوع عام ولكن قد تنمو بعض اعضائهِ بعد ذلك فيتسع صدره مثلاً وتنمو عضلاتهُ . والغالب انهُ يزيد سمناً الى ان يبلغ الخمسين او الستين من عمرهِ . ومن المحتمل ان نمو الدماغ او بعض اجزائهِ لا يقف في بعض الناس قبل الخمسين او الستين من العمر

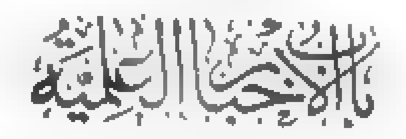

صوت التمساح في بيضهِ

انتبه الدكتور ولتزكو منذ اربع عشرة سنة الى ان صغار التماسيح تصوت وهي لا تزال في البيض وصوتها كالسعال والسجع ولو كان البيض مغطى بطبقة من الرمل سمكها متران . وهي تصوت كلما أُزعجت كما اذا رفست الارض بقدمك على مقربة من البيض او مسكت البيضة بيدك وقلبتها . وكلما خرجت انثى التمساح من الماء ومشت نحو المكان الذي اخفت فيهِ بيضها صاحت صغارها من البيض فيطمئن بالها ومتى علا الصوت كثيراً تعلم ان صغارها قاربت الخروج من البيض فتحتفر الرمل عنها والحال تشرع الصغار تخرج من بيضها ولولا ذلك لهلكت لانها لا تستطيع الخروج من تحت الرمل

شارل تليه مستنبط التبريد

لا يخفى ان اللحوم على انواعها تنقل الآن من بلاد الى اخرى سليمة لانها توضع في السفن في غرف مبرَّدة الى ما تحت درجة الجليد . ومستنبط هذه الطريقة المسيو شارل تليه توفي بالامس في باريس بالغاً من العمر ٨٦ سنة وهو في حالة يرثى لها من الفقر المدقع . فانهُ ولد سنة ١٨٢٨ وانقطع للمباحث العلمية فاستنبط طريقة التبريد وسنة ١٨٧٦ سافرت اول سفينة تحمل لحماً مبرداً من فرنسا الى بونس ايرس وكان قد تولى بناءها لهذه

التابة . والآن كثرت السفن التي تحمل اللحم المبرَّد حتى انهُ يرد الى بلاد الانكليز وحدها كل سنة من هذا اللحم ما ثمنهُ ٢٤ مليوناً من الجنيهات . واذا قدرت الاموال التي تكتسبها استراليا وكندا والارجنتين من طريقة تليه بلغت ملايين كثيرة من الجنيهات كل سنة ومع ذلك مات صاحب هذه الطريقة وهو لا يملك شيئاً

مدافن طرخان

وصف الاستاذ فلندرس بتري المدافن التي وجدها في طرخان على نحو اربعين ميلاً من القاهرة جنوباً وهي من عهد الدولة الاولى من الدول المصرية ومن عصر الملك نرت الذي نشأ في واسط تلك الدولة وقد وجد في تلك المدافن عظام ستمئة نفس والرجال منهم من صنفين مختلفين من الناس

احتراق السفينة فلترنو

بينا كانت السفينة الانكليزية فلترنو في وسط الاوقيانوس الاتلنتيكي وفيها من البحارة والركاب ٦٥٧ نفساً شبت النار فيها فاحرقتها ولم يكن في الامكان ان ينجو احد منها ولكنها ارسلت خبر ما اصابها بالتلغراف اللاسلكي الى كل الجهات فوصلت الاشارات الكهربائية اولاً الى السفينة كرامانيا فارسلت هذه الخبر بتلغرافها اللاسلكي الى كل مكان واسرعت السفن التي وصلها الخبر الى السفينة المحترقة وكان النوء شديداً يمنع دنوها منها وكان بينها سفينة وسقها زيت فجعلت تصبهُ في البحر فلم يمضِ خمس دقائق حتى سكنت الامواج وتمكنت السفن من تخليص كل الذين كانوا لا يزالون احياء في السفينة المحترقة وعددهم ٥٢١ فالفضل في نجاتهم للعلم الذي اكتشف التلغراف اللاسلكي واثبت ان الزيت يسكن الامواج

الطيارة المائية

ذكرنا غير مرة ان جريدة الديلي ميل تبرعت بخمسة آلاف جنيه لمن يطير حول البلاد الانكليزية بطيارة مائية مسافة ١٥٤٠ ميلاً فطار الطيار هوكر ومعهُ رجل آخر حتى اذا قطع مسافة ١٠٤٣ زلت قدمهُ عن دفة الطيارة فسقطت في البحر وأنقذ هو ورفيقهُ هو سالماً ورفيقهُ مكسور الذراع . والطيارة من النوع ذي السطحين سعة جناحيها من طرف الى طرف ٥٠ قدماً ولها طوّفان ثقل كلٍّ منهما ١٧٠ رطلاً وطوف ثالث صغير مغزلي تحت ذنبها وثقل الطيارة كلها وراكبيها ٢٤٠٠ رطل (ليبرة)

نترات شيلي

ان السماد الكيماوي المعروف بنترات الصودا يجلب من بلاد شيلي باميركا ويقدر ان الموجود منهُ الآن فيها لا يزيد على مئة

مليون طن فاذا بقي اخترابهُ واستعمالهُ لتسميد المزروعات جارياً على النسبة الحالية فرغ كلهُ في ٣٥ سنة الى اربعين سنة ولا بدّ من التفتيش عن مناجم اخرى يكثر وجوده فيها قبلما يفرغ

شيوع الاشربة الروحية

احصي ما شربهُ سكان الولايات المتحدة من الخمور ونحوها من الاشربة الروحية في كل سنة من السنين الماضية من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩١١ فوجد متوسط ما كان يشربهُ النفس من السكان في السنة كما في هذا الجدول

سنة ١٨٥٠	٤,٠٨ جالون
« ١٨٦٠	٦,٤٣ «
« ١٨٧٠	٧,٧٠ «
« ١٨٨٠	١٣,٢١ «
« ١٨٩٠	١٦,٧٢ «
« ١٩٠٠	١٧,٧٦ «
« ١٩١٠	٢١,٨٦ «
« ١٩١١	٢٢,٧٩ «

ومتوسط ما يشربهُ النفس في المانيا من الاشربة الروحية كمتوسط ما يشربهُ النفس في اميركا ويشرب الالماني من الاشربة الاخرى كالبيرا اكثر مما يشرب الاميركي ويشرب الانكليزي من هذه الاشربة اكثر مما يشرب الالماني ولكنهُ يشرب من الخمور والاشربة الروحية اقل مما يشرب الاميركي . وثمن المشروبات التي يشربها الالمان في السنة ١٥٠ مليون جنيه اي اكثر مما تنفق المانيا على حربيتها وبحريتها ثلاثة اضعاف وهو يساوي ما ينفقونهُ في السنة ثمن ما يأكلونهُ من اللحم والسمك والطيور واقل قليلاً من ثمن ما يأكلونهُ من الخبز والكعك والبطاطس وثمن الخمور التي يصنعها الاميركيون ويشربونها في السنة ١٢٠ مليون جنيه او نحو ثمن القمح الذي يستغلونهُ هذا عدا الخمور التي يجلبونها من البلدان الاخرى

وطن البق

البق معروف الآن في المسكونة كلها فنهُ سبعة انواع في اوربا وستة في افريقية وخمسة في آسيا واثنان في استراليا وسبعة في اميركا . اما البق الذي يكون في الفرش والاسرة فوطنهُ الاصلي على قول الدكتور هورفاث سواحل بحر الروم وهو يظن انهُ كان اولاً من الحشرات التي تعلق بالخفافيش ثم انتقل منها الى الانسان

تعاون الكلاب

جاء في مجلة المعرفة ان كلبين من نوع التريير احدهما اسود صغير القد والآخر ابيض كبير نزلا الى بحيرة الابيض نزل اليها بارادته ليغتسل فيها والاسود وقع فيها على غير ارادته

فحاول الصعود منها وكانت جوانب البحيرة مبنية والجدار قليل الارتفاع ولكنهُ قائم عموديًا فلم يتمكن الكلب من البلوغ الى اعلاهُ بل كان يقع في الماء كلما حاول الصعود · وسار الكلب الابيض الى مصب النهر في البحيرة وخرج منهُ ودار الى حيث الكلب الاسود ولما رأى ما هو فيهِ من الشدة لانهُ كاد يغرق حاول القبض على عنقهِ لاخراجهِ من الماء فلم يتمكن من ذلك واخيرًا وصل الى الطوق الذي حول عنقهِ وقبض عليهِ باسنانهِ واخرجهُ من البحيرة

عدد النجوم

ابان المستر نوكر في ما نشرهُ بين منشورات الجمعية الفلكية في شهر اغسطس الماضي ان عدد النجوم التي ترى بالعين في وقت واحد قلما يزيد على الفين وعدد النجوم التي ترى بالتلسكوب الى حد القدر السابع عشر لا يزيد على اربعين مليونًا اي قدر سكان بلاد الانكليز وعدد ما يمكن ان يصوَّر بالفوتوغراف الى حد القدر العشرين مئة مليون . وكلما صغرت النجوم في اقدارها قلَّ عددها اما لأن في الفلك مادة تمتص النور فلا يصل الينا نور النجوم البعيدة او لأن النجوم تقلُّ فعلاً بالابتعاد عن النظام الشمسي الى ان تصل الى النهاية فيكون لهذا الكون حد محدود · الاَّ ان ما تقدم يصدق على النجوم المنيرة التي نراها بنورها اما النجوم المظلمة التي لا نور لها فلا سبيل لرؤيتها ولا لمعرفة عددها· واذا حسبنا انهُ يوجد ١٨ نجمًا في كل مسافة طولها ١٦ سنة نورية[1] فالمئة مليون نجم تملأُ كرة قطرها ستة آلاف سنة نورية وهو البعد الذي حسب الاستاذ بوكرم ان حواشي المجرة تصل اليهِ

رئاسة النساء في مجمع تقدم العلوم البريطاني

هذه اول مرة في تاريخ مجمع تقدم العلوم البريطاني رأست امرأة فرعًا من فروعهِ فقد رأست فرع علم النبات مس اثل سرجنت واغتنمت خطبة الرئاسة بالاشارة الى ذلك فقالت ان اختيارها للرئاسة بدعة في عادات المجمع وكرم من اعضائهِ · واجزل الكرم ما اقدم عليهِ ذووهُ غير مكترثين بمخالفة العادات الراسخة · ثم جعلت موضوعها تقدم علم الاجنة النباتي منذ سنة ١٨٧٠ وهي عاملة عاملة في هذا الفن فالمَّت بكل فروعهِ

غور البحر المتوسط

يظهر من بحث البعثة الهولندية التي سبرت غور بحر الروم انهُ مؤلف من حوضين كبيرين يفصل بينهما حاجز مرتفع يصل بين جزيرة صقلية وشاطئ افريقية الشمالي واعلى

(1) السنة النورية هي المسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان وهي ستة آلاف الف مليون ميل

هذا الحاجز منخفض من سطح ماء البحر اربع مئة متر. والحوض الغربي من هذين الحوضين عمقهُ من الفي متر الى ثلاثة آلاف والحوض الشرقي اعمق منهُ وقد يزيد عمقهُ في بعض الاماكن على اربعة آلاف متر. والمطر الذي يقع على بحر الروم لا يزيد على ربع المياه التي تتبخر منهُ لكن ارتفاع الماء فيهِ يبقى على حالهِ بما يجري اليهِ من مياه الاوقيانوس الاتلنتيكي

سرير الارانغ اوتان

الارانغ اوتان من ارقى انواع القرود وقد ثبت الآن انهُ اذا اراد النوم في غابةٍ كسر نحو ١٢ عوداً من عيدان الاشجار وبسطها والقى عليها طبقة من اوراق الاشجار حتى يكون منها سرير طولهُ نحو متر ونصف وعرضهُ نحو ثمانين سنتيمتراً ونام عليهِ والغالب انهُ يصنع سريراً كل ليلة او كل ليلتين

الدكتور ادولف ديزل

بينما كان الدكتور ديزل ذاهباً من انفرس الى هروك ليلة ٢٩ سبتمبر الماضي وقع في البحر وغرق. وهو مخترع الآلة البخارية المنسوبة اليهِ التي وقودها من زيت البترول غير النقي وهي افضل آلات البترول التي صنعت حتى الآن. ولد في باريس سنة ١٨٥٨ من والدين المانيين ودرس في مدرسة اوغسبرج الصناعية وفي كلية مونخ وصنع اول آلة من آلاتهِ سنة ١٨٩٣ فشاعت كثيراً

ائتلاف النمل والديدان

ذُكرت امثلة جديدة على ائتلاف الديدان والنمل اي وجدت ديدان كثيرة في قرى بعض انواع النمل وهي تعيش معهُ على تمام الالفة والوفاق. والظاهر ان النمل يجد على ابدانها مادة يستطيبها تفرز منها فيبقيها في قراهُ لهذه الغاية

احتراق بلون زبلن L.II

كان هذا البلون يجرب في ١٧ اكتوبر. صعد في الجو وفيهِ ٢٨ نفساً وفي ثلاث دقائق بلغ ارتفاعهُ ٢٠٠ متر وحينئذٍ اتقدت النار فيهِ من شرارة كهربائية اصابت شيئاً من البنزين المرتشح من آلاتهِ وحدث فيهِ انفجار وفي ثانيتين او ثلاث شملهُ اللهيب وجعل يهبط رويداً رويداً ورأسهُ الى الاسفل حتى صار على ٤٠ متراً فوق الارض وحينئذٍ حدث فيهِ انفجار ثانٍ وسقط على الارض وقتل الذين كانوا فيهِ

وكان طول هذا البلون ٥٢٠ قدماً وقطرهُ ٥٣ قدماً وتعرينهُ ٢٧ طنّاً وفيهِ ١٨ كيساً للغاز تسع ٢٧ الف متر مكعب من الهيدروجين يتصل بهِ ثلاث مركبات المقدمة منها للربان. وفيهِ اربع آلات محركة قوة كلٍّ منها ٢١٠ احصنة وثمنهُ خمسون الف جنيه

الطيار الصيني

تعلَّم شاب صيني الطيران في بلاد الانكليز واتقنهُ في اقل من سنتين واخترع اسلوباً جديداً من الطيارات ذوات السطحين ومرادهُ ان يعود بهِ الى بلادهِ وهو يمتاز عن الطيارات العادية بان الجزء الخلفي من اجنحتهِ معطوف الى الاسفل

اطول الدعاوي القضائية

حُكم سنة ١٨٤٨ في دعوى قضائية دامت المرافعة فيها او دامت مرفوعة امام القضاء ٦٣٨ سنة من سنة ١٢١٠ الى سنة ١٨٤٨ . وكذلك حكم سنة ١٨٥٤ في دعوى دامت مرفوعة ٦٣٨ سنة ايضاً اي من سنة ١٢٥٤ الى سنة ١٨٥٤

ومن اغرب الدعاوي ان مطراناً مجرياً توفي في اواسط القرن الثامن عشر ولم يستطع ورثتهُ ان يقتسموا ميراثهُ حينئذٍ بسبب الاضطرابات السياسية ثم لما سكنت الاحوال وارادوا اقتسامها كان عددهم قد بلغ الف نفس فاختلفوا في القسمة ورفعوا امرهم الى القضاء سنة ١٧٦٨ ودامت الدعوى الى ان حكم فيها نهائياً سنة ١٨٩٠ وكانت قيمة التركة مئتي الف جنيه فلم يصب الواحد منهم سوى جنيه واحد وما بقي ذهب نفقات الدعوى واجرة المحامين

ومن قبيل ذلك دعوى اخرى امتدت المرافعة فيها من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٦٩ وابطلت المرافعة فيها حينئذٍ لان المحامين انفقوا كل غرش فيها اجوراً ومصاريف في غضون هذه المدة

السفن الحربية القديمة

باعت الحكومة الانكليزية بعض سفنها الحربية القديمة بمئة الف جنيه وكانت نفقات بنائها مليوني جنيه . وباعت بارجة باربعين الف جنيه وقد بنيت سنة ١٨٩١ وكانت حينئذٍ من اعظم بوارجها ولعلَّ نفقة بنائها لم تكن اقل من مليون جنيه

المستر روزفلت

دعت حكومات ارجنتين وبرازيل وشيلي المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق لتقديم الخطب فيها في المواضيع الاجتماعية وسيذهب اليها لهذه الغاية ثم يرئس لجنة من العلماء تجث في اواسط اميركا الجنوبية لاجل معرض التاريخ الطبيعي في الولايات المتحدة

هبات التعليم في اميركا

ظهر تقرير حكومة الولايات المتحدة الاميركية عن التعليم في سنة نهايتها ٣٠ يونيو سنة ١٩١٢ وفيه ان مبلغ الهبات التي نالتها الجامعات والكليات الاميركية بلغ تلك السنة ٤٩٥٦٦٠٠ او نحو خمسة ملايين من الجنيهات وذلك عدا الهبات التي وصلت اليها من حكومات الولايات

هبة علمية تذكارية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان المسيو ارنست سولفاي الذي اكتشف الطريقة المنسوبة اليه لعمل كربونات الصودا احتفل بمرور خمسين سنة على اكتشافه هذا فوهب اكثر من مئتي الف جنيه للمعاهد العلمية والخيرية ولمستخدمي معمله

مياه لندن

يبلغ سكان مدينة لندن سبعة ملايين من النفوس ومع ذلك نجد شركات المياه ماء كافيًا لهم مع انهم ينفقون في يومهم مئتي مليون جالون من الماء اي ان كل نفس منهم يستعمل كل يوم ٣٠٠ رطل من الماء . وعند الشركات او مجلس ادارة المياه حياض تسع ١٥٠٠٠ مليون جالون اي ما يكفي السكان كلهم خمسة وسبعين يومًا

خسارة القمار

يقال ان رجلاً بولنديًا من اصحاب الاملاك الواسعة خسر بالامس في بوسن في ليلة واحدة ٧٦ الف جنيه وارضًا مساحتها ١١٠٠٠ فدان

ضرر الغاز بالتنفس

ان المصباح الواحد من مصابيح الغاز يأخذ من اكسجين الهواء اربعة اضعاف ما يأخذهُ البالغ

عظمة البريد

يحمل بريد الهند كل سنة اكثر من ٧٢٠ مليون مكتوب واكثر من ٩٧ مليون جريدة

السيد علي يوسف

نعيت الصحافة المصرية بنشوءِ من اكبر منشئيها السيد علي يوسف مؤسس جريدة المؤيد رجل عصامي بلغ بجدارته وزكانته اعلى المراتب العلمية والادبية التي تنال في هذا القطر . دخل ديوان التحرير شابًا وانشأ جريدة اسبوعية ثم انشأ المؤيد بعد ما انشأنا المقطم ببضعة اشهر فابلغهُ الدرجة العليا بين الجرائد المصرية بما كان يكتبهُ فيه ويستكتب لهُ كبار العلماء . وكان سريع الخاطر قوي الحجة واسع الرواية مقدامًا جريئًا ذلل الصعاب بهمتهِ وصارت لهُ منزلة عالية لدى الجناب الخديوي ونال من السلطان السابق اسمى الرتب والنياشين التي تعطى لارباب الاقلام واقترن بكريمة شيخ السادات الوفائية وخلفهُ في هذا المنصب واعتزل حينئذٍ رئاسة تحرير المؤيد

توفي الى رحمة ربهِ في الخامس والعشرين من اكتوبر عن خمسين سنة من العمر وسير جثمانه في مشهد جليل مشى فيهِ العلماء ونظار الحكومة المصرية وجمهور كبير من كبار موظفيها واعيان الاهالي

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

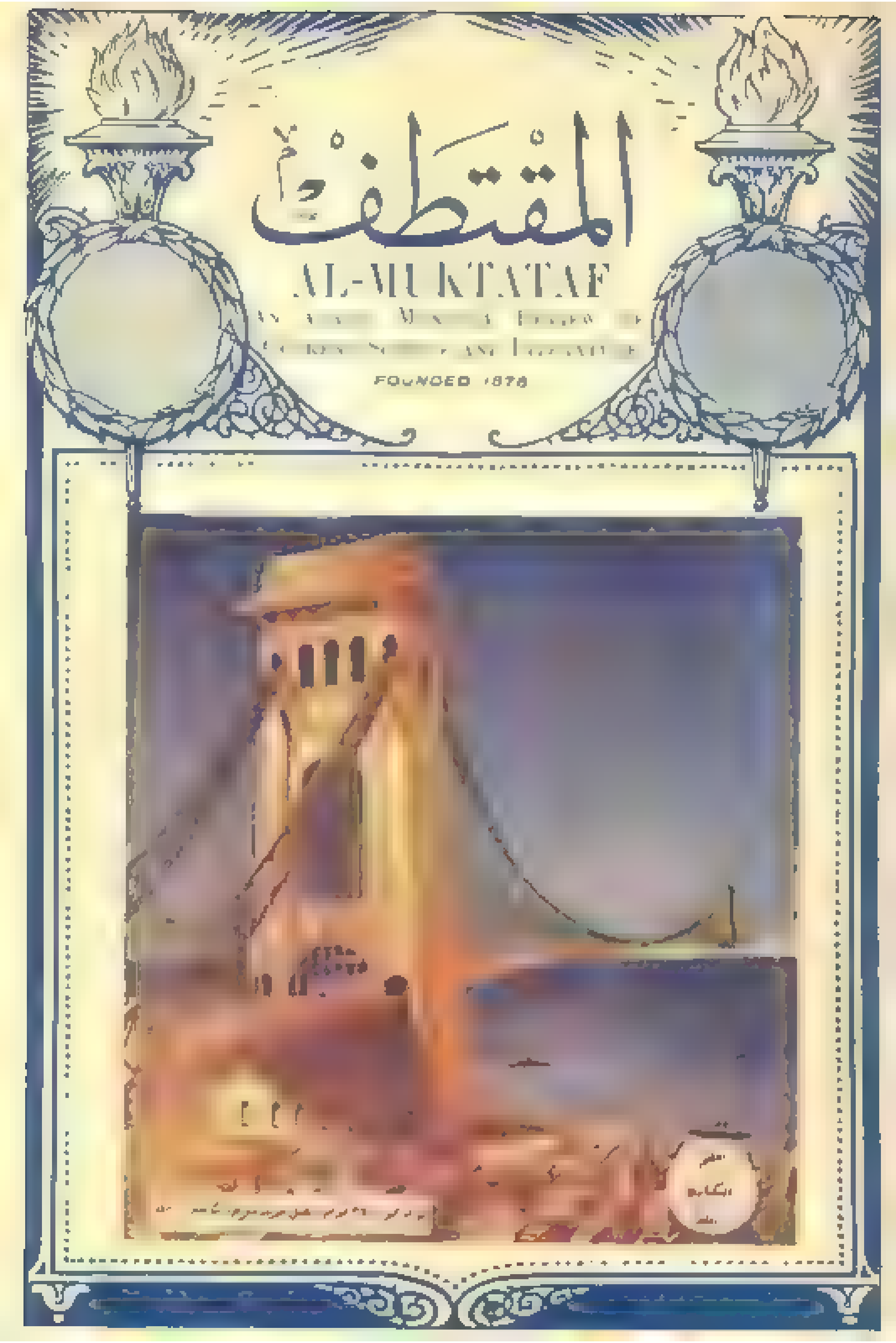

المقتطف
AL-MUKTATAF
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والاربعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٣١

الفرد رسل ولس

ALFRED RUSSEL WALLACE

يموت كل سنة اكثر من خمسين مليوناً من النفوس ولكن تمضي السنة والسنتان والسنوات قلما يموت رجل يذكر على ممرّ الايام والاعوام . الرجال الذين يتركون لهم اثراً بيناً في علوم الناس ومعارفهم يحفظ التاريخ اسمهم وتتداولهُ الالسنة في كل زمان قليل عددهم . فمنهم افلاطون وارسطوطاليس وابقراط وبطليموس وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وباستور وداروين ورصيفهُ الدكتور الفرد رسل ولس الذي تُوفي حديثاً

لداروين وولس اثر بيّن في كل علوم الناس في هذا العصر فلسفيةً كانت او ادبية او طبيعيةً . وفي كل اعمالهم زراعية كانت او صناعية او تجارية . وفي الامارة على اختلاف فروعها . فان افكار الناس اتجهت الى النشوء والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح من حين نشر داروين كتابهُ اصل الانواع وبيّن هو وولس الاسباب الطبيعيةَ التي دعت الى نشوء انواع النبات والحيوان بعضها من بعض فانهم وجدوا ان كل تنوّع وارتقاء في اعمال الناس والطبيعة ناشئ عن اسباب مثل الاسباب التي ذكرها داروين وولس ولو كانت ثانوية

وقد امتاز ولس على داروين بانهُ لم يقف عند حد الاسباب الطبيعية لنشوء الانواع بعضها من بعض بل قال بقوة وراءها تديرها ولا سيما في نشوء الانسان اي انهُ قال بشيءٍ لم يقلهِ داروين ولا تعرَّض لهُ فقال في كتابهِ عالم الحياة الذي نشرهُ سنة ١٩١٠ وعمرهُ ٨٨ سنة ان كثرة التركيب في اجسام الاحياء يستلزم اولاً وجود قوة خالقة . ثانياً وجود عقل مدبر ثالثاً وجود غاية خلقت لاجلها الاحياء وهي ان تتصل في ارتقائها الى الانسان غايتها الذي هو

غاية كل اعمال النشوء في الكون . لكنهُ لم يقم ادلة علمية على اثبات بعض النتائج التي استنتجها ولعل الوصول الى هذه الادلة مقدور لابناء العصر التالي ولو تعذر على ابناء هذا العصر

ولد ولس في ٨ يناير سنة ١٨٢٣ وكان لهُ اخ اكبر منهُ صناعتهُ المندسة والبناء فجعل يساعده بعد خروجهِ من المدرسة واضطر ان يجول في اماكن كثيرة ويراقب احوال الناس فرأى من ذلك الحين ان الاصلح للامة ان تكون الاراضي لحكومة لا لافراد من الاهالي كما هي الحال في بلاد الانكليز . وكان ذلك اساس الكتاب الذي نشرهُ سنة ١٨٨٢ في هذا الموضوع واعادهُ في كتاب آخر نشرهُ منذ شهرين . وكان اخوهُ من المتطرفين في آرائهم الفلسفية فاستفاد منهُ طرح القيود التقليدية التي تمنع حرية البحث وصار لا يرى غير المادة ونواميسها - ولعل ذلك كان من اكبر الاسباب التي جعلتهُ يبحث عن الفواعل الطبيعية لما يرى بين انواع النبات والحيوان من الاختلاف وبين اصنافها من التباين ولكن قادهُ البحث اخيراً الى الاقتناع بوجود قوة اخرى مدبرة وراء الفواعل الطبيعية وهذه الفواعل خاضعة لها ولو عجز العلم عن اكتشافها كما يرى من كتابهِ في العجائب ومناجاة الارواح الذي الفهُ سنة ١٨٨١ وبعض الكتب التي تلتهُ من قبلهِ

واهتمَّ في صغرهِ بالتاريخ الطبيعي اي بعلم النبات والحيوان فجمع مجموعة من النباتات وتعرَّف بالمستر باتس الطبيعي وسافر معهُ الى اميركا الجنوبية ليجمعا منها امثلة عمَّا يرياه فيها من انواع الحيوان والنبات وعاد من هناك بعد اربع سنوات ونشر كتاباً وصف فيهِ رحلتهُ وما رآه . واتبعهُ بكتيّب في اشجار النخل التي شاهدها في الامازون وكان ذلك سنة ١٨٥٣

وذهب في السنة التالية الى جزائر ملقا في الشرق الاقصى واقام في هذه الرحلة ثماني سنوات سار فيها اربعة عشر الف ميل وزار جزائر صومطرى وجاوى وبورنيو وسلابس وملوكاس وتيمور وغينيا الجديدة وجمع منها اكثر من ١٢٥٠٠٠ مثال نحوي ٨٠٠٠ من الطيور و٩٦٠٠٠ من الفراش و١٣٠٠٠ من انواع اخرى من الحشرات . ورتَّب هذه الامثلة ووصفها وألف فيها كتاباً كبيراً في مجلدين طبع سنة ١٨٦٩ . وبنى عليها كتباً اخرى مثل تفرق الحيوانات الجغرافي والحياة في الجزائر

وتعرَّف بدارون سنة ١٨٥٤ وكان دارون قد انتبه الى فعل الانتخاب الطبيعي وتأثيرهِ في النبات والحيوان منذ سنة ١٨٤٢ وكتب رسالة في ذلك اطلع عليها العالمين الكبيرين السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر سنة ١٨٤٤ ولكن لا يظهر انهُ تكلم في هذا الموضوع مع احد آخر

ونشر ولس مقالة في مجلة التاريخ الطبيعي سنة ١٨٥٥ موضوعها « الناموس الذي يوجب تولد الانواع الجديدة » ثم كتب الى دارون في هذا الشأن ولم يجبهُ دارون بما يشير الى فعل هذا الناموس . وارسل الى دارون سنة ١٨٥٨ مقالة موضوعها ميل التنوعات الى الابتعاد من الاصل الذي تفرعت منهُ ضمنها زبدة المذهب الداروني فتأمل دارون وبعث بها الى لِيَل وكتب اليهِ يقول بعث اليَّ ولس بهذه المقالة وطلب مني ان ارسلها اليك وهي تستحق ان تُقرأ ولقد اصبتَ في ما قلتهُ لي وهو اني ان لم انشر آرائي في فعل الانتخاب الطبيعي سيقني اليها غيري فانظر الى هذا الاتفاق الغريب فانهُ لو اطلع ولس على ما كتبتهُ منذ سنة ١٨٤٢ وخصهُ ما كان تلخيصهُ لهُ ادل على مرادي من هذه المقالة التي بعث بها الآن

ثم تليت مقالة ولس ومقالة كتبها دارون ضمنها خلاصة مذهبهِ في جمعية لينيوس الطبيعية في وقت واحد . واعترف ولس بعد ذلك بسبق دارون لهُ في هذا المضمار فنُسب المذهب الى دارون لا اليهِ حتى انهُ لما الف كتاباً في هذا المذهب خاصةً سنة ١٨٨٩ جعل موضوعهُ الداروزم اي الدارونية

وفي صيف سنة ١٩٠٨ حينما تمت خمسون سنة على اعلان المذهب الداروني عيّدت الجمعية اللينيوسية عيداً حافلاً تذكاراً لذلك حضرهُ مشاهير علماء الارض وصنعت نشاناً رسمت على احد جانبيهِ صورة رأس دارون وعلى الآخر صورة رأس ولس واهدتهُ الى ولس والى السر جوزف هوكر والاستاذ ارنست هيكل والاستاذ ادورد ستراسبرجر والاستاذ اوغسط وبسمن والسر فرنسيس غلتون والسر راي لنكستر . والنشان الذي اهدي الى ولس كان من الذهب والنياشين التي اهديت الى غيرهِ كانت من الفضة . وخطب رئيس الجمعية الدكتور سكوت مرحباً بالحضور فاجابهُ ولس مشيراً الى العلاقة التي كانت بينهُ وبين دارون وعن نصيب كلٍّ منهما من مذهب النشوء او الانتخاب الطبيعي وبيَّن ان هذه الفكرة اي فكرة الانتخاب الطبيعي خطرت على بال دارون قبلما خطرت على بالهِ بعشرين سنة وانها خطرت على بال الاثنين لانهما كانا كلاهما يبحثان على اسلوب واحد . ففي صباهما كانا يهتمان بجمع الحشرات ولذلك اضطرا ان يريا ما بينها من الاختلاف وان يبحثا عن سبب ذلك ثم لما كبرا عكفا كلاهما على السياحة وجمع الامثلة الطبيعية ومراقبة احوالها وذلك في اغنى بلدان الدنيا بالحيوانات والنباتات فلم يكن لهما بدٌّ من مراقبة تأثير الاقليم في تلك الاحياء واختلافها باختلاف اماكنها ونحو ذلك من الامور المتعلقة بها واخيراً لما كان عقلاهما قد امتلأا بهذه المعلومات وبما فيها من الغرائب التي يصعب حلها اتجه فكراهما الى الاسلوب الذي اوضحهُ

ملثوس لمنع زيادة السكان فكان ذلك بمثابة القرك على عيدان القصفور فاظهر منها نوراً هداها الى الناموس البسيط الشامل لكل ما في الكون ناموس بقاء الاصلح الذي هو السبب الفعّال لدوام التغيير والتطبيق بين الاحياء كلها

وقد استوفينا الكلام على ذلك في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٨

وداروين وولس لم يكتفيا بالقول ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولو اكتفيا بذلك لما كان لقولها قيمة علمية ولكنهما جمعا ادلة لا تحصى على صحة هذا القول ولهذا السبب لا لغيره نُسب مذهب النشوء اليهما لا الى غيرهما وتنازل ولس عن التسمية فنسبت بداروين . ولذلك فان ارسطو او افلاطون او القزويني او الدميري او غيرهم من العلماء الاقدمين قد ذهبوا الى ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولم يعززوا ذلك بالادلة الكثيرة فلا قيمة لقولهم بل يكون من جملة الخواطر التي تخطر على بال الناس دواماً

وولس فضل آخر في العلم الواضح والمفصّل لعلم آخر وهو علم تفرّق الحيوان الجغرافي الذي اوضحهُ في كتابيهِ تفرق الحيوان الجغرافي والحياة في الجزائر

لكنهُ لم يتخرّج في صغره تخرّجاً فلسفياً ولا علمياً ولا عُني بالتجارب الفسيولوجية ولذلك ذهب في احد كتبهِ الاخيرة المعنون « بالقرن العجيب » الى ضرر التطعيم الواقي من الجدري وقال انهُ غير واقٍ منهُ والى صحة الفراسة ومناجاة الارواح وعزز اخيراً قول القائلين ان الارض هي مركز الكون ولا سكان في غيرها

والف كتباً كثيرة لهُ غير ما ذكر . الانتخاب الطبيعي . الطبيعة الاستوائية . استرالازيا . جعل الارض للامة . ايام العسر . التطعيم تضليل . دروس علمية واجتماعية . مقام الانسان في الكون . ترجمة حياتهِ . هل المريخ مأهول . ملاحظات زائق . ومقالات كثيرة في الجرائد والمجلات

وقد نال وسامات علمية كثيرة ومنح وسام الاستحقاق سنة ١٩٠٨ وهو اعظم وسام عند الانكليز لا يعطاهُ الا اعاظم رجالهم . وقطعت لهُ الحكومة الانكليزية منذ سنة ١٨٨١ مئتي جنيه في السنة معاشاً كما فعلت لاكبر علمائها الذين ليس لهم ثروة تكفيهم في شيخوختهم . وكانت وفاتهُ في السابع من نوفمبر

البحث الصناعي في اميركا

وقفنا على خطبة في هذا الموضوع لرئيس الجمعية الكيماوية الاميركية تلاها في اجتماعها السنوي الثامن والاربعين في مدينة روتشستر باميركا فوجدنا فيها من الحقائق والشواهد ما تظهر بهِ اسباب النجاح الصناعي والزراعي الذي نجحته تلك البلاد وما يستدل منهُ على ان النجاح لا يجيء عفواً ولا تبلغهُ الأ الامم التي تسعى اليهِ جهدها وقد اقتطفنا منها ما يلي قال الخطيب : —

اشتهرت المانيا منذ عهد طويل بانها بلاد البحث العلمي . وليس من غرضي الآن ان اشرح ما نتج لها من هذا البحث لان نتائجهُ اوسع من ان تبيَّن وهي مرسومة بحروف من نور على الصخور الراسخة التي قامت عليها عظمة المانيا بين امم الارض ولا يزال امام الالمان مستقبل اعظم وامجد ممَّا بلغوهُ . والبلاد التي منطلت حقوقها حديثاً وتأهبت لمجاراتها في هذا المضمار هي بلادنا الولايات المتحدة الاميركية بعد ان كانت من البلدان المشهورة باهمالها واسرافها . ولا غرابة في ذلك فان بلاد فرنكلين ورمفورد بلاد مكورمك وهو وهوتني بلاد اديسن ووستنهوس وبل بلاد ولبور واورفل ريط[1] ليست بعيدة من المباحث الصناعية ولا عاجزة عن استفادتها في ما ينفع . ولكن لما كانت الارض واسعة المدى وخيراتها دانية القطوف سهلة المجتنى لم يُستغرَب اهمال السكان السعي والكدح وتعودهم الاسراف . ولكن لما زاد عددهم كثيراً واستنزفوا الخيرات التي يسهل الحصول عليها قامت المناظرة بينهم واضطروا الى إعمال الفكرة واعضاء العزيمة فرأوا ان الكسب يقوم بزيادة المعارف . ولكن لا يزال الفريق الاكبر من السكان يجهل هذه الحقائق ويقول ان الرزق مقدور وكأنهُ ينشد بلسان القائل

كم عالم عالم ضاقت مذاهبهُ وجاهلٍ جاهل تلقاهُ مرزوقا

اوكما يقول الانكليز Where ignorance is profitable, 'tis folly to be wise.

---

(١) فرنكلين (Franklin) الطبيعي ابو المباحث الكهربائية ومورس (Morse) مستنبط التلغراف الكهربائي المستعمل الآن بكثرة ورمفورد Rumford صاحب المباحث الطبيعية الكثيرة ومكرمك M'Cormick مستنبط آلة الحصاد وهو Howe مستنبط آلة الخياطة وهوتني Whitney مستنبط آلة الحلج واديسن Edison الكهربائي المشهور ووستنهوس Westinghouse مستنبط آلة توقيف القطارات بالهواء وغيرها من الآلات وبل Bell مستنبط التلفون وولبور واورفل ريط Wilbur and Orville Wright مستنبطا الاروبلان

واذا الجهالة انجحت اصحابها فمن الحماقة ان تكون حكيما

ولذلك فالبحث العلمي الصناعي في اميركا لا يزال طفلاً ولكنهُ كالطفل هرقل الذي يقال انهُ اهلك الافاعي ودل وهو طفل على ما سيصل اليهِ متى شبَّ

فالبحث العلمي الصناعي الذي اتقن آلات الزراعة قلل نفقات سبعة مواسم ٦٨١ مليون ريال او اكثر من ١٣٦ مليون جنيه بالنسبة الى ما كان ينفق عليها منذ خمسين سنة

والبحث العلمي الصناعي الذي اتقن عمل الاحذية والآلات التي تُعمل بها جعل الاحذية الاميركية تنتشر في كل اسواق الدنيا

والتلفون اختراع اميركي وصناعة اميركية وفي مدينة نيو يورك وحدها الآن ٤٥٠٠٠٠ تلفون اي مضاعف ما في مدينة لندن · وشركة التلفون والتلغراف الاميركية تنفق سنوياً على اتقان التلفون والتلغراف اكثر من دخل كثير من المدارس الجامعة

واسم اديصن في كل بيت وبكل لسان · مصابيحهُ الكهربائية تنير بيوتنا وفونوغرافهُ ينقل اصوات الاغاني الايطالية الى غابات افريقية واصقاع السكا وسينماتوغرافهُ يرينا صيد الاسود في قلب المدن

والاوتوموبيل ابن الامس لكنهُ بلغ من توسيع الاميركيين في عمله ان معملاً من معاملهم يصنع ٥٠٠ اوتوموبيل في اليوم ومعملاً آخر يصنع اوتوموبيلين في الدقيقة وكلها من الاتوموبيلات الرخيصة الثمن · وغنيٌّ عن البيان ان اصحاب هذه المعامل انفقوا النفقات الطائلة على البحث العلمي الذي اوصلهم الى استنباط ما يلزم من الآلات والادوات لعمل الاتوموبيل بهذه السرعة الفائقة · ويقال ان معملاً واحداً من معامل اطارات السعك ينفق مئة الف ريال في السنة على البحث العلمي الصناعي

وما من فرع صناعي ينظر اليهِ الاميركيون بعين الافتخار وهم احق بالفخر من استخدامهم شلال نياغرا لتوليد الكهربائية والقوة واستخدامها في الصناعة · واول صناعة استخدموها فيها هي سبك معدن الاليومينيوم فان هذا المعدن اكتشف في المانيا سنة ١٨٢٨ وكان استخراج الرطل المصري منهُ يقتضي تسعين ريالاً سنة ١٨٥٥ فهبط الى ١٢ ريالاً سنة ١٨٨٦ · والطريقة الاميركية خفضت النفقة الى ٤ ريالات سنة ١٨٨٩ · ثم اكتشف هول في اميركا وهرولت في اوربا ان الكريوليت يُصهر بسهولة بحرارة معتدلة ومتى صُهر اذاب الالومينيوم كما يذيب الماء الغالي السكر والملح · وفي اواسط سنة ١٨٩٥ شرعت شركة بتسبرج تستخرج الاليومينيوم بواسطة الكهربائية المستخرجة من شلال نياغرا فهبط

ثمنهُ حتى صار ثمن الرطل منهُ نحو اربعة غروش ونصف غرش سنة ١٩١١ وبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ في السنة ٤٠ مليون رطل

ومن هذا القبيل عمل السنباذج الصناعي Carborundum والسلمياجين الصناعي وكربيد الكلسيوم ونحو ذلك من المواد وكلها تصنع بآلات تديرها قوة الماء المنحدر من شلال نياغرا

واهم من ذلك كلهِ البحث العلمي الصناعي الذي آل الى اتحاد نيتروجين الهواء بالكلس ونحوهِ من المواد لتركيب السماد الكيماوي والنترات على انواعها

واستنباط غايلي لاستعمال الهواء الجاف في الاتانين قلل نفقات سبك المعادن ١٥ مليون ريال الى ٢٩ مليون ريال سنويًّا في اميركا وقد بيَّن الاستاذ شندلر ان استعمال الهواء الجاف زاد مقدار المعادن المسبوكة عشرة في المئة بتقليل الوقود

في اميركا منجم كبريت عمقهُ الف قدم تحت سطح الارض وفوقهُ طبقة من الرمل سمكها ٥٠٠ قدم وقد حاولت شركة نمسوية وشركة فرنسوية وشركات كثيرة اميركية استخراج هذا الكبريت فعادت كلها بالفشل فجاء احد العلماء سنة ١٨٩٠ وارتأى ان يصهر الكبريت في مكانهِ بان يغلى الماء فوق درجة الغليان وينزَّل اليهِ الكبريت بانابيب كبيرة فيها انابيب داخلية ثم يرفع الكبريت المصهور بالطلمبات وفي التجربة الاولى استعمل آلة بخارية قوتها ١٥٠ حصانًا والآن يصهر هذا الكبريت ويرفع الى وجه الارض بقوة الهواء المضغوط من غير طلمبات. وهناك بئر واحدة يستخرج منها كل يوم ٤٥٠ طنًّا من الكبريت ويستخرج من الآبار كلها اكثر من مقطوعية المسكونة كلها فالكبريت الذي كان فوقهُ طبقة من الرمل سمكها ٥٠٠ قدم ويتعذر الوصول اليهِ بسببها وصل الاميركيون اليهِ بحيلهم العلمية وغنوا بها العالم من كل ما فيهِ من مناجم الكبريت

ومن هذا القبيل توصل العلماء الاميركيين بالبحث العلمي الصناعي الى تنقية بترول كندا واوهيو من الكبريت الذي كان يخالطهُ فانهم جعلوا يستقطرونهُ مع اكسيد النحاس فيتحد النحاس بالكبريت وينقى البترول منهُ ويخرج مثل اجود انواع البترول الخالية من الكبريت ثم يشوى كبريتيد النحاس فيطير منهُ الكبريت ويستخرج النحاس الصرف والآن يستخرج من آبار اوهيو ٩٠٠٠٠ برميل من البترول النقي كل يوم وثمن البرميل من البترول غير النقي ٢٨ مليماً ومن النقي عشرون غرشاً فما يستخرج في اليوم يزيد ثمنهُ بهذه الواسطة اكثر من ٧٧ الف ريال

لا تزال الولايات المتحدة الاميركية بلاداً زراعية والزراعة ام معايشها وتبلغ قيمة مزارعها او املاكها الزراعية اثنين وار بعين الف مليون ريال او ٨٤٠٠ مليون جنيه وكل يوم تزيد هذه القيمة ملايين من الريالات ولذلك كان اهمّ اعمال الحكومة في البحث العلمي الصناعي مرتبط بالزراعة وعندها عشر دوائر مختلفة لهذا البحث وكلها متجهة الى جهة واحدة وهي زيادة الكسب من الزراعة و يعرف اتساع اعمالها من انها انفقت على طبع مطبوعاتها فقط في السنة المالية التي انتهت اخيراً ٩٩٠٠٠٠ ريال ورجالها منتشرون في كل الدنيا وتبلغ نفقاتهم في السنة ملايين كثيرة من الريالات . فدائرة البحث في التربة ودائرة البحث في النبات ودائرة البحث في الحيوانات ودائرة الاهتمام بالغابات زادت ثروة البلاد الوف الملايين من الريالات . ودائرة الكيمياء عظيمة النفع في اهتمامها بمنع الاطعمة المغشوشة او الفاسدة و يحصل نفعها بكل احد كل يوم سواءٌ كان في منع الطعام المغشوش او في منع الاطعمة الفاسدة من مخاطرة الاطعمة السليمة . ودائرة الطرق العمومية تبحث بحثاً علمياً صناعياً عن افضل السبل لرصف الطرق رصفاً يمنع حفرها ولانشاء الكباري

وفي كل ولاية من الولايات ادارات مخصوصة للمباحث الزراعية تنفق عليها نفقات طائلة فتستفيد منها فوائد لا تقدَّر . فدائرة البحث الزراعي في كليفورنيا تختصُّ بها ارض مساحتها ٥٤٠٠ فدان ولها بناء بلغت نفقات اقامتهِ مليون ريال وقس على ذلك دوائر البحث الزراعي في سائر الولايات

وما يقال في دائرة الزراعة يقال في دوائر الصيد والمعادن والتجارة وما اشبه فانها كلها تستخدم كبار العلماء والباحثين وتنفق النفقات الطائلة في سبيل المباحث العلمية الآئلة الى زيادة الثروة والقوة ومنع الاسراف والتبذير في استعمال خيرات الارض وقواها

والشركات الكبيرة والبيوت التجارية تعمل عمل الحكومة من هذا القبيل في استخدامها لكبار الكيماويين والباحثين وانفاقها النفقات الكثيرة في سبيل البحث العلمي الصناعي وقلما ينقص ما تنفقهُ الشركة من هذه الشركات في هذا السبيل عن ٣٠٠٠٠٠ ريال في السنة . وشركة الفولاذ تنفق على البحث في فرع واحد من فروعها هذا المبلغ

ولا تقل نفقات المدارس الكلية والجامعة على المباحث العلمية الصناعية عن نفقات الحكومة والشركات في هذا السبيل وكلها ترمي الى غرض واحد وهو زيادة الثروة والقوة وتقليل التلف والتبذير فلا عجب اذا نال الاميركيون اكبر سهم من الثروة والمنعة ورأينا كثيرين منهم يعتزلون الاعمال في كهولتهم و يضربون في البلدان للنزهة

مبدأ الاتصال

تتمة خطبة السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

البيولوجيون (علماء الحيوان) في موضوعهم تم العلماء واشتغالم به يثير الهمة والرغبة في نفس كل من يرشدونهُ الى مشاركتهم في البحث . والاكثرون منهم ينصّون على البحث تضييق نطاقهِ لا لا بالتوسع فيهِ حتى يشمل ما يتصل بهِ كأن التوسع في البحث لا يلتئم مع التدقيق وامعان النظر ولذلك ينكبون عنهُ . وقد يكونون مصيبين في حكمهم ولكن الكار المباحث الاخرى ليس الذنب فيهِ عليهم بل على من يفسر العوالم بغير معناها ويقدم حجة ودليلاً في امور لا علاقة لهم بها . وليس هذا سبيل من يتوخى فهم حوادث الكون باوسع معانيهِ ولا هو سبيل العلماء لان هؤلاء يعلمون ما صار معروفاً وما لا يزال مجهولاً فيعتمدون على الاول ويحسبون حساب الثاني ولا ينفونهُ ولا ينقدون عمل عالم مشتغل بعلم واحد مفتاحاً لتفسير معنى الكون كلهِ

من الامور التي يُرى انها مؤكدة ان ظواهر الحياة لا تظهر في ارضنا من غير مادة ولذلك قيل « ان المادة تتضمن كل الصور التي تظهر فيها الاحياء » اذا كان المراد بذلك ظواهر الحياة الارضية فالقول صحيح لا غبار عليهِ لانها لا تظهر الأ بواسطة المادة وقد قيل انهم « لا يرون في الجسم الحي غير نواميس الكيمياء والطبيعيات » . وهذا صحيح ايضاً لان الذين قالوا هذا القول كانوا يبحثون عن المظاهر الكيماوية والطبيعية التي في الاجسام الحية ولم يكونوا يبحثون عن الحياة بالذات اي عن الحياة والعقل والوجدان — بل كانوا قد اخرجوها من بحثهم . المادة هي التي ندرك وجودها بحواسنا والبحث المادي من متعلقات العالم المادي لا كفلسفة بل كسبيل البحث وكل ما سواهُ هو من مدار آخر يُوصل اليهِ باساليب اخرى . فيستحيل علينا ان نفسّر الامور النفسية بالنواميس الطبيعية والكيماوية ولذلك يميل البعض الى نفي وجودها الأكلي . عارض ولكن هذا النفي ليس من العدل في شيء

فاذا قام المشتغلون بالعلم ونفوا وجود ما يخرجونهُ من بحثهم وجب ان لا نقبل قولهم بل نعترض عليهِ بما نراهُ من الاختبار فانا احياء وفينا حياة وعقل ووجدان . نعلم ذلك مباشرة لا بقول قائل ولا بناء على تجربة مجرّب ويعلمهُ كل ابناء نوعنا . والولادة والموت والتزاوج ليست من مباحث البيولوجيين بل من مباحث الانسانية وقد كان الناس يعلمون بها قبلما فهموا

حقيقتها وقبلما عُرف شيء من قواعد العلوم الطبيعية . ان علماء الطبيعة وعلماء النفس وغيرهم يجربون تجاربهم في الناس فيبينون كيفية هضمنا للطعام وما يرافق الارادة والشعور والتفكير من الاعمال المادية ولكنهم لا يصلون الى ما يتسلط عن الارادة والشعور والتفكير

اذا قال لكم احد الفلاسفة انكم غير موجودين او ان العالم غير موجود او انكم آلات مجردة لا ارادة فيها وكل اعمالكم نتائج اسباب خارجية وانتم غير مسؤولين عما تعملون فلا تقبلوا قوله كحقيقة مقررة بل اسألوا عن صحته اثني عشر شاهداً عدلاً من الذين لم تتقيد عقولهم بدرس موضوع واحد . كثيراً ما يخطئ الانسان في تفسير ما يراه وفي استنتاج النتائج منهُ ولكن لا مانع يمنعهُ من ان يبني حكمهُ على الحوادث المجردة التي يختبرها بنفسهِ . قد نخطئ في حقيقة ما نراه فنرى النجوم على كبرها نقطاً صغيرة في كبد السماء ولكن لا يحتمل اننا نخطئ في قولنا اننا نراها . ومثل ذلك معرفتنا بوجود الوجدان والارادة فينا فاننا نشعر بوجودهما كما نشعر بوجود الحركة والقوة

العامي لا يفهم اسلوب الرؤية اي الاعمال الطبيعية التي تحدث بها فلا يعلم انها نوع من نقل التموجات بواسطة الاثير ولا يعلم شيئاً عن الاثير وتموجاتهِ او نبضاتهِ وعن شبكية العين وما فيها من الاعصاب ولا عن اعمال الاعصاب والدماغ ولكنهُ ينظر ويسمع ويلمس ويريد ويفتكر ويشعر . وهذا ليس من قبيل الاخذ بقول العامة وترك قول الفلاسفة بل هو من قبيل الاخذ باختبار الناس مدة قرون لا تحصى

كيف اتصل الوجدان بالمادة . وكيف تتسلط الحياة على القوى الكيماوية والطبيعية . وكيف تتحول الحركات الميكانيكية الى شعور . هذه كلها امور عويصة ولا بدَّ من درسها قبل الوصول الى حلها . ولكن لا شبهة في وجودها . وما صعوبة حلها بدليل على نفيها . لا محل للحياة والعقل في علم الفسيولوجيا ولكن لها محل في غيره من العلوم . ولا يحسن بنا ان نخرج امراً من الامور من دائرة البحث قبلما نبحث فيهِ . فالاثير لا نشعر بهِ بمشاعرنا ولذلك حمل البعض يقولون انهُ غير موجود . وكثيراً ما يقال هذا القول عن العقل . والحياة لا ترى في المعامل الكيماوية الاَّ بمظاهرها الطبيعية والكيماوية ولكن لا نجد لنا مندوحة عن القول بانها ترشد الاعمال الطبيعية او انها تعمل بغيرها ولا تنفعل

ولا حاجة بنا الى البحث في الاحياء الميكروسكوبية او غيرها من الحيوانات غير المألوفة اذا اردنا فهم اعمال الحياة بل حسبنا ان نلتفت الى انفسنا وننظر في اعمالنا كاجسام حيَّة فان كل شيء موجود ووجوده يفضي الى الموجودات بنوع عام . واذا كان العقل والارشاد

والقصد غير موجودة كلها لاننا لا ندرك وجودها بمشاعرنا فكيف نرى العالم اذا حُجب سائر الناس عن نظرنا وبقيت نواميس الطبيعة جارية مجراها

لنفرض ان كائناً من الكائنات رأى هذه الارض وكل ما هو جارٍ فيها من الاعمال ولكنهُ لم يستطع ان يرى الناس الذين فيها فانهُ يصف الاعمال التي يراها كما نصف نحن اعمال الحياة . يلتفت الى كبري (جسر) الفورث [1] مثلاً فيرى بقلات (ركائز) تصعد من الماء وتتفرع من اعلاها حتى تلتقي الواحدة بالاخرى وينصب فوقها جسر متصل من الضفة الواحدة الى الضفة الاخرى وتدبُّ على هذا الجسر اشباه كالحشرات من طرف الى طرف لغير سبب ظاهر او يلتفت الى النيل ويرى فائدتهُ للقطر المصري ثم يرى شيئاً يتولد على احدى ضفتيهِ فوق اصوان والحجارة الكبيرة تقلع من الارض وتطير في الجو ثم يقع احدها الى جانب الآخر حتى يتكون من ذلك سد منيع يسد مجرى النيل من الضفة الواحدة الى الضفة الاخرى . باي قوة نهضت تلك الحجارة ووقفت في اماكن مخصوصة . يقول لاداعي للتفتيش عن قوة خارجة عن نواميس الميكانيكيات والطبيعيات ولا صعوبة في تعليل انتقال القوة فان الحصاة كانت في آتيها وفيها قوة مذخورة وهذه القوة اتصلت الى الحجارة فاقتلعتها ونحتتها ونقلتها وبنت بها سد اصوان ولم تخلَّ بناموس من النواميس الطبيعية . وليس في هذا العمل شيء من بُعد النظر لان السد رفع ماء النيل فملأَ ارضاً واسعة واتلفها وغمر بناء جميلاً وسدَّ طريق الملاحة ولو لم يتفق ان بقيت في السد عيون ينصبُّ منها الماء رويداً رويداً فيروي اراضي القطر المصري ربَّما زاد انتظامهُ عمَّا كان قبلاً

وان قلنا لهُ ان مهندساً انكليزياً اسمهُ بنيامين باكر كان مقيماً في لندن لهُ يد في بناء هذين السدين قال لنا انكم تقولون المحال ويكفي لفساد قولكم ان هذا الرجل لم يكن موجوداً عند نهر الفورث ولا في وادي النيل والشيء لا يفعل حيث لا يوجد . وان كنا نرى ان الحل الحقيقي الذي يجب ان يلجأ اليهِ ذلك الكائن الذي رأى كبري الفورث وسد اصوان يبنيان هو ان الباني لها قوة لا يراها او فاعل لا يراهُ . ثم ان نسبة الاعمال الى عامل مجهول غير محدود كالقوة الحيوية لا يفيد معنى محدوداً واما نسبتها الى القوى الميكانيكية والطبيعية التي يمكن قياسها فاقرب الى الفهم ولكن القوى الميكانيكية وحدها لا تكفي

والذي نراهُ في هذين المثالين هو اشتراك العقل مع المادة اشتراكاً فعلياً واضحاً اي

---

(1) نهر في اسكتلندا عليهِ كبري (جسر) كبير هندسهُ السر بنيامين باكر الذي هندس سد اصوان

استخدام خواص المادة والقوة لمقاصد قصدها العقل وتمت بحركة عضلات ارشدتها الارادة

قد يقال لنا ان هذا التمثيل لا ينطبق على ما نحن فيه لان كبري الفورث وسد اصوان رسمت لها الرسوم والبيا لاغراض معلومة واشتغل العقل باقامتها فلا مشابهة بينهما وبين الاعمال الآلية الذاتية

اما البيولوجيون المتطرفون الذين انتقدتهم فيقولون او يجب ان يقولوا اذا لم يحيدوا عن مبادئهم انهُ لا يوجد غير عمل الكيمياء والطبيعيات في كل مكان وان الاعمال العقلية الظاهرة في ذينك البنائين وهمٌ خادع او عرض مفارق وان النواميس الكيماوية والطبيعية كافية لعمل كل الاعمال

ثم انها تعمل وتكفي العمل ولكن الى حد محدود. فبها نعلل احمرار الشفق وارتفاع الجبال وكثيراً من مظاهر الاحياء. ولكن هل يُعلَّل بها كل شيء تعليلاً تاماً هل يمكننا ان نعلل بها شعورنا بالسرور والابتهاج وادراكنا محاسن الطبيعة وظهورها فيها. الا تدلُّ هذه الامور على وجود شيء اقتضى كل هذا الجهاد في الكون

لا شبهة ان في الاشياء الطبيعية معنى اسمى من المعنى الذي يظهر لنا وان ما ننسبهُ اليها من المعاني والاغراض ليس هو كل المراد بها اذا نظرنا الى ريشة من ريش ذنب الطاووس وتأملنا كل زغابة من زغبها وما فيها من الالوان المختلفة التي تتم مع غيرها العيون الملونة التي ترى في ذنب الطاووس او اذا نظرنا الى كل شعرة من شعر حمار الوحش المخطط وعلمنا انها بما فيها من الالوان تتم مع غيرها خطوط بدنهِ اي ان كل زغابة من زغب ريش الطاووس وكل شعرة من شعر حمار الوحش مصنوعة وملوَّنة لكي يتم بها الشكل البديع الذي يرى في ريش الاول وجلد الثاني صعب علينا ان نفسر كيف انتظمت تلك الالوان بفعل ميكانيكي محض كما يصعب علينا ان نقول ان قناطر كبري الفورث نشأت واعتنت من نفسها بفعل ميكانيكي وحجارة خزان اصوان قلعت ونُحتت وسارت الى المكان الذي بنيت فيهِ من نفسها بفعل كيماوي . نقول ان الازهار تغري الحشرات بالوانها لكي تكون واسطة لتلقيحها . والاثمار تغري الحيوانات بطيب طعمها كي تأكلها وتفرق بزورها وهذان التعليلان صحيحان ولكنهما لا يفسران كل ما يتعلق بالاثمار والازهار فان جمال الازهار لا يلزم كلهُ لاغراء الحشرات ولا لتعليل تلقيح الازهار. وتفريق الاثمار لا يكفي لتعليل الجهاد الذي نراهُ بين الاحياء . لماذا تجاهد الاحياء لاجل حياتها لا بدَّ من سبب لذلك ولا بد من غرض يرمي اليهِ ارتقاء الاحياء. وهنا نصل الى غرض الوجود ومعنى النشوء

لقد عُلمت الوسائل التي تستعملها الموجودات لحفظها او عل بعضها على الاقل ومنها الانتخاب الطبيعي . ولكن ان كان الغرض من جمال الازهار اغراء الحشرات فما الغرض من جمال الغيوم ومناظر الجبال والوهاد وما فائدتهُ . والعلوم الطبيعية لا يهمها الجمال ولكن الجمال موجود لا ينكر وليس من غرضي البحث في ذلك ولكنني ارى انهُ يجب عليَّ ان اذكركم واذكّر نفسي ان ما عرفناهُ لا يتناول كل ما معرفتهُ ممكنة او كل اسرار الكون واذا تبنا خطة الانكار وقلنا اننا نستطيع ان نرد كل شيء الى نواميس الكيمياء والطبيعيات قيّدنا انفسنا بقيود ضيقة وحرمنا عقولنا مما هو حق واجب لها . وخير من ذلك ان نقف بالاحترام موقف الشاعر الشرقي ونقول معهُ

الكون يخرك خاشعاً متذللاً ونجومهُ في فلكها بكّاء (١)

قوانا محدودة . حواسنا لم تألف الاَّ المادة التي تشعر بها . ولا شيء غيرها نستطيع ادراكهُ . وعضلاتنا واعصابها صالحة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها ولا نقدر ان نفعل شيئاً آخر في العالم المادي . ودماغنا واعصابنا تربطنا ببقية العالم الطبيعي . فحواسنا تنبئنا بحركات المادة واوضاعها وعضلاتنا تمكّننا من تغيير تلك الحركات والاوضاع . هذا جهازنا لحياتنا الارضية وما تاريخ الانسان سوى اخبار ما فعلهُ بهذه القوى الطفيفة التي أُعطيها

ودماغنا الذي يربطنا بغيرنا من العالم المادي على اسلوب لا يُعلَم حتى الآن ظنَّ البعض انهُ يفصلنا عن العالم العقلي الروحي الذي نحن منهُ فعلاً ولكننا فُصلنا عنهُ لزمن وجيز ولسبب خاص . اتصالنا بالمادة مفيد لنا من بعض الوجوه وفيهِ عقبات ومصاعب ولكنها لا تخلو من الفائدة لانها تدعونا للجهاد واعمال العزيمة

بالمادة يعرف كلٌّ منا بوجود الآخر وبها نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا من حيث التعبيرُ عنها بما نعبر بهِ نحن عن افكارنا إما بحركات تموجية كما في الكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير فنتخاطب ونتفاهم . وقد الفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي واخواتها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وان كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة خرقٌ لحرمة العلم

ثم ان اجسامنا هي الوسائل العادية لاظهار انفسنا الواحد للآخر ما دمنا في هذه الحياة الدنيا . واذا ابيت الاعضاء التي نعمل بها افعالنا المادية صعب علينا التعبير عن افكارنا واظهار

(١) [المقتطف] الترجمة الحرفية « العالم يقف خاشعاً وعيناهُ تنظران الى قدميك ونجومهُ صامتة كلها » ولا ندري من اي لغة شرقية هو فنظمناهُ بما تقدَّم

مقاصدنا . ولجلاء ذلك صرنا نظن ان وسائل التفاهم هذه هي كل الوسائل التي في حيز الوجود وانّا لسنا سوى آلات ميكانيكية يُعرَف بها وجودنا . ثم انا نعلم ان الآلات تستخدم القوى المعروفة وهي خاضعة لكل نواميس الكيمياء والطبيعيات وعلى ذلك نبني حكمنا على ماهيتنا وعلى استحالة وجودنا مستقلين عن هذه الاحوال الزمنية والافعال المادية . وليس لنا سلطة الاّ على الاجسام المادية ولا نعرف وجود غيرها معرفة فعلية ولا نرى ان لنا اتصالاً فعلياً بغيرها فكل ما نستفيدهُ عمّا يتعلق بها قد يكون صحيحاً . ولكن اذا تخطينا هذا الحد وانكرنا وجود عالم آخر غير العالم المادي الذي نعرفهُ لان ليس فينا مشاعر تشعر به او لانهُ مالئٌ كل شيء كالاثير حتى يتعذَّر الشعور به فنكون قد حرمنا قوانا عمّا تستطيعهُ واستعملناها لإعلالنا

ولكن اذا تعلمنا من العلوم الطبيعية ان الشعر امر اصلي فنكون قد تعلمنا علماً كبيراً لان النشوء حقيقة ثابتة لا غش فيها والعالم يرتقي بمرور الزمن . والزمان والمكان والمادة امور مجردة ولكنها حقيقية اثبتها الاختبار والزمان محور النشوء

كم من قرون قد خلت حتى تحققت الاراءُ

انما نجرّد من الاشياء الحية المتحركة صورة كلية نسميها مادة ونجرد من توالي الحوادث امراً نسميهِ زماناً ومتى اتحد هذان المجردان وفعلا وتفاعلا قلنا انهما شيءٌ يفيقي . والنشوء يقتضي ان يكون الزمان شيئاً حقيقياً فاذا لم يكن كذلك اي اذا كان الزمان فرضاً لا حقيقة لهُ انتفى النشوء

وعندي ان الوجود المادي كلهُ انتقال مستمر من الماضي الى الحاضر والفعل منهُ انما هو الحلقة التي نحن فيها فالماضي موجود لم يتلاشَ ولكن وجودهُ في ذاكرتنا والمادة سجلٌ لهُ والحاضر مبني عليهِ والمستقبل متولد من الحاضر وهو نتيجة النشوء

والوجود كلهُ مثل ثوب منسوج على نمط معلوم تقع ورقة مخرَّمة في نول الزمان حسب الاشكال التي تريد ظهورها في النسيج فيأتي النسيج جميلاً او قبيحاً حسب انطباقهِ على الرسم المرسوم او مخالفتهِ لهُ وعندي ان هذا هو سبب ما يرى من الخلل في اعمالنا ولا بدَّ من ذلك ما دمنا احراراً

فكون الانسان حرًّا ليحسن او ليسيءَ ليس من الاوهام الباطلة بل هو حقيقة ثابتة[1] والعقلاء مسؤولون عمّا يفعلون ومتى اتسع الاختبار سهلت معرفة ما ينسج ولو لم يكن

(1) وهذا يوافق قول الشاعر
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

شكلهُ مقدوراً محتوماً . وما من شيء يتعذر تغييرهُ الأ مرور الزمن . النسيج لا بدَّ من نسجهِ ولكن شكلهُ غير محتوم ولا معيَّن

اذا كان البحث محصوراً في المادة غير الآلية فقط فكل شيء محتم وجارٍ على نمط واحد ولكن حالما يدخل الشعور في المادة تظهر فيها قوًى اخرى وتؤَثر اعمال الجزء الحاوي للشعور في بقية الجسم ويكون الارشاد حينئذٍ من الداخل لا من الخارج ويبقى الارشاد داخلياً على الدوام . وما نحن سوى جزء صغير من هذه القوة المرشدة ولكننا لسنا جزءًا يُستخف بهِ

والارتقاء حسب سنة النشوء امر واقعي كبير الشأن . وما اجتهادنا في اصلاح حال المجتمع الانساني الأ فرع من فروع النشوء العام فرع ذو شعور يعلم ما ينو بهِ وما يرمي اليهِ ولذلك فالنشوء غير خالٍ من القصد لانا نحن جزء منهُ والقصد ظاهر في اعمالنا ونحن شاعرون بهِ

إما اننا خالدون او غير خالدين وقد لا نعلم مصيرنا ولكننا نعلم ان لنا مصيراً ونحن صائرون اليهِ . والذين ينكرون ذلك معرَّضون للخطإ مثل الذين يثبتونهُ لان الانكار إثبات في صورة سلبيَّة . والناس ينظرون الى رجال العلم مرتشدين بهم فيجب عليهم ان يحذروا من تضليل الذين يلقون اعتمادهم عليهم . وقد لا يستطيع العلم ان يكشف مصير الناس ولكن يجب ان لا يلقي الحجب عليهِ حتى يحول دون اكتشافهِ والاشياء هي هي سواء عرفناها او لم نعرفها فاذ تسرَّعنا في الحكم ونفيناها فلا بدَّ من ان يكتشف الخلف خطأنا اذا اهتمَّ بنا . وانا من الذين يعتقدون ان العلوم الطبيعية ليست محدودة في مدارها كما يظن البعض وانهُ يمكن التوسع فيها والوصول بها الى العالم الروحي واكتشاف نواميسهِ . دعونا نحاول ذلك . انصفونا وامهلونا . دعوا الذين يفضلون البحث المادي يجرون في مباحثهم على ما يريدون ولكن لا تمنعونا من البحث في العالم الروحي ولننتظر لمن يكون الفوز اخيراً . اساليبنا في البحث مثل اساليبهم وان اختلفت مواضيعنا عن مواضيعهم فلينصف كلٌّ منا الآخر ولا يحتقرهُ

هل البداهة والالهام من الحقائق او من الاوهام . يقول البعض هذا ويقول البعض ذاك ولكن لا يجوز انكارهما من غير دليل ولاسيما لان ادلة اثباتهما قد تكون خفيةً او مجهولة لا تظهر في هذا الزمن . وللامور الباطنة وجود فعلي وان لم تكشف علاقتها بالعلوم الطبيعية حتى الآن . وهي مخالفة للعلوم الطبيعية ولكنها غير مناقضة لها . وكل ما لهُ وجود فعلي يجب ان يكشف وجودهُ ويبحث فيهِ بالوسائل الصالحة لهُ . وان كانت الاصوات التي

سمعها سقراط وسمعتها جان دارك حقيقية نفي مما يمكن ادراكه

ومع اني اتكلم بلسان اهل العلم الطبيعي كمثل العلوم الطبيعية لا احجم عن ذكر خلاصة اعمالي في المباحث النفسية التي توليتها منذ ثلاثين سنة الى الآن . وليس هذا محل للتفصيل ولا لذكر الحوادث التي مرَّ بها بعض اخواني العلماء ولكنني لا انسى ان القول الذي اقوله يجب ان لا يلقى على عواهنه لانهُ لا ينسى بل يبقى ويتقدمهُ اناس يأتون بعدنا ويكونون اوسع علماً منا فرأيهم الواقف امامكم غير مقيد بما يراه العلماء الآن . ويقضي عليَّ الانصاف لنفسي ولمعاصريَّ ان أتيب سامعيَّ باتي اعتقادنا بان بعض الحوادث التي يقال انها من قبيل الوهم يمكن البحث فيها بالاساليب العلمية بل ان بعضها انتهى بان الذاكرة والمحبة ليستا خاصتين بالمادة لا تظهران الا بها في هذه الدنيا وان ذاتية الانسان تبقى بعد ما يموت جسده .

وقد ثبت لي ان النفس المجرَّدة من الجسد قد تؤثر فينا في بعض الاحوال ونحن في الجسد فتصير موضوعاً للبحث العلمي وانا ارجو ان يبلغ يوماً ما الى فهم شيء من احوال وجود اعظم من وجودنا هذا ولعلهُ انمى وتفهم ايضاً طرق التخاطب معهُ . وقد تجشم بعض الباحثين مشقة البحث في هذا الموضوع على صعوبته

وعندي شيء آخر اقولهُ . وهو ان اساليب البحث الطبيعي ليست كل الاساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق ولو كانت هي اساليبنا المعروفة التي نعتمد عليها

لا يزال كثيرون من رجال العلم معادين للعلوم الدينية بسبب تطرُّف اصحابها الذي عاق اسلافنا الشيء الكثير منهُ فانهم اضطروا ان يجاهدوا لكي يتاح لهم البحث عن الحقائق حسب الطريقة التي ارادوها . وذلك الجهاد كان امراً ضرورياً ولكن بقيت منهُ في النفوس آثار سيئة احدها هذه الكراهة بل هذه العداوة للامور الروحية

ولا يحق لنا ان نقول ان الناس لم يشرعوا في معرفة الحقائق الا منذ بضعة قرون فان ما كان يدركهُ ذوو القرائح الوقادة كالشعراء والانبياء والاولياء قبل عصر العلوم الطبيعية لهُ شأن كبير لا ينكر . ولا شبهة في ان اولئك الرجال وصلوا الى اعماق النفس ولكن الكتبة والفريسيين او من كان مثلهم لم ينظروا نظرهم فاضطهدوهم ورجموهم بجهلهم وعنادهم واخيراً عقد النصر لنا في هذا العصر الجديد فالتقطنا الحجارة التي رُجم بها اسلافنا وقد يحملنا الحق على اقتفاء خطوات راجميهم . فلا نرتكبنَّ ما ارتكبوهُ من الخطإ حاسبين ان سبيلنا هو السبيل الوحيد لاستجلاء غوامض الكون وكل ما سواهُ جهل وضلال . فان الكون اوسع جداً مما نظن ولا تكشف خفاياهُ كلها بطريقة واحدة

ايها الاخوان لقد اتفقنا على حقائق العالم الطبيعي كما كشفها العلم الطبيعي فلنكن امناء على ما اتفقنا عليه

الدين الحق اصوله راسخة في اعماق النفس وفي حقائق الاشياء ولا عجب اذا لم نصل اليه باساليبنا العلمية لان اعمال الله كلية شاملة غير محصورة ولا مقيدة ونحن لا تصل اساليبنا العلمية الا الى معرفة الجزئيات فلا تدرك الاشياء الا اذا رأينا فيها تغيراً او توقفاً او انفصالاً . ونحن صم عمي عن كل عظمة دائمة ما لم تقوَ بصيرتنا حتى نرى في ثوب الوجود الخارج من نول الابدية حلة الله سرمدي سائرة نحو الكمال

المرأة والعمل

لا شيء أدعى الى حيرة المتأمل في نظام هذا الاجتماع من جمعه بين طرفي الافراط والتفريط من ضروب المتناقضات . فمن نظر الى حال المرأة في نظام هذه المدنية الحديثة لا يسرّه من ارتقائها امر حتى تبكيه من انحطاطها امور كأن ناموس رد الفعل في شأنها آخذ مأخذه على اقوى تأثير واشد ظهور . فانها ما كادت تنشط من عقال ذلك الذل القديم والاستعباد الذميم وتنشق نسيم الحرية في رياض الامال حتى اعادتها الحضارة الاوربية الى مظالم من القسوة والغلظة تعبث بكرامتها المعنوية وتهد هيكلها الملكي اللطيف هادماً لا بد ان يفضي دوامهُ الى انحطاط النوع البشري بينا هو يبغي الارتقاء

والعقلاء في تعليل هذه العواقب الوخيمة فريقان . الاول يذهب الى ان غلوّ المرأة العصرية في مطالب مساواة الرجل وانبعاثها في طرق السَّرف والترف هما علة هذا الشقاء فهي الجانية على نفسها ذلّ الطمع ومحبة الاسراف . فلو انها رضيت بما قُسِمَ لها من الحظ الطبيعي تحرص على الزرع والضرع وتقوم على تربية النسل وتدبير المنزل بعد احراز النصيب الكافي من العلم والتهذيب لدامت لها النعم وكُفيت شرّ هذه النقم . والآخر يقول ان اللوم كلهُ واقع على هذه المدنية الجائرة . فبعد ان اصبح العيش فيها حياة زحام وسباق اضطرت نساء الاوساط والعمال الى معاونة رجالهن في تحصيل اسباب المعاش عملاً بالتضامن وحفظاً للبقاء . هذا اذا لم نقل ان الرجل لما رآها تجاوزت حد المعقول في طلب المساواة له كاد لها كيد هذا التعاون في العمل المضني لقواها كأنهُ يقول اذا لم تقنعي بحقك الطبيعي فذوقي ثمرة الطاعة . ومن لم يرضَ بحقهِ اضاعهُ

ومهما يكن من تحقيق هذا التعليل فان الواقع من مشاركة نساء العصر للرجل في ضروب الاعمال البدنية خارج المنزل واقامتها سحابة النهار في المصانع والحوانيت قد ظهرت اليوم لاهل النظر والانصاف مضارُّه الوبيلة الجسيمة ظهوراً محسوساً من ضعف بنية المرأة ونقص المواليد وتعس العيش واختلال شؤُون البيت كلهِ على ما يأتي بيانهُ

هذا وان الذاكرين من القرَّاء يذكرون ان اكثر ما دار الى الساعة في جرائدنا من المناقشات في شأن المرأة ومساواتها للرجل وتعيين مقامها الطبيعي كان مبنياً على جدَل كلاميّ لا يتعدَّى حدود النظريات عما لم ينتهِ الى حكمٍ جازمٍ ولا ادَّى الى كبير امر

واما اليوم فلما لم يعُدْ للنظريات المجرَّدة ما للادلة الطبيعية اليقينية من الحكم القاطع والقول الفاصل في بيان الادواء الاجتماعية ووصف ادويتها نهض المفكرون من نطس الاطباء وتجرَّدوا للبحث في اضرار اشتغال المرأة في العمل ومسابقة الفتاة للفتى في التعليم العالي المدرسيّ واخذوا في نشر نتائج احكامهم الطبية في الاسفار الخاصة والصحف العلمية السيَّارة نافخين الصافر على نظام هذا الاجتماع مستفزّين ارباب الانسانية والاريحية من قادة الامم الى درء هاتين المفسدتين الاجتماعيتين داعين الى ارجاع ذلك الملاك الانساني الى مقامهِ الطبيعي (وحسبهم ان يقولوا « الطبيعي ») ضناً بهذه المدنية ان تتراجع الى شرّ من الوحشية والعياذ بالله . وهاك محصّل ما وقفنا عليهِ من بيان تلك الاضرار مبتدئين هذه المرة بالقسم الاول منها على ان نعقبهُ بالثاني باذن المعين فنقول

(اولاً) . اضرار وقوف المرأة الطويل في العمل

لما كان يصغر عظام الكعب والقدم في المرأة على الخصوص يمتنع معهُ حمل الاثقال الباهظة وكانت ركبتها تشريحياً ليست مساويةً لركبة الرجل من حيث احتمالها الضغط العمودي وكانت عضلات ساقها اضعف قوةً منها في ساق الرجل كانت فيها نسبة البعد بين الجذع والطرفين اقلّ منها في الرجل جرياً على ناموس الثقل — اي كلما طال مدى الساعد عن الثقل ازداد قوةً على حمل الثقل وبالعكس — فلذلك تحوَّل قوة حمل الساقين الى الظهر وعليهِ فكلُّ عملٍ يدعو المرأة الى اطالة الوقوف مؤْذٍ لها اذ ان ضغط جميع الثقل الذي تحملهُ ينصرف الى قسمٍ من بدنها حيث تزدحم الاجهزة الحيوية فتشعر بتعب حول عظم الفخذ من حمل تلك الاثقال فيورثها ذلك احتقاناً في جميع الاعضاء المحيطة بهِ . لان عادة الوقوف والوقوف على قدمٍ واحدة يضيّق دائرة العظم الفخذيّ . واكثر ما يحصل هذا التضييق للواتي لم تكن اعضاؤُهنّ الفيسيولوجية قد تكاملت واشتدَّت قبل

دخولهن المعامل . فانهُ قد عُلِمَ بالاحصاء ان متوسط اعمارهن يتراوح بين السادسة عشرة والعشرين وهو في الرجال العمال بين الخامسة والعشرين والثلاثين

اما انحطاط بدن الفتاة الى هذا الحدّ فلا تظهر آثاره في غالب الامر الا بعد خروجها من العمل وتزوجها . واما المتزوّجات فانهن يلبثن في المعامل على حال الوقوف الآنف الذكر الى ما قُبيل الولادة بساعات قليلة ولذا كانت حوادث الاسقاط في نساء المعامل اكثر منها في غيرهن وكثيراً ما يعسر لهن المخاض فيلجأن الى استعمال الآلات وفي تلك الولادة من الويلات ما فيها

ولا تقتصر اضرار هذا الوقوف على نساء المعامل بل انها تشمل ايضاً المستخدمات في حوانيت التجارة فان هؤلاء وان سمح لهن عرفاً بالجلوس تقضي عليهن حال المصلحة بامتداد زمن الوقوف حول المناضد في فسحة ضيقة المجال فتزداد بذلك اثقال رفع السلع وانزالها على حوض البدن فتثنيه . دع عنك ما يلحق بنتائج طول الوقوف من التأثير بشكل قوس القدم وتضخم الاوعية الدموية في الساق مما يؤدي الى مطل الاعصاب ولحاق الاذى بوظائف أخر ثانية

(ثانياً) . اضرار الجلوس في مقرّ واحد

قد لا تقل اضرار هذا الجلوس عن اضرار ذلك الوقوف فان قلة الحركة البدنية تضعف قوة الرئتين فيقل بذلك افراز السموم من البدن على ما هو معلوم . ولما كانت الكليتان مضطرتين الى العمل نيابةً عن الرئتين في هذه الحالة تزداد عليها اعباء هذه الوظيفة فوق الاحتمال فيتصل الضرر بما في الاحشاء من الاعضاء

ثم ان اطالة الجلوس تورث قبض الامعاء او تزيده . والقبض وان كان في ظاهر الامر من العلل اليسيرة قد يُفضي الى ادواء وعلل خطيرة الشأن مما لا يتأتى من غير القبض من الاسباب . وفوق ذلك فان من مساوئ المعامل في هذا الباب انها في غالب الاحوال لا تسهل للعاملات امر الخروج او ترك العمل لقلة عدد المرافق الكافية او لمشقة الاستئذان من نظار الاعمال من الرجال فيزداد امر القبض ضغثاً على ابالة

وقد اطال الباحثون الكلام في هذا الباب فاجملناه بقولنا ان هذا الضرر الاخير ينتهي بعاملات المعامل الى فتح القناة الهضمية والاختلال بوظيفة الافراز مما يشمل اذاه سائر البدن حتى يتأتى عنهُ علل الهستيريا وتوقف الوظائف الجنسية الى فقر الدم العام . ثم اضافوا الى اذى هذا الجلوس الطويل الزمن الضغط اللاحق باعضاء الجوف من الاكباب على آلات الخياطة او المكتب مما يمهد السبيل الى انواع من الالتهابات المزمنة في الحوض

وجملة القول ان طول الوقوف او الجلوس على حالةٍ واحدة إما ان يُورث العقم المطلق او يعرّض الولادة لاخطارٍ وبيلة العواقب

(ثالثاً) • وحدة العمل الداعية الى السأم وازهاق النفس

من شؤُون الصناعة الحديثة في المعامل انهم يعينون لكل عامل عملاً خاصاً لا يتعداهُ الى غيره • فيستمرُّ عليهِ الى ما شاء الله فيبقى كذلك على سلم الاستمرار • قالوا ان وحدة العمل وان شقَّ علينا تعيين اذاها رأساً بقوى البدن الحيوية هي من متعلقات القوى العقلية اكثر منها بالاولى • فان العمل في المعامل الحديثة ليس فيهِ حظٌّ من اللذة الفكرية والانشراح للصدر ولا يوجب الاهتمام بالمسأولية مما يستدعي اعمال الذهن من جانب العامل • فالعاملات يكثن الامد الطويل على عمل واحد اكثرهُ نتاج الآلات الجامدة • وظاهرٌ ان كل عملٍ لا يدعو الى اعمال الفكر يتعب العقل اكثر من عملٍ يتطلب فرط الفكر • فاذا اشتغل مركز واحدٌ فقط من مراكز الدماغ اتعبهُ اكثر مما لو شُغلت مراكزهُ كلها • وهذه الحالة إما ان تورث العقل الكلال او تلهب فيهِ شوقاً الى المنبهات[1]

ولا يخفى ان شدة الارتباط بين الجهاز العصبي وسائر الوظائف البدنية تقضي بان اضرار المراكز الدماغية تنعكس الى جميع تلك الوظائف • فكلال الدماغ واعياء البدن متلازمان ابداً • ومن المشهور ان كل عضلةٍ تنقبض تتناول قدراً معلوماً من النيتروجين وتفرز سمّاً يقابلهُ • وفي الحال الصحية يفرز هذا السم بواسطة الكليتين والرئتين ويعوض عنهُ بمضادٍ لهُ • فاذا اجهدت العضلات بعملها فوق الحد الضروري تراكم السم فيها فاعجلها عن الحراك وتأتي من هذا التراكم إنصابها • ولما كان العدد الوافر من العاملات يؤجرن على عدد القطع المصنوعة كما هي الحال في الخياطات وناسجات الجوارب والاقمشة ازددن رغبةً في سرعة العمل طلباً لمزيد الاجرة فاجهدن عضلاتهن سرعة واعياء فيزداد اجتماع السموم فيها حتى تكلَّ قواهن العصبية وهنَّ لا يدرين ان السمَّ في ذاك الدسم اذ كثيراً ما يؤدي بهنَّ التسمم الذاتي الى الموت الزؤام

والذي ينزل بدن العاملة من سموم العمل فوق ذاك التسمم الطبيعي ما تنشقهُ من متصعدات بعض المعادن كرائحة الرصاص المؤدية الى اذى المولود والمركبات الكيمية مما يدخلهُ

---

(1) يظهر ان هذا هو السبب الطبيعي لتكالب طبقات العمال في بلاد الغرب على انواع المسكرات • ويؤيدهُ ما نعلمهُ من حال فريق من صناع الشرق المعروفين (بصناع النول) • فانك قلَّ ان تجد منهم من لا يتهافت على المسكر في بعض نهارهِ او اسبوعهِ

عنصر الكبريت . اضف الى ذلك ما يلحق اليد من فعل الحوامض ومواد القصر والتبييض الموصلة الاضرار الى العصب ايضاً . وكذلك الغبار الثائر في المعمل فانهُ يؤدي الى جفاف الحلق فيتصبّر به السعال وينجم عنهُ ضيق التنفس الى التهابات في الصدر كثيراً ما تكون منشأ لوبالة التدرُّن فضلاً عما تقضي اليهِ رطوبة المعمل وحرارتهُ من توهين القوى بفرط العرق مما يعدُّ الجسم الى داء المفاصل والتهاب الشعب الرئوية والتدرُّن فتسو الى غير ذلك من حلقات هذه السلسلة العديدة العلل والادواء

ومما يزيد الطين بلة في شأن موهنات نساء المعامل انهنَّ قلما ينلنَ قسطهنَّ الضروري من نوم الليل المريح . وبديهي ان البدن بفضل هذا النوم يفرز السموم المتراكمة فيهِ مدى النهار فيهبُّ العامل في صباحهِ نشيطاً الى عملهِ على رغبةٍ واقبال . والاَّ فاذا لم تنلْ العضلات حظها من راحة النوم عجزت في النهار التالي عن العمل المعتاد ولم تأتِ منهُ بالقدر المطلوب . وهكذا على توالي الايام يُدرك جهازها العصبيّ الوهن والانحطاط مما يكون قد حلَّ بمراكز دماغها المتسلطة على العضلات من الاعياء المرضي والكلال المفضي وان لم تشعر بذلك في بادىء الامر . ولما كانت المرأة اكثر عرضةً من الرجل للإزعاجات العصبية كان الاخلال في وظائفها الجنسية مؤدياً الى توهين اعصابها لا محالة ثم زاد وهنُ العصب ضعفَ البدن بناموس الارتباط المتلازم المارّ الذكر بين الفريقين

اما قلة نوم اولئك العاملات فقد يكون سببهُ اقبالهنَّ على ملاهي الليل في المراقص ومشاهد التمثيل تنتيباً لضيق الصدر وطلباً لتنزيه الفكر على ما اشرنا اليهِ فيفقدنَ الأرق ويتبعهُ فقد شهوة الطعام الى ان يتفاقم خطب التعب العصبي وينتهي امر الخلايا الدماغية والعصبية بتمام الهبوط التدريج فيجر معهُ تشويش الوظيفة الجنسية وفقر الدم وهناك محطُّ البلاء ومنتهى الشقاء

ويلحق بذلك كلهِ من اذى المعمل العصبيّ دوام حركة الادوات والآلات ولاسيما بعد توفر هاتيك الاضرار السالفة البيان . فان هذه الحركة المرافقة للاصوات المزعجة تؤثر في الاعصاب تأثير النقر الخفيف المستمرّ على الفولاذ . قالت احدى فتيات المعامل مرةً انها حين تقف آلتها ليلاً تشعر كأن دويّاً او صياحاً قائماً بأذنيها دليلاً على ما نال عصبها من الاذى مدى شغل النهار

(رابعاً) . اضرار سوء التغذية لنساء العمل

ان سوء التغذية يضعف قوة العاملة الحيوية . ذلك ان الأم المتقدمة في العمل بضيق

بها الوقت عن اعداد الطعام على حال صالحة العائلة من حسن الطبخ وكفاءة التغذية . فتصبح من مخافة الطعام خائرة القوى فاترة الهمة والنشاط في تحمل اعباء عمل النهار وتدبير شؤُون البيت جميعاً . واذا فُرض ان احدى اولئك العاملات البائسات قويت بفضل البنية الفطرية على عبء الحمل والمخاض والولادة لم يعد في مقدور قوتها غذاء كافٍ لمولودها خصوصاً وان الطفل يقتضي ان يرضع مرةً في الساعتين على حين لا يسمح لامهِ ان تراهُ الأمرةً في كل ست ساعات او عشر . ومن عادة امثال هذه الأم وهي مقيدة باغلال العمل ان يستعضن عن ارضاع الطفل اللبن الطبيعي (وهو لم يتجاوز الاسبوعين من عمرهِ) بمغذيات من العقاقير او المواد المستحضرة اعداداً له وتسكيناً لألم جوعهِ . ومعلومٌ ما للاخلال بقانون الرضاعة من الآفات المهلكات الشاملة للولد والوالدة كليهما حتى اذا ما قدر لمثل هذا الطفل اجتياز طور هذا البلاء نشأ واهن القوى . ومتى حان وقت دخوله العمل ايضاً لم يكن فيهِ من مذخر القوة والعزم مايقوى بهِ على العمل بل كان اكثر استعداداً لما سبق من هاتيك العلل والادواء ولاسيما اذا كان ابنة . ومن مزيدات الاسف ان نقول ان سوء التغذية مع ما مرَّ من مزعجات الاعضاء الجنسية من اقوى علل العقم الآلية

وجملة ما يُقال في باب اخلاف النسل انهُ لما كان يطلب وقتاً وعناية لا تأذن بهما قيود العمل كانت طائفة كبيرة من العاملات زاهدةً في النسل او عاجزةً عنهُ . وقد يتعذر في كثير من الاحوال تحقيق شؤونهنَّ المتعلقة بامكان حصولهِ او الاعراض عنهُ . ولذلك كانت سائر الاسباب الاجتماعية والاقتصادية المقللة للنسل (على ما جاء في مقتطف تموز هذه السنة) اشد تأثيراً في نساء المعامل فازداد الخطب وبالاً

قال الطبيب معتمداً في اصول هذه المقالة « لو تجرأ احد منذ ١٥٠ سنة على ان يتنبأ بانهُ سيسمح للنساء بالاشتغال في المناجم والمعامل وآلات الخراطة وصقل المعادن والجري على الاقدام جري البريد والسعاة لما قابلهُ اهل تلك الايام بسوى الهزء والضحك . فماذا عسى اولئك السلف ان يقولوا لو شاهدوا اليوم المرأة ترزح تحت اثقال هذه المشاغل المتنوعة على ما وصفنا ؟ بل ألا يقول احفادنا — بعد ان تصبح هذه المساوىء سيف خبر كان — ان عصرنا هذا من عصور الوحشية والهمجية ؟ » الى ان قال . ولعلَّ ولاة الاحكام يضعون يوماً ما حداً لهذه المظالم الاجتماعية بحكم القانون حرصاً على مستقبل الجنس ولكنهُ لا يجوز للامة الصبر على الضرر والشرّ الى ان تأذن الايام باحسان الحكام » ثم قال في الختام « حتى ان المشتغلات في المدارس والمكاتب والمتجرات مهضومات الحقوق الجنسية

فينبغي ان يتصفن فيها انصافاً يعود نفعهُ على مجموع الامة . والاَّ فان هاتيك المضار واقعة على قلة النسل وضعفهِ فيؤُول شأن الامة الى الاضمحلال لا محال »

هذا ولعلَّ بعض الناظرين في هذا الشأن الخطير يقول اذن لا ندري ايّ الامرين احق بالعجب والاستغراب اتمرض ام المدنية الراقية مربية الجنس لمثل هذا الوبال في عصر الحرية والنور وهي التي تدعي بقيام مدنيتها على رقيّ المرأة ؟ ام قدام اهل البحث والعلم على تشهير هذه الحال تقبيحاً وتعنيفاً للأُمة بامرها حتى يعدوا السماح بها همجية مطلقة ؟ .

قلنا ليس في الامرين من عجب لدى المتبصّرين . اما اولاً فلان نواميس الاجتماع في الامم الدستورية جارية مجراها الطبيعي الى ان تبلغ غايتها من التفريط والافراط . وحينئذٍ فمتى ظهرت آثارها الى الحدّ الذي يقتنع فيها سواد الامة بتلك المضار ثاب اهل الضلال الى رشادهم وعادوا الى محجة الصواب . والاَّ فلا قوة من التشريع تدفع ولا هزّ الكلام للهواء ينفع . ولنا كل يوم من شؤُون اجتماعنا الشرقيّ على ذلك اسطع دليل . يظهر من احوال بعض نسائنا احياناً ما يخالف حقوق الطبع والشرع فينهض بعض اهل الغيرة والحمية الى عقد اللجان وابرام العهود على منعها بسطوة الزعامة وصولة الامامة والاستعانة بالحكام . ولكنك بعد قليل لا ترى هاتيك الصيحات الاَّ صرخات في واد او نفخات في رماد اذ لا يكون الاختبار الذاتيّ في مجموع الامة قد بلغ مبلغهُ من حق الاقتناع لردهم الى النهج القويم واما ثانياً . فلان اهل العلم الصحيح في امم الغرب قد اعتادوا حرية الفكر ومقاومة التيار العام متى اتضح لهم نور الحق في اي الشؤُون الانسانية او القومية ودفعهم الوجدان الى التصريح فعندهم نسبة الضلال الى الامة ثم الاقلاع عنهُ خيرٌ من الرضى بهِ والتمادي بالباطل المفضي الى الدمار

اما شأننا نحن الشرقيين في موضوع (المرأة والعمل) فهو موقف التشاؤُم والاعتبار من امر الاستقبال فاما ان نقتصر من رقيّ نسائنا على ما ينير البصيرة ويجلو الاوهام ويقف بهنّ عند مفاهيمهنّ الطبيعي في الامامة والزوجية والمنزليات ومعاونة الرجل في ما لا يخرج بهنّ عن التركيب الفطري المحدود فنكون قد وقفنا عند الحدّ الذي عينتهُ حكمة الحكيم الاعلى فلنا من تهذيب المرأة وحريتها الحقة افضل نصيب . واما ان يكون ناموس التقليد والمتابعة فاعلاً في المرأة الشرقية فعلهُ حتى يبلغ بها ذاك المصير والشرق آدابهُ ومشاربهُ فبشّرنا بشقاء يذهب فيهِ من منازلنا هناء العيش العائلي الذي الفتهُ طباعنا ولم يبقَ لنا الدهر سواهُ من هناء

دمشق متري قندلفت

الحروب الكبيرة ونفقاتها

أُحصي ما خسرتهُ الدول الاوربية في الحروب الكبيرة من رجال واموال منذ حرب القرم الى الآن فكان كما ترى في الجدول التالي . والاموال هي ما انفقتهُ الدول المحاربة مباشرة لا ما خسرتهُ البلدان التي شبت الحروب فيها او التي لها اتصال بها

الحرب	سنتها	خسارتها من النفوس	خسارتها من الاموال
حرب القرم	١٨٥٤	٧٨٠٠٠٠ قتيل	٣٤٠ مليون جنيه
حرب تحرير العبيد باميركا	١٨٦٥—١٨٦١	٨٠٠٠٠٠ «	١٤٠٠ « «
حرب فرنسا والمانيا	١٨٧١—١٨٧٠	٨٥٣٠٠٠ قتيل وجريح	٠٤٤٠ « «
الحرب العثمانية الروسية	١٨٧٧	روسيا وحدها	٠١٢٠ « «
الحرب الاميركية الاسبانية	١٨٩٨		٠٣٥٩ « «
حرب الترنسفال	١٩٠٢—١٨٩٩	٠٦٨٧٠٠ قتيل	٠٢٧٠ « «
الحرب الروسية اليابانية	١٩٠٥—١٩٠٤	٤٨٥٠٠٠ «	٠٥٠٣ « «
حرب البلقان			
بلغاريا		١٤٠٠٠٠ قتيل وجريح	٠٠٩٠ « «
صربيا		٠٧٠٠٠٠ «	٠٠٥٠ « «
اليونان		٠٣٠٠٠٠ «	٠٠٢٥ « «
الجبل الاسود		٠٠٨٠٠٠ «	٠٠٠١ « «

اما الدولة العثمانية فيقدر ما خسرتهُ في حرب البلقان بين قتيل وجريح بنحو مئة الف ولا يعلم مقدار الاموال التي انفقتها فعلاً ولكنها خسرت كل المعدات الحربية التي اعدتها في البلقان فوق ما انفقتهُ على جنودها زمن الحرب ولعلَّ مجموع ذلك لا يقل عن ثمانين مليون جنيه

وقد حسب الدكتور ريسر العالم الالماني في علم الاقتصاد في كتابهِ الذي وضعهُ سنة ١٩٠٩ ان المانيا تحتاج الى ٦٠ مليون جنيه في الاسابيع الستة الاولى للزحف بجنودها واساطيلها اذا اشتبكت في حرب مع غيرها من الدول الاوربية وتحتاج ايضاً الى ٥٠ مليون جنيه للمؤونة

والمبرة · ويقصر شعبها حينئذٍ من الخوف الذي يستولي على الاسواق المالية ١٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فيكون مجموع خسارتها في الستة الاسابيع الاولى من اسابيع الحرب ١٢٢ مليون جنيه ونصف مليون · واشار بان تخزن ٦٥ مليون جنيه ذهباً فوق الستة الملايين التي خزنتها من الغرامة الحربية المأخوذة من فرنسا فيتيسّر لها ان تصدر عليها اوراقاً مالية قيمتها ١٣٨ مليون جنيه التعامل بها فتكفيها مدة الاسابيع الستة الاولى وحينئذٍ يكون قد تمّ لها من النصر في المعارك الاولى ما يزيد ثقة الماليين بفوزها فيسهل عليها ان تعقد القروض في بلادها او في الولايات المتحدة وتواصل الحرب الى نهايتها · واشار بان تُصدر جانباً من نقود الورق حالاً لكي يألف الشعب الالماني التعامل بها فيستسهل استعمالها بدل الذهب حينما تقضي الضرورة بذلك · فعملت الحكومة الالمانية بمشورته وجعلت تصدر اوراقاً مالية مما قيمته ٢٥ غرشاً و٥٠ غرشاً ومرادها ان تصدر من هذه الاوراق ما مجموع قيمته ستة ملايين من الجنيهات وان تسك نقوداً فضية قيمتها ستة ملايين اخرى وتبدلها كلها بقيمتها من الذهب الذي بين ايدي الناس حتى يصير الذهب في صندوق الحرب ١٨ مليوناً من الجنيهات تخزن كلها ولا يتعامل بها ومتى نشبت حرب بينها وبين دولة اخرى يصدر البنك الالماني اوراقاً مالية قيمتها ٥٤ مليوناً من الجنيهات بضمانة هذه الثمانية عشر مليوناً

وقد كثر طلب المانيا للذهب منذ بداءة هذه السنة الى الآن ولاسيما في الاشهر الاربعة الاخيرة فكانت قيمة النقود والسبائك التي في البنك الالماني في اول هذه السنة ٥١٨٥٢٠٠٠ جنيه فصارت في آخر سبتمبر الماضي ٧٠٤٢٣٠٠٠ جنيه

ولا شبهة في ان النفقات الحربية زادت كثيراً منذ اربعين سنة الى الآن بغلاء المعيشة فقد بلغت نفقات الجندي الالماني في حرب سنة ٧٠ بين المانيا وفرنسا ٣٠ غرشاً في اليوم ونفقات الجندي الفرنسوي ٣١ غرشاً ونصف غرش في اليوم والمظنون ان نفقات الجندي الآن لا تقل عن خمسين غرشاً في اليوم · وقد بلغت نفقات الجندي الانكليزي في حرب الترنسفال جنيهاً انكليزياً في اليوم · وقال وزير الدفاع الوطني النمسوي سنة ١٩١٠ ان نفقات الجندي النمسوي وقت الحرب ستبلغ عشرة شلنات في اليوم عدا ما يلزم انفاقه على الارامل والايتام والرجال الذين يحالون على المعاش لعاهات تصيبهم وعدا ما يلزم للاسلحة والمبرة · قال « واذا اشتبك مليونان من الجنود في حرب تدوم ستة اشهر لزم لهم ١٨٠ مليوناً من الجنيهات »

واحدث حرب اوربية كبيرة حرب سنة ٧ بين فرنسا والمانيا . ولم يكن الماليون يتوقعون حدوثها فكان سعر القرض الفرنسوي ٧٣ في بورصة باريس فلما أُعلنت الحرب هبط سعرهُ الى ٦٦ وتوالى هبوطهُ حتى بلغ ٥٣ بعد واقعة سيدان . ثم وقفت حركة البيع والشراء في الاوراق المالية الاَّ اذا عُرضت بخسارة كبيرة جداً ودُفع الثمن نقداً . وخرج من بنك فرنسا بين ٩ يونيو سنة ١٨٧٠ و٨ سبتمبر نقود قيمتها ٣٢ مليوناً من الجنيهات

وكان في خزينة بروسيا عند اعلان الحرب ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه وطلبت قرضاً قيمتهُ ١٨ مليوناً فلم يكتتب باكثر من مليونين منهُ وهبط سعر سندات الحكومة البروسية من ٩٣ الى ٧٧ وهبطت اسهم الشركات الوطنية ٤ في المئة . وقد قال بسمارك بعد ذلك « انهُ لولا الاربعة الملايين والنصف من الجنيهات التي كانت في خزينة الحكومة ما استطاعت المانيا ان تزحف بجيشها وتسبق الفرنسويين بجو يومين »

وقد طلب بسمارك من فرنسا خمس مئة مليون جنيه غرامة حربية ثم رضي بمئتي مليون جنيه ونقد هذا المبلغ الطائل بمدينة لندن في مدة سنتين فنتج من ذلك ضيق شديد في كل الاسواق المالية . واذا نشبت الحرب ثانية وكان الفوز فيها لالمانيا فلا ترضى بخمس مئة مليون جنيه غرامة ولعلها تطلبها جزية سنوية لانهُ يتعذر جمع هذا المبلغ من الذهب

وقد ظهرت فائدة الاستعداد المالي للحرب في الحرب بين روسيا واليابان فان اليابان استعدَّت لها قبلما تحقق حدوثها فخزن بنك اليابان ١١٦٩٦٠٠٠ جنيه وكان بنك روسيا وخزينتها قد خزنا ١٠٥٠٠٠٠٠٠ جنيه ولما انتهت الحرب وعقد الصلح بقي في بنك اليابان ١٠٤٤٩٠٠٠ مع انها انفقت على الحرب اكثر من مئتي مليون جنيه لان الحكومة كانت تجمع الذهب دواماً وتردهُ الى البنك كلما نفد شيء منهُ اي ان الاموال التي كانت ينفقها اليابانيون وحكومتهم كانوا ينفقونها في بلادهم يشترون بها من بضائع البلاد فتخرج من البنك الى البلاد وتعود منها الى الحكومة فالبنك لم يفقد البنك من امواله كل مدة الحرب الاَّ نحو مليون جنيه . مع ان مقدار الذهب فيه هبط في شهر مايو سنة ١٩٠٤ الى ٦٨٠٠٠٠٠ جنيه . ومما ساعد على ذلك ان الحكومة اليابانية اهتمت حتى لا يزاد سعر البضائع كلها عما كان عليهِ قبل الحرب فلم يتيسَّر لاحد ان يكتسب بارتفاع الاسعار فيُستنزف الذهب من خزينة الحكومة ويجتمع عند التجار

ويظهر تأثير الحروب في الاسواق المالية من حرب البلقان الاخيرة فلم تكد دول البلقان

تشرع في تعبئة جيوشها في اواخر شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ حتى اضطربت بورصات اوربا واستولى الرعب على بورصتي فينا وبرلين في اول اكتوبر واشتد تأثيره الى بورصة باريس. ولما شهر الجبل الاسود الحرب عاد الذعر فاشتد في باريس وبرلين وفينا ووصل الى لندن فقاومته بورصة لندن اولاً وكاد يتغلب عليها يوم السبت في ١٢ اكتوبر لكن كبار الماليين اعترضوا دونه وكسروا سورته يوم الاثنين وعلم حينئذٍ ان دول اوربا ساعية لحصر الحرب في مقرها . وبقيت بورصات اوربا في حالة القلق ستة اشهر . ثم لما صممت المانيا وفرنسا على زيادة جيشيهما عاد الذعر فاستولى على الاسواق المالية وهبط سعر الاسهم والسندات بين سبتمبر سنة ١٩١٢ وآخر يوليو سنة ١٩١٣ نحو ٥٠٠ مليون جنيه وجعل الناس يسحبون اموالهم من البنوك ويخزنونها في بيوتهم فكان في البنوك التي تصدر الاوراق المالية في اول سبتمبر سنة ١٩١٢ نحو ٤٣١ ٥٤٥ ٠٠٠ جنيه لم يبقَ فيها في آخر دسمبر سنة ١٩١٢ سوى ٥٠٩ ٠٠٠ ٥١١ جنيه اي ان الذهب الذي فيها نقص ٣٣ ٩٢٢ ٠٠٠ جنيه . والمرجح ان الذهب الذي في بنوك اوربا كلها نقص في تلك المدة نحو ٧٠ مليون جنيه على الاقل سحبها اصحابها منها وخزنوها في بيوتهم خوفاً من شرّ مفاجئ واستعداداً لنوائب الدهر

والظاهر ان الدول الكبرى جعلت كلها تزيد الذهب في خزائنها او بنوكها خوفاً من امر مفاجئ، الا الحكومة الانكليزية فانها لم تهتم بذلك حتى الآن اهتماماً كبيراً كما ترى في الجدول التالي

	مقدار الذهب في آخر سنة ١٩٩٩	مقدار الذهب في آخر سنة ١٩١٠	الزيادة
بنك انكلترا	٢٨ ٢٢٥ ٠٠٠	٣٠ ٢٦٢ ٠٠٠	٢ ٠٣٧ ٠٠٠
بنك المانيا الامبراطوري	٢٢ ٣٢٥ ٠٠٠	٣١ ٨٨٣ ٠٠٠	٩ ٥٥٨ ٠٠٠
بنك النمسا والمجر	٤٢ ٨٠٤ ٠٠٠	٥٣ ٤٩٩ ٠٠٠	١٠ ٦٩٥ ٠٠٠
بنك فرنسا	٧٢ ٢٣١ ٠٠٠	١٢٦ ٥٧٠ ٠٠٠	٥٤ ٣٣٩ ٠٠٠
بنوك ايطاليا	١٥ ٣٨١ ٠٠٠	٤٧ ٧١٠ ٠٠٠	٣٢ ٤١٩ ٠٠٠
بنك روسيا	٨٧ ٨٥٩ ٠٠٠	١٢٦ ٨٠١ ٠٠٠	٣٨ ٩٤٢ ٠٠٠
بنوك الولايات المتحدة	١٣٦ ٧٧٧ ٠٠	٢٨٢ ١٤٤ ٠٠٠	١٤٥ ٣٦٧ ٠٠٠

وقد استخرج من ذهب الارض بين سنة ١٩٠٠ و١٩١٠ نحو ٨٠٧ ٤٠٠ ٠٠٠ جنيه

فوزع على الاعمال الصناعية والبنوك كما ترى في هذا الجدول

استعمل منهُ في الصناعة	١٩١٧٠٠٠٠٠
توزع منهُ في الهند	٠٨٦٦٠٠٠٠٠
« « « مصر	٠٢٩٢٠٠٠٠٠
دخل منهُ بنك اليابان	٠١٣٨٠٠٠٠٠
« « بنوك اميركا الجنوبية	٠٦٨٦٠٠٠٠٠
« « « المكسيك	٠٠٥٧٠٠٠٠٠
« « « الولايات المتحدة	١٤٥٣٠٠٠٠٠
« « بنوك كندا	٠١٧١٠٠٠٠٠
« « « استراليا وجنوب افريقية	٠١٩١٠٠٠٠٠
« « « حكومات اوربا	١٧٢٧٠٠٠٠٠
« « سائر البنوك	٥٧٦٠٠٠٠٠
والجملة	٨٠٧٤٠٠٠٠٠

اذا كان هذا شأن الذهب في احوال الممالك والقائها على الحروب واحجامها عنها فلا عجب اذا رأينا ان السلطة العليا صارت لاصحاب الذهب فيستطيعون ان يعضدوا دولة من الدول حتى تحارب غيرها اذا رأوا لهم في ذلك مغنمًا ويستطيعون ان يغلوا يديها و يمنعوها من الحرب اذا ارادوا بسحب ذهبهم من بلادها او بمنعهِ عنها كما حدث منذ سنتين لما اوشكت نار الحرب ان تشب بين المانيا وفرنسا فان الماليين الفرنسويين اخذوا يخرجون اموالهم من المانيا فغلُّوا يديها . وقد جاءت الانباء الآن انهم منعوا الدولة العلية من اثارة الحرب على اليونان لانهم انذروها بانهم لا يقرضونها شيئًا من المال اذا ثارت هذه الحرب . واذا كان هذا شأنهم وكانت هذه مقدرتهم في طاقتهم ان يمنعوا الحروب بتاتًا ولكن دلائل الحال تدل على ان لهم اليد الطولى في اثارة اكثر الحروب لكي تستدين الدول المحاربة الاموال منهم وتقف امامهم موقف الجابي تجبي الاموال من بلادها وتقدم ربا ديونهم سنة بعد سنة . ولا نبالغ اذا قلنا ان السلطة العليا صارت الآن لارباب الاموال

هذا وقد اعتمدنا في سرد الحقائق المتقدمة على مقالة في جزء نوفمبر من مجلة القرن التاسع عشر لادغار غرامنْد

السلم والحرب

(تابع ما قبله)

قال الجنرال جرانت القائد الاميركي العظيم « نشأت جنديًا وحاربت حروبًا كثيرة وما من حرب كان يستحيل ان تمنع لو استخدمت الوسائل اللازمة لمنعها » وقال ارل رسل السياسي الانكليزي الشهير « اذا التفتنا الى الحروب التي نشبت في هذا القرن وبحثنا عن اسبابها لم نجد حربًا منها كان يستحيل منعها لو اعتدل الخصمان » وهذا الاعتدال هو الذي يسعى العقلاء الان ليرسخوه في النفوس

والعمران نفسه لا يتطلب الحرب ولكنه علة وخللهُ هو الذي يدعو الى وقوعها . وقد تصلح الحروب هذا الخلل ولكنها تصلح من جهة وتفسد من اخرى فهي كالاوبئة التي اذا دخلت بلادًا عني اهلها بالتدابير الصحية فتقدم فلا يحسن ان تمدح الحروب كما لا يحسن ان تمدح الاوبئة

واذا نظرنا الى الحروب الحديثة رأيناها قد عادت على موقديها نارها بقليل من النفع وكثير من الضرر بل انها لم تقتل احد المتحاربين ما بناه بل يخرج منها الغالب مغبونًا كما يخرج المغلوب . فلو علمت اليابان مثلاً انها تخرج من حربها مع روسيا وعاتقها موقر بعبء مئتي مليون جنيه دينًا وهي بلاد فقيرة ولو علمت روسيا بالعاقبة التي تعود عليها من تلك الحرب لاسرعتا الى التحكيم وقبلتا حكمهُ مهما كان . وما يقال عن روسيا واليابان يصدق على انكلترا في حربها مع الترنسفال . فان الترنسفال طلبت ان يفصل خلافهما بالتحكيم وان يكون المحكمون ثلاثة من الانكليز واثنين من الهولنديين وهذا من اعدل ما عرضتهُ او تعرضهُ بلاد على اخرى ولكن انكلترا رفضت هذا الطلب العادل وكانت نتيجة رفضها لهُ ما لا يزال صداهُ يرن في الآذان ولو سئل البلغاريون الآن اكانوا يقدمون على محاربة الدولة العلية بالاتفاق مع حلفائهم بالامس واعدائهم اليوم لو علموا بما وصلوا اليهِ لاجابوا كلاّ والف كلاّ . ولكن هذه الامور وما شاكلها تغيب عن الاذهان اذا ثار ثائر الغضب في نفوس الكبراء . ولا يزال لهؤلاء الكبراء لسوء الحظ الصوت المسموع والكلمة النافذة حتى الآن فلا يرجى اصلاح الحال الاّ اذا ادرك الجمهور ان قتل الناس اثم عظيم وان الواجب يقضي بتحكيم العقل على القلب

والحرب لا تزيل اسباب الخلاف من بين الدول المتحاربة بل هي شر علاج لازالة

الخصومات لانها تزرع بذور الكره والبغضاء وقد تنقضي القرون قبلما يزول ما زرعتهُ حرب واحدة كحرب السبعين بين فرنسا والمانيا . وقد سبقنا فبينا في ما نشرناهُ منذ شهرين ان الالزاس واللورين اللتين غنمتهما المانيا من فرنسا في تلك الحرب هما مفتاح الشر في اوربا الآن والباعث على تسلح دولها . ولكن الدول قامت بحد الحسام فلا تغمدهُ اختياراً وتبسطت لها السيادة برصاص البنادق فلا تطرحها الاَّ اضطراراً

من رأَى دول الارض الآن تنفق مئات الملايين من الجنيهات سنويًّا على اعداد معدات الخراب والدمار وتعزيز الاساطيل المائية والهوائية وتجييش الجيوش وابلاغها اعظم ما يمكن من القوة والمنعة — من رأَى ذلك كلهُ قال انها تتأَهب لحرب عامة تزهق الارواح وتذهب بالاموال وتزعزع اساس الحضارة وتقوض معالم العمران . ولكن كرت الايام ومرت السنون وهذا التأَهب آخذ في الزيادة والحرب لم تقع الاَّ بين اقل الدول استعداداً فالدول لم تلجأ اذاً الى هذا الاستعداد الهائل والتأَهب المخيف وتعمد الى الاستزادة منهما الاَّ اتقاء الحرب ودفعاً لغوائلها مقتدية في ذلك المثل المأثور « لا يفل الحديد الاَّ الحديد »

فالاستعداد للحرب لا يقصد به الحرب بالذات بل ترجيح عدم السلم وتثبيتها ولكنهُ لا يحتمل ان يظل طويلاً سائراً سيرهُ فقد صارت نفقاتهُ عبئاً ثقيلاً على ظهور الصناع والعمال والفلاحين وهم جمهور الامم جرءون بحمله ولا غرابة في ذلك ما دام ناظر مالية انكلترا افتى بلدان العالم طراً يضج بالشكوى من اندفاع العالم في سبيل التسلح اندفاعاً هو اقرب الى الجنون منهُ الى التعقل قائلاً ان هذه الطريق تؤَدي الى الخراب والدمار

ولو كانت دول اوربا الكبيرة خالية من نظام التجنيد بالقرعة مثل الولايات المتحدة وانكلترا ومحتاجة الى رجال يتطوعون في جيوشها كاحتياج انكلترا لرفعت صوتها منادية بالكف عن الاستزادة من التسلح وطالبة انشاء رابطة السلام بين الدول اجمع

قال فرنكلن العالم الاميركي المشهور « ان تنظيم الجنود وارصادها للحرب نتيجة لا بد من ان تدعو اخيراً الى ابطال الحروب لان الجندية المنظمة تقلل عدد السكان وتضعف نوع الانسان باخذها زهرة شبان الامة واقوى رجالها واشطهم ومنعهم من الزواج واخلاف النسل » . وما يصدق على الجنود المنظمة يصدق بالاخص على الجنود الذين يحاربون ويقتلون فان الامة تتقدم وتنقذ نسلهم الى الابد . فقد أَثبت علم الاحياء (البيولوجيا) ان جودة النسل تتوقف على جودة الاصل ومستقبل الامم يتوقف على الذين يعيشون من ابنائها ويخلفون نسلاً وان اصلاح النوع يتوقف على اختيار الاصل الصالح لانتاج النسل الصالح

وهو الناموس الذي يجري الناس عليهِ هذه الايام في تأصيل المواشي واصلاح انواعها . فالصفات التي يمتاز بها الجندي الباسل كالقوة والحزم والشجاعة وحب الوطن هي الصفات التي تفقدها الام بجعلها رجالها جنوداً ومنعهم من التزوج . وهذا يدحض زعم الذين يذهبون الى ان الحروب تزيد الامة نشاطاً واقداماً لان الامة لا تقوم بالذين يصلحون للتجنيد فيتجندون ويقتلون او يمنعون عن التزوج بل بالذين لا يصلحون لهُ فيعيشون ويتناسلون

ولقد قامت عظمة الرومانيين برجالهم الاشداء ولكنهم لما شعروا بما لهم من القوة وارادوا استعمال قوتهم واعتدوا وغزوا ونهبوا وخاضوا غمار الحروب وفتحوا الفتوحات اضطروا ان يستخدموا افضل رجالهم وكانت النتيجة ان الاشداء الذين عليهم المعول ذهبوا الى الحروب والغزوات فخلت منهم رومية وبقي فيها الضعفاء والسقماء والذين لا تتألف منهم الجيوش ولا يصلحون لانسال النسل الصالح فكان ذلك سبب انحطاط رومية لا البذخ والترف وفساد الآداب

استهل نبوليون الاول حكمهُ استهلالاً عجيباً بقانونهِ وبسالتهِ ومهارتهِ في فنون الحرب ولكن ما لبث ان انقلبت شهامتهُ الى عنفوان فتناصت غاراتهُ على الاعداء فالمسالمين فالاصدقاء وتوالت تعبئة الجيوش في فرنسا حتى انهُ لما عزم على غزو المانيا وخضد شوكتها واراد ان يبني حيناً كالجيش الذي غزا بهِ روسيا لم يجد الأ مرداً غير مقتدرين على حمل السلاح لان الرجال الاقوياء قتلوا في معاركه السابقة فكانت النتيجة ان المزايا التي كان يمتاز بها الجندي الفرنسوي فقدتها الامة بفقد رجالها . ولما ترك نبوليون فرنسا تركها جريحة مكلومة تندب ابناءها الاشداء الذين التهمهم الحروب

ونهضت منذ ثلاثين عاماً دولة في الشرق الاقصى فحيرت العالم بتقدمها وترقيها السريعين وادهشت الناس بتفوقها في ميادين القتال وفوزها على الصين وروسيا . استغربوا ذلك منها لانهُ مرَّ عليها مئتا سنة وهي جانحة الى السكينة ورائعة في بحبوحة الامن والسلام وفاتهم ان امنها وسلامها هما اللذان حفظا رجالها وانميا نسلها واذا نما الاقوياء لم يهمُّ سهم الضعفاء لان ناموس بقاء الاصلح يترك القوي ويعرض الضعيف ولكن هب ان الآية عكست واستمرت اليابان تحارب مئتي سنة افيبقى فيها رجال حرب كما فيها الآن فاذا بقي فيكون ذلك من خوارق الطبيعة وعجائب الدهر

والتعلم خير كفيل لتأييد السلم بعد ما ظهر ان المتعلمين يأنفون الانتظام في سلك الجيوش . وقد اتجهت الحكومة الانكليزية الى ذلك حديثاً لانها وجدت ان عدد الضباط

اللازمين لجنود المتطوعين قد قلَّ اكثر من ٢٥ في المئة وان المتطوعين نقصوا نقصاً كبيراً وكذلك ضباط الجيش العامل والمتطوعين في جيش الهند — وعدةٌ من اصعب المشاكل التي يطلب من نظارة الحربية حلها . ويظن البعض وهم من اكبر الثقات في الامور الحربية وفي مقدمتهم اللورد روبرتس انهُ لا علاج لذلك الاَّ بادخال نظام التجنيد الاجباري . وولعت حكومة الولايات المتحدة في مثل هذا المشكل فضاقت ذرعاً من تدبير العدد الكافي من البحارة لسفنها الحربية فزادت الرواتب وعمدت الى كل وسيلة لاغراء رعاياها بالانتظام في سلك البحرية ولما اعيتها الحيل عرضت ذلك على المتجنسين بالجنسية الاميركية ولا نعلم هل انتظم فيها بعض المهاجرين السوريين او لا . ولو كانت الولايات المتحدة مضطرة الى حفظ جيش كبير وظل التجنيد فيها اختيارياً كما هو الآن لذاقت حكومتها الامرين في تدبير العدد الكافي من الرجال لهُ

حللت الشرائع الدينية والادبية للانسان ان يدافع عن نفسه اذا اعتدى عليهِ معتدٍ واراد بهِ سوءًا . وما يجوز للفرد يجوز لجماعة بالمثل . فالدفاع عن الوطن جائز بل واجب اذا هاجمهُ عدو ولكن اذا كان الدفاع عن الوطن واجباً فالاعتداء او الهجوم على اوطان الآخرين حرام . والجنود على نوعين جنود منتظمة وهي التي يراد بها الهجوم لا الدفاع لانهُ اذا لم يكن هجوم فلا دفاع وجنود متطوعة وهي التي لا تحمل السلاح الاَّ للدفاع . وما الجندي المنتظم في الجندية الاَّ عامل مستأجر لايقاع الاذى والضرر بغيرهِ او قتلهِ حلالاً كان او حراماً لان من يقيد بالخدمة العسكرية يكون قد سلم قيادهُ لسواهُ وتنازل عن حقهِ في الحكم لنفسهِ والجري على ما يرشدهُ اليهِ وجدانهُ فصار رهن اشارة رؤَسائهِ وهذا يخالف سنة الارتقاء التي توجب على المجتمع ان يتمتع كل فرد من افرادهِ ببركات الحرية الشخصية وكل ما يخالف نظام الكون مصيرهُ الزوال

يدرس الانسان فنون القتال — ليعلم كيف يسدد بندقيتهُ حتى يقتل برصاصها العدد الاكثر من الناس ويحكم مدفعهُ فيحصد بقنابلهِ المقدار الاكبر من الاملاك ويتلف بها القسم الاعظم من المال ويتمرن على خطط الحرب ويلم باصولها حتى يبرع في استنباط الحيل لخدع عدوهِ والايقاع بهِ — وفي المثل الحرب خدعة — وكلما مهر في تسديد المرمى واصابة الغرض وبرع في اساليب القتل والفتك وبرَّز في حلبة الخداع والرياء علت مرتبتهُ وارتفعت منزلتهُ وتحلى صدرهُ بالنياشين واوسمة الفخار وطار صيتهُ في الآفاق ودوِّن اسمهُ في بطون التواريخ . فلا غرو اذا رأينا ضباط الجيوش يحبذون الحرب ويحاولون رفع شأنها في عيون الناس لان

ما تطمح انظارهم اليه من التقدم والارتقاء وزيادة الراتب ونيل الشهرة وكسب الفخار لا يتم لهم الاَّ في حومة الوغى فاذا لم يختلقوا اسبابًا لحرب عظموا ما يرونهُ من اسبابها مدفوعين الى ذلك بواجب المصلحة وحب الفخر والمنفعة

وصانعو الاسلحة والمعدات الحربية واصحاب دور الصنعة لا تروج بضاعتهم الاَّ في زمن الحرب او في زمن الاستعداد لها ومتولو توريد الارزاق والمير لجيوش المحاربة لا تزيد ارباحهم وتتوفر لهم المكاسب الكبيرة الاَّ في زمن الحرب ايضًا بطرق عديدة محللة او محرمة والماليون الذين يقرضون الدول المال ولهم الكلمة النافذة في مجالس الوزراء والنواب لا يصعب عليهم ان يثيروا حربًا لحفظ ديون قديمة او اصدار قروض جديدة يكتسبون بها الملايين · واصحاب الصحف الذين بلغوا في اوربا واميركا مبلغًا عظيمًا من القوة والنفوذ يحسدهم عليهِ الوزراء والقابضون على ازمة الاحكام تُجمع جرائدهم في زمن الحرب ويتضاعف ما تطبعهُ حينئذٍ فتتضاعف مكاسب اصحابها — كل هؤلاء وغيرهم ممن لهُ علاقة او اتصال بهم يؤيدون الحرب ويختلقون الاسباب لاثارتها ويتذرعون بكل الوسائل لزيادة التحرش بين الام وتنفير بعضها من بعض حتى تتوتر العلاقات بينها فتعمد اما الى التأهب والاستعداد او اضرام نار القتال قضاء لاوطارهم وترويجًا لبضاعتهم وزيادة مكاسبهم

فحب الكسب من اهم الاسباب التي تدعو الى الحروب وما زال قواد الجيوش والماليون وصانعو الاسلحة واصحاب دور الصنعة ومتعهدو الارزاق والمير لجيوش وشركات الصحف يؤثرون مصلحتهم الخاصة على المصلحة العامة ويعبدون اله الطمع والجشع فزوال الحروب وانتفاء اسبابها بعيدان · ولكن احد الفضلاء اشار ببعض الوسائل الفعالة التي تقلل شأن من ذكرنا في اذكاء الحروب فقال ان ازدياد نطاق التعليم الصحيح واستنارة اذهان الجمهور بنور العلم والعرفان هما من خير الوسائل لزوال الحروب بدليل ما نراهُ الآن من كره المتعلمين للانتظام في سلك الجندية · وهناك امور اخرى تساعد على ادراك هذه الامنية الاَّ انها تلزم تآزر الحكومات وجمهور الناس وتعاونهما تحقيقها واهمها التالي :

اولاً — امتناع الحكومات من اعطاء الرتب والنياشين للممتازين بقتل غيرهم من قوادها وضباطها وجنودها واحلال الناس لهم واحترامهم

ثانيًا - تدقيقها في ابتياع الاسلحة والذخائر والمير لجنودها حتى لا يربح صانعوها وموردوها الاَّ الربح القانوني او ما هو اقل منهُ

ثالثاً — تقليل المكاسب الاخرى التي يكسبها فريق من الناس دون غيره من الحروب مادية كانت تلك المكاسب او ادبية

رابعاً — حذف كل تنويه بالقواد والجنود من كتب المدارس وكتب المطالعة التي يميل الاحداث الى مطالعتها وابداله بوصف ويلات الحروب وفظائعها حتى يرسخ في اذهان الناشئة الجديدة ان الحرب من شر البلايا التي تنتاب النوع الانساني وانها لا تفضل الاوبئة التي ترتعد لها الفرائص في شيء

خامساً — انشاء صحف كبيرة مستقلة في جميع البلدان تديرها اقلام اكتب كتاب العصر يكون غرضها الاول كشف مخبآت الذين يكسبون من الحروب وتشهيرهم سواء كانوا من القواد او الماليين او من رجال السياسة او من اصحاب المصانع او من المساهمين فيها وتهيئة الافكار لطلب التحكيم في المسائل الخلافية وايثار صدور الناس على رجال السياسة الذين يرفضون التحكيم . ولا بد من رصد الاموال الطائلة لانشاء هذه الصحف وترويجها لانهُ لا بد لها من الخسارة في اول الامر

ثم انهُ لا بد من اذاعة ما قالهُ اكبر رجال الحرب واعظم القواد في ذم الحرب وفظائعها وما تجنيهِ على البشرية من الخراب والدمار لان الذين اطلعوا على شتات هذه الاقوال قليلون جداً . وليس هناك ما هو ادل على فضل حرفة او ضررها وحسنها او قبحها او ابلغ في النفس وقعاً من شهادة الذين وقفوا حياتهم على خدمتها . فقد قال فيها نبوليون الاول اكبر القواد واعظمهم « الحرب صناعة المتوحشين » وقال دوق ولنتون « الحرب اكره شيء فاذا رأيت يوماً واحداً من ايامها فانك تطلب من الله ان لا يريك يوماً آخر » ودعي الجنرال جرانت ليشاهد عرض الجنود الانكليزية فقال « اريد ان لا تقع عيني على الجنود مرة اخرى » وقال وشنطن « ان جل اماني ان ارى الحروب منتفية من العالم فهي شر ما بلي به » وقال لورد كلارندون « لا تستطيع ان تصور صورة لجهنم اوضح من صورة بلاد نشبت فيها حرب »

واقوال العلماء والمؤرخين والشعراء والكتاب في ذم الحرب وتقبيحها تملأ مجلدات كثيرة فقد قال فيها الفيلسوف باكون ما معناهُ « لا سبيل لمد الحرب جائرة ما لم تسحق الديانات في هاون وتركب منها ديانة جديدة »

وابلغ من ذلك كله ما قالهُ جون هاي وهو من اعظم وزراء اميركا واحكمهم « الحرب احمق جهالات الناس واقبحها »

كاترينا الثانية واصلاحها

لما كانت هذه الامبراطورة في مقتبل العمر التفَّ حولها كثيرون من الاعوان الذين لا تحمد سيرتهم مثل اولاد اورلوف و بوتمكين فخدموها خدمةً نصوحاً واغدقت هي عليهم الخيرات ويقال انها اعطت اولاد اورلوف خمسة واربعين الفاً من الفلاحين الارقاء وما يساوي عشرة ملايين من الجنيهات وذلك من سنة ١٧٦٢ الى سنة ١٧٨٣ ومنحت بوتمكين في سنتين ٣٧ الفاً من الارقاء وما يساوي مليوناً و ٣٥٠ الفاً من الجنيهات حتى بلغ دخلهُ في السنة ستين الف جنيه . ويقال انهُ اوقد مرة من الشموع في وليمة من ولائمهِ ما ثمنهُ عشرة آلاف جنيه. وعنيت بالقدر رجالها في السياسة سفراء الى حكومات اوربا مثل سيمين فورنتسوف الذي كان سفيرها في لندن ودمتري غالتسوين الذي كان سفيرها في باريس و بديرج الذي كان سفيرها في ستكهلم

ومن اعمالها المشهورة انها جمعت نواب البلاد من كل الطبقات والفت منهم مجلساً تشريعياً لسن القوانين فبلغ عددهم ٦٥٢ نائباً وكانوا يمثلون رجال الحكومة وامراء البلاد وسكان المدن والارياف وقبائل التتار والقلموق واللاب وغيرهم من كل طائفة ومذهب . واعطت كلاً منهم وساماً عليهِ شعارها وعبارة معناها « خير الكل اجمالاً وافراداً » وجعلتهم بحيث لا ينالهم القانون بعقاب مدة اجتماعهم ولا يحل بهم عقاب بدني ابداً . والظاهر انها كانت تختار القوانين من كتب علماء الاوربيين وحكمائهم وتعرضها مع هذا المجلس حتى يصادق عليها و يجعلها من قوانين البلاد

ومن الاقوال المأثورة التي تنسب اليها قولها ان الامة ليست لملكها ولكن الملك لامتهِ . المساواة انما تقوم بطاعة الشعب القوانين . الحرية هي ان يباح لكل احد ان يعمل ما لا يحرّمهُ القانون الافضل . ان ينجو من العقاب عشرة مجرمين من ان يعاقب بريء واحد . التعذيب يجعل الضعيف يعترف بالذنب ولو كان بريئاً منهُ والقوي ينجو من العقاب ولو كان مذنباً . ونحو ذلك من جوامع الكلم التي تشجب الاضطهاد الديني والعقاب البدني

وجلس هذا المجلس اكثر من مئتي جلسة واقام لجاناً كثيرة لدرس المسائل الادارية ونحوها وكان اعضاؤُهُ يتناظرون علانية في اهم المواضيع واكثرها تضييقاً لسلطة الحكام فبحثوا في كل المسائل الاقتصادية وطلبوا ان يباح حق الانتخاب للفلاحين. ثم نشبت الحرب

بين روسيا والبلاد العثمانية فاضطرت الامبراطورة ان تحل المجلس خلتهُ وهي تقول انها عرفت من مباحثهِ مطالب مملكتها وما يجب ان تفعلهُ لها

ومن المباحث التي بحث فيها ذلك المجلس تحرير الفلاحين المستعبدين. افتتح باب البحث فيهِ النائب كورو بين وهو من الاشراف فاشار بان ينزع حق الملاك من امتلاك الفلاحين ولا يبالى لم الا الاشراف عليهم . فاجابهُ نائب آخر انهُ اذا كان غرض الامبراطور تحرير هؤلاء العبيد فلا يحسن تحريرهم دفعة واحدة بل تدريجاً . فاشارت الجمعية الاقتصادية ان تطرح هذه المسألة على بساط البحث في اوربا كلها ويطلب من مهرة الكتَّاب ان يؤلفوا الرسائل فيها وتعطى جائزة لمن تفضل رسالتهُ غيرها فاعطيت الجائزة لرسالة فرنسوية توجب تحرير العبيد. لكن أشراف المملكة لم يسهل عليهم ان يتنازلوا عن حقوقهم الموروثة فبذلوا كل مرتخص وغالٍ حتى صرفوا فكر الامبراطورة عن هذه الرسالة والتموها بابقاء الاستعباد فجارتهم على ذلك وفاتهم لانها ضربت الرق على اكثر من مئة وخمسين الفاً من الفلاحين الذين كانوا في املاكها باعطائها اياهم لبعض خواصها كما تقدم. امرت ان لا تسمع للفلاحين شكوى على اسيادهم واباحت للاسياد ان ينفوا فلاحيهم الى سيبيريا فنقضت بعملها هذا ما بنتهُ اولاً من جهة اولئك المساكين وابدت قول المتنبي حيث قال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفَّة فلعلة لا يظلمُ

الأ ان اصلاحاتها الاخرى بقيت نقيَّة الصبغة كأنها نظرت الى الفلاحين غير نظرها الى سائر الناس فضربت على ايدي المرتشين والمغتصبين والخوَنة الذين يؤتمنون على اموال الناس فيبتزونها وقد جاء في احد اوامرها ما تعريبهُ « نرى ان من اهم واجباتنا والزمها ان نعلن لشعبنا اننا طالما سمعنا بمرارة النفس ورأينا الآن بالفعل الى اي درجة فشت الرشوة في البلاد حتى لم يبقَ منصب من مناصب الحكومة الأ والرشوة قد تفشت منهُ ذلك الامر الالهي الذي هو العدل . فاذا طلب احد منصباً في الحكومة لم ينلهُ الأ بالرشوة واذا اراد احد ان يحمي نفسهُ من وشايات الواشين لم يستطع ذلك الأ بالرشوة واذا اراد ان يشي بغيره ظلماً وعدواناً ويوقع بهِ استطاع ذلك بالرشوة . ولكم من قاضٍ صيَّر المحكمة التي يجب ان يحكم فيها بالعدل باسم الله القدير سوق تجارة مستعملاً منصبهُ لترويج القضاء وكسب الاموال مع انهُ منصَّب للعدل بين الناس من غير محاباة فتراهُ يبني بيتهُ بدلاً من ان يخدم الهُ ومملكتهُ وبلادهُ »

ثم رأت ان مراكز الولايات بعيدة عن اطرافها وكانت البلاد مقسومة الى خمس عشرة ولاية فقسمتها الى ٥٠ ولاية في كل ولاية منها من ثلثمئة الف نفس الى اربع مئة الف وقسمت كل ولاية الى اعمال في كل عمل منها عشرون الفاً الى ثلاثين الفاً . وولّت على كل ولاية والياً وجعلت له وكيلاً وجعلت لكل ثلاث ولايات والياً عامًّا يشرف عليها واقامت في كل ولاية مجلساً للادارة وغرفة مالية للنظر في امر الضرائب والاملاك والمعادن والتعداد ومدرسة كلية ومستشفيات . وانشأت مجالس القضاء في كل الولايات والمراكز لكنها جعلت بعضها للنظر في قضايا الخاصة وبعضها في قضايا العامة ولم تجعل للفلاحين مجلساً فاصبحوا محرومين من كل الحقوق المدنية فاذا ظُلموا لم يستطيعوا ان يرفعوا ظلامتهم الى احد. وانشأت مجلس استئناف في عاصمة كل قسم من اقسام السلطنة تستأنف اليه الاحكام واخيراً محكمة نقض وابرام في مجلس الشيوخ

وانشأت جمعية للاشراف في كل ولاية وهي تنتخب رئيسها وموظفيها . ولما كانت قد الغت قانون بطرس الأكبر القاضي بتجنيد الاشراف كلهم امرت ان لا ينتخب لرئاسة هذه الجمعيات والتوظف فيها الأ من كان قد نال رتبة عسكرية فاغرت الاشراف بالخدمة العسكرية من جديد

ومنحت التجار وسكان المدن امتيازات خصوصية منها ان ينتخبوا قضاتهم ويسنوا القوانين المختصة بهم ويكون لهم شيء من الاستقلال الاداري . وقسمت التجار الى ثلاث فرق وجعلت من الفرقة الاولى كل تاجر لا يقل رأس ماله عن عشرة الاف روبل (١٥٠٠ جنيه) ومن الثانية كل تاجر لا يقل رأس ماله عن الف روبل . ومن الثالثة كل تاجر رأس ماله اكثر من خمس مئة روبل . ومن سوام سكان المدن ومنعت ما يسمّى بحماية التجارة خلافاً لما فعله بطرس الاكبر اي انها لم تضرب على الواردات مكوساً فادحة لكي يقل دخولها الى البلاد ويكتفي السكان بمصنوعات بلادهم وحاصلاتها. ثم انشأت مدرسة المعارف ومدرسة الصنائع ومدرسة التجارة

واستدعت الناس من كل الاقطار لتعمير الاراضي الخصيبة الخالية من السكان ومدتهم بالمال من غير ربا لكي يوفوه في عشر سنوات وعفتهم من كل الضرائب ثلاثين سنة فوفدوا على روسيا واكثرهم من الالمان . وجعلت بلادها ملجأ للمضطهدين لاجل دينهم وانزلت في ولاية صرتوف اثني عشر الف عائلة وقد كثر نسلهم هناك وكانوا لا يزالون يتكلمون اللسان الالماني الى عهد قريب . و بلغ عدد الذين لبوا دعوتها ونزلوا روسيا حتى سنة ١٧٧١ ستة

وعشر ين الفاً . ومصَّرت نحو مئتي مدينة وسميت بعض هذه المدن باسمها مثل ايكاترينبرج وايكاترينوسلاف

وكان بطرس الاول وبطرس الثالث قد حاولا نقل اوقاف الكنائس والاديرة الى الحكومة فلم يفلحا و بلغ عدد الفلاحين العبيد في هذه الاوقاف نحو مليون نفس فكان في اوقاف دير مارسرجوس في تروانسا مئة وعشرون الفاً من هؤلاء الفلاحين المستعبدين وفي اوقاف دير مار كيرلُس خمسة وثلاثون الفاً . وكان رؤَساء الاديرة مثل ملوك مستقلين في ملكهم . فانشأت مجلساً مؤلفاً من رجال الكنيسة ورجال الحكومة وسلمتهُ ادارة الاوقاف كلها فصار يجمع ريعها وينفق منهُ على الاديرة والكنائس وما بقي من الريع ينفق على انشاء المدارس الدينية والمستشفيات وملاجيء العجزة

وكتبت الى فولتير عن اللجنة التي اقامتها لسن القوانين تقول « لا بد وان تسرَّ اذ ترى في هذه اللجنة رجلاً ارثوذكسياً جالساً بين رجل مسلم ورجل معطل والثلاثة مصغون الى كلام رجل وثني والاربعة يتذاكرون في كيف يضعون القوانين الصالحة للجميع » . فاطلقت الحرية الدينية في بلادها اطلاقاً تاماً وسمحت لليزوبت ان يقيموا في بلادها حين الغى طغمتهم البابا اكليمنضس الرابع عشر وسمحت لتتار الفولغا ببناء مساجدهم

وزاد سكان روسيا في عهدها فبلغوا اربعين مليوناً بما نزح اليها من البلدان الاخرى وبما اتخذتهُ من الوسائل لمنع الاوبئة وتقليل وفيات الاطفال . واغرت الشبان بدرس الطب واستدعت الاطباء من الممالك الاخرى وانشأت مدرسة للصيدلة ومعملاً لعمل الآلات الجراحية وادخلت التطعيم الواقي من الجدري في بلادها وكان اول من تطعم هي وابنها فاهدى اليها مجلس الشيوخ اثني عشر وساماً ذهبياً تذكاراً لذلك ونقش في دار المجلس في موسكو عبارة معناها انها خاطرت بنفسها لكي تنجي شعبها . والذي طعمها طبيب انكليزي اسمهُ دمسدايل فاعطتهُ عشرة آلاف جنيه ورتبة بارون وقطعت لهُ خمس مئة جنيه راتباً سنوياً . والولد الذي اخذ منهُ الطعم لتطعيمها اعطي لقب شرف بتوارثهُ نسلهُ وكان ذلك وقتما امات الجدري الملك لويس الخامس عشر واولاد ملك اسبانيا . وقد كتبت الى فولتير في هذا الصدد تقول « من الغريب انهُ تطعم عندي في شهر واحد اكثر مما تطعمَّ في فينَّا في سنة »

وكان اكثر اهتمامها في تعليم الشعب ونشر المعارف بين الطبقة العليا والوسطى . قالت تخاطب ايفان تبسكي « ان التغلب على الناس وجعلهم يُحيطون ويحيون حياة جديدة عمل شاق

بانتفي لبّاً لا يوصف لا تجنى ثماره الا في زمن خلفائنا » . وكان ايفان تبسكي من النوادر الذين يغصبون انفسهم لخدمة ابناء نوعهم . هذّب مواهبهُ الطبيعية وقواها بالدرس في جامعات اوربا ورأى انهُ لا يصلح الا الروسيون لتعليم اولاد الروسيين لانهُ يصعب على الاجنبي ان يعرف ما نفوس التلامذة الروسيين عمّا هو عادة او خلق او تديّن ولكن الزمن الذي تستغني فيهِ روسيا عن الاساتذة الاجانب لم يكن قد حان . فانشأ المدارس الابتدائية في البلاد كلها والثانوية في المدن الكبيرة . واهتمت الملكة بتعليم النساء فجمعت اربع مئة وثمانين صبيةً في مدرسة سمولنا والقت ادارتها الى سيدة فرنسوية اسمها مدام لافون وكتبت الى فولتير عن اولئك الصبيات تقول « اننا نود ان لا يصرن من ذوات الغنج والدلال ولا من المترهبات المبتلات » وكنّ يتعلّمن اللغة الفرنسوية وغيرها من اللغات الاوربية مع بعض العلوم التكميلية . وانشأت داراً كبيرة للقطاء في موسكو اجتمع فيها في عهدها اربعون الف لقيطة وكانت تحرر كل فلاح من العبيد يتزوج واحدة منهنّ . ورأى نيوليون هذه الدار لما دخل موسكو فاعجب بها اي اعجاب

وكثر الاهتمام باللغة الفرنسوية وآدابها في عهدها فترجم الكتاب الروسيون مؤلفات الكتّاب الفرنسويين والفوا على منوالها نثراً ونظماً وجعل عقلاء روسيا وادباؤُها يباعون بمراسلة ادباء فرنسا فقوي فيهم حب التسامح الديني والترفّع الادبي والانس والدعة والميل الى معاملة الناس كلهم بالمساواة ثم لما رأوا ما آلت اليهِ الحرية الفرنسوية في زمن الثورة ذعروا ونكبوا عنها ولكنهم لم يعودوا الى ما كانوا عليهِ من خشونة الطباع

وكانت الامبراطورة اشد رغبة من شعبها في مجاراة الفرنسويين ومراسلة علمائهم وادبائهم وترجمة كتبهم الى الروسية ومساعدتهم بالمال ومن هذا القبيل ابتياعها لمكتبة ديدرو وابقاؤُها في بيتهِ وجعلهُ حافظاً لها . حتى ان الكتب التي كانت الحكومة الفرنسوية تمنع نشرها في بلادها او تجمعها وتحرقها اذا طبعت فيها كانت تبيح نشرها في روسيا . وجاءت بالمثال فلكونه صديق ديدرو الى بطرس برج ليصنع تمثال بطرس الاكبر فسبكهُ راكباً على جواد وقد اطلق بديهِ للريح وداس بقدميهِ على افعى الحسد واوقفهُ على صخرة كبيرة عشية تمثل المصاعب التي قامت في وجه ذلك الملك العظيم فتغلّب عليها

وكانت اكثر مراسلاتها مع فولتير ابتدأت تراسلهُ سنة ١٧٦٣ واستمرت الى حين وفاتهِ سنة ١٧٧٨ . وكانت تخبرهُ باعمالها كلها وما تجريهِ من الاصلاح في بلادها وتنفق على الذين يودّ الانفاق عليهم

وكانت محبة للفنون الجميلة فزينت عاصمتها بافخر الصور الايطالية والفلمنكية وابتاعت في سنة واحدة صوراً بمليون روبل . وكان لها شأن في الآداب الروسية فالّفت كتاباً لتعليم حفيديها اسكندر وقسطنطين وقصصاً من التاريخ الروسي . ويظهر من المقدمات التي كانت تكتبها للقوانين التي سُنَّت في عهدها ومن مراسلاتها بالروسية والفرنسوية والالمانية مع وزرائها وولاتها واصدقائها في فرنسا والمانيا انها كانت كثيرة الاشتغال وعلى جانب كبير من المهارة في فنون الادب . وانشأَت روايات تمثيلية كثيرة حقَّرت بها الرياء والجهل وكراهة التعليم واستعمال الكلمات الفرنسوية ودسائس الاشراف واسراف الروسيين وهم مسافرون في اوربا وكثيراً من العادات الضارة التي كانت متبعة حينئذٍ . وكتبت اكثر رواياتها التمثيلية بالفرنسوية وكتبت بها ايضاً ترجمة حياتها

وانشأَت الاكادمية الروسية على مثال اكادمية فرنسا فوضعت هذه الاكادمية قواعد الهجئة والصرف والنحو والعروض للغة الروسية وانشأَت قاموساً لها في ست مجلدات وكتبت الامبراطورة تقريظاً للمجلد الاول منهُ

وقرَّبت العلماء والادباء الروسيين واغدقت عليهم النعم فباروا بها في تأليف الكتب والروايات آخذين مأخذ الادباء الفرنسويين كفولتير وموليه ولافونتين ونظم بعضهم قصيدة دينية ادبية بليغة جدًّا فكتبها امبراطور الصين بحروف من ذهب وعلقها في احد هياكل الصين . وحرَّر نوفيكوف جريدة موسكو فبلغ عدد المشتركين فيها اربعة آلاف وهو عدد كبير جدًّا في ذلك العهد . وبلغ عدد المؤلفات الادبية والعلمية التي انشئت في عصرها مبلغاً كبيراً جدًّا وكانت في كل فن ومطلب

ولم يقتصر رجالها على فنون الادب بل طرقوا المواضيع العلمية السامية فرصد بلاس عبور الزهرة على قرص الشمس وكان قد جعل رئيساً لاكادمية العلوم وعمرهُ ثلاثون سنة وساح في القرم وسيبيريا وتخوم الصين ووصف ما رآهُ فيها

ولما كادت الثورة تقع في فرنسا كانت الحكومة الفرنسوية والحكومة الروسية تتذاكران في عقد محالفة رباعية تشمل روسيا والنمسا وفرنسا واسبانيا لمنع تفوُّق انكلترا البحري وتوسع بروسيا البري ولكن لما نشبت الثورة وهُدم الباستيل رأَت الامبراطورة ان الاعتماد على فرنسا صار كالاعتماد على قصبة مرضوضة ثم لما قتل الثوار الملك لويس السادس عشر جزعت اشد الجزع ويقال انها مرضت من جراء ذلك وامرت ان يطرح تمثال فولتير ويراقب كل الروسيين المتهمين بحرية الافكار ونفت الى سيبيريا مؤَلف الرحلة من بطرسبرج الى موسكو لانهُ

انفذ فيها استعباد الفلاحين وقبضت على نوفيكوف وسجنته واقفلت مطبعتهُ وطردت السفير الفرنسوي ولم تعترف بالجمهورية الفرنسوية وقطعت العلاقات السياسية مع فرنسا ومنعت نشر الراية الفرنسوية في مرافئ بلادها ونفت كل الفرنسويين الذين ابوا ان يحلفوا يمين الطاعة للملكية ورحَّبت بالمهاجرين الى بلادها الفاريين من الثورة . وحثت الانكليز على مساعدة كونت ارتواز ليزحف على فرنسا واغرت النمسا وبروسيا بمقاومة الثورة ولكنها لم تشارك هذه الدول في ذلك بالقوة بل اظهرت انها تريد إشغالها بامور فرنسا لكي تتفرغ هي لمحاربة البولنديين والعثمانيين والفرس فافادت الثورة الفرنسوية وهي تقصد الاضرار بها لانها جعلت انكلترا والنمسا وبروسيا تنشغل عمَّا هو جارٍ في فرنسا وتهتم بما هو جارٍ على حدود روسيا . ثم وافاها القدر المحتوم في السابع من نوفمبر سنة ١٧٩٦ وهي في السابعة والستين من عمرها

اليهود في فرنسا

يرى بعض افراد الامة الاسرائيلية ان تسميتهم باليهود حطة من شأنهم ويفضلون ان يسموا بالاسرائيليين آخذين في ذلك مأخذ يهود فرنسا . لكن علماءهم وادباءهم لا يرون هذا الرأي ولم يقولوا به في ما نعلم من قديم الزمان الى الآن بل سموا انفسهم يهوداً في كل كتبهم ورسائلهم ومع ذلك سنجري على تسميتهم بالاسرائيليين في ما نكتبهُ نحن في هذه المقالة لان جمهور المقيمين منهم في هذا القطر يفضلون هذا الاسم ولو كانت كلمة يهود ادل على المعنى المراد كما يعلم المطلعون على التوراة فان اسرائيل خصٌّ بالاسباط العشرة التي تفرقت في السبي الاول ولا يعلم اين مقرها الآن والمرجح ان اليهود الحاليين ليسوا منها بل من سبطي يهوذا وبنيامين

وغرضنا من نشر هذه السطور ان يرى الشرقيون ان فريقاً منهم وهم الاسرائيليون الذين هاجروا الى اوربا وسكنوا فرنسا مرضعة العلوم والفنون وواسطة عقد الحضارة والعمران قد جاروا الفرنسويين او فاقوهم في كل المطالب . فلا ندري كيف يزعم الاوربيون بعد ذلك ان العقل الشرقي دون العقل الغربي وانهُ اذا تناظر الشرقي والغربي وتساوت وسائط الاثنين كان السبق للغربي على الشرقي . ومعتمدنا في الجزء الاول من هذه المقالة على كاتب فرنسوي مشهور بين قومهِ اسمهُ ايجين تاغرينه قال ما خلاصتهُ

حسبت جريدة العالم الاسرائيلي في عددها الصادر في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٥ ان عدد اليهود في باريس سبعون الفاً . وهذا العدد مبني على احصاء سابق وعددهم الآن اكثر من ذلك لانك قلَّما تجد شارعاً وليس فيهِ خمسة مخازن او ستة او عشرة من مخازن اليهود حيث لم تكن تجد مخزناً واحداً لهم . ويقدَّر عدد اليهود الذين اخذوا الرعوية الفرنسوية حتى الآن في فرنسا والجزائر بثمنئة الف نفس لكن نسبة المراكز التي يشغلونها في الحكومة الى عددهم اكثر كثيراً من نسبة المراكز التي يشغلها الفرنسويون الاصليون الى عددهم . واحصاؤهم في مراكز الحكومة امر عسير جدًّا وقد أُحصيت عدد من ذكروا منهم في جرائدهم ومجلاتهم من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٠ فوجدت ما يأتي

في الجيش — قال الكولونل مادكي في جريدة العالم الاسرائيلي في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٨ انهُ كان في فرنسا ٧٢١ ضابطاً اسرائيلياً سنة ١٨٨٨ من ١٨٥٠ ضابطاً وهم يصلون الى اعلى الدرجات في الجندية

فكان بين الجنرالية الفرنسوية في الثماني السنوات الاخيرة ثلاثة من رتبة فريق وخمسة من رتبة لواء (اي ثمانية جنرالية) و١٩ من رتبة امير الاي و٢١ من رتبة قائم مقام و٦٨ من رتبة بكباشي و١٠٧ من رتبة يوزباشي و٣٦٦ طبيباً من اطباء الجيش

البحرية — اليهود قلائل بين الضباط البحرية بالذات ولكنهم كثار بين الذين يتولون ادارة انشاء السفن الحربية وعمل البارود

القضاء — في مجالس الاستئناف وغيرها من المجالس ١١٠ قضاة منهم

مجلس الدولة — فيهِ ١٢٠ مستشاراً بينهم عشرون من اليهود

الوزارة بين النظار ووكلائهم وكاتمي سرهم خمسون موظفاً من اليهود

المعارف العمومية — بين الاساتذة في الجامعات والكليات ٢٠٢ من اليهود واثنان منهم مفتشان عامان للتعليم واربعة في يدهم ادارة شؤُون التعليم الابتدائي

المناجم والمساحة — رؤساء المهندسين للمناجم والمساحة تعينهم الحكومة واكثر من ثلاثين منهم من اليهود

وادارة مساعدة الفقراء وادارة اعانة المحتاجين واسعتان جدًّا تشملان البلاد كلها ولها صفة رسمية واليهود كثار جدًّا فيهما وهم كثار ايضاً في ادارات السجون وتوزيع الاعانات على المدارس ومساعدة الاطفال

ادارة البوليس والضبط والربط فيها كثيرون من اليهود وادارة بعض فروعها في يدهم

اما عددهم في المناصب التجارية والمالية فكثير جداً حتى يصعب احصاؤهم وكل سنة تذكر جريدة العالم الاسرائيلي عدداً كبيراً من اليهود الذين تستخدمهم الحكومة الفرنسوية لمراقبة مصالح فرنسا التجارية في البلدان الاجنبية

وسنة ١٩١٠ كان ستة من اليهود في مجلس النواب الفرنسوي واربعة في مجلس الشيوخ وعشرة في الاستتو

ومنذ ستين سنة الى الآن ترع ستة منهم في منصب الصدارة اولهم كرميو المحامي الشهير الذي صار وزيراً للحقانية سنة ١٨٤٨ ثم جودشو الذي صار وزيراً للمالية تلك السنة. وثلاثة منهم استوزروا في هذه الجمهورية وهم مليو وزير الاشغال العمومية ورينال وزير الاشغال العمومية ايضاً ثم وزير الداخلية وكلوتس وزير المالية

ولليهود في الصحافة الفرنسوية الشأن الاكبر ففي باريس اربعون جريدة يومية واليهود يشتغلون في تحرير ثلاثين منها. واكثر العاملين في بعض الجرائد العليا منهم وكل اصحاب جريدة المسيو جوره الاشتراكية منهم وهم لاوي برومل. ولاوي برم ودريفوس. ولويس دريفوس. وعالي ودريغ وليون بيكار. وصلومون ريناخ وبلوم. وروف. وكاز يونز وهر. وساش

وقد باهت مجلة السجل الاسرائيلي في سبتمبر سنة ١٩١٠ ان الدراما (التمثيل) صارت في يد المنشئين من اليهود ولا شبهة ان اشهر كتاب العصر في فن الدراما هم منهم مثل برنستين ودة بورتو ريش و بيرولف وترستان برنار وفورست واندره بيكار وناتانسن واتي وفلابريغ. واكثر منتقدي التمثيل من اليهود ايضاً

ثم استطرد الكاتب الى شيوع التعطيل بين اسرائيلي فرنسا وانتقاد بعضهم بعضاً في ذلك وما كان لقضية دريفوس من الشأن الكبير ونحو ذلك مما لا يهمنا ذكره ولو تلخيصاً فنجتزئ بما تقدم للدلالة على ان الاسرائيليين وهم امة شرقية محضة ماضلت الفرنسويين في عقر دارهم فتفضلهم وترتفع رجالها في اعلى مناصبهم العلمية والادبية والسياسية والمالية مع ان تاريخهم في فرنسا تاريخ اضطهاد مستمر. فهو من اوائل القرن الحادي عشر الى اواخر القرن الرابع عشر سلسلة متصلة من المذابح فكانوا يتهمون بانهم يذبحون اولاد المسيحيين حتى يدخلوا بيوتهم ثم يقتلونهم وانهم كانوا يسمون الآبار والعيون فتقوم العامة عليهم وتثخن فيهم. وكانوا محرومين من اقتناء الاملاك واذا استدان احد العظماء مالاً من اسرائيلي وتعذر عليه ايفاؤه فتك به او نفاه من ولايته. ومن هذا القبيل ان الملك فيليب اغسطس المتوفى سنة ١٢٢٣

استدان هو وشيعتهُ اموالاً كثيرة من الاسرائيليين ثم استحق هذه الديون كلها واخذ منهم عقود الرهن وكل ما يملكونهُ وطردهم من فرنسا . والملك لويس التاسع جمع الديون التي كانت لهم على شعبهِ والغى ثلثها حاسباً ذلك من اعمال البر الآئلة الى خلاص نفسهِ وامر بحرق كتبهم الدينية . وطردوا ثانية من فرنسا سنة ١٣٠٦ ثم اعيدوا بعد نحو اثني عشرة سنة لحاجة البلاد المالية اليهم وسمح لهم ان يستوفوا كل الديون التي لهم على شرط ان يعطوا ثلثها للملك واشتد الحماس بعامة الولايات الوسطى من فرنسا سنة ١٣٢١ فذبحوا خلقاً كثيراً من الاسرائيليين . وفشا الوباء في السنة التالية فقالوا انهم هم سببهُ واوقعوا بهم وحرقوا في شنون مئة وستين نفساً منهم ثم طردوا من اواسط فرنسا سنة ١٣٩٥

وتاريخهم في سائر اوربا مثل تاريخهم في فرنسا او اشد الاَّ في اسبانيا زمن استيلاء العرب عليها فانهم كانوا فيها مثل غيرهم من السكان وقام منهم حينئذٍ العلماء والاطباء الذين يشار اليهم بالبنان . ولم يكن اهل المذهب البروتستانتي اكثر تساهلاً من الكاثوليك بل كان الامر على الضد من ذلك فان حالهم في ايطاليا كانت دائماً اصلح من حالهم في الممالك البروتستانتية . وسنة ١٥٨٨ الغى البابا سكستوس الخامس كل الاوامر التي اصدرها سلفاؤهُ لاضطهادهم وسمح لهم ان يقيموا ويتجروا في كل البلاد الخاضعة لهُ وان يستعملوا فرائض دينهم من غير حرج وساواهم بسائر الرعايا في ما لهم وما عليهم

ونحن ننظر الى الاسرائيليين في هذه السطور كشعب شرقي من حيث هم جنس من اجناس البشر لا كاهل دين خاص بهم ولذلك يطلق على كل الذين تنصروا او اسلموا منهم ما يطلق عليهم من هذا القبيل فارتقاء دزرائيلي مثلاً الى رئاسة الوزارة الانكليزية هو ارتقاء فرد من الامة اليهودية او من امة شرقية ولو كان قد ولد مسيحياً وقس عليهِ العلماء والوزراء الذين قاموا في كل ممالك اوربا واصلهم يهودي والذين قاموا في ممالك المسلمين واسلموا هم او اسلافهم واصلهم يهودي فان هؤلاء كلهم دمهم شرقي وهم من جنس سامي مثل العرب والسريان والسوريين وغيرهم من الامم السامية

ونحن لا نلوم الاوربيين اذا جهلوا هذه الحقيقة او تجاهلوها ولكننا نلوم انفسنا اذا لم نؤيدها بعملنا وارتقائنا حتى تصير اوضح من الصبح لذي عينين . واذا لم يكن من البحث في هذا الموضوع الاَّ اقناع جمهور القراء بان استعدادهم الفطري كشعب شرقي لا يمنعهم من الوصول الى اعلى مراتب الامم الراقية فكفى بهِ فائدة

ريش الطيور في البرانيط

رأينا بالامس ريشاً في برنيطة احدى السيدات اشتراهُ لها زوجها من باريس بخمس مئة فرنك وهو يحسب انها صفقة رابحة لم يشهدها حاطب . هذا الريش من طائر الفردوس أُتي بهِ من جزائر الهند الشرقية فصيد ذلك الطائر وجلب ريشهِ يقتضيان نفقات كثيرة فلا عجب اذا بيع بثمن فاحش مثل هذا . والمغالاة بالاشياء النادرة سنة جرى عليها اصحاب الثروة وبها تتوزع الاموال فلا غبار عليها من هذا القبيل

ولبس الريش على الرأس للزينة والتباهي قديم جداً ولا يزال شائعاً في كل البلدان تراهُ في الآثار المصرية القديمة التي يمتد تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة او اكثر قبل المسيح حتى لقد أُدخلت صورة ريش النعام بين حروف الهجاء المصرية . ولما وصل الاوربيون الى اميركا وجدوا الهنود سكانها يزينون رؤُوسهم بالريش ولا يزال سكان جزائر المحيط يكثرون من استعمال الريش في زينتهم الى الآن . ومن الغريب ان اهالي اوربا لم يستعملوا الريش للزينة في عصر التاريخ الأ منذ اواخر القرن الثالث عشر وكان اكثر اهتمامهم حينئذٍ بريش النعام كما يرى في صور الفلانس التي كان يلبسها ملوكهم مثل ادورد الثالث ورتشرد الثاني من ملوك الانكليز. واستعمل الريش في الحلل العسكرية اولاً في زمن الملك هنري الخامس في اوائل القرن الخامس عشر وكثر استعمالهُ جداً في اواخر ذلك القرن . وشرعت النساء يلبسنهُ في برانيطهنَّ في اواسط القرن السادس عشر واكثرن من لبسهِ في زمن الملكة اليصابات ومن ثم الى الآن وهن يتبارين بوضع الريش على برانيطهنَّ وادخالهِ في ملابسهنَّ ولا يقتصرن على ريش النعام بل يستعملن ريش انواع كثيرة من الطيور

وكان ريش النعام يجلب من افريقية حيث يصاد النعام لاجلهِ وفي ذلك من المشقة ما فيهِ ثم جعل البعض يربونهُ لهذه الغاية ومن هذا القبيل دار النعام في المطرية قرب القاهرة يربَّى فيها النعام حتى يتكامل ريشهُ ثم ينتف

وريش النعامة البالغة رمادي اغبر وبعضهُ ابيض ولكنهُ قلما يكون ناصع البياض وريش الظليم اكثرهُ اسود فاحم وبعضهُ ابيض يقق وبعضهُ بين بين واثمنهُ الاسود والابيض اما قبل ان يبلغا اشدهما فيكون لون الذكر مشابهاً للون الانثى القليل الرواء وحتى صار عمر الذكر سنتين نبت لهُ الريش الاسود الفاحم الذي يمتاز بهِ

ويبقى النعام حيًّا ينتف ريشهُ اربعين سنة او اكثر اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب ولم

ينتف ريشهُ الأمرة في السنة واما اذا نتف كل ثمانية اشهر او تسعة لم تمضِ عليهِ خمس سنوات حتى يظهر الضعف فيهِ والانحطاط في ريشهِ

الآن ان تجار الريش وواضعي ازياء النساء لم يكتفوا بريش النعام بل اغروا النساء بكل نوع من الريش الملوَّن وغير الملون من ريش الطاووس وطائر الفردوس الى ريش الغراب القاتم والبومة القبيح المنظر . ومما يسهل على كل احد الوصول اليهِ كريش الدجاج الى ما تُوشَّم المشاقي في صيدهِ كطائر الفردوس . ولقد كان الناس يغالون بريش هذا الطائر من قديم الزمان حتى يظن انهُ هو الطائر الذي رآهُ عاصم افندي مترجم القاموس الى اللغة التركية وقال ان لونهُ قريب من الزرقة وفي ذنبهِ جمة ريش منقط ونظراً لهذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر واهداهُ الى السلطان سليم (انظر مقتطف ابريل سنة ١٩١٠ صفحة ٣٦٨)

وقد وصف الدكتور الفرد رسل ولس الذي نماهُ البرق حديثاً طائراً من طيور الفردوس فقال « ان جسمهُ وجناحيهِ وذنبهُ حمراء بنيَّة وتشتد حمرتهُ عند صدرهِ حتى يصير بنفسجياً او احمر قرمزياً واعلى رأسهِ ورقبتهِ اصفر بنيَّاً وريشهُ هناك قصير كالمخمل وريش اسفل عنقهِ اخضر زمردي شديد اللمعان وهو كفلوس السمك شكلاً . وفوق منقارهِ ريش شديد الخضرة يصل الى ما حول عينيهِ . وعيناهُ صفراوان برَّاقتان ومنقارهُ ابيض الى الزرقة وفي ذنبهِ ريشتان طويلتان دقيقتان جدًّا يبلغ طولها قدمين الى قدمين ونصف قدم ويبرز من تحت جناحيهِ ريش غزير دقيق يبلغ طولهُ نحو قدمين لونهُ برتقالي ذهبي لمَّاع ورؤُوسهُ تضرب الى الحمرة وهو ينفش هذا الريش احياناً حتى يغطي بدنهُ » ثم قال انهُ رأى مرة نحو عشرين طائراً من طيور الفردوس على شجرة وقد نفشت ريشها وجعلت تنتفض وتنتقل من غصن الى آخر حتى خال الشجرة كلها صارت ريشاً بديعاً على ضروب شتى من الحركات والسكنات . وهذا التزويق خاص بالذكر واما الانثى فريشها احمر بني

والظاهر ان تجارة الريش غير قديمة في اوربا وانها ابتدأت في جنوى وبيزا والبندقية في القرون الوسطى وامتدت الى فرنسا في القرن السادس عشر فذُكر تجار الريش في زمن الملك هنري الثالث سنة ١٥٨٢ واعطوا بعض الامتيازات في زمن الملك لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر في القرن السابع عشر وانشئ معمل في باريس لتحضير ريش النعام للزينة سنة ١٨٠٢ . والآن يشتغل بهذه الصناعة في باريس وحدها اكثر من خمسين الف نفس ويبيعون في السنة من الريش ما ثمنهُ اربعة ملايين من الجنيهات . اما تجارة الانواع الاخرى من الريش فلم تبتدئ في اوربا الا في اوائل القرن الثامن عشر وقد صورت

صورة الملكة ماري انطوانت وهي لابسة ريش النعام وريش الطائر المعروف باسم مالك الحزين

ثم لما شاع استعمال البنادق للصيد في اواسط القرن الماضي جعل الصيادون يصيدون الطيور بكثرة لاكل لحمها او للمتاجرة بريشها فكادوا يقرضون الطيور المزوقة من اميركا الشمالية والجنوبية حتى ان الطائر الصغير القد المعروف بالطنان كاد ينقرض لكثرة ما كان يصاد منهُ سنوياً لتزيين البرانيط اما وقد قلَّ استعمالهُ الآن في تزيينها فمن المرجح انهُ يعود الى كثرتهِ الاولى . وقد يكون الطائر الذي يصاد لريشهِ جميلاً جدًّا كالطنان وطائر الفردوس وقد يكون من اقبح الطيور منظراً كالطائر الافريقي المعروف بابي سعن المرسوم هنا فانهُ يصاد للريش الابيض الناعم البياض الذي تحت جناحيهِ وهو من اثمن انواع الريش ويعرف عادة بريش المرابو وفي ما سوى ذلك فهذا الطائر من اقبح الطيور منظراً وعملاً

ولقد اهتمَّ كثيرون من الفضلاء الآن بمنع صيد الطيور لاجل ريشها وألّفوا لجاناً كثيرة لذلك واستعانوا بالحكومات لانهم يعدُّون صيدها لهذه الغاية قساوة وحشية وجريمة لا تغتفر ولكنهم لا يحرمون ذبح ما يربونهُ من الطيور للاكل ولا صيد ما في حراجهم من انواع الطير والوحش ولا تجنيد الناس لقتل بعضهم بعضاً . لا شبهة ان وضع بعض الطيور على الرأس كالغربان والصقور لا شيء فيهِ من الزينة كوضع الريش الجميل المنظر مثل ريش النعام والطاووس والشقراق وطير الفردوس ولكن قتل الطيور لاكل لحمها ليس احل من قتلها للتزين بريشها لانهُ قتل على كل حال

واذا كانت الطيور نافعة للزراعة باكلها الحشرات الضارة فمنع صيدها امر واجب للانتفاع بها ولكن ان كانت لا تأكل الحشرات ولا تفيد الزراعة فائدة تذكر صارت مثل غيرها من الطيور التي لا يرجى منها نفع ولا يخشى منها ضرر فاذا جاز قتل الواحدة جاز قتل الاخرى واذا حُرّم قتل هذه حرّم قتل تلك . وزد على ذلك ان الطيور التي يستعمل ريشها في الزينة لها فائدة معاشية فقد تقدم ان ستين الفاً من العمال يعيشون بصناعة الريش في باريس وحدها فاذا فرضنا ان كل واحد منهم يقوم بمعيشة اثنين معهُ فهذه الصناعة تقوم بمعيشة ١٨٠ الف نفس من سكان باريس تأخذ الاموال من الغنيات المترفهات وتوزعها على هؤلاء العمال وعيالهم . اما نساء الاواسط والفقراء اللواتي يتمثلنَ بالغنيات في الاهتمام على زينتهنَّ فيجب ان يُصرَفنَ عن اسرافهنَّ بما يمكن من الوسائل التي لا تضرُّ بغيرهنَّ . وعلى كل حال لا يحسن ان يستأصل طائر جميل المنظر لاي سبب كان

اقطاب الدولة الالمانية

(تابع ما قبله)

الكونت زبلن

لا يذكر اسم الكونت زبلن الا علق اسمه بالبلون المسير الذي صنعه واتقنه حتى صار واسطة من وسائط الانتقال من مكان الى آخر ولو للنزهة وآلة من الآلات الحربية التي يخشى شرها ويرجى خيرها . وقد لقبه امبراطور المانيا منذ خمس سنوات « باعظم رجل المانيا في القرن العشرين » . لما قال الامبراطور هذا القول عده الناس ضرباً من الغلو الجائز في الحفلات اما الآن وبلونات زبلن تسير من ناحية الى اخرى بالركاب فوقفوا يحسبون قول الامبراطور انباء بما صار اليه حال هذا الرجل في السنوات الخمس الاخيرة حتى لما احترق احد بلوناته بركابه على ما ذكرنا في الجزء الماضي لم يكن احتراقه ليزعزع ثقة الناس به

واتم الكونت زبلن الخامسة والسبعين من عمره في شهر يوليو الماضي ولم يدخل حرم الشهرة الا بعد ما صار عمره سبعين سنة مع انه خطب ودها سنين كثيرة قبل ذلك ولعل المصاعب التي لقيها في طريقه اشد من كل ما لقيه احد غيره من المخترعين والمستنبطين

ولد في مدينة كونستانس وابوه الكونت فرديناند فون زبلن وانتظم في الجندية وبلغ رتبة ملازم في الفرسان وعمره ٢٥ سنة وذهب الى اميركا وقت حرب استقلال الـــ السيد كلمحق حربي وعاد منها الى حرب بروسيا مع النمسا فحضر مواقع تلك الحرب القصيرة . ثم لما نشبت الحرب بين المانيا وفرنسا أُمر هو واربعة من الضباط وسبعة من الفرسان ان يستطلعوا جانباً من التخوم الفرنسوية وكانت الجنود الفرنسوية مجتمعة هناك لمقاومة الجنرال ملتكي فلما دريت بهم أمرت بالقبض عليهم احياء او امواتاً ولحق احد الفرسان الفرنسويين زبلن واصاب جواده برمحه فدار اليه زبلن وارداه بسيفه وركب على جواده وكرّ راجعاً . ولقيتهم فرق اخرى من الجيش الفرنسوي فقتلت واحداً من الضباط واسرت ضابطين والفرسان السبعة ونجا زبلن وحده على جواد الفارس الفرنسوي الذي قتله واخبر بما رأى . وخرج من الحرب الفرنسوية الالمانية برتبة كولونل (اميرالاي) . ثم ارتقى الى ان صار جنرالاً في الفرسان فاعتزل الجيش وانقطع لعمل البلون وتسييره حتى صار من وسائل الانتقال المعدودة

وهو ربعة بين الرجال ابيض الشعر ترى امارات الجندي في كل حركاته وسكناته لكنه كثير الاتضاع بعيد من الدعوى

اوغست شرل

في برلين جريدة يومية اسمها جرمانيا وهي لسان حال حزب الوسط الكاثوليكي و يقال انهُ كان يأتيها تلغراف من رومية كل ثلاثين سنة حينما يموت احد البابوات وان الجرائد الالمانية كانت كلها على هذا النسق منذ اربعين سنة من حيث قلة الاهتمام بنشر الاخبار. اما الآن فصار في برلين ست جرائد يومية يختلف مقدار ما يطبع من كلٍّ منها من ١٥٠٠٠٠ نسخة الى ٤٠٠٠٠٠ نسخة وفي همبرج وفرنكفورت و كولون و برسلو وليبسك ودرسدن جرائد يومية يطبع بعضها اكثر من مئة الف نسخة • واكثر الفضل في هذا التغيير لاوغست شرل وهو ابن كتبي دخل مصاف اهل الصحافة لا يملك قرشاً ولكنهُ كان ذكي الفؤَاد فلم يمضِ عليهِ بضع سنوات حتى غيَّر حال الصحافة الالمانية كل التغيير. انشأ جريدة اللوكال انزيجر سنة ١٨٨٣ اسبوعية وجعلها يومية سنة ١٨٨٥ ولم يتبع فيها سياسة مخصوصة بل اهتمَّ بجمع الاخبار ونشرها لاسيما ما كان منها شديد الوقع في النفوس • ولم يمضِ عليها اربع سنوات حتى اضطرَّ ان يصدر منها نسختين في اليوم واحدةً في الصباح وواحدة في المساء واحضر لها آلات جمع الحروف واضاف اليها جريدة اسبوعية مصورة ثم انشأ جريدة يومية مصورة

وزادت جرائدهُ سنة بعد سنة فلهُ الآن خمس جرائد يومية واثنتا عشرة جريدة اسبوعية وبعض هذه الجرائد كثير الانتشار جدًّا ومع ذلك تراهُ ناسكاً منقطعاً عن الناس قد لا يعرفهُ مئة رجل من اهالي برلين • والوصول اليهِ والتكلم معهُ اصعب من الوصول الى القيصر والتكلم معهُ . لما عاد المرشال والدرسي من الصين سنة ١٩٠٠ وراياتُ القيصر تخفق فوق رأسهِ بقي اربعة اسابيع يطلب مقابلة اوغست شرل فلم يحظَ بها . وهو الآن يقيم في بيتهِ ويدير منهُ اشغالهُ كلها ولا يراهُ الأروساء عمالهِ يأتونهُ ويستمدون الآراء منهُ ويعملون بقولهِ لكنهُ يطلع دائماً على كل تفاصيل عملهِ من كبيرها الى صغيرها وجريدتهُ اللوكال انزيجر تحسب نصف رسمية لان الحكومة تعتمد عليها في نشر اخبارها وارائها لكثرة انتشارها في البلاد

وهو مغرم بالطيور لانهُ كان يحرب عشاشها في صغرهِ فندم الآن على ما فعل ويقال انهُ يشتري من وقت الى آخر ما في اقفاص باعة الطيور ويطلقهُ تكفيراً عن ذنبهِ اليها

اميل راتنو

الكهربائية من القوى الحديثة الاستعمال جاءت بعد الماء والغاز والبخار فلم تستطع ان تقف اولاً الا حيث لم تجد تلك القوى موقفاً ثم ما لبثت ان طردتها وقامت مقامها في كثير من البلدان . وفي المانيا شركة كبيرة وهي الشركة الكهربائية العمومية رأس مالها او قيمة ما يختصها من الاعمال مئتا مليون جنيه قدر الغرامة التي اخذتها المانيا من فرنسا . ولها فروع في روسيا وفرنسا والنمسا وايطاليا واسوج واسبانيا وسويسرا وتركيا وحوض الفضة والارجنتين واورغواي وشيلي وجاوى وهي في المانيا ذات شأن كبير ونظام واسع كالجيش الالماني ولولاها ما كانت المانيا كما نراها الآن

هذه الشركة على اتساعها وعظم شأنها لم تنشأ الأ منذ ثلاثين سنة انشأها الرجل الذي يديرها الآن وهو اميل راتنو . ابتدأت ورأس مالها ٥٠٠٠٠ ٢٥ جنيه فبلغت مقتنياتها الآن مئتي مليون جنيه كما تقدم

اميل راتنو يهودي مثل بلين وهو وبلين وتيسن آلاتي ذكره نشأوا في المانيا في الوقت الذي احتاجت فيه الى امثالهم لانجاح اعمالها وتفوقها على غيرها . فهو الذي ادخل اليها التلفون والنور الكهربائي ونقل القوة بالكهربائية ومهد السبيل للترامواي الكهربائي واستنبط اساليب كثيرة لاستخدام الكهربائية وصنع الآلات اللازمة لها

ولد في برلين واشتغل في صباه بعمل الادوية والمعادن ثم درس الهندسة الصناعية في هنوفر وزوريك وجاء بلاد الانكليز ودخل معمل جون بن وشركائه رساماً وعاد الى بلاده وقد رسم رسماً لآلة بخارية قوتها الف حصان . وانشأ معملاً صغيراً في برلين لكن آماله واعماله كانت اكبر من رأس ماله فاضطر ان يبيع المعمل ولم يكسب منه غير خبرة صارت اساساً لمستقبله لان ما تعمله شركته الآن في السنة ومقداره ١٠ مليون جنيه انما نتج عن تلك الخبرة . وقد اغتاظ من الماليين الذين باعوا له معمله الاول ولم يمهلوه ليوفي ديونه فحمله الغيظ على ان اصبح من كبار الماليين وصار يسن لهم السنن

ابتدأ عمله هذا سنة ١٨٨١ حينما عرض اديصن نوره الكهربائي في معرض باريس فقال في نفسه ان هذا النور هو نور المستقبل فصمم على ان يدخله الى المانيا وينشره فيها ويجعله من الحاجيات وتدرج في ذلك الى ان صارت قيمة معامله الكهربائية في برلين وحدها ستة ملايين من الجنيهات وكان دخل المجلس البلدي منها ٧٥٠٠٠ جنيهاً سنة ١٨٨٩ فاصبح الآن ٣٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

مكسمليان هاردن

فردرك وليم دبل الذي لخصنا عنهُ هذه الترجمات وضع بينها ترجمة مكسمليان هاردن النقادة الهجّاء المشهور الذي أُودع السجن مرتين بدعوى القذف في الامبراطور . قيل انهُ كان صديقاً حميماً لبسمارك وهو عامل الآن على الانتقام من الذين اقالوهُ من منصبهِ غامطين فضلهُ . وغاية ما يقال عنهُ انهُ يغمس قلمهُ في السم ولا يدع شائبةً في رجال الحكومة والهيئة الاجتماعية الا كشف امرها وفضح سترها . وقلة ما ينشرهُ من هذا القبيل دليل قاطع على خلو الحكومة الالمانية من الشوائب في عهد امبراطورها النزيه الحازم . ورجل مثلهُ لازم لصحة المملكة حتى لا تعتورها الادواء التي تعتور الممالك عادة ولذلك عُدَّ من اقطاب الامبراطورية الالمانية

اوغست تيسن

ابتدأ هذا الرجل في العمل منذ خمسين سنة ورأس مالهِ الف ومئتا جنيه انشأ بها معملاً صغيراً لسبك الحديد ورقّهِ ونظر بنفسهِ وكان عمالهُ ستين رجلاً . وتقدر ثروتهُ الآن بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً من الجنيهات وعندهُ من العمال خمسون الفاً . وهو لالمانيا في الفحم والحديد مثل ركفلر وكارنجي لاميركا في البترول والفولاذ . انشأ صناعة كبيرة ووسعها الى اوسع ما تصل اليهِ . وسَّع عملهُ رويداً رويداً حتى ضاقت بلادهُ عليهِ بما رحبت فاشترى المناجم وانشأ المسابك واقام المعامل لحديد والفحم والنحاس والمرافئ والارصفة وبنى السفن الكثيرة لنقل المواد والمصنوعات فترى مناجمهُ ومعاملهُ ومرافئهُ ومخازنهُ في فرنسا وروسيا وبرازيل والهند كما تراها في المانيا وهو كثير الاشتغال حتى ان ثلاثة من الكتاب لا يقومون بما يملي عليهم وعينهُ ترقب اعمالهُ في كل مكان

بلغ الحادية والسبعين من العمر ولا يزال حاملاً اعباء اعمالهِ لا يعبأ بالرتب ولا بالمناصب ولا همَّ لهُ الا الاعتناء بامور عمالهِ ومنع الحيف عنهم لكنهُ لم يوفَّق باولادهِ . لهُ ثلاثة واحد منهم ورث اخلاقهُ والثاني مسرف يفتخر بانهُ اكبر مديون فان الديون التي عليهِ تبلغ مليون جنيه وهو ينتظر موت ابيهِ ليأخذ نصيبهُ من ميراثهِ والثالث يحب الجاه فنال لقب بارون مجري وهو عائش بعيداً عن اهلهِ وبلادهِ

وقد ابتاع تيسن قصراً قديماً عظيماً منذ عشر سنوات يصلح لسكن الملوك وزادهُ اتساعاً وزخرفة لكنهُ لم ينسَ انهُ عاش عاملاً من العمال ويود ان يموت كذلك

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

طبع الاقمشة في سورية

(١)

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سلام وبعد فانكما سألتما في مقتطف نوفمبر من يعرف شيئاً عن طبع الاقمشة في سوريا اليوم ان يفيدكما بذلك وها انا آتٍ بما اعرفهُ من هذه الصناعة: —

ان صناعة طبع الاقمشة لا تزال جارية في سوريا ولكن الاقمشة التي تطبع هي من المنسوجات الاوربية غالباً. ولست اعلم بوجود معامل كبيرة لهذه الصناعة وانما جل ما هنالك ان التاجر الذي يبيع هذا الصنف يقدم القماش للصانع وهذا يطبعهُ بالاجرة. ويسمون الصانع عندنا في حلب البصمه جي (تركية من باصمق بمعنى الطبع) وهو غالباً يعمل في بيتهِ

اما الادوات التي يستعملها فهي القوالب الخشبية كما ذكر المقتطف فيرسم اولاً الصورة التي يريدها على الخشب ثم يحفرها حفراً بمعدات خصوصية. والاناء الذي يضع الصبغ فيهِ مصنوع من الخشب ايضاً ويكون على سطح الصبغ قطعة قماش مشدودة الى جانبي الاناء الخشبي بحيث يلامسها الصبغ من الاسفل. اما القماش المراد طبعهُ فيبسط على طاولة واسعة قصيرة القوائم — لانهم يعملون وهم جلوس — مغطاة باللبد السميك وبعدهُ يضع الصانع القالب على القماش الذي في اعلى اناء الصبغ فيعلق بهِ ما يكفي لطبعة واحدة ومن ثم يطبعهُ حيث اراد وكيف اراد على القماش المبسوط امامهُ

واما هذه المطبوعات فليست على شيءٍ من الاتقان ولا يستعملها الأاهل القرى وبعض العامة. فمنها المناديل البسيطة واوجه اللحف. وهذه لا تكاد تطبع اليوم واهمها الشامات

على اختلافها فمنها لثامات البستانيات في حلب وجوارها ومنها لثامات الكرديات وهن يلففنها على طرابيشهن ومنها لثامات العربان وهي سوداء ونقشها ابيض وبسموت . الواحدة منها « حطاطة » وارق الدرجات التي رأيت فيها هذه النقوش هي على هدب ثوب بعض السيدات

وقد شاهدت هذه الصناعة في عينتاب (شمال حلب) وفي حمص . واتصل بي ان تجار حماة يطبعون ما يحتاجون اليهِ من الاقمشة في حمص ايضاً جورج

بيروت . الكلية الاميركية بولس خياط

(٢)

اجبتم على سؤال احد المشتركين في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٣ في ما يختص بطبع الاقمشة والمنسوجات في سورية ان مناديل الزما واوجه اللحف الخشنة النسج والطبع التي ترى الآن في بعض البيوت في سورية هي مما كان ينسج ويطبع فيها ولم تحكموا هل هذه الصنعة لم تزل مستعملة الى يومنا الحاضر او انها عطلت فيها . وطلبتم ممن يطلع على هذا السؤال وهو يعلم بوجودها ان يكتب اليكم بذلك

فاجابة لسؤالكم اقول ان صناعة طبع المنسوجات بالنقوش والرسوم قديمة جداً في سورية كما ذكرتم ولا شك في انها سابقة لرسم الاقمشة بواسطة الحياكة والنسج لان هذه الاخيرة اكثر كلفة واصعب مراساً واطول وقتاً ولا تصلح الاّ للمنسوجات الحريرية والقطنية الغالية الثمن

ولم يزل في سورية حتى يومنا الحاضر معامل لطبع الاقمشة في مدينة حلب يشتغل في المعمل الواحد منها ما يقرب من عشرين عاملاً وفيها يطبعون الاقمشة نظير اوجه اللحف ومناديل الرأس والمآزر وبعض منسوجات للبوس ولوازم اخرى لم يعد يستعملها في يومنا هذا سوى بعض عامة الحضر وسكان البادية . ويوجد معامل كثيرة من هذا النوع في الاستانة ومصنوعاتها اتقن من سواها ونظير ذلك معملان في القاهرة وثلاثة في الاسكندرية وهي خاصة بطبع مناديل الرأس واللفحات خاصة . وصنعة معامل الاسكندرية اشد اتقاناً من صنعة القاهرة والسبب في ذلك على ما قيل براعة صناعها وفائدة ماء البحر فيها

اما الطبع فبواسطة القوالب الخشبية ولا تختلف الصنعة في اساسها عن كيفية طبع المنسوجات الاوربية التي على ما اتذكر كنتم اشرتم الى شيء منها منذ اربع او خمس سنوات عقبى رحلتكم الى انكلترا وزيارتكم بعض معاملها . وذلك ان يؤْخذ النسيج وهو ابيض ويبتدئ العامل بان يطبع الاشكال عليهِ تدريجاً لوناً فلوناً ثم يصبغهُ بعد ذلك او ان يكون

النسيج مصبوغاً اولاً ثمَّ يأخذ بالطبع عليهِ ثانياً وكل هذا نظراً الى الالوان التي يراد صبغهُ بها واشكال الرسوم التي طبعها عليهِ . غير ان الصنعة الاوربية ارتقت ولم تزل ترتقي وتحسن تحسناً متواصلاً بما يتخذون لها من الآلات والمعدات الحديثة وبما يدخلون عليها من الاصباغ والمواد الكيماوية المستنبطة . والصنعة الشرقية باقية على قدمها ملازمة خطتها لم يطرأ عليها تكييف ولا تحسين شأن معظم الصنائع والحرف الشرقية وهو السر كما لا يخفى في اقبال الناس على الاولى واعراضهم عن الثانية القاهرة الياس الغضبان

(٣)

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

سألتم في مقتطف نوفمبر الماضي كتابة شيء عن صناعة طبع (او بصم) الاقمشة في سوريا وطبعها بادرت الى نشر ما اعلمهُ عنها بعد الاتيان على نتفة من تاريخ هذه الصناعة

صناعة طبع الاقمشة قديمة والغالب ان مصدرها بلاد الهند لانها المحل الاول الذي حاك القماش المسمى بالهندي وهو الصنف المستعمل للآن كثيراً لهذه الصناعة والمعروف بعد الطبع بالمنديل او البصمة او اليازمة

الاَّ ان بلاد العجم ومصر كانت لها يد طولى في هذا الفن يؤيد ذلك ما ذكرهُ عن اثارها الموجودة الآن والتي يتجاوز تاريخها الالف سنة غير ان مصر فقدتهُ مما فقدت من صنائعها الاخرى

طبع الاقمشة كان ولا زال في بلاد الشرق من الاعمال اليدوية يستعملون فيهِ القوالب الخشبية يحفرها حفارون اختصاصيون لهذا الغرض بخلاف اهل الغرب الذين اخذوا هذا الفن عنا وابدعوا في اتقانهِ ابداعاً كادوا يهِ اسواق العالم التجارية فاخترعت لهُ بلاد الانكليز الآلات السريعة لطبعهِ وصبغهِ واقتدى بهم الالمان والامم الاخرى حتى الروسيا واهتمت كل واحدة منها في ايجاد وتجديد رسوماتهِ العديدة والوانهِ المختلفة بين يوم وآخر وبعد ان كان طبع الاقمشة خاصاً باصناف القطن صار اليوم عاماً للاقمشة الحريرية والجوخ وخلافها

اما في بلاد الشرق كالهند والعجم وخوى وتركستان وبر الاناضول والاستانة وسوريا ومصر وغيرها فالصناع محافظون على الطرائق القديمة الاولية التي تسلموها واقتبسوها من الآباء والاجداد فاين قوالبهم التي تطبع باليد من آلات الغرب التي تدار بقوة البخار واين المشتغلون بهِ في الشرق وجلّهم اميون من اولئك الاعلام المتخرجين من اعظم الكليات الذين لم عدة

مجلات تصدر شهرية ونصف شهرية ليقف منها اهل الفن على ما جدَّ من الاكتشافات
هذا ولنعد الآن الى طبع الاقمشة في الشرق وسوريا على الاخص حيث يستعملون القوالب الخشبية وهي كثيرة في كل بلد من هذه البلاد الشرقية وتتراوح ثمن الواحد منها بين ثلاثة فرنكات وخمسة في مصر او استعملوا في صنع الاقمشة طريقة المسكات وهي كثيرة الاستعمال في غير تركيا ومصر ومثال ذلك ان يضعوا على الرسم المراد رسمهُ جوامد يسكبونها بآلات خاصة من اصفيح على الشمع والقطران وغيرهما فتلصق وتتماسك على القماش ثم يصبغونهُ بالازرق او الاحمر او سواهما من الالوان المستعملة في صبغها على البارد فيتلون بها القماش جميعًا وبعد ذلك يحل الشمع بالماء المغلي فيزول عنها ويظهر محلهُ الرسم المطلوب
اما الطبع بالقوالب الخشبية فانهم يتوصلون به الى طبع القماش بالوان كثيرة واشكال عديدة الآ انهُ من الضروري لان يكون لكل لون وشكل منها قالب مخصوص فالوردة التي رأيتموها ذات الوان مطبوعة بثلاثة قوالب او انهم استعملوا لها من المثبتات اصنافًا تظهر بعد متنوعة بالوانها
وعلى ذكر الالوان اقول بانهُ فيما مضى كانت الطباعة مقتصرة على الالوان النباتية اما اليوم فقد استعاضوا عن اكثرها باصناف الانيلين والاليزارين التي ساعد تعميمها على رواج هذه الصناعة بعد ان اشتغل في درسها كبار الكيماويين
اما في سوريا فالبلد الوحيد الذي حافظ على هذه الصناعة ولا يزال فيهِ مصانع لها فهو حلب وهي اختصاصية باصناف من طبع الاقمشة تصنعهُ وتصدرهُ الى بلاد العراق وسوريا وبر الاناضول وبر مصر وهناك صناع ماهرون الآ انهم محافظون على القديم ولا يريدون التحول عنهُ وهذا ما يهدد صناعتهم بالموت ان لم يتلافوا ذلك وكثيرًا ما يعتمدون في صناعتهم على القوالب وعلى المسكات ويعملون اعمالهم في محلات خاصة يمكن تسميتها بمعامل لان فيها ما يحتوي على صناع عديدين وهذا هو البلد السوري الوحيد المعروف بهذه الصناعة الآن وتطلب منهُ تلك الاسواق الاخرى
الآ ان البلاد السابقة في هذا المضمار اليوم هي الاستانة وازمير وتوقاد وقيصرية فقد احتكر هذا الفن فيها جماعة الارمن وبرعوا فيهِ مع استعمالهم الطرق الاولية القديمة فانهم يصدرون منهُ كميات وافرة جدًّا الّا ربما ذكر ما تستوردهُ مصر من الاستانة ويقدر بخمسة عشر الف جنيه على اقل تقدير في السنة . والبلاد المذكورة تبيع من مصنوعاتها هذه كثيرًا لبلاد تركيا والخارج . ولقد فاقت الاستانة سواها من هذا القبيل لان ما يصنع فيها هو غاية في

الجودة والاتقان وهي التي تورد كيات كبيرة من مناديلها المسمومة الى بيروت لتزيدها يد البيروتية الحسناء اتقاناً وظرفاً بالذي تحبكهُ على اطرافها من التوريا الجميلة ثم تصدر الى مصر وغيرها

اما طبع الاقمشة في مصر فهو وان كان معروفاً من مصنوعات مصر القديمة الا ان صناعتهُ اندثرت ولم يبقَ لها الا الاثر الذي وجدهُ محبو الآثار في خرابات الفيوم ولكن البلاد استعادت اخيراً هذا الفن منذ عشرات السنين اي منذ هجرة الارمن والحلبيين الى هذه البلاد لانهم جددوا هذه الصناعة كما اوجدوا غيرها . والآن هم اصحاب معاملها في مصر والاسكندرية ومصنوعاتهم وافرة فيها حتى سدت كثيراً على واردات تركيا وهي معامل كبيرة يشتغل فيها كثيرون واخصها في الاسكندرية ثم ان كثيرات من العاملات اللواتي تعلمن الفن واحتجبن في بيوتهن لبلوغهن سن الزواج يعملن الآن في بيوتهن لحساب تلك المعامل والامل ان يرتقي هذا الفن كثيراً في مصر

واذا اراد صاحبكم الحصول على قوالب فذلك ميسور له ان كان من الاسكندرية او من مصر وما عليهِ الا تكليف واحد ليبحث اليهِ بها مصر ثابت ثابت

عبد اللطيف وابن سينا

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

رأيت في ما تقتطفونهُ من عبد اللطيف البغدادي في مقتطف نوفمبر ان عبد اللطيف ينتقص ابن سينا و يذمهُ حيث قال « واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تمم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الا نقصاً » فكيف ذلك وانتم اذا ذكرتم علماء العرب الذين يفتخر بهم فاول من تذكرونهُ منهم ابن سينا احد القراء

[المقتطف] انا لم نطلع على كتاب ابن سينا في الصنعة ولعلهُ كما وصفهُ عبد اللطيف . وقد اطلعنا على كتابهِ في الطبيعيات وما وراءها فوجدنا انهُ ليس مما يعتد بهِ والغالب انهُ مترجم او ناقل عن مترجم لا يحسن الترجمة . واما كتابهُ القانون في الطب فاوسع ما رأينا من الكتب لطلبة العربية . ثم ان فيهِ حشواً كثيراً ولكن فيهِ من الحقائق الطبية والآراء السديدة ما يشهد لهُ بالتبريز على غيرهِ . والظاهر ان عبد اللطيف كان شديد التعصب على علماء الفرس ولعل توسعهُ في العربية وآدابها حقَّر في عينيهِ كتب ابن سينا لانها غير منقحة . وطالما رأينا عشاق العربية يزدرون كتب العلم اذا كانت عبارتها ركيكة كأن الفصاحة شرط لازم لصحة الحقائق العلمية

محصول القطن الاميركي

وتأثيره في محصول القطن المصري

انشأت جريدة التيمس سلسلة مقالات نفيسة عن محصول القطن الاميركي فآثرنا نقلها الى زراع هذا القطن لاهميتها ولما تضمنته من الفوائد العديدة قالت

لما حل العجز بمحصول القطن المصري في سنة ١٩٠٩ وقلت رتب القطن العالية اضطر اصحاب المغازل الذين يغزلون الغزل الرفيع في لنكشير ان يستعيضوا منها ببعض اصناف القطن الاميركي التي يطول شعرها اكثر من سائر الاصناف ولكن هذه الاصناف قلت في المحصول الاميركي الماضي قلة اوقعت اولئك الغزالين في حيرة وارتباك

اما السبب الذي يعزى اليه هذا النقص العظيم فهو ان دودة اللوز اضرت بمحصول العام الماضي ضرراً بالغاً لمجيء شعره اقصر من المعتاد ولاسيما في الاصناف الطويلة الشعر . وهو سبب وجيه ولكنه ليس السبب الوحيد له فالزراع الاميركيون يظنون ان استغلال الاصناف التي يطول شعرها يستغرق زمناً اطول من سائر الاصناف وان لوزها لا تنضج الا بعد ما تنضج الاصناف القصيرة الشعر فيوافق نضجها في شهر اغسطس وهو الميعاد الذي يكون فيه فتك دودة اللوز على اشده والمعروف عند الزراع انه اذا بلغت اللوزة اشدها او نضجت نصف نضج فلا تعود دودة اللوز تلحق بها ضرراً بالغاً ولكنها اذا كانت في اول نضجها فتكت بها الدودة فتكاً ذريعاً ولذلك تراهم يفضلون زرع الاصناف القصيرة الشعر التي تبلغ باكراً على الاصناف الطويلة

واذا ظهرت دودة اللوز في المحصول الاميركي اسقط في يد الزراع ولم يعد في طاقتهم مكافحتها واستئصال شرها . وقد اتفق ان هذه الآفة اصابت زراعة الاصناف التي يطول شعرها الى بوصة ونصف فاكثر على سنين متوالية فالحقت بها ضرراً عظيماً جداً . ولما رأى زراعها ما حل بزراعتهم وان جيرانهم الذين يزرعون الاصناف القصيرة نجت زراعتهم من تلك الآفة او لم تنلها الا بضرر قليل اقلعوا عن زراعة الاصناف الطويلة الشعر وعادوا الى زراعة الاصناف القصيرة التي يطول شعرها الى بوصة فاكثر قليلاً للسبب الذي بيناه آنفاً وهو

ان لوزة الاصناف القصيرة الشعر تنضج قبل ان يستفحل شر الدودة فلا تعود تستطيع الفتك بها واذا اتفق انها ادركت اللوز قبل جني المحصول كله فانها لا تدرك الا الوزات المتأخرة في اعالي الشجيرات وهذه تكون قليلة فلا يؤثر ما يصيبها من الضرر في جملة المحصول. فغاية الزراع الاميركيين اخراج بذرة تكون الشجيرات التي تفرخ منها واطئة تزهر سريعاً و يكون معظم تنويرها في الفروع السفلى القريبة من الارض ويتم نضج لوزاتها باسرع ما يمكن

وقد كانت الدلتا التي يؤلفها نهر المسيسبي المكان الوحيد الذي تزرع فيه الاصناف الطويلة الشعر ولكن هناك اماكن اخرى صارت تزرع فيها هذه الاصناف في مساحات صغيرة وقد يمكن توسيع نطاق زراعتها في هذه الاماكن توسيعاً عظيماً اذا صادف محصولها سوقاً رائجة. ولكن محصول هذه الاصناف لا يزال الى الآن قليلاً جداً بالنسبة الى جملة محصول القطن الاميركي وربما لم يتجاوز مئتي الف بالة من ١٥ مليون بالة. وليس من السهل انشاء معامل جديدة في الاماكن التي يستغل منها هذا القدر القليل من المحصول لتشتغل به دون سائر المحصول

اما كون الاماكن التي تجود فيها زراعة الاصناف الطويلة الشعر كثيرة في الولايات المتحدة فلم يعد من باب الحدس والتخمين بل صار حقيقة ثابتة وصار توسيع نطاق زراعة تلك الاصناف فيها امراً مقرراً بعد ما ثبت بالتجربة والامتحان انها تجود فيها. وقد اهتم قلم الانبات بمصلحة الزراعة الاميركية في السنوات الخمس الماضية اهتماماً عظيماً بانتقاء اصناف جديدة من القطن الطويل الشعر والبحث عن الاراضي الموافقة لاستنباتها واجراء التجارب في زراعتها وقد سبقنا فذكرنا ان هم الزراع الاميركيين الاول هو سرعة نضج المحصول حتى لا تتمكن دودة اللوز من الفتك به وهمهم الثاني هو ان يأتي المحصول كبيراً قدر الامكان. وعندهم ان الاصناف الطويلة الشعر لا تأتي بمحصول كبير مثل القصيرة الشعر ولذلك صرف علماء الزراعة في حكومة الولايات المتحدة عنايتهم الى حل المعضلة الاخيرة فوفقوا بعد ابحاث طويلة وتجارب جديدة يضيق المقام من ذكرها هنا الى تأصيل اصناف يطول شعرها الى بوصة وربع فاكثر وتحمل لوزاً كبيراً فيأتي محصولها كبيراً وتنضج سريعاً مثل لوز الاصناف القصيرة الشعر. وقد اتسع نطاق زراعة كثير من الاصناف الجديدة في بعض الاماكن حتى صار يجنى منها مقادير كبيرة

وقد اهتم قلم الانبات ايضاً بادخال زراعة القطن المصري الى الولايات المتحدة والاميركيون يزرعون الآن صنفاً مصرياً اسمه « ساكل » — نسبة الى مستنبطه الاميركي

على الارجح — في « الامبريال فلي » بولاية كاليفورنيا وفي وادي « صُلْت رفر » بولاية اريزونا ويروونهُ ريًا منتظمًا كما يروى القطن في هذا القطر ولكن لما جاء اوان الجني اعترضت صعوبة ظاهرها بسيط وباطنها على جانب عظيم من الاهمية وذلك انهُ عندما يفتح لوز القطن الاميركي المسمى « ايلند » يخرج كل ما فيهِ من الشعر الى الخارج ويتدلى من اللوزة فيجمعهُ العامل دفعة واحدة على اهون سبيل في حين ان لوز القطن المصري المسمى « ساكل » لا يفتح كذلك بل يظل الشعر الذي فيهِ عالقًا بجلابيب اللوز فيضطر العامل الى نزعهِ من كل خلية على حدتها فيستغرق جنيهُ لذلك زمنًا طويلاً . ولما كانت نفقات الجني من اكبر نفقات محصول القطن في الولايات المتحدة اتضح للقارىء وجه الصعوبة في جني محصول القطن المصري وكثرة نفقاتهِ علاوة على انهُ تعلق بالشعر في اثناء جمعهِ بهذه الطريقة حصافة الاوراق واللوز فتحط من رتبتهِ كثيرًا . وقد اعترض الزراع الاميركيين مثل هذه الصعوبة في جني محصول الاصناف الاميركية الجديدة التي يطول شعرها ولكنهم كادوا يتغلبون عليها الآن بعدما قاسوا في سبيل ذلك كثيرًا من التعب والعناء . ويرجح الآن ان الاميركيين يعمدون الى توسيع زراعة الاصناف الاميركية التي يطول شعرها الى بوصة ونصف بوصة فاكثر بدلاً من ان يقصروا همهم على زرع الاصناف المصرية ويعنوا بتأصيلها وتحسين نتاجها

وتزرع الاصناف الطويلة الشعر الآن بمقادير كبيرة في ولايتي كاليفورنيا واريزونا وفي بعض انحاء ولاية تكساس ولاسيما في الانحاء المجاورة لمدينة كلاركسفيل وفي جهات كثيرة من الولايات التي تحاذي الاوقيانوس الاتلانتيكي ولاسيما في هارتسفيل بولاية كارولينا الجنوبية . وهناك انحاء اخرى عديدة يظهر من تربتها وجوها وسائر احوالها العمومية انها تصلح لزراعة هذه الاصناف واخصها وادي النهر الاحمر في شمال الاباما

وقد ثبت من التجارب العديدة التي اجراها المستر كوكر احد زراع مدينة هارتسفيل في تأصيل هذه الاصناف وتحسين نتاجها وما انفقهُ من المال وصرفهُ من الوقت على ذلك ان الفرد يستطيع ان يأتي اعمالاً عظيمة تعود عليهِ وعلى بلادهِ باعظم الفوائد . وهو لم يقتصر على تأصيل رتب القطن العالية وتحسينها بل اتخذ التدابير اللازمة لبيع محصولها بسعره الحقيقي . وحكومة الولايات المتحدة تحذو الآن حذوهُ في الجهات التي تجري التجارب فيها ولكن مجال التحسين لا يزال متسعًا جدًا ولا ريب في ان كثيرًا من التحسين المطلوب يتوقف على غزالي لنكشير ومساعدتهم لحكومة الاميركية والافراد الاميركيين وشدهم ازرهم

وتموجت سوق الاصناف الطويلة الشعر مرات عديدة وتقلبت عليها الاحوال كثيرًا

الى ان انتابتها ازمة شديدة في العام الماضي . فقد كانت هذه الاصناف تباع باسعار اعلى من اسعار قطن البلد العادي كثيراً ولكنها هبطت في شهر اكتوبر من العام الماضي هبوطاً فاحشاً وكسدت سوقها فلم تنهض من كبوتها منذ ذلك الحين . ورأى زراع تلك الاصناف ما يحل بهم من الخسارة اذا استمروا على زرعها وبقيت اسعارها واطئة فاسقط في يدهم وحاروا في امرهم وثبطت عزائمهم فقلت مساحة المزروع منها في هذا العام وعاد معظم الضرر من ذلك على اصحاب معامل الغزل والنسج في لنكشير

ومن اصعب الامور واشدها مراساً ان يوفق بين هذه الحال في الولايات المتحدة وبين العجز الذي حصل في واردات الاصناف الطويلة الشعر التي كانت ترد على لفربول والاسعار العالية التي كانت تباع بها . وشواهد الحال تدل على ان السبب في هذا العجز عائد الى معامل الغزل والنسج في الولايات المتحدة فانها تسوقت معظم محصول الاصناف الطويلة باسعار عالية جداً على ما يقال . ولكن لا يصدق ان تلك المعامل تستطيع ان تنافس معامل لنكشير في الاسعار ولذلك يحتمل ان يكون لحماية محصول هذه الاصناف في الولايات المتحدة من مزاحمة القطن المصري لها دخل في هذا الامر ولا يبعد ان تكون هذه الحماية من جملة الاسباب لعجز الوارد منها على لفربول . على ان بعض العارفين يعزون سبب العجز الى ان اصحاب المعامل في لنكشير يؤثرون القطن المصري على الاصناف الطويلة الشعر من القطن الاميركي متى ارتفعت اسعار هذه الاصناف ارتفاعاً يكاد يساوي اسعار القطن المصري حتى لا يبقى بينهما الا فرق طفيف جداً

فعلى الخبيرين باحوال سوق القطن ان يسبروا هذين الرأيين بمسبار خبرتهم ويعتقدوا الاصح منهما

بقي هناك امران لا يسعنا اغفالها في هذا المقام لاهميتها وهما

اولاً — لما عدلت حكومة الولايات المتحدة رسوم الجمارك قام اصحاب معامل الغزل والنسج الرفيع في الشمال وقعدوا لذلك وتدوا بالويل والثبور قائلين ان تخفيض الرسوم مهما كان قليلاً يفتح باب المزاحمة لمعامل لنكشير في بلادهم فتخرب معاملهم وتبور مغزولاتهم ومنسوجاتهم ثم جعلوا يستعملون الرتب الواطئة في معاملهم واقلعوا عن استخدام الاصناف الطويلة الشعر التي كانوا لا يستخدمون سواها قبلاً

ثانياً — ان معامل الغزل والنسج في شمال الولايات المتحدة وجنوبها استوردت من القطن المصري في العام الماضي اكثر مما اعتادت ان تستورده في الاعوام السابقة ولكن

النتائج لم تحقق الامال التي املها اصحابها من استعماله ولم تجيء طبق المرام

ورب قائل يقول ولماذا لم تجد الاصناف الطويلة الشعر من القطن الاميركي سوقاً رائجة في لنكشير والحال على ما وصفتم آنفاً . والجواب هو ان الصلات التي تصل الاغناء التي تزرع فيها هذه الاصناف في الولايات المتحدة بالاسواق الاوربية واهية او ليست على ما يرام من الانتظام على ما يظهر . ولا بد من توثق هذه الصلات وانتظامها بمرور الزمن ولكن السبيل الآن مفتوح للغزالين والسماسرة الاوربيين في تحسين هذه الصلات وتوثيقها سريعاً والذين يسبقون غيرهم الى ذلك يربحون ارباحاً طائلة ويفيدون معامل بلادهم فائدة عظيمة جداً

وفي الولايات المتحدة صنف من القطن يعادل في رتبته احسن اصناف القطن المصري او يفوقها كثيراً وهو قطن « السي ايلند » ولكن اذا نظرنا الى زراعته في الوقت الحاضر وقابلناها بزراعة اصناف قطن « ابلند » الواطئة الفيناها آخذة في التقهقر

والقطن السي ايلند على رتبتين اولى وثانية . والرتبة الثانية منهُ تستغل من ولايتي جورجيا وفلوريدا وتعد في اسواق القطن مثل احسن رتب القطن المصري واعلاها وتباع باسعارها ايضاً . وقد نقص محصول هذه الرتبة في العام الماضي نقصاً كبيراً فانهُ بلغ ٥٩٢٠٤ بالات مقابل ١١٧٦٢٢ بالة في عام ١٩١١ اي انهُ نقص اكثر من خمسين في المئة ولكن زراعها املوا ان يستعيضوا بارتفاع الاسعار عما خسروهُ بعجز المحصول او بسبب اشتداد الطلب عليهِ وقلة الموجود منهُ الا ان آمالهم ذهبت ادراج الرياح وذلك لاقبال محصول قطن « مبا كل » المصري وكبره فنقلت الاسعار واطئة ونتج من ذلك ان بعض الذين كانوا يزرعون قطن السي ايلند اقروا على ترك زراعتهِ لما تطلبهُ من العناية الفائقة ولما هي معرضة لهُ من الاخطار وشرعوا بزراعة اصناف قطن « ابلند » قائلين انها وان تكن احط من قطن السي ايلند رتبة واوطأ منهُ سعراً فان محصولها مضمون اكثر من محصوله وزراعتها لا تستوجب العناية التي تستوجبها زراعتهُ ولا هي مهددة مثلهُ بالاخطار الكثيرة

على ان هذا التغيير الذي طرأ على افكار بعض زراع قطن السي ايلند لم يؤثر في محصوله تأثيراً يذكر وجميع الدلائل تدل على انهُ سيأتي كبيراً في هذا العام ولكن الاوان لم يحن بعد للحكم في ما اذا كانت اسعارهُ لا تتأثر من مناظرة محصول القطن المصري الذي سيجنى هذا العام في الولايات المتحدة كما تأثرت منهُ في العام الماضي

فيتضح من ذلك كلهِ ان مصير قطن السي ايلند من الرتبة الثانية يتوقف على اسعاره

لاسيما وانهُ لم يعد القطن الاميركي الوحيد ذا الرتبة العالية بل صار قطن « ساكل » المصري الذي يزرع الآن في اميركا نداً لهُ فاذا ارتفعت اسعار قطن السي ايلند عن حدها المعقول اعتاضت معامل الولايات المتحدة ولنكشير عنهُ قطن « ساكل » والعكس بالعكس

اما الرتبة الاولى من السي ايلند فاغلى رتب القطن طولاً واغلاها ثمناً وهي تزرع الآن في الجزر الصغيرة المجاورة لمدينة شارلستن بولاية كارولينا الجنوبية والمشتغلون بالقطن يسمونها « حرير القطن » او « القطن الفاخر »

ولكن قطن السي ايلند على تفاوت رتبتيهِ مهدد بخطر عظيم وهو دودة اللوز . وفي عرف بعض الثقات ان هذا الخطر خرج من دائرة الاحتمال الآن وصار امراً مقرراً تقريباً . ثم انهُ يؤْخذ من الخريطة التي نشرتها حكومة الولايات المتحدة عن سير دودة اللوز في العام الماضي ان هذه الدودة كادت تمتد الى الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند بولاية فلوريدا . وزد على ذلك ان الدلائل كلها تدل على انهُ يخشى ان تمتد الى جميع الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند في اثناء خمسة اعوام وتفتك بزراعتهِ فيها . فاذا وقع ذلك قضي على محصول السي ايلند في الولايات المتحدة وبات اثراً بعد عين وذلك لانهُ يتأخر في نضجهِ عن سائر الاصناف ولان الاحوال العمومية في الجهات التي يزرع فيها ملائمة لنمو هذه الدودة ومعنى بذلك ان فيها مساحات واسعة تغطيها الاحراش فتأوى اليها الدودة في فصل الشتاء وتختفي فيها وان قربها من البحر يمنع حدوث الصقيع القتال فيها كما يحدث في سائر منطقة القطن فيميت كثيراً من الدودة ويخفف شرها

وانقراض محصول السي ايلند يوقع معامل لنكشير في مأزق حرج لان الرتبة الثانية منهُ هي المورد الثاني للاقطان التي يطول شعرها اكثر من بوصة ونصف (عدا القطن المصري) والرتبة الاولى المورد الاكبر لاغلى الاقطان فاذا انقرضت بقيت جزر الهند الغربية المورد الوحيد لما وتركت لنكشير تحت رحمة الزراع في تلك الجزر . ومما يؤْثر ذكرهُ في هذا المقام ان كثيراً من الثقات اعربوا عن خوفهم من ان يزيد محصول رتب القطن العالية على المطلوبة فاذا حدث ذلك فالمرجح ان تعود الفائدة او الربح منهُ على المعامل الاجنبية لا على معامل لنكشير . والخلاصة انهُ اذا انقرضت زراعة السي ايلند في الولايات المتحدة انتفعت مصر وجزر الهند الغربية من انقراضها وربحتا ارباحاً طائلة

بقي علينا ان نبحث في الوسائل التي تمنع امتداد الدودة الى الجهات التي يزرع فيها قطن السي ايلند او تخفف فتكها بهِ . اما وسائل المنع فالدلائل تدل على انها غير مستطاعة الآن

او انهُ لم يعثر بعد على طريقة تمنع امتداد الخطر وتعاظمهُ ولكن ذلك لا يمنع اكتشاف طريقة لمنعهِ في المستقبل ولاسيما ما كان منها من قبيل الحشرات التي تفتك بالدودة او تفتات بها . اما الوسائل التي تخفف فتكها فعديدة ولكنها كلها تحتاج الى نصب وعناء عظيمين و بوادر الحال تدل على ان زراع السي ايلند صاروا يرغبون عنهُ الى اصناف « ابلند » لكثرة ما يتطلبهُ من العناية ولان ثمرة تعبهم فيهِ غير مضمونة فلا يعقل انهم يعمدون والحالة هذه الى هذه الوسائل الشاقة ويضاعفون تعبهم ونصبهم في حين انهم يستطيعون ابدال زراعة السي ايلند التي يتأخر نضجها بزراعة قطن « ابلند » من الرتب العالية التي تنضج سريعاً . واذا علمنا ان معظم الزراع الاصاغر في الولايات المتحدة هم من السود وان السود يميلون بطبيعتهم الى الاعمال الخفيفة الهينة زال الامل كلهُ او معظمهُ في انهم يمارسون هذه الوسائل الشاقة

ولكن حكومة الولايات المتحدة آلت على نفسها ان تقاوم هذه الآفة وتمنع امتدادها الى مزارع قطن السي ايلند بطريقة من الطرق . وقد سبقنا فبينا انها وفقت بطريقة التأصيل الى تقديم اوان نضج بعض اصناف قطن « ابلند » التي يطول شعرها الى بوصة وربع وانها كادت توفق في تقديم ميعاد نضج بعض الاصناف الاخرى التي يطول شعرها الى بوصة ونصف بوصة فلا عجب لذلك اذا وفقت الى تقديم ميعاد نضج قطن السي ايلند كما وفقت في سواهُ ومتى تم لها ذلك ضعفت من فتك دودة اللوز تماماً او قلت فتكها بهِ كثيراً فلا يعود ضررها يذكر

ومصلحة الزراعة الاميركية تجري التجارب الآن في تأصيل اصناف جديدة يطول شعرها الى بوصة وثلاثة ارباع البوصة و بوصتين ويتم نضج محصولها باكراً حتى يسلم من فتك الدودة . وهي تستنفد في ذلك وسعها ولا يبعد انها توفق في ذلك كما وفقت في اصناف كثيرة قبلها سواء كان في القطن او سواهُ

وختمت التيمس بحثها قائلة ان مصير رتب القطن العالية يدعو الى القلق لا الى اليأس والقنوط . فقد نقص نطاق الاراضي التي كانت تزرع فيها الاصناف الطويلة الشعر نقصاً بيناً وفي مقدمتهِ دلتا نهر المسيسبي فانها لم تعد تغل شيئاً من الرتب العالية القديمة ولكنهُ يؤمل انهُ بالسعي والمزاولة تعود فتغل مقادير وافرة من الرتب العالية الجديدة التي يحتمل ان تضاهي الرتب القديمة في جودتها . وهناك اراضٍ اخرى واسعة فتحت لزراعة الرتب العالية والآمال معقودة على نجاحها فيها وانها تخرج قطناً من اعلى رتب « الابلند » واطولها شعراً . بقي قطن السي ايلند وهو المورد الوحيد للرتب الفاخرة (الجكس) وزراعتهُ الآن مهددة بالانقراض

ولكن هناك لحسن الحظ ابواب اخرى يمكن طرقها الاعتياض بها منهُ والواجب ان تطرق هذه الابواب حالاً

وفي وسع القطر المصري ان يخرج ربما اعلى من الرتب التي يخرجها الآن او كان يخرجها في الماضي والواجب على الزراع المصريين ان يبادروا الى تحقيق ذلك بأسرع ما يكون. اما ما يقال من ان السودان يصلح لاخراج اعلى رتب القطن المصري فهو قول لا تثبت صحتهُ قبلما تختبر قابلية ارض السودان لانبات تلك الرتب اختباراً تاماً

هذا ولا يحتمل ان تزيد غلة الرتب العالية من القطن عن المطلوبية حتى اذا فرضنا ان المطلوبية غير قابلة للتوسع مع ان ذلك يخالف الحقيقة والواقع

ان معامل لنكشير تستطيع ان تبتلع من رتب القطن العالية الآن اكثر مما تستطيعهُ في الوقت الحاضر فاذا لم يعجل في زيادة محصول تلك الرتب اضطرت ان تقتصر على ما يتيسر لها موقتاً

الزراعة وتقدمها في عشرين عاماً

من خطبة الاستاذ وود رئيس قسم الزراعة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

لم يهتم الناس في البلاد الانكليزية بالبحث الزراعي الا منذ سنين قليلة اما الآن فقد اشتدَّ اهتمامهم بها هناك وفي كل البلدان ومرادي في هذه الخطبة ان ابين النتائج التي نتجت من البحث الزراعي منذ عشرين سنة الى الآن سواء كانت نجاحاً او فشلاً

واول شيء اوجه النظر اليهِ النتائج التي نتجت من التجارب العديدة التي جربت في الاطيان في كل البلدان تقريباً . ومن اظهر هذه النتائج ان الفصفات تزيد نمو عشب الربيع الذي يستعمل علفاً للمواشي اخضر ويابساً ويزيد مقدار الغذاء فيهِ للمواشي التي تعلف بهِ فقد ظهر من التجارب ان الغنم التي ترعى في ارض سمد نباتها بالفصفات يزيد ثقلها مضاعف ما يزيدهُ ثقل غنم اخرى مثلها ترعى في ارض لم يسمد نباتها بالفصفات . واذا رعت الغنم في قطعتين متساويتين مسمدتين بمقدار واحد من الفصفات فالغنم التي رعت القطعة الواحدة يزيد ثقلها كما يزيد ثقل الغنم التي رعت القطعة الاخرى واذا وجد فرق بين الواحدة والاخرى لم يزد هذا الفرق على خمسة في المئة عن المتوسط فاذا كان الفرق بين الغنم التي ترعى الارض المسمدة بالفصفات والغنم التي ترعى ارضاً غير مسمدة مئةً اي اكثر من الفرق الاول عشرين ضعفاً فهو ناتج حتماً عن فعل الفصفات لا عن اختلاف عرضي في الارض او

في الغنم . ويظهر فعل الصفات هذا في كل النباتات التي من فصيلة القمح والشعير وما اشبه
وهو من اعظم الفوائد التي تجت من علم الزراعة والبحث الزراعي

ثانياً من المكتشفات المهمة جداً في الزراعة انهُ اذا جلبت تقاوي البطاطس من مكان بعيد عن المكان الذي تزرع فيهِ زاد محصولها ثلاثين في المئة الى خمسين في المئة عن محصول التقاوي التي تؤْخذ من بطاطس مضى عليهِ ثلاث سنوات او اكثر تزرع في تلك الارض

وكيفما التفتنا الى هذا النوع من علم الزراعة نجد ما يدعو الى التفاؤُل بالمستقبل فان انواعاً جديدة من الاسمدة قد صنعت من نيتروجين الهواء . واصنافاً جديدة من المزروعات قد وجدت بالتربية . وكثر الاهتمام بالتجارب الزراعية ولم يبقَ الآن يراد التدقيق في معرفة ما ينتج من تلك التجارب قبل نشرها

ثم اننا قد اوجدنا ما يسمَّى بعلم التربة . فمنذ عشرين سنة عُرِف فعل الميكروبات في ايصال نيتروجين الهواء الى الارض وعُرِف ايضاً الاختمار النشادري . وقد ثبت بالامتحان ان الميكروبات التي تكون في جذور النباتات القرنية تمتص نيتروجين الهواء وتجعلهُ في حالة صالحة لتغذية النبات . واشار البعض باستخدام هذه الميكروبات لتسميد الارض ولكن اكثر الباحثين في التربة ينكرون فائدتها لذلك

واهم الاكتشافات الحديثة في علم التربة ان الحيوينات التي من نوع البروتوزوى تمنع خصب الارض . واول من انتبه لذلك ديران البحث في التربة باميركا وظن اولاً ان الفاعل الذي يمنع الخصب او يولدهُ كيماوي وانهُ ناتج من مواد تفرزها جذور النبات . ثم استخرج من الاراضي القاحلة مواد قيل انها تماثل ما تفرزهُ جذور النبات ووجد بالامتحان انها توقف النمو وقيل ان ضررها يزول بواسطة بعض الاسمدة بدعوى ان تلك الاسمدة تتحد بها اتحاداً كيماويًّا وتمنع فعلها

وكثر البحث في هذا الموضوع فثبت وجود الفاعل الذي يزيل خصب الارض ولكن لم يثبت انهُ مفرز من جذور النبات ولا ان املاح الاسمدة تزيل فعلهُ . ثم اتضحت الحقيقة من تجارب رسل وهتشنسن فانهما وجدا ان محل بعض الاراضي يزول اذا عُقّمت قليلاً اما بتسخينها الى درجة تقرب من غليان الماء او باستعمال بخار مادة مضادة للفساد . ويستدلّ من ذلك على ان الفاعل الذي سبب محل الارض جسم حيّ اي انهُ من الاحياء التي تميت الميكروبات النافعة للزراعة وموتهُ بالحرارة او بمضادات الفساد اسهل من موتها . وقد وجد هذان الباحثان ورصفاؤُهما ان في التربة كثيراً من انواع البروتوزوى التي تتغذى

ميكروبات الارض وتمنعها من ان يزيد مقدارها . فالاراضي التي يكثر فيها السماد جدًّا والاراضي التي تزرع فيها الخضر في البلاد الباردة تحت اغطية من زجاج تكثر فيها هذه الحويصلات فتقل الميكروبات عن الحد اللازم لتحليل المواد الآلية وجعلها صالحة لتغذية النبات . وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا احميت تلك الاراضي او عرضت لبخار مادة مزيلة للفساد عاد اليها خصبها الذي فقدتهُ . وقد استفاد من ذلك اصحاب البساتين التي تزرع الخضر في لي فلي ببلاد الانكليز ومريعالجون ارضهم الآن بالحرارة او بمزيلات الفساد كلما قل خصبها . فهذا الاكتشاف العلمي افاد فائدة عملية كبيرة ستأتي البقية

محصول القطن المصري هذا العام

قدرت مصلحة الزراعة محصول القطن المصري هذا العام ٧ ٥٩٣ ٠٠٠ قنطار وهاك تفصيل محصوله في كل مديرية من المديريات مع مقابلتها بمحصولها في العام الماضي

	سنة ١٩١٢			سنة ١٩١٣		
	المساحة بالفدان	محصول الفدان	جملة المحصول	المساحة بالفدان	محصول الفدان	جملة المحصول
البحيرة	٢٤٣٠٠٠	٣٫٢٨	٨٢٤٠ ٠	٢٤٥٠٠٠	٣٫٨٠	٩٣ ٠٠٠
الدقهلية	٢٦١٠ ٠	٤٫٣٥	١١٣٥٠ ٠	٢٥٨٠٠	٤٫٤٠	١١٣٥٠ ٠
الغربية	٤٢٣٠ ٠	٤٫٠٦	١٧٥٨٠٠	٤٢٤٠٠٠	٤٫١٠	١٧٣٢٠٠٠
القليوبية	٠٦٥٠٠	٤٫٥٤	٢٩٥٠٠٠	٠٧١٠٠٠	٥٫٥٠	٣٨٩٠
المنوفية	١٣٦٠٠	٥٫٨١	٦٨٣٠٠٠	١٢٤٠٠	٥٫٦٧	٧ ٦ ٠٠
الشرقية	٢١٨ ٠	٤٫٥٤	٩٩٠ ٠	٢١٨٠٠٠	٤٫٥٠	٩٨٢٠٠
جملة الوجه البحري	١٣٤٦ ٠٠	٤٫٣٣	٥٦٨١ ٠٠	١٣٤٠٠٠٠	٤٫٣٩	٥٨٧٩٠ ٠
اسيوط	٤٧ ٠	٣٫٧١	٢٧٢ ٠٠	٥٣٠٠	٤٫١٥	٢٦ ٠٠
بني سويف	٧٦٠٠٠	٤٫٦٧	٣٥٥٠٠	٧٧٠٠٠	٥٫١٥	٣٩٩ ٠
الفيوم	٨٠٠٠٠	٣٫٣٩	٢٧١٠٠٠	٨٢٠٠	٣٫٠٩	٢٥٤٠
جرجا	٣٠٠٠	٥٫٠٠	١٥ ٠	٥ ٠٠	٥٫٠٠	٢٢ ٠
الجيزة	٤٥٠٠٠	٤٫٠٧	١٨٣٠ ٠	٤٢٠٠٠	٤٫٤٠	١٨٣٠ ٠
قنا	٤٠٠٠	٥٫٢٥	٢١ ٠	٤٠٠	٥٫٥٠	٢٢ ٠٠
المنيا	١٢١٠٠٠	٥٫٨	٧ ٢ ٠٠	١٢٠٠٠٠	٤٫٧٥	٥٧٢ ٠٠
جملة الوجه القبلي	٢٧٦٠٠٠	٤٫٨٤	١٨١٩٠٠٠	٣٨٣٠٠٠	٤٫٤٧	١٧١٤٠
الجملة العمومية	١٧٢٢٠٠٠	٤٫٣٥	٧٥٠٠٠٠٠	١٧٢٣٠٠٠	٤٫٤١	٧٥٩٣٠٠٠

اي ان الموسم الحاضر مبلغ سبعة ملايين و٥٩٣ الف قنطار ولكن جمعية الحاصلات الزراعية قدرتهُ اخيراً بنحو سبعة ملايين قنطار واكثر المزارعين يقدرونهُ كذلك او باقل من سبعة ملايين ولا سبيل لمعرفة الحقيقة الآن لان غلاء السعر اغرى المزارعين ببيع اقطانهم سريعاً فكثر الوارد الى الاسكندرية حتى بلغ في ٢١ نوفمبر ١٩١٣ ٣٩٥١ ٤١٤ قنطاراً او نحو اربعة ملايين قنطار وكان في العام الماضي في مثل هذا الوقت ٠٧٦ ٣٦٨٧ قنطاراً اي زاد عمّا كان في العام الماضي نحو ٢٦٤ الف قنطار. الّا ان البزرة التي وردت الى الاسكندرية الى هذا التاريخ اقل من البزرة التي وردت في العام الماضي ولو كان موسم هذا العام زائداً على نسبة ورود القطن الى الاسكندرية لوجب ان يزيد ورود البزرة ايضاً لا ان ينقص او ان يبقى كما كان في العام الماضي على الاقل

اما اسعار القطن فبعد ان ارتفعت في كنترانات نوفمبر الى عشرين ريالاً وربع ريال او اكثر قليلاً هبطت الى ثمانية عشر ريالاً وثلاثة ارباع وهي تتراوح الآن حول تسعة عشر ريالاً ويعزى هبوطها الى ضغط التجار على السوق ولاسيما في اواخر كل شهر. والسبب الاكبر لارتفاع السعر الى هذا الحد كون موسم اميركا يقل عمّا يلزم للمطوحنة او لا يزيد عليها

نظارة الزراعة الجديدة

جُعلت مصلحة الزراعة المصرية نظارة وعين سعادة محب باشا مدير القربية ناظراً لها وبقي المستر ددجن مديرها السابق مستشاراً فنياً لها - وينتظر ان يكون من وراء هذا التعيين فائدة كبيرة للقطر المصري فترتقي الزراعة فيهِ حتى تبلغ اسمى ما يمكن بلوغها اليهِ ويزيد الاهتمام بكل ما يتعلق بها فاري رجوام اسس الزراعة انما ينظر فيهِ الآن الى تقسيم المياه بالقسط لا الى فائدتها للزروعات او عدم فائدتها . والسكك الزراعية التي اتخذت العناية بتمهيدها وحفظها منذ بضع سنوات اهملت الآن فلا سكك جديدة ولا اعتناء بالسكك القديمة مع ان الخسائر التي تلحق باهل الزراعة من عدم وجود السكك الممهدة التي تسير عليها المركبات بسهولة لا تقل عن مئات الالوف من الجنيهات . ولا عناية بفتح الاسواق لحاصلات القطر في البلدان الاجنبية ولولا سوق القطن في اوربا واميركا ما استطعنا ان نصدر من حاصلاتنا ما يفي بعشر ما يطلب منا . فعسى النظارة الجديدة ان تهتم بذلك كلهِ وانشا الله

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحكم لربات الازياء

لم ينجح ما كتبهُ الاطباء وقالهُ الخطباء في كل اللغات على مضار المشد وتضييق الملابس منذ مئة سنة الى الآن لملأ الوفاً من المجلدات ومع ذلك ذهب كلهُ كالكتابة على صفحات الماء الى ان شاءت بعض السيدات في مدينة باريس ان يلبسنَ ملابس واسعة يقلدنَ بها اليونانيات القديمات من غير مشد ولا احزمة فكان كما اردنَ وتغيَّر الزي في هاتين السنتين الاخيرتين دفعةً واحدة وتناول اصلاحاً كثيراً في لباس المرأة

فاولاً زال الطوق الضيق الذي كان يغطي النحر والعنق ووضع فيهِ اضلاع معدنية حتى يبقى منتصباً ولو وخز اسفل الخدين. وصارت الثياب تلبس مفتوحة الطوق مكشوفة النحر يظهر منها اعلى الصدر فيتعرَّض للهواء دواماً كما يتعرض لهُ الوجه. ولا بدَّ من ان يؤَثر ذلك في تقليل الزكام والسعال والتهاب الحنجرة والشعب فان البحَّارة الذين ثيابهم مفتوحة عند النحر لا يصابون بهذه الآفات لانهُ اذا تعرضت العنق للهواء دواماً لم يعد بردهُ يؤَثر فيها كما لا يؤَثر في الوجه. وكذا اعلى الصدر فان تعرضهُ للهواء دواماً يقويهِ ويمنع تأَثرهُ بتغيرات الهواء

وثانياً زال المشد الذي كان يضغط على الخصر ويضيقهُ حتى صار يضرب المثل بخصر بعض النساء المتأَنقات واتفق علماء التشريح والفسيولوجيا على انهُ من اضر الامور بالصحة. والمشد الذي تلبسهُ النساء الآن لا يزيد على منطقة تسند اعضاءهنَّ

وثالثاً قصرت الثياب حتى لا تجرّ ذيولها على الارض وتجمع الغبار وما فيهِ من الوف الميكروبات المرضية وغير المرضية

ورابعاً صار الغرض الذي ترمي اليهِ النساء في ازيائهنَّ الحديثة ان يكون شكل الثوب مثل شكل البدن فيدفئهُ ويقيهِ من غير ان يشدهُ او يثقل عليهِ

خامساً قلَّ استعمال الكعاب العالية في الاحذية الأ ما يلبس منها في السهرات

والبالات وحبذا لو قل" فيها كلها لان الحذاء العالي الكعب يمنع المشي السريع والرياضة البدنية فوق تأثيره الضار في البدن

سادساً زال الرباط الذي كانت الجوارب تربط به فتمنع جري الدم في الاوردة وصارت الجوارب تعلق تعليقاً بالثياب التحتانية

سابعاً زال ضغط الثياب على الخصر وصارت تعلق بالكتفين

وهذه الامور كلها قرَّبت لبس النساء الآن من لبس اليونانيات في عهدهن" ولقد كن" اجمل النساء قواماً واجودهن" صحة

ولكن ما ثم" من الحسن والصلاح في الثياب عارضهُ ما اصاب البرانيط من القبح والغلاء وكأن" الغرض الاول من برانيط النساء الآن ان تزداد البرنيطة قبحاً حتى يزيد الوجه جمالاً على حد قولهم وبضدها تتبين الاشياء . ولكن لا فائدة من الانتقاد والتنديد ولا يستطيع احد ان يغير زياً الاَّ اذا اشار بزي آخر يزداد به كسب تجار الثياب والبرانيط

تركيب جسم الانسان

اذا كان وزن الانسان ١٥٤ رطلاً مصرياً فوزن ما فيهِ من اللحم والعظم والدماغ وما اشبه ما تراهُ في هذا الجدول

العضلات ومتعلقاتها	٦٨	رطلاً
ومن العظام	٢٤	«
ومن الجلد	١٠½	«
ومن الدهن	٢٨	«
ومن الدماغ	٠٣	ارطال
ومن الاحشاء الصدرية	٠٢½	«
ومن الاحشاء البطنية	١١	رطلاً
ومن الدم الذي ينزف منهُ بسهولة	٠٧	ارطال
والجملة	١٥٤	رطلاً

وهذه المواد بعضها جوامد وبعضها ماء والماء منها ٨٨ رطلاً والجوامد ٦٦ رطلاً اي ان جسد الانسان البالغ مؤلف من ٦٦ رطلاً من الاجسام الجامدة ممزوجة بثمانية وثمانين

رطلاً من الماء . والاجسام الجامدة مركبة من الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين والفصفور والكبريت والسليكون والكلور والفلور والبوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم والليثيوم والمغنيسيوم والحديد والمنغنيس والنحاس والرصاص . واكثرها من الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون واقلها من العناصر الاخرى

ويدخل جسم الانسان كل اربع وعشرين ساعة بالطعام والشراب والتنفس ما وزنهُ نحو ٥٤٥٠٠ قمحة او نحو ثمانية ارطال وعشرين ويخرج منهُ بالتنفس والعرق والبول والبراز ٥٤٥٠٠ قمحة واربعون الف قمحة من ذلك ماء وما بقي مواد اخرى

دفتر ربة البيت

اكبر مساعد على الاقتصاد ومنع الاسراف مسك دفتر لما تصرفهُ المرأة والابنة وكل احد . ويجب ان يكتب في هذا الدفتر كل غرش يصرف وان يكون ذلك يوماً فيوماً . ولا يعلم احد مقدار ما صرف ان لم يقيدهُ في دفترهِ . وكثيراً ما تصرف الواحدة دراهمها من غير انتباه فاذا جاءت الى كتابتها في دفترها انتبهت لذلك ولامت نفسها وصارت تدقق في ما تصرفهُ . ويحسن بها بل يجب عليها ان تراجع ما صرفتهُ في الايام السابقة حتى اذا رأت انها صرفت شيئاً لا داعي لصرفهِ ندمت على ما فعلت ووفرت من مار بق آخر ما يقوم مقامهُ

وافضل ما تفعلهُ ربة البيت ان لا تشتري شيئاً ديناً بل تدفع ثمن كل ما تشتريهِ نقداً فانها اذا فعلت ذلك امتنعت عن ابتياع ما لا تجد معها ثمنهُ وقد تجد بعد حين انها صارت في غنىً عنهُ فتوفر ثمنهُ بتأخرها عن ابتياعهِ

واذا كان للبنت معروف جيب مقطوعاً لها صار مسك دفتر الحساب واجباً عليها حتى لا تصرف في شهرها اكثر من مرتب ذلك الشهر واذا فعلت ذلك زادت تدقيقاً في مصروفها وقد تجد في آخر السنة انها اقتصدت في نفقاتها ما يكفي لابتياع ثياب جديدة او لعمل خيري تسرُّ بهِ وتنفع غيرها

رواسب الآنية

الاباريق التي يغلى فيها الماء للشاي او يوضع فيها الماء السخن ترسب عليها طبقة كلسية صفراء تبطنها . وتسهل ازالتها بان يوضع في الماء فيها قليل من كلوريد النشادر ويغلى مدة ساعة فيصير نزع تلك الطبقة سهلاً فتنزع ويغسل الابريق جيداً قبل استعمالهِ

باب التقريظ والانتقاد

رسائل البلغاء

هذا كتاب ينبغي ان لا تخلو منهُ مكتبة اديب. يحتوي على ما عرف لعبد الله بن المقفع من الأدب الصغير والأدب الكبير وغيرها وما لعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والنتف والحكم وعلى الرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر ورسالة ابي حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الى ابي العلاء المعري وملق السبيل للمعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني وكتاب العرب لابن قتيبة ورسالة رشيد الدين الوطواط فيا جرى بينهُ و بين الزمخشري ومنتخب من عهد ازدشير في السياسة وكتاب الادب والمروءة لصالح بن جناح الرضي

وقد عُني بجمع هذه الرسائل صديقنا الكاتب الفاضل محمد افندي كردعلي صاحب المقتبس وقدم لها مقدمة عن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد ابن يحيى الم فيها باكثر ما يعرف عنها ومحَّصهُ وانتقدهُ مبيناً خطأهُ من صحيحهِ قال بعد ان اورد اتهام الجاحظ لابن المقفع في دينهِ «ان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والأ فكيف نسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل. وليست الزندقة بحثا عما يضمرهُ الانسان في نفسهِ لان مثل هذا لا يطلع عليهِ الأ الله تعالى ويكفي ان يقال هلا شققت عن قلبهِ. بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام و يسوغ ان يقال عن فلان انهُ زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال وافعال. وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكهِ وفرط ميلهِ على ما يجلى لك من رسائلهِ

«ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليهِ لاسيما مع غضب المنصور عليهِ لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيهِ ما فيهِ من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منهُ مع استاطهِ ولا يعدم المنصور حينئذٍ حيلة في قتلهِ جهاراً بهذه التهمة. اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فيتصرف على القاعدة في اتهامهِ بالزندقة وما نقل القاضي عياضًا والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انهُ ناب

«التهمة بالزندقة امر نشأت منهُ مضار كثيرة حتى لم يخلُ منها مثل الامام الغزالي الذي

كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفهُ في الرد على اولئك الذين نسبوا اليهِ ما نسبوا فان فيهِ الشفاء . واغرب من ذلك القيام على ابي حاتم ابن حبان البستي امام المحدثين في عصرهِ وصاحب الصحيح المشهور بهِ والكتب الممتعة الكثيرة واستفحال الامر بقتلهِ لولم ينجُ من ذلك بعوارض لا تخطر في البال »

وذكر ما روي عن مقتل ابن المقفع وسبب قتلهِ ويظهر منهُ ان ابن المقفَّع كان قليل الحذر شديد التفريط بنفسهِ مستهدفاً للبلوى لا يخاف في الحق لومة لائم فانهُ كتب اماناً لعبدالله بن علي قال فيهِ « ومتى غدر امير المؤمنين بعمهِ عبدالله فنساؤُهُ طوالق ودوابهُ حبس وعبيدهُ احرار والمسلمون في حلٍ من بيعتهِ » . فاشتدَّ ذلك على المنصور وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبلهِ فقتلهُ . ولا عجبَ بقتلهِ ولكن العبرة بمجاهرتهِ بما جاهر بهِ في ذلك العصر واعجب من ذلك ان المنصور صح ان يؤْتى بسفيان ابن معاوية اليهِ مقيداً ليحاكم بقتل ابن المقفع

والمطلع على هذه الرسائل يجد فيها اساليب الانشاء التي كان ائمة البلاغة في القرون الاولى ينحونها . ولقد احسن جامعها وناشرها في ما رجاهُ من ان ينفع فيها المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعهِ على ما يتمم بعض الاحكام على الحضارة العربية

رواية هنري الخامس

من روايات شكسبير

لم تكن لغة شكسبير حينما وضع رواياتهِ من الفصاحة في شيء لكنها صارت عند الانكليز مقياس الفصاحة وطالما وددنا ان يُقيَّض لها من ينقلها الى العربية الفصحى . ويظهر لنا ان حضرة محمد افندي السباعي معرب هذه الرواية قد وفق بالمراد فاذا اتمَّ تعريب سائر الروايات وتكرر تمثيلها بالعربية كما تكرَّر بالانكليزية فلا يبعد ان تفعل الترجمة بلغة سامعيها ما فعل الاصل بالانكليزية

مسائل في الطبيعة

وضع هذه المسائل حضرة الاستاذ نقولا باسيور احد المدرسين في المدرسة السعيدية وهي قواعد وجيزة في قياس الاجسام ونسب الروافع والثقل النوعي وضغط السوائل وقانون ارخميدس والضغط الجوي والترمومتر وتمدد الاجسام والحرارة النوعية وما اشبه وعلى كل

قاعدة منها مسائل كثيرة وجملة المسائل ٦٧٠ مسألة وأكثرها مما لا يستطيع حله الا من عرف قواعد علم الطبيعة الرياضي معرفة تامة . وقد اقتصر على حل المسائل بالطرق الحسابية والجبرية من غير استعانة بالرياضيات العليا

الواسطة بين المتنبي وخصومه

لمؤلفه ابي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هجرية وقد عني بتصحيحه وشرحه وطبعه احمد افندي عارف الزين صاحب مجلة العرفان الغراء

والقاضي الجرجاني هو صاحب الابيات التي يقول فيها

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد ارى ولكنَّ نفس الحر تحتمل الظما
ولم اقضِ حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيَّرتهُ لي سلَّما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً واجنيه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوهُ صانهم ولو عظَّموهُ في النفوس لعظُما
ولكن اهانوهُ فهان ودنَّسوا محيَّاهُ بالاطماع حتى تجهَّما

والواسطة ديوان شعر وخزانة ادب ومعرض تجلت فيه عرائس الاشعار ومبتكرات المعاني ولكنهُ خالٍ من التبويب والتفصيل كانهُ بحر لا ساحل لهُ . ترى الفعل في صفحة وفاعلهُ بعد صفحات وتحسب انك وصلت الى الموضوع بالذات وهو الدفاع عما رمي به المتنبي من المعايب الشعرية فاذا انت بطائفة من اشعار غيره كأن الجرجاني غفر الله لهُ كان محموماً كثر ورود الدم الى دماغه فنبَّه ذاكرتهُ الى كل محفوظاتها من قديم وحديث فتسابقت الى قلمهِ وتزاحمت على قرطاسهِ حتى في التعبير عن المعنى الواحد فانهُ يوردهُ على اساليب شتى كانهُ غير واثق ان اسلوباً واحداً يكفي لايضاح مرادهِ . ولكن محفوظاتهُ كلها دُرر وغرر ولقد كانت قلة الكتب وصعوبة الوصول اليها والتفتيش عما يراد فيها من الاسباب التي قوّت ذاكرة الاقدمين فحفظ الواحد منهم في قلبهِ ما يتعسَّر علينا حفظ مشاره الآن ولعلّ الطباعة اضرَّت من هذا القبيل حتى قيل مَن كان علمهُ في كتابهِ كان خطاؤهُ اكثر من صوابهِ . وكثيراً ما حاولنا جمع الحقائق العلمية والتاريخية من كتب الجاحظ فتهنا في فيافيها واذا الجرجاني لا يقصر عنهُ في تشعب مسالكهِ . ولو عني حضرة مصحح هذا الكتاب بفصل

فصوله بعضها عن بعض او بوضع اشارات على هامشهِ تدل على موضوع ما امامها لخدم مطالعي هذا السفر خدمة جليلة لانهُ من خيرة كتب الادب · وهو على كل حال جدير بالشكر العطر لاعتنائهِ بتصحيحهِ وطبعهِ

والكتاب كبير يقع في اكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة وهو حري بان يكون في مكتبة كل اديب

القراءة الحديثة

كتاب مدرسي حديث الاسلوب في العربية يتناول القراءة والحفظ والاملاء وضعهُ الاستاذ انيس الخوري المقدسي لطلبة في القسم الاستعدادي من المدرسة الكلية السورية الانجيلية · وهو دروس انتقى بعضها من الكتب والمجلات العربية ووضع البعض الآخر . يشتمل كل درس منها على فصل طويل للقراءة وفصل قصير للاملاء وابيات للحفظ غيباً وسؤالات عن معاني بعض الكلمات الواردة في ما تقدم من الدرس وعن كيفية استعمال بعضها · وهو يطلب من الكلية ومن المطبعة الادبية في بيروت وثمنهُ بشلكان

قلب الصين

The Heart of China; by Oliver Bainbridge

هو خطبة مسهبة للمؤلف تلا بعضها منذ سنة من الزمان في اجتماع جمعية لندن الصينية مدارها على اهم المواضيع الاجتماعية كالتعليم والقضاء والدين واللغة والمدن والبيوت والطعام والنساء · وقد ختم المؤلف خطبتهُ بقولهِ

« اني اثق تمام الثقة ان الصين سترتقي في السنوات الثلاثين التالية تجارياً وحربياً ارتقاء يدهش العالم

« لقد اثبت التاريخ ان الصينيين يحبون السلم والصناعة ولاداعي لعدولهم عن ذلك اذا اضطروا ان يزيدوا مهارة في الفنون الحربية · ولكن الصين بمئات الملايين من سكانها قد اخذت تستفيق كالجبار الذي كان يجهل ما فيهِ من القوة · وقد جعل التعليم يفعل الرائب فيها هو والاساليب الحربية ولا يبعد ان يصير لها شأن كبير في توازن القوات الدولية

« والشعب الصيني اشرف شعوب الارض واكثرها اجتهاداً واقتصاداً وتعقُّلاً »

وفي الكتاب كثير من الصور المتقنة التي تمثل الصينيين في احوال مختلفة وهي منقولة عن صور فوتوغرافية فلا شك في مطابقتها الواقع

محاضر

مجلس شورى القوانين في دور سنة ١٩١٢ — ١٩١٣

المطلع على هذه المجموعة لا يسعهُ الأ الاعتراف بان مجلس شورى القوانين خدم بلادهُ خدماً جليلة واشتغلت لجانهُ اشتغالاً شاقاً في البحث والتحري وابداء الآراء للحكومة . ونظرة واحدة الى فهرسها الصحائي تكفي للدلالة على المواضيع التي بحث فيها المجلس في دوره الاخير مثل مشروع صيد الاسماك وقانون امتحان المعاولة وقانون امتحان شهادة الدراسة الثانوية والسماح لبعض الساقطين باعادة امتحانهم وقانون الخمسة الافدنة وقانون تقليع البرسيم لمنع انتشار دودة القطن ومنع نقل القطن من الوجه القبلي الى الوجه البحري قبل حليجهِ . وتملأ هذه المحاضر ٦٧٠ صفحة وستبقى اثراً خالداً لهذا المجلس الذي أتى الآن وقامت الجمعية التشريعية مقامهُ ومقام الجمعية العمومية

ولا يخفى ان بعض القوانين التي اقرتها الحكومة بموافقة مجلس الشورى كبير النفع سيبقى معمولاً بهِ الى زمن طويل وبعضها لم يوافق عليهِ كثيرون من الاعضاء ولا نرى لهُ فائدة دائمة ولا بد من الغائهِ وقتاً ما كقانون منع قطن الوجه القبلي من الحليج في معامل الوجه البحري فانهُ يضرُّ اهل الزراعة في الوجه القبلي ولا يمنع خلط التجار للقطن الصيفي بالقطن الاشموني لانهم يخلطونهُ بعد الحليج ولأن رتبة القطن الصيفي لم تنحط من اختلاط بزره ببزر القطن الاشموني بل من اسباب اخرى طبيعية اهمها الرجوع الى الاصل والأ فكيف لم يقع هذا الانحطاط حينما بدأت زراعة القطن الصيفي في القطر المصري

الكتاب الثاني

من النماذج التطبيقية للدروس النحوية

تأليف السيد اسمعيل افندي منصور خريج مدرسة المعلمين الناصرية ومدرس المدارس الاميرية . وهو تمارين كثيرة في انواع الكلمة وتقسيم الفعل واعرابهِ وبنائهِ وتقاسيم الاسم وجداول الضمائر واسماء الاشارة والاسم الموصول واعراب الاسم اي انهُ يشمل كل ابواب النحو . وفي كل تمرين اساليب مختلفة لتقوية الطالب واظهار معارفهِ واكثر الامثلة من فصيح اللغة وجوامع الكلم مما يفيد استظهارهُ فضلاً عن فائدتهِ العملية

رحلة

سمو الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي

الى اميركا الشمالية

اتحف الامير ابناء العربية برحلته الى اميركا . يقرأها المرء من اولها الى آخرها فيشعر كأنهُ رافقهُ في السفر وسامره' وسمع حديثهُ بين مستحسن ومنتقد وشارح ومستنتج وتمثل لهُ المشاهد التي شاهدها الامير لدقة وصفهِ لها حتى كأنهُ رآها مرأى العين . وقد رأينا ان نطرف القراء بفقرات قليلة من هذه الرحلة لما فيها من الفكاهة والفائدة

قال بعد ان وصل الى مدينة نيو يورك « ذهبنا من الشارع نمرة ٥ وهو اجمل شارع بنيو يورك فهو اعظم واكبر المحال التجارية الى السنترال بارك (Central Park) وهو منتزه جميل في وسط المدينة كمثل هيدبارك بلوندره ومنهُ الى شاطىء نهر الهدسون وقد اعجبتني جدًّا المناظر الجميلة التي فيه خصوصاً المنازل الخصوصية فانها مشيدة تشييداً يقتاد اعنة الحدق اليها . ولم نقطع من هذا الشاطىء ٤ كيلو مترات حتى رأينا تمثال الجنرال جرانت فاستمررنا ونحن مسرورون بهذه الاستراحة اللطيفة الى واشنجتون بارك وهو متنزه آخر وعلى ربوة منهُ مدرسة العميان والصم والبكم . اما الجسور وعظمها ودقة صنعتها وارتفاعها وطولها فلا تسل عنها فهي مدهشة وكثيرة ومن احسنها جسر واشنجتون هذا . وقد رأينا امامنا مبانيا بنايات هائلة ومدارس عديدة والتفت نظرنا كبر الجامعة الاميركانية وحسن موقعها وجمال بنائها ولكن لا عجب من ذلك اذ اننا في بلاد المليارات . والمشهور عن اغنياء اميركا الغيرة الشديدة والمنافسة حتى في المباني العلية . وبما ان جامعتهم حديثة بالنسبة لباقي جامعات الامم الاوربية لابدع ان اختاروا من كل جامعة ما رأوهُ جميلاً ومفيداً ووضعوهُ في جامعتهم . ولابدَّ وان تكون ارقى بكثير من اشباهها باوربا وغيرها. ولا يخفى ان الذهب الوهاج يسهل الصعوبات ويجعل كل شيء ممكنا بثروتهم الهائلة يحضرون الاساتذة الماهرين والمخترعين المشهورين لا يضنون بدفع اجور عالية تحبب المجتهدين فيهم

« عدنا الى الفندق في الساعة السادسة مساء مسرورين من كل ما رأيناهُ ولما دخلت غرفتي وجدت فيها باقة من الورد الاحمر الجميل مكللة بشريط احمر من الحرير مكتوب عليهِ بالقصب جميل الترحيب بحضورنا من نادي السور يين بنيو يورك »

وبعد ان فصل ما رآه في بورصة نيو يورك وصعوده الى اعلى طبقة في بناء سنجر الذي فيه ٤٢ طبقة ورؤيته منها جسر بروكلن وجزيرة المهاجرين والثكنات الحربية والمدينة واطرافها المتسعة وشوارعها المتوازية وعوده الى الفندق ومقابلته لبعض الزوار قال : —

« اتت الساعة الثالثة وحضر ستة من السوريين من اعضاء الاتحاد السوري بينهم طبيب وصحافي والاربعة الباقون تجار فكونا حلقة عربية واطلقنا لانفسنا عنان النطق بلغتنا الشريفة مظهراً لهم سروري من اهدائهم الي باقة الازهار الجميلة ثم دار بيننا الحديث في جملة موضوعات مختلفة وقد علمت منهم ان لهم ست جرائد تطبع باللغة العربية فزادني هذا الخبر سروراً لانتشار هذه الجرائد في اميركا لعلمي انها واسطة التعارف والارتباط بين ابناء العرب الكرام ولا بد انها تأتي بحوادث الشرق واخباره فلا ينسى المهاجرون اوطانهم و يكونون دائماً على علم بما وصلت اليه بلادهم من السعادة او الشقاء . وبهذه المناسبة رجوتهم ان يحافظوا على جنسيتهم وان لا يغتروا بمدنية اميركا وارتقائها وثروتها فيميلوا اليها ويحبوا بجنسيتها فبلادنا محتاجة الى ابنائها وسعها بلغت البلاد الاخرى فان الشرق هو مهد العلوم والمعارف واصل المدنية ومنبع النور

« ان هذه المقابلة جعلت الرابطة بيننا و بينهم قوية حتى اننا افترقنا اصدقاء فودعتهم شاكراً لهم تشريف شعائرهم داعياً لهم بالتوفيق ودعاني الخواجه ليصر صباغ لان اتناول العشاء معهُ في مطعم فرنسي شهير لمسيو مارتن فقبلت دعوتهُ وانصرف مع اخوانهِ على ان يعود الينا قبل العشاء . . . . وعند الساعة السادسة ونصف حضر فذهبنا معهُ ماشين الى المطعم فوجدت انهُ في احسن المواقع والاقبال عليهِ عظيم فلم استغرب كثرة الواردين عليهِ حيث ان الطعام في باقي المطاعم الاميركية ليس جيداً . وقد علمت ان المسيو مارتن يدفع كل سنة عشرين الف جنيه ايجاراً ويصل دخلهُ في بعض الايام الى ٢٠٠٠ جنيه فجلسنا حول السفرة التي أعدّت لنا بين زهور جميلة منضودة على المائدة وشجيرات خضراء متفرقة في مواضع مختلفة ومن حسن الاتفاق ان الذي كان قائماً بخدمتنا وقت الاكل تونسي يتكلم باللغة العربية »

وقال لما وقف لمشاهدة شلال نياغرا

« هنا وقفنا خاشعين امام القدرة الالهية نعجب من جمال المنظر . وطال بنا الوقوف ونحن لا نعلم لذلك سبباً الا انا سُحرنا من عجيب ما رأينا وذهبت افكارنا في عالم آخر لم نعهدهُ من قبل حتى خُيّل لنا ان ما نراهُ ان هو الا اضغاث احلام كأن الطبيعة ارادت ان نتصورها بجلالتها وعظمتها ولم نتنبه من ذلك الخيال الذي ملك افئدتنا الا وقد ارخى الظلام سدولهُ

وتوارت الغزالة بالحجاب فالتفتنا بعضنا الى بعض قائلين ماذا جرى لنا وقد طال بنا الوقوف ونحن عن ذلك غافلون فصممنا على العودة بالرغم منا وقلوبنا متعلقة بذلك المنظر الذي ملأها عجباً ولكن ما الحيلة وكل شيء له نهاية تلك سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وقال بعد ان وصف نزوله الى تحت الشلال ومشاهدته اماكن كثيرة هناك « كيف لا يدهش الانسان وتملكه الحيرة من هذه المناظر التي بينا يراها بديعة جميلة يملأ حسنها نظره فتقر بها عينه وينشرح لها صدره اذ يراها هائلة تخفق لرهبتها القلوب وترتاع من هولها النفوس. ان خرير الماء تطرب له الآذان وصفاءه تقرّ به العيون فاذا وجه الانسان سمعه الى هذه النغمة الطبيعية المستمرة ووجّه نظره الى هذا الصفاء البلوري ينشرح لبه ولكنه اذا تأمل كيف تنحدر المياه الى هوة لا يقل عمقها عن مئة متر وهذه الهوة محصورة بين حائطين عظيمي الارتفاع يشعر بالمهابة فيستصغر نفسه ويشهد ان الانسان مازال ولن يزال ضعيفاً امام هذه العظمة وهذا الجبروت

« ان مكاننا ورؤيتي هذين الحائطين الهائلين جعلاني اذكر للقارئ مثلاً آخر من امثلة الجسارة النادرة التي ظهرت اثناء زيارة جلالة ملك الانكليز ادورد السابع لكندا عند ما كان وليًّا للعهد. وقت زيارة جلالته لهذا المكان كان فيه احد المشهورين بسهولة الالعاب الرياضية المدعو المسيو بلوندين Blondin الفرنسي الجنس فوضع له من الشاطىء الى الشاطىء الآخر حبل على ارتفاع مئة متر فوق هذا المجرى السريع فمشى عليه حاملاً رجلاً على كتفيه امام جلالته من احدى ضفتي النهر الى الاخرى. وقد طلب من جلالته ان يركب في عربة صغيرة بعجلة واحدة من الامام ثم توضع على الحبل المعلق ليمشي بها ويدفعها امامه بين فيها فلم يجبه جلالته الى ما طلب لما فيه من الخطر العظيم ولكن المسيو بلوندين ابى الا ان يظهر براعته فربط منديلاً على عينيه حتى لا يرى الحبل ووضع الرجل الذي مرّ به اولاً وهو محمول على كتفيه في هذه العربة ومشى به على هذا الحبل آمناً مطمئناً الى ان وصل الى الشاطىء الآخر للنهر. فما اجسره وما ابرعه في صنعته »

وقال وهو جالس في رواق الفندق في كولورادوسبرنج في قلب اميركا

« واذا بسيدة صارت تقترب منا فرأيت من هيئتها انها ليست اميركية وذلك لسواد عينيها وشعرها وميل لونها الى السمرة وقد اصاب ظني فانها لما سمعتنا نتكلم بلغتنا العربية جاءت الينا مسرعة تخاطبنا بهذه اللغة الشريفة فعلمت من الفاظها ولهجتها انها سورية وكنت لا اتوقع ان اجد في كولورادوسبرنج سيدات سوريات فعلمت منها انها تاجرة ولها

على تجاري في البلد وآخر في الفندق فسألتها عن حالتها وعن تجارتها رابحة فاخبرتني انها تبيع في السنة بما يزيد عن الالف والخمسمائة جنيه ولكنها تشكو كثيراً من غلاء مطالب المعيشة فكل ما تكتسبهُ او جلهُ يذهب في نفقات معيشتها وقد قالت انها وفدت مع أسرتها الى هذه البلدة حين بلغت الثانية عشرة من عمرها ولم يُنسِها طول غيبتها عن وطنها هذه المدة لغتها الاصلية ولم تزل تحن شوقاً الى بلادها اما والدها الذي يبلغ من العمر حيناً مائة لا زال يتذكر وطنهُ ويترقب الفرص التي تمكنهُ من العودة اليهِ . وقد رجتنا ان نزور دكانها الذي في الفندق فاجبناها الى ما طلبت فدخلناهُ ومكثنا فيهِ قليلاً رأينا ما تبيعهُ فتعجبنا على عملها واستحسنا فكرة والدها ورغبناها في تحقيق امنيتهِ بعد ان تجمع من المال ما يكفيها للاقامة في سوريا وبعد ذلك عدنا الى مكاننا . ومن باب الفكاهة اذكر هنا حادثة يعلم منها القارىء ان في امريكا كثيراً من الناس يعيشون وباب الامل في الحصول على الثروة مفتوح امامهم ولو كانوا من الاملاق بمكان عظيم : قرب منا بوّاب الفندق وهو انجليزي الاصل ينطق وجههُ بما هو فيهِ من الفقر المدقع وسوء الحال فاخبرنا انهُ كان مستخدماً في الجندية ببلاد الهند ووفد على امريكا منذ اربع وعشرين سنة فسألتهُ ألم يصل الى الآن على الثروة الكافية ولماذا ترك بلادهُ وفضل هذه الحرفة على غيرها وعلامَ يمكنهُ ان يشتغل بهذه المهنة في انجلترا فقال لي عفواً يا سيدي اني مع مائة من اصحابي مشتركون في منجم ذهب وسنشتغل ان شاء الله في اول يناير سنة ١٩١٣ لان هذا البواب الحقير الذي يقف امامك الآن لهُ دخل سنوي يبلغ ستة آلاف جنيه وحينذاك يا سيدي اترك هذه البلاد واذهب الى وطني رجلاً من ذوي اليسار واسى كل ما رأيتهُ في خلال السنين الطويلة التي مضت عليَّ وانا انقلب على ثرى الفقر . فقلت اذا كنت واثقاً من بلوغ تلك الامنية العظيمة وذلك المستقبل الباسم في وجهك خصوصاً بعد هذه المدة القليلة جداً فلمَ اذاً تبقى هنا بوّاباً مع ان في إمكانك ان تقترض من الآن ما يكفيك لمصروفك وتذهب إن أردت إلى بلادك حتى يأتيك دخلك العظيم فتسدد ما اقترضتهُ وتعيش من الآن متلذذاً بثروتك . فاجابني اني لا اودّ ترك مهنتي لاني احبها واعشقها ولولا اني في يناير سنة ١٩١٣ ساكون ذا ثروة طائلة ومن العار على الاغنياء امثالي ان يحترفوا حرفة البوابة لما تركتها ابداً . فعجبنا من شعوره الغريب ومن تلك الاماني الباطلة التي جسمها لهُ الوهم حتى جعلها في نظره حقيقة ثابتة لا ريب فيها فبنى عليها ما بنى من سعادة مستقبلهِ . فتأمل في الأمل وكيف يسهل المعيشة ولولاهُ لما كان كثير من امثال هذا التعس في امريكا يطيقون الحياة التي كلها شقاء

اعلل النفس بالآمال ارقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الامل »

ولما زار مدينة سان فرنسكو بكليفورنيا ذهب الى شلالاتها المشهورة فقال في وصفها « وصلنا الى اسفل جندل يوزميت وماؤُهُ يسقط من ارتفاع ٧٦٠ متراً وهو مقسوم الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى عمودية وتسمَّى الجندل الاعلى وارتفاعها ٤٣٨ متراً في عرض ١٠ امتار ثم تلاقي مسطحاً صخرياً في الجبل فتتفرع الى جملة فروع صغيرة وتسقط جميعها عمودية من ارتفاع ١٩١ متراً ويطلق على هذه الطبقة اسم الجنادل الوسطى ثم تصادف سطحاً آخر وتسقط ثانياً من ارتفاع ١٣١ متراً وتصب في النهر وهذه الطبقة الثالثة تسمَّى الجنادل الاخيرة ومجموعها هو جندل يوزميت وهو اعظم جندل من جهة الارتفاع على وجه الارض »

وقد اسهب في وصف المناظر البديعة التي شاهدها في تلك البلاد من جبال ووهاد وحراج وجنادل ولما وصل الى مدينة سيتل في اقصى الشمال الغربي من الولايات المتحدة وصلتهُ اشارة برقية من الخواجه عزيز عطيه واخيه برجبان فيها يوفادته الى تلك البلاد ويذكران ان السوريين الذين في مدينة بورتلاند كانوا يودون مقابلتهُ لابداء ما في ضميرهم من الاخلاص والحب لسمو ولامرتهِ .

ولما جاء مدينة منتريول بكندا وصف مشاهدها المختلفة وذكر مستشفى فكتوريا الذي فيها وقال انهُ « انشيء باموال اهل المروءة وتبرعات اللورد ستراثكونا الذي كان يتجر تجارة صغيرة في انواع الفراء وكان اسمهُ دونلد سمث ويزيد عمرهُ الآن على تسعين سنة ومع ذلك لا ينقطع عن الاشتغال فهو يمثل حكومة كندا في مجلس النواب الانكليزي واذا رآه الانسان لا يقدّر عمرهُ باكثر من ستين سنة فهو قوي يسافر الى انكلترا ليحضر جلسات مجلس النواب ويعود الى كندا لادارة شؤُون الشركة التي يرأسها » ثم شرح كيف جمع الثروة الطائلة من بيع الفراء فانهُ كان يشتريها من الهنود وغيرهم بقليل من الدقيق او عقود الخرز او الاقمشة الرخيصة ويرسلها الى الصين ويستبدلها بالشاي او القطن او الحرير وكان فرشهُ يربح عشرين فرشاً . وعاد من هنالك الى نيويورك ورأى كثيرين من السوريين المقيمين فيها ووصف المأدبة التي اقاموها لدولتهِ في فندق والدورف اوستريا وسنصف هذه الوليمة في فرصة اخرى وننشر الخطبة التي تلاها دولتهُ فيها

ومعلوم ان سمو الامير ذهب الى اميركا متنكراً ولولا ذلك لاحتفلت بهِ الحكومة الاميركية وحكومة كندا احتفالاً رسمياً يليق بشأنهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اسم الحامض الكبريتيك

دمشق . ح . ج هل للحامض الكبريتيك اسم بالعربية وما هو

ج . يطلق على الحامض الكبريتيك عند التلي اسم زيت الزاج وهو ترجمة حرفية لانهُ كان يستخرج باستقطار الزاج اي كبريتات الحديد. ولكن الكلمة الاوربية التي معناها زيت الزاج يخصها العلماء والصناع الاوربيون بغير التلي واذا ارادوا التلي قالوا ما معناهُ الحامض الكبريتيك فاذا استعملنا كلمة زيت الزاج بدل الكلمة التي معناها الحامض الكبريتيك لا نكون قد ذكرنا الحقيقة لان زيت الزاج ليس الحامض الكبريتيك التلي ولا يقوم دائماً مقامهُ

(٢) قاموس الاسماء الكيماوية

ومنهُ . هل من كتاب بالعربية فيهِ اسماء المواد الكيماوية بالعربية والافرنجية

ج . كلاّ ولكن القواميس الفرنسوية او الانكليزية والعربية فيها كثير من اسماء المواد الكيماوية واوسع منها في ذلك معجم المعربات الذي انشأناهُ وطبعنا اكثرهُ في المجلد الثامن والتاسع من المقتطف

(٣) بطرية المصباح الكهربائي

ومنهُ . من المصابيح الكهربائية ما هو صغير يمكن وضعهُ في الجيب يضيء نحو اربع ساعات وقد كسرت بطرية واحد منها بعد ان لم تعد تصلح للاضاءة فوجدت فيها ثلاث اسطوانات من التوتيا في كلٍ منها مواد فحمية ملفوفة بقطعة من القماش محاطة بمواد بيضاء لزجة كالنشا المطبوخ فما هي هذه المواد وهل يمكن عمل بطرية مثلها

ج . يظهر من وصفكم ان البطرية هي البطرية الجافة التي يبدل فيها ماء بطرية لكلانشه بمادة هلامية يمزج بها اكسيد المنغنيس الثاني او الملح المستعمل في البطرية مهما كان نوعهُ . وعمل هذه البطريات متعذر عندنا من باب تجاري لانهُ ليس عندنا معامل لسبك الزنك والكربون ولا نعمل شيئاً من لوازم البطريات فاذا اردنا عمل بطرية فقد نعملها ولكن تكون نفقات عملها اضعاف الثمن

الذي نشتريها بهِ . ومتى نهضت بلادنا كما نهضت بلاد اليابان سهل علينا عمل كل الآلات الكهربائية كما سهل على اليابانيين الذين رأينا من آلاتهم الكهربائية ما لم نرَ ادق منهُ

(٤) الوحم والاجنة

مصر . صلاح الندي نجار . اذا نظرت امرأة حامل الى شيء غريب بين الاستغراب او الاستحسان او الاستهجان طبع اسم ذلك الشيء في بعض الاحيان على احد اعضاء جنينها فما هو الارتباط بين النظر ونتيجتهِ

ج . قد شاهدنا بعض هذه الوحمات التي يقال انها تشبه اشياء رأتها الحامل فلم نرَ فيها شيئاً من الشبه وهذا رأي اكثر الباحثين في هذا الموضوع . واذا كان لشيء صورة غير محدودة فلا يعسر على من يميل الى الوهم ان يرى فيهِ مشابهة لشيء محدود واذا قلت لهُ انهُ يشبههُ صار يراهُ مشابهاً لهُ . ومن هذا القبيل ما يراهُ البعض من وجود صورة وجه انسان في القمر قُبيل تمامهِ . وان كان ما تراهُ الحامل يؤثر في اعصابها تأثيراً شديداً فلا يبعد ان يصل تأثيرهُ الى كل اعضائها والى جنينها ايضاً ولكن لا يكون ظهورهُ فيهِ بصورة تشبه صورة ما رأتهُ بل باعراض في نموهِ او بنحو ذلك من العوارض التي تعرض على بعض اعضاء الجسم من الخوف او القلق او ما اشبه

(٥) حفظ الجنين الميت

ومنهُ . قرأت في مقطم الثامن من نوفمبر ان امرأة اصيبت بمرض عضال منذ عشر سنوات وقد حار الاطباء في تشخيص الداء ووصف الدواء واخيراً ابلّت من مرضها على يد طبيبة استخرجت من بطنها جنيناً ميتاً . فكيف حفظ في بطنها من غير انحلال

ج ان ما اشرتم اليهِ اعلان . واعلانات الجرائد السيارة لا تسأل الجرائد عن تحقيق صحتها . ولم نجد في ما لدينا من الكتب في فن الولادة ما يدلُّ على حفظ الجنين زماناً طويلاً بعد موتهِ من غير ان يعتريهُ الفساد بل المذكور فيها ان الفساد يعتريهِ وتتولد منهُ غازات تشق الرحم وتميت امهُ . ولكننا لا نرى انهُ يستحيل ان يموت الجنين وهو في الاشهر الاولى من الحمل ويحفظ من الفساد كما يحفظ القرن ونحوهُ من المتولدات غير النامية او الناميات التي تتكلس اخيراً . وما دمتم في المدرسة الطبية فاسألوا استاذ الولادة او راجعوا المطولات التي في مكتبتها في هذا الموضوع

(٦) شعر وجه الرجل

الجيزة . طالب طب . لماذا ينبت الشارب واللحية للرجل ولا ينبتان للمرأة الاَّ في ما ندر

ج . اذا لم يكن القول بتولد نوع الانسان من غيرهِ من انواع الحيوان صحيحاً بل كان الانسان قد خُلق رأساً كما نراهُ الآن

وخلقت المرأة من ضلع من اضلاعهِ كما نصّت التوراة فالرجل خُلق ليكون سيف وجهه لحية وشاربان والمرأة خلقت لكي لا ينبت لها لحية ولا شاربان الاَّ نادراً والتوراة التي ذكرت ذلك لم تذكر سببهُ ولا نظن ان احداً اكتشف السبب الذي لاجلهِ ميَّز الخالق الرجل عن المرأة بشعر الوجه . ثم ان هذا الفرق في الشعر بين الذكر والانثى ليس خاصاً بالناس بل هو موجود في بعض الحيوانات كالاسد واللبوة و بعض انواع القرود . وهو ايضاً غير مضطرد فيها كما انهُ غير مضطرد سيف الناس بل يكون على درجات كثيرة مختلفة . واذا كان القول بتولد نوع الانسان من غيره من انواع الحيوان صحيحاً فالشعر كان اولاً في وجوه اسلاف الانسان ذكوراً واناثاً كما هو في بدن الجنين ذكراً كان او انثى ثم زال او ازيل لاسباب جنسية في ادهار متراخية وهو ما يسمَّى بالانتخاب الجنسي . ولكن الادلة على صحة هذا الرأي اي زوال الشعر بالانتخاب الجنسي لا تزال قليلة ضعيفة

(٧) ماس او الماس

مشتريل بكندا . الخواجه جرجس حنا صبور . تناظر عندنا فريقان في كلمة ماس او الماس الفريق الواحد يقول ان كلمة ماس اصح من كلمة الماس اعتماداً على قاموس الفيروزابادي والشرتوني والفريق الثاني يقول ان الالف واللام من اصول الكلمة واذا عرفت صارت الالماس اعتماداً على محيط المحيط والضياء والمشرق . ورأيناكم تكتبونها سيف المقتطف احياناً بالالف واللام واحياناً بدونها فايهما اصح

ج . لا شبهة ان الكلمة يونانية الاصل وهي في اليونانية أدَماس اي الذي لا يقهر او لا يغلب اطلقوا هذا الاسم على الفولاذ وعلى الحجر الكريم الذي نعرفهُ باسم ماس او الماس فالاقرب يكون الذين عربوهُ اولاً قالوا الماس لاماس بقلب الدال لاماً لكن وردت الكلمتان في العربية قال ابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١ للهجرة سيف مادة ماس « وفي حديث مطرف وجاء الهدهد بالماس فالقاهُ على الزجاجة ففلقها » الماس حجر معروف يثقب بهِ الجوهر و يقطع و ينقش قال ابن الاثير واظن الهمزة واللام فيهِ اصليتين مثلها في الياس قال وليست بعربية فان كان كذلك فبابهُ الهمزة لقولهم فيهِ الالماس قال وان كانتا للتعريف فهذا موضعهُ » انتهى كلام ابن منظور . ووصف التيفاشي الماس في كتابهِ بالاسهاب وذكرهُ كما جاء في الحديث حاسباً الهمزة واللام فيهِ للتعريف . فترون من ذلك ان الالف واللام اصليتان ولكن العرب استعملوهُ بدونهما غالباً وليس لهم قاعدة مضطردة في التعريب

(٨) لراغبي التوسع بالعلوم

صدفا . فهمي افندي مينا الصدفي .

اراضي الفيوم في مديرية الفيوم التي تريد الحكومة بيعها هل هي جيدة التربة خصبة وكم يساوي الفدان منها وبكم يؤجر وما هو مستقبلها وهل يقدم على شرائها من يريد الاقتناء

ج . بعضها جيد جدًّا وبعضها وسط وبعضها دون ويقال ان ايجار الفدان من الجيد منها يبلغ ١٢ جنيهاً او اكثر والدون او البور لا يبلغ شيئاً والثمن يكون على نسبة الريع الحاضر او المنتظر . والمرجح ان متوسط ثمن الفدان منها من اربعين جنيهاً الى خمسين . ومستقبل اطيان الفيوم العالية كلها جيد لسهولة صرفها ولانهُ يراد ان تعطى الماء الكافي لريها . ولقد كانت في الازمنة الغابرة من اجود اطيان القطر المصري حتى ان ملوك اليونان والرومان كانوا ينعمون بها على كبار قوادهم

(٩) سرعة العدَّائين

سواكن . عبدالله افندي فهمي . يطرون التاريخ عدوي عدواً عديداً امثال الشنفرى والسليك من العدَّائين . ويقال ان العدَّاء من لا تدركهُ الخيل لهو اسرع منها عدوًا واصبر منها على الجري . فهل يعقل ان في نوع الانسان من يسابق الجياد العتاق ويباريها ومن يكن هذا شأنهُ لا بد وان يكون اقوى منها ايضاً وان كان كذلك فما نوع هذه القوة

ج ان كلام التاريخ لا يبنى عليهِ حكم لانهُ لا يحدد المسافة والوقت تماماً وقولهُ ان العدَّاء فلانًا اسرع من الخيل كلام يراد بهِ المبالغة لا غير . والحقيقة ان اعدى العدائين الاقدمين مثل سعاة سلاطين آل عثمان الذين كانوا يذهبون بالبريد من القسطنطينية الى ادرنة ويعودون منها في يومين وليلتين والمسافة بينهما نحو ١٣٢ ميلاً اي يقطع الواحد منهم هذه المسافة في ٢٤ ساعة هذا في المسافات الطويلة اما المسافات القصيرة فالميل الواحد قطعهُ العدَّاء دفرس سنة ١٨٩٨ في ٣ دقائق و٢١ ثانية و ٢/٥ الثانية . والميلان قطعهما العدَّاء شرب سنة ١٩٠٤ في ٩ دقائق و ٩ ثوان و ٣/٥ الثانية . والثلاثة الاميال قطعها هو سنة ١٩٠٣ في ١٤ دقيقة و١٧ ثانية و ٣/٥ الثانية . اما خيل السباق فالجواد كِمْن قطع ميلاً في دقيقة و٣٣ ثانية و ١/٥ الثانية وذلك سنة ١٩٠٠ والجواد برادلاً قطع ميلين في ٣ دقائق و١٩ ثانية و ٣/٤ الثانية سنة ١٩٠٦ والجواد كوري بري قطع ثلاثة اميال في ٥ دقائق و ٩ ثوان وذلك سنة ١٨٨٤ . فالنسبة بين اسرع العدائين وخيل السباق كما ترون في هذا الجدول

	العدائين		خيل السباق	
	دقيقة	ثانية	دقيقة	ثانية
ميل واحد	٣	٢١ ٢/٥	١	٣٣ ١/٥
ميلان	٩	٩ ٣/٥	٣	١٩ ٣/٤
٣ اميال	١٤	١٧ ٣/٥	٥	٩

اي ان خيل السباق اسرع من اسرع العدائين في هذا العصر ثلاثة اضعاف فلا يقال ان الخيل كانت اقل جرياً مما هي الآن ثلاثة اضعاف او ان الناس كانوا اسرع ثلاثة اضعاف

(١٠) اللغات والدماغ

بيروت السيدة كبيفيا مفرج . سمعت ان لكل لغة مكاناً مخصوصاً في الدماغ او مركزاً مستقلاً تماماً من بقية الاماكن وان فتاة كانت تعلّم اللغات الثلاث العربية والافرنسية والانكليزية ثم مرضت مرضاً شديداً وبعد شفائها لم تعد قادرة على النطق باللغة الانكليزية مطلقاً كانها لم تكن قد تعلمتها سابقاً مع انها كانت قد اتقنتها غاية الاتقان لان مكان الانكليزية في دماغها اتلف بواسطة المرض وقد درسنا كتاب الفسيولوجيا للاستاذ البرت بلادزل فلم نرَ فيه شيئاً من هذا القبيل فهل هو صحيح وهل يوجد في الدماغ مكان مخصوص لكل لغة او هذا القول وهم لا صحة لهُ

ج . لا نتذكر اننا اطلعنا على ذكر الحادثة التي اشرتِ اليها ولكن لاشبهة ان لكل كلمة تتعلمها مركزاً مخصوصاً في الدماغ والمرجح ان هذا المركز يكون مؤلفاً من دقائق كثيرة يقل بعضها من وقت الى آخر كما تقل بقية دقائق الجسم ولكن يأتي غيرها ويقوم مقامها فيحفظ شكلها على حالهِ كما يحفظ شكل سائر الاعضاء والندوب التي فيها . وقد اشار الى ذلك الدكتور كربنتر في فسيولوجيتهِ العقلية حيث قال ما ترجمتهُ « اننا لانعلم علماً يقيناً في الوقت الحاضر كيف تحفظ المحفوظات في الدماغ ولكن اذا اعتبرنا كيف تنمو اعصاب الحس باستعمالها في افعالنا الجسدية حقّ لنا ان نقول انهُ يحدث مثل ذلك في الدماغ الذي هو آلة افعالنا العقلية فان حفظ كل كلمة من كلمات اللغة التي يراد تعلمها يستلزم تغيراً ما في تغذية الدماغ فيبنى بعض الخلايا العصبية والالياف العصبية المتصلة بها فيتولد من ذلك بناء خاص وهو يتغير دوماً بالتحليل والتركيب ولكن ما يتركّب فيهِ يقوم مقام ما ينحل تماماً فما دام هذا البناء متصلاً اتصالاً فعلياً باجزاء الدماغ الاخرى التي تفعل عادةً يبقى تذكر تلك الكلمات على حالهِ اي يبقى المرء قادراً ان يتذكر الكلمات والعبارات التي يريد تذكرها او التي تعبّر عن الخاطر الذي خطر لهُ ولكنهُ اذا اهمل استعمالها صار استحضارها صعباً عليهِ فقد حدث للكاتب كما حدث لغيرهِ انهُ اذا انقطع من تكلُّم اللغة الفرنسوية زمناً طويلاً وجد بعد ذلك انهُ صار غير قادر على تذكر كلماتها وعباراتها ولكن اذا نطق بها امامهُ او رآها مكتوبة تذكرها واذا قضى اسبوعاً او اسبوعين في فرنسا صار يسهل عليهِ التعبير عن افكارهِ باللغة الفرنسوية رأساً »

ويظهر من الامثلة التي ذكرها كربنتر قبيل ذلك ان المراكز التي تحفظ كلمات اللغة تبقى على حالها ولكن الاعصاب التي تصل بين الخلايا الحافظة وبين مراكز الادراك يضعف فعلها بقلة الاستعمال فاذا قويت ثانية لسبب من الاسباب عاد تذكر الحفظ الى حاله . وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة اخرى

(١١) دواء ضعف الذاكرة

مكة المكرمة . السيد احمد بن محمد الجنيد . النسيان وضعف الحافظة دواء او تمرين او تعويذ يزول بهِ النسيان وتقوى الحافظة . وما سبب النسيان وضعف الحافظة

ج . ان جواب السؤال السابق يريكم ان النسيان وضعف الحافظة حادثان من قلة الاستعمال وقد يزيدان بالمرض او بالتقدم في السن . واذا كان السبب قلة الاستعمال فكثرتهُ تقوي الحافظة وتقلل النسيان ولا علاج لذلك غير التمرين ولكن اذا كان السبب مرضيًّا فيزول بزوال المرض وتقوية الجسم حتى يكثر الدم في الدماغ وبتغذيته الغذاء الكافي

(١٢) اجود كحل

ومنهُ . ما هو اجود كحل للعين يزيل غشاوتها ويحدّ بصرها

ج . اذا لم تكن العين مريضة فلا فائدة من الكحل ولكن الفائدة تكون براحة العين وعدم استعمالها في النور الضعيف وقلة التحديق في الاشياء الدقيقة . واصلاح خطإِها ان كان فيها خطأ بصري بلبس النظارات التي تصلح ذلك الخطأ من حيث تحديبها او تقعرها . واما اذا كان فيها آفة مرضية فتعالج حسب الآفة ولا يحسن ان يتولى علاجها الاَّ طبيب من اطباء العيون يراها ويعالجها

(١٣) ضعف البصر ولادةً

ام درمان . خليل افندي جرجس . ولدت لبعضهم ابنة منذ سبع سنوات ومن حين ولادتها الى الآن ليس في عينيها شيء ظاهر يمنعها من رؤْية الاشياء ومقلتاها تختلجان قليلاً واسنانها حسان قليلاً ولكنها لا تميز الاَّ نور الاشياء الساطعة فقط كضوء الشمس نهاراً والمصابيح ليلاً . ثم ولدت لها اخت بعد سنتين وهي مثلها تماماً في الصفات المتقدمة . وولدت بعدها اخت اخرى وهي صحيحة البصر تنظر مثل غيرها من الناس فهل من تعليل لذلك وهل لهُ دواء

ج . يظهر لنا من سؤالكم ان العلة في العصب البصري نفسهِ فان كان الامر كذلك فلا دواء لها غير التمرين المستمر لعلهُ يقوي العصب . ولكن يحتمل ان تكون العلة في الرطوبة البلورية او الزجاجية وقد يسهل على طبيب العيون ان يكتشف ذلك وان يعالجهُ ايضاً بما يزيد شفافيتهما . ويصعب تعليل هذه العلة اي تعليل وجودها ويحتمل ان يكون سببها ميكروبيًّا فقد علم ان بعض

الميكروبات المرضية تنتقل الى دماغ الجنين من امهِ وتؤثر في بنيتهِ

(١٤) شجر الجوز

قنا · الخواجه اسحق ابادير · عندنا اشجار منها تطرح طرحاً معتدلاً ولكن يتساقط طرحها قبل ان يتماسك وما بقي يسقط قبل ان ينضج فما سبب ذلك وما الطريقة التي يمكن ان تحفظها وقايتها منهُ

ج · الجوز يجود في كل الاراضي تقريباً اذا كانت بعيدة عن البحر ولكن لا بدَّ من الاعتناء بريهِ جيداً فيجب ان يروى عندكم كل نحو سبعة ايام او ثمانية وهو في حال الازهار وعقد الثمر وتطال الفترات كثيراً بعد ان يجنى ثمرهُ او لا يروى حينئذٍ ابداً · جربوا ريهُ على هذه الكيفية

(١٥) شجر القشطة

ومنهُ · عندنا اشجار قشطه تطرح طرحاً معتدلاً كل عام ولكن يسقط ثمرها عندما يصير كالليمونة في الحجم فما السبب وما هي الطريقة التي تمنعهُ

ج · لا تجود القشطة في الاماكن البعيدة عن البحر او الشديدة الجفاف · والظاهر ان هذا هو سبب سقوط ثمرها عندكم قبلما يتم نموهُ فان كان هذا هو السبب فمن المحتمل ان زيادة الري تصلحهُ

(١٦) تسويس الرمان

ومنهُ · ما السبب في تسويس الرمان وما الطريقة التي تحفظهُ من السوس

ج · السوس على الاجمال حشرات صغيرة تبيض على ظاهر الثمرة فتتولد دودة من كل بيضة وتخرق الثمرة وتدخل قلبها لتعيش فيهِ فاذا عُرف زمن وضع البيض على ثمر الرمان وترش عنهُ سلم الرمان منهُ او بلف الرمان بأكياس محكمة من البوص حتى يتعذر على الحشرات الدخول اليهِ فيسلم من السوس

(١٧) الموز الجيد

ومنهُ · عندنا نوع من الموز ولكنهُ بلا رائحة وبلا طعم وهو اميركاني الجنس فنرجو ان تفيدونا عن محل يمكننا ان نشتري منهُ نوعاً من الموز مثل الذي يباع في اسواق مصر

ج · الموز الذي يباع في اسواق مصر انواع مختلفة اكثرها الآتي من جامايكا وغيرها من جزائر الهند الغربية وهذا لا سبيل اليهِ الا اذا استحضرت فسائلهُ من تلك الجزائر · وما بقي فموز بلدي او هندي وكلهُ يمكن ابتياع فسائلهِ من جنائن الوجه البحري

(١٨) ابن المقفع

مصر · الخواجه ادوار سمعان · هل كان عبد الله بن المقفع الكاتب البليغ مسيحياً او مسلماً

ج · كان مجوسياً فاسلم

(١٩) قاموس اليازجي

ومنهُ · سمعت ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي الَّف قاموساً عربياً ولاسباب لم يطبع

فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فما هي تلك الاسباب التي حالت دون طبع كتاب نفيس كهذا

ج . اقترحنا على علماء العربية في مقتطف مايو سنة ١٨٨١ وضع قاموس مختصر يشتمل المأنوس من كلام الاولين والضروري من مزيدات المتأخرين واخترنا لهُ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فاتانا جوابهُ ونشرناهُ في مقتطف يوليو سنة ١٨٨١ وهذا نصهُ

« قد صرنا والحمد لله في عصر تُقترح فيهِ التآليف اقتراحاً وتجد من الخواطر ميلاً وارتياحاً بعد اذ كانت تُعرض فلا تلقى من النفوس الاَّ إعراضاً ومن الوجوه الاَّ ازوراراً وانقباضاً وبعد اذ نضب حائر العلم وعينهُ وذوت عذَباتهُ وغصونهُ وأذَّن مناديهِ ان تلك أمةٌ قد خلت ودولة قد تبدَّلت والله يخلف من حالٍ حالاً ويجعل لكل زمانٍ دولةً ورجالاً

« ولقد وقفت على ما اقتُرح عليَّ بلسان المقتطف الاغر من وضع كتابٍ في اللغة تُنال فوائدهُ على السهولة والقرب ويضع الهناء من حاجة هذا العصر مواضع النُقَب يشتمل على المأنوس من كلام العرب الاولين ويأخذ بنصيب مما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين وهي غاية يظلع امثالي دونها على قدم الوجى وبغية ما زلت ارتاد لها منابت الفضل ومواقع غيوث الحجى ولقد طال ما وددت لو نفث الله في قلب احدٍ من علماء هذا الاوان ممن احرزوا أنداب البراعة في مضمار اللسان ان يتصدَّى لوضع مثل هذا الكتاب ويكفل هذه الحاجة لانفس الطلاب لما رأيتُ في خوض فدافد اللغة من المسافات المترامية وما في جوب تلك المسافات من المسالك المتمادية حتى وردتُ من الآمال كل منجع ولم يبقَ في قوس الانتظار منزع والضرورة لا يفتر داعيها والحاجة لا يكف تقاضيها فلم أجد الاَّ ان اقصد غارب الهمَّة على ما بها من القعود واحثَّها على ركوب هذه العقبة الكؤود على علمي بان هذه الخطة تفوت مساحة ذرعي ويضيق عنها نطاق وسعي ولكني استعنتُ الله على بلوغ النجاح ووطنت نفسي على استفراغ الجهد وما بعد بذل الطاقة من جناح . وشرعت في وضع كتاب من مثل ما أُشير اليهِ في الاقتراح مقتصراً على الفصيح دون المولَّد والمحدَث في الاصطلاح لاني رأيتهما طرفين لا يلتقيان ولا تأتلف منهما حلقتا بطان فضلاً عما يقتضي بحث الطارىء من التجرُّد والجهد واخلاء الذرع للبلوغ الى القصد فلا بدَّ من افراد هذا القسم في كتابٍ مخصوص يحاط بهِ بعد مراجعة الكتابات والنصوص

وقد وضعتُ الكتاب على نسقٍ لم اكن متابعاً فيهِ ولا مقلّداً ولا محتذياً ممن سبقني احداً . فاني اعتبرتُ فيهِ جانب المعاني في كل مادةٍ فقدمتُ منها ما حسبتهُ الاصل في

ذلك التركيب ثم ألحقتُ بهِ ما تفرَّع عنهُ من طريق المجاز الاقرب فالاقرب الى ان تنقطع سلسلة الترتيب . وما بقي بعد ذلك مقتضباً عن ذلك النظام ذيَّلتهُ في آخر المادَّة وختمتها بالمشهور من الاعلام وكل ذلك على اسلوب مختصر اطَّرحتُ فيهِ الوحشيَّ من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء وتجنبتُ ما يُشتقّ منهُ من الفاظ المولَّدات وما يُضاف اليها مما تبتذلهُ نفوس الادباء . وكنتُ قد بلغتُ في تسويده الى آخر حرف الحاء المهملة مما يقدَّر بالربع او يزيد ثم اعترضني من تنقيح اسفار العهدين التي تمَّ تعريبها على ايدي مرسلي اليسوعيين ما ابطأني عن المزيد فارجأتهُ وفي النفس منهُ اشياء وفي الصدر حزازات لا تقبل الشفاء الى ان يُتَسَّر لي الفراغ من ذلك العمل بعد سنوات ثمانٍ وفي المأمول اني ساعود قريباً الى اتمام ما بدأتُ على مدد الرحمان واياهُ استوهب السلامة والسداد وعليهِ توكلي في المبدإ والمعاد » انتهى

ولم يبلغنا بعد ذلك انهُ اتمَّ ما بدأ بهِ وهذا كل ما عملهُ من امر هذا القاموس

مذهب داروين منذ مئة سنة

كتب الدكتور فادو من كمبردج الى جريدة ناتشر يقول انهُ عثر على كتاب لفردرك تدمن نُشر سنة ١٨١٤ يقول فيهِ « كثيراً ما كان يقتتل ذكور بعض الحيوانات لاجل الاختصاص بالاناث ولهذا القتال شأن كبير جداً على ما يظهر في تقوية النسل لانهُ يقرض الضعيف من امام القوي فيكون النسل منهُ فقط » . وكان تدمن من علماء الحيوان في عهدهِ وعليهِ فقد سبق داروين الى القول بالانتخاب الجنسي . ويظهر من اقوال اخرى لهُ انهُ قال ايضاً بتولد الانواع بعضها من بعض بانياً قولهُ على ما يرى في طبقات الارض الجيولوجية من اختلاف متحجراتها

ثقب الجماجم

كان القدماء يثقبون الجماجم اذا اصاب الدماغ آفة لمعالجتها . وقد قرأ الدكتور لوكاس شمبيونيه مقالة في اجتماع الاكادميات الخمس في باريس بيَّن فيها ان ثقب الجماجم كان معروفاً عند اسلاف التاليين وعند

سكان اميركا الاصليين . وكانوا يثقبون الجمجمة بقطع الصوان (الظران) وقد ثقب هو جمجمة بصوانة في ٣٥ دقيقة والظاهر ان القدماء كانوا يعتقدون ان الصداع والصرع يحدثان من وجود الارواح الشريرة في الدماغ فيثقبون جمجمة المصدوع والمصروع لكي تخرج الروح من دماغه . وقد رأى هو رجلاً من اهالي بسكرة في الجزائر وفي رأسه اربعة ثقوب وقال هذا الرجل انهُ هو واخوهُ ثقبا رأس ابيهما اثني عشرة مرة . ولا دليل على ان الشعوب المتمدنة القديمة كاليونانيين والمصريين والعرب والهنود والصينيين كانوا يثقبون جماجمهم ولا على ان زنوج افريقية كانوا يفعلون ذلك

البقر الحلاَّبة

بلغ وزن ما حلبتهُ بقرة من نوع جرزي في مدرسة مشيغان الزراعية بامبركا في سنة واحدة ١٨٧٨٣ رطلاً (ليبرة) من اللبن استخرج منها ١١٣٢ رطلاً من الزبدة . واكثر ما حلبتهُ بقرة قبلها في السنة كان ١٧٢٥٨ رطلاً واذا حسبنا ثمن رطل اللبن نصف غرش (وهو يباع الآن في القاهرة بغرش) فما حلبتهُ البقرة الاولى يساوي ٩٣٩١ غرشاً او نحو ٩٤ جنيهاً وبقرة مثل هذه تساوي ابنتها خمس مئة جنيه فلا عجب اذا ساوت هي خمسة آلاف جنيه

ركوب الهواء

كتبت مجلة المهندس الانكليزية على اثر احتراق بلون زبلن المسيَّر ان الحالة التي وصلت اليها البلونات المسيَّرة حتى الآن لا تفي بالغرض الذي صنعت لهُ بناء وتجارياً فالاعتماد عليها في حالتها الحاضرة ضرب من المحال ولا يظهر الآن ان هذه الحالة ستتغير وانهُ ستوجد مواد اخرى لعمل البلونات واساليب اخرى لصنعها

السفن الكبيرة في عشرين عاماً

منذ عشرين عاماً كانت السفينة كبانيا اكبر السفن الجارية وكان طولها ٦٠٠ قدم وعرضها ٦٥ قدماً وعمقها ٤١ قدماً ونصف قدم والآن اكبر سفينة جارية الامبراطور طولها ٨٨٠ قدماً وعرضها ٩٠ قدماً وعمقها ٦٣ قدماً فهي تفوق السفينتين موريتانيا ولوزيتانيا جرماً ولكنهما اسرع منها فان سرعتهما بين ٢٥ و ٢٦ ميلاً بحرياً

الاحتفال باكتشاف اليود

احتفل في ديجون في التاسع من نوفمبر بمرور مئة سنة على اكتشاف عنصر اليود لقد اكتشفهُ الكيماوي الفرنسوي برنار كورتوى من اهالي تلك المدينة سنة ١٩١٢ ثم ابان غاي لوساك سنة ١٨١٥ انهُ عنصر بسيط

مباحث الاستاذ نوغوشي

اجتمعت جمعية الطب الملكية الانكليزية اجتماعاً خاصاً لكي تسمع من الاستاذ نوغوشي الياباني وصف ما اتصل اليهِ بحثهُ في معهد ركفلر باميركا في ما يتعلق بالحب الافرنجي وشلل المجانين وشلل الاطفال الوبائي والكلَب. والتف حولهُ جمهور كبير جداً من الاطباء ليسمعوا اقوالهُ فانهُ بحث في سبعة انواع من ميكروب الحب الافرنجي وميّز بين ما يحتاج منها الى قليل من الهواء لمعيشته وما لا يعيش في الهواء واكتشف طريقة اضافة قطعة من مادة حيوانية معقمة الى كل انبوبة من انابيب الفحص لينبت فيها. وهو الذي اكتشف ميكروب الحب الافرنجي في الدماغ في حوادث شلل المجانين العام وهو اكتشاف في غاية الاهمية وهو الذي استخلص مستنبتاً نقياً من جراثيم شلل الاطفال واستخلص مستنبتاً آخر نقياً من الاجسام المكرسكوبية التي تكون في ادمغة المصابين بداء الكلَب وهي المعروفة باجسام نغري مكتشفها

قال الجراح منفن باجت الذي كتب عن هذا الاجتماع لمجلة نانشرات ان جمعية الطب الملكية حرية بالمدح لاستدعائها الاستاذ نوغوشي ليخطب فيها فانهُ مثل ابن وطنهِ الاستاذ كيتاساتو في ابتكارهِ وسعة مباحثهِ. فاين اطباؤنا المصريون والسوريون والاتراك الذين دخلوا مدارس الطب قبل اليابانيين وحتى الآن لم نرَ لاحدهم اكتشافاً مهماً في موضوع طبي

جوائز نوبل

قرّرت اكادمية العلوم الاسوجية على اعطاء جائزة نوبل في الطبيعيات للاستاذ كرملين اونس من اساتذة ليدن وجائزتهُ في الكيمياء للاستاذ ورنر من اساتذة زورك وجائزتهُ في العلوم للاستاذ شارل ريشه استاذ الفسيولوجيا في جامعة باريس. وقيمة كل جائزة ٧٨٨٠ جنيهاً

الخمير في العصير

ثبت ان في عصير بعض الخضر كالكرنب (الملفوف) والبصل والفجل والزنجبيل مادة خميرية ولاسيما في عصير البصل والزنجبيل

قيمة المنسوجات الانكليزية

بلغت قيمة المنسوجات الانكليزية التي نسجت سنة ١٩٠٧ من كل الانواع ٣٣٣ مليون جنيه وقد اشتغل في غزلها ونسجها وصبغها ١٢٥٣٠٠٠ نفس والمرجح ان عدد الكيماويين في معامل الغزل والنسج والصبغ لا يقل عن ٦٠٠ ولكن عند شركة واحدة من شركات الصبغ بالانيلين في اوربا ٧٠٠ كيماوي

دماغ البرنس كتسورا الياباني

استخرج دماغ البرنس كتسورا حسب وصيتهِ ووضع في معرض جامعة طوكيو الامبراطورية باليابان وقد وزن فوجد ثقلهُ ١٦٠٠ غرام مثل ثقل دماغ الفيلسوف كنت

السر وليم بريس

يذكر قراء المقتطف ان السر وليم بريس كاد يكتشف التلغراف اللاسلكي قبل مركوني فانهُ اوصل الاشارات التلغرافية من غير سلك نحو ثلاثة اميال معتمداً في ذلك على الكهربائية التي تهيج بالمجاورة لا على كهربائية هرتز ولما جاء مركوني الى بلاد الانكليز بكهربائية هرتز كان السر وليم بريس اول المساعدين لهُ مع ان السر اوليفر لدج قال باستعمال كهربائية هرتز لنقل الاشارات التلغرافية من غير اسلاك قبل مركوني ولكن لم ينتبه احد الى العمل بقولهِ وقد توفي السر هنري في ٦ نوفمبر وكانت ولادتهُ في ١٥ فبراير سنة ١٨٣٤ وقضى عمرهُ مشتغلاً بالهندسة الكهربائية

هبة لاولاد الفلاحين

اوصى المستر جيمس بنحو مئتين وخمسين الف جنيه لينفق ريعها على تعليم اولاد الفلاحين في جانب من بلاد الانكليز

الطيور القواطع

ذكرنا غير مرة ان احد الروسيين علق اسطوانة صغيرة من النحاس في عنق بجعة ووضع فيها ورقة كتب فيها اسمهُ وعملهُ بلغات مختلفة واطلق تلك البجعة فاصطادها واحد في قلب بلاد السودان واتى بها الى خليفة المهدي وكان سلاتين باشا في اسره فاراهُ الورقة فقرأها لهُ ثم لما دارت الدائرة على الخليفة واتي بما وجد في بيت الامانة الى مصر وجدت تلك الاسطوانة بينهُ وفيها الورقة المشار اليها وقد اطلعنا عليها وأخبر الرجل الروسي بما كان من امرها

وقد اهتم قراء مجلة الطيور البريطانية بتعليق حلقات في الطيور التي تأتي بلادهم في فصل الصيف وتغادرها في الشتاء كتبوا عليها اسماءهم واماكنهم ويقال انهم علقوا هذه الحلقات في رقاب ٣٢٠٠٠ طائر واطلقوها فوجدت سنونة منها في مستعمرة نهر اورنج والذي وجدها كتب الى صاحب الحلقة يخبرهُ بما وجدهُ وذلك في ١٦ مارس الماضي والذي وضع الحلقة وضعها في بلاد الانكليز في ٢٧ يوليو سنة ١٩١٢ . ووجدت سنونة اخرى في نتال في شهر دسمبر الماضي وفي عنقها حلقة من هذه الحلقات فقطعت من بلاد الانكليز في اقصى الشمال الغربي من اوربا الى بلاد نتال في اقصى الجنوب الشرقي من افريقية

ومرت فوق صحراء افريقية الواسعة ولم تعبأ بها وذلك من اغرب الغرائب

التيفويد في بعض العواصم

كتب بعضهم الى جريدة المرفة الانكليزية يقول ان عدوى التيفويد لا تأتي من شرب مياه الانهر الملوثة بميكروباتها كما هو شائع الآن بل من الناس الذين يحملون هذه العدوى وتنتقل منهم الى الاصحاء واستشهد على صحة قوله بقلة عدد الوفيات بالتيفويد في بعض المدن وكثرتها في البعض الآخر ومياه الاولى ليس انقى من مياه الثانية كما ترى في الامثلة التالية وقد ذكرت فيه المدن وعدد سكانها ومقدار وفيات التيفويد في السنة من كل مئة الف من السكان

المدينة	سكانها	الوفيات
ادنبرج	٠٣٢٠٠٠٠	١,٣
برلين	٢٠٠٠٠٠	٢,٢
لندن	٧٢٨٠٠٠٠	٣,٣
فينا	٢٠٠٠٠٠٠	٣,٨
باريس	٢٧٥٠٠٠٠	٥,٦
بوستن	٠٦٧٠٠٠٠	١١,٣
نيو يورك	٤٧٦٦٠٠٠	١١,٦
فيلادلفيا	١٥٤٩٠	١٧,٥
وشنطون	٣٣١٠٠٠	٢٣,٢
منيابوليس	٠٣٠١٠٠٠	٥٨,٧

المخترعات العشر الاعظم

اعلنت جريدة السينتفك اميركان انها تعطي الجوائز لمقالات الثلاث الافضل التي تصف المخترعات العشر الاعظم التي اخترعت منذ خمس وعشرين سنة الى الآن . فتبارى الكتاب في كتابة المقالات وفي تفضيل بعض المخترعات على البعض الآخر فكانت النتيجة ان التلغراف اللاسلكي نال ٩٧ صوتاً وهي الاكثر والآلة التي يحترق وقودها داخلها كآلة الاوتوموبيل نالت ٣٣ صوتاً وهي الدنيا وما بينهما من المخترعات بين بين كما ترى في هذا الجدول

التلغراف اللاسلكي	٩٧	صوتاً
الاروبلان	٧٥	•
الاشعة اكس	٧٤	•
الاوتوموبيل	٦٦	•
الصور المتحركة	٦٣	•
الخرسانة المسلحة	٣٧	•
الفونوغراف	٣٧	•
المصباح الكهربائي	٣٥	•
التربين البخاري	٣٤	•
المركبة الكهربائية	٣٤	•
الآلة الحاسبة	٣٣	•
آلة الاحتراق الداخلي	٣٣	•

السكترو

السكترو نوع جديد من الزجاج الضارب

الى الحضرة صنعهُ بيت وطسن واولادهِ لكي تصنع منهُ النظارات (العوينات) فيحجب الاشعة التي فوق البنفسجي من النور و بعض الاشعة الحمراء ويبقى سائر الاشعة المنيرة فهو خير انواع الزجاج لعمل العوينات التي تقي العينين من نور الشمس الساطع والنور الكهربائي الباهر

حرارة الشمس والغبار البركاني

ان كل الاسباب التي قيل بها تعليلاً لحدوث الادوار الجليدية في غابر الزمن وانقضائها لا تكفي لتعليلها فعدل العلماء عنها الآن او قللوا من الاعتداد بها . وقد ذهب الاستاذ همفرس الاميركي الآن الى ان كثرة الغبار البركاني في اعالي جو الارض يقلل شدَّة حرارة الشمس الواصلة الى سطح الارض ومن رأيهِ ان ذلك كان في الازمنة الغابرة سبباً لاشتداد البرد على سطح الارض في اوقات مختلفة حسب ثوران البراكين فنتج عنهُ اشتداد البرد وحصول الادوار الجليدية

سم الضفادع وسم الافعى

من المعلوم ان في جلد الحيوانات التي تعيش في الماء واليابسة كالضفادع مادة سامة . وقد وجدت مدام فيسالكس انهُ اذا حقنت ارنب بشيء قليل من هذه المادة السامة وقيت من فعل المقدار الكبير بها وهذا امر منتظر ولكن ليس العبرة بهِ بل بان الحيوان الذي يوقى من سم الضفدع يوقى ايضاً من سم الافعى

برغوث البحر

بحث الاستاذ بيرس الاميركي في طبائع برغوث البحر (القربدس او ابو جليو) من النوع الحلو فوجد ان ذكورهُ شفافة لا تكاد ترى وشفافيتها تقيها من اعدائها واناثهُ حمراء اللون فترى بسهولة وقلما تخرج من كنها ولكن الذكور تراها بسهولة لحمرة لونها ومتى تزاوجت مع الذكور تعود الى كنها وتقيم فيهِ الى ان تبيض وتولد فراخها

هبات اميركية

اعلنت غرفة التجارة في مدينة نيويورك ان واحداً اخفى اسمهُ بعث اليها بخمس مئة الف ريال (اي مئة الف جنيه) لكي تبني بها مدرسة للتجارة . واتتها هبات اخرى قيمتها خمسون الف ريال من اربعة من المكتتبين

وقدرت النفقات اللازمة لبناء مدرسة هندسية صناعية في ولاية مستشوستس باميركا بعشرة ملايين من الريالات اكتُتب منها حتى الآن بسبعة ملايين وثلثمئة الف ريال

واعلنت جامعة كاليفورنيا ان مسز سائر منحتها ربع ١٢٠٠٠٠ ريال لكي يكون اجرة استاذ في علم الآداب القديمة ومنحتها ايضاً مبلغاً مثل هذا ليكون ريعهُ راتباً لاستاذ التاريخ ومئتي الف ريال لبناء برج من الرخام

ارتفاعهُ ٣٠٠ قدم بثمن تذكاراً لزوجها و ٥٠٠٠ ريال لوضع الاجراس فيه
ووهب واهب اخر امة كلية لا قائت تسعين الف ريال

مصاح المسلولين

عقد مؤتمر السل العام في برلين في اواخر اكتوبر الماضي ومما قيل فيه ان عدد المصاح التي يعالج فيها المسلولون مستشفين بهوائها النقي بلغ الآن في المانيا وحدها ٤٤٧ وفيها ١٥٢٧٨ سريراً وان في المانيا ١٠٣ معاهد لمعالجة الاولاد المصابين بالسل فيها ٩٠٠٠ سرير و ١١٤ معهداً في الغابات و١٧ مدرسة في الغابات وقد اخذت مستشفيات المانيا تبني اجنحة مخصوصة فيها للمسلولين فبلغت اكثر من ٢٠٠ جناح

عصر الكهربائية

بلغ عدد المعامل التي تعمل الآلات الكهربائية في الولايات المتحدة الاميركية ١٠٠٩ سنة ١٩٠٩ وبلغ عدد العمال فيها ١٠٥٦٠٠ وبلغ رأس مالها ٢٦٧٨٤٤٤٣٢ ريالاً او اكثر من ٥٣ مليون جنيه وبلغت قيمة ما صنعتهُ تلك السنة ٢٢١٣٠٨٥٦٣ ريالاً او اكثر من ٤٤ مليون جنيه

معرض بناما

عزم الاميركيون على اقامة معرض عام في مدينة سان فرنسسكو تذكاراً لفتح ترعة بناما وقد قدروا ان نفقات اعداد الارض اللازمة للمعرض وانشاء المباني فيها تبلغ خمسين مليون ريال او عشرة ملايين من الجنيهات وان ثمن المعروضات التي تعرض فيهِ لا يقل عن خمسين مليوناً اخرى من الريالات وستكون مساحة ارض المعرض ٦٣٥ فداناً

ترعة بناما

تمَّ خرق ترعة بناما في العاشر من اكتوبر الماضي بنسف آخر حاجز فيها فاتصلت مياه الاوقيانوس الاتلنتيكي بمياه الاوقيانوس الباسيفيكي . ولم يتم عمل الترعة حتى الآن لتعبر السفن نهرها من ناحية الى اخرى لانها تحتاج الى تنقيح كثير .

ولا شبهة ان ترعة بناما اعظم عمل هندسي عملهُ الناس حتى الآن ولم يكن في الامكان ان يتمها د. لسبس كما اتمَّ ترعة السويس لما اقتضتهُ من النفقات الطائلة التي لا تستطيعها الأحكومة غنية مثل حكومة الولايات المتحدة ولان البلاد هناك وبئة لم تكن اقامة العمال فيها ممكنة الأ بعد ان عرف سبب الحميات واتخذت الحكومة التدابير اللازمة لمنع فتكها بالعمال

ولا يعلم حتى الآن ما يكون من تأثير هذه الترعة في تجارة العالم بنوع عام ولا من تأثيرها في ترعة السويس بنوع خاص وقد لا تظهر نتيجة ذلك الأ بعد ما يمرُّ على اصطناعها بضع سنوات

فهرس الجزء السادس من المجلد الثالث والاربعين

صفحة

فهرس المجلد الثالث والاربعين